قصص المصباح المضيء

الأجزاء

١٦-٢٠-

٢٠٢٤

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة

جمال شاهين

قلب الوطن
حكايات الفوارس
روايات اجتماعية
روايات جنائية
حديقة الازهار
جواهر القصص
قصص اخرى

المكتبة الخاصة

قصص

المصباح

المضيء

الجزء ١٦

٢٠٢٤

اعداد

جمال شاهين

قصص المصباح المضيء الجزء السادس عشر

النبي زكريا والنبي يحيى

سيرته: في ذلك العصر القديم.. كان هناك نبي.. وعالم عظيم يصلي بالناس.. كان اسم النبي زكريا عليه السلام.. أما العالم العظيم الذي اختاره الله للصلاة بالناس، فكان اسمه عمران عليه السلام. وكان لعمران زوجة لا تلد.. وذات يوم رأت طائرا يطعم ابنه الطفل في فمه ويسقيه.. ويأخذه تحت جناحه خوفا عليه من البرد.. وذكرها هذا المشهد بنفسها فتمنت على الله أن تلد.. ورفعت يديها وراحت تدعو خالقها أن يرزقها بطفل.. واستجاب لها الله فأحست ذات يوم أنها حامل.. وملأها الفرح والشكر لله فنذرت ما في بطنها محررا لله.. كان معنى هذا أنها نذرت لله أن يكون ابنها خادما للمسجد طوال حياته.. يتفرغ لعبادة الله وخدمة بيته. ولادة مريم: وجاء يوم الوضع ووضعت زوجة عمران بنتا، وفوجئت الأم! كانت تريد ولدا ليكون في خدمة المسجد والعبادة، فلما جاء المولود أنثى قررت الأم أن تفي بنذرها لله برغم أن الذكر ليس كالأنثى. سمع الله سبحانه وتعالى دعاء زوجة عمران، والله يسمع ما نقوله، وما نهمس به لأنفسنا، وما نتمنى أن نقوله ولا نفعله.. يسمع الله هذا كله ويعرفه.. سمع الله زوجة عمران وهي تخبره أنها قد وضعت بنتا، والله أعلم بما وضعت، الله.. هو وحده الذي يختار نوع المولود فيخلقه ذكرا أو يخلقه أنثى.. سمع الله زوجة عمران تسأله أن يحفظ هذه الفتاة التي سمتها مريم، وأن يحفظ ذريتها من الشيطان الرجيم. ويروي الإمام مسلم في صحيحه: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ « مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلاَّ نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخاً مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ إِلاَّ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ». ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ}وَإِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ{ كفالة زكريا لمريم: أثار ميلاد مريم بنت عمران مشكلة صغيرة في بداية الأمر.. كان عمران قد مات قبل ولادة مريم.. وأراد علماء ذلك الزمان وشيوخه أن يربوا مريم.. كل واحد يتسابق لنيل هذا الشرف.. أن يربي ابنة شيخهم الجليل العالم وصاحب صلاتهم وإمامهم فيها. قال زكريا: أكفلها أنا.. هي قريبتي.. زوجتي هي خالتها.. وأنا نبي هذه الأمة وأولاكم بها. وقال العلماء والشيوخ: ولماذا لا يكفلها أحدنا..؟ لا نستطيع أن نتركك تحصل على هذا الفضل بغير اشتراكنا فيه. ثم اتفقوا على إجراء قرعة. أي واحد يكسب القرعة هو الذي يكفل مريم، ويربيها، ويكون له شرف خدمتها، حتى تكبر هي وهي تخدم المسجد وتتفرغ لعبادة الله، وأجريت القرعة.. وضعت مريم وهي مولودة

على الأرض، ووضعت إلى جوارها أقلام الذين يرغبون في كفالتها، وأحضروا طفلا صغيرا، فأخرج قلم زكريا.. قال زكريا: حكم الله لي بأن أكفلها. قال العلماء والشيوخ: لا.. القرعة ثلاث مرات. وراحوا يفكرون في القرعة الثانية.. حفر كل واحد اسمه على قلم خشبي، وقالوا: نلقي بأقلامنا في النهر.. من سار قلمه ضد التيار وحده فهو الغالب. وألقوا أقلامهم في النهر، فسارت أقلامهم جميعا مع التيار ما عدا قلم زكريا.. سار وحده ضد التيار.. وظن زكريا أنهم سيقتنعون، لكنهم أصروا على أن تكون القرعة ثلاث مرات . قالوا: نلقي أقلامنا في النهر.. القلم الذي يسير مع التيار وحده يأخذ مريم. وألقوا أقلامهم فسارت جميعا ضد التيار ما عدا قلم زكريا. وسلموا لزكريا، وأعطوه مريم ليكفلها.. وبدأ زكريا يخدم مريم، ويربيها ويكرمها حتى كبرت.. كان لها مكان خاص تعيش فيه في المسجد.. كان لها محراب تتعبد فيه.. وكانت لا تغادر مكانها إلا قليلا.. يذهب وقتها كله في الصلاة والعبادة.. والذكر والشكر والحب لله.. وكان زكريا يزورها أحيانا في المحراب.. وكان يفاجئه كلما دخل عليها أنه أمام شيء مدهش ..يكون الوقت صيفا فيجد عندها فاكهة الشتاء.. ويكون الوقت شتاء فيجد عندها فاكهة الصيف. ويسألها زكريا من أين جاءها هذا الرزق..؟ فتجيب مريم: إنه من عند الله ..وتكرر هذا المشهد أكثر من مرة. دعاء زكريا ربه: كان زكريا شيخا عجوزا ضعف عظمه، واشتعل رأسه بالشعر الأبيض، وأحس أنه لن يعيش طويلا.. وكانت زوجته وهي خالة مريم عجوزا مثله ولم تلد من قبل في حياتها لأنها عاقر.. وكان زكريا يتمنى أن يكون له ولد يرث علمه ويصير نبيا ويستطيع أن يهدي قومه ويدعوهم إلى كتاب الله ومغفرته ..وكان زكريا لا يقول أفكاره هذه لأحد.. حتى لزوجته.. ولكن الله تعالى كان يعرفها قبل أن تقال.. ودخل زكريا ذلك الصباح على مريم في المحراب.. فوجد عندها فاكهة ليس هذا أوانها. سألها زكريا) :قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا(؟! مريم) :قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ .(قال زكريا في نفسه: سبحان الله.. قادر على كل شيء.. وغرس الحنين أعلامه في قلبه وتمنى الذرية.. فدعا ربه. سأل زكريا خالقه بغير أن يرفع صوته أن يرزقه طفلا يرث النبوة والحكمة والفضل والعلم.. وكان زكريا خائفا أن يضل القوم من بعده ولم يبعث فيهم نبي.. فرحم الله تعالى زكريا واستجاب له. فلم يكد زكريا يهمس في قلبه بدعائه لله حتى نادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب) :يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ

سَمِيًّا .(فوجئ زكريا بهذه البشرى.. أن يكون له ولد لا شبيه له أو مثيل من قبل.. أحس زكريا من فرط الفرح باضطراب.. تسائل من موضع الدهشة) :قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (أدهشه أن ينجب وهو عجوز وامرأته لا تلد) ..قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (أفهمته الملائكة أن هذه مشيئة الله وليس أمام مشيئة الله إلا النفاذ.. وليس هناك شيء يصعب على الله سبحانه وتعالى.. كل شيء يريده يأمره بالوجود فيوجد.. وقد خلق الله زكريا نفسه من قبل ولم يكن له وجود.. وكل شيء يخلقه الله تعالى بمجرد المشيئة) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ .(امتلأ قلب زكريا بالشكر لله وحمده وتمجيده.. وسأل ربه أن يجعل له آية أو علامة. فأخبره الله أنه ستجيء عليه ثلاثة أيام لا يستطيع فيها النطق ..سيجد نفسه غير قادر على الكلام.. سيكون صحيح المزاج غير معتل.. إذا حدث له هذا أيقن أن امرأته حامل، وأن معجزة الله قد تحققت.. وعليه ساعتها أن يتحدث إلى الناس عن طريق الإشارة.. وأن يسبح الله كثيرا في الصباح والمساء.. وخرج زكريا يوما على الناس وقلبه مليء بالشكر.. وأراد أن يكلمهم فاكتشف أن لسانه لا ينطق.. وعرف أن معجزة الله قد تحققت.. فأومأ إلى قومه أن يسبحوا الله في الفجر والعشاء.. وراح هو يسبح الله في قلبه.. صلى لله شكرا على استجابته لدعوته ومنحه يحيي.. ظل زكريا عليه السلام يدعوا إلى ربه حتى جاءت وفاته. ولم ترد روايات صحيحة عن وفاته عليه السلام. هوابن نبي الله زكريا، ولد استجابة لدعاء زكريا لله أن يرزقه الذرية الصالحة فجعل آية مولده أن لا يكلم الناس ثلاث ليال سويا، وقد كان يحيى نبيا ومن الصالحين ، كما كان بارا تقيا. ذكر خبر ولادة يحيى عليه السلام في قصة نبي الله زكريا. وقد شهد الحق عز وجل له أنه لم يجعل له من قبل شبيها ولا مثيلا. ومثلما أوتي الخضر علما من لدن الله، أوتي يحيي حنانا من لدن الله، والعلم مفهوم، والحنان هو العلم الشمولي الذي يشيع في نسيجه حب عميق للكائنات ورحمة بها، كأن الحنان درجة من درجات الحب الذي ينبع من العلم. ولقد كان يحيي في الأنبياء نموذجا لا مثيل له في النسك والزهد والحب الإلهي.. هو النبي الناسك. كان يضيء حبا لكل الكائنات، وأحبه الناس وأحبته الطيور والوحوش والصحاري والجبال، ثم أهدرت دمه كلمة حق قالها في بلاط ملك ظالم، بشأن أمر يتصل براقصة بغي. فضل يحيى عليه السلام: يذكر العلماء فضل يحيي ويوردون لذلك أمثلة كثيرة. كان يحيي معاصرا لعيسى وقريبه من

جهة الأم)ابن خالة أمه ..(وتروي السنة أن يحيي وعيسى التقيا يوما. فقال عيسى ليحيي: استغفر لي يا يحيي.. أنت خير مني. قال يحيي: استغفر لي يا عيسى. أنت خير مني. قال عيسى: بل أنت خير مني.. سلمت على نفسي وسلم الله عليك. تشير القصة إلى فضل يحيي حين سلم الله عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا. ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه يوما فوجدهم يتذاكرون فضل الأنبياء. قال قائل: موسى كليم الله. وقال قائل: عيسى روح الله وكلمته. وقال قائل: إبراهيم خليل الله. ومضى الصحابة يتحدثون عن الأنبياء، فتدخل الرسول عليه الصلاة والسلام حين رآهم لا يذكرون يحيي. أين الشهيد ابن الشهيد؟ يلبس الوبر ويأكل الشجر مخافة الذنب. أين يحيي بن زكريا؟ نشأته: ولد يحيي عليه السلام.. كان ميلاده معجزة.. فقد جاء لأبيه زكريا بعد عمر طال حتى يئس الشيخ من الذرية.. وجاء بعد دعوة نقية تحرك بها قلب النبي زكريا. ولد يحيي عليه السلام فجاءت طفولته غريبة عن دنيا الأطفال.. كان معظم الأطفال يمارسون اللهو، أما هو فكان جادا طوال الوقت.. كان بعض الأطفال يتسلى بتعذيب الحيوانات، وكان يحيي يطعم الحيوانات والطيور من طعامه رحمة بها، وحنانا عليها، ويبقى هو بغير طعام.. أو يأكل من أوراق الشجر أو ثمارها. وكلما كبر يحيي في السن زاد النور في وجهه وامتلأ قلبه بالحكمة وحب الله والمعرفة والسلام. وكان يحيي يحب القراءة، وكان يقرأ في العلم من طفولته.. فلما صار صبيا نادته رحمة ربه) :يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا .(صدر الأمر ليحيي وهو صبي أن يأخذ الكتاب بقوة، بمعنى أن يدرس الكتاب بإحكام، كتاب الشريعة.. رزقه الله الإقبال على معرفة الشريعة والقضاء بين الناس وهو صبي.. كان أعلم الناس وأشدهم حكمة في زمانه درس الشريعة دراسة كاملة، ولهذا السبب آتاه الله الحكم وهو صبي.. كان يحكم بين الناس، ويبين لهم أسرار الدين، ويعرفهم طريق الصواب ويحذرهم من طريق الخطأ. وكبر يحيي فزاد علمه، وزادت رحمته، وزاد حنانه بوالديه، والناس، والمخلوقات، والطيور، والأشجار.. حتى عم حنانه الدنيا وملأها بالرحمة.. كان يدعو الناس إلى التوبة من الذنوب، وكان يدعو الله لهم.. ولم يكن هناك إنسان يكره يحيي أو يتمنى له الضرر. كان محبوبا لحنانه وزكاته وتقواه وعلمه وفضله.. ثم زاد يحيي على ذلك بالتنسك. وكان يحيي إذا وقف بين الناس ليدعوهم إلى الله أبكاهم من الحب والخشوع.. وأثر في قلوبهم بصدق الكلمات وكونها قريبة العهد من الله وعلى عهد الله.. وجاء

صباح خرج فيه يحيي على الناس.. امتلأ المسجد بالناس، ووقف يحيي بن زكريا وبدأ يتحدث.. قال: إن الله عز وجل أمرني بكلمات أعمل بها، وآمركم أن تعملوا بها.. أن تعبدوا الله وحده بلا شريك.. فمن أشرك بالله وعبد غيره فهو مثل عبد اشتراه سيده فراح يعمل ويؤدي ثمن عمله لسيد غير سيده.. أيكم يحب أن يكون عبده كذلك..؟ وآمركم بالصلاة لأن الله ينظر إلى عبده وهو يصلي، ما لم يلتفت عن صلاته.. فإذا صليتم فاخشعوا.. وآمركم بالصيام.. فان مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك جميل الرائحة، كلما سار هذا الرجل فاحت منه رائحة المسك المعطر. وآمركم بذكر الله عز وجل كثيرا، فان مثل ذلك كمثل رجل طلبه أعداؤه فأسرع لحصن حصين فأغلقه عليه.. وأعظم الحصون ذكر الله.. ولا نجاة بغير هذا الحصن. مواجهة الملك: كان أحد ملوك ذلك الزمان طاغية ضيق العقل غبي القلب يستبد برأيه، وكان الفساد منتشرا في بلاطه.. وكان يسمع أنباء متفرقة عن يحيي فيدهش لأن الناس يحبون أحدا بهذا القدر، وهو ملك ورغم ذلك لا يحبه أحد. وكان الملك يريد الزواج من ابنة أخيه، حيث أعجبه جمالها، وهي أيضا طمعت بالملك، وشجعتها أمها على ذلك. وكانوا يعلمون أن هذا حرام في دينهم. فأرد الملك أن يأخذ الإذن من يحيى عليه السلام. فذهبوا يستفتون يحيى ويغرونه بالأموال ليستثني الملك. لم يكن لدى الفتاة أي حرج من الزواج بالحرام، فلقد كانت بغيّ فاجرة. لكن يحيى عليه السلام أعلن أمام الناس تحريم زواج البنت من عمّها. حتى يعلم الناس– إن فعلها الملك– أن هذا انحراف. فغضب الملك وأسقط في يده، فامتنع عن الزواج. لكن الفتاة كانت لا تزال طامعة في الملك. وفي إحدى الليالي الفاجرة أخذت البنت تغني وترقص فأرادها الملك لنفسه فأبت وقالت: إلا أن تتزوجني. قال: كيف أتزوجك وقد نهانا يحيى. قالت: ائتني برأس يحيى مهرا لي .وأغرته إغراء شديدا فأمر في حينه بإحضار رأس يحيى له. فذهب الجنود ودخلوا على يحيى وهو يصلي في المحراب. وقتلوه، وقدموا رأسه على صحن للملك، فقدّم الصحن إلى هذه البغيّ وتزوجها بالحرام.

قصص من السنة

لا غنى عن بركتك

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، خَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :يَا أَيُّوبُ! أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ :بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، أخرَجَهُ البُخارِيُّ، وَالنَّسَائيُّ، وَأَحْمَدُ.

***

نملة تقرص نبيا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ. فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ، أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ؟." !! مُتَّفَق عَلَيْهِ.

***

يحيى وعيسى

عَنِ الحَارِثِ الأَشَعرِيِّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ :قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهُ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ يَعْمَلُ بِهِنَّ، وَيَأْمُرُ بَنِي إِسْرَائِيْلَ يَعْمَلُوْنَ بِهِنَّ؛ وَإِنَّ عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَالَ لَهُ :إِنَّ اللهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ تَعْمَلُ بِهِنَّ، وَتَأْمُرُ بِهِنَّ بَنِي إِسْرَائِيْلَ يَعْمَلُوْنَ بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وإِمَّا أَنْ آمُرَهُمْ؟ قَالَ :إِنَّك إِنْ تَسْبِقْنِي بِهِنَّ خَشِيْتُ أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِي .قَالَ :فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ حَتَّى امْتَلأَ، وَقَعَدَ النَّاسُ عَلَى الشُّرُفَاتِ، قَالَ :فَوَعَظَهُمْ، قَالَ :إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَعْمَلُ بِهِنَّ، وَآمُرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ .أُوْلَاهُنَّ :أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ .قال :هَذِهِ دَارِي، وَهَذَا عَمَلِي، فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَسُرُّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟! وَإِنَّ اللهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَآمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا. وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ. وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، وَمَعَهُ عِصَابَةٌ كُلُّهُمْ يُعْجِبُهُ أَنْ يَجِدَ رِيحُهَا، وَإِنَّ الصيام أَطْيَبَ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ، وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ، وَقَامُوا إِلَيْهِ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَقَالَ :هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْدِي نَفْسِي مِنْكُمْ؟ قَالَ: فَجَعَلَ يُعْطِيهِمُ القَلِيلِ وَالكَثِيرِ لِيَفُكَّ نَفْسَهُ مِنْهُمْ. وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهَ كَثِيرًا وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ العَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ حَتَّى أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ فِيهِ، كَذَلِكَ العَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ".

قَال رَسُوْلُ اللهَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهُ وَسَلَّمَ: "وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ أَمَرَنِي اللهُ بِهِنَّ، الجَمَاعَةُ، وَالسَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالهِجْرَةُ، وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله. فَمَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ خَلَعَ الإِسْلَامِ مِنْ رَأْسِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ. وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُ مِنْ جُثَى جَهَنَّمَ". قِيلَ: وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟ قَالَ: "وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهَ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللهِ". ت وغيره

وهج الحرب ١٤

وغمر الحزن محبي جهاد ورندا ، وصبر الرجل كما تعلم من دينه ، ونسب الموت غير انتهاء الأجل لخطأ طبي من الطبيبة التي أشرفت على تنظيف الرحم بسبب التلوث الذي حدث في الرحم والأدوية المنتهية الصلاحية التي أعطيت للمرأة لتسهيل عملية التنظيف.

قام جهاد بمساعدة محسن وإخوته ووالده بنقل الجثة إلى بعنبس حيث ولدت الدكتورة قبل أكثر من ثلاثين سنة ، دفنت في مقبرة العائلة ، وكان العزاء في بيت زوجها جهاد وشقيقه سالم.

ولما انتهى العزاء غادر لعمان ؛ حيث الأطفال الثلاثة عبدالله ومي وحبيب ومربيتهم والخادمة.

كان المهندس ينتظره في المطار الدولي ، ورافقه للفيلا ، وقال: كيف حدث هذا؟

قال جهاد : تهاون في استخدام الأدوية ، أدوية فاسدة لم ينتبهوا لفسادها أو قدمها إلا بعد حدوث الموت السريع ، والأدوية اذا فسدت تتحول لمواد سامة ، لما عادت للبيت بعد العملية تعبت جدا ، ونقلتها للمستشفى ، وكانت منهكة وفارقت الحياة قبل أن تدخل غرفة العمليات ، لا تكاد تصدق ، مضى الأمر سريعا والحمد لله على كل حال.. إنا لله وإنا إليه راجعون .. ونقول: «إن لله ما أخذ ولله ما أعطى، وكل شيء عنده لأجل مسمى، فلنحتسب ولنصبر» ونقول «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا أم عبد الله لمحزونون»

قال: آلمتنا الحادثة يا أبا عبدالله ! الموت عندما يأتي لا يرده شيء ، ولا مجال لوقفه وكانت أختنا عظيمة لأسرتنا ، وكانت محبوبة من أمي وزوجتي

قال جهاد : رحمها الله ، كانت هينة معي ، فلا أذكر أنها رفعت صوتها في وجهي أو اعترضت كانت مسالمة للغاية .. أنا تزوجتها عن طريق شقيقها إبراهيم ، عندما قررت الزواج ، قال : أختي ما رأيك ؟ فأخذناها وأختها معها لشقيقي سالم الأكبر مني.. وتنهد وقال : رحمك الله يا أم عبدالله ! لما حضر كما تذكر إبراهيم وشقيقتها وتخلصت من وجع المرارة ، قلنا زال الخطر ، فلم نستطيع تأجيل عملية المرارة ؛ لأنها متعبة .. وأنا أكثر نهاري في الجامعة ، والأخصائي قال: لن يؤثر إزاله المرارة على الحمل ، المرارة علاقتها بالجهاز الهضمي ، والرحم علاقته بالجهاز التناسلي، لا علاقة بينهما ، فتمت إزاله المرارة بعملية متوسطة ، فكان الإجهاض طبيعيا ، ولما حصل ذلك ؛ كما يحصل لملايين النساء ، وتلوث الرحم من موت الجنين ، عملنا عملية تنظيف للرحم ؛ لأن المرأة لو تركت ؛ ربما تؤثر على الحمل القادم ، فأعطيت أدوية

فاسدة قديمة ، فحصل تسمم والتهابات حادة في الرحم أدت إلى الموت السريع.

وصلت السيارة للفيلا ، ونزلت الحقيبة، وقال محسن : هو في النهاية انتهاء الأجل ! رحمها الله ومتعك الله بالصبر.

قال: رحمنا الله جميعا ! القضية المهمة هؤلاء الأطفال بحاجة لأم ، فهم يعانون من فقد الأم .. فكيف لما أبدا الدراسة؟

جاء عبدالله ورفعه بحنان وقبله : ها هو عبدالله أصبح رجلا .. تعالي ميا ـ وأنزل الصبي ـ وقال : خذ الحقيبة يا عبدالله ! وعانق ميا .

قال: هل لو عادوا لبعنبس من فائدة ، وعاشوا مع خالتهم؟

قال جهاد : خالتهم طيبة مثل أختها ، وهي طبيبة أيضا ، وحتى لو تركت العمل يا أخ محسن فلا فائدة من بقائهم عندها .. سأتزوج الصيف القادم بعون الله .. لقد ناقشنا هذا الاقتراح في بعنبس .. فهو حل غير عملي وبلا فائدة ؛ لابد لهم من أم بديلة .

عام ٢٠١٣

اعلن في ٥ آذار في فنزويلا عن موت الرئيس هوغو تشافيز الاشتراكي المشاكس لأمريكا ، المعادي للإمبريالية ، والداعم لليسار ، والوفي للفقراء ، المحب لسيمون بوليفار محرر معظم دول أمريكا اللاتينية من الاستعمار الإسباني . قامت أمريكا عليه بانقلاب عسكري ، أفشله الشعب بيوم وليلة ، وكان مصابا بالسرطان ، ويعالج في كوبا ليتوج للمرة الرابعة حاكما لبلده وأجل التنصيب حتى يعود من رحلة العلاج ، والعجيب أن واحدا وثلاثين زعيما حضروا جنازته .

وفي الشهر نفسه تفاجأ العالم الكاثوليكي بتنازل بابا الكنيسة الكاثوليكية الألماني الأصل عن البابوية ، وأصبح مكانه كاردينال أرجنتيني بابا روما . المجمع المغلق هو الذي ينتخب البابا ، وهو الطريقة الرسميّة والمعتمدة منذ القرن الثاني عشر لانتخاب بابا الكنيسة الكاثوليكية ، وباتت تطلق على الخلوة الانتخابية الخاصة لانتخاب البابا ، نشأت طريقة المجمع المغلق، لحث الكرادلة ـ درجة ورتبة كنسية ـ على الإسراع في مهمتهم ، ومنعًا لإطالة فترة شغور الكرسي الرسولي ـ كرسي بطرس ـ وما يرافق ذلك من نشوء خصومات ومنافسات وتضعضع في الأجهزة الإدارية وفقدان الثقة ، وينظم شؤون المجمع المعاصر قانون خاص أصدره البابا يوحنا بولس الثاني عام ١٩٩٦ ، أما أقدم قانون فهو قانون الانتخاب الصادر عام ١٢٧٤.

ومن الطقوس وبعد إشهار نبأ موت البابا يغطى وجه البابا بنسيج أبيض ، وتبدأ من كابيلا الغرفة

البابوية القداديس لراحة نفسه ، وفي اليوم ذاته ، يتم تغسيل جثمان البابا وإلباسه الثياب الحبريّة ، وتوقد حوله أربع شمعات ، ويحرسه اثنان من الحرس السويسري ، ويقوم سكرتير البابا وهو أعلى سلطة مؤقتة في الكنيسة الكاثوليكية، بخلع خاتم الصيّاد الخاص بالبابا ، وإتلافه بحضور الكرادلة في القصر الرسولي لمنع توقيع أو تزوير أي وثيقة أو مرسوم. عشية اليوم الأول لوفاته، ينقل الجثمان إلى الكنيسة السيستينية ، وتترافق الليلة مع القداديس المتوالية ، وحضور شعب روما، وتنظّم التقاليد والقوانين الخاصة لهذه المناسبة ، وفي اليوم التالي ينقل الجثمان إلى كاتدرائية القديس بطرس تحديدًا إلى مصلّى القربان الأقدس ؛ حيث يعرض ثلاثة أيّام كاملة أمام شعب روما ، في حين يختم باب غرفة البابا بالشمع الأحمر ، وتغلق نوافذه علامة الحداد، وينشر على باب الكاتدرائية إعلان كبير بالأسود والأبيض ينعى البابا إلى شعب روما، وتنكّس الأعلام الفاتيكانية والإيطاليّة.

ينعقد المجمع الانتخابي بعد خمسة عشر يومًا من وفاة البابا ، هي أيام الحداد الرسمي على البابا الراحل ، يقوم عميد المجمع مع اثنين من مساعديه، بتلاوة قانون الانتخاب لعام ١٩٩٦ على الكرادلة ، وتذكر تفاصيل طريقة انتخاب الحبر الأعظم ، والمراسيم المرافقة للعملية بإسهاب ، الفترة السابقة للمجمع تستثمر أيضًا في عقد التحالفات بين الكرادلة من جهة ، ووصول كرادلة الأقطار البعيدة من جهة ثانيّة ، ينعقد المجمع في الكنيسة السيستينية ، تطلى عادة نوافذ الكنيسة لمنع إرسال أي إشارات من الخارج ، وتركب أجهزة تشويش لتعطيل أدوات الاتصال والتنصّت بمختلف أنواعها، ويتولى الحرس السويسري تفريغ المكان سوى من الكرادلة ومعاونيهم، ولا يسمح بإدخال أي شيء لهم خلال انعقاد المجمع إلا الطعام والشراب ، يحق فقط لسكرتير البابا ورئيس الاحتفالات الرسولية وراهب للاستماع إلى الاعترافات ، وطبيبات والعدد الكافي من الخدّام الكنسيين البقاء داخل الفاتيكان خلال فترة انعقاد المجمع ، أما إقامة الكرادلة فتكون في القصر الرسولي الذي يغلق بدوره أيضًا.

يتجه الجمع ـ عدد الكرادلة إلى سبعين ـ نحو الكنيسة السيستينية وراء الصليب تستمر الصلاة حتى يأخذ الكرادلة أماكنهم ، فإذا ما تم الأمر يطلب رئيس المجمع خروج غير الكرادلة الناخبين وإغلاق الأبواب بعد حصر الموجودين ، والتأكد من هوياتهم، وبعد الانتهاء من هذه المراسيم، يقسم الكرادلة واحدًا تلو الآخر على احترام البابا المنتخب ، والامتثال لأوامره وعدم إفشاء أي سر

يخصّ المجمع ، وقسم آخر يتعلق بعدم إدخال السلطة المدنية ، لا عن طريق المنع أو النقص أو التمني في عملية اختيار الحبر الأعظم ؛ حيث يكون كأس القربان موضوعًا ومغطى بصحن القربان، ويجب على كل كاردينال رفع الصحن وإبراز الورقة الانتخابية فوق رأسه مرددًا : المجمع المغلق يشهد السيّد المسيح الذي سيدينني، أني أنتخب الذي أرى أمام الله من واجبي انتخابه. ويلقي الرقعة في الكأس ، ويعيد الصحن إلى ما كان عليه ، يتم إحصاء عدد الأصوات، للتأكد من مطابقتها عدد الحاضرين قبل الشروع بالفرز، وكلما فرزت ورقة ثقبت وأدخلت في خيط ، فإذا لم يحقق أحد الكرادلة الأغلبية المطلوبة تلف الأوراق بشكل إكليل ، ويحرق كل دورتين في موقد مضافًا إليه موادًا خاصة فينبعث دخان أسود من فوهة الموقد على سطح الكنيسة، إشارة إلى فشل انتخاب البابا ، وعندما يتم انتخاب البابا، فإذا قبل يسأل عن الاسم البابوي الذي يختاره ، يتبادل المنتخب التهاني مع الكرادلة ، أما عميد المجمع فيحرق الأوراق الانتخابية مع مواد خاصة حينئذ ينبعث دخان أبيض من المدخنة إخطارًا بانتخاب البابا، يترافق ذلك مع قرع أجراس الكاتدرائيّة وكنائس روما احتفالاً ، وبعد انتهاء تجمع الحشود يطلّ أحد أساقفة الفاتيكان أو الكرادلة أو عميد المجمع ليعلن انتخاب البابا، ويبدأ بالعبارة التقليدية باللاتينية: "إني أبشركم بفرح عظيم، لقد أصبح لدينا بابا"، وبعد الإعلان بهذه الطريقة ، يخرج المنتخب يتقدمه الصليب ويحي الجموع ويلقي البركة التقليدية الأولى مع الصلاة التقليدية . في اليوم التالي للانتخاب ، يحتفل البابا بقدّاسه الأول في الكنيسة السيستينية بحضور الكرادلة فقط ، ويتم في القداس إلقاء الكرادلة بشكل علني قسم الطاعة للبابا الجديد وكذلك يلقي البابا عظته الأولى التي يذكر فيها عادة سبب اختيار اسمه البابوي.

لقد كان لزعيم الكنيسة في العصور الوسطى الكلمة الطولى في تثبيت الملوك وخلعهم ؛ مما دفع الثورة الفرنسية الشهيرة لشطب الكنيسة ، وظهور العلمانية بفصل الدين عن الحياة والحكم والاقتصاد ، ونشبت حروب أهلية في بلدان أوروبا ومستعمراتها وانتهت بالحرب الكونية الثانية. واستمر الصراع بين الكنسية والعلم حتى تفتق عن الشيوعية والاشتراكية ضد النظام الرأسمالي ، ظهرت الشيوعية عدوة للكنسية في القرن التاسع عشر، وانتصرت الشيوعية في روسيا القيصرية والصين وكوريا وفيتنام ، وفي دولة كوبا وغيرها ، ثم ماتت الشيوعية في التسعينيات من القرن العشرين ، وقتلت الملايين باسم الحرية ، وهي ضد

الحرية ، وباسم الاستقلال ، وهي أشد استعبادا وظلما للعالمين ، والسعي للحكم في كل مكان نبتت فيه ، وفي كل دولة شكلوا حزبا ، وحكموا اليمن العربي الجنوبي .
كانت شعارات يضحكون بها على الناس ، لا أثر لها على الأرض إلا على أصحاب الأهواء ، فلا يكاد قطر عربي وإسلامي يخلو منهم ، حتى في دول الخليج لهم أنصار وأعوان ، وإن لم يظهروا في تكتل علني ، وهم قلة لمجموع السكان ؛ ولكن أقلامهم وألسنتهم تفح من السموم ويتاح لهم الكثير من المجلات والصحف التي لا يقرأها إلا هم .
وظهرت في الولايات المتحدة فضيحة تجسس هزّت أمريكا بقيام وكالة الأمن القومي بالتجسس على الشعب الأمريكي في عهد الرئيس الأسود أوباما .
في أيار نشبت مظاهرات في تركيا ، استمرت حتى آب ، تسعى للإطاحة بحكومة أردوغان والعدالة . وأخطر ما حدث في العالم العربي انقلاب عسكر مصر على الرئيس المنتخب محمد مرسي بانقلاب مفضوح، زعموا أنها ثورة ٣٠ يونيو ، ثم تبع ذلك مذابح رابعة ضد أنصار مرسي ، تورط فيها الجيش والشرطة ، هزّت الكون فظائعها ، وبينت خبث العالم ضد الحرية والاستقلال .
وفي حزيران أنهى جهاد نجيب الفصل الثاني من السنة الأولى من الدكتوراه ، وقفل عائدا لأرض الوطن، وهو يترحم على زوجته التي فارقت الدنيا إلى الأرض السفلى في مطلع العام .
عم الحزن العالم العربي والربوع المصرية على مجازر ورثة جيش أكتوبر عام ١٩٧٣ وحزن الناس وخابوا ؛ لأنهم كانوا يرجون ويأملون الخير من ثورات الربيع العربي ، وخاصة ثورة الجدعان في مصر. والثورات عادة تواجه الردة من أعوان النظام السابق ، ووضعت في دواليبها العقبات والمعوقات بما يسمى بالثورات المضادة ، وصراعات حادة في اليمن وليبيا لإحباط الثورات كانت أحداث منصة رابعة المصرية ودموية الانقلاب المصري صدمة للشعب العربي والمصري رغم ما سبق وعلم من دموية ناصر ، وفتكه الشديد بالإخوان المسلمون ، أظهر وبان الانقلاب الجديد عن حقد ودموية أكثر .. لماذا ؟ الله اعلم! لكن الأيام والتاريخ سيظهر الحقائق .

****

حل جهاد في أول أسبوع من تموز في بعنبس ، وبعد زيارة خاطفة لعمه حبيب كانت أول زيارة لوردة التي وضعت مولودها الرابع في شهر أيار ، وكانت حديث العائلة والأصدقاء بعد موت رندا أمجد محمد . احتضنت أخاها ، وهي تبكي وتدعو، فقبلها من رأسها وقال : تذكرت رندا

نقلت رأسها عن صدره وقالت : تذكرت أم عبدالله الحبيبة رحمها الله.
قال جهاد : لله ما أخذ ، ولله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى يا أم جوهر الحمد لله على سلامتك .. و مبارك المولود حبيب .
فقد سمت ابنها حبيبا على اسم عمها سيد العائلة المحبوب منها ، ومن إخوتها ، وجهاد سمى ابنه الأخير حبيبا تعبيرا عن عرفانه بحب مربيه .
وانتقل حاضنا ملتزما لابن عمه عصام مهنئا بالمولود ، وبعودة صحته المفقودة إليه وبعد تعانقهم جلسوا ، وقد أحضرت المربية المولود ليراه خاله ، فتناوله وقبله ورقاه برقية إبراهيم ، وأخذه عصام وقبله وأعاده للمربية ، ووضع جهاد نقوطا في يد أخته الكبيرة سنا ومقاما ا، فقالت: بارك الله فيك ! ماذا أفعل بها ؟
قال جهاد : تصدقي بها عنه .
قالت وردة : أحسنت ! دائما أنا وعصام في سيرتك والدعاء لك بكل خير ، وأن يرزقك الله امرأة مثل أم عبد الله.
قال جهاد : جزاكم الله كل خير . تعال يا جوهر ما شاء الله ! رجل حبيبي والتزمه وقبله ـ وأعطاه مالا كهدية ـ اشتري بها قصصا .
قال: شكرا خالي .. أنا بحبك جدا .. ماما تحبك
قالت وردة : وبابا!
قال: بابا أيضا .
قال جهاد : تعالي ميا تعال يا محمد ! رفع محمدا وميا عاليا، قبلة هنا وقبلة هناك : حلوين يا أولاد ! رائعون !
وأنزلهما وأخذتهما المربية ، وأراد جوهر الانصراف ، فقال جهاد وهو يمسك بيده : أنت اليوم رجل العيلة ! عليك أن تجلس معنا ؛ لتتعلم عاداتنا .
نظر لأمه ، وعيني والده ، فقالت وردة : أطع خالك .. أنت اليوم رجل ـ وضمته لصدرها ، وربتت على ظهره ـ حبيبي جوهر.. ما دام خالك قال عنك رجل خلاص لازم تقعد معنا صح يا عصام!
قال عصام بحماس : صح ، اجلس يا ولدي! تفضل بالجلوس أبا عبدالله.
قال جهاد : كيف أنت وجدك حبيب ؟
نظر لوالديه وقال: جدي صديقي بحق .. أنا بحبه مثلكم ، لا يراني إلا ويضع في جيبي مالا.. فأقول عند بابا وماما كثير.. فيقول هذا أفضل من جدك المحب لك ، ويضمني لصدره .
قال عصام : أبي يحب أن يشتري لهم الثياب ، ويطلب منا أن نتصدق بالمستعمل .
قالت وردة : عمي غالي على قلبي مثلك يا جهاد ! كم خسرت من عمري وأنا أجهله ؟! .. كنت حمقاء!

قال عصام : وأنا مثلك يا حبيبتي ! كنت وأنا شابا أتعجب من تعلق سالم وجهاد بأبي ، ويسمعان إرشاداته وتوجيهاته أكثر مني .. يذهبان للمسجد يا وردة ! وأنا أميّل على أقرب مطعم أشرب كولا ، وأدخن حتى يعودا من الجامع ، وأرجع معهما ؛ كأنني صليت معهما ، فيقول الحاج : صليت يا عصام ! وهو يعرف كذبي ولكنه يقول : حسنا ! ستصلي ، فأنا لما أتذكر تلك المشاهد يا جوهر أضحك من نفسي ، فمرة قلت لسالم أو جهاد كيف عرف أنني لم أذهب معكم للجامع؟ فيقول أحدهما : من رائحة الدخان ، ومن بقايا الطعام على صدرك .

قالت : الحمد لله الذي تداركنا يا عصام ! حبيبي كيف الدراسة والدكتوراه ؟

قال جهاد : الحمد لله ، أنهيت السنة الأولى بنجاح ممتاز .. المواد مكررة ..القانون له مفهوم واحد في نظري، وأسماء تتغير .. كيف أنت دكتور عصام ؟ جميل أن تتذكر تلك الصور .. أنا نسيتها.. أنت الابن ،ونحن أبناء الأخ .. وكان والدك لا يحب أن ننقل له أخبارك ، حتى لا تنظر إلينا كجواسيس ، وتقع الأحقاد والكره بيننا .. هذا قاله لي ولسالم ؛ فلذلك لم يحب أن يسألنا عن أفعالك .

قالت وردة : يا الهي أدمعت عيناي يا جهاد!

ابتسم وقال جهاد : نعم ، عمي مثقف ، وقال لنا : حركات المراهقين معروفة ، والله يقول {فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} فلا داعي لينظر لكم عصام بسوء ، والأب الحقيقي يعرف طباع ابنه وابنته ، لا تحتاج لفهلوة ودراسات علم نفس ، قال الشاعر طرفة:

عنِ المَرْءِ لا تَسأَلْ وسَلْ عن قَرينه ...

فكُلُّ قَرينٍ بالمُقَارِنِ يَقْتَدي

وقال غيره:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه ...

فإنّ القرين بالمقارن مقتدى

غير لفظ وسل بـ وأبصر.

قالت وردة : سبحان ربي ! عمي فعلا مثقف ومربي حكيم! هذا قيل قبل الإسلام يا جوهر ! أنت حفظتهما يا جهاد من تلك الأيام .

قال جهاد : فهمت معناهما ، ولما كبرت حفظتهما ؛ لذلك عصام ما كرهنا يوما حسب معلوماتي لأنه مهما فعل أمامنا لا نتحدث لأبيه ، ولا أبوه يسألنا.. كان مطمئن من ناحيتنا .

قال عصام : كنت أدهش لماذا وجه الاستفسار لي بدلا منكم ، ما دام يرغب بمعرفة أفعالي ؟

قالت: عمي مدرسة في التربية ، نتكلم عن جدك يا عيون أمك !

قال: أسمع جيدا منكم .

قال جهاد : ذكرنا بتلك اللحظات حبيبنا أبا جوهر! كيف أنت يا جوهر ؟ أين ستقضي العطلة السنة ؟

قال بانفعال : سنذهب كما تقول ماما إلى مزرعة جدي شي كم يوم .

قال جهاد : ممتاز فواكه الصيف بدأت تملأ الأسواق ، والله فكرة قد آخذ الأولاد إليها ما رأيك يا جوهر ؟

قال: أهلا وسهلا .. متى سيزورنا عبدالله ومي وحبيب ؟

قال جهاد : خلاص لما تروحوا المزرعة نرافقكم ليلة ، والأولاد سأتركهم معكم ما عدا حبيب لأن عمي طلب مني عندما سلمت عليه أن أذهب بهم للمزرعة يا جوهر !

قال عصام : سنذهب جميعا، وسأطلب من أبي ياسر تنظيف القصر .

قال جهاد : اعتقد أن العم فعل ذلك خاصة الطابق الثاني ، فالطابق الأول دائما نظيف ؛ لأن العم يقدم الطعام والضيافة فيه .. نحن سنحل بالطابق الثاني

قالت وردة بحزن وعطف : لابد لهم من أم يا أبا عبدالله !

قال عصام : كما قالت أختك ، ألم تجد لك زوجة عمانية ؟

ضحك وقال : لا أرغب بزوجة عمانية .. وكلهم خير !

قالت: تحدثت مع زوج جريدة .

قال جهاد : ما أخبارها ؟ هل حملت؟

قالت وردة : سعيدة بزوجها ! وتقول إنه الرجل المناسب ، وهو من ناحية الصحة الجنسية سليم ، وهي تتعالج ، والدكتور سعيد وزميلاه يتابعون تركيب الوصفات لها ، ويأملون أن تثمر مع الوقت ؛ كما حصل لي ولحبيبي أبي جوهر ! وربتت على أكتاف جوهر .

قال جهاد : وفقكم الله .. على الإنسان أن يسلم أمره لله مع الأخذ بالسبب والتوكل عليه سبحانه سأتعشى الليلة مع العم أنا والأولاد وأثناء تلفون بيني وبينه قبل حضوري لبعنبس حدثني عن زوجة .

قالت : رائع ! الرجل يصعب عليه العيش بدون زوجة .

قال جهاد : في الغالب ، الحياة تعوّد ، يبلغ الشاب هذه الأيام الثلاثين وأكثر ، ولم يتمكن من الاقتران ، حدثني عن ابنة صديق عزيز وجار في بنت الباشا ، ومنذ سمع الرجل بموت أم عبدالله ، وهو يلح عليه بالمصاهرة ، عارف يقول حوله صبية في المؤسسة قد تصلح أن تكون أما لأطفالي ، فأخبرته بطلب العم ، فقال العم أولا .

قال عصام : حدثنا عنها يا وردة عروسة المؤسسة.

قالت: أذكر ، وقلنا لما يرجع يحلها الله .. أنت بحاجة إلى امرأة مثل زوجة أبي محمد شقيق رندا عندما اختار أما لولده محمد.

قال جهاد : ما أخبارهم ؟سمعت ...

قالت وردة : تمام ! مات اللواء خميس ؛ كما سمعت ، وقال الدكتور إبراهيم استفادت من تجربتها القاسية مع الطلاق.

قال عصام : حضرنا الدفن والعزاء رحمه الله .

ـــــــ

ليلا دخل جهاد بيت عمه حبيب وتحابا ، وسلم على زوجته ، واطمئن على صحتها ، فزوجة عمه بهدوئها وقلة كلامها يشبهها جهاد بقرينته الراحلة ، لا تتكلم إلا اذا سئلت حتى وردة قريبة منهن بهذه الصفة .حضر سامي وزوجته وأطفالها وتنالوا جميعا الطعام على مائدة المهندس حبيب عارف .

فقال جهاد وهم ينتقلون لصالة البيت الواسعة : جوهر صار طويلا يشبه أباه يا عمي .

قال حبيب : صبي قليل الكلام ؛ لكنه فهمان وفطن وعاشق القراءة !

قال جهاد : اليوم عصرا مررت عليهم ، وسمحت له بالجلوس معنا ، وقلت له أنت كبير يا جوهر! في الصف السادس ، فانبسط وتطلع في وجه والديه فقالوا افعل ما أراد خالك .. هذا الوالد أحببته جدا!

قال حبيب : طيب جدا ؛ ليس كابني عصام ..مرة كان هنا قلت أتحب السينما يا جوهر؟ قال : لا ، مرة في المدرسة عملوا لنا مسرحا مدرسيا طلبوا مني المشاركة رفضت مع أنهم يا جدي ! يمثلون قصصا قرأتها ، فقلت له لماذا ؟ قال أحب قراءة القصص التي يأتينا بها خالي جهاد .

كان سامي قد بنى قصرا صغيرا بجوار أبيه في أراضي أبيه ، واعتبره لأبيه ، فقبل حبيب ذلك ، حتى عندما يتوفاه الله يكون لجميع الورثة ، فقبل سامي الشرط ؛ ليكون بجوار الوالد ، فلذلك كلما يكون خاليا من المراجعات يسهر مع والده وزوجة أبيه ، وعمته فاطمة التي تسكن في بيت مستقل مع أبيه ، وبجوارها ابنتها منى ، وزوجها خليل ، وابنها المهندس محمد

تعشوا على المقسوم كما يقال ، وانتقلوا للصالة ، وتحدثوا عن أحوالهم وظروفهم ، وعن عمان وأخبارها ، وذكروا ولادة وردة بدون الحمل الصناعي ، وشكروا الله على صحة عصام ، وتمنوا لجريدة الحمل ليرتاح بالها ، وتعود لمرحها المعهود

قال سامي بعد صمت : هل حدثك أبي عن ابنة صديقه الباكستاني العميد عبد المحسن خان؟

قال جهاد بدهشة ، فالعميد جار لعمه في الحي : عبد المحسن خان عنده بنات في سن الزواج!

قال حبيب : كما تعلم هو مهندس عسكري .

قال جهاد : كثيرا ما التقيه عندك في هذه الغرفة.
قال حبيب : وهو يعرفك حق المعرفة ، وهو له زوجتان من جنسيته ، هؤلاء يحبون أن يعطوا بناتهم لبعضهم البعض إلا ما شذ وندر ، وأحيانا يرسلون أبناءهم ذكورا وإناثا للزواج من وطنهم باكستان ، تقاليد وعادات متوارثة ، كما يفعل بعض الناس المهاجرين في الغرب تأتي بناتهم في الغالب للزواج من أقاربها هنا .. فالمهندس عبد المحسن له امرأتان ، الزوجة الأولى تسكن بجوارنا ، وكل ذريتها تزوجت ثلاثة أولاد وبنت.
قال سامي مكملا عن أبيه : والثانية عكس الأولى ، ثلاثة بنات وذكر ، وهو الأصغر ويدرس في الجامعة .. بنتان متزوجتان وظلت الأخيرة ، فيرغب والدها بتزويجك إياها .
قال حبيب : والرجل صديق وجار قبل أن تولدوا ؛ لأن في بلادنا وبلاد الشام والحجاز والعراق تجد الكثير من العائلات الهندية منتشرة فيها ، وكان سبب زواجه قديما مرض الأولى فتزوج ابنة ضابط باكستاني مثله ، وولدت هؤلاء الأربعة وهي سيدة فاضلة .
قال جهاد سائلا : متعلمة ابنته !
قال حبيب : أولاده من الأولى جارتنا في حي بنت الباشا متعلمون ، اثنان منهم تزوجوا في باكستان ، ويعملون هناك في الجيش الباكستاني ، وابنتها الوحيدة والولد الثالث متزوجون كذلك .
قال سامي : الزوجة الثانية زوجت البنتين كما قلت ، والصغير يدرس في الجامعة وأعزب ، والبنت العزباء تدرس في الماجستير ، درست فيزياء ، ولم تعمل، ترغب مثلك بالدكتوراه ؛ لتعمل معيدة في الجامعة ، فلها عم عميد جامعة برفسور فيزياء
قال جهاد : ما شاء الله!
قال حبيب : أسرة محترمة وجيرة طيبة ! وهو منذ سكن حينا ، ونحن أصدقاء ، لما ترملت وماتت سليمة ـ رحمها الله تعالى ـ ذكر لأبي رغبته بمصاهرتنا على خلاف تقاليدهم التي درجوا عليها.
وتابع حبيب فقال: قديما رغب بمصاهرة سامي ؛ لكنّ ساميا كان راسما على هناء ما رأيك؟ أولادك بحاجة لأم ؛ كما أنت بحاجة لقرينة .
قال جهاد : ابنته ما قولها أولا ؟
قال سامي : سنسألها بالتأكيد .
قال جهاد : أي سنة في الماجستير ؟
قال حبيب : اسمها جنة ، أنهت البكالوريوس ، وسجلت في الماجستير فورا ؛ ربما أنهت السنة الأولى يا أبا عبدالله!
قال سامي: طموحها ؛ كما سمعتها تقول هنا ، العمل في الجامعة ، يبدو أن عمها عبد القدير يشجعها على ذلك.

قال جهاد : مثلي إذن !

قال حبيب : الوالد راغب بذلك، والبنت تعاملني كوالدها قبل موت أم عبدالله واعتقد أنها تعلم رغبة والدها بمصاهرة أسرة عارف ، فاذا لم يكن عندك أخرى نذهب ، وترى الصبية وتتحدث معها عن الأولاد والأم البديلة .. أنت كما ذكرت بحاجة إلى أم أكثر من زوجة .

قال جهاد : الوقت ضيق، وسأتزوج بعون الله هذا الصيف يا عمي.. فلتأخذ لنا موعدا قريبا حتى اذا لم يحدث النصيب نبحث ونرى غيرها .

قال سامي: خير البر عاجله .

ذهب حبيب وسامي وجهاد إلى بيت عبد المحسن في حي خالد القريب من حي الساعة في نفس الشارع الرئيس شارع الساعة .

استقبلهم القائد عبد المحسن وزوجته وابنه صديق طالب القانون ، تقدمهم العميد الطيار إلى قاعة الاستقبال ، وهو وزوجته يرحبان بهم ، ولما جلسوا حضرت جنة ، وألقت السلام عليهم وجلست بجوار أمها.

فقال حبيب وهو يشير إليها : هذه يا أبا عبدالله جنة بنت صديق العمر الجار المحترم عبد المحسن خان وقال متابعا التعريف : وهذا هو ابني العزيز جهاد أبو عبدالله الذي ترمل في مطلع هذا العام ، وحدثتكم عنه آنفا ، وهو يدرس الدكتوراه في مدينة عمان الغالية .

قالت أمها لجنة : أهلا بالدكتور الغالي شرفتمونا ونوّر البيت بوجودكم .. أهلا حبيبنا أبا عصام هذه ابنتي أنهت الدرجة الأولى من الجامعة ، وبدأت في الدرجة الثانية في نفس تخصص الدرجة الأولى .

فقال سامي : وابن عمي أنهى السنة الأولى دكتوراه في القانون في الجامعة الأردنية وهي من فضليات الجامعات في العالم .

حضرت القهوة وتناولتها جنة من الخادمة ، وقدمت لوالدها ، فأشار أن تبدأ من عند أبي عصام

ولما وصلت لجهاد رفعت صوتها : تفضل دكتور أبا عبدالله .

قال جهاد : شكرا لك يا آنسة جنة !

قال حبيب : جنة لسانها العربي مثلنا يا جهاد ! وطبعا تتكلم بالأردية لغات بلاد الهنود قبل التقسيم الاستعماري.

فقال جهاد متبسما : تقبلين الزوج العربي.

قالت : نحن ولدنا هنا ، وباكستان نزورها باستمرار ، فيها قبائل أصلها عربي ؛ بل عندنا بقايا الخلافة العباسية وهاشميون .. فأبي وأمي ولدا في هذه الديار ، نحن في الغالب نتزوج من

بعضنا بعضا ؛ ولكن نأخذ ونعطي العرب ، لن نكون الحالة الفريدة اذا قدر الله ذلك ، فلما تكثر البنات في العائلات يزوجونهن للعرب وغيرهم .. نحن مخلصون لأزواجنا يا عمي حبيب!

قال حبيب : هذا مشهود ، حتى كنا نسمع أن الزوجات كانت تحرق مع الأزواج في بلاد الهند.

قال عبد المحسن : طقس قديم عند الهندوس والبراهمة ، لا أدري بالضبط ! نعم سمعنا بذلك.. والحرق للميت عند الهندوس ديانة وتقرب للآلهة البقرية والأوثان.

قالت جنة: أنا أحب عمك كثيرا يا دكتور ! وهو يعلم ذلك قبل أن نتحدث في هذا الأمر .. لم يهبط علينا الحب فجأة !

قال حبيب مسرورا : وأنا محب لك ولأهلك يا بنية !

عادت تقول : أنا لا أقول لكم مثل بنات بلدكم أمري لأمي وأبي أنا تركت الأمر إليك .

ضحكوا وقال جهاد : تصلين وتصومين يا أستاذة جنة!

قالت أمها كأنها محتجة : هذا سؤال يا أبا عبدالله ! نحن في الباكستان انفصلنا عن الهند عام ٤٧ من أجل الدين والإسلام .. أنا والدي من جنرالات الانفصال والاستقلال ..وسعى بعض زعمائنا تقليد زعيم تركيا أتاتورك في العلمانية ، لقد ترك عداءه للإسلام حب العلمانية في نفوس أنصار العلمانية في بلاد الإسلام كلها.

قال سامي : الدكتورة قامة إعلامية ، وابنتها جنة صحفية كهواية ، تكتب مقالات صحفية .

قال جهاد : صحفية كيف؟

قال عبد المحسن : ليست صحفية بشهادة ، هي تحب الكتابة للصحافة والمجلات وهي مثلك محسوبة على التيار الإسلامي .

قال حبيب: أمها مرحبة بك زوجا لابنتها كأبيها ، وهي تعلم أن لديك ثلاثة أطفال ، والبنت ها هي تركت الخيار لك ، وها أنا أقول قدام صديقي عبد المحسن أبي نزار أن الأمر إليك ، وأعطوه فرصة يفكر ؛ فهو حقيقة راغب بالزواج خلال الصيف لتصحبه قرينته إلى عمان .. وهذه أول امرأة يقابلها من أجل هذه الغاية النبيلة .

قال الأب : بارك الله فيكم ، فالمهندس حبيب جار العمر وصديق غالي ، وهذه بضاعتنا يا دكتور جهاد ، ونحن كما قالت أم صديق نشرف بصحبتكم ونسبكم .

فقال : أمهلوني يومين .

قالت جنة : أسبوع .

قال جهاد : شكرا لكم ولحسن ضيافتكم ومصاهرتكم.

ـــــ

دعا عارف شقيقه جهادا وزوج جريدة الدكتور احمد وجريدة على العشاء في منزله بمناسبة عودته من عمان والسفر. التقى الجميع في بيت عارف ، فقامت جريدة عندما دخل جهاد تهرول نحوه وعانقته ؛ كما تفعل وردة ، وقبل رأسها ويدها ، وفعلت مثله ، وقال : كيف أمورك مع أبي نبيل؟

قالت : الحمد لله .. كيف العروس؟

ابتسم ، وسلم على الدكتور احمد معانقا ، فهم أصدقاء قبل زواجه من جريدة : كيف أنت وأختي الصغيرة ؟

قال: الحمد لله .. عسل يا أحلى صديق !

تعانق مع عارف عناقا دافئا ، رحبت روز بجهاد وتناول محمدا مقبلا ، وسألت عن الأطفال

فقال : عند خالتهم جارتي .

كان عارف قد زار جهادا في بيته ودعاه ، وسمع منه نتيجة زيارة المهندس عبد المحسن .

جلسوا على مائدة عارف وروز يأكلون ويتكلمون حتى انتهوا ، فانتقلوا لغرفة الجلوس ، وكانت أمامهم الفاكهة ، وأكواب الماء والعصير ، ناولت روز زوجها حبة دراق ، وقالت : أعطها لجهاد ، وثانية لأحمد ، وثالثة لجريدة ، ثم قالت بحياء : من مزرعة عمنا الحاج أبي عصام

قال عارف: اليوم أبو عصام أرسل لنا خالدا بصناديق الفاكهة الدراق والخوخ .

فقالت جريدة : بعث لنا .

فقال جهاد : وزع على كل أفراد الأسرة والعنب .

قالت روز : والعنب حتى أمي بعث لها ، اتصلت تشكر عارف ليشكر عمه .

حضرت زوجة جهاد المجلس وترحموا عليها ، وسألت جريدة عن جارة عمها حبيب.

فقال : رأيتها ليلة أمس .. هندية عفوا باكستانية.

قال احمد : الهند والباكستان في الأصل بلد واحد.

قال جهاد : قابلت ابنة عبد المحسن ووالديها ، فهو صديق عمي من عشرات السنين ، البنت غاية في الذكاء ؛ ربما أكثر واحدة تحدثت في المجلس ، وجريئة أخشى أن لا تحسن معاملة الأولاد العائلة غاية في الأدب ، والدها طيار مهندس طيار برتبة عميد متقاعد من قريب ، شقيقه برفسور في الجامعة في عنبس عالم فيزياء ، والبنت أنهت بكالوريوس علوم الفيزياء ، ولا ترغب بالعمل كمدرسة .

قالت : ماذا ستعمل ؟ ربة بيت.

قال جهاد : هي تخرجت من سنة ، وسجلت للماجستير ؛ متأثرة بشقيق أبيها ، راغبة بالعمل مدرسة جامعة ، عمها عميد كلية العلوم.

قال احمد : عرفته ، نعم ، هو في جامعة عنبس الأولى الدكتور عبد القدير خان رجل عظيم عرفته ، والتقيت به ، وهو يعرفني بحكم عملي عميد

جامعة في بعنبس.. بس زمان ما التقينا
عالم فيزياء ، وله بحوث حول الطاقة النووية.
قال جهاد : البنت حيوية ، ولها نشاطات صحفية وإعلامية ، فأمها كانت دكتورة في كلية الإعلام ، وأنا لا أرضى أن يحدث مع الأولاد مما هو شائع عن زوجة الأب في المسلسلات المصرية.
قالت جريدة : كلامك يدل على ميلك إليها .
قال جهاد : أنا أتكلم عنها بصدق ، وأنا كما يقول عارف اذا قال عمي شيئا أستحي أن لا أنفذه وهذه رغبته ، وإلا ما رافقني ، فلما ذهبنا لرؤية رندا ذهب معي ، وحصل المقدر .
قال عارف : ما دام أبو عصام راغبا بها لك فتوكل على الله .
قال جهاد باسما : وأنا أقول ذلك يا دكتور احمد ! ماذا في بطن امرأتك يا عارف؟
قال عارف : بنت إن شاء الله ! روز راغبة بتسميتها وردة .
قال جهاد مداعبا : على ذلك ستتحصل على نقوط كبير يا روز!
قال عارف : رشحت أنا اسم زكية .
قالت جريدة : وردة أحلى ، حتى لا تطلع على أمنا يا عارف ! يقولون الأسماء تؤثر على المسمّين.
قال جهاد : بالسلامة يا أم محمد .
قدمت الشكر بهزّ الرأس ، وبارك احمد ، وقال : يعني ستتزوج هذا الصيف.
قال جهاد : نعم ، قبل السفر .
قالت جريدة لروز: والمدرسة!
قال عارف : فتحت لها حسابا خاصا لتسحب منه بدل التعليم.. الحمل متعب يا جريدة ! جربنا أثناء حملها بمحمد .. هذا الحساب تسحب منه كما تشاء .. عقبال عندك ، وأنتم ماذا فعلتم؟
قال احمد: الأمور تسير إلى الأفضل بفضل الله .. وأخونا سعيد يرى أنها ستحمل بإذن الله .. بس مع الوصفة تكثر من الاستغفار والدعاء ، وتلزم الهدوء ، ولا تستعجل الإجابة .
قالت جريدة : لقد تعلمت من وردة الصبر والتأني ! أه ! كم أحبها ! كم وضع لك في الحساب وكيف تنفقينها؟
ضحكوا ، ورشفوا من القهوة التي تناولوها من الخادمة ، وقال احمد : سؤال محرج
قال جهاد باسما : مرة تحدثنا في الهاتف فقال خمسون ألفا .
فقال عارف : هذا حساب فقط؛ لتصرف كيف تشاء ؟ تعطي أمها أخواتها أقاربها المشكلة أنها لا تصرف، فانا أول مرة أرى امرأة لا تحب الصرف يا دكاترة !
قالت : وماذا تفعلين فيها يا روز ؟!
قالت : لا شيء ، كل الملابس والعطور لي

ولأخواتي وأمي يدفع ثمنها هو .. لا أدري ماذا أفعل بها ؟!
قال عارف : كم يتيما تكفلين ؟
قالت : ولا واحد ، كفلت لي اثنين، باسمي واحد وباسم أمي واحد .
قال عارف : الحمد لله يا دكاترة ! فلوس تزيد .. السماء تشتي علينا مالا .. سمعت بقصة ملايين أبي الذي اختفى من ربع قرن .
قال احمد : حدثني جهاد القصة.
قال عارف : وأمي كانت تكنز لنا ، والمؤسسة مكسبها مبارك ، قلت لها اشتري لأخواتك وأزواجهن سيارات حديثة فيرفضون أو في حالة خجل .
قال احمد : سنفرح قريبا يا أبا عبد الله!
قال جهاد : قريبا إن شاء الله ! سآخذ وردة وجريدة اذا أحبت أن تراها.
قالت : أنا مستعدة إلا اذا اعترض الدكتور ـ وضحكت ـ وإن لم أكن أفهم في مثل هذه التقاليد وماذا أفعل؟
قال احمد : كيف أعترض وجهاد العريس يا عارف ؟!

رافقت وردة وجريدة عمهم حبيب وجهاد لبيت العميد خان ، وجلسوا كالزيارة الماضية ، وحضرت جنة وأمها وعانقت الشقيقتين ، ولما شرب الجميع الشاي خطب حبيب فقال : ابن أخي لا يرى مانعا بالاقتران والارتباط بابنتكم الكريمة يا أبا نزار !
فقال العميد فرحا : والله يا أبا عصام اعتبره مثل ابنيّ نزار وصديق .
فقال حبيب : الدكتور جهاد يريد ويرغب بقول أمامكم.. شيئا مهما يراه هو .
ـ تفضل يا ابني.
قال جهاد : كما يعلم عمي وأنتم أن عندي أطفالا ثلاثة عبدالله تسع سنوات ، مي خمسة ، حبيب سنتان وشهور ، وأنك يا جنة ستكونين أما لهم قبل أن تكوني زوجة .. هم الأهم لي ولك ، فاذا وفقت بجذبهم إليك ، سيدوم الوثاق بيننا والمحبة وإلا المربية والخادمة هما اللتان تقومان بالإطعام وتغيير الثياب .. الحب هو واجبك الأول أفي هذا ظلم؟
قالت جنة: هذا فرض عليّ ، سأبذل كل طاقتي ؛ لتحقيق هذا الحب ، وعليك أن تشير عليّ ؛ لتحقيق ذلك ؛ فأنا لم أتعامل مع الأطفال مسبقا ، أحتاج لتعليم وتوجيه أليس كذلك يا دكتورة وردة ؟! يا حبيبتي أنت وأختك التي لم ترفع عينها من النظر في وجهي.
اضطربت جريدة ، وسمعت وردة تقول : جريدة أول مرة تمشي في رؤية عروس وتربية الأطفال

سهلة وصعبة .. والدكتورة أمك التي ربتك تعرف ذلك .

قالت صفا : أنا أحببتك جدا من ثناء عمك عليك أثناء محنة عصام .. وأبو نزار معجب بك كذلك وبإرادتك الكبيرة .

قالت بخجل : بارك الله فيكم ! وكسب الحب وتثبيته يحتاج لجهد بسيط وإخلاص.

قال جهاد: اذا وضح هذا الهدف ، سيسهل تطبيقه ، الاهتمام بتدريس عبدالله اللعب معهم، التودد إليهم ، أنا واثق من قدرتك على ذلك.. هذا القميص حلو هذا اللون أفضل الألوان.. اللعب معهم .

قال عبد المحسن : رائع أبا عبدالله! آ.. يا دكتورة جريدة ما تقولين في عروس أخيك ؟

قالت : عفوا يا عمي ! أنا تعلمت منهم ما يراه عمي فهو الصحيح ، وما يفعله جهاد أسلم به وما دام قبل فألف مبارك يا جنة ! فأنا أختك .

فقالت وردة : فعلا نحن نعتبر قول حماي مقدس يا أخت جنة ! وأخي جهاد سيوجهك إلى كيف تتعاملين مع أطفاله .. المهم أنت تتقبلينهم بروح طيبة.

قالت جنة : هؤلاء أبنائي يا دكتورة ! وستثبت الأيام صحة قولي هذا .

قال جهاد : هي مسؤولية إلى حين .

قالت الأم : لست غريبا عنا يا دكتور ، وجنة ستضع قلبها وعقلها من أجل أطفالك، فهم اليوم أطفالها ، وهي أمهم إن شاء الله !

قالت جنة : أنا سأكون أما لهم بتوجيهات منك ؛ قلت إن المربية تشرف عليهم لكن أريد أن أفهم كيف سأكون أما ؟

قال جهاد : جيد ! عليّ توضيح قصدي أمامكم وأمام جنة .. أنا أحترم شخصك وثقتك بنفسك، ولن تري مني ظلما بعون الله .. المقصد أن تتعاملي معهم ؛ كأنك أم حقيقية لهم .. صراخ ، شتم ، ضرب صفع بصق إساءة أذى مرفوض .. كيف الأم لا تغضب من ابنها إلا نادرا ؟ اللطف والود والعطف مع حزم عند الحاجة إليه.

قالت بابتسامة : هذا وعد عليّ أن أكون عند حسن ظنك ، وظن عمي حبيب ووالديّ الغاليان وهل ستسمح لي بالعمل ؟

قال جهاد : سأسمح لك بالعمل ، مع أننا لسنا بحاجة للمال والراتب ، وأنا سأعمل؛ لأن العمل مطلوب ، ليس من أجل المال يا أبا نزار!

قال : مفهوم ، مفهوم يا ابني ! جنة تعلم أنك مليونير بفضل الله سبحانه .

قال جهاد : وأنا سأفعل مثل شقيقي عارف ، سأضع في حسابك مبلغا من المال تتصرفين به على الخير ، ثياب عطور هدايا كلها عليّ أنا ، وقد أدفع

لك سهما في المؤسسة الطبية .. الخلاصة الأولاد هم الأهم حتى يكبروا ، واذا قدر الله وولدت مني فأنت مخيرة بين الاستمرار في العمل أو تركه.

قال عبد المحسن مادحا ومعجبا: أصيل يا ولدي ! لا تنسى جنة أنها ابنة أمة عظيمة ! والمرأة في بلادنا حياتها زوجها ، والزوجات أكثر نساء العالم طاعة لآبائهن وأمهاتهن وأزواجهن.. الجواب عندك يا جنة!

قالت : سيكون الأبناء أبنائي حقا ؛ وليس نفاقا، واذا عجزت عن رعايتهم وتنفيذ إرشاداتك فأنا أم فاشلة .. سأطلب أنا نفسي الانفصال بكل حب.. وأنا تربيت ألا أحب الفشل في أي مهمة يا عم حبيب !

قال حبيب : خلاص على بركة الله يا حاج عبد المحسن!

قال: مبارك عليك جهاد يا جنة !

فقامت تعانق والديها وصديقا والعم حبيب وو ردة وجريدة ، وصافحت جهادا وهي تقول : أنا خطيبتك الآن ، وعندما تشاء سأكون حليلتك ، وسترى أنني أطوع إليك من بنانك ؛ لأن أبي يحبك ؛ كما يحبك العم حبيب ، وأخواتك لعلهنّ راضيات عني.

قالت وردة : مبارك لكما ، وما يحبه جهاد نحن نحبه .

وباركت جريدة ، وتمنت لهما التوفيق والسعادة .

جريمة باريس

كان مهران يمشي في شارع رمانة أطول شارع في بلدية بعنبس ، فهو يمتد من شارع تاج الزمان جنوبا حتى نهاية بعنبس شمالا ، وهو يفصل بين تسعة أحياء من المدينة ، والمحلات والمتاجر على طرفيه ، اجتاز ميدان رمانة الأول ، واقترب من حي هند على يسار الشارع صعودا للشمال عندما التقى بالمحامي الشاب إسامة فتصافحا ، وسأل كل واحد منهما عن سبب وجوده في الشارع ، فأشار إسامة إلى مقهى قريب في الشارع وقال : مقهى المحامين.

فقال مهران : وهل للمحامين مقهى ؟!

فقال أسامة : هنا كما ترى الآرمة (لوحة) مقهى المحامين ، يتجمع شبان القانون ومعارفهم لشرب الشاي ، المرطبات في مثل هذا الصيف ، القهوة ، والمطعم بجواره .

فقال مهران : يلعبون الورق!

فقال أسامة : ممنوع لعب الشدة هنا ، مالك المقهى محامي ، فقط خدمة الشاي والثرثرة والسياسة والانتخابات ، وأنت تمشي على قدميك !

فقال مهران : أول مرة أسمع به!

فقال أسامة : أغلب من يرتاده الخريجون الجدد .

فقال مهران : أنا كنت في عيادة صديقي أيمن زوو.

فقال أسامة : أعرفه ، عيادته هناك ـ وحرك سبابته تجاه البناية ـ في عمارة نبيل نعمان.. تفضل تعرف على مقهى الأخبار ونادي السياسة .. اجلس أعرفك على بعض الزملاء ، و تشرب الشاي أو كولا أم ستعود للعيادة.

فقال مهران : انتهت زيارته ، سنرى مقهاك وما يجري فيه من أخبار .

دخلا المقهى حيث ينتشر الرواد على الموائد ، بعضهم يشرب الشاي أو القهوة والمثلجات ، والدخان يشكل سحابا في سماء المقهى ، والأصوات هنا وهناك وبعضهم يدخن ويشاهد الأخبار ، وشاشة أخرى تبعد عنها تبث مباراة كورة ، ولما اقتربا من إحدى الموائد ، يجلس قربها شابان ، وصاح أحدهم ناهضا : أين أنت يا رجل ؟ أنا أنتظرك من نصف ساعة .

فالتفت أسامة لمهران : هذا وهذا من عصابة الجواسيس .. الدكتور مهران زميلنا في المكتب .. وهذا الذي يصيح مازن وزميلنا جمال .. وهما مثلنا يعملون في القانون.

تصافح الجميع وتعارفوا ، وعادوا للجلوس، وقال : هذا المحامي الدكتور مهران فارس ، وهذا يا دكتور مازن محمود تخرج معي، وهو يعمل مع عمه المحامي إياد يمامة .

قال مازن : أهلا بالدكتور مهران .

وقال : هذا جمال كمال محامي أقدم منا ، وهو رجل الألغاز والمسابقات والحزازير .

رحبوا ببعضهم مرة أخرى ، وتبادلوا التحايا ، وأشار أسامة للجرسون ، وقال : أربعة شاي يا بطل !

ـ صغير أو كبير.

فقال أسامة : كبير يا راضي ! ولا تنسى الماء ، فسنسمع أخبارا تنشف الريق .. الحساب عليّ يا راضي .. سلم على المعلم طبوش يا أبا حمدي!

جرت تمتمات وهمسات حتى قال مازن : عندي خبر في قضية وائل زياد !

انتبه مهران فقال أسامة موضحا : أنا ومازن وجمال لنا اهتمام مشترك في متابعة حكايات ومغامرات الجواسيس .. فنحن تهتم بها أكثر منك يا دكتور مهران ! أنا حدثت الدكتور عنه كثيرا ؛ لأنه عاش بيننا ، أعني في بعنبس ، وبينت له ولزملاء المكتب كيف قتل الصعلوك في غزة ثم في هولندا .. ما هو الخبر الإضافي ؟ هذا يا دكتور يقرأ بالإنجليزية والفرنسية درسهما في معاهد خاصة .

فقال مهران : ما شاء الله ! أنت تشتغل عند عمك

فقال مازن : نعم ، الدكتور إياد يمامة ، هل التقيت به في نقابة ، في محكمة؟

فقال مهران : أعرفه جيدا، اشتبكنا في قضايا مالية .. هذا من سنوات .

حضرت أكواب الشاي الكبيرة والماء ، واشتعلت السجائر ، قال مازن: معذرة يا دكتور أنا وجمال للأسف ندخن.

فقال مهران : خذوا راحتكم ، أغلب زبائننا يدخنون في مكتبنا .

قال مازن: نعتذر .

قال جمال: عد لجاسوس غزة وقتيل أمستردام .

فقال مازن : يا سيدي أنا وجمال كمال قرأنا في موقع أمن ٨ أنهم وجدوا الطبيبة عشيقة وائل في أوروبا دايل ويت التي اشتبه بها في اغتيال وائل مخنوقة ، فهي لم ترجع لشقة الدعارة كما سمتها بعض صحفهم .

قال مهران : مقتولة خنقا أين؟!

قال أسامة :سمعنا أنها اختفت!

قال مازن : وجدوها مخنوقة في شقة في باريس.

ـ باريس!

فقال مازن : هربت لفرنسا ، ولما أصبحت مطلوبة للبوليس الفرنسي خنقت .

قال أسامة وهو يحدق بعيني مازن وجمال : يبدو يا دكتور أن الزميلين لديهم المزيد من المعلومات

بعد ضحك خاطف قال جمو لقب جمال: لديك جهاز استشعار ؛ لكن قبل متابعة الخبر سمعنا أنك خطبت بنت الحلال أم إشاعة !

فقال أسامة : صحيح ! قرأنا الفاتحة ؛ كما يقال .. والعروس بنت أخت الدكتور مهران.

قال مهران مبينا : قال أسامة في مكتبنا قررت البحث عن بنت الحلال ، ونكمل الدين كنت بنصف دين والمرأة بتكمل ها الدين ، مررت على ثلاث عرائس ، ولم نوفق فقلت له : فلأخي زهران ابنة في سن الزواج ، ولأختي حليمة بنت فقدمتها في الرؤية على ابنة أخي ، فلما رأها ، قال نقف عندها ، فقلنا على بركة المولى .. سيقوم بالطقوس والترتيبات وعقبال عندكم .

فقال أسامة : سأدعوكم لن أنساكم

فقال جمال : والله لو نسيتنا ؛ كما يزعم أهل العريس دائما فسيدعونا خال العروس مبارك يا دكتور ويا وس.

قال مهران : على الرحب والسعة أنا ؛ كما يعلم وس أحب سماع قصص الجواسيس من أسامة وضحوا لفضولنا مقتل دايل ، ودرورها في اغتيال الطبيب العربي .

قال مازن : سبب اهتمامنا به ؛ لأنه عاش في بلدنا بعنبس كعميل بدون نشاط جاسوسي ، ثم انتشار مصرعه في غزة ، ثم تأكد موته في هولندا ، ومن الذي قتل في غزة ؟ وتبين مواقع أمنية فلسطينية أنه عربي يعمل مخبرا للشاباك ذهب لأداء مهمة في غزة فمات أو قتل على أنه وائل زياد فاذا هو ذيب محيسن من سكان بلدة يافا ، أما دايل كما اسمتها

شرطة أمستردام فحاولت خداعهم بأنها بريئة من قتله ، فإسكندر رفيق الملاهي وغزة واليونان وبعنبس ، هو الفاعل الأول ، وهو الذي غدر بصديقه ، هو ليس صديق بالمعنى الدقيق ، هو جاسوس يوناني ضابط أمن يوناني جندته إسرائيل ؛ لأن والده صاحب مستودع أدوية في تاج الزمان من الطائفة اليونانية ، ولد في هذا البلد ورحل لليونان ليتعلم الطب داخل الجيش اليوناني ، وجندته إسرائيل ليكون واسطة بين شمويل ضابط في سفارة إسرائيل في اليونان ، ووائل في بعنبس ؛ لأن زيارته لوالديه لا تثير الشبهات اذا تكررت ، السفارات فيها مقرات أمن ومخابرات ؛ بل أسست واخترعت السفارات؛ لتكون مقرا للجواسيس من زمان .

قال مهران : ما دام وائل جاسوس ، لماذا يربط بجاسوس ؟

فقال مازن مفسرا : وائل جند ، ليكون فقط جاسوسا على الطبيب ينال الذي انتحر في بعنبس تذكرون ذلك .. الذي انتحر هنا من زمن يسير ينال روكبس تذكره!

فقال مهران : نعم ، ويومها أتهم بالجاسوسية ، وإن وائلا يعمل تحت إدارته ، ثم سحب هذا الاتهام .

فقال مازن : كان وائل يدرس هنا على نفقة أبيه زياد في كلية الطب الدولية ، ودرس عند ينال ثم قد انتشر على مستوى العالم ومجلات الأبحاث العلمية أن الدكتور استطاع تركيب سم خاص به ـ لأنه عالم سموم كبير ـ ركب سما يقتل بعد سبعة ليالي ، يعني لو أسامة مثلا أخذه في أمريكا في موسكو وعاد للبلاد الشامخة بعد سبع ليال يمرض ويموت إلا اذا أعطي الضد قبل انتهاء الليالي السبع ، والأخطر أن هذا السم لا يظهر أثره على الميت بعد ساعة ونصف اذا شرح ، وعادة التشريح يتأخر لساعات ، وهذا العلم تبين أنه نشر في مجلات علمية ، والتقط الموساد هذا الخبر ، فجند وائلا التلميذ المحب لأستاذه على سرقته ، فهو لم يكن جاسوسا بمعنى الجاسوس ، وجاء إسكندر ليساعده في المهمة ، ولم ينجحا ؛ لأن زوجة الدكتور صرحت في مقابلة إن زوجها قتل بسبب السم.

فقال مهران : هو انتحر يا مازن!

فقال مازن : صحيح ! القصة الدكتور ذهب لأوروبا للمشاركة في ندوة علمية ، وهناك في الفندق تعرض لعصابة مسلحة سعوا إلى الفندق لأخذ العقار وضده ، ولم يكن العقار معه في تلك الرحلة ، وهددوه بالقتل بعدما رأوا أن خطفه غير مفيد ، والسموم تستخدم لعلاج للسعات وقرصات الأفاعي والعقارب والعناكب السامة وأدوية السرطان فلما فشلوا بالحصول على السم

هددوه بالقتل إن لم يقدمه لهم ، وأنهم سيأتونه بعنبس للحصول عليه، فلما أخبره بواب الفيلا برجال مسلحين يرغبون باللقاء به ظن وغلب على ظنه أنهم العصابة ، فقتل نفسه للخلاص منهم ، والخلاص من مرض السرطان الذي لازمه من سنوات ، ورفض أي مال مقابل السم .. هو عرف من دفع العصابة لمحاولة خطفه ، فرفض التعاون معهم .

فقال مهران : من بين هذه المعلومات؟

فقال مازن : زوجته الآسيوية الأصل في مقابلة صحفية مع صحيفة المانية ، ومن ثم نشرت أيضا جزءا من مذكراته ، لتبين أنه عالم ، ولم يكن يشتغل للموساد أو أي جهاز مخابرات في العالم.

قال مهران معجبا بمتابعتهم : إذن امرأة ينال صرحت بسبب انتحار زوجها ، فظن الرجل أنه لن يستطيع التخلص منهم إلا بقتل نفسه ، حتى لا يسلمهم السم والترياق.

فقال مازن : تمام ؛ ولكنهم كانوا الأمن المحلي ، وتسرعوا بإعلان انتحاره كجاسوس ، وزوجته رفعت قضية على الجهاز ، والراجح أنها ستأخذ تعويضات .

قال أسامة : نعود لدايل .

قال جمال: البوليس الهولندي لما جمع صور الكاميرات بحث عن إسكندر ، وأصر على إلقاء القبض على دايل ؛ لأن ليزا العاهرة اعترفت أن دايل ضغطت عليها لتذهب معها إلى البيت مبكرا ، رغم أنها رحبت بلقاء وائل ليلا لتمارس معه الجنس ، فهذا آثار الريبة لدى ليزا ، وذكرت سبب ذهابها إلى شقة دايل ويب واختفاء إسكندر وخروجه من أمستردام ، ثم اختفاء دايل، طلبت شرطة هولندا من الشرطة الفرنسية الاهتمام بالمواطنة ؛ لأنها مشتبه بها في جريمة قتل ، تبين لهم في تحقيقاتهم أن إسكندر وصل فرنسا عن طريق المانيا روما بروكسل باريس عملية تمويه للشرطة .

تابع مازن القصة : استقر في باريس قبل أن يختفي ، تعقبت الشرطة الفرنسية دايل ثم تبين لهم أنها تعيش مع فتاة ليل شاذة سحاقية ، يعشن في ضاحية باريسية ممتلئة ببنات الهوى والشواذ ، ولما وجدت مخنوقة في شقة ، وقبض على فتاة باريس اعترفت أنها تعرفت عليها في رحلة لبروكسل في حانة وأعطتها عنوانها اذا جاءت يوما ما باريس ، فهذا سبب وجودها معها ، ولا تعرف من تفاصيل حياتها شيئا إلا أنها تمارس البغاء، ولما كانت تسافر إلى هولندا تقضي أياما في شقتها تمارسان السحاق والدعارة ، والسحاقية ترتاد ملاهي باريس للفجور والخمور ، واعترفت الشاذة أن الطبيب اليوناني هو الذي خنقها لمشاكل مالية بينهم ، وقد خرج من فرنسا إلى اليونان عن طريق إيطاليا.

وختم جمال فقال : ووجد مقتولا هو الآخر في فندق يوناني في مدينة اسبرطة جنوب اليونان والقاتل مجهول .

فقال أسامة معلقا : القاتل إسرائيل!

فقال مهران : وهذا هو الراجح فلما قتل دايل ووائلا أصبح غير صالح للعمل ، وهو مكشوف للشرطة وأجهزة الأمن الأخرى فتخلصوا منه .

قال مازن : وهذا ما جمعناه أنا وجمال كمال وتعبنا في مطاردة المواقع الثورية والمخابراتية لتجميع وتنسيق المعلومات .

فقال مهران : هل بقي شيء من قصة وائل ورفاقه ؟

قال جمال : اعتقد أنه لم يبق شيء ، هو لم يكن جاسوسا بمعنى الجاسوس ، هو كلف بمهمة اختراق الدكتور ينال لسرقة معادلات السم وضده ، وجاء إسكندر لمساعدته ، ومع أحداث غزة أرسلوهم إلى هناك لأعمال لم تعرف بعد ، ثم حدثت الحاجة لتوريد المال للعملاء القصة المعروفة اليوم .. علينا أن نبحث عن حكاية جديدة وجاسوس نتسلى بأخباره، وأختم متى سنفرح بعريسنا؟

قال أسامة: إن شاء ربي قبل الشتاء. . نحن في آب ، ثم أيلول تشرين الأول والثاني كانون أول خمس شهور.

قال مهران : في آخر الخريف نوفمبر.

قال مازن : على البركة الربانية .

فقال مهران : يا سيد جمال سمعت أسامة يحدث أنك بارع في الألغاز .. هات علمني لغزا قبل انصرافي.

تنحنح جمال وقال : حبا وكرامة ! سأذكر لغزا ، ولما تعجز عن حله فاستعن بأسامة في مكتبكم مات رجل عن تسعة أبناء ، وواحد وثمانين شجرة زيتون كل وارث له تسع شجرات .. أليس كذلك؟

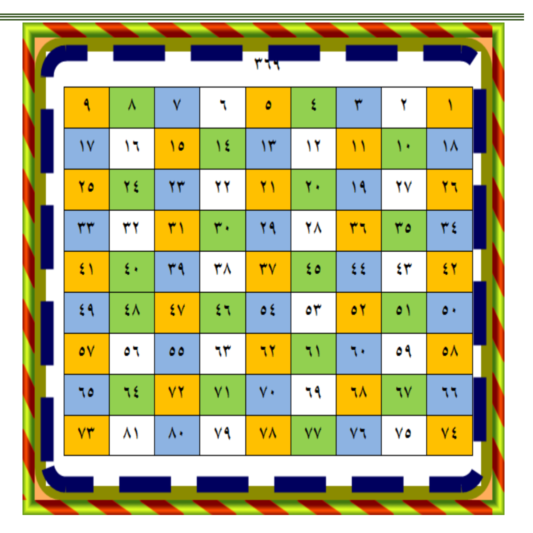
ـ صحيح ! أين اللغز ؟

فقال جمال : اللغز الشجرة الأولى تنتج كيلو زيت واحد ، والثانية ٢ كغم ، والثالثة ٣ كغم ، والشجرة رقم ٧٠ تنتج ٧٠ كغم ، الشجرة الأخيرة ٨١ كغم.. فعليك أن تعرف كم كيلو غرام للفرد أولا ، على أن يكون لكل وارث نفس الوزن وتعلم أرقام الشجر التسعة ، لكل واحد من التسعة مثلا الأول رقم ١ ، ٥، ٨ وهكذا دواليك

نهض مهران قائلا : شكرا ! سأضع الحل بين يديّ الزميل أسامة ، وأرسل لك لغزا .. اسمحوا لي بالانصراف ، وفرصة طيبة أن تعرفت عليكم.

ـ حياك الله وبياك ، وجعل الجنة مأواك .

فقال مهران : جميعا إن شاء الله عز وجل .



١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
١٨	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧
٢٦	٢٧	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥
٣٤	٣٥	٣٦	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣
٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١
٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩
٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٥٥	٥٦	٥٧
٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٦٤	٦٥
٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٧٣

حصة تربية

احتفل المهندس محسن سعيد بالمحامي جهاد وزوجته في صالة فندق ، وبارك لهما الزواج ، وحدثه أثناء الطعام عن متجر ومصنع الصناديق المعدنية . التحق جهاد بدراسة السنة الثانية من شهادة الدكتوراه ، وقد أجلت جنة إكمال الماجستير حتى تعود لبعنبس ، وتكمل دراستها وذلك في الصيف القادم .

ولما دخل شهر أكتوبر علمت جنة أنها في حالة حمل ، وفرح الزوجان بذلك وبشرت العائلات بعنبس بالحمل . كانا يجلسان في الصالة وحدهما يمضغان ويبلعان الفاكهة ، فسألت بصوت منخفض : سيدي اذا رأيت مني تقصيرا نحو أولادنا نبهني .

قال جهاد : الأمور بعون الله طيبة ، وتبلين بلاء حسنا ، وتقبل عبدالله ومي وجودك معنا .. حبيب صغير سهل عليه القبول لك.

قالت جنة : كيف أتقرب إليهم أكثر ؟

قال جهاد : الأمر سهل يا حبيبتي ! أولا لا يمكن أن تكون الأم البديلة مثل الأم الأصيلة لا تحلمي بذلك ؛ ولكنك تستطيعين أن تقتربي منهم كثيرا بالإحسان .

قالت جنة معترفة : الأم بينها وبين أطفالها رباط خفي ، يتكوّن مع الرضاعة ؛ كما يقال .. أنا قرأت بعجالة بعض كتب التربية والتنمية ، وقرى الأطفال والأيتام لديهم أساليب تتبع ؛ لتقوم الأم البديلة بمقام الأم .

قال جهاد : الأمر مع الزوج والأولاد يختلف ، هناك لا يوجد أب ، هناك العمل كالحضانة والمدرسة ، هنا أسرة ، أب زوجة زوار خادمة مربية كحالنا ، سأخبرك عليك أن تعيشي حياة طبيعية دون تكلف وتصنع ، وتراقبين زوجك تخشين الخطأ .. كلنا خطأ يا جنة ! ولا أريدك أن تهتمي بهم دون العناية بالزوج.. بإهمال الزوج يدفعه لتضخيم أخطاء الزوجة .. التوازن بين حقك ، حق زوجك ، حق أولاد زوجك ، لما تلدين لا تعملي تفرقة بينهم وبين أبناء الزوجة الميتة .. العدل والإحسان حتى يكبروا ، ويبقى لك في قلوبهم الأثر الحسن .. أنا وسالم عشنا صغارا عند عمي وزوجته ، وكنا خلقا وتربية أفضل ممن عاشوا مع أمي .. تكلمي مع عبدالله بصوت حنون ، بإصغاء

جيد يشعر به، بفرحك اذا فرح بضيقك اذا غضب ونفرز .. لا تعاقبيه عند أول خطأ ، وتجعلين منه ذنبا كبيرا .. لماذا ضربت أختك ؟ لماذا تصرخ في وجه المربية ؟ لماذا لا تسمع لها ؟ حرية منضبطة مناقشة قدر الإمكان حتى لا يشعر أنك رقيب عليه حارس ضابط شرطة رقابة .. متابعة خفية وتصحيح الخطأ بالحسنى.

قالت جنة : ما أحوجني عبدالله لرفع صوتي!

قال جهاد : بين فترة وأخرى اذهبي بهم للتسوق ، وساعديهم في شراء ما يرغبون هم به بدون توجيه ؛ لأنه بعد زمن سيستغني عما اشتراه ، ويتخلص منه ، حتى لا يشعر أنك أجبرتيه على شراء المعين ، سيحس أنه هو الذي اختار وابتاع الألعاب التي يرغب بها ، وكذلك الثياب ، ولما تصدفون شحاذا متسولا خذ يا عبدالله هذا الدينار ضعه في يد هذا المحتاج .. صندوق تبرعات أمام صيدلية متجر ضع هذا المال في هذا الصندوق .. مي افعلي مثل عبدالله ..ما رأيك أن تتبرع لهذا الصندوق لهذا الفقير ؟ عند خروجه للباص المدرسي رافقيه حتى تمسك بيده المعلمة وتقفي على البوابة حتى يمشي الباص فيتأكد أنك تهتمين به ، كما كانت تفعل والدته .. هذه الأفعال البسيطة ستترك أثرها النفسي عليه ، ويعرف أنك تهتمين به وبمصلحته .. وهكذا مي مع حافلة الروضة .. وحبيب أمره سهل ، لما يجلسون للطعام اجلسي معهم .. شاركي المربية مراقبتهم .. وبالنسبة للحمل أرشدني المهندس لعيادة نسائية من أفضل عيادات النساء في عمان ، تتعامل معها زوجته أثناء حملها هي وأخواتها .. سنذهب إليها في أقرب فرصة ، وظلي على اتصال مع أختي وردة فهي أخصائية نسائية مهمة في بعنبس .

قالت جنة : سأفعل إن شاء الله ! ذكرت لي الغذاء المثالي للحامل والمناسب .

قال جهاد : لا أحب أن تختفي شخصيتك المستلقة والتي رأيتها في بيت والدك .

قالت جنة : ممنونة لك ! أنت حياتي ومستقبلي .. نحن الباكستانيات أكثر نساء العالم خضوعا لأزواجهن يا سيدي !

قام عارف بزيارة عائلية لمنزل شقيقته جريدة وزوجها الدكتور احمد نبيل ، وجلسوا في غرفة الضيوف ، وقال احمد : يا أهلا وسهلا بالدكتور والسيدة أم محمد!

التفت عارف لشقيقته وقال : الحمد لله.. ما أخبار الدكتورة؟

فقالت : حبيبي عارف الحمد لله .. أهلا روز كيف حال أمك؟

ردت: الحمد لله ، تعافت من المرض ، وخرجت من مستشفى سامي مستشفى نوار .. ورفض

المدير أخذ أي فلس .

قال احمد : سماه على اسم أخته يا عارف !

وقال عارف : نعم ، شقيقة سامي ابنة عمي اسمها نوار حبيب ، وهي زوجة المهندس حسن .. فنوار مشترك بينهم زوج وأخ .. هذا المستشفى كان يملكه الدكتور مالك نونا ، ولما توفاه الله عرض الورثة بيعه ؛ لأنه مستشفى خاص فاشتراه سامي وحسن.. وسامي وحسن الله موسع عليهم .. فللمستشفى صندوق للفقراء الذين يتعالجون في المشفى ، وزكاة سامي بالملايين .

فقال احمد: لما يتعالج الناس على بطاقة التامين الصحي لا يدفعون يا أم محمد وأخت الدكتور تراجع في قسم النسائية والولادة ، ولا يأخذون شيئا رغم أنني مؤمن وإياها في مستشفى الجامعة أحبت جريدة العلاج فيه ، ونتبرع بالمال لصندوق الفقراء.

قال عارف: كل العاملين مع سامي وحسن يتعالجون فيه مجانا ، وحتى مؤسستنا يسمح لهم بالعلاج فيه دون مقابل ، وجزاهم الله خيرا .. كيف الأمور معكم؟

وقال احمد : الأمور ـ كما قالت طبيبة جريدة ـ طبية وأرسلت تطلب لها أدوية المانية تعالج التهابات الرحم ، وتحسن مستوى المبايض ، واذا لم تستجيب للأدوية سنلجأ لطفل الأنبوب ؛ كما فعلت الدكتورة وردة ، واستمعت لتفاصيل عمليتها وزرع الجنين في الرحم ، ونسبة النجاح ليست عالية ؛ ولكنها طريقة شائعة والناس تتقبلها ، بعض الأرحام تفشل في قبول الحمل بهذه الطريقة ، والأمر بيد الله .

قال عارف : إن شاء الله يتحقق حلم حبيبتي جريدة !

قالت : شكرا يا أخي الحبيب !

قال احمد : الكحول التي تخلصت منها بفضل الله مع الوقت سيزول أثرها عن جهازها التناسلي .. فالخمر كالدخان تحتاج لوقت ليذهب أثرهما عن الإنسان ، الكحول تتعب كما هو مشهور الكبد ، والأجسام تتفاوت في الدفاع ، بعض الناس يترك التبغ يحتاج لعمر حتى يزول أثر النيكوتين.

قال عارف : للأسف كانت أمنا تتعاطى الكحول كالماء ، وفتحت لنا الطريق ؛ لنتعلم شربها مثل الماء أو حتى بدل الماء.. زوج أمي بلص دائم السكر ؛ كأنه يشرب الشاي والقهوة .. دائما سكران حتى مات وهو سكران .

قالت جريدة : ما أخبار مؤسستك؟

قال عارف : حسنا غيرنا الحديث ! العمل تمام وفاق المخطط له ؛ كما يقول مجلس الإدارة .. وأنا مرتاح فيها جدا ، رغم مشقة التنقل بين الأقسام المتباعدة .. فلدينا خطة جديدة .

قالت : خطة جديدة !

قال عارف : سيكون كل قسم مستقل أي ثلاث مؤسسات ؛ لكل قسم مدير مستقل عن الأقسام الأخرى .. فالعمل يكبر ويتمدد ، وهناك اقتراح بإنشاء مبنى كبير يستوعب الأقسام والمخازن ، فسامي وحسن يخططان بإنشاء مبنى من عشر طوابق ، وتحويل مبنى عارف وجريدة لمستشفى كما خططنا في بداية الأمر وهو تابع للمؤسسة الطبية ؛ لأن المبنى ملك للمؤسسة ؛ لتستخدم فيه المواد التي تتكدس في المخازن بظهور مواد وأشياء أحدث منها .

قال احمد: فكرة جيدة ! كل يوم يخرج موديل أحدث أدوات تتطور سريعا .

وقال عارف : في آخر السنة عند مناقشة الموازنة ، والبناء يحتاج لوقت حتى يجهز فاقترح أحد المساعدين شراء مبنى جاهز ويعاد تأهيله .. وهذا رأي عصام قبل أن تكثر المواد التي تحتاج لإزالة أو تخزين .

كانت جنة تطبق وتنفذ إرشادات زوجها بكل همة وحماس ، وترافق الأولاد إلى الأسواق لشراء الألعاب والقصص والقرطاسية وعلب الألوان وأوراق الرسم والملابس ، وتدخل بهم المطاعم الفخمة ، وتجعلهم يختارون بأنفسهم الطعام خاصة عبدالله ومي ، واذا كان صندوق تبرعات في المكان أو مدخل المول تذكر الفتى والفتاة بوضع المال فيه، فيتبرع عبدالله بخمس دنانير ، ومي تضع دينارا وتارة يساعدون حبيبا بوضع دينار ، فقطع العملة الورقية في عمان تبدأ من الدينار الخمسة العشرة العشرين الخمسين دينارا ، وهناك عملة معدنية دون الدينار.

وكانت ترافقهم إلى الحدائق العامة المفتوحة للجمهور لممارسة الألعاب ، ولما يعودوا للبيت للراحة أو الطعام أو شرب المشروبات الطيبة ، يتحاور جهاد معهم حول المشوار ، وما فعلوا خاصة ابنه عبدالله ويتفاعل معهم ، ويثني على أعمالهم الحسنة.

فقال لعبد الله ذات مساء بعد جولة لهم في أحد مولات عمان الأسواق الكبيرة : كيف ماما جنة ؟هل اشترت لكم آيس كريم ؟

قال : ذهبنا لمحل كبير يبيع البوظة .. عشرات الأشكال والألوان .. يحتار ما يأكل منها !

دخلت مي على خط الإجابة : أنا اشتريت آيس كريم مصرية .

قال جهاد : هل تبرعتم للفقراء ؟

نجحت جنة في فن التعامل مع أبناء زوجها ، حتى أصبحوا لا يترددون بمناداتها ماما جنة .. ماما جنة .. حبيبتنا وصديقتنا.. ماما جنة حبيبة بابا ، فكانت تلعب معهم في غرفة الرياضة والحركة ، في

ألعاب الكرة ألعاب الليكو المكعبات وبناء الأكواخ والسيارات .. تجالسهم في غرفة الحاسوب وألعابهم عليه بدل المربية .. المهم ما مضى فصل الخريف حتى قبلها عبدالله ، وألف الجلوس معها ومشاورتها ، وقول القصة التي قرأها أو قرأتها المربية ، ويحدثها عن المواقف التي تحدث معه في المدرسة .

كان جهاد يتابع الجامعة ، وهو مطمئن على ذريته وعقدة زوجة الأب ، وفهمت أن محبة زوجها من محبة أبنائه ، ويستعد لكتابة الأطروحة وهو في راحة بال وهدوء وانتهى الفصل الأول كغيره من الفصول بتوفيق من الله ﷻ .

وكان الرجل يدعم زوجته ، ويثني على حبها وطاعتها ونجاحها بأن تكون أما للصبية في أربعة شهور ، ودخلت في شهرها الخامس مع نهاية الفصل الأول من السنة الثانية . وما زالت الزيارات متبادلة بين أسرتي جهاد ومحسن والمحبة تجمعهما ، ومشاريعهما المشتركة أدت ثمرتها ونجاحها ، خزائن محسن وجهاد صارت ماركة معروفة في السوق ، ومدير المصنع يؤكد لهما القدرة على التصدير للعراق حسب الطلب والخليج كذلك ، ومحل السراميك استلم إدارته شقيق محسن بعد تركه الوظيفة . وقضى جهاد والأسرة الإجازة الشتوية ٢٠١٤ في عمان لمتابعة كتابة الرسالة ؛ حيث يتردد على المكتبات والمراجع ، والجلوس المستمر مع الدكتور المشرف على الأطروحة ، والذي ساعده في اختيار الموضوع ، وزار مؤسسات قانونية لأخذ صور ملفات ، ومكتبات جامعية أخرى حتى لا يقع في موضوع سبق إليه حتى لا يتهم بسرقة المخطوط ؛ لأن الكثير من الأطروحات تبقى حبر على ورق لا يقرأها أحد ، وبعضهم يطبعها بعدد قليل من النسخ ، هذه المباحث لا يقرأها إلا المختصون أو الطلبة، لا تجد فيها إبداعا ، فكلها توضع على رفوف المكتبة حتى الرسالات العلمية والتطبيقية مجرد ذكريات .

وفي مطلع حزيران وضعت جنة مولودها الأول بسلام من الله ، ولدت مع الفجر وفي المساء كانت في الفيلا حسب رغبتها ، وكان حولها زوجها والخادمة والمربية والأطفال ، وقد قبلها عبدالله ، ودعا لها بالسلامة ، وبارك لها الطفل حتى أنها همست : أنت عندي أفضل من هذا ؛ لأنك تحبني يا عبدالله! وفعلت مي مثل شقيقها ، وسماه جهاد هماما للأثر الوارد في ذلك ، وغمرت جنة السعادة التي تنشدها كل أنثى صالحة ، وأرسلت صور ا إلكترونية لوالديها .

وتلقت ردا أنهم عن قريب سيزورون عمان ذات الجبال السبعة.

جبل بن مجدو ٣

جبل يظهر في بلاد التين

ومضت الأيام رتيبة هادئة إلى أن كان ذات ليلة عنـدما قام خادم القصر ضيغم بزيارة لصديقيه صخـرة (جبل) وجدار بمنزلهما القريب من حظائر الخيول ، وبـعدما أكل الثلاثة ما أتاهم به ضيغم من طعام القصر دار الحديث بينهم ؛ وفجأة قال ضيغم : هل تعلمون أيها الأصدقاء أنه قد حدث اليوم حدث جلل في هذا البلد ؟!

فانتبه إليه الرجلان وقال صخرة : ها .. ماذا جرى يا صديقنا ؟!

فقال ضيغم بحزن خفيف : سمعت سيدي سالما يحدث خضرون القيم بأن مصيبة حلت على البلاد ، فقد تعرض أحد أبناء الملك للأسر .

فقال جدار بدهشة كبيرة : الأسر ! .. هل أسره رجال الملك الضبع ؟!

فقال ضيغم : لا .. لا .. القصة كما سمعتها .. أن الملك جبرون قد خطب فتاة لأحد لأبنائه منذ سنة – قبل مجيئنا لهذه البلاد – ابنة الملك العادل ، وهذه البلاد قريبة يا صخرة من بلاد الملك أحمد التي تعرفها كما قلت لي سابقا !

فهز جبل رأسه قائلا : نعم أعرفها ، بلاد اللؤلؤ ، وقد عشت فيها.. أكمل أيها الصديق !

فعاد ضيغم للحديث قائلا : المهم أن هناك بلدا يحكمها ملك يقال له العادل ، وبينه وبين الملك جبرون صداقة وعلاقات وطيدة وطيبة مما دفع الملك جبرون أن يخطب ابنة الملك لابنه سالك وقبل شهر من هذا اليوم سافر الأمير وأصدقاؤه وعدد يسير من الفرسان لإحضار الأميرة العروس ؛ ليتم زفافها هنا ، وفي أثناء عودتهم مروا من واد يقال له الوادي المرعب أو جبل الرعب تسكن فيه عصابات مرعبة .. أسمعتم به ؟

فرد جدار : ومن لم يسمع به ؟!!.. إنه واد الموت ..ولكننا سمعنا أيضا أن سيد هذا الوادي قد قتل .. وقد تزعم هؤلاء الأشرار رجل يقال له الأعرج مشهور بين الناس بلهب الليل .

وقال جبل أيضا : نعم يا ضيغم إنني أعرف هذا الجبل .. بل أعرف السبع العادي ، وأعرف الرجل الذي قتله وخلص الناس من شره .

فقطع جدار الحديث قائلا : إنك يا صخرة رجل خطير !!.. تعرف الكثير من البلدان ..وما قلته الآن حكاية وأيّ حكاية ؟! كيف تعرف رجال ذاك المكان المرعب ؟!

فابتسم جبل لملاحظة جدار الذكية وقال : سيأتي يوم وأقولها لكم ..آ.. ماذا حدث للأمير سالك ؟

فعاد ضيغم يقول : وهل تعرف السبع العادي حقيقة يا صخرة ؟!

فقال جبل : نعم ، والتقيت به مرة واحدة في ذلك الوادي ؟

فقال جدار مستغربا : ويحك يا صخرة !!.. التقيت بالسبع العادي نفسه وكيف ذلك ؟! .. من يدخل هذا الوادي إما أن يموت ، وإما أن يصبح عبدا ذليلا لرجال الجبل .

فرد جبل بهدوء ومن غير انفعال : حق ما تقول يا جدار ؛ ولكنني نجوت منهم بفضل من الله وحده .. اكمل يا ضيغم .

فقال ضيغم متابعا القصة : المهم أيها الأصدقاء أن هذه العصابة المرعبة تعرضت للأمير وعروسه وما يحملون من الأموال والهدايا والثياب ، ودافع حراس الأمير عنهم فقتل بعضهم وفر آخرون فوصلوا وأخبروا الملك بما جرى ، وها هو يعد حملة لغزو الجبل وإنقاذ الأميرين .

وخيم السكون على المكان عندما سكت ضيغم ، وقطعه جبل قائلا بجد لضيغم : صديقي .. قل لسيدك سالم بن قنبرة أن لي معرفة برجال ذلك الوادي أو جبل الخوف ، وأنني أستطيع تقديم خدمة لهم تسر القلوب .

استغرب الصديقان لكلام صخرة ولهجته الواثقة والقوية بما يقول ، فقال : لا تستغربا .. لقد عركت الدنيا والملوك والأمراء والتجار .. فأكون لك شاكرا يا ضيغم لو نقلت رغبتي لسيدنا القائد .. وعجل بنقل هذه الرغبة قبل فوان الأوان يا صديقي .

فقال جدار : والله يا صخرة إن وراءك شأن كبير ، وإنك لفارس عظيم وما أنت بسائس خيل! لكن لماذا أنت متنكر ؟! هذا مالا أفهمه ولا أعرفه ، ولا أظنك من بلاد العقرب .. فعندما تعتلي ظهر الجواد أو أراك تمرنها ؛ فكأنك فارس عاش وتربى بين الخيول .

فقال جبل باسما : لا تشغل قلبك بي كثيرا يا جدار ! سوف تعرف كل شيء في حينه .. الآن علينا إنقاذ ابن الملك يا ضيغم ..اذهب الآن لسيدك ابن قنبرة وقل له رسالتي قبل فوات الأوان

وغادرهم ضيغم مسرعا لسيده سالم وعرض عليه رغبة جبل بإنقاذ الأميرين ، وبعد حين يسير كان صخرة بين يدي القائد سالم الذي قال : صخرة ! لقد ذكر لي غلامنا النشيط كلاما مثيرا عنك .. فهل أنت حقا تعرف رجال الجبل ؟!

فقال جبل والابتسامة ترتسم على محياه : أيها القائد .. لقد دارت بيني وبينهم معركة ذات أيام خوالي ونصرني الله عليهم ..فلما سمعت هذا الخبر المزعج لمولانا القائد ولمولانا الملك ولنا ، أدركت الخطر المحدق بابن الملك ، فلم يطب لي الصمت وأنا أستطيع أن أنقذ إنسانا .

فأخذ القائد يدقق النظر في الشاب الذي يقف بين

يديه ثم قال : لقد ذكر لي قيم قصرنا خضرون أنك ماهر في ركوب الخيل ومداعبتها .. مع أنك ادعيت أنك تعمل عند تاجر !

فقال جبل : لا يخلو ـ يا مولاي ـ المرء من حب الخيل واعتلاء صهواتها وإن كان يعمل عند تاجر .. والتاجر الذي أعمل معه في مدينة العقرب تاجر حبوب معروف واسمه معروف الباهر ولقد زارني غلام له من أيام قليلة يحثني على العودة للبلاد ، وإنهم مستعدون لدفع الفدية لفك أسري ، فأخبرته أنني حر وأرغب بالبقاء هنا .

فقال سالم بحيرة : لا أدري يا صخرة ! كلما أنظر في عينيك أشك بأنك مجرد عامل أو غلام حانوت أخشى أن تكون قائدا كبيرا يا صخرة .. ونكبت بك الأيام .. ولكن أقول لنفسي .. إن الضبع قد فدى كل الأسرى من الجند والقادة فلو كنت قائدا من قادته لافتداك .

فقال جبل متبسما : أيها الأمير .. لقد خدمت عند بعض الأمراء ، ولم تكن أول شخص أخدمه فإن كنت ترى يا سيدي أنني شخص غير مرغوب فيه أرحل سريعا .

فقال سالم باستسلام : لا عليك أيها الشاب المجهول ..نعود لموضوعنا ما مدى معرفتك برجال الجبل ؟

فقال جبل : يا سيدي القائد .. كنت أحيا فترة في مدينة اللؤلؤ ، وهناك تعرفت على فتاة وقد خطفها رجال الجبل فسعيت لإنقاذها منهم ، فجرت بيني وبينهم معركة ، وانتصرت عليهم وحررت الفتاة من أسرهم بفضل الله ، وعادت لأهلها آمنة مطمئنة .. قد تشك في قولي أيها القائد ؛ ولكني سأكتب لهم رسالة ولسوف يأتيك الأمير وعروسه سالمين بمشيئة الرحمن .

فقال سالم : إنك تدهشني بما تقول لم تبلغ الثلاثين من العمر كما اعتقد .. ولكن هيئتك ونبرة صوتك وحدة بصرك توحي بأنك فارس باسل .. ليتك تصارحيني بسرك يا صخرة قد أساعدك في الوصول لغايتك الخفية .

فرد جبل باسما : إذا نجحت يا سيدي القائد بإنقاذ الأميرين أعدك بأن أكشف لك سري .

فقال سالم وقد ارتاح قليلا : اعلم يا صخرة منذ رأيتك للوهلة الأولى وأنا أقول لنفسي إن هذا الشاب يحمل سرا ، فبريق عينيك لا يخفى على رجل مثلي .. حسنا احتفظ بسرك حتى نرى نهاية لخطف الأمير .. اكتب الرسالة لأطلع الملك جبرون عليها ، وأذكر له أمرك قد يقتنع ولا يرسل الحملة .

كان ضيغم وخضرون يستمعون للحوار بين الرجلين وهما في غاية الدهشة وينتظرون ايّ أمر فعلى الفور أحضر ضيغم قرطاسا وقلما ، فكتب

جبل رسالة لسيد الوادي المرعب قال فيها بسم الله .. يا سادة الجبل ..رسالة من الجبل أنا كالجبل ..جبل .. لقد علمت أنكم اعتديتم على أمير وأميرة ، وأنتم لابد أنكم ما زلتم تذكرون ما فعلت بكم يوم دخلت جبلكم .. فلا أحب أن أزوركم مرة أخرى للعهد الذي بيننا فأرجو إرسال الأمير والأميرة ومن معهما من الناس والأموال والمتاع قبل أن أغضب إنكم تعرفون ما حل بالسبع العادي صخرة الجبل .

وتناول القائد الرسالة وقرأها ثم قال مستريبا : هل يعقل أن تفعل هذه الكلمات فعلها في أولئك القساة الأفئدة ؟! سنرى أمرك أيها الشاب الغريب العجيب .. جهز الموكب يا خضرون لزيارة الملك

ودخل القائد سالم في ذلك الليل المعتم على الملك جبرون وأطلعه على أمر صخرة ، وقرأ عليه الرسالة ، فتعجب الملك وقال بعجب وتفكير : ما هذه القوة في هذه الرسالة يا قائدي الكبير هل يعقل أن تفعل هذه الكلمات فعلها وتخيف هؤلاء القوم ؟!! بل الأعجب من هو صخرة هذا ليكون له التأثير عليهم ويخيفهم ببضعة سطور ؟!

قال القائد : هو أسير وقع بين أيدينا في معركتنا الأخيرة عندما انتصرنا على فيالق الضبع ، وهو من عامة الناس ، وليس من الجند ولا القادة وإلا افتداه الضبع .. ولكنه يحمل سرا وعدني بكشفه إذا نجحت رسالته في عودة الأميرين .

قال الملك بحيرة : لعله يفكر بالهرب أيها الأمير ؟

ابتسم القائد وقال : هو حر ، لقد أعتقته من أول يوم رأيته .

قال الملك : هذا أمر محير ! .. هل يعقل أن يكون من تلك العصابة ؟!

فرد الأمير : وماذا يستفيد من إطلاق سراحهم يا مولاي ؟!

فقال الملك : إن أمره لغريب .. هل نرسله بالرسالة ؟ ولكنه قد لا يذهب إليهم ويختفي .

فقال القائد : نرسل الرسالة مع بعض الفرسان الناجين ، وبعدها نفكر بسر هذا الرجل وقوته

فقال الملك : هو ما تقول .

وأمر الملك عددا من الفرسان بحمل الرسالة إلى رجال الجبل والاستمرار بتجهيز الحملة ، وانطلق الفرسان برسالة جبل على الفور ، وهم في غاية الوجل والتوتر ، وما مضت عشرة أيام حتى كانت القافلة تعود ، وفيها الأمير سالك وعروسه والأسرى والجواري والأموال والهدايا وهدية خاصة من رجال الجبل لصخرة ، فازداد عجب الملك والقائد سالم والوزير وأمراء الجيش والناس لقوة هذه الرسالة التي انتصرت على رجال الجبل بدون سيف ولا جواد ، وبعد أن تم استقبال العروسين وتهنئتهم بالعودة سالمين ، قال جبرون

لقائده سالم : إن هذا لسحر أين هذا الرجل ؟!
فوالله لو كتبت أنا الملك مائة رسالة ما أطاعوني ..وفوق ذلك أرسلوا سيفا مرصعا بالجواهر اعتذارا لهذا الرجل المدهش ، ويقول ابني سالك إنهم اعتذروا لهم أشد الاعتذار وقال أيضا يا أبي ما كادوا يطلعون على الخطاب حتى دب فيهم الرعب والخوف كأن جيشا دهمهم ، وأصدر زعيمهم الأعرج أمرا عاجلا بالتخلي عنا وإكرامنا وإعادة كل شيء يخصنا .. وتنهد الملك وقال : أريد أن أراه يا سالم !! .. الليلة أزورك مع بعض الأمراء لنرى من هو هذا الصخرة ؟! من هو هذا الساحر ؟!

فرد سالم قائلا مُرحبا وفرحا : على الرحب والسعة يا مولاي ! وأنا مثلك يا سيدي الملك تملكتني الدهشة والحيرة من هذا الرجل .. وقع في نفسي أنه مجنون مغرور يسخر منا ؛ ولكن الغريق كما تعلم يتعلق بقشة يا مولاي .. مع أنك عندما تراه ترى رجلا وديعا هادئا ، ومع ذلك عندما يبدأ الكلام تحس بقوة صوته صوت رجل شديد تعود إلقاء الأوامر ؛ كأنه فارس قوي ؛ ولكن لماذا يرضى أن يبقى سائسا للخيل ؟! .. هذا ما أتمنى أن أعرفه الليلة يا مولاي .. فأنا في انتظاركم يا مولاي .

ولما انتهت الأفراح والاحتفال بعودة العروسين سالمين ، أعلن الملك أن أفراح الزواج ستبدأ غدا لمدة سبع ليال ، وهبط الليل فاعتذر الملك من المهنئين بسلامة ولده سالك لزيارة القائد سالم ، وانطلق الملك ووزيره الأكبر وأمير جيوشه الأكبر وحاشية من الأمراء والقادة ، وركب قائد حرسه بين يديه إلى قصر الأمير سالم بن قنبرة الذي استقبل الملك وحاشيته بصفين من الغلمان بالثياب اللامعة ، وقد اصطفوا من مدخل القصر الخارجي حتى مدخل قاعة الاستقبال في جوف القصر ، وقد استقروا على الكراسي المريحة والأرائك الكبيرة ، وقد وقف الغلمان والجواري بين أيديهم ، وانتهى الترحيب التقليدي فقال القائد سالم : مولاي الملك ! هل نضع الطعام بين أيديكم أولا أم تحبون رؤية خادمنا المخلص صخرة ؟

فقال الملك : أحببنا أن نكرمك يا قائد سالم ، فجئنا إليك لنسمع ونرى رجلك الغريب ، ولم نرسل وراءه فهو يستحق منا الجزاء الواسع .. فأين صخرة هذا ؟!

فقال سالم : أمر مولاي .

وكان خضرون قد هيأ صخرة للدخول على الملك فألبسه ثيابا جميلة عليها إشارات رجال القائد سالم ، فلما أشار القائد لخضرون بإدخال الشاب ، فتح خضرون أحد الأبواب وهو يقول بصوت عال : مولاي الملك .. صخرة الجبل بين يديك .

فدخل جبل الفارس يمشي رويدا رويدا حتى اقترب من كرسي الملك جبرون بقلب قوي غير وجل ؛ كأنه معتاد على مجالسة الملوك والأمراء ، وألقى السلام والتحية على الملك ثم قال بأدب جم : خادمك المخلص ـ يا مولاي الملك ـ صخرة .

فحدق الجميع الملك والأمراء النظر في هذا الرجل الواقف أمامهم بثبات غير هياب وهم يتخيلون الرسالة الساحرة ، فخيم السكون والصمت التام على المكان بضع دقائق ثم قال الملك : أأنت صخرة ؟.. الذي كتب تلك الرسالة السحرية .. يا هذا لقد عملت عملا عظيما ومثيرا تستحق عليه جائزة كبرى .. ما علاقتك بهؤلاء المجرمين .. بل من أنت ؟!

تلفت جبل بنظره في جميع الوجوه التي تبحلق به وقال : مولاي الملك أنا جندي مطيع ، وقصتي تبدأ من بلاد الدب القطبي .. هل يحب مولانا أن يسمعها ؟

فقال الملك وهو يهز رأسه : تكلم أيها الشاب .. ولا حرج عليك بما تقول !

فقال جبل : أولا يا مولاي الملك ويا سيدي القائد ..عندما وقعت أسيرا كان ذلك بإرادتي ورغبتي ، ولقد كان باستطاعتي الهرب كما هرب كثير من الناس ؛ لأننا كنا في مؤخرة الجيش ولم أخرج في هذه الحملة للقتال ، فاعلم يا مولاي أنني أنا لست من بلاد العقرب ولا من أسراهم بل أنا عدو للملك الضبع .. وحاقد عليه حقدا لا يعلمه إلا الله وحده ..ولما سألني القائد عن اسمي ذكرت له أن لي أسماء كثيرة وصخرة أحدها ..أما اسمي الحقيقي الذي سماني به أبي المقتول ظلما عندما ولدتني أمي .

وتريث قليلا ثم تابع الكلام قائلا : أنا اسمي أيها القوم الكرام جبل بن مجدو الساحر المشهور بابن الخباز .

فما كاد فارسنا ينطق باسمه المعروف في هذا الجمع حتى نهض الملك والأمراء عن مقاعدهم ، وتقدم الملك نحو جبل وهو يقول : ويحك أيها الفارس !! .. أنت جبل بن مجدو ..قاتل الغضبان وظالم وغيرهم من فرسان الضبع .. ماذا أقول ؟! إن مقامك الجلوس في القصور لا سياسة الخيول .. يا مرحبا بالبطل ! يا مرحبا بالبطل !!

وتعانق الرجلان عناق الأحباب والأصدقاء بعد طول غياب ، ونسي الملك مقامه ، وكان الملك يقول : إيه !! ..كم تمنيت أن أراك يا ابن مجدو كلما أسمع عن معاركك مع جنود الضبع

فقال جبل : نعم ، يا سيدي أنا جبل .

وتعانق الرجلان مرة أخرى عناقا حارا ، ولقد فعل القادة كما فعل مليكهم ، وكان أكثر الحضور دهشة الشاب ضيغم ، وكان يقول لنفسه : أأنا

كنت أرافق وأصادق هذا الفارس الشهير الذي أعاد الملك الصغير أسعد لـعاصمة ملكه ؟!
فقال الملك معجبا ومتأثرا : أسد والله ! إنك أسد من أسود الدنيا في هذا الزمان يا أمير جبل .. لقد وصلتنا أكثر أخبارك ، وما صنعته بقادة وفرسان الضبع مع قلة فرسانك ورجالكم .. لقد فرحنا لقتلك النمر الأبيض والغضبان وظالم ومرعب وغيرهم .
فقال جبل كأنه يتذكر وقد جلس بين يدي الملك جبرون : نعم أيها الملك ، كنت صغيرا عندما امتلك الضبع بلادنا وقتل ملكنا العظيم شامة ورجاله ، وكان أبي خبازا بجوار قلعة الحكم ، عاد للبلاد لما هدأت الأحوال ، وترك الضبع الغضبان حاكما على بلادنا ، وقد كنت صبيا أقوم بنقل الخبز لرجال الحامية ، وتعلمت الفروسية عندهم على أمل أن أكون جنديا من جنودهم ، ولكن دب الصراع بين قادة الحامية ، فقتل الغضبان اللعين والدي مجدو ولم أكن في المدينة يوم مصرعه وإلا قتلوني .. فأقسمت أن أنتقم منهم ، فصعدت للجبال أنا ومن أصيب بمثل مصيبتي بفقد أخ أو أب أو صديق ، وكثر الحاقدون والناقمون حتى قويت شوكتنا ، وأصبحت زعيما للثائرين ، وقاتلنا رجال الضبع ببسالة حتى غادروا بلادنا ، ورجع ابن الملك شامة مطالبا بعرش أبيه ، فتنازلت عن الحكم أنا ورجالي ، وغادرت البلاد خوفا من الفتنة والحسد والصراع الداخلي ، وما زال صراعنا مع الضبع مستمرا ، وكنت قد كونت وأسست جيشا قويا ، وحصنّا الأسوار لتصمد أمام جحافل وحقد الضبع ، فسافرت وصديقاي هزبرا وثعلبون إلى مدينة الشرق ، وهناك وجدنا صراعا على عرش المدينة ، فقمنا بنقل الملك الصغير أسعد لمدينة اللؤلؤ عند الملك أحمد بن خالد – فأخت أسعد الملك الصغير زوجة لولي عهد تلك المدينة والبلاد – وأثناء وجودنا هناك في بلاد الملك أحمد التقينا بجارية عند أخت الملك الصغير ، تبين لنا أنها ابنة الملك شامة ملك بلاد الدب ضاعت وفقدت وهي صغيرة الأميرة حظوظ بنت شامة ، فجهزها الملك أحمد وأرسلها لبلادها ، وذهب عدد من الفرسان وعلى رأسهم هزبر وثعلبون لتوصيلها فهي أميرة من بلادنا ، وقد اخطأوا الدرب ودخلوا الواد المرعب ، فأسرت الأميرة وخدمها ، وقتل الفرسان وجرح هزبر جرحا بليغا ظنوه ميتا ، وهرب ثعلبون إلينا ، وروى لنا ما حدث ، فأقسمت أن أحرر الأميرة من الأسر ، وأراد الملك أحمد أن يرسل معي سرية من الجند فأبيت ، واقتحمت الجبل أنا وثعلبون ، وقتلت السبع العادي وعددا لا بأس به من رجاله ، فاستسلموا لنا ، فردوا الأميرة ومن معها ومتاعها

ومن كان بحوزتهم من الأسرى صاغرين ، وحذرتهم من غضبي ومجيء للجبل مرة أخرى ؛ فإني أحرق الجبل عليهم ، وحذرتهم من التعرض لشخص يهمني أمره أو احتمى باسمي ، أو رجل أو امرأة وقعوا في أيديهم وأرسلت في طلبهم فعليهم بالعفو عنهم فورا ومن غير تردد أو تأخير ، فهم يا مولاي يعرفون انتقامي ويعرفون سيفي ، وكان صديقي هزبر قد جرح ، فقام ثعلبون على إسعافه ونقله لإحدى القرى قبل المجيء إليّ ، ثم تعافى بفضل من الله ، وعدنا به وبالأميرة والأسرى لمدينة اللؤلؤ ، ثم انطلق الأسرى لبلادهم وأهليهم والأميرة لبلدها ، ثم جهزنا حملة لخلع الملك الغاصب ربيع بقيادة الأمير سلطان بن أحمد ، والحمد لله فقد نصرنا الله على ربيع ، وعاد الملك أسعد لحكم بلاده ، ولما استقرت أحوال مدينة الشرق غادرناها تجارا إلى مدينة العقرب لدراسة أحوالها ، لعلنا نتمكن في يوم من الأيام من القضاء عليها يا ملك الزمان ..ولما خرجت الحملة الأخيرة جهة بلادكم قررت أن أسير مع الحملة ؛ لأرى قتالكم فقد علمت أنكم العدو اللدود لهم ، وقد نصركم الله عليهم فسرني ذلك ، واستسلمت لجندكم راغبا بالتعرف عليكم .. والباقي تفصيله عند القائد سالم بن قنبرة .

كان حديثا ممتعا وإن لم يكن مفصلا ، فأثنى الملك والأمراء والقادة على الفارس ثناء حسنا ، وفهموا سر قوة الرسالة السحرية ، وقال أحد القادة : لماذا يا أمير جبل لم تهاجم بقومك مدينة الضبع ؟

فرد قائلا : هذا حلمي يا سيدي ، ولكن جيش بلدنا جيش صغير ، جيش دفاعي لا يتجاوز عشرة آلاف راجل ، وبلاد العقرب جيشها كثير ، فهي مملكة كبيرة تضم عدة أقاليم ، وهذه المدن تمده بالرجال والسلاح والأموال ، فالانتصار عليه بجيش صغير أراه صعبا ، فالدفاع هو الوسيلة الأنسب لحالنا ..فقوينا الأبراج والأسوار والرماة الذين يحمون تلك الأسوار ، وها هو الضبع بين كل حين وآخر يحاول اقتحامها فيرتد خائبا ، ولكن الحصار يرهق البلاد والعباد .

فقال الملك : صدقت أيها الأمير ! .. فنحن لولا كثرة أبنائنا وشدة بأس فرساننا ما نلنا من الضبع قلامة ظفر ..، ولكننا الآن نتفاءل بوجود جبل بيننا ، لعلنا نسحقه ونكف شره عن بلادنا وبلادكم .

رد جبل فقال : هذا هو هدفي وما أطمع في تحقيقه أيها الملك السعيد فأنا جندي لديكم .

فقال الملك : غدا أيها الفارس الشجاع ستشاركنا الاحتفال بزواج الأميرين ، وبعد ذلك نحتفل بمنحك لقب فارس كبير في بلادنا ، ونفكر بتزويجك امرأة من ديارنا .

فقال الأمير جبل : أشكرك يا مولاي ..ولي

صديقان في بلاد العقرب ، فهل تسمح لهما بالحياة في بلادكم ؟

قال الملك مُرحبا : تسرنا صحبتك أيها الفارس ، وصديقك صديقنا ، ومعروفك بإنقاذ حياة ولدنا في أعناقنا .. فمرحبا بك وبأصحابك والتفت الملك جبرون حينئذ إلى قائده سالم وقال : ما أخبار طعامك أيها القائد ؟.



لابد من الزواج

بدأت الاحتفالات في بلاد التين كلها بزواج الأمير سالك بن جبرون ، وتزينت مدينة الشجرة عاصمة ملك بلاد التين بالرايات والبيارق ، وأخذت كل قبيلة تظهر ولاءها وحبها لصاحب السلطان الملك جبرون ، وكان الملك قد أوصى قادة وأمراء الأجناد بالانتباه والحذر من الأعداء والغادرين ، وفي الليلة السابعة تم زفاف العروسين في قصر الأمارة والحكم ، ويومها استقبل الفارس جبل صديقيه وقص عليهم القصص ، فقال هزبر : هذا أحسن حل لصراعنا مع الضبع يا جبل أن نخدم في جيش جبرون .. لقد فعلت المعركة الأخيرة فعلها في الضبع ، فلقد فتك وسجن وعزل ونفى وطرح صهره في السجن ، ثم عفا عنه لخاطر ابنته

قال جبل : صدقت ، فبقاؤنا هنا قد ينـفع بلادنا ، ولعلنا في معركة آتية يتنصر بها هؤلاء القوم على الضبع نطلب من الملك جبرون أن يشمل صلحه بلاد الدب ، ونسعى بإقامة حلف بين المدينتين .

وكان جبل ما زال نزيلا في قصر القائد سالم الذي رحب ترحيبا طيبا بالفارسين ، وكان من أسعد الناس بهؤلاء الأصدقاء الفرسان ، فأهل الشجاعة يحبون الشجعان ، فقال : غدا نذهب نبارك لمولانا الملك ويتعرف عليهم الملك يا أمير جبل .

وممن سعد أيضا بالفرسان غلام القصر ضيغم ، فلقد سر لصداقته لهؤلاء الفرسان الأشداء ، وقد هزه تاريخ الفارس جبل هزا ، وقد جاءت الأخبار أن الملك الضبع يعد جيشا لمعركة جديدة ، وكان الملك جبرون بدوره قد استقبل الفرسان الثلاثة ، وجرى احتفال خاص في قصر الملك للاحتفاء بهم ضيوفا في مملكته ، منح فيه الفرسان رتبة فارس في بلاط الملك جبرون ، ويعطى الفارس جوادا أصيلا من جياد الملك الخاصة وسيفا ورمحا ودبوسا وخوذة ومدية وقوسا وجعبة ممتلئة بالسهام ودرقة صغيرة وملابس الفرسان الخاصة ببلاد التين ودرعا فولاذية ، ولكن لون ملابس جبل تختلف عن لون ملابس صاحبيه ، فلون ملابسهما أخضر ، ولون ملابس جبل كانت حمراء وزرقاء ، وهي تدل في بلاد التين على أنه فارس خاص من فرسان

الملك ، يحق له الدخول على الملك وهو يلبسها في أي وقت شاء مع تقدير كبير له من كل الجنود والفرسان مع إبداء الاحترام والطاعة له في أرجاء المملكة ، وأصبح الفرسان في حفلة التعارف من رجال البلاط الملكي ، ووهبها القائد سالم قصرا صغيرا في أرضه .

وجاءت الأخبار تؤكد أن الضبع قد أعد جيشا وجهته بلاد التين للثأر من الهزيمة السابقة وعلى رأسه الضبع ، وغايته مسح بلاد التين عن وجه الأرض ، وذات مساء انطلق القائد سالم والفرسان الثلاثة زائرين للملك ، وكان جبل يجلس بجوار الملك الذي همس قائلا له : أريد أن أزوجك أيها الفارس فما تقول ؟

قال جبل هامسا : أشكر اهتمام مولاي بي ..سأقول لك شيئا واكتمه عليّ .

فروى له جبل ما جرى بينه وبين الأميرة حظوظ في واد الرعب ، ووعده للفتاة بالزواج منها إذا رغب بالزواج في يوم ما ، ثم قال : والآن لا رغبة عندي للنساء .. ولكن إذا علمت بزواج الأميرة ذات يوم قد أفعل ..فالوعد دين في عنق الفارس الشريف يا مولاي .

فرد الملك بحماس : لا بأس عليك أيها الأمير ، سنرسل رسولا خفيا لبلاد الدب ليأتينا بأخبار الأميرة ..فإن تزوجت زوجناك بحسناء من بلادنا ؛وإن لم تتزوج أرسلنا سالما طالبا وخاطبا لها

قال جبل : مولاي الملك .. دع هذا الأمر لله .. فأنت تعلم أن الضبع حاقد عليّ حقدا شديدا .. وقد أرسل للملك سليل يساومه على رأسي ؛ ليكف شره عن بلاد الدب ؛ ولكني كنت مفارقا للمدينة للأسباب التي أخبرتك بها ، ورفض الملك سليل العرض بالطبع .

قال الملك : على كل حال فكر بالأمر أيها الفارس .. واعلم أن الضبع أعد جيشا لغزو بلادنا .

وأثناء عودة الفرسان لبيتهم روى لهم ما جرى بينه وبين الملك من حديث فقال القائد سالم : لابد من الزواج أيها الفارس فقد كبرت ! .. أذكر أنني تزوجت امرأتي الأولى وأنا دون العشرين

خرج الضبع غازيا لبلاد التين ، وخرج الملك جبرون على رأس جيش كبير لصد هجوم الضبع وجنده ، وفي الطريق التقى الجيشان ، وكان الفرسان الثلاثة ضمن كتيبة القائد سالم بن قنبرة ، ودارت بينهم معارك حامية الوطيس ، أزهقت فيها الأنفس الكثيرة ، واستمرت الحرب بينهم مستعرة أكثر من شهر ، ثم رضخوا للسلم والهدنة كعادتهم ، وانسحب كل جيش لبلده ، وقد أبلى الفرسان الثلاثة في المعارك بلاء حسنا عرفه القاصي والداني ، وأقر لهم الفرسان بالقوة والشجاعة ؛ لذلك جدد الملك إكرامهم غاية الإكرام .

وقال الملك يوما لجبل : ما ترى من حل لحروبنا الدائمة المستمرة من عشرات السنين مع ذلك الضبع ؟ هل من طريقة لديك للانتصار عليه وسحقه ؟! .. منذ عهد والدي والحروب قائمة بيننا .

قال جبل وهو ينظر في سؤال الملك : هل يأذن لي مولاي بالسوأل قبل الإجابة عن سؤالكم ؟

قال الملك : اسأل يا جبل ؟!

قال الفارس : ما أسباب ودوافع هذه الحروب المتوارثة يا مولاي ؟!

تبسم الملك الصديق وقال : أحسنت أيها الفارس الصديق بسؤلك هذا ! .. أنت قد لا تعلم لماذا غزى قديما الضبع بلادكم بلاد الدب ؟

قال جبل بحيرة : الحق يا مولاي لا أدري ! ولم أفكر بمثل هذه السؤال على أهميته

فقال جبرون بعد استغراق لزمن في الماضي : أنا ابن خمسين ، وأدرك كثيرا من أسرار هذه الحروب التي بدأت من قبل أن تولد .. فاعلم أيها الفارس الشجاع أن الملك الضبع هذا حفيد للملك الجبار الملقب بسيد السباع .. فسيد السباع هذا كان عبدا أسود .. وهو خادم ورقيق للملك حامد بن سالم ملك بلاد العقرب ، ولقد كان هذا العبد قويا فارسا شجاعا .. وكما يقال لقد كان للملك زوجة تعشق هذا العبد ، وتختلي به خلسة ، ولم تنجب من زوجها حامد فمكرت به حتى مات ، فنصبت ملكة على البلاد ، وبعد فترة الحداد أعلنت زواجها من عشيقها سيد السباع عبد زوجها الميت أو المقتول .. فأصبح السيد الآمر الناهي بواسطة زوجته الملكة التي أنجبت منه بعد زواجهما مولودا ذكرا ، فقويت شوكته أكثر .. وقيل أن بناته منها ولدتهم وهي على ذمة زوجها الأول ..فلما ولدت الولد الذكر طغى وتجبر ، ووسع المملكة بالسيطرة على المزيد من المدن الضعيفة والمجاورة ، فخضعت تلك المدائن لحكمه وجبروته ، وقد طال حكم هذا الملك أكثر من أربعين سنة ، ولما مات استلم الحكم ابنه من تلك الملكة العاشقة ، وحاول هذا الابن أن يمد حكمه لبلادنا وذلك في أيام والدي رحمه الله ، فبدأت الحروب بيننا ، وكان السبب لاشتعالها أنه أرسل لأبي وفدا يخطب أختا لي للزواج ، فرفض أبي واعتذر بأدب جم ، فحقد الابن علينا ، ثم أخذ يتحرش برجال القوافل التي تخص بلادنا ، ثم قمنا بمحاصرته فرضخ للسلم ، ثم حاول غزونا ؛ ولكنه فشل ، وحكم هذا الابن أربع سنوات فقط ثم هلك وليس له خلف ولا ذرية ، فكان لسيد السباع حفيد من إحدى بناته من الملكة العاشقة ، فعين ابن سيد السباع وهو يحتضر ابن أخته خلفا له ، فأصبح الضبع حفيد سيد السباع ملكا على بلاد العقرب الأحمر ، وكان شابا في العقد الثالث

من العمر ، وكان ذكيا وفارسا ومقداما كجده سيد السباع ، فسيطر على الحكم ، وكثر أنصاره وقل معارضيه ، فأصبح السيد المطاع وقويت شوكته وسيادته ، فحصن بلاده ، وسيطر على البحر سيطرة تامة ، ولما ركز حكمه أرسل لوالد الملك شامة طالبا إحدى بناته للزواج .. فهؤلاء القوم يحبذون الزواج من بنات الملوك القدماء ؛ ليدعموا ملكهم وحكمهم ، والتفاخر بين ملوك الأرض بمصاهرة الملوك .. ، فاعتذر والد شامة الملك ونسي الأمر ، وبعد موت الملك والد شامة بسنوات رغب الضبع بامتلاك مملكة الدب وباقي القصة تعرفه .. فأسباب هذه الحروب شخصية وأحقاد دفينة مع جشع وغرور وأكل أموال الناس واشغال الجنود والقادة بحروب حتى لا يفكرون بعزل وتغيير الحاكم فهكذا بدأت بيننا الحروب أيها البطل ، ولقد حاول مرات أن يدمر بلادنا ؛ لينفس عن ثارات خاله ، ونحن حاولنا تدمير بلاده للخلاص من شره ؛ ولكن قوتينا لحتى الآن ما زالتا متكافئتين والنصر بيد الله .

قال جبل : حقائق جديدة أطلع عليها أيها الملك العزيز !.. فكثير من المتحاربين لا يعرفونها..كم من الناس ذهبوا قتلى من أجل شهوات الملك الطماع الجشع ؟!.. واعلم أيها الملك أن مدينة العقرب الأحمر حصينة جدا وفتحها صعب ، وأضعف تحصيناتها من جهة البحر ، ومع ذلك عليه حاميات وأبراج قوية ، فأنا درست مدينة العقرب دراسة واعية ، والملك الضبع كما تعلم يحيا في قصر داخل قلعة حصينة ، وله قصور أخرى في المدينة ، والقلعة عليها حرس كثير كأنها في حالة حرب دائمة .

فقال الملك : هذه معلومات متوفرة لدينا..فهل لديك حيلة لتدمير هذه المدينة ؟

فقال جبل بشرود :إنني أفكر بذلك منذ كنت نزيلا في بلاد الضبع ، وأرجو من ربي أن يمكنني من تحقيق هذا الحلم وتدمير مدينة العقرب وحرق الضبع فيها .. فلقد طغى وبغى ، وزاد طغيانه وإجرامه .. وسوف أصل لحل يوما ما أيها الملك !

فقال الملك جبرون متفائلا : نرجو أن يكون قريبا ..نعود للزواج ، وهل فكرت بالزواج الذي حدثتك عنه قبل الحرب الأخيرة ؟

فأجاب الفارس : الزواج سنة الله في خلقه ؛ ولكن حب الحرب والسفر المستمر أسباب تشغلنا عن التفكير فيه أو الإقدام عليه في الوقت الحالي يا مولاي .. ولكن صاحبي استسلما لضغطي عليهما ووافقا على الاقتران من بنات مملكتكم وبلدكم إذا لم يكن لديكم عارض أو مانع .

أخذ الملك بالضحك ثم قال : يسرنا هذا يا جبل .. فزواجهما يعني بقاؤكم ، سأكلم القائد سالم

صديقكم الأول ، فعنده خمس فتيات ناضجات ، فلقد كنت أرغب بتزويج ابني سالك من إحداهن ، ولكن الفتى أصر على الزواج من ابنة الملك العادل ..كنا مرة في زيارة وضيافة ذلك الملك الصديق ، فرأى الولد الصبية فوقع في هواها وجرى ما قدره الله ..في أقرب فرصة سأكلمه أيها الأمير . .

فقال جبل متعجبا بعد أن سكت الملك : القائد سالم عنده بنات في سن الزواج !.. لي سنة أعيش في قصره وبساتينه ما رأيت إحداهن قط !

فقال الملك باسما : النساء الحرائر في بلادنا من النادر أن يشاركن أزواجهن اللقاءات والزيارات لقد رافقتنا مرات أيها الصديق في الزيارات التي نقوم بها للأمراء والقادة ، فلا تستقبلنا النساء البتة .. فزواجكم من بناتنا يقوي رباطكم بنا أيها الفارس .

فقال جبل باستسلام : صدقت يا مولاي الملك !

أرسل جبل غلاما من غلمان الملك ـ اختاره له الملك ـ ؛ ليأتيه بأخبار الأميرة حظوظ أخت الملك سليل حاكم بلاد الدب ، وأثناء انتظارهم عودة الغلام الرسول ، جاءت رسالة من الضبع يطالب فيها برأس الفارس جبل ؛ لأن معلومات وصلته تؤكد وجوده في بلاد التين ، ومقابل تسليمه للضبع يعقد بين البلدين صلحا دائما ، فغضب الملك جبرون لهذه الرسالة ، وزاد احتقاره للضبع ، ورفض العرض غاية الرفض ، وقال معلقا وحانقا :لو أن هذا اللعين متفوق علينا لقلنا جاز له أن يطلب منا هذا المطلب منتصر يشرط على مغلوب ..فرجل أكل طعامنا وقاتل معنا ، وفوق ذلك صنع لي معروفا بأن أنقذ ابني من الذل والأسر .. أين الشهامة والكرامة أيها الناس ؟! ..هل أخون صديقي وضيفي ؟! لقد طغى وتجبر اللعين ، متى يأتي اليوم الذي أحرقه فيه حرقا ؟

قال جبل مسرورا من شهامة الملك : هون عليك أيها الملك .. فهذا رجل مجنون لا يستحق منك هذا العناء والغضب ، وسوف يأتي يوم نخلص فيه منه .. فأنا أكرهه أكثر منك يا مولاي ..!

ثم أمر الملك بكتابة رسالة قاسية شديدة الاحتقار للضبع وقال لرسول الضبع بغضب : قل له إنك جبان ولا عهد لك ولا زمام ..وليس بيننا إلا السيف والموت الزؤام .

أتى غلام الملك من بلاد الدب يخبرهم أن الأميرة حظوظا ما زالت عزباء وترفض الأزواج ، وجيوش الضبع تحاصر المدينة ، وقد طلب الضبع من الملك سليل تزويجه أخته الأميرة لرفع الحصار وإنهاء الحرب بينهم ، والأسرة المالكة تفكر بهذا العرض ، فقال جبل معقبا وبغضب خفيف : ويحهم يفكرون في ذلك .. إنه قاتل أبيها !!..

ولكنهم ـ وتنهد ـ يعانون من شدة الحصار والحرب المتكررة ..وسكت لحظات وقال : لعلها تفكر بالوصول لقاتل أبيها وتقتله يا مولاي ! .. إنها طريقة جريئة ؛ ولكن الضبع ماكر مخادع .

فقال الملك : هل نخطبها لك أيها الأمير ؟

فقال للملك :آه !!.. ليتها تتزوج يا مولاي ! .. لها في النفس موقع كبير ..وأنا رجل سيف ، لا أريد أن استسلم لدقات قلبي ..فحياتي الخيل والقتال والدماء والموت والترحال ..قد أفكر بالسكون يوما ما ولكن بعد القضاء على الضبع اللعين ..فهو يكرهني ويحقد عليّ ويطالب برأسي مع أنه لم يرني في حياته ولو مرة واحدة ، وإنني أبغضه أيضا مع أنني لم أره ولو مرة واحدة حقد عجيب ـ أيها الملك ـ مع أنني رويت نفسي من دماء قومه ، وسفكت دمهم لمقتل مجدو الخباز ؛ ولكن ما زال الحقد عليه يملأ نفسي .. نار مشتعلة يا مولاي في صدري .. فأقول اعفني من الزواج في الحين الحالي ، ولنسعى في تزويج الفارسين هزبر وثعلبون من بنات قائدنا الكبير سالم إذا رضي عن طيب خاطر وحب يا مولاي الملك !

بنات القائد

وفي خلوة خاصة بين الملك جبرون وقائده ابن قنبرة حدثه برغبته بتزويج هزبر وثعلبون من فلذات كبده ، وعن اعتذار جبل عن الزواج في الوقت الحاضر ، فرحب سالم بالفكرة والرغبة وشكر الملك على اهتمامه بهذا الأمر ، ثم قال : غدا يكون الرد بين يديك ، سأشاور الأم وبناتها وأخاهم الوحيد يا مولاي .

قال الملك : شاور نفسك أولا ؛ فإن رأيتها كفئين لهنّ فشاور من تشاء بعد من أسرتك وعشيرتك .. واعلم أيها الأمير أن هذا الزواج يعمق من علاقتنا بهؤلاء الفرسان ، ويدفعهم للثبات والبقاء في ظل عرشنا ،فلا أحب أن نخسرهم فهم خلقوا للحرب والقتال ..فالزواج يزيد من حبهم لهذه البلاد والتمسك بها ؛ فإن اعتذرت فسوف نكلم القائد موسى ، ونطلب اثنتين من بناته أو بنات أخيه .

فقال سالم : غدا أرد عليك يا مولاي .

فلما عاد ابن قنبرة لقصره أقنع نفسه بمحاسن الفارسين ، وأنهما من الرجال البواسل ، وأنها رغبة الملك قبل كل هذا ، وأخبر زوجته برغبة الملك ، فاستدعت الأم أكبر بناتها الأميرة مها والأميرة جؤذر ، وأمام أبيهما ذكرت لهما رغبة الملك بتزويجهما من الفارسين ثعلبون وهزبر ، وبـعد

تأمل ونظر قالت الكبرى : من اخترت لي يا أبي ؟
فقال الأب : لم اختر أحدا .
فقالت مها : يا جؤذر هل اخترت أحدهما ؟
ضحكت جؤذر وقالت : إني لم أعرفها يا عزيزتي لأختار أحدهما ، ولم نسمع بأسمائها الا حديثا أبي صباح الغد قبل مسيرك للديوان نقول لك رأينا بهم .
فقام الأب تاركا لهن حرية التفكير والاختيار وقال : حسنا فكرا بالأمر .. واعلما أنني لن أضغط عليكما بالموافقة ، وهذه أيضا رغبة مولانا الملك ..حرية الموافقة . وغادر المكان .
وقبل أن ينطلق الأمير لديوان الملك مر هو وزوجته على حجرة الفتيات ، وبعد التحية والسلام
قال : ما قولكنّ الآن ؟
فقالت الصغرى منهن جؤذر : ما دمت يا والدي العزيز ترغب من تزويجنا من هذين الفارسين الغريبين عن بلادنا .. فأنا أرغب ممن يكون لي زوجا منهما بهدية ، تتحدث عنها نساء بلاد التين كلهن ، ولقد سمعت أن لملك الهند حسن خان جوهرة خضراء من اللؤلؤ ، لا مثيل لها في الدنيا فريدة في جواهر هذا الزمان ، وأن من ملك تلك الجوهرة لا يرى الفقر في يوم من الأيام ، فمن أحضرها منهما فهو بعل لي وأنا خادمة بيته .. وأنت يا أختي العزيزة ما تطلبين ؟!
فقالت الكبرى مها : أما أنا فقد سمعت – يا أبي العزيز – وعلمت أن لهذا الملك ابنة متزوجة من ملك كبير في بلاد الهند اسمه علي خان ، وقد أهدى هذا الملك يوم الزواج لزوجته عقدا من اللؤلؤ الصغير نادر المثال ، من وضعته على جيدها لا ترى سقما في يوم من الأيام ، ويقولون عن هذا العقد إنه يحفظ الإنسان من السم والسحر والحساد ، فمن أحضره منهما فهو بعل لي وأنا خادمة له للأبد .
فقال سالم متعجبا من طلبات بناته : ما هذه الأفكار أيتها البنات ؟!
فقالت الأم : أليستا هاتين بنات القائد العظيم سالم بن قنبرة أحد قادة الملك العظيم جبرون ؟! وإنهن سوف تتزوجان فارسين غريبين .. فتحبان وترغبان أن تفخرا على أترابهما بمثل هذه الهدايا .
فقال سالم : ولكن في ذلك خطر كبير على الفارسين
فقالت الأم : وما قيمة الحياة بدون خطر أيها الأب الكبير ؟!
فقال : ويحكن !.. وكيف أفاتح الملك بذلك ؟!
فقالت : البنات يكلمنه بذلك .
قال : أفعل بإذن الله .
ونقل القائد سالم ما سمعه من الأم وبناتها للملك ، فاجتمع الملك بهن فأصابته الدهشة وقال : عادة قديمة كانت قد ماتت في بلادنا فلا داعي لإحيائها

.. وموت الفارسين خسارة كبيرة ،

وإن كنتن لا ترغبن بالزواج نقبل اعتذاركن .

فبيّن له رغبتهن بالزواج إنما أردن شيئا يتميزن به عن بنات القادة والأمراء ، فاستسلم الملك قائلا : ولكن سأنقل هذه الرغبة لهما أيتها الأم إلى اللقاء أيتهن الحسناوات .

والتقى الملك بالفرسان – وذكر لهم ما جرى بينه وبين القائد سالم وبناته – وقال : لقد وقعنا في حرج شديد .. وأترك الأمر إليكم .. فلو أجبرنا قائدنا على هذا الزواج يكون ذلك سوء خلق لا ترضونه لي .. وإن صرفنا النظر إلى بنات غيره أسانا للقائد سالم .. فالرد النهائي لكما أيها الفارسان .

فقال جبل : يا مولاي ! إذا كانت الفتاتان تعتذران عن الزواج منهما ، فلا حرج على سيدنا القائد فقد قبلنا اعتذاره .

فقال الملك موضحا : هذا المطلب ليس اعتذارا وعدم رغبة بالزواج .. إنما هي عادة قديمة درجت في بلادنا في زمن غابر ،كان الأبطال والفرسان القدماء المميزون يمارسونها إكراما لزوجاتهم ..وهي تظهر بين الحين والحين ، ولكم الخيار بقبول الشرط وبعد أيام ثلاثة نسمع ردكما .

فقال هزبر بحماسة وسرعة : مولاي الملك أنا سأتكفل بجوهرة حسن خان .

وقال ثعلبون : وأنا يا مولاي الملك عليّ بعقد اللؤلؤ من ابنة حسن خان .

فقال جبل : مهلا أيها الرفاق !!.. فالعجلة تورث الندامة .. اقبلوا طلب الملك ، وفكروا بالأمر ثلاثة أيام ، لا تتسرعا أيها الفارسان .

فقال هزبر متحمسا : لا حياة بدون خطر .. ولا يجوز في شرع فارس مثلي أن يقال في حقه أنه خطب فتاة ، وطلبت منه هدية فعجز عن إحضارها ..ويحق لها أن تفخر بالهدية على بني قومها بعد يومين سأسافر .

فقال ثعلبون : صدقت يا هزبر ! سنسافر معا إلى مدائن الهند .

فقال جبل أمام حماس وتحدي الفارسين : اعلموا أيها الأصدقاء ، ويا مولانا الملك أنني ذاهب معكم ، فلن أتخلى عنكم .. إما أن نحيا معا أو نموت معا .

وتعانق الفرسان الثلاثة ، فقال الملك بغضب وأسف : لقد أسانا لكم أيها الفرسان ! كنت أظن أن قائدنا العزيز لديه رغبة بتزويج بناته بسرعة .

فقال جبل : لا حرج عليك مولانا الملك .. لله الأمر من قبل ومن بعد .

كان عليهم المسير نحو الشمال ثم الانحراف نحو الشرق ، وعليهم اجتياز بلاد ومدن وجبال وقفار ليصلوا ممالك الهند الكثيرة ، فقد قطع الفرسان مراحل باتجاه الشمال الشرقي ، وهبطوا ليلا على

مدينة ، فبحثوا عن فندق يستريحون فيه بضع ليال ، فلهم أكثر من عشرة أيام يقطعون الفيافي والقفار ، وكانوا لا ينزلون في البلدان إلا للحاجات الضرورية من أكل وشرب وغيره ، فصمموا على البقاء في هذه المدينة للراحة البدنية لهم ولخيولهم بضعة أيام ، فهذه أكبر مدينة يدخلونها منذ خرجوا من بلاد التين .

وبينما هم رقود مطمئنون في فندق كبير في مدينة النجمة الصغيرة ، يريحون أبدانهم المنهكة من ركوب الجياد ليلا ونهارا ، وعند نصف الليل استيقظ الفرسان على صراخ وأصوات مزعجة عالية ، وكان مصدرها صحن الفندق والشوارع القريبة من الفندق ، فنزل جبل إلى الطابق الأسفل حيث الضجة والعويل ، فرأى جمهرة من الناس على ضوء المصابيح المعلقة على الجدران ولاحظ أن أكثر الموجودين من النساء والصغار ، يولولن ويبكين والخوف مرتسم على وجوههم ، فاقترب جبل من صاحب الفندق الذي يقف بين هؤلاء الناس ، وعليه التأثر والذعر والانزعاج ، فقال : يا صاح ما الخطب ؟!

فجاءه صاحب الفندق عندما سمعه وقال : أيها السيد الغريب ! ارجع لغرفتك وأغلق عليك بابك أو إن استطعت أن ترحل الآن فارحل .

فقال جبل بقلق : قل ما الأمر ؟!

فرد الرجل قائلا : دعك من الفضول يا غريب .

فقال جبل لرجل يقف قريبا منه : ما الأمر يا رجل ؟!

فقال الرجل : معركة شديدة تدور في المدينة ! .. ألا تسمع صوت السيوف وصهيل الخيول ؟ فقصر السلطان قريب من هذا الفندق ، فحدثت فيه فتنة ، انقسم العسكر طائفتين ، فريق مع السلطان ، وفريق مع الوزير ، وهم يتصارعون ويتقاتلون ، وهذه نساؤهم قد هربن من القصور والدور بعدما قتل أو جرح أزواجهن أو أبناؤهن أو آباؤهن ، ولجئن للفندق حتى تنتهي هذه المجزرة ، فهذه هي الحكاية أيها الغريب .

ولزم الرجل الصمت ، فوضع جبل يده على منكب صاحب الفندق وهو يقول : اتبعني يا سيدي .

فتبعه صاحب الخان ، وهو يصيح في خدم الفندق : لا تفتحوا الأبواب لأحد ، يكفي ما لجأ إلينا احذروا دخول الجنود الهاربين .

وتقدمه جبل إلى غرفة الفرسان ولما جلسا قال له : أيها الصديق ما القصة لهذه الفتنة ؟!

فقال : ألم تسمع ما قاله لك الرجل ؟

قال : بلى ، سمعت ولكني لم أسمع أسباب هذه الفتنة .

فقال الرجل : إنك فضولي يا هذا !

فرد جبل فقال : يا هذا أنا عابر سبيل ، والإنسان يحب معرفة الأخبار والحقائق .. فلقد كنا ننوي المكث عندك أياما ؛ ولكن أمام هذه الفتنة قد نغادر صباحا..فهل تذكر لنا أسباب هذه الفتنة قد نساعد في إخمادها ؟

فقال : من أنت ؟!

أجابه جبل : لا يهم من أنا .. المهم أن تسمعني .

فاستسلم الرجل لرغبة الغريب وقال : سأقول لكم أيها الفرسان ..فاسمع ..هذه فتنة ومصيبة قديمة تثور بين الحين والحين ، الجند في مدينتنا انقسم إلى قسمين ، قسم يدعم ويؤازر السلطان والثاني مؤيد للوزير أبي المعالي ..فالسلطان كثير الظلم للرعية ، والوزير محبوب من الناس ، ويحاول بكل قوة منع ظلم السلطان وطغيانه ، فيتصادمان ، والسلطان لا يستطيع عزل الوزير لأنه ذو شوكة ، وله أنصار بين الجند ، ويخشى السلطان على نفسه منهم ، وكلما تحدث مظلمة في المدينة يحدث بين عسكر السلطان وعسكر الوزير قتال ودمار أيتام وأرامل فالنهار الماضي اعتدى جنود السلطان على أحد الأسواق ونهبوها ؛ لأن جنديا قد اعتدى عليه بعض غلمان السوق ، فذهب لقائده شاكيا ، فغضب ذلك القائد على أهل السوق ، واستأذن السلطان بتأديبهم فأذن له ، فقام القائد وجنوده بتأديب السوق ، فهرب الناس والتجار إلى الوزير وشكوا له ظلم القائد والعساكر السلطانية ، فأمر الوزير بحبس القائد الغاضب لضرب جنديه ، فغضب أصدقاؤه وملكه ، وها هم يتقاتلون وفي الصباح ينتهي الصراع ، واعلم أن هذا الأمر متكرر بين الفترة والأخرى ، ويمكن أن أقول وأنا صادق ، ما يكاد شهر يمضي وخلا من مجزرة .ثم انصرف الرجل فعادوا للنوم ، وحاول الفرسان النوم ؛ ولكنه استأذن وتركهم أيقاظا يتحدثون عن الضحايا والضعفاء وما يصيبهم من عسف الطغاة وحبهم للسلطة وشهوات الفتك ، وصباحا أحضر غلمان الفندق الطعام للفرسان في حجرتهم ، فسألهم الفرسان عن آخر أخبار المعركة فقالوا : انتصر جنود الوزير أبي المعالي ، وقتل من الفريقين حوالي خمسين رجلا ، وعدد كبير من الجرحى من الجنود والأهالي ..وكان أمر الوزير بإعدام القائد المحبوس الذي حاول أنصاره إخراجه من السجن وراء المعركة ، فجرت المعركة ، فكان رجال الوزير لهم بالمرصاد ، فقتل من قتل ، ورملت من رملت ، ويتم من يتم ، ورضخ مولانا السلطان لشروط الوزير ، وهكذا أيها السادة تمضي الحياة في هذه المدينة .. نسأل الله العافية .

فردد الفرسان آسفين لضحايا المعركة : آمين .

وخرج غلمان الفندق ، وأخذ الفرسان بالأكل ،

وفجأة اقتحم عليهم الغرفة شاب ممزق الثياب دماؤه منتشرة على وجهه وملابسه ، وهو يستغيث : ساعدوني أيها الرجال ! لا أريد أن أموت ساعدوني .

فنهض الفرسان عن طعامهم قائمين ، وقد قبضوا على مقابض سيوفهم ، وقال جبل وقد أغلق الباب وراء الجريح : من أنت ؟ وما أصابك ؟!

فقال الشاب وهو يجلس على الأرض من الارهاق والخوف : أنا مطارد يا سيدي ! العساكر تطاردني .. إنهم خلفي .. يريدون رأسي .

فربت الفارس على كتفه وقال : اهدأ أيها الأخ .. ذراعك تنزف دما ..

فتقدم ثعلبون وربط ذراع الشاب بخرقة ، وفعل بساقه مثل ذلك ، وأخذ يمسح وجهه بخرقة مبللة بماء ، ثم تفقد رأسه فوجد فيه جروحا يسيرة وسطحية ، وبينما هم يسعفون الشاب اللاجئ لحجرتهم طرق الباب بعنف ، فقال جبل بهدوئه المعهود : من الطارق ؟

فصاح قائد المجموعة المطاردة : افتح الباب ، لقد لجأ إليكم مجرم .

فقال الشاب الجريح بتوسل ورجاء يدمي الفؤاد : أرجوكم أنـقذوني لا أريد الموت .

فقال جبل وقد أشفق عليه وأخذ يمسح على رأسه : لا تخف أيها الشاب .

ثم فتح الباب ووقف أمام الجنود قائلا : أيها الرجال من أنتم ؟!

فقال قائد المجموعة بصوت حاد : أبتعد عن الباب وإلا قتلناك .

فرد جبل فقال : لقد استنجد بنا أيها القوم !

فصاح الرجل بصراخ وغضب : ابتعد أيها الغريب .. ودعنا نأخذ خصمنا الملعون إنه من رجال السلطان الظالم .

فرد جبل بكل هدوء : هو منكم من بلدكم من إخوانكم ! .

صمت القائد قليلا ثم قال : أيها الرجل المحترم دع العدالة تأخذ مجراها .

فعاد جبل يقول : ألا يكفي موت خمسين رجلا لتضعوا سيوفكم في أغمادها ؟!

فقال القائد وقد خفض صوته وراح يحد النظر في جبل : من أنت ؟!

فقال الفارس : أنا جبل بن مجدو النزيل في بلاد التين من فرسان الملك جبرون .. هذا هو أنا .

فقال القائد باضطراب : مرحبا بالفارس .. ألا تريد أن تسلمنا هذا المجرم ؟

رد جبل باسما فقال : طلب حماية الفارس .. وأنا بنفسي سأسلمه للوزير ليعفو عنه .. ألستم من حصة الوزير ؟

رد الرجل فقال : بلى .. نحن بانتظارك لنذهب

سوية .
قال جبل : أحسنتم .. بعض الوقت أيها الشجعان وأغلق الباب والتفت للشاب فقال : ما قصتك ؟!
فأجاب الجريح : يا سيدي الفارس حظي أنني من رجال السلطان .. فلما دارت المعركة ليلا شاركت مع رفاقي في المعركة وإلا قتلني رفاقي وادعوا أن جنود الوزير قتلوني ، فلما حلت الهزيمة بنا هربت إلى منزل ؛ ولكن صاحب المنزل غدر بي ؛ لأنه من أنصار الوزير ، فاستدعى الجنود فأحاطوا بي ، فدافعت عن روحي حتى تمكنت من الهرب منهم ، فلجأت لهذا الفندق ، وجند الوزير يركضون خلفي ، فأرشدني صاحب الفندق لحجرتكم ، فهذا ذنبي أيها الفرسان قال جبل : لا بأس عليك ، سأشفع لك عند الوزير أبي المعالي .. تجهز يا ثعلبون للسير معنا وأنت يا هزبر ابق هنا للضرورة فلبس الفارسان سلاحهما وأخذوا الشاب ، وانطلقوا مع الجند إلى قصر الوزير سيرا على الأقدام وترك الشاب بحماية ثعلبون ، واستأذن على الوزير فأذنوا له، فعرف الوزير بنفسه وذكر حاجته فقبل أبو المعالي شفاعته ، ودخل ثعلبون والجريح والقائد على الوزير ، فسمعوا جبل يقول : مبارك أنت أيها الوزير ! أشكرك واعتبرني من أصدقائك .
وتقدم الجندي الجريح وقبل يدي الوزير وقال : يا سيدي الوزير ..ما أنا إلا عبد مأمور .. إن رفضت الأوامر قتلوني .
فقال الوزير بأدب جم : حسنا – أيها الجندي – قبلنا شفاعة الفارس جبل فيك .. فمعرفة فارس مثل جبل خير منك انصرف راشدا .
وأصدر أمره لأعوانه بالعفو عنه وعدم التعرض له ، والتفت للفارسين قائلا : أنتم ضيوفي .
قال جبل : قبلنا ضيافتك أيها الوزير ، ولن أنسى معروفك هذا .
ونزل الفرسان الثلاثة ضيوفا على الوزير أبي المعالي الذي تصالح مع الملك آخر النهار ، واتفق الخصمان على دفع الدية لأولياء القتلى ، قتلى الوزير يؤديهم الوزير ، وقتلى الملك يؤديهم الملك ،
ولما رجع الوزير لقصره وجد جبلا في انتظاره يسأله قائلا : يا سيدي الوزير أليس لديكم حل لمنع هذا التنازع المتكرر ؟!
ابتسم الوزير أبو المعالي ابتسامة عريضة وقال : الحل موجود ؛ ولكن السلطان لا يريده .
ـ لمَ ؟!
قال الوزير : نحن يا سيدي الفارس أهل البلد وسكانها الأصليين ..سكناها من مئات السنين وكنا ننعم ونرتع بنعم الله وفي رغد من العيش ، ولكن حدث حدث من قبل أن نرى نحن الدنيا ونولد ، وهو أنه قد جرى صراع بين الأسرة

الحاكمة لهذه البلاد والقرى من حولها ، وتنازع أخوان على العرش والحكم ، فلجأ المهزوم إلى مملكة تبعد عاصمتها عنا مسيرة أيام قلائل ، فأرسل معه الملك شداد ملك تلك البلاد جيشا ، واسترد المهزوم الملك من أخيه وقتله أو قل قتله الغزاة برضا الأخ ، وكان الملك شداد قد اشترط على المهزوم الهارب إليه أن تخضع المدينة له ولحكمه ، وما هو الا مجرد نائب عنه ، وتدفع الجزية له كل عام ، ولما انتصر المهزوم واستقر على العرش ،حاول التخلص من قبضة الغزاة ، فغضب عليه شداد ونزعه عن الحكم الذي خان بلده من أجله وقتله وأكثر أسرته ، وخضعت البلاد من يومها للملك شداد خضوعا كاملا ، وجعل عليها ملكا من بلاده ، يتوارثونها كابرا عن كابر ، وبقيت الوزارة في أهل البلد الأصليين الذين أنا منهم ، طبعا سياسة لقمع المعترضين والثائرين ، فهذا السبب الحقيقي للصراع .. وفي هذا الزمن تسلطن علينا فوندا ، وهو ظالم يحب العنف والدم ، والناس يدفعون الضرائب المفروضة كالمعتاد كل سنة لجابي الملك شراب من أحفاد شداد الهالك ، ولكن فوندا هذا لا يكف عن الظلم والسلب ، والناس تتعاطف معي لأني منهم وأحب العدل ، وأحاول أن أخفف الظلم عنهم ، ولي أنصار بين الجند ، ولقد شكونا أمرنا لحفيد شداد مرات ؛ ولكنه لا يسمع فالسلطان فوندا إذا ترك الظلم تنتهي المشاكل ، ونعيش بسلام ، فحتى في حروب الملك شراب يذهب جنودنا للحرب معهم .. فالحل كما ترى في يد السلطان والتمسك بالعدل والإحسان .

فقال جبل بأسف ومتذكرا بلاده أيام سيطرة ولاة الضبع عليها : سنعبر بلاد الملك شراب في طريقنا لممالك الهند ؛ فإذا تمكنت من مقابلته سأذكره بالظلم الواقع عليكم لعله يرفعه ويزيله أو يخففه .

فقال الوزير بحزن شديد : إنه يعلم بالألم الذي نعانيه ! وهو يحب ذلك ..كم من مظلوم ذهب إليه شاكيا باكيا ؛ ولكنه يظن بالسكوت عن ولاته تبقى المدينة ذليلة خاضعة .

وكان جبل وهو يسمع قصة الوزير وأهل النجمة الصغيرة ، يتذكر مأساة قومه وبلده مع الضبع ، فرأى الطغاة في كل مكان ، وسمع الوزير يتابع كلامه قائلا : لا تحزن كثيرا أيها الفارس لا عليك .. تعودنا العيش على هذه الظروف والحال .

فقال جبل : سنسافر قريبا – وأعانكم الله ورزقكم الصبر – هذه شريعة الطغاة .. القوي يسيطر على الضعيف ؛ ولكن للظالم يوم شديد إن لم يكن في الدنيا كان في الآخرة .

فقال الوزير بمرارة : هذا عزاء الضعفاء على كل

حال !

وأمضى الفرسان ثلاثة أيام في ضيافة أبي المعالي ، ثم رحلوا باتجاه مدينة الملك شراب المسماة بلاد الملوك العظام ، فحطوا رحالهم فيها بعد أيام ، وفي خان كبير نزلوا ، وبعد أيام من الراحة والنزهات في هذه المدينة الكبيرة الواسعة الكثيرة الخلائق تبين لهم أنها مدينة جميلة واضحة النظافة كثيرة الحمامات والحدائق والأشجار حتى قال ثعلبون : إنها لمدينة جميلة نظيفة خضراء فشوارعها وطرقاتها مرصوفة بالحجارة الملساء الملونة !!.. فهل يعقل أن ملكها ظالم ؟!

فقال هزبر : هذا ما يثير عجب النفس .. هل تفكر يا جبل بلقاء ملكها ؟!

فرد جبل قائلا : أفكر بذلك ، ولسوف أقابل الوزير أو نائبه قد نخدم صاحبنا أبي المعالي .

كاتب الوزير

انطلق جبل وحده إلى ديوان الوزير آملا بأن يحظى بلقائه ، فكتب عريضة مبديا الرغبة في مقابلة الوزير ، فنقلها كتبة الديوان إلى كاتب الوزير الذي سمح لهم بإدخال هذا المتظلم عندما قرأ ما فيها من الشكوى والألم ، فلما أصبح جبل أمام كاتب الوزير ، خاطبه الكاتب – وهو يتفحصه ويتأمله – قائلا : أيّ ظلم لحق بك أيها الشاب ؟! .. إنك بحضرة كاتب مولانا الوزير ، وسوف تصل مظلمتك للوزير .. قل يا ولدي .. اسمك جبل بن مجدو كما قرأت في ذيل الصحيفة .

هز جبل منكبيه وقال : نعم يا سيدي هذا اسمي ! .. ومظلمتي أشرت لها في الكتاب الذي بين يديك ..وهي إنني كنت قبل أيام في مدينة فوندا ـ السلطان فوندا ـ فجرت فيها مذبحة بين نائب الملك شراب وأهل المدينة ، فقتل في المذبحة ما يزيد عن خمسين نفسا غير الجرحى ، وكذلك الأموال المنهوبة والمحروقة .. فلو يا سيدي أمرتم برفع الظلم ، وأمرتم نائب الملك بالعدل بين الناس والعطف عليهم ، وعدم إيذاء الخلق وإهانتهم .

قال كاتب الوزير : هل قتل لك قريب ؟ هل أصبت بعاهة ؟ هل حرق بيتك ومتجرك ؟ هل سلب مالك ؟!

فقال جبل : لا شيء مما ذكرت يا سيدي ، لم يقتل لي قريب ، ولم أصب بأذى ، ولم يحرق لي بيت أو متجر ، ولم يسلب لي مال .. ولكن أصاب إخواني بني الإنسان كل ما ذكرت .. القتل والسلب والحرق والتلف والعاهات ، فلم ترض نفسي بالصمت والرضى بما جرى من أجل بني الإنسان

فقال الكاتب وهو ينهض عن مقعده : ما دام لم يصبك شيء أيها الرجل ، فلم يعد بي حاجة لسماعك يا أخ جبل ! .

فقال جبل متجاهلا طرده : سيدي ! تذكر أن

الظلم عاقبته سيئة ، والظلم ظلمات يوم الحساب عند الله رب العباد .

فرد الكاتب بضيق شديد : اخرج قبل أن أغضب عليك ، ما دام لم يمسسك ضر فاحمد الله ، وانصرف قبل أن أوذيك .

فقال جبل : سيدي الكاتب !! دعني أقابل سيدك الوزير لعل شكواي تجد لديه أذنا صاغية .

فغضب الكاتب وقال بحدة : إنك رجل وقح ! أيها الجنود .. خذوه للسجن .

ودخل الحراس ، وقادوا جبلا إلى سجن من سجون المدينة ، فاستقبله السجناء وانهالوا عليه بالسوأل عن ذنبه وجريمته ، فاحتار بما يجيبهم ليريح فضولهم ، وعند الغروب دخل عليهم قائد السجن وأخبرهم أن الأميرة ضميرة بنت الملك شراب قادمة ؛ لتختار عددا منهم للعمل في قصرها وبساتينها .. فدهش جبل لهذا الكلام ، وقال لأحدهم : ما هذا الكلام ؟! أنا غريب عن بلادكم .

فرد المسئول بهمس : هذا هو الطريق الوحيد للخروج من السجن ، فمن دخل السجن أيها الشاب في بلادنا لا يخرج إلا بأعجوبة أو ينقل للخدمة في قصور الأمراء أو الموت في السجن فكلما احتاج أمير أو قائد لعدد من الخلق للعمل في قصره وأرضه ، أقبل إلى السجن وأخذ ما يلزمه من السجناء ، فقد أصبحوا عبيدا له يتوارثهم الأبناء عن الآباء .

فقال جبل : حسبنا الله ونعم الوكيل .. لا حول ولا قوة إلا بالله .

وأتت الأميرة ضميرة للسجن يتقدمها قائد السجن ، فاختارت خمسة من المساجين للعمل عندها ، وكان فارسنا جبل بينهم مستسلما للأمر ؛ليرى نهاية هذه اللعبة ، وفي اليوم التالي جاء أمر من كاتب الوزير يطلب السجين جبلا ، فأطلع قائد السجن الرسول أن الأميرة ضميرة قد استرقته ونقل لقصرها ، فلما علم كاتب الوزير بذلك أصابته الدهشة ، وقال الكاتب لثعلبون : لقد تعقد الأمر أيها الفارس .. أنا ظننته من تلك المدينة اللعينة ! ولم أفكر بأنه عابر سبيل .. بل لم يخطر لي أنه ذلك الفارس المشهور الذي وصلت أخباره لهنا ..اترك لي العنوان الذي تسكن فيه وسأتدبر الأمر .

وتركه ثعلبون عائدا للخان ، وأطلع هزبرا على المأزق الذي وقع فيه جبل ، ثم قال : علينا أن نغير مكان سكننا حذرا من الغدر .. فلنترك خيلنا هنا ونخرج كأننا ذاهبون لزيارة صديق .

فقال هزبر : الحذر واجب ..هذه ورطة نسأل الله أن يسلم منها .

وتظاهرا بالخروج لزيارة صديق ، وبفندق صغير

باتا ليلتهما ، وفي الصباح ذهب ثعلبون لديوان كاتب الوزير ، فلم يجده ، وقيل له إنه غادر المدينة بمهمة ، وسيعود منها بعد أيام .

وأما صاحبنا جبل فسيق مع الأميرة إلى قصرها ، وبات ليلته الأولى مع الخدم ، وكان يقول لنفسه : سنصبر قد يكون في هذا الأمر خير لصاحبنا أبي المعالي !

وفي النهار التالي طلبته الأميرة ضميرة ، فلما دخل عليها قالت : لماذا يريدك كاتب الوزير ؟!

فأجابها : لا أعلم !.. هو الذي رماني في السجن .

فقالت : وهو الذي يسأل عنك !

فقص جبل حكايته مع الكاتب ، فقالت : أنت من أهل تلك المدينة ؟! لقد زرتها أكثر من مرة فأخت السلطان فوندا صديقتي .. هل ترغب بالعودة لمدينتك ؟

فقال : أحب أن يرفع الظلم عن أهلها .

فقالت : وما شأنك أنت برفع الظلم ؟

فقال :لا أحب الظلم يا مولاتي الأميرة .

فقالت وهي متجهمة الوجه : أنت سجين ، وأصبحت عبدا لي .

فقال : لا بأس أيتها الأميرة ! .. وروى لها قصة القتال في مدينة النجمة الصغيرة ، فلما انتهى ، قالت بغير مبالاة : لا تهتم إلا بنفسك وانس الآخرين ..أرجو أن أرى إخلاصك في العمل والخدمة لعلي أحررك وأعيدك لأهلك في تلك البلدة .

وأمرت قيم قصرها بأن يأخذه لعمله المعين له ، ويحترس من هربه واختفائه ، وبعد يوم أسر له غلام من غلمان القصر أمرا خفيا ، ولما انتصف الليل تسلل إلى باب من أبواب القصر الخلفية واخترق البساتين والحدائق يتبع الغلام الذي أسر له سرا خلال النهار حتى وصلا لباب خارجي للقصر ، فلما وصل إليه عاد الغلام واختفى ، فوجد جبل كاتب الوزير في انتظاره ومعه ثعلبون وهزبر فقال الكاتب بعجلة : أعتذر إليك أيها الفارس ! .. وسأحاول أن أخفف الظلم عن صاحبك أبي المعالي ..وأرجو أن تغادروا الليلة الآن البلاد ، وإذا قدر لكم العودة لبلاد التين فاذكروني للملك جبرون ، فهو صديق قديم وقولوا له يهديك السلام والتحية صديقك أحمد بن طارق ، وركب الثلاثة على ظهور خيولهم ، وودعوا الكاتب وداعا حارا خارجين من المدينة قبل أن تدرك الأميرة ضميرة هرب جبل ، فاجتازوا قرى وغابات وديارا حتى أشرفوا على مدينة الجبال العالية مع الغروب ، وبينما هم مندفعون نحوها وجدوا في طريقهم شيخا كبيرا يركب حمارا أبيض يمشي رويدا رويدا ، وخلفه ثلاثة غلمان يلبسون ثيابا متشابهة وذات لون واحد

، فألقوا السلام عليه ، فرد التحية بأحسن منها ، ثم توقف وهتف : يبدو لي أيها الفرسان أنكم غرباء عن هذه البلاد ؟!

فقال أحدهم : نعم أيها الشيخ الجليل .. ما هذه البلدة ؟

فرد الشيخ : إيه !!.. إنها بلاد الجبال العالية لصاحبها الملك المعروف مالك بن حماد الأسناني فهل أنتم رسل قادمون على الملك ؟

قال هزبر : لا ، أيها الشيخ الجليل .

وقبل أن يكمل هزبر كلامه واعتذاره ، قال الرجل على الفور : أنتم ضيوفي .. اعتبروا أنفسكم ضيوفا عندي عند والدكم الشيخ خليل ..والتفت لأحد غلمانه وقال : مهران .. اذهب بهؤلاء الأسياد إلى بيت الاضياف حتى أقضي حاجة قريبة وأرافقكم .

اعتذر الفرسان للشيخ وشكروا له مرؤته ، فأقسم على ضيافتهم ، وتابع الشيخ رحلته ، وساق مهران الفرسان لبيت الأضياف الخاص بالشيخ خليل ، وأوصى الخدم هناك بحسن الضيافة لضيوف الشيخ خليل ، وانقضى الليل ولم يروا صاحب البيت ، فاستفسر جبل عن ذلك ، فقال أحد الخدم لدار الأضياف: نحن قلقون على سيدنا !..لقد علمنا مساء أمس أنه ذاهب لزيارة ابن عم الملك مستشفعا لأحد الناس .. فقصر ابن عم الملك يقع خارج أسوار المدينة ، وها هو قد تأخر ولم يأت ليلة أمس .

ومضت ليلة ثانية ولم يظهر السيد خليل وحتى غلاميه اللذين كانا بصحبته لم يظهرا ، فعندئذ طلب جبل من رئيس الخدم أن يأذن لهم بترك السكن ، فقال الخادم : لو خرجتم يا سيدي ورجع الشيخ ولم يجدكم سيغضب علينا ، فاصبروا حتى يتضح الأمر .



وكان الفرسان خلال اليومين الماضيين ، قد تفرجوا على المدينة ، واختلطوا بأهلها ، وفي صباح النهار الثالث قادتهم أقدامهم إلى شمال المدينة ، وهناك وجدوا أنفسهم يندفعون مع الناس إلى ميدان كبير ، والناس تتحدث بحماس شديد ، وهم متجهون لمشاهدة مصارعة الفرسان للأسود ، فقال جبل لصاحبيه : فلنمش مع هذه الجموع ، ونشاهد هذه المصارعة المتراكض إليها هؤلاء البشر .

ولما وصلوا للمكان ، وجدوا عددا هائلا من الخلق يملئون مدرجات ميدان الصراع ، وما زالت الناس تتزاحم وتتدافع إلى حلبة المصارعة

..مدرجات على شكل دوائر وفي وسطها ملعب يجري فيه الصراع ..وفي وسط الملعب المعد للمصارعة قفص من الحديد ، ولكنه قفص كبير كالسور والسوار ، وهو مكشوف السقف ، ويـقف حول هذا القفص المستطيل الشكل المرتفع الجدران بحيث لا يستطيع الأسد القفز عنه عدد من الجند ، بعضهم يحمل الرماح والسيوف ، وبعضهم يحمل الأقواس والسهام ، وفي إحدى جهات هذا القفص الحديدي الكبير أو ميدان المبارزة يوجد باب أو أكثر يدخلون منه الأسد والفرسان ، وبين القفص والمدرجات التي تجلس عليها الجماهير يوجد مضمار ؛ ليدور فيه الفارس بعد أن ينتصر على الحيوان أمام الناظرين ، ويبدأ الاحتفال بوصول الملك أو من ينوب عنه .. واختار فرساننا الجلوس قريبا من القفص على المدرجات السفلى ، ولا يفصلهم عن حلبة اللقاء سوى المضمار الذي يحيط به الجند ؛ ليمنعوا الناس من الجلوس عليه ، وكانت منصة جلوس الملك والأمراء قريبة أيضا من القفص ، وحولها الحرس المدججون بالسلاح ، وبعضهم على ظهور الجياد ، ولم يطل الانتظار لبدء الاحتفال ، فقد أقبل الأمير قوس بن جاد ابن أخت الملك نائبا عن الملك هذا اليوم ، فلما جلس الأمير في مكانه بعدما حيا الجماهير ، نفخ في الأبواق برهة من الزمن ، ثم حيا المنظمون للحفل الأمير واستأذنوه ببدء المصارعات الرهيبة .

حكايات الحي أبو خروف

طبيب أبو خروف ٢

دخل سلمان عيادة راشد ، فوجده وحيدا ، فصافحه وعادا للجلوس ، وقال: ما أخبارك اليوم يا أبا أيمن ؟

– الحياة قاسية هذه الأيام ، أهلا بحضرتك وعساك بخير

– الحمد لله

– كيف حال أم يوسف سمعت أنها دخلت المستشفى ؟

– بخير ، باتت ليلة واحدة .. ماذا في هذه الجرائد التي أمامك؟

– إنهم يدندنون حول قضية بيع أدوية العيادات الشعبية لصيدليات القطاع الخاص .. يبدو أن مكتب النائب العام سيدخل على الخط

قال سلمان : فليدخل .. الحكومة لا تعرف بمثل هذا التسيب!.. إذا نحن البسطاء نعرف .. وعندما نشتري أدوية نجد عليها علامة الصحة يا أبا أيمن أو مقحوطة .. اللف والدوران والعبث متفشي .. سمعت أن صيدلي أبو خروف وبعض موظفي العيادة ، يبيعون الدواء لبعض صيدليات الحي ، وتباع لهم برسم البيع .. وأن حملة تفتيش قائمة ..

وبعد صمت من الطرفين قال : كيف أيمن مع هذه العطلة؟!

- كما يقال ماشي .. وقد سمحت له هذا الموسم بالعمل في مكتبة في مركز المدينة

- العمل ممتاز يفتح قلب الشاب على الحياة ، وعلى أهمية المال في الحياة الدنيا .. عساه سالك

قال راشد بعد فكر سريع : له أسبوع منذ بدأت العطلة ، ولحتى الآن سالك ..خير يا أبا يوسف لا أعتقد أنك جئت لنتحدث عن أيمن .

تبسم الرجل وقال : أكيد ، وإن تهمنا أخباره الطيبة .. خير يا دكتور .. أنا أعرف العاصفة التي دهمتك خلال الأيام الماضية يا أخي المحترم .. هذا أبو كسوة عاد إليّ أمس .. ليلة أمس جاءني على المقهى حيث أسهر وتحدث مع بشأن البنت .. وإنه يأسف لتصديقه الإشاعة أو فهمه القضية بطريقة خبيثة .. وقد صورت له بأنك قاتل نسوان العالم .. وبعد تأمل وتفكير ـ إذا كان يفكر المسكين ـ رأى أن هذا الكلام غير صحيح ، ولما تحملت العناية بابن زوجتك ، وقد قتلت أمه ، واكتشف أن هناك خطأ كان من المرأة أدى إلى تلك الحادثة المؤلمة .. والرجل يرحب بأن تكون زوجا لابنته وصهرا له .. وهو يرحب بنا بأي وقت تشاء .. فقلت له إن الدكتور يرفض الزواج ومن كثرة ترجيه عدت أضع الموضوع عندك من جديد ؛ فإذا كان لك رغبة في النساء بعد أن وضحت الصورة لأهل الحي ، ولتجديد شبابك .. فالرجل وأسرته يرحبون بإتمام هذا الزواج والبنت تعلقت بهذا الزواج .. ولولا الحياء لجأت بنفسها تعتذر عما سببه والدها لك من حرج وحنق .. هذا هو الموضوع .. والدار كما يقال بدون امرأة مرة وظلمة ومعتمة .. والمرأة تتحمل المرة والحلوة

قال راشد وهو يشعل سيجارته ويعزم على الشيخ أخرى: غير رأيه أبو كسوة .. وذهب الخوف والدعاية السوداء من قلبه من أن اقتل ابنته .. رجل بسيط كلمة تشرق به ، وأخرى تغرب به وضعيف الشخصية .. وأعرف من غرر به ، ومن أصلح رأسه عليّ ، وأن من مصلحته تزويج ابنته للدكتور راشد .. واعلم أنا لا مانع لديّ من الزواج من ابنته وبدون تفكير ؛ لكن دعني أفكر بقوة وجدية يا أبا يوسف ، وخاصة بمصاهرة هذا الرجل الغلبان ، وأنا لما أغلق العيادة سأمر عليك على المقهى ، وأبين شروطي وموقفي النهائي

- وهناك السيدة أسماء

ضحك راشد وقال معتذرا : آسف لا داعي لعودتها يا حاج سلمان .. فالزبائن قلّوا بسبب الدعاية السوداء ، ولا مجال لعملها معي ، ولا حتى الشغالة أم رسمي ؛ فإذا تزوجت بنت هذا المخرف فلا حاجة لها

تحقق الزواج

تعلقت نفس الدكتور بالعودة للزواج بعد كل هذه السنين من الانقطاع ؛ لذلك قبل العودة للزواج من ابنة أبي كسوة بمجرد تشفع سلمان بينهم ، وذهب مع سلمان ونعمان لبيت الرجل ، وصحبهم بعض رفاقهم في المقهى ، وتم طلب يد البنت للدكتور مع قبوله اعتذارات أبي كسوة وأسرته ، وتحدد وقت الزفاف خلال أسبوع أو أسبوعين ، فبعد كتابة العقد الشرعي في المحكمة سيرتب الدكتور البيت خلال يوم أو يومين ، فسيقوم بتبديل سرير غرفة النوم المفرد بسرير مزدوج ، بل تبرع به لأبي كسوة وقبله فورا ، وسيكون الاحتفال حفلا صغيرا لعدم وجود أقارب للدكتور في الحي ، وذهبوا إلى دار المحكمة الشرعية ، وعقد لهم القاضي العقد الشرعي

واستلمت البنت المهر ستمائة دينار بحضور سلمان وشقيقه نعمان ، وجمعة ، وأحد أبناء أبي كسوة

واشترى لهم الدكتور كمية حلويات ليحتفلوا في بيتهم بكتب عقد الزواج ، وطلب من إحدى سيارات الأجرة أن توصلهم لبيوتهم ، وأما هو وسلمان ونعمان فركبوا في سيارة نعمان إلى أحد المطاعم ، وشاركوه الطعام ، وترتيبات حفل الزفاف ، ولما عادوا لـ أبو خروف فشكرهم راشد شكرا جزيلا ، واتجه إلى معرض أثاث واختار غرفة نوم تليق بعروسه الجديدة ، وخلال يومين تحولت غرفته إلى غرفة عريس ، وأقيم حفل زواج صغير في صالة حفلات في نفس أبو خروف وأرسل الدكتور أيمن لينام في أحد فنادق المدينة قبل العودة للبيت حيث حجرته ، وتمنى الشاب السعادة لأبيه وهو يغادره إلى أحد أماكن النوم بالأجرة ، وكان الأب يقول له مودعا: إن شاء الله قريبا سنحتفل بنجاحك ، ثم زواجك يا أيمن ، عندما تصل الفندق اتصل بي ، وأعطني رقمه واسمه .. ثلاثة أيام فقط يا أيمن وتعود للحياة معنا .. وستكون لك بمقام الأم التي حرمتك منها ـ سامحها الله ، ورحمها الله ـ لولا غضبها وعنادها ؛ لكن لو تفتح عمل الشيطان

انصرف أيمن إلى أحد فنادق وسط المدينة ، لم يرغب بالمبيت بفندق أبو خروف ، فتركه الدكتور على راحته

وانصرف المدعون رويدا رويدا ، وانتقل الدكتور وعروسه ، وبعض آل أبي كسوة إلى شقة الدكتور ، وذهب بعض أبنائه لإحضار عشاء للعروسين وبعض آل أبي كسوة الذين دعاهم للعشاء في شقته ، وحضر العشاء الذي وصى عليه أحد المطاعم في أبو خروف ، وتناول الحاضرون الطعام على مائدة راشد بمناسبة الزواج ، وغادر آل أبي كسوة الدار بعد العشاء متمنين للعروسين السعادة والمعاشرة

الطيبة ، وانتقلت ابنة أبي كسوة عروسا في بيت الدكتور راشد عبد المحسن ؛ وذلك في عشرة أيام ولما أغلق الباب وراءهم ، قال لها: هل وضعت بذلة الصالون في حقيبتها ـ بذلة بيضاء خاصة بالعروس ـ حتى نعيدها لهم غداً

قالت : نعم .

وقال : تعالي إلى المطبخ لم تأكلي بشكل جيد .. لقد لاحظت ذلك.

وجلسا إلى مائدة المطبخ حيث وضع الفاكهة التي اشتراها للترحيب بعروسه الجديدة ، وقدم لها العصير الطبيعي الذي أحضره أيضاً وقال : أهلا وسهلا أرجو أن تكون حياتي سعيدة بوجودك معي يا أميرة

– شكرًا لك يا سيدي ، وأرجو أنا ذلك أيضاً

– ألم يتقدم أحد لخطبتك يا أميرة فأنت جميلة وطيبة؟!

– هذا من لطفك يا دكتور .. تزوجت كل أخواتي الأصغر والأكبر مني .. يبدو أنهم لما زوجوا الأصغر ظن الناس أنني لا أريد الزواج. أو هناك شيء يمنعهم من تزويجي .. ثم تلحق بها الأصغر حتى كبرت ، وقلّ الخطاب ، ولما عرفك الوالد رغبني بالزواج منك .. وهوّن من فارق السن بيننا .. فرضيت .. والبنت كما تعلم ليس لها إلا الزواج .. وجرى ما تعرفه .. والنصيب هو الحكم الفصل .. جاءنا رجل كأنه الشيطان ، وطعن فيك ، وخوفنا من هذا الزواج ، وأنك تشكل خطرا على حياتي ، وأنك قتلت زوجتك ، وهربت إلى أبو خروف ، خوفنا من هذا الأمر فصدقه أبي من كثر ما تكلم ، وخاف عليّ .. وأنا صدق لم أصدق ما سمعت .. فأنت دكتور وتعمل ، ولو كان ما قاله هذا الحسود صحيحا ما سمحت الحكومة لك بفتح عيادة .. هكذا قال كسوة لأبيه وأيدته ؛ لكن الخوف سيطر على أبي ؛ ثم عاد الرجل يعتذر لنا عن إساءة اتهام الدكتور .. وقال : كان القتل بالخطأ ، وتظاهر لأبي بالأسف والندم ، وأن المرأة ضرب رأسها بالخزانة ، ووقعت على الأرض ، ثم ماتت في المستشفى أثناء العلاج

– أرجو أن تكوني طيبة يا أميرة ، ونعيش سعداء .. والرجل الحاقد موظف عيادة أبو خروف إنه شيطان اسمه غريب

– كأنني سمعت هذا الاسم .. لا تزعل منا يا دكتور .. نحن أناس غلابة

زار غريب الدكتور بعد أيام من زواجه مدعيا أنه جاء ليهنأ الدكتور بهذه المناسبة السعيدة ، ففتح له الطيب باب الشقة ، وأدخله مرحباً وشاكرا ، وجلسا في الصالة ، وطلب له فنجان قهوة وشكره على تدخله في إتمام زواجه بعد أن خربه فرد بالقول : قمت بالواجب ..لا شك عندك أنني الذي

فسدت الزواج

ضحك الدكتور وقال: أنت وراء كل شيء .. فأبو كسوة يعرفك حق المعرفة .. ولو رحت له بنظارة سوداء

تضاحك الرجال وقال : على كل حال لن أستطيع نزع هذه الفرية من رأسك ورأس أبي كسوة المهم أنك تزوجت .. وحقنا هل فكرت فيه؟

– حقكم يا سيدي ! لا أدري كيف يكون هذا الحق لكم والشغل تجمد بسببكم؟!وصورتم موت زوجتي الأولى بصورة بشعة يعجز الشيطان عن فعلها

– أريد أن أحضر أحد الشركاء ليسمع هذا القول

– هات أحد الشركاء يا غريب .. أنا لست خائفا من أحد .. فالعقد الشفوي قد انتهى منذ شهور

– حسنا أبا أيمن .. هل لك أن تكف عن التحريض علينا في الصحف ؟

تظاهر بالدهشة وقال مستغربا: أنا! أنا ما كتبت رسالة أو مقالة لجريدة ولا مجلة

– كتبت لوكيل الوزارة

– لم أكتب ، صدق لم أكتب .. إنما تكلمت مشافهة مع أحد الموظفين الكبار .. ولم أذكر اسم أي أحد منكم .. إنما زعمت أني ألاحظ كذا وكذا ، وانتهى الكلام ؛ والسبب لأنكم أسأتم إليّ ولابني كثيرا.. اتهمه بعض التلاميذ بأنه ابن قاتل وسفاح

اعترف غريب قائلا : أخطأنا يا دكتور ، وتسرعنا في ردة الفعل ونشر الكلام .. والناس تحب تبهير الأخبار والزيادة عليها .. فنحن على استعداد لفتح صفحة جديدة .. ونعيد الكرة والمرضى ونبدأ من جديد ونسامحك في الشهور الثلاثة

قال راشد مستهجنا العرض : أنا أعيد الكرة ! لا كرة ولا مرة .. المهم أن تبتعدوا عني .. وأنا بعيد عنكم .. وسأغلق العيادة قريبا عندما أباشر عملي في أحد المستشفيات .. وأنا الآن مسؤول عن امرأة يا غريب .. خليني بعيدا عنكم

– سأحضر شريكا لتقل أمامه هذا الكلام .. وأنك لم تدفع الشهور الماضية .. وليس بيني وبينك أي اتفاق

استسلم راشد وقال : سأخدمك هذه الخدمة ؛ لأني لا أحب أن تدفع من جيبك إذا كان كلامك صدقا ، ولا تكون خائنا بينهم .. مروا عليّ في العيادة وقتما تشاءا .. شرب غريب قهوته وشايه وغادر الشقة ، ولم يظفر بقرش واحد ، ولم يفلح بإغرائه للعودة للتعاون معهم ، ولم يعرف غريب كيف سيتخلصون من حملة التفتيش التي تهدد بها المراقبة والوزارة ؟

فقد حضر رجال المراقبة لبيت أمجد عبد الظاهر ، وفتشوه بحثا عن الدواء ، وأوقف عن العمل حتى ينتهي التحقيق ، إما لمصلحته وإما ضده .. فقد

اعترف صاحب صيدلية بأخذه أدوية منه شخصيا .. والرجل يهدد بفضح كل المتعاونين ، ولا يمكن إثبات جريمة إلا على الصيدلي ؛ لوجود الأدوية .. فأما التعاون مع الأطباء فهو بالتوجيه والدعاية .. والمريض يذهب بكامل حريته إليهم .

أيمن راشد

ذكرنا أن أيمن راشد كان يعمل في مكتبة منذ بدأت عطلة المدارس الصيفية ، وكان صاحب المكتبة ذا معرفة بالدكتور راشد ، فقبل عمل الشاب الصغير معه خلال فترة الصيف ، وهذه عادة يقوم بها بعض التلاميذ أثناء عطلة الصيف ، يقومون بالعمل بالمحلات والمصانع والمطاعم والرجل بعد حين عرف صفات وطباع الشاب ، حتى مشاجراته مع الزبائن أثناء المفاصلة لشراء كتاب أو غيره ، فكان الرجل يصلح الوضع بينه وبين الزبون ، ويتفاهم مع المشتري والاعتذار ، وبعد انصرافه يلقي توجيهات وموعظة للشاب ، فيقول له: يا بني هذا ـ يعني الزبون ـ رأس مال المحل الحقيقي .. هو الذي يبتاع هذ الكتب .. فنحن نحبب له الشراء ، ونحسن المساومة ؛ ليشتريه ، لا نقاتله وننفرزه يا أيمن .. ليس بالضروري أن يشتري الزبون الكتاب إذا صارت مفاصلة .. الشراء بالحرية الكاملة .. قد لا نكون أول مكتبة دخلها الزبون فربما وجد سعرا أقل في مكتبة قبلنا .. وكرر أيمن التصرف السيء مع الزبائن وكذلك عدم الاستيعاب للإرشادات ، فنقله معلم المكتبة إلى نقل الكتب من المخزن إلى المكتبة وترتيبها في مواضعها المناسبة ، وتنزيل البضاعة من سيارات الشحن للمخزن ، أو إرساله في طلبية إلى مدرسة أو مكتبة أخرى أو معرض .. فصار يتذمر وأنه مجرد عتال ، فقال مرة لصاحب المكتبة: أنا اشتغل عتالا يا أستاذ بسهان

تطلع فيه بسهان لحظات وقال: وأنت ماذا تعمل عندي؟! .. مدير .. اسمع يا ولد أنت تعلم أني صابر عليك لصداقتي بوالدك راشد .. وأقول كلهن شهران زمان .. أنت يا ولد لا تصلح للعمل .. سمحت لك باستقبال الزبائن ، فصرت كأنك تخوض معركة .. أنا أعرف حبك للعنف والمشاجرات ، حدثني أبوك ببعضها أعطاني فكرة .. هذا هو الشغل يا بني تحميل تنزيل ونقل .. ويكفي أني أسمح لك بالدخان ، وهو ممنوع .. وتقرأ كل هذه اللوحات التحذيرية وتجعل نفسك لم تقرأ ، ولم تسمع ، ولم تر .

فأخذت الشاب العصبية ، فصار يسب ويشتم الشغل والاستعباد والظلم ، فقال المعلم : هذا كلام فارغ .. ها هو محمد كان يعمل مكانك ، ولم يشكُ من ذلك ، وأنا لا أحب سماع هذا الكلام والسخط .. لا يعجبك العمل معنا عد لأبيك ..

وأنا تحملتك للصداقة مع والدك المسكين .. ومضى شهر من عملك معنا.. فاصبر حتى ينتهي الشهر الثاني

عاد للتذمر من الظلم والعذاب الذي يتعرض له ، مما أثار حفيظة محمد الذي يسمع ويرتب بعض الكتب ويبيع ، فقال لأيمن : يا سيد أيمن إذا لم يعجبك الشغل معنا وغير مرتاح ، فابحث لك عن مكان آخر .. جرب غيرنا .. لماذا تتسخط وتتعب روحك؟!

سحقه أيمن بعينيه وقال: وأنت ما دخلك .. أنا أتكلم مع المعلم

- كلامك أعوج ، ولا أحد يتحمل العوج ! والمعلم يحترمك من أجل خاطر أبيك ، وأنت لا احترام عندك لأحد .. يبدو يا معلم بسمان أنه يريد زيادة

كان بسمان يتطلع فيهما ، فقال أيمن بصوت صارخ : أنا أعمل عمل حمار على خمسة عشر دينارا أنت ماذا تعمل وتأخذ خمسة وعشرين دينارا ؟!

- أنا يا ولد لي سنوات أعمل هنا .. أنت لا تستحق عشرة دنانير في الشهر

فقال المعلم: يا أخ أيمن زيادة لا تحلم بها .. أنا أعطيك هذا المبلغ للصداقة بيني وبين أبيك

صاح أيمن محتجا : أبي أبي خاطر أبي .. زهقتني بهذه الأسطوانة .. أنا هذا آخر يوم عندك

فقال محمد مستغربا ردة فعله: ولد عجيب !كيف لو أنك صاحب المصلحة ؟! كأنك ...

وقبل أن يتابع كلامه تلقى لكمة على صدره طرحته أرضا ، ونهض غاضبا ، وأمسك بقميص أيمن ، وأخذ بسمان يفرق بينهما ، وهو مدهوشا من تطور الأمور بينهم للقتال ، ثم قال لأيمن بحدة : أنت ولد منحط .. قذر .. اغرب عن هذا المكان .. حلبة ملاكمة صار المحل .. تمد يدك على الرجل الفاضل

ضحك وقال: هذا فاضل .. هذا مجرم وحسود

وتشابك الشابان مرة أخرى ، رفع بسمان سماعة الهاتف قائلا: سأتحدث مع شرطة النجدة يا حقير ..لا احترام عندك لأحد

- تخوفني بالشرطة

اتصل بسمان بهم بالفعل ، فلبوا النداء ، وأخذوا الشابين إلى نقطة الأمن



تعرض أيمن للصفع والكلام الحاد في نقطة الشرطة ، ثم أخلي سبيله ، ورجع للمكتبة ناقما غاضبا مطالبا بأجرته أو ما تبقى منها ، فأخذها خطفا وهو يتهدد ويتوعد من النيل من محمد ، والانتقام منه ، وذهب إلى السينما ، وفي المساء عاد

للحي ، ووجد والده جالسا في العيادة ، فتظاهر بالسخط من صديق أبيه ، فقال أبوه بعد سكوته محركا رأسه أسفا: تحدث معي الرجل ، وحدثني بأمرك وسلاطة لسانك على الموظف محمد ، ومع ذلك ترك أمر العودة لك إذا قبلت بالاعتذار للشاب محمد

صاح محتجا : عندما أتكلم مع السيد بسمان ، لماذا يحشر نفسه بيننا ؟

- الرجل كشف لي أمرا آخر أزعجني يا أيمن !

- أمرا آخر ، ما هو ؟!

- البنت التي تمر عليك كل مساء عند مغادرة المكتبة

ظل أيمن في حالة صمت ووجوم ، ثم قال: وما دخلهم في البنت ؟!

- يقول بسمان : إن هذه البنت سمعتها سيئة في السوق .. والرجل نصحك بالبعد عنها .. وأنا قلت لك بعد التوجيهي سأزوجك .. فدع بنات الناس .. فتيات المقاهي والملاهي يحملن أمراضا خطيرة .. وهذه البنت صيادة .. وفهمت من بسمان أن لها أكثر من صاحب ..وبالمناسبة زوجة أبيك تقول : إن فتاة تتصل بك بعد صلاة المغرب ـ وكان أيمن هو الموجود في البيت بعد أذان العشاء ، ويرد غالبا على التلفون ، سابقا لزوجة أبيه ـ فلم يرد على استفهام أبيه ، فقال راشد مرشدا: اللعب مع البنات هو لعب بالنار يا أيمن .. إذا كنت مستعجلا على الزواج أزوجك .. واعلم أن الزواج يحتاج لعمل ، وتعلم مهنة أو صنعة .. أنا كنت أرغب أن تصل للثانوية العامة فتعمل بعدها موظفا حكوميا مباشرة .. أنا لا أستطيع أن أكون رقيبا عليك ولست دائماً لك ..إياك يا ولدي والزنا!

فقال معترفا : أنا لم أزن ، إنما هي قبلات ومداعبات كما نرى في الأفلام

لم يستغرب راشد اعتراف أيمن إنما قال : مداعبات وقبلات .. أنت شيطان ! بنت من التي تتصل في البيت؟!

- لا أدري ، أعطتني رقم تلفونها ، وأخذت رقمنا .. وتتصل للحديث معي بعد العشاء ، لا أعرف بنت من ؟

- من أين عرفتها ؟

- من الشارع

- من سكان الحي؟

قال بحدة مرتفعة : طبعا ، كنت مرة أمام مطعم مشاوي انتظر رغيفا من الكباب .. وكانت تقف بجانبي للشراء مثلي ..وتكلمنا قليلا ، ولما أخذنا الساندويتشات ، طلبت مني رقم تلفون بيتنا ، وأعطتني رقمها

- هل التقيت بها بعد تلك المرة؟

- أنا تعرفت عليها بعد حادث المدرسة آخر أيام الامتحانات

قال الأب بحيرة : إن النساء شر وخطر في نظري ، إذا رغبت بالزواج فأنا مستعد لذلك .. فالمال موجود ؛ لكن هل تستطيع تحمل المسؤولية ؟ والمدرسة أمامك سنة مهمة ومصيرية .. فهذه العيادة أحولها لشقة تعيش فيها كزوج .. وأدفع أجرها ؛ لكن مصاريف البيت أنت تتحملها ، وتتحمل الشغل وبهدلة الشغل .. إنما بعد التوجيهي أفضل لك وللمرأة ولي .. وإذا نجحت ستدخل المعهد أو الجامعة .. أما بنت السوق فابتعد عنها .. هؤلاء فتيات عرفن قبلك الكثير من الشباب والهمل .. يبعن أجسادهن لمن رغب فيهن ، ولكل دافع .. لا تجعل مراهقتك نارا عليك وندما ، وتهوي في مهاوي الرذيلة والفاحشة .. فالثمن وخيم .. والرجل لا يكرهك إنما هو ناصح ويخاف عليك .. فماذا يريد منك ؟ .. وبنت أبو خروف اطلب منها أن تنسى تلفون البيت .. وضعنا تغير اليوم

خيم الصمت على العيادة فترة ، وقال أيمن: أنا صارت حياتي معكم مظلمة .. لم أعد أطيق البيت .. كان عليك أن تصبر حتى أكبر وأعمل

أدرك راشد مغزى هذا الكلام فقال : أنا كان عليّ أن أتزوج عندما خرجت من السجن .. إنما تركته حتى تنضج وتكبر

- امرأتك سيئة

- سيئة ، ماذا تقصد ؟!

- أقصد أنها سيئة تجلس في البيت أمامي بثياب النوم .. وتنسى أنني ابن زوجها فقط .. لست ابنها

زوجة الأب

تخلى راشد عن العمل في العيادة ، وأغلقها ، وفسخ عقد إيجارها ، وتعاقد للعمل مع مستشفى خاص ؛ للعمل كطبيب عام مقيم ، وعين في قسم الطوارئ ، والعمل في هذا القسم يكون على شكل ورديات ، لكل فريق عمل ثمان ساعات عمل خلال الأربع والعشرين ساعة ، والمستشفى كبير ، فيه كثير من العيادات والتخصصات ، وطلب لظرف خاص أن يكون دوامه في الشهور الأولى في الفترة الصباحية ، ولما يرجع للبيت يجد المشاكل قائمة بين زوجه وابنه ، فلم تطب الحياة لأيمن مع زوج أبيه ، فيقضي الرجل ساعات للإصلاح بينهم وتهدئة الحال ، فكان الشاب يعلن كرهها علنا دون مجاملة ، مما أزعج راشد وأخذ يفكر بحل جذري للمشكلة

وقد شاع في الحي أن وزارة الصحة أثبتت تورط أمجد ببيع الأدوية للصيدليات التجارية في أبو خروف وغيره ، ونقل غريب إلى مدينة بعيدة ، ومثله الطبيب شامل .. وأمجد قدمت أوراقه

للمحكمة ، وقد حاول توريط غريب ؛ ولكن الرجل أنكر تعاونه معه ، وأنه لا علاقة له بصيدلية المركز .. وما هو إلا مجرد كاتب سجل طبي .

ولاحظ راشد أن ابنه أخذ ينام خارج البيت أو يرجع إليهم بعد نصف الليل ، فانزعج الدكتور كثيرا لهذه الفعلة.. فسأل المرأة: هل من مشاكل جديدة بينكم ؟

فقالت بسخط ونكد : الحياة مع ابنك لا تطاق ..لا يحب أن يراني ، رغم أنني لم أقصر معه .. وأتعامل معه كما كنت أتعامل مع إخوتي الشباب .. أقدم له فطوره قبل ذهابه للمدرسة ، وأغسل ملابسه وأكويها له كما علمتني .. ماذا يريد مني ؟!.. وأنا متحملة له من أجلك .. فهو يشتمني ويشتم أبي الذي باعني إليك .. وإنني كنت بايرة ، وتخلص مني أبي .. وهذا الزواج قسمة ونصيب

أخذ راشد يلطف من غضبها وضيقها ويهدئ أعصابها بجهله وسنه ، وأنه يتعمد ذلك لتسيء إليه ، ويكبر العراك والشجار ، ولما هدأت أعصابها قال: لو تركناه للشارع ينام فيه ، سيزداد همالة وفسادا وعنفا .. وهل نخلص من مشاكله؟!.. أنا راغب بأن أزوجه ؛ ليعيش وحده ، ولكن لو زوجته اليوم سيعيش عالة عليّ ، ولن يهتم بعمل ولا وظيفة .. نصبر حتى ينتهي من الثانوية العامة فإما أن يتوظف فأزوجه وأساعده حتى يستطيع الاعتماد على نفسه ، أو يذهب للدراسة العليا ..والعمل في المستشفيات الخاصة متعب ، وسأضطر للمناوبة في الليل كباقي الأطباء .. وأنا بدأت أفكر بترك العمل .. فكيف أتركك معه في الليل ؟ أخشى أن يمد يده عليك ..فهو شرس .. ليس من يوم زواجنا بل منذ ولد ؛ لعله ينتقم مني؛ لأني قتلت أمه في يوم مضى .. واعلمي أنه يثير هذه المشاكل والصراع لأصل إلى مرحلة اللاعودة .. الطلاق .. فقد طلبه مني صراحة يا أميرة .. ويزعم أنه يصدر منك حركات مغرية ومثيرة

صاحت غضبا : يا للوقاحة! .. منذ نبهتني إلى ثياب النوم ، لم أعد البسها أمامه .. أنا محرمة عليه شرعا يا دكتور .. الأمر أصبح صعبا يا دكتور

– لا تنزعجي ، هو يلقي الكلام على عواهنه .. فعلا كما نبهتك وفعلت ، زعم أنه يتضايق من ملابس النوم التي كنت تجلسين فيها معنا هنا ، أو في المطبخ ، وقال إن ذلك فقط لغرفة النوم .. ونفذنا ذلك

– الحل عليك أن تعيد استئجار العيادة وتزوجه فيها .. وبالنسبة إلى أيام المناوبات .. سيأتي أبي للنوم معي أو أحد أبناء أخي كسوة

– وهل هذا حل؟! الولد في سن النضوج .. وأخشى أن أزوجه ، فيفضحني مع أهل البنت

– أنا اعتبرته كأخ وشقيق .. ليس ابن زوج .. متى

سنرى الطبيبة؟
- هل من شيء؟ وأشار لبطنها
- أعتقد ذلك .. فدم الحيض لم يخرج
أظهر الدكتور فرحه وقال : رائع رائع يا أميرة ! هذا هو الحل المنتظر .. عندما يعلم أن أخا له في الطريق سيكف عنك، رغم أنفه .. فهناك أخ جديد .. غداً سآخذك معي إلى المستشفى ، وادع الطبيبة النسائية تهتم بك ، وتعودين وحدك .. يا إلهي ما أعظم كرمك ! وسأعد العيادة سكنا لأيمن ، وأزوجه .. هذا الأسلم .. نوم الخارج مخيف يا أميرة .. يتعلم فيه الحشيش والفواحش
أخبر راشد ابنه أنه قرر أن يزوجه ؛ ليضع حدا للمشاكل بينه وبين امرأة أبيه ؛ لأنها كلما يعود من العمل يجدها تبكي من طول لسانه وتجريحه لها ، فقال أيمن متظاهرا بأنه غير منتبه لحجج واتهامات زوج أبيه : والمدرسة!
- تتزوج وأنت في المدرسة ، سأتحمل الإنفاق عليك أنت وزوجك ، حتى تتيسر أمورك ، وستكون العيادة سكنك ، سأعاود استئجارها .. النوم في خارج البيت مقدمة للانحراف وبداية الغرق
- عندما يضيق البيت على صاحبه أين ينام ؟! لا أستطيع استئجار شقة
- أنا أعجب كيف يتحملون نومك عندهم ؟!
قال بغير مبالاة : نحن نسهر إلى ساعة متأخرة من الليل .. ونتظاهر بالكسل من العودة إلى البيت فننام على الكراسي
- هل تعرف فتاة معينة عينك عليها كزوجة ؟
ضحك أيمن ثوان معدودة وقال: عرفت الكثير من بنات الشوارع والحي ، فلا واحدة تصلح زوجة
- يعني هذا الكلام أنه لا يوجد فتاة في حياتك تستحق أن تكون زوجتك
- أجل لا توجد ، هؤلاء البنات تجد الواحدة منهن أكثر من حبيب .. تسلية هواية على رأي بعضهن .. بنت الحاج أبي يوسف عندها بنات جميلات
قال راشد باسما : أكيد حاولت اصطياد واحدة منهن ، ولم تنجح
- هؤلاء بنات أكابر .. مربيات ، لا يفعلن مثل الكثير من صبايا الحي .. تربية صحيحة .. لقد همت في واحدة منهن ، وطاردتها فترة دون فائدة ؛ كأنني أخاطب حائطا
- في أي صف هذه البنت؟
- كانت معنا في الأول الثانوي فهي اليوم توجيهي مثلنا
- لها مثل سنك .. هذه لا تنفع لك زوجة
- لكنها حلوة ملاك
- اسمع .. أبو يوسف وعائلته وأحفاده لا

يزوجون مثلنا .. قصدي مثلك دون تعليم .. فأبو يوسف هذا كل أولاده تعلموا في المعاهد والجامعات .. وأعتقد أنهم لا يزوجوهنّ قبل الجامعة أو على الأقل المعهد ، وإلا الرجل عزّ النسب

فزعم أيمن قائلا : فكرت في هذا تلك الأيام .. هؤلاء يحبون العلم .. هكذا يقول فتيان الحي وكذلك أبناء شقيقه أبي نوح

– أبو نوح أبناؤه أقل تعليما .. هل عنده بنات؟

– لست أدري يا أبي .. أتذكر غريبا ؟ الموظف الذي كان في العيادة الشعبية ، ونقل بعد فضيحة العيادة المدوية .. الموظف المنفي كما يقول عنه شباب الحي

– ماله؟!

– عنده بنت جميلة

– كيف عرفتها؟!

ضحك أيمن وقال: يا أبي هذا حي منفتح .. القصص كل ساعة كل دقيقة .. وماذا يتحدث الفتيان والتلاميذ؟! .. ألا تسمع كل يوم فضيحة وقصة ؟ .. أنت اجلس في مقهى مهران مقهى عزب أسبوعا من الزمن ستعرف الكثير من قصص بنات ونساء الحي

– بنت غريب كيف عرفتها؟

عاد الضحك وقال: أتذكر أيام ما أشاع عنك قصة قتل أمي بطريق خبيثة شيطانية ؟ سمعت اسمه يتردد في تلك القصة .. فتعرفت على ابنته أو تعرضت لها على الأصح ..وهي جيدة إذا قبل بي .. تعرفت عليها مجرد معرفة دون مقابلات ، لقد صدتني وسخرت مني ..وماذا بعد الحب يا سيد أيمن؟!

– أكنت تريد الانتقام منها أم من أبيها؟!

– لا منها ، ولا من أبيها ، قالت ما قلت لك .. وزادت البيوت لها أبواب .. فعرفت أنها مؤدبة رغم فساد والدها ، ونفيه من العيادة بفضيحة مدوية

– هذا لا يهم .. سأتحدث مع الحاج سلمان صديقنا في شأن بنت غريب .. وبما أن خير البر عاجله فلنذهب إلى المقهى ، ونتحدث مع سلمان

– هل أذهب معك؟

– نعم ، سأشتري بعض الأغراض ؛ لتعود بها للبيت ، وتتصالح مع زوج أبيك.. وسنمر على مالك العمارة ، ونأخذ مفتاح الشقة ، فما زالت كما تركتها ، وبعد تصالحك مع أميرة انقل سريرك إليها ، واستعد للزواج .. فبمجرد خطبة الفتاة .. نبدأ بتجهيزها للزواج ، وتحويلها لشقة سكن كما كانت قبل أن تصبح عيادة

عانق أيمن والده وقال مغتبطا سعيدا : هذا أحسن حل لإنهاء المشاكل مع أم ... ماذا ستنجب لك ؟

- الله أعلم !

السعي في زواج

استأذن سلمان من الرفاق في حديث خاص مع الدكتور راشد ، ومشيا إلى إحدى الموائد الخالية في مقهى مهران ، وقال: حاضر يا دكتور

- أعتذر .. دائماً أشغلك معي ، وأزعجك بمشاكلي ، وأنت والحق يقال نعم الأخ والصديق وأكثر من أخ منذ وقعت قدماي على أرض أبو خروف

وتحدث معه عن مشاكل أيمن مع امرأته حتى وصل لقرار تزويجه والشروع فيه

قال سلمان مشجعا : هذا حل طيب حتى لا تخسر زوجتك ، ولن تعجز عن صحن طبيخ زيادة للولد والبنت .. أنا حقيقة زارني أبو كسوة لأتدخل في البحث عن حل لمشكلة أيمن وأميرة ابنته وامرأتك .. فقلت له : فلتصبر .. الدكتور رجل فهمان ، فسوف يوفق إلى حل .. وها أنت عند حسن ظني بك يا دكتور .. أنت تريد مساعدتي في زواج أيمن فحدثه عن بنت ابنته ابنة الدكتور زكي عودة ـ دكتور جامعة ـ فقال سلمان مفكرا : لك كل الاحترام يا دكتور .. لا أظن أن والدها الدكتور زكي يهمه زواجها اليوم .. فهو مثلي يحب تعليم الجميع .. وهو قريب لنا .. نحن عندنا التعليم أولا .. وأمها دكتورة جامعة مثل زوجها .. التعليم قبل كل شيء ؛ ولكن لأنك عزيز عليّ سأخبر بنتي وزوجها بهذا العرض ، وأجس نبضهم .. وأما ابنة غريب غريمك ـ كما نقل لي ـ فأنا مستعد للمشي في ذلك

- إذن امش لنا في زواج ابنة غريب .. فابني لا يستحق مصاهرتكم .. أقول وليس سرا ، هو له أموال باسمه ، ورثها عن أمه ؛ لكن لم أحدثه عنها حتى يصبح رجلا بمعنى الكلمة .. ونحن لنا أملاك كثيرة في البلدة .. ولسوف نتصالح مع الأهل ، وإن طال الزمن .. عندما يذهب الجيل الذي شهد الحادث ستخف حدة الحقد .. والولد من يوم ما شرحت له قصة موت أمه تغير نحوي .. أفكار المراهقين .. فهو يعاني كما قلت لك مرارا من عقدة الحرمان من الأم ، وإنني حرمته منها ومن عاطفتها وحنانها .. وأنا لكزتها بقوة لشدة الغضب الذي ألم بي ساعتها .. فخبط رأسها بالخزانة بقوة ، وضرب رأسها بزاوية الخزانة ..وأنت تعرف الغضب لما يتلبس الإنسان يفقد الصواب .. فوقعت على الأرض حتى حضرت سيارة ، ونقلتها للمشفى .. كانت فقدت الكثير من الدم ـ قدر الله ، وما شاء فعل ـ فعليّ أن أتحمله حتى يصير رجلا مثل الناس وتحملت كل هذه السنوات ؛ ليعلم كم ضحيت من أجله ، وحرمت نفسي من الزواج من أجله ولم يبق إلا القليل

ونفترق

لما توقف الدكتور ، ومسح دمعات سالت على خديه ، قال سلمان : على كل جد الفتاة ها هو – وأشار إليه– فهو مثلي من رواد هذا المقهى .. وبيننا مجاملات وملاطفات .. هل تحب أن نفاتحه بالموضوع ؟ ما هو اسم البنت؟

فأشار راشد لابنه القابع وحده ينظر إليهم من مقعده ، فجاء فسلم على الحاج سلمان ، وشد سلمان على يده قائلا: الزواج يحتاج إلى راجل وعصب قوي .. الزوجية مسؤولية .. والوالد يحبك .. ويريد أن يكفر عن خطأ خسرانه لأمك ، وحرمانك منها ، وحوادث السيارة كثيرة هذه الأيام .. وكله يعتبر خطأ .. والأخطاء تحصل في كل شؤون البشر ..وخير الخطائين التوابون ..كما قال النبي صلى الله عليه وسلم .. فوالدك لم يقتل أمك متعمدا .. ولو فعل ذلك ما خرج من سجن الحكومة ، أو شنقوه ..والمشاكل لا يخلو منها بيتا سعيدا

فقال أيمن بصوت ضعيف ولم يفهم مناسبة ذكرى أمه : أنا أحب والدي يا عم سلمان .. وهو يعلم ذلك .. وأعلم أن القضاء والقدر هو اختار أمي .. وأنا لا أتعمد المشاكل مع زوجته ، فهي كأمي .. والإنسان يتشاجر مع أمه ؛ ولكنهما يتصالحان بسرعة .. ويبدو أن تقارب سنّينا يجعلني لا أشعر أنها بمقام الأم .. الأم أكبر عادة بأكثر من عشر سنوات عن الابن الأول .. وأنا أشكر أبي أمامك على تفهمه .. ويطمئن أبي بأني لم أشرب الخمر أبدا ، أو زنيت أبدا ، أو تعاطيت المخدرات أبدا

قال راشد مؤكدا ثقته به: أنا واثق من ذلك يا أيمن .. على كل تحدثت مع عمك سلمان بالتفصيل واتفقنا أن نخطب لك ابنة غريب التي أثارت إعجابك في يوم من الأيام ، رغم أنه غريمنا السابق لتثق أنني لا أعادي أحدا ، وهذا– وأشار لجد الفتاة– جدها .. وسنتكلم معه الآن بالموضوع ..ما اسم الفتاة ؟

– حسب علمي وردة ، إن لم أخطئ تركهم سلمان يشربون الشاي ، ويدخنون ، وانتقل لوالد غريب ، وطلب الحديث معه في أمر خاص ، فاستأذن العجوز من رفاقه ، وقال: خير يا سلمان

سحبه إلى مكان خال في المقهى أو بعيد عن آذان الفضوليين ، وشرح له حكاية راشد وابنه ، ورغبته بتزويج ابنه ، فقال العجوز: نحن نصاهر راشدا .. أليس هو الذي قتل زوجته؟! كما شاع في الحي

– هذا قتل خطأ .. والسيارات كل يوم تقتل الناس .. فهل يسمى هؤلاء قتلة ؟ .. عمرك ما ضربت الحاجة أم غريب ودفعتها ، بل سمعنا كثيرا عن مشاجراتكم

حك رأسه : معك حق سأشاور ابني

ونادى سلمان الدكتور وابنه للتعارف مع والد غريب السيد باسل .



تحدث الشيخ باسل مع ولده غريب عن رغبة الدكتور راشد بتزويج ابنه من ابنته وردة ، لقد رآها في طريقها للمدرسة ، وأعجب بها ، ويرغب بالدخول من الباب ، وقد حدث والده عنها وسمع غريب القصة من أبيه كما رواها سلمان ، فطلب غريب مهلة بضعة أيام يرتب فيها أفكاره فقال الأب: الرجل مستعجل على زواج ابنه ، يخشى عليه الانحراف ، لأنه بدأ يهرب من البيت وينام عند فلان وعلان ، ويفتعل المشاكل مع امرأة أبيه بنت أبي كسوة

وكان سلمان بعد انصراف الدكتور وولده من المقهى ، جلس ثانية مع السيد باسل ، وشرح له قصة الزواج وسببها في مثل هذه السن المبكرة ، وقبل إنهاء الثانوية عامة ، وشرح باسل ما فهمه من سلمان لولده غريب ، فأعجب غريب بالدكتور ، وعلق : هذا الدكتور فهمان .. أتصلح زوجة يا أبي ؟ زواج الصغيرات انتهى قديما

– كيف انتهى يا ولدي ؟!.. فهو زواج شائع لليوم في أبو خروف .. ابنتك عمرها سبع عشرة سنة .. ألم تحيض؟

– تحيض من سنوات

– أمك دخلت بها وعمرها ثلاث عشرة سنة .. والحيض بلوغ الأنثى .. والدكتور سيتحمل إيجار الدار ـ وهي العيادة التي هجرها ـ ومصروفات البيت حتى يستقل الشاب بحياته بعد الثانوية العامة ، إذا لم ينجح فيها ، ويدخل الجامعة

قال غريب بتردد : أمر محير هذا الدكتور! لقد كان متعاونا معنا مقابل الزبائن

– كان معكم!

– وعجز عن دفع ثلاثة شهور لنا بحجة قلة الزبائن

قال الشيخ باسل : دعنا من هذه القصة ..حسب كلام سلمان فإن الرجل غني ، ولا يعتمد على العيادة ، وهو يشتغل في مستشفى خاص

– أعرف

– وهو يسعى للعمل مع الحكومة كما قال سلمان .. اسمع إذا البنت راغبة في إكمال الدراسة فلننسَ الموضوع

قال غريب بعد سكون : هو كيف عرف الفتاة؟!

– سألت سلمان عن ذلك .. فقال بكل صراحة : الشاب عاكسها ، وهي في طريق المدرسة ، فقالت له : إن الناس تأتي من الأبواب ، فلما سأله والده عن فتاة يرغب فيها ، فتذكر كلامها وصارح أباه بكلمات البنت .. وهذا في رأيي كلام يدل على

رغبة البنت بالزواج ؛ ولكن قد يكون الموقف المزعج تطلب أن تقول له ذلك ليبتعد عنها

– وهذا الرجل منذ جاء هنا ـ كما نعلم ـ لا أهل ولا أسرة .. ويوم تزوج ابنة بياع الهريسة لم يكن أحد من أهله معه

تنهد باسل وأجاب قائلا : يا ابني ما هو منفي من بلده ؛ بسبب قتله لامرأته ، ولو بالخطأ ، حتى أيمن هذا قضى سنوات سجن أبيه في الملجأ ، حتى خرج الأب من السجن ، واسترده ، فالمرأة المقتولة ابنة عمه

– أعرف هذا .. غداً عندما أرجع من العمل أكون قد فكرت .. فهذا الدكتور هو سبب نقلي يا أبي.. هو الذي أمد الصحافة بالمعلومات

– أنت البادي .. أعرف حكايتك مع أبي كسوة

– من قال لك ذلك؟

– الناس تعرف كل شيء .. الأخبار انتشرت وانكشفت .. والكل يدافع عن نفسه

– هل أزوج ابنتي من ابن الذي نصب عليّ بتسعين دينارا ؟!.. حتى أن الشركاء اتهموني بالتواطؤ مع الدكتور ، لولا أنني أخذت أحدهم وقابل الدكتور ، وأعلمه أنه لم يدفع لغريب فلسا واحدا .. موقف شجاع لا أنكر هذا ؛ ولكن هل نتصاهر ونتناسب ؟

تبسم باسل وقال : هكذا الدنيا .. العدو يصبح صديقا ، والصديق يصبح عدوا {١}.. فكر وتشاور مع الأم والبنت .. أنا لا أحب إفشال شفاعة الحاج سلمان أبي يوسف .. فهو رجل محترم ويصلح بين الناس، ويزوج الناس ، وهو الذي سعى بين الدكتور وأبي كسوة .. وقام مع الدكتور خير قيام .. هكذا الأخوة والجيرة يا أبا باسل .. وراشد لم يعمل معكم طمعا بالمال ؛ بل رغبة بمزيد من الزبائن .. فالأم تجلب البنت والأخت .. ولم يتخل عنكم طمعا بالمال ؛ إنما لاحظ أن الدكتور الجديد أخذ أغلب مرضاه فانسحب .. شاور إخوتك وأمك سيدة البيت .. والتوفيق بيد الله .. وأمر الله الحكم الفصل .

{١} عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ قَالَ: أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا . صحيح سنن الترمذي

يوم الجمعة

كان الدكتور قد اغتسل استعدادا لصلاة الجمعة ، فغسل الجمعة واجب على كل محتلم ، ولبس ملابس الخروج ، وكان قد تلقى هاتفا قبل ساعة من سلمان يطلب منه انتظاره ، لأنه سيمر عليه ويرافقه للجامع الملاصق للمقهى، وينقل له رد غريب باسل على طلب يد ابنته

جلس يشرب القهوة مع زوجته الشابة أميرة ، وكان أيمن يرقد في فراشه في الشقة الأخرى ، فقد ذهب يوقظه للإفطار معهم ، فاعتذر واعتذر عن الذهاب إلى الجامع ، كان الدكتور يأخذه معه كل جمعة إلى صلاة الجمعة بالترهيب والترغيب ؛ ولكنه لما انتقل للمدرسة الثانوية ، لم يعد يجبره على الصلاة ، فكان أحيانا يذهب ، وأحيانا أكثر لا يذهب ، ثم بعد الصلاة يأكلان في أحد مطاعم أبو خروف ، وإن لم يصحبه للصلاة أو يلحق به للغداء بعدها ، يشتري له وجبة جاهزة يتناولها الفتى في البيت .. فالدكتور رغم ممارسته شعيرة الصلاة ، فلم يكن يحافظ على صلاة الجماعة ، إنما يصليها بشكل متقطع ، وحتى الصيام كان يفطر بعض الأيام بسبب التعب والسقم ، ولا يعيده ، ربما أعاد بعضا منه .. فميزان الحلال والحرام مختل عنده ؛ ولكنه يصلي وما كاد ينتهي من شرب القهوة حتى سمع جرس الباب ، فودع الزوجة ، وفتح الباب ، ورحب بسلمان ، وعرض عليه شرب القهوة ، فوافق ودخل البيت ، وذهبت المرأة مسرعة إلى المطبخ ، وعادت بفنجان قهوة للسيد ، فتناوله منها شاكرا وبارك لها الحمل ، فشكرته ودعت له ولأم يوسف ، ولما شربها خرجا إلى الجامع ، وخلال قطع المسافة سيرا على الأقدام جرى الحديث حول زواج أيمن.

فقال سلمان :أبو البنت متردد ، ويرى أنهما صغيران على الزواج ، ويخشى فشلهما في الحياة الزوجية ، يريد ضمانات

– ضمانات لم افهم !

رجع سلمان يقول عن الضمانات : سألت الحاج أبا باسل عن هذه الضمانات ، فقال : رفع المهر المؤخر إلى ثلاث آلاف ، والأثاث إلى ألف

– والمقدم كم ؟

– قال المقدم كعادة الناس من سبعمائة وخمسين إلى ألف وأكثر

– بسيطة .. وهل المال يمنع الطلاق يا حاج سلمان؟

– يحد من الطلاق السريع المتعجل ، أما الإنسان إذا أراد الطلاق ، فسيطلق ، ولو كان عليه مليون .. هذه هي الضمانات

– البنت موافقة على الزواج من ابني

– البنت لا مانع لديها من الزواج بأيمن أو غير أيمن .. وهي مستعدة ـ كما قال جدها ـ لترك المدرسة عند كتابة العقد الشرعي .. فالبنات بشكل عام ملهوفات على الزواج ؛ لذلك يتزوجن قبل العشرين إلا الراغبات في التعليم والمعاهد والجامعات والعمل .. وإذا قبلت بهذه الضمانات سنسعى لإتمام المشروع

قال راشد : أنا بالنسبة لي غير مهم المال ؛ لكن

الحياة الزوجية ليست هينة يا حاج سلمان .. فقبول هذه الضمانات قد يسبب المشاكل في المستقبل .. إذا لم ينسجم الشابان في تلك الحياة .. فالولد سيصعب عليه التخلص من المتأخر .. والبنت يصعب عليها التنازل

– أنا حاولت أن نقف عند عادات أبو خروف نصف ألف نصف ألف نصف ألف ، أو أقل من ذلك ؛ لكنّ الحاج باسلا طلب مني مشاورتك ؛ ولعله يتحدث مع ابنه في إلغائها ، هم يرون صغر الشاب مشكلة ، ويعرفون عصبيته وعنفه ، ويخشون من الطلاق السريع ، فهم يرون ما هو ملزم به من متأخر مرتفع حاجزا عن فشل الزواج .. إذا لم يرتح مع امرأته يصبر ويتحمل حتى يكبر الاثنان ، وينضجان أكثر ، ويستقلان عنك استقلالا تاما .. فهم سيعتمدون عليك حتى إنهاء الثانوية العامة والعمل

– أنا يا سيدي أريد تزويجه لتستقر حياتي الزوجية أولا .. فالشاب لم ينسجم مع امرأة أبيه وأنا لا أحب نومه في دور الشباب بحجة السهر واللعب والمراجعة .. وأخشى من وقوعه في الفواحش السكر والعربدة .. أنت ترى كيف تضغط المفاسد على الشباب اليوم ؟ وتقليد أبطال السينما ليس سهلا التخلص منه مع أنه وهم وخيال ؛ لكن الشباب مهووسون بالأفلام .. وكلها حب وغرام وسكر .. لا أستطيع منعه من السهر ومشاهدة هذه الأفلام .. على ماذا يتفرج الشبان ؟! أفلام كلها حب وغرام ومجون .. أدوات الهدم كثيرة يا حاج سلمان .. الشاب ليس له تعلق بالدراسة مثل أبيه .. مثلي .. يزحف زحفا بطيئا في المدرسة

وصلا الجامع ، ودخلا المسجد ، وصليا تحية المسجد ، وتناول كل منهما مصحفا لقراءة سورة الكهف في هذا اليوم المبارك ، وهو خير يوم طلعت فيه الشمس



كان ظهر يوم الجمعة ملتقى لأهل الحي بعد الصلاة ، حيث يتجمع الناس أمام المسجد ، يصافحون بعضهم بعضا ، خاصة الذين لا يرون أنفسهم إلا يوم الجمعة ، فتجد هذا يصافح هذا ، وذاك يعانق ذاك ، ويسأل عن صحته، وآخر أخباره

ولما خرج سلمان ورفيقه راشد حيث تجاورا في الصلاة والصف ، ودعيا لبعضهما بالقبول ، قال راشد: شكرًا لك يا حاج سلمان ، سأفكر بهذه الضمانات ، وأمر عليك في هذا المقهى .. أنت دوامك فيه يبدأ بعد صلاة العصر حسب ما أعرف

– اليوم عندي زيارة ـ إن شاء الله ـ للمستشفى

بعد الغداء.. إذا مررت بعد المغرب ، فالغالب أكون فيه .. قد تجدني وإلا غداً ..ها هو أيمن هنا

ناداه أبوه ـ حيث أشار الحاج ـ فاقترب منهم مسلما ، وتمنى لهم قبول جمعتهم ، فقال أبوه: أصليت؟

– لا

– وإلا لماذا جئت؟!

– هناك خبر

– خبر !

– عند الصلاة ، عند الأذان .. قصدي اتصل أحدهم بزوجتك بنت أبي كسوة

قال راشد كأنه محتج : أرأيت يا عم سلمان ؟! يقول بنت أبي كسوة ؛ كأنه يريد تذكيري بمن نكحت .. آ .. من الذي اتصل ؟

– اتصل أحدهم بها مخبرا بوفاة أبيك

هتف الطبيب بدهشة: أوه! مات أخيرا مات !

وجلس جلسة القرفصاء ، وقال من جديد: أخيرا مات جدك يا أيمن!

فقال سلمان مستغربا: ما بك يا رجل ؟ أنت مذهول!

عاود القيام ، فقال سلمان: أكان والدك حيا يا راشد؟!

هز رأسه بالإيجاب فقال سلمان: عظم الله أجرك وتقدم معانقا لليمين والشمال ، وتحول إلى أيمن معزيا ، ثم عانق أيمن أباه معزيا بوفاة جده الذي لا يعرفه ؛ ولكنه رأى صوره في خزانة أبيه في إحدى الحقائب الصغيرة ، فقال وما زال الاضطراب باديا عليه : صحيح الخبر يا أيمن!

– جاءت امرأتك .. تطرق وتصيح الحق أباك وقل له هذا الخبر

قال سلمان: يبدو أن لك قصة مؤلمة مع أبيك

تطلع في عينيه وقال: هو سبب طردي من البلد يا حاج سلمان .. لما صار الحادث أقسم أن لا أبقى في المدينة ولا في قراها .. وقال: قتلتها بالعمد يا راشد ؛ لأننا زوجنكاها غصبا عنك . وهي ابنة أخيه بنت عمي .. فبعد أن أخذتني الشرطة أرسل لي هذا القسم .. ورموا ابني هذا .. ابنهم في الملجأ .. رفضوا رعايته حتى أخرج .. ولما قضيت مدة السجن ثلاث سنوات جئت إلى العاصمة دار السلام .. وكان معي سجين من حي أبو خروف ، حدثني كثيرا عن هذا الحي فسعيت للحياة فيه ..سكنت فندقا شعبيا حتى استأجرت بيتا في أبو خروف ، ثم استأجرت الشقة الثانية للعيادة ، ثم أخرجت هذا الولد من الملجأ ، وكان ابن ثلاث سنوات .. ومشت الحياة .. وها هو اليوم يموت هذا الأب ، الذي لم يصدق أن موتها كان قضاء وقدرا وخطأ .. وفعل ذلك لإرضاء عمي والد البنت وأبناء عمي ، الذين كانوا يعتقدون أني

فعلت ذلك عمدا أنا الذي لم أذبح في حياتي دجاجة أو أرنبا أذبح إنسانا .. وهذا الإنسان زوجتي .. آه .. هيا نعود للبيت .. اذهب يا أيمن للمطعم .. وابتاع لنا طعاما .. ما رأيك أن تتغذى معنا يا أبا يوسف

– شكرا ، مع السلامة ، نلتقي الليلة أو غداً أم ستسافر للمشاركة في دفن الوالد

قال بغصة: لن أسافر سيقتلونني لو فعلت ذلك ، رغم كل هذه السنوات .. فهذه أول مرة يتصلون بي .. فأمي ماتت وأنا في السجن .. وتزوج أبي بعد موتها .. هذه حياتنا .. مع السلامة السلام عليكم يا حاج سلمان .. لا أدري لماذا اتصلوا بي ؟!.. سأعرف التفاصيل من المرأة .. خذ هذه الدنانير العشرة ، واشتر لنا طعاما.

لما دخل البيت عزته زوجه بوفاة والده ،وقالت شارحة: اتصل أحدهم وأخبر أنه شقيق لك دون ذكر اسم ، وبعد صمت نقل لي خبر وفاة والدك ـ رحمه الله ـ وأخبر إذا أحببت حضور جنازته سيشيع ظهر السبت ، وعمك يسمح لك بحضور الجنازة ، وطلب مني نقل تحياته لك وأغلق الخط ، فمشيت لأيمن ونقلت له الخبر ، ليذهب ويخبرك به على وجه العجلة

– نعم ، أتى وأخبرني ، وأرسلته لإحضار الغداء كالعادة التي تعودت عليها قبل الزواج

– هل ستسافر إليهم ؟

– بعد ثماني عشرة سنة كيف أسافر إليهم ؟!.. أبي لم يزرني مرة واحدة في السجن.. أبي ضرب أمي لما علم أنها زارتني في السجن .. ومرضت على أثرها ، ثم هلكت ..طابت الحياة هنا .. وعندما نزوج الولد ، ونخلص منه نفرغ لبعضنا ، وقد وافقت الحكومة على عملي معهم كطبيب بعقد سنوي لكبر سني . وحدثها عن شروط أهل وردة ، فقالت : ماذا قلت في ذلك؟ إنه مرتفع جداً ، ولو أنها ابنة وزير .. وقد لا ينسجم الاثنان

– هم يخشون ذلك أن يحصل الطلاق قبل نضوج الشاب ومعرفته لأسرار الحياة الزوجية

– تشاور معه وتناقش معه

طرق الباب ، فقامت تفتحه ، ودخل أيمن يحمل الطعام الجاهز في أكياس ، وأخذته منه للمطبخ فقال أبوه: ما أحضرت لنا يا أيمن؟

– وهل عندهم إلا الدجاج المشوي ؟ لكني أحضرت معه أرز ، وسلطات مختلفة

ثم مشوا إلى المطبخ حيث أعدت مائدة الطعام ، وأثناء الطعام شجعته على السفر والمشاركة في الدفن والعزاء إذا أمكن ، وبينما هم يأكلون رن الهاتف ، فقال أيمن: اجلسي يا امرأة أنا سأرد

فقال أبوه: لم تقل هذه المرة يا بنت أبي كسوة . وضحك

ولما عاد أيمن من عند التلفون قال : إنهم يريدونك يا أبي .. أحد الأقارب سمعته يقول : قل له عمك عبد السلام

نهض الدكتور وهو يقول: الحمد لله شبعت يا أميرة ..هذا أبو أمك يا ولد

تناول السماعة وقال : نعم ، السلام عليكم أهلا بالعم عبد السلام ـ عظم الله أجر الجميع ـ قضاء الله

واستمع واستمع ، ثم قال : حاضر يا عمي الليلة ـ إن شاء الله ـ أكون في القرية .. أنا أقدر يمينك ومكالمتك .

وعاد للمطبخ فرحا ، وقال : يبدو أننا سنترك أبو خروف يا سيدة أميرة ويا سيد أيمن !!

تمت الحكاية الثالثة

رهاب الطلاق

اختفاء أبي

قال طارق : صديقنا حمزة قصته مؤلمة أكثر منا ، وهو ضابط شرطة فاطلع على الكثير من تفاصيلها في ملفات الشرطة والادعاء العام.

قال عزيز : تابعت بعض فصولها في صفحات الحوادث في الجرائد قبل التعرف عليك.

تنحنح الرائد حمزة وقال : نعم ، الطلاق مأساة فعلا ، وسبب خطير لانحراف ضحاياه انحراف الأبناء ، وانحراف الزوجة ، وحتى الزوج .. قصتي بدأت وأنا طفل مثل صديقي المحامي طارق ولدت أمي فاطمة أبنائها الخمسة في حي البطن ، كان آخرهم حمزة عندما طلقها زوجها حسام براهم ، فاضطرت للرحيل إلى حي أبي حية في دار السلام ، فقد دبر لها شقيقها مالك بيتا فيه ، فهو من سكانه، ولما طلقت فاطمة زكريا لم تكن تملك من المال إلا مؤخر صداقها ، وكان عمر حمزة يومئذ خمس سنوات ، ولم يستطع أهلها تقديم الكثير لفقرهم وقلة المال بين أيديهم ، فاضطرت أن تعمل في بيوت الأغنياء كشغالة وخادمة في أبي حية وخارج أبي حية ؛ لأنها لما طلقت كان عمر ابنتها الكبرى سهيلة ابنة ثلاثة عشر عاما ، وهي طالبة في المرحلة الإعدادية وكان السيد الوالد كف عن النفقة على أولاده نسي أنه أب لخمسة آدميين .. وفي عام ١٩٨٠ في هذا العام سيتخرج ابن فاطمة الصغير حمزة من كلية الشرطة كضابط ، وهو الابن الوحيد الذي استطاع اجتياز المرحلة الثانوية بنجاح ، واستطاعت والدته بحكم عملها كعاملة فترة من الزمن في بيت وقصر وزير داخلية أن تتمكن من إدخاله كلية الشرطة ، فلما لجأت إلى الوزير المتقاعد شفع وتوسط له في كلية الشرطة ، وقبل فيها بعد اجتياز الاختبارات والفحوصات اللازمة ، وها هو هذا العام على وشك التخرج.

ولم يوفق ابن فاطمة إياد من إكمال الدراسة وعمل

في مهنة الحدادة ، وأما بناتها فقد زوجتهن قبل إنهائهن الثانوية ، كان زواج البنات في ذلك الزمن سهلا ، يتزوجن دون بلوغهن العشرين خاصة اللواتي لا يرغبن بالدراسات العليا ، ويرين تكوين أسرة أفضل من الوظيفة والشهادة ، في سنة ثمانين قد بلغت الكبرى حوالي ثلاثين سنة ، ولديها أربعة أطفال ، وكانت قد تزوجت وهي ابنة خمس عشرة سنة ، وبعدها بثلاث سنوات تزوجت سالمة التي سميت على اسم والدة أبيها حسام براهم ، ثم تبعتها سلوى ، وواحدة منهن أخذها ابن خالها ، وما زالت تسكن في الحي ، أما إياد عندما بدأت الحكاية فقد بلغ الرابعة والعشرين ، ولم يتمكن من الزواج بعد .. عشرات مئات من البنات تطلق وترمل في الدنيا وهذا شأن يومي؛ لكن الذي جعل قصة هذه المرأة حكاية تكتب ، الأحداث التي ستقرأها في سطور هذه القصة.

حسام براهم تعرف على والد فاطمة السيد زكريا ؛ حيث كان يعمل مناديا للركاب والمسافرين إلى البلاد المجاورة في سيارات التاكسي ، ويعمل فراشا في مكتب السفريات الخارجية في مجمع كبير في المدينة لنقل الركاب ، ومن خلال عمله تعرف على فاطمة وأبيها وقبله الأخير زوجا لابنته بعد قبولها ، وكان ذلك في مطلع الخمسينات . ولما خلفت الخمسة جرى طلاقها ؛ لأن حضرة الزوج تعرف على أنثى شابة تاجرة تكثر من السفر لخارج البلد لشراء الثياب بسعر زهيد وبيعها في محلها، أغرته بالزواج منها ، ووقع وسقط في غرامها وهواها ، وقبلت الاقتران به اذا طلق امرأته ، وامرأته فاطمة قبلت أن تعيش ضرة على أن تبقى على ذمته ، ولم تنفع الشفاعات والواسطات لرده لعقله ، وحتى أن تعيش على ذمته وبجواره، ورفضت تلك المرأة حلوة بكر تلك الفكرة إلا طلاقها ، وأن يبقى لها وحدها ، والرجل كان مفتونا بجمالها وبقبولها له ، وحصل الطلاق وخرجت من بيت حسام ورحلت إلى أبي حية وسكنت فيه بجوار شقيقها مالك ، واضطرت للعمل في البيوت لتقوت نفسها وعيالها الخمسة ..

قد عرفتم سبب طلاق فاطمة أم إياد ورحيلها لحي آخر ، والذي طور القصة عن المعتاد هو سكن الزوج في أبي حية بعد حين ، وشفع بعض أزواج بناته ، وبعض رجال الحي بالشفاعة له عند مطلقته للزواج من جديد ، وأنه مستعد لطلاق حلوة بكر ، ورفضت فاطمة العودة والزواج ، وأنها رفضت الزواج بعد طلاقها وله سنتان يحاول ويوسط دون فائدة ، وأعلمت المرأة الوسطاء بعدم حاجتها لرجل وزوج ، وأخبرت أنها لن تنسى أيام الطرد والبهدلة ، وتخليه عن النفقة على ذريته كل هذه السنين ، فله سنتان يتوسل ويشفع الناس ، وهذا

دفع للتشاجر مع ابنه إياد، وطلبه منه الرحيل عن الحي، وأخبر امرأته عن حياة زوجها في أبي حية ورغبته بمصالحة امرأته المطلقة ورغبته بطلاقها، فجاءت المرأة للحي وبهدلته أمام سكان الحي وأخذته لبيته في حي البطن قهرا ، وأغلقت الدار وأخذت المفاتيح ، ووعدت صاحب العقار بدفع الإيجار آخر الشهر .

وسبب هربه وسعيه للزواج من مطلقته فاطمة زكريا أنه عرف أن حلوة سيئة الأخلاق وشكا له بعض جيرانه من تردد بعض الغرباء عليها أثناء عمله.. حلوة كانت مطلقة قبل زواجها من حسام ، وطلقت لأنها لا تلد ، وطمعت بالزواج منه لتلد ، وقد أنجبت فاطمة منه خمسة ، وظلت تتردد على أطباء النساء والعقم خمس سنوات دون أمل في الحمل ، وحملت حساما لعدد من الفحوص ، وتبين لها أن لا مشاكل عنده ، ولكنها لا تقتنع بذلك ، واتهمته بالعجز والضعف ، وبدأت تنحرف وتتواعد مع الزناة حتى فاحت رائحتها في الحي ، وعلم الزوج بخياناتها ، ونشبت المشاجرات باستمرار ، ويترك البيت بالأيام والأسابيع ؛ حيث ينام في مكاتب الشركة ، ومرات في الفنادق الشعبية ، ثم استأجر شقة في أبي حية طمعا بالعودة لفاطمة وهربا من الحياة مع حلوة . ولما علمت بحياته في أبي حية ذهبت إليه ، وجرته لبيته الذي كتبه باسمه واسمها ، وقد تنازل عن نصفه لها ، ولما وصل الحي غافلها وهرب ، وذهب صباحا للمحكمة وطلقها غيابيا ، واختفى من الحي ولما بلغها طلاقه ، ما عادت تبحث عنه ، وأن عليها الذهاب للقاضي ؛ ليحدث بينهما الطلاق القانوني بعد الشرعي بعد أخذ حقها الشرعي من المتاع ومؤجل المهر .

****

غادر حمزة مكان ولادته وهو ابن خمس سنوات ، وتلقى سنوات تعليمه الأولى في حي أبي حية ولما تخرج أو نجح في الثانوية، بواسطة التحق بكلية الشرطة العربية ، ومنذ غادر طفلا لم ير والده ؛ إنما يسمع عنه القليل من الأخبار حتى تفاجأ من سنتين أن والده يسكن في الحي، وجاء ليعيد أمه إلى ذمته ، فصدم بل حذر أمه أن ترضخ لهذه الرغبة ، ولم ينجح حسام في مسعاه ، وخلال هذين العامين رفض الشاب اللقاء بأبيه والجلوس معه ، وشجع أخاه إيادا بكشف أمره لزوجته حلوة ، وفعلا كانت عند حسن ظنه ، فأقبلت وقلّت قيمته ،وجرته لحي البطن ، وتنفس حمزة الصعداء ؛ لأنه عندما كان يراه في شوارع الحي ينتقل لمكان آخر ، ويتعوذ من الشيطان ، وكان يكرهه للمعاناة التي عانتها الأسرة من طلاق أمه ، ومن عدم صرفه عليه ومن كثر لعانات أمه عليه ، خلال السابعة

عشرة سنة التي مضت لهم في الحي ، جاءت الأخبار لحمزة عن طلاق أبيه لحلوة طلاقا شرعيا ، وينتظرون الطلاق القانوني حسب تعاليم القانوني المدني من توثيق العقود الشرعية كالزواج والطلاق والوصايا والميراث .

كان من المتوقع أن يتخرج حمزة خريف هذا العام من الكلية كضابط شرطة ، ذات نهار طلب منه أحد المدرسين بالذهاب لمكتب عميد الجامعة الشرطية ، فدهش لهذا الطلب، وسمح له المحاضر بالخروج ، فزاد توتره ، وظن أن مكروها أو موتا أصاب أحد أفراد العائلة، دخل مكتب سكرتير العميد ، فلما رآه رحب به ، ودخل مكتب العميد يستأذن له، ثم أمره بالدخول فدخل وألقى السلام وأدى التحية العسكرية ، ولما أشار له العميد بالجلوس شاهد والده يجلس في الغرفة وبجواره رجل آخر ، فذهل وأصابه مغص وضيق.

قال العميد لما جلس الضابط له : مرحبا ملازم حمزة! أتعرف هذا الرجل ؟

رد وبدون أن ينظر إلى أبيه قال : نعم ، يقال هذا أبي.

قال : جاءنا يشكوك !

قال : يشكوني ،أنا لا أعرفه يا سيدي ! .. أنا من عشرين سنة لم أجالسه ، لقد طلق أمي وتخلى عنا وأنا ابن خمسة أعوام ، وهو يعلم كما شقيت أمي لتنفق علينا ، اشتغلت في البيوت ، ولم يرسل لنا مالا ولو أجرة البيت ملابس العيد مصروف .. بماذا يشكوني يا سيدي؟

قال : يزعم أنك اعتديت عليه ، ولا تساعده ماديا..

قال : هذه أول مرة يجمعني به مجلس منذ طردنا من بيته .. هذا يا سيدي الذي حاول ضربه شقيقي الأكبر ، ثم عرفت امرأته الثانية بهربه لحينا ، وجاءت وضربته أمام الناس، وأغلقت الدار ، وسلمت البيت لصاحب العقار ، وجرته معها ، وأسرتي لم تحضر المشاجرة؛ إنما سمعنا بها من الجيران ، ولدينا عشرات الشهود.

قال العميد لحسام : أسمعت ؟!

قال متلجلجا :أنا لم أقل ضربني بيده يا سيدي ! انهم وزوا امرأتي عليّ ، وعرفوها بيتي، وأنا جئت مع هذا السائق المحترم ؛ لتصلح بيني وبين أولادي.

قال العميد: هذا يا سيد مكان دراسة ، كان الأولى بك أن تذهب لمركز شرطة أو محكمة.

ضغط على جرس والتفت للضابط قائلا: اذهب إلى محاضرتك.

دخل السكرتير فقال له العميد : فليذهب الحارس بهذين الرجلين لباب الكلية وقال لحسام : الرجل الذي أرسلك إلى هنا جانبك الصواب وسخر

منك مع السلامة.

***

لما التقى حمزة بصديقه في الكلية نائل قال : أصحيح ما انتشر بين الطلاب عن مجيء أبيك المجهول لك منذ طلقت أمك كما أخبرتني يوما يشكوك للآمر للكلية؟!

قال باسما : نعم ، أرأيت الوقاحة يا صديقي ؟! بعد أن رمانا في الشارع جاء يتسول عندنا ، إنه خبيث

قال : إنه أبوك !

تنهد وقال : هذه المأساة يا نائل !

بعد ظهور السيد حسام في كلية الشرطة بأيام علمت الأسرة أن زوجة أبيهم رحلت لحي أبي حية ، واستأجرت نفس دار حسام زاعمة أنها تنتظر عودته ؛ لأن المحكمة أجلت النظر في طلاقها لاختفاء الزوج ، وعدم حضوره جلسة المحكمة ليبت في دعوته بالطلاق منها ، وأعلنت أنها أجرت بيتها.

فكان سلمان يتحدث مع إياد حسام في مقهى الحي قائلا : ولماذا جاءت لتسكن هنا وهي التي أخرجت زوجها غصبا منه ؟!

تنهد إياد بأسف وقال : الله يستر يا عم سلمان ، هذه المرأة سيئة ، أعرف عنها سوء الأخلاق قبل أن أعرف أنها زوجة أبي ، أنت تعلم أن أبي تزوجها بعد ما طلق أمي ، ورحلنا من حي البطن ولم نره منذ ذلك الزمن ، ولم يحاول أن يرانا وينفق علينا إلا لما زهق من فجورها ، وفاحت ريحتها بين الجيران ، وأنها تمارس الدعارة ، وسكن في حينا هذا.

فقال أبو مالك : لقد علمت قصتكم بالتفصيل منذ رحلت أمكم لهنا ، وخالك مالك صديق لي .. لا أحد يدري لماذا رحلت إلى هنا؟!

ـ نحن كشفنا أمر أبي لها لتأخذه إليها وإلى بيته ، فالبيت هو الذي امتلكه وصاحبه ؛ لكننا عرفنا من زوج أختي أنه تنازل عن نصفه لها لما تزوجها.

قال هازئا: قال وقع في حبها

ـ سمعنا هذا من أمي ومن خالي وجدنا الحاج زكريا ، لا أعلم ما هذا الحب !

ـ أمك أم صابرة ومجاهدة ، ربتكم بكدها وتعبها وصحتها .. المهم كونوا على حذر ، لم تختر هذا الحي منتظرة عودة أبيكم ..أبوكم لما سكن هنا كانت تظن أنه مسافر مهاجر كما زعم لها ، وهي غير مهتمة به وصدقت الزعم ..هي لها دكان ملابس في حي البطن .

قال : سمعنا يسمونه اليوم نوفتيه .

ـ صحيح ، والكلمة الفرنسية يا سيد إياد ! ويقصد بها محلا صغيرا يبيع ملابس متنوعة.. ألا أخبار عن أبيكم ؟

ـ منذ ذهب يشكونا في كلية الشرطة لم نعرف عنه

شيئا.
وقص مختصرا قصة كلية الشرطة ، استغرب سلمان هذه القصة وقال : الناس تشكوا في المخافر والمحاكم.
ـ هذا ما حدث وطرد شر طردة من مدير الكلية .
فقال سلمان : مجيء هذه المرأة إلى هذا الحي وراؤه أمر ما يا إياد احذروا القرب منها ..ألا تعلم مكان اختفاء أبيك ؟
هز رأسه نافيا معرفته بمكانه وقال : طوال سنوات مكثه هنا كانت تظن أنه مهاجر إلى أوروبا كما تخبر وكما شاع ، لما نقلنا لها خبر حياته في أبي حية دهشت.. وقبل أن أطرق بابها أخبرني صاحب بقالة قريب من بيتها أنها امرأة سيئة وفاجرة ظن أنني أحد زبائنها .
صاح سلمان : تمارس الدعارة في بيتها !
ـ هذا ما فهمته من البقال ..وأنا لم أقل لها أنا ابن من ؟ أخبرتها بسكن زوجها من الباب ، ولم ادخل
ـ نعم، أحسنت بهذا التصرف.
ـ لكن لما عرفت ذلك عنها ولما قابلت البقال وأنها امرأة أبي صدمت يا عم أبا مالك!
فقال : لماذا ؟!
قال : تذكرت أني دخلت الحي قبل سنوات وإلى ذلك المنزل .. كنت أعمل مع شاب يتردد عليها للبغاء والزنا ، وكان يحدثني عنها ويراودني لمرافقته إلى دار الخيانة ، فذهبت معه لتصليح خزان ماء مخروم في منزلها .. تخيل لو طاوعته في فجوره ، ثم اكتشفت أنها امرأة أبي لما طفح الكيل ومضايقته لأمي ولنا وللبنات !
قال: تزوج يا إياد ! فالزنا فاحشة ومقتا وساء سبيلا ، فأنت سمعتك ليست على ما يرام
قال بحزن : إنك تذكر لما عشت فترة في اليونان تعلمت الفجور ، ولا تنسى طلاق أمي وبؤسنا يا أبا مالك ، فوقعت في الشراب والبنات ..
ـ لكنك اليوم تعمل، وعليك بالزواج خذ بهذه النصيحة يا ولدي خلينا نسمع عن أخلاقك الحسنة.
فكان الشيخ سلمان كلما يصطدم بإياد في مقهى الحي يتحدث معه حول والده وزوجته التي تعيش في الحي فقال ذات مساء: ما بال امرأة أبيك تستقر هنا لتعيش في شقة أبيك المختفي ؟
ـ نحن مثلك مستغربون لقد علمنا أن أبي طلقها غيابا وهرب بعدما بهدلته كما تخبر قبل شهور مضت .
قال: ألم تطلقها المحكمة؟!
ـ بلى ، لا تطلق تماما حتى تقر باستلام حقها بالكامل بلقاء أمام القاضي وقيل إن الطلاق معلق قانونيا حتى يمتثلان أمام قاضي التطليق، أما لماذا

جاءت للحياة وفي نفس شقة أبي ؟! لا نعلم وهذ يحيرنا ولا اتصال بيننا .



قال بفضول : كيف تعرف عليها والدك ؟

قال إياد بعد ضحكة قصيرة : ذكرت لك قصة طرد أمنا المسكينة الفقيرة كان بسببها، أبي كان يعمل مناديا للركاب في السفريات الخارجية في شركة سفريات المحيط في منطقة غاية ومراسل أيضا في مكتب الشركة ، فتعرف على والد أمي وتزوج ابنته على سنة الله ورسوله ، وكان له بيت يملكه في بطن امتلكه قبل الزواج ، وعاشا بسعادة ، وولدتنا الخمسة في بطن ، كانت حلوة بياعة ، وتسافر لشراء ملابس داخلية خاصة بالنساء ، فعرفها من كثرة سفاريتها ويساعدها في التحميل والتنزيل ، فصار بينهم كلام ومعرفة ، وللسيدة محل بيع دكان ملابس كانت متزوجة عندما عرفها أبي حسام، فلما طلقت صار لها اهتمام أكثر بأبي ، ولها شريكة في الدكان ، وكان أبي يمازحها أثناء التحميل والتنزيل ، وتقدم له البقشيش بسخاء ، وقع في هواها واشتهاها ، لابد أنها أوقعته في غرامها ، وصدق أنها تحبه ، وهي غنية ، وتعمل ، وهي مطلقة، أقنعته بالزواج منها وشرطت عليه طلاق أمي ونصف الدار ، وصدق ونفذ شروطها وتزوجا وطردنا من بطن.

قال : كيف اقتنع بها؟

قال إياد : لما رأت لهفته نحوها ، قالت تتزوجني يا حسام ما دمت أنا حلوة في عينك أنا مطلقة من فترة.

قال : عندي امرأة وأولاد يا حلوة ! هذا تحدث به مع خالي مالك وهو يشفعه للزواج من أمي

قالت : أنا احلى منها وأنا معي مصاري وفلوس.

تكرر هذا العرض ، فوقع في شبكة المطلقة ، فطلق وطردنا حتى لم يقبل أن تعيش والدتي في الحي في بيت مستأجر ، رفض ، وأخذنا صاحبك الخال وعشنا وكبرنا هنا ، وتزعم للجيران بدخول الزناة على بيتها أنهم تجار تعقد معهم صفقات ملابس، وتبين للجيران أنها صفقات زنا .

قال : أمر مؤسف يا إياد !

قال إياد : مؤسف جدا ! ولما تقاعد تظاهر بالسفر لليونان وسافر إلينا رغبة بالعودة لأمي ورفضت بقوة ورفضنا ، فاضطررنا لفضحه ليخف عنا وعنها ، وطلق واختفى.

قال السيد بهزة رأس : سنعرف سر الرحيل.

قال إياد : نحن سنرحل من الحي اذا لم ترحل ،

سنرحل بعد تخرج حمزة ، نحن نحب السلام

قال: كما نصحتك دائما تزوج ودعك من الهمالة والشراب ريحتك ظاهرة يا إياد

قال إياد : سقطت للأسف في الرذيلة ، وافكر بنصحك ونفسي بكل قوة

نهض سلمان داعيا له بالتوفيق: وفقك الله ها هو الشيخ سمور يتنحنح لرفع الآذان صافحه ، وانتقل إياد إلى طاولة الشلة وغادر أبو مالك المقهى متوجها للجامع ولما أصبح خارج المقهى كان رجل أشيب قد ترك تاكسيا يقف على الرصيف يتلفت شمالا ويمينا ، فلما رأى سلمان صاح : يا أخ يا أخ ، فالتفت سلمان وقال :نعم ، نعم أيها السيد

قال الغريب : هذا جامع حي أبي حية .

ـ نعم ، ولا يوجد غيره

قال : شكرا ، أنا عائد للوطن ، لي أخت كانت تسكن في بطن ، ولما وصلت شقتها قيل إنها رحلت لأبي حية ، وهناك مقهى بجنب الجامع يمكنهم إرشادي لبيت حلوة بكر شقيقتي .

ـ حسنا من أنت ؟

قال : أنا حامد بكر

ـ أهلا أخوك سلمان مالك.. من أختك قلت؟

قال : حلوة بكر وزوجها حسام براهم

قال : آ .. انتظر

رجع المقهى ونادى إيادا وحدثه عن المهاجر وقال : هذا شقيق زوجة أبيك يريد بيتها

تصافح الرجلان : هذا الشاب سيدلك على شقة أختك سيد حامد بكر.

ودخل المسجد وساقه إياد إلى شقة حلوة بصمت ، وأشار لشقتها ورجع للمقهى سريعا ،وقد رآه يطرق باب بيتها.

******

لاحظ وأدرك حامد خلال أيام أن شقيقته مستاءة من وجوده معها ، وكررت أكثر من مرة تحثه على الرحيل والعودة لمهجره على غير مرات سابقة في حي بطن قال مرارا : أين حسام ؟ ولماذا رحلتم من شقتكم وتسكنون بالإيجار ؟

صرخت : تطلقنا!

قال : تطلقت، لم تقولي منذ جئت ! ومن الرجل الذي زارك تلك الليلة قرب نصف الليل؟

قالت : تاجر

فقال : شكله أزعر وهامل .. تاجر في نصف الليل وسكران .. أين حسام؟!

قالت: هجرني منذ عامين يا حامد! ثم قدم طلب طلاق للقاضي غيابيا ولم اذهب للمحكمة

قال: ولماذا أجرت بيته؟!

أجابت في ضجر وملل: البيت مشترك ، كان من شروط قبولي له بعدما طلق امرأته نصف البيت وله

سنتان مختفي من حياتي وظننته مهاجرا مثلك ، ثم عرفت بعد سنتين أنه يعيش في هذا البيت يسعى للزواج من أم أولاده من جديد ، وأنا هنا لأن مطلقته وأولاده يحيون هنا فرحلت أتابع الوضع.

قال : المرة الماضية لما جئتك من أوروبا شجعتيني على البقاء والاستثمار هنا وقلت : كفاك غربة .. المرة تطلبين رحيلي .. أمورك غير طبيعية ، أنا أخوك على استعداد على مساعدتك

قالت: أعرف أنك أخي .. المشاكل تعصف بي بهرب زوجي الغادر.. تظاهر أنه هاجر وكان يسكن في هذه الشقة ، وله سنتان يطارد فاطمة مطلقته ، وترفضه هي وذريتها حتى كشفوا لي اختفائه في حي أبي حية فأخذته عنوة لبطن ، فهرب من جديد بعد أن دخل على القاضي وسجل طلاقي واختفى ، فجئت لعله يظهر ونخلص

قال: اسمعي المرة الماضية قبل سنوات سمعت عنك أخبار سيئة لم أصدقها ظننتها وشايات ، أما زيارة الليلة فدعتني أصدق ما قيل ، فالزائر ليس على هيئة تاجر وبياع هيئته هيئة مجرم وحشرة.

صاحت: حامد لا تتدخل في شأني وحياتي حتى ولو صحبت حمارا .. ماذا تفعل أنت في أوروبا لا زوجة ولا أولاد ؟

قال بهزء : اشتغل

صرخت : أتريد أن أصدق أنك لا تسكر ولا تقرب النسوان

قال : لو حصل ليس عندي زوجة أخونها .. أنت لك زوج محترم يحتاج لاحترامك

قال : عندما يحترم شرفي أحترم شرفه وسمعته

ضحك قليلا : أتريدين أن أصدق أن حساما يصاحب النساء إنه رجل بسيط وغلبان

قالت: متى ستسافر؟

قال : لما أقابله سوف أسافر

قالت : له زمن مختفي ، لا أعلم في أي بلدة مختفيا!

قال: سأبحث عنه ، وأعرف الحكاية، كان مجنونا ومغرما بك عندما تزوجك

قالت : تغير

قال : سبب التغيير

قالت : المهم تغير ، لا أعرف السبب

قال : لابد من سبب

قالت : لا أريد أن تعيش في بيتي.

قال : سأستأجر شقة في الحي ، وكلمت صاحب المقهى في ذلك ، لست حريصا أن أعيش معك مع أختي .

حدث أمر قبل رحيل حامد ، استيقظ ذات ليلة عند الثانية صباحا متحفزا ومنزعجا على صوت طرق ضعيف على باب الشقة ، فقام حامد وشق ستارة النافذة ، فأرخى أذنيه وسمع أخته تمشي في الممر ، وتفتح الباب ببطء وتهمس مرحبة بالتاجر

الذي زارها من أيام ، لم يدخل الرجل الشقة ، خرج الرجل للشارع حيث كانت تقف سيارة نقل صغيرة أمام بوابة العمارة ورأى التاجر يتحدث مع سائق السيارة ، وأخذا يحملان صناديق كرتونية إلى داخل الشقة لمدة نصف ساعة، اقترب من الباب بعد توقف حركة الإدخال ، وسمع الرجل يطلب البقاء معها ساعة زمان ، فهمست أن حامدا نائم لم يرحل ، فقال متى سيرحل؟ لماذا لا نتزوج ونخلص من لقاءات الخفية ؟ ألم يطلقك حسام اذهبي للمحكمة وتطلقي ؟ لم يسمع ردها ، وسمعه : علينا أن نتزوج .. ألسنا نحب بعضنا ؟ أنا مشتاق لك اذهبي للقاضي.

قالت : أنا سأبحث عنه واحضره للقاضي يا عيني!

سمع غلق الباب ، فعاد للنافذة ، وشاهده ركب السيارة ، ويبتعدان، عاد للفراش يفكر بفساد أخته وفرار زوجها وقال : أكيد أنها بضاعة مسروقة! من أين يسرقها هذا الحرامي؟ قالت: إنه لا يعمل .. سرقة مصنع .. ماذا تستفيد من الشراكة مع لص ؟ عليّ معرفة هذا الرجل .

****

الحداد إياد يقف على باب المقهى والجامع منتظرا المهندس بلال وكان الحاج سلمان يغادر المقهى لصلاة المغرب فلمح إيادا فقال مداعبا وداعيا : هل ستدخل للصلاة؟

تنهد إياد : يا الله ليتني أصلي!

قال : لماذا يا ليتني ؟! ادخل مرة مرتان تتعود

قال : إن شاء الله يا عم سلمان أنا أترقب المهندس بلالا بيننا موعد.. ها قد ظهر

تقدم المهندس منهما مسلما ومصافحا قائلا : خير أيها الشباب

ضحك سلمان: أدعو صديقنا إيادا ليجرب طعم الصلاة، اليوم يكثر تردد الشباب والفتيان على المساجد، لم تعد تقتصر على الكهول والشيوخ

قال : إن شاء الله لما أتزوج أصلي كما نصحتني.. سوف أتوب .. التوبة حلوة نلتقي بعد الصلاة يا باش مهندس أبا محمد.

قال سلمان : آه من سوف !

قال بلال : حسنا لن نلتقي في المقهى ، في فناء الجامع .. وكيف حال العم سلمان شيخ شباب أبي حية؟

قال : والله أنت نوارة الحي وصهر حبيبنا أبي خالد دخلا المسجد لصلاة المغرب الذي ارتفع آذانه لعنان السماء مناديا أهل الصلاة ليقوموا للصلاة

قال بلال : للأسف كثير من الشبان يظنون أن الجوامع والصلاة لكبار السن يا عم أبا مالك

قال : صحيح ، بدا الأمر يتغير وصرنا نرى الشباب مثلك في المسجد وحتى الأطفال

قال : تأثر الناس بالصحوة ، ولها تأثير وأنصار في الجامعات والأحياء .. هزيمة ١٩٦٧ قضت على القومية واليسارية ، وضعف صوتهم ، لم ير الناس البسطاء خيرا من القومية والشيوعية حتى بدأت تتسرب أنباء أن الاتحاد السوفيتي يعاني اقتصاديا وسياسيا .

قال : الغرب يضغط لموته بشدة وبكل قوة ، فحرب النجوم وعسكرة الفضاء مخيفة .. الله يجعل كيدهم في نحرهم.

خرج الناس من الجامع بعد الصلاة ، ودخل إياد للقاء المهندس، فوجده ينتظره على مقعد حجري في ساحة الجامع حيث يستريح عليها كبار السن للاستراحة أو الحديث رحب بلال بإياد فقال : جئت من أجل الحديد

قال : نعم ، تكلم معي شريكي زاهر مخبرا أن المهندس محمودا تحدث معه عن أبواب حديد وطلب مني أن اتصل أو أمر عليك

قال : أنت تعلم أن محمودا قريب لزاهر

قال إياد : عرفت ذلك ، وعملنا لبيته شغلا وقدمت إليك لمعرفة العنوان

قال : جيد! سأعطيك عنوان الفيلا ، غدا إن شاء الله تعالى قبل الظهر سأكون فيها وعليك بأخذ المقاييس ، ثم نتفق أو تتفاهم مع شريك زاهر مع محمود

قال : حاضر يا سيدي أبا محمد

ذكر له عنوان الفيلا التي بحاجة لحمايات وأبواب معدنية وشكر الشاب المهندس فقال بلال: أراك غدا إن شاء الله قبل المغادرة ماذا حدث مع والدك ؟

ضحك إياد : لما رجع لبيته عاود الهرب ، فامرأته غير شريفة ، فطلقها غيابيا ، واختفى فأجرت امرأة أبي البيت ورحلت إلى هنا طمعا بأن يعود إلينا ، وها هو أخوها المهاجر يسكن معها ، وعلمنا أنه يبحث عن شقة في الحي ، وتفكر بالزواج من الحرامي السابق مهراوي

قال : سمعت أنه ذهب لكلية حمزة يشتكيه ، ويطلب مساعدة مالية.. هو يبقى أبوكم مهما فعل الإحسان مطلوب .. هو كيف يصرف وينفق؟

قال إياد : هو متقاعد له دخل من صندق التأمين الوطني الاجتماعي، وله بيت ، ولكن هذه أخذت نصفه باسم الزواج ، هو لما تركها أول مرة وسكن هنا لم يطلب منا مساعدة.. جاء هنا سعيا للعودة لأمي فرفضت ، ونحن شجعناها على ذلك ، وهي تعقدت من الرجال ، ورفضت الزواج قبل أن يأتي أبي للحي ، تفاجأنا بذهابه لكلية الشرطة بطلب مساعدة ، وحمزة ما زال طالبا ، وطلب منه آمر الكلية أن يتجه للمحكمة ويطلب نفقة ، حمزة لا ينفق فلسا علينا أنا أنفق على أمي وعليّ الفواتير

والإيجار فحسب

قال بلال : المهم البر ولو كان الأب كافرا ، ألم تعرفوا لماذا رحلت إلى هنا حقيقة ؟

قال : هذا لغز ! سيكتشف قريبا ؛ ربما عودة أخيها خربط المخطط ؛ ولكنه سيترك الشقة ويعيش وحده ، فبيتها بيت للحرامي مهراوي ، قبل ليالي أزعجت سكان العمارة قبل الفجر لقد ادخلوا صناديق كرتون ، ثم تبين أنها أحذية مسروقة من أحد المصانع أو غير مسروقة ، لم يتضح الأمر وهي لها محل في البطن وآخر وسط البلد ، هي طول عمرها بياعة ؛ لكنها تعمل مومسا ، وكما تعلم هؤلاء البغايا مع التقدم في السن يهجرن من الزناة ، وهن في الكبر يدفعنا للغواية ، فهذا المهراوي الحرامي السابق يرغب بإعلان الزواج منها ؛ ولكنها ما زالت على ذمة أبي لم يحصل الطلاق كاملا ، فهم يبحثون عن والدي ليكتمل الطلاق كما قال لي مهراوي فأنا أعرفه قبل أن يظهر هنا ، تريد الطلاق رسميا حتى يصح العقد عليها

قال : هداها الله يا إياد ! أتمنى أن أراك في مسجدنا

قال : أتمنى أنا نفسي ذلك

قال : اقدم على الخطوة الأولى وسترتاح

قال : العم سلمان دائما ينصحني بالزواج والصلاة انتظر تخرج حمزة.

أصبح حمزة حسام ضابط شرطة ، وأقامت كلية تخريج ضباط الشرطة حفلا للخريجين ، وتخرج الفوج الجديد من طلبة الكلية الشرطية بعد أربع سنوات دراسة شرطية ، واحتفلت فاطمة زكريا في شقتها وحيها بتخرج ابنها حمزة كضابط شرطة في الشرطة الجنائية ، وقدمت الحلوى والمشروبات للجيران وأصدقاء وأقارب العائلة.

وبعد إجازة التخرج عين برتبة ملازم أول في دائرة شرطة شماليا في شمال البلاد ، لم يتعين في العاصمة كما كان يأمل .

البضاعة التي سرقها مهراوي وخزنها عند عشيقته حلوة بكر في حي أبي حية ، شاع أمرها في الحي ، وشاهد حامد بكر الضيف القادم من أوروبا تلك الصفقة ، فاسرع بترك الشقة بعد أيام حيث وجد شقة يعيش فيها ريثما يقرر السفر أو البقاء في الوطن ، وقد استطاع معرفة مصدر ومكان السرقة ، فقد عرفت الشرطة أن الحارس الليلي ساعد في سرقتها من مخازن المصنع والشركة ، وقبض على مهراوي والحارس جرور وقبض على السائق بعد مطاردة شرطية وكذلك التاجر الذي تلقى البضاعة من الحرامية ، وهم ينتظرون المحكمة.

*****

كان أحد الرعاة يرعى في واد السعدانة قرب مدينة شماليا عندما شاهد أحد الكلاب يجري نحو جسم فظن في أول الأمر أن حيوانا قد هلك ، وأن رائحته

هي التي تعبق المكان ، فمشى حيث ينبح الكلب، فوجد جثة إنسان ميت ، ووجده مطعونا بسكين عدة طعنات فعاد لأول مدينة أو قرية مسكونة ، واتصل بالشرطة وتبين للشرطة أنها جثة حسام براهم ، وأن القتل منذ عهد قريب ، وتبين أن القتيل والد زميلهم الجديد حمزة حسام ، وكلف حمزة بالمشاركة في التحقيق ، المشتبه الأول في جريمة القتل أقرب الناس للضحية ، أجرت الشرطة التحقيقات الأولى ، وتتبعت الأيام الأخيرة من حياته قبل مقتله ، تبين لهم أنه يسكن في شارع ندى في مدينة شماليا الشمالية ، كان يعيش في بيت هالك وحده ، وقريبا منه ابن عم له اسمه حميد الدين وعلموا أنه كان في المستشفى مريضا ، وأن ابنه ايادا زاره باتصال من حميد ومن حسام نفسه رغم سوء علاقاته مع أولاده الذين يعادونه ، وذكرت التحقيقات زيارته قبل سنة لكلية الشرطة ، وتبين للمختبر الجنائي أن القتل تم بالخنق والطعن ، ونقلت الجثة إلى واد السعدانة .

اخبر إياد أنه تلقى اتصالا أثناء وجوده في المقهى من قريب أبيه أولا، ثم اتصال من أبيه ، وزاره مريضا ، ووعده بزيارة أخرى لما يخرج من المستشفى ؛ ليتعرف على مسكنه .

اشتبهت الشرطة بحلوة الهارب منها حيث علمت الشرطة بزيارتها له ، وتحدثت معه على الطلاق في المحكمة ، وأكد حميد الاتفاق على ذلك ، وأنها كانت تبحث عنه منذ هرب عنها ، ولم تعرف مسكنه وخرج دون معرفتها ، فأخلي سبيلها دون توجيه أي اتهام ، ولكن أحد الجيران كشف أن امرأة زارته قبل اختفائه .

انتقل حمزة إلى بيت في مدينة شماليا قريبا من مكان وظيفته ، وانشغل إياد أمام هذا الواقع الجديد بالبحث عن زوجة بشكل جدي وسيطلق العزوبية.

خرج مهراوي من السجن بعد شهور ستة ، وعاد لبيته يخطط للزواج من حلوة بعد ترملها وانتهاء عدة الوفاة خلال فترة السجن .

كلفت الشرطة حمزة متابعة قضية والده بعدما عجزوا عن معرفة الفاعل، فقد اشتبه بإياد أولا ثم حلوة ومهراوي ، ولكنه كان سجينا عندما قتل الرجل .. تزوجت حلوة من مهراوي وأصبحت علاقتهما الجنسية شرعية ، ذات ليلة زارهم حارس مصنع الأحذية جرور الذي مهد لسرقة المخازن ، وطلب منه مالا بسب طرده من العمل وحبسه ثلاثة شهور فأعطاه مهراوي ، وطلب منه أن يبحث عن عمل بدل التسول ، وتكرر الطلب فتضايق مهرواي ورفض أن يدفع له ، فقال غاضبا أمام حلوة : أنا ساعدتك في الخلاص من حسام ، ولم تدفع شيئا .

فقالت حلوة بارتباك : ماذا تقصد يا ملعون؟!

جحرها وصرخ في وجهيهما : أغراني زوجك بقتله وخنقه ليتزوج حلوة بكر .

صاح مهراوي: اخرس يا ملعون .. لم أطلب قتله يا مجرم، قلت لك هدده ؛ ليسرع في طلاقها لنتزوج بعد خروجي من الحبس ، مللت من الزنا وبنات الهوى ، فقلت لي رفض الذهاب معها للمحكمة وصفعك وبصق في وجهك، فخنقته وطعنته غضبا لروحك يا جرور!

حدث شجار بينهم ، ووعده مهراوي بمال ، وطلب مهلة ، وبعد أيام وجدت جثة الحارس في بيته ، أخبرت حلوة بعد مقتل الحارس شقيقها حامد بأن الحارس هو الذي قتل زوجها بمؤامرة بينه وبين مهراوي وزوجها قتله ، وأنها ستخرج من البلد خشية على حياتها منه ، فاتصل حامد بحمزة والتقيا وحدثه بقاتل أبيه ، واختفى مهرواي وحلوة ، ولم تطل مطاردته ، وحاول إلصاق التهمة بزوجته حلوة بكر ، وكانت قد أخبرت شريكتها بالدكان بغدر مهرواي بزوجها ليتزوج منها قانونا ، وتبين للبوليس أنها بعد مقتل الحارس جرور غادرت البلاد خوفا على حياتها من مهراوي .

قال طارق: هذه قصة صديقي حمزة حسام انتهت بمقتل أبيه حسام رحمه الله تعالى

قال عزيز : عظم الله أجرك يا صديق النادي وإن جاء العزاء بعد عمر .. فقد اهتمت الصحف يومذاك بجريمة واد السعدانة البشعة ، ولم نكن نعرف الرائد حمزة.

وقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون .. وهل أنت سالك مع أهلك؟

شكرهم حمزة وقال : عشت مع أم مطلقة ـ رحمها الله ـ ماتت من سنوات ، وزوجتي طيبة وولدت لي ثلاثة ، فأنا أحسن نصيبا من طارق ، ولي سنوات ارغبه بالزواج ، وليست كل النساء شادية .

قال: أهاب النساء ، يكفرن العشير ، وتعودت العيش بدونهنّ وأنسهنّ ، وأتمنى لكم النجاح معهنّ لديّ رهاب الطلاق.

تمت قصة اختفاء أبي

قصص وحكايات الفوارس

سيف الزمان وجميلة ٢

حادثة في الغابة

نحن الآن بعد عشرين عاما مضت على ملك قيس على بلاد الرايات ، وقد أعلن الأمير مرعي ابن الملكة سُلمى الشاب الصغير ملكا على بلاد الأكباش ، فقد تنازلت والدته عن العرش ، وكثر ترددها على بلاد زوجها ، وأصبحت ابنتها جميلة شابة حسناء مطلب الفرسان والأبطال من أبناء الأمراء والوزراء في بلاد الرايات ، وقد ترك الملك

قيس أمرها لنفسها لتختار من تشاء من الرجال بعلا لها ، فكانت تصدهم بلطف واعتذار مهذب .. وذات نهار ركبت جوادها وسارت معها ابنة الأمير صقر الأميرة عبلة ، وابنة الأمير عبس الأميرة حُسن وغيرهن من الفتيات الأميرات ، وخرجن على جيادهنّ نحو الغابة الكبيرة المحيطة بالمدينة من ناحية الشرق ، وكن سعيدات مرحات وهن يتراكضن على خيولهنّ ، ويسخرن من بعضهن البعض ، ويمزحن بصوت مرتفع ، والسرور يملأ وجوههن وعيونهن ، وعند العصر وبينما هنّ غارقات في اللهو والمزح والسرور والمرح والسعادة ظهر بينهن فجأة فارس على جواد أحمر شاب جميل الصورة ، وإن كان في وجهه كثير من الندبات وآثار الجروح ، وكانت الشجاعة تظهر على محياه ، وقد فوجئن به ، وهو أيضا قد فوجئ بهن ، ولكنه تمالك نفسه سريعا وقال صائحا محذرا : اركبن جيادكنّ أيتهنّ الفتيات واهربن بسرعة !

فتلكأن رويدا ثم قالت إحداهن بجرأة : من أنت ؟! ومن أنت لتأمرنا ؟ !وما الذي أتى بك إلى هنا ؟!

فتبسم الشاب لها وقال : خلفي رجال يطاردونني .. أخشى عليكن منهم ، فاركبن جيادكنّ وانصرفن قبل فوات الأوان .

فسخرن منه ومن تحذيره ، وإن أحسسن بالخطر من وجوده بينهن بهذه الصورة المخيفة ، وقبل أن يتمادين بالسخرية معه ظهر ثلاثة رجال على جيادهم كأنهم يطاردونه فداروا حوله ، وقال أحدهم بصوت عال : الزعيم يأمرك بالعودة .. ويحذرك من التمرد ومن غضبه يا سيد الفرسان

ثم انتبه الفارس المتكلم للصبايا فقال بدهشة : أوه ! من هؤلاء الجميلات يا سيد الصعاليك ؟

والتفت إليهن وقال : من أنتن أيتهن الفاتنات ؟ ومن أي البلاد أنتن ؟!

أخذت الفتيات يركبن ويعتلين جيادهن والقلق مرتسم على وجوههن ، فلما لم يسمع الرجل جوابا منهنّ ، قال للفارس الأول : من هؤلاء أيها الأمير ؟!

فهز الفارس الشاب رأسه قائلا : لست أدري .. إنهن يتنزهن هنا .

فقال الرجل المطارد مخاطبا الفتيات : هل أنتن من بنات بلاد الرايات ، فهي أقرب المدن لهذه الغابة ؟

فهززن رؤوسهن بـ نعم

فقال : يا أمير الفرسان ما رأيك بأخذهنّ للزعيم فسوف يصفح عن إهانتك وخروجك ؟!

فقال الفارس الشاب بجسارة : حذار يا قرادة من مس أي فتاة بسوء .. اذهبن بسلام أيتهنّ الناعسات .

فصاح المدعو قرادة : لا تتحركن قبل أن تنبذن الدمالج والأساور والأقراط والقلائد اللواتي تحلين بهنّ أنفسكن ..

فقال الفارس الشاب مرة أخرى بحدة وقوة : قرادة .. لا تدعني أقتلك ..إياك أن تأخذ شيئا من هؤلاء الحسناوات .

فصاح رجل آخر : لا داعي للتظاهر بالشجاعة والشهامة يا سيد الفرسان !.. ارجع للزعيم قبل أن يهدر دمك .. ودعنا نتصرف مع هؤلاء النسوة ولم ينتظر القائل ردا بل اندفع نحو الفتيات ، فأشهرن سيوفهن بلمح البصر وأردينه قتيلا ، فدهش الرجال لسرعتهن وشجاعتهن ، فأخذ سيد الفرسان يقهقه عاليا ويقول شامتا : أقدم يا قرادة .. جرب نفسك ها هو صاحبك ربع سقط مجندلا بدمه .

اشتد حمق وغضب قرادة لمقتل رفيقه ولسخرية الشاب منهم ، وأمر رفيقه بالمشاركة بالهجوم عليهن ، فتصدت الأميرات لهم ، وجرحن قرادة جرحا بليغا فسقط على الأرض يتلوى من الألم والغيظ ، ثم تبعه صاحبه ..

فقال الفارس : آلله .. آلله .. آ لله .. !! لقد خلصتنني من شرهم ومن الفتك بهم .. وداعا يا قرادة .. لقد أشفقت الفتيات من قتلك .. وداعا ..!

وحيا الفتيات الثائرات بيده ملوحا بعد أن شكرهن على شجاعتهن ، وقبل أن يبتعد سمع إحداهن تصيح عليه : أيها الشاب الفارس .. لم نعرف قصتك ؟! واسمك ؟!

نظر إليهنّ وتبسم وقد أدار جواده ناحيتهنّ وقال بروية : نحن لصوص !.. وقطاع طرق ! .. لسنا من الأشراف ، فلا تشغلن أنفسكن لمعرفة اسمي ! وداعا يا بنات حواء .

واختفى في جوف الغابة ، وبعد زوال الدهشة عنهن قفلن عائدات إلى المدينة ، وهن غير نادمات على قتل هؤلاء اللصوص ، واتفقن على أن لا يذكرن هذه الحادثة لأهلهن خوفا من منعهن من الخروج للغابة ثانية أو إرسال الحرس معهن ، ولكن قصة الشاب المطارد ما زلن يحلمن بسماعها،ومعرفة سبب هربه من هؤلاء ، وعدم طمعه بذهبهن وزينتهن مع اعترافه بأنه لص وقاطع طريق ، وفي الصباح التالي لهذه المعركة تفاجأ أهل المدينة صباحا باختفاء فرس من جياد الملك قيس الفرس ورد ابنة الفرس دموع المشهورة .. فقد وجدوا الحرس والسائس نياما والفرس مفقودة .. كانت حادثة كبيرة جدا في

المدينة والبلاد .. اصطبل الملك يتعرض للسرقة .. فتعجب الناس من جرأة اللصوص أو اللص ، وكانت الأميرة جميلة تتحدث مع الأميرة عبلة بنت صقر وحُسن بنت عبس ، وكان الاستغراب والإنزعاج مرتسم على وجوههن فقالت عبلة : هل ترين لما حدث معنا مساء أمس في الغابة علاقة في هذه الحادثة العظيمة ؟!

فقالت حُسن : ولكن هل يستطيع رجل واحد تخدير الحراس ويأخذ الفرس وحده وبدون مساعدة ؟!

فقالت جميلة : هل يا ترى للشاب الذي فارقنا يدا في الموضوع ؟! .. ولكنه مطارد ويدعونه للعودة إلى زعيمه وسيده المجهول .. ولكن لديّ إحساس أن للقاء البارحة مع هؤلاء المجرمين

يد في شأن الفرس ورد .. من تجرأ على إيذاء الملك قيس بن خصيب ؟!

فقالت عبلة : هل نصارح الآباء بحادثة الغابة ؟!

أجابت جميلة ابنة الملك قائلة : إنني حائرة لدرجة كبيرة .. أخشى أن لا يكون لحادثة الغابة شأن بأمر الفرس .. فلنصمت وننتظر تطورات الحكاية فالأمر شديد الغموض!

تم إلقاء القبض على قرادة وسرماح جرحى في الغابة وبجوارهم القتيل ربع فاقتيدوا للمدينة وهم في آخر رمق من الحياة ، فقدم لهم الدواء وادعيا أنهما تخاصما مع القتيل فجرحهما وتمكنا من صرعه ، فأمر الملك بعلاجهم والعناية بهم حتى يتأكدوا من قصتهما .

مضت بضعة أشهر ولم يعرف الملك من سرق الفرس التي ورثها عن أبيه خصيب ؟ وكان الوزير غراب العجوز مستغربا للحادثة ، وتذكر أيام زواج الأمير قيس ومحاولة سرقة الفرس دموع من قبل رجال وادي السرحان ، فاجتمع بابنه الوزير عقاب الذي حل محله في الوزارة وتحدث معه في ذلك الماضي ، فتذكر الوزير عقاب ذلك ثم قال معقبا : الجبل !! .. تلك قصة قديمة يا أبتاه ! .. هل ظهرت أميرة جديدة تبتغي الفرس مهرا لها ؟!

فقال الوزير الشيخ الكبير : الفرس دموع وذريتها مطلوبة من الملوك والأمراء .. فابحث عن رجل شجاع نجيب عارف بحيل ومكر اللصوص ؛ وليرود لك جبل ووادي السرحان .

فقال عقاب بحيرة : يا أبتي! .. من الرجل الفطن الذي يحسن القيام بهذه الريادة ؟ .. لقد كبر جُبار

فقال غراب : يا ولدي ابحث سوف تجد.. فالشجعان متيسرون في كل وقت وحين ، وليبق هذا الأمر مخفيا بيننا وبين رجلك أيها الوزير .

اهتم عقاب الوزير باستشارة أبيه ؛ ولكنه في قرارة نفسه كان يستبعد أن يكرر رجال الوادي غلطهم

القديم ، ولكن الناس تنسى ، فلعل لهم زعيما جديدا قد نسي ذاك الماضي ، وكان يقول : لديّ ثلاثة رجال يمكنني أن أثق بهم في هذه المهمة المرعبة والقاسية ؛ ولكنهم شجعان ومضرب المثل في الشجاعة في بلاد الرايات .. أحدهم ابن الأمير عبس الأمير أشجع ، فهو فارس بطل كأبيه ، وهناك ابن أخي صقر الأمير أسد بن صقر وثالثهم الفارس حازم بن حمدان الحملي ، وهذا الأمير أفرسهم وأذكاهم .. سأتحدث معه ؛ فإذا وافق وعاد سالما سأنكحه ابنتي رماح ، لا أظنه يرفض إذا سمع بهذا الزواج .. هل أصارح أبي بذلك ؟ سأفعل حتى لا يرفض هذا الاقتران إذا رجع سالما.. أبي يحب أن تبقى بناتنا في عشيرتنا .. ولكن الفارس حازم لا يفرط فيه ، فنعم الصهر ونعم البعل ، ونجاحه في هذا المهمة ستقر به أعين القبيلة وأبي قبلهم

وبعد أيام عاد الوزير عقاب للتشاور مع أبيه في شأن إرسال الفارس الذي وقع عليه الخيار حازم بن حمدان الحملي ولما سمع غراب بقصة الزواج تردد كثيرا قبل أن يوافق وقال : أنت تعلم يا عقاب أن بنات أرباح - عشيرة الوزير غراب ـ لا تنكح إلا لأبناء العشيرة أو عشيرة الملك .. وأما رجالنا فيتزوجون ممن يشاءون .. وهذا عهد سرنا عليه قديما ، ولم يشذ عنه إلا بعض الأفراد لأحوال خاصة .

فقال عقاب : يا أبتاه ! .. القوم يعيبون علينا هذا التعصب لهذا المبدأ ، ولن يضيرنا بين الحين والآخر لو تساهلنا في الالتزام بهذا التقليد العشائري .. الفارس حازم من خيرة فرسان البلاد ، وله مستقبل في حرس الملك الكبار، وكذلك لا تنسى أن والده قتل في معارك الشرف ، وعمه من السادة القضاة ، فلا ينقصه شرف .. والمسير لوادي السرحان فيه مخاطرة كبيرة ، وإذا لم يكن أمامه إغراء كبير لا أراه يندفع لهذه القضية ، فالأمير قيس والأمير عبس وجُبار لولا الملكة سُلمى ما انطلقوا إلى وادي السرحان في تلك الأيام .

فتنهد الوزير الشيخ تنهدا عميقا وقال مستسلما : إنك تقول الصواب يا ولدي ! لابد من المحرك والمشجع .. فهذه قصة خاصة .. افعل ما تراه صوابا ، والحق أنني فكرت بإلغاء هذا التقليد القديم في أسرتنا الكبيرة من أيام الملك خصيب ، فكثير من فتيات القبيلة تحرم من الزواج إذا طلقت أو ترملت أو كبرت سنها إن لم يرغب بهن أبناء العشيرة .. فبعد زواج حازم من ابنتكم الغالية وقدرت لي الحياة إلى ذلك اليوم الذي يعود فيه من وادي السرحان سالما ظافرا بالأخبار سأفكر بإزالة هذا التقليد الأعمى والساذج .

انشرح صدر الوزير عقاب لكلام أبيه ، وسر

لموافقته ، فقد كان يخشى تشدده وتزمته لهذا الأمر وسر أكثر لتفكيره بإنهاء هذه العادة التي تحرم الكثير من نساء القبيلة من الزواج ثانية وثالثة، وبعد أيام أسر الوزير للفارس حازم الغاية ، وبعد نظر وتفكير عميق وافق على هذه المهمة الدقيقة والخطيرة .. فخلع زي الفرسان ولبس لباس العامة والفقراء ، وخرج من المدينة متجها لوادي السرحان .. وبعد مسير ميسر كان يطرق وادي السرحان ، ويسكن في أحد الكهوف القريبة من مدينة ملك اللصوص الغضبان ، وبعد حين قبضوا عليه مختبئا في أحد الكهوف ، وهو في حالة سيئة ، فأخبرهم أنه قد قتل إنسانا في قريته ، وفر هاربا من أهل القتيل وبعد حبسه بضعة أيام ألحقوه بحلقة السلاح ليتدرب ومن ثم يصبح ابن جبل، فهم يسمون أنفسهم ابناء الجبل لحياتهم في جبل ضراب ، وما كاد يمضي عليه ثلاثة أشهر حتى أصبح من رجال الجبل ووثق به القوم ، وكان يحب ويسعى أن يسمع أخبار الغضبان الرجل العجوز سيد الوادي العظيم ، فعلم أن الغضبان أعمى البصر ، فقد ضعف بصره ولم يعد يرى الأشياء المادية ، وهو حبيس قصره بين أولاده الكثر وزوجاته وغلمانه وخاصته ، وعلم أن الذي يدير مملكة الجبل مساعده القديم أبو هند ؛ ولكنه ألعوبة بيد الفرسان الشباب من رجال الجبل ، ولكنه استطاع توحيد مملكة اللصوص في وادي السرحان والجبل ، ويساعده في ذلك سيد الفرسان ، ويسمونه بالأمير زوابع ، وابن الملك الغضبان كلب الليل وأخوه وعل الجبل ، وعلم حازم أن هؤلاء الثلاثة هم المرعبون في الجبل منذ سنوات .. وأن هناك تنافسا خفيا وحادا بينهم ، ويظهر ذلك بينهم بين الحين والآخر .. وعلم أنهم يعدون لغارة كبيرة على مدينة أبي كبشة ، فعجب حازم لهذا الاختيار ، فقال له أحد الرجال الذين قويت علاقته بهم : يقولون إن هناك حسابات قديمة بينهم .. فهم منذ شهور قد استولوا على جواد من جياد ملك بلاد يقال لها بلاد الرايات .

صعق حازم لسماع هذا الخبر ، وكاد أن يفتضح أمره لولا أنه تدارك نفسه في آخر لحظة وقال صائحا ومخفيا دهشته: الله .. الله .. الله !! .. أمعقول هذا يا سيدي البطل ؟!

فقال الرجل الكهل وقد رأى الدهشة والاستغراب على ابن الجبل الجديد : إيه والله ! .. أعرف أن هذا يدهشك ، فسرقة ملك ليس كسرقة غني أو أمير .

فقال حازم : صدقت يا أخي .. سرقة ملك هذه قصة عجيبة! لابد أن تسمعني الحكاية بالتفصيل ، فقد شوقتني لهذه الشجاعة والجرأة .

فقال الرجل متحمسا ومعتقدا سذاجة وبساطة

صاحبه : اعلم يا سعود الهنا.. أن الأمير زوابع فارس كبير !! لم ير مثله في وادي السرحان .. فكثيرا ما أرسله ملكنا الغضبان في مهمات صعبة بل طلبه بعض الملوك أصدقائنا ؛ ليساعدهم في قتل خصومهم ومغامراتهم .. وفي كل مرة يسير فيها يعود بطلا جديدا رغم أنه لم يبلغ الثلاثين سنة من العمر.. أنا أذكر الأيام الأولى له في جبلنا أتي به طفل صغير .. لقيه الغضبان فتكفله ، وصنع منه مجرما عنيدا شرسا ؛ كأنه ابن مجرمين متوغلين في الإجرام والسفك .

فتظاهر حازم بالسذاجة وقال : والله إن قصتك تفتح الشهية يا أبا السعد .. طفل صغير أصبح أميرا وفارسا مهابا رغم كثرة الأبطال الكبار في الجبل .

فقال أبو السعد مظهرا إعجابه البالغ بـزوابع : إي وربي ! إنه لفارس قوي مهيب! شاركت معه في عدة غارات ، فرأيت الشجاعة والإيثار وقوة القلب منه .. عندما تراه في المعركة تظن أنه الأسد قد فارق عرينه غضبا وزمجرة .. ولكنك عندما تعاشره تتمنى له الخير والسعادة والحياة في القصور بدلا من هذه الجبال والكهوف .. هذا هو الفارس الأمير زوابع .. فمنذ أتي به وترعرع هنا وشب أطلق عليه الغضبان لقب الأمير ، ومنذ صغره وهو يدفعه في كل الغارات والمعارك حتى صار البطل المرهوب والمحبوب .

فقال حازم : حدثني عنه فقد شوقتني لرؤيته والاجتماع به .

فقال أبو السعد بحماسه السابق : سوف تراه ..

كان حازم يستمع بإعجاب عن فارس الجبل زوابع ، وأبو السعد يتحدث عنه بحماس وإعجاب غريب ، ولما انتهى الكلام على شجاعة البطل زوابع قال وفي عينيه نظرة حزن : لكن الجبل ساكن على بركان هائل!! .. فأولاد الغضبان يحزبون الرجال سرا ، فكل واحد منهم يجمع حوله الأعوان للاستيلاء على الملك .. ملك اللصوص والوادي .. والأمير زوابع طموح ويحب السيادة على اللصوص والجبل .. وقد غرس فيه الغضبان هذه الصفة ، وحدث من شهور خلت أن اشتد التنافس والصراع بين الثلاثة ، وأراد الغضبان الملك أن يحسم الصراع المخيف لرجال الجبل ، فاقترح عليهم أن الفارس الذي يأتي بفرس ملك بلاد الرايات المعروفة باسم ورد ، وهي من الخيل المشهورة بين الملوك والسراة ، يستحق أن يكون زعيم الجبل بلا منازع ، وهذه الحكاية لها حكاية قديمة جدا حدثت منذ ربع قرن .. المهم يا صاحبي سعود أن الملك اقترح على الأبطال الثلاثة التسابق على إحضار الفرس والسابق له الحق أن يصبح سيد اللصوص ، فوافق

الفارس زوابع وكلب الليل على هذا التحدي ، ورفض وعل الجبل هذه الفكرة ، وعرض المبارزة حتى الموت ، فأبى الغضبان وأبو هند هذه المبارزة وحثا على سلب فرس الملك قيس ملك بلاد الرايات ، وتقاتل زوابع ووعل الجبل وتصادما ، وكاد يقتل ابن ملكنا الغضبان ، وخشي القوم أن يكبر القتال بين رجال الرجلين ، كل سيد في هذا الوادي له جماعة تعمل معه في قضاء المهمات المختلفة لسادة الجبل ، وتحيز الغضبان لولده وعل الجبل عندما رآه صريعا بين يدي الفارس .. فغضب الفارس ، فهو محسوب بأنه ولد للغضبان ، وإن لم يكن من صلبه ، فلما غضب زوابع ترك الجبل غاضبا ووعد الغضبان بفرس الملك قيس ؛ ليثبت له أنه سيد الجبل بغير منازع ، وانطلق لبلاد الرايات غاضبا ووحيدا ، ثم ألحق به الغضبان ثلاثة رجال ليردوه عن مهمته ، وأن الملك يرغب بمصالحته رغم معرفته بعناده ؛ ولكن فارسنا عنيد يا صاحبي سعود ! فسار إلى تلك البلاد وسطا على اصطبل الملك وأتى بالفرس ورد مما أدهش القوم وعاد حازم للتظاهر بالإعجاب والسذاجة معا فقال : والرجال الثلاثة الذين تبعوه ماذا فعلوا

فقال أبو السعد : أخبر الفارس بأنهم قتلوا في إحدى الغابات .. ولما عاد بالفرس ورد أبى أن يهديها للغضبان ، وإنما أراد أن يثبت للجميع بأنه أحق رجل بوارثة الغضبان ، ثم هدأ الصراع فكلما مرض الغضبان استيقظ الصراع الكامن ، فنحن مقبلون على أيام عصيبة يا صاحبي ..

فقال حازم متخوفا: إنك تثير وتهيّج الخوف في نفسي .. أنا لولا قتلي لقريبي اللعين ما خرجت لهذه الجبال المخيفة .

قال أبو السعد : معك حق ! لولا ظروف كل شخص منا لما سكن هذا الجبل إنسان ..لا تخف يا سعود مع الأيام ستتعلم وتتعود على قسوة حياة الرجال والجبل ، فلي أكثر من خمسين سنة أحيا ها هنا .

كان حازم جاسوسا ذكيا وفطنا في الجبل ، وكان يفكر ويرغب بالتقرب من سيد الجبل القادم الأمير زوابع ، فلربما تمكن من أخذ الفرس ورد ورجع ظافرا بها للبلاد.. ولكنه يخشى هذا التقارب لما هو قادم من صراع قاتل على سيادة وملك الجبل صراع تلوح آثاره من تصرفات رجال الجبل وتحزبهم وتعصبهم ، فالغدر من شيم اللصوص ، والشجاعة قد لا تنفع مع الغدر القاتل ، فكان يتظاهر بالبلاهة والسذاجة ، وأنه قتل قريبه في لحظة ضعف ودفاع عن النفس ، واستقر في العمل بالزراعة وسقي الأشجار في مدينة اللصوص والمراقبة عن بعد

وسمع حازم بالغارة التي قادها زوابع لسرقة

أموال الملك في بلاد أبي كبشة ، وتعجب لنجاح اللصوص وهؤلاء الأشرار بسرقة دار الخزانة وجلبهم عدد من صناديق الأموال ، فهمس لنفسه : إن زوابع هذا مجرم عتيد وشجاع ! لقد سرقوا الخزنة ولم يصب أحدهم بأذى ، وقد أخذ فرس الملك قيس بدون أن يكشف أمره .. لابد أنه صاحب عقل ذكي نشط .

وهذه الضربة الجديدة لاحظ حازم أنها رفعت أيضا من قوة زوابع عند الأسياد القدامى في الجبل ، حتى أن الغضبان اعترف بتفوق زوابع على كثير من الأسياد وكبار اللصوص ، وقد اقتربت السنة أن تنقضي للفارس حازم وهو يقبع بين هؤلاء الوحوش في نظره ، فحينئذ فكر بالعودة لبلاده وقد علم الكثير من أسرار الجبل ، وقد عجز لحتى الآن عن مشاهدة ورد الفرس المسروقة ليتأكد من ذلك ، فكيف بسرقتها منهم ؟! فهو يفكر بالهرب والنجاة ، ثم قص ما جمعه من أخبار على الوزير عقاب ، والتنعم بالزواج من ابنة الوزير ؛ ولكنه خشي من افتضاح أمر هربه ، وأن سقوطه بين أيديهم هارب يعني إنهاء حياته وموته المحقق، فهو يفكر بطريقة وحيلة يخرج بها من الجبل سالما ومن غير أن يهتم لغيابه أحد ولكن قبل أن يغادر الجبل بحيلة ما علم أن أحد الملوك أصدقاء الغضبان ـ وعجب لصداقة الغضبان بالملوك والأمراء ـ قد أرسل رسولا لغضبان ملك اللصوص يطلب منه ألف مقاتل ومحارب للمشاركة في تأديب وزيره الثائر عليه ، وأنه وعده بالأموال الكثيرة وثروة الوزير المتمرد ورجاله ، فاجتمع رؤساء اللصوص الكبار ، وبعد تشاور دام يومين وافق مجلس اللصوص على انتخاب ألف فارس كما يزعمون ، وتقرر أن يقودهم وعل الجبل أميرا عليهم ، وانطلق وعل الجبل بالألف فارس نحو مملكة أرمان لمساعدة ملكها جعلان على وزيره الثائر شمعار ، وقد قويت شوكة الملك برجال الجبل الأشداء ، وحميت المعارك بين الطائفتين ؛ ولكن الوزير لم ينقصه الرجال والموالين له من قبيلته وأبناء الشعب الناقم على الملك الظالم .. فلم يتمكن الملك جعلان من القضاء على ثورة الوزير، بل شعر بقرب احتلال قصره عندما بدأت أسوار المدينة تضعف أمام الحصار وقوة فرسان الوزير ، فطلب من وعل الجبل أن يضع خطة لصد الوزير وفك الحصار عن أهم الأبواب لوصول الإمدادات الغذائية لأنصار الملك ؛ وليستطيع التجار والقوافل الدخول والخروج ، فوافق وعل الجبل ورسم خطة قتالية هجومية ، ودارت معركة سقط فيها وعل الجبل وأكثر رجاله صرعى لها ، فحمل وعل الجبل ينزف دما إلى قصر الملك ، وهناك ذكر وصيته ولفظ أنفاسه الأخيرة ، فلما

وصلت أخبار هذه المعركة وهذه الهزيمة لرجال الجبل كثر الصراخ والعويل، واجتمع رجال الجبل في مجلسهم للتفكير في رد الاعتبار لفرسانهم وقتلاهم والثأر لابن ملكهم، فكان الغضبان يقول لولده كلب الليل وربيبه الأمير زوابع : ها أنتم ارتحتم من خصم عنيد لكم !!.. أثرت شهية وعل للحرب .. هذا ما تريده يا كلب الليل !

صاح كلب الليل مدافعا ورافضا الأتهام : يا ملك الزمان ! .. لم يكن وعل الجبل ينتظر أن أثيره وأهيجه ليندفع لمساعدة جعلان .. إنها رسالة ابنة جعلان هي التي حركته، فأسرع لطلب القيادة فها هو الفارس زوابع قد طلب القيادة .. أليس كذلك أيها الرجال ؟!

دارت همهمة اعترف الرجال الكبار على أثرها على صدق هذه المعلومة، فعاد كلب الليل يصيح : نحن لا نرى العشق والهوى مهما في حياة رجال الجبل .. ولكن الفارس المغرور عندما كنا في ضيافة جعلان قبل سنوات التقى بالأميرة الأرملة ابنة جعلان، فحدثها عن شجاعته وبسالته ومقامه الكبير في الجبل، ورغبها بحياة الجبل، وربما أصبح ملكا للجبل في يوم ما .. وأصبحا عاشقين .. فلما جاءت رسالة جعلان وخصته الأميرة برسالة ظن أنها فرصة مواتية للزواج منها ، فهذا السبب الحقيقي لإقدامه يا ملك الجبل وليس كلام مني أو من غيري .

هز الغضبان رأسه الضخم، وكأنه يتذكر قصة الأميرة سُلمى وقال : قصة جديدة!!.. ألا يوجد نساء عندنا لنعشق بنات الملوك والأمراء ؟!.. هذا هو سبب سقوطه إذاً.. الثأر يا قوم الثأر ..!!

فقال زوابع على حين غرة من جدالهم : لماذا يا سادة لا نؤازر الوزير شمعار ما دام أن كفته هي الراجحة ؟!.. وأن الملك غير محبوب من رعيته .

فثار الغضبان وهاج وصاح : ويلك يا زوابع .. أتستهين بثأري؟!

فقال زوابع : أيها الملك ! نحن أرسلنا البطل وعل الجبل ليقاتل من أجل المال والثروة فلو أرسل إلينا الوزير العرض قبل الملك هل نرفض عرضه ؟!



كثر الهرج والصياح في مجلس رجال الجبل وصرفوا الاجتماع إلى لقاء آخر، كان حازم يتابع هذه الأحداث من خلال عمله في بستان قصر الملك ملك اللصوص أو قل ملك وادي السرحان .

وقبل أن ينتهي الحداد والحزن على ابن الملك الأمير وعل الجبل انتخب رجاله ابنه البكر زعيما لهم، ولما تمت مبايعته طلب من جده أن يسيره للثأر لروح

أبيه.. فاجتمع مجلس الجبل ، وبعد نظر في القضية رفض الزعيم أبو هند هذا الطلب وقال : نخشى أن تتعرض للقتل فتكون المصيبة شديدة .. إن كان لابد من الثأر والقتال مع جعلان فالأحسن إرسال زعيم غيرك .

فتنطحت ابنة وعل الجبل لقيادة فرسان الجبل ، وكانت هذه الفتاة كغيرها من فتيات الجبل من الفرسان والشجعان ، وكانوا يدربونهن لحماية الجبل أثناء الغارات والحملات ، فبعد جدال عقيم مع أبناء الميت وعل وافق الغضبان على إرسال حفيديه للثأر لوالدهما ، ولم يصغ لاعتراض عمهما كلب الليل ، ولا لاعتراض الزعيم أبي هند ، فتشكل جيش من ألف محارب ، وفيه من الفتيات المحاربات ، وساروا نحو بلاد الملك جعلان ، ولكن قبل انفصالهم عن وادي السرحان اعترضهم الأمير زوابع وحث الفتيات على عدم المسير للقتال خارج الجبل، وأن لا يغيرن سنن وطرق الجبل ، فرفضت الأميرة غزاله ابنة وعل الجبل ، وأظهرت عيانا الكره والبغض للفارس البطل .. فتحمل الأمير شتمها وسبها واحتقارها وكر عائدا للجبل وخلفه حراسه السبعة ، رغم موافقة الغضبان على مسير أولاد القتيل فقد كان على خوف وقلق شديدين عليهما، وكان يبكي من القهر والعجز عن الثأر لولده المقتول ، وكان في قرارة نفسه يتمنى أن يتحرك زوابع لهذه المهمة ، ولكن أسياد الجبل يريدون إبعاده عن هذه المهمة خشية حسد كلب الليل وخشية ارتفاع شعبيته أكثر في الجبل ، ولم تطل الأخبار فقد جاءت بشائر انهزام الملك جعلان أمام الثائرين بزعامة شمعار ، وقد تم تنصيبه ملكا على المدينة أرمان ، وعلم أهل الجبل بقتل الكثير من رجالهم ، وأسر الكثير منهم ، وعلى رأس الأسرى الأميران ابنا وعل الجبل، فاستشاط الغضبان جنونا وغضبا وقهرا ومن هول الصدمة سقط ميتا ، فتم إعلان الحداد على روحه وجسده ، وشيد له قبر في المكان الذي عينه قبل موته بسنوات .. وتقرر أن يكون الحزن عليه ثلاثة أشهر تسعين يوما ، وخلال هذه الشهور أرسل أبو هند وفدا لمفاوضة الملك الجديد شمعار للصفح والعفو عن رجال الجبل وعلى رأسهم الأميرين ، ولم تمض هذه الشهور الثلاثة حتى عفا الملك شمعار عن رجال الجبل فرجعوا بالخزي والعار ، وكل هذه المدة لم يتمكن الفارس حازم من مغادرة الجبل إلى أن كان يوم فقد طلب منه زعيم الزراع في قصر الغضبان أن يسير إلى مكان لإحضار بعد الأعشاب العلاجية بناء على توصية طبيب القصر، ففرح حازم لهذه المهمة التي لم يكن يحلم بها ، ومشى إلى المكان المشار إليه ، ولما اقترب منها سار إلى المخرج من وادي السرحان ،

فتيسر له ذلك ولم يعترضه أي أحد من رجال العصابات ، فهو يتزيا بزيهم فظنوه بريدا مكلفا بمهمة خارج وادي السرحان ، وبعد أيام كان يخرج من وادي السرحان سالما نحو بلاده ، ولما وصلها دهش كل معارفه من عودته ، وكانوا قد ظنوا أنه قتل في الصيد كما أشيع في البلدة ، واجتمع بالوزير عقاب الذي آيس من عودته وكان نادما على إرساله ، فأطلعه الفارس على كل شيء علمه في وادي السرحان ، فتعجب الوزير مما سمع وقال : لابد أنها أيام قاسية عليك يا حازم ! ولكنك عدت بأخبار طيبة ، هل رأيت الفرس ورد ؟

فقال حازم: العجب كل العجب يا سيدي الوزير ! إنني لم أتمكن من رؤيتها طول هذه المدة ، فهي ملك لفارسهم الشجاع زوابع ، وهو الذي سرقها من اصطبل الملك ، وهو فارس قوي ، وأكثر رجال الجبل يحبونه أو يرهبونه ، وقد حاولت أن أعرف أين يخفي الجواد ؟ فلم يتيسر لي ذلك ، وهناك الغلطة يا مولاي تكلف الإنسان حياته ، وأصعب شيء عندهم الخيانة ، فالقتل عندهم بعجلة ومن غير تدبر وترو، فكل الغارات التي تصيب المدن والبلاد فهي من رجالهم ، وهم الذين سرقوا خزنة الملك مرعي ابن الملك قيس ملك بلاد الأكباش

فقال الوزير : للحديث تتمة .. فسر لأهلك ، وأرح نفسك ، وانتبه لنفسك ، واحذر غدرهم سوف أتشاور مع الملك في أمرهم وفيما سمعت منك .

مشى عقاب لوالده وأخبره بكل ما نقله إليه حازم ، فهتف الوزير الشيخ : هذا ما توقعته أيها الوزير .. إذن لقد هلك الغضبان ملك الجبل ! .. إنه رجل مرعب ومخيف وفاتك لا يرحم يا ولدي !.. تكلم مع الملك قيس بذلك وسأفكر بالأمر المناسب .. اسمع لرأي الملك أولا .. فسوف يسر لهذه الأخبار رغم حزنه على جواده ، ثم أدخل عليه حازم يقص عليه حكايته في جبل ضراب ووادي السرحان .



جميلة وورد

ذهل الملك قيس وهو يسمع قصة رجال الجبل ، وتجدد حزنه لسرقة جواده ، وسر لموت الغضبان ، ولما انتهى الوزير من سرد القصة على مسامع الملك قال الملك : لابد أن هذا الفارس المسمى زوابع هو الذي التقى بالبنات في الغابة .. أتذكر لما حكم القاضي على الرجلين بالموت لقتلها صاحبها أو خصمها ؟!.. رجلي الغابة .. يومذاك أتتني

الأميرة جميلة ابنة الملكة سُلمى وحدثتني بقصة الفارس المطارد والرجال الثلاثة ، وأن البنات هن اللواتي قتلن الرجل اللص وجرحن الآخريين .
فهتف الوزير مصدقا: أجل أيها الملك أذكر ذلك! .. وحدثتني ابنة أخي صقر بذلك .. إذن لقد كان الفارس زوابع هو الذي قدم لسرقة الفرس ، وتخلى عن الرجال الجرحى .. ولكن للأسف لقد هلك الرجلان في السجن ! .. ولو بقيا على قيد الحياة لتأكدنا منهما وسمعنا منهم أخبار الجبل .. سيكون الفارس الشجاع حازم بين يديك يا مولاي ! ليحدثك بنفسه برحلته ومغامرته في جبل السرحان .
فرد الملك قائلا : لا بأس .. هيئوا حملة جبارة وقوية لغزو الجبل وتدمير مملكة اللصوص على أهلها مرة أخرى .. سوف يرون شدة بأسنا قاتلهم الله .
فقال الوزير : أمر مولانا الملك ؛ ولكن لديّ اقتراح إذا أحب مولانا سماعه .
فقال الملك : تكلم أيها الوزير!
فقال الوزير : نحن بالتأكيد وبعد مشيئة الله سبحانه سننتصر عليهم ؛ ولكن أخشى أن يهربوا كما فعلوا في المرة الماضية ، ولا نستطيع الاستمرار في مطاردتهم ؛ لتفرقهم وتشتتهم بين الممالك والمدن .. فأرى ـ يا مولاي الملك ـ أن نخاطبهم بالحسنى بأن يردوا ويعيدوا لنا الجواد .. وأموال الملك مرعي .
فقال الملك بعد تأمل : سأدرس ما تفوهت به أيها الوزير.. لو أنكم تزورون حضرة الأب الكبير وتسمع مشورته فهو وزير حكيم وبارع .
فرد الوزير : سأفعل أيها الملك الشجاع .
كان وقع رسالة الملك قيس على رجال الجبل كوقع السوط على جلد المجلود ، وتذكر الرجال القدامى غزو جيش ملك بلاد الرايات لجبلهم ، وتذكروا حرق غضبة الليل وتمزقهم وهربهم فأعاد الكبار القصة على مسامع الشباب والفرسان ، فاشتعل الغيظ في قلب زوابع وصاح قائلا بغروره المعهود : ومن هو قيس هذا ؟! .. ألهذه الدرجة تخشون جيشه؟!
فقال أبو هند مخاطبا زوابع : أيها البطل دعك من الـغرور..علينا أن نفكر بروية ، ونـعرف بماذا نرد على رسالته ؟! فنحن خبرنا الملك قيس وجيش بلاد الرايات .
فقال زوابع : ويلكم ! ألم أسرق وحدي جواده من اصطبله؟! .. أين جنده وحرسه ورجاله ؟!
فقال أحد الرجال القدامى : سرقة جواد ليست كما التعرض لغزو جيش مدرب وكثير الفرسان والرجال .. الشجاعة وحدها لا تكفي أيها الأمير.. ماذا حل بفرساننا عندما قاتلوا جيش

شمعار أيها السادة ؟!
فقال الأمير غير مكترث لمَ سمع من اعتراض : لماذا ننتظر أن يغزونا هو ؟! .. لماذا لا نغزوه نحن في عقر داره ؟!
فأجاب أبو هند قائلا : مملكته بعيدة عن جبلنا أولا ، وثانيا جنوده كثر أيها الشجاع .. فدعونا نفكر بروية وهدوء قبل أن نحسم الرد .. فالأمر صعب ، وأنا كان رأيي من البداية عدم التحرش بذاك الملك ، ولكنك يا زوابع أصررت على التحدي رغم معرفتك بالخطر الجسيم ، وأنت بنفسك أخبرتني عن شجاعة فتياتهم وقتلهن لرجالنا ، فكيف رجالهم ؟! ولكن الأمر المهم أيضا أن نعرف كيف عرفوا بأن الجواد عندنا ، وأننا سرقنا أموال بلاد أبي كبشة .. فهذا يدل على أنه كان بيننا جاسوس لهم .. وإن لم يخب ظني قد يكون ذلك البستاني الذي اختفى من الجبل فجأة وظننا أنه سقط في بعض المغارات العميقة وهلك ..
ودار الجدال حول البستاني سعود يريدون أن يتذكروا له موقفا يدل على تجسسه ، فلم يجدوا دليلا واحدا يؤكد شكهم ، ورجح بعضهم أنه سقط في أحد الحفر والآبار المخفية ، فحسم أبو هند أمره قائلا : ربما .. والأيام ستظهر الحقيقة .. المهم عليكم أيها السادة بالتفكير بالرد المناسب على ملك تلك البلاد .. نجتمع غدا ليلا لنسمع المشورة ثم نتخذ القرار الحاسم .. انصرفوا .
وتفرق أمراء الجبل والسادة والزعماء نحو بيوتهم ومنازلهم على أمل اللقاء غدا .
عندما اجتمع رجال الجبل الكبار مرة ثانية كانت الآراء كثيرة ، منهم من يرى رفض طلب الملك قيس وزاد بمهاجمة وغزو بلاده .. ومنهم من اقترح قتله غيلة لإثارة الرعب في قومه ومنهم من رغب في السلامة بإعادة الفرس وأموال ولده مرعي ملك بلاد أبي كبشة ، وهناك من أشار بعدم الرد وإهمال الجواب .. فأبو هند من دعاة السلم وإعادة الفرس والمال ، وكان زوابع من دعاة غزو بلاد الرايات وإثارة الرعب فيها ، وكان الأمير كلب الليل ابن الغضبان من دعاة غض الطرف وعدم الرد على الملك والاستعداد للدفاع والقتال ضد أي غزو ، ولما لم يجتمعوا على قول صرح لهم زوابع بأمر مثير وخطير وعجيب ، فقد عرض عليهم خطف الملك قيس وإحضاره للجبل والتفاهم معه ، واستعد هو لتنفيذ هذا الاقتراح الخطير ، فبعد زوال البغتة عن الجميع قال أبو هند : قبل أن نوافق أو لا نوافق أيها الاخوة على ما تفوه به زوابع علينا أن نفكر برد مناسب على الملك قيس.
فصاح كلب الليل : فأفضل رأي رأيي .. عدم الرد وإهمال الرسالة .
فتم الاتفاق على ذلك ، فأحضر رسول الملك قيس

وأخبروه أنهم سيتشاورون في الأمر ويرسلون رسالة للملك قيس بعد التدبير والتفكير ، فانصرف الرسول راشدا بعدما أمضى ثلاثة أيام في وادي السرحان ينتظر الجواب .

كان الأمير كلب الليل يحث أبا هند بالموافقة على اقتراح زوابع بل قال : أعرف أنكم ستقولون أن هذه فرصة للتخلص من منافسي على زعامة الجبل ؛ ولكنني أقول على رؤوس الأشهاد أن الفارس الكبير أمير الفرسان زوابع ربيب والدي الغضبان إذا رجع سالما وأحضر لنا الملك قيس حيا إلى الجبل ، فهو الملك المطلق علينا أيها السادة الكرام .. أنا ورجالي سنكون تحت أمره وقيادته وأطوع له من بنانه ، ولا نعصي له أمرا ، أو نتمرد على قراراته وجم القوم لهذا العرض ، وأخذت أبصارهم تتطلع للأمير زوابع سيد الفرسان ، فحملق فيهم الفارس بعض الوقت ، ثم هتف قائلا بحماسه المعهود وغروره المعروف : أترضون كلام الأمير كلب الليل ؟! وينتهي الصراع بين فرساننا ، وتقبلون زعامتي لكم راضين إذا أحضرت أنا الملك قيس إلى هنا حيا اسيرا ، ولا تنازعونني الملك .. ملك الجبل ووادي السرحان .. ثم تدافعون معي حتى الموت عن الجبل إذا أصر فرسان بلاد الرايات على القتال ولا تولون الأدبار جرت همهمة ولغط كبير في القاعة التي يتشاورون فيها ، فقد كانت كلمات زوابع قاسية وخطيرة ومرعبة ، فعاد كلب الليل يتعهد بالولاء والثبات والرضا عن طيب خاطر واقتناع بحكم زوابع إذا نفذ وأتى بـقيس للجبل ، ولما سمع أمراء الجبل وقادته كلام كلب وكلام أبي هند وافقوا على هذه المغامرة الكبيرة ولم يقدروا خطورتها بالقدر المطلوب ، فقال زوابع : وأنا إن نجحت في مهمتي في جلب الملك إلى هذا الجبل ، وفرضنا عليه شروطنا السلمية ووافق عليها وتوجت سيدا لهذا الوادي سأكون عند حسن ظن الجميع ، وسترون مني كل خير وولاء ووفاء لهذا الجبل ولرجاله الصغار والكبار الذكور والإناث ، وسأعرض عليكم خطتي التي رسمتها من أجل خطف الملك قيس بن خصيب .

ولما اجتمع السادة مرة أخرى ، عرض عليهم ربيب الغضبان خطة خطف الملك قيس ، فعجب الأمراء ورجال الجبل لخطته الجسورة وتمنوا نجاحها ، وعلى أثر سماعها كتبوا رسالة للملك قيس يخبرونه فيها برد الجواد ورد ، وتقدمهم الرسول بأيام ، وبعده سار زوابع وعدد من فرسانه لتنفيذ الحيلة والمكيدة ، ومعهم الهدايا للملك قيس وأعوانه ، ومعهم كذلك الفرس ورد ابنة دموع .. وكان الملك قيس قد استقبل رسول الجبل ورحب به ، ودخل قلبه الفرح لقرب عودة

الفرس المسروقة بعد كل هذه الشهور والأيام ، ولما اقترب زوابع من بلاد الرايات نشر رجاله حول مداخل ومخارج المدينة واختبأ هو وباقي الفرسان في أحد الوديان ، وسار ثلاثة رجال ومعهم الفرس ورد إلى قصر الملك مع ضحى النهار وإشراقة الشمس الأولى ، ولما دخل القوم القصر كان في استقبالهم الملك قيس بنفسه ووزيره عقاب وكثير من رجال الحاشية والأهل والأصحاب ، فعودة ورد لها معزة ومحبة عظيمة في نفوس القوم ..فتسلم الملك الجواد بشوق وحنان وعانقه وأخذ يداعبه ويتفقده ويذرف الدمع على عودته بعدما يئس من حياته ، وأخبره الرجال الثلاثة بأنهم سوف يردون الأموال التي سرقوها من مملكة أبي كبشة ، ثم ودعوه وانصرفوا وهو يحذرهم من التعدي على بلاده وبلاد ولده مرعي ، فوعدوه خيرا وغادروا المدينة وكان القوم سعيدين بعودة الجواد وظل الملك ومن معه يداعبون الفرس ، وقد لاحظوا توتره واحمرار عينيه الشديد ونسبوا ذلك لتعب الطريق وغربته ، وإن أحسوا بأنه غير تعب .. وفجأة قالت ابنة الملك جميلة : يا أبتي دعني أركبه وأدور به في ميدان القصر ، فهو صديقي العزيز .

وقد اقتربت منه وتحسست رأسه وعنقه وساقه ووضعت رجلها في الركاب ثم امتطه ، فأظهر الجواد الفرح ، فأمسكت بالمقود ودارت به عدة دورات في ساحة القصر سعيدة به.. ثم اندفعت به فجأة خارج القصر ، وانطلق بها الجواد مسرعا في نفس الدرب الذي أتى منه فصاح أحد رجال الملك: كأن الجواد قد هاج .. أدركوا الأميرة !

وقد أحست الأميرة أن الجواد الذي اعتلت متنه غير طبيعي الحركة ، فسايرته في الاندفاع ، وإن حاولت أن تلجمه ، فأصر على الانطلاق فسايرت نفسها معه .. فإذا هو يخرج من المدينة نحو الصحراء والجبال ، فكان يسير بقوة وسرعة عجيبة ، وشاهدها رجال زوابع الذين أسرعوا إلى زوابع في الوادي المختبئي فيه ، فانطلق هو ومن معه من الرجال خلف الجواد الهائج والثائر ، وكانت ورد أسرع من جيادهم ، وقد سبقتهم الأميرة بمراحل ، وظل الجواد يركض في الصحراء حتى تعبت الأميرة فسقطت عنه في أحد الحفر الرملية ، وظل الجواد منطلقا حتى هبط الليل فاصطدم بصخرة كبيرة فخر ميتا ، ولما أدركه زوابع ورجاله وجدوه ميتا ، ولم يكن عنده راكبه ، فانتظروا حتى الفجر وبحثوا عن الراكب ، فلم يجدوا أثرا للملك ، فهم كانوا يعتقدون أن الملك يركبه ، فقد أطعموا الجواد عشبة مهيجة له على أمل أن يركبه الملك بعد كل هذه الحنين فينطلق به الجواد خارج المدينة دون حرسه ، فيدركونه

فيأخذونه أسيرا ، ولما نقل لهم عيونهم انطلاق الجواد كما دبروا ومكروا سروا لذلك ، وانطلقوا خلف الجواد الثائر والمتمرد ؛ ولكنه سبقهم بساعات ، فلما أدركوه لم يجدوا عنده أحدا ، فأدركوا أن طلبتهم قد سقط في الطريق فعادوا القهقرى يبحثون عنه ، وبينما هما يسيرون أحسوا بفرسان الملك يتدافعون تترى تترى ، فتواروا عن أعينهم ، ولما ابتعد فرسان الملك تابعوا البحث عن الملك .. ووصل رجال الملك إلى حيث الجواد الصريع ، ولم يجدوا الأميرة عنده ، ووجدوا حوله آثار خيول وأقدام رجال ، ولما اقترب الليل قفلوا عائدين لبلادهم ، وقد شملهم وغمرهم الحزن والأسف والبكاء على الأميرة وعلى الجواد .

أما الأميرة جميلة بنت قيس عندما سقطت عن متن الجواد الهائج، وقد فقدت التوازن وأنهكها التعب المفاجيء ، فارتطمت بالأرض ففقدت الوعي على الفور ، ومن حسن حظها أنها لم تصرع من شدة الضربة ، وكان وقوعها العنيف على أرض رملية ، ولم تكن أرض صلبة وإلا قتلتها .. فبعد أن استيقظت وجدت نفسها في خيمة صغيرة ، فأخذت تتلفت يمينا وشمالا وشاهدت امرأة قريبة منها فهمست بضعف واستغراب : أين أنا ؟!

فقالت المرأة بفرح : حمدا لله على سلامتك أيتها الفتاة الشابة.. لقد وجدناك في الصحراء مطروحة في حفرة ومغمى عليك،وقد نزفت بعض الدماء من رأسك وفمك .

عادت جميلة تتذكر ما حدث ثم قالت : واه .. كيف أتيت إلى هنا ؟!

فقالت المرأة : ألم أقل لك أننا وجدناك في الصحراء ؟! .. أنا وزوجي كنا نحتطب فوجدناك

فحملناك على حمارنا وأتينا بك إلى خيمتنا في هذه الصحراء الكبيرة .

فأغمضت جميلة عينيها ، وأخذت تتذكر ثانية ما جرى لها ، ركبت الفرس ورد ، ودارت بها عدة دورات في ساحة القصر ، ثم اندفع الجواد بها إلى خارج القصر ، فجارته في غضبه ، ثم انطلق مسرعا نحو الصحراء وهو يركض بقوة وسرعة.. ثم رأت نفسها تطير عن ظهره وتسقط على الأرض ، فقالت : يا أمة الله .. ألم تكن بجواري فرس عندما التقيتم بي ؟!

فقال المرأة الصحراوية : لا يا ابنتي .. كنت وحيدة ، وقد ظننا للوهلة الأولى أن قوما قتلوك وألقوك في تلك الحفرة ، ولما تبين لنا أنك حية جئنا بك إلى

هنا ، فأنت في خيمة خالتك أم النهار واحمدي الله أن قدر لنا رؤيتك وإلا مت في تلك الحفرة أو أكلتك السباع والذئاب والضباع .

فتمتمت الأميرة بالحمد والثناء على الله ، ثم راحت في نوم جديد .

حكاية عبسان

كان الملك وحاشيته في وجوم شديد وهلع كبير ، فلما عاد الرجال أخبروا الملك بموت ورد واختفاء الأميرة ، وأنهم وجدوا حول الفرس الميتة آثار أقدام بشرية وحيوانية ؛ ولكنهم لم يجدوا الأميرة ولا آثار أقدامها .

فهبط الملك على الأرض تضعضعا ووجعا وترك عرشه وقال : لم تجدوا آثارا لها ؟!

فرد أحدهم : بحثنا وفتشنا .. لا أثر لثياب ولا أقدام .

فقال الوزير عقاب : إنها مكيدة كبيرة من رجال الجبل يا مولاي ! .. والله أعلم إنهم كانوا يقصدونك أنت أيها الملك بهذا المكر الرهيب !

فأكد عدد من رجاله هذا الاحتمال الغادر ، فقال بحزن : وماذا يريدون مني ؟!

فقال الوزير : حياتك أيها الملك !

فقال الملك مهددا : حسنا يا زوابع ويا كلب الجبل أو كلب الليل ! حسنا يا أبا هند الأيام بيننا فليخرج رجالنا بكثرة للبحث عن جسد الأميرة ؛ ولتذهب طائفة لدفن الجواد الهالك وتتبع الآثار ، والويل لرجال الجبل مني .

وبعد تفكير ونظر تأكد للملك أنها حيلة من رجال الجبل ، وأن حياة الملك كانت في خطر ، فلو ركب هو الجواد الهائج لحصل له أمر سيئ ؛ ولكن لم يقدر له الضرر بهذه الحادثة ، ولكن الأميرة ابنته ، فكانت المصيبة كبيرة على الملك والدولة .. فمحاولة الغدر بالملك جريمة ، وهذا أمر خطير ، وفقد جميلة وورد كل هذا من الكوارث ، ولما رجع الباحثون من غير جميلة أقسم قيس أن يدمر الجبل على ما فيه ، وأن يطاردهم ولو لآخر الدنيا ، فأمر قائد الجيش بأن يعد جيشا لجبا لهذه المهمة ، وصمم أن يهلك كل من يجده في جبل ووادي السرحان ، وأن يثأر لابنته وجواده العزيز .

وقد علم رجال الجبل بفشل محاولة خطف الملك قيس، وأن ابنته هي التي ركبت الجواد ، وأنها اختفت ولم يعثروا عليها في الوديان والصحراء ، ودب الخوف في رجال الجبل ، ووصلهم قسم الملك قيس ، وأخذوا يتعاتبون ويتلاومون ويتشاتمون ويتشاجرون ويشمتون ، فصاح كلب الليل : ويحكم كلكم وافقتم على خطة زوابع ولكن مشيئة الله غلبت مشيئتنا .. وركبت الأميرة الجواد ؛ ولكن أين سقطت ؟ أين ذهبت جثتها ؟ لو وجدناها لاستطعنا أن نساوم الملك عليها

ونمنعه من الوصول لبلادنا وجبلنا .. فقد سمعت أنه أرسل للملوك من حولنا للتحالف معه ضدنا ، فهو يريد إبادة الجبل وساكنيه .
فران الصمت على الجميع فقال أبو هند: وما عسانا فاعلين أيها القوم ؟! .. فقد حكمنا على أنفسنا بالهلاك .. فهل نقاتل حتى الموت ؟! أم عندكم رجاء وحل ؟
فقال زوابع وكله ألم وضيق : كانت خطة قوية وجريئة ؛ ولكن كما قال أخي كلب الجبل كما يحب أن يسميه رجاله وأعوانه .. القضاء لم يحكم على الملك أن يركب على الجواد ، كان الأمل أن تدفعه اللهفة والاشتياق بعد كل هذه الشهور والأيام من الفراق أن يعلو ظهر الجواد لهفة وشوقا فيحدث ما حدث ؛ ولكن تلك اللعينة ركبت قبل والدها ، ورغم مطاردتنا للجواد الهائج مما أكل وأطعم ، ولكنه كان سريعا يسابق الريح العاصف فسبقنا بمراحل ، فهذا ليس بأيدينا فلا داعي للولولة كما تفعل النساء والبنات ، ولا ينفع البكاء اليوم فهي حرب مفروضة علينا من قبل أن نضع هذه الحيلة والمكيدة ، وأنا ورجالي مستعدون للقتال حتى آخر رجل وآخر نفس ، وسندافع عن مملكتنا بكل قوة وصلابة وعناد
فقال أحد الزعماء مبينا بعض الحقائق : نحن لم ندافع يوما عن هذا الجبل أمام أي جيش غزانا نحن دائما نكر ونفر ونغزو ونساعد ، فنحن لسنا العدد الكبير الذي يستطيع الدفاع والصمود أمام الفرسان الكثر والغزاة ، نحن قوم غارات وغدر ، فلذلك قررت أنا وأتباعي بعد تشاور معهم بالهرب والانسحاب ، فمواجهة جيش الرايات هو انتحار وجبن .
فضج القوم لهذه الإعلان الصريح ، وعلا الصراخ والشتم من جديد حتى عاد كلب الليل يقول : يا سادة .. كفى كفى .. فالذي قاله صاحبنا كلام مقبول .. فنحن أهل غارة واختباء .. ونحن منذ موت والدي الغضبان لم نستطع الاتفاق على ملك لهذا الجبل ، وأنا سأطلب مثل صاحبي فأطلب من رجالي وأتباعي الخروج من الجبل قبل أن يتحالف الملك قيس مع من حولنا من الملوك والأمراء ، وينقضوا علينا انقضاض السبع على ضحيته ، وداعا أيها الجبل ! وداعا أيها الرفاق! ومن شاء منكم البقاء فليمت وليدافع عن هذه الكهوف والحجارة .
فصاح زوابع بغضب : ويلكم كلكم جبناء ! .. جبناء ! أتهربون مثل القطط ؟! وقد كنتم تدعون الشجاعة وتطمعون بالملك .
فصاح كلب الليل : لا ملك بعد اليوم ، اقذف واشتم كما تشاء ، ودعنا نسمع أخبارك يا ملك الجبل .

وخرج كلب الليل ساخرا هازئا من الشجعان ، والرجل الزعيم الآخر خلفه ، ودب الذعر والرعب في الجبل قبل أن تقبل جيوش بلاد الرايات ، ونتركهم يهربون ويتفرقون ، ونعود للأميرة جميلة في خيمة أم النهار .. علمت الأميرة أن ساقها مكسورة ومجبرة ، وكانت تحس وتشعر بألم عميق ، وقد أدركت بذكائها المشهود أنها كانت ضحية مكيدة كانت مدبرة ضد والدها من رجال الجبل ، ولابد أنهم أطعموا الجواد مادة حادة مهيجة.. فحمدت الله أنها كانت هي الضحية بدلا من والدها الملك .. ولم تذكر لأم النهار اسمها الحقيقي فسمت نفسها الغالية وأنها كانت تركب جوادا فجمح بها فطرحها أرضا وهرب ، وصدقت أم النهار وزوجها قصة الفتاة ، واهتما برعايتها والاعتناء ببدنها ، ولم يكد يمضي عليها الشهر حتى ملت الحياة ، وتمنت الهلاك .. فساقها ما زالت تؤلمها ، وأحست أنها مقطوعة عن الدنيا ، وعجبت لحياة هؤلاء في هذه البادية الخالية من الإنس والجن ، ولم تسمع صاحبتها تحدثها يوما عن حياتها الماضية وسبب نزولها هذا المكان المهجور ، ولم تحاول إشباع فضول جميلة بقصص الماضي .. فأدركت الأميرة أن لهذين الشخصين حكاية غامضة وكبيرة ، وقد فشلت كل محاولة لسماعها ، وتواسي نفسها قائلة:وأنا لي حكاية لا أستطيع مصارحتهم بها الآن وأنا ضعيفة..يا الله !! لليوم لم يصل رجال أبي إلى هذه الخيمة القديمة ! وتأخذ الأميرة بالبكاء والابتهال إلى الله أن ييسر أمر عودتها لديارها ، فهذا ما حدث مع

أميرتنا بعد انتقالها لخيمة أم النهار .. نوم أكل وتأمل وبكاء وخوف .



وتقدم الأمير صقر بجيش جرار نحو جبل السرحان للقضاء على كل اللصوص والمجرمين وأسر نسائهم وأطفالهم والاستيلاء على أموالهم وخيولهم ، وبعد مسير بطيء دخل الجيش وادي السرحان ، ولم يلتقوا برجل واحد ، فظن صقر والفرسان أن هناك مكيدة ، فشددوا الحراسات في الليل وإشعال النيران ، وبعد أيام وصلوا إلى جبل الرملي حيث مملكة الغضبان وقصره ، فوجدوه خاليا والقرية خالية خاوية على عروشها ، فتعجب القوم لهربهم العاجل ، وأخذهم أموالهم ، فقرر الأمير صقر الاستمرار في مطاردتهم حسب رغبة الملك ، وأرسل خلفهم الطلائع ، وبعد مسير دام شهر علم أنهم لجئوا إلى أحد الملوك الكبار ودخلوا في حمايته ، فأمر الجيش بالتريث ، وأرسل خطابا للملك قيس وأخيه الوزير يطلعهما على جلية

الأمر .

فلما تلقى الملك قيس خطاب قائد الحملة العسكرية الأمير صقر بن غراب جمع مجلس الملك وتشاوروا في الأمر ، فاقترح القاضي ابن عدون مخاطبة الملك بهراما في شأنهم وتعديهم على بلادنا وعبادنا .. وقال : لابد أن هؤلاء اللصوص ورجال الجبل قد بذلوا له الأموال حتى يقتنع بحمايتهم ، ونحن بالتأكيد لن ندفع له أموالا ليسلمهم لنا .

وأكد أكثر السامعين أفكار ابن عدون ، فأصدر الملك لكاتبه أن يكتب رسالة يشرح للملك بهراما قصة سرقة الجواد والمكيدة التي دبروها ليهلكوا بها الملك قيس.. وأرسل رسالة أخرى للأمير صقر يأمره بالمكث في وادي السرحان ، وأمر بإرسال المزيد من الإمداد لهم من الطعام والأعلاف ، واقترح أحد الفرسان على الملك قيس إنشاء قلعة قوية في وادي السرحان ، ويمدها بالميرة والفرسان إلى حين من الأيام حتى لا يفكر اللصوص بالعودة لجبل السرحان ، فأعجب الملك قيس بهذه الفكرة وناقشها مع وزيره عقاب فقال : نبني قلعة حصينة على قمة جبل السرحان ، ونجعل فيها المخازن الكبيرة ، ونسير لها الماء الدائم ، ونجعل فيها حامية من ألف فارس ، وكل بضعة أشهر ثلاث أو ست يتبدلون ويعود القائمون هناك للديار ، وهذا أيضا قد يغنينا عن الصراع مع الملك بهراما إذا رفض عرضنا وصداقتنا ، وأظنه سيرفض ، وأهم أمر أن ننظم أمر البريد بين هذه القلعة وبلادنا ، فمسيرة عشرة أيام ليست بالأمر اليسير ؛ ولكن بالصبر وطول الأناة نمنع المطاريد والمجرمين من الاستقرار في الجبل والعودة إليه ، ويمكن أيضا إنشاء حامية صغيرة أخرى بين القلعة وبلادنا للإمداد بالميرة والسلاح والجند عند الحاجة العاجلة أيها الوزير الفطن ، فكر ورتب هذه الأفكار واعمل على تنفيذها .

فأبدى الوزير تفهمه لمقاصد الملك قيس ، واجتمع مع فرسان وقادة الجند والتقى بمهرة البنائين في بلاد الرايات ، وبدأ الإعداد لإنشاء هذه القلعة المحصنة في جبل ووادي السرحان ، وقد جاءت الأخبار برفض الملك بهراما التعاون مع الملك قيس للقضاء على رجال الجبل بل هدد وتوعد من يتطاول عليهم ، فأمر الملك قيس قائد الحملة الأمير صقر بالمكث في جبل السرحان عدة أشهر حتى يرسل فريقا غيرهم من الفرسان ، وأعلمه بموضوع إقامة القلعة، وبدأت الإمدادات والعمال المهرة يتحركون أفواجا أفواجا إلى وادي السرحان ، وقد تم اختيار الجبل المناسب لبناء القلعة الكبيرة على متنه ، فبعضهم قام بتشييد القصر والمنازل ، وآخرون ببناء الأسوار العالية والأبراج ، ونتركهم

قليلا ونعود للأميرة جميلة بعض اللحظات والأوقات ، بعد حين تحسنت ساق الأميرة ، وأصبحت قادرة على الحركة والقيام والقعود والابتعاد عن الخيمة بدون إرهاق ومشقة كبيرة ، وفرح أبو النهار وأم النهار بهذه الصبية الحسناء ، وجعلوا من أنفسهم لها أبا وأما ، وهي رحبت بذلك ولم تحاول كشف حقيقة نسبها لهم ، وبينما هي تقف يوما على تلة قريبة من الخيمة تنتظر عودة والديها من المحطاب وصيد الأرانب والطيور ؛ فإذا بها تلمح خيالا شخصا على دابة ، فتعجبت من وجوده في مثل هذه الصحراء القاحلة ، وتعجبت أكثر عندما شاهدته يتقدم نحو الخيمة كأنه يعرف المكان ، فبعد حين وصل إليها ، فتعجب هو الآخر من رؤيتها في هذا المكان ، فنزل عن الجمل بعدما أناخه وقال : أين أم النهار وزوجها ؟؟ بل من أنت ؟!

فقالت بابتسامة صغيرة : ابنتها !

فضحك الرجل وقال : ابنتها من أين جاءوا بهذه الابنة ؟!

فقالت : أتعرفها يا هذا ؟!

فضحك من جديد وقال : كيف لا أعرفها أيتها الفتاة ؟! ولماذا أتيت إلى هنا ؟! فأنا أخ لأم النهار أيتها الفتاة الجميلة !

فهتفت الأميرة بفرح : أخوها !! لقد خيل لي أن لا أحد لهما في هذه الدنيا فمرحبا بك .

وتقدما نحو الخيمة فألقت إليه وسادة وقدمت له الماء وقالت : يا أخا العرب من أين أتيت ؟

فقال : من بلاد الله الواسعة .. أخبريني أنت من أنت ؟ وما الذي أتى بك إلى هذا المكان المجهول في العالم ؟!

فقالت باسمة : عندما تعود أمي ستخبرك .

فقال بضيق : أمك ! من أمك ؟!

فقالت : أم النهار .

فقال وهو يهز رأسه ومنكبيه : سنرى كيف أتت بك هذه الأم ؟!.. أين ذهبا ؟

فقالت باسمة : إلى الصيد وجمع الحطب .

فقال بضيق: حسنا؛ ولكنني لاحظت أنك تعرجين يا أمة الله..ولم تذكري لي اسمك ؟!

فقالت : اسمي الغالية ولعرجتي قصة ستذكرها لك أختك أم النهار .

وأحبتجميلةأن تستدرج الرجل في الكلام وتعرف منه أنباء عن صاحبي الخيمة، ففكرت قليلا وقالت : هل أتيت من أرض بعيدة ؟

فقال الرجل : لي يومان أمشي على ظهر هذا الجمل – سامحها الله أختي – لقد رضيت بالحياة في آخر الصحراء وآخر الدنيا ، ولولا محبتي لها وطاعتي لوالدتي ما زرتها قط .

فقالت الأميرة : عفاك الله وأحسن الله إليك..

فالإحسان للأخت من أعمال الخير العظيمة عند الله .. وفعلا الحياة في هذه الصحراء القاحلة موحشة ومخيفة ..لا أدري لماذا رضي والديّ بالحياة هنا ؟!

فقال الرجل ضاحكا : والداك !..إيه يا غالية ! أتصرين على أنهم والداك ؟

فقالت باسمة : أصر على ذلك وبقوة..لقد أنقذا حياتي يا رجل من الهلاك المحقق ، كدت أن أموت لولا عثورهما عليّ .. ولكن كيف طابت لهما الحياة في هذه الصحراء المخيفة ..؟!

فقال وهو يفكر : القدر يا ابنة أختي .. سأقول لك ابنة أختي ما دمت رضيت بها أما .. قاتل الله الهوى يا غالية !.. الهوى والعشق سبب رضا أختي بسكنى هذه الصحراء الجرداء .. ولا أظن أن والديك قصوا عليك سبب حياتهم هنا .. فهم لا يستطيعون ذلك .

فقالت بدهاء : أهو سر ؟!

فقال مفكرا : سر !!.. أكيد هو بالنسبة لهما سر ..لا أدري !.. على كلٍ حاولي أن تسمعيه من أبي النهار

فقالت : لا أظن أن أبا النهار سيحدثني بشيء ، فلي أشهر أحيا بينهم ، وأشرب وآكل وأنام ، ولم أسمعهما يتحدثان عن حياتهما الخاصة ؛ ولكنني أدركت أن بينهما حبا عميقا وغراما كبيرا ..

فتنهد الرجل بعمق وقال : لقد حارب الدنيا عبسان ليتزوج من أختي .. كان يحبها ويعشقها من أيام الصبا ، ولما عرفنا ذلك غضبنا ، ووقفنا أمام هذا الحب العاصف ، واخترنا لها زوجا من أقاربنا ، ولكن قام عبسان اللعين يوم العرس بقتله..واختفى ، وحاولنا بعد حين تزويجها من شخص آخر فصنع به مثل الأول ، واختفى عبسان ثانية .. وابتعد الرجال عن الزواج من أختنا ثم علمنا بانضمام عبسان لرجال جبل السرحان ووادي السرحان مكان يأوي إليه لصوص الدنيا ، وأصبح من كبار المجرمين والقتلة ، وكان بين الحين والآخر يرسل رسالة يهددنا من تزويج أختنا، وبعد موت والدنا ، ولما رأينا تصميم ليمونة على الزواج من ذاك المجرم اللص الفتاك وافقنا ، واستسلمنا لرغبته ورغبتها ، وسمح له رجال الجبل بالزواج من محبوبته .. فأتى البلده ومعه رجال منهم ، وتم الزفاف قبل حضورهم ، فلما حضروا أخذوا العروس وانصرفوا للجبل أو لإحدى القرى .

فهمهمت جميلة : إيه إنها قصة جميلة !! ..أكمل يا سيدي .

فقال وقد عادت به الذكريات القديمة: وكانت كل سنة تأتي إلينا فتمكث بضعة أيام ، ثم تعود لبعلها ؛ ولكن قبل ما يزيد عن عشر سنوات أتت إلينا هي وزوجها ، وأخبرتنا أنها ستقطن الصحراء

وتهجر الجبل ، وأنها لن تزور المدينة بعد هذه المرة .. ورافقتهم إلى هذا المكان يا غالية ولليوم لم أعرف سر بقائهما هنا وتركهم رجال الجبل ، وكذلك تركهم سكنى المدينة ، وإذا عندك زاد فقدميه لي فإني أحسست بالجوع ، وأنا أزورهم كل سنة مرة أو مرتين أطمئن على أختي وأحقق رغبة أمي .. فهذا بعض سر زواج أختي من عبسان يا غالية .

فنهضت الغالية وأحضرت الخبز وبعض اللبن للضيف.

وأخذ الرجل يأكل ويحاول معرفة قصة الغالية فترد عليه : ستحدثك أمي بالقصة اصبر.. اصبر أيها الرجل الطيب .

وبينما هم على ذلك الانسجام أقبلت أم النهار وزوجها عبسان ، وجرى العناق وأخذت ليمونة تسأل عن الأم والاخوة والأخوات ، والرجل عمران يخبرها ويطمئنها ، ثم تحول الحديث بين عمران وعبسان ، ثم نهض عبسان لشواء الصيد من أرانب البر ، وعلى رائحة الشواء سمع عمران قصة الغالية ، وأنها فتاة من بلاد الرايات كانت تتمرن على جواد جديد ، فجمح بها وهرب بها إلى الصحراء وطرحها واختفى حتى وجدها عبسان وليمونة ، وقاما بمداواتها والعناية بها حتى تماثلت للشفاء وقنعت بالحياة الهادئة معهما .

رجال الجبل

ترك كلب الليل واخوته وأولاد اخوته الجبل على أثر فشل خطف ملك بلاد الرايات ، وبعد مسير طويل تشاور كلب الليل ومن لحق به فاتفقوا على اللجوء لدى الملك بهراما، وهو صديق للغضبان ، وكان ذلك الملك يستعين به للفتك بخصومه ، فبينهم معرفة قديمة ، فساروا إليه على رأسهم غزالة ابنة وعل الجبل - المقتول في معارك الملك جعلان ووزيره شمعار - لطلب الحماية من مطاردة الملك قيس وتحالفه مع الملوك عليهم ، وكان بهراما شابا لم يبلغ الأربعين بعد وكان يعشق النساء والجميلات ويحب الفواحش والموبقات ، فمن أول نظرة ألقاها على غزالة وقع في هواها ، وقبل أن تتكلم أدركت الصبية ذلك فاستغلت ذلك على الفور ، فأظهرت له ضعفهم ، وأنهم مطلوبون ومطاردون ، وأنهم بحاجة لحمايته ، ولبعد مملكته عن وادي السرحان فلم يحدث أن سطى هؤلاء على بلاده عدا صداقته للغضبان ، ومن حسن حظهم أن قوافل بلاد بهراما أيضا لا تمر قرب وادي السرحان وجبل السرحان ، فلم يحدث بينهم احتكاك عدائي ، فقبل الملك حمايتهم والدفاع عنهم ، وسيسمح لهم بالنزول في أطراف بلاده إذا وافقت ورضيت غزالة بالزواج منه ، فلما تشاورت مع اخوتها أولاد وعل الجبل وعمها

كلب الليل قالوا : الأمر لك .. إن وافقت فنحن موافقون .

ولما اجتمعت بالملك مرة أخرى أبدت موافقتها على شرط أن لا يتزوج عليها ، ولا يبقي امرأة عنده غيرها ، وإذا تزوج من امرأة غيرها فيلزمه طلاقها ، فلما وافق بهراما المهووس بالنساء والصبايا على شروطها حصل النكاح ، وشهده الشهود ، وهجر نساءه الأخريات ، واحتفل الملك بزواجه من حفيدة الغضبان ، وأنزلها قصرا من قصوره الكثيرة ، ونزل قومها في منازل وخيم في طرف المدينة ، ووعدهم بالحماية وحذرهم من الغدر والسرقة في بلاده .

فلما أتته رسالة الملك قيس سخر منها ومزقها، ولم يكترث بها ، وغرق بغرامه وعشقه.. وأما زوابع فلما رأى تفرق رجال الجبل ولم يبق معه وحوله إلا رجاله ، وعددهم ما يقارب الثلاثمائة سوى نسائهم وأطفالهم فشعر بالضعف والهوان ، فهمس لنفسه : كيف كنت أحلم بأن أجعل هذا الجبل مملكة كبيرة ؟ ! وأن ندع اللصوصية والنهب وقطع الطرق والتعرض للقوافل والتجار .. ولكني فشلت في الوصول للملك .. سأتبع أبا هند فهو خير من كلب الليل اللعين

ولما لحق بأبي هند وجماعته ، طلب منه أبو هند الابتعاد عنه ؛ لأنه هو طلبة الملك قيس فصرخ فيه من أعماق فؤاده : يا جبناء !.. قيس لا يعلم أنني أنا الذي دبرت المكيدة !

فقال أبو هند: هذا لا يهم .. ابتعد عنا .

فهام زوابع ورجاله على وجوههم بين الوديان والجبال والصحراء حتى ابتعدوا كثيرا عن وادي السرحان .. وكان يقول لأحد رجاله المسمى ريحان : أترى يا ريحان ما حل بنا ؟.. إنهم جبناء ضغفاء.. لا أدري لما يخشانا الناس ؟!

فرد ريحان قائلا : نحن قساة على الضعفاء والبسطاء ! وعندما نصل للسادة والأكابر يظهر تمزقنا وضعفنا وجبننا .. فلننزل هذه الغابة ونأوي إليها ، فلا أظن أن فرسان الرايات يصلون إلى هنا لنا أكثر من عشرة أيام نقطع القفار والبوادي والوديان.

فتنهد زوابع الغاضب الناقم وقال : إنني أتمزق من الداخل يا ريحان ..إنني أكاد أن أتفجر من الغيظ .. زوابع المخيف يهرب كما يهرب الفأر من القط أو الثعلب الماكر من الكلب الصغير .. أين الشجاعة ؟! لعنة الله عليك يا غضبان .. قتلتني حيا وميتا .. اللعين كان يقول لي : أنت نقمتي .. لقد انتقمت بك من أناس.. فحرمتك من أمك وأبيك وجعلتك مجرما ذا قلب حجري مات اللعين ولم يذكر لي اسم أمي .. أخبرني اللعين أنه خطفني لينتقم من ضحاياه .. لا أدري يا ريحان

لماذا أفكر بأمي الآن ؟ !.. هل اقترب الموت ؟ أم اللقاء بهذه الأم المفجوعة ؟ ..آه .. اللعين لم يخبرني ماذا صنعت له أمي ، وهو المجرم العتيد لينتقم منها ؟ إنني نقمة من نقمات الغضبان فهلك اللعين وتركني ضائعا تائها في هذه الوديان والجبال والغابات كان أولاده الجبناء يكرهونني بشدة ، ولولا أنه لا يريد قتلي لقتلونني قبل أن أشب ، ولكني شببت وركبت الخيل فأصبحت وحشا فارسا ماهرا رغم أنفهم .

فقال ريحان بذهول واضح : ألم تكن تحب الملك الغضبان ؟!

هاج زوابع ورد بعنف وحقد : لا .. لا .. كيف أحب قاتلي ؟!.. ولكني وجدت نفسي في جبل اللصوص جبل الموت .. خطفني وأنا طفل صغير ، حرمني من حضن أمي وأبي ، انتقم بي منهم فرضعت الإجرام والقسوة منه وفي جبله .

أحس ريحان المجرم القاسي بالحزن والشفقة على سيده أمير الفرسان وقال معبرا
عن ذلك : إنك مأساة إذن يا صاحبي !

فقال زوابع : لقد منعني أن أعرف الحقيقة . . عندما كنت أسأله عن أمي ، كان يحبسني ويعذبني ويقول : هذا سر لن أبوح لك به ، ولن أقتلك سأجعل منك نقمة سيفا أسله للثأر .. ممن يريد أن ينتقم ؟! لا أحد يعرف من أين اختطفني ؟! من أي البلاد أتى بي ؟؟ فكان عليّ أن أصير قاسيا مجرما لا أهاب المنية ، ولا أخشى أحدا .. فأصبحت سيد الفرسان وأميرهم رغم أنفه .. ملتصق به لأعرف سره وسري .. فلا سر ، مات فجأة قبل أن يتكلم ، لم يحاول أن يتكلم ..آه يا ريحان !!

فقال ريحان : إنك سيد الفرسان وأمير الفرسان ، وكنت سيد الجبل بلا منازع ، بل كنا نرى الرعب في عيني الغضبان منك ومن صوتك الشديد القوي .

فقال : كان يخشى أن أتمرد وأثور وأقتله فجأة .. ولكنه كان يعلم أنني لا أستطيع ذلك قبل معرفة السر الدفين بين جوانحه ، وها هو هلك قبل أن يتفوه به .. وها هو الجبل يتمزق يتشتت يا ريحان الشجاع .. قل لي ما العمل ؟!

فقال ريحان : لا شيء أيها الفارس .. علينا أن نرقد بضع ساعات ونصبر حتى ينسحب رجال الرايات عن الجبل .. فنعود إليه ، ولا نسمح لأحد من اللصوص في دخوله إلا تحت طاعتنا وحدنا .. لا يبقى إلا لرجالنا وأصحابنا هذا رأيي يا سيد الفرسان !.. ونمنع كل من خذلنا من الحياة فيه .

فقال زوابع : قول طيب .. فلنرقد ونستوطن هذه الغابة ونختبئ فيها إلى حين

أمر ريحان الرجال والنساء ببناء الخيام في هذه

الغابة والحياة فيها حتى ينصرف رجال الملك قيس إلى بلادهم ، ورتب ريحان الحراسات حول الخيام والمعسكر ، وأخذ يرتب لإرسال الجواسيس إلى الجبل والعودة بأخبار الجبل .

هذا ما كان من زوابع و كلب الليل ورجال الجبل ، فقد تفرقوا أيدي سبأ ، كل زعيم وجماعته في ناحية .

هوى عبسان

مضت سنة قد تزيد عشرات الأيام على محاولة قتل الملك قيس بن خصيب ، وقد ذهل زوابع ورجاله لما علموا ببقاء الجيش في وادي السرحان ، وهم يشيدون قلعة ضخمة لنزول الفرسان فبدا لهم أنه من الصعب العودة إلى الجبل .. ، وكلب الليل صدم لما علم بالفكرة أيضا ، وسعى لإقناع غزالة ابنة أخيه بإغراء الملك بهراما على تدمير القلعة قبل أن تتم فرفض وزير بهراما الأمر وقال للملك : نحن نحمي القوم ، أما أن نذهب ونقاتل في مكان بعيد فهذا خطر على جندنا وبلادنا .

فلم تفلح غزالة بإقناع الملك بهراما في الغزو والقتال نيابة عن قومها ، فقد وجدته زير نساء ولهو فهو غير مهتم بالحرب والقتال ، فأحست بالندم على الاقتران به ، وفكرت بالهرب منه ، ولكن يذكرها قومها بحمايته لهم من جنود الأمير صقر بن غراب ، وأن الملك قيس ما زال يرغب بسفك دمهم وإذلالهم ، والحدث الأهم حدث في جوف الصحراء حيث استقرت الأميرة جميلة في خيمة عبسان وليمونة .. انطلق عبسان يوما للصيد وأبعد النجعة مم أثار الخوف عند المرأتين وجاء عند غروب اليوم التالي وهو يركب على ناقة .. وكن يعتقدن للوهلة الأولى أن القادم هو عمران أخو ليمونة .. فلما أناخ جمله ونزل فإذا هو عبسان ففرحن بعودته وعادت النضارة لوجوههن .. والأعجب من ذلك أنهن وجدناه مسرورا وفرحا على غير العادة ، ولما انتهى العتاب من ليمونة قالت : ما هذا الفرح الذي رسم على محياك ؟!

فقال : ابشري يا ليمونة ! .. خلاص انتهى اختفاؤنا ، سنعود للمدينة أو القرية .. فلقد زرت أحد الرجال ، فأخبرني بخبر سرني رغم حزني من الخبر ، ولا خوف على حياتي بعد اليوم ، فمضيت لمدينتنا وأتيت بناقة عمران..سنرحل .. سنرحل صباحا بعون الله .

فهتفت ليمونة : ما الأمر أيها السيد ؟ لم أفهم شيئا ؟!

فقال بفرح : لقد مات أعز الأصدقاء .. مات الغضبان يا ليمونة!

فقالت بدهشة وهي تحملق بزوجها : مات الغضبان !! .. الملك مات !

فقال بفرحه : أجل !!.. أجل فقد مات منذ أكثر

من سنة ، مات ملكنا السابق يا ليمونة .. مات صديقي العزيز !.. إيه مات بعد فقده بصره ، وبعد مقتل ابنه وعل الجبل .. فلنفرح في هذه الليلة الأخيرة لنا في الصحراء ونودع الصحراء والأرانب .. مالك صامتة يا غالية ؟ ألا ترغبين بالسير معنا للمدينة ؟! سأزوجك من أجمل رجالها وخير رجالها .. تكلمي يا بنيتي ؟!

فقالت : يا أبتاه .. ماذا أقول ؟؟ إنني سعيدة بسعادتكم ؛ ولكني لم أفهم شيئا من كلامكم .. ومن الغضبان هذا الذي هو من أعز أصدقائك ؟! وهو سبب فرحك اليوم .. فهل موته يفرح لهذه الدرجة وهو صديقك؟!

تنهد عبسان وقال : أجل..أجل أيتها الفتاة الطيبة !.. سأحدثك الليلة ونحن نودع هذه الصحراء الجرداء بكل قصتي .. ستعرفين الأسرار التي كنت تحاولين معرفتها .. ستعرفين لماذا سكن أبوك عبسان في هذه الصحراء منذ سنوات وانقطع عن الخلق ؟ .. ستعرفين لماذا لم أحب أن أصارحك بأسراري وقصتي ؟ .. ستعرفين لماذا قبلت الحياة في هذه الصحراء ، وأنا الرجل المرعب الذي كانت نساء قريتي تخوف أولادهن به ؟.. ستعرفين كل ما أحببت أن تعرفيه عن سبب ابتعادنا عن الناس والبشر ..كل ذلك ستعرفينه بعد الطعام ، ستسمعين أنت وليمونة الكلام .. ليمونة امرأة صالحة ووفية رضيت بهذه الحياة ؛ لأنها اختارت عبسان وأحبت عبسان

كنت شابا صغيرا لم أبلغ العشرين عندما التقيت بليمونة ، فخفق قلبي عندما رأيتها أول مرة عرفت الهوى والعشق ، وبادلتني هذا الهوى والغرام .. هي ابنة أسرة كبيرة في بلدة سبع عدسات ، عرف الناس بحبنا ، وانتشر بين الأهالي حبنا وغرامنا..أهلها رفضوا زواجنا، فكيف يقبل أبناء الأسر الثرية ابن الناس البسطاء ؟! لم نكن فقراء ؛ ولكننا لم نكن من أبناء الأسر التي تجلس مع الأمراء والملوك في السبع عدسات .. غضب أهلها لهذا الحب ضربوا الفتاة الصغيرة حسناء الحي وأتوا بزوج لها يا غالية .. في ليلة العرس طعنته بخنجري فأرديته قتيلا .. هربت إلى الجبال والكهوف القريبة من البلدة ..هناك وفي إحدى المغارات التقيت بشاب هارب مثلي مبتلى بدم إنسان من أهله .. تصادقنا وتعاهدنا على المحافظة على بعض .. هذا الفتى الشجاع الهارب اسمه عشم فأخذنا نسلب المارة وندع لهم حياتهم .. نريد أن نعيش .. ندخل المدن لشراء الطعام ، ونعود للحياة في الجبال والأودية بين الكلاب والضباع والوحش ، ثم التقينا بمطاريد مثلنا ، فكونا نواة عصابة نحمي بعضا ونود بعضنا ، فبعضنا قد قتل، وبعضنا حاول القتل ولم ينجح ؛

ولكنه نجا بروحه ، كلنا متهمون ، كلنا أصحاب جريمة وحقد على مدننا وقرانا .. كنت أتسلل للسبع عدسات لأرى محبوبتي ليمونة.. كانت على العهد ، كانت تبذل كل جهد لتراني رغم الحصار المشدد عليها وعلى حركاتها.. ثم علمت أن زوجا جديدا قد تقدم إليها .. ولما كانت ليلة العرس صرعته وأعدمته الحياة ، أصبحت وحشا يا غالية لا تخافي مني خاف الناس من الزواج من ليمونة .. أقاربها هابوا الموت .. مات والد ليمونة يا غالية .. وبعد ذلك استسلم اخوة ليمونة لزواجي منها ، فطلبوا منها أن ترسل لي بموافقتهم ، ولما تأكدت من عدم المكيدة والكيد منهم اتفقت معهم ، وكان الزواج ، وفي ليلة العرس دخلت المدينة ومعي بعض الأصحاب وعلى رأسهم عشم صديقي ورئيس عصبتنا .. سكنت بها في الجبل ، جعلنا من أحد الكهوف عش الزواج ، سعدت بها وسعدت بي ، كانت تحبني وأنا كذلك وهكذا كان وكثرت غاراتنا على المدن وكثر مطاردينا ، فرحلنا لوادي السرحان وجبل ضراب ، وجدنا كثيرا من العصابات تقطن المكان ؛ ولكنّ عشما بوحشيته وقسوته المفرطة سيطر بعد حين على المنطقة كلها ، وأصبح الزعيم المهاب ، فأنشأ له قصرا ، وكبرت العصابة وكثر رجالها ونساؤها .. فأصبحت قرية .. وكنت من كبار أعوان الزعيم عشم الذي سمى نفسه بالملك الغضبان .. وكان غضبه على رجل من رجال الجبل يعني هلاكه وموته ، زادت أموالنا ودوابنا ، وكدنا نصدق أننا أصبحنا مملكة ؛ ولكن أعدادنا لم تتجاوز الألف رجل .. ثم كان حدث كبير في الجبال .. لقد علم الغضبان أن أميرة .. أميرة حقيقية محبوسة في الجبال عند أحد زعماء العصابات في الجبل الزعيم أبي الليل ذهبنا أنا والغضبان وبعض الرجال إلى مكان أبي الليل ورأى الغضبان الأميرة التي لجئت إليه وطلبت حمايته ، وهذه الأميرة كانت محبوسة بإسم قريب لها صديقا لأبي الليل ، وقد أتى بها الأمير هذا خوفا من زواجها من أمير غيره .. المهم أن الغضبان عرض الزواج عليها فقبلت ووافقت ؛ ولكنها طلبت مهرا لها عجيبا عنا وعلينا ، وهذا المهر كان فرسا وسيفا لأحد ملوك بلاد الرايات التي ذكرت لنا أنك خرجت منها يا غالية .

فقالت الغالية : بلاد الرايات .. نعم إنها مسقط رأسي ومولدي .. أكمل يا أبا النهار إنني مصغية إليك بشغف وقوة .

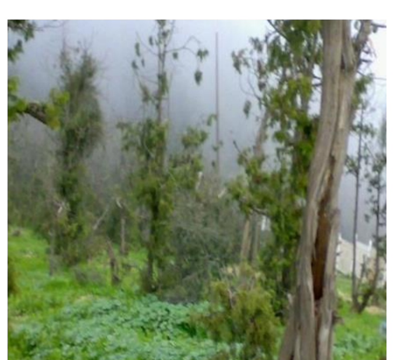
فتابع أبو النهار كلامه ، وهو يعجب لشجاعتها وعدم رعبها منه رغم مصراحتها بأنه مجرم وسفاح وقاتل ، فتابع الكلام قائلا : لهذه الأميرة قصة لابد من سردها ، فهذه الأميرة لها قريب يحبها ، وكان يأمل بالاقتران بها ؛ ولكن سبقه إليها ابن ملك بلاد

الرايات ؛ فاضطر لخطفها وأتى بها خدعة لأصحابه في وادي السرحان ، وكان والدها الملك قد طلب لها مهرا من الملك خصيب بن مرار صاحب بلاد الرايات ، وهذا المهر فرس أصيلة وذات قيمة كبيرة بين الملوك تسمى دموع ، وسيف يقال له سيف الفردوس يقال إنه من ملك الصين ، وافق الملك مرار على التنازل عن هذين الشيئين ، ولكن لما اختفت الأميرة أعاد والد الأميرة المخطوفة الفرس والسيف للملك خصيب .. فلما وافقت الأميرة على الزواج من الغضبان طلبت المهر السيف والفرس ، فوافق الغضبان وأرسل من يأتيه بهما ، فهلك الرجال أو أسروا ، وعرف الملك خصيب سرهم وحاجتهم ، وكرر الغضبان العنيد المحاولة وفشلت ، وفكر بغزو تلك المدينة ؛ ولكن رجالنا لم يكونوا بتلك الكثرة ، وأيضا بلاد الرايات تحتاج من المسير عشرة أيام من وادي السرحان ، وبينما نحن نفكر بالانتقام غزانا الأمير صقر ابن الوزير غراب بن عقاب وزير الملك خصيب فنحن في الجبل لا نستطيع مقاومة ومحاربة الجيوش القوية ، فأخلينا الجبل ، أثناء ذلك كان الأمير قيس الذي طلبها قبل قريبها قد تسلل إلى الوادي ، واستطاع أن يصل للأميرة التي يرغب بالزواج منها ، واستطاع إنقاذها وعاد بها إلى بلاد الرايات ، وكانت بلاد الأميرة على اثر حادثة خطفها قد انقلبت على الملك جعد بن همام فتركها هاربا لخصومه ، ومات من الغيظ والقهر ، فلما علمت الأميرة الناجية ذلك حقدت على قومها وأخوالها ، وتزوجت من الأمير قيس الذي أنشأ لها مدينة صغيرة سماها على اسمها مدينة سُلمى وحشد لها قوات وجندا عدة سنوات ، ولما اكتمل الإعداد تحركوا نحو بلاد أبي كبشة لتحريرها من نحاس وأعوانه ، وكانت الأميرة سُلمى قد أنجبت للأمير قيس عدة أبناء ، وأثناء حربهم مع بلاد أبي كبشة - وهذا المهم في قصتي اليوم - صمم الملك الغضبان على الانتقام من الأميرة وزوجها ، فنزلت أنا وإياه إلى مدينة سُلمى وأثناء انشغال القوم بالحرب نصبنا كمينا ومكيدة لخطف ابن الأميرة سُلمى ، وفي غفلة من الحرس والخادمة خطفنا فتى صغيرا قدرنا عمره بثلاث سنوات أو أربع ، وهربنا به إلى الجبل ووادي السرحان – ونحن أكثر من محاولة للأنتقام بذلنا ، وتهيأت لنا الفرصة خلال حربهم - ولم يعرف سر هذا الغلام المسروق إلا أنا ، أي أعرف من هو أبوه وأمه ؟ .. والقوم في الجبل ظنوا أنا قتلنا أهله وأشفقنا عليه فأتينا به الجبل ، إذن انتقم الغضبان من والديه ، كان يريد أن يجعل من الأمير الصغير مجرما شرسا عنيدا فسماه زوابع ، وكبر الغلام وتوحش ؛ ولكنه كان يسأل عن أهله ،

والغضبان يصارحه أنه خطفه لينتقم به منهم ، وخشي الغضبان صديق العمر أن أكشف السر أو يعرف الشاب أنني أعرف السر ، فصارحني قائلا : يا عبسان أنت صديقي وصديق العمر ، ومن بداية الدرب وأنا أحبك ، ولا أريد أن أخسرك ؛ ولكنك الوحيد الذي يعرف سر هذا الربيب ، وأنا لا أريد أن يعرف ، ولا أريد أن أغدر بك ؛ ولكنك شوكة في حلقي فاختفِ من حياتي ، ولا أريد أن أعرف المكان الذي تختفي فيه .. لقد كان تهديدا واضحا وصريحا فحملت زوجتي ليمونة وأتيت إلى هذه الصحراء منذ سنوات وسنوات ، ولم يكن يعرف مكاني أيتها الحسناء الشجاعة إلا أخو هذه المرأة عمران .. ابتعدت عن المدن والقرى خوفا من غدر الصديق القديم عشم ، وفي خروجي الأخير طرقت أحد الأصدقاء القدامى ، فأخبرني بهلكة الغضبان وموته ، فأتيت إليكم مسرعا لأخرجكم من هذه الصحراء القاحلة ومن الخوف والموت ، فهذه قصتي وأسباب حياتي في هذه الصحراء يا ليمونة ويا غالية ، فغدا بمشيئة الله سنرحل إلى قرية قريبة من السبع عدسات نقترب من الأهل رويدا رويدا .

كانت الأميرة جميلة ذكية وفطنة رغم تلون وجهها أثناء سماع الكلام وتساقط الدموع بين الحين والآخر وهي تسمع القصة ، فقد أدركت أنها قصة أمها وأبيها الملك وأخيها الضائع ، فحمدت الله على حادثة الجواد ، وعلمت أن أخاها الضائع يحيا مع رجال الجبل ، ويحمل اسم زوابع ، وهو مجرم عتيد ، علمت كل ذلك وكتمته في قلبها ، وتمنت لقاء والدها الملك لتحدثه بذلك ، وفجأة سمعت ليمونة تقول لها : أين سرحت يا غالية يا ابنتي ؟!

نظرت إليها وقالت : إنني أفكر بكل ما سمعت من هذه القصص المتشابكة والغريبة .. هل نسيت يا أبتاه بعد كل هذه السنوات في الصحراء العصابة والجريمة ؟!



فقال بحزن : أنا لم أولد مجرما يا فتاتي .. الهوى والحب سبب اندفاعي وارتكابي للجرائم .. لو رحمني أهل ليمونة ما أظن أنني قتلت إنسانا وقتلت ؛ ولكن لا ينفع الندم ، وأنا سكنت الصحراء لأنني لا أريد أن أموت بيد صديق العمر ، وهو لم يشأ الغدر ليبقى السر سرا .. فها أنتم عرفتم كل أسراري ؛ لأنه لم يعد هناك سر ، فقد هلك الغضبان، وأنا لا أفكر بالعودة إلى الجريمة ووكر العصابة، فقد تفرقوا وهربوا ، فالملك قيس

قد أرسل لهم من جديد الأمير صقر ليحاربهم ، بل أمر بإنشاء قلعة ضخمة في الجبل ليمنع اللصوص من التجمع ثانية ومن الحياة في وادي السرحان ، فأسأل الله أن يجنبني الجرائم ثانية.. فلننم بضع ساعات لنرحل مع الفجر ، فهذه هي الأسرار التي كنت ترغبين بسماعها يا صغيرتي ! وأعجب أنك لا تخافين رغم معرفتك من عمران أني مجرم عتيد ، وأزهق روح الإنسان كما نزهق روح الطير والحيوان

فقالت الغالية : حق أني عجبت منك لما حدثني عمران عن وحشيتك ؛ ولكن رقة ليمونة وحبها لك كان يثير عجبي أكثر ، فرأيت أن الظروف التي أحاطت بك أيام الصبا ، وطيش الشباب قد دفعا بك للحياة في الجبال مع الوحوش واللصوص ، وقبل أن ترد أيها الرجل الطيب .. أذكر أنك الرجل الذي أنقذ حياتي وعالجني وحفظ شرفي وعفافي ، فما رأيك بأن ترحل وتصحبني إلى بلاد الرايات ؟ ولسوف يكرمك أهلي غاية الإكرام ، فهم من الأغنياء ، وسيسرون بك وبليمونة، هم بالتأكيد اعتقدوا موتي بعد أن يئسوا بالبحث عني ، عندما أكلم والدي بقصة حياتك سيتعاطف معك ويشفق عليك ويعذرك ويحميك .

أخذ عبسان نفسا عميقا وقال : آه ! كم تشأمت عندما خبرت أنك من بلاد الرايات ! لقد راودتني نفسي والشيطان بطرحك في الصحراء ؛ ولكني رفقت بك وعطف قلبي عليك وقلت إنك مسكينة مثلي ساقتك قدرة الله لهذا المكان .. أعرفت الآن لماذا لم أفكر بالوصول إليها إلى بلاد الرايات ؟ .. لقد شاركت الغضبان في خطف ابن مليكها ، وهي سبب خروجي من الجبل طريدا خفيا في هذه الصحراء .. فماذا سيحل بي لو عرفوا أنني من رجال الجبل ؟

فقالت الغالية : وكيف سيعرفون أنك من رجال الجبل ؟!

فقال : يا بنيتي ..أنا كنت من رجال الغضبان المعروفين والمرافقين له.. والأمير قيس قبل أن يصبح ملكا قد تحايل علينا ودخل الجبل وعاش فيه عدة أشهر ، ولابد أنه رآني برفقة الملك الغضبان ، ولا أظن أنه نسي سحنتي .

فقالت بعد صمت : أيها الرجل الطيب أحب أن أعوضك عما قدمت لي .. فأهلي الآن يعتقدون هلاكي وموتي ، فعندما يرونني حية سينسون ما فعلت مع الملك ، وسيشفعون لك عند مولانا الملك ، بل سيطلبون مساعدتك وإكرامك .. وأرى أن الملك قيس سيطلب مساعدتك في العثور على ولده الضائع الذي أسميتموه زوابع.. أليس كذلك ؟!

فقال : أجل أيتها العزيزة .. عميقة الفكر فطنة

والله !.. ولكني أحب الحياة .. وأحب ليمونة
فقالت : أنت تريد أن تسكن بطرف مدينة السبع عدسات على أمل الاقتراب من المدينة، وتأكد أنني بعدما عشت كل هذه المدة معكم وفي رعايتكم فلن أغدر بكم ، وهذا عهد أقطعه على نفسي فسأدع أبي وهو من الأكابر أن يتشفع لك عند الملك ؛ فإن قبل الشفاعة أظهرتك ، وإن رفضوا فضلك سأخبرك بذلك ، وأدعك تبتعد ولن أنساك أبدا .. وإذا خشيت من غدرهم سأقتل نفسي قبل أن تقتل .. أريد لك السعادة والحياة الهادئة والبعد عن الجريمة والقتل والغدر
أخذ عبسان الرجل المجرم بالبكاء كالأطفال ، وهو يسمع كلام الأميرة وحنوها وشفقتها عليه وكانت زوجته الصامتة طول مدة هذا الحوار تشاركه الشهيق والزفير والدموع ، فلما اكتفى من البكاء ، وألقى المزيد من الحطب على الموقد نظر في عيني الأميرة على وهج النار وقال : يا غالية بالذي خلقك ابنة مَن مِن السادة في بلاد الرايات ؟!
فابتسمت الأميرة له ابتسامة رقيقة وقالت : أتسير معي إذا ذكرت لك اسم والدي ؟ وتثق بي وأنني مثل ابنتك كما عشنا خلال هذه الشهور الماضيات
فقال: سأثق بك ! فأنا واثق بك أصلا ؛ ولكن لي حسابات قديمة في بلاد الرايات ، وسأسير معك إذا كنت ممن يعرفون والدك وثقله ومكانته عند الملك قيس
فهمست بصوت هادئ : أنا ابنة الملك قيسيا أبي!
فغر عبسان فاه دهشا، وقال بدهشة غير المصدق وهو يقف : الله !! أيعقل هذا ؟! ابنة الملك تعيش سنة في هذه الصحراء وهذه الخيمة الخرقاء !
فقالت : أنا جميلة ابنة الملك قيس والملكة سُلمى .. الأميرة التي سكنت في جبل السرحان بين عتاة المجرمين ، وأنا اليوم أخت الأمير زوابع الذي خطفه ملكك الغضبان ، واعلم يا عبسان أنا إذا أمنتك فلن يمسك أحد بسوء ، وتأكد أن والدي لا ينسى المعروف والخير رغم ما فعلته بنا.. وما أنت إلا رجل من رجال الغضبان تسير بأمره وتعمل بأمره .
فعاد عبسان للجلوس ثانية وهو مازال يحدق النظر في الفتاة الشجاعة ويهمس قائلا : ابنة الملك قيس.. أمعقول هذا ؟!
فقالت : صدق هذا أيها الرجل ! وإذا وصلنا بلاد الرايات ستتأكد من ذلك ، وأقسم لك قسما عظيما إنني لن أغدر بك أو أسلمك للجلاد ، بل نحن بحاجة إليك ولحياتك لنصل لـزوابع ليعرف الحقيقة ليعرف أمه وأباه ، وقد ساقتني حكمة الله الجليلة إلى صحرائك؛ لنعرف هذه الحقيقة ، وننـقذ أخي من العالم الذي يعيش فيه ،

نحن بحاجة إليك يا عبسان تعاون معنا يا أبي الطيب ! وستبتسم لك الدنيا وتنعم بالحياة الطيبة مع ليمونة .
كانت ليمونة مذهولة هي الأخرى من المفاجأة !
فقال عبسان : لم يبق لي كلام .. وكما قلت قدرة الله قد جمعت بيننا في هذه الصحراء لإنقاذ الأمير زوابع ما اسمه الحقيقي ؟!
فقالت برنة حزينة : الأميرسيف الزمان بن الملك قيس أيها الرجل! فرغم قسوة الفراق والجريمة فستكون ساعة اللقاء جميلة ومنسية للماضي وغمه وجرحه
فقال عبسان مستسلما : مع الفجر يا ابنة الكرام سنتحرك إلى بلاد الرايات ، ومهما حصل لي فأنا أستحق ذلك ؛ ولكن وصيتي إليك يا جميلة .. ليمونة ، فهي وحيدة في هذه الدنيا ، لا أهل لها ولا إخوة ، وعمران هذا إذا هلكت أمها فلن تراه أبدا ، وصيتي إليك ليمونة إن لم يقبل والدك الملك العفو عني .
فقالت : ويحك !.. أتظن أن الملك قيس شهيته الانتقام والثأر .. لا .. إن لم يعفو عنك سأموت معك يا عبسان .
فقال : إنني واثق منك ، ومن شجاعتك ، فكلما أراك تصطادين الأرانب والحبارى والقطا كنت أظن أنك رجل متنكر لولا تأكيد زوجتي لي أنك أنثى مثلها .
ضحكت جميلة حتى بدت أسنانها وقالت : أبي يحب الفروسية والصيد ، وكان يحب منا أن نكون فرسانا ومقاتلين ، فاعتنى بنا وأمر بتدريبنا ، وقد رافقته كثيرا إلى القنص .. فوالدي مغرم بالصيد من قبل أن يصبح ملكا ، بل تعرف على أمي الأميرة سُلمى الملكة فيما بعد في رحلة صيد بوادي الثعالب .. فلنرقد أيها الرجل الطيب ، ولسوف ترى من أبي الملك ما يسرك ولا يضيع المعروف عندنا .
المسافة بين صحراء عبسان وبلاد الرايات تحتاج مسيرة يوم أو أقل بقليل من الساعات وتحركوا مع بواكير الفجر ، فركبت المرأتان الجمل ، وركب عبسان الحمار ، وساقوا الغنيمات ، وبعد مسير مضن في حر الصحراء وبردها اقتربوا من بلاد الرايات ، ومع ظهور الصباح مشوا نحو المدينة ، وكل غارق في خواطره ، ومع الظهيرة وصلوا أحد أبواب المدينة ، ولما شاهد أمير الباب الأميرة جميلة ، لم يصدق ما تراه عيناه فهتف مدهوشا : الأميرة جميلة ابنة الملك بعد كل هذه الأيام ؟!
فقالت باسمة: أجل ، وأسرع الآن وأخبر مولاك الملك بعودتي .
فركب الجواد مسرعا نحو القصر ، ولما رأى عبسان ذلك هم بتقبيل يدي الأميرة يبدو أن

الشك قد زال من نفسه بصدق الفتاة ، فذعرت جميلة لهذه الحركة وسحبت يدها عجلة وقالت : لا تفعل أيها العم والأب العزيز .. أنا مدينة لك بحياتي أيها الرجل الطيب !

فقبلها من رأسها وقال: بل أنا مدين لك من اليوم وتقدمت جميلة وليمونة ويتبعهما عبسان على حماره وبين يديه الغنيمات .. تفاجأ أهل ديوان الملك بما يسمعون ، ودهش الوزير عقاب ، ودخل على الملك سريعا فأسر إليه بما قاله أمير الباب ، فصعق الملك ونهض مسرعا ، وخرجوا نحو الباب المذكور ، وأدركوا الأميرة في منتصف الطريق ، فنزل الملك عن حصانه الأدهم واعتنق الأميرة ، وهو لا يكاد يصدق ما ترى عيناه من حياة ابنته، وكان عبسان دهشا مذهولا للغاية مما يرى، ومن حب الملك ولهفته ، ومن صدق الفتاة وتواضعها معه في الصحراء ، ولم تحاول الظهور بأنها ابنة ملك عظيم وحفيدة الملك خصيب صاحب الصيت العظيم والمعروف ، وعبسان يعرف قيس حق المعرفة عندما عاشرهم فترة في وادي السرحان ، وتقدم الملك إلى عبسان المدهوش الحائر يصافحه ويباركه ويشكره على مساعدة ابنته في تلك الصحراء ، فتقدم الرجل الكهل يريد تقبيل يدي الملك ، وهو يبدي احترامه له وللأميرة ، وفعلت ليمونة المذهولة كما فعل زوجها ، فشكرها الملك ورحب بهم أجلّ ترحيب وألطفه ، وبينما القوم فرحين بعودة الأميرة سائرين لقصر الملك أقبل كثير من أهل المدينة يشاهدون عودة الأميرة التي يئسوا من حياتها ويرحبون بها ، وأمر الملك قيس بالأفراح والصدقات وفتح موائد الطعام للعامة والخاصة ، وأقبلت العواتق من خدروهن يسلمن على صديقتهن الجميلة جميلة ، وكان يوما كبيرا في بلاد الرايات ، وأرسل الملك قيس رسولا إلى بلاد الأكباش لإخبار الملكة سُلمى والملك مرعي بعودة ونجاة وحياة الأميرة جميلة وكان الملك قد أمر بإنزال عبسان وزوجته في قصر الأقواس أحب القصور إليه وأمر بإكرامهم غاية الإكرام .

وسر وفرح أهل المدينة بحياة الأميرة ، وأحضر عبسان لقصر وديوان الحكم ، وقدم له الجميع التحية والشكر والهدايا ، ولما انتهى الناس من الفرح بعودة الأميرة جميلة سألها والدها : لماذا لم ترسليه إلينا يخبرنا بحياتك ونجاتك ؛ لنرسل إليك الخيل والجمال والرجال ؟

فقالت : هو لم يعرف أنني ابنة ملك إلا منذ ليلة مضت ، ولو طلبت منه ذلك لم يفعل .. وكنت في صحراء مخيفة فخشيت أن أكشف أمري له من أول يوم ؛ لإصابتي بالكسر أولا ولغموضه فقلت لنفسي لا يسكن مقطوعا عن الناس إلا رجل متهم أو هارب .. ألم تعرفه يا أبي ؟ ! فهو يعرفك .. فهذا

وجه قد مر عليك

فقال قيس وهو يفكر ويتذكر : خيل لي ذلك .. ولكن لا أذكر اليوم شيئا .. فذكريني .

فقصت الأميرة على والدها قصة عبسان ، ولم ذكرت حياة أخيها كاد الملك أن يصيح من الفرح والبشارة وهتف قائلا : سيف حي .. سيف حي ! ما أعظمك يا رب الأرض والسماء ! رب ضارة نافعة ؛ ولكن للأسف والخسارة إنه يعيش مع المجرمين ، بل أراد قتلي زوابع هذا ، أتذكرين فارس الغابة يا جميلة ؟!

فتذكرت جميلة فارس الغابة فهتفت : أتعني أن ذاك الفارس كان أخي.. يا الله !! صدق يا أبي أنني لما شاهدته في ذلك اليوم خفق فؤادي لرؤيته ، وخشيت على نفسي من العشق والغرام الذي يتحدثون عنه ولما عرفت أنه مجرم ارتاحت نفسي إنه أخي سنبحث عنه يا أبي .

لقاء زوابع

رغم الغضب الذي أصاب الملك لما عرف شخصية عبسان ودوره في خطف ولده البكر ، وتذكره أنه رآه في وادي السرحان ضمن حاشية الغضبان ، مع كل ذلك غلب معروفه بالمحافظة على حياة ابنته وعفتها على سيئاته ، وبما أنه ذو قلب كبير فنسي كل الآلام التي سببها له ، وحمل الغضبان كل ذلك ، وعفا وصفح عنه، اكراما لابنته وتعهدها بحفظ حياته ومكافأة لمعروفه معها ، وأبقاه حيث هو ، وطلب منه عدم محاولة الهرب ، وأنه آمن على حياته ، وأعلمه أنه ضيف الملك ، وأن وجوده مهم في البلاد حتى يأتوا بزوابع أمير اللصوص ؛ ليسمع منه القصة ويصدق أنهم أهله،وبعد ذلك فهو بالخيار إن شاء البقاء في بلاد الرايات فله ذلك وعلى الرحب والسعة ، وإن شاء العودة لبلده فالملك سيتشفع له عند ملك تلك البلاد ، فسر عبسان غاية السرور بعفو الملك عنه ، وتعهد للملك قيس بالبقاء حتى يلتقي بولده المخطوف ، بل أبدى استعداده للبحث عنه .. وفرح عبسان بعطف الأميرة جميلة عليه وعلى زوجته ولكثرة ترددها عليهم وتفقد أحوالهم في قصر الأقواس .. القصر المحبب على قلب والدها الملك قيس .

وكان عبسان عندما فارق الصحراء قد كتب على شجيرة قريبة من الخيمة رسالة لعمران لأنه عندما استعار منه الناقة أخبره بأنه سينزل المدينة أو أطرافها ، ولما تغيرت وجهة نظره بعدما أباح بسره إلى الغالية، وعرف من هي الغالية ؟ فكتب رسالة قصيرة على الشجرة التي كان قد زرعها قرب الخيمة ، وفعلا لما تأخر عبسان قلق عليه عمران ، وأرسلته أمه إلى الصحراء ، فأتى المكان ووجد الخيمة فارغة ، ودار حول المكان عدة مرات ، فلم

يجد لهم نارا وأثرا ، ولم يجد قرب الماء والثياب ، فأدرك أنهم رحلوا ، ثم رأى الخنجر مغروزا بالشجرة ، فعجب من ذلك وسار نحوه ، ولما أراد نزعه لمح الكتابة على جذع الشجرة نحن مشينا نحو بلاد الرايات عند الملك ، نزع الخنجر وفكر طويلا .. بلاد الرايات .. بلاد تلك الفتاة هل أراد أن يوصل تلك الفتاة لأهلها ثم ينكس نحو مدينتنا ؟ ولكن لماذا عند الملك ؟! وما علاقة عبسان بملك بلاد الرايات وبعد تفكير عميق صمم على الرحيل نحو بلاد الرايات وعدم العودة إلى مدينته قبل لقاء أخته وعبسان ، وبعد حين دخل بلاد الرايات ونزل في أحد الخانات ، وسأل صاحب الخان عن عبسان ظانا أنه ربما نزل هذا الخان الكبير مع اعتقاده أيضا أن أحدا لن يعرف عبسان ؛ ولكن ربما صدف وتعرف به صاحب الخان ، وما كاد يسأل عنعبسانويذكر وصفه حتى صاح الرجل صاحب الفندق: الرجل الطيب !!.. إنني أعرفه .. لقد أنقذ حياة أميرتنا المحبوبة . وأخذ بوصفه ، فدهش عمران لمطابقة الوصف لـعبسان فقال : كيف أنقذ أميرتكم ؟!

فقال الرجل : يا هذا قلت لي إن هذا الرجل زوج أختك .. سأرسلك لقصر الأقواس وستسمع القصة منه .. فأميرتنا جميلة فقدت منذ سنة، ولما تعافت أتى بها ذاك الرجل الطيب .. فالفتاة التي عاشت معه في الصحراء هي الأميرة جميلة ابنة الملك قيس بن خصيب .

فقال عمران لنفسه : أوه !! .. الآن عرفت سر الشجاعة والجراءة في تلك الفتاة .. لم أشعر لحظة أنها تخاف من عبسان رغم أنني حدثتها عن إجرامه؛ لتحذر لنفسها ، فقد قابلت ذلك بغير مبالاة ، ولم تحاول طلب أخذها معي ، والآن فهمت أيضا قوله عند الملك .. فقام عمران عندئذ بشكر صاحب الخان ، وهتف وهو ينقلب نحو قصر الأقواس : والله يا عبسان فتحت عليك طاقة السعد !

وسر عبسان وهو يرى عمران صهره ونسيبه ، وتعانق الرجلان وقال عمران مداعبا ختنه : والله هبطت عليك السعادة يا عبسان ! وأصبحت نزيل القصور بدلا من الخيم والكهوف .. هنيئا لك يا أم النهار ..

ولما علمت جميلة بضيف عبسان أتت بنفسها ترحب وتسلم عليه وتحييه ، فأراد أن يقبل يديها احتراما فاعتذرت وقالت ضاحكة: لا يا عمران ! فهل أنسى الأيام التي تسامرت أنا وإياك بها في صحراء عبسان.

فقال عمران : والله يومها عجبت من شجاعتك وثباتك! ولم يدخل الرعب قلبك وأنا أحدثك عن عبسان رغم أنك أنثى ، وتسكنين مع وحش

رهيب قتل الإنسان عنده أهون من قتل حشرة ، فاعتقدت يومذاك أن الصحراء هذبته ولينته وحسنت طباعه وأخلاقه رغم وحشتها وقسوتها . وتذاكرا الصحراء وأيامها ، وصنعت الأميرة وليمة كبيرة للسيد عمران ، وسمع عمران قصة عبسان والأميرة ومجيئهم لبلاد الرايات ، فقال لـعبسان : إنه السعد يا سعيد ، وإذا وجد الملك ابنه الضائع ستصبح من رجال المملكة الكبار يا عبسان .. فالأميرة مسرورة منك وتقدر معروفك وإنها تحب ليمونة الصابرة على هفواتك وعفراتك فقالت ليمونة : بل الملكة سُلمى ملكة بلاد أبي كبشة أقبلت بنفسها تشكر عبسان رغم ما فعله بابنها ، بل وهبته عقدا من الجواهر أغناه للأبد ، وكذلك فعل الملك مرعي ، وعجب عبسان لكرم هؤلاء الملوك ، وبكى من عظم كرمهم معه، ومسامحتهم لغلطته الكبرى في خطف الأميرسيف الزمان، ووعدته الملكة بالغنى الأبدي إذا اجتمعت بولدها سيف بعد كل هذه السنوات الطوال .

كانت الأخبار قد وصلت لوادي السرحان والفرسان بعودة الأميرة بنت الملك قيس سالمة فعم السرور القوم ، وانتشر الخبر عندهم أن الملك يريد لقاء المدعو زوابع حيا ، وأنه طليب الملك بل أتت الأميرة جميلة بنفسها لوادي السرحان وجبل ضراب، ورأت البنيان الذي يشيد ، وفرح الجند بوجودها واحتفلوا بنجاتها ، ثم ألقت خطابا فيهم ، وطلبت منهم عدم قتل أي لص يقع بين أيديهم قبل أن تراه ويعرض عليها ، وأن ربيب الغضبان زوابع شخص مطلوب للملك ، ويريده الملك حيا ، ولم تكشف لهم سر اهتمام الملك بشخص زوابع ، وهم فعلوا ذلك خوفا على حياته من غدر اللصوص والمجرمين .

ولما علم زوابع النزيل في الغابة من جواسيسه وعيونه في وادي السرحان ومن أهالي القرى التي تبيع بقولها ولبنها لجنود الملك قيس أنه طليب الملك قيس أدرك وزاد تأكده أن الملك قد عرف دوره الكبير في المكيدة التي دبرها لخطفه أو قتله غيلة، وعجب من قصة نجاة الأميرة التي قلب الدروب باحثا عنها يومذاك ، وقد انطلق يبحث عنها مع رجاله بعدما فشل في اللحاق بها ومطاردتها راكبة الجواد المتمرد ، وعجب من رغبة الملك والأميرة ببقائه حيا ويقول لنفسه : ماذا يعدون لي من الانتقام والعذاب ؟؟

وكان زوابع قد سمح لمن شاء من رجاله بالانفكاك والعودة لبلادهم ومدنهم أو أي قرى بسلام فلم يبـق حوله الكثير ، ونزل الكثير من رجاله القرى ، وقنعوا بحياة الفلاحين والبسطاء ، وأما زوابع فلما وصلته رغبة الملك والأميرة

بالحفاظ على حياته قال لريحان : أريد أن ألتقي بهذه الأميرة يا ريحان .. أريد أن أعرف لماذا يريدون لي الحياة ؟!

فيقول ريحان بقلق : أنسيت ماذا فعلت بها عندما أطعمنا الجواد ورد العشب المثير والمهيج ؟ وكيف هرب بها الجواد ونبذها في الصحراء بعد مسير مخيف؟! .. إنها راغبة بالانتقام والثأر

فقال زوابع ضجرا: مللت النوم والكسل منذ هجرنا الجبل ضعف نشاطنا وحركتنا .. أفكر بلقاء الأميرة لترى من أنا، لن أغدر بها، ولن أمسها بسوء ، فقط سأثبت لها أنني أستطيع النيل منها ومن أبيها ، وأنني لا أخشاهم ، وإن كان في ذلك غرور يا ريحان .

فحاول رجاله ثنيه عن هذه المقابلة والمغامرة ؛ ولكن زوابع كما عرفناه يحب الطيش والمغامرات فقد سرق ورد ، وغزا مدينة أبي كبشة وسرق خزائنه ، وغزا كثيرا من المدن والبلاد ، وكاد يفتك بالملك قيس دون رهبة ووجل ، فلما علم أن الأميرة أتت واد السرحان للقبض عليه حيا ومقابلته ، فكر بلقائها وتحديها والاجتماع بها ثم الهرب ، فقال لرجاله : سوف أفكر بحيلة ألقى بها هذه الأميرة المدعوة جميلة ؛ لتعرف من هو الأمير زوابع ؟ أمير فرسان الجبل ، لا تخشوا شيئا على أنفسكم ، ها نحن لنا أكثر من سنة نيام .

بعد أيام يسيرة كان زوابع يضع خطة وحيلة للقاء الأميرة جميلة، وليعرف منها سبب حقدها عليه ورغبتها بلقائه ، وهو الفارس الصنديد ، فطلب من أحد رجاله الذين يترددون على جبل السرحان بصفة فلاحين يبيعون فواكههم وخضارهم للجنود أن يهمس للأميرة بأنه يعرف وكر ومقام زوابع.. واتخذ زوابع وكرا قريبا من جبل السرحان، وفعلا استطاع العين الفلاح العجوز أن يسر للأميرة بسره ، فتمعنت الأميرة بكلامه الخطير وقالت : أحقا أنك تعرف مكان اختفاء زوابع ورجاله ؟!

فقال الفلاح بثبات : أجل يا مولاتي ! إنهم يختفون بكهوف قريبة من قريتنا ، وذات مرة اعترضوني وسألوني عن أخبار الجبل وبناء القلعة ، فسمعت أحدهم – وقد ذكر اسم زوابع بينهم – يقول لآخر : إنه فلاح يبيع ثماره لجنود الملك قيس ، فاخلوا سبيلي ، ولما علمت أنك مهتمة به أحببت أن أسر لك هذا السر من غير أن يعرف أحد أنني كشفت لك سرهم وإلا أهلكوني كما تعلمين ، فهؤلاء قوم لا رحمة ولا شفقة في قلوبهم على بني الإنسان ، ولولا حاجتهم لبضاعتنا لمابقوا علينا أحياء لليوم .

وأخذ يصف لها المكان الذي يختفون فيه ، فشكرته ووعدته بالجزاء الأوفى ، وقالت : استمر في عملك

وبيعك وترددك علينا حتى أفكر بطريقة نصل إليه يا قمريني .

ولما انصرف الفلاح المدعو قمريني ، وركب حماره متظاهرا أنه كان يبيع الأميرة بعض الفواكه الجميلة والطيبة ، سعت الأميرة إلى الأمير صقر وتحدثت معه بشأن زوابع والفلاح .

فقال الأمير : هؤلاء الفلاحون لا يطمئن المرء إلى كلامهم كثيرا ، فهم يعملون مع جميع الأطراف ، ونحن لا نثق بهم كثيرا ، فهم يزرعون البساتين ويقطفون ثمارها لبيعها لنا ، وقد كانوا يبيعونها قبل مجيئنا لرجال الجبل ، وقد ابقوا على حياتهم لحاجتهم لهم ولزروعهم .. فهم يبيعون الزرع ويقبضون قطع المال ، والحذر من تعاونهم مع اللصوص مطلوب أيتها الأميرة

فقالت الأميرة : أنت تعلم أيها الأمير القائد أنني أريد مقابلة الأمير سيف أو زوابع فحتى لو كانت مكيدة منه ؛ فأنا أتيت ساعية للقائه ..

فقال : ولكننا نخشى على حياتك من لحظة غدر وخيانة .

فقالت بثقة وحماس : أنا إذا وصلت لـزوابع أرى أن الأمر انتهى ، فقد تقابلنا قديما في غابة بلاد الرايات – القصة التي تذكرها يوم سرقة الفرس – ولكن أخشى أن أقابل غيره فلذلك سأقبل المسير مع الفلاح لأعرف المكان ، وسيسير خلفي مائة فارس يجب أن لا أغيب عن ناظرهم ، وسيرافقني أيها القائد الكبير أشجع فرسانك ..

فقال : سأختار لك أشجع فرساننا ليرافقك ، ويتبعكم مائه أسرع من الطير في الخافقين ، وسيتبع المائة مئات ، فعسى أن نلتقي بأخيك أيتها الشجاعة ، ولولا ثقة الملك بشجاعتك لما أرسلك إلى هذا المكان المرعب البعيد عن العمران والمدن .

بعد حين أرسلت الأميرة للفلاح قمريني متظاهرة أنها ترغب بشراء ما يحمل من الفواكه ، ولما خلا المكان قالت : أنت حدثتني قبل أيام أنك تعرف مكان اختباء زوابع ورجاله ؛ ليفسدوا في الأرض، كم نحتاج من الوقت للوصول إلى مكانهم ؟

فكر قمريني قليلا وقال : نصف نهار على الأكثر .

فقالت : ألا تخشى أن يروك وأنت معنا ستذهب حملة معك ؟!.

فقال : أنا لن أذهب معك يا مولاتي الأميرة ! سأدلك على المكان ، وأهرب إلى قريتي ، والأفضل أن يذهب عدد قليل من الفرسان ؛ لأنهم إذا شعروا وأحسوا بكم سيختفون ولا يعترضونكم فهؤلاء اللصوص يخافون من الكثرة والجنود

فتظاهرت جميلة بأنها اقتنعت بكلامه وحرصه فقالت بدهاء : سأسير أنا وأحد الفرسان ؛ لنعرف المكان ، ثم نرتب لهم كمينا فيها بعد .. أليس هذا جميلا ؟!

فقال الفلاح بحماس : هذا عين الصواب ! وعندما نقترب من الوادي الذي يختفون فيه سأرشدكم وأختفي أيتها الأميرة ! وخذوا حذركم ، وعندما تفوزين وتتحققين من القبض على زوابع أرجو ألا تنسوا مكافأتي .

فتبسمت الأميرة وقالت : أبشر أيها الشهم .. الآن انصرف ، وعندما تأتي في المرة القادمة سأشترى بضاعتك ونتحرك سريعا .

وبعد أيام أتى قمريني ، فأخذت الأميرة منه الثمار وسارت معه ، وكانت على جوادها ، وهو

على ظهر حماره ، ورافقها الفارس غالب ، ولما ابتعدوا سار خلفهم الفرسان المائة بخفة الطير وعلى شكل جماعات ، وكانت بينهم مسافة معقولة ، واستمر السير حتى دخلوا وادي النهر ، ثم صعدوا صعودا مرهقا ، وهناك أشار قمريني إلى صفحة جبل ومغارات يختفي فيها رجال زوابع ، ثم تابع ابتعاده وهربه عن المكان ، وهبطت الأميرة إلى أحد الوديان نحو المكان الذي أشار إليه البائع العجوز ، وبينما هم يقتربون من المكان المشار إليه ظهر عدد من الفرسان على خيولهم ، وبعد حين أحاطوا بالأميرة والفارس غالب اللذين أوقفا جواديهما متظاهرين أنهما متفاجآن ، ولما اقترب الفارس زوابع من الأميرة وراءها عرفها وتذكرها ، فأصابته الدهشة فصاح دهشا :

أنتِ .. أنتِ ؟! فتاة الغابة !.. إنك لبوءة لقد رأيتك ذاك اليوم الذي لا ينسى !

أشار زوابع إلى رجاله العشرة بالنزول عن خيولهم وتقديم التحية للأميرة وفعل مثلهم ثم قال : أيتها الأميرة .. أتذكرين يوم الغابة ؟! .. إنه يوم لا أنساه ! لقد شاهدتك والبنات تصرعن رجالنا ببارقة السيف ، فأكبرت شجاعتكن ، ولم أكن أعلم أنك أميرة أو أميرات ، وكنت في عجلة من أمري .. أتذكرين عندما قلت لك إننا لصوص ومجرمون ؟! فلا تسألن عنا ، ولم أذكر لكنّ اسمي رغم مناشدتكن لي بذلك ذلك اليوم .. فأنا الفارس اللص أمير فرسان الجبل زوابع، أمير الملك الغضبان- لعنه الله - ملك اللصوص وقطاع السبل ، أنا زوابع الذي ترغبين بلقائه حيا ؛ فأنا جئت ودبرت ذلك ؛ لأراك وأسمع الغاية من اللقاء بي .

قالت بثبات وهي ترسم على وجهها ابتسامة : أعرف أن قمريني جاسوس لكم.. وأنا جئت وأنا متأكدة أن في الأمر مكيدة وحيلة ؛ ولكني أنا فعلا بحاجة إلى لقائك .. أنظر ها هم فرساننا يا أميرزوابع قد ظهروا ؛ ولكن اطمئن ، نحن لا نريد رأسك ، ولا جسدك ، فرأسك ثمين لدينا نحن نريدك حيا لأن أمرك يهمنا ، وحياتك تهمنا رغم سرقتك للفرس ورد ، ورغم محاولتكم قتل مولانا

الملك

فهمس زوابع متعجبا : إنك أشجع من رأيت أيتها الأميرة ! وإنك أذكى امرأة تمر بي ! وأنا كنت مدركا أن حيلتي لن تنطلي عليك ؛ ولكنني ظننت الغفلة قد تكون فيك ، ولا يكاد يخلو بشر من غفلة ، والآن وقبل نشوب المعركة ، ربما تكون الأخيرة في حياة زوابع ، أريد أن أعرف لماذا تريدون لقائي وحياتي؟!

نزلت الأميرة عن جوادها ، ولم تسحب سيفها من غمده وقرابه ، واقتربت من زوابع الذي احمر وجهه من الخجل فأعاد السيف إلى غمده ، وقال مرة أخرى وبعدم مبالاة : لماذا تريدونني حيا هل لأنني حاولت خطف الملك والدك ؟! ترغبون بتعذيبي ؟!

فقالت الأميرة وهي تقف أمامه وتحد النظر في عينيه : لا .. نحن نريدك حيا ؛ لأننا عرفنا سرك الخفي ، عرفنا أمك وأباك ..

فهتف دهشا : أمي .. وأبي !! أنتم تعرفون أمي وأبي ؟!

فقالت بشفقة وحنان : أجل أيها البطل !.. نحن نريدك ؛ لأن لنا أكثر من عشرين سنة نبحث عنك .. ألا تريد أن تعرف أمك وأباك ؟

فكان الفارس مضطربا ، وهو يحدق النظر في الفتاة التي تتحدث معه بثبات وقوة أعصاب وعطف ، وهو الفارس الشجاع يرتجف أمام أنبائها وعاد يقول : تعرفون أمي وأبي ؟! .. أمي حية وأبي حي !.. لم تعد أعصابي تطيق وتحتمل أيتها الأميرة تكلمي بالله تكلمي ؟!.. إني أتمنى الموت على أن يكون بعد رؤيتهما ولو لحظات .

فقالت : أحق ما تقول ؟

فقال : كدت أن أقتل الغضبان من أجل أن أعرف أمي وأبي ، وهو يدرك أنني في أي لحظة أعرف أسرتي التي سرقتني منها سأضع خنجري في صدره .. أنت تعرفين أسرتي ؟.. ارحميني أيتها الأميرة .

فقالت : أحقا تحب أمك وأباك ؟ .. هل تعلم أن أباك هو من أردت قتله ؟ وأن أمك هي من سرقت أموالها ؟ فأبوك الملك قيس بن خصيب ! وأمك الملكة سُلمى بنت جعد !

لم يستطع زوابع الكلام ، وأصابه ذهول أو كأنه لم يصدق ، فهبط على الأرض ووضع رأسه بين يديه صامتا محدقا في الأرض ، فسمع الأميرة تقول : نحن عرفنا ذلك منذ عهد قريب من رجل ساعد في خطفك من قصر أمك وأبيك في مدينة سُلمى

نظر إليها وقال : أنت إذن أختي ! أنت إذن أختي!

فقالت وقد طفر الدمع من عينها : انهض ..أنا أختك جميلة ابنة الملك قيس .

فصاح بصوت كالرعد : رباه !! رباه !! أنا ابن الملك قيس ! وخفض صوته وقال : آه !! أدركت

الآن لماذا كان اللعين يدفعني لقتل الملك قيس أو يقتلني الملك إذا سقطت بين يديه ؟! يا لله ! إنه انتقام رهيب مرعب ! وقد دفعني لسرقة بلاد أبي كبشة .. اللعين قتلني ألف قتلة! أختاه !.

وفتح ذراعيه واحتضن أخته ، وأخذا يمسحان دموع بعضهما ، وهما يبكيان ، وكان فرسان الأمير صقر في دهشة من هذا الاحتضان ، وكذلك رجال زوابع ؛ فإذا صقر الأمير على رأس

الجند يهتف ليزيل الاستغراب واللبس : إنهما أخوان !! .. هذا ابن مليككم المفقود أيها الناس!

فأجهش الجميع بالبكاء والشهيق والزفير لهذا اللقاء ، والأمير زوابع قد أصبح الأمير سيف الزمان، وقد استمع الحكاية حكاية خطفه ونقله إلى جبل السرحان ، وأمر الأمير صقر رجال زوابع بالالتحاق والمسير لجبل السرحان ، وأن الملك سوف يعفو عنهم جميعهم ويلحقهم بفرسان المدينة ، فأخذ الفرسان يعانقون الأمير صقر ويشكرونه ، وهم مندهشون لما آل إليه أمرهم من رجال فارين خائفين إلى رجال آمنين مطمئنين ، سار الأمير سيف معهم نحو الجبل وهو يكاد يطير من الفرح والسعادة ويقول بشوق ولهفة : متى أعانق أمي ؟ متى أقبل أبي ؟! .. متى أرى عبسان ؟ إنني أذكره .. لقد كان من رجال الغضبان من المقربين ؛ ولكنه اختفى فجأة وظننا أنه قتل أو

مات .. انتهت الحلقة ٢

روايات اجتماعية

الحفل بالقط الأسود ٢

طلاق جديد

كانت سلوفانا تضطر لقَبول أصدقاء نذير ولو على مضض ، ولا يحق لها أن تفصلهم على الرضا بهم ، وكان من الترتيب بينها وبين نذير أن لا يأتي بعشيقاته للقصر ، فله أماكنه الخاصة ، أما الحفلات بصورها المختلفة فمقبولة في القصر ومن واجباتها .

سعت فريدة لترميم علاقتها بسلوفانا بعد موت نذير ، فبعد اتصالات كثيرة قبلت اللقاء بها فقالت ساعية لتبرير خلاعتها : المرحوم هو الذي اخبرني أنك لا تمانعين بإقامة علاقة بينه وبين أي امرأة وأنت تقبلين عشيقاته بروح رياضية.

فقالت السيدة : لست أول أنثى تبيع جسدها له أو تهبه له يا سيدة فريدة ! .. وأنت تعرفين ذلك يقينا ؛ لكنك أسأت للقصر وساكنيه.. أنا اعلم من نذير نفسه بعلاقاته الحميمية معكن ودخولك السهرات والحفلات بصفتك عشيقة أو احدى العشيقات .. هذا متفق عليه .. أمر الجماع كان محظورا هنا ؛ لكنك ليلة القط الأسود تعريت تماما وعربدت أمامنا ، فلم يحتمل نذير عريك وثارت غريزته ، وخشيت أن يفعلها أمام الضيوف ، وكان

لابد من الاتصال بجسدك بكل وقاحة ، وكان تلك الأيام مريضا وممنوعا من الاتصال ، وخدرتم منذرا ، وكان الزنا بكل وقاحة ، ونحن نعلم أنك شبقة للغاية ، ولا تفوتين ليلة دون مضاجعة ، وجئت تلك الليلة رغبة بمعاشرة نذير ، ولم تصدقي بتعبه ومرضه ، وتظاهرت بحب النوم في القصر طمعا أن يعاشرك نذير ، فاعلن النوم في غرفتي لتغادرينا فلم تفعلي وأرسلت رسالة أنك مستعدة ، ولما لم يأتك استدعيت خادم الغرف ، وجاء زوجك ظانا أنك تحت نذير ، فوجد رومو فوقك وطلقت ، وتسببت بطرد الخادم وزوجته .. القصر مكان محترم يا دكتورة ليس حانة للدعارة لم تراعي مشاعر سيدة القصر .

فقالت : لم أخبر منه أنه يمنع المتعة في القصر ، وأنك ترفضين هذا الفعل هنا وتقبليه له هنالك

قالت السيدة : هذه الغرف يا سيدتي لضيوفنا من الخارج والداخل ، ربما يتأخر بنا السهر والاحتفال فينامون مع زوجاتهم أو بناتهم.. فلنا أصدقاؤنا من بلدان شتى

فقالت: نعم حضرت كذا حفلة .

قالت السيدة بقوة وحماس : لا يحضرون يا فريدة لممارسة البغاء مع العشيقات حتى لو جاء احد مع زوجته غير الشرعية مجرد صديقة .. فهم يعرفون قانون القصر

فقالت وهي تجحرها بامتعاض : تبين أنك حاقدة عليّ يا سيدة لعلاقتي القوية بذكرك ! .. كان عليّ أن احترمك في حياة زوجك زير النساء .

قالت السيدة : أنا لست حاقدة عليك ! ولماذا احقد عليك ؟! ومن أنت لأحقد عليك؟! أنا احترمت وجودك ووجود شلة نذير جميعكم من اجل السيد.. وزوجي أعرف أنه زير نساء من قبل معرفتك.. فهو عاش في البرازيل وألمانيا ولا يهمه شرف .. حياته النساء والشراب .

فقالت : حسنا ! أنا شخص غير مرغوب فيه في حفلاتك وسهراتك ولو بصفة إدخال السرور والمتعة على سيدك .

قالت السيدة : الرجل مات ، ورحل عن الدنيا بما كسب ، وقد انتهت واستهلكت قواه الجنسية والكبدية .. وأنت سرعت بالقضاء عليه بعجزك عن تركه للزنا .. فهل ستمارسين السحاق معي .. لم اجرب ذلك.. فليس لك مقام يا دكتورة .. واذا احتجت يوما لمساعدة مالية فسنقدم لك المساعدة ؛ لأنك كما قلت أدخلت السرور على بدن نذير.

فقالت وهي تنهض : الوداع .. أنا سعيت ؛ لأكون صديقة لك لذكرى السنوات بيننا وما بيني وبين رجلك .

قالت السيدة لتغيظها : نذير لا يصادق رجلا يمنع زوجته منه .. المرأة قبل الرجل.. المال يشتري به

الرجال ونساءهم .. ريما الوحيدة التي صمدت رغم ما تلقت من هدايا.. زوجها سمح لها بالنوم معه .. نفسها رفضت ، وزوجها قبل حذائي رغبة في قضاء ليلة معي .. وما زال يطاردني يا فريدة .. قبلني نذير ، وقد رفضت الإنجاب منه وقبل .

فقالت : بسيل يطمع بجمالك ومالك وهو الأهم فهو مستهلك مثل ذكرك الهالك.

قالت السيدة : المال شهوة كل البشر ! لو لا خاتمك ما قبلك الخادم رومو

طلق طبيب العيون المشهور في زريق بسيل ريما بعد تفاهم بينهما على أمل أن تقبل سلوفانا زواجه منها بعد ترملها معتقدا أنها صغيرة على ترك الزواج ، وكان صديقه منذر يتحدث معه في نادي ليلي ؛ حيث السكر والرقص والخمر : اذا كنت تحب أن نسعى لدى ريما وتعود لبيتك وأنا كلمتها فقالت الأمر عندك.

فقال بسيل: يا صديق العمر الذي بيني وبينها انتهى .. هي تعلم شغفي وجنوني في زوجة نذير منذ قابلتها لأول مرة .. وهي اليوم أرملة لن تجد خيرا مني.. وسوف تحن للرجال ، وسأكون أمامها .. وعلاقتي بريما كانت مسألة وقت يا منذر والطفلان تركتهما لها.

قال : ولكنك تحبها يا بسيل وزعمت أنك تزوجتها عن حب وغرام .. وصحيح أعرف ظروف زواجكما .. وتلك الأنثى مجرد شهوة ،.. ولولا زوجة نذير ما وصلت للطلاق ، ولا اعتقد أنها تستسلم لك.. فهناك طبيبها يرغب بها.. الطبيب التركي لوقان.

ـ ومن قال لك؟!

قال : سمعت ، وعمل معها لغرامه بها ، وكان نذير يبغضه ، وشك أن بينهما علاقة إباحية فابتعد الدكتور عن القصر عدة شهور ، ثم سمح له بالعودة ؛ لأنه من اصل تركي ؛ حيث أن والد سلوفانا تركي قوقازي .

فقال بسيل: لم اسمع من نذير مثل ما تقول .. لم تقبل الحلوة بي لوجود نذير .. فليس كل النساء فريدة .. سلوفانا تربية أوروبا.. امرأتك كانت مومسا اكثر من عاشقة .. رأيت عريها في تلك الحفلة الماجنة كراقصات العري في بريطانيا وأوروبا.

قال منذر : أنا لا يهمني شرف أو كرامة .. أنا طلقتها ، لم اعد أطيق رغباتها الإباحية، زادت وقاحتها الجنسية بحضوري .. هذا استهتار ويظن الناس أني احب ذلك واعمل قوادا .. لم أعد احتمل .. أنا أزني لكن بنوع من الستر .

فقال بسيل مذكرا رفيقه في الطب والقمار والمجون: لم تكن أول مرة تتعرى خلال حفلة!

قال : كانت جمهرة من المدعوين ليست بضعة

أنفار .. وخدروني ليمارسا الزنا .

فقال بسيل ؛ كأنه يحتج : زوجتك متهورة ، سمعت أن سلوفانا طردتها .

قال : سلوفانا منذ هلك رفيقنا نذير لا تريدنا ؛ لا تحب رؤية وجوهنا ، فلذلك أنصحك بترك التفكير بنكاحها سنرفضك وتفضحك وتسخر منا.

فقال بسيل مبررا : نحن لم نكن لها أصدقاء .. عرفناها عن طريق زوجها .. ورخص لي بعشقها ومطاردتها .. وفشلت.. فهي ليست سهلة كنسائنا .. سأحاول وعبرت لها مرات عن حبي لها وافتتاني بها.

قال : رفضتك .. ألم تحدثنا بذلك؟!

فقال بسيل وهو متعلق بأمل : التكرار والأيام لها دور ، قد تغير رأيها ـ تنهد ـ لقد فتنت بها يا منذر.. وهي أرملة اليوم .

قال : كل النساء فتنة ! ما هي أرملة من أيام حياة نذير .. ينام في جناح وهي في جناح.

فقال بسيل: هناك فرق بين أنثى وأخرى، أظهرت هواي لها وافتناني بها في حياة زوجها ؛ بل تحداني أن أنال منها قبلة .. شخصيتها متناقضة .. تسمح لك بالقرب منها ، ولمس أشياء منها وضمها والرقص وعندما يصل للرغبة بالمعاشرة تقول لك قف ممنوع المرور .. إنها محيرة هي تعلم أن حياتنا مجون ونساء وعشق وفسق وهذا ما يجمعنا بنذير .

قال : القلوب قلوب!

فقال بسيل: لقد وصل بي الاهتمام بها حتى الجنون والهوس وتقول كادت تستسلم.

قال منذر : اعتقد أنها كانت تقامر زوجها لترى غيرته.

فقال بسيل: هما يعيشان شبه منفصلين ؛ كما قلت لكل منامه الخاص من سنوات قبل أن يظهر عجزه وضعفه اتجاههن .

قال : لعل لها علاقات خفية مع الخدم .

فقال بسيل: جومار في صف نذير ، لا يستطيع خيانة نذير .. وله زوجة هندية ويقال إنها مشلولة لها خادمة فرنسية تراقبها عين نذير عليها ا

قال : أعجب من بعض الرجال بابتعادهم عن النساء!

فقال بسيل: ليس يا منذر لهم نفس القدرات ألا ترى الرهبان والراهبات يزهدون في الحياة الجنسية ، وإن يحدث بينهم إغراءات وقضايا جنسية وحتى الحيوانات لها فترة ثم تضعف، فعالم الجنس عالم غريب وعجيب .. فمن الانحراف والشذوذ تجد احدهم يجامع الحيوان أو الموتى أو التعرض للضرب بما يسمى السادية أو الماسوشية .

قال : إذن لا تريد العودة للحسناء ريما.

ضحك بسيل وقال: وأنت عينك عليها وصدتك

كثيرا !

قال : أراها خيرا من فريدة ، لا تضاجع من هب ودب .

ضحك بسيل ثانية وقال: يا سيدي مباركة عليك اذا قبلت بك.. أنت حاول مع الحسناء ريما وأنا أحاول مع أرملة نذير .. مات نذير وهو يطمع ليلة معها .. وأنا بدأت بالخطوة الأولى بطلاق الحسناء ؛ ولعل سلوفانا تغير رأيها نحو الرجال ونحوي خاصة.

تقدم نحوهما صبري وسعيد قائلا : آ يا دكتور بسيل ما آخر أخبارك ؟

وقال صبري : هل تصالحت مع الدكتورة؟

قال منذر مرحبا بهم : لا يريد سأتقدم إليها خاطبا .. فهي افضل من فريدة اللعينة

قال سعيد باسما: نصيحتي يا منذر لا تتزوج فلتبق مع بنات الهوى عشيقاتك .. حر طليق فيقل شراؤك للثياب والعطور.

قال بسيل ساخرا : وهل هو الذي كان يكسو فريدة يا ناس .. كلها من العشاق ومن والديها الدكاترة .

قال صبري : معك حق يا بسيل .. هل صحيح هذا يا منذر ؟

قال منذر: بسيل مطلع على الأمر .. دخلها اكثر مني .. والدها يدفع .. فدخله كبير وليس لهم إلا هي .. وهو جراح يعمل في بريطانيا ويحمل جنسيتها من أيام الدراسة.. أسرة فاسدة ابتليت بها .

قال سعيد: أنت لا تقل عنها فُجرا.. لا تعمل نفسك ضحية .. ليلة القصر والهر الأسود ظننتك ستقتلها لما لحقت بها .. كلنا ادرك أنها تفعل ذلك لإغراء نذير ، وسقط في الفخ، ونقل للمستشفى .

قال صبري: استاءت سلوفانا من تعريها ورقصها عارية ..فهمست وكنت قريبا منها تحول القصر لكبريه فرنسي .

قال منذر: الملعونة تبعته فورا .. ادركت أنه استسلم للشهوة والإغراء ولما لحقت بها خدرتني واستيقظت مع شروق الشمس.. فقضت عليه حتى مات.

قال سعيد: ما أخبارك مع الأرملة يا بسيل ؟

فقال بسيل: طلقت ريما والأرملة السوداء ترفض اللقاء .. ونحن أصدقاء نذير وهو هلك

قال صبري: ترفض الزواج.

فقال بسيل: مني ومن غيري لحد الآن .. سأحاول، ولن تقف الحياة عندها

****

كانت السيدة سلوفانا تشهد حفلة اجتماعية لمساعدة جمعية اجتماع ـ وهي من الداعمين لهذه الجمعية منذ سكنت المدينة زريق وفي حياة نذير ـ

والجمعية تهتم برعايا الجالية التركية خاصة ومديرة الجمعية من أصول تركية ، ولما انتهى الحفل بالكلمات والخطابات والتبرعات التقت بالسيد بسيل الذي طلب خمس دقائق للحديث معها ، فتركت رئيسة الجمعية لهما المكتب، فلما اغلق الباب قالت : ماذا تريد أيها الصديق السابق .. مطاردتك لي يجب أن تتوقف ، ويزعجني جومار بكثرة اتصالاتك وتزعجه يا دكتور ! علاقتي بكم انتهت بموت نذير ، هو الذي كان يجمعنا ، ولما كان يحترم أصدقائي كان عليّ أن احترم أصدقاءه يا دكتور ، وأنا لا اقدم جسدي لأي شخص يا دكتور.. الاتصال علاقة قصيرة ليست كالزواج

فقال بسيل: كان بيننا ود يا سيدتي الكريمة ! صحيح، أنا من شلة نذير ؛ لكننا اصبحنا أصدقاء مدة خمس سنوات .

قالت السيدة : صحيح ، والسبب أنك صديق نذير .. زواج منك أو غيرك لا أريده عندما يحن جسدي لزوج سأجده ؛ وليس أنت، فعد لربيا خيرا لك .. أنا احب أن أعيش بلا ذكر راهبة أنت من افضل أصدقاء نذير لا يعني أنك الأفضل عندي .. أنا لا احب الحب العابر ولا المتكرر أرجو أن تكف عني وعن جومار.. أنت خير أصحابه، وزوجتك خير الزوجات رفضت مضاجعة زوجي لاحترامها لي.

فقال بسيل: لقد طلقتها لتعلمي أنني فعلا محب لك واذا تزوجتك لن اقرب أنثى غيرك

ضحكت السيدة وقالت: نذير وهو مريض لم يستطع ترك العادات ! فكيف أُصدقك؟ أرجوك ابحث عن غيري .. لا اصلح زوجة لك ولغيرك بعد نذير .. اذا كنت بحاجة لمال فأعطيك

فقال بسيل: أنا أريدك أنت.. أحببتك.

قالت السيدة : أنا لا احبك .. ـ نظرت للساعة وقالت : اعتقد أن الدقائق الخمس انتهت

فقال بسيل بيأس : استطيع أن اصبر.

قالت السيدة : انك تمثل دور العاشق الولهان حقا!

قال بسيل بتوسل : اشفقي عليّ

قالت السيدة بصيحة : يا رجل كن رجلا ! لا تكن خانعا من اجل شهوة .. سمعت الكثير من الغزل وأنا زوجة صديقك ، وحاولت معي كثيرا.. أتريدني عشيقة ؟

فقال بسيل: لقد فتنت بك

طرق الباب فقالت: ادخلي نورا .. دكتور بسيل أرجوك أن تكف عن مطاردتي.. أنا لا افكر بالزواج .. أنا افكر بالسياسة.. أريد منصبا في البلاد.

فقال بسيل: أتحملين جنسية هذا البلد؟

قالت السيدة : لدي جنسية بحكم زواجي من نذير

فقال بسيل: لا تريدين الزواج

قالت السيدة : منك أنت الآن ؛ فاذا صدفت وزيرا ربما أقبل به .. المال موجود والمنصب مرغوب.

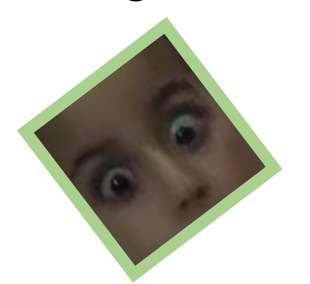
فقال بسيل: لا اعتقد أنك جادة ! فالمرحوم لم يكن يحب هؤلاء في منزله وسهراته رغم عمق علاقته ببعضهم من اجل المصالح

قالت السيدة : هذه سياسة نذير البعد عن الموظفين وعن المسؤولين في الدولة .. شكرا يا دكتورة نورا على دعوتي لهذه الحفلة التي تذكر الإنسان بطبقة الفقراء والضعفاء

أحنت نورا رأسها شاكرة دعم سلوفانا السخي ، وغادرت الغرفة يتبعها بسيل ، وكان السائق جودت في انتظارها وفتح لها الباب وسمعته يقول : لنبقى أصدقاء يا سلوفانا فنحن أصدقاء نذير

قالت السيدة : انتهى نذير من حياتي يا دكتور ! عد لربما أنت لم تضح لأجلي .. أنت طلقت من اجل المال ، لما علمت بطلاقها قلت لها إنني لن أتزوج زوجك ولو فرش لي الأرض ذهبا وليس بيني وبينه أي علاقة حميمية أو صداقة خاصة .. وصدقتني على ما اعتقد .. ابحث عن غيري .

جلست في السيارة ولوحت بيدها مودعة ، وكان يحدق بها ويقول لنفسه : سأصل لقلبك يا سلوفانا .. وكيف سأصل اليوم ؟ لا يوجد نذير لأراها.. هل هناك عشيق كما قال نذير؟! لها نصف عام دون رجل.. أين العشيق ؟ في ألمانيا .. لا احد من الشلة ، نذير لم يذكر اسمه أو صفته .. ذكر أن لها طفلا من عشيقها أم يكذب علينا أو من الزوج الأول .. لها رفاق في ميونخ وفي إسطنبول وأوروبا



سنة أولى

مضت السنة الأولى على الوفاة دون أن تفارق سلوفانا البلاد على غير العادة من عشقها للسفر والسياحة ، ولم تتزوج ، وكانت تمارس العمل في إدارة المجموعة ، وتطالع التقارير والميزانيات، وتعاون معها نائبها علي ومساعدوه بكل احترام ولم تكن توقع على ورقة دون فهمها ودون إشارة من محاميها الخاص جدا .

قال الدكتور مادحا: أثبتت يا سيدتي أنك سيدة قوية وإدارية من الطراز الرفيع خلال العام

قالت السيدة : شكرا .. هذا بهمة وجهد الفريق يا دكتور الذي يعمل معنا

قال : رغم الهزات العالمية في الأسواق كنت مديرة جيدة .

وأثنى مجلس الإدارة على جهدها ومثابرتها وحسن الأداء ومتابعتها قضايا المجموعة ، وأكدت لهم

أنها درست الاقتصاد في افضل جامعات ألمانيا ، وأنها ابنة أسرة حياتها التجارة والصناعة ولم تعمل مع زوجها مباشرة لرغبته في ذلك ، لا يحب عمل النساء معه ، فهو رجل خبير من الصغر فلا يحتاج لمساعدة كبيرة ولا يثق في قدرة النساء على العطاء ، ويسربن أفكار وأسرار العمل بسهولة ، وساعد في إنقاذ شركات والدها وإخوتها في البرازيل وألمانيا ، وشاركهم في بعض الشركات قبل إعلان إفلاسها وتصفيتها ، وكان زواجها من ضمن نتائج الإصلاح وأخبرت أنها تراجع الملفات في القصر مع سكرتيرتها ومحاميها الخاص ، فلا تكتفي بما يقدم لها من الشركة وطلبت من الدكتور ومجلس الإدارة بتوزيع مكافآت مالية على جميع عمال وموظفي الشركات عن روح نذير ، فبين الدكتور أن المبلغ سيكون كبيرا.

قالت السيدة : مهما دفعت يا دكتور لعله ينتفع بها في قبره.

قال بكر متأثرا : وفيّة ، ونعم الزوجة!

قال : سأنفذ الأمر

غادرت بعد الظهر المقر ، وبينما كان جودت ينتظر دخولها السيارة سمعت من ينادي عليها فاذا هي ريما وتصافحتا وقالت : كنت في الشركة!

قالت : لا ، كنت في هذه البناية ـ وأشارت إليها ـ رأيت سيارتك والسيد جودت فقلت فرصة لأراك واسلم عليك .. وكيف حالك أيتها العزيزة ؟

قالت : أهلا بك أنا بخير.. وأنت هل عدت إليه أم تزوجت غيره؟

وقالت : لم اعد له ، ولم أتزوج غيره .. أعيش مع ابنيّ في شقة املكها.

قالت السيدة : اذكر أن احدهما كان ابن ثلاث سنوات لما عرفني نذير عليك

قالت: نعم ، واصبح في المرحلة الأولى من مراحل الدراسة المدرسية

قالت السيدة : ما شاء الله عساه صاحب لك !

قالت: عاش مع أمي ، ولما طلقني بسيل العام الفائت عادا للحياة معي ، وأنا مثلك كرهت جنس الرجال.. وأنت ما زلت على بعد عنهم!

قالت السيدة : طاردني طليقك ، وزعم أنه طلقك ليبرهن عن حبه لي .. وأنا لا أصدق الرجال إنهم طلاب شهوات فحسب .

قالت: وهناك نساء مثلهم!

قالت السيدة : لا انكر ذلك .. على ذكر النساء ما أخبار فريدة ؟

قالت: أخبارها سيئة من فضيحة لأخرى ، لم تتزوج ، ولم يطلبها احد.. التقيت بها في بضع سهرات دعيت إليها .

قالت السيدة باسمة : أما زالت تموت في الرجال؟

قالت: هذا سبب مشاكلها .. قلّ عشاقها من الطبقة الراقية ، ويتجنبون اللقاء بها

قالت السيدة ساخرة : عليها أن تترك الطب وتعمل في حانة وملهى ليلي

قالت: العشاق يملون بسرعة .. سمعت أنها سافرت للعلاج في الخارج سمعت أن أمراضا جنسية ظهرت عليها أعراضها مع كثرة فحوصها

قالت السيدة : كانت مستهترة بجسدها حتى أنها أغوت خادما في القصر وتسببت في طرده

قالت: هذه هي المشكلة.. اصبح عندها شبق وتهور في الإباحية

قالت السيدة : كيف انحرفت ؟

قالت ريما : سمعت أن السبب منذر زوجها ، كان يمارس الدعارة في شقته فأخذت تنافسه في الفجور ، وأصبحت عشيقة لكل معارفه .. وكان يجلب المومسات لبيته ويتنافسان في الفجور وتركها لغيره

قالت السيدة : إنها تخدره لتمارس الدعارة في الشقة كما قال نذير

قالت : سمعت بذلك .. حاول الزواج مني لما طلقت من بسيل .

****

تخلصت السيدة خلال عام مات من كل أصدقاء نذير ، وارتفعت علاقتها مع أصدقائها أفراد الجالية التركية في المدينة ، وبعض الأفراد الألمان والأوروبيين بحكم ولادتها في ألمانيا، ولم تخلُ السنة من محاولات زواج وخطاب ، فالمال من عوامل الجذب وطلب النساء ، وتلقت رسائل وتوسلات من بسيل، لم تكترث بها ، وكانت لا ترى وقتا لقرأتها فيحتفظ به جومار ، اخبرها جومار بمجيء المهندس سمير شقيق نذير ويرغب باللقاء بها ، وسعى لذلك في الشركة ، ولم يوفق فأخذ موعد لانشغالها ، فكان اللقاء في احد النوادي ، ولما التقيا وجلسا في الهواء الطلق قالت السيدة : أهلا بحضرتك! أيام نذير لم تكن تظهر في القصر ولا في المدينة ! ماذا تريد أيها الصديق ؟

قال : حسنا ! سمعت أنك ستتزوجين الدكتور بسيل صديق نذير

ضحكت وقالت السيدة : سمعت! وممن سمعت ؟! وما دخلك بزواجي منه أو من غيره ؟ أبي لا يتدخل في زواجي .

قال : أبينكم قصة حب؟

تقدم النادل فقال: شاي قهوة شراب.

قال : أنا معجب يا سلوفانا ! وأنا مستعد لكل شروطك ، لديّ الكثير من المال.

قالت السيدة : لديّ الكثير منه يا سيد سمير .. أنا لا أثق برجل ولا بغني ولو لم أكن زوجة أخيك الميت لا ارغب بالزواج ؛ ليكن هذا آخر العهد بيننا.

قال : أنا جئت من أجلك فلنجرب

قالت السيدة بحدة : نجرب ماذا! الزواج ؟!..
من قال إني سأتزوج الدكتور

قال : سمعت ولم اصدق

قالت السيدة : ولماذا لا اقبله ؟! أليس هو ذكرا مثلك ؟

قال : أحقا ستتزوجينه ؟

قالت السيدة : اذا رغبت بالزواج.. افكر فيه .. حولي الكثير منهم .. المال مغناطيس .. كلكم يريد المال .

قال : منه الكثير عندك

قالت السيدة : صاحب المال لا يشبع .. أنا اعرف الرجال .. والمرأة للهو والمتعة ثم رميها في الشارع أو معاشرة صديقتها أمامها .. ألم يفعل ذلك نذير؟!

قال : ليس كل الرجال واحد

قالت السيدة : صحيح ، ليس كل الرجال واحد ؛ لكن الكثير منهم مثل بعض .. والنساء تستغل ضعفكم أمام الإغراء .. عندما يستقر أحدكم في فندق همه النساء

قال : أنت عندك أفكار سيئة عن الرجال.

قالت السيدة : هكذا كان نذير يصف الرجال .. كل صفقة يتبعها حفلة إباحية وسكر انتهى الجد وبدا الهزل .. ماذا تفعلون ؟ مغنية عازفة راقصة عارضة زي عاهرة ممثلة إباحية النهار للعمل والليل للهو والقمار.. أول طلب من الفندق النساء

قال : لم يكن السيد يكتم عنك شيئا من مغامراته

قالت السيدة : ولماذا يكتم ؟ كان يتمنى أخوك أن يراني في أحضان رجل .. هذا ما تحدث به أمامي .

قال : ولماذا لا تفعلين ما دام قد رخص لك ؟

قالت السيدة : هو لم يرخص ، كان يريد أن أكون مثله ، حتى لا يحس أنني انظف منه .. فقد أذن لبسيل بأن يغويني حتى سقط في حبي وطلق زوجته.

قال : معقول!

قالت السيدة : معقول يا حضرة المهندس !

****

ظل أصدقاء نذير يطاردون السيدة لعلها تقبل احدهم قرينا أو عشيقا حتى مضت ثلاث سنوات دون فوز احدهم بغايته ، وكانت تدير المجموعة بقدرة وكفاءة ونجاح حتى شاع أنها التقت بشاب ألماني وجذبها الهوى نحوه ؛ لأنها كانت تكثر من السفر في السنة الأخيرة إلى ألمانيا وكان الشاب ابن صناعي كبير ، وشاع بأن سلوفانا تفكر بتقليص شركات المجموعة التي يملكها زوجها الميت ، وأعلن جومار إخبار الأصدقاء والصديقات أن السيدة ستغيب عن المدينة إلى

اجل غير معلوم ، وتنقل كل الصلاحيات للدكتور علي يوسف، وترك الإدارة كاملة له ولمساعديه ، فترجح لدى المعارف أنها وقعت أخيرا في الغرام والحب .

كان المحامي بكر يسأل الدكتور عن صحة هذه الأقاويل: هل حقا ستتخلى السيدة عن الشركات؟!

قال: هي كلفتني باستلام كل العمل والإدارة والتواقيع .. هي فعلا تفكر ببيع كل هذه المشاريع والشركات أو تقليصها وتفكر بالعودة لميونخ حيث عاشت طفولتها .. تريد أن تستثمر في المؤسسات المالية فحسب ؛ ولكنها تنتظر مضي سنوات الوصية.

قال بكر : ملّت من القراءة والمتابعة.

قال: قد يكون ذلك .. النساء ليس عندهن نفس طويل في الأعمال والإدارة مثل الرجال.. فإما أن تعمل معه بثقة عمياء أو تظل متابعة ومراقبة .. فالسيدة لم تتعود على ذلك.. أنا كنت أظن أن تبيع الشركات أول وفاة زوجها أو تبيع نصفها

قال بكر : الناس طاقات والمرأة مرأة.

قال: نحن نقوم بالأعمال على خير ما يرام بسلوفانا وبدونها .. هي تعرف ذلك ؛ ربما السبب حبها ذاك الألماني ، فقد زارها في القصر مرتين ، وهو وريث شركات صناعية في اكثر من مقاطعة ألمانية ؛ لكنه اصغر منها بسنوات ، وهو طموح جدا ، وعلمت أن والده على وشك تسليمه الكثير من المصانع.

قال بكر: وهل يقبل بها زوجا ؟

قال علي : الزواج لست ادري ! أما العشق فهو وارد فالسيدة ما زالت صبية خمس وثلاثون سنة وما زال الفرسان يطاردونها في القصر في النادي في السفر ألا تعرف الخطيب ؟

قال: أكثره مزح .. فالدكتور بسيل طلق الدكتورة ريما ؛ ليتزوج منها ومنذر الأخصائي المشهور عرض نفسه وشقيق نذير يطارد ويأمل وطبيب تركي ورجل أعمال فارسي وبذل الكثير من الهداية وهي صامدة ترفض.

قال علي : أتعجب من رفضها وبعدها عن الرجال وهي في فترة النضوج يا دكتور بكر كانت لها مواقف ماجنة في سهرات زوجها! ربما مجاملة لنذير ، لم اسمع أنها رمت نفسها على رجل

قال: هذا المثير العجيب أيعقل أن هذا الألماني أوقعها؟

قال علي : المحاولات كثيرة وهي ذكية ، ولا اعتقد أنها بعيدة عن رجل ما .. فهي مشتركة في نادي تركي في استانبول ونادي أو اكثر في برلين وميونخ

قال: وكانت تسافر بدون نذير لمعارض وعروض أزياء وحفلات غناء عالمية

قال علي : كانت تفعل ولا يهتم نذير ، ولو كان لها

عشيق أين العشيق ؟ لم يظهر .. لها ثلاث سنوات أرملة ؛ لكنها ذكية وحذرة ولابد من رجل .

قال: هل ستطول غيبتها يا علي؟

قال علي : ربما تمكث فترة طويلة ؛ كما تقول وفهمت منها .. فهي وكلتني توكيلا كاملا بالإدارة فهذا يعني طول غيابها .. علينا أن نهتم بعملنا والإنتاج .. وأعطتني بريدا خاصا للمراسلة ولا يعلمه احد .. صندوق بريد سري.

قال: الهاتف!

قال علي : رفضت استعماله بيننا تريد الاختفاء تماما عنا .. لماذا ؟! لست ادري يا دكتور بكر نحن يهمنا العمل، ولا تهمنا حياتها الخاصة.

قال: أكيد وهي حرة في نفسها ومالها.

مضى ثلاثة شهور على علي وهو يتلقى الاتصالات بالسؤال عنها ، وسبب اختفائها ، وتلقى جومار الكثير من الاتصالات والبرقيات للحصول على عنوان ومكان إقامتها ، وأشيع أنها تقضي شهر العسل في جزر إندونيسيا ؛ ولكن لم يدع احد لحفلة الزواج خاصة أتراك المدينة وحتى لوقان الطبيب ، ولم ينشر خبر زواجها في الصحف ولا في المجلات الاجتماعية ، ثم شاع خبر انفصالها عن زوجها الألماني البرت ، وكثرت الأقاويل والشائعات عن سبب الاختفاء الطوعي .

قال بسيل لمنذر والأصدقاء في نادي القمار كلب فايف : أين اختفت هذه المرأة ؟! كنت آمل أن ترضخ .

قال: ما زال عندك أمل وحتى بعد زواجها .. هل صح أن ريما تزوجت؟

قال بسيل: تزوجها صديق قديم لنا تدين .. امر الرجال عجيب وغريب.. صديق من أيام الجامعة

قال: لعله سعيد معها

قال بسيل : لا اتصال بيننا رغم وجود أطفال بيننا .. اتصل بها واسألها.. نساؤنا ديكور وشغل سهرات وحفلات وحمق

قال: حفلات تبادل الزوجات تحتاج لنساء على هذه الشاكلة .

****

ديانا كانت سكرتيرة لسلوفانا تداوم في القصر منذ سكنت فيه سلوفانا ، وكانت تعلم كيف يدار القصر ؟ الخدم والحرس والنظافة والطعام والشراب ، ويبدأ عملها صباحا حتى الخامسة مساء كل يوم ما عدا السبت والأحد ، وبغياب سلوفانا مشت على نفس البرنامج وبالتعاون مع قيم القصر جومار الهندي ، اخبرها جومار بأنه سيترك العمل بضعة شهور للعودة إلى الهند ويرى ظروف عائلته وزوجته العليلة ، لم يعد يكفي الاتصال الهاتفي بهم ، وطلب منها أن تستعين بزوجها لإدامة الحياة بالقصر من رواتب وطعام

وغيره ، وكانت ديانا بعيدة عن حفلات الزوجين تساعد مع جومار في ترتيبها ولا تشارك فيها ، وكانت خادمة سلوفانا جوليا تهتم بها وبنقلها لغرفة نومها اذا ثملت ، وتغير ثيابها ، وتهتم بغرفتها وتشرف على نظافتها وصيانتها ، وسافرت معها ، وأزعجتها فكرة طول الغياب لجومار ، هو الآخر وعدها بالاتصال بها بين الحين والآخر .

بذل الزوج سليم العون في الشهور الأولى ، ثم قال لديانا : ما الذي يجري ؟! له شهور متغيب عن القصر .

قالت: كثرت الاتصالات بينه وبين أهله ، وذهب لمعالجة الأمور ، وقد يقدم استقالته اذا اضطر للبقاء في الهند .

قال: القصر بدون جومار متعب.

قالت السيدة : قد أعين مديرا مؤقتا للقصر، تحدثت مع الدكتور علي فقال : تريثي قليلا فالذي فهمته أن أسرته لها مشاكل مع الشرطة وقضايا ومحاكم ، ولا تحل على التلفون أنا اعلم أنك مللت من الخدمة .

قال: أنا اقدر ذكاء جومار عليك بتغيير نظام المشتريات بدل أن نذهب للشركة الشركة تأتي للقصر

قالت السيدة : كان السيد والسيدة لا يحبون دخول سيارات البيع لداخل القصر لأسباب أمنية

قال: السيد مات والسيدة اختفت هل تزوجت؟

قالت السيدة : لم نسمع .. قيل تزوجت المهندس البرت الذي تردد على القصر مرات ولم نسمع شيئا مؤكدا .. هل تزوجته سرا ؟! اعتقد أن علاقتهما علاقة استثمار .. وهو يصغرها بسنين

قال مداعبا : كما تزوجت نذيرا لماله تزوجها لمالها!

قالت السيدة : لابد لها من زوج ، فهي صغيرة واذا تزوجت البرت فهذا زواج محكوم عليه بالفشل لأنها الأكبر .

قال: هذا احد أسباب فشله ، والثاني أن الذي يحكمهم مصلحة ؛ فاذا تحطمت ولم تنجح فسيكون الفشل في الزواج.. ولكنه يظل ابن الصناعة القوية في ألمانيا والده ملك صناعي وشركات كبرى

قالت السيدة : صحيح ولكنها شركات مساهمة غالبا .

قال: أنا تعبت من العمل في القصر ، وهذا يضر بوظيفتي في السفارة

قالت السيدة : كيف؟

قال الزوج : رئيس الأمن نبهني لذلك الخطر .. أنا موظف سفارة فعليّ الابتعاد عن هذه الأعمال ولو كانت بهيئة معاونة للزوجة.

قالت: إذن علينا توريد هذه الأشياء للقصر .. سأرتب الأمر مع فريق الحراسة الذين ليس لهم

عمل إلا الأكل والشرب والنوم.

قال: هذا واجبهم ، الحماية للقصر ، وإدخال الضيوف وتوديعهم ، انتهى زمن الحفلات والسهرات

قالت: رغم أنها لم تولد في تركيا ، ولم تعش فيها ، كانت تحبنا وتجاملنا وتدعم المشاريع الخيرية في تركيا وأتراك روسيا .

قال: لها عضوية في جمعيات خيرية في أنقرة وأنطاكيا وأذربيجان وطاجكستان وجمعيات أيتام فهي تحب العمل الخيري اكثر من نذير.

قالت السيدة : كنت اسلم لهم الشيكات وأقابلهم عندما يأتون للقصر وأومن لهم الفنادق وزيارة الجمعيات هنا ، وارتب زياراتها لتلك الأماكن .

قال: لم يكن نذير محبا للشيوخ والدعاة والدراويش.

قالت السيدة : لم يكن يعرف الدين والجوامع عاش اغلب سنوات حياته في البرازيل

قال: كل أسرته على شاكلته

قالت السيدة : كان يحب سماع بعض القرآن لدقائق معدودة ويغلق الجهاز!

قال دهشة : القرآن ! كيف؟!

قالت السيدة : لا ادري كيف؟ ! كان يوم الجمعة يسمع آيات وسورة الكهف!

قال: عجيب!!

قالت السيدة : لا تنسى أنه عربي ومسلم .. فهو يعرف العربية ؛ بل درس في مدارس عربية هنا ثم عاد للبرازيل ، ويتقن الإنجليزية حيث تعلمها هنا كذلك !



جنازة

كان الأصدقاء ماهر وسعيد وصبري وبسيل ومنذر يشاركون في جنازة زوجة صديقهم عريف وانشغل المشيعون بالدفن في احدى مقابر المدينة ، وماهر يقول: لم يمهلها المرض كثيرا ، عانت من صداع ثم تحول إلى مرض شديد وأعلن الأخصائي أنه سرطان دماغ .. وهذا مرض يقضي على المصاب بزمن يسير.

قال منذر: كانا شهرين صعبين على عريف.

قال بسيل: هذا الزوجة الثالثة حسب ما قيل ، هو طلق الدكتورة سهام بعد تخرجه من الجامعة

قال ماهر: احبها أثناء الجامعة وتزوجا، واتفقا على عدم الإنجاب حتى ينتهيا من الدراسة ولكنها حملت وولدت له بنتا ، ولما انتهى النفاس حدث الانفصال ، وأخذت البنت وعادت لبيت والديها

، وهي اليوم طبيبة لامعة في طب النساء والتوليد.
قال بسيل: اعرفها ، ربما ولدت ابنيّ تحت إشرافها .. إنها متدينة اليوم .. وهي امرأة فاضلة ونجت مما نغرق فيه من الخمر والميسر والمجون
قال منذر: هل أنت نادم؟
ضحك بسيل وقال : حالنا لا يسر!
قال ماهر: معكم حق ! تعلقنا بالنساء والشراب والقمار .. قبل أسبوع خسرت عشرة آلاف دولار.
قال: القمار كلنا يخسر .. مرة تكسب وعشر تخسر
قال منذر: هل من أخبار عن سلوفانا؟
قال ماهر: أنا لا اعلم حتى سمعت أن رئيس الخدم اختفى فهل وراء الأكمة ما وراءها
ضحك بسيل وهمس متفكها : تتزوج جومار مهزلة لو حدث ؟
قال منذر: هو سيد القصر بعد وفاة نذير .. وهو العشيق الخفي !
قال بسيل : لم يكن بينهما شيء، فكان من الصعب أن يخون ولي نعمته.. لو كانت تقبل العشاق لكنت الأولى بها .. سمعت أن المهندس البرت قريب منها ورحلت للزواج منه.. فهو صاحب أموال ومن أقارب أمها.
قال ماهر: تزوجا
قال بسيل : لا ، لم اسمع ولكنهم يعيشون في أوروبا وأمريكا بدون زواج رسمي .. يبدو أن الدفن انتهى.
قال: اصبح الزميل أرملا.
قال منذر : حدثتم عن زوجته الأولى ، ولم تحدثونا عن الثانية.
قال ماهر : كان الزميل لا يحب الزنا والفاحشة ، ولما حملت سهام وولدت طلقها ، وعرض نفسه على زميلة لهما وقبلته وعاشا بضع سنوات ، ولما رغبت بالحمل رفض وتطلقا ، والده من الأثرياء كما تعلمون ، ثم أخذ مثلنا يتخلى عن معاداته للزنا ويرتاد النوادي والملاهي الليلية ، وتعلق مثل منذر بالمومسات وبنات الليل حتى التقى بي في نادي الأطباء واحتاج لزوجة للسهر والحفلات فتزوج هذه الميتة ، وتمنعت عن مسايرته في متعه وفجوره وتركها لنا ، ثم خضعت للواقع المقرف الذي نعيش فيه .
فقال منذر : ولدت طفلا
قال: لم يعد طفلا ، فهو شاب صغير في الإعدادية .. ها هو يقف بجوار القبر يصافح المعزين
وبعد العزاء بجوار القبر اعلن احدهم أن الغداء عن روح الميتة سيكون في نادي العائلة وكذلك بيت العزاء .
قال منذر: افكر بالذهاب لحانة يا ماهر اشرب كأسا بهذه المناسبة.
قال بسيل: افكر بالعودة للبيت، لم انم الليلة.

قال: لعل أنثى في البيت

قال بسيل :صدق لا ، لي أسبوع أو اكثر دون لقاء أنثى .. اشعر بالسأم والملل من هذه العملية

قال: تزوج

قال بسيل : تزوجت وطلقت .. حياتنا مملة

قال منذر : ما زالت نفسك ترغب بتلك الأنثى

قال بسيل : هربت منا

قال ماهر: بل طردتنا .. كل أصدقاء صاحب القصر طردوا

قال منذر : فعلنا عادات قبيحة .. الصحة تغر.. الشهوات دمرتنا

قال صبري : كل الناس تشرب .. والجنس جزء مهم من حياة البشر .. جعل النهار للشغل والليل للنسوان

قال ماهر: غرقنا في الشهوات والملذات .. ها هي صديقتنا زوجة عريف تموت وقبلها نذير مات دون استعداد لهذا اليوم.

قال بسيل : بماذا نستعد ؟ بالصلاة ..وهل تعرفون الصلاة ؟ دخلوا فيها المسجد يصلون عليها وهي عمرها ما صلت .. وأكثرنا ظل في سيارته ينتظر الصلاة عليها.. لماذا يصلى عليها ؟ الصلاة على الميت عجيبة.. يقف المصلون يكبرون ويدعون بس لا سجود ولا ركوع

قال ماهر: هي تذكير لنا لنصحى من النوم والغفلة.

قال منذر: يوم مات أبي دخلت الجامع .. استحييت من البقاء في الخارج خارج المسجد والناس يصلون على أبي .

قال ماهر: هل اغتسلت للصلاة؟

قال بسيل : كن صادقا يا منذر .. فالمصلون يغتسلون عند كل جماع .. هل اغتسلت ؟

قال منذر: الحقيقة أني اغتسلت .. ولم اكن اعرف كيف يغتسلون من الجنابة ؟ نعم، اغتسلت اغتسالا على نية الصلاة على أبي رحمه الله.

قال بسيل : كنت مرة في ماليزيا مع بائعة هوى قضيت حاجتي منها فلما أردت صرفها مع الفجر سمعنا الآذان فقالت اغتسل واذهب صلي إنه يؤذن ضحكت بيني وبين نفسي تمارس البغاء وتدعوك للذهاب للجامع تقول هذا شيء وهذا شيء دهشت حقا!

قال ماهر: كثير مثلها يحمل هذا الشعار .. هذا شيء وهذا شيء .. هل يعقل أن يتعذب المسلم في القبر كما يشيع هؤلاء الشيوخ ؟

قال منذر: نسمع ولا نرى شيئا.

قال بسيل : وكيف سنرى ؟

قال منذر: عندما نموت.

قال بسيل : آ ! معك حق.

****

قبل مرور أربعين يوما على وفاة زوجة عريف دعا الأصدقاء لحفلة زواج مختصرة ، وكانت مفاجأة لهم .قال له ماهر : ألم تستعجل الأمر؟!

قال بسيل : فعلا امر مستعجل!

قال صدقي: أنا قلت لن تتزوج بعد هدى.

أجاب: أنتم تعرفون أنني تعرفت على غالية قبل هدى ببضعة شهور .. طبيبة انتقلت للعمل معنا في القسم ، وهي أرملة من سنوات ، ولها ولدان ، وبأسرع من الصاروخ صارت عشيقة كما تعلمون ، وخلال مرض هدى كانت البديل ، وتعرفت على والدها ، وهو تاجر كبير في المدينة وحذرني من التمادي في العلاقة مع ابنته دون عقد شرعي ؛ لأنه لقطني ليلة في شقة ابنته فطلب تصويب الوضع ، فحدثته عن مرض زوجتي فقبل الانتظار ما دامت في حالة احتضار وبعد العزاء بأسبوع طلب مني التعجيل بالزواج .. فهذا أيها الأصدقاء سبب العجلة.

قال منذر: لم لم تبتعد عنها؟

قال: علمت أن له أصدقاء فوق ، والرجل مصر على تصويب العلاقة، والفتاة طبيبة مثلنا

قال بسيل : وهل تظن نفسك الفارس الأول بعد ترملها؟

قال: أكيد لست الفارس الأول ؛ لكن أنا الذي صيد في بيتها.

قال ماهر: المشكلة أننا نزعم أننا نعرف نساءنا ، ونحن نسمح لهن بالخيانة في تلك الحفلات المستهترة ، إنهن لا يصلحن ليكن أمهات

قال صدقي: نحن لم نتخذهن أمهات.. نحن بدأن معهن خليلات وزبائن لحفلات المجون وتبادل الزوجات .

قال ماهر: ولكن ريما ولدت لبسيل

قال بسيل :حدث خطأ ؛ فكان الإجهاض صعب ..كانت حياتها في خطر

قال صدقي: إذن ستتزوج يا دكتور

قال عريف : وضع مبلغ من المال في الحساب لإكمال الفلم

قال ماهر: أوه هذا مربط الفرس مال وأنثى لقد ابتاعوك

قال: تقريبا والحفلة عليها ، هدية في فندق خمس نجوم وشهر عسل في شرم الشيخ وستشربون خمورا فرنسية جيدة.

قال بسيل : وأولادها

قال: الأولاد في بيت أم أبيهم استقروا ، وشقتها بجوار شقة شقيقها ، والنساء لا تعجز عن تهريب العشاق كما فعلت معي.

قال منذر: وفعلت ذلك مع غيرك.

قال: الغيرة ماتت عندنا أو ولدنا بدونها .. من يتورط في القمار لا غيرة عنده مع الوقت وخلاعة

الحانات.. كان همنا أن لا تخون إلا بعلمنا ورضانا
قال بسيل : أكيد الانحراف سهل ؛ لكن الخروج منه صعب ، الوحيدة التي عجزت عنها امرأة نذير .. كانت اللعينة ترخي الحبل لنا ثم تنقلب لسبع.. لا اذكر أن أحدا منا نالها
قال صبري: أنا لم انجح وابتعدت سريعا
قال ماهر: وأنا مثلك كانت تقربنا من بدنها ثم تبصق علينا
قال منذر: نحن عرفناها عن طريق زوجها الفاحش، نال نساءنا وتحدانا إلا ربما كشت منه رغم فحشها ورغم هداياه لها
قال بسيل : كانت فريدة أكثرهن عشقا له، وكان يستسلم سريعا لإغوائها.. هداياه تسيل لها اللعاب .. ربما لم يتمكن منها ، وكنت اعجب منها ، وسمح لي بمغازلة ومراودة زوجته لم تستلم ربما له وسلوفانا لي
قال صبري: ربما عجز عن جسدها ، وكان مغرما بفريدة طليقة منذر رغم كثرة العشيقات في أنحاء العالم
قال ماهر: ما أخبار فريدة ؟ منذ مرضت لم نعد نراها
قال: منذ طلقها منذر قلّ اللقاء بها .. غير صالحة للعمل أصبحت بحكم الموسس ، تتردد على حانات البغاء بشكل دائم ، لم يعد الأطباء مثلنا يقربها ، ثم أرسلها أهلها للعلاج في فرنسا
قال بسيل : سمعت أن حالها تحسن قليلا واخبرني منذر أنها تمارس الأمر في باريس.
قال منذر: سرطن رحمها وأزيل هناك قال لي ذلك زوج احدى قريباتها تخلصوا منها .. الجنس سيدفع كل واحد منا الثمن كما حصل مع نذير.



الزوجة الأولى

كانت ديانا تدير القصر بغياب السيدة وجومار ، وتعذر زوجها العامل في القنصلية بمساعدتها اكثر من الشهور الثلاثة ، وتعاونت معها السكرتيرة نورما ريثما تظهر السيدة الكبيرة ، ذات نهار تحدثت نورما مع ديانا عن امرأة تقف أمام القصر ترغب بالدخول والحديث معها وأنها قادمة من أمريكا .
فقالت ديانا : سلوفانا غير موجودة
قالت نورما : وهي غير مصدقة بسفر سلوفانا .. هي مصرة على مقابلة المدام .. وتزعم أنها صديقة للسيد نذير أيام عيشه في البرازيل.
فقالت ديانا : نذير مات من سنوات !
قالت السكرتيرة :إنها تعلم .. هل اسمح للحرس بإدخالها لنفهم حكايتها؟ فالحارس يلح على

إدخالها.

فقالت ديانا : ولماذا يلح الحارس؟

قالت نورما : يقول إنها مصرة على الدخول والحديث معنا.

فقالت ديانا : فلتدخل ويرافقها احد الحرس ، وسأقابلها أنا وإياك في قاعة الاستقبال الأولى

تركت السماعة وهي تقول: ماذا تريد هذه المرأة القادمة من كوبا ؟ وماذا تريد هذه السيدة؟

تركت المكتب ونزلت إلى قاعة الاستقبال الأولى ، وكانت السكرتيرة في انتظارها وقالت : ستأتي ومعها السيد عصام.

دخل عصام تصحبه المرأة وعرفت بنفسها داليا غسال حيتان عربية الأصل، قال الحارس: السيدة داليا تقول إنها زوجة للسيد نذير قبل أكثر من عشر سنوات.

صرخت ديانا حيرة : زوجة للسيد نذير ! وأبدت نورما دهشتها أيضا.

قالت وهي ترى اثر المفاجأة على السيدتين : أنا زوجته الرسمية الأولى يا سيدة ديانا وسيدة نورما أنا هربت منه لأسباب خاصة قبل سنوات إلى كوبا .

فقالت ديانا وهي تتذكر : كأنني سمعت بهذا الزواج .. والسيدة الكبيرة غير معروف مكان الإقامة في أوروبا منذ شهور .

قالت السيدة : اخبرني الحارس بذلك ؛ لكن لا اصدق أين ذهبت؟

قالت نورما : كما اختفيت أنت اختفت هي ، ولا نعلم أخبارها وحتى مدير القصر الهندي جومار غادر لبلده ولم يعد لحد الآن.

قالت السيدة : حين تزوجنا لم يكن هنا قصر .. تزوجته في البرازيل ؛ حيث تعرفنا هناك ؛ حيث بدأ حياته العملية الكبرى ، حدثت بيننا نزاعات عائلية ، هربت منه ، وترك المدينة ، ونزل ألمانيا ولم يطلقني عندما هربت منه .. وأنا الأحق بثروته من سيدتكم.. ما زلت على ذمته .

قالت نورما : إنه ميت يا مدام والأموال انتقلت للسيدة الكبيرة بوصية موثقة.. اغلب الأموال باسمها ما عدا الأموال هنا ستوزع حسب الشريعة الإسلامية وثلثها وصايا

قالت السيدة داليا : السيدة الكبيرة خارج البلاد أم لم ترغب بمقابلتي !

فقالت ديانا : منذ سنة سافرت لألمانيا؛ ربما تزوجت كما قيل ، ورئيس القصر جومار رحل لبلده الهند يتفقد زوجته وأولاده ، واذا لك حقوق ووثائق عليك بمكتب قانوني ومحامي وكيف تزوج السيدة ولم يثبت طلاقه منك؟

قالت السيدة بابتسامة : التزوير .. المال يستطيع التزوير لوثيقة طلاق .. وأنا أنجبت منه ولدا وهو

شاب يعمل في هافانا .
قالت نورما دهشة : له ولد ، لم نسمع بذلك! نذير لا يعلم أن له ولدا ، ولم يترك له شيئا لابد لك من قضاء ومحاكم .
قالت السيدة : سأستعين بالقضاء ، وكنت ارغب بحل المشاكل بالتفاهم مع السيدة الكبيرة .. أنا املك الوثائق الصحيحة بأني زوجة شرعية لنذير .. أنا من مواليد البرازيل ، لما حضر البرازيل التقى بأسرتي وعمل في التجارة والنفط معنا ، ثم تزوجني ثم أصبحت حياتي معه في خطر فاضطررت للهرب خشية على حياتي وولدي.
قالت نورما : هذا الكلام يا سيدتي لا يهمنا .. نحن موظفون في القصر .. والسيدة خارج البلاد ولا نعلم عنوانها قابلي مدير الشركات الدكتور علي يوسف
قالت السيدة : لم أتزوج بعد هربي .
أعطتها السكرتيرة عنوان الشركة والمحامي بكر

****

استقبل علي وبكر المرأة التي أعلنت أنها زوجة لنذير وتعرفوا عليها وشربوا القهوة بصحبتها وهم في دهشة من ظهور الزوجة الأولى .
قال بكر: أنت كنت زوجة للسيد للمرحوم نذير خاتم .
قالت السيدة : كنت زوجة ، وما زلت زوجة وأم ابنه الوحيد بول .
قال علي : ابنه اسمه بول اسم إنجليزي
قالت السيدة : سماه بهذا الاسم ؛ لأنه كان محبا للعبة كرة القدم ومشجعا برازيليا ؛ حيث رحل من هنا للعمل مع أسرتي لقرابة بينهم ، لا اعرف أصولها ، وكان شريكا نيابة عن والده المليونير تشاركنا في مصنع كبير ، ومن أول سنة تزوجنا ، ثم تبين لنا أنه عاشق للنساء ونتيجة لهذا الانحلال المفضوح تخليت عنه مع حبيب قبل أن اعرف نذيرا ، وهربنا لكوبا سرا ورفضت كشف مكاني للأسرة والأصدقاء ولنذير ، ولما غادر لألمانيا الغربية أخبرت أمي بمكان إقامتي ثم علمنا أنه تزوج ألمانية .
قال بكر: وابنه
قالت السيدة : ولد في أول سنة زواج وهرب معي ، وكان في مدرسة داخلية ، وهو اليوم في الجامعة
قال بكر: ما دمت تعلمين زواجه عليك فكيف تطلبين ماله؟
قالت السيدة : أنا زوجته الشرعية ومعي عقد الزواج.
قال علي : وكيف تزوج الألمانية؟!
قالت السيدة : لا ادري بالضبط! علمت أنه اتخذ زوجة ، ولم اسمع أنه طلقني.
قال بكر: كيف يعقد قرانه بدون طلاقك كما هو

النظام الغربي ؟!

قالت السيدة : قد لا يكون بينهم عقد رسمي

قال بكر: هذا يحتاج أن نذهب لألمانيا.. فعليك بالسفر وتوثقي من عدم طلاقك رسميا ستوزع الأموال قريبا .

قالت السيدة : لم تأت أي وثيقة.

قال بكر: لا يمكن .. هناك عقد زواج قبل نفي التعدد .

قالت السيدة : قد يكون زور طلاقي .

قال بكر: هذا تثبتي منه هناك وليس هنا.

قال علي : الرجل بغض النظر عن عقد الزواج كتب الأملاك لزوجته سلوفانا ، ولم يحدثنا عن ابنه بول

قالت السيدة : سأذهب إلى ألمانيا

قال بكر: ولماذا تأخرت في الظهور .. له أربع سنوات في الموت.

قالت السيدة : لم اكن بحاجة للمال ولابنه حق بماله.

قال علي : هو ترك المال وصية لزوجته الألمانية وحصة لأمه.. فعل على طريقة الغرب كتابة الوصية .. وهل ما زال شريكا لأسرتكم؟

قالت السيدة : نعم ، ما زال شريكا .. فوالدي مات ، واعلمني قبل موته بأن زوجي مات وترك الثروة لزوجته الألمانية ولم يترك لي ولا لابنه أي دولار

قال بكر: الذي أشار عليك بالظهور كم سيأخذ ؟ فعليه أن يتابع الأمر في ألمانيا؛ وليس هنا واذا تزوجت كما قلت فلا شيء لك.

قالت السيدة : زواج بلا عقد .. صديق فقط ..وأحد المحامين قال لي ذلك بأنني رسميا على ذمة المرحوم .. أنا أبي من اصل عربي، وأمي برازيلية ، فهي ثرية وتزوجت أبي مثل أسرة نذير

قال علي : عليك بالسفر إلى ألمانيا ومعرفة تفاصيل زواج المرحوم ..فأرملته خرجت من سنة من البلد هذا .. غادرت لظروف خاصة ربما زواج.

قالت السيدة متظاهرة بالدهشة : زواج !!

قال علي : ربما لم تفصح عن خبر واضح .. وتركت لنا الإدارة حتى ترجع .

قالت السيدة بنكهة ساخرة : لابد أنها وجدت زوجا يعوضها عن مغامرات نذير النسائية .. لقد علمت أنه مات محروما من النشاط الجنسي!

قال علي : لم تحضري الجنازة أنت ولا ابنه !

قالت السيدة مقرة : هو لم يعترف بابنه .. وهو احد المشاكل الكبرى بيننا ..كان يريد موته بيديّ ، وإنه لا يخلف ؛ ولكنه ابنه شكرا لكم.

غادرت وصحبها حاجب المكتب ، فقال بكر : الأمر يستحق الدهشة !

عودة الأرملة

بُلغت ديانا بهاتف من طبيب القصر لوقان أن تهيء القصر لقرب عودة السيدة ، وتفاجأت المدبرة للقصر بالأمر فقالت: أتحدثت معك؟!

ـ نعم



فقالت ديانا : أين كانت؟!

قال : عندما تعود ستعرفين أين كانت؟

ـ معها زوجها!

قال الطبيب : زوجها ! ومن قال إنها تزوجت؟!

فقالت ديانا : لا اذكر من قال ذلك! عندما غادرت سمعنا أن علاقة خاصة مع البرت.

قال الطبيب : نعم، هناك علاقة خاصة هي علاقة عمل يا سيدة ديانا لما ترجع تسأل.

فقالت ديانا : شكرا دكتور.

قال الطبيب : جومار ما آخر خبره؟

فقالت ديانا : اخبرني باتصال هاتفي أنه يعيش أيام صعبة ، وطلب مني عندما تعود السيدة أن أتصل به، فقد تعرضت عائلته لحادث كبير ..احترق بعضهم، وبعضهم يصارع الموت .

قال الطبيب : لا حول ولا قوة إلا بالله على كل اذا اتصل اخبريه بقرب عودة السيدة للقصر

فقالت ديانا : سمعت من نورما أنه يفكر بالاستقالة لرعاية أهله .. سيأتي اذا عادت السيدة لبعض الوقت.

قال الطبيب : اهتمي بإعداد القصر.

فأخبرت ديانا الخدم والحرس والطهاة بما اخبر به الطبيب ، وعم الفرح في القصر، والسؤال الذي تردد على الألسن أين اختفت كل هذه المدة ؟ وما الخطب !

فقالت السكرتيرة العامة للقصر نورما : ألم يكن هناك زواج ؟

فقالت ديانا : استغرب الدكتور الحديث عن الزواج من البرت.. التقيا للعمل والتمويل.

قالت نورما : عمل سري وخطير !

فقالت ديانا : هي قررت السفر فجأة وأعلمت بأن رحلتها السرية قد تطول .

قالت نورما : هناك غموض في هذه السفرة يا ديانا حتى لم تترك لنا رقم هاتف أو عنوان بريد

فقالت ديانا : حضر البرت للقصر مرتين ، وكان حديثهما بالألمانية .. وأنا أعرف بعضها ، ولم اسمع إلا الحديث عن المصنع والتمويل ، فلم استغرب كثيرا من تصريح الطبيب، وكان دعاها لقضاء وقت في وطنها .. وأنا ظننت أن والدته أرسلته من اجل الزواج والمصنع حجة.

قالت نورما : أنا استقبلته في المرتين ، وتحدثنا بلغة بريطانيا حتى تنزل السيدة للقاء به

فقالت ديانا : أنا رجحت الزواج بعد سفر جومار ، فذهب مخي أنها قد تبيع القصر وأملاكها هنا .. بعد ترملها لا يربطها شيء بهذا البلد إلا الأعمال ، فنذير له مشاريع في ألمانيا والبرازيل وتشيلي وغيرها من البلدان.

قالت نورما : عندما تعود السيدة بالسلامة سنعرف الكثير من قصة هذه الرحلة الغامضة.

فقالت ديانا : قريبا لها سنة دون خبر ، يبدو أنها كانت على اتصال وتواصل مع طبيبها.. بدا لي أنه على علم بسبب غيابها .. هل لظهور الزوجة الأولى دور في ظهورها؟!

قالت نورما : سمعت من الدكتور علي أنها تزعم أنها زوجة ولم تطلق رسميا ، ولها ولد منه ينكره نذير ، وهو يدرس في جامعة كوبية اسمه بول .. لم نكن نسمع بهما حتى في الشركة .

فقالت ديانا : الحقيقة يوجد غموض في حياة نذير لسلوفانا ، فهي تزوجت ماله ، وطلقت من زوجها الأول ؛ ولعل نذيرا السبب ، وجاء لميونخ وبرلين لمساعدة والدها في أزمة صناعية ومالية فكانت في طريقه ووقع في غرامها ، كان مقلا من النوم معها ، كان رجل نساء خارج القصر إلا ما حدث من الدكتورة فريدة .

قالت نورما : رجال العمل والمال دائما يحيط الغموض بيومياتهم وحياتهم ، كان لا يسمح لأنثى في رياسة شركة أو مصنع ، ولا يسمح للمرأة أن تحضر أهم الاجتماعات ففي النهار عدو النساء والليل عشيق النساء .. أمره فيه غرابة.. فرغم كفاءة سلوفانا كانت بعيدة عن الإدارة والشركة

وعند خروجه للعلاج سمح لها بالإدارة والتردد على الشركة والمتابعة خارج القصر .

فقالت ديانا : تعب الكبد من الكحول وأجهزته التناسلية من الإباحية ، قد يكون سرطان الكبد من الكحول ، وكما تعلمين حفلات السيدين كثيرة على مدار السنة غير حفلات الصفقات خارج القصر.

قالت نورما : هذا ملاحظ كنا نتأخر في الفندق للصبح من اجل الزوار .. وصفقات تجارة الأسلحة متعبة .. لهم مصانع أسلحة في أمريكا اللاتينية.

فقالت ديانا : علمت من السيدة أن علاقاته مهمة مع وزارات الدفاع على مستوى العالم استفادوا من حرب العراق وايران وتحرير الكويت.

قالت نورما : هذه الصفقات عمولاتها مرتفعة وحتى تكاليف نقلها مرتفعة .

اتصل علي يسأل عن عودة السيدة ، ولم سمع قال: سأتحدث مع الطبيب شكرا مدام ديانا.

****

شاع الخبر في الوسط الاجتماعي الذي تعيش فيه سلوفانا حتى أن بعض الصحف الاجتماعية أشاعت ونشرت هذا الخبر على صفحاتها ، فهي مديرة شركات ومصانع نذير خاتم .

الدكتور علي يقول: لماذا نشرت الصحف الخبر ، ونحن لا نعلم متى تأتي؟ ولماذا اختفت كل هذه الشهور؟!

قال بكر: كنت في مؤتمر وسألني صحفي عن صحة الخبر ، قلت سمعنا مثلكم، ونحن في الشركات نقوم بعملنا سواء وجدت أم سافرت .. العمل لا يتوقف على وجودها ، فهذه اغلبها شركات مساهمة عامة.. وهل كشف لك الدكتور شيئا عن سبب الاختفاء ؟

قال علي: نعم ، قال إنها كانت في رحلة علاج سرية

قال بكر باستغراب : علاج مدهش ! والعلاج يحتاج إلى تكتم وسرية واختفاء عن العمل .. شهران مرض نذير واستمر العمل

قال علي: هذا ما كشفه لي لوقان ، لم يكن هناك زواج وغرام.

قال بكر: مما تعاني؟

قال علي: لم يصرح به.. لم تكن تعاني من مرض خطير حسب علمي يا بكر

قال بكر: هذا الدكتور خطير ! هل بينهما علاقة خاصة ؟ كان نذير لا يحبه ولا يطيقه ؛ لكنه من جالية القصر .. كانت تحترم الترك من كل البلدان

قال علي: أليس هو الذي عينه طبيبا للقصر ؟

قال بكر: بلى ، ولكن رغبتها هي التي أصرت على عمله طبيبا للقصر

قال علي: تميل كثيرا لجنسها !

قال بكر: اغلب القصر هنود من اتباع جومار .

قال علي: التوظيف كان عن طريقه الذي سافر ولم يرجع !

قال بكر: علمت أن زوجته وابنه تعرضا للحرق ، ومات ابن له في الحادث .

قال علي: هو متزوج ، ولم تحضر زوجته للقصر ولو مرة واحدة ، فكل من يسكن القصر معه زوجته إلا جومار .. احضره الهنود الذين بنوا القصر رئيسا للخدم ،ويعرفه نذير من وجوده في ألمانيا .. القصر خليط من الأجناس فخادمة سلوفانا الخاصة فرنسية ومدبرة القصر تركية وسكرتيرتها تركية الأصل إنجليزية الجنسية والسائق جودت تركي والطبيب تركي يعيش خارج القصر

قال بكر: لا اعتقد أن حياة خاصة بينه وبين السيدة رغم امتعاض السيد منه في السنوات الأخيرة .. لم يكن الطبيب الوحيد للقصر إنه أهمهم .. فكل شلة نذير أطباء.. وهو الذي نصحه بالسفر لألمانيا أو سويسرا عند تأزم وضعه الصحي.

قال علي: هل أمورنا حسنة قبل مجيئها؟

قال بكر: التقارير المحاسبية ممتازة وجاهزة ، والسكرتيرة نورما تتطلع عليها باستمرار

قال علي: بعد حين قريب ستصبح السيدة مالكة للأموال حسب الوصية وتوزيع الميراث

قال بكر: أنا عجبت من وصيته أن لا تسلم لها إلا بعد ست سنوات وألا تتزوج زواجا رسميا إلا بعد تملكها الأموال

قال علي: وصية غريبة !

قال بكر: لذلك استغربت لما قيل سافرت لتتزوج ! قلت ستفتقد الكثير من الثروة .

قال علي: لعلها لم تتطلع على هذا البند .

قال بكر: معقول

قال علي: هذا ما سمعته في زيارة المكتب في احدى الزيارات.

قال بكر: الزواج بدون عقد موجود في أوروبا العقد اختياري ، كان لها زوج مهندس طلقها وكان الزواج منها ضمن صفقة كما قال نذير يوما.

قال علي: وهذه التي تزعم أنها امرأته وولدت له بول.

قال بكر: قصتها غامضة.. يبدو أن احدهم طمعها بحصة من الثروة وصدقت إلا إذا كانت سلوفانا زوجة بدون عقد شرعي أو مدني .. وعلمت أنها تنوي السفر إلى أوروبا ؛ وربما تنتظر عودة سلوفانا اذا علمت بالإشاعة.

قال علي: لم يذكر يوما معلومات واضحة عن حياته في البرازيل

قال بكر: سنة علاج غريب !

قال علي: لا ادري!

******

كان الأطباء يجلسون في غرفة في نادي القمار يشربون ويتعاطون الكحول، وكان حديثهم حول ما نشرته الصحف أو يعضها حول عودة السيدة سلوفانة لمدينة زريق . فقال ماهر: أقرأت أو سمعت ما نشرته صحيفة الحمامة الزرقاء عن عودة الأرملة السوداء للبلاد؟! أتراها ستعود بزوجها الجديد؟

قال بسيل: وما ادراك أنها تزوجت؟

فقال ماهر: ألم يشاع أنها رحلت للزواج من الصبي البرت المهندس الصغير صديق العائلة؟

قال منذر: نعم، هذا قيل يا بسيل؟ و أليس هذا ما ترجح لدينا عند الاختفاء؟

قال بسيل: ولماذا تخفي هذا الزواج عن الأضواء والمجلات ؟! امرأة كسلوفانا وهي تعشق الشهرة والصحف والحفلات .. أنا مثلكم قرأت الخبر الذي نشرته صحف المجتمع ، فاتصلت بالدكتور علي ؛ لأنه هو الذي يدير الأملاك فأكد لي الخبر ، ولا يعرفون أي تفاصيل ولا وقت العودة ؛ إنما اخبرهم به طبيب سلوفانا أحد عشاقها الأوائل اذا

صح وصدق اتهام نذير .

قال منذر: الخبر صدر عن التركي ؛ ليس من القصر !

فقال ماهر: قيم القصر في الهند ، ليس هناك زوج !

قال بسيل: لا يوجد زواج.

قال منذر ساخرا : هل لديك أمل باسيل؟

قال بسيل: لقد سيطرت عليّ، عشقتها بحق ، منذ طلاق ريما لم اسعد بامرأة .. لقد انتصرت عليّ

فقال ماهر: هذا أنت كنت في معركة!

قال بسيل: نعم ، معركة غرام وجنون ومراهقة .

فقال ماهر: معركة خاسرة من بدايتها ، وجعلتها فرصة للخلاص من ريما ، وهي فتحت لك الطريق لإغاظة زوجها الذي كسر تقاليد الزنا في القصر، حين تعرت له مطلقة منذر وخدرته وعاشرها فسقط مريضا حتى هلك.

قال بسيل: فتح لنا الطريق بصراحة وتحدي ، وترك لنا المحاولة، وكانت ليلة القط الأسود على وشك أن تحول الحفلة لجنس جماعي .. لقد ذلتنا تلك الليلة أمام نسائنا حتى سخرت ريما مني ثم تطوعت بألف دولار اذا تمكنت منها ، فاعترفت بفشلي وأنها صيد صعب رغم مكرها بنا ليلة القط الأسود لما ذهب نذير لمعاشرة فريدة .. قلت لسلوفانا سمحت لنذير بليلة مع ريما فضحكت

فقال ماهر: ما رد ريما على هذا الادعاء؟

قال بسيل: قالت لا ادري إنني اكرهه رغم ما قدمه لي من هدايا ، لو اطمئن أنها تسلم لك ليلة لقدمت جسدي له أسبوعا .

قال منذر: تضحية كبيرة منها ماذا قلت لها؟

قال بسيل: قلت لها سأبذل جهدي معها لآخر يوم من العمر.. إنها امرأة تشتهى ، وإن لم تكن ملكة جمال العالم ، فقالت اذا سمحت لك بليلة فقدمني هدية وجارية لنذير .. مات نذير قبل أن أنال وأحقق شيئا.

قال منذر: أنا كنت استغرب من موقف ريما معه ، مع أنها سمحت لكل الشلة النوم معها ؛ لأنها تعلم أننا صحاب يجمعنا الجنس والخمر والقمار.. نذير لماذا لا؟!

فقال ماهر: نساؤنا لما تزوجناهنّ يعلمن أننا مجرد ديكور لهن .. كانت مكرهة على الممارسة بعكس فريدة .. تلك امرأة فعلا عاهرة .

قال بسيل: اليوم ريما تغيرت لم تكن نشطة جنسيا ، تتعب بسرعة وتكتفي بقضاء شهوة الشريك وتدخل في نوم عميق .. أما فريدة وغيرها تريد أن تبقى طول الليل في جماع ومداعبة ومجون .. كنت استسلم للنوم ويبدأ الإزعاج؛ لذلك صرت اهرب من مواعيدها ومواعدتها.. أما ريما فما صدقت أن اتركها .. تغيرت اليوم وتزوجت،

وتركت الفجور وسمعت أنها تابت.

قال منذر: تابت ما معنى تابت ؟ كانت ضمن الفريق بحريتها

قال بسيل: صارت تصلي يا سيدي !

فقال ماهر: معقول

قال بسيل: زوجها الجديد كبير في العمر أرمل .. معرفة قديمة تغير .. علمت أنه يعاملها كابنة.. لديه بنات من سنها .. مجرد زواج .. أراه مناسب لها.

قال منذر: إنها ملّت ، وكانت مملة ، ملت من السهرات مثل بنات القرى

قال بسيل: هي كانت تفعل معكم إرضاء لي خشية الطلاق ، فقبلت بعد حين الدخول في هذا المضمار ، لم تكن تصدق أننا نتبادل الزوجات ، وأنها مجرد أفكار سينما وخيال كم خسرتم الليلة

قال منذر: خسرت خمسة آلاف بعد أن كسبت في البداية خمسة راس براس .

فقال ماهر: بسيل كسب الليلة بعد خسارته قبل ليالي عشرة أنا فقدت الليلة عشرة

قال بسيل: ركبني الطمع الليلة وتجاوزت المحدد

فقال ماهر: الدكتور جولس انتحر قبل أيام ، خسر عمارة كاملة

قال بسيل: خسر كل شيء ، المرأة تركته قبل الانتحار، وأولاده هجروه كذلك

قال منذر: لقد نزف أملاكه كلها .



القصر

كان القصر يتهيأ لاستقبال السيدة بأوامر من الطبيب الخاص ، وقام جودت بشراء سيارة ماركة جديدة وتهيئتها لاستقبال السيدة في المطار بصحبة الطبيب ونورما ، وتم شراء ملابس جديدة لسكان القصر بمناسبة العودة ، وكذلك تجديد الإضاءة ؛ ليكون القصر جاهزا لاستقبال سيدته، فتأكد لساكنيه ومعارفهم أن العودة قريبة وحقيقية ، كان الطبيب مبغوضا من نذير ، ولولا ثبات سلوفانا وإصرارها لطرد الطبيب وقالت بحزم: هذا طبيبي أنا دبر لك طبيبا ، فسلم واستعان بغيره ، وظل طبيبها طبيبها واتهمها حينا بعشقه فقالت : حرية . ولم يستطع إثبات ممارسته معها الزنا رغم شكه به .تجسس عليها بالخدم ، ولم يثبت أي لقاء جنسي بينهما فركن للصمت ، وكان يتقبل أوامره الطبية والصحية وقبل مرافقته في رحلة العلاج التي مات فيها .

طلب الطبيب من السائق الاستعداد ليلا للذهاب إلى المطار ، طائرة الواحدة ليلا ، انتقلوا ليلا للمطار ، ومعهم كلب السيدة وقطها الأسود ،

فالكلب له خدم ، والقط له خادم يستوطنان القصر وهم من الهنود .
مع الفجر كانت السيدة تدخل القصر ضمن استقبال وترحيب من عمال وخدم القصر وعانقت الكلب وسلمته لخادمته والقط كذلك.
أعدت خادمتها الفرنسية جوليا التي عادت بصحبتها غرفتها ، وصعدت لغرفتها وغادر الطبيب القصر لم تتحدث بسر غيابها ، انهالت الاتصالات صباحا مرحبة بالسيدة وأعطت موعدا لعلي وبكر مساء اليوم .
فقالت: كانت سنة صعبة يا صديقي؛ ولكني نجوت بحمد لله.
قال علي: نجوت من ماذا ؟ نحن لم نعرف سر طول هذا الغياب ظننا أنك تزوجت البرت .
قالت السيدة: عندما أتنفس الصعداء سأقول لك القصة ، علمت بقصة المرأة القادمة من كوبا وابنها بول . روى لها القصة والابن لنذير.
سمعت السيدة صوت الأطباء بسيل ومنذر وماهر وطلبوا اللقاء بها للسلام عليها ، شكرت
لهم الاتصال ،واعتذرت عن اللقاء فقال بسيل : لم الجفاء والبغضاء؟
قالت السيدة: لا جفاء ولا بغضاء، أنتم أصدقاء السيد ، ومات السيد وبأي صفة نكون أصدقاء وأنتم أصدقاء نسوان .

قال بسيل: يجب أن نبقى أصدقاء ؛ لأنك زوجة صديقنا .. من الوفاء له أن نبقى أصدقاء وصرنا أصدقاء لك وشاركنا في حفلاتك وسهراتك .
قالت السيدة: أنتم أصدقاء شراب وأجساد وقمار فما دوري بينكم ؟!
قال بسيل: لا تنتهي الصداقة بموت احدنا .
قالت السيدة بضيق بين : حبل الود انتهى يا دكتور ! قلت لك لا تفكر بي زوجة ، أنا كنت زوجة شكلا لصاحبك .. سلم على الرفاق.. وعندما اعمل حفلة تأبين سأدعوكم للسكر عن روحه لتلك الذكرى .
قال بسيل ساخطا : فيك خير يا مدام! أنت ملكة بغير تاج.. أنت من عجايب الدنيا السبع !
قضت السيدة أسابيع في المشاركة وحفلات في القصر والفنادق والشركات واستقبال الجالية والنوادي الخاصة والكل يريد أن يعبر عن حبه وإعجابه بها، والغريب أنها أقامت حفلات في القصر بدون خمور ، وانتشر أنها كانت في رحلة علاج من الإدمان على الكحول ، وأنها قضت الشهور في مركز ومشفى علاج من الإدمان في سويسرا ، وقد نجحت بترك الكحول إلى حد كبير ، وتخلصت من الخمر رويدا رويدا ، والمخدرات التي لم تتعمق فيها ، وكذلك ترك الدخان إلا القليل .

ذات نهار قالت ديانا : الحرس يقولون إن بالباب شخصا يزعم أنه ابن نذير وأمه يرغبان بالمقابلة السيدة قد علمت بقصة المرأة التي زارت القصر قبل شهور ، فأذنت لها بالدخول إلى احدى قاعات استقبال خاصة ، وقدمت لهما القهوة والماء ، وبعد ربع ساعة حضرت سلوفانا القاعة وعرفت الزائرة بنفسها باسم داليا غسال حيتان وابنها بول.

قالت السيدة وهي تجلس : ماذا تريدون مني؟!

قالت السيدة داليا : أنا زوجة شرعية لنذير.

قالت السيدة: لنفرض صحة ذلك ماذا تريدون؟

قالت السيدة داليا : أريد حقي بمال زوجي وحق بول.

قالت السيدة: السيد لم يترك ثروة ، كتبها لي بوصية ، فهي باسمي، نذير لا يعترف بدين وتسلم لي بعد ست سنوات من وفاته ، وعلى أن لا أتزوج .. لا يوزع ماله كميراث إسلامي وديني لنتشارك في المال .

قالت السيدة داليا : ولكني زوجته الشرعية

قالت السيدة: وأنا زوجة شرعية ، وأنت طلقت غيابيا لغياب عنوانك، ولم ترسل لك وثيقة الإخبار بالطلاق، لقد هربت ومعك ابنك ولم يكن لك عنوان في دار الاختفاء يا أم بول .. اعرف قصتك في ريو دي جانيرو مع ابن زوجة أبيك بالتبني وأن والدك تزوج أرملة ثرية وطلق أمك قانونا ، وكانت زوجة أبيك متبنية لطفل من أيام زوجها الثري ، وكان بينك وبين الأخ بالتبني ما بين الأزواج وولدت بول ، وعرف السيد ذلك وأنكر أن يكون منه وهربت بابنك إلى جهة مجهولة.

قال بول : هذا لم تخبريني به يا أمي !

قالت السيدة سلام : بل أنت ابن نذير ، ولدتك أول سنوات الزواج ، وأنا على ذمته ، وما زلت دون طلاق قانوني .. لي أصدقاء كما له صديقات كما أن لك صديقات يا بول

قالت السيدة: ربما أرسلت وثيقة الطلاق إلى عنوانك في البرازيل ؛ لأن مكانك في كوبا كان مجهولا لنذير.. فهي عند والديك .. ولما غادر البرازيل كنت مختفية عن الجميع

قالت السيدة داليا: في القانون هذا ابنه .

قالت السيدة: نعم ، في القانون هذا صحيح ؛ ولكن الرجل لم يعترف به ، ومن اجل ذلك لم يوصي له، فتركها لي ، فهو لا يعترف بشريعة إسلامية، وهي مكتوبة أصلا في ألمانيا

قالت السيدة داليا : حق هذا الولد !

قالت السيدة: أنتم لا حق لكم عندي.. أنا ظللت أرملة حتى املك كل الثروة تنفيذا للوصية لماذا تأخرت في البحث عن حقك سيدة داليا ؟!

قالت السيدة داليا: أنا لما هربت اعتبرت أن نذيرا

انتهى من حياتي ، ولما مات لم اكترث بموته لكن احد المحامين لما علم بأنني مسلمة وزوجي مسلم قال إني على النظام الإسلامي استحق جزءا من الثروة بحكم الميراث الإسلامي، وبول يستحق مالا من أبيه القانوني ، وإنكاره لأبوته لا ينفي أنه ولد وهو زوج لي .

قالت السيدة: هل سجل بول باسمه ؟

قالت السيدة داليا : لا ، صارت مشاكل عند ولادته ـ وكان شريكا لأبي وأسرتي ـ فوضع في ملجأ اللقطاء ، وقبل ابن زوجة أبي المتبنى بتسجيله باسمه ريثما تحل القضية ، وهربنا وتزوجنا في كوبا شكليا ، وسجل باسم أم مجهولة ، ثم صحح الوضع لما علمنا بموت نذير وتزوجنا رسميا ، وعاش بول في مدرسة داخلية .. وها هو تخرج من الجامعة ، وهو يعرف تفاصيل قصتي مع أخي الذي تزوجته وحمل بول اسمه قبل الهرب .. هو ابن بالتبني لزوجة أبي فصار أخ لي لما تزوج أبي أمه بعد طلاق أمي الحقيقية للزواج من الأرملة الغنية .

قال بول : حياتي مأساة! أنا في الحقيقة ولدت وهي على ذمة نذير ، وأنا لست في الحقيقة ابنه شرعيا أنا ابن عشيقها .. أمي عاهرة !

قالت السيدة داليا : حياتنا هكذا هناك يا سيدة سلوفانا ! لست فاجرة لما تزوجت نذيرا ، لم يكن احد يعلم ما بيني وبين جوني ، وتزوجت نذيرا ؛ لأن أبي أراد ذلك ، وكان نذير يريد تقوية العلاقة بأسرة أبي ، ولم ولدت بول استغرب نذير ، وتبين أنه يتعاطى ابر لمنع الحمل لعدم رغبته بذرية ، فوالدك الشرعي معروف لي ، وهو في القانون أخي ، وفي الحقيقة هو ابن متبنى؛ ليس من أمي ولا أبي إنه غير معروف بالنسبة لي وله ، هو ابن ملجأ لقطاء أو أيتام ، كان نذير لا يريد أن يولد له سواء بالزواج الصحيح أو الباطل ؛ لأنه يخشى أن تأتيه امرأة بمولود وتزعم أنه منه وأخضعت لفحص دي ان ايه

قالت السيدة: لا حقوق لكم عندي .. أنا مستعد أن أتكلف السفر لكوبا



غادرت داليا وبول ، ورافق الحارس داليا وبول، فصعدت السيدة لمكتبها تتبعها ديانا ونورما وبعد توجيهات ذهبت السكرتيرة لمكتبها، وقالت لديانا : لماذا ظهرت هذه المرأة الآن ديانا؟!

فقالت ديانا : سألت نفسي هذا السؤال عندما ظهرت لأول مرة ، وبعد سنوات من موته ، وبعد سفرك للعلاج !

قالت السيدة: الأمر مقلق لي ، لو ظهرت لما شاع

خبر موته لبدأ الأمر طبيعيا ، وصدقت أنها هربت منه خوفا على ابن عشيقها بعد اربع سنوات .. وهل حقا لم تصل إليها وثيقة الطلاق ؟ وهل حقا تزوجت رسميا بعد موت نذير ؟! كنت مع أبي عندما ذهبنا لشركة محاماة ليعلن طلاقه منها ، وكان الطلاق ، وتعهد المكتب البرازيلي بإرسال كتاب الطلاق للأسرة ، وطلب الاتصال به ليصبح الطلاق رسميا واذا لها اعتراض أو حقوق ، فلم يتصل بنا المكتب لليوم أما بول فلم يتكلم عنه.. وهل حقا لم يكن ابنه وأنه كان يتعاطى موانع الحمل ؟ معي كان يأخذ حُقنا واحيانا استعمل مبيدا لحيوان المني ، لم يرغب بالذرية معي.. هل تعاقدتم مع خادمة جيدة

فقالت ديانا : ما زال الإعلان ينشر في وكالات الاستخدام ، ومكتب المحامي مارسيل يتابع الإعلان وقابل بعضهن وعلى وشك التعاقد.

قالت السيدة: شكرا لكم ! ما صحة زوجك سليم آق محمد؟

فقالت ديانا : ذهبنا للمستشفى وجرى اللازم ، وقد نسافر لأنقرة أو استانبول للعلاج في وطننا افضل وبين أهلنا.

قالت السيدة: آه! أنا بحاجة إليك هذه الأيام.

فقالت ديانا : سأجتهد أن أكون معك .. ونورما ممتازة وتعاونت معها أثناء غيابك وغياب جومار فتستطيع القيام بالأعمال على خير ما يرام

فقالت ديانا : كنت افكر بتبديلها كما تحدثت مع الدكتور علي وبكر

فقالت ديانا : إنها متعاونة جدا ، وزوجها رجل ممتاز

قالت السيدة: الدكتور جواد

فقالت ديانا : نعم ، ويمر بوعكة صحية هو الآخر بسبب البرد القارس، ولما يتعافى سيمر عليك واشرف على علاج الطاهية شيذر وصحتها تتحسن ومشتاقة للعودة للمطبخ.

قالت السيدة: قدم لي بعض النصائح والفحوص قبل السفر لبازل لقد أتعبني الشراب والمخدرات تعلمت على ذلك من الصغر والحفلات الصاخبة .. الأصدقاء مشكلة أحيانا كثيرة الإنسان عدو نفسه

فقالت ديانا : مدربة الرياضة ستكون مساء اليوم في قاعة الرياضة، لقد عادت من دورة خاصة كما أخبرتني.

قالت السيدة: تحدثت معي وأعلمتني عن حجز أجهزة حديثة ومتطورة تحتاج لإدخالها القصر فرتبي معها ومع الشركات .. أحس بتعب من مقابلة هذه المرأة.. ابنها لا يتكلم كثيرا ؛ كأنه غير مقتنع بخطتها واحتيالها .. محتارة بسبب ظهورهم بعد اربع سنوات من الموت .. لا يسمح لي

بالاطلاع على وثائق نذير الخاصة إلا بعد مرور السنوات الست.. أنا مسموح لي الاستفادة من أرباح شركاته هنا فقط ، وأما أموال ألمانيا والبرازيل فغير مخولة ببيعها والانتفاع بها لماذا ؟! لست ادري .. تحدثت قبل ذهابي لمركز العلاج مع محامين شركات نذير دون فائدة .. بعد الست يتغير الوضع.

فقالت ديانا : وما الذي يزعجك بمجيء هذه المرأة ؟!

قالت السيدة: ربما تكون أموال ظهرت للمحامين يسعون للاستيلاء عليها باسم هذه المرأة وابنها وبول .. لقد ذكرت أن احد المحامين اعلمها بأنها لم تطلق رسميا وقانونيا.

فقالت ديانا : القانون الألماني لا يسمح بالتعدد يا سيدتي ! والسجل المدني الذي يوثق العقود هل يقبل العقد وهو على ذمته امرأة؟

قالت السيدة بابتسامة لطيبة ديانا : التزوير والمال .. كان زواجنا بظروف غامضة وسريعة ، أتى الرجل من البرازيل لمشاركة الأسرة بمشاريع صناعية عملاقة وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من صناعة الأسلحة والسفن الحربية وتسويقها ، ومن أول سنة اعجب بي ، ورغبني أبي وأمي بالزواج منه لما فشل بإقامة علاقة معي ـ فأبي يعرفه من استشاراته في الأرجنتين والبرازيل ـ وكنت طلقت وانفصلت عن زوجي .. كان جميلا ، كما أنني جميلة وهو يعشق النساء والجميلات، ولتقوية العلاقة مع أبي والأسرة قبلت زواجه بشرط أن يترك لي الكثير من المال واشترط أن لا أتدخل في علاقاته الإباحية فقبلت ، واعلمني بأنه لا يحب الأبناء فوافق ذلك هوى في نفسي ، لم اكن أظن أن الزواج سيعمر كل هذه السنين ، وأنا لا اعرف الحب والغرام أنا احب المال يا ديانا والحفلات والشراب وأتعاطى قليلا من المخدرات الحشيش.. أشياء جمعتنا وقبلته زوجا ، وكان يعاني من مشاكل في الكبد قبل ترك البرازيل، تكلم عن سبب لا اذكره الآن، وتحدث عن الزواج وأنه سيطلق اذا عقد عليّ ؛ ليسمح له بذلك ، فعلمت بعضا من قصة زوجته ، ولم اسمع بولده بول ..الخلاصة قبل بشروطي ومطالبي وأنا قبلت شروطه وحريته تجاه النساء وحريتي نحو الرجال فقبل ، واتفقنا على ألا يعاشر امرأة في بيتي وشقتي ثم القصر لما جئنا هنا ؛ فلذلك كما تعلمين له شقتان في المدينة لعشيقاته ، وله فيهما خدم.. وما زال علي وبكر ينفقون على الشقق ريثما تباعان بعد السنوات الست ؛ لذلك كان في الغالب يعاشر متزوجات حتى اذا حصل حمل لا ينسب له ؛ لأن بعض الغانيات تمارس البغاء وتسعى للحمل لإجبار العشيق بالزواج منها .. فاحترم مشاعري حتى كانت ليلة القط

الأسود وتعرت عشيقته أمام المحتفلين ومارسا البغاء في قاعة .. نذير ضعيف أمام العشيقات فلما تعرت لم يكن إلا الاستسلام لها .. وأراد أن ينام في غرفتي فسقط مريضا بسبب أمراض الكبد ومنع من الاتصال بأنثى إلى حد كبير .. وكرر العمل في اليخت فمات قبل الوصول لميونخ للعلاج .. وترك لي حرية اتخاذ العشاق ، ولكن خارج القصر .. وانا امرأة مثلك زوجة ولا زوجة .. فكنت اتخذ العشاق خلال رحلاتي وحتى هنا.

فقالت ديانا : لم افهم! قالت السيدة: سوف تعلمين فيما بعد!

قالت السكرتيرة وهي تدخل مكتبها ، وكانت تلوح برسالة : هذه يا مدام ديانا رسالة للسيدة

تطلعت إليها وقالت ديانا : رسالة !لا تخلص الرسائل .

قالت السكرتيرة : هذه رسالة من شخص غير مرغوب به اسمه بسيل

تنهدت ديانا وقالت : أوه ! هذا الدكتور الولهان الذي عانق حذاء السيدة طمعا بموعد غرامي لا يمل من مطاردة السيدة .

قالت السكرتيرة : ماذا افعل بها ؟

فقالت ديانا : انتظري

اتصلت ـ السيدة ترقد في الفراش لمرض ألم بها ليلة امس ـ قالت السيدة: نعم ديانا الحمد لله.. أنا بخير قال الطبيب ألم خفيف يسبب الإرهاق.. السهر يتعبني كنا نسهر للفجر .. رسالة !

فقالت ديانا : رسالة من السيد بسيل .

قالت السيدة بسخط : لعنه الله ألا يريد الاختفاء من حياتي هذا الفاجر ؟ .. ضعيها على مكتبي

فقالت ديانا : حاضر سيدتي

أغلقت التلفون وقالت: اللعين ماذا يريد ليكتب ؟ ذكرني بريما التي تزوجت رجلا كبيرا وجعلها تلبس الحجاب.. فريدة لم اعد اعرف أخبارها هل ما زالت في فرنسا أم ماتت ؟

شغلت التلفاز على فضائيات الألمانية ونظرت للموبايل الصامت فرأت اتصالات من البرت " فهذا الشاب يزعم حبي ويطاردني بحجة إقامة المصانع يريد المال ، أمي السبب أرسلت لي طفلا" وقضت وقتا مع التلفاز ، وعصرا نزلت للغداء ثم دخلت مكتبها ترافقها ديانا

فقالت ديانا : أما كان من الأفضل أن نصعد بالمراسلات والبريد إلى حجرتك سيدتي فالضعف ما زال بين عليك.

قالت السيدة: لا يجب أن نستسلم للضعف يا ديانا ! لقد ألغيت الرياضة هذا المساء .. هذه الدنيا ألدينا زوار الليلة ؟

فقالت ديانا : هناك سيدة كبيرة تريد اللقاء بك، ويصحبها ابنها الطيار عزت فهو في زيارة

للمدينة .
قالت السيدة: لا بأس .. شاب ظريف ومعه زوجته.
فقالت ديانا : لم تذكر أمه ذلك
قالت السيدة: زيارة أم شيء آخر!
فقالت ديانا : لم تذكر شيئا آخر
قالت السيدة: متى؟
فقالت ديانا : العاشرة ليلا ، وهي زيارة قصيرة كما قالت السيدة
قالت السيدة: ربما رغب عزت بالسلام عليّ .. أين رسالة بسيل اللعين؟
بحثت عنها في المكتب فقالت ديانا : لا ادري أين وضعتها نورما فهي عادت للمجموعة لجلب تقارير اخبرها عنها الدكتور علي ، وعاودت البحث ، ثم اتصلت على الشركة وقالت بصوت مسموع : ليست على المكتب ،لا يمكن لاحد أن يدخل ؛ لعلك نسيت وضعها هنا حسنا المكتب مفتوح شكرا لك.
أغلقت التلفون فقالت ديانا : ربما تكون في مكتبها
قالت السيدة: هذا بريد اليوم خطابات من البرت
فقالت ديانا : نعم
وضعتها أمام السيدة واستأذنت لإحضار رسالة بسيل ، قرأت رسائل البرت التي يطمع فيها بدعوة ومقابلة من اجل الشراكة في مصنع جديد، انتهت من القراءة ودخلت ديانا وناولتها الرسالة
فقالت ديانا : اسمحي لي بالمغادرة زوجي اتصل.
قالت السيدة: شكرا وسلمي عليه وادعو له بالشفاء، وكلمني جومار وسيعود قريبا فقد ماتت زوجته ولحقت بابنها بسبب الحريق، لقد عانت حتى لفظت أنفاسها رحمها الله .
فقالت ديانا : رحمها الله حدثني أنها في وضع صعب كان الحادث مدمرا للبيت
قالت السيدة: عندما يأتي ستعودين للانصراف المبكر كما كنت
فقالت ديانا : نحن صديقات فوق الوظيفة
قالت السيدة: إلى اللقاء
غادرت المكتب والقصر ، وأخذت سلوفانا الرسالة وأغلقت المكتب وصعدت لحجرتها وهي ما زالت تشعر بالإرهاق وقالت : ماذا يريد عزت مني ؟ مجرد سلام
تمددت على الفراش فتحت رسالة بسيل المعطرة وقالت :هذا طبيب مراهق ما الذي يعجبه فيّ.
قرأت بعد التحية والسلام
خفق قلبي لك حتى عدت صبيا عاشقا لأجمل نساء العالم .. صورتك لا تكاد تفارقني.. لم اهوى امرأة كما هويتك.. طلقت من تعرفين لعلك تنظرين إليّ نظرة رضا وإحسان.. إنني أريدك وحدك .. سعيت للهروب من دقات القلب

الملهوف بمزيد من الشراب والفجور؛ لكن دون فائدة.. غرقت في القمار لأنساك .. كلما اسمع اسمك وسيرتك وارى رسمك يطيش القلب هياما وغراما

يا سيدتي ما دمت بغير زوج فاجعلي العبد الذليل عبدا لك وزوجا لك اشفقي على هذا الولهان ألا تعرفين الحب؟ أنا لا اجد فتاة في الدنيا لا تعرف الحب.. ألم تخلقن للحب والهوى؟ .. أتاني هواها قبل أن اعرف الهوى يا حبيبتي!

أنا اعلم أنك لم تحبي نذيرا يوما ما ؛ وإنما كنتم زوجين فقط مجرد صفقة.. أما أنا فلك محب أريدك حبيبة .. عاشق يراك كل حين ولو لم تتزوجيني .. وقد أكون الزوج الوفي أنا لك وحدك يا سيدتي الملكة! آه على الحب !

رفضت السيدة الرد على أي اتصال ببسيل وأي رد على رسالة ، وذات نهار كانت تغادر المجموعة من الباب الخلفي والسري ، وكان جودت في انتظارها ، وقبل أن تركب السيارة ظهر بسيل أمامها فقالت بغضب: ماذا تريد أيها المراهق ؟!

بتوسل رد : لقاء قصير مع السيدة في أي مكان .

قالت السيدة: لا وقت لديّ أنت وقتك للحب والغرام .

ـ حياتي في خطر

ضحكت وقالت السيدة: حياتك في خطر !وماذا افعل ليزول الخطر؟

قال: اشفقي عليّ أنا مصاب بسرطان

قالت السيدة: سرطان !

قال: نعم ، أنا أعاني منه من شهور وقد أعالج بالعلاج الكيميائي

قالت السيدة: ما دمت تعاني فلماذا تطاردني كالأطفال؟

قال: أحببتك صدقا .. وقعت في حبك.. اشفقي على رجل يموت

قالت السيدة: ولماذا اشفق ؟ لقد صدمني الخبر دون شك

قال: حبيني وتزوجيني

قالت السيدة: وأترمل بعد شهور.. هذا تفكير صبي.

قال: اسعد ما تبقى من العمر

قالت السيدة: واشقى لو تزوجت يا ملعون ! سأفقد كل الثروة .. هكذا وصية نذير، فالزواج من شروط تنفيذ الوصية ؛ لعلك تهدأ .. قد اسمح لك بالزيارة للقصر والسمر معي من باب الشفقة والعطف

قال: قد اشفى

قالت السيدة: السرطان سرطان ستصل لنهاية .. زواج ممنوع .. من يعالجك ؟

قال: الدكتور رياض أمسياني

قالت السيدة: طبيب أورام

قال: نعم، اذكر لك عنوانه والمستشفى لعلكي تطمئنين على صدقي

قالت السيدة: أتحتاج إلى مساعدة مالية؟

قال: لا

ودعته وركبت السيارة وقالت لجودت: لنذهب للمستشفى والدكتور الذي سماه.

قال السائق : حاضر

زارت المستشفى والتقت بطبيبه رياض وحدثها عن مرضة بسرطان القالون ، فتبرعت بألف دولار على اسمه ، وعادت للقصر تفكر به وبعشقه لها ، همست : الكل يمرض أما زواج فلا .. حب أي حب هذا ؟! .. زواجي سيكون بعد ست سنين لما امتلك المال! لماذا وضعت هذه السنين الستة؟ لماذا أرملة لست سنين؟ يريدني أن أصير عشيقة للرجال واغرق في مستنقع الإباحية ؛ لكني صبرت قليلا.. والزوج العشيق ينتظر بفارغ الصبر .. هو الوحيد الذي احبه قلبي الحب الحقيقي .. ستكون صدمة لكل من عرف سلوفانا .. وهو والد ابني .. عمره الآن عشر سنوات .. كان راغبا بالمجيء معي ؛ ليعرف أباه وبراه ، حملت به خفية وولدته سرا عنه كان يجب أن أصير أما .. لا صلة لنذير به.. ابني وحدي .. الرجل لا يحب الذرية أنا احبها قريبا سأحمل بالثاني والثالث .. جاءت داليا تبحث عن حق موهوم ، اضطررت للهرب إلى سويسرا حتى ولدته وأخفيته .. هل علم نذير شيئا عنه ؟ هل كشف أمره؟ هل شعر بحملي ؟ كدت أفاتحه .. يتعاطى موانع الحمل كما تفعل النساء.. لكن الحبيب قال فحص الجينات والحمض النووي يفضح السر .. فلنصبر حتى يموت .. وها قد مات .. سعينا إلى موته فهات ساعدني الدكتور بالسم البطيء وزاد مرض الكبد حتى اضطر السفر لألمانيا ، ثم عاد معافى فعدنا لنفس اللعبة وعولج في برلين وعاد ، فكان لا يجب أن يصل لألمانيا حتى لا يكشف التسمم.. الدكتور هل يقبل بالمال ويقبل لي بالزواج من حبيبي والد مايكل ؟ صبرت صبرت يا جسم !



انتهت الحلقة٢

التحقيق الجنائي والجريمة

لغز القصر الصحراوي ٤

٢٢

مكث العقيد حاتم وفريق التحقيق يترددون على القصر ثلاثة أيام ، يصلون الساعة العاشرة صباحا وينصرفون بعد العصر ، وكان يلتقي بالسكرتير بعد أن كلفه ببعض المهام ، فسأله حسب الاتفاق

بينهم عمن اتصل بالخارج بعد مغادراتهم للقصر فقال مايا: جاءنا اتصال من إفريقيا تحدث أحدهم مع السيد سينكالا وسجلت الاتصال .

ـ أحسنت وسأكلف المترجمين بترجمة التسجيل !

ـ الفتاة البرازيلية فتاة المخدرات ـ كما نسميها بيننا ـ تحدثت مع شخص مكالمة قصيرة ، وكانت عن طريق سنترال .. وبعد منتصف الليل جاءها اتصال؛ ربما من نفس الشخص الذي كلمته ـ أنا لا أحسن اللغة البرتغالية أو لغة الهنود الحمر ـ وتخلل المكالمة بعض الكلمات الإنجليزية ، وهي مسجلة أيضا ، وفهمت أن المكالمة تعبر عن حاجتها إلى كمية من المخدرات هذه المكالمات التي سجلت بعد انصرافكم في اليوم الأول .. وأمور القصر والعمال تمضي كالمعتاد ، والكل متلهف لمعرفة نهاية وجوده في القصر ، فكلهم يعلم برغبة السيد الصغير ببيع القصر .

قال العقيد : أحسنت يا أستاذ مايا!

ـ العفو يا سيدي كان السيد يعتبرني ابنا له .. وقد قمت بمحاولة الترجمة ، وسأقول لك ما فهمته قبل أن تعرض التسجيلات على رجالك .. مكالمة السيد كامارا فيها خبر عن حادث سير تعرض له ابن للسيد ..يخبرونه أنه في المستشفى ووضعه حرج ، لأنه بعد وقت يسير جاء يطلب مالا ، فاتصلت في البنك وطلبت تحويل مبلغ من المال على مصرفه هناك ، وهو يفكر بتسفير زوجته إذا سمحت الشرطة بذلك ، فهذا راجع لكم حتى أبلغه .. وفهمت من مكالمة الفتاة حديثها عن حاجتها لبعض المخدرات ، ثم رغبتها بمقابلة شخص ما في العاصمة بلبل.. لم أفهم هل هو الذي اتصلت به أو شخص من قبله ؟ ولما سألها لماذا ؟ أخبرته بعودة البوليس للتحقيق في الجريمة ، وأنهم سيبقون أسرى حتى يعترف المجرم بجريمته .. ووعدها المتصل بتأمين كمية مخدرات لها ، وعليها أن تصبر حتى يصرف العمال عن مهماتهم وتعود لبلادها، وفي الصباح بعد الإفطار طلبت مني النزول لجاد ، فأخبرتها أن الخروج متوقف حتى تأذن الشرطة وصرخت فيّ ووصفتني بالظلم والجلاد وصرفتها بهدوء .. وفي الليلة التالية حاولت الحديث مع أحدهم فلم يرد عليها أحد .

بعد سماع تقرير مايا عن ردة أفعال سكان القصر على فتح التحقيق من جديد ، جمع العقيد حاتم جميع الموجودين في القصر في قاعة السهر أو نادي القصر ، وتحدث معهم عن الجريمة ، وحذرهم من إخفاء المعلومات عن العدالة ، ونقل المترجمون تحذير العقيد لهم ، ولم يعترف أحد أنه شاهد شخصا يغادر قاعة الطعام وصالة السهر إلى الطابق الثالث ، لم يقر أحد بشيء ، وسمح لهم بالخروج إلى مدينة جاد أو العاصمة كالمعتاد حتى

ينتهي التحقيق ليسمح لهم بمغادرة البلاد ، ووعدهم المحقق أن يكون ذلك قريبا ، وبعد انصرافهم همس للسكرتير : استمر في تسجيل المكالمات وإخباري بها لقد اقترب الحل يا سيدي .
كان الاشتباه في نظر المحقق الحارس الإفريقي والفتاة البرازيلية فتاة المخدرات ، وكانت مكافحة المخدرات قد استعدت لمتابعتها عندما تخرج من القصر ، فكان العقيد يرى أن أحدهم استغل فترة انشغال القوم بالطعام ، وتسلل للطابق الثالث عن طريق المصعد وغدر بالرجل وأن سلاح الجريمة مخفي داخل القصر بعد أن هرب بطريقة ماكرة استغفل فيها الحرس إن لم يكن الحارس الإفريقي اللاعب الأساسي في الجريمة .
وفي المساء أعلم السكرتير العاملين في القصر بأنه سيسير رحلة للمدينة لتغيير الجو بعد هذه التحقيقات وستستمر للمساء ، وجاءت حافلة سياحية في الصباح لتقل الراغبين بالنزول للمدينة للتسوق ، وطلب الخروج عشر نسوة وثلاثة رجال ، منهم الإفريقي الذي أخذ المزيد من المال ليحوله لبلده .
وفي التاسعة صباحا تحركت السيارة واستقرت بعد ساعتين بالقرب من السوق الكبير في المدينة جاد كالعادة المتبعة ، ونبه عليهم السائق على بداية موعد العودة الخامسة مساء .

وكانت الحافلة تحت مراقبة البحث الجنائي حسب التنسيق بينهم وبين مايا الهندي ، فذهب الإفريقي تصحبه زوجته إلى بنك مدينة جاد ، وحول رصيد الشيك الذي أعطاه إياه مايا إلى بلده ، ثم مشيا إلى نقطة البريد واتصلت الزوجة ، وأرسل سينكالا برقية لعنوان ما ، ثم مشوا إلى السوق العام للمدينة وإلى أحد المطعام أكلا معا ، ثم مشيا إلى إحدى دور سينما جاد وشاهدا فِلما أمريكيا قديما ، وبعد السينما اشتروا بعض الحلوى والمكسرات والفواكه ورجعوا لموقف الحافلة ، وجلسوا في أحد المقاهي المطلة على مكان الحافلة يشربون القهوة ، ويرقبون باقي الركاب ، وكل ذلك تحت مراقبة البحث الجنائي لمدينة جاد .
وأما الفتاة المشتبه بأن لها دورا في القضية ـ وإن لم يتضح بعد ـ فذهبت لأحد المصارف بعدما تركت الحافلة ، وصرفت شيكا حصلت عليه من مايا حسب طلبها ، ثم مشت لحانوت بيع خمور وزلفت إليه ، وشربت كأسا ، وبينما هي تشرب في الخمارة جلس بقربها شاب مدة خمس دقائق ، ثم غاب عنها زمنا ، وعاد ومعه فتاة أخرى أجنبية ، ثم خرجت الفتاتان من الحانة وتجولتا في بعض أسواق المدينة لمدة من الزمن ، ثم دخلتا مطعما سياحيا ، وجلستا بعض الوقت في صالة عامة ، ثم بعد جلوس استمر عشر دقائق انتقلتا لصالة

خلفية ، وقضتا ساعة فيها ، ثم عادتا للصالة الرئيسية ، وطلبتا طعاما وخمرا ، وبعد ذلك غادرتا المطعم ، فمشت ماريانا لموقف الحافلة ، والثانية ذهبت حيث الخمارة ، ولما وجدت الحافلة مكانها مشت للمقهى القريب ، وأخذت بالتدخين ، وهذا رصدته الشرطة ، وبعد عودة الحافلة للقصر قبضت الشرطة على شاب وفتاة الحانة وصاحبي الخمارة والمطعم ، وبعد تحقيق قصير أفرج عنهم جميعا ، ولما تكلم العقيد مع السكرتير مايا أخبره أن الفتاة عادت، وقد أخذت حقنة مخدر ، وكانت تلوك قطعة في فمها .

الشرطة تسعى لمعرفة الرجل الذي تحدثت معه الفتاة عن طريق السنترال ليلة أول جلسة استجواب ، فتسأل العقيد : هل لهذا علاقة بالجريمة أم أن القضية تدور حول المخدرات ؟ فهناك من يزود الفتاة بالمخدرات كما ظهر لنا في جاد ؟ والمتعاطي لا يحاكم ؛ ولكن من يزودها بالمال ؟ فدخلها لا يكفي كما وضح لنا السكرتير .

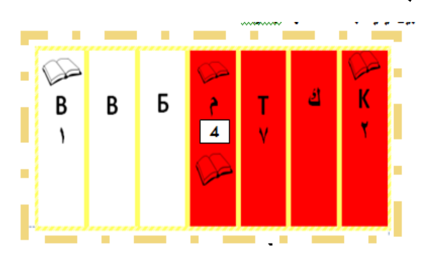
كانت الأوامر أعطيت للسكرتير بالتساهل مع الفتاة وعدم منعها من التعاطي داخل القصر مبديا أن الرحيل قد اقترب وهذا سبب التساهل ، فهم يريدون الوصول لمصدر تزويدها بالمخدرات والمال لشراء المخدرات كما فعلت في جاد .

وهناك تطور آخر حدث تطور في قضية الكشف عن لغز الكنز الصحراوي ، وجرى ذلك على يد السيدة سعاد عيسى ، كانت تخبر زوجها بأنها قد تكون اكتشفت شيئا مهما في حل لغز الكنز فلما سألها عن ذلك الكشف المهم قالت: أعدت قراءة رسالة جدك مرات ومرات حتى أدركت أنه يتحدث عن المكتبة هذه .. مكتبة القصر هذا ؟

وكانت قد ساقت زوجها لمكتبة القصر ـ المكتبة التي كان الجد يحب المكث فيها عندما يمكث مع حفيده بعض الليالي ـ فقال مندهشا: اللغز هنا!!

ـ تأمل هذه الواجهة ، فهي مثل واجهات مكتبات القصر .. هل فعل جدك ذلك عبثا؟!

قال متحيرا : نعم ، إن هذه الواجهة مثلهنّ تماما يا سعاد .. وهي تشبه ما في الكرت .. نعم ، نفس الترتيب هذه الواجهة .. قسم أحمر وقسم أبيض .. وسبعة رفوف في كل قسم من الأقسام السبعة وماذا بعد ؟!



قالت شارحة: الحرف قلتم تعني الحرف الأول من كلمة مكتبة من سبع لغات ، وفي الكرت صورة كتاب أربع مرات فهي تعني أربع مكتبات .. ولا تكون أربع مكتبات إلا بهذه المكتبة يا أديب .. فثلاث صور لكتاب يقصد بها مكتبات القصر ،

حرف الميم صورة كتاب أعلاه وكتاب أسفله
ـ ورقم ٤ ؟
ـ إنها رقم رفوف يا سيدي .. فلك رسائل داخل رفوف هذه الكتب أو الخزائن
هز رأسه مقتنعا وقال : جيد يا سعاد ما هي هذه الرسائل ؟!
ـ أنا فهمت من رسائل جدك أنه ترك رسالة في إحدى المكتبات ، ومع كثرة قراءاتي لهنّ أعني رسائل جدك أحسست أنها هنا في مكتبة القصر .. وأنا وضعت خطوطا تحت العبارات المعينة على ذلك ، ثم أخذت بالبحث عنها في جناح المكتبة الذي أمامنا كما ترى .. فتحت كثيرا من الكتب لعلي أجد في وسطها رسالة ولم أجد لحتى اليوم أي رسالة .. والكتب كثيرة فهل لك أن تساعدني ؟
ـ رقم أربعة التي تحت حرف الميم هل تعني اسم كتاب أم تعني الرف؟
قالت سعاد : فكرت بأنها كتاب أولا واستعرضت كتب الرف الرابع من الوسط فلم أرى أي رسالة .. والرفوف في كل خزانة سبعة فيكون عندنا سبعة رفوف تحمل الرقم أربعة ، واستعنت ببعض الخادمات في تفتيش كل الرفوف السبعة الوسطى دون جدوى سواء بدأت العد من أعلى أو أسفل فالرفوف تحمل الرقم أربعة ، لم نجد ورقة ولا رسالة ؛ ولكني متيقنة أن للرقم أربعة دلالة ما يا أديب .. وفكرت أن أتابع كل المكتبة خاصة الخزائن السبعة التي تمثل واجهة البطاقة
ـ لكن لابد للرقم ٤ من مغزى كما أنت متيقنة
ـ هذا أكيد ، علينا المزيد من التأمل والنظر ، وهذه المكتبة منها سينطلق الحل .. ما رأيك بدعوة بشر وخالي والرجال وتتناقشون في فكرتي ؟
ـ حالا
اتصل أديب ببشر ، وتحدث معه في اقتراح سعاد ورأيها ، فاستحسن الصحفي الفكرة وقال : فكرة جديرة بالاهتمام غدا ـ إن شاء ربك ـ سأتصل بالفريق ونرتب زيارة للبيت .
أطلعهم أديب عندما التقوا في بيته عن تحليلات سعاد ، وأطلعهم على العبارات التي تركها جده في رسائله ، وتركز العبارات أن لمكتبة البيت علاقة بحل لغز الكنز ، وعلق اللواء منسي خبير الشيفرات العسكرية والأمنية قائلا : تقدم جيد وممتاز يا مهندسة سعاد ! فعبارة (من هنا نبدأ) إشارة صريحة أن لهذه المكتبة دورا .. يبدو أننا أهملنا قراءة الرسائل بشكل جيد ، ولم نعطها حقها في الدراسة والبحث أيها الأصدقاء !
وقال محمد محسن : وهذه العبارة التي تضع سعاد تحتها خطا أيضا مهمة (مكتبتكم ومكتبتي) فهي تعني مكتبة أديب ومكتبة القصر الصحراوي .
فقال بشر : وهل رقم أربعة يعني الرف الرابع ،

وأن رسالة تعني رسالة في الصف الرابع .. وقد قمت يا أخت سعاد أنت والخادمات بالبحث في كل كتب الرف الرابع من هذه الخزائن السبعة ولم تجدي فيها رسالة بطاقة ورقة إشارة .

ردت سعاد بصوت هادئ : نعم يا أخي فتشت كل الرفوف ، فلم أجد شيئا إلا بعض البطاقات التي تستخدم كفواصل أو علامات للقراءة وأين توقفت القراءة ؟ ولم يكتب عليها شيء .. وقد وجدت حوالي عشرين بطاقة ، وللحرص ذكرت كل بطاقة في أي كتاب وجدت ورقم الصفحة فكتبت على البطاقة اسم الكتاب ورقم الصفحة بقلم رصاص قد تكون لهذه البطاقات أهمية في خطوة ما .

وتناولت البطاقات من مغلف رسائل كبير ودفعتها لبشر الذي تأملها بعض الوقت ودفعها للآخرين.

فعلق أحدهم : لعل عليها رسالة سرية بالحبر السري الذي نسمع عنه.

اهتم منسي بالموضوع وزاد تعمقه بتلك البطاقات وبعد تدقيق قال: بطاقات لا أهمية لها ، ولا رسالة سرية فيهنّ أو عليهنّ .. هي فواصل يستعين بها الرجل للمكان الذي وصل إليه في القراءة أو الصفحة التي يبحث فيها ويلزمه أن يعود إليها ، وسبب كثرتها أنه ينساها وينشغل بكتاب آخر ، ومع الوقت تجمع هذا العدد ، وقد نجد الكثير منها لو تصفحنا عددا آخر من الكتب .

ولكنه طلب منهم أن يأخذ كل واحد منهم اسم كتاب عن البطاقة وينظر في الصفحتين التي وجد بينهما الفاصل للمزيد من التأكد من أهمية هذه الفواصل وعدم أهميتها .

وبعد عمل مرهق للنفس قال منسي : إن هذه الفواصل من غير فائدة لحتى الآن في حل لغزنا وكنزنا .

ثم أعلن لهم أن الغداء جاهز فانتقلوا إلى قاعة الطعام المعروفة لهم في قصر السيد أديب يحيى ، وكان جل حديثهم على المائدة حول اكتشاف سعاد الباهر ، وقال اللواء منسي: لابد أن هذه المكتبة لها دور فالبدء منها فقد أغفلناها في تحرياتنا السابقة ، وأعترف أن هذا تقصير .. وجاءتني فكرة بعد الطعام سأعرضها عليكم

ولما انتهوا من الطعام انتقلوا إلى قاعة استقبال ذكرتهم بقاعة الطيور في قصر الصحراء ، وقدمت لهم الفواكه الطازجة والشاي بالنعناع ، وبدأ القضم والرشف والحمد لله ، ثم الثناء على المهندس وزوجته .

فقال حسن : يا حضرة اللواء كنت ذكرت لنا أثناء الأكل عن فكرة ستعرضها علينا بعد الغداء فكرة حول كنز المهندس أديب .. والعجيب أن

المهندس من نعم الله عليه أنه ليس بحاجة للكنز ولكنها رغبة الجد أن لا يباع قصره بعد موته بسرعة !

قال منسي : شكرا أخي حسن .. أنا تحدثت مع قريب لي يعمل مهندسا مدنيا ببلدية العاصمة فاقترح عليّ أن ينشأ المهندس مدينة سكنية قرب القصر سواء ظهر الكنز أم لم يظهر .. وبعد حين من الزمن سيعمر المكان .. وهو سيدعم المشروع ماديا ومعنويا لتصل الخدمات والعمران لذلك المكان أو القصر الرهيب .

فظهر الابتسام على وجه المحامي داود وقال : لقد فكر السيد بسيم قبل موته بسنوات بمثل

هذا المشروع بإنشاء مساكن يوزعها على الفقراء ، ولكن المكان كما كان يقول بعيد عن العمران المدارس بأنواعها والمواصلات والبنية التحتية تحتاج لسنوات وسنوات فالمنطقة بحاجة لشوارع معبدة وكهرباء وماء وصرف صحي حتى تصبح قرية ، ثم مدينة ؛ وربما بعد الوصول للكنز يقرر مصير القصر .. فهناك تطورات جيدة أيضا حول مقتل السيد .. ليس لديّ تفصيل من العقيد حاتم أيها السادة ؛ ولكنه أكد أن القتلة بدأوا يتحركون ، ويبدو أن الجريمة لها علاقات بعصابات المخدرات

قال شاهر : نعود لفكرة اللواء حول البحث عن الكنز

بلع اللواء لقمة من تفاحة كان يمضغها وقال : بما أننا وصلنا أن المكتبة والبطاقة يصلان لهذه المكتبة ، وأن الرف الرابع في الخزانة الوسطى قد يكون المقصود حسب إشارات البطاقة .. فعلينا تصفح كتب ذاك الرف كتابا كتابا نبحث عن ورقة مطبوعة ملصقة كصفحة من الكتاب وليست رسالة عبارة عن ورقة منفصلة أو بطاقة أخرى أو نبحث عن كتاب موضوعه حول الكنوز والشيفرات .

تعاطف الجميع مع فكرة اللواء وانتقلوا لمكتبة القصر من جديد ، وهم سبعة رجال ، فعلى البعض تصفح أسماء الكتب ، والبعض يبحث في ثنايا الكتب ، وتناول بعضهم الكتب من الرف الرابع وجلس على مقعد من مقاعد المكتبة يتصفحه ورقة ورقة ، وكان الرف يحوي عددا من الكتب السميكة ، وهي مجلدة تجليدا فاخرا ، ولها عدد من العنوانين ليست كتابا واحدا ذا مجلدات متعددة ، وبعد ساعة من الصمت المطبق سمع الجميع صرخة أدهشت الجميع صاح أحدهم وهو يرفع الكتاب عاليا : هنا الرسالة! هنا الرسالة!

ترك الجميع ما في أيديهم وأخذوا يتطلعون لبشر بدهشة حتى أن سعاد فزعت والخدم على صيحة الرجل التي خرجت منه بدون وعي بالتأكيد .

فلما هدأت النفوس قال وهو يفتح الكتاب على

صفحة معينة : هذا كتاب اسمه أعمال مهمة للعالم فعلق حسن عبد الرحمن : وهل هناك أعمال غير مهمة ؟ .. فالأعمال تكمل بعضها البعض كما أعرف .. من هو مؤلف الكتاب ؟

تبسم بشر وقال : الكتاب باللغة البرازيلية أو الأصح البرتغالية لغة المستعمر لتلك البلاد .. ترك لغته ورحل أو ذاب في تلك الملايين ؛ ولكن الرسالة بالعربية أيها الأسياد ومطبوعة ؛ كأنها صفحة من الكتاب ، وأضيفت على الكتاب عند التجليد وهي تستغرق صفحتان .. جد أديب ذكي جدا أيها الناس .. فالذي يبحث سيصعب عليه البحث في مثل هذا المجلد السميك وبلغة البرازيل .. سيبحث في الكتب العربية .

فعلق اللواء : ألم نر وسائل الحماية التي اتخذها الرجل في القصر يا بشر الرجل مثقف وفهمان ؟!

٢٣

تناول المنسي الكتاب وحيث الصفحات العربية قرأ بصوت جهوري معروف به : رسالة خاصة آه ! وصلنا للرسالة أيها الرجال فنهنئك يا سيد أديب على زوجك أولا وعلى صهرك ثانيا .. فسأقرأ الرسالة على حضراتكم فإذا وجدناها واضحة فبها ونعمت فننتقل للخطوة التالية أو المرحلة التي تليها ، وإذا لم نفقه منها شيئا سنصورها ونوزعها عليكم لتدرسوها في بيوتكم ، ونجتمع غدا مساء .. سنكون على اتصال لنحدد خطوة العمل الآتية فأنا أتوقع الرحيل للقصر الصحراوي .. فمن هنا نبدأ وهناك ستنتهي الحكاية كما يقول السيد رحمه الله تعالى .. فالوقت دهمنا فنحن قرب منتصف الليل .. فسأدع القراءة للصحفي الكبير محمد محسن المحترم فصوته رغم جهورية صوتي أراه أفضل مني تفضل يا سيدي ودفع له الكتاب ليقرأ رسالة السيد بسيم الموجودة كصفحات في كتاب برازيلي تحت عنوان :

رسالة خاصة

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي العزيز أديب

عندما تقرأ هذه الرسالة ستعرف أين المرحلة القادمة ؟ لتصل إلى الكنز الذي خبأته لك ولذريتك التي أدعو الله صباح مساء أن يهبك إياها أنا أعلم أنك لست بحاجة للمال وأنك وديع كالحمل ، وأنا وضعت هذه الأشياء الثمينة حتى تحافظ على قصر جدك .. وأما إذا وصلت لمعرفة الكنز وأسراري الخطيرة فلك أن تبيع ما ورثت عني .. تبيع قصر جدك بسيم الجدية الذي شيده ليختفي فيه من أعدائه وخصومه الكثر ، ويحمي نفسه من الأشرار والشر .. والموت حق يا ولدي لا أهرب منه أبدا .. والموت والموت لا مفر منه ؛ ولكن الحذر مطلوب ومشروع يقول القرآن

خذوا حذركم

أنا لا أحب أن تعجز من الوصول إليه ؛ ولكن إذا عجزت يا ولدي فسلم الأمانة لذريتك جيلا بعد جيل .

عندما تقرأ هذه الرسالة عليك بالرحيل إلى القصر الصحراوي كما تحب أن تسميه أنت.. اذهب إلى قصر جدك بسيم الجدية

فهنالك ستجد ثلاث مكتبات في كل مكتبة رسالة ترشدك للخطوة التالية .. لا تيأس سوف تصل لكنزك كنز جدك وأسرار جدك بسيم .. لن أقول لك من أين تبدأ ؟ من المكتبة الأولى أو الثانية أو الثالثة في هذه الرسلة ستجد بين سطورها من أي طابق تبدأ وعن الكتاب الذي ينقلك إلى مرحلة جديدة .. ستصل في النهاية ستصل ..

جدك بسيم الجدية

فلما قرئت الرسالة تنفس القوم الصعداء ، وعرفوا أنهم تقدموا خطوة صحيحة للأمام ، وانهالت التهاني والثناء على المهندسة سعاد ، وحلت عليهم البهجة بعد يأس ، واعتبروا ما وصلوا إليه تقدما عظيما ، ثم تصدر الكلام المنسي من جديد وعاد يقول : في الرسالة رسائل لكم جميعا ، ففيها أشياء واضحة ، منها أنها تطلب منا الرحيل للقصر الصحراوي ، ومنها انتهاء عملنا هنا هذا في نظري واضح

وأكد الجميع فهم هذه المطالب ، وعاد منسي يقول : ويؤكد الرجل السبب في وضع هذا الكنز وأسرار حياته حتى لا يباع القصر ، ويطمع أن يبقى لذريته من حفيده أديب ؛ ولكنه في نفس الآن ترك الأمر مربوطا بكشف الكنز ؛ فإذا وصلنا للكنز فيحق لأديب بيعه والتخلص منه .. وبنى الرجل المكان أصلا لحماية نفسه من أعدائه الكثر على مر السنين ، وهو مقر أن الموت لا مفر منه ؛ وإنما تكلف ذلك البناء للأخذ بالأسباب والحذر والأمان ، ومنها أيضا فهمت حل الألغاز كما تحدثنا سابقا في مكتبات القصر ، وفي هذه الرسالة من أي طابق سنبدأ البحث عن الكتاب الذي سنجد فيه إشارة للانتقال إلى مرحلة أخرى .. كم عدد المراحل ؟ لست أدري ؛ لكن كما يبدو لي من بعض الإشارات إنها سبع مراحل .. ألديك آلة تصوير الأوراق هنا سيد أديب ؟

ـ نعم

قال منسي متحمسا : نحن سبعة فعليك بتصوير نسخة لكل واحد منا ليقرأ الرسالة على مهل وفي بيته ، وغدا نجتمع من جديد أو تحددون الوقت المناسب على الهاتف ؛ ربما تعبتم الليلة وتحتاجون لتعويض سهر الليلة .. المهم يكتب أو يحفظ كل شخص الملاحظات الاستنباطات التي يراها من قراءة هذه الرسالة .

ذهب أديب وسعاد لتصوير رسالة الجد بسيم من الكتاب أعمال مهمة للعالم ، وبعد زمن يسير تم تصوير نسخ من الرسالة ، وزعها أديب على الحاضرين ، وشكرهم على تعبهم وسهرهم معه فأبدوا سرورهم بالتعرف عليه وعلى أصهاره وعلى مشاركتهم له في هذه المهمة المعقدة ، والمسرة للنفوس في نفس الحين .

وقال منسي : متى تحبون أن يكون الاجتماع القادم وساعته؟

قال محسن : أنا قد أغيب غدا أيها الكرام ؛ ولكن إذا قدح في ذهني شيء سأبوح به للسيد بشر عيسى وهو ينقله لكم .

رد منسي عليه قائلا: لا بأس ، بعد صلاة العشاء الساعة (التاسعة) سيكون لقاؤنا في بيت صديقنا المهندس يحيى .

وافق الجميع على هذا اللقاء ليلة الغد .

قال منسي: إذا وفقنا في تحديد الطابق الذي سنبدأ منه ، والكتاب الذي سنبحث عنه من خلال رسالة الجد بسيم فعليك يا أخ داود ومع المهندس بترتيب رحلة لنا كالرحلة السابقة والذي لا يسمح له وقته كالأخ داود والمهندس أديب وبشر والسيد محسن فلا داعي لرحيله معنا .. فنستطيع نحن الثلاثة بعون الله بمتابعة المهمة أنا وشاهر وحسن فقال المحامي متفهما : هذا جيد ! وسأرتب لكم رحلة للقصر الصحراوي قصر بسيم الجدية بالتعاون والتنسيق مع أديب والسكرتير مايا وزوجته .

قال أديب : إذا تمكنت من أخذ إجازة سأرافق القوم أو ألتحق بهم .

قال منسي: غدا نلتقي ونتحاور ، ولن نستطيع الانتقال قبل فهم لغز ورسالة هذه الرسالة.

وأخذ القوم بالانصراف بعدما توصلوا لمعرفة مرحلة أخرى من لغز السيد بسيم الجدية ، وكان السيد أديب وهو يودعهم يكرر لهم الشكر والاعتذار عما سببه لهم من قلق وإزعاج وسهر وإبعادهم عن أهلهم ، وهم بدورهم أبدوا ثناءهم عليه ؛ بل أوجد لهم شيئا يستمتعون به ، ويتحدثون به لإحفادهم وأصدقائهم ، وأنهم يعتبرون الأمر تسلية وتنشيط لخلايا المخ الخاملة كما يقال .

ثم غادر بعدهم بقليل بشر وخاله محمد محسن ، واعتبروا ما فعلته سعاد إنجازا كبيرا ومهما في حل لغز الكنز وفألا حسنا ، فشكرت الفتاة خالها وشقيقها ، وأقروا من جديد بذكاء السيد بسيم بوضعه الرسالة مطبوعة ضمن صفحات كتاب بلغة غير عربية حتى لو صدف ومسك أحدهم الكتاب سيعيده لمكانه فورا إلا إذا كان يعرف اللغة البرتغالية ، وهذا في بلد عربي من النادر إن لم يكن

من المعدوم .

واعترفوا أيضا بأنها لو كانت ورقة منفصلة لربما سقطت من الكتاب أثناء هذه السنوات ، ولم يعرها أحد أي اهتمام إذا وقعت من بين صفحات الكتاب وبين يدي خدم القصر الأجانب الذين لا يفقهون لغة الضاد .

فعلق محسن بعد ذكر هذه الملاحظات : جدك يا بسيم ذو عقل نشط ومنظم

ـ شكرا لكم أيها الأفاضل سلموا لي على زوجاتكم الغاليات على قلوبنا وليسامحننا على أخذ الكثير من حصتهم .. وسلم لي على الوالدة يا بشر أمي الغالية

فقال محسن : الحاجة أم سعيد سعيدة بك يا أديب ، وهي تقدرك وتجلك .

قال بشر : كانت ترغب بالمجيء معي للسهر مع خالتك ومع بنتها ؛ ولكني بينت لها أننا في عمل وقد يستغرق منا ساعات من الليل وهذا ما حدث يا سعاد

فقال يحيى ممتنا : إنني أسعد دائما برؤيتها والجلوس معها .. فهي أم فاضلة .. أهلا وسهلا بكم جميعا .. فنحن أهل وأخوة ، وهي أمي العزيزة

ـ بارك الله فيك يا أديب ، وكما ذكر جدك في رسالته أنت أديب وحمل وديع اسم على مسمى

وضحك القوم ، وتابع بشر : وأنت يا أخية خذي بالك من حبيبنا أديب

فردت سعاد بسعادة : نحن كأننا نعرف بعضا من سنوات هو قرة العين .. وقريبا سيكون أبا بسيم .

ـ بسيم ؟!

ـ سيسمي أول ذكر له على اسم جده الذي كان يحلم بأن يرى حفيده زوجا وله أبناء ..



عندما دخل منسي بيته وجد أهل الدار نياما ، وهو يحمل عادة مفتاح البيت مع مفاتيح سيارة الصالون التي يملكها ، فلم يحتاج لقرع الجرس وإزعاج زوجته النائمة ، ولما استقر في حجرة النوم وأخذ يخلع ملابسه التي خرج بها حتى بدون إشعال الضوء مكتفيا بنور اللمبة الصغيرة الضعيفة الإضاءة ورغم ذلك استيقظت الزوجة قائلة : الحمد لله على السلامة !

ـ أنت مستيقظة يا أم ضياء ؟!

جلست قائلة : قبل قليل تركت صالون البيت ، كانت ابنتك هنا ، جاءت تسلم وتسهر مع أبيها.

ـ أي بنت؟

ـ سعاد

تبسم وقال: جئناكم أيضا من بيت السيدة سعاد .

ـ كيف ؟! جاء معها زوجها ، وانصرفت الأسرة

بعد نصف الليل .

ضحك وأدرك أنها لم تفقه قصده ومداعبته وقال مفسرا : سعاد أخرى أخت الصحفي الشاب

ـ بشر !

ـ نعم ، بشر عيسى ، ونحن ما زلنا نسعى في حل ألغاز الكنز الصحراوي ، وأمس بدأت بشائر النصر والحل تهل علينا .. الليلة وبعد صبر طويل حللنا لغزا آخر

نهضت المرأة التي كانت على علم بموضوع الكنز معتدلة ـ وكانت تعلم وتتابع رحلات الزوج إلى الصحراء لفك معميات اللغز ، وكانوا يعودون خائبين بغير جدوى ـ فلما رأى اهتمامها قص عليها التطورات الأخيرة والتقدم الذي حصلوا عليه ، فلما انتهى القص قالت بفضول وهي تضيء الحجرة : أمعك الرسالة ؟

فقال باسما : ألديك وقت للرسائل اقترب الفجر ؟

تركت السرير قائمة وهي تقول : طار النوم من عيني دعني أنظر رسالة السيد بسيم لعلي أساعدكم بخطوة للإمام كما فعلت السيدة سعاد رجع للجاكيت المعلقة على شماعة حجرة النوم ، وتناول الرسالة منها أو صورة الرسالة وناولها لزوجته وقال باسما : حاولي فأنا أعرفك من أذكى النساء في حل ألغاز الكلمات المتقاطعة التي تنشرها الجرائد والمجلات .

فكأنها لمست همسة تهكم منه فقالت : أتسخر مني يا منسي ؟!

ـ أبدا .. معاذ الله .. هل في البلد أبرع منك وأسرع منك في حل تلك الشبكات ؟

قالت مبررة شغفها ذلك : لديّ وقت فراغ كثير بعدما تقاعدت من العمل في التدريس يا منسي وأحسن أن أقضي وقتي في الثرثرة ومع الجارات ، وأسمع من هذه ، وأسمع من تلك ، وأنقل من هنا إلى هناك .

فتمتم منسي ضاحكا ومعلقا: ربما هي الحسنة الوحيدة من وراء مثل هذه الشبكات .

أخذت تقرأ الرسالة مرة وثانية بعد جلوسها على كرسي حجرة النوم ، وقالت لمنسي الذي استلقى على السرير منتظرا تعليقها : الرسالة فيها تعيين الطابق الذي سيكون منه البدء إلى مخبأ الكنز مكتبة الطابق طبعا أقصد ؟

ـ إني فهمان عليك .. ففي إحدى مكتبات الطوابق رسالة ضمن كتاب .

ـ الرجل ترك في هذه الرسالة إشارات ترشد للطابق الذي ستبدؤون منه !

ـ نعم ، ونحن نستطيع أن نبحث في كل المكتبات ؛ لكن الكتاب الذي سنبحث عنه في أي طابق سنجده ؟ والمكتبات مليئة بالكتب.. فالرف

الواحد يحوي أكثر من عشرين كتاب .. والجهة الحمراء والبيضاء سبع خزائن وكل خزانة سبعة رفوف سيكون عدد الكتب كثيرا.. وعندما نلقى الكتاب المقصود سنجد فيه رسالة ما ، ما هي لا ندري ؟

فقالت : الكثير من الكلمات تصلح كعنوان لكتاب ..وهل هذا العنوان مكون من كلمة أو كلمتين أو أكثر ؟ هو عمل مرهق وشاق ؛ ولكنه سهل في نظري بعدما اجتزتم مرحلة البطاقة

ـ أنا أرى أن البطاقة ما زال لها دور في الوصول للكنز ، فقد كان لها دور في المرحلة الثانية ، فدلتنا على مكتبة قصر أديب ، وحرف الميم تأكيد للبحث في المكتبة ، وحددت الرف الرابع من الخزانة الوسطى الجزء الأحمر ، فهو الرابع يمينا والرابع شمالا والرابع للأعلى ، وكذلك الأسفل وكذلك قطريا .. فالحظ ساعدنا بعض الشيء ولا أعتقد يا أم ضياء أن الرجل جعلها سبعا سبعا إلا للإيحاء بشيء سيظهر لنا فيما بعد .. وأنا قد استويت فاسمحي لي بالنوم بعض الوقت وعند صلاة الفجر أستمع اقتراحاتك لأسماء الكتب المستنبطة من الرسالة كما قلت كتاب من اسم واحد اثنين ثلاثة أربعة.

تركت الغرفة وقالت : أتمنى لك نوما هنيئا تصبح على خير ، وأطفأت النور .

وخرجت لقاعة الفيلا ، وقالت لنفسها: قبل اختيار أسماء الكتب المحتملة عليّ بشرب كوب قهوة كبير ليستيقظ تفكيري وذهني .

دخلت مطبخها وصنعت المطلوب ، وعادت للصالون ترشف القهوة وتقرأ الرسالة مرة ثالثة وقد وضعت بجوارها ورقة وقلم لتكتب ما ألهمته من الرسالة البسيمية ، وبينما هي تجلس دخل عليها منسي فقالت باسمة : لم تنم .

قال مبررا عجزه عن النوم : شممت رائحة القهوة ، فاستيقظت الحواس .. وكيف أنام وذهني مشغول وعاجز عن فك أسرار هذا اللغز ؟

٢٤

وفي بيت السيد شاهر كان النقاش والحوار قد اشتعل بين الرجل وزوجه ، فهي كذلك قد تابعت جهود الرجل في التحقيق في قضية كنز الصحراء ، فلما قرأت الرسالة بشغف وقد استمعت للشرح من زوجها قالت : هذا جد عجيب ! رغم حبه وهواه بعدم بيع القصر وحتى لا يوصف بالأناني ولا بالظلم لهذه الحفيد وضع هذا اللغز وترك المجال لحله .. وها أنتم في أقل من سنتين حللتم مرحلتين مرحلة البطاقة أقصد الحروف السبعة الأولى من لفظ مكتبة بسبع لغات ، والليلة الرسالة الأولى .. وهذه السعاد فتاة مدهشة وذكية التي أوصلتكم لاكتشاف الرسالة الأولى من رسائل

الجد بسيم التي قرأناها سطرا سطرا كلمة كلمة .. استطاعت أن تضعكم على الخط الصحيح من جديد .. مكتبة القصر كما هي واضحة الآن في البطاقة اللعينة يا شاهر .. كانت المكتبة أمامكم وشددتم الرحال لقصر الصحراء .

ـ نحن ذهبنا في المرة الأخيرة كنزهة وشم هواء .. فنحن من المرة الأولى فشلنا في الوصول لمرحلة ثانية .. اليوم الأمور تغيرت فقد نشطنا ودبت فينا الحياة .. وإن شاء الله سيحل اللغز بأسرع مما تتصورين يا أم نصر .



وكان بيت السيد حسن تلك الليلة بعد منتصف الليل مشغولا بما حصل في بيت أديب يحيى في موضوع الكنز ، وعبرت المرأة عن سعادتها باكتشاف سعاد بنت جنسها ، وقالت بسرور : أرأيت النساء ؟! دائما تسخرون من عقولنا وفهومنا .. ها هي الأخت سعاد فتحت لكم الدرب أيها الرجال ! وكانت سعادتها واضحة للعيان ؛ كأنها هي التي حلت الخطوة الثانية من اللغز واكتشفت الرسالة في الكتاب البرازيلي ، وكانت تقول بحماس : أنت خذ راحتك في النوم ، وأنا في الصباح سأكون قد عرفت طابق الابتداء في البحث الذي أراه غير مهم .. فالطوابق ثلاثة محصورة .. أما الأصعب فهو اسم الكتاب .

ـ أحسنت يا زوجتي ! لو عرفنا اسم الكتاب نستطيع عن طريق الفهارس الخاصة بالمكتبة معرفة في أي مكتبة يستقر الكتاب ؛ ولكني من تصوري لعقلية هذا الرجل لا أرى أن الأمر سيكون بسيطا .. فكتب المكتبة كثيرة ؛ كأنها تزيد عن خمسين ألف عنوان ..لا ؛ كأنها مائة ألف ؛ كأنني فهمت الهندي مايا يقول ذلك .. فمكتبة الرجل فيها كتب ومجلات وصحف من لغات شتى ، فهو رغم أنه لم يدرس في جامعة استطاع تعلم عدد من اللغات بحكم حاجته للعمل مع جنسيات مختلفة .. فهو كما فهمت يقرأ بالإنجليزية والإسبانية والبرتغالية .. والقليل من الفرنسية والأوردية الهندية .. ويفهم التركية .. لكني أحس أنا أن الأمر بدأ يتحلحل .. كل بداية صعبة كما هو معروف ، ثم تتضح التصورات في مخيلة الناس .

فقالت: ألا يوجد مجال لذهابنا معكم ؟

ـ القصر واسع يسع أهل البلد ، والأمر هذا يحتاج لترتيب مع المحامي والمهندس أديب وزوجته الفاضلة .

ـ حاول ، أنا متلهفة لمشاهدة هذا القصر الذي شغلكم سنتين ، ورؤية المكتبات للمساعدة في حل

ألغاز السيد بسيم .

ـ فكرة جميلة ! سأعرضها على الزملاء الآخرين الراغبين بالسفر معنا .



كان أديب في استقبال فريق البحث بعد صلاة العشاء وجلسوا في قاعة واسعة مزينة جدرانها بلوحات ممتعة للناظرين أشجار وأزهار وعصافير ، وبعد حين اكتمل الفريق ، ولم يتخلف عن الجلسة إلا السيد محمد محسن لانشغاله بصحيفته ، وأما بشر فقد أحضر معه زوجته وبعض أولاده لزيارة عمتهم وزوجها ، وقدمت لهم المشروبات والفواكه والمكسرات وتحدثوا عن أحوالهم وصحتهم وأخبار البلد ، ثم تصدر الحديث كالعادة اللواء المتقاعد منسي الذي قال باسما ومشجعا : أرجو أنكم وصلتم لاستنباطات ذكية ومهمة من رسالة المرحوم بإذنه تعالى السيد بسيم الجدية . بعد سماعه همهمات تابع قائلا : سنبدأ من جهة اليمين ، ثم الذي يليه حتى يصل الكلام والدور لي .. تفضل سيد شاهر

تنحنح السيد شاهر وقال وهو يخرج ورقة من ثيابه ويضعها أمامه : قرأت الرسالة مرات ومرات وهي رسالة بسيطة في نظري لا يوجد فيها تعقيدات لغوية أو تركيبات غامضة .. المرحوم بإذن الله يتمنى أن يرى حفيده زوجا ، ويبن لنا أننا إذا عرفنا هذه الرسالة فستنقلنا لمرحلة أخرى في الولوج إلى الكنز ومكانه .. ففيها الإشارة لكتاب علينا أن نبحث عن اسمه ومن خلالها سنعرف الطابق الذي سيكون الكتاب فيه ، وتحديد الطابق يسهل علينا عملية البحث حتى لا نبحث في جميع المكتبات المتصلة بكنز السيد بسيم .. ويبن لنا أن الكنز وضع لحاجة في نفسه هو وثانيا لعدم التسرع في بيعه والخلاص منه من قبل حفيده ، لقد كان يدرك أنه غير محب لذلك المكان ومبغض له ، وأنه سيتخلص منه بمجرد انتقال ملكيته له حسب الميراث الشرعي .. وهو بهذا اللغز لا يحرم حفيده من المجوهرات .. وفي رأيي الأهم تملك الوثائق والمذكرات .. وهو يرى الخطورة على حياة حفيده من تلك الوثائق ، فيأمل أن تصل لإحفاده وورثتهم ..وفي الرسالة أيها السادة سبب بناء القصر وهو الحماية والحفظ مع إقراره بأن الموت حق ، وأن ما يفعله أخذٌ بالأسباب والحذر .. والمال متوفر بين يديه وكثير جدا .. ويطلب منا الرحيل للقصر عند قراءة الرسالة .. فهل نستطيع كشف اسم الكتاب ؟ .. فكل كلمة مفردة تصلح عنوانا لكتاب .. وكل كلمتين تصلحان لعنوان كتاب .. وكل مجموعة من الكلمات تستطيعون

تكوين اسم كتاب منها.. فنحن بحاجة لكل عنوان من الكتب الموجودة في مكتبات القصر .. فكلمة الكنز تصلح عنوانا .. وديع كالحمل تصلح اسم كتاب .. كلمة القصر تصلح عنوانا .. بسيم الجدية تصلح اسما لكتاب .. الحذر مطلوب يمكن أن نعتبرها اسم كتاب .. أما أنا فقد عجزت حقيقة عن تحديد كلمة أو جملة ؛ لتكون عنوانا نبحث عنه أو تحديد طابق معين لنبدأ منه شكرا لإصغائكم .

قال منسي : أحسنت يا سيد شاهر ! وقدمت لنا معلومات مفيدة .. وأعتقد أن أسماء الكتب الموجودة في مكتبات السيد لابد أن لها فهارس ؛ ولكن المشكلة تعدد اللغات فيها .. فنحن وجدنا رسالة السيد في كتاب برازيلي .. فعندما ننتقل للقصر سنجد أسماء الكتب في فهارس ولكن علينا أن نحدد بعض العنوانين .. وأنت يا أخ حسن ماذا عندك ؟

فقال حسن : شكرا ، بسم الله ..حاولت استخدام الأرقام والإحصاء والتكرار ؛ لكني بعد جهد جهيد لم أجد شيئا مفيدا يلفت النظر والفكر في لغزنا هذا.. السبب أن كلمة متكررة أكثر من مرة هل تدل على طابق ما ؟ ليس بالضرورة لأن أمامنا ثلاث مكتبات فقط .. المهم معرفة اسم الكتاب الذي سنجد فيه رسالة أخرى أو من هذا القبيل .. وهل إذا عرفنا رقما من مضاعفات الاثنين أو الثلاثة هل يعني هذا الطابق الثاني أو الثالث ؟ إن هذا تكلف غير مناسب أراه من قبل السيد بسيم .. وكما قال أخونا الفاضل طلب معرفة الطابق والكتاب لتسهيل المهمة والوقت على الباحث بدل أن نبحث في آلاف الكتب نبحث في مكتبة واحدة وخطر في بالي والسيد شاهر يتحدث عن العناوين المتوفرة في المكتبة هل يمكن حصر العنوانين التي تملكها بسيم قبل كتابة هذه الرسالة ؟

قال منسي : أرى عبارة عندما تقرأ هذه الرسالة ارحل إلى القصر الصحراوي أنها مهمة .. ثم رد على حسن فقال : نحتاج لجهد لنعرف متى تواريخ وصول الكتب للمكتبة ؟

فعاد حسن يقول: كل كلمة يخيل لي في هذه الرسالة مهمة .. متى بدأ الحديث عن الكنز يا أستاذ داود ؟

رد المحامي مجيبا فقال: كان الحديث عن الكنز متأخرا من حياة الرجل ، الرسائل التي أرسلها لحفيده وطلب مني تسليمها له عندما يفكر ببيع القصر بدأت من عام ١٩٨٤، والمكتبة كانت مليئة بالكتب ، فكانت له شقة كبيرة ومستأجرة كلها مكتبات قبل أن يستقر نهائيا في البلاد .. فعلينا السعي والتركيز على الرسالة لمعرفة الطابق أي المكتبة التي ستبدؤون منها ، وكذلك اسم الكتاب .. وهل يكرر الرجل الرسالة في كتاب أم يستخدم

لغة الرمز والرموز ؟

فقال منسي : أجزم يا أستاذ داود أن الرجل يريد من حفيده أن يصل للكنز سواء بسرعة أم ببطء.. وأنه يريد كتابا ما من رسالته كتابا لا رموزا في كلمة .. قد تستخدم كلمة كتاب بمعنى رسالة أو خطاب ؛ ولكن كما يقول أهل اللغة أل التعريف تدخل على شيء معروف عند السامع أو المخاطب أو معروف للذهن .. فعندما نسمع كلمة الجنة فيدرك الذهن والمخاطب أنها جنة الخلد في السماء أو جنة يوم القيامة .. ليست جنة في الأرض.. عندما نطلع على أسماء عنوانين كتب المكتبة إذا كان هناك فهارس سنعرف منها تواريخ إدخال الكتب أو من خلال تاريخ الطباعة

قال شاهر: أليست محوسبة؟

قال داود: فيها حواسيب ؛ ولكنها أدخلت مؤخرا قبل وفاة الرجل بزمن يسير .. وحسب معلوماتي لم نعين موظفا لفهرستها على الحاسب الشخصي إلا إذا قام السكرتير وزوجته بفعل ذلك .. وأنا لا أعتقد حصول ذلك ..أما فهارس عادية فستجدون فهارس ربما من عمل السيد نفسه .. فالسيد يعشق الكتب من صغره ، وقد اشترى عدة مكتبات خاصة من الورثة أو باعها أصحابها لملمات لمت بهم .. وهو يقرأ بعدد من اللغات ، وفي مختلف العلوم ..كانت المكتبة والكتب جليسه وأنيسه الوحيد .. فهو قضى كثيرا من أيام حياته دون امرأة .. فهو لم يكن مهتما كثيرا بالنساء لطبيعة مهنته ، وهي التنقل والرحيل .. فقد تزوج جدة أديب وهي ابنة عمه ، ولما سافر البرازيل للعمل ككثير من المغتربين العرب تزوج امرأة برازيلية حتى لا يقع في الزنا والفاحشة ، ولما اشتغل في عالم السلاح بيعا وشراء وتهريبا بسبب الحروب الناشبة هناك طلقها وكان يتردد عليها من أجل ابنة له منها ، ومرة فكر بالزواج من ممرضة تعرف عليها أثناء إقامته في المستشفى ، ثم اعتذر لها في اللحظة الأخيرة قائلا : أنا رجل مسن أخشى ظلمها معي ! لا أصلح للنساء .. فالرجل كان متزوجا الكتب .. فكل وقت لا يكون في ترتيب صفقة أو سفر تجده مع الكتاب ؛ فلذلك جعل ألغازه مرتبطة بالكتب والمكتبات .

فقال منسي: هذا كان واضحا لنا من البداية ، واستخدامه الكتاب البرازيلي لإخفاء الرسالة يؤكد ما تفوهت به سيدي المحامي .. فهل استنتجت لنا شيئا من الرسالة يا سيد داود ؟

تبسم السيد داود وقال: لم يتح لي الوقت أن أفكر فيها ، فبعد مغادرتنا بيت أديب متأخرين كما تعلمون ، فنمت بعد وصولي البيت بقليل ، ثم عملي الصباحي لم يسمح لي بالنظر فيها ؛ ولكن في المساء قبل مجيء إليكم نظرت فيها مرتين فخطر

في بالي ما أشار إليه الأخ شاهر أن يكون عنوان الكتاب { الكنز }.. واعتقدت أن السيد ربما ظن أننا سنغفل عنه عن هذه الكلمة ونجعلها عنوانا لكتاب ..أنا آسف أيها السادة .

فضحك القوم وقال منسي : لا تأسف يا أخ داود ..أخ بشر !

قال بشر : أنتم لاحظتم من البداية أنني لست من هواة حل الشيفرات والألغاز .. قرأتها وقرأتها ولم يخطر شيء محدد في ذهني ؛ فإنما هي رسالة عادية ، وعجزت أن أستنبط أي مكتبة يبدأ منها بحثنا .. وكذلك تحديد اسم كتاب معين.

التفت منسي لأديب قائلا: وأنت يا سيد أديب .. وهل وصلت لشيء أنت وزوجتك الذكية ؟

قال متبسما : أنا مثل الدكتور بشر فرغم قراءتي للرسالة كلمة كلمة وسطرا سطرا ورغم دراستي للهندسة فمن أصعب الأشياء عليّ حل الألغاز والأسرار ؛ ولكن زوجتنا العزيزة تقول إنها قرأت قصة اسمها أوديب للعقاد أو الحكيم كاتبان مصريان .

فقال منسي : عباس العقاد وتوفيق الحكيم وقصة أوديب لتوفيق الحكيم قصة عن أسطورة يونانية .

ـ نعم توفيق الحكيم ، قالت ربما يشير الجد إليها بذكر اسم أديب في الرسالة ضع ضمة على الألف فيمكن أن تقرا أُديب فيقصد أن نبحث عن تلك القصة .

هتف منسي : جميل !!

فقال حسن : احتمال .. أديب أُديب .. يمكن كتابتهما بنفس الصورة الأولى مفتوحة الهمزة والثانية مضمومة الهمزة ..وهناك من يكتبها أوديب بواو ظاهرة رسما ..وعلينا أن نعود للمعاجم إذا رجح لدينا اسم الكتاب هذا .

وقال منسي : وكلمة الكنز اسم شائع لعدد من الكتب والقصص والروايات

قال حسن متعقبا: ولكنه في العادة يضاف إلى كلمة أخرى كالقصة المشهورة جزيرة الكنز ..

وسلاسل المغامرات مليئة بلفظة الكنز .. كنز السلطان كنز الغول ، وكذلك كتب اسمها الكنز بدون إضافة .. يا سادة لابد من الرحيل لمعاينة المكتبات ، عليك يا أستاذ أديب ويا أستاذ داود ترتيب رحلة أخرى للقصر .

فقال منسي : والأخ حسن يفضل أن ترافقنا زوجاتنا هذه المرة لينظرن القصر الذي كثر حديثنا حوله وغزلنا به .

فضحك داود وبشر وأديب وقال داود : والله ذلك من دواعي سرورنا أنا وأديب .

فقال أديب : على الرحب والسعة أيها السادة .. وكان جدي ـ رحمه الله ـ يستقبل فيه الكثير من الأفاضل وحجرات النوم كثيرة .. وخاصة الطابق

الثالث فهو مهجور منذ موت الجد بسيم
أثنى الفريق على أديب الثناء الحسن على الأريحية التي تقبل بها الطلب ، وعاد منسي يقول : شكرا سيد أديب والشكر لحضرة المحامي ، وأنا بالنسبة للرسالة لم تخرج استنباطاتي عما تفوهتم به .. كل ما في الرسالة يصلح أن يكوّن عنوانا أو أكثر .. ووصلت أنه لابد لنا من رحلة جديدة للقصر حسب طلب الرجل منا ..عندما تقرأ الرسالة عليك بالرحيل لهناك .

قال داود : نحن حقيقة نشكر لكم جهودكم وتعاونكم وقبولكم هذه المهمة .. وسأرسل إلى هناك ملاءات أسرة وأغطية جديدة لكم ولزوجاتكم الفضليات .. وسأكلف مايا بأن يخصكم ببعض الخادمات .. والأطعمة والمشروبات ستصلكم يوميا ـ إن شاء الله تعالى ـ من مدينة جاد .

٢٥

لقد رأى الفريق أنه لابد من جولة جديدة للقصر الصحراوي بحثا عن مكان كنز السيد بسيم الجدية .. اتخذ المحامي داود المنسق والمشرف على إدارة أموال السيد بسيم في العاصمة بلبل الإجراءات اللازمة والمناسبة لسفر الرجال الثلاثة وزوجاتهم اللواتي سيرافقنهم هذه المرة ، وتلقى السكرتير مايا علما بمجيء فريق البحث عن الكنز لقضاء عدة أيام في القصر ، ووعدهم المهندس أديب باللحاق بهم في نهاية الأسبوع لقضاء ليلة الجمعة والجمعة معهم ، وقد تصحبه زوجته إذا رأت أن صحتها تساعدها على الرحلة فهي في حالة حمل .

وجاءت الحافلة السياحية الصغيرة من نفس الشركة التي اعتاد المحامي الاستئجار منها الحافلات للقصر وغيره من المناسبات ، ونقلت الرجال الثلاثة وزوجاتهم للصحراء ، وبعد ساعات ثلاث كانوا يجلسون في قاعة الطيور ، وكان السيد مايا وقرينته رامان يرحبون بهم خير ترحيب ، وكان وصولهم عند العصر ، وأعلمهم مايا أن طعام الغداء قد وصل من مدينة جاد ، وسيكون الغداء في قاعة الطعام في الطابق الثالث حيث سينامون ويأكلون ، وقد جهزت لهم ثلاث غرف للنوم .. وستكون المكتبة مكتبا لإدارة عملية البحث.. وجهزت لهم داخل غرف المنامات مواقد لعمل الشاي والقهوة وشغل البراد الثلاجة ، فشكروا مايا وزوجته على حسن الاهتمام والرعاية .

ولما خرجا أبدت النساء ذهولها من قاعة الأعمدة الرخامية الضخمة ، والحيوانات المعلقة في أعلى الأعمدة ، ومن صور السماء أي سقف القاعة ..حتى أن إحداهن من شدة إعجابها قالت : حرام مائة حرام أن يباع هذا القصر وهو بهذا الجمال ..

ليبق مزارا للعائلة أو يحول لمتحف للدولة .. فهناك قصور قديمة أصبحت مزارات سياحية لدى الدول اليوم .
وقالت الثانية : يكفي أن فيه هذه القاعة الرائعة التي تنقل الإنسان من الصحراء الحارة إلى الجنة الأرضية .. الجمال والهواء البارد .
فرد منسي وهو يشاهد انبهار النساء : الجد وضع اللغز ليعيق عملية البيع أو التسرع في البيع ،
أو حتى لا يباع أصلا حتى أن بعضهم تشجع لإنشاء مدينة حوله
وأخذ شاهر يقص عرض صديق له أو قريب بإنشاء المدينة أو بداية مدينة في المكان ، وقال منسي بعدما ثرثر الجميع بأفكاره وإعجابه : سأقترح على المهندس أديب أن ينفق أموال الكنز عندما نجدها على إنشاء هذه المدينة ، ولسوف أتحرك مع الجهات المسئولة ومع قريبي رجل البلدية المهندس لإنشاء وإكمال البنية التحتية للمدينة من فتح شوارع معبدة تتصل بطريق مدينة جاد وزيادة شبكة الكهرباء والهاتف والأشياء الأخرى المهمة للمدن .. فهذا القصر نفسه كنز .. فعلينا بالضغط على صديقنا أديب بعدم بيعه من أجل روح جده العزيز
فقال حسن مداعبا: وماذا يستفيد الرجل من عدم بيعه ؟! أليس لديه قصره في المدينة حيث عمله ؟..
وهذا قصر كما ترون يحتاج لجيش من الخدم والموظفين للمحافظة عليه .
فقال شاهر : هذا مربط الفرس .. الجد بناه للاحتماء بين جدرانه من أعدائه الكثر .. والمهندس أديب ليس له أعداء إلا إذا كانت العداوة تورث كما في معتقدات بعض الشعوب .. والرجل كانت أسرته ضحية مغامرات الجد .. وهو أخبرني أنه لم يخرج من البلد منذ ولد فيها .
قدم لهما الخدم بعض الأنواع من الفواكه والشراب البارد ، فأكلوا القليل منها ، وأكد لهم السكرتير الهندي أن الطابق جاهز لاستقبالهم ، وبينما هم يمشون نحو المصعد للصعود إلى الأعلى قال منسي لمايا : ما أخبار العقيد حاتم سيد مايا ؟
رد مايا باسما : ضابط ممتاز ! أخبرني أن تقدما جرى في التحقيق والقاتل على وشك السقوط .. لقد قضوا ثلاثة أيام في التحقيق هنا .. ونحن على اتصال مباشر .
ـ موفقون سيد مايا .. نحن مهمتنا الوصول للكنز الذي لا تعرف عنه شيئا .
ضحك السيد مايا وقال : الرجل الكبير كله أسرار ، وهو خير من يكتم الأسرار .. فكثير من صفقات السلاح تحتاج لسرية كاملة .. وهذه مهنة السيد فليس من العجيب إخفاء حكاية الكنز عني أو عن حفيده كما فهمت .. وأنا كلي شوق وفضول لمعرفة حقيقة هذا الكنز .. وأتمنى لكم كل التوفيق

والنجاح .

ـ أتشك بوجود الكنز يا مايا ؟

ـ لي عشرون سنة أعمل مع السيد .. في بداية الأمر استغربت أكثر من الشك .. ولكن بها أن الرجل تكلم وكتب عنه فلابد أن لديه كنزا أيها السادة .. ولكن في القصر أين ؟!

ـ اقتربنا من الحل يا سيد مايا العزيز علينا .

ـ شكرا سيدي اللواء نحن نحترم العسكر جدا في بلادنا وتقاليدنا .. والسيد لا يكذب أبدا ، وهو نفسه كنز مليء بالأسرار .



غادرا المكتب الكائن في عمارة بسيم الجدية بمدينة جاد متجهين إلى الفندق ، وتناولا عشاءهما في قاعة الطعام ، وصعدا لجناح نومهما ـ فقد كان لكل واحد منهما حجرة ـ فبعد أن لبسا ملابس النوم غادر حاتم الحجرة وطرق على زميله مالح وقال : القهوة في الطريق أحسب أنك مغرم بها .

ـ تعودت على شربها يا صديقي .

فقال حاتم: إذن ليس لنا سفارة في بلد هذا الأفريقي سينكالا حاولت الاتصال على الرقم الذي استخدمه فلم يرد أحد حتى الساعة لا ترفع .. هذا مثير للحيرة .. هل حقا له ابن مصاب يتصل به وهو يتحدث معه من القصر وأحيانا من تلفونات عامة ؟!

فقال مالح : قد يتصل برقم وهمي .

ـ لكنه يرن في الطرف الآخر ، يسمع صوت الجرس ويسجل الحوار

ـ رغم ذلك أنا أرى أن البنت أقرب للجريمة .. رغم أنها مهزوزة ومتوترة ومتأثرة من تعاطي المخدرات والانقطاع عنها فهي خطرة .

فقال حاتم مفكرا : وأنا مثلك أكاد أجزم مائة بالمائة أنها منفذة للجريمة ؛ لكن من ساعدها بإدخال السلاح ؟ كيف أدخلت السلاح دون أن يكشفها الحرس ؟ أين أخفته للجريمة وبعد الجريمة ؟ فحص البحث الجنائي كل الأسلحة الموجودة في القصر ، وكتبوا تقريرا لم يستخدم أي سلاح تم فحصه .. إذن هناك سلاح لم يفحص ، كيف اختفى وأين ؟ الرصاصات الموجودة في القصر لم تنقص تلك الطلقة .. لم يسمع صوت الرصاصة ، كيف فتحت الباب على السيد كيف ؟! كيف تغلبت عليه ؟ أم خدر بغاز وكيف خدر بهذا الغاز دون أن يدرك أنه غاز ؟! فلما شعر بضيق في نفسه تكلم مباشرة مع الطبيب جادور .. لم يشهد أحد على صعودها للطابق الثالث .. كيف اختارت تلك اللحظة للجريمة ؟ شاهدها الناس تتعشى معهم .. دخلت غرفة التدخين على مرمى

عدد منهم ، ثم تركت الغرفة لغرفة والديها فنحن نتهمها بدون أدلة إنما إحساس وشعور .. وهذه أدلة لا يعول عليها أمام محكمة الجنايات .

ـ تلفونها بعد انصرافنا!

تنهد حاتم وقال : هذا هو الدليل على أن لها يدا في الجريمة ، اتصلت واتصلوا ثم اختفوا عندما عرفنا الشقة المتصل بها ، أخبرنا وكيل المؤجر أنهم ثلاثة أحدهم عربي .. في الصباح أعطوه المفتاح زاعمين مغادرتهم للبلد ، فهم من رعايا أمريكا الجنوبية ، فهم مستأجرون باسم أنهم طلاب مبتعثون ، ولديه أوراق تدعم قوله ، وأصحاب الشقق المفروشة يهمهم الفلوس أكثر من التدقيق في صحة المعلومات المقدمة لهم ، وأولئك الذين يعملون في المخدرات والتهريب التزوير للوثائق لديهم من الأمور السهلة ، فلم يأخذ أرقام جوازاتهم .. هو رأى الجوازات وصورهم عليها ثم أعادها لهم ؛ لأنهم زعموا أنهم قد لا يمكثون وقتا طويلا ؛ ربما ينتقلون لبلد عربي آخر ، وقضوا سنين وهو يعتقد أنهم وافقتهم الدراسة في البلد لتحصيل الماجستير والدكتوراه ..وكيف نثبت أنها القاتل وهي لم تعترف بشيء ؟ ووالداها لا يعرفون شيئا كما رأيت .. الحمد لله نحن تقدمنا شيئا ولو يسيرا وقريبين من القاتل .

ـ المعضلة كيف دخل مسدس الجريمة ؟

فالرصاصة القاتلة رصاصة مسدس وهي من نفس رصاص الحرس نفس العيار .. وكيف دخلت على غرفة السيد أم كانت الغرفة مفتوحة؟

ـ هذا الراجح أنها وجدت الغرفة مفتوحة الصدفة خدمتها ؛ ولكن كيف لم يلمحها أحد تصعد إلى أعلى ؟ هل لها شركاء داخل القصر ؟ وهناك سؤال مهم وهو لماذا قتل الرجل أثناء غياب السكرتير ؟

قال مالح : ربما استغل غيابه لارتكاب الجريمة ، وقل كيف اطمئن بسيم لعملها في القصر ؟ هل الشفقة وحدها هي التي أملت عليه إحضارها وعلاجها ؟ وهو الحذر الفطن .

قال حاتم : علينا أن نقبض على رفاقها ، على الشرطة مطاردتهم ومتابعتهم خفية ، ربما لا تعدو العملية سوى تهريب مخدرات بثياب طلبة .. لغز كبير هذه القضية .. وكيف التقت بهم ؟

ـ أعتقد يا أخ حاتم أن القضية أكبر من علاقة مخدرات ؛ لأنها سارعت بالاتصال بهم من القصر لم تنتظر حتى تنزل المدينة ..

قال حاتم : يا مقدم مالح أرأيت كيف حصلت على المخدرات في مدينة جاد ؟.. كأس خمر من خمارة انتقال لمطعم سياحي حقنة في غرفة خلفية .. هؤلاء المدمنون لهم حيل ووسائل يصلون بها للمخدرات ..والدول من الصعب عليها السيطرة على تجارة المخدرات ، فأحيانا تتساهل الدول مع

هؤلاء الأجانب لتنشيط الحركة السياحية وعجلة الاقتصاد .. هكذا أجاب صاحب المطعم ، فهم يسمحون لهم ببيع الخمر والقليل من المخدرات ؛ لأن عددا كبيرا من السياح يتعاطون الخمر والمخدرات في بلادهم ، وحتى يمنعوهم من تهريبها يوفرونها لهم بطرق شبه سرية .. فتغض السلطات الطرف أحيانا من أجل الاقتصاد .. هذا يسمى القانون السري .

عقب مالح قائلا : كثير من المحظورات ترتكب باسم السياحة والاقتصاد في الكثير من دول العالم .. فهم بزعمهم يشجعون هذا القطاع وحتى يشعر السياح بالمتعة ويحسون بالحرية ؛ لذلك توفر لهم أماكن للدعارة والقمار ؛ وإن كانت هذه المواقع بأسماء بريئة ملاهي .. نوادي ليلية .. مراقص.. وهم بالتساهل هذا يدفعونهم إلى عدم التهريب وإدخال هذه المواد سرا ومع ذلك التساهل ترى السياح يدخلون كميات من المخدرات للتعاطي والبيع .. لقد عملت أثناء خدمتي في جهاز الشرطة مع قسم مكافحة المخدرات في عدد من قضايا المخدرات

فقال حاتم متفهما : أفهم ما قررت ..كما يسمح لبعض المحلات والمتاجر ببيع الكحول .. وكما يسمح للفنادق المصنفة دوليا ببيع الخمور والرقص والمجون باسم السياحة والترفيه .

ـ وهذه الفتاة أسرعت بعد وصولها لجاد بأخذ حقنة بالطريقة التي تابعناها فيها .. فهي عالمة بهذه الأوكار بكل سهولة .. وهم يزعمون بأنهم لا يسمحون للزبون بأخذ أي كمية خارج الملهى أو الحانة .. فتكون الحقنة في الغرفة الخلفية ، وتؤخذ اللقمة أمامهم في الحانة أو المطعم

ـ هذا أيضا باتفاق مع الأمن حتى لا تروج البضاعة خارج الأماكن غير المسموح لهم ببيعها .. أخبرني المحامي أن زملاءنا الذين يبحثون عن الكنز قد اكتشفوا شيئا جديدا ، وقد رحل الفريق للمكث في القصر ومعهم نساؤهم .. فلسوف نزورهم ونطمئن عليهم ونحذرهم من غدر الخائن أو الخونة .. والسكرتير الهندي يتابع الاتصالات ويسجلها ويترجمها قدر الإمكان ورجال الشرطة السرية يتابعون معنا ، فهم يسعون للقبض على الجاني مثلنا ، فالأفريقي تحت المتابعة ، والفتاة كذلك .. فالحارس يقوم بعمله بشكل طبيعي وكذلك زوجته ، والفتاة تقوم بعملها مع والديها أيضا كالمعتاد ، ثم تنتقل لقاعة الطعام صباحا ظهرا ليلا ثم تدخل غرفة التدخين حتى انقضاء فترة الاستراحة في الصباح والظهر ، ثم تعود لعملها ، وفي الليل بعد العشاء والتدخين تجلس في النادي لبعض الوقت ، وأحيانا قبل العشاء تذهب حيث البستان والحدائق الخلفية للقصر ،وتجلس عند

حوض السباحة الصغير ، وهي لها غرفة في جناح والديها وتم تفتيشها خفية ولم نجد فيها شيئا مهما ، وكررت الاتصال بتلك الشقة في العاصمة ، ولا يرد عليها أحد ؛ لأننا طلبنا من الوكيل عدم إشغال الشقة لوقت يسير ، فتقبل ذلك على مضض .

٢٦

انشغل الرجال بدراسة الرسالة التي تركها لهم بسيم في كتاب (أعمال مهمة للعالم) ، وأخذوا بالتنقل بين المكتبات الثلاث ، واهتمت النساء الثلاثة بمساعدة أزواجهنّ في أول الأمر ، ثم أصابهن الملل فأخذن بالتجوال في طوابق القصر ، وصعدن إلى سطحه يرقبن الصحراء الممتدة من جميع الجهات ، فكان القصر فيها ؛ كأنه قارب في بحر أو محيط ، ثم نزلن البستان والحدائق فرحب بهن البستاني ، وقدم لهن الفاكهة الطازجة الناضجة في ذلك الوقت من السنة .. وفي الليل أقبل إليهم العقيد حاتم والمقدم مالح زائرين ، وفرحوا بزيارتهم ، ورتب السكرتير جناحا في الطابق الثالث لنومهم ، وعقد الرجال الخمسة بعد تناول طعام العشاء وإغلاق أبواب الطوابق الثلاثة اجتماعا استعرضوا فيه نشاطهم في حل اللغزين .

فقال منسي ملخصا ما فهم : إذن عندكم مشتبه به الآن ، وأنه اتصل بعد التحقيق بأفريقيا أو تلقى اتصالا أولا ، ثم اتصل هو بعد علمه بتعرض ابنه لحادث سيارة برقم ، وأرسل مالا لجهة ما في بلده الإفريقي أو لأخيه لينفقه على ولده المصاب ، وهو الذي اعترف بأنه رأى السيد قبل موته يدخل في غرفة مجاورة لمكتبة هذا الطابق ، ولكن الهندي مايا يستبعد ضلوعه في الجريمة ، وليست لديه عقلية تنفيذ جريمة كهذه .. تسلل تخدير قتل ، ويشك الضباط في الفتاة المدمنة وأنها الوحيدة التي لها صداقات خاصة خارج القصر ، وإنما المعضلة صفة الوصول للسيد وقتله ما زالت غامضة ، ولكنها استثيرت فورا عند تجدد التحقيق ، وأن إنهاء العقود لن ينتهي قبل إغلاق ملف القضية كاملا ومعرفة الجاني ، ورغم المخاطر اتصلت في شخص في مدينة بلبل كما ثبت من متابعة الاتصال ، ورد عليها في نفس الليلة بعد منتصف الليل بساعة أو اكثر ، ثم اختفى الثلاثة من العمارة زاعمين أنهم أنهوا دراستهم ، وسيعودون لبلدهم البرازيل ، وهي تحت المراقبة من قبل مايا وزوجته داخل القصر ، وهي تحت مراقبة البحث الجنائي والمخدرات عندما تغادر القصر ، وهي ما زالت تحاول الاتصال بذاك الرقم دون جدوى .

قال حاتم : فكرنا أن نرد عليها ؛ ولكننا لا نحسن الكلام بلغتها البرتغالية بإحدى لهجات بلادها الكبيرة .. وهي بالتأكيد ستعرف أن أحدا غير أصحابها يتكلم .. ولو وضعنا متكلما بلغة أهل

البرازيل فاللهجة ستفضح المتكلم .. وهم كأنهم أدركوا بتطورات حدثت فهربوا وأدركوا أن جديدا حدث في القصر ، وأن ملف القضية لم يغلق كما أشيع منذ شهور .

وتحدث منسي عن الرسالة التي اكتشفوها في حل لغزهم ، وقدمها لهم ليطلعوا على فحواها ، فلما قرأها الضابطان لم يزيدوا علما على ما يعرفه الرجال الثلاثة ، وفي الصباح كانت في انتظارهم مفاجأة كبيرة هزت القصر هزا .

قبل السابعة صباحا سمع صراخا في شقة الكوى والغسال (توماس برينو) ، فأسرع بعض المستيقظين نحو الجناح ، وطرقوا الباب بقوة ونادوا ، وقد وجدوه مغلقا ، وسمعوا الفتاة ماريانا تصيح بهستيريا تطلب منهم الابتعاد وعدم التدخل في شؤون الآخرين ، فأخبروا السكرتير ، فجاء مسرعا ومعه أحد الحراس مسلحا ، ودخلوا الغرفة عنوة ، فوجدوا الفتاة في حالة هياج والدماء تملأ أرض الشقة ، وأن الفتاة قد قتلت والديها بسكينة حادة قد سرقتها من المطبخ ـ سكينة فقدت منذ أيام ، وظنوا أنها وقعت خلف إحدى الخزائن الموجودة في المطبخ ، ولم يفطنوا أنها مسروقة لعدم حدوث مثل ذلك في القصر سابقا ؛ لتوفر السكاكين الصغيرة الحجم في الشقق لتقطيع الفواكه وغيرها ـ أمسك الحارس بالفتاة بشدة بعدما استولوا على السكين تحت تهديد السلاح ،وكان مايا يقول لها بحدة وغضب : لماذا صرعت والديك ؟!

وكانت المرأة أمها لم تمت بعد وما زالت على قيد الحياة ، فلما اكتشف مايا ذلك أسرع بالاتصال بطلب سيارة إسعاف من مستشفى جاد ، ثم اتصل بالعقيد حاتم مخبرا لهم بالحادث الرهيب ، وجاء حاتم ومالح واللواء منسي بعد دقائق ، فقاموا بحبس الفتاة بغرفة ، ووضعها تحت الحراسة حتى تصل الشرطة الرسمية للتحقيق في الجريمة ، وحاولوا إسعاف المرأة المصابة بعدة طعنات في جسمها ؛ ولكنها فارقت الحياة قبل وصول سيارة الإسعاف والشرطة ، ولكنها وهي تحتضر تكلمت بكلمات خطيرة فهمها مايا ، وهي تعترف بأن هذه الفتاة ليست ابنتها ، فابنتها مخطوفة في البرازيل لدى إحدى العصابات ، وأن الفتاة هي التي قامت باغتيال السيد المحترم ، وفارقت الروح الجسد .

وفهم حاتم ومالح ومنسي الحكاية فورا ، فقال حاتم : إذن خطفوا الابنة الحقيقية ، ودسوا الابنة المزيفة على السيد بسيم لينالوا منه وقد أفلح الملاعين .

فقال منسي : خطفوا ابنتهما وارغموهما أن يزعما أنهما والدا هذه الفتاة ، وزوروا جواز سفر للفتاة باسم ابنة الغسال يا لها من حيلة جهنمية !.. فكيف

سيكتشف الرجل أو حتى مايا أنها ليست ابنتهم ؟ وهم لم يروا البنت الحقيقية .. والكوى لا يستطيع الكلام حتى لا يخسر حياة ابنته أو ربما كل عائلته ..وحتى هو وزوجته .

فقال حاتم : نعم ، وأجبروهم على التعاون والصمت إذا كانوا راغبين ببقاء ابنتهم حية .. وكانت بين الحين والآخر تتحدث معهم ليطمئنوا أنها ما زالت على قيد الحياة وليبقوا صامتين هكذا قالت الفتاة في أول استجواب ، وفي أول سفر لمايا خارج البلاد أمروها بالتنفيذ .. تخطيط وتدبير محكم ومعقد .

فقال منسي : نعم ، هؤلاء الأشقياء لديهم صبر ، ولولا ظهور الكنز لهربت واختفت .. فجواز سفرها لدى داود بحكم الوظيفة ولكن لما قتلتهما ؟!

ـ منذ ذاك الاتصال واختفاء رفاقها ، وهي تعيش في حالة نفسية متوترة ، ويوميا يسمع الخدم والعمال صراخهم وشجارهم .. فكلهم ضاقوا من بعض ، وركبهم الخوف ، وعلموا أن القضية لن تغلق حتى يعترف الجاني بجريمته ، وظنوا أن النهاية اقتربت ، فكان الرجل وزوجته يحثانها على الاعتراف ، ويهددونها بالاعتراف ، وكثر الشجار بينهم ، فاخفت السكين الكبيرة عن الطهاة ، والطهاة ظنوا أنها سقطت خلف الخزائن .. لم يخطر لهم أنها مسروقة .

٢٧

وبعد ساعات معدودات أتى رجال الشرطة والتحقيقات الجنائية والإسعاف السريع ومدعي الحق العام والطبيب الشرطي ، وامتلأ القصر بهؤلاء وغيرهم من رجال المختبر الجنائي والمصورين الجنائيين ، ولما نظر الطبيب وعاين الجثتين أكد أن السكين هي أداه القتل والتي أدت إلى النزيف وكسر عظام جمجمة الرجل ، وبين أن الرجل تفاجأ بالضربة ، فلم يحاول الدفاع عن رأسه ، وكرر الضرب بعنف ، وأما المرأة فقد تعرضت لضربات في الصدر والوجه والرأس ، وقام ضابط التحقيق بسماع أقوال الشهود في أحد الغرف التي جعلت مكتبا للشرطة ، ولما انتهى تصوير الجثث ومكان الجريمة والتحريز على السكين الكبيرة أمر المدعي العام بنقل الجثث للمستشفى لإجراء التشريح الكامل ، ومن ثم الاتصال بالوزارة ثم السفارة وإخبارهم عن مقتل رعاياهم لنقلها لبلادهم إذا أحبوا ذلك .

ولما نظر المحقق إلى الفتاة قالت بتحدٍ : أنا قتلتهما ولو كان لديّ وقت لصرعت نفسي ؛ولكن حال ذلك الحارس بيني وبين ذلك .

ـ هما ليسا أبويك ؟

ـ لا أمت لهما بصلة قرابة ، طُلب مني أن أقوم

بانتحال شخصية ابنتهما لقتل السيد بسيم ، وقد فعلت .

ـ حسنا حسنا ! بما أنك أقررت سنأخذك للمدينة ، وإذا أحببت أن تكلفي محاميا فأهلا وسهلا

وأمر ضابط التحقيق بنقلها بسيارة إلى دائرة أمن المنطقة ، وفتشت شقة الكوى الغسال ، فلم يوجد فيها شيء مهم ، إنما وجدت مليئة بعدد كبير من صناديق الدخان ، فحملوهما معهم للفتاة ومع غروب شمس نهار ذلك اليوم كانوا يغادرون القصر وبصحبتهم العقيد حاتم والمقدم مالح الذي قال لضابط التحقيق : ما زال أمامكم القبض على رفاقها .. وشرطة العاصمة تتحرى وتبحث ، وعلى أن تسمحوا لنا بمعرفة كيف ارتكبت جريمة قتل السيد بسيم ؟ لنقدم تقريرا نهائيا للمحامي داود وحفيد السيد بسيم المهندس أديب .

كانت قصة الفتاة كما جاء في اعترافاتها المسجلة والمترجمة ، أنها تعلمت في الجامعة ، وخلالها التقت بابنة الكوا الحقيقية (ماريانا) وتصاحبتا ، ومن صحبتها عرفت اسم السيد بسيم الجدية تاجر السلاح الدولي ، وكان لها صديق يكبرها بسنوات وكان يمدها بمادة المخدرات ، وأصبحت بدورها تدعم بها ابنة الكوا ، واستمرت الصداقة من سنوات الجامعة الأولى ، وكان صديقها وعشيقها يعمل ضمن عصابة في المنطقة ، ولها زعيم من زعماء المخدرات في المدينة ، وكانت الفتاتان تروجان المخدرات بين الطلاب والطالبات في الجامعة كغيرهن من الفتيات والفتيان ، فسوق التناول والتعاطي رائج في الجامعات بالإضافة للانحلال الخلقي والجنسي .. وأخبرت أن عشيقها أخبرها أن الزعيم يرغب بلقائها ورؤيتها ، فهو يبحث عن عشيقة جديدة فسافرت إليه طمعا بالمزيد من المال ، وإنها قد ملت صاحبها الطالب ، رحلت إلى منطقة يتحصن بها ، فأعجبه جمالها فور رؤيتها واتخذها زوجة أي عشيقة له وحده ، وهذه أمور مقبولة لدى رجال العصابات التخلي عن الصديقة والعشيقة لرجل لسيد آخر ، واتخذت منزلا في العاصمة وصار الرجل يتردد عليها وهي تتابع دراستها ، وقالت في الاعتراف : علمت أن صاحبي الجديد كان ابن رجل عصابات كبير ، وكان والده يمتد نشاطه إلى أغلب مدن القارة الأمريكية شمالا وجنوبا ، فكان والده له عصابة كبيرة بعكس صاحبي الابن ، ثم علمت منه أن والده الزعيم اغتيل على يد مهربي السلاح في كولومبيا وبوليفيا ، وكان المهرب الشرس اسمه سوباريو الذي قاد عملية قتل والد مانيو زوجي ، وقبل أن أتعرف عليه بسنوات التقى مانيو بسوباريو في إحدى عمليات التهريب ؛ لأن مهربي

الأسلحة أحيانا يتم تمويل صفقاتهم بأموال المخدرات أو يعطون مخدرات مقابل الأسلحة المهربة ، خاصة في الحروب الأهلية ، وأقسم الرجل لمانيو أن قاتل أبيه رجل عربي اسمه بسيم الجدية ، وأن رجال الشرطة يعرفون ذلك ، فاتصل مانيو ببعض معارفه من رجال البوليس ، وعرف منهم أن السيد بسيم الجدية شارك في الكمين الذي نصب لعصابة والده ، وأنه من الشرق الأوسط فأخذ مانيو يجمع المعلومات عن هذا الرجل ؛ لأنه في عرف العصابات لابد للأبناء من الثأر والانتقام لإبائهم ولو بعد حين .. لأنه سيبقى صغيرا في نظرهم حتى ينتقم .. ثم سافر الرجل للشرق الأوسط سائحا ، وزار مصر وتركيا وبلبل عاصمة هذه البلاد .. واستطاع أن يجمع الكثير من المعلومات عن الرجل ، أخذ يتردد بين الحين والحين إلى هنا لينال من الرجل ، ونشط عمله في المنطقة العربية لترويج المخدرات ، وعرف أن الرجل كثير السفر وكثير الحذر لأنه حاول النيل منه في البرازيل والأرجنتين ولم يوفق .. وأصبح له عملاء هنا لبيع ونقل المخدرات لمصر والخليج ولبنان خاصة ، ثم علم الرجل باستقرار السيد في القصر الصحراوي وقضى مانيو وقتا في مدينة جاد يدرس حيلة مكيدة يصل بها للقصر والنيل منه ، فكر بالترصد له في الطريق ؛ ولكن طبيعة الأرض الصحراوية لم تساعده ، وكذلك عمله في التهريب والقيادة يدفعانه للعودة للبلاد ، والرجل يملك عددا من الجنسيات أو الأصح الجوازات .. هذا كله قام به قبل أن يتخذني خليلة وقبل أن أجتمع به ، ولما ذكر الاسم أمامي أكثر من مرة تذكرت أن والديّ صديقتي في الجامعة يعملان في قصره .. فتفاجأ صاحبي بما أعلمته به ، ثم فكر بإرسالي للحياة في القصر على أني ابنة الكوا ، وكانت صاحبتي ماريانا توماس قد سقطت في وحل المخدرات والجنس مثلي ، واستطعت معرفة الكثير من المعلومات عنها وعن وأسرتها وعن حياتها .. فرتب بواسطة معارفه في السلطات بعمل جواز سفر لي باسم ابنة الكوا .. وأقنع الفتاة عن طريق أحد عشاقها أن تتصل بوالديها ليساعداها في العلاج والخلاص من المخدرات، وكانت قد تخرجت من الجامعة واشتغلت في مستشفى ، فلبى الوالدان النداء ورأوا وضع ابنتهم المرزي خاصة أنها ولدت سفاحا ، وأنا كنت قد زرت البلاد سائحة وقضيت عدة أسابيع هنا قبل دعوة والديّ (ماريانا) .. وأنا لا أستطيع أن أرفض المشاركة بعملية الانتقام مع زوجي فمصيري القتل وإلقاء جثتي في الأمازون مع كمية من المخدرات .. العمل مع العصابات لا يوجد فيه لا ..لكن يسمح بطلب وسائل النجاة .. فلما جاء الكوا وزوجته

ورأوا حال ابنتهم اتصلوا بهايا والسيد بسيم لطلب موافقتهم بسفرها معهم للعلاج من الإدمان والعمل في القصر ، ولم يطل تفكير السيد بسيم بموافقته لما قرأ رسالة الاستعطاف بمجيئها معهم وعلاجها على حسابه ، وهو على علم سابق بمصير أبناء الوالدين الآخرين .. وقبل السفر خطفت الفتاة وقابل الزعيم الكوا وأخبره عن نفسه .. فبكى الرجل وتوسل دون فائدة ، ثم وافق على سفري على أنني ابنته ، والتحقت بالعمل في القصر بعد رحلة علاج قصيرة وفاشلة ، ونجحت بالوجود في قصر بسيم على أنني ابنة الكوا توماس ، وكانت الفتاة بين الحين والآخر تتصل بأبيها وتطمئنه على حياتها وأنها ما زالت حية مخطوفة ، ولم يسمح لها بذكر اسمها على الهاتف ، كان الاتصال معنا ليطمئن الرجل على أنها قيد الحياة ، ولم تكن اتصالاتهم كثيرة .. وأنا كنت أعلم المعاناة التي يعانيها الرجل وزوجته ، وفكرت مرات ومرات بالتخلي عن المهمة ؛ لكن يغلبني الخوف على حياتي وحياة أسرتي بالفناء فأبقى مستسلمة .. وزارني مانيو وكنا نلتقي في بلبل في شقق يستأجرها له أعوانه .. واطلعته على وسائل الأمن والحماية العامة والخاصة للرجل .. وصعوبة إدخال السلاح والرصاص وأدوات القتل الأخرى دون كشف أمري .. فطلب مني تزويدي بنوع الرصاص المتوفر لدى الحراس وهذا ليس صعبا معرفته .. واستمر الانتظار ثلاث سنوات لتنفيذ الجريمة ..الزعيم لابد له من قتل السيد بسيم ولابد لي من تنفيذ العملية .. لأن حياتي وحياة صاحبتي وأسرتي وأسرتها بموت السيد بسيم ، فلا يمكن التردد .. وعرفني بالشابين في المدينة الذين ظاهرهما طلابا وباطنهما مهربي مخدرات ، وهما في الحقيقة لمتابعتي في الجريمة وتنفيذها .

وأثناء علاجي في أحد مراكز العلاج من المخدرات تعرفت على بعض هؤلاء المدمنين ، وكونت صداقات معهم ، وأخذت أرقام هواتف للاتصال بهم عند الحاجة وبعد الخروج ، وكانت الخطة أن اعمل في القصر كابنة للكوا وزوجته ، وأنني مدمنة ، وأتعاطى المخدرات ، كلما أخرج من القصر أسعى للخمر والمخدرات لأظهر أن العلاج لم يجد بي نفعا ، وأحاول إدخال المخدرات للقصر لإظهار أنني ما زلت مدمنة لأجد حيلة لإدخال مسدس كالذي يملكه الحرس ، أكون مشاغبة مع الحرس ، وفي نفس الوقت أوحي لهم أنني مسكينة ؛ ولكنها تعشق المخدرات والدعارة وأمارس هذه الأعمال عند قضاء إجازتي سواء في جاد أو غيرها من المدن ، واطمئن لي سكان القصر ما أنا إلا مدمنة مريضة تعاني .. وزارني زوجي عدة مرات ، وأعطاني مسدسا حسب المعلومات التي نقلتها له

وفككه إلى قطع ، وطلب مني تهريبه للقصر على فترات وهو يقول : صبرنا سنينا يا ماريانا ـ حتى أصبحت أنادى بهذا الاسم ـ وفي أول فرصة يغادر مايا عين بسيم القصر عليك أن تقتلي السيد ، ووفر لي قرص تخدير استعمله لتخدير السيد قبل قتله وهذا القرص إذا فتحت علبته ينتشر غازه خلال ثوان ويؤثر سريعا على مستنشقه ، وكنت عندما أخرج من القصر في بعض المرات أتغيب في المدينة يوما يومين ، وكانوا يغضون الطرف عني من أجل والديّ الذين خدما السيد منذ إنشاء القصر ، وكنت اشتري صناديق الحلوى ومن خلالها أدخلت المسدس وبعض الرصاصات وقرص التخدير وأخفيتها داخل القصر للوقت المناسب ، وأنا أحسن العمل بالمسدس ، فقد تعلمت ذلك منذ صاحبت عشيقي الأول ؛ لأننا كنا أثناء نقل المخدرات لأماكن خطرة نكون مسلحين للدفاع عن النفس ، طبعا كان من الصعوبة قتل الرجل في غرفه نومه ؛ لأنني من الصعب عليّ معرفة أي الغرف قد نام فيها ، فكان لابد من قتله قبل النوم وقبل فصل الطوابق وعزلها .. فبعد سفر مايا المفاجئ ، وعلمت أنه سيقضى شهرا في بلاده أخبرت مرافقيّ بذلك فجاء الطلب من الزعيم بالإسراع بتنفيذ الجريمة كما رتب وكما رأيت ، وجاء زوجي عاجلا وشد من أزري وقال لي: عندما ينتهي التحقيق سيتم إخلاء القصر من الموظفين ، وسأعود للبلاد وسأعيش معه للأبد ، وسيحاول الإنجاب مني ليكون ابنه بطلا مثل أمه .. وبعد تشجيعه لي غادر البلاد وأوصى الرجلين بمتابعة المهمة معي ، ولما وصل البلاد اتصل بي مشجعا .. وعدت للقصر ببعض الحلوى كالعادة التي اتبعتها لإدخال المسدس والرصاصات وقرص التخدير .. وليلة الجريمة تركت العمل كالعادة ، انتهينا من الطعام وذهبت لغرفة التدخين ودخنت سيجارة أو اكثر كالعادة زعمت أنني سأدخل الحمام ، وذهبت باتجاهه ثم غادرته إلى جهة المصعد وصعدت للطابق الثالث ، ورأيت الحارس يمر محييا للسيد ، ودخل السيد الغرفة التي قتل فيها ، وطرقت الباب عليه ، ففتح متفاجأ ، واعتذرت له عن الإزعاج الذي أسببه له ولأبي وأمي ، وطلبت منه أن يسهل سفري للعودة للبلاد .. فسامحني وقال : إنه سيدرس الأمر وإنما يؤخره من أجل والديّ الذين اقترب إنهاء خدماتها حسب شركة الضمان الاجتماعي .. ووعدته مجددا بمحاولة التخلص من المخدرات ، وأثناء الحديث فتحت القرص من علبته ، وعندما تفتح العلبة تبدأ الرائحة بعد وقت بالانتشار فغادرته فقال لي اغلقي الباب ورائك ففعلت ، وقد تركت القرص تحت السرير ، واختبأت في إحدى الزوايا خشية أن

يصدفني أحد مع أنه من النادر خروج أحد الموظفين إلى أعلى سوى مايا وخادمه الخاص الذي انهى خدمته بعد عشاء السيد كما عرفت ذلك خلال متابعتنا للسيد ومحرم علينا الصعود للطابق الثاني والثالث ..وكان معي مجموعة من المفاتيح التي تفتح أغلب الأقفال هربتها أيضا بصناديق الحلوى .. فهؤلاء الحرس عندما يأخذوا مني قطع المخدرات التي عودتهم على الاهتمام بها ، ويعرفون أنني لابد لي من إدخال جرعة من بودرة المخدرات .. ويفتحون صندوق الحلوى وينظرون فيه نظرة سريعة ، وربما تناول أحدهم قطعة ويأكلها وهو يأسف عن مصادرة المخدرات ، وأتظاهر طبعا بالسخط والغضب ، وربما أسب ثم أغلق صندوقي ، وأدخل وأنا مستمرة بالغضب على أخذ الحشيشة ، ولما طلب مني السيد إغلاق الباب ورائي وكنت أسقطت قرص المخدر بعدما فتحته أثناء الحديث معه ، فتركته قريبا من السرير بعد أن نزل من جيب سروالي المثقوب، وقبل أن أنصرف دفعته بطرف حذائي إلى أسفل التخت ، وغادرت ولم أغلق الباب إغلاقا كاملا ، تظاهرت بأنني لم أسمع الأمر ، واختبأت مدة خمس دقائق، ثم تقدمت من الباب فسمعت الرجل يتكلم بالتلفون ، ثم قطعت المكالمة ، ففتحت الباب ودخلت فأغلقت سماعة الهاتف ، وقد جهزت المسدس المزود بكاتم صوت ، وكانت السيد نائما مخدرا فألصقت المسدس قرب جبهته وأطلقت الرصاصة ، وفتحت شباك الحجرة وأخذت بقايا قرص التخدير وهي كمية ضئيلة ، وفعلت ذلك وأنا ألبس قفازات طبية ، وخرجت بهدوء وأغلقت الباب ورائي ، وأخفيت المسدس وكاتم الصوت وعلبة قرص التخدير.. أما القرص فقد ذاب كليا ، وتسللت لحجرة الكوا ، وأعلمتهما بتنفيذ الجريمة فجزعا وبكيا ، وبعد هدوءهما طلبت منهما القول بأنني كنت معهما في الشقة بعد مجيئ من غرفة التدخين ، وتناولت شيئا من المخدرات أدخلته بوسائلي الخاصة ، وأنا ابنة عصابات ونفذت عددا من عمليات البيع والنقل فالخوف غير معروف لديّ وأستطيع بلع كمية وتبرزها .

وبينت أنها أخفت المسدس في أحد الأجهزة الموجودة في المكتبة ، وأنها كانت تسير بالجوارب عندما دخلت على السيد لتقتله ، والرصاصات أخفتها في مزهرية في أحد الممرات ، ثم نقلتها فيما بعد إلى البستان ، ثم ألقتها في الصحراء أثناء مغادرتها القصر ، فهم عند المغادرة للقصر لا يتعرضون للتفتيش ، وكاتم الصوت في سيفون حمام ، ورأت أنها تحتاج لوقت لتكتشف ، وغسلت القفازات والجوارب في الشقة ، وقالت : تظاهرنا

بأننا بعد العشاء وشرب الشاي وغيره أننا في شقتنا جميعا خاصة أنا ، ولم أهتم بمقتل الرجل ، ولم أكن له أي عاطفة ؛ لأنني جئت إلى القصر في مهمة ، وهو قليل الاختلاط بمن يعملون في القصر ..وكنت أظن أن تكتشف الجريمة صباحا أو عند صلاة الفجر عندما يأتي ميعاد الصلاة ويطلب الخادم ؛ ولكنه لما شعر بالاختناق اتصل بطبيبه جادور صديق القصر ، ولما جاء اكتشفت الجريمة ، وتظاهرنا بالدهشة والمفاجأة كسائر سكان القصر ..قلقت إلى حد كبير من ضعف الرجل وزوجته ؛ ولكني ذكرتهما أن حياتي وحياة ابنتهم وأسرتي وأسرتهم بخطر إذا لم نكتم الأمر ونبقى أم وأب وابنتهما ، فلزموا الصمت مكرهين ومضطرين ، ورأوا كما قلت لهم إن الكلام لم يعد ينفع بعد قتل السيد ، وقلت لهما : أيام شهر اثنان ثم سيغلق القصر ، ويصرف الموظفون إلى بلادهم وسيكرمهم الزعيم بالمال والثروة والعفو عن ابنتهم الحقيقية ، فلزموا الصمت ، فقالوا أمام التحقيق ما فعلوه هم بأنفسهم ، وفقط شهدوا بأنني بعد ترك غرفة التدخين جئت للشقة وتحدثنا قليلا ، ثم انصرفت لحجرتي لمشاهدة فيديو .

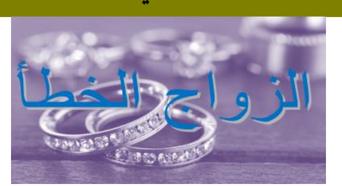
ولما انتهى التحقيق وخرجنا كالعادة لجاد ولبلبل ، ظللت على نفس العادات ، فجاء مانيو وقابلني في العاصمة ، وأثنى عليّ ووعدني بإشهار زواجنا ، وحثني على الصبر حتى ينتهي صرفنا من القصر ، وأوصى رجليه عليّ ، وعاد للبرازيل عن طريق الهند .. ومنعنا من السفر حتى يغلق ملف القضية نهائيا ، وطال الوقت وسمعنا عن حكاية الكنز وتجدد التحقيق الجنائي ، فاضطررت للاتصال العاجل بصاحبيّ زوجي مانيو مخبرا بالأمر بعدما أعادوا الاتصال بي .. والوضع اليوم يختلف عن وقت الجريمة ، لقد ماتت ابنة الكوا من جرعة زائدة من المخدرات ، وهما يعلمان بموت ابنتهما من اتصال بهم من أخت الزوجة حتى أن مايا فكر بالسماح لهم بالسفر لحضور الدفن ، ومايا ورامان لم يفطنوا أنني ابنة مزيفة ، فهم اعتقدوا أن للرجل عدة بنات ، وساورني القلق فالتهديد والتوسل الذي كانت تقدمه صاحبتي بين أيديهما للصبر من أجل حياتها اختفى ، وأخذت أتظاهر بطلبي للمخدرات والاتصال بالأوكار التي أعرفها بحكم علاقتي مع شباب المخدرات ، ومايا والحراس وغيرهم من أهل القصر يعرف ذلك عني وأنني مدمنة ..فكل خروج عليّ بالتعاطي والعودة سكرانة .. وكنت أدرك أن الشرطة تطاردني وتشك بي هذه المرة أكثر من الأول .. وقد عجزت عن الاتصال بصاحبيّ هنا ، ثم تلقيت اتصالا وعلمت أنهما سيختفيان لحين من الزمن ، وكانت المشاكل تثور بيني وبين من زعمت أنهما

أبواي أدركت أن وضعها النفسي على وشك الانهيار والإقرار للشرطة .. وأنا نفست تعبت وزاد توتري من تخلي الجميع عني، ولم يعد يرد أحد على تلفوناتي هنا أو هناك حتى كنا ذات ليلة فقال الرجل : أنا تعبت يا (ماريانا المزيفة) من الصمت ، وماتت البنت التي كنت أصمت من أجل حياتها وبكائها حتى آيست عن حياة الرجل الذي أعمل معه .. عليك أن تعترفي للبوليس ، فهم لن يتركونا نسافر ما لم يقبضوا عليك .

ومع تكرر هذه الأسطوانة المشروخة فقدت السيطرة على أعصابي وقررت قتلها والتظاهر بالجنون ، وأن المخدرات دفعتني لقتلها ، وليس الخوف من اكتشاف قتلي للسيد .

قال حاتم بعدما اطلع على اعترافات الفتاة: أتذكر يوم قلت لك يا مالح إنني عندما سألت مركز الإدمان عن هذه الفتاة ؟ قالوا لي إنها لم تكن مدمنة بمعنى مدمنة ، فهي تعرف المخدرات وتتعاطها ؛ ولكنها لم تكن وصلت لمرحلة الإدمان فاستغربت ذلك.. فاليوم فهمت ذلك فهي تاجرة مخدرات أكثر منها مدمنة .

التحقيق الجنائي والجريمة



الحلقة الأولى

الأرمل

الإنسان خلق محبا للحياة ، وكلما كبر سنه زاد تعلقه بها ، ومتمنيا لو يعمر عمر النبي نوح عليه الصلاة السلام ، وكلما كبر ضعف ، ووهن بدنه وعقله ، وكلما وهن احتاج لدعم ومساندة ، وأكبر الدعم يقدم له من الزوجة حتى لو كانت ضعيفة عليلة .

فلما بلغ السيد نوفل بكر السبعين ترمل ، أصبح بلا زوجة ، فازداد غمه وحزنه من موتها ، ومن وحدته .. أمسى وحيد قصره ، وحيد حجرة نومه .. هو تاجر كبير ، ومستورد أخشاب معروف ، ومن عشرات السنين .. وكان يلقب بملك الخشب في البلاد كلها .. فيملك المال والثروة ، ووفر لأبنائه الستة المال والتعليم والسكن والرفاهية والحياة السعيدة .

ابنته الكبرى اسمها عالية أم لعدة أطفال ، وتسكن في حي قريب من سكن والدها ، وزوجها قريب لها ، وتخرجت من الجامعة ، وعملت موظفة في الدولة حتى تقاعدت من سنوات خلت وابنته التالية اسمها فاطمة ، وتعلمت كأختها ، واليوم هي مثل شقيقتها متقاعدة من العمل الصحي ، حيث عملت في أكبر مستشفى في المدينة ، وتسكن المدينة مع زوجها الطبيب الذي ما زال يمارس

العمل ، لم يتقاعد بعد .

والابن الذكر الكبير اسمه مفتاح ابن خمس وأربعين سنة عند وفاة أمه سميحة خضر ، وبيته عمارة بجوار قصر والده ، يسكن في شقة منها قام على إنشائها بعد أن منحه والده تلك القطعة من الأرض ..وبنى ابنه عمارة ضخمة من سبعة طوابق ، اتخذ طابقا منها لسكنه ، والشقق الأخرى مؤجرة ، وقد درس الرجل في كلية التجارة ، وتخرج محاسبا ، وعمل مع والده في تجارة الأخشاب ، ثم استقل عن الوالد ، ويملك عدة شركات هو وأولاده وبناته .

والوالد له فيلا وقصر من طابقين وسط حديقة من الأشجار أنشاها عندما استقر في حي الأنباء في ضواحي المدينة العاصمة للبلاد .

وابنه الرابع يحمل اسم عادل نوفل بكر ، تخرج من الجامعة مطلع شبابه كمحاسب كشقيقه ، وعمل في شركات مطلع تخرجه ، ثم سافر للعمل في أمريكا الجنوبية ، وتعرض لحادث إطلاق نار ، فعاد للبلد ، وأنشأ شركة خاصة به ، ثم فلست ، وصفيت ، وتزوج الثانية عند الأربعين ، وعاشت معه الزوجة حتى فلست الشركة ، وطلبت الطلاق ، وانسحبت من الشركة حيث كانت شريكة ، واستثمر الرجل في سيارات الأجرة ، ابتاع مكتب سيارات أجرة ، وله بيت على قطعة أرض، وهبها له والده .. بيت من طابق واحد ، وهو متعلق بالحشيشة والشراب المسكر ولا تخلو حياته من بنات الهوى .

والابن الخامس المهندس محمود ، وهو يصغر عادل بسنة واحدة فقط ، وله عدة مصانع في البلاد ويعيش بعيدا عن والده كشقيقه عادل .

والبنت الأخيرة والسادسة فدوى نوفل ، تعمل في قطاع الطيران خريجة إدارة أعمال ، وتعيش مع زوجها بمدينة أخرى ، وعمرها عند موت أمها حوالي خمس وثلاثين سنة .

ماتت سميحة خضر ، وبقي نوفل وحيدا أرملا عجوزا ، وقد ترك مباشرة العمل الذي اعتاد عليه منذ سنوات ، فله أكثر من عشر سنوات متقاعدا ، يتابع العمل عن بعد من مكتبه داخل قصره الجديد الذي انتقل إليه قبل التقاعد بشهور ..للبيت عدة خدم .. بعضهم دوامه يومي ، وبعضهم ساعات ، لديه خادم فليبيني من سنوات ، وخادمة سريلانكية هندية ، وهناك بستاني ومساعده يعملان في النهار حتى العصر ، ولا ينامان في القصر ..وكانت هناك امرأة عربية تتردد على القصر لمساعدة زوجته ، ثم تنصرف قبل الظهر ، وبعد موتها ما زالت تتردد على القصر بضع ساعات تساعد في تنظيف المطبخ ، والغرف وتنصرف .. والأهم أن لدى السيد نوفل طاهيا في الأربعين من

عمره ، عربي الجنسية ؛ ولكنه بارع في الطهو .. هو يعمل ليلا في أحد الفنادق ، وتعاقد معه نوفل على خدمته نهارا من الثامنة صباحا حتى العصر أي بعد انتهاء وجبة الغداء.. أعجب بطعامه أثناء مكثه في الفنادق لاستضافة موردين أجانب .. وقبل الشاب العمل في قصره مقابل مبلغ مغر من المال .. فأعطاه ضعف ما يتعاطاه من الفندق .. وله خمس سنوات يعمل في القصر .. وكان الطابق الأرضي يسكن فيه الخدم ، والطاهي له حجرة يستريح فيها خلال ساعات النهار .. وفيه قاعة للولائم والطعام ..والسيد مكتبه وحجرة نومه في الطابق الثاني .

لم يرث السيد الغنى عن والديه ؛ إنما أصبح غنيا بساعده وفطنته ، وبتوفيق من الله أولا ، فبنى نفسه وعلم أولاده أحس تعليم ـ كما يقول ـ سواء كانوا ذكورا أم إناثا وساعدهم بالبناء لبيوتهم وبزواجهم ..كلهم نجحوا في الحياة العملية إلى حد كبير إلا عادلا ، فأنه ما زال يتخبط بمشاريعه وحياته.

وترمل هذا الرجل الشيخ ، وهو في هذا العمر ..فبعد حين يسير أحسن بالوحدة والوحشة رغم وجود الخدم والطاهي عويس الذي يبدأ عمله قبل التاسعة وحتى الثالثة عصرا ، ويقوم بإعداد الطعام للسيد ، ولأهل القصر .. ويشرف على غداء السيد ، ويحضر الطعام للعشاء ، وأحيانا يشرف على وجبة الفطور إذا تأخر السيد بالنوم.

أخذ السيد بعد أسابيع من الترمل يفكر بالزواج ، إنه بحاجة لأنثى تشاركه الفراش والغرفة كيف ينام وحيدا وبين يديه الأموال ؟!

ويقول مفتاح الابن الأكبر ، والمجاور له في السكن : لم تنته الأربعون على وفاتها يا أبي .. اصبر عاما ..ماذا سيقول عنك الأصدقاء والمعارف ؟!

فيصيح محتجا : أصبر عاما ..أنتظر سنة .. ولماذا سنة ؟! أنام في الغرفة وحدي! هذا ظلم.. أنا أريد زوجة تنام جنبي يا مفتاح !

ـ لديك الخدم والطباخ.

ـ هؤلاء ينامون معي!

ـ قصدي في القصر .. عيب يا أبي أن تتزوج وتربة أمنا لم تبرد .

قال نوفل بضيق وسخط : أنت تقدر أن تعيش بدون امرأة ..وهل تقدر أنت تعيش بدون أم نوفل؟!

ـ أنا أقول اصبر سنة زمان .. ونبحث لك عن امرأة مناسبة لسنك .

ـ مناسبة لسني! أنا يا حبيبي أريد أن أتزوج بنت عشرين .. أريد المزيد من الذرية

ـ معقول يا أبي تريد أن تعود لتربية الأطفال !

صاح غضبا : معقول يا مفتاح ! بالعكس أنا اليوم

متفرغ للتربية أكثر من أيام زمان .. أريد ذرية لأشعر أنني ما زلت شابا في عنفوانه.
صاح مفتاح : اصبر وبعد عام تزوج طفلة رضيعة
ـ لن أصبر شهرا ، ولا يوما ، سأبدأ بالبحث من هذه اللحظة .. أنا في غنى عن بحثكم ومساعدتي .. أنت تضمن حياتي لسنة .. أنا كنت أريد الزواج قبل موت أمك .. ولما احتججتم وزعمتم أن مرضها سيزيد ، صمت وها أنا أعيش بعدها بدون رفيق أو أنيس أهذه عيشة ؟!



كل مشاورات ومحاورات الأب نوفل مع أبنائه وبناته باءت بالفشل ، وكلهم رفض الزواج قبل انقضاء سنة على الأقل من تاريخ وفاة أمهم ، واعتبروا فعل ذلك عيب في حقها وحقهم وحقه سيبدو أمام الناس ؛ كأنه ما صدق أن تموت ، فكان رده على اعتراضهم بأنه صبر أكثر من اللازم فأمهم لم تكن منذ سنوات صالحة للمعاشرة الزوجية ، ولولا بغضه للتعدد لتزوج في حياتها ، ولولا أنها أم العيال لطلقها وتزوج عليها ؛ لكنه تحمل من أجل خاطرهم ومشاعرهم ، ولسقمها . لذلك كان يقول للطاهي عويس عند وجبة الغداء : كلهم لا يحبون سعادتي وزواجي ! يريدون دفني بالحياة يا عويس .. يا خسارة التربية !

استمع الطباخ لشكوى السيد نوفل ، وإن استمع إليها أكثر من مرة منذ ماتت السيدة سميحة خضر .. ولما رأى أن الرجل لم يعد يصبر على الوحدة والنوم على السرير وحده ، ويكاد ينفجر من الغيظ ، قال مشجعا : تزوج .. أنت ما زلت شابا يا عّم نوفل .. والمال يعوض العمر !
ثم قال ليكسب ود السيد نوفل : أنا مستعد للسعي لك في زوجة طيبة بنت ناس
ـ أتستطيع ذلك يا معلم عويس ؟!
ـ طبعا أستطيع يا سيدي ..البنات أكثر من الرجال اليوم .. والمطلقات كثيرات .. والأرامل متوفرات .. أنت اذكر لي المواصفات صغيرة كبيرة ، متعلمة غير متعلمة ، تحبل لا تحبل ، ذكية غبية ، نحيفة سمينة ، طويلة قصيرة ، جميلة مقبولة .. أنا مستعد لخدمتكم يا عّم نوفل بصدق وإخلاص .
ـ شهم يا ولدي! شهم يا عويس !.. عمرك كم قلت لي ؟
ـ قريب من الأربعين قدْ أولادك .
ـ مفتاح أكبر منك بخمس سنوات .. أنت من جيل محمود .. أعندك الخبرة في مثل هكذا مواضيع ؟
ضحك عويس ، وقال مادحا خبرته : يا رجل أنا زوجت كل أخواتي وإخوتي .. وعدد كبير من أبناء، وبنات الجيران .. أرامل مطلقون .. أنت

اذكر الصفات ، وارم الحمل عليّ .. وسترى .
قال : ليس خطأ أن نختبرك يا معلم عويس يا أفضل الطباخين في العالم ! أنا طمعان بزوجة محترمة وممتازة ..أريد امرأة فوق الأربعين ، حملت أم لا تحمل .. هذا أمره لله ..وأن تكون أقل من الخمسين مقبولة من ناحية الحسن .. لا أريد ملكة جمال .. مطلقة أو أرملة مقبولة دون أطفال أفضل لي .. أنا عمري سبعون سنة لست صغيرا .
ـ أنا فاهم عليك يا عّم نوفل .. لا تريدها للحبل والخلفة.
ـ الأفضل لا .. عندي ستة .. والحمد لله .. المطلوب أن تخدمني وتنام جنبي.
ـ أنا فاهم عليك .. لو عندها أولاد كبار .
ـ هذا المطلوب حتى لا تطالبني بالحمل والعلاجات والأدوية .. أولاد كبار أحسن .. نحن اليوم كبرنا عن الأطفال .
قال عويس بثقة : عروسك عندي يا عّم نوفل!
ـ كيف ؟!
ـ أمهلني أسبوع عشرة أيام فقط .. سوف أقابل بعض النسوة من القريبات والبعيدات .
ـ ما هو اليوم يا عّم عويس ؟
ـ السبت .
ـ السبت من شهر نيسان .. بعد عشرة أيام نتحدث حول الموضوع .
ـ حاضر يا عّم نوفل ! سأجتهد باللقاء بهن .. الأولاد ما يغضبون من العم عويس
صاح نوفل : الأولاد لا يحبون سعادتي وحياتي ! لولا الحياء لتمنوا موتي علنا قبل موت أمهم
ـ صحيح ! هم لا يحبون أن يقاسمهم أحد التركة
ـ جنوا لما علموا أن أمهم لا تملك الكثير من المال باسمها ، ووجدوا لها بيتا وضيعا مؤجرا ، وتتصدق بإيجاره .. واتهمني بعضهم بظلمها .. مع أننا لما تزوجنا كنّا أفقر من جمل أجرب .. والله وفقنا وفتح عليّ من خيراته ونعمه ، وصرنا بفضل الله .. اهتم يا عويس بأمر زواجي ، ما دمت أنت خبير نساء وزيجات .. وستأخذ نصيبك من الكعكة إذا تم الأمر على يديك ، ووجدت بنت الحلال التي تستر عليّ تالي العمر .
قال عويس بحماس وطمع : أبشر ..سأكون عند حسن ظنك يا أبا مفتاح يا سيد الرجال يا أكرم الناس ! نحن أصدقاء من سنوات ، وأنت ما قصرت معي .. وأنا في خدمتك بعيوني .
ـ أنت طاهٍ ماهر يا عويس ! وأحببت طَعَامك منذ تذوقته في الفندق أول مرة فأصررت أن أعرف من طهى ذلك الأكل .. وتعرفت عليك .. أنا أحب الطعام الزاكي والطيب .. وأنت تستحق كل خير .. أنت كم ولد عندك يا عويس ؟
تنهد أسفا وقال : ولا واحد ..المرأة بعافية حتى

فكرت كذا مرة أن أتزوج عليها ..ولكن الرحم والقرابة .

بعد هذا الحديث الطويل بين السيد والطباخ الخاص بأسبوع أخبره بأنه وجد امرأة من معارفه يستطيع مقابلتها والتفاهم معها .. وأعلمه أنها أرملة من عشر سنوات وعمرها خمس وأربعون سنة .. ولها ولد وبنت .. شاب اسمه نافز ، عمره ثمانية وعشرون عاما ، لا يحترف أي مهنة .. عاطل عن العمل .. ولها بنت عمرها ست وعشرون سنة ، ومتزوجة اسمها نعمة وأن السيدة هادية الأرملة ترغب بالزواج ولو من شيخ كبير .. وأخذ الشيخ عنوانها من عويس .. وقام بعد يومين بزيارتها في بيتها المتواضع الذي دله عليه عويس.. وكان في استقباله ابنها وهي ، وتحدثوا عن الزواج ، وحاجته لامرأة تشاركه الفراش ، وتحدث عن مساوئ الترمل والوحدة .. وبعد أيام يسيرة التقوا عند باب المحكمة الشرعية ، وتم عقد زواجها .. وتحدد موعد الزفاف بسرية تامة عن الأولاد والأحفاد .. وكان ذلك في قاعة خاصة ، وكان العرس ؛ كأنه عرس شابين صغيرين .. وتكفلت إدارة القاعة بترتيب الحفلة والسهرة ..وعلم الشيخ أن الأولاد علموا بأمر الزواج ؛ ولكنهم قاطعوه كلهم ، ووصف بعضهم والده بالخرف .. فأستاء منهم جميعهم ، وهدد بحرمانهم من الميراث ، وتحويل أمواله إلى الجمعيات والنوادي التي كان يدعمها وما زال واعتبرهم عاقين ولؤماء .. ولما وصلهم هذا الخبر بدأت إجراءات الصلح ؛ ولكنه رفض أي صلح ، ويرفض استقبالهم في قصره ، وإذا دخلوا يرفض النزول والجلوس معهم .. وتكرر ذلك منهم دون فائدة .. واعتبر تصرفهم بمقاطعة العرس ، وقد علموا به تصرفا أحمق وقلة أدب ، وعليهم أن يتحملوا نتيجة تخليهم عنه أمام الناس .. هم وأولادهم .. وسعت خالة الأولاد وأخوالهم ؛ لترقيع الرقع والزعم أن أمهم لو كانت حية لباركت زواجه ، وشهدت بشخصها عرس زوجها ، ولكنه أصر على الرفض ، وطردهم شر طردة ، واعتبرهم يستخفون به وبعقله وأنهم حرضوا الأولاد على معاداته ، فلعنته الخالة واتهمته بالمراهقة والطيش ، وعدم احترامها

وحاول شقيقه الأصغر منه معه، ولم ينجح بالشفاعة بينهم، فقال لهم: الأيام دواء الجراح .

وكان السيد يستقبل أصهاره وأقاربهم ، ويقدم لهم عويس الطعام اللذيذ والفطائر والحلوى والعصائر ، وظنوا أن هادية تعيش في الجنة بعدما هلكت من قلة الطعام الجيد ، واللحم الأحمر حتى أن نافزا الأعزب كانت جل أيامه في قصر السيد ، وتجرأ بعض الأيام بالمبيت في القصر ، وحتى البنت نعمة كانت تكثر من التردد على قصر السيد ليلا

للعشاء والسهر بحجة حبها لأمها وكان السيد لا يبخل عليهم بشيء ، فهو يعيش في شهر العسل ، حتى أنه فكر بالسفر من أجله لولا توتر العلاقات بينه وبين أولاده ، وأقارب امرأته الميتة بعد طرد الخالة والخال.

ذات نهار قال السيد لزوجته هادية ، وهما يتناولان طعام الفطور وحدهما : هذا ابنك نافز لا يعمل ، ولا يشتغل .. دائما هنا .. هذا أمر مزعج ! .. من شهرين وأنا أقول الآن يخف يستحي؛ لكن دون فائدة .. شهر العسل انتهى يا هادية عبدو .. أنا تزوجتك أنت وحدك .

قالت بقلق : هو كما قلت لك سابقا لا يعمل عملا ثابتا .

ـ من يوم ما تزوجنا وهو يتغدى ويتعشى ، وأحيانا كثيرة ينام هنا .. ويفطر معنا .. أنا لست متزوجا نافزا ولا نعيمة!

ـ هو تعرض لحادث صدم قبل سنوات أثر على دماغه وكبده .. وخطبت له بنية ، ثم تركته يا معلم نوفل يا كبير ! .. وطول عمري أعيش معه .. نحتاج لوقت لنتخلص منه .

ـ إنه يسكر ..حدث أكثر من مرة أن فتحت له بوابة القصر ، وله ريح السكارى ومشيهم .. وهذا لا ينفع في بيتي .. أنا حجت بيت الله الحرام .. وأفكر أن أرافقك إلى هناك .

ـ يا معلم نوفل يا كبير ! تحملنا بعض الوقت ، وسأدبر أمر زواجه .

ـ أنا مستعد لمساعدته في ذلك ، عليه أن يقلل من الظهور في البيت .. بعض الأقارب يقولون : الحاج نوفل طرد أولاده ، وأحضر أولاد زوجته الجديدة أولاد الأرملة بدلا منهم!

ـ أنا أسمع هذا الكلام .. تحدثت معه قبل أن أسمع هذا منك يا حاج نوفل .. عشنا مع بعضنا عمرا طويلا .. وأنا تكلمت معه في هذا الأمر ؛ بل سمعته يقول : إنك تحدثت معه بذلك!

قال : لمحت له أكثر من مرة ، لا حياة لمن تنادي ؛ كأني أتكلم مع الكنبة أو التربيزة .. يتظاهر بالبلادة والغباء ، حتى كنت أضطر إلى سحبك لغرفة النوم لعله يشم أو يشعر وينصرف ؛ ولكنه بدل أن يعود لبيته أو مشربه يذهب للخدم طالبا المزيد من الطعام والفواكه .

قالت بهدوء : سأفعل ما تريد يا حاج نوفل يا كبير! وأتكلم معه أمامك اليوم إذا حضر .

قال السيد بحدة بينة : سيحضر ..ما هو يعتبر القصر تكية ، ودار الدراويش .. نحن تزوجنا لنعيد شبابنا يا هادية .

تبسمت وقالت : أي شباب يا حاج نوفل ! أنت تستخدم كل أنواع الأدوية لقضاء الشهوة ودون فائدة .

حدق فيها بحدة وسخط ، وبعد صمت قال بصوت بدا مبحوحا : آنت بنت أربع عشرة سنة ؟! يا مكر النساء ! أنت تفكرينني ابن عشرين .. رهق صغير.

ـ لا ، أنا أريد أن أذكرك بأنك لست صغيرا يا حاج نوفل .

صرخ فقال : أنا لا أحب تعييري بضعفي الجنسي!

ـ أنا أريد أن أذكرك بأنك لست فحلا من فحول الرجال بعد هذه السن .

ـ المهم أنا أرحب بابنتك وابنك في المنزل في الشهر مرة أو زيارة قصيرة .. الوقت عشر دقائق ربع ساعة .. ولما تشتاقي لهم اذهبي وأقضي نهارك كله معهم .

وحدث شجار بينهم بعد هذا الحوار الساخن ، حتى هددت المرأة بطلب الطلاق ، مما زاد من غضب الرجل عليها وسخطه.

ولما حضر ابنها كالعادة أدرك أن الجو متوتر وثائر ، وهاجت أمه عليه أن يغادر القصر ، وأن الرجل قد ملّ منه ، ولم يعد يطيقه ويحتمل وجوده .. فصرخ فيها وفيه لبعض الوقت .. ولما حضر عويس ، وعلم بالمشكلة، ترجاه أن يغادر قبل طلاق أمه ، وطلب منها مالا ، فأعطته ، وانصرف حانقا على زوج أمه.

وبعد هذه المشاجرة الصاخبة أخذ الرجل يتصالح مع أولاده ،ويسمح لهم بزيارته ورويدا رويدا عادت الأمور معهم إلى ما كانت عليه قبل زواجه لهادية .. فخلال ستة أشهر من زواجه صلحت العلاقات بينهم .. وازدادت توترا وسوءا بينه وبين زوجته وأولادها ..وأصبحت حياتهما معا على كف عفريت ، وكان يجد تشجيعا على طلاقها من الأبناء ، وخاصة البنات ، والبحث عن امرأة ذات أخلاق عالية .

كان في القصر شيء مزعج له ، ومستفز .. هو مجيء نافز المتكرر .. وهو غير مبال به ، ولا بأمه فظل يأتي ويأكل الطعام ويشرب الشاي ؛ كأنه سيد القصر ، وقبل المغادرة يأخذ المال من أمه وينصرف .. وحذرها تكرارا ومرارا من استقباله في بيته وقصره .. وهي غير مكترثة ، ولم تلتزم بذلك .. ولما أدرك السيد أن التهديد لا يعبأ به ، ولا تعيره اهتماما طردها من البيت ، ووعدها بورقة الطلاق عن طريق المحامي الخاص به .. وتدخل عويس الذي حضر هذا المشهد ، وقال لها : اذهبي لبيتك .. وأنا سأهدي الأمور مع السيد .. ولن يحصل الطلاق .

وبعد مغادرتها ، سعى عويس لدى الحاج بتهدئة الموضوع ، فقال : يا رجل سكير يسكر على حسابي .. أنا أدفع ثمن المشروبات لهذا اللعين! أنا ابني عادل لما علمت أنه يسكر ويخمر طردته من بيتي ،

فقلت له : أسكر في بيتك ..تعال صاحي لتراني .. وكانت أمه على قيد الحياة .

همس الطباخ عويس : هدأ نفسك يا عّم نوفل! صحتك أهم من زعلك ..الولد هامل .. وتعود على نهب أمه ، واستغلال ضعف الأم قبل الزواج .. وإذا أنت راغب بالطلاق ، سنرتب الأمر بكل هدوء ، كما دخلنا بهدوء نخرج بهدوء ، دون شوشرة وفضائح يا عّم نوفل!

ـ يا رجل أنا كما تعلم تزوجتها ؛ لتؤنس وحدتي .. المرأة زينة الدار ..أم مفتاح كانت عجوز مثلي ؛ لكن كانت تبعد الوحشة والوحدة ، فلما ماتت أحسست بالضيق من الحياة .. وارتفع صوته : صار القصر ملعبا لها ولأقاربها وأولادها .. ويا رجل تعيرني برجولتي ؛ كأنها متزوجة فتى مراهق .. وهي لما رأتني عرفت أنني ابن سبعين .. وهي تظن نفسها بنت صغيرة ولولا أنها امرأة كبيرة ؛ لقلت إنها كانت تعيش في حانة دعارة .. لولا أنها لا تلد ؛ لطلبت مني العلاج للحبل !

ـ حاضر يا سيد نوفل ! سنرتب الأمور .. أنت راغب بالطلاق أنا حاضر .. حاضر .. أليس هناك باب للصلح ؟

ـ أنا لست راغبا بالطلاق ؛ إنما أريد طلاق ابنها، أنا لم أتزوجه يا رجل ؛ كأنه طفل ملزق بها .. إذا تحب أن تبقى امرأة صالحة لا مانع من عودتها يا عويس .. أولادها لا يزورونها إلا مرة في الشهر .. هي تذهب إليهم كل نهار .

ـ إذا قبلت بذلك تعود وينتهي الطلاق !

ـ نعم ، إذا قبلت أن تعود وحدها أهلا وسهلا .. أنا أنفقت على زواجنا أكثر من عشرة آلاف دينار يا عويس .

ـ نعم ، أعرف .. أنا أشرفت على الزواج .. الليلة سأتفاهم معها ، ومع ابنها وإخوتها .

اكتشف السيد في الصباح التالي أن سطوا حدث في القصر ، فقد تعرض مكتبه للسرقة ، المكتب الكائن في الطابق الأرضي ، وجدت نافذة من نوافذه مكسورة الزجاج ، وأن شخصا استولى على بعض الحلي ، ومبلغ خمسمائة دينار ، وإتلاف بعض الأوراق والملفات التي يتابع بها عمل الشركات التي هو شريك فيها أو مستثمر .

طلب الشرطة والتحقيق الجنائي فورا ، ولبوا النداء ، وجرى التحقيق ، ورفعت البصمات ، ولما لم يتهم الحاج أحدا غادرت الشرطة الجنائية المكان ، متأملين إلقاء القبض على سارق الفيلا ، وترجح لديهم أن السارق يملك مفاتيح الفيلا .

بعد هذا الحادث بأيام استطاع عويس إصلاح المرأة هادية على زوجها نوفل ، وعادت تعتذر للحاج ، وأنها منعت ابنها من المجيء إلى القصر .

ورغم الصلح والوعود التي قدمها عويس وهادية

ظل نافز يجيء ؛ لتناول طعام الفطور معهم ولكن بأيام متقطعة ، يومان يغيب ، ويومان يحضر ، ووطن نفسه على تحمل كلام كلام نوفل وتحقيره ، ويتدخل عويس لتلطيف الأجواء ، وينصرف الشاب الفاسد مهددا ومتوعدا ، وأمام هذا الإزعاج المتكرر والإيذاء اتفق الرجل مع زوجته وعويس وابنه مفتاح أن يحصل الطلاق ، وإنهاء هذا الزواج الذي لم يكمل العام الأول ، واتصل مفتاح بمحامي السيد الوالد ؛ لترتيب أمر الطلاق دون شوشرة ، وتحدد أن يكون اليوم السادس عشر من الشهر نوفمبر يوم الطلاق في المحكمة بين يدي القاضي .. وكانت السيدة قد غادرت لبيتها بصحبة ولدها ؛ ليكون اللقاء في التاسعة صباحا أمام المحكمة لإجراءات الطلاق الرسمية .. فقد حصل يمين الطلاق منذ ذلك اليوم الذي اتفقوا فيه ، وتسلمت المرأة مؤخر صداقها .

ولما جاء مفتاح نوفل صباحا ؛ لأخذ الوالد إلى دار المحكمة ، قال للخادم : هل استيقظ الوالد

ـ طرقت الباب ، فلم يفتح .. يظهر أنه ما زال نائما .. لقد سهر طويلا ليلة أمس .. لقد جاء

عادل شقيقك ، وبقي معه إلى منتصف الليل .. يبدو أن السيد يعاني من ضائقة مالية ، ويريد مبلغا من المال .. ولما غادر السيد عادل ، وأغلقت البوابة ، طلب الوالد كأسا من الحليب ، فذهبت بها السيدة ،وطلب منها إيقاظه في الثامنة صباحا ، طرقنا الباب ، فلم يفتح .

صاح مفتاح : حسنا ! اصنع فنجان قهوة .. واتبعوني إلى غرفة الوالد.

صعد الدرج ، وطرق الباب ، فكان مغلقا من داخل الغرفة.. فكر .. هل حدث له شيء ؟! جلطة فجأة !.. ضرب الباب بقوة ، ورفع صوته : أبي أبي افتح.. موعد المحكمة اقترب .

صاح في الخادم : هات المفتاح من المكتب.. يبدو أن شيئا أصاب الوالد !

الشرطة

حضرت الشرطة الجنائية ، والمختبر الجنائي ، وضابط التحقيق ، والمصور الجنائي والبصمات ، والطبيب الشرعي ،ووكيل المدعي العام للمنطقة التابع لها القصر ، وفريق من أفراد الشرطة ، وشاهد الجميع الجثة ، وتأكد الطبيب الشرعي من موتها رميا بالرصاص ، وقام المصور بالتصوير الفوتوغرافي والفيديو لمسرح الحادث ، ولما رأى مفتاح المسدس في يد الضابط الجنائي وقد سمعه يقول : هذا سلاح الجريمة ! هتف فقال : هذا يا سيدي مسدس أبي ومن مقتنياته ! وأعتقد أنه كان يحتفظ به في هذه الحجرة .

ورفعت البصمات ، والعينات ، ومظاريف الرصاص ، وسمح بنقل الجثة إلى سيارة الإسعاف

ومن ثم إلى مستشفى التشريح والطب الشرعي ؛ لتشريحها وكتابة التقرير الطبي بتبين سبب الوفاة ، ووقتها ، وكيف كانت الوفاة ؟ وبناء على حديث مفتاح للمحقق أن الوفاة حدثت بعد الواحدة ليلا ؛ وذلك على حسب كلام الخادم والخادمة لمفتاح .. وكلف وكيل التحقيق الضابط المحقق حمزة شبلي بمتابعة التحقيقات في هذا الحادث.

واستمع الضابط المحقق لمفتاح ، الذي شرح سبب مجيئه المبكر لبيت الوالد ، وأنه أتى لأخذ والده إلى المحكمة المختصة بقضايا الطلاق ، لإنهاء إجراء الطلاق رسميا بعد أن تمت تسوية الأمر مع المرأة هادية عبدو .. واختصر قصة زواج والده بعد وفاة أمه قبل أكثر من سنة .. وما واجهه الوالد من وقاحة وسوء تربية ابن المدعوة هادية عبدو أدت إلى الطلاق .

وحضر المحامي أثناء الاستجواب ، وأخبره مفتاح بمقتل والده الليلة الماضية ببضع رصاصات وأنهم نقلوا الجثة إلى مستشفى الطب الشرعي .

وجاء الخادم الآسيوي ، وذكر القصة التي ذكرها لمفتاح من مجيء عادل نوفل ليلا ، وتنازعه مع الأب ، وظل الشجار بينهم لنصف الليل ، وخرج الرجل غاضبا ..وكان الأب غاضبا من اللقاء ورافق السيد عادل حتى غادر القصر ، وعاد حيث طلب السيد نوفل كوبا من الحليب قبل نومه وحملته له الخادمة لانكا .. وكان قد وصى أن يوقظ عند الثامنة ، وذهب لإيقاظه ، فلم يرد ، وذهبت الخادمة دون فائدة ، وظل القلق يساورهما حتى حضر مفتاح .. ثم فتح الباب من الخارج واكتشفت الجريمة .. وبين الخادم أن الرجل كان مطروحا على أرض الغرفة والدماء متجمدة على السجاد ، ورأى المسدس على السرير .. وكان مفتاح لما رأى الجثة قال برعب ووهن : آ! قتل أبي ! وأخرج هاتفه بعد أن وقف أمام الغرفة واتصل بالشرطة على الفور .

قال المحقق : يعني كلامك أن السيد نوفلا حوالي الثانية عشرة ونصف ليلا كان على قيد الحياة ورأينا أن كوب الحليب ما زالت في الغرفة ..وتدل على ذلك.

وهزّ الخادم الفلبيني رأْسه" بنعم"

ـ أسمعت صوت الرصاص يا سيد دانييل ؟

ـ كنت مستغرقا في النوم.. أنا عندما أضع رأسي على الوسادة أنام في أقل من خمس دقائق .

ـ هو يغلق الباب على نفسه عندما يكون نائما .

ـ نعم ، خاصة عندما تزوج السيدة هادية .. لما ماتت السيدة سميحة كنّا نجد الباب مفتوحا في أي وقت.. نطرق الباب ، ويؤذن لنا فندخل .. وأحيانا بعد الصلاة فجرا يتركه مفتوحا يا سيدي لندخل بما يطلب .

ـ عندما لم يكن متزوجا الباب يبقى مفتوحا .

ـ نعم ، لا يغلق بالمفتاح .

التفت الضابط لمفتاح : إذن كنتم على موعد لطلاق الوالد صباح هذا اليوم .

قال مفتاح : أجل أجل يا سيدي ها هو حضرة المحامي توفيق ..كان يجب أن نلتقي أمام المحكمة وندخل على القاضي ؛ لتعلن السيدة أنها استلمت كل حقوقها الشرعية ..ونأخذ وثيقة الطلاق الشرعية والرسمية .. وتقرر أن أرافق أبي إلى المحكمة .. أبي يحسّن القيادة ؛ لكني تبرعت بتوصيله وبيتي ـ وأشار بيده ـ قريب من بيت الوالد .. نحن جيران بيني وبينه بضع عمارات.. أبي تزوج بعد موت أمي بشهرين ، وعن طريق طاهي الوالد الخاص سيد عويس .. سيحضر بعد قليل لا أدري لماذا تأخر ؟! هو عليه أن يكون هنا قبل التاسعة .. هذا الطباخ هو الذي رتب له الزواج من هذه المرأة الغامضة .. إنها أرملة من عشر سنوات كما فهمت من أبي .. نحن أبناؤه الستة رفضنا زواجه قبل سنة على موت أمنا ؛ لكنه لم يصبر وتزوج دون علمنا ، ورغم أنوفنا .. وتصالحنا من عهد قريب بسبب هذا الزواج .. وسبب الفشل ليس نحن؛ إنها ابن فاسد للمرأة شاب لا يعمل ولا يشتغل عواطلي .. يأتي للقصر يأكل ويشرب ويشرب المسكر دون حياء من والدي الحاج .. فكان سبب النزاع بينهم حتى أدى ذلك للطلاق .. وأحيانا كثيرة ينام في القصر مما أزعج أبي للغاية ، فاضطر للانفصال .

وأخبر المحقق حمزة بحادث السرقة الذي تعرض له القصر من أسبوعين من الوقت ، وأن لدى الشرطة محضرا بذلك ، فوعد الضابط بمراجعته ؛ ولكنه اتصل بالضابط الذي أجرى التحقيق . فقال ضابط النقطة : اتصل بنا السيد نوفل معلنا عن تعرض مكتبه المنزلي لسرقة واقتحام .. فقد أخبر أن بعض قطع الحلي اختفت وخمسمائة دينار .. وتبين من المعاينة أن السارق دخل من نافذة غير محمية بكسر الزجاج بعد قصه أو قص جزءا منه بأداة قص الزجاج، ثم كسره ودخل ولم نجد بصمة لغريب .. فكل البصمات لمن يترددون على الشيخ نوفل .. والرجل لم يتهم أحدا.. وإن علمنا أن له ابنا سيء الأخلاق ..وكثيرا ما يتنازعان .. اسمه عادل .. ومعروف لدوائر الأمن ؛ ولكن السيد لم يتهمه .. فتوقف التحقيق حتى نجد لصا يعترف بفعلته هذه ، كما هي العادة .. ليس لدينا مشتبه به .. والبصمات بصمات أهل الدار ولليوم لم نصل للص .

حدد الطب الشرعي أن الجريمة حدثت بعد الواحدة والنصف ليلا وبين الثانية والنصف صباحا وأكد التشريح شرب الحليب وهو خالي

من أي مادة تنويم أو تخدير ..وهذا يعرف من إفراغ المعدة والأمعاء.. وتحليل الدم .

طلب المحقق عادلا وتحدث معه عن الجريمة والمشاجرة تلك الليلة .فقال : صحيح أنني تشاجرت مع أبي .. وهذه ليست أول مرة ..كلما أحتاج منه لمال أسمع الكثير من التوبيخ واللوم والتجريح .. وإنما أطالب ببعض ميراثي كسلفة .. فيغضب ، ويشتد غضبه .. تنازعنا وفارقته غاضبا ساخطا عليّ .. وهو مثلي لم يترك دعوة إلا دعاها عليّ .. رجل يعبد المال؛ لكني لم أرجع

لقتله ..وصحيح أنني غارق في الديون .. وبحاجة لمال ؛ ولكني لست بحاجة للقتل .

ـ على كل حال لن تحل مشاكلك المالية إلا بعد انتهاء التحقيق والمحكمة .. وإذا عرف الجاني .

قال عادل : لست بعجلة يا سيدي ! القاتل في النهاية قدم لي خدمة لم أكن أحلم بها بهذه السرعة نعم ، إنه قريب من الأسرة ؛ لذلك استغل الشجار ، وفعل جريمته .

ـ من غير الخدم يعلم بهذه المشاجرة ؟

ـ ربما تحدث أبي مع مفتاح أو محمود .. وتحدثت عن الشجار في مكتب الأجرة حيث أملك مكتب نقل ركاب .. فخرجت من هنا إلى المكتب .. وجرى حديث عن فشلي في الاقتراض من أبي وشجارنا ..وقضيت ساعة أو أكثر ، ثم عدت للبيت .. وزوجة أبي أو مطلقته تحدثت معها عن الشجار .. ظننت أنها تستطيع أن تساعدني .. فأخبرتني أنها طلقت من أيام .. طلاق لا رجعة فيه

الاشتباه بعادل

كان الضابط حمزة يتحدث في المكتب لفريق التحقيق بعد التحقيق الأولي وأمام المدعي العام المسؤول عن القضية نجيب محمود . فقال : كان الرجل المقتول على موعد في الصباح لطلاق زوجته هادية عبدو أمام القاضي ، وذلك بعد أن رتب المحامي الخاص به إجراءات الطلاق كانوا سيلتقون أمام المحكمة .. وهذا الموعد عجل باكتشاف الجثة من قبل السيد مفتاح أكبر أبناء السيد الذكور.. وفي الليل أمس جاء ابنه عادل القصر ، وتشاجر مع والده لحاجته لمال كما يزعم وغادر القصر بعد منتصف الليل غاضبا .. وأغلق الخادم البوابة خلفه ، وعاد إلى الداخل ؛ ليقدم للسيد كوبا من الحليب .. وتبين لنا أن السيد عادلا أفشل أبناء الحاج من الناحية المالية .. فكلهم في الكشف الأولي مرتاحون ماديا ..وعلاقتهم طبيعية معا الوالد ، رغم الغضب عليهم بسبب عدم قيامهم معه أثناء زواجه الأخير ، بسبب حزنهم على وفاة أمهم منذ أشهر .. فهم ناجحون في حياتهم العملية ، ولا يعتمدون كثيرا على الوالد .. وعادل قام بمشاريع مثلهم ، وفشلت وسافر

أمريكا اللاتينية ، وعاد خاسرا على أثر حادث ..ويمتلك اليوم عشر سيارات أجرة لنقل الركاب ضمن مكتب سيارات تملكه من سنتين .. وأموره المالية سيئة ؛ بل عرض المكتب وسياراته للبيع .. ولم ينفذ .. وزعم لي أنه تشاجر مع أبيه من أجل قرض ؛ ولكنه كما قال مفتاح أخذ الكثير من القروض ، ولم يسددها ؛ ربما من أجل ذلك رفض السيد إعطاءه قرضا جديدا وهو يريد خمسة آلاف دينار زاعما رغبته بشراء سيارة صغيرة لابنه الذي في الجامعة ، يريدها من والده ؛ كأنها هدية كما يقول مفتاح .. وسيعتبرها هدية من الجد لحفيده ..والوالد مشغول بقضية الطلاق والأموال التي دفعت للمطلقة .. المهم أنه رفض .. وهذا أخبر به عادل ..ويؤكد الخادمان مغادرته القصر أمام ناظريهما ، وسماعهما صوت سيارته وهي تبتعد .. ولما أغلقت الأبواب ، صنعا كوب حليب للسيد ، وأدخلته الخادمة .. ورجع كل واحد منهما لحجرته الخاصة به ..فهما من جنسيتين مختلفتين أحدهما فليبيني .. والأخرى من سيرلانكا .. كانت المرأة خادمة للزوجة الأولى .. ولما ماتت أبقاها السيد في القصر .. ولم يضغط الرجل الجرس عليهم لما دخل القاتل عليه .. فهذا يدل على نومه أو فتح للقاتل بنفسه كما تدل القرائن .. كيف اجتاز القاتل بوابة القصر الرئيسية ؟ لم يستخدم أي عنف في فتحها ؛

بل فتحها الخادم لمفتاح عندما حضر صباحا .. وكذلك باب القصر نفسه لم يستخدم أي عنف في فتحه .. هل هو الذي نزل وفتح الأبواب لقاتله ؟ وهذا المرجح .. وهناك احتمال وجود مفاتيح مع آخرين إذا ثبت أن هناك تخطيطا للجريمة .. فالخادم أخبر أن الرجل منذ جدد زواجه كان يغلق الباب بالمفتاح عند النوم وإذا احتاج لشيء استخدم الجرس الخاص أو التلفون الداخلي بينه وبين الخدم .. والجرس يرن في غرف الخادمين فيطلبان الطعام أو الشراب ، وعند صعودهما يفتح لهما الباب الزوج أو الزوج وتلك الليلة لم يستخدم الجرس ولا الإنتركم .. وأكد رجال المختبر أن الأبواب لم يستخدم العنف في فتحها وهذا يشير إلى أن القاتل يملك المفاتيح ، وتسلل لحجرة الرجل واغتالته ، أو أن السيد بناء على اتصال نزل بنفسه لفتح الأبواب إذا ثبت أن المفاتيح لم تزور ..ودخل القاتل حجرة النوم وتحدث مع السيد وغدر .. لأن الراجح أن أداة القتل سلاح خاص بالسيد .. فيرى مفتاح الابن أن المسدس يعود لوالده ..وكل من عاش معه يعرف أن لديه مسدسا بل أكثر من مسدس .. وهذه المعلومة سيؤكدها فحص السلاح .. السؤال لماذا فتح الباب ؟ ولماذا كان اللقاء في غرفة النوم ؟.. ولماذا لم يوقظ الخدم لفتح البوابة ؟

قال أحد المساعدين : أرى أن يعاد استجواب السيد عادل ؛ لعله عاد مرة أخرى زاعما لأبيه الاعتذار والأسف .. أنا شخصيا لم أرتاح له.
قال حمزة : سنفعل ذلك ، ذاك كان استجوابا سريعا لمعرفة سبب المشاجرة المعلنة .. وجهاز الخلوي الخاص بالسيد لم تفقد منه إلا الشرائح الخاصة بشركات تزويد الخدمة لماذا الشريحة اختفت ؟ فنحن نستطيع معرفة الاتصالات التي جرت من الهاتف ، ولو بدون شريحة ، نحتاج لبعض الوقت فرقمه معروف .. ولم نجد بصمات على الجهاز .. ومفتاح أكد أن ذلك الجهاز أحد الأجهزة المستعملة من قبل أبيه .. والخدم لم يسمعوا صوت الرصاصات الثلاثة ، يزعمون أنهم مستغرقون في النوم بسبب تأخرهم تلك الليلة بالنوم .. أو تعرضوا لتهديد ما.
قال وكيل النيابة : يعني أن القاتل دخل القصر بدون أن يشعر به أحدهم .. دخل القصر ، وصعد للطابق العلوي وقتل ، وأغلق الباب ، وأخذ المفتاح ، ونزل وخرج من القصر، وأغلق الباب ، وخرج من بوابة القصر ، وأغلقها دون أن يحس به الخدم !
قال حمزة : هذا ما حصل مع الأبواب في التصور .. وهنا كما ترون احتمالين ، القاتل فتحها بنفسه ، أو السيد فتحها له .

وقال أحد المساعدين : أو أحد الخدم أو كليهما فتح له .
ـ هذا احتمال صحيح ؛ ولكن ما الفائدة التي تعود على الخدم من التواطؤ ؟ بل بعد إغلاق التحقيق سيصرفان عن عملهما ، أو التعرض للإعدام إذا ثبت تورطهما .
ـ يمكن أن يفتحا بدون تواطؤ استدراج واحتيال ، ولما حدث القتل اضطرا للصمت .
ـ هذا جائز ! صمتهما لن يطول ..والقاتل المدبر لجريمة كهذه يضع نفسه تحت رحمة خادمين .. فالاحتمالان اللذان ركزت عليهما أقوى وأرجح .
قال وكيل النيابة : هذا يدل في رأيكم أن الجريمة مدبرة ومخطط لها مسبقا رائد حمزة وليست بنت ساعتها ، أو انتظار مشاجرة بين أب وابنه .. وهل السيد عادل الفاشل في مشاريعه بهذا الذكاء ؟! وصنع المشاجرة ؛ ليكون مشتبها به ، ثم تثبت براءته .. وهل شهد سواقون المكتب أو أحدهم أنه جاء المكتب بعد نصف الليل ، وكان في المكتب أثناء وقت الجريمة ؟
قال حمزة : شهد سائقان مناوبان تلك الليلة أنه كان في المكتب بعد منتصف الليل .. ونحن ندرس صدق شهادتهما وقوتها .. أخبرا أنه عاد للمكتب ، واشتكى أمامهما من أبيه وبخله ، وكره الأب له .. وأخبر قبل منتصف الليل أنه سينصرف ، وأن

عليهما انتظار السيد موسى ، وهو في الطريق للجلوس في المكتب .. فقد ذهب لزيارة أهله ووالده وطلب بعض المال منه من أجل ابنه.

ـ صرح عادل لهم بذلك قبل نصف الليل قال ذلك لأحد السواقين !

ـ نعم ، قال ذلك ، وعاد خائبا غاضبا يشتم أباه بأقبح الألفاظ، وطلب منهما قهوة ودخن بشراهة ولما حضر عامل المكتب موسى العامل الليلي متأخرا وبخه وشتمه .. وكادا يتشاجران لولا تدخلهما ، وغادر المكتب زاعما أنه ذاهب لبيته .. وقال عادل :إنه دخل البيت ساخطا على الحياة ومتعصبا على أبيه ، وعلى بخله .. ولم يلتفت إلى الساعة عندما وصل البيت .. وليس من عادته الإكثار النظر في الساعة ؛ إنما يلبسها من ضمن الديكور والتقليد والعادة ، ولا ينظر إليها إلا عند الحاجة إلا أن الوقت كان بعد الواحدة ليلا .

عاد الوكيل يقول : لا أعتقد يا حمزة أنها جريمة بنت الساعة ! سيماها جريمة مدبرة .. وراءها تخطيط .

ـ إذا كان هو الفاعل فقد ذهب لأبيه مرة ثانية بعد مغادرة المكتب ، وقبل العودة للبيت الذي لم يتأكد لنا .. ولكن المسدس للسيد نوفل ..كيف استولى عليه ؟! وقد ذكر الخادم أن المسدس دائما في غرفة نومه ..قد يعرف مكانه مع طول الوقت .. هل يملك مفاتيح البيت كلها وبأي عذر ؟ نحتاج لمزيد من التحريات والتحقيقات .

ـ هل لدينا مشتبهون غيره ؟

ـ الخادم ، والخادمة ، زوجته هادية المطلقة شرعا ، وغير مطلقة قانونا ..ابنها نافز الذي كان سبب طلاقها الشرعي .. عامل التصليح .

ـ عامل التصليح!

ـ كان يجري في القصر عملية صيانة متقطعة ، يجرون تصليحات كهربائية في التمديدات والأسلاك ، يأتي في السابعة صباحا ، ويغادر في الثانية ظهرا ، وعندنا الطباخ عويس طباخ خاص للسيد من سنوات ، يعمل من التاسعة صباحا حتى الثالثة عصرا كل يوم فهؤلاء يمكنهم اختلاس المفاتيح والمسدس في حين غفلة .. والطباخ هو الذي ساعد الرجل في الزواج من وراء أولاده ، وهو كان يسعى بينهم في الصلح عند كل مشاجرة .. فهو يعرفها ، ويعرف ابنها وابنتها وربما قريب لها إلى حد ما كما فهمت من تعرفي به .. وجاء متأخرا صباح الجريمة .. الدافع غير واضح لها إلا في حق عادل .. قد تكون هناك لعبة أو مغامرة شيطانية ؛ لكننا سنتعامل الآن على أن القاتل شخص واحد .. وسنقوم بالتحريات الخاصة عن الجميع ، عن الأبناء الخدم الطاهي الزوجة وابنها .. والمشتبه به الأقوى السيد عادل

بلا منازع .. والتحريات جارية عليه منذ ظهر اسمه على مسرح الحادث .. ومشكلته مع أبيه ، وسننظر هل هذه المشاجرة بريئة أم مفتعلة ؟



جلس خادم قصر نوفل في غرفة التحقيق في دائرة الشرطة ؛ لإجراء التحقيق الرسمي ، وكانوا في انتظار الضابط حمزة الذي كان مشغولا باتصال هاتفي ، ولما أنهاه دخل غرفة التحقيق . وقال للخادم : شايا أم قهوة .

ـ لا شيء يا سيدي!

ـ حسنا ! جاهز يا موسى .(كاتب التحقيق)

ـ نعم ، أنا جاهز يا سيدي !

ذكر الخادم اسمه الكامل ، وجنسيته ، وعنوانه ، وعمره ، وعمله ، وكم له في البلاد ؟ وكم سنة له في قصر نوفل ؟

قال حمزة بعد أخذ إجابات تلك الأسئلة التقليدية: أنت ذكرت لنا في بيت السيد نوفل أنك شاهدت وسمعت مشاجرة بين الأب وابنه .. وكان شجارا حادا تخلله السب والشتم والتلويح بالأيدي .. وكان الحديث أو الشجار قبل نصف الليل.

ـ نعم ، حوالي الحادية عشر ليلا فتحت للسيد عادل البوابة ، ودخل وهو يقول : أين أبي؟ فقلت : يجلس في صالة الطابق الأرضي ـ هي صالة استقبال ـ وسبقني مسرعا للداخل ، وتبعته بعد أن أغلقت البوابة بالمزلاج .. فسلم على أبيه ، وجلس وأشعل سيجارة ، ودار حديث بينهما عن طلاق الزوجة ، ثم طلب من أبيه مالا ليشتري سيارة لابنه ـ وأنا أجلس قريبا منتظرا أي أمر من السيد ـ ورفض الأب .

ـ هل حاول عادل ضرب أبيه بيده بشيء أثناء حدة الحوار ؟

ـ كان يشير بيديه غاضبا من رفض أبيه إعطاءه المبلغ كهدية كقرض .. ولم أسمعه يهدده بضرب أو قتل أو موت .. كان يعيب على أبيه البخل ، وكنز المال .. والسيد يذكره بخيبته وفشله دون سائر إخوانه .. وأنه أكثرهم أخذا منه ، وأنه يعيش على الصدقات والإحسان .. وعاجز عن شراء سيارة لابنه .. وذكره أن له عشرات الأحفاد ما أحد منهم أخذ سيارة أو طيارة .. وذكر له نجاح إخوته في مشاريعهم وحياتهم المستقرة مع زوجاتهم .. يشير إلى فشله أكثر من مرة في الزواج .. ثم طلب منه المغادرة فورا .. فعندئذ عيره عادل بعجزه وضعفه أمام زوجته الأخيرة وابنها ..وأخذهم منه المال الكثير ، والعيش في القصر دون أن ينبس معهم بكلمة فهاج الحاج .. وخشيت عليه الجلطة من شدة الغضب . وقال:

وغد أنت .. وغدا سأخلص من هادية وابنها الهامل الفاشل مثلك ..وسيذهب كل منا في حال سبيله .. فرد عادل : خلال شهور أنفقت عليها ما يقارب الخمسين الف ، واليوم تبخل على حفيدك طالب الجامعة بخمسة آلاف ثمن سيارة يا بخيل !

ـ يا ملعون أخذت أنت ونساؤك وأولادك أكثر من مائة الف .. هذه السيارات في شركتك الفاشلة من اشتراها لك يا خايب .. زعمت أنك ستسد كل شهر .. ولم أستلم منك شيئا من سنوات يا فاشل ! يا حقير يا ملعون ! انصرف انصرف سأحرمك من الميراث ..سأوزع الأموال قبل أن أموت !

قال حمزة : أهو قال هذا الكلام تلك الليلة ؟

ـ كلما تحدث مشكلة بينه وبين عادل يهدده بذلك ..ولما يهدأ يقول :لولا مخافة الله لفعلت يا دانييل ! الرجل يتعامل معي باحترام يا سيدي .. لي عندهم عشر سنوات منذ ترك العمل المباشر .. فهذا تهديد ردد كثيرا .. والسيد الشاب يعلم أن والده لا يفعل ذلك ديانة .. ولا يريد كما قال أن يزرع العداوة بين أبناءه بعد موته بسبب المال .. وللأسف هو أحوجهم للمال وعادل يا سيدي سافر الأرجنتين أو تشيلي للعمل في مشاريع ، وفشل وعاد خائبا كما أسمع .. وكان الأب قد نهض وأخذ يدفع ابنه طاردا له مع اللعن .. وأذكر للأسف أنه اضطر لسبب زوجته الأولى من الغضب؛ لأنها خلفت له مثل هذا الابن العاق الشيطان .. وظل يدفع به حتى خرج من باب القصر .. وهذه ليست أول مشاجرة بينهما ..فكلما يحتاج الرجل لمال يلجأ لأبيه بسب ديون وقروض بنكية أو دائنين .. وتحدث بينهما مشاجرة .. وأحيانا يتدخل الأبناء بالمساعدة حتى لا يحبس عادل ؛ ولكنها كانت آخر مشاجرة لموت السيد الكبير .. وظل السيد يدفع به للخارج حتى خرج من بوابة القصر الرئيسية ..وأنا خلفهم .. هو يسب وذا يسب دون حياء ومراعاة لكبر والده .. حتى أغلقنا البوابة بالمفتاح والمزلاج أيضا ؛ لذلك أنا أقول أن القاتل قفز عن سُور القصر .. والله أعلم.

ـ ملاحظة جيدة يا دانييل سنهتم بها .

ـ وعدنا والسيد يقول : ولد عاق ، قليل الحياء .. كنت أتمنى أن آراه ميتا قبلي من سوء أفعاله هات سيجارة ـ هو لا يدخن إلا إذا توتر وعصب ـ فأعطيته سيجارة وأشعلتها له .. ودخلنا القصر ، وأغلقت الباب بالمفتاح كالعادة يا سيدي ..وقبل أن يصعد لينام طلب كوبا من الحليب الدافئ .. فهو أحيانا يشرب الحليب المبستر البارد كالعصير ..ولما جهز صعدت به الخادمة التي سمعت كل شيء من وقوفها بباب غرفتها .. هم يتشاجرون

أمامنا لا يعيروننا أي انتباه ..وقالت لي: إن السيد يتفرج على التلفزيون في غرفة النوم ، فأغلقه بدخولها ، وتناول الحليب منها وسمعت إغلاق الباب بالمفتاح كما يفعل منذ تزوج ثانية .. هو كان يترك الباب مفتوحا ؛ لندخل بما يطلب ، وهو على السرير ، ولا يحتاج لفتح الباب لنا .. وعندما عادت الخادمة كانت ساعتي تقترب من الثانية عشرة والنصف .. وهذا آخر الوقت الذي علمت بأنه حي .. وقالت السيدة : لقد أغلق الباب متوترا وغاضبا على ابنه .. ودخلت حجرتي بعد أن دخلت السيدة حجرتها .

ـ هل نمت مباشرة أم سهرت ؟

ـ لم أنم فورا يا سيدي! بعد دقائق من عودة لانكا فتحت الحجرة ، وتفقدت أبواب القصر الباب الرئيسي حيث يدخل الضيوف ، وهناك باب يؤدي إلى الحديقة الخلفية ونادرا ما يستخدم .. وهناك باب بجانب المطبخ يستخدمه السيد عندما يريد الخروج للتمشي خاصة في الليل ، ونستخدمه نحن الخدم لإحضار بعض المزروعات التي يحب السيد إضافتها للطعام والشاي كالنعناع والبقدونس والبصل الأخضر .. تأكدت سيدي من إغلاقها .. حقيقة أصابني قلق من مشاجرة الليلة ، وخشيت على السيد من أعراض الجلطة القلبية أو الدماغية ؛ لكنه ربما اعتاد على طلبات ابنه فيتظاهر بالغضب ، والله أعلم ..ثم دخلت المطبخ وصنعت كوبا من الشاي ، وعدت به لحجرتي ، وسمعت صوتا حسبته صوت السيدة ، وظننت أنها قلقة مثلي .. وفعلا كانت قد أحست بي ، وقامت إلى المطبخ وأخذت كوبا من الشاي ..كانت ليلة صعبة .. نحن نحب استغلال أي ساعة للنوم ؛ لأننا يجب أن نصحى على أي جرس يصدر عن السيد خشية أن يتوعك صحيا .. والدقيقة يا سيدي لها قيمتها .. بدت لي هذه المشاجرة مثيرة وغريبة عن غيرها من المشاجرات .. وهذا تأكد بعد حدوث الجريمة .. بعد الشاي غفوت ومن خلال النوم سمعت صوتا .. ولم يقع في نفسي أنه صوت غريب .. المهم تقلبت وتابعت نومي .

ـ ما وجه الغرابة في المشاجرة ؟!

ـ لا أدري بالضبط ! لقد حضرت مشاجرات كثيرة خلال هذه السنوات ؛ ولكن كان في هذه المشاجرة غموضا !

ـ أكانت مفتعلة من طرف عادل ؟

ـ لا أدري ! لكنها أول مشاجرة تحدث بينهم بعد موت السيدة سميحة .. أكثر المشاجرات كانت تحدث مع السيد نافز ابن الزوجة الثانية .

ـ ألم تسمع صوت الرصاص ؟

ـ إذا كانت غرفة السيد مغلقة فمن الصعب سماع

الصوت خارجها خاصة أنها بعيدة عن مناماتنا نحن الخدم .

ـ الرصاص صوته مرتفع وحاد ومميز !

ـ أنا لم أسمع كنت مستغرقا في النوم ؛ وربما استخدم القاتل مانع للصوت كما نرى في الأفلام

ـ قصدك كاتم الصوت .

ـ آ ، يا سيدي كما نرى في الأفلام والمسلسلات!

ـ وجدنا المسدس ، ولم نجد كاتم الصوت .

ـ لا أدري يا سيدي ! أنا لم أسمع صوت الرصاص ..والسيدة لم تسمع شيئا أو أنها خائفة .

ـ أنتما لم تستيقظا على صوت الرصاص ..هل ظللت نائما للصبح ؟

ـ لا ، السيد يستيقظ لصلاة الفجر ، ويطلبني أحيانا لشاي لقهوة بالحليب عند الصلاة أو بعد الصلاة ..وهو بعد الصلاة يعود للنوم .. وفي أحيان هو نفسه يصحو متأخرا عن آذان الصلاة ، فيصلي متأخرا ، ثم ينام بعد الفطور المبكر .. فلذلك لم يخطر في بالي أنه مقتول ، وصبرت ؛ لأننا على موعد التاسعة والاستعداد لجلسة المحكمة .

ـ استيقظت ،وظللت أنتظر الجرس، ولما لم يرن الجرس عدت للنوم .

ـ ولكن الخادمة تقول إنك فتحت باب حجرتك!

ـ نعم ، فتحت الباب ونظرت حجرة السيدة ؛ ربما رن السيد عليها .. في الأصل أنا خادم للسيد وهي للسيدة سميحة ، وكل له اختصاصه ، وبموت السيدة ظلت السيدة تعمل في للقصر .. ولما تزوج عادت تخدم السيدة هادية .. مشيت إلى باب حجرتها ووجدتها معتمة ، فعدت لحجرتي وأغلقت بابي ، وعدت للنوم .. يبدو أنها كانت مستيقظة وخائفة .

ـ هل تعلم أن لدى السيد أسلحة مسدسات ؟

ـ نعم أعلم ، وكان أحيانا يستخدمها داخل القصر

ـ يستخدم المسدس ..كيف ؟!

ـ هو كان يحب الصيد من أيام الشباب .. وكان يرتب كما يخبر لرحلات صيد .. وكان يملك بنادق للصيد .. وهي موجودة في القصر الريفي .

ـ أله قصر ريفي ؟!

ـ له كثير من العمارات يا سيدي.. فهذا القصر أحدثها .. بناه عندما قاعد نفسه

ـ كيف كان يستخدمه في القصر ؟

ـ كان يستخدم السلاح في قتل القطط ، كان مبغضا لها ، ولا يحب رؤيتها في القصر .. ينزعج منها عندما يراها .. حدث أن كرهها منذ الصغر لأذى أصابه منها.

ـ فكان يطلق عليها النار ..أقتل منها شيئا ؟!

ـ الكثير .. هو عدو كبير لها .

ـ إذن الكل يعرف أنه يملك المسدسات .

ـ أجل يا سيدي ! وهذا أمر معروف .. ولما كان

يدير العمل بنفسه ،كان يحمله معه .. وكان في السيارة مسدس آخر .. وكان أثناء الغداء يضعه على المائدة لصيد القطط خاصة إذا تناول الطعام في الحديقة أو العريش .

ـ ألم يحتج أحد على ذلك التصرف ؟

ـ ربما تعودوا عليه ..فأصبحت عاداته معروفة .

ـ أكان يسيء إليكم بالكلام وردود الأفعال ؟

ـ لا ، أبدا كان نعم السيد .. هو هادئ إلا إذا استفز من غمز أو لمز أو كلام لم يرتح له .. وحزن جدا على وفاة زوجته أم مفتاح حتى وقع في قلبي أنه سيموت حزنا وكمدا عليها ؛ لذلك عجبت لما رأيته يستعجل بالزواج بعدها مما بدا لي من الحزن عليها. انتهت الحلقة ١



قلب الوطن

اختفاء البدن

الحلقة الأولى

الثانوية

" اليوم نتائج التوجيهي"

هذا ما قاله عبد الرحيم في ذلك الصباح الصيفي لأخيه عبد القادر ، فرفع عبد القادر الغطاء عن رأسه وقال بصوت مرتفع : يا أخي قل أولا صباح الخير .. كل الدنيا تعلم أن اليوم نتائج الثانوية العامة

رد عليه عبد الرحيم : خفض صوتك .. لا ترفعه الدنيا الصبح لم تشرق الشمس بعد

فتحت الأم الباب وأدخلت رأسها قائلة : صباح الخير يا أولاد .. لقد سمعت صوتكم هل استيقظتم ؟

قال عبد الرحيم باشا : أهلا أمي سلام الله عليك .. أنا منذ آذان الفجر لم انم .. عبد القادر صلى ونام اليوم سنسمع الزغاريد يا أم سميح !

ـ إن شاء الله يا أولاد .. نحن واثقون من نجاحكم لكننا نطمع بمعدلات عالية منكم .

قال عبد القادر : إن شاء الله إن شاء الله يا أمي نرجو أن نحقق افضل النتائج .. كم تتوقع معدلا يا عبد الرحيم ؟

هرش رأسه ورد: نحن كما قالت أمنا الكريمة سننجح بإذن الله تعالى .. وأنا أتوقع لنفسي يا أمي فوق الثمانين لا اقترب من التسعين ، ولا ادري ما يتوقع شقيقي التوأم .

ضحك عبد القادر وجلس وقال : ألا يشاع أن التوائم يكونون مثل بعضهم البعض ؟

ـ ولكننا توأمان غير متشابهين.. هل غادر أبي يا أمي ؟

قالت : بعد .. اخرجا وافطرا معه ما دمتما مستيقظين .

ضحك عبد الرحيم ونهض يمطط يديه وقال : سأدخل الحمام دقائق واغسل وجهي

قال عبد القادر : نحن أخر الركب يا أم سميح .

ـ نعم نعم أنتم أخر العنقود ولادة وتوجيهي .. الحمد لله على نعمه وفضله ..أنا سعيدة بنجاحكما وعقبال تخرجكم من الجامعة

ـ إن شاء الله يا أمي تفرحين بتخرجنا من الجامعة .

انتقلوا لغرفة المعيشة لمشاركة الوالد محسن بالفطور البسيط ، ودار الحديث بينهم حول نتائج التوجيهي ، فهذا حدث مهم في حياة الأسرة الأردنية وفي حياة الأسرة الفلسطينية الأصل في جميع المهاجر ؛ فليس أمامهم إلا الشهادات والتعليم، فالأرض أخذها المستعمر الإسرائيلي.

تناول المستيقظون الإفطار مبكرا ، وانطلق الأب بالاستعداد للذهاب إلى عمله ، وأخذ الشابان بالاستعداد للذهاب للمدرسة الثانوية لرؤية النتائج على جدران الإدارة حيث تعلق أسماء الطلبة ومعدلاتهم وقالت لهما أمهما وهي تودعهما : ستجدان سميحا في انتظاركما بعد قراءة العلامات فسيأخذ مغادرة من المؤسسة مع السلامة .

والتفت للبنات خلفها اللواتي استيقظن ـ وهن قد حضرن من ليلة امس للفرح مع أمهن بنجاح إخوتهن ؛ حيث كن متزوجات من أقاربهن ـ وقالت بفرح : علينا بتنظيف البيت سيهل علينا الحبايب والجيران لما ينتشر خبر النجاح .

غمر البيت الفرح ، وكان الناس رغم التشرد والبؤس يستغلون لحظات السرور بكل سعادة ومرح وحلوى وقد تكفل بها السيد سميح بكر محسن وزوجته .

للسيد محسن سالم وزوجته ثمانية مواليد آخرهم التوأم عبد القادر وعبد الرحيم ، وله تؤام من البنات أيضا أكبر منهما ، ففي أسرته وأشقائه هذه الظاهرة ولادة التوائم ، وستتعرف عليه خلال سطور هذه القصة ، فهي أسرة فلسطينية مهاجرة ، وشملها التطهير العرقي الصهيوني العالمي كانت مؤامرة تشريد الشعب الفلسطيني مؤامرة كبيرة لم يستوعبها الشعب العربي والمسلم إلا بعد زمن ، فهي تختلف عن سائر الاستعمار الإنجليزي والفرنسي لبلاد العرب والمسلمين ، لم يهجر الشعب الجزائري من بلاده وكذلك التونسي والمغربي والمصري والليبي وكل من نعرف أنه تعرض للاستعمار الغربي الظالم .

نحن في صيف ١٩٧٩ كانت المدرسة الثانوية الكبيرة تستقبل طلبة الثانوية العامة التي تسمى شهادة التوجيهي للاطلاع على معدلاتهم في الامتحان الذي تعقده وزارة التربية والتعليم

لطلاب الثالث الثانوي كل سنة ليتأهلوا للالتحاق بالمعاهد المتوسطة والجامعات المحلية والخارجية.

. كانت تعلق كشوفات النتائج على الجدران الزجاجية في مدخل الإدارة للمدرسة لتعرض على الطلبة والأهالي بدون زحام شديد .

وكانت السيارة الخاصة بالمصلحة التي يشتغل فيها سميح أبو محسن ـ سماه على اسم والده ، فهي عادة شائعة تسمية الأولاد على اسم الجدة والبنات على اسم الجدة رغم أن بعض الناس قد تتشأم وتتطير من فعل ذلك في حياة الأبوين ـ تقف في الشارع العام الذي أمام بوابة المدرسة الرئيسية ، وعدد كثير من السيارات في انتظار خروج أولادهم ، وسميح هو الشقيق الأكبر لعبد الرحيم وعبد القادر من مواليد أول الهجرة ولد سنة ٥١، كان الرجل ينتظر خروج اخويه جالسا مراقبا لبوابة المدرسة العريقة في العاصمة عمان ؛ ربما تكون هذه المدرسة اقدم مدرسة ثانوية حكومية في المدينة أو من أوائلها .

ولما ابصرهما يخرجان من البوابة هبط عن مقعد القيادة باشا وجهه مستقبلا لهما وهما يتجهان نحو السيارة فرحب بهما ومهنئا لهما ، فقد كان الفرح يغمرهما بوضوح فقال مازحا : هل أقول مبارك النجاح ؟

ـ وهل تشك بنجاحنا يا أبا محسن ؟!

ضحك سميح وقال : أبداً أبداً.. قصدي هل حققتما العلامات التي حلمتما بها كما تخبر أمي ؟

قال عبد القادر : يعني !!

ـ ماذا تعني يعني هذه ؟!

فقال عبد الرحيم : حصلت اربعا وثمانين درجة الفرع العلمي

قال عبد القادر : وأنا حصلت خمسا وثمانين فقط لم نصل للتسعين

ـ مبارك مبارك نجاحكما بهذا المعدل .. المهم النجاح أيها الأحباب .

وعاد لمعانقتهما ثانية وهو يقول : اركبوا حتى أوصلكم للبيت وارجع للمصلحة فقد أخذت مغادرة من أجلكما ولأفرح معكما .

ـ الشكر لك يا أبا محسن عقبال عند محسن إن شاء الله .

قال عبد الرحيم : ونحن نغادر أخبرتنا الأم بأنك ستكون في انتظارنا عند مدخل المدرسة لتكون من أول المهنئين

وأبديا له شكرهما وامتنانهما وركبا السيارة وهما في الطريق قال : ما ترغبان بدراسته بعد التوجيهي ؟

رد عبد القادر التوأم الذي ولد قبل عبد الرحيم بنصف ساعة: أنا يا أخي الفاضل سأدرس هندسة مثل سمور وعاصم بس هنا في الأردن .. والعجيب أن أخاك عبد الرحيم سيدرس في كلية

الشريعة معه انه توجيهي علمي !

ـ شيخ يعني !

فقال عبد الرحيم : ليس شرطا أن أدرس شيخا أي إماما يا أبا محسن .. اطمع بأن ادرس كل الشهادات العليا البكالوريوس الماجستير الدكتوراه بعون الله .

ـ ما شاء الله .. طموح كبير .. الله يوفقك .. وأنت يا عبد القادر ادرس طبا أو صيدلة .. عندنا مهندسان .

تبسم عبد : ربما المعدل لا يسمح بذلك .. فالهندسة ارجح .

ـ مبارك للجميع ، بعد الدوام سأمر أنا وأم ومحسن والأطفال

قال عبد الرحيم : أهلا وسهلا بك وبأم محسن

وقال عبد القادر مداعبا : البيت بيتك والأهل أهلك .. يا مرحبا بابن أخي محسن الذي سيهنئ أعمامه بالنجاح عقبال عنده .

ـ شكرا شكرا .. إن شاء الله

لم يكن البيت بعيدا عن مدرسة الشباب ، لكنه رغب بأن يكون أول المهنئين . سميح ولد بعد النكبة بسنوات قليلة في عام ١٩٥١ كما سبقت الإشارة قبل سطور .

دراسة الشريعة

في ذلك الزمان الذي بدأت فيه القصة كان النجاح في الثانوية العامة شأنا هاما ؛ بل ربما يتقرر مصير الفتى في الحياة بتلك الورقة الهامة ؛ فاذا نجح تفتح أمامه أبواب الجامعات والمعاهد المتوسطة والشهادات العليا للالتحاق بالعمل في العمل الحكومي والقطاع الآخر الخاص .. واذا لم ينجح تغلق الوظائف الحكومية الإدارية والسياسية والاقتصادية في وجهه .. الشهادة لها دلالتها في مجتمع نام صاعد .. وسلم للمستوى الاجتماعي والجاه .. حتى لو احترف الشخص حرفة ثمينة ؛ وربما كان دخلها المادي عاليا وأكثر من دخل الوظيفة مرات يبقى في نظر الناس دون الوظيفة الحكومية الإدارية .. قد يوظف المواطن في الحكومة دون شهادة كسائق كعامل كحارس كفراش .. للتعليم شأن مهم في تلك السنوات .. والكل يرغب أن يتعلم أولاده ويدرسون في الجامعات .. التشرد وترك الديار والنفي القسري أوجب عليهم التركيز على الدراسة بقوة وعزيمة وكثرة .

والشهادة قد يكون دخل حاملها ضعيفا ماديا ؛ ولكنه يعتبر متعلما مثقفا .. لها قيمة اجتماعية لدى الناس والمهجرين من قرى ومدن فلسطين نتيجة إنشاء كيان صهيوني لليهود في بلادنا وعجز الشعب والعرب عن منعه .. هكذا كانت تلك الشهادة في فترة بداية هذه القصة .. هي هدف بحد

ذاتها لكل طالب .

تيسر امر الدراسة بسرعة .. فقبل عبد الرحيم في كلية الشريعة في اهم جامعة أردنية في كلية الشريعة .. الجامعة الأردنية الأولى في حياة المملكة الأردنية كلية الشريعة في الجامعة الأردنية هي كلية إنسانية تابعة للجامعة الأردنية، الكلية هي ثاني أقدم كلية في الجامعة ، تأسست في منطقة جبل اللويبدة في قلب العاصمة ، تأسست كلية الشريعة عام ١٩٦٤ في منطقة جبل اللويبدة بتخصص شريعة عام، وانضمت الكلية إلى الجامعة الأردنية عام ١٩٧١، الكلية لها مبنيان، وتضم أربعة أقسام، وهم: قسم الفقه وأصوله، وقسم أصول الدين، وتعتبر الكلية الرابعة في الجامعة من حيث الإنشاء ، وفي أول نشأتها كانت كلية الشريعة تمنح درجة البكالوريوس في الشريعة عامة ، ثم ظهر قسم أصول الدين مستقلاً عن قرينه قسم الفقه والشريعة عام ١٩٧٧ .

وقبل عبد القادر في كلية الهندسة التي أنشئت عام ١٩٧٥ م.. ورغم دخل الوالد المحدود للغاية تمكنا من الدراسة بمساعدة الحكومة ونظام الابتعاث والمعونات .

احب عبد الرحيم الدراسة في كلية الشريعة دون سائر الكليات رغم تخرجه من الفرع العلمي الثانوي ورغم معدله الجيد في ذلك العهد .. فمعدله يتيح له الفرصة في الدراسة في الكليات العلمية كالهندسة والتمريض والصيدلة والمختبرات .. قال " كان السبب الحقيقي هو حبي الأول للدين عن علم ومعرفة رغم أن أسرتي لم يكن طابعها العام التدين العميق .. دينها الدين التقليدي للناس .. لم نكن أسرة دينية .. اعتدت أن أرى أمي وأبي يصليان ويصومان رمضان ويهتمان بالمناسبات الدينية كسائر الجيران والأقارب من حولنا .. ومع ذلك كان لي أخوان ملحدان أو احدهم على الأقل ربما هذا سبب خفي حمسني لدراسة الشريعة .. لم يكن الإلحاد بسبب البيت ؛ إنما بسبب الأصحاب والبيئة التي عاشا فيها ..احدهم يزعم أنه ماركسي اكثر من ذاك الماركس والآخر تأثر به فاضطربت الأفكار عنده .. ولم يكن ذاك الملحد إنما هو كسول عن الطاعة والصلاة وسأعرفك عليهما من خلال هذه الرواية كباقي أفراد الأسرة "

نحن بدأت مأساتنا قبل أن نلد ونخرج للدنيا ـ وهكذا الدنيا ـ عندما غادر الآباء والأمهات والأجداد والجدات فلسطين الساحلية على اثر ما سماه المؤرخون والناس والساسة النكبة الفلسطينية ١٩٤٨م.

حدث على ارض فلسطين معارك ضارية لانتزاع

جزء من فلسطين التاريخية ليكون وطنا قوميا لليهود المهاجرين من روسيا وبولندا وشرق أوروبا .. فصنعت بريطانيا العظمى بعد الحرب الكونية الثانية الوطن القومي لليهود على ساحل فلسطين في المرحلة الأولى .

شعب فلسطين كسائر الشعوب العربية شعب بسيط شعب اغلبه من الفلاحين المزارعين .. يطرد من عقر داره قسرا ، شعب شردوه لإقامة ذلك الكيان الغاصب .. ولكنه شعب يحب

الحياة والإرادة الحرة .

قال عبدالرحيم : "وقد لا أكون ولدت في مخيم للاجئين الفلسطينيين كالكثير من أبناء الشعب أو لم يضربه الفقر والتشرد بنابه كالأوائل لأني ولدت في مدينة فلسطينية فيما عرف فيما بعد بالضفة الغربية كما سمي الأردن شرق نهر الأردن بالضفة الشرقية بسبب الوحدة الاتحادية الكاملة بين الضفتين في عهد الملك عبد الله الشريف الهاشمي القادم من الحجاز قبل نهاية دولة الحجاز . فعندما أصبحت المملكة الأردنية الهاشمية تمت الوحدة بين المدن التي غرب النهر ولم تسقط بين يدي اليهود اثر هزيمة العرب ١٩٤٨ واثر قرار تقسيم فلسطين لثلاث دول وحتى القدس الشريف قسمت قسمان غربي لدولة إسرائيل وشرقي لدولة الأردن .. فكانت نابلس والخليل وجنين ورام الله وطول كرم وقلقيلية تحت الحكم الملكي الأردني بعد عام ١٩٤٩ .

كان الأردن أيام الانتداب الإنجليزي وقبله يسمونه شرق الأردن لأنه يقع شرق نهر الأردن الشهير في الكتب المقدسة القديمة .

والأردن الشرقي فيه عمان عاصمة الهاشميين المعاصرين ، والسلط ، ومأدبا وجرش وعجلون واربد والرمثا والمفرق والأزرق والزرقاء والكرك والطفيلة ومعان والعقبة في اقصى جنوبه .

عمان العاصمة للأردن المعاصر المدينة العريقة في القدم يقال إنها سميت عمان لقبيلة يقال لهم العمونيون سكنوها ، وقد ورد ذكرها في احاديث النبي ﷺ كما جاء في بعض احاديث الحوض

عمان عاصمة الأردن الحديث كانت مطلع القرن العشرين قرية صغيرة ؛ ولكن لما اتخذها الملك عبد الله بن الحسين الهاشمي عاصمة ملكه كبرت رويدا رويدا.

ولدتني أمي في الغرب من نهر الأردن ، ولما هزم العرب مرة أخرى ذهب الجزء الغربي من المملكة لليهود وذلك عام ١٩٦٧م رحلنا إلى النصف الشرقي .. فنحن من رعايا المملكة الهاشمية منذ عام ١٩٤٩ رحلنا بحكم عمل الوالد .

فمأساتنا بدأت قبل أن نلد عندما طردنا الإنجليز والاستعمار والحركة الصهيونية مخلب الاستعمار

بعد الحرب الكونية الثانية من أرضنا ومدننا وقرانا وقد سرقوا البلاد وتشرد عشرات الألوف ومئات الألوف.. إنها مأساة كبرى كتب عنها الكتب والأسفار والأشعار .

لم يكن الخروج سهلا من الديار لقد قدمت فلسطين عشرات الألاف من الضحايا والشهداء قبل النكبة وأثناء النكبة ثم بعد النكبة ولا زالت تقدم الشهداء ، لم يبخل الناس بأموالهم وانفسهم ، لكن شراسة الأعداء وقلة أو ضعف المساند أدى لتلك النكبة لم تجد المقاومة الدعم الحقيقي للقاء العدو ..بل وجدت التخاذل ووعود الهواء والأماني ولم يكن القتال بالهوية الدينية والإسلام كانت شعارات المرحلة القومية العربية والسلاح غير المناسب وتعدد الجيوش باسم الجامعة العربية وبرؤوس كثيرة فكانت هزيمة للجيوش السبعة وكارثة قومية دمرت الشرق الأوسط كله لليوم .

***

لقد حاول أخي المهندس سمور بقوة ثني عن دراسة الشريعة ، واعتبر ذلك من الجنون والغباء والتخلف العقلي ، واعتبر هذا العلم علما باطلا وخائبا ، وأيده أخي عاصم في تلك الأوصاف ودار بيني وبينهم جدل ونقاش ، فكلاهما هاجر لبلغاريا وتعلم الهندسة ، وعجبت جدا من موقفهم الغريب نحو دراستي للشريعة ، وتساءلت من الذي سيدرس أنا أم هما ؟ وكانت سخريتهم من اختياري سخرية مقيتة في نظري ورغم حملهم شهادات جيدة فكلاهما يحمل شهادة هندسية من أوروبا الشرقية ، فاعتبرتهم مع أني اصغرهم عمرا جهلاء أغبياء جرفهم تيار الإلحاد الذي يتبجحون به ومما سمعته منهم تلك الأيام :

يا رجل هل يوجد احد في الدنيا يدرس الدين ؟! ويضيع من عمره اربع سنوات ليتعلم قراءة المصحف وكيف يصلي ؟

فقلت لهما مستسخفا السؤال : ولماذا وجدت كليات الشريعة في الجامعات العربية والعالمية والأردنية ؟ لا تكاد دولة عربية أو إسلامية إلا وفيها كليات شريعة .

فقال عاصم بحيرته المعهودة فما هو إلا ببغاء لسمور الذي ساعده بالسفر لبلغاريا ودراسة الهندسة مثله على نفقة الحركة الشيوعية العربية :

والله لا ادري فعلا لماذا ؟! ألم يمت الدين في أوروبا وشاعت العلمانية ؟!

فقال سمور مبررا سخطه : دراسة الدين اليوم ثقافة فقط .. كما يدرس تاريخ الأمم الهالكة .. ودراسة تاريخ الأديان والتراث القديم ثقافة ومعلومات .. ماذا ستجني من دراسة الدين يا مجنون ؟

تبسمت لحمقهم وقلت : سأزداد معرفة وفهم

للدين الإسلامي.. أتعرف على دين الأمة .. وهل يلزم اذا أنتما كافران بالأديان أن اكفر مثلكما ؟! اعتبروها ثقافة فقط

احتد عاصم وصرخ محتجا وقال :أنا لست كافرا .. لست ملحدا .. أنا اؤمن بالخالق ووجوده .. ولكني اؤمن بالاشتراكية لحل مشاكل العصر والفقر وهي الحل الأمثل لتساوي الناس في معيشتهم وحياتهم .

ـ وهل يستوي النائم والمستيقظ ؟ والذي يعمل والذي لا يعمل ؟

فقال سمور مستدركا لرفض عاصم الكفر : لا يهم اليوم أن نعتقد بوجود اله يدير هذا الكون .. الدين يعطل الطاقات ويضيق الحياة على الناس.. هذا حرام هذا حرام .. هذا جائز هذا غير جائر .. صلاة .. صوم .. جامع

صحت بهما قائلا : لا يمكن أن اقتنع بتفاهاتكم .. أنا مؤمن .. أنا مؤمن

فصاح عاصم محتدا : تفاهات .. انك إنسان تافه .. دعنا منه يا سمور.. ليدرس الجغرافيا أيضا .. أستاذ الجغرافيا عبد الرحيم وصف جيد ولائق به .. جيد هذا الاسم أمام طلاب المدرسة

فأجابه سمور : هذا إهانة لنا يا عاصم .. سيندم غدا عندما يعين مدرسا لمادة التربية الإسلامية ببضع دنانير ليحفظ الطلاب سور القرآن .. علينا إنقاذه مما هو مقدم عليه ..

ضحكت قليلا وقلت : أنا الذي عليّ أن أنقذكم من الضلال والكفر والإلحاد .. أنا مؤمن وموقن أنكم غير مرتاحين في دنياكم .. أنت ماذا كسبت من إلحادك ؟ لقد سافرت أوروبا الشرقية وأنت تحمل أفكار ماركس ولينين .. كيف وجدت حياتهم ؟ الماركسية لا تصلح لنا ولبلادنا .. نحن دول فقيرة لسنا دولا صناعية لتكون عندنا مشاكل عمال ضخمة .. أين المصانع التي يعمل عشرات الألوف من العمال ؟ فظروفنا ليست كما يقول أستاذنا جابر ليست بحاجة لاشتراكية السوفييت وكفر السوفييت .. ولا علمانية أمريكا وأوروبا الغربية .. نحن لنا دين الهي علينا أن نعتز به ونفخر به أمام كل العالم

هتف سمور ضاحكا متهكما : والله ها أنت تعرف أسماء ماركسية ومشاكل العمال والمصانع

ضحكت وقلت متهكما : جميل أن تقول الله .. بعدك لم تنس اسم الله

التفت سمور لعاصم وقال : كما تقول أنت لينين أقول الله ..

ـ جيد ! أنا ربي الله وأقرأ كتابه .. وأنت ربك لينين .. ولا تعرف عنه كتابا تقرأه مجرد كلام وشعارات وورقات فارغة .. وإذا قرأت تقرأ ما ترجم لك عنه وما أرادوا أنه يوصلوه لك من فكره العفن ..

فقال عاصم مستسلما : دعنا منه .. فليدرس ما يشاء

واستمر الجدال بيني وبينهم حول دراسة الشريعة في الجامعة الأردنية في عمان حتى التحقت بالجامعة وبدأت كتب الشريعة تهل على البيت فخفتت هذه الحوارات بيني وبين اخوي الملحدين وإن كان عاصم اقل كفرا وإلحادا من سمور .. أسال الله لهم الهداية .

حي القلعة

سكنّا في حي القلعة في وسط عمان العاصمة ، يخيل لي أنه من الأحياء القديمة في المدينة العامرة الصاعدة .. القلعة مكان اثري قديم ربما ينسب للرومان وهو يطل على المدرج الروماني المعروف بعمان وسط البلد .

جبل القلعة أحد أقدم جبال مدينة عمّان السبعة والذي اتخذه العمونيون منذ القدم مقراً لحكمهم في المدينة، ومن بعدهم كل من اليونان والرومان والبيزنطيين الذين احتلوا المدينة على التوالي إلى أن هلّ عليها الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي، حيث بني على قمته القصر الأموي ، وبرز جبل القلعة حيث كان مقر عاصمة العمونيين، والذي ما زالت بقايا قصور العمونيين ماثلة فيه ، مثل جدران الأسوار، والآبار المحفورة في الصخر الجيري ، كما عثر في جبل القلعة على أربعة تماثيل للملوك العمونيين تعود إلى القرن الثامن ق.م ، يوجد في جبل القلعة أيضاً، آثار وأعمدة رومانية ومعبد لهرقل، كذلك يحوي على آثار إسلامية تعود إلى العصر الأموي ، حيث القصر الأموي ، بالإضافة لذلك يوجد متحف الآثار الأردني على قمة الجبل يحاكي تاريخ الأردن بشكل عام وعمّان بشكل خاص .

يرتفع جبل القلعة حوالي ٨٠٠ متراً فوق سطح البحر، وهو يتمتع بمزايا عسكرية واستراتيجية؛ حيث كان محاطاً بسور عالٍ وضخم، وكانت تقوم عليه أبراج للمراقبة والتي كانت ترتفع إلى عشرة أمتار تقريباً ، يوجد على جبل القلعة هيكل هرقل (أو يدعى معبد هرقل) ، والذي بناه الإمبراطور الروماني أوريليوس، وقد نصب تمثالاً لهرقل عند مدخل الهيكل وتدل بعض النقوش التي وجدت في الموقع بأن المعبد كان قد شيد في السنوات ١٦١- ١٦٦م ، والذي بقي من المعبد هو واجهة مكونة من ستة أعمدة ضخام؛ كما يوجد على قمة جبل القلعة متحف الآثار الأردني والذي شيد سنة1951 م لكي يكون الشاهد على حضارات قديمة والتاريخ العريق الذي مرَّت به المنطقة؛ كما يبين المتحف مراحل التطور التاريخي الذي مرَّ به الأردن ، يعد جبل

القلعة من أكثر المناطق جذباً للسياح في عمان، سواءً على المستوى
الخارجي أو الداخلي ، ويشاركه هذا الإقبال المدرج الروماني المقابل لجبل القلعة التاريخي وتقام على أكتاف جبل القلعة الحفلات الموسيقية، حيث يعتبر أحد أماكن الاحتفال الرئيسية ، نظراً لموقعه المطل على معظم مناطق العاصمة عمان- وخاصةً وسط البلد .

وتوجد منازل الناس اسفل جبل القلعة بينه وبين وسط البلاد من اغلب الجهات وبعض منازل الحي في وسط المدينة يفصلها عن شوارع وسط عمان عشرات الأمتار ..

ويبعد منزلنا عن وسط البلد كما نسميه سوى مئات الأمتار .. لم تكن ولادتي في عمان ؛ ولكن شبابي كان أكثره في عمان وشوارعها ، ووعيت تطوير وتحديث المدينة وعمرانها المستمر ، ورغم كره أبينا وأنا للسياسة واحاديثها فكل الأسرة تتحدث فيها وفي الأخبار التي تبثها الإذاعات المحلية والبي بي سي البريطانية .. أنا ولدت قبل حرب حزيران بست سنوات وكانت سبب خروجنا من الضفة الغربية للضفة الشرقية .. ورغم ابتعادي عن ذلك لكن الأحداث أحيانا تدفعك للمتابعة والسماع والتحليل والفهم خاصة أنت الفلسطيني ؛ لأن الكل يتحدث عن قضيتك وتشردك ومخيماتك .. فالمشاريع والأحلام لحل المأساة متشعبة ومتنوعة .. لا تدري لها أول ولا أخر .. اذا جرت انتخابات في بلد ما يحشرون الفلسطينيين في قضية الانتخابات .. سواء انتخابات مجالس إدارة محلية كالبلديات أو مجالس شعب وبرلمان .. الصراع الدولي اتخذ من قضية الشعب الفلسطيني حصان طروادة للمزايدات والانقلابات وبناء الأحزاب العربية والشرقية .. لماذا ؟! لا احد يجيبك بعلم وسبب .. تحليل .. وما اكثر المحللين ! وهم لا يملكون المعلومات الحقيقة .. أخبار تنشرها المجلات السياسية والاقتصادية والمخابراتية والمحطات الإذاعية العالمية .. في واشطن ولندن وباريس وموسكو .. قضية العرب فلسطين المحتلة .

كانت الثورة الخمينية في ايران بعد طول انتظار عام ١٩٧٩ في سنة التوجيهي شغلتنا وشغلت الأخبار والمجلات والصحف .. كانت الدول العربية خاضت ثورات خطيرة .. اشهرها الثورة على الملكية المصرية ١٩٥٢ والثورة اليمنية على الملكية اليمنية ١٩٦٢ والثورة العراقية قبل على الملكية العراقية ١٩٥٨ وكان ثورات فاشلة على ملكيات المغرب والأردن والسعودية .. ولا تنسوا انقلابات سوريا .. وقبل سنوات عشر كانت ثورة على ملكية ليبيا .. وها هي الثورة على الملكية الإيرانية

تنجح وظهر الثوار الشيعة وولاية الفقيه .. وبدأت تباشير الحرب العراقية الإيرانية تلوح في الأفق وكنت سنة شريعة أولى .

وكانت ثورة الخميني وعودته المسرحية من فرنسا إلى طهران حديث طلبة الجامعة ، ومنهم طلبة كليتنا .. لأنها كانت تحمل اسم الثورة الإسلامية ..لأن كثيرا من الناس لم يكونوا يفهموا ما هو المذهب الشيعي الاثني عشر حتى في لبنان حيث طائفة تحمل هذا المذهب العقدي تراهم يتزوجون من أهل السنة واهل السنة يتزوجون منهم .. الجهل من اهم الأسباب لهذا التصاهر والنسب، لم تظهر الفروقات حتى شاعت خلال الحرب العراقية الإيرانية بين الفريقين .. الخليج العربي .. الخليج الفارسي .. كان البعض يبني آمالا كبيرة على هذه الثورة .. الإخوان المسلمون .. وحزب التحرير .. وحركات إسلامية أخرى .. ثورة بدأت أنها تداعب وجدان الناس في الشرق الأوسط كما يسمى عالميا ..

ورغم ثقافتي البسيطة أيام الثانوية العامة ؛ ربما متأثرا من بعض شيوخ العلم في المدرسة والمسجد لم ترتح نفسي لهذه الثورة .. وأصيب الكثير من الإسلاميين بخيبة الأمل بعد حين حينما اشتعلت الحرب على البوابة الشرقية للأمة العربية كما يحب البعض ذكر هذا الاسم ..كنا نحلم أن سهام الحرب ستتوجه لفلسطين ، فقد تحولت سفارة إسرائيل لسفارة أو مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية ..واذا سألني احد عن هذا الموقف السلبي اتجاه تلك الثورة فكان جوابي يومئذ سطحي وبسيط .. عاطفي .. ثورة قادمة من فرنسا برعاية أوروبية .. لابد أن يكون هناك أسرار خلفها واسكت ..

ثم تفاجأ الناس مثلنا بحرب العراق وايران بعد الثورة بزمن يسير .. لماذا ؟ من المعتدي ؟ هل هو صراع حدود ونفوذ .. وسموا هذه الحرب حرب الخليج الأولى لأن الخليج العربي احد ساحاتها .

كنت تجد الطلبة المهتمين بالسياسة والأخبار في صراع بعضهم يقف مع ايران ويتهم العراق بالعمالة للغرب وينفذ أجندة أمريكية ودعم خليجي غير محدود ، وبعضهم مع العراق العربي القومي بسبب القومية والهوية العربية ؛ لأن نصف عرب العراق من اتباع المذهب الشيعي الجعفري .. وكلهم يردد اسم فلسطين .. الإيراني والعراقي .. أيهم الصح ؟ لست ادري .. ولليوم لم افهم لماذا كانت تلك الحرب العنيفة ؟! ولماذا هلك عشرات الألاف من الرجال والشباب والنساء في تلك الحرب ؟ وقيل الملايين .. وكلما يشتد الصراع العربي الفارسي كما يحلو للبعض بتسميته يشتد الصراع بين الطلبة حسب انتماءاتهم الحزبية

والفكرية .. حتى كنا نعجب من اصطفاف النظام البعثي السوري مع ايران مع أن البعث العراقي يحكم العراق أيضا .. حيرة !!

وكان خروج مصر من الصراع العربي الإسرائيلي مثيرا ومربكا ومعزوفة يتغنى بها الثوار والصحف والأخبار ..وقد نأيت بنفسي قدر الإمكان وبكل قوة عن الخوض في غمار السياسة لجهلي بالسياسة والأنظمة والحكومة .. وانشغلت بطلب العلم الشرعي على مقاعد الدرس في كلية الشريعة كنت كما يقال سمّيع ممتاز .. درست القرآن كتجويد في معهد التجويد والقراءات .. وسعيت لمن يسمون المشايخ الذين يتبرعون بعلمهم وجهدهم للناس بدون بمقابل ؛ كلما احدث عن شيخ معروف وحوله طلبة العلم الشرعي أسعى إليه لعلي احظى بالتعرف عليه والإعجاب بعلمه ونيل ما تيسر منه كنت أتحدث للحقيقة في السياسة بحذر وترقب .. إنهم يسمعون خبرا هنا وآخر هناك ويتقولون عليه شرقا وغربا .. بعضهم ينسب الأحداث لصراع خفي بين بريطانيا وأمريكا وبعضهم ينسبه لموسكو والصين والشيوعية .. فقد كان للعلمانية والقومية واليسارية سوقا رائجا في بلاد العرب

وعندما يحدث اجتماع للأشقاء في البيت عند والديّ كنا نعاني من الصراع الفكري والأيدلوجي بيني وبين سمور وعاصم اللذان عارضا دخولي لكلية الشريعة مع أني وجدت فيها آلاف الطلبة ومن المحزن أن تأثر بهم عبد القادر طالب كلية الهندسة واعتقد أن السبب هو لهوه مع فتيات الجامعة المتحللات وليس الفكر الماركسي ؛ لأنه فكر ضعيف وضحل وغريب على المجتمع المسلم بشكل عام وكله عوار وقد حارب الملكية العامة ثم تراجع عن جزء منها وحارب الأسرة فاصبح يبحث عن جيل جديد .. وقبل تخرجي بسنة دخلت إسرائيل عدونا البين المعلن ارض لبنان زاعمة القضاء على الفدائيين الفلسطينيين الذين يزعجون ويقلقون شمال إسرائيل .. وكان صراعا شديدا بين جيش الدفاع الإسرائيلي الاسم التمويهي الخبيث وقوات منظمة التحرير الفلسطينية .. كان شرق أوسط يغلي فعلا بالأحداث الجسام .. ولكن العلم والدراسة مستمرة كذلك .

***

الدراسة في الجامعة كانت ممتعة لي ، فقد تعرفت على اهم التيارات الدينية في البلد .. السلفية الناشئة على استحياء .. الصوفية الطرقية مثلها وطرق متعددة .. الحركات الإسلامية النشطة سياسيا هي حركة الإخوان المسلمون .. حزب التحرير الإسلامي .. أفكار التبليغيين لم يكن له زخم قوي بين الطلاب لأنها بطبعها بعيدة عن

الحزبية والسياسة ونشاطها في المساجد حيث عرفتهم .. أفكار التكفيريين والحاكمية القطبية خاصة بعد اغتيال زعيم مصر الأول وجدت من يتحمس لهم دون ظهور واضح لهم في كليتي .. أفكار أسماء تتردد .. الأفكار الشيعية والأحزاب الشيعية في المنطقة بسبب الحرب التي اشتعلت بين العراق العربي وايران الإسلامية .. لهذه الأسماء صدى في مدرجات الجامعة وكلية الشريعة .. ولا انسى الجهاد الأفغاني ورموزه الجهاديين حكمتيار .. سياف .. عبد الله .. ضياء الحق .. رباني .. لقد زاد الحوار حدة بظهور الحرب العراقية الإيرانية أو ما سميت بحرب الخليج الأولى .. بدأت تظهر الكتب والرسائل للعلن ببيان مذهب الرافضة والعجم .. وتنتشر كتب خصومهم .. فكنت اسمع واسمع ؛ ربما كما تعودت في سماع أخبار السياسة ؛ بل كنت اعتبر الحديث عنها حديثا في السياسة والأخبار الكثير من الشباب يجهلون المذهب الشيعي الإيراني وأنا منهم .. لأنه مجهول بين طلبة الشريعة لا يدرس إلا في باب العقيدة والفرق الضالة ..كان النقاش يقوى أحيانا ويضعف حين أخر .

سعى لكسبي جنديا في حزبهم وحركتهم بعض شباب تلك التيارات بل اعز صديقي في السنة الأولى " حاتم " التحق كما صارحني بجماعة الإخوان .. وحاول تشجيعي لحسم امري والعمل ضمن اسر تلك الجمعية .. واصطدمت بشباب ينتمون لحزب التحرير الذي أسسه القاضي تقي الدين النبهاني في مطلع الخمسينات .. وكان اهم أهدافه إعادة الخلافة للمسلمين ولكنه من حيث العدد ضئيل بالمقارنة مع الإخوان ، وجماعة الأحباب الهندية التأسيس .. وهذا الحزب يبحث عن النصرة لدى الدول العربية والإسلامية والضباط .. تعرفت على بعض أفراد المدرسة الصوفية بطرقها الكثيرة .. أفكارهم موجودة ؛ ولكن نشاطهم ضعيف ..ولم يكن لهم القوة والنشاط الواضح .. فهم بعيدون عن السياسة ومشاكلها .. لقد شاهدت جدالات بين الشباب المسلم والشباب اليساري المنتشر في كليات أخرى .. وكان الصراع يشتد بين الإخوان والتحريرين في بعض الأوقات .

وفي البيت كلما التقي بسمور أو عاصم يدور حوار حول الماركسية والشيوعية والاشتراكية وحركات العمال في أنحاء العالم وكوبا كاسترو وغيره من بلدان أمريكا الجنوبية ..كانوا يريدون حل مشاكل الفقر من تلك الغرفة الصغيرة ، وهم لا يحسنون التحدث باللغة الإنجليزية .. أنا اعرف أن أخي ليس بصاحب الفكر والعقل القوي المبتكر ؛ إنما يردد ألفاظ يحفظها أو لقنها ؛ قبل سفره للدراسة

في صوفيا وأثناء وجوده هناك مع شباب العرب من بقاع مختلفة الذين هم على شاكلتهم الإلحادية الفارغة .. الشيوعية حاربت الرق .. الشيوعية حاربت تعدد الزوجات .. الشيوعية حاربت الاستعمار .. الشيوعية انتصرت على النازية والفاشية واليابان .. الشيوعية حررت الضعفاء .. الشيوعية صنعت القنبلة النووية .. الشيوعية وصلت القمر وغزت الفضاء ويتعمدون جهلا أن الرأسمالية الغربية فعلت مثلهم وأكثر .. نسوا كم قتلت من المسلمين في آسيا .. كم اغتصبت من نساء المانيا عند احتلال المانيا وتقسيمها .. فإنه أمام الجدل والعلم يصمت ويحول الكلام إلى نشرة أخبار التقطها من رفاقه وزوجته ومن المجلات التي يقلبون صفحاتها ويعجبون بما فيها ؛ كأنها حقائق ومعلومات صادقة ..حب اعمى للهوى .. والحب يعمي ويصم .. وربما ينتقل الكلام إلى زوجته الملحدة مباشرة ؛ لأنه يعتبرها افهم أنثى في العالم في الفكر الماركسي اذا صح أن يسمى فكرا ..إنما هو توهمات وخيالات قصصية لم تثبت على ارض الواقع .. وسأذكر قصة زواجه منها وكيف تزوجها ؟ أما عاصم فهو ببغاء ومهرج شيوعي أمي لا فكر عنده ، هو اكثر اطلاعا وثقافة من سمور للحق ، ولا يحب حفظ ما حفظه سمور من أدبيات الستالينية ..هدفه من التعلق باليسار كشقيقه الأكبر منه بسنة ترك العبادات الإسلامية كالصلاة والصوم ليسمح لنفسه بالفواحش والآثام حتى لا يحاسبه احد ويلومه .. ولكنه اكثر تحفظا بعلاقاته النسوية ؛ بل سبقه عبد القادر بالجنس والغرام ..هو شيوعي بدائي كانت دراستهم في أوروبا الشرقية فرصة للزنا والخمور والترنم بأسماء كبار الملحدين في العالم .. مع أن كبار هؤلاء الملحدين عاشوا بما يسمى بأوروبا الغربية في بريطانيا وفرنسا وألمانيا .. فماركس وانجلز ربما لم يدخلوا روسيا أبدا ولم يحلموا أن تطبق الاشتراكية العلمية التي اخترعوها والشيوعية في روسيا والصين كانوا يحلمون أن يرونها في أوروبا الغربية ..لكنها موجة انحلال راقت للشباب العربي في تلك البلاد .. مع أن الإباحية الجنسية موجودة في أوروبا الغربية بدون الحاد ماركس وانجلز .. والدعارة لها بيوت ومواخير باسم القانون .. ولها أحياء وقرى .. ولكن الأسوأ بالنسبة لي أخي عبد القادر توأمي منذ صار في الجامعة في الهندسة هجر الصلاة التي كان يمارسها منذ عهد بعيد وكما اهتم بها أيام الثانوية العامة .. الصوم اصبح للأطفال والكبار في السن .. اصبح يصاحب الطالبات دون ذرة حياء ويقول هذه هي المدنية التي حرمنا ويتغزل ببنات الناس المتحضرات في نظره ..وكان يتكسب من

اخويه بسبب هذه التصرفات السخيفة ليغرق في المزيد من الشهوات .. الجنس والزنا اصبح عنده كالذي يأخذ إبرة بنسلين ..عملية بيولوجية تافهة .. فتيات متعطشات للفاحشة في نظره .. باسم الحب والعقدة الجنسية والكبت الجنسي .. كنت أتعجب من سقوطه إلى هذه الهاوية بسرعة الصاروخ .. كنت انصحه أول الأمر ثم أتشاجر معه بسبب ذلك الاستغراق في الشهوات والسهرات القبيحة حتى طلب مني عدم التدخل في شأنه الخاص .. الكفر والفواحش اصبحا شأنا خاصا لا يهم المجتمع .. واذكر في نفسي حديث النعمان بن بشير " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها " .. وأردد " هل اسكت ؟" .. فحمى الإباحية تغمر الشرق كما غمرت الغرب .. ولكن بصيص الصحوة الإسلامية واضح للعيان ..فها هي ثورة خميني يعدها بعضهم من بوادر تلك الصحوة .. لأن القومية العربية سقطت في حرب ٦٧ .. فطلب مني ترك الوصاية عليه .. وهو فرح في حياته الماجنة فاسكت حينا وأثور فيه حينا أخر .. وكان يقف مع سمور وعاصم محبوه في الانحلال والبعد عن الدين والتقاليد ؛ ولكنه لا ينكر الله وقدرته ؛ فكان ضائع من الضائعين المنبهرين بالحياة الغربية وأفلام هوليود الإباحية والخرافية .. هكذا كانت حياتنا في بيت القلعة

قبل تخرجي من كلية الشريعة في صيف ٨٠ تزوج عاصم ؛ لأن الكثير من الشباب في بلادنا يتزوجون في الصيف ، وتزوج من ابنة احد الجيران في الحي .. والغريب في هذا الزواج أن هذه الفتاة التي تزوجها شقيقي عاصم كما علمت من أمي أنها فتاة متدينة إلى حد كبير .. كيف قبلت بأخي ؟ لست ادري .. ومن العجب انه لم يتزوج شيوعية من حزبه وحزب سمور .. وقد سعى سمور ليزوج عاصما من رفيقاته ورفيقات زوجته ؛ لكن السيد عاصم أبى ولم ينكح رفيقة يسارية كسمور .

كان بيت العائلة صغيرا لا يسمح للمتزوج بالسكن فيه ، فكل من يتزوج عليه بالخروج ويستأجر بيتا ويرحل اليه .. بعد خروج عاصم بقي أنا وعبد القادر . . لأن سمور كان يعيش مع فتاة في شقة خاصة لأهلها دون زواج رسمي .

كان أبي وحتى والدتي لا يحب أفكار سمور وعاصم ، وندم ندما شديدا عندما وافق على أرسالهما للدراسة في أوروبا الشرقية وعادا ملحدين دون مواربة ، وسأذكر لكم قصة سفرهما في الصفحات المقبلة .. مع أن سمورا تشرب مبادئ الشيوعية والماركسية قبل الخروج للدراسة في أوروبا الشرقية .. التقطها كما علمت لما كبرنا من المدرسة الثانوية يبدو أن معلمين شيوعين كانوا ضمن فريق التدريس أثناء دراسته في تلك

المدرسة .. مع أن الأساتذة لا تنتشر مدارسهم الفكرية جهارا في المدارس العامة وحتى الخاصة حتى ذوي الفكر الغربي .

وخلال حرب لبنان أو ما سمي بالاجتياح الإسرائيلي للبنان ومحاصرة قوات منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت تزوج سمور الفتاة رسميا بسبب ولادتها للمرة الثانية دون عقد شرعي.

نحن أبناء أبناء فلسطين الهاربين الخارجين اللاجئين أي الأسماء قل قد صار التعليم لنا غاية ودينا .. الحصول على الشهادة اصبح كل شيء من جيل الخمسينات والستينات والسبعينات الأعمال والوظائف قليلة في البلاد العربية .. فكيف بالمشردين ؟ حتى في بعض البلاد محرم عليهم العمل إلا بأعمال محددة لا تتجاوز السبعين حرفة .. والزراعة والفلاحة انتهت بالنسبة لنا فكل سكان القرى من الفلاحين والزراع لقد ذهبت الأرض وقل الماء فكان التعليم والدراسة والجامعة الأرض الجديدة ، وساعدت وساهمت وكالة الغوث التي أنشأتها الأمم المتحدة لتعليم وتغذية اللاجئين في انتشار رقعة التعليم بين أبناء الفلسطينيين في جميع المخيمات داخل فلسطين وخارجها ، وكان مجال العمل بالشهادات متاحا لنا في دول الخليج العربي .. أكثره بعد السبعينات ؛ حيث كثر النفط وتخلت عنها حكومة بريطانيا الاستعمارية .. وذهبت أهميتها بزوال حكمهم عن الهند وتقسيمها إلى دول ، وكذلك رحليها عن قناة السويس المصرية ومكنوا لإسرائيل خنجرا في وسط الدول العربية ، ولا ننسى غروب شمس فرنسا عن المغرب العربي بدوله الخمسة .

تخرجت من الجامعة في صيف١٩٨٣ وكنت متقدما في الدراسة على الكثير من الأقران ، فمنحت فرصة لدراسة الماجستير كمبتعث إلى جمهورية مصر العربية .. فسافرت إلى مصر إلى ارض الكنانة والنيل .. وستكون الدراسة في جامعة الأزهر .

وسأحتاج لسنتين وقد تقل أو تزيد بعض الشهور .. وأنا هناك علمت بتخرج عبد القادر كمهندس .. ثم علمت بتجدد أسقام أمي القديمة وكنت استعد للرجوع للبلد لرؤيتها لرغبتها في ذلك وكنت منشغلا بتحضير رسالتي في تلك الأيام فترددت بالعودة العاجلة ولكن جاءني نعيها فبكيت وصدمت وندمت لعدم سفري العاجل إليها وعزيت نفسي قائلا:" قدر الله وما شاء فعل مصر بلد عظيمة وكثيرة السكان بلد النيل ، وتجد فيها الفكر بأنواعه المتعددة ونوادي أو صالونات البيوت والمقاهي والسياحة فقد حضرت اكثر من محاضرة في جمعيات فكرية وثقافية ونوادي فخضرت اكثر من ندوة حول الشيوعية

والاشتراكية والإلحاد وقرأت كتبا كثيرة عن ذلك ، محطات ومواقع السماع للفكر والصراع الفكري الإسلامي والعلماني تزخر به بلاد النيل أما المساجد فحدث ولا حرج فتجد خطبا صوفية إخوانية تبليغية وما اكثر طرق الصوفية فيها ، حزب التحرير لم يكن له فيها نشاطا يذكر لم التق بأي شخص يحمل فكره فكنت استغل كل فرصة من الوقت لسماع المحاضرات والندوات في المراكز العلمية أو المقاهي التي يجتمع فيها الأدباء أو الشعراء أو القصاص أو المناظرات الثقافية .. ولا انسى مقرات النقابات فتحدث فيها النزاعات الفكرية وبرامج الانتخابات وحتى مقرات الصحف والمجلات .

حضرت محاضرة في جمعية إسلامية فكرية في مدينة القاهرة وكان عنوان المحاضرة الإلحاد المعاصر ورجاله ، وكانت محاضرته عن تاريخ وزعماء الشيوعية المعاصرة .

قدم لنا اسم العالم المؤرخ الدكتور سيف وكأنه من دولة خليجية ، فلهم حضور كبير في الساحة المصرية ، وبعد تمهيد لدقائق قال عن الماركسية : التقى الألمانيان فريدريك إنجلز في باريس بكارل ماركس وذلك في عام ١٨٤٤،، والذي كان يراسله منذ مدة في باريس، تأثر ماركس بفكر الاشتراكيين الفرنسيين والحياة الفرنسية، وهناك كتب إنجلز وماركس كتاب «العائلة المقدسة أو انتقاد النقاد»، قبل عام من صدور كتاب «حالة الطبقة العاملة في إنجلترا«، ليضع الأسس للاشتراكية العلمية ، ومن عام ١٨٤٥ إلى عام ١٨٤٧، عاش إنجلز ابن الصناعة الألمانية في بروكسل وباريس، رابطا دراسته العلمية بالنشاط العملي بين العمال الألمان في هاتين المدينتين ، وفي تلك الفترة أقام ماركس وإنجلز علاقات مع المنظمة الألمانية السرية المسماة «عصبة الشيوعيين» التي عهدت لهما بعرض المبادئ الأساسية للاشتراكية، التي صاغاها.

أما ثورة عام ١٨٤٨ ، التي اندلعت أولاً في باريس، ثم امتدت إلى البلدان الأخرى في أوروبا الغربية، فقد جعلت ماركس وإنجلز يقرران العودة إلى بلادهما، حيث أصدرا «جريدة الراين الجديدة» التي كانت تصدر في مدينة كولونيا، وكانا محور جميع المساعي الثورية الديمقراطية في بروسيا، وقد دافعا بأقصى القوة والعزم عن مصالح الشعب والحرية ضد ما وصفوه بالقوى الرجعية، غير أن الغلبة كانت لهذه القوى ، فأوقفت الجريدة، وطرد ماركس حيث كانت قد انتزعت جنسيته البروسية أثناء هجرته، أما إنجلز فقد اشترك في انتفاضة الشعب المسلحة في ثلاث معارك ، وبعد الهزيمة هرب إلى لندن عن طريق سويسرا. بعد حركة

١٨٤٨ – ١٨٤٩، لم يكن نشاط ماركس وإنجلز في المنفى في ميدان العلم فقط ، فقد أسس ماركس في سنة ١٨٦٤ «جمعية العمال العالمية» التي قادها لمدة عشر سنوات، وكذلك أسهم إنجلز بقسط نشيط في شؤونها، أما «الجمعية العالمية» التي كانت حسب فكرة ماركس توحد البروليتاريين من جميع البلدان فقد كان نشاطها ذا أهمية كبرى في تطور الحركة العمالية ، وبعد وفاة ماركس، أصبح إنجلز المستشار والمرشد للاشتراكيين الأوروبيين ، توفي فريدريك إنجلز في ٥ أغسطس ١٨٩٥ في لندن ، لم يدركا نجاح أفكارهما وبيانهما الشيوعي في روسيا ، هلكا قبل ذلك .

هذان اهم أشخاص الشيوعية الحديثة التي سمياها الاشتراكية العلمية لاستغلالها العلم التجريبي للترويج لها بين المثقفين ، ثم تلاهما في التطبيق لينين وستالين بسبب نجاح الثورة في روسيا القيصرية وكان الحزب أو الأحزاب الاشتراكية من ضمنها ، لم تكن ثورة شيوعية وحدها كانت تضم كل الناقمين على حكم القيصر والأسرة الحاكمة أسرة رومانوف وعلى ورطة الاشتراك في الحرب الكونية الأولى ، وعلى ذكر أسرة رومانوف .. كانت هي الأسرة المالكة الثانية بعد أسرة روريك والأخيرة في حكم روسيا، فقد تأسست عام 1613 واستمرت حتى تنازل القيصر نيقولا الثاني في ١٥ مارس ١٩١٧، نتيجة لثورة فبراير.. الثورة التي مكنت البلاشفة بعد شهور من الاستلاء على البلاد ، ومن ثم حدثت الحرب الأهلية حتى استقر الحكم للشيوعيين بزعامة لينين وستالين وتروتسكي

وللعلم أنه جاء في أسفار تاريخ أسرة آل رومانوف أن أجداد أفراد الأسرة أتوا إلى روسيا من بروسيا إقليم في شرق ألمانيا في مطلع القرن الرابع عشر، لكن بعض المؤرخين الروس يعتقدون أن أصولهم تعود إلى مدينة نوفغورود الروسية.

نعود والعود أحمد .. الشيوعية الماركسية حرَكَةٌ فِكرية واقتصاديَّة ضد الرأسمالية والدين بكل مسمياته ومذاهبه وضعَها كارل ماركس وانجلز واشهر ما فيها أنها تقوم على الإلْحاد .. لا اله والحياة مادة ، لا وجود للروح والآخرة وتقوم على إلْغاء الملكية الفرديَّة عماد الرأسمالية الصناعية ، وإلْغاء التوارث لأن العائلات الصناعية كانوا يتوارثون أملاك العائلة الصناعية ، وتقوم على إشراك الناس كلِّهم في الإنتاج على حدٍّ سواء ذكورا أم وإناثا ، مؤسِّس الشيوعية الحديثة هو كارل ماركس، يهودي ألْماني، من عائلة نصرانية متحولة عن اليهودية ، تحوَّلت عن اليهودية إلى النصرانية لأسبابٍ معيشيَّة، وقد أقام كارل ماركس مذهبَه على المادية الاقتصادية، وكان قِوامُ هذا المذهب أنَّ

الدِّيانات والعقائد جميعًا إنما هي انعكاسُ للضرورات الاقتصادية في المجتمع، كما تتمثَّل في عباداته.. أي إنها صناعة بشرية وليست وحيا .

الشيوعيَّة الماركسية الحديثة أعْلنها ماركس بمعونة زميله (إنجلز) سنة ١٨٤٨م ثورةً شيوعية ضدَّ الرأسمالية الغربية، وضدَّ الكَنيسة المتحكِّمة في رقاب العباد، ولكنَّها كانت ثورةً طاغية عاتيةً أيضًا.. ولم تنجح في أوروبا الغربية ولا الشرقية، وبقيتِ الشيوعية دعوةً نظرية، حتى قامتِ الثورة الشيوعية الشهيرة في روسيا سَنَة ١٩١٧م، بقيادة لينين ، وهي الآن تَجْثُم على رقْعة كبيرة مِن المعمورة، تشمل أقْصى شرْق وشمال آسيا، وما دونها مِن أراضي البلاد الإسلامية، وشمال شرق أوروبا، إضافةً إلى مناطق نفوذها التي تتَّسع بالحديد والنار يومًا بعدَ يوم! خاصَّة في إفريقيا وجنوب شرْق آسيا وأمريكا الجنوبية وغيرها.

الشيوعيَّة مبدأٌ وفِكرة مُوغِلة في القِدم لم تكن ولادة عصر ماركس وانجلز ، فقد ظهرتْ في التاريخ أكثرَ من مرة، ففي عام ٤٨٧م ظهَر في بلاد فارس رجلٌ اسمه (مزدك)، ودعَا إلى الشيوعية واشتراك الناسِ في الأموال والنِّساء، وتُسمَّى حركته بالمزدكية، ثم قُتِل، كمَا دعا إلى الشيوعية (حمدان قرمط)، الذي تُنسَب إليه حركةُ القرامطة المشهورة، التي ظهرَتْ سنة ٢٨٨هـ، وما بعدَها في البحرين واليمن والعراق .

وضعتِ الشيوعية أُسسَها الفكرية النظرية على يدِ أبيهم الرُّوحي كارل ماركس اليهودي الألْماني ومِن مؤلَّفاته: "البيان الشيوعي"، الذي صَدر سنة ١٨٤٨م. "رأس المال"، ظهر سنة ١٨٦٧م. ساعدَه في التنظير للمذهَب فردريك إنجلز ، وهو صديق "كارل ماركس" الحميم، كما أنَّه ظلَّ ينفق على ماركس وعائلته حتى مات، ومِن مؤلفاته: أصْل الأُسرة، الثنائية في الطبيعة، الاشتراكية الخرافية والاشتراكية العلميَّة.

ومن قادتها لينين اسمُه الحقيقي: فلاديمير أليتش بوليانوف، وهو قائِد الثورة البلشفية الدامية في روسيا ١٩١٧م، ودكتاتورها المرهوب وهو الذي وضَع الشيوعية موضعَ التنفيذ، وله كُتُب كثيرة، وخُطَب ونشرات، أهمها ما جُمِع فيما يُسَمَّى مجموعة المؤلَّفات الكبرى.

ستالين: واسمه الحقيقي جوزيف فاديونوفتش زوجا شفلي ١٨٧٩ - ١٩٥٣م، وهو من جورجيا ، وهو سكرتير الحِزْب الشيوعي ورئيسه بعدَ لينين، اشتهر بالقَسْوة والجَبروت والطُّغيان والدكتاتورية، وشدَّة الإصرار على رأْيه، يعتمد في تصفيةِ خُصومه على القتْل والنفي، كما أثبتتْ تصرُّفاته أنَّه مستعدٌّ للتضحية بالشَّعْب كلِّه في سبيل شخْصه، وقد ناقشتْه زوجتُه مرة

فقتَلَها!

تروتسكي: اغتيل سنة ١٩٤٠م بتدبيرٍ مِن ستالين، واسمه الحقيقي: بروشتاين، له مكانةٌ هامَّة في الحِزْب، وقد تولَّى الشؤون الخارجية بعدَ الثورة، ثم أسندتْ إليه شؤون الحِزب، ثم فُصِل من الحِزب بتهمة العمل ضدَّ مصلحة الحِزْب ليخلوَ الجو لستالين الذي دبَّر اغتياله للخَلاَص منه نهائيًّا .

وطغيان زعماء الشيوعيَّة طُغيانًا لَمْ يُعرف له نظير، ممَّا ظَهر في المجازِر البشريَّة القاسية، وعدد الضحايا الهائِل في روسيا، وسجون الاعْتقال، والتشريد والنَّفْي إلى مجاهِل سيبيريا، والبطْش بخصومها في الرأي، والتنكيل بمعارِضيها في الفكر، والقضاء على الطبقات المعارِضة لها في بلادها متَّخِذة من بعض الشِّعارات العارية عن الصِّحَّة سبيلاً لِخداع مشاعر الشعوب، كالإخاء والحريَّة والمساواة.

أما من حيث الانتشار بعد انتصارها في سان بطرس بورغ ، فتنتشر الشيوعية في أماكنَ كثيرة من العالَم، فعلى مستوى الأفراد لا يكاد صقْع من أصقاع العالَم يخلو مِن معتنِقين لها، أمَّا على مستوى الحكومات، والأحزاب والتنظيمات، فتنتشر في أماكنَ عديدة، فالشيوعية حَكَمت عدَّة دول، منها: الاتحاد السوفيتي. الصين. تشيكوسلوفاكيا المجر بلغاريا بولندا ألمانيا الشرقية رومانيا يوغسلافيا. ألبانيا. كوبا. كوريا الشمالية فيتنام لاوس .

ومعلومٌ أنَّ دخول الشيوعيَّة لتلك الدول كان بقوَّة الحديد والنار، والتسلط الاستعماري؛ وليس بالفكر والحجة والبرهان ؛ ولذلك فإنَّ جُلَّ شعوب تلك الدول أصبحتْ تتململ مِن قبضة الشيوعية بعدَ أن استبانتْ لها الحقيقة الواضِحة، فلم تكنِ الشيوعية هي الفردوسَ المنتظر!

فالشيوعية اكتسحتْ أفغانستان، وشرَّدت شعبها المسلم، كما أنَّها تحكم بعضَ الدول الإسلامية بواسطة عملائها، كما أنَّها أسَّست أحزابًا لها في مصر، والعراق، وسوريا، ولبنان، وفلسطين، والأردن، وسوريا، والجزائر، واليمن، وغيرها، ومواقف تلك الأحزاب العربية مِن قضايا العرَب والمسلمين لا تخفَى، فهي تعجُّ بالخيانة، ويُصدِّق ذلك ويشْهد له الحقائقُ الدامغة لدَى الباحثين والمتابعين ، وقامتِ الشيوعية الماركسيَّة من أول أمرها لمناهضة الأديان والأخلاق، والثقافات والمعاملات، وإقامة دولة شيوعيَّة عالميَّة تحت زعامة أقطاب الشيوعيَّة.

هذه احدى المحاضرات التي سمعتها وسجلت على اشرطه الكاسيت واملك نسخة صوتية منها ، وهي في مكتبتي الخاصة ، وسمعت محاضرات في اللغة العربية وعن الصهيونية والعقيدة الإسلامية

وحضرت مؤتمرات إسلامية فقهية وسبب اهتمامي بالشيوعية لوجود الشيوعية في بيتنا كما تعلمون وتجد هذا في عدد لا بأس من الأسر الفلسطينية تلك الفترة للظروف المؤلمة التي عصفت بنا وبالعرب جميعهم.

حدثت مقارنة بين المجتمع المسلم والمجتمع السوفيتي الملحد وكانت في قاعة محاضرات في جامعة الأزهر فمما ذكر فيها: فإن الذين يزعمون أنَّ الإسلام لا يصلح للمعاملات العصرية قد جمعوا أسبابهم كلها في مسألة المصارف والقروض، أو فيما سموه مسألة الربا على غير فهم لأحكام الإسلام فيه مع فلسفتهم المعلومة عن رءوس الأموال وعن الاستغلال وبيع النقد كما تباع السلع لفائدة أصحاب «الأعمال» وعلى حساب طوائف العمال!

فماذا يقول الشيوعي إذا أراد أن ينقد الإسلام في تحريمه الربا والاتجار بأعيان النقود؟ إنه يسكت السكوت الذي يستحق الرثاء، فإنه ليقف هنا موقف العاجز عن تحريك لسانه بالثناء، وهو لا يريد الثناء، أو بالمذمة والتجريح ولا وجه عنده لمذمة أو تجريح.

أما الحدود والقصاص في الإسلام فنقول:

أولًا: أنَّ الحدود مقيدة بشروط وأركان، لا بد من توافرها جميعًا بالبينة القاطعة، وإلا سقط الحد، أو انتقل إلى عقوبات التعزيز، إذا كان ثبوته لم يبلغ من اليقين مبلغ الثبوت الواجب لإقامة الحدود.

ثانيًا: أنَّ القصاص مشروط فيه العمد وإرادة الأذى بعينه، فإن لم يثبت العمد فالجزاء الدية أو التعزير، وقد يجتمعان، أو يكتفى بالدية دون التعزير أو بالتعزير دون الدية.

ولنذكر أنَّ جرائم التعزير تشمل جميع الجرائم التي يعاقب عليها بالسجن أو بالغرامة أو بالعقوبات البدنية. ولنذكر في جميع هذه الأحوال أنَّ الشريعة الإسلامية توجب درء الحدود بالشبهات، فإذا قامت الشبهة للشك في ركن من أركان الجناية أو ركن من أركان الشهادة، فلا يقام الحد، وينظر ولي الأمر في التأديب بعقوبة من عقوبات التعزير.

وقد كانت عقوبات القتل والتمثيل قائمة في جميع الأمم مع قيام الجريمة وقيام أسباب الحذر منها، وظلت كذلك إلى القرن السابع عشر في البلاد الأوروبية التي استقر فيها الأمن بعد الفزع، وانتظمت فيها حراسة الطريق بعد الفوضى التي طغت عليها من جراء فوضى الجوار بين الحكومات.

ولا بد أن يمتد نظر الباحث على مدى مئات السنين قبل أن يسأل عن صلاح الشريعة لعصرٍ من العصور، ولا محل لسؤاله إذا أراد أن يحصر هذه الشريعة في زمنٍ واحد وبيئةٍ واحدة، ولكنه يحسن

السؤال إذا عرض أمامه أحوالًا للأمم فيها القديم والحديث، وفيها الهمجي والمتحضر، وفيها المسالم المأمون والشرير المحذور، ثم سأل: هل في الشريعة قصور عن حالة من الحالات التي تعرض لتلك الأمم في جميع أطوارها؟ وهل هناك عقوبة نصت عليها الشريعة لم تكن صالحة في حالة من تلك الحالات؟ فكذا توزن الشرائع التي تحيط بالمجتمعات في مئات السنين ومئات البيئات، وبغير هذا الوزن تكثر منافذ الخطأ أو يبطل السؤال فلا محل للسؤال.

وننظر إلى المجتمع الإنساني الذي يقيمه الإسلام بعد هذه النظرات المجملة إلى مسألة الرق ومسألة المرأة ومسألة المعاملات ومسائل العقوبات، فنحن إذن خلقاء أن نرى فارقًا بين المجتمعين ـ مجتمع الإسلام ومجتمع الشيوعية ـ لا تستوي فيه وجوه القياس؛ لأنه فارق بين وهم مفروض على التخمين، ولم يحدث بعد كما نشاهد لليوم لم تتحقق الجنة الشيوعية في روسيا والصين وكوبا ،وبين حقيقة واقعة من حقائق الماضي والحاضر وحقائق المستقبل، كما يراها من يشهده رأي العين.

فالمجتمع الشيوعي فرض خيالي قوامه دعوى المدعين أنه سيأتي ـ إن أتى ـ سويًّا بغير طبقات، وأنَّ الشرور الاجتماعية وشرور الطبائع كافة ستفارقه أبد الآبدين إذا فارقه شيء واحد، وهو رأس المال ، هذه هي الخرافة التي يسمونها بالمجتمع الشيوعي الذي سيتحقق غدًا متى حقت الدعوى، أو حق الفرض والتخمين.

أما المجتمع الإسلامي فهو هذا المجتمع الإنساني المتجدد الذي يحق على سنة التقدم بما يحققه من مبادئ الإسلام، وهي مبادئ لا تنتشر وتنطوي في مدى أيام ومدى أعوام.

يقوم المجتمع الإنساني على المساواة بين الناس بغير تفرقة بين الأنساب والألوان والأجناس، ولا تمنعه المساواة أن يعطي المزايا النافعة حقها من الإنصاف لمصلحة المنتفعين بتلك المزايا في جميع الطبقات، ولا تفاضل في الحقوق بالمال أو بالوراثة، فإنما يكون التفاضل بينهم بالعلم والعمل : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

والإسلام أيها الأخوة الكرام : لا يحل مشكلة الفقر بالصدقات المفروضة على الأغنياء لمعونة المحرومين والمعوزين، ولكنه جعل هذه الصدقات منذ ألف وأربعمائة سنة لمن جعلتها لهم دول العصر الحديث من العجزة والمرضى والشيوخ والمنقطعين، وحل مشكلة الفقر بخلع القداسة التي كانت تجلله في كثيرٍ من الأديان ، ثم حلها بإيجاب العمل على القادرين، وإيجاب تدبيره على الإمام المسئول لكل قادرٍ عليه.

والمجتمع الإسلامي لا يهدم شيئًا من كيان

الاجتماع الذي استفاده بنو الإنسان من أطوار حياتهم الاجتماعية في الحقب الطوال؛ لأن كيان الاجتماع في الإسلام لا يتهدم، بل يزداد قوة على قوة، ويدعمه الإسلام ليؤسس به بنيانًا مرصوصًا يشد بعضه بعضًا، ويتعاون على البر والتقوى، ولا يتعاون على الإثم والعدوان.

وأدعى من ذلك إلى الابتسام قول الزعيم «خروتشيف» في تقريره للمؤتمر العشرين من مؤتمرات الحزب الشيوعي كما نشرته «برافدا» في الخامس عشر من فبراير سنة ١٩٥٦: إننا لا نستطيع أن نتجاهل الحقيقة الواقعة التي تلاحظ في هيئات كثيرة من هيئات الحزب الشيوعي، وهي الحذر من ترشيح النساء للمراكز الرئيسية. فإن عدد النساء قليل جدًا بين أصحاب المراكز الموجهة في الأعمال السوفيتية، ولا سيما مراكز السكرتارية في اللجان ومراكز الرئاسة في اللجان التنفيذية والمشروعات الصناعية والحقول المشتركة وحقول الدولة.

لقدْ زَعمتِ الشيوعية لاتباعها ومناصريها بأنَّها ستحقِّق العدل، وتنشره بيْن الناس؛ حيث ستلغي الفوارق بيْن الطبقات، وستجعل الناس يعيشون في مستوًى اقتصاديٍّ واحد، وسيأخذ كلّ واحد منهم قدرَ حاجته من المال والإنتاج . وإذا كان النِّظامُ الشيوعي يدَّعي تلك الدعوى، فإنَّ واقعه يُكذِّبها؛ فما تلك الدعاوى سوى شِعارات برَّاقة، ووعود معْسولة كاذِبة، يَخدعون بها السُّذَّج دونما الْتزام بها، وإليكم بعض الأمثلة:

تفاوت الأُجور: فمعدَّل الأجْر المتوسِّط للعامل في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٣٥م حوالي ١٨٠٠ روبل سنويًّا، في الوقت الذي بلَغ فيه راتب الأمِين العام للجنة الغزْل والحرير الصناعي مبلغ ٤٥ ألف روبل سنويًّا. ثم إنَّ أجرة الفلاَّح الروسي ٣٠٠ روبل شهريًّا، ويقتطع منها ١٥٠ روبلاً لتقوية الصناعات، في الوقت الذي يتقاضَى فيه أهلُ الطبقة المثقَّفة - كما يزعمون - من الممثِّلين والفنانين، والأدباء والراقصات أجورًا عالية تصل إلى ٢٠ ألف روبل شهريًّا!

تفاوت مستويات التعليم: فأبناء الطبقة المثقَّفة يتمتَّعون بالتعليم الجامعي المجَّاني وغَيْر المجاني، أما أبناء الفلاَّحين، فلا يستطيعون ذلك.

إقرار الحوافِز: فهؤلاء الذين يرفعون شِعارَ المساواة والعدْل، ورفْض الطبقية أقرُّوا الحوافِزَ والجوائز؛ فلقدْ أذاعت وكالة الأنباء السوفيتية - تاس - أنَّ جائزة ستالين للموسيقى وقدْرُها مائة ألف روبل - قد منحت سنة ١٩٤٧م لجوزيف كلينا؛ مِن أجل أنه لَحَّنَ أغنيةً عن ستالين.

وأنَّ جائزة ستالين للتصوير - وقدْرُها مائة ألف روبل - قد مُنحت لأراكلي طويزر؛ من أجْل

تصويره ستالين يخطُب في احتفال الذِّكرى الرابعة والعشرين لثورة أكتوبر. بالإضافة إلى جوائز أخرى سُلِّمت لموسيقيين، ورسَّامين، ونحَّاتين؛ من أجْل أعمال قاموا بها لشخْص ستالين.

ولَمَّا رَأَوْا أنَّ العمال لا يُمكن أن يعملوا بجِدٍّ وإخلاص طالَمَا أنَّ جهدهم يتمتَّع به غيرهم، لجؤوا إلى الحوافز، واضطروا إلى الاعتراف بها لتشجيعِ المنتجِين من فلاحين ورعاة، وعمَّال مصانع؛ فأخذتِ الدولة تُمَلِّكهم شيئًا من إنتاجهم ؛ فأين المساواة؟ وأين محاربةُ المِلْكية الفردية؟! عادوا للملكية الخاصة وحتى توريثها للأبناء والأحفاد .

سحْق العمَّال تحت نِظام السخرة في المصانع: والسخرة هي العمَل المجَّاني، حيث يقوم العمَّال بالعمل دون أن يكونَ لأحدٍ من نصيب، إلا حد الكفاف لا الكفاية.

فالعامل الفَرْد في ظلِّ هذا النظام يُجبَر على أن يُحشَر هو وكل أفراد أسرته في غُرْفة واحدة، هي غرْفة جلوسهم، ونوْمهم ومطبخهم ، ثم هي غرْفة في مجمع سكَّاني ضخْم غير متجانس، ويشترك سكَّان الشقة في ضروريات واحِدة دون خصوصية ، وربَّما كانت الأسرة والثلاثة يعيشون في غرْفة واحدة، يفصِل بينهم حبْلٌ من حبال الغسيل تُثبَّت به قطعة من القماش ، ثم إنَّ الطعام الذي توزِّعه المزارع الجماعية لا يكاد يسدُّ الرمق ، أضِف إلى ذلك غلاءُ الأسعار الفاحِش، فثمن الكيلو غرام الواحِد من الزبدة في السُّوق الحرَّة يوازي الأجْر الشهري للعامِل العادي، وثمن زَوْج الأحذية يوازي أجْر شهرين، وإذا مرِض أحدٌ من عامَّة الناس لم يُهتمَّ بعلاجه.

وأما الطبقة الحاكِمة فهي غارقة في التَّرَف والنعيم: ففي الوقت الذي يُسحَق فيه عامَّة الناس، وإذا مرِض واحد من أعضاء الحزب بُودِر في علاجه بأرْقى أنواع العلاج.

تسلُّط الحزب الحاكِم واستبداده: فبالرغم من أنَّ الاتحاد السوفيتي يتكوَّن من ١٥ ولاية رئيسة، فُرِض عليها الاتحاد فرْضًا، وفي كلٍّ منها مجلس وزراء، إلاَّ أنَّ سلطاتها تنحصر في الأمور العادية. أمَّا الحَل والعَقْد، والبتُّ في الأمور، فيملكه الحِزب في موسكو، ولا يُناقشه أحد في ذلك.

حيث اتَّسمتْ سياسة الشيوعيَّة بعدَ التطبيق بالبطْش والإرْهاب، والتدمير والتعذيب، والتنكيل الذي لَم يسبق له – على مدى التاريخ – مثيل .

توالتِ الخلافات بيْن الدول الشيوعيَّة، بل داخل الدولة الواحِدة وبيْن أعضاء الحِزْب الواحد؛ فلا يكاد يجمعُهم سوى خوفِ كلِّ طرف من الطرف الآخر، فهناك خلافاتُ لينين مع ستالين، والتي كان لينين بسببها ينوي إقْصاء ستالين مِن مكانته ،

وهناك الخِلافات بين ستالين وتروتسكي ، والتي أدَّتْ بستالين إلى تدبير اغتيال تروتسكي! وكلَّما وصل رئيس إلى سُدَّة الحُكم ندَّد بسلفه، وأقذع في شتْمه وسبِّه، ومن ذلك ما حصَل في المؤتمر الخمسين للحِزْب الشيوعي، عندما وقَف الرئيس خروتشوف يندِّد بستالين، ويقول عنه: إنَّه ديكتاتور سفَّاح، مجرِم سافل دنيء، وإنه غلطة لا ينبغي أن تتكرَّر، وإنه ارتكب مِن الجرائم البشعة ما تقْشَعِرُّ له الأبدان.

ورزت الإسكندرية والحق اكثر من مرة ، فهي مدينة تنسب إلى الإسكندر المقدوني ، ويقال أن هناك عشر مدن تحمل اسمه ، اشهرها إسكندرية مصر ، وهي ميناء مصري مهم ، ولها تاريخ عريق ، واكثر سكانها جاءوا من محافظات مصر واستقروا فيها ، فهي خليط من المصريين والأجانب سافرت إليها مع زملاء عرب للسياحة وسماع ندوة أو مؤتمر شبابي ، وكان من ضمن ما طرح محاضرة حول عصر الشيوعية التي بدأت تحتضر كما قال احد المحاضرين فقال : وبعد أربعين سنة من اللغط «بالرجعية» في وصف الإسلام ، والتقدم في المذهب المادي القائم على العلم ورعاية القوانين الطبيعية في زعم أصحابه، يحق للناقد المسلم أن يبتسم، وهو يرى في كل يوم ضربة من ضربات الفطرة ترتد بالسخرية على من يخرجون عليها، وقال ضاحكا : ونقرأ في خطب الفلاسفة الماديين كلامًا عن الأسرة ـ الملعونة في عرف الماديين ـ يقيم عليها دعائم المجتمع الصناعي الذي ينبغي أن يعصف بالأسرة عصفًا إذا صح ما قدره له «كارل ماركس» وأتباعه، ويقول لنا الفيلسوف «خروتشوف» من خطاب للشبان الشيوعيين أذيع في الثلاثين من شهر يناير سنة ١٩٥٦: «إن الأسرة السوفيتية الناشئة تخلق من أجل العمل المشترك

على مصلحة الوطن ، كي تزوده بأبناء وبنات مجتهدين مخلصين، وإن سعادة الأسرة لن تنفصل عن سعادة المجتمع الاشتراكي وجهوده"

" ولكنه لا يتمارى في جناية المذهب المادي على الأسرة وجنايته من ثم على المجتمع في حاضره ومصيره، ولن يتمارى في حقيقة النظام الذي ينقذ المرأة من براثن الاستغلال والابتذال، فلن يكون خلاصها من الاستغلال على يد النظام الذي يرسلها إلى الأسواق والمصانع ومعارك السياسة والكفاح، ولن تخلص من الاستغلال إلا إذا ملكت بيتها أُمًّا وربة أسرة وسيدة للعالم الصغير الذي ينشأ منه الغد ويسكن إليه الحاضر من وعثاء الكفاح في الأسواق والمصانع ومعارك السياسة .

فالتحرُّكات في المجتمع الشيوعي مُراقبة، والاتصالات الهاتفية مسجَّلة، والزيارات -

وخاصَّة من الغرباء - مراقبة تمامًا، ولقد روى ذلك كثيرٌ من الزائرين لروسيا بعدَ أن لاحظوا مَن يراقبهم، ويرصد تحركاتهم. ولذلك يتحاشَى الرُّوس الحديث عن السياسة، وكثيرًا ما يردِّدون عبارات جاهِزة مكرَّرة في مدْح سياسة بلادهم بمناسبة أو بغَيْر مناسبة؛ فقد يكون جزاء المقصِّر أو المتجاوز النفيَ إلى سيبيريا؛ حيث البَرْدُ القارس، والأعمال الشاقة.

وقد قال أحد الكُتَّاب: إنَّ نصف سكَّان موسكو جواسيس على النصف الآخر، فقال له صاحبه: ولكن النِّصف الآخر جواسيس أيضًا على النِّصف الأول، وتلك فكاهةٌ ليستْ ببعيدة عن واقع المجتمعات الشيوعيَّة. ويدلُّ على ذلك ما حصَل في ألمانيا الشرقيَّة عندما سقطتِ الشيوعيَّة؛ حيث ذهب بعضُ الناس لأقسام الشرطة والمباحث؛ ليتسلَّمَ ما كُتِب عنه مِن تقارير؛ ففوجئ كثيرٌ منهم بأنَّ الذي تجسَّس عليه أمُّه، أو زوجته، أو أخوه، أو أقربُ الناس إليه!

فمُعظَم الأمور هناك أسرارٌ غامِضة؛ فلا دليلَ للهاتف، ولا مخطَّط للمدينة، ولا كُتُب عن مشاهيرِ الناس. أما أعضاء الحكومة فحياتُهم وأماكن سكناهم، واجتماعاتهم وتحرُّكاتهم، فسِرٌّ مغلق، لا يُعلن عنه، ولا يُتحدَّث فيه، بل مِن الصعب أن تقابل روسيًّا عاديًّا على انفراد! وممَّا اعتاده الناسُ هناك اختفاءُ بعض الناس في ظروف غامِضة، سواء كانوا مسؤولين أم مِن عامَّة الناس، ثم إنه لا يجرؤ أحدٌ على السؤال عنهم أو الاستفسار! يقول آرثر كستلر عن مجتمع الحِزب الشيوعي: "كان عالمًا يسكنه أناسٌ يُعرفون بأسمائهم الأولى فقط، أمَّا أسماء أُسَرهم، أو عناوين سكناهم فلم يكنْ لها وجود، كان الجوُّ متناقضًا؛ فهو خليط من الزَّمالة الأُخوية، والارْتياب المتبادل، ويمكن أن نقول: إنَّ الشعار هنا هو: أَحْبِب رفيقك، ولكن لا تثِق فيه أُنملةً لصالحك؛ لأنَّه يشي بك ولصالحِه؛ إذ مِن الخير له ألا تعرِّضه للإغراء والوشاية.

فجميع الصُّحف ودُور النشْر خاضعةٌ تمامًا لرقابة الدولة، ومُهمتها كيْل المديح الأجوفِ المُمل لقادة الحزب، مع تسويغ أعمالهم وحماقاتهم. وأبرز مثال على ذلك: دائرة المعارف الرُّوسية، التي مُلِئتْ بالتشويهات وقلْب الحقائق؛ إرضاءً لهوى المتسلِّط.

وبالجملة، فإنَّ البلادَ التي ساد فيها النِّظام الشيوعي قد تحوَّلت إلى سجْن كبير، لا مكانَ فيه لحريَّة الرأي، ولا يستطيع الفَرْد أن يُفصِح عمَّا يدور في خَلَده تجاهَ النظام؛ فهو يعيش في رعْب دائم، وقلقٍ مستمرّ. فالمرأة في النِّظام الشيوعي أداةٌ من أدوات الإنتاج. فمِن أهداف نظام الشيوعية

القضاءُ على نظام الأُسْرة؛ فالكيان الأسري الذي يربط أفرادَ الأسرة بروابطَ لها قوتها وقدسيتها، يتعارض في نظر الماركسية مع الرابطة المقدَّسة الكبرى الأم، التي هي الدولة.

وكانت هناك محاضرة عن الإلحاد وسببه وخطره وذكر فيها المحاضر ما قاله شيخ الأزهر محمد الخضر حسين عنه بعنوان : أسباب الإلحاد وخطره على المجتمع المسلم والإنساني فذكر ما قاله الإمام الراحل عن ضرر الإلحاد رحمه الله :

من أسباب الإلحاد الفردي والجماعي أولا :أن ينشأ الشخص أيها الأخوة في بيت خالٍ من الإسلام ، ومبادئ هدايته ، فلا يرى الناشئ فيمن يقوم على أمر تربيته – من نحو والد أو أم أو أخ – استقامة وطاعة ، ولا يتلقى عنه والديه ما يطبعه على حب الدين، ويجعله على بصيرة من حكمته، أي القدوة الحسنة أيها الأحباب فأقلُّ شُبه تَمَسُّ ذهن هذا الناشئ تنحدر به في هاوية الضلال والغي والإلحاد . ثانيا : أن يتصل الفتى الضعيف النفس بملحد يكون أقوى منه نفساً، وأبرع لساناً، فيأخذه ببراعته إلى سوء العقيدة وكما قالوا الصاحب ساحب والمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وقال الشاعر القديم :

عَنِ المَرْءِ لا تَسْأَلْ وَأَبصِرْ قَرِينَهُ ...

فإنَّ القَرينَ بالمُقارِنِ مُقتَدِ

وقال آخر :

وينشَأُ ناشئُ الفتيانِ منا ... على ما كان عوَّدَه أبوه

وأما السبب الثالث للإلحاد : أن يقرأ الناشئ مؤلفات وكتب ومجلات وصحف الملحدين والرابع : أن تغلب الشهوات على نفس الرجل والشاب والشابة .

وأذكركم كما قال العالم الكبير بصفات وطبائع أهل الإلحاد وبها يمكنك أن تعرف هؤلاء الملحدين : يفرح الملحدون بإشاعة الإلحاد عن بعض العلماء المفكرين وترى تناقضهم في الأقوال ، وترى أيضا انهماكهم بالفسوق والفجور بشرب الخمر والزنى والمجون ، وكذلك إلصاقهم بالدين أشياء لا تطابق الحكمة والمهاراة في القرآن والسنة والتأويل الفاسد والمنحرف ،

صداقتهم للمجاهرين بالجحود والإعجاب بهم ونشر أفكارهم ، واعلم أن غاية الملحد أن يطعن في الدين، ويصد عن سبيله بقلمه أو لسانه، ومن حقدهم وبغضهم ومن طبائع الملحدين الحطُّ من شأن علماء الدين المستقيمين ، ودعوتهم إلى الإلحاد ونشره باسم حرية الراي في الدين

فإن رأوه الشاب أو الشابة قد ضعف أمام هذه الشبه، أكثروا من إلقاء أمثالها عليه حتى يقع في حيرة، ويستبينوا منه .

عرفنا أن من طباع الإلحاد: اتباع الشهوات،

والانطلاق في الإباحية، فالملحد لا يحافظ على عِرْضِ أحد، ولا على ماله، ولا على حرمه، إلا أن يعجز عن الوصول إلى شيء من ذلك، ومتى ساعدته الفرصة، وظن أنه بمأمن من العقوبة، عاث في الأعراض والأموال غير متحرج من انتهاك حرماتها، وقد يقع انتهاك الأعراض ونحوها من غير الملحد بدافع الشهوة ، أما الملحد، فإنه يأتيها مستبيحاً لها، وضرر الطائفة التي ترتكب الفسوق مستبيحة له أشد من ضرر من يفعله معتقداً أنه يأتي أمراً محرماً وانظر لواقعنا اليوم إذ أن الملاحدة يبيحون موبقة الزنى وما يضاهيها من الفواحش، ويبيحون الخمور، ولا يتحرجون أن يضموا إليهم أموال غيرهم بغير حق، وإذا وجدت في أهل الدين من لا يفعل فاحشة، أو لا يعتدي على حق، ولو أمن من أن يطلع عليه مخلوق، فإن الملحد لا يكف نفسه عن الهوى، إلا أن يخاف ألماً يأتيه من الناس أكبر من ذلك الهوى .

أما اليوم، فقد ظهر الإلحاد، ورفع رأسه، وتجاوز المجالس الخاصة إلى الصحف والمؤلفات، ولهذا – فيما أرى – أربعة أسباب:

أحدها: أن بعض الحكومات صارت تضع قوانينها الدستورية في عبارات لا يرى فيها الملحد قيداً يكفه عن إعلان إلحاده، أو الدعوة إليه كما يشاء.

ثانيها: أن كثيراً من المنتمين إلى علوم الشريعة، فرَّطوا في جانب الغيرة على الحق، فتراهم يوادّون من يصفهم الناس بالإلحاد، ويتملقونهم بالإطراء، ويشهدون لهم بالإخلاص للدين، يفعلون هذا رجاء متاع الحياة الدنيا، وهم يعلمون أنهم إنما يمدحون طائفة تفسد على الأمة أمر دينها وأخلاقها.

ثالثها: أن بعض الحكومات الإسلامية ترفع إلى مناصبها العالية من لم يتلقوا من علوم الدين ما يميزون به المفسد من المصلح، فيجد الجاحدون لديهم حظوة، ولو مع إعلانهم الإلحاد، وجراءتهم على الطعن في الشريعة الغراء، وإقبال كبراء الدولة على الملحد وتمكينه من المناصب التي يتخذها وسيلة لنفث سموم إلحاده، قد يكون مشجعاً لغيره من زائغي العقيدة على أن يجهروا بزيغهم، ويدعوا إليه وهم آمنون.

رابعها: أن بعض الملاحدة دخلوا في الحركات الوطنية، وتظاهروا بالغيرة على الوطن، فانخدع بهم الناس حتى خلعوا عليهم بلقب الزعامة، فأخذ هؤلاء الزعماء الملاحدة يعملون لنشر الإلحاد بين من يتصل بهم من الشبان

سؤال :كيف يعالج الإلحاد؟ متى قيَّضَ الله للحكومات الإسلامية رجالاً يقدّرون فضل الدين في إصلاح حال الأفراد والجماعات، وفضله

في إخراج رجال يطمحون إلى العزة، ويقتحمون كل ما يعترضهم في سبيلها من عقبات، وفضله في بسط الأمن في البلاد، متى قدر أولو الأمر فضل الدين، ومتى تضافر علماء الشريعة على الدعوة إلى الحق بحكمة، وعلى مكافحة الزائغين بالحجة، طهرت الأمة من خبث الإلحاد، وبلغت أقصى غايات المجد والفلاح يستهزئون في مجالسهم بالدين .. ويمكن أن نضيف ما نتج واثمر الإلحاد على الإنسانية

١- فالملاحِدة مَحْرومون من طمأنينة القلْب، وسكون النفْس، قال الله - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

٢- الأثرة والأنانية: فلا رَحْمَةَ ولا شفَقة، ولا برَّ بالوالدين، ولا صِلةَ للأرحام، ولا إحسانَ إلى الجيران وسائر الناس؛ فكلُّ فرْد معنِيٌّ بنفسه فحسْبُ، فالإلحاد لا يعير هذه الروابط أدْنى اهتمام.

٣- : فالملحِد يجد في نفسه حبًّا للجريمة، وإرادة الانتقام، ورغْبة في التشفِّي من كل موجود.

٤- فالملحِد لا يُحافظ على عِرْض أحد، ولا يُؤتَمن على مال، أو حُرْمة، إلا أن يعجز عن الوصولِ إلى شيءٍ من ذلك.

٥- الإجرام السياسي: وهذا مِن أعظم آثار الإلْحاد؛ ذلك أنَّ الأخلاق المادية الإلحادية ملأتْ قلوبَ أصحابها بالقسوة والجبروت، ممَّا دفَعَهم إلى تطبيق ذلك عمليًّا؛ ولذلك ترَى الدول الكبرى، كيف تفعل بالدول المستعمرة مِن الإهانة والقتْل، والإذلال والتشريد

وكانت محاضرة في آخر يوم عن المادية الشيوعية بعنوان : عصر الشيوعية : وأبرز المبادئ التي تقوم عليها الشيوعية:

أولاً: الماديَّة: (المادية) نِسبة إلى المادة لا اله والحياة مادة ، وهي الموجود الذي يُدرَك بإحدى الحواس، مما يخضع لتجرِبة الإنسان وملاحظاته، ولقد أصبحتْ عبادة المادة هي الأساسَ المشترك لجميع الملاحِدة، على اختلاف مذاهبهم .

ثانيًا: الجدلية "الديالكيتك": لقد أصبحتِ المادة عند الشيوعيِّين هي كل شيء، وليس وراءَها شيء، وأنَّها تتطور صعودًا وَفقَ قانون "الجدلية الديالكيتك"، والتاريخ نفسه يسيرُ حسْبَ هذا القانون حتمًا - بزعمهم - وتكون هذه المادة وَفقَ ما تقترن به، فتُسمَّى المادية الجدلية في الكون، إذا كانتْ تتعلَّق بتغيرات الكون وأحْداثه، وإذا كانت تتعلَّق بسلوك الناس سموها المادية الجدليَّة في التاريخ، فالجدَليَّة: في المذهب الماركسي تُعتَبر بمثابة رُكْن من أركانه، وأنَّها هي قانون حركة الوجود كله.

ثالثًا: "التطور": كما تطور الإنسان من حشرة إلى قرد ثم إنسان .

رابعًا: أنَّ السلطة في الدولة الشيوعية يجب أن تكونَ في أيدي العمَّال، ويُسميهم الشيوعيون (البروليتاريا) ، وهذا المبدأ يُقصَد به إثارةُ حقْد الفقراء والعمَّال ضدَّ أصحاب الأموال والسلطات، وتحريض أصحاب النَّزعات والشهوات البهيميَّة على الفَوْضى وإشاعة الفاحِشة كما أنَّ لهم أفكارًا ومعتقداتٍ مِن أبرزها: "إنكار وجود الله تعالى، وكل الغيبيَّات، والقول بأنَّ المادة هي أساسُ كل شيء، وشعارهم: نؤمن بثلاثة: ماركس ولينين وستالين، ونكْفُر بثلاثة: الله، الدين، الملكيَّة الخاصَّة، ولا يعتقدون بأنَّ هناك آخرة. الحياة من اجل الحياة، يحاربون الأديان ويَعتبرونها وسيلةً لتخدير الشعوب ويسمونها أفيون الشعوب ، وخادمًا للرأسمالية والإمبريالية والاستغلال . يحاربون الملكية الفردية، ويقولون بشيوعية الأموال، وإلْغاء الوراثة. إنَّ كل تغيير في العالَمَ في نظرهم إنَّما هو نتيجة حتميَّة لتغيُّر وسائل الإنتاج، وإنَّ الفكر والحضارة والثقافة، هي وليدةُ التطور الاقتصادي. والغاية عندَهم تبرِّر الوسيلة"

سؤال مهم : لماذا نجحت الشيوعية على مستوى العالم ؟ فلذلك أسباب التي أدَّتْ إلى قيام الشيوعية فمنها:

١ – الطغيان والفساد الكَنسي: الذي حارَب العِلم والعقل، ومكَّن للجهل والخُرافة، وأعان الحكَّام الظلمة، وفرَض على الناس الضرائب والعشور، وما إلى ذلك، ممَّا قامتْ به الكنيسة الأوروبية، فكان أنْ قامت الشيوعية كردَّة فعْل لذلك الطغيان . فهي نشأت متأثرة بقانون داروين ومستغلة للعلم في الأحياء والفيزياء ،وهي محاربة للكنيسة وطبقة النبلاء . كانت أوروبا غارقة في صراعات دينية كاثوليك وبروتستانت وأرثودوكس ونهضة صناعية وظهور أمريكا وثورتها وحربها الأهلية .

٢- مظالم النظام الرأسمالي: حيث طغَى الرأسماليون، وأفسدوا واستبدوا، فقام الشيوعيون – بزعمهم – بمحاولة الإصلاح.. زاعمين الشفقة على طبقة العمال في المصانع وغيرها .

٣- الخواء الرُّوحي: إذَّ إنَّ الكنيسة لا تقدِّم منهجًا يزكي النفس، ويجلب السعادة والطمأنينة للأفراد والمجتمعات، ممَّا جعَل النفوسَ تهفو إلى ما يُنقِذها مما هي فيه من القَلَق والاضطراب والحَيْرة.

٤ – انتشار الاستعمار وما خلَفَه من دمار: فلذلك أثرُه الواضح في انحطاط الشعوبِ المُسْتَعْمَرة، وذلك عن طريق الكَبْت، وقفْل باب الحريَّة، مما أفسح المجال لنشْر الشيوعية لتنقذهم من براثن الاستعباد .

٥- فمما ساعَدَ على قيام الشيوعيَّة ما قام به أربابُها من دعاية وهالة؛ لتحسين ضلالتهم، وترويج مذهبِهم، فإذا سمع الجاهلُ عن ذلك هالَه الأمر، واغترَّ بالشيوعية، وظنَّ صدقها مع أنَّ كل عاقلٍ منصف يعلم بطلانَها وزيفَها.

٦- الانقلاب الصناعي: فما يقوم به الشيوعيُّون من بحْث علمي جادٍّ، مستند على أدلَّة مغرية، صار سببًا لاغترار كثيرٍ من الخلق بهم؛ حيث ظنُّوا - بجهلهم - أنَّ الترقي الدنيوي دليلٌ على أنَّ أهله على حقٍّ وصواب في كلِّ شيء. لأنَّه لا تلازمَ بيْن التقدم الصناعي وصحَّة المعتقد والمبدأ، فقد يكون الإنسانُ من أمهرِ الناس في أمور الطبيعة وهو أجهلُ الناس في الدِّين والأخلاق!. ها هم في اليابان والهند يعبدون بوذا والبقر ولديهم صناعات وقوة اقتصادية وحداثة .

٧- فلقد فتَح العالَمَ المادي أبوابًا عظيمة من أبواب الرفاهية والتَّرف؛ فالمراكب الفخْمة الفارهة؛ من سيَّارات وقطارات، وبواخر وطائرات، وكذلك الملابس والمطاعِم، ووسائل التسلية والترفيه، كل ذلك مكَّن للغفلة، وجعلَها تستحكِم على النفوس، ولا تشعرُ بالعاقبة، مما فتَح المجال لترويج أيِّ مبدأ.

هناك كما تعلمون غايات لقيام الشيوعية: معارَضة الدِّين، والملكية الفردية، وحرية الرأي ، نشْر الإلحاد، والفساد والإباحية ، القضاء على الأديان الموجودة ، القضاءُ على الحياة الأُسرية ومؤسسة الزواج ، وجعْل الولاء مقصورًا على السلطة الحاكمة، مع تخويل السُّلطة الحاكِمة بألاَّ تحكم وفقَ قوانين ثابتة، وإنَّما تتغيَّر القوانين حسبَ مصالح الحاكم الخاصَّة، وأهوائه الذاتية المتقلِّبة من وقت لآخرَ.

أساليب الشيوعية في نشر فكرها ومذهبها توزيع ملايين: الكتيِّبات والنشرات مجانًا في كافَّة أنحاء العالَم داعيةً إلى مذهبها. وقامت الشيوعية بتأسيس أحزابًا: لها في كل الدول العربية والإسلامية تقريبًا، فنجد لها أحزابًا في مصر وسورية، ولبنان وفلسطين، والأردن وتونس، وغيرها. الترويج لحلم: تحقيق الحكومة العالميَّة التي يحلمون بها، ويسعَوْن لتحقيق الأمميَّة من خلالها، وهذا من تصوُّرهم لعالمية الشيوعيَّة، وإبراز ذلك على أنه قضية مسلَّمة.

كيف دخلت الشيوعية بلادنا العربية والإسلامية ؟ اليهود هم الذين أدْخلوا الشيوعية في الدول العربية والعالَم الإسلامي، فقد جاء "جوزيف برجر" اليهودي البولوني إلى لبنان سنة ١٩٢٠م، عن طريق حيفا، وأخَذَ يدعو لوَحْدة الطبقة العاملة، والإخاء الإنساني، ومقاومة الاستعمار، وأسَّس حزبًا شيوعيًّا مرتبطًا بالحزب الشيوعي في

فلسطين ، ثم جاء بعدَه يهودي آخرُ من أصل ليتواني اسمه "إلياهو تيبر"، وكان قد تدرَّب على العمل في بلجيكا، حيث اعتنَق الشيوعية، وجاء يدعو لها في سوريا مِن قِبَل "الكومنترن". اللينني ، وفي هذه الأثناء عمِل أرتين مادونيان، وهيكازون بوياجيان، زعيمًا لحرَكة سبارناكوس الأرمينية اليسارية على تأسيسِ الحِزْب الشيوعي في سوريا في أوساط الأرْمن الأكراد. ثم جاءَ مِن أوديسا في روسيا اليهودي: نخمان ليتفسكي، ومعه زوجتُه؛ لاختيار الشباب العربي الذي يصلُح لتلقِّي التعاليم الماركسية في معهد الشيوعيِّين الشرقيِّين في موسكو، وكان في مقدِّمة المختارين الموفدين خالد بكداش سنة ١٩٣٠، وكان في الخامسة والعشرين من عُمره. أُعْلن في سنة ١٩٢٩م عن ارتباط الحِزْب الشيوعي اللبناني مع الحِزْب الشيوعي السوري، مع الحِزْب الشيوعي اليهودي في تل أبيب، تحتَ قيادة الحزب الشيوعي الفَرَنْسي في باريس، ومن المعروف أنَّ موسكو تستخدم الأحزابَ الشيوعية الأخرى للتدخُّل حتى تبدوَ بعيدةً عن الأحداث، مع أنها هي التي توجِّهها وتنميها، فقد كانتْ بلغاريا مثلاً : تُشرِف على الأحزاب الشيوعية في "الشرق"، وتقوم برعايتها، كما تولَّت كوريا الشمالية بعضَ هذه المسؤولية بالنِّيابة عن موسكو.

وقد مهَّد للفكر الاشتراكي في مصر شبلي شميل اللبناني، وفرح أنطوان، الذي كان يدعو إلى دِين الإنسانية؛ ليحلَّ محلَّ الدين التقليدي، ويقصد به الإسلام، كما أخَذ سلامة موسى يبشِّر بالاشتراكية بعدَ زيارته لفرنسا، حيث مركزُ التوجيه الشيوعي للشرق في باريس . وقد أسَّس الحزبَ الشيوعي المصري اليهوديُّ روزنتال سنة ١٩٢٢، وهو بائع مجوهرات، وساعدته في ذلك ابنتُه شارلوت، وخلَفَه في العمل الخواجة فاسيليف تحت سِتار تجارة القطن، ثم اليهودي هنري كوريل، الذي كان يُلقَّب بالمليونير الأحمر؛ لكثرة ما يُنفِق بلا حساب من مساعداتِ موسكو، ومِن مشاهير اليهود الشيوعيِّين أيضًا في مصر إيللي شواتز، ويوسف درويش، وريمون دويك، وأوديت وزوجها سلامون سدني.

فقدْ وفَد الخياط الروسي بيتروف من الأمميَّة السوفيتية سنة ١٩٢٩، وأقام في مدينة الناصرية، وقد أطلق الشيوعيُّون على بتروف اسمَ "بطرس أبو ناصر"، وقد انتسب يوسف سلْمان إلى الحزب الشيوعي العراقي، وكان عميلاً للصِّهْيونيَّة في نفس الوقت، وأشهر قيادات الحِزب العراقي ناجي شميل، وكوهين وناجي شاؤول، وشالوم مير، ويوسف ساسون، وناظِم يعقوب يونا، وداود دانييل، وهارون زلخة، وكلهم يهود.

وقد أسَّس الحزبَ الشيوعي في سوريا الأرمني أرتين مادونيان، وما لبث أن انتزعَ منه الزعامةَ خالدُ بكداش"

الشيوعيَّة دخلتْ بلاد الإسلام لأسباب عديدة، منها: انحراف كثيرٍ من المسلمين، وجهْلِهم بعقيدتهم ، الهزيمة النفسيَّة الداخلية، التي أفقدتِ العزَّة، ومَكَّنتِ الشيوعية وغيرها مِن الدُّخول التأخُّر المادي والعسكري، الاستعمار وما خلَّفه مِن دمار، وامتصاص المستعمرين لخيرات المسلمين.، فيروج الشيوعيُّون وأذنابهم من المنتسبين للإسلام أنَّ دين الإسلام دينُ تخلُّف، وانحطاط، وتأخُّر عن مُوَاكبةِ الأحْداث ، انتشار الخُرافات والبِدَع؛ حيث شاعتْ في بلاد الإسلام بِدعٌ وضلالات، تروِّج لها المذاهبُ الباطلة، كل ذلك اغتنمه الشيوعيُّون، وسدَّدوا مِنْ خلاله سهامَهم نحوَ الدين؛ ليروِّجوا أن الدِّين خرافةٌ ودجَل. سقوط الخِلافة الإسلاميَّة: فلقد كانتْ تجمع المسلمين، وتُرهِب أعداءَ الله،

ترْك الجهاد في سبيل الله تعالى؛ حيث ركَن أكثرُ المسلمين إلى ملذَّات الحياة الدنيا، فدبَّت إلى الجفون غفوة، فلم تكدِ الأُمَّة تستفِق منها إلا ويدٌ أجنبية تقبض على زِمامها، وتُديرها كما تَشاء. تركيز الغَرْب على إفساد التعليم والإعلام والمرأة، فشوَّه الإعلامُ صورةَ الإسلام وعلمائه. الابتِعاث وما فيه مِن مفاسد؛ حيث يبتعث إلى بلادِ الكُفْر مَنْ هو خالي الوفاض – في الغالب – فلا علمَ لديه، ولا ورَع يزمُّه، ولا تقوى تردَعُه، ولا عزَّة تمنعه، فيعيش في تلك البلاد فترةً من الزمان، فيتأثَّر بما فيها مِن انحلال، وفساد، وكفر، وربَّما رجَع بشهادة الدكتوراه بعد أن يفقدَ شهادة أن لا إله إلا الله، فيُصبح بذلك مِعْولَ هدْم لأمَّته، وربَّما تولَّى زِمام التأثير في المجالات المهمَّة؛ فيفرغ فيها كثبةً مِن سمومه، وفساده. خيانات العُملاء والمنافِقين؛ فلهؤلاء دوْرٌ كبير في نشْر الشيوعية، والتمكين لها ، سوء التربية؛ وذلك بأنْ ينشأ الشخصُ في بيْتٍ خالٍ من آداب الإسلام ومبادِئ هدايته، فلا يرَى فيه مَن يقوم على أمْر تربيته، وغيرها .

عدت للقاهرة بعد أسبوع حافل بالندوات والتاريخ ، فكان لديّ شغف بسماع كل شيء الاشتراكية والمادية بكل أشكالها وأكثرها اهتماما الماركسية لأنني عرفتها عن قرب ورأيت شغف إخوتي الأكبر بها والعيش فيها ، وكان بعض الزملاء يعلم شغفي بسماع اعترافات الماركسيين والملحدين وحياتهم الغريبة وسماع ما يقال عنهم وما ينشرونه في كتبهم ومجلاتهم فدعينا ذات ليلة لمحاضرة أخرى عن الإسلام والشيوعية في بيت عالم كبير كان متأثرا بها ثم ترك الالحاد والشيوعية فتشجعت لمرافقته وسماع ما يقول العالم التائب .



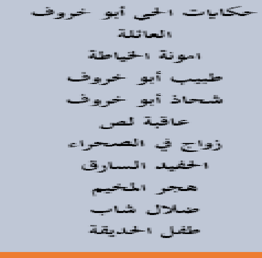
مشاهد تربوية
منشورات
المكتبة الخاصة
كلام المكاتب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
حديقة الازهار
مواقف ارشادية
نبوية
حسن الخلق
كل واشرب
فليصل رحمه
حسن الاسلام
نفس كريمة
مضغة
الزهد
المعروف
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الزمردة
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
حجر القمر
الجواهر العشر
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
غربتي وابنتي
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
قصص
المصباح المضيء
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
وهج الحرب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
موقعة الثلاثة والعشرين
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
حضرم بن سلام
جمال شاهين
الفوارس
رُمان
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
القصر المهجور
جمال شاهين
قريشا . . .
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
هو أنت لاجئ
جمال شاهين
الفوارس
عبد الله البحري
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
مملكة مالونيا والملك برابر
جمال شاهين
الفوارس
الأميرة نهر الأحلام
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
قطبة بن سنان
جمال شاهين
الفوارس
الأمير جفر
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
صورة الأم
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
بصمة وراثية
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
رجل اسمه سنار
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
حسان والطير الذهبي
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
زهلول في أرض الجآن
جمال شاهين
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
وصية جديدة
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
مغامرة النادي
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
مصرع المدير
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
شارع البحيرة الخامسة
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
ليموت الماضي
منشورات المكتبة الخاصة

























قصص

المصباح

المضيء

قصص وحكايات الفوارس			
١	حسان والطير الذهبي	٢	الأمير جنر
٣	عبدالله البحري	٤	رمان
٥	الأميرة نهر الأحلام	٦	زهلول في ارض الجان
٧	مملكة مالونيا الملك بريار	٨	قطية بن سنان
٩	حصرم بن سلام	١٠	القصر المهجور
١١	نمير وزعيط في جزائر البحر	١٢	انتقام الفارس شهدون
١٣	الأميرة تاج اللوز وولديها	١٤	الفارس جبل بن مجدو
١٥	سيف الزمان وجميلة	١٦	حكاية ريح البحر
١٧	الملك ابن الراعي	١٨	مدينة نجوان
١٩	الملك زرارة والملكة سفانة	٢٠	أبناء الملك سهاك

١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيتام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غريني وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الحقل بالقط الأسود	١٠	الشقق السوداء
١١	حياتي قبل الحياة	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	















جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة

قصص

المصباح

المضيء

الجزء ١٧

٢٠٢٤

قصص المصباح المضيء الجزء السابع عشر

اعداد

جمال شاهين

عيس بن مريم

قصة مولد عيسى لم يكن قدوم عيسى -عليه السلام- قدوماً طبيعياً البته، بل تم بشكلٍ لم تعهده البشريَّة قط، وظلّ أمراً فريداً، ولم ينل ذلك الشَّرف إنسان قبله ولا بعده، وفيما يأتي بيان لهذه القصة العظيمة: قصة حمل مريم بعيسى عليه السلام كانت مريم الصِّديقة تقيم في محرابها للتعبد داخل مسجد، وكانت إذا حاضت ذهبت إلى بيت خالتها حتى تطهر ثمّ تعود إلى المسجد لتتمّ عبادتها، إلا أنها ذات مرة ذهبت لمكانٍ بعيدٍ باتجاه شرق الدار للاغتسال فوضعت ساتراً واغتسلت، وما أن انتهت وارتدت ملابسها حتى أتى جبريل -عليه السلام- إليها على هيئة رجلٍ سويِّ الخَلق لكي لا تفزع منه وتستطيع مخاطبته.[١] وقد جاء ذلك في قوله -تعالى-: (وَاذكُر فِي الكِتابِ مَريَمَ إِذِ انتَبَذَت مِن أَهلِها مَكانًا شَرقِيًّا* فَاتَّخَذَت مِن دونِهِم حِجابًا فَأَرسَلنا إِلَيها روحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَرًا سَوِيًّا)،[٢] وعندما رأته فزعت وأخذت تذكر له الله -تعالى- وأن يتّقيه لتردَّ شرَّه عنها، فهدَّأ من روعها وأخبرها أنّه مَلَكٌ من عند الله، وبشرها بغلامٍ، وأنَّ هذا أمرُ الله وقد قُضِي.[٣] قال -تعالى-: (قالَت إِنّي أَعوذُ بِالرَّحمـنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا* قالَ إِنَّما أَنا رَسولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا)،[٤] وها هي التَّقيَّة الورعة التي حفظت فرجها من الحرام، أرسل الله -تعالى- لها جبريل لينفخ في جيب قميصها ليصل رحمها وتحمِلُ به بإذن ربِّها ويكونا آيةً خالدةً للعالمين،[٥] قال- تبارك وتعالى-:(وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ).[٦][٧] فيديو قد يعجبك: أمَّا عن كيفيَّة الحمل؛ فهذا أمرٌ من الغيبيات التي لم يذكرها الوحي، وحتى السَّلَف الصَالح توقَّف عندها، وآمن بها المسلمون دون البحث بالتَّفصيل باعتباره أمراً غيبيَّاً،[٧] قال-عز وجل-:(قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّـهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ).[٨] كانت مريم العابدة الناسكة مثالاً على الطهارة والعفَّة، وشاء الله -تعالى- أن تنال أجر الدنيا والآخرة، ورفع الله -تبارك وتعالى- من قدرها بتأييدها بمعجزةٍ فريدةٍ لم تحدث قبلها ولا بعدها، وفي ذلك أيضاً دلالةً جليَّةً على قدرة الخالق في كلِّ ما هو خارقٌ للعادة، وقد كان في ذلك آيةً لقومٍ ضلوا عن السبيل. قصة ولادة عيسى عليه السلام عندما بدأت تشعر السيدة مريم بآلام المخاض استندت إلى نخلةٍ، وفي الحال لمع في ذهنها لوم النَّاس لها واتِّهامها في عفَّتها ودينها، فقالت: يا ليتني متُّ قبل هذا الحال،[٩] قال -تعالى-:(فَأَجاءَهَا المَخاضُ إِلى جِذعِ النَّخلَةِ قالَت يا لَيتَني

مِتُّ قَبلَ هـذا وَكُنتُ نَسيًا مَنسِيًّا* فَناداها مِن تَحتِها أَلّا تَحزَني قَد جَعَلَ رَبُّكِ تَحتَكِ سَرِيًّا).[١٠] ومن ثمَّ ولدت عيسى -عليه السلام- فأتاها صوتٌ من تحتها -صوت عيسى عليه السلام بحسب قول ابن كثير وغيره- لاتحزني وكلي من الرُّطب واشربي من النَّهر لتقرَّ عينكِ، كما أُمِرت بالامتناع عن الكلام مع النَّاس لكي يُترك الأمرلابنها بالرَّد عليهم، كي يمنع الحرج عن أمِّه وتتحقَّق المعجزة.[٩] وكان عليها أن تقول لكل من تلاقيه إني نذرت للرَّحمن صوماً عن الكلام، وكان هذا الصِّيام مشروعاً لديهم ونسخ في شرعنا،[١١] قال-عزَّ وجل-: (فَكُلي وَاشرَبي وَقَرّي عَينًا فَإِمّا تَرَيِنَّ مِنَ البَشَرِ أَحَدًا فَقولي إِنّي نَذَرتُ لِلرَّحمـنِ صَومًا فَلَن أُكَلِّمَ اليَومَ إِنسِيًّا).[١٢] لم يكن من السهل تخيل الصراع النفسي المرافق لآلآم المخاض الذي كان يدور في نفس السيدة مريم، خاصة عند تخيل لوم قومها لها والتشكيك في دينها وخلقها، لاسيما أنَّها من بيتٍ طاهرٍ نقيٍ ورع. قصة نبوة عيسى عليه السلام ودعوته كانت رسالة عيسى- عليه السلام- امتداداً لرسالة موسى-عليه السلام- موجهة إلى بني إسرائيل خاصة، ولم تتحوَّل للعالميَّة إلَّا في وقتٍ متأخِّر على يد الإمبرطور قسطنطين وبولس، وجاءت رسالته تحمل مبادئ التوحيد ورفض الشرك،[١٣] قال -تعالى-:(وَإِذْ قَالَ اللَّـهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّـهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)،[١٤] إذن كان عيسى موحِّداً على دين الإسلام وعلى ملَّة أبينا إبراهيم حنيفاً، لم يدَّعِ اللأُوهيَّة قط، وما كان إلَّا كباقي الرُّسل صاحب رسالةٍ وعليه إبلاغها شأنه شأن الرُّسل.[١٥] وقد بيَّن الله-عزَّ وجل- أنَّ عيسى-عليه السلام- من أولي العزم في القرآن الكريم، وهو نبيٌّ ورسولٌ كريم، فهو كأيِّ رسولٍ لديه مهمَّة البلاغ والدَّعوة لعبادة الله وتوحيده، قال -تعالى-: (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّـهِ آتَانِيَ الكِتابَ وَجَعَلَني نَبِيًّا)،[١٦] وكان متوجهاً لقومه بني اسرائيل الذي طغوا وابتعدوا عن شريعة موسى- عليه السلام- أمَّا دلالة نبوَّته من الإنجيل نفسه فهي: "ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة من هذا فقالت: الجموع هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل"، وأيضاً: "ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم، وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبي"[١٧] أيَّد الله -تعالى- نبيَّه عيسى بعددٍ من المعجزات مثل؛ إبراء الأكمه والأبرص، النَّفخ في الطين كهيئة طير

فيصبح طيراً بإذن الله تعالى، إحياء الموتى والإخبار بما يدَّخر النَّاس في البيوت،[١٨] بدليل قوله –تعالى-: (وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّـهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّـهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ).[١٩][٢٠] بالإضافة إلى هذه المعجزات فقد كانت أيضاً إحدى معجزاته المائدة التي نزلت من السماء له-عليه السلام- وللحواريين لكي تكون بمثابة عيد للأولهم وآخرهم،[٢٠] قال -تعالى-: (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّـهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ).[٢١] قضى الله -تعالى- بحكمته بتأييد عيسى -عليه السلام- بالعديد من المعجزات، من بداية الخلق وحتى الرَّفع للسماء، لتلين القلوب المقفلة فكانت له -عليه السلام- معجزة القدوم للدنيا والنطق بالمهد، وشفاء المرض بإذن الله، والإحياء ونفخ الروح وكله بإذن الله تعالى، وكل هذه المعجزات لم تكن أسباب كافية لدى بني إسرائيل للإيمان والرجوع إلى الله تعالى. قصة رفع عيسى عليه السلام رفع الله -عزَّ وجل- نبيَّه الكريم عيسى-عليه السلام- إلى السَّماء عند الله لحمايته من كيد قومه،[٢٢] وأخبرنا بذلك في كتابه العزيز: (إِذْ قَالَ اللَّـهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ)،[٢٣] وقد كان عمره وقت الرَّفع إلى السَّماء ثلاث وثلاثين عاماً أو أربع وثلاثين عاماً،[٢٤] وقد حاول قوم عيسى-عليه السلام- قتله غيلةً وهذا هو السَّبب الرَّئيس لرفعه إلى السَّماء؛ لكي يردَّ الله -تعالى- مكرهم عليهم، فشبَّه لهم أحداً يشبه عيسى -عليه السلام- فقتلوه وصلبوه ظنَّاً منهم أنَّهم قتلوا نبيَّهم،[٢٥] وقد رفعه الله -تبارك وتعالى- تشريفاً له وتكريماً من أن يقتله اليهود، وسيعود آخر الزَّمان لإحقاق الحقِّ، وليؤكِّد بطلان تحريفهم وما ينسبون إليه وهو بريء منه.[٢٦] والقصة بدأت عندما ذهبوا إلى بيته بنيَّة قتله وخرجوا في جماعةٍ وكان قد شبَّه الله -تعالى- أحدهم بشكله فظنوا أنَّه عيسى وقاموا بقتله ولكنَّ الحقيقة أنَّهم ما قتلوه ولا صلبوه،[٢٧] وكما تمَّ ذكره سابقاً أنَّ النبيَّ عيسى-عليه السلام- قد رُفِعَ إلى السَّماء ولم يمت كما يقول البعض، ودليل ذلك قوله -تعالى-:(بَل رَّفَعَهُ اللَّـهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّـهُ عَزِيزًا حَكِيمًا* وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا)،[٢٨] أي سوف يؤمن أهل الكتاب بنبوَّة عيسى قبل موته، وموته لم يقع إلى الآن إذاً هذا ما سيحصل بالمستقبل.[٢٩] وقوله –

تعالى-:(وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ)،[٣٠] هنا الحديث عن عيسى-عليه السلام- وقد قُرن بعلامات السَّاعة؛ فيكون خروجه من علامات السَّاعة أو قبل قيامها، أمَّا في إثبات عدم موته ورفعه -عليه السلام- إلى السَّماء؛ الدَّليل الثَّالث من القرآن الكريم هو قوله -تعالى-:(وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا)،[٣١] الكلام في المهد هذا يعد من العادات الخارقة، فما وجه التَّشبيه بين الكلام في المهد وهو معجزة وبين الكلام في الكهولة وهو أمرٌ عاديٌ إلَّا أنَّه قد حدث في ظروف استثنائيَّة؛ وهو كلامه بعد نزوله وعيشه على الأرض حتى يصل إلى الكهولة.[٢٩] وفيما يتعلق بمكر بني إسرائيل بعيسى ومكر الله -تعالى- بهم؛ فقد حدث ذلك عندما خرج عيسى-عليه السلام- وأمُّه وعاد إلى قومه برفقة الحواريين ليدعوهم إلى عبادة الله وترك ما يصنعون، فهمُّوا إليه يريدون قتله، فحدث التَّدخل الإلهي -وهذا هو المقصود بمكر الله تعالى بهم-، وكان الجزاء استدراجهم بغتةً دون شعور منهم، وأمرالله -تعالى- جبريل الذي كان لا يفارق عيسى-عليه السلام- أن يدخل بيتاً، وما أن دخله حتى أخرجه من الجهة الأخرى، ووقع الشَّبه على غيره فقتلوا الشَّبيه وصلبوه، غير أنَّ من وقع عليه الشَّبه هو ممَّن نافق اليهود ودلَّهم على مكان الحواريين وعيسى فكان ذلك عقابه، وقد سلَّط الله -تعالى- ملك الرُّوم على ملك اليهود الذي كان من رعيَّته وأنقذ الحواريين من يد اليهود، وأنزل المصلوب وأكرم الخشب الذي صلب عليه.[٣٢] لقد كان بنو اسرائيل على مرِّ الزمان وتبدل الأنبياء عليهم متسببين للفتن وخارجين عن طريق الله تعالى، حتى سولت لهم نفوسهم رفض الدعوة إلى الله تعالى لقتل الأنبياء، وهذا ما حدث مع نبي الله عيسى، ولم يكتفوا بالتكذيب أو الشطوط عن طريق الله؛ بل حاولوا قتل عيسى عليه السلام، إلا أن الله رد مكرهم عليهم، وحفظ نبيه إلى يوم معلوم لديه، ورفعه عنده حتى يأتي أمراً كان مفعولاً.

قصص من السنة

خسف

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ :قَال رَسُوْلُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :بَيْنَمَا رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشِي، قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ، وَبُرْدَاهُ، إِذْ خُسِفَ بِهِ الأَرْضُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ حَتَّى تَقُوْمَ السَّاعَةُ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

صبر على الموت

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، رَضْيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ :قَالَ رَسُوْلُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :كَانَ الرَّجُلُ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ، فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيْهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوْضَعُ عَلَى رَأسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، مَا يَصُدُّهُ

ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيْدِ مَا دُوْنَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ. وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْت، لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُوْنَ." خ

ابتلاء أيوب

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ :قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم :إِنَّ نَبِيَّ اللهِ أَيُّوبَ كَانَ فِي بَلَائِهِ ثَمَانِي عَشَرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، إِلاَّ رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ، كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ إِلَيْهِ .فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ :أَتَعْلَمُ –وَاللهَّ– لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبَ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ .قَالَ صَاحِبُهُ :وَمَا ذَاكَ؟ .قَالَ :مُنْذُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللهُ فَيَكْشِفُ عَنْهُ؟! فَلَمَّا رَاحَا إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ :لا أَدْرِي مَا يَقُولُ غَيْرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللهَّ، فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا كَرَاهَةَ أن يذكرا اللهَّ إِلاَّ فِي حَقٍّ! قَالَ :وَكان يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتِهِ أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ حَتَّى يبلغ. فلما كان ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَ عَلَيْهَا. وَأُوحِيَ إِلَى أَيُّوبَ فِي مَكَانِهِ أَنْ}ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ){ فَاسْتَبْطَأَتْهُ، فَلَقِيَتْهُ يَنْظُرُ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلاءِ، وهُو عَلَى أَحْسَنُ مَا كَانَ .فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ :أَيْ بَارَكَ اللهُ فِيكَ، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللهِ هَذَا الْمُبْتَلَى، وَوَاللهِّ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذَا كَانَ صَحِيحًا.!! قَالَ :فَإِنِّي أَنَا هُوَ! وَكان لَهُ أَنْدَرَانِ :أَنْدَرٌ لِلْقَمْحِ، وَأَنْدَرٌ لِلشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللهُ سَحَابَتَيْنِ، فلما كانت إحداهما عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ، وَأَفْرَغَتِ الأُخْرَى عَلَى أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ حَتَّى فَاضَ." ابْنُ حِبَّانَ

جرة ذهب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ :قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ" :اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا، فَوَجَدَ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ .فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ :خُذْ ذَهَبَكَ، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ، وَلَمْ أَشْتَرِ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ :إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ :أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا :لِي غُلامٌ، وَقَالَ الآخَرُ :لِي جَارِيَةٌ، قَالَ :أَنْكِحَا الغُلامَ، وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا." مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قصص وحكايات الفوارس

تقاليد غريبة

دخل القفص الحديدي شاب يحمل سيفا طويلا ، ويرتدي ملابس خاصة بهذه المصارعات الغريبة ، ويعلق على وسطه خنجرا طويلا ، ويعقد على رأسه عصابة حمراء ، وطفق يرقص ويركض أمام

الجماهير ، وقد حيا الأمير والجماهير بكلتا يديه ، وكان يقف على أحد أبواب القفص عدد آخر من المتسابقين يتهيئون لدخول القفص ، ولما انتهى الشاب الفارس من رقصاته فتح باب القفص من جديد ، ودخل عدد من الرجال يحملون



قفصا في داخله أسد جائع منذ أيام ، ووضعوه في ركن من أركان القفص الكبير ، ثم خرجوا وأغلقوا باب القفص الكبير ، وخيم الصمت على الجماهير وهم يشاهدون الشاب المصارع يتراقص وهو يتقدم نحو قفص الأسد وفتحه ثم ابتعد ، وفتح الباب كله برأس السيف الطويل ؛ ليخرج منه الوحش ؛ ليبدأ الصراع ، بعد برهة ترك الأسد قفصه ، وأخذ يحدق النظر في المكان ، وكانت الجماهير صامتة كأن على رأسها الطير ، ثم ارتفع صراخ الناس مع اشتداد زئير الأسد الغاضب ، وبدأت المطاردة بين الحيوان المفترس والإنسان العاقل حتى فقد الشاب توازنه فوقع على الأرض ، فانقض عليه الأسد سريعا فصرعه ، وقبل أن يبدأ الأسد الولوغ في وليمته ، قفز للميدان فارس آخر ، فتحول إليه الوحش وبدأت معركة أخرى من جديد ، وقد تمكن الأسد الهائج الجائع من سفك دم الفارس الثاني ، فدخل ثالث فلحق بصاحبيه ، فقال جبل لصاحبيه : تراودني نفسي باقتحام عرين هذا الأسد المتوحش وقتله .

ولما صرع الثالث دخل القفص فارسان ، وكانت معركة شرسة بين الأسد والرجلين ، فهجم الأسد على أحدهم فصرعه ، ولكن الشاب قد تمكن من طعن الأسد قبل سقوطه ، فترنح الأسد من الطعنة ، فقد أنهكت قواه ، ونزف دما غزيرا فوقع ، فهجم عليه الفارس الآخر وطعنه برمحه فزأر زئرة النهاية ثم خر ميتا ، فارتفع صياح الجماهير وبكاؤهم وتصفيقهم بالفوز على الوحش الذي قتل ثلاثة وجرح رابعا جرحا بليغا ، ولابد أنه قد ترك خدوشا على الخامس ، دخل عمال يحملون التراب فنثروه على الدماء ، وآخرون أخذوا القتلى والجريح وجثة الأسد ، ثم دخلت القفص فتاة حسناء ، علقت في عنق الشاب المنتصر إكليلا من أزهار المدينة ، ثم غادر الشاب القفص متقدما إلى منصة الأمير قوس بن جاد وصافحه وقبل يده ، فقام الأمير ووضع على رأس الفارس تاجا براقا يسمونه تاج الفرسان ، وقلده سيفا وثوبا ذا تطريز خاص موشى بالذهب يشبه العباءة وربطه حول عنق الفارس ، وقدم له جوادا فقفز عليه الشاب الفائز ، ودار دورة واحدة في المضمار حول القفص الحديدي ، والناس تصفق له

وتهنئه بالفوز على الأسد وعلى منزلة الفارس التي تحصل عليها ، ثم تقدم الفارس الجديد إلى مكان تتجمع فيه فتيات حسناوات يلبسن الثياب الزاهية ، وهن من بنات طبقة النبلاء في تلك البلاد ، وكن كأنهن في حفل عرس ، فخلع الفارس التاج الذي ألبسه إياه الأمير واختار إحدى الفتيات ، ووضع التاج على رأسها ، فأمسكت بيده فسحبها من بينهن نحو الجواد ، ورفعها على متن الحصان أمام تصفيق وفرح الناس ، ثم ركب خلفها ودار في المضمار مرتين ، ثم وقفا أمام الأمير ، فبارك لهما بالزواج ، ونفخ في البوق عدة نفخات ، ثم ارتفع صوت جهوري عال معلنا أن الشاب فلان من عائلة فلان قد أصبح فارسا نبيلا وزوجا لهذه الفتاة من بنات النبلاء ، وذكر اسمها واسم أبيها النبيل أمام النبلاء والناس ، فيرتفع صراخ الناس وصفيرهم وتصفيقهم في الساحة ، وهكذا امتزج الفرح والموت في هذا المكان ، وأصبح هذا الشاب الفائز من طبقة النبلاء في هذه المدينة ، وجلس الشاب وعروسه بمكان قريب من الأمير والنبلاء وبدأ الاستعداد لجولة أخرى من المصارعة ، فنفخ في البوق ، فدخل القفص هذه المرة شابان يطمعان أن يصبحا من طبقة النبلاء ، وبعد أن رقصا وحييا الأمير والجماهير المحتشدة لتنظر هذه المبارزات المتوحشة ؛ ولتشاهد هذا الصراع المخيف ، أدخل العمال قفصين في كل واحد منهما أسد جائع .. فقام الفارسان بفتح البابين لتنشب المعركة ، ومع زئير الأسدين يرتفع صياح الجماهير ، وكانت معركة ويالها من معركة ! كان كل شاب مشغولا بأسد يثيره إما بسيفه الطويل أو أحيانا أخرى برمحه ، وفي نفس الوقت على الفارس أن يحذر قفزة أو غدرة من الأسد الآخر .. مطاردة مرعبة ! .. تمكن أسد من خصمه..والتف الأسدان على الواحد ، فهجم الشاب بقوة وسرعة بخنجره على أحد الأسدين وطعنه بعجلة ، وقبل أن يتمالك نفسه كان الأسد الثاني يرديه قتيلا ، ودخل الميدان على الفور فارسان ، وانتصر الشابان على الأسد وقتلوه وقضوا على الأسد المطعون ، وعلا صراخ وصياح الجماهير ابتهاجا وانفعالا بنصر الشابين المصارعين ، ودخل العمال فسحبوا الجثث كلها ونثروا التراب على الدماء ، ثم دخلت صبية حسناء ووضعت في عنق كل فارس عقدا من الأزهار البرية المنتشرة في المدينة ، ومشى الفارسان جهة الأمير وصافحاه وقبلا يده ، فنهض وألبس كل منهما تاج الفرسان وخلع عليهما ثياب الفرسان ، وقلدهما السيوف القصيرة ثم قدم لهما جوادين ، فركباها ودارا راكبين عليها حول القفص الكبير دورة واحدة وإلى موقع الحسناوات مشيا ، واختار كل واحد منهما فتاة وألبسها التاج ، وأركب كل واحد فتاته

على جواده ، وداروا في المضمار دورتين أمام فرح الناس وتصفيقهم الحاد ، ثم تقدموا نحو الأمير ثانية ، فبارك لهم الفوز والعروس ، ونفخ البوق ثم ارتفع الصوت معلنا أن هذين الشابين أصبحا من طبقة النبلاء ، ثم جلسا بجوار الفارس الفائز قبلهما قريبا من مجلس الأمير .

ولما انتهى الاحتفال بالشابين بدأت جولة ثالثة ، فلقد دخل القفص هذه المرة ثلاثة فرسان ، ورقصوا الرقصة التقليدية أمام الأمير والجماهير ، وحيوا أميرهم والناس ، ثم أدخل الحلبة ثلاثة أقفاص للأسود الهائجة ، ولما خرج حاملو الأقفاص تقدم الفرسان وفتح كل واحد باب قفص ، وحدث الصراع المثير ، وهزمت الأسود الثلاثة البشر الثلاثة ، فتكومت جثث ثلاث تلفظ أنفاسها الأخيرة ، وقبل أن يدخل فرسان ثلاثة آخرون ..حدث أمر جلل ، وهو أن أسدا كان يقف قريبا من باب القفص الكبير حيث يدخل الفرسان ، فلما فتحوا الباب ليدخل منه الفرسان زأر الأسد فجأة ، فاضطرب من يفتح الباب وابتعد للوراء وترك الباب مفتوحا مذعورا ، فخرج منه الأسد بسرعة وتبعه الآخران ، ودبت الفوضى بين الناس ، وحتى حملة الأقواس الذين مهمتهم الفتك بالأسد الهائج إذا تعذر الانتصار عليه ارتبكوا ولم يحسنوا التصرف ، فأصاب الجميع الذعر والهلع ، وأخذت الجماهير تتراكض نحو الأبواب والمدرجات العليا وتتزاحم فوق بعضها البعض ، وارتفع الصراخ والعويل ، وارتبك حرس الأمير لهذه المفاجأة ، فاستل الأمير سيفه ليدافع عن نفسه .. ورأى الفرسان الثلاثة جبل وثعلبون وهزبر المشهد المثير ، فما كان منهم إلا أن استلوا سيوفهم ، وهجم كل واحد منهم على أسد ، وكانت الأسود قريبة من بعضها البعض ، وما هي إلا دقائق خاطفة حتى كانت الأسود الثلاثة صرعى جثثا هامدة على الأرض ، فقد تمكن كل فارس من القضاء على أسده بضربة واحدة ..فضج وارتفع صياح الناس من الفرح ، ومن قوة هؤلاء الشباب وشجاعتهم ودهش الأمير قوس ومن حوله من الأمراء والنبلاء من شجاعة الفرسان وسرعة فتكهم بالأسود الغاضبة ، وسار الأمير نحوهم بحماس واضح وهو يقول : مرحى مرحى أيها الأبطال !! .. إنها شجاعة نادرة !!.. وعانقهم وضمهم لصدره وهو يتمتم بكلمات الإعجاب والثناء ، ثم قال : أود التعرف على ذواتكم أيها الأبطال !

فذكروا له أسماءهم ، وأنهم من بلاد الدب ومسافرون لبلاد الهند ، فرحب بهم ثانية وقال :

عملتم اليوم ـ أيها الشجعان ـ عملا عظيما وكبيرا !

فقال جبل : نحن ننزل ضيوفا عند الشيخ خليل العابد .

فقال الأمير : أحسنتم أيها الضيوف الكرام .. لقد فعلتم أمرا عظيما ، إنها لكارثة ! وسأل أحد رجاله قائلا :كم أحصيتم من القتلى أيها الصاحب ؟

فرد الرجل : لم يقتل إلا خمسة أنفس وكثير من الجرحى والمصابين ، وأكثرهم بسبب التزاحم والتدافع يا سيدي الأمير .

وعاد الأمير مرة أخرى يرحب بالفرسان ، فقال : أيها الفرسان أرحب بكم في قصري .. وأنتم ضيوفي .

وأمر بنفخ الأبواق معلنا انتهاء الحفل لهذا الموسم ، ومشى الفرسان بصحبة الأمير وحاشيته ، ونظرات الإعجاب من الناس تطاردهم وتتابعهم بدهشة وثناء وفضول .

وقد تعرف الأمير في قصره على الفرسان أكثر فأكثر ، ولما علم الغاية من سفرهم لبلاد الهند ذات الممالك الكثيرة والتي تخضع للملك الكبير فرهودا ، فذكر لهم قوس أن القائد الشهير شهرون من كبار قادة الخان الأكبر صديق له ، ويمكنهم الاستفادة منه لتحقيق غايتهم عند حسن خان وصهره علي خان ، وتناول الفرسان العشاء مع الأمير قوس ، ثم شكروه على حسن الضيافة والكرم ، واستأذنوه بالعودة لمنزل الشيخ خليل الذي كان في انتظارهم على أحر من الجمر ، فرحب بهم ترحيبا كبيرا ، واعتذر لهم أشد الاعتذار عن تأخره عن لقائهم ، وحدثهم عن سبب هذا التأخر قائلا : أيها الكرام عندما رأيتموني وأنتم داخلون إلى المدينة كنت ماشيا لقصر ابن عم الملك ابن حماد .. فلي جار تشاجر مع أحد النبلاء ، فقذفوه في السجن ، فلما علمت بالأمر انطلقت لابن عم الملك لعلاقة وصداقة قديمة كانت بيني وبينه فعندما قابلته وذكرت له شأن جاري وذاك النبيل .. تنكر لي ، وما كان منه إلا أن سجنني أنا وغلماني عنده في القصر تأديبا لي لإزعاجه بأمر تافه ، ولم يعف عني إلا اليوم عندما توسط لي أولادي لدى مولانا الملك فأطلقني فهذا سبب تأخري عليكم ، وما زال جاري صاحبي نزيل السجن .

فحدثه الفرسان عن المصارعة التي شاهدوها صباح اليوم ، وعن لقائهم بالأمير قوس بن جاد ووعدوا الشيخ أن يكلموه من أجل صاحبه السجين ، فشكرهم الشيخ وبارك شجاعتهم وأثنى على نخوتهم ، وقال : للأسف الشديد نحن بلد طبقي ، فهناك طبقة الأمراء من أسرة الملك وأقربائه ، ومن ضحكت له الدنيا ونكح منهم

فيصبح من طبقتهم ، ثم طبقة النبلاء وهؤلاء أصحاب الأراضي والبساتين الواسعة وقادة الجيش والشرطة ، والطبقة الثالثة طبقة العلماء والأدباء ومن دار في فلكهم ، ثم طبقة العامة وهم أكثر سكان المدينة والأرياف ، ثم طبقة العبيد والخدم والغلمان ، وقد ابتدع أحد أجداد الملك ابن حماد بدعة نقل أبناء هاتين الطبقتين الاخريتين العامة والعبيد لطبقة النبلاء والملاك الكبار بمصارعتهم للأسود .. ففي كل سنة تحدث فتنة الأسود أربع مرات في كل فصل مرة ..فيتنافس أبناء العامة والعبيد على مصارعة الأسود ، فمن حالفه الحظ وفاز وقتل أسدا أصبح فارسا ونبيلا ، وتزوج فتاة يختارها من بنات النبلاء ؛ ليصبح نبيلا لقتله الأسد فتشبه بالنبلاء ، وبزواجه اختلط دم أبنائه بدم النبلاء ، ويستطيع أن يخدم مع الفرسان في الجيش ، ويحق له شراء العقار وأن يقتني العبيد والغلمان ؛ لأن العامة ممنوعون من ذلك ، فليس لهم إلا المساكن التي يأوون إليها ويعيشون فيها ، وقد يسمح لهم بحديقة صغيرة حول المنزل ، ومع بداية كل فصل تبدأ هذه المصارعات القذرة والمرعبة ، ثم ظهرت فيما بعد طبقة سادسة قد تولدت واعترف بها بعد صراع شديد ، وهي طبقة كبار التجار والصناع ، لا هم من العامة ولا هم من النبلاء .. وأنا من هذه الطبقة أيها الفرسان !

فقد علقت التجارة منذ الصغر ، أخذتها عن أبي وأعمامي وأخوالي ، فسافرت شرقا وغربا ، ودخلنا بلاد الدب والعقرب والتين وغيرها من الممالك والمدن ، ورحلت لبلاد الهند التي ترغبون بالسير إليها ، ولي أصدقاء هناك من قدامى التجار ، وما بنيت هذا المنزل إلا لاستقبال الأصدقاء من التجار وأبنائهم ، ولسوف أذكر لكم أسماء بعض التجار في الهند إذا وجدتموهم على قيد الحياة قد يخدمونكم في تلك البلاد .

وفي الصباح صحبوا الشيخ إلى ديوان الأمير قوس ، فحدثه الشيخ عن قصة جاره ، وقبل الأمير شفاعة الفرسان فيه ، ثم ودعوه بعدما آذنوه بالسفر ، وكذلك أثنوا على مضيفهم الشيخ خليل وودعوه راحلين لمدائن الهند الذي قال لهم أثناء الوداع : إنه لم يبق بينكم وبين بلاد الهند سوى مدينة واحدة من المدن الكبيرة وهي المدينة المغلقة

ممالك الهند

واجتازوا عدة مراحل ، ثم دخلوا على المدينة المغلقة التي تفصلهم عن ممالك الهند العديدة ، وعلى صديق من أصدقاء الشيخ خليل نزلوا ، فاستقبلهم أبناء ذلك الصديق أحسن استقبال نيابة عن والدهم المسافر في رحلة تجارية ، ثم استضافوهم ثلاثة أيام ، ثم تابع الفرسان السير والرحيل ، وبعد مسيرة أيام معدودات دخلوا بلاد

الهند ، وقد كانت أول مدينة تواجههم من ممالك الهند مملكة حسن خان ، وجنوب منها تقع مملكة علي خان ختن الخان حسن ، وكلتا المملكتين خاضعتان لمملكة الخان الأكبر الملك الجبار فرهودا الذي عاصمة ملكه تقع في قلب القارة الهندية ، وقد علموا أن بلاد الهند الشاسعة كلها يحكمها ملكان كبيران متنافسان ، أحدهما الخان الأكبر فرهودا ، وتخضع لحكمه أكثر من عشر ممالك في غرب وجنوب القارة الهندية وبعضها في الشمال ، وفي أقصى بلاد الهند ملك كبير آخر تخضع له ممالك شمالية وشرقية وجنوبية وفي وسط القارة ، وهو الملك الأكبر سرهوت ، وهذان الملكان يتنافسان للسيطرة على كل بلاد الهند .. ومن حسن حظ الفرسان الثلاثة أنهم عندما دخلوا البلاد كان صراع كبير قد نشب بين تلك الممالك ، وقد كانت مملكة حسن خان وزوج ابنته علي خان من المالك الغربية لبلاد الهند ، وكلتا المملكتين ضمن مملكة الخان الأكبر فرهودا ، ولا تستطيعان الاستقلال عن قبضته القوية أو حتى الانضمام للملك سرهوت ؛ لبعدهما عن حمايته وعاصمة ملكه ؛ لوجود الكثير من الممالك تفصلهم عنه ، ومن بينها مملكة فرهودا نفسه ، وكانت الحروب مستمرة بين فرهودا وسرهوت ولا تكاد تقف ، فكل طامع بحكم الآخر ، ولقد كان من سياسة فرهودا أن كل مملكة تابعة لسلطانه وخاضعة لتاجه أن تمده كل سنة بعدد معين من جنودها ؛ للمشاركة في حروبه الدائمة ، ثم يرجع المحاربون القدامى ويأتي غيرهم ، وتمده المدن بالسلاح والعتاد والأموال المفروضة لتموين حروبه ، وهو يدعي بذلك أنه يدافع عنهم أمام عدوهم المشترك سرهوت ، ومن يتمرد على هذه الأحكام من الممالك الصغيرة يغزو بلاده وينهبها جنوده ، ويقتل من ناسها من يقتل ، وقد يقتل ملكها أو يعزله أو يحبسه ، فهذا هو منطق القوة والبطش لدى فرهودا ، وتحدث في بعض السنوات الجافة وكساد التجارة وأحوال داخلية في المدن فيعجز الحاكم أو الملك التابع من جمع الأموال المطلوبة فتحدث مشكلة كبيرة بينه وبين الخان الأكبر فرهودا ، فتبدأ المفاوضات والمناورات حسب المصالح والأهواء والظروف .

فعندما دخل الفرسان الثلاثة مملكة حسن خان وعاصمتها مدينة العدل ، علموا من الناس أن هناك تحالفا من عدة ممالك متمردة على الملك الأكبر ، فقد رفضوا دفع الجزية المفروضة عليهم وأن الخان الأكبر سرهوت يدعمهم ويثيرهم على فرهودا ، ويعدهم بالحرية والاستقلال ، وهو يعد جيشا لغزو مملكة فرهودا والقضاء عليها ، وفرهودا غاضب عليهم ويحشد جيوشه الكثيرة والقوية لسحق هؤلاء المتمردين والعصاة ، وكان

أحد وزرائه قد اقترح عليه تخفيف الجزية عن تلك المدن المتمردة أو حتى إلغائها ، فيفشل حلفها مع سرهوت الأكبر ، ولكن كبرياء ذلك الجبار وغروره كانا يمنعانه من الرضوخ لمثل هذا الاقتراح ، فقسم الممالك العاصية قسمين ، وطلب من قائدين كبيرين من قادته أن يتولىّ كل قائد منهما قسما لتأديبه وسحق تمرده ويعيدهم للحظيرة رغم أنوفهم ويزيد الضريبة عليهم ، وأبقى ثلث الجيش لصد غدر غريمه سرهوت الخصم العنيد ، وللدفاع عن درة المدن عاصمة الملك الأكبر .

وعندما استقر الفرسان في المدينة ،كانت جيوش الملك فرهودا قد اقتربت منها وعسكرت في الجهة الشرقية لمدينة العدل ، وكان حسن خان قد أرسل لحلفائه بالتمرد يطلب منهم العون والمساعدة ، ويخبرهم بوصول القائد مرهوب لأطراف المدينة ، ودارت المناوشات بين الطرفين .. وفي هذا الأثناء وصلت جنود علي خان صهر الملك ونسيبه واشتد الصراع ، ولقد كان جبل ورفاقه ينزلون عند أحد التجار الكبار من أصحاب الشيخ خليل ، وقد أطلعهما التاجر محسن على أسرار ودوافع هذه الحروب ، وأخبر جبل مضيفهم عن أسباب مجيئهم لهذه البلاد ، وأبدوا استعدادا للقتال بجانب الملك حسن حتى يتحقق النصر أو الموت ، فنـقل محسن هذه الرغبة لأحد جلساء الخان حسن ورغبة الفرسان بالقتال والغاية من مجيئهم لهذه البلاد ، وحدثه عن فروسيتهم وشجاعتهم واستعدادهم لمقاتلة مرهوب وغيره للحصول على تلك الهدايا الثمينة التي قطعوا المسافات الطويلة من أجلها ، فقال له جليس الملك :سأعرض الأمر على الملك .. فلقد انتصرت جيوش فرهودا الأخرى على الممالك العاصية وعملت الفظائع في خمس ممالك ، وقد استسلم جنود تلك المدن ، والخان حسن في قلق شديد .. والقائد مرهوب يستعد لملحمة فاصلة لينافس صاحبه .. ونجدة سرهوت الأكبر لم تظهر بعد وعاد التاجر يقول للفرسان : وعدنا صاحبنا خيرا ..والحق أن جوهرة حسن خان جوهرة نفيسة ، يضرب بها المثل في هذه الديار .. أما أنها تمنع الفقر عن مالكها فقيل عنها ذلك لثمنها الضخم ولحسن صنعتها ولا يملكها عادة إلا الأغنياء والملوك ، فهؤلاء الناس لا يعرفهم الفقر بسبب كبر ثمنها عند بيعها .. ولا أدري هل يضحي بها الملك فيهبها أو يبيعها ؟! .. ومع ذلك فملكنا حسن سخي ومن أسخى الملوك الذين حكموا هذه البلاد ! .. وأما عقد ابنته فوهبه لها زوجها علي خان ، وسبب شهرته أيها الأصدقاء أن له حكاية ، فهو عقد من حبات اللؤلؤ الصغير اللامع جدا ، ورثه الملك علي عن أجداده القدماء ، فقد قيل إنه كانت زوجة لأحد

أجداده ، قد صنعته لتحميه من السم والسحر اللذين كان يخشاهما ذلك الجد في تلك الأيام ، وأظن أن هذا كذب وإنما هي حيلة لعلاج الجد من خوفه الدائم من السم والسحر أو لمنع أعداء الملك من نساء القصر من سمه أو سحره .. فقيل ذلك عن ذاك العقد .

فقال ثعلبون : نرجو أن يوافق الملك على طلبنا وعرضنا .. مرهوب مقابل الجوهرة والعقد .

علم حسن الملك بقصتهم ، فأرسل وراءهم ، فشرح له الأمير جبل القصة ، فتعجب الملك منها ومن مطلب الفتاتين الغريب وقال : قد وصلت أخبار تلك الجوهرة لبلادكم والنساء تتحدث عنها ! .. الغلمان والرقيق هم وسيلة لنقل مثل هذه الأخبار ..إن هذا شيء عجيب ! وستكون لكم الجوهرة الخضراء بإذن الله إذا انتصرنا في المعارك ، ولسوف أكلم صهري وابنتي بشأن العقد العزيز .

والتقى الفرسان بالقائد الشهير شهرون في قصر الملك حسن ، فبين لهم أن الملك فرهودا غضب عليه فهرب واختفى ، فلما نشبت الحرب لجأ لحسن خان ، فذكروا له لقاءهم بالأمير قوس بن جاد ، فوعدهم هو الآخر بالمساعدة على الحصول على العقد إذا كسروا جيوش فرهودا الظالمة .

ولقد وافقت ابنة الملك وزوجها عن طيب خاطر ونفس على إهداء الفرسان القادمين من الغرب العقد إذا ظفروا بمرهوب ، وتم النصر والفوز على الخان الأكبر ، فقال جبل : نحن جندك أيها الملك العظيم ! لقد غمرتنا بكرمك وجودك ، ونحن لا يطيب لنا الانصراف قبل أن تنتصروا على الملك فرهودا أو يقضى الله أمرا كان مفعولا .. واعلم أيها الملك أننا معكم ولو لم نأت لهذه الأشياء الغالية على نفوسكم ، فالحمد لله الذي جعل هذه الأشياء سببا للحضور لبلادكم والتعرف عليكم وعلى سخائكم .

والتحق الفرسان بالمحاربين أمام أسوار المدينة ، وشارك الفرسان بالمعارك الضارية التي نشبت بين الفريقين ، وظهر للعيان شجاعة وبسالة الفرسان ، وذات نهار طلب جبل مبارزة الأعداء فنزل إليه فارس فجندله وثاني أعدمه الحياة وثالث صرعه ، ثم اشتبك الجيشان حتى الليل ، وفعل هزبر في اليوم التالي ما فعله جبل في اليوم السابق ، وقلدهما ثعلبون في النهار الثالث ، ثم اتفق الجيشان على الاستراحة عدة أيام ، ثم تكرر القتال فطلب جبل مبارزة مرهوب ، وكان جبل قد اتفق مع قادة الفرسان والجيش على أنه إذا قتل مرهوبا أن يهجم الفرسان هجوما شاملا ، ولكن مرهوبا كان فارسا معدودا بين الفرسان ، فلم يتمكن جبل من القضاء

عليه ، وعادت الجيوش لخيامها ، وتعهد الفارس أمام الفرسان بلقاء آخر في الصباح ، ولكن كانت في الصباح مفاجأة في انتظارهم ، فقد أصبحوا فلم يجدوا جيش خصمهم ، فقد وجدوا خياما فارغة ، فكأن الأرض انشقت وابتلعت مرهوبا وجيشه ، انسحبوا بدون أن يشعروا بانسحابهم ، وفي آخر النهار تبددت حيرتهم عندما جاءتهم رسالة من الملك الأكبر سرهوت تطلب منهم الزحف لمحاصرة عاصمة ملك فرهودا الذي طلب عودة جيش مرهوب سريعا لأن البلاد في خطر ، ولقد تمت محاصرة عاصمة الخان فرهودا من الجهات الأربعة وبعد حصار محكم استسلم الخان فرهودا للخان سرهوت ، فنقل لمملكة سرهوت مكبلا بالقيود ومعه قادته ووزراؤه وخاصته ، ونصب أحد أبنائه الصغار مكانه ، وأخذت كل أموال البلد تعويضا للخسائر التي لحقت بسرهوت ، وضمت مدينته إلى مملكة سرهوت ، فأعلن الملك سرهوت نفسه ملكا وسيدا لكل ملوك وخانات الهند ، وقد منح الممالك التي كان يحكمها فرهودا الاستقلال على أن تبقى موالية لعرشه ، ورفع عنها الضرائب ، فتحررت مملكة حسن خان من حكم فرهودا ، وكذلك مملكة علي خان ، ومكث الفرسان الثلاثة ثلاثة أشهر أخرى في ضيافة حسن خان حتى هدأت الأوضاع واستقرت الأحوال ، وفي حفل جميل قدم الملك الجوهرة الخضراء هدية لهزبر من أجل عروسه جؤذر بنت سالم ، وقد أهدى الملك علي خان العقد الثمين للفارس ثعلبون ، ووهب جبل الهدايا الذهبية من الأمراء والفرسان الكبار ، ومكثوا أياما يسيرة بعد هذه الحفلة ، ثم غادروا الهند ظافرين بما جاءوا من أجله

مـقتـل الفـارس

ترك الفرسان الهند فائزين ظافرين بالجوهرة الخضراء والعقد اللؤلؤي ذي الحب الصغير ، وكان يبدو لهم أن أمر العودة ميسور وسهل ، ولكنهم قبل أن يصلوا المدينة المغلقة ، وبينما هم يجتازون إحدى الغابات عرضت لهم عصابة كبيرة ، فحدثت بينهم معركة قوية ، ولما أدرك المهاجمون شدة الفرسان اختفوا داخل الأدغال ، فقال جبل : أرى أن الأمر يحتاج منا للحذر ، وعلينا أن ندور من حول المدينة المغلقة ونقطع الجبال والوديان حتى نصل مدينة الجبال العالية ونستريح فيها بعض الوقت .

فتركوا المدينة المغلقة فلم يدخلوها والتفوا من حولها قاصدين بلاد الأمير قوس ، ووصلوها بعد جهد وتعب شديد ، فاحتفل بهم الأمير وهنأهم بالسلامة ، ونقلوا له تحيات صديقه شهرون ومكثوا في ضيافته يومين التقوا فيهما بالشيخ خليل ، ونقلوا له سلام صديقه التاجر الهندي محسن فلما

أخذت الجياد راحتها وتزودوا بالقوت تحركوا نحو بلاد الملك شراب ، وقبل الوصول إليها أدركهم الليل في إحدى القرى ، فنزلوا على شيخ القرية ضيوفا ، فرحب بهم وأنزلهم في دار الأضياف ، وهنا جرى لهم ومعهم حدث رهيب ، فبينما هم نائمون في غرفة الضيوف يستريحون من تعب الطريق بعد أن نالوا قسطا من طعام أهل القرية ، وقبل بزوغ الفجر سمع جبل صوت صهيل الخيل في الاصطبل ، وكان صهيلا مزعجا كأن الخيول تموت .

فأيقظ على الفور صاحبيه ، واستلوا سيوفهم من أغمادها وفتحوا باب الحجرة ؛ فإذا صحن الدار ممتلئ بالرجال ، وشيخ القرية يقول : إنهم هنا أيها الناس .. دعوني فأنا لا أعرفهم ..هم نزلوا علينا ضيوفا عابري سبيل .

فصاح جبل : دعوا الرجل .. من أنتم وماذا تريدون ؟!

فقال زعيم اللصوص : أيها الفرسان .. إنني أطاردكم منذ خرجتم من بلاد الهند .. أنا الزعيم المشهور شمراخا زعيم العفاريت والشياطين .. لقد علمت أنكم حصلتم على جوهرة حسن خان وعقد علي خان .. أريدهما حالا .. لقد اعترضكم رجالي في أول الدرب ولكنهم فشلوا فتبعتكم بنفسي .. هاتوا هذه الأشياء أدع لكم أرواحكم ..واعلموا أن معي مائة بطل لا أظنكم تنتصرون عليهم .

فقال جبل : ولماذا تريدهما ؟!

فقهقه الرجل حتى شبع ثم قال : أتريدون أن تعرفوا أيها الفرسان ؟

فقال جبل : نعم ..ولماذا طاردتنا كل هذه الأيام ؟! فقط لتأخذهما .. بل لماذا لم تأخذهما من الملكين نفسيهما ..بدل أن أتعبت نفسك ورجالك بمطاردتنا يا شمراخا ؟!

عاد شمراخا للضحك الشديد مرة أخرى وقال : معك حق أيها الفارس ..السبب أنني ابن أخ الملك حسن .. فحسن خان عمي .. وهذه الجوهرة كانت لأبي ، فأخذها عمي من أبي رغم أنفه وقد طالبه أبي بها فرفض ، ثم تخلص من أبي حتى مات مقهورا ، فثرت عليه فحبسني فهربت من السجن ، فأمسيت مجرما قاتلا أبات في الجبال والمغارات المظلمة كالوحوش .. ثم رغبت بالزواج من فتاة جميلة ، فطلبت الجوهرة الخضراء مهرا ، فطلبت الجوهرة من عمي وأعلنت توبتي فحقرني وأذلني ، فأقسمت أن أملك هذه الجوهرة ، وماتت تلك الحسناء على يدي هاتين ـ وقبض على يديه وضغط عليهما بقوة ـ مقتولة لما أصرت على ذلك المهر .. إلى أن علمت أنكم حضرتم لبلادنا وحصلتم على تلك الهبات ، ورحلتم بها فصممت على الحصول

عليها .. فهذا سبب مطاردتي لكم .

فقال ثعلبون : أنت قلت إن المرأة التي عشقتها قد ماتت فلم يعد بك حاجة لتلك الجوهرة .

فقال شمراخا بغضب : سأدفنها معها لعلها تسامحيني .. لا تكثروا الجدل .

تراجع الفرسان لداخل الغرفة وأغلقوا الباب خلفهم ، وطالب جبل بخلع النافذة والقفز للشارع ، فالشارع أوسع للقتال من البيت ، وفي حركات سريعة كان الفرسان يصارعون رجال شمراخا في الشارع ، فكانت مبارزات شيقة ثلاثة أبطال يقارعون مائة رجل ، وفزع أهل القرية على صياح الفرسان وصراخ الجرحى ، ولما تبين للناس الظالم من المظلوم صاح الناس : أيها الناس .. إنهم ضيوفنا قاتلوا معهم .

فتحمس الناس للهتاف ، فأخذوا بقذف اللصوص بالحجارة والتراب ، وازداد حماس الناس مع شجاعة الفرسان الثلاثة ، وأمام هذه التطورات أمر الزعيم رجاله بالمغادرة والابتعاد وهو يعض على أنامله من الغيظ ، فسحبوا جرحاهم وتركوا قتلاهم ، وكان شيخ القرية ما زال بين يدي الزعيم كالرهينة ، فحذرهم جبل من أخذ الرجل معهم ، ولكنهم لم يكترثوا لتهديد الفارس ولا حتى إلى قسمه الذي أقسم فيه أن يبديهم عن بكرة أبيهم إذا لم يتركوا الشيخ ، بل لما ركبوا خيولهم وابتعدوا قليلا قتلوا شيخ القرية أمام أعينهم انتقاما من أهل القرية ، وانطلقوا مبتعدين نحو الجبال ، فندم أهل القرية على حشر أنفسهم في أمر لا يعنيهم ، فواسهم الفرسان وأقسموا أمامهم بالثأر لقتيلهم ، وأنهم لن يغادروا القرية حتى ينتقموا لهم .. واندفعوا نحو اصطبل بيت الاضياف ليركبوا جيادهم لمطاردة العصابة ؛ ولكنهم للأسف قد وجدوها مقتولة فأسفوا عليها أشد الأسف ، فقال جبل لأهل القرية : أعندكم خيل ؟

فرد أحد الناس قائلا : لا يا سيدي الفارس لا خيل في هذه القرية .

فقال جبل :كم تبعد عنكم مدينة الملك شراب ؟

فأجاب الرجل : نصف نهار .

فعاد جبل يسأل فقال : ألديكم حمار أو بغل ؟

فقال الرجل : لدينا حمار .

فقال جبل الغاضب : علينا به ؛ ليذهب أحدنا للمدينة لشراء ثلاثة جياد ؛ لنطارد هؤلاء المجرمين ، ويبقى معكم اثنان لحمايتكم وبث الطمأنينة في نفوسكم .

وتشاور الفرسان عندما مشى بعض الناس لجلب الحمار ، فقال هزبر : أنا أسير للمدينة فلا أحد يعرفني فيها إلا كاتب الوزير .

فقال جبل : امش على بركة الله .

فلما أحضر القروي حماره ، ركبه هزبر وسار جهة المدينة لشراء الجياد .. وأحضر الناس للفارسين لبن الماعز ليشربوه .

ومضى النهار كله وهبط الظلام والفارس هزبر لم يعد للقرية ، فتسرب القلق والخوف لقلبي الفارسين ، وأمضيا الليل حول موقد النار وما ظهر هزبر ، ولما استيقظ الناس فجرا أقبل نحوهما رجل يصيح إن جثة الفارس معلقة على شجرة في مدخل القرية الغربي .. فتجمدت أقدام الفارسين وهما يسمعان النبأ ، وبعد حين هرع الفارسان ومن كان معهما ساهرا إلى مدخل القرية ، وعلى شجرة هناك كانت جثة هزبر معلقة تتأرجح في الهواء الطلق ، ففقد جبل صوابه وهو يحل الجثة ويهبط بها على الأرض ، وأغمي على ثعلبون لهذا المنظر المرعب ومن هول الحقيقة والصدمة ، واسترجع الفارس جبل وعانق الصديق الميت ، وبكى الفارسان عليه بكاء الثكالى وطفقا يناجيانه وهم في حزن وهم شديد ، ثم وارياه التراب ،

وحلف بالله جبل بأنه لن يرحم لصا أو قاطع طريق بعد هذا اليوم .. وأدرك الفارسان أيضا أن المجرم مصمم ومصر على سلب الجوهرة ليدفنها في قبر محبوبته المقتولة ، وتوقع جبل منهم هجوما على القرية ، فرسم خطة للثأر والانتقام ، ولكن قبل أن نتابع معكم نهاية هؤلاء اللصوص ، نبين لك أيها القارئ العزيز كيف قتل هؤلاء المجرمون أحد أبطال هذه الحكاية وهو الفارس الشجاع هزبر ، فلقد قتل هذا البطل بعدما خاض الفرسان معركة ضارية فجر أمس كما تعلمون ، وقد أنهكت هذه المعركة الفرسان ، وركب هزبر الحمار متجها للمدينة لشراء الجياد لمطاردة العصابة والقصاص لشيخ القرية القتيل ، فكان يسير هزبر وحده وكان شمراخا قد أمر بعض رجاله بمراقبة تحركات الفرسان ، فلما شاهده الراصدون أخبروا زعيمهم ، فأمر بعضهم بمتابعته ، ولما أخبروه أنه متجه للمدينة ، خشي الزعيم أن يكون ذاهبا لطلب نجدة ، فترك بعض رجاله لمراقبة القرية خفية ، وأسرع خلف هزبر بباقي الرجال ، فما شعر الفارس إلا وهم يحيطون به ، وقد قفزوا عن خيولهم ، فحدثت معركة نادرة ، فارس واحد يقابله عشرات اللصوص ، واستبسل الفارس بالدفاع عن نفسه ، ولكن الكثرة قد غلبت الشجاعة ، فقتل هزبر مضرجا بدمائه على أيدي هؤلاء اللصوص ، وانتهت حياة هذا الفارس ، وأمرهم الزعيم بقتل الحمار حتى لا يعود للقرية بعد أن نقلوا جثة البطل عليه ، وفي الليل طلب منهم الزعيم التسلل لمدخل القرية لتعليق جسد الفارس على شجرة في مدخل

القرية .

أدرك جبل أن مداخل القرية المعتادة مراقبة من رجال العصابة ..فلما أشتد الظلام على القرية تسلل الفارسان من طريق غير مطروق نحو مدينة الملك شراب سيرا على الأقدام ، وفي حذر شديد حصلوا على جوادين قويين عن طريق صاحبهم أحمد بن طارق كاتب الوزير ، وما أشرقت الشمس حتى كانا في القرية ، ووجدا حال القرية يرثى له ، فلقد داهمها المجرمون مرة أخرى عند الفجر ، وعاثوا فيها فسادا وأحرقوا بعض البيوت ليرغموهم على طرد الفارسين ، فدار جبل وثعلبون ومن تبعهم من الرجال حول القرية يبحثون عن وكر اللصوص والقتلة ، فلمحوا رجلا يركض نحو الجبل أمامهم ، فهمز جبل جواده وانطلق خلفه ، فأدركه وهو يصعد الجبل ، فقفز عن الجواد وأمسك به فتدحرجا على الأرض قليلا ثم توقفا ، ووضع جبل الخنجر على عنقه وهو يقول بحدة : أين قومك أيها الحقير ؟

فأشار الرجل إلى الجبل ، فلما وصل إليه ثعلبون والناس ربط يديه من الخلف ، وأمره أن يسير أمامهم ، واعتلى جبل جواده ، فمشى الرجل أمامهم معتقدا أن العصابة إذا شاهدوه خلصوه ، فلما رأى المجرمون أن جبلا وثعلبون وعددا من أهل القرية صاعدون إليهم أمرهم الزعيم بالهجوم ، فبدأوا ينحدرون تباعا جهة الفارسين ، فقتل جبل الأسير سريعا ، وتلقى المجرمين برمحه قبل أن يتجمعوا حولهم ، ولم تمض ساعة من الزمان حتى كان أكثرهم بين قتيل وجريح فجبل عندما يعتلي صهوة الجواد فارس لا يشق له غبار ، ثم صعد الجبل ومعه ثعلبون حيث اتخذت العصابة وكرا وفتكوا بمن وجدوه فتكا ذريعا ، ولم يبق منهم حيا إلا الزعيم ، وقد قبض عليه جبل وحمله بين يديه كالفرخ أو الحمل وألقاه يتدحرج على صفحة الجبل ثم تبعه ـ وقد أمر ثعلبون والأهالي بالفتك بجميع الجرحى من غير رحمة ولا هوادة ـ فأدركه في بطن الوادي يئن ويصيح من الألم ، ولما انتقم أهل القرية من كل المجرمين ، قاد جبل شمراخا إلى القرية وعند الشجرة التي علق عليها هزبر علقه جبل حيا أو قل فيه بقية الروح ، ثم سفك دمه بيده ، ثم أمر أهل القرية بدفن جثث القتلى حتى لا تفزع الوحوش على رائحتها ، وقضوا أياما في القرية حتى اطمأنوا على الناس من بقايا العصابة ، وقد ذرفوا خلالها الدمع الغزاز على صديقهم الفارس البطل هزبر ، ثم لملموا خيول العصابة وأموالهم من سيوف وخناجر ووزعوها على أهل القرية حتى هدأت نفوس الناس بعد هذه الأحداث المثيرة ، وكتب جبل رسالة لكاتب الوزير شرح له فيها الأحداث ويوصيه على أهل

القرية وبمساعدتهم عند الضرورة وفي حالة تعرضهم لمن نجا من رجال العصابة ، واعتذروا له عن عدم دخولهم المدينة خشية الوقوع بين يدي الأميرة ضميرة التي هرب جبل من قصرها .



ضيغم السجين

حل الفارسان ضيفين على الوزير أبي المعالي ، وفرح بلقائهم ، وحزن على مقتل الفارس هزبر وعزاهم أحر العزاء ، وبين لهم أن سياسة الملك شراب نحوهم قد تحسنت بعد لقائهم بكاتب الوزير ، واستراحوا عنده بضعة أيام ، ثم ودعوه منطلقين إلى بلاد التين فدخلوها فأمضوا ليلتهم الأولى بفندق ، وعند الضحى اتجهوا لقصر وديوان الملك جبرون الذي سر سرورا لا يوصف عند رؤيتهم وبعودتهم ، فحمد الله على رؤيتهم ثانية ، وهنأهم الأمراء والقادة على سلامتهم ، وفي عيونهم سؤال أين هزبر ؟! فقد لاحظوا غياب الفارس هزبر ، ولكنهم لا يجرئون على السؤال لمَ لمحوه من الحزن المخيم على ووجوههم ، ثم تجاسر الملك المتهيب فقال : أيها الفرسان إني ألمح الحزن يرتسم على وجوهكم .. وإني لأستحي أن أسأل ؛ فإن قلبي يحدثني بمصاب كبير أصابكم .. أين هزبر البطل ؟!

فتساقطت الدمعة المتجمدة في عيون الفارسين ، وسالت الدموع وارتفع النشيج ، وبكى الفارسان بكاء غزيرا ، فذرفت دموع كل من كان في المجلس تأثرا ببكاء الفارسين ، وأدركوا أن الفارس قد مات ، فترحموا عليه وتأسفوا لمهلكه ، واختصر لهم جبل الرحلة الطويلة التي امتدت أكثر من سنة ، وبعد أن انتهى جبل من رواية الرحلة ومقتل الفارس هزبر أثناء العودة وبعد الظفر بالجوهرة ، دفع رسالة للملك من حسن خان ، ووضع الجوهرة الخضراء والعقد اللؤلؤي أمام الملك على مائدة صغيرة ، فانشغل الملك جبرون بقراءة رسالة ملك الهند التي تؤكد وصول الفرسان لبلاده ومشاركتهم في حروب ممالك الهند ، وفيها الثناء العظيم على الفرسان الثلاثة وشجاعتهم ، ويبارك لهم بهبته لهم بالجوهرة والعقد ، وتمنيه لهم السعادة بزوجاتهم ، ولما انتهى الملك من قراءة الخطاب الطويل أبدى الملك ثناءه على جبل وثعلبون وترحم كثيرا على الفارس هزبر وقال : لقد خسرنا فارسا عملاقا .. ولكن الموت مشيئة مالك الأرواح والأجساد ..والصبر محمدة عند الشدائد .. ورحم الله الفارس هزبر رحمة واسعة !

ثم تأمل الملك الجوهرة والعقد ، ثم قدمها للأمير

سالم الذي ما زال الدمع في عينيه ثم قال للملك : إنها ساعة ضعف عندما استسلمت لأفكار البنات !

فقال الملك : خذهما أيها القائد .. إنها مشيئة الرب ، ولا مفر من قدر الله وأمره .. إنا لله وإنا إليه راجعون .

وأمام إصرار الملك تناول القائد سالم بن قنبرة الهدايا وهتف قائلا : مولاي الملك .. إن صاحب الجوهرة قد هلك .. فليس لنا إلا العقد .

فقال جبل بحزم : معذرة أيها الملك وأيها السادة ! هما للبنتين .. واعلموا أيها السادة أننا لن نأخذ هذه الهدايا فهن هدايا للبنتين .. وقد طلب مني صديقي ثعلبون يا مولاي الملك أن اعتذر لكم عن هذا الزواج .

فاستغرب القوم فقال ثعلبون : أقسمت أن لا آخذ هذه العطايا أيها السادة العظام ، وإنني أعتقد بعد مقتل صديقي العزيز لا أستطيع إسعاد الأميرة .. ولا أحب أن أظلمها بصحبتي .. فهل ترضون لي كلما أرى الأميرة أن أتذكر أخي هزبرا ؟! فهو صديقي وأخي منذ الطفولة المبكرة ولا أحب الظلم للفتاة ولا لنفسي .

وأجهش الفارس بالبكاء من جديد .

فقال الملك جبرون وقد اقتنع بكلام ثعلبون واعتذاره فرد : لا بأس عليك أيها الفارس سننظر في اعتذارك .. الأيام دواء للجراح وللآلام .. وهزبر لا شك أنه عزيز عليك أكثر منا ، ولا يمكن نسيانه بين عشية وضحاها .. إيه يا ولدي ! كم فقدنا في هذه الحروب من الأحبة والأبناء والاخوة ؟!.

وأصدر الملك أمرا بمنح الفارسين قصرا بالأثاث والخدم ، فلزم الفارسان المنزل الذي وهبهما إياه الملك ، وكان يقوم على خدمتهم غلام وجارية ، ولما استيقظا من نومهما آخر النهار من ذلك اليوم الذي التقوا به بالملك جبرون ورجاله وجدا أن الخدم قد أعدوا لهما الطعام ، فأكلا ما قسم الله لهما ، وأرسل الأمير جبل الغلام إلى قصر سالم بن قنبرة يسأل عن صديقيه ضيغم وجدار .

فأتاه الغلام بأخبار مزعجة ، وهي أن الأمير سالم قد أمر بحبس ضيغم منذ شهور في سجن المدينة ، وأما جدار فهو في زيارة لأمه في بلاد العقرب ، فانزعج جبل وثعلبون لحبس ضيغم ، واستفسرا من الغلام عن سبب رميه بالحبس ، فقال الغلام : الصواب لا أعلمه ؛ ولكن صديقي رمح أحد غلمان القائد سالم أسر لي بكلام قد يكون هو الحق !

فقال جبل : أخبرنا ما قال لك رمح هات ما عندك .. أسمعنا أيها الغلام الذكي ؟

فقال الغلام بصوت منخفض : أخبرني رمح

صاحبي – وهو خادم الأميرة الصغيرة ابنة القائد سالم – قال لي : إن ابنة الأمير تعشق الشاب ضيغما ، وإنها كانت تلتقي به سرا .. وعرفت الأم بالأمر من الفتاة التي كاشفتها بذلك ، وأبدت لها رغبتها بالزواج منه .. فرفضت أمها وغضبت منها ومن الغلام ضيغم ، وكشفت الأمر للأب ، فرمى به في السجن .. هذه هي القصة التي أسرها لي رمح ، بل طلب مني إخبارك بها يا سيدي الفارس .

فقال جبل مفكرا بما سمع : أحسنت يا غلام ! أبلغ صاحبك رمح هذا أنني راغب بلقائه فأتنا به .

رد الغلام بحماس : غدا ليلا سيكون عندك يا سيدي الفارس .. فهو لا يستطيع في النهار مغادرة القصر .

ولما غادرهم الغلام قال جبل لثعلبون : لم يخبرني ضيغم بهذا الهوى ؟!

فقال ثعلبون باسما : لا تنسى يا صاحبي أنه لنا أكثر من سنة خارج البلاد .

قال جبل : صدقت يا ثعلبون .. حب حدث بعد رحلينا .

فقال ثعلبون : المهم أن لا يكون الشاب قد تعلق قلبه بالفتاة ، فمن الصعب والشاق أن يتم هذا الزواج ، فلا أظن أن الملك جبرون يرفض شفاعتنا فيه ويخرجه من الحبس ، ولا حتى الأمير ابن قنبرة نفسه .

قال جبل : هو ما تقول .. المهم أن لا يكون المسكين أحب الآنسة ..فإني أحببت هذا الشاب منذ رأيته أول يوم في قصر الأمير سالم .. وهو يبادلني هذه العاطفة النبيلة يا صديقي ! وكأننا أصدقاء منذ عهد بعيد .. ثم سكت لحظات وتابع قائلا : واعلم أيها الصديق أن هذا الشاب

إذا تبين لي حبه لابنة ذلك القائد سأساعده .. وسنعلم مدى وفاء هؤلاء القوم لنا .

فقال ثعلبون متضاحكا : قد يوافق سالم هذا ويشترط عليه مهرا يورده المهالك كما اشترط علينا

فقال جبل : معك حق !!.. ولكن يبدو لي من كلام رمح لغلامنا أن الفتاة نفسها تعشق الفتى فلن تفعل ما فعلت أختاها .

فقال ثعلبون بعدما تنهد بعمق : رحمك الله يا هزبر ! ..ما كان له رغبة بالارتباط بامرأة ؛ ولكني ضغطت عليه رغبة بالاستقرار في هذه البلاد وحياء من الملك جبرون الذي كان يلح علينا بهذا المطلب ..لا إله إلا الله .

فتـنهد الفارس أيضا وهو يقول : لا إله إلا الله .. رحمك الله يا هزبر ! لقد كان نعم الصديق والأخ .. ونعم البطل بين الأبطال .. آه ! كم كنت أطرب لضرباته وصولاته وزعقاته في القتال آه ! ولكن الموت نهاية كل حي يتنفس فوق الثرى .

قال ثعلبون كأنه حالم : أذكر البداية يا جبل ! عندما

كنا في مدينة الدب ندب على أرضها معا ، وعندما أذهب معه إلى الحقول التي يملكها والده ..ونأكل من ثمارها ونشرب من ماء بئرها .. ولقد رأيتنا نبكي على تلك الرياض الجميلة بعد أن دخلتها جيوش الضبع الوحش الضاري .. فجعلتها خرابا ، وقتل والد هزبر أثناء الاجتياح الوحشي لبلدنا الهادئ الوديع .. لقد كنا فتية صغارا ..آه .. كم كرهنا الغزاة وحقدنا عليهم ؟! .. مات أبوه مقتولا بأيديهم ..وقتل أبي بعده بقليل .. فأمسينا أيتاما ، وكبرنا وكبر الحقد معنا .. ولكن لا حول لنا ولا قوة .. ثم التقينا بك عندما كنت تتمرن في القلعة ، وجندتنا للعمل والتدرب مع رجال الحامية – ضحك وقال – لنكون من جنودهم ، ولكن سبحان الله غدروا بمجدو الساحر صانع الخبز وأشهر خباز ببلاد الدب ..حزنّا للغدر الذي أصابه ! وكم سعدنا لغضبك وبغضك وحقدك عليهم ؟! وعادت بنا الذكريات لسنوات اليتم الأولى .. لقد كان الانتقام حلمنا الأكبر كم ملئت نفوسنا فرحا وحبورا وغبطة ونحن نقارع رجال الضبع ؟! ..وكم تعجبنا من الأقدار عندما صرنا سادة المدينة ؟! .. وعجبنا من نبلك وشجاعتك عندما خلعت نفسك عن الحكم بعد أن أصبحت السيد الكبير في البلاد !.. فازداد حبنا لك يا جبل ! فصرت لنا الأخ والأب والصديق والسيد وكم فتنت بك وأنت تصرع السبع العادي ورجاله لجرحهم لهزبر ؟! .. أوه !!..حظه مع اللصوص سيئ ! .. لقد كان عملك يومها سريعا وجريئا لا تعطي الخصم فرصة للحوار والمجادلة .. ذكريات كثيرة تتراءى لي أيها الفارس منذ مقتل هزبر .

فقال جبل متذاكرا تلك الصور الماضية : أيام أمضيناها معا ..لنا ما يزيد عن عشر سنوات في هذه الأهوال ..كم من الدنيا رأينا !..كم من مدينة تركنا فيها ذكر فروسية لم نكن نحلم بها ؟ ولكن خسارتنا بهزبر كانت فظيعة !!

كانت الدموع تتساقط مع كل ذكرى وموقف حتى استسلموا للنوم من جديد ، وما استيقظا من نومهما إلا على صوت الغلام وهو يعلمهما بمجيء زائرين ؛ فإذا هم مجموعة من فرسان الملك والأمراء قدموا لتعزيتهم .. ومضى النهار وهما يستقبلان ويودعان الأصدقاء ورجال الحكم ، ولما سكنت الأنفاس ورقد الناس على فرشهم ، ولم يعد يسمع إلا صوت نباح كلب ونهيق حمار ، دخل رمح غلام القائد سالم حجرة الفارسين ، فرحبا به ، وأزالا عن نفسه الخوف والرهبة ثم قال له جبل : أخبرنا يا رمح عن القصة بتفاصيلها دون أن تخفي عنا شيئا حتى نستطيع أن نخدم صديقنا ضيغما ؟

فقال رمح : أشكركما !.. فضيغم صديقي كما هو

صديقكم ..فمنذ أن دخل القصر وعمل معنا في الخدمة الداخلية ونحن نحبه ، ولقد كان محسنا متقنا لعمله ، ولم يطلب منه شيء إلا نفذه على خير ما يرام ..ولقد كان من ضمن عمله أن يسمح له بالدخول إلى مساكن النساء ، يدخل على الأم الكبيرة زوجة الأمير ، وعلى أخواته وقريباته ، وكذلك على بناته ، وهو شاب مهذب خجول ، ومن ثم وسيم فارع الطول ، وقد نال رضا نساء القصر يا سيدي .. ومضت الأيام هادئه حتى أصبح ضيغم يدخل ويخرج كما يشاء .. فكان من سوء حظه أن الأميرة الصغيرة ابنة القائد الأميرة ريم وقعت في هواه وعشقته ، وهذا علمته من جارية لها أطمع بأن أتزوجها كما وعدتني سيدتي زوجة الأمير سالم .. أحبت الفتاة الصغرى ضيغما المسكين الغافل عن هذا الحب وبدأت تهتم به وتثيره ، وهو في غفلة من أمرها ولا يعيرها أدنى اهتمام للبون الشاسع بينهما .. عبد وإن كان حرا وابنة قائد من كبار قادة الملك جبرون .. لم تصبر الصبية على تجاهله فصارحته بحبها له .. فاعتذر لها الشاب أشد الاعتذار عن هذا الغرام .. وظن أنها قبلت عذره وتابع عمله كالمعتاد ، ولكنه في النهاية استسلم للهوى وتناسى الفارق الطبقي بينهما ، وهذا حدث وأنتم خارج البلاد ، فأصبحا عاشقين ويخلوان معا ، ولا يعلم بسرهما إلا جاريتها الخاصة .. ولكن الأمر خطير بالنسبة لضيغم فطلب منها أن تساعده في الوصول لحل ، فاعترفت لأمها فغضبت عليها وكرهت الشاب وأبعدته عن قصر النساء ، وأمام إصرار الفتاة على الاقتران بالفتى المعشوق كشفت الأم القصة للقائد فغضب غضبا شديدا من وقاحة ابنته ، وأمر بحبس ضيغم في السجن لتقطع الأمل منه .. فهو فيه منذ شهور أربعة ، ولما علمت الفتاة بعودتكم من بلاد الهنود ، طلبت مني أن أروي لكم القصة .. فضيغم صديقكم لتساعدوه وتخرجوه من أعماق السجن .

قال جبل متأسفا وراثيا : مسكين حقا يا ضيغم !..بل مسكين الضعيف في هذه الدنيا ! .. لقد تطاول على الأسياد .. كيف يهوى العبد أو الغلام الحر الأميرة أو الآنسة من بنات هؤلاء القادة والأمراء ؟! .. وإن بحثت ودققت يا ثعلبون في جذور هذه الأسر لوجدتها قد كانت أسرا معدومة ، وربما كانت رقيقا في يوم من الأيام الماضية .

فقال ثعلبون : هكذا الدنيا أيها الصديق !.

فقال جبل : أتذكر مدينة الجبال العالية يا أبا الوفاء ؟

رد ثعلبون فقال : نعم ، أذكر .. مدينة الأسود !

فقال جبل : أتذكر يوم الأسود وصراع أبناء الطبقة الفقيرة للأسود ؛ ليصبحوا نبلاءويتزوجوا

بنات النبلاء ؟ أرأيت كم تفتك الأسود بهؤلاء الشباب ؟! ولكنهم يصرون على مقاتلتها .. إنها فكرة قاسية ؛ ولكنها وسيلة لتحقيق تطلعات الطبقات الكادحة الفقيرة لرغبتهم في العلو والسمو كباقي بني الإنسان!

فقال ثعلبون : معك حق فكرة ذكية من ملوك تلك البلاد .. ماذا سنفعل لهذا المسكين ؟! .. فليس هنا أسود ليصارعها ضيغم ليصير نبيلا .

فقال جبل : يا رمح .. أترغب سيدتك فعلا بالزواج من الشاب الوضيع ضيغم ؟!

ـ إنها يا سيدي منذ حبس ضيغم لا تأكل إلا البلغة ، ولا تخرج للبساتين كعادتها

الأولى بل هي منزوية في حجرتها ، وقد أصابها الوهن .. فهي ترغب رغبة أكيدة بالاقتران بذلك الشاب النبيل .

فقال جبل : قل لها لتهتم بصحتها وتخرج للبساتين ولتصبر ، وقل لها إن الفارسين جبلا وثعلبون يسعيان في أمرهما بإذن الله ، فعليها بالصبر والتحمل حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا

فسر رمح مم سمع وانطلق مسرعا نحو قصر القائد سالم ، فوجد الأميرة الصغيرة في انتظاره فقص عليها ما جرى ، ثم ذهب لفراشه حيث يرقد فنام .

زار الملك جبرون وبعض قادته الكبار الفارسين في قصرهما ، وقدموا له التعزية والمواساة ، وأخبرهما الملك أنه ذبح ألف خروف صدقة عن الفارس هزبر ، وأمر بتوزيعها على الفقراء والأيتام والأرامل ، فشكره الفارسان على تعاطفه وجوده ، ثم أثنى الملك وقادته على الفرسان الثلاثة ، وأعادوا ذكر كثير من محاسن الفارس الميت ،



وانتقل الحديث أن الحزن على الأموات مهما ارتفع حبهم لهم ، فعلى الإنسان أن يهتم بالحياة وعمارة الكون ، فشكر جبل الملك على وده وصداقته ومحبته ثم قال جبل : يا مولاي .. وأنا في بلاد الملوك العظام التي يحكمها في هذا الزمان الملك شراب التقينا برجل يعرفك حق المعرفة يدعى أحمد بن طارق .. وقد خدمنا خدمة جليلة ، وهو يعمل كاتبا للوزير هناك ، وأرسل لك سلاما وأشواقا .

فقال الملك محاولا التذكر هيئة وذات الاسم المذكور : وعليكم وعليه السلام .. ولكن من هو أحمد بن طارق هذا ؟! وردد الاسم مرارا ، ثم قال : قلت يعمل كاتبا للوزير ، عمره كم يا ترى

فقال جبل مؤكدا ما نقل : هو يعرفك حق المعرفة وقال إنه لك صديق منذ عهد قديم وهو من

عمرك كما أرى

وأخذ الملك جبرون يتذكر ويتذكر حتى تذكر فقال : نعم ، نعم ، تذكرت من هو صاحب هذا الاسم ؟! نعم ، هو من أصدقاء الطفولة .. أبوه طارق بن بدر .. هذا رجل كان من فرسان أبي منذ عهد بعيد ، وكان له ولد يدعى أحمد .. وقد جرى بين طارق هذا وفارس آخر من فرسان أبي – رحمه الله – شجارا كبيرا ، أصلح بينهم الملك الوالد ، وأمر والدي بنفي طارق هذا من البلاد .. فخرج هو وأسرته وبعض أقاربه من البلاد ، ويبدو من كلامك أنه استقر في تلك المدينة ومنذ ذلك العهد لم نعد نراهم أو نسمع أخبارهم .

رد الفارس فقال : هو ما تقول أيها الملك !.. ولما علم أننا من أصحابك ورجالك ساعدنا وأخرجنا من ضيق قد ألم بنا في تلك المدينة ، والحق أنه رجل عنده وفاء !

فقال الملك : جزاه الله خيرا .. أرجو أن أراكما في ديوان الحكم غدا كفاكم حزنا .

فقال جبل : سوف نفعل يا مولانا الملك ؛ ولكن لي طلب عند مولانا الملك .

فقال الملك متبسما : طلبك نافذ قبل أن أسمعه .

فقال جبل بخجل : بوركت يا مولاي ! ولكني أحللتك مما قلت حتى تسمع طلبي .

ضحك الملك وقال : قل ما هو طلبك الذي أحللتني منه ؟!

قال جبل : لي صديق يوم أن كنت خادما سائسا في قصر سيدي القائد سالم بن قنبرة ، فلما عدت من رحلتي وجدته طريح الحبس والقيد ، وفي نظري ما فعل ذنبا كبيرا ليقذف به في السجن .

فدهش الملك وقال : كيف ذلك ومن هو ؟!

فقال الفارس بهدوئه المعهود : صديقي ضيغم عشقته – يا مولاي– ابنة القائد الكبير سالم ، فرغبت بالزواج منه ، فرفض الأبوان ولهما الحق في ذلك ؛ ولكن ليس لهما الحق بحبسه كما أظن كان طرده أحكم وأعدل أليس كذلك يا مولانا ؟!

فقال الملك : من ضيغم هذا ؟

رد جبل قائلا : كان معي أسير عندما دخلنا هذه البلدة ، فهو أحد أسرى حربكم مع الضبع .

وذكر له بعضا من قصة ضيغم وأسره ، فقال الملك على أثر سماع القصة : أيها الفارس لأني أحبك وأقدرك سأفعل من أجل صاحبك ما أستطيع ، واعلم أن قانون بلادنا يسمح للقادة الكبار بتأديب غلمانهم ومواليهم بالسجن .. سأكلم ابن قنبرة .

فقال جبل متشجعا من تعاطف الملك معه : مولاي !! وما ذنب الشاب إذا تعلقت به الفتاة ؟!

وروى للملك ما شاهده في مدينة الجبال العالية ، وحدثه عن نظام الطبقات ومصارعة الأسود

فوعده الملك بإخراج صاحبه من السجن وقال : أما الزواج فاعلم أني لا أستطيع إرغام أو حتى الطلب من قائدتنا الكبير ذلك .. دع ذلك للأيام .

جزيرة النمور



وخرج الملك من بيت جبل وهو يتمتم لنفسه له في عنقي دين ، لقد أنقذ ولدي ، وقاتل عدونا ، وخسر صاحبه من أجل فتاة منا ، لابد من العفو عن ضيغم فلما وصل لديوانه وجد القائد ابن قنبرة جالسا مع الحاضرين فتشفع لديه للغلام ضيغم ، وذلك عن شفاعة الأمير جبل فقال القائد : افعل ما تراه مناسبا يا مولاي .. هو والحق يقال شاب مخلص وخادم طيب ؛ ولكن الفروق التي بيننا تمنعنا من تزويجه بابنتنا ، وحبسته لتقطع الأمل من اللقاء به .

فقال الملك : أنا لا أتحدث عن زواج يا قائدتنا هذا شأنك .

فأمر الملك بإخراج ضيغم من السجن ، وإرساله إلى قصر الفارسين جبل وثعلبون

واستقبل الفرسان ضيغما بالعناق والالتزام وهنئوا بعضهم بعضا ، ولما علم الشاب بمقتل هزبر بكى وأسف وأظهر حزنه العميق عليه ، ثم روى لهم قصته مع الأميرة ريم ، فلم تزد على ما قاله رمح وختم اعترافه قائلا : سوف أرحل عن هذه البلاد ؛ لعلي بالبعد أسلوا عن حبي لهذه الفتاة فأنا أعرف من أنا ؟ .. وأنا أعرف من هي ؟! .. صدقوني أنني قاومت هذا الغرام بكل قوة ؛ ولكني ضعفت وغلبني الهوى فهمت بها .

فقال جبل متأثرا من ضعف ضيغم : أيها الإنسان .. سأبدأ بتعليمك الفروسية لتصبح منا .. واعلم أنني تأكدت أن الفتاة تحبك وترغب بك بعلا لها .

فقال ضيغم بحسرة وغصة : أعلم هذا يا سيدي ! وأنا أتمنى أن تكون من نصيبي ؛ ولكن كما تلاحظان فإن الأمر ليس سهلا ميسورا .. فالابتعاد خير لي وخير لها .

فقال ثعلبون مازحا : أتصبر على الفراق أيها العاشق ؟

فرد ضيغم وهو يتنهد بعمق وألم : لقد صبرت أكثر من ثلاثة أشهر في السجن ، ولولا تدخلكم لمكثت فيه العمر كله ..من يفكر بي ؟!من يسأل عني ؟ .. فماذا فعلت لي ؟؟ ولكن فكرة تعليمي الفروسية قد ترفع من مقامي في المستقبل عند هؤلاء الناس .

فقال جبل مشجعا : أحسنت .. اصبر قليلا يا ضيغم ! ثم نفارق هذه المدينة سوية .. ولا تيأس من اللقاء بها في يوم من الأيام ، وسلم الأمر

كله لله .

فقال ضيغم : متى يبدأ الدرس الأول يا سيدي الفارس .

قال جبل : صباح الغد إن شاء الله .



ومكث جبل شهورا ثلاثة في بلاد التين بعد عودته من بلاد الهند ، ثم استأذن من الملك بالرحيل فتعجب الملك ورجاله من هذا الطلب ، فقال جبل : مولاي ! لا أنسى كرمك وحبك لنا .. واعلم أنني سأبقى جنديا من جنودك أيها الملك ، وعندما أعلم في أي وقت أنك في قتال مع العدو سأكون مع جيشك الباسل .. ولن يهدأ لي بال حتى أتخلص من الضبع فقدر علينا أيها الكرام الترحال بين مدن الدنيا .

وبعد جدل طويل اقتنع الملك بأفكار جبل ، وقال لهم مودعا :اعلموا أيها الفرسان ..أن المنزل سيبقى لكم ، وهو في انتظاركم في أي وقت حللتم فيه هذه المدينة .

وغادر الفرسان بلاد التين ، وقبل المغادرة وصلت لضيغم رسالة من ريم تعده فيها بالصبر والانتظار ، وأنها لن تتزوج إلا منه مهما طال الزمن ، وسار الفرسان نحو البحر الكبير ، وكان جبل يرى أن النصر على الضبع لا يتحقق إلا بهجوم قوي من جهة البحر وهجوم آخر متزامن معه من جهة البر ، وقد سيطرت هذه الفكرة الصعبة على قلب الفارس ، فهو سائر للبحث عن حليف بحري ليغزو به بلاد العقرب ، وقد تفاهم على ذلك مع ملك بلاد التين ، وصل الفرسان إلى مدينة القمر مدينة تقع في الشرق وجنوب بلاد التين ، ومنها مشوا إلى ميناء تابع للمدينة ، واتفقوا مع ربان سفينة كبيرة مسافرا إلى جزيرة النمور بأن يحملهم إليها مع جيادهم فوافق وقبض أجرته ، وبعد عشرة أيام تجهزت السفينة وأخذت حمولتها من الركاب والبضائع واستعدت للإقلاع ، ولما جلس الفرسان في أماكنهم في جوف السفينة علموا من القبطان أن الوصول لجزيرة النمور يحتاج لسبع ليال في أحوال جوية طبيعية ؛ وإذا ساعدتهم الرياح قد يصلون في خمسة أيام ، وتحركت السفينة الضخمة في هدوء إلى الجزيرة ، واستمتع الفرسان بهذه الرحلة البحرية ، ومضت الرحلة هادئة حتى رست على ساحل جزيرة النمور بسلام ، وهبط الفرسان وعدد من الناس وبعض التجار وصعد آخرون ، وعلم جبل من الربان أن كل نصف شهر ترسو سفينة من بلاد القمر على سواحل جزيرة النمور ، وأخبره أن هناك مراكبا صغيرة تنتقل بين

المدينتين ، وبعد استراحة يوم أو أكثر تابعت السفينة سفرها إلى جزائر أخرى ، كانت جزيرة النمور جزيرة واسعة وفيها الجبال والأنهار الصغيرة والغابات ، وعدد سكانها كثير ، ويحكمها ملك كبير في السن لما وجد فيها جبل ورفاقه ، وكان قصره بعضه في البحر ، وأكثره في البر ، والأمن والعدل والهدوء ينعمون بهم أهل تلك الجزيرة ، ويتبع لها عدة جزر صغيرة ، ولا يخلو منزل من منازلها من مركب كبير أو صغير ، فأغلب سكانها يعملون في صيد البحر ، وفي حي قريب من أحد سواحل الجزيرة استأجر الفرسان بيتا واسعا ، ومن ثم اشتروا غلاما وجارية للقيام على خدمتهم ، ولما استقر الفرسان في الجزيرة درسوا أوضاع الجزيرة ، وأخذوا يتعلمون العوم والغطس تحت الماء ، وتملكوا قاربا صغيرا يدخلون به البحر ، وكان جبل في نفس الوقت يتابع تدريب ضيغم ، ويعلمه فنون القتال بالسيف والقفز على الجواد والكر والفر ويساعده ثعلبون في ذلك ، ومضت عليهم سنة في الجزيرة وهم ينعمون بالهدوء والحياة المستقرة فصار على أثرها ضيغم فارسا من فرسان السيف والسنان ، فقد أتقن فن المبارزة والمطاردة والعوم .

وانتشر فجأة في الجزيرة الهادئة عصابة تعيث في الأرض فسادا ، وقد قتل بعض الناس ، فانزعج الملك الشيخ مروان بن أسد ، فطلب من رئيس شرطته التحرك بسرعة للقضاء على المفسدين ، فقد تكدر الناس لهذه الجرائم الغريبة على أهل الجزيرة المسالمة الوادعة.. فلما حدثت جريمة أخرى اضطر الحاكم لعزل رئيس الشرطة وتعيين رجل آخر مكانه للقيام بمهمة القضاء على العصابة ، فأعلن الرئيس الجديد مكافأة مجزية لمن يرشد على هؤلاء المجرمين الذين أخلوا بأمن وهدوء الجزيرة ، وانشغلت البلد بهذه الجرائم التي دهمت الجزيرة وكثرت الاشاعات المرعبة ، وبينما القوم منشغلون بذلك الهم احتل جيش من الغزاة أحد سواحل الجزيرة ، فاضطربت البلاد لهذا الحديث ، وأدرك الحاكم ووزيره أن هذه الجرائم دبرت لاشغال الناس عن الجيش الغازي وأن هذه العصابات كانت تمهد لنزول واحتلال الساحل من غير أن ينتبه الناس لهم .

فقد هبط ما يزيد عن خمسة آلاف محارب على ساحل البحر في منطقة خالية من السكان والحراسات كانت تحملهم سفن كبيرة ، فذعر أهل الجزيرة للحدث ، فطلب الحاكم من قائد الجيش وحرس السواحل بالاستعداد والتحرك العاجل لميدان القتال لصد الغزاة وطرد الأعداء وقبل خروج الجيش جاءت رسالة للحاكم من الملك الغازي يطلب منهم أموالا وأنعاما وعبيدا

وإلا الحرب ، وعلى الفور رفض الملك مروان بن أسد مطالب الملك شهلب ملك جزيرة النمر الأحمر ، والتقت جيوش الجزيرتين ، وظهر للفرسان الثلاثة الذين يتابعون الأحداث أن جند الجزيرة لا يصلحون للقتال والدفاع عن جزيرتهم ، وأدركوا أنهم لا صبر لديهم على الحرب وويلاتها ، وسوف يرضخون للغاصب ، فقال جبل لرفيقيه : إنها فرصتنا لنتدخل في شأن هذه الجزيرة !!

فذهب لقصر الحاكم مروان وعرض عليه سيفه بجسارة ، ووجدت هذه الجسارة ارتياحا لدى الحاكم ، ووعده الملك خيرا كثيرا إن استطاع دحر العدو ، فصحبهم الوزير لميدان القتال ، فوجدوا أن قائد الجيش قد أرسل وفدا للتفاوض مع الملك شهلب على التسليم والرضوخ لشروطه ومن غير علم الملك ، فغضب الوزير ، وأخبر القائد بعزله ، وأرسل وراء الوفد بالعودة وقطع المفاوضات ، فقال القائد مبررا ضعفه : إنهم أقوى منا ولا قدرة لنا على الاستمرار في الحرب ، فنسالمهم على بعض المال أحسن من أن نخسر الأنفس والأموال كلها !

فلما سمع جبل الفارس الشجاع كلام وتعليل قائد الجيش للمصالحة تدخل بحنق خفيف وقال : أأنت قائد جيش ؟! إني أراك مع عدوك ؟!

وأخبر الوزير قادة الجند بأن الفارس الأمير جبل بن مجدو قد أصبح قائدا للجيش حتى تنتهي هذه المعركة ، فعليهم طاعته وتنفيذ خططه ، فاستغرب الأمراء والقادة لهذا الرجل الغريب ، ولم يروه إلا في هذه اللحظة ، فتابع الوزير قائلا : بعد الانتصار على العدو ستعلمون من هو الفارس المشهور بابن الخباز جبل .

فسخر قائد الجيش المعزول وبعض القادة مما سمعوا وضحكوا وقال : سنرى ما يفعل فارسك أيها الوزير ؟! ..من هو جبل هذا ؟!

فبادر جبل بالكلام فقال بصوت قوي : أيها الرجال ! .. لماذا أنتم جيش ؟ لماذا أنتم قادة ؟ أليس من أهم واجباتكم حماية البلد من العدو والدفاع عن الملك والناس في هذه الجزيرة ؟!.. فالجندي الحقيقي عليه أن يقاتل حتى يموت قائده ورئيسه ، وفي تلك اللحظة إما أن يموت الجندي متأسيا بقائده أو يستسلم ..فهذا ملك غازي يطمع في أموالكم ومتاعكم ، ولن يكف عن غزو بلادكم إن لم يجد صدا ودفاعا قويا .

وأخذ جبل ينفث في روعهم الحماس والاستبسال ويهيجهم على الحرب ، ثم قال في النهاية : من يحب أن يقاتل معي أعداء بلاده فليبق ؟ ..ومن أراد أن ينسحب فليتبع قائد الجيش المعزول ؟ فلا أريد أن يبقى معنا إلا من أحب الموت والنصر

فانسحب قائد الجيش وعدد كبير من أعوانه ، ولم

تمض ساعة على خطاب جبل حتى خلا الميدان ولم يبق مع الفرسان إلا ما يقارب ألف مقاتل ، فقال الوزير : ماذا فعلت أيها الفارس ؟!

قال جبل بحماس وثقة : هؤلاء هم الجنود الحقيقيون أيها الوزير .. فأرسل رجالك إلى المدينة يستصرخون الناس ويناشدونهم من أحب أن يدافع عن نفسه وماله وعرضه فليلحق بالجيش واعلم أيها الوزير لو ظل هؤلاء في الجيش لخذلوه وقت الشدة .

فبعث الوزير مستسلما لارادة جبل مساعديه للمدينة ينفذون طلب الفارس ومناشدة الناس للدفاع عن شرفهم وجزيرتهم ، وفي هذه الأثناء طلب جبل مقابلة الملك شهلب ، فلما التقيا قال له : أيها الملك ماذا تريد من هؤلاء الناس المسالمين ؟!

فرد عليه الملك شهلب : طلبنا بعض الأموال وبعض الخيل والأنعام والعبيد والإماء ؛ فإن رفضتم فلن نغادر الجزيرة هذه قبل أن نأخذ مطالبنا .

فقال جبل : أيها الملك !! ولكن هذا ظلم وجور ، ولا يجوز أكل مال الناس بالباطل .

فقال الملك : هذه مطالبنا .

فقال جبل : ما رأيك أيها الملك بغير ذلك ؟

فقال : تكلم ؟

فقال جبل : إنني اعرف بلادا تسمى بلاد العقرب ، وهي مطلة على ساحل البحر ، وفيها من الأموال والأشياء الكثير الكثير.

فقال شهلب : أتريد أن تصرفني عن بلادكم إلى بلاد بعيدة ؛ لتتخلص مني وتهلكنا ، فهذه حيلة لا تنطلي علينا ادفعوا أو دافعوا ؟

فقال جبل : ولكنني سأحارب معكم .. إن ملك تلك المدينة ظالم طاغية لا يعرف الرحمة .. فنحن بمحاربته نخلص الأرض من شره ونكسب أمواله .

فقال شهلب : من أنت ؟!

فقال جبل : أنا أحد الذين صارعوا ذلك الجبار من جهة البر قبل مجيئي لهذه الجزيرة ، ولولا قلة جيشي وحصانة مدينته لحطمته وسحقته ومزقت مملكته تمزيقا . تفوه جبل بكلماته الأخيرة بعنف وشدة وحقد وقوة .

فقال الملك شهلب : دعنا من أفكارك وأحلامك وأحقادك الآن .. فلنتبارز فإن فزت عليّ أفكر بما عرضت عليّ .

فقال جبل : أخشى أن تغضب عليّ إذا فزت عليك

فقهقه الملك وقال ساخرا : تغلبني أيها الفارس ! أنت لم تعرف يا مغرور شهلب .

فقال جبل : فإن كان ولابد .. فلينزل لي أقوى فرسانكم ؛ فإن انتصر عليّ أقر لك بالغلبة ، وإن هزمته اتفقنا على الصلح .. وإني أرغب بأن نكون

أصدقاء .. ونغزو في البحر معا .

فقال شهلب : راق كلامك لي ..وسيبارزك أشجع فرساننا لنرى غرورك .

فركب جبل جواده وأشار لثعلبون بالاقتراب ، وأطلعه على جلية الأمر ليخبر الوزير ، واستدعى الملك أبرع فارس عنده شبورة ، وتناطح الفارسان ، فشبورة من الأبطال المعدودين عند الملك شهلب ، ولكنّ جبلا فارس عنيد ومجرب ، وقد خاض مئات المعارك ؛ لذلك خلال دقائق كان سيف شبورة يفارق يده ، وتطاعنا بالرماح وفي وقت يسير تخلى شبورة عن رمحه ووقع عن جواده ، فقفز جبل عن ظهر جواده وتشابك الفارسان بالأيدي ، ثم بطح جبل خصمه ووضع الخنجر على عنقه لحظات ثم تركه ، وهو يقول : معذرة أيها الفارس .. اذهب لمولاك وقل له كيف رأيت طعنات الفارس ؟

وكان الملك يراقب المبارزة فدهش من قوة جبل وسرعة حركته فصاح : اثنان أيها الفارس ؟

فأجابه جبل وهو يرفع يده متحديا : أرسل أربعة

فأحاط به أربعة فرسان ، فقال لهم : كل من طار سيفه من يده يعتبر مهزوما .. ومن سقط عن حصانه يعتبر مهزوما كذلك..لا أرغب بقتل أي فارس منكم .

فهزوا رؤوسهم بالموافقة ، والتقت السيوف ، فبان للعيان أن جبلا فارس الهيجاء وبطل المعارك المجرب ، وما هي إلا دقائق حتى كان كل فارس يذهب لالتقاط سيفه المحلق في الهواء ، فصاح الملك : عشرة يا جبل ؟!

فقال جبل : عشرة !

فاندفع عشرة فرسان بإشارة من الملك ، فوضح لهم جبل شروط الصراع ، فكان الفارس ضربة واحدة إما أن يطير سيفه في الفضاء أو يقع عن ظهر جواده ، وانتصر البطل على عشرة ، فقال الملك المتعجب والمنبهر من قوة جبل الباهرة : أمثلك كثير ؟!

فأشار جبل لثعلبون أن يتقدم ، فقال ثعلبون للملك بعدما حياه : أنا مستعد لملاقاة فرسانك .

فقال الملك المبهور لفرسانه : أين صروفة ؟

فأجاب صروفة : سيدي !

فأشار له الملك لمبارزة ثعلبون ، وطلب جبل من ثعلبون ألا يقتله أو يجرحه وتبارزا ، وثعلبون لا يقل عن جبل فروسية وخبرة ، ففاز على الفارس بسهولة ، فنزل اثنان فلحقا صاحبهما ، فتحداه عشرة فغلبهم ثعلبون ، فعقدت الدهشة الملك وفرسانه لقوة هذين الفارسين ، فقال لمن حوله : لابد أنهم من الجن !

فقفز الملك عن جواده وتقدم نحو الفارسين مستسلما ومعجبا من بأسهما وعانقهما بحرارة ،

فقال جبل : ما ترى يا صاحب التاج ؟
فقال الملك : يجب أن تعلمنا هذه الفنون أيها الشجاع .. إنكم والله من سادة الفرسان ! .. كنت أظن أنه لا يوجد لنا مثيل في الدنيا ..فأنا أقر لكم بالهزيمة .. وهذه أول مرة أشاهد مثلكم في حياتي !

فلقد تركت الشجاعة أثرها على قلب الملك فانجذب للفارسين ثم قال : كيف لم تنتصر على ذلك الملك الذي حدثتني عنه .. الملك الظالم ؟!
قال الفارس : جيوشه كبيرة ، وقلاعه حصينة ومتينة ، فلا يمكن دخلوها إلا من جهة البحر ، ومن أجله جئت لهذه الجزائر أريد جيشا قويا لأغزو به ذلك الملك الطاغية .
فقال الملك شهلب : أمرك غريب ! ولابد من سماع قصتك .. ما العمل الآن ؟
قال جبل : تتصالح الجزيرتان ونذهب إلى الملك مروان وتتحالف الجزيرتان وبعدها نغزو بلاد العقرب فهناك الخيرات الكثيرة والكنوز العجيبة التي يجمعها الضبع بجبروته وظلمه وبطشه
وكان جبل قد أشار للوزير وزير الملك مروان بالمجيء ، وقد لبى نداء جبل فأقبل مسرعا وهمس في أذن جبل : أقبل الناس وهم يحملون المدى والحراب والعصي .
فقال جبل : أرأيت حب الناس لوطنهم ؟!.. على كل حال انتهت الحرب .. وسننظم جيش البلاد المهلهل الضعيف .. لقد رضي الملك شهلب بالصلح والسلام بين الجزيرتين .
فتقدم الوزير من الملك شهلب وصافحه ، وصافح وزيره ومن معه ، ورحب بهم ضيوفا على البلاد ، فأخذ الناس بالهتاف للفارس جبل والترحيب بالملك الغازي ، وفرح الناس للصلح ، وتقدم وفد مع الملك بصحبة الوزير والفرسان ووجوه أهل المدينة إلى قصر الملك مروان ، وعقد الملكان صلحا بين المدينتين ، واعتذر الملك شهلب عن إساءته لأهل الجزيرة ، وتعهد بدفع ديات الذين قتلهم رجاله والتعويض على من أصابهم ضرر ، ولما تم عقد السلام بينهم ، وهب الملك مروان الفرسان الثلاثة ثلاث جواهر باهرة الجمال والحسن ، وأهدى للملك ورجاله هدايا قيمة ، وصنع لهم وليمة عظيمة ، وبعد أيام ثلاثة غادر الملك الغازي والفرسان بصحبته الجزيرة إلى جزيرة النمر الأحمر ؛ ليضعوا خطة ذكية يحتلون بها مملكة الضبع ، فكانت الخطة هي تكوين جيش قوي من رجال الجزيرتين ، يعدهم الفرسان الثلاثة لخوض حرب قوية مع التحالف التام مع الملك جبرون والملك سليل ، هؤلاء من البحر وأولئك من البر ، ثم قال جبل بعد أن بسط خطته : الخطوة الأولى صناعة عدد من السفن الكبيرة لتحمل الجنود والخيل

والطعام ، وصناعة المئات من المراكب المختلفة الأحجام ، وإعداد بحارة محترفون لهذه السفن والمراكب .. ثم تابع فقال : وسأعد عددا من الفرسان ؛ ليقوموا هم بإعداد الفرسان الذين سوف يشاركون في المعركة الفاصلة .. وخلال سنوات ثلاث أو أربع أو خمس تجهز السفن والجنود وتنطلق الحملة الكبرى التي حلمت بها منذ سنوات .. بعد أيام سأعود واتفق مع الملك مروان ، واشرح له تفاصيل الخطة .

وشرح جبل للملك شهلب وحاشيته قصته مع الملك الضبع وبلاد العقرب ، ثم اتفق جبل مع صناع السفن المهرة على صنع سفينة كبيرة كل سنة وما استطاعوا من المراكب ، وذلك في كل جزيرة ، وقام جبل وثعلبون بتدريب مائة فارس في كل جزيرة ؛ ليقوموا هم بدورهم في تدريب وإعداد الفرسان للحملة المطلوبة ، ولما دخل الشتاء طلب جبل من ضيغم بالمسير لبلاد التين وبلاد الدب ليأتيهم بأخبار المدينتين ، فتنكر ضيغم وسافر برفقة غلام لهم .

ضيغم في بلاد الدب

فلنترك جبلا وثعلبون يعدون جيشا بحريا قويا لغزو بلاد العقرب الأحمر ، ونسير مع فارسنا الجديد ضيغم ، ففي أول سفينة سائرة إلى مدينة القمر أخذ ضيغم والغلام مكانا لهما ، وبعد أسبوع وصلوا إليها فاستراحوا فيها يومين آخرين ، ومنها ساروا نحو بلاد التين ، والتقى ضيغم بصاحبه جدار ، ومكثا فيها نصف شهر ، فعلم أن معركة عنيفة حدثت بينهم وبين الضبع ، ثم عادوا للصلح الهش ، وعلم ضيغم أن أحد قادة الملك جبرون قتل في الحرب الأخيرة ، وأن الملك جبرون أقسم على غزو بلاد العقرب مطلع الصيف القادم ، ولم ينس صاحبنا ضيغم غرامه في هذه البلدة ، فاتصل بصديقه رمح ، فعلم منه أن فتاته ما زالت على الوعد والعهد ، ولقد راودته نفسه بالسعي للالتقاء بها ؛ ولكن صاحبه جدار حذره من ذلك الاندفاع خشية الوقوع بين أيديهم ورميه في الحبس من جديد ، وقد وافق جدار على مصاحبته في رحلته لبلاد الدب ، فتخلص جدار من خدمة الأمير سالم ، وقبل الرحيل كتب ضيغم رسالة للأميرة المحبوبة بث فيها أشجانه وأشواقه ، وأنه ما زال على العهد ، ولابد أن تتغير الأحوال والعقبات ، ولابد من اللقاء بمشيئة الله ، وفي يوم مغادرتها دفع جدار الرسالة لرمح ولما قرأت الأميرة الرسالة طلبت من رمح مساعدتها للقائه ، فأخبرها أنه غادر البلد ، فكانت بين الفترة والأخرى وكلما تخلو بأحلامها ونفسها تقرأ الرسالة ، وما خطه العاشق من كلمات الهوى والغرام والأمل ، فتملأ نفسها بالحياة والحب ،

حتى أن أمها لمحت هذه اللمحات الخاطفة في حياة ابنتها الكئيبة ، فتابعت الأمر ، فوقعت بين يديها الرسالة ، فقالت لنفسها بعدما قرأتها : لقد أسأت لك يا ابنتي بمنعك من الزواج منه ؛ ولكن أنت أميرة بنت أمير وقائد ، وهو عبد رقيق كيف يكون هذا الزواج ؟! .. وأبوك الآن مريض لو أطلعته على هذه الرسالة قد يموت من الألم والقهر .

وحاولت معرفة الطريقة التي وصلت بها الرسالة للأميرة فلم تصل لشيء ، وتحرت عن ضيغم فثبت لديها أنه ترك المدينة منذ زمن بعيد ، ولم يرجع إليها فركنت للصمت ، وأنها دخلت إلى القصر عن طريق العبيد ، ولما علمت ريم أن الرسالة عند أمها زاد حنقها وجفاءها لأمها ، وأصرت على عودة الرسالة إليها ، فاستسلمت الأم لرغبة الفتاة وأعادت الرسالة وهي حائرة في الخطوة الصحيحة لمعالجة أمر هذه الفتاة التي خرجت عن تقاليد الأسرة وتعلقت بشاب خادم لهم حتى انتشر هواهما في كل المدينة .

وكان ضيغم وجدار والغلام برمو قد ابتعدوا عن بلاد التين متجهين إلى بلاد الدب القطبي التي وصلوا إليها من غير عقبات تذكر ، فلمسوا على الفور أن المدينة ما زالت في حالة حرب وتوتر وكثرة الحرس على الأسوار ومداخل المدينة ، وتغلق أبوابها مبكرا مع غروب الشمس ، ولا تفتح في الليل البتة ، فقال ضيغم لرفيقيه : سنمكث هنا زمنا مناسبا .. فهذه المدينة ولد فيها الأمير جبل والأمير ثعلبون ، وفيها تعلموا فنون القتال .. وأصبح صديقي جبل أميرا لها بعد أن طرد الغزاة عنها .. وهو قد أسس جيشها القوي .. فلنسكن في فندق جميل في قلب المدينة .

ولما حل عليهم الظلام ولم يغادروا المدينة أخبرهم صاحب الفندق أن رجال الشرطة يطلبونهم لأنهم من الأغراب ..فقادهم شرطي إلى مكان مراقبة ومتابعة الأغراب ، وهناك سألهم قائد الموقع عن سبب تواجدهم في المدينة ، فذكروا له أنهم قادمون من بلاد التين ، واعترف لهم جدار بأنه كان يعمل في قصر القائد سالم بن قنبرة من كبار قادة الملك جبرون ، واعترف ضيغم بأنه كان غلاما للأمير سالم ، وأن الأمير أعتقهما فغادرا البلاد ، وأن الشاب الثالث غلام لهما ، وهم يرغبون بالحياة في هذه المدينة ، فقال القائد : سوف نتثبت من هذه المعلومات ، واحذروا أن تكونوا من جواسيس الضبع فعقابكم السجن إلى الأبد إذا ثبت عليكم ذلك . وأخلى سبيلهم .

فأدرك ضيغم أن الأمور متوترة ، وهناك حذر شديد من الغرباء ، وأن أصحاب الخانات والفنادق يتعاونون مع رجال الشرطة ، فقال ضيغم لأصحابه : علينا الحذر في تصرفاتنا ، فهم

يعيشون في قلق دائم من الملك الضبع .
وبعد أيام قد قضوها في الفندق استأجروا بيتا صغيرا ، وذات مساء قال الغلام برمو : سمعت الناس يتحدثون عن مبارزات ومسابقات ستقوم غدا بين الفرسان فما رأيكم بالفرجة عليها ؟
قال ضيغم : لا بأس .. ذكرنا بذلك صباحا .
وسار الأصدقاء ضحى إلى ميدان المسابقات ؛ فإذا هو مكان فسيح معد للمبارزات ومسابقات الخيول ، والناس تتوافد لمشاهدة فوج جديد من الفرسان قد أكملوا تدريبهم ، فلما حضر أمير الجيش القائد قيس دخل الفرسان للميدان يستعرضون ما تعلموه أمام قائد الجيش ، فيتبارز فرسان قدامى مع فرسان جدد ، ثم جرى سباق على ظهور الخيل بين المتنافسين ، ويستمر الاستعراض حتى العصر ، ثم يثني الأمير على المشاركين ، وينصرف الجميع فرحين بانضمام فوج جديد من الفرسان للجيش ، وعلم ضيغم أن التدريب مفتوح لكل سكان المدينة فقال لصديقه جدار وهم عائدون للبيت : ما رأيك أيها الصديق بتعلم الفروسية في هذه المدينة ؟! فأنت تنضم لسلك الفرسان ، وأنا أختبر نفسي وأتاكد من التدريب الذي تلقيته من الفارسين
فقال جدار : فكرة جديرة بالاهتمام .. فلنلتحق بمدرسة تدريب الفرسان .. فجارنا سعيد مدرب فيها فلنتحدث معه ، قد أصير فارسا مثلكم ؛ ولكن ألا نتأخر بالعودة على الفارس جبل ؟
فقال ضيغم همسا : الفارس غير مستعجل على رجوعي ؛ لأنه يقوم بمهمة كبيرة تحتاج لسنوات
فقال جدار : إذن على بركة الله أيها الصديق الطيب
والتحق الشابان النزيلان بمدينة الدب بمدرسة إعداد الفرسان بشفاعة من جارهم المدرب سعيد ، وجرت لهما الاختبارات اللازمة ، فلما اجتازاها رخصوا لهما بالالتحاق بالتدريبات الخاصة بالفروسية ، واكتشف ضيغم خلال فترة التمرين والتدريب أن تدريبات جبل وثعلبون أقوى وأشد ، وبعد مضي شهور ستة أخبرهما مدربهما أنهما يستطيعان المشاركة في العرض القادم للفرسان ، وبين المدرب لضيغم أنه فارس متقدم على أقرانه ، ففرح ضيغم بهذه الشهادة .. وجاء يوم الاستعراض المنتظر ، وعلى جواد التدريب الذي قدمه له المدربون استعرض ضيغم مهارته أمام الأمير قيس والناس حتى شك مدربه أنه هو الذي دربه ، وأما جدار فقد قدم عرضا متواضعا ، ثم أتى دور المبارزة والمصارعة ، فقد تفوق ضيغم على عدد من الفرسان القدامى ، مما دفع قيس أن يقول لمدربه : هذا فارس بارع يا أبا مالك ؟!
فرد المدرب قائلا : هو ما تقول يا سيدي الأمير ! ..حركاته وطعناته تذكرني بفارسنا القديم جبل

بن مجدو مدربي الأول ..وهذا الشاب نزيل على بلادنا فأصله من بلاد التين ، وقد كان غلاما عند القائد سالم بن قنبرة هو وصاحبه جدار ، وقد تأكدنا من ذلك أيها الأمير ..فلما أعتقهما من الرق قدما لهذه المدينة .

فقال قيس : أخشى أن يكونا دسيسة ؟!

قال أبو مالك : اطمئن يا سيدي الأمير لقد تأكد لقائد مراقبة الغرباء أنهم من بلاد التين .

فقال قيس : على كل حال هو فارس جيد ومع ذلك احذروه حتى نتأكد من وفائه لهذا البلد .

فقال المدرب : سوف نكلفه بمهمة تظهر لنا إخلاصه من غشه .

وتقدم القائد للجيش قيس ، وهنأ الفرسان الجدد على همتهم ونجاحهم ، ورحب بالتحاقهم في الجيش وانتهى الاحتفال .

وبعد أيام من هذا الإنجاز في حياة ضيغم وجدار علموا أن الشرطة قد قبضت على عصابة جواسيس تابعة لبلاد العقرب ، ومن ثم تم إهلاكهم أمام أعين الناس ، فعذر الصديقان القوم في شدة متابعتهم للأغراب، وكان هذا الحدث يتردد في مجالس أهل المدينة الصامدة ، وبينما هما في زيارة لجارهم المدرب سعيد الذي ساعدهم بالانتساب لمدرسة تدريب الفرسان يهنئونه بولادة حفيد من ابنه الأصغر ، أتاهم رسول من مدربهم أبي مالك بصحبة الغلام برمو ، فانطلقوا إليه مسرعين فرحب بهم وهدأ من روعهم وقال : اتبعوني إلى قصر الأمراء وقلعة الحكم .

فمشوا نحو القلعة الضخمة والمحصنة والمكتظة بالجند والفرسان المهرة ، وأدخلهم إلى قاعة واسعة ، وهناك قال لهم أبو مالك وهو يشير لضيغم : أيها الفارس .. لقد أثبتّ أنك جدير بحمل السيف الذي تضعه على جنبك ، وأثبتت بأنك الفارس الجدير بالاعتلاء على سرج الجواد .

كان الفارسان حائرين وخائفين من هذه الدعوة العاجلة ، فما زالت الحيرة ترتسم على وجهيهما رغم تطمينات المدرب لهما في الطريق ، فهم يخشيان وشاية ضدهم تغرقهم في محنة قاسية ، فبعد أن أثنى المدرب على فروسيتهما ، قال المدرب : الحق أن الذي أشار عليّ بالاستفادة من بسالتكما ولترتفع مكانتكما في البلاد الأمير قيس أمير الجيش ..فسترافقان سرية من الفرسان لتنفيذ مهمة ملكية فارتاحت أعصابهما للكلمات الأخيرة ، وقال ضيغم : ما هي هذه المهمة ؟!

أبو مالك : هل أنتم مستعدون للعمل مع فرساننا من أجل بلادنا أم تخشون على حياتكم ؟

فقال ضيغم : أيها القائد سوف ترى من إخلاصنا وتعاوننا ما يسرك ويؤكد لكم أننا صرنا منكم فرد المدرب فرحا بما سمع فقال : هذا ما أكدته

للقائد قيس ..والآن فاعلما أن قافلة كبيرة لنا تحمل تجارة لمدينتنا تعرضت لسطو من قطاع السبل .. بالقرب من جبل الرعب ، فقد داهم المجرمون القافلة وقتلوا الحراس ، وقد سلب اللصوص الأموال والجمال والبغال والغلمان والتجار ، ومن نجا وهرب وصل ليلة أمس ، وهم في وضع مؤلم .. فمولانا الملك يريد إرسال حملة من مائتي فارس لغزو الجبل المرعب وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الناس والأموال ..هذه هي

المهمة التي نرغب بمشاركتك بها أنت وصاحبك جدار ، وهي مهمة خطيرة يحفها الهلاك

تذكر ضيغم صديقيه جبلا وثعلبون ومغامرتهما مع وحوش ذلك الجبل وقتلهم لزعيم الجبل ، ورد على القائد المدرب بحماس ودون تردد : أنا أرحب بالمهمة ، فما تقول يا صاحبي ؟

فقال جدار بحماس : أنا معك أيها الصديق أين ما تحل وترحل ؟.

وأخذهما المدرب بعد رضاهما إلى أمير الجيش قيس ، فرحب بهما وأثنى على نخوتهما ومرؤتهما ، ووعدهما بحسن المكافأة وبالمحافظة على غلامهما برمو ، ومنحهما جوادين ، وعين ضيغما مساعدا ونائبا لقائد الحملة الفارس العملاق شهاب ، وانتشر خبر الحملة بين الناس فسعدوا لذلك وارتاحت نفوسهم لها ؛ لما أصابهم من الألم بخسران القافلة وسرقتها من رجال العصابات والجبال .

اجتاز فرسان الحملة الجبل العملاق المحيط بالمدينة ، وتابعوا السير إلى جبل الرعب أو جبل الخوف الذي مر ذكره في أول القصة ، فقطعوا إحدى الغابات بدون حوادث تذكر سوى مرض بعض الفرسان ، وعندما اقتربوا من الجبل والوداي المخيف أرسل قائد السرية مع غلامه رسالة شفوية لرجال الجبل يطلب منهم القافلة والأسرى أو الحرب .



روايات اجتماعية

الحفل بالقط الأسود ٣

عودة جومار

بينما سلوفانا في قلق ومطاردات زواج وحب رجع جومار وباشر العمل فور عودته واستمع لديانا قبل منحها إجازة ، واستمع لنورما وكان قبل سماع ديانا ونورما قد خلا بسلوفانا واطمأن عليها ، وعزاه الموظفون بوفاة زوجته وابنه الصغير من الحريق ، وبرر طول غيابه بمعرفته بسبب سفر سلوفانا للعلاج من الإدمان الكحولي ، وتحدث عن الحريق في شقته ، وكيف نجا منه ، وماتت

زوجته وابنه الوحيد وكيف قفز من النافذة ونجا ؟ وتحدث عن زواج جديد ثم صرف النظر ؛ لأن فكر بالعودة للمدينة زريق ، وأقامت سلوفانا حفلة صغيرة بمناسبة عودته ونجاته من الحريق ، وابدى السيد امتنانه للسيدة حتى أن طبيبها امتعض من الحفاوة التي أظهرتها السيدة لمدير القصر ، ولما سمع بقصة المرأة الكوبية وبول .

قالت :لا ادري لماذا ظهرت سيد جومار؟!

فقال : أمر محير ! نذير هلك من سنوات .. ومن هو المحامي الذي شجعها للمطالبة بحقها ؟ وهل لم تصلها وثيقة طلاقها فعلا أم تظاهرت طمعا بالمال ؟

قالت : مكتب ميونخ اكد إرسال الوثيقة للبرازيل لوالد داليا .. فقد تحدث محامي السيدة مع المكتب واكد إرسال الرسالة وطلب فيها إخبار الزوجة بأي حقوق تطلبها فلم يأت رد ، ولم تأت مطالب ، واكد مكتب السجل المدني للزواج لا يمكن إنشاء عقد دون وقوع الطلاق.. فالطلاق صحيح ما دامت الزوجة لم ترد أو تحضر لتعترض .. فهذا يعني أنها موافقة على الطلاق وشركة والدها استلمت الرسالة .

فقال : هل فعلا لم تتطلع على الوثيقة؟

قالت : ربما لأنها كانت عند زواجنا مختفية في هافانا ، وهو لا يعلم بمكانها كما اعلمني .. كانت علاقته بوالدها شراكة قوية في بعض المشاريع فلم يهتم كثيرا بمكان اختفائها .. السجل الألماني ينتظر شهرا قبل إيقاع الزواج بيني وبين نذير .. وهذا ما حصل .. نحن تزوجنا منذ إعلان العقد

قال: مكتب عقد الزواج أكد الطلاق

قالت : نعم ، لماذا جازفت وتكلفت الأموال أو قامرت بمعنى اصح؟ هل هناك أموال لم تكتب لي يا جومار؟

قال: حسب المعلومات القانونية أن الرجل كتبها كلها باسمك سوى بعض الوصايا إلا أمواله في البرازيل ستكون لمؤسسات خيرية ورياضية هناك ، وترك أمواله هنا لأبويه وأسرته تقسم حسب الشريعة .. أموال ألمانيا كلها ستكون لك كما علمنا .. الأموال النقدية في البنوك تقسم بعد السنوات الست .. الأرباح بعد موته كلها لك للإنفاق .. لكن هذه الأملاك لا تكتب وتسجل باسمك إلا بعد ست سنوات ودون زواج رسمي .. واذا تزوجت قانونيا كلها تصبح لمؤسسات خيرية في ألمانيا والبرازيل وتشيلي وهنا ويتحول هذا القصر إلى مؤسسة خيرية

قالت :أنت لا تعرف لماذا جاءت ؟ لم يحدثك نذير عنها.

قال: رغم ثقته الكبيرة بي فلم يحدثني عن أشياء كثيرة ، لما أعلمتني ديانا بالأمر قلت لها احتيال

فقط ؛ ولكنك أكدت لي أنك تعرفين أن له امرأة في البرازيل أبوها مهاجر للاستثمار وشريك له في أمريكا اللاتينية.. فلا معلومات عنها .. والمحير لماذا تأخرت في الظهور ؟! فوالدها يعلم بموته من أول أيام الموت حتى بول هذا لم اسمع بي سيدتي!
قالت :لم يكتب له شيئا ؛ لأنه متأكد أن لا ذرية له قال: كان يرفض الإنجاب قال لا اقبل أن يكون لي ولد غير شرعي ..هل سعى معك؟
قالت :لا ، قال يا سلوفانا أنا لا أثق بامرأة أن لا تسلم نفسها لغيري ؛ فاذا ولدت ستعملين لي جنونا ابني ليس ابني ، وحتى لا تخدعني إحداهن بأنها حملت مني فأنا استعمل المانع فلن تفكر واحدة بخداعي .. كانت لديه عقدة حتى أنه مرة قال : هل أنا ابن أبي بيولوجيا ؟ لست ادري قلت اعمل دي ان ايه فرفض ، وقال ليبقى امل صغير أنني ابنه ، وهؤلاء إخوتي .. أمي ليست ملاكا وأبي كذلك .

حان الآن أن نكشف لك أسرار سلوفانا بنت أوروبا وحضارة أوروبا المعاصرة حتى لا يقع في نفسك أنها لا تعرف العبث والجنس ، وهي ابنة الحرية الجنسية والإباحية العالمية وابنة المجتمع الغربي الذي لا يرى في العلاقات خارج بيت الزواج من الزنا ما دامت برضا الطرفين ولا عقوبة على ذلك ، ويمكن للأنثى عندهم ممارسة الزنا في بيت الزوجية وبحضور الزوج ، تزوجت السيدة نذيرا بشروط ومواصفات اتفقا عليها ، ولما سجلوا الزواج قانونيا سلمت جسدها له ، وبدأ بإنشاء القصر في المدينة ؛ ليستقر فيها ويتابع أعماله ومصانعه بنفسه ، ولما كمل البناء رحلوا إليه ، وامتلك منزلين لعلاقاته الجنسية خارج القصر ، وكان جومار يشرف على خدمته وإدارة القصر نظافة ورواتب والتوظيف والإشراف على الحفلات والسهرات والتموين والصيانة وكل المهمات الخاصة بالقصر ، وكبرت مجموعة نذير التجارية والمصانع التي أقامها واشرف على رعايتها ، وسمح لها باتخاذ العشاق منذ وصل البلاد ، لأنه ملّها بسرعة بشرط ألا تحمل من احدهم ، فسكتت فكانت تنام في جناح وهو في جناح ؛ وربما يتغشاها بين فترة وأخرى ، وكان يحب أن يعلم الرجال الذين تتصل بهم منها أو من الخدم ، كانت مغرمة بالخمر كثيرا والمخدرات بدرجة أقل ، وكان يوفرها لها من البرازيل ، يقول لنفسه مبررا " امرأة تشتهي الرجال كما هو يشتهينهن ، هو ملّها قبل الرحيل ، وهي كبنات أوروبا من بلوغها تمارس الجنس بشكل متقطع ، يتزوجن في سن متأخرة، ويلدن طفلا أو اثنين ، واذا عجزن عن الإنجاب تتبنى إحداهن لقيطا أو اكثر من ملاجئ الأيتام من البلد أو من بلدان

أخرى؛ وتسمى العلاقات الجنس العابر ، لم تتخذ رجلا دائما.. ليلة ليلتان في سياحة

لما استقرت في القصر اشتغلت الحفلات والاجتماعيات امرأة مليونير ، استغلت جومار الرجل الدائم في القصر ، وصديق نذير من قبل عمله في القصر ، نذير مع عشيقاته وهي معه ، والرجل أمام رغبتها استسلم لها ، واستطاع إخفاء العلاقة معها عن نذير ؛ لأنها سمحت للطبيب لوقان أن يقيم معها علاقة بين حين وحين قبل تعلقها به ، أحس بها نذير وسعى لإبعاده عنها، ليس غيرة ؛ بل بغضا ، فكان جومار رجل الظل ، والطبيب قلل من اللقاء بها أحس أن كل خدم القصر وجومار عيونا عليه ،واستمر جومار العشيق الأول والمقدم .

وظهرت السيدة شريفة أمام نذير وشلته ، وأنها تكره المعاشرة والرجال ، وغير مستهترة ، ولم تقبل أي علاقة معهم رغم جدهم وسعيهم كما يفعل مع زوجاتهم ، وفجأة حملت من جومار برغبة منها حنت للأمومة ورفضت الإجهاض رغم توسلات جومار خشية أن يقتله نذير ، وفي الوقت نفسه لا تريد خسارة ثروة نذير ، ففكرت بكشف الحمل له ، فذكرها جومار أن الرجل لا ينجب ، فشجعها للسفر إلى ألمانيا ، وتضع مولوهما دون علم احد من الأهل والأصدقاء عليها إخفاء المولود في بيوت الأمهات اللواتي لا يعرفن آباء ابناهن لإقامتهن علاقات دون زواج قانوني .

كانت أمام عشيقها جومار ؛ كأنها قحبة متهورة في غرامه ، ومثلت دور الزوجة الوفية المخلصة التي لا تحب الجنس ، وكان هذا يرضي غرور نذير نفسيا ؛ ولكن عقله لا يصدق أنها بدون ذكر ولم يهتم بذلك كثيرا ، سفرياتها كثيرة ، سافرت ألمانيا بحجة السياحة والأهل والملابس والمكياج ووضعت الطفل في سويسرا وعند أسرة مقابل المال ، وباسمها هي سجل دون أب رسميا ، وعند الأسرة باسم المرأة الحاضنة ، ورجعت للبلد رشيقة بثياب أوروبية وموضة جديدة ، نذير ركز شكه بالطبيب منذ وطأت أقدامهم زريق ، كان شكه كبيرا في الطبيب طبيبها الخاص ، لم يتوقع أن تسلم نفسها لخادم أو رئيس خدم هندي وصديق له ، وهذا الميزات شجعتها على إغوائه والسيطرة عليه ، كان نذير يدرك أنها تزني ، لم ير سفرياتها بريئة ، وكان الطبيب تحت عيني نذير في كل سفر ، ودائما يثبت بعده ولا يسافر أثناء سفرها ، قبل أن يفتنه حسنها كان لها أصدقاء ، وكلهم حدثه قضاء بعض الوقت معها ، خاصة لما تثمل بالشراب تكون مستسلمة لهم ؛ لكتها حينئذ كانت تستيقظ في آخر لحظة وترفض سحب معجب لحجرتها .

لاحظ نذير زيادة مشاكله الصحية بعد زمن ، تتحسن ويعود الوجع والصداع والغثيان ؛ لكن لا علاقة لسلوفانا أو الطبيب بالمطبخ ، هما بعيدان عن الطهي والخدمة ، كيف يتعرض لمواد سمية ؟ تعالج في ألمانيا ، وأخبروه أنه يدخل بدنه وكبده مواد سامة اكثر من الطبيعي ، مات ضيف لديهم في احدى السهرات ونسب موته للمخدرات ، كان نذير مدركا أن احدهم يسعى لتدميره ، ولم يعرف كيف يدس له السم ونوعه ؟

جاء الخبر للسيدة أن ابنها ابن السنوات العشر اختفى من الشقة ، كانت كل زيارة لألمانيا تزوره وتعيش معه يوما أو ساعات عند تلك الأسرة التي تكلفت رعايته على أنه ابن لها مقابل مبلغا من المال ترسله سلوفانا ، ولما دخل المدرسة الخاصة تملكت شقة في برن وتعاقدت مع خادمة ومربية له ، وزعمت لهن أن والده مجهول ، وهذا امر طبيعي في تلك البلاد، وحتى بعض بلاد العرب ، وكانت كما قلت استأجرت مربية وخادمة له في شقة في عمارة كبيرة، فقد ماتت حاضنته روبيكا وكانت دائمة الاتصال بالمربية والخادمة وبه، فهي أرملة في نظر الناس ، وخشيت من كشف أمره أن تحرم من أموال نذير ولم يبق على السنين الست إلا القليل ، ثم سجلته في مدرسة داخلية تحت إشراف محامي سويسري ، وبقيت الخادمة والمربية في الشقة التي اشترتها في سويسرا لقضاء العطل والمناسبات معه.

اتصلت الخادمة على الرقم الخاص وأخبرتها أن المدرسة أخبرتها باختفاء مايكل والبوليس المحلي والمحامي يتابع الحكاية ، وكانت السيدة قد أعلمته بأنها ولدته ، ولم تعرف أباه ؛ ولكنها تعرف أنه ابنها . فقالت لجومار : امر خطير حدث أين ذهب ؟ ومن خطفه ؟!

قال: عليك بالسفر ومعرفة التفاصيل .. فهو ابني كما هو ابنك ؛ ليس لي إلا هو بعد موت ابني في الحريق .

انتشر خبر في القصر أن السيدة ستسافر لإجراء فحصوات في مركز معالجة الإدمان ، وقام جودت والطبيب بإيصالها للمطار للسفر إلى ألمانيا ثم سويسرا.



ظهر أمامك الكثير من الحقائق الخطيرة ، ساهمت الزوجة في مضاعفة مرض زوجها لأسباب نفسية من كره وحسد ، وبوضعها ولدا من قيم القصر وأن العشيق الطبيب قلّت علاقتها المحرمة به بعد اتصالها بجومار ، ولم تقدم نفسها لأصدقاء نذير بتبادل الزوجات ، فبدت نظيفة ثقيلة ، ولم تهتم بمغامرات نذير النسائية وظهرت غير مبالية، ولتزيد الطمأنينة في قلبه استخدمت خادمة فرنسية

لغرفة نومها ، وقابل نذير تظاهرها بالإخلاص والوفاء له بالقبول ، وأنه صدق أنها له وحده ، واحتار بمن ويسعى لقتله ، وكيف لم يشك في علاقاتها العابرة ؟ فهو لا يستطيع مراقبتها في كل حين ، أما العشيق فكان مرفوضا منه حقدا شخصيا ، وفي مالطة تم الخلاص منه على اثر اشتداد المرض ليلة عودته من اليخت ، وعادت وعشيقها المهجور بتابوت نذير ، وكان يأمل ويمني النفس أن يكون الزوج بعد السنوات الست ، ولم يعلم بفجورها بجومار والابن الذي ولدته منه ؛ لأنها سنة الحمل أكثرت من السفر كل شهر بحجج كثيرة .

سافرت إلى ألمانيا كما تفعل دائما ، ثم برن سويسرا ، وقابلت الخادمة والمربية وأتاها المحامي الخاص برانس جالوري الذي قال: اتصلت بي المدرسة وأخبرتني أن مايكل خرج مع الطلاب لحضور حفل موسيقي استمر مائة وخمسين دقيقة ، ولم صعدوا للحافلات المدرسية لم يظهر مع المجموعة، فظنوا أنه ذهب لدورة المياه ، وقال زميل له لمرافق التلاميذ رآه يتحدث مع رجل همسا فترك مقعده وتبعه ، وكان الرجل يرتدي ثياب خدم الصالة الموسيقية ،وسمعه الزميل الشاب يقول: أمي أين هي ؟ ففهمت أن أمه جاءت لتراه ، كيف خرج من المسرح بدون إخطار المرشد لا احد يعرف وحراس الأبواب ظنوه سائرا للمراحيض أو الكافتيريا ويفعل ذلك الكثير من الطلاب والطالبات ، لا يذكر احد كيف فارق الأبواب الخارجية للمسرح ؟ لم ينتبه له احد ، فالحفلة حضرتها أكثر من مدرسة ، لم تكن حفلة خاصة بمدرسة واحدة ، فالزوار كثر ولم يستغيث الشاب أو يصرخ ، خرج بإرادته ، حققت الشرطة بطريقة خروجه واتصلوا ببيتك وأنكرت المربية والخادمة عودته ، وأنه عادة يعود آخر الأسبوع اذا لم يرغب بقضاء العطلة في المدرسة ، وتابع برانس جالوري: ولكن في تصور البوليس أنه خطف بزعم أن أمه جاءت لزيارته فصدق ، وتبع الموظف المتنكر بزي موظفي المسرح ، وخرج إلى الشارع إلى سيارة ظن أن فيها أمه أو سيأخذونه لأمه واختفى ، ولم يتصل احد يطلب الفدية ، فالأمر خطير لدى البوليس ، ويخشون على حياته، لماذا يخطف ؟ لماذا يختفي؟ ألديك تفسير ؟ طلبت الشرطة ممن كان قرب المسرح والقاعة تلك الساعة أن يتصل بها إذا لمح شيئا لفت نظره .. وهذا يحتاج لوقت ليتذكر الشاهد ما حدث.. لم يكن هناك صراخ شجار ليلفت الناس.

كانت تسمع وتبكي وتقول لنفسها : من فعلها؟ ولماذا يخطف ابنها ؟ الخطف يكون لطلب المال أو الابتزاز أو الانتقام من يريد أن ينتقم منها أو

يبتزها ؟ لا احد يعلم أن لديها ولدا إلا جومار فهل يخطف ابنه ؟! هو لا يعرف مكانه.. وإنه هنا .. ولم يره حيا.. هو يعلم أنه في أوروبا .. أوروبا قارة.. الدكتور أعلمته بحبي لجومار قبل وقت قصير ؛ ليكف عن الطمع بالزواج مني كما كثر كلامه بعد عودتي وأعلمته أنه أبوه وحبيبي وعشيقي وتحمل الصدمة .. ولماذا يخطفه ؟! هل للخادمة أو المربية يد في الجريمة ؟ ولكنهما لا تعرفان أباه .. أشاعت أنه نتيجة وثمرة مغامرة خاطئة .. لا تعرف ابن من ممن نامت معهم ؟هل لداليا وبول يد ؟ وكيف عرفا السر الخفي ؟ يكاد رأسي أن ينفجر لماذا جاءت تطلب حقها ؟ أتريد حقها بالخطف والابتزاز ؟ من الخائن ؟ جومار كيف عرف مكانه ؟ هو الذي يعرف أنه ابن سلوفانا .. وفي الأوراق المزيفة أنه ابن أنجيلا كارلس امرأة ألمانية فجرت ولم تعرف أباه ، ولدته على جواز سفرها المزيف أو المبتاع لإخفاء شخصيتها الحقيقية في السفر والرحلات ، ولماذا الخطف لما اقترب زواجي من أبيه والعيش في الهند وفي بومباي ؟ شخص يرغبه برؤية أمه فيترك المسرح إنه ملهوف لرؤية أمه .. الحياة أجبرتني أن أكون بعيدا عنك يا مايكل .. تبع الرجل دون تردد كما قال زميله.

فكرت كثيرا في حياتها وأسرار حياتها ، وذكرت أيام العلاج في سويسرا ؛ حيث كانت تتحدث معه كثيرا ، وغادرت المركز عدة مرات للعشاء والغداء معه ، واحتفلت معه بالعلاج من الكحول.. لقد غامرت كثيرا بالظهور معه في المطاعم والملاهي ..هل كان احد يراقبني وكشف سري؟ لماذا خطف إن لم يكن احدهم يريد مالا ؟ لماذا اختفت الخادمة الآن؟ خرجت ولم تعد لها أيام .. أين ذهبت اللعينة ؟ هل لها يد في خطفه ؟ لم تظهر جثته لو كان مقتولا المحامي برانس جالوري يتابع القضية ساعة بساعة ، قضت شهرا في أوروبا ثم عادت للقصر عادت بخيبة وحيرة للقصر ، واستقبلها أهل القصر بفرح ، وبدا ظاهرا عليها الحزن وظنوا أن العلاج لم يحقق الغاية ، واختلت بالعشيق الدائم ، ووالد الطفل ، وسألها عن التفاصيل فقصت ما عرفته من المحامي والخادمة قبل هربها أو اختفائها ، وظل صامتا وكانا يجلسان في مكتب سلوفانا . قالت : تكلم ما بك؟

قال: هل قتل؟!

قالت : لم تظهر جثة.

قال: ومن خطفه ؟

قالت : لا احد يدري ، لو كان نذير حيا ؛ لقلت أنه فعلها وينتقم مني ومنك .. السيد مات ودفن هنا جئنا بتابوته هنا .. أنا لم اكشف السر لأحد وأنت؟

قال: لم افعل .. حملنا التابوت ولم نر من فيه .

قالت صارخة : ويحك أهو حي ؟!

تنهد وقال: الآن أشك بموته !

قالت : وكيف عرف بأمرنا وبوجود طفل لنا ؟ لما مات كان ابن ست سنوات يا جومار ليعرف بولادته .

قال: نذير ذكي وماكر وخبيث يا سلوفانا!

قالت : اعرف ؛ ولكنه ميت أسلط علينا أحدا أو عصابة ؟ هل لداليا وبول دور؟

قال: ظهورهم مثير للدهشة تركناه في المستشفى في النزع الأخير

قالت : هل لشقيقه سمير عيون علينا ؟ مأساة! هل تراه كان يعلم ما بيني وبينك؟

قال: كنت في حيرة !.. هل خفي عليه حملك ؛ كما خفي على الدكتور واهل القصر أم غفلنا عن العيون ؟

قالت : هل نترك ونخسر المعركة ؟

قال: معركة ! لماذا خطف؟ الخادمة يبدو أنها تلعب دورا .. أنا لا استطيع التحرك الآن.. أنا مجرد عشيق لسيدة القصر .. ولا احد يعرف بحبنا السري .. عليك الحياة في سويسرا لكشف اللغز .. إذا كنا نريد حياته لابد من البحث .

قالت : أنا مصدومة اكثر منك .. الأمر شديد الغموض ، قال زميل له إن احدهم همس له بكلام فهتف أمي وترك السماع وخرج لم ينتبه لخروجه احد ولم يصرخ ليلفت الأنظار كانت خطة مرسومة بعلم ومعرفة وقصد والمكان مزدحم بالتلاميذ

قال: القرائن تدل على ذلك

قالت : كيف عرف الخاطف أنه ابن سلوفانا ويعيش في تلك المدينة ؟!

قال: فعل ذلك ناس يعرفون كل السر.. كلفي مكتب تحري.

قالت : سيكشف سرنا وينشر في الصحف ، فكر المحامي بذلك فرفضت الاقتراح.. لما خرج مايكل نحو السيارة كما يقول البوليس مشى وحده ؛ لأنه لم يشاهد يمشي برفقة احد كان وحيدا ولم يتقدم احد للشهادة برؤيته مع رجل أو امرأة.. لم تكن الصورة تبين أن هناك خطفا الصحف نشرت الخطف وخاطبت القراء بالتقدم للشهادة .. والإذاعة والتلفاز الرسمي نشرت صوره .. جريمة محكمة ومدبرة.

قال: هذا واضح بين .. نذير هل نذير حي ؟! لا مصلحة لاحد في الانتقام إلا هو.. يكاد رأسي ينفجر .. لو عرف بحبنا وأني خنته لما يموت كل هذه السنوات ؟ داليا خانته وهربت بابنها خشية منه على حياتها وحياة بول ..لم ينتقم منها يا سلوفانا!

تنهدت بألم وقالت : أنا لما حملت منك اشتقت لطفل من جسمي ودمي ..أحببتك بحق يا جومار لو كانت قضية متعة كان الطبيب كما تعلم قبلك ، وعلم مؤخرا بعلاقة بيني وبينك بسبب وجودك الدائم في القصر .. وكثرة غياب السيد مع مومساته.. أردت الولد وأنت وافقت، نذير يرفض بشدة الذرية .. رتبنا الأمر جيدا وولدت دون علم احد .. وعاش لهذا اليوم يعلم أنني أمه ولا يدري من أبوه ؟ وأنت نعم الحبيب مع أن الطبيب كان يتوقع أن أتزوجه فقد ساعد في القضاء على نذير بطبه ، قال لا يجب أن يصل الرجل حيا لألمانيا ، ونذير ساعدنا بالقضاء عليه شارك رفاقا برحلة يخت ومرض خلالها ونقل للمستشفى ومات وأعطانا المستشفى تقرير الوفاة وشهادة الوفاة .. هل كشف الأمر لاحد لينتقموا منا ؟كان الوصية غريبة يا سيدي!

قال: فعلا دهشت منها !

قالت : قال لي مرات المرأة الأمينة العفيفة في مجتمعنا نحن لا توجد ، اعجب من عدم استسلامك لكل هؤلاء الأصدقاء وتعشقين ذاك الطبيب ، بررت وقلت هو طبيب من الجالية سأبقى شريفة حتى تموت ، فقال : ما زلت شابا وأعاشر عشرات النساء ،كان مفتونا بالنساء

قال: مرة قال لي لم تحضر زوجتك كسائر الخدم يا جومار كيف تصبر عنهن؟

قالت : ماذا قلت ؟!

قال: تظاهرت بالصبر وأقضي رغبتي بالإجازة.

قالت : أتراه صدقك؟! اعتقد أنه ظن أنك تقضي شهوتك مع زوجات الخدم .. لم يهتم بمشاعري هو جاء من البرازيل لمساعدة أبي والأسرة فاشتهاني وفشل بتحقيق مآربه إلا بالزواج وملّني بسرعة قبل الرحيل لبلده هذا .. وهذا متوقع .. كنت كأي فتاة أوروبية اذهب هنا وهناك وهو يسمح لي بذلك لتحقيق شهوتي كما يقول ، وسعى لتقديم رفاقه لي كما فعل بنسائهم إلا امرأة بسيل.. قبلت صداقة الطبيب كعشيق .. وكنت أخشاك لقربك منه حتى استسلمت لرغبتي فحملت منك ؛ لتبقى عشيقي وأحقق الأمومة وتلبي لي رغبتي في كل وقت احب فيه ممارسة الحب ؛ كما نسميه في أوروبا .. وكنت نعم الصديق ؛ ولكنك كنت تخشاه بشدة ، فكرت بالطلاق والهرب معك لبومباي ؛ كما فعلت زوجته البرازيلية لكنك تخشى قتلك .. فالرجل لا يقبل الهزيمة ومع الحمل أصبحت اشجع قليلا ، وتنام معي بدون توتر وخوف.

قال: الخيانة الموت! كنت في أول الأمر خائفا وخشيت أن تكشفيني للسيد كما فعلت بالطبيب واطرد ومع الوقت ادركت تعلقك بي تعلقا حقيقيا

ولست مجرد زبون عابر وتخلصت من التركي وأنا فعلا احب وأتمنى أن اقضي ما بقي لي من العمر بين يديك وفي قلبك.

قالت : وأنا كذلك يا جومار وأنا سعيدة بحبك لي وهواك لي وسينتصر حبنا حتى ولو كان نذير حيا .. وكما قلت بدأت معك لقضاء الرغبة والوحدة ، ولما رغبت بالأمومة تعمق حبي لك ولتكن أب ابني.

رتبت السيدة العودة لسويسرا واعتذرت لعلي بعجزها عن البقاء وقالت : عندما يسمح لي بالتصرف بأموال زوجي سأترك حصتي واسهمي لكم تستثمرونها ، وأعود لألمانيا فيبدو وضعي متعبا وأموري صعبة ، وهذه الحفلات أتعبتني نفسيا وبدنيا ، والذي يربطني بكم قد مات ، وسننهي خدم وموظفي القصر ، وأجل الحديث في ذلك لما تنفذ الوصية .

وانتشرت الشائعات حول صحة وحياة سلوفانا حتى أن ديانا سألت جومار فقال مجيبا: قد تنهي أعمالها الاستشارية هنا ، وتعود لوطنها فصحتها لم تعد كالأول ؛ ربما تمكث أسابيع قبل العودة للقصر والذي يؤخر إغلاق القصر وصية زوجها الغريبة .. الخمر والمخدرات انهكت أجهزتها يا ديانا ؛ لنستمر في عملنا حتى يقضي الله أمرا.. الذي يفرط في حفظ بدنه سيدفع الثمن كلما كبر سنه.

قالت : الأمر كهذا فحسب...

قال: نعم؛ أدعو لها بالعافية والتخلص من السموم.

قالت بحزن : تعلقت بها أثناء الجامعة ، ووفقني الله وابتعدت عنها سريعا ، اكتفيت بالدخان وقليل من الخمر

قال: كلنا في فترة الشباب عشقنا الحشيش وغيره ، الأخطر الهيروين والمورفين والكوكائين

قالت : هل يطلب مني العمل في الليل ؟

قال: لا ، ما دمت موجودا فعملك كالمعتاد إلا اذا امرتني السيدة بالسفر لمساعدتها هناك

قالت : كان عندنا حفلة موسيقية !

قال: عملت على إلغائها قبل سفرها.

تركته لمكتبها وجاءت السكرتيرة نورما فقال: أُفضل أن تعودي للعمل في الشركة ، قد تطول غيبة السيدة اذا تقرر معاودة العلاج .

قالت : كانت ظاهرة الإرهاق والقلق والبكاء الأيام الأخيرة!

قال: العلاج مزعج عندما تعود تعودين ؛لأني أنا لا علاقة لي بالمجموعة ؛ وربما الحق بها

قالت نورما : تحدثت مع الدكتور علي حول ذلك فترك لي الحرية في البقاء هنا.

قال: نحن لسنا بحاجة لك .. من سيطلع على التقارير ويناقشك .. السيدة مالكة الشركات خارج البلاد .. فاحفظي موقعك هناك .. السيدة بعد السنوات الست ستصفي أعمالها وتغادر نهائيا لوطنها.. فتفقدين عملك في الشركة .. وبعد شهور سنبدأ بصرف الخدم ويقدم القصر لمؤسسات خيرية كما يريد السيد نذير .. وأنا شخصيا لا يضيرني نورما بقاؤك هنا .. أنا لولا طول فترة العلاج لرافقتها ، فهي وحدها لا يهتم احد من أهلها بها ، فهي بحاجة لنا.

وصلت السيدة لشقتها الخاصة في برن ووجدت المربية والخادمة في انتظارها ،واتصلت برانس جالوري المحامي ، فلما حضر قال : أنا أتابع تحريات البوليس أولا بأول ، وسُقت المربية ومرات الخادمة لمشاهدة عشرات الجثث لم تكن جثته بينهن .

قالت بأمل : مايكل حي !

قال: لحد الآن.

قالت : أنا أمه مستغربة لحادثة خطفه ولماذا ؟!

قال برانس جالوري: لما مكثت فترة العلاج هنا ألا تذكرين حادثة خاصة شخصا في المصحة ؟

قالت بتفكر : لا اذكر حادثا معينا ، لما كان يتاح لي الخروج أجيء لهنا.. نذهب للسينما للمطاعم النزهات الحدائق .. وأنا لا افتح صدري لاحد ، لم استشعر الخطر ، لا احد يعرف أني مليونيرة إلا الأقارب والأصدقاء.. أنا مجرد مواطنة ألمانية وأوروبية ، ولا أتكلم عن الشركات التي أديرها بعد موت زوجي الذي ليس هو والد الطفل .. الرجل الذي تزوجني لا يريد الذرية فاضطررت لأنجبه من ذكر آخر بدون علمه .

قال: أيعرف والده الحقيقي أن له ابن منك؟

قالت : يعرف ؛ لأنه يعمل معي ، وما زلنا نحب بعضنا ، ولم نتزوج زواجا رسميا وقد نتزوج بعد حين ، ونعلن عن مايكل ؛ ولكنه خطف .. من فعلها وله مصلحة في خطفه؟ الزوج قبل موته لا يعرف بعلاقتي بوالده .

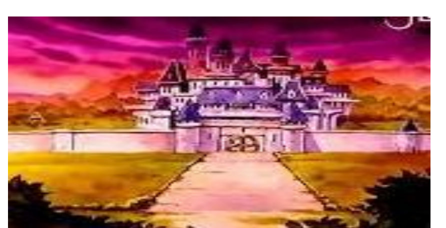
وقصت قصة زواجها على المحامي ، وسبب اتخاذها عشيقا وحملها منه ، فلا يمكن لوالده خطفه ولماذا ؟ وهو لا يعرفه شخصيا ولم يرى ولده بعينيه ، فهو خائف من زوجي أن يقتله اذا عرف ولو تزوجنا بعد موته لفقدنا الثروة التي ملكني إياها وقصت قصة الوصية.

قال برانس : أتحبين مقابلة وزير الداخلية لمزيد من الضغط على البوليس؟

****

انتهى الرفاق من طاولة القمار ، وانتقلوا إلى غرفة الخمر في النادي ، تركوا الغرفة السرية إلى الغرفة العلنية ؛ لأن الخمر مباح علنا والقمار ممنوع علنا ،

قدمت لهم المشروبات وتوابعها وكانت في صالة النادي فرقة تغني ويرقص الزبائن على انغامها ويتمايل السكارى مع الوصلة الأخيرة بعد نصف الليل.



قال بسيل: هل من أخبار جديدة نتسلى فيها؟

قال ماهر :سمعت عن آسرة قلبك ومن طبيبها التركي أنها عادت للعلاج من الإدمان.

قال منذر: لم تكن تشرب أمامنا الكثير أيام السيد.

قال عريف : أنت غلطان ! كانت تشرب اكثر منا ، وكانت الخادمة تسوقها وتصعد بها لغرفة نومها من شدة السكر ، وفعلت ذلك أمامي اكثر من مرة.

قال بسيل: كلام عريف الصواب ، كانت شرهة في الخمر من قبل زواجها بنذير ، ويجلب لها نذير الماريجوانا في رحلاته للبرازيل ، أما في المتعة فكانت مقلة ، كانت خمورها تأتيها من بلدها وفرنسا وأوروبا عامة ، لم اسمع أن أحدا عاشرها سوى ما أشيع عن الدكتور لوقان ؛ ولكنه لا ينام في القصر ؛ ربما في أوقات متفاوتة ؛ ولذلك كان نذير يبغضه ويتنازع معه

قال ماهر: فشلنا كلنا في اللقاء بها على سرير الهوى ، كانت تخاف نذير وغيرته رغم سماحه له بالخلوة بنا ، كانت تخشاه ، ولا اعتقد أن حياتها تخلو من العشاق خاصة لما تذهب لأوروبا

قال بسيل: في الغالب تذهب برفقة نذير .. نذير شك شكا كبيرا بطبيبها الخاص ، ولم يستطع إثبات ذلك

قال منذر : نذير حدثك بذلك.

قال: نعم ؛ لأنه كان يعجب أن تعيش امرأة في بيته، ولا تتخذ احدهم عشيقا لترفه عن نفسها ولو ساعات .

قال عريف: صحيح! مجتمع إباحي.. كيف ستعيش فيه بدون اتصال بأحدهم؟ قد يكون احد الخدم نال هذه الحظوة احد الحرس؛ ربما السحاق مع الخادمة الفرنسية جوليا.

قال بسيل: يغفل السيد عنهم ويعجز أن يجند احدهم لرصد الرجال والنساء في القصر وجومار عين نذير عليها .. ومن كشف له أمر الطبيب؟ الواقع يقول لابد من احدهم ، فلقاء سريع خاطف قد حصل مرات، أما استمتاع فيحتاج لوقت ، كلنا يذكر لما اقتحمت فريدة القصر لمعاشرة نذير ، وتركها ونام مع زوجته ، فاستعانت بخادم واضطر جومار لطرده ، وكان منذر في القصر

قال منذر : وكيف انسى ما رأيته ؟! إنها تمارس

الدعارة في باريس .

قال ماهر : ما زالت حية هناك

قال منذر : نعم، ما زالت بين قرى الشواذ وملاهي وحانات باريس .

قال ماهر : قرى شائعة في أوروبا وكندا ، وكذا زواج المثليين والمومسات فاغلب مدن أوروبا توجد فيها مثل هذه التجمعات والأحياء للمثليين(١)

قال بسيل: لا ادري لماذا غادرت لسويسرا هذه المرة؟ هل هي حقا مريضة؟!

قال ماهر : كانت في سويسرا المرة الماضية ، تذهب لميونخ لزيارة والديها ثم تتوجه إلى برن سويسرا .. وضح الدكتور ذلك لي ما أخبار قولونك؟

قال: خضعت لجلسات علاجية .

قال ماهر : لم أكن اعلم أن هذا السرطان بهذه الخطورة !

---

(١) قرية المثليين وتعرف أيضا بأسماء مثل: حي المثليين، أو مكان المثليين هي حي يعيش أو يتردد عليه عدد كبير من المثليات، المثليين، مزدوجي الميول الجنسي والعابرين جنسيا. تضم قرى المثليين عددا من المنشآت الموّجهة للمثليين، مثل حانات المثليين، النوادي الليلية، الحمامات، المطاعم، المحلات وبيع المكتبات من بين قرى المثليين الأكثر شهرة سوهو في لندن، برمنغهام في إنجلترا، الكنيسة وويلسلي في تورونتو، تشيلسي بمانهاتن في نيويورك ومنطقة كاسترو بسان فرانسيسكو تشويكا بمدريد، شونبيرج ببرلين، شارع القناة بمانشستر ولوماريه بباريس . في أمريكا الشمالية أيضا مثل مقاطعة لوس انجليس في غرب هوليوود، دوبونت سيركل بواشنطن ووسط مدينة أتلانتا. أعلى نسب السكان المثليين في مدن البرازيل جزء من شاطئ إيبانيما في ريو دي جانيرو قدرت دراسة أجرتها جامعة ساو باولو في ١٠ عواصم من الولايات البرازيلية، أن نسبة ٧,٨٪ من سكان البرازيل الذكور هم مثليون و٢,٦٪ هم من مزدوجي الميول الجنسي أي ما مجموعه ١٠,٤٪ ، في حين قدر أن نسبة ٤,٩٪ من السكان الإناث مثليات و١,٤٪ هم من مزدوجي الميول الجنسي أي ما مجموعه ٦,٣٪ في مدينة ريو دي جانيرو قدر ١٩,٣٪ من السكان الذكور أنهم مثليون أو مزدوجي الميول الجنسي.من بين السكان الإناث ، في مدينة ماناوس، قدرت نسبة ١٠,٢٪ أنهم مثليات أو مزدوجي الميول الجنسي ، المدينة الأمريكية التي تضم أكبر عدد من المثليين هي نيويورك حيث يقدر عدد السكان المثليين في المدينة بأكثر من ٢٧٢,٤٩٣ نسمة تحتل لوس أنجلوس المرتبة الثانية حيث يبلغ عدد سكانها المثليين ما يقارب ١٥٤,٢٧٠، تليها شيكاغو مع ١١٤,٤٤٩نسمة، وسان فرانسيسكو مع ٩٤,٢٣٤ نسمة. السياحة المثلية أو سياحة المثليين هو شكل من أشكال السياحة التي يتم تسويقها للأشخاص المثليين والمثليات ومزدوجي التوجه الجنسي والمتحولين .

قال عريف: كل أمراض السرطان خطيرة ! ليس هناك علاج كامل رغم كل التكنولوجيا السرطان

يبقى القاتل الأول في العالم .. سلامتك بسيل .. هل للخمر علاقة به؟

قال بسيل: لا اعتقد، الدخان وتوابعه يقال له علاقة به ،والصحيح أنواع الطعام والنظام الغذائي لها دور ، فالكحول مصنوع مركب ليس موجود في الطبيعة ، فهي تصنع وتستخدم في الصناعة والمنظفات والمعقمات وهو أنواع ، وهناك كحول يستخرج من النفط كما اسمع فهذه الأورام خلل في عمل الخلية والجينات .. خلايا مريضة تنتشر .. مرض معقد ومفاجئ واعتقد أن له علاقة بالنظام الغذائي

قال عريف: لم تتحسن من جرعات الكيماوي

قال: لا يتحسن الواحد من جرعة واحدة هذه الأمور أمرها إلى الله

قال ماهر : معافى سيد بسيل.

قال: أتمنى لكم السلامة والعافية ..كل شيء يتعطل بالكيماوي.

جومار متهم

كانت الاتصالات بين جومار وسلوفانا مستمرة يسألها عن التطورات والأنباء ، وبينما هو ذات ليلة بمكتبه اتصل به الحرس مخبرا أن رجال البوليس يرغبون باللقاء معه أغلق مع سلوفانا ، وتأكد مما سمع وأمر بإدخالهم ، دخل الثلاثة سيرا على الأقدام ، وظل السائق عند الحرس بسيارته ، استقبلهم جومار بحذر وقلق ، ورحب بهم وتفاجأ بوجود ضابطين هنديين معه الضابط العربي ، فقال الضابط العربي : هؤلاء يرغبون بالحديث معك عن حادث حرق بيتك في بومباي .

عرف الضابطان الهنديان بنفسيهما ، وبينا سبب حضورهما ، وأنه مطلوب للمثول بين يدي البوليس في قضية احتراق بيته وموت زوجته أليش وابنه الصغير جان ؛ لأن تحقيقات الإطفاء والشرطة تبين أن الحدث بفعل متعمد ، ولم يكن حادثا عابرا كما بدأ أولا ، وأنه المشتبه به في هذا الحادث .

بعد صمت ونظر قال : المطلوب مني السفر للهند .. أنا مستعد للسفر أيها السادة ! كيف؟

ـ رتب أمورك بأسرع وقت لترافقنا ، وأنت الآن ممنوع من السفر إلا معنا لتقف أمام العدالة وتدافع عن نفسك فأهل زوجتك يتهمونك بالغدر بها وابنها .

قال: غدا مساء أكون جاهزا للمثول بين أيديكم ومقابلة الحكومة .. دعوني ارتب أمري واتصل بمحامي هناك سيكون معي في المطار .. هذا اتهام خطير! أنا اقتل زوجتي وابني

قال: هذا يقرره الاستجواب والأدلة والمحكمة.

وضعت حراسة على بوابة القصر من البوليس

المحلي ، اتصل بسلوفانا وروى أمر الترحيل لبومباي.

قالت : اذهب ، وكل أموالي تحت أمرك ، سأضع مبلغا في حسابك أنت والد ابني.

شكرها ورتب أموره ، واستعد للسفر لمواجهة التحقيق ، وفي المساء التالي غادر القصر بمرافقة البوليس ، ولما استقر في مطار مومباي، كان محاميه في استقباله بالمطار ، ورافقه لمكتب البوليس وأوقف في سجن الشرطة ريثما يعرض على قاضي التحقيق وكيل النائب العام ، ورفضوا الكفالة العدلية حتى يقف بين يدي المحقق العدلي، شجع المحامي العميل على الثبات على ما قاله يوم الحادث .

ولما مثل أمام المحقق قال: أنا اطلعت على محضر التحقيق وتبين للمعمل الجنائي للشرطة وللإطفاء أن الحادث مدبر ومفتعل ، وأن احدهم اشعل النار في غرفة النوم ، وذكرت أنك كنت نائما مع امرأتك واستيقظت وقد ملأ الدخان والنار الغرفة فصرخت ، فلم تستيقظ زوجتك وتذكرت أنها تنام على المنوم ، فخرجت من الباب وأيقظت ابنك وفتحت نافذة وتسلقت على مواسير المياه طمعا بالوصول للسطح وجان كومير يتبعك وهو يصيح أمي يا أبي ولم تفعل شيئا لإنقاذ المرأة بسبب الاختناق من الدخان والذعر وأثناء الصعود سقط ابنك ومات والمرأة نقلت للمستشفى شبه ميته، ثم ماتت هذه إفادتك.

قال: نعم ، هذا ما ذكرته للبوليس

قال المحقق: لم تعرف كيف اشتعلت النار بالغرفة المغلقة؟

قال: لم تكن مغلقة بالمفتاح يا سيدي !

قال المحقق: ومن سكب البنزين؟

قال المحقق: كنت نائما

قال المحقق: التشريح للجثة كما قلت بين أنها كانت تناولت منوما هل هذا معتاد منها؟

قال: اعتقد أنه تستخدمه من زمن . وذكر له صفة عمله وهجرته وقلة عودته إلا في الإجازات والطوارئ

قال المحقق: والابن.

قال: أنا أيقظته وبدأت التسلق خشية امتداد النار وتبعني وفقد توازنه وسقط ومات واتصلت بالإطفاء والإسعاف وكان احد الجيران سبقني بطلب الإطفائية .

قال المحقق: لم تحاول إسقاطه.

قال: ولماذا أسقطه وأقتل أمه؟ ماذا استفيد؟

قال المحقق: أنت عليك الإجابة.

قال: هل يعقل أن احرق زوجتي واقتل ابني ؟!

قال المحقق: النار اشتعلت عمدا ، ولم يؤكد احد

أن زوجتك تتعاطى المخدر أو المنوم ولماذا هربت عن الطريق النافذة ولم تخرج من باب الشقة؟

قال: أنا ظننت أن النار تغمر البيت والنافذة قريبة وفتحت الشباك وقفزت وصعدت مستعينا بمواسير المياه .

قال: المحامي : هناك عدو فعل ذلك .

قال المحقق: من هو هذا العدو ما دام يعمل في تلك المدينة ؟ لم يظهر أي عدو .. لم ينشب الحريق في المطبخ ثم انتقل لغرفة النوم ، حدث الحريق في غرفة النوم ، من هو العدو ؟ ولماذا لم تخرج من الباب؟

قال: يا سيدي الدخان ملأ الشقة ، وما فكرت بأن الدخان في الغرفة فقط فالنافذة أنقذتني

قال المحقق: عادة الخائف يبحث عن الباب .

قال المحامي: هذا ما يؤكد براءته، لو كان هو فاعل الحريق لهرب من الباب ولم يسرع إلى النافذة لهرب من الباب وأيقظ الجيران .

****

كانت السيدة على اتصال مستمر بجومار ثم مع محاميه ، وعلمت تفاصيل المأزق الكبير الذي يعيشه باتهامه بقتل امرأته وابنه الشاب الصغير ، وهو قابع في سجن الشرطة ، والشرطة لم تستطع إثبات التهمة ، لم يشهد احد بأنه ابتاع البنزين ، ولم يشاهده أحد يدخله للبناية ؛ لكن الحادث متعمد بين واضح ، هل سكت عن المعتدي وهدده الفاعل ؟ ولماذا تتعاطى زوجته المنومات؟ فقالت أمها: إنها تستعين بها على النوم ، بشكل متقطع ، فهي تتعاطى الكحول منذ تزوجت جومار وتدخن مثله ، ولم تكن الزوجة الأولى ؛ إنما هي الثالثة تزوج الأولى أيام الجامعة أنجبت طفلا مرضت على اثر الولادة وماتت ، وأمها أخذت الطفل وربته ، وهو اليوم يعمل بعد تخرجه من الجامعة ، وتزوج الثانية ثم انفصلا سريعا ، فقد كان لها عشيق ، ثم تزوج الثالثة التي ماتت حرقا ، وها هو متهم بقتلها وقتل ابنها ، وفي عهدها رحل للعمل مع نذير مديرا ورئيس خدم للقصر ، وعرض الطلاق عليها ، وقد رفض سفرها معه لصغر ابنه ورضيت أن تعيش على زيارات متقطعة .

والسيدة كانت في حالة صعبة ويائسة من عودة ابنها المخطوف ، وقد أكدت شرطة سويسرا عدم خروجه من البلاد بطريقة مشروعة ، فلا قيد له برا وبحرا وجوا إلا اذا خرج تهريبا وها هم على تعاون مع البوليس الفرنسي والألماني والإيطالي والنمساوي الدول المحيطة بسويسرا فالحدود مفتوحة مع هذه الدول ، ويمكن اختراقها والدخول إليها بسهولة ، فتشتت ذهنها بين مايكل الابن وجومار والأب .

فاجأها المحامي برانس بتلقي إشارة بوليسية ، تلقى البوليس إشارة من شرطة فرنسا بوجود الطفل في احد فنادق باريس ، لقد تحدثت خادمة غرف فندقية أنها رأت صورة للطفل في صحيفة وأنها ربطت بينها وبين الطفل في الفندق ، ونفى مدير الفندق وجود الطفل المفقود في فندقه ، ودخلوا الغرفة التي شوهد فيها الطفل ، وتبين أن الغرفة نزلت فيها امرأة ومعها ابنها قضت ليلتين ، وغادرت الفندق فهل لخادمة سلوفانا السويسرية دورا ؟ فهي غابت عن الشقة مدة أسبوع بعد مجيء سلوفانا لبرن تتابع الاختفاء وزعمت أنها ذهبت مع أصدقاء في رحلة خاصة ، ولم تكن رحلتها لفرنسا .

وعرض المحامي عليها السفر ومقابلة خادمة الفندق ومدير الفندق، فقبلت وسافرت معه لباريس ، ولما تمكنا من مقابلة الخادمة التي فصلت من العمل ، فقد اتصلت بالشرطة دون إخبار الإدارة طمعا بالجائزة التي أعلنت عنها سلوفانا بالتنسيق مع البوليس ، ولما رأت الصورة من المحامي أكدت أنها نفس صورة الصحيفة ونفس الصبي الذي كان في الفندق واكد مدير الفندق أن المرأة والطفل من كولومبيا القارة الجنوبية ولم يبدُ على الطفل الخطف والطفل ابنها حسب الوثائق المقدمة للفندق ، اطلعها على صورتها في جواز السفر وصورة جواز الطفل ، وبعض اشرطه الفيديو لكاميرات المراقبة للممرات والصالات ، فأكدت سلوفانا أن الصور لابنها ، وأكدت شرطة باريس أن المرأة دخلت البلاد من نيويورك دون الطفل مايكل ، كان معها طفل تختلف صورته عن صورة طفلها، وقضت أسبوعين في باريس في ثلاثة فنادق ، ثم غادرت إلى النمسا ، وقد تكون هناك ، وقد تكون عادت لبلادها فلها اكثر من شهر مغادرة الفندق ، وسبب تأخير الخادمة بالبلاغ تأخرها برؤية صورة الطفل في الصحف الفرنسية فلما رأت الصورة والخطف تذكرت الطفل والطمع بالجائزة.

كان الجواب والتفسيرات مقنعا لها وللمحامي، فسافرا إلى شرطة فينا . وكان مدير البوليس في فينا على علم بقصة الطفل المخطوف ، بين لهم صحة دخول المرأة الكولومبية فينا والطفل ولم يقضيا ليلة في العاصمة ؛ بل سافرا إلى اليونان ، وسافرا اليونان ، واكد بوليس أثينا عبورها المدينة ، ثم غادرا برا إلى إسطنبول والشرق الأوسط في تركيا ، لم يثبت دخولها الأراضي التركية بهذه الأسماء ، وعادا لسويسرا وهم يكاد يؤكدون أن الطفل ابن سلوفانا ، وهذا التنقل غريبا لهما .. هل تسير سيرا صحيحا أم وراء سراب ووهم ؟

علمت بأن جومار سيفرج عنه لعدم كفاية الأدلة ،

ولم يستطيعوا إثبات شراء جومار للبنزين والمنوم ، وجومار لم يكن يملك سيارة أثناء وجوده في الهند ولو مستأجرة ؛ ليقال إنه ملأها من بنزين السيارة .



القصر من جديد

بعد شهور ثلاثة عادت سلوفانا للقصر ، وهي في غاية الحزن والذبول والهموم ، ولم تفصح بشيء لاحد حتى لطبيبها، ولم تباشر العمل بالشركات وطلبت من علي وبكر الاستمرار بالتوقيع عنها حسب الوكالة القانونية . جاءت رسالة من بسيل يخبرها أنه في المستشفى على وشك الموت ، ويتمنى رؤيتها وفعلت وقابلته وكرر له هواه لها . وقالت: ألم يفعل لك الطب شيئا؟

قال : فعلوا ما يستطيعون ولم ينجح الكيماوي ولا القص والمرض ينشط ، تمنيت الزواج منك وأتمنى السعادة لك.

فهمست : ذهبت السعادة

قال : لم افهم

قالت : لست سعيدة

قال : لديك المال وحولك الرجال.

قالت : الأمومة ، كنت احلم أن أكون أما مثل نساء العالمين.

قال : فعلا الأمومة الغريزة ! نحن لم نحب الأمومة لانفتاحنا على جنسكم .. كان على نذير أن يحقق لك ذلك

قالت : كان عقيما ويتعاطى الموانع.

قال : كنا نفعل العقم الصناعي، لم نحب الأبوة .

قالت : لك ولدان من ريما.

قال : صحيح ! كان هذا مطلع الزواج قبل الفسق ، نعم ينقصك الأمومة.. هل العلاج يحقق لك الأمومة أم يمنعك منها ؟

قالت : أنت تحدثت عن السعادة فلست سعيدة.. المرأة بدون ولد لا تكون سعيدة

قال : الغريزة كما يقولون.. تزوجي من يحقق لك ذلك

قالت : كيف كان يراني نذير بينكم؟!

قال : ملاك .. كان الرجل مغرما بك ويحب لك السعادة.

قالت بحسرة : لوكان محقا في حبه لرغب بالذرية.

قال : هذا النقطة كانت غامضة ، لم تكن أمه طاهرة كان يراها مومسا .. فالشرف والكرامة لا قيمة لها في حياتهم، فكان يعتقد أنه ابن غير شرعي كانت تقوم بالعلاقات دون خوف من أبيه كان يراها مومسا

قالت متظاهرة الاستغراب : يا الله ! أتحدث لك بهذه الشكوك؟!

قال : لذلك كان يكره أن تلد له امرأة.

قالت : العلم يستطيع كشف الأبوة والبنوة بفحص الجينات .

قال : صح ، فحص دي ان ايه لكن ما الفائدة من معرفة الحقيقة؟ أن يعرف الشخص أن المولود منه أو من غيره أو من أبيه أو من غيره .

قالت : أنراه شك يوما بأني قدمت جسدي لغيره؟

قال : الحق أنه متأكد من ذلك ، لا يرى في الكون امرأة عفيفة شريفة ، ويرى أنك نمت مع غيره بعد زواجكما ، وتيقن من علاقة بينك وبين الطبيب الخاص بك لوقان ، ثم هجرتيه ، ولم يعرف البديل

قالت : تحدث معك في هذا!

قال : نعم، كنت ثقة عنده واقرب الشلة لقلبه ، قال لا يمكن أن يكون هذا الطبيب شريفا عفيفا ومغامراته تزكم الأنوف.

قالت : هو قال ذلك عنه!

قال : نعم ، وتذكرين حاول طرده وإبعاده عنك فازددت تمسكا به ..أكان محقا في هذا الشك ؟

قالت : هل شك في غيره؟

قال : لا اذكر شكه في شخص معين كان شكا عاما.

قالت : علاقتي بالدكتور علاقة عابرة ومداعبات وقبل وضم كما فعلت معك كذا مرة لم تصل للمعاشرة .. كنت افهم غيرة نذير رغم تظاهره بالحرية

قال : كنت في سهرات أظن أننا كلنا سنقضي الليل في حضنك ، يصل بك الابتذال اكثر من فريدة ثم تصحين من السكرة وتأمرين الخدم بنقلك لسريرك أو العودة بك للبيت .

قالت : لي شهوة ورغبة مثلكم ، لست ملاكا ، وأنا مستيقظة اكره الرجال.. أنتم تريدون الجنس فقط.

قال : وأنت تريدين الحب الصادق.. وهو عزيز المنال في بيئة إباحية .

****

غادرت الخادمة بالطعام من غرفة نوم سلوفانا ؛ حيث تناولت القليل منه ، ودخلت ديانا وقالت

ديانا: مساء الخير سيدتي

قالت : مساء الخير

وقالت ديانا: ما زلت مرهقة منذ عدت .. أنا حزينة من أجلك ! الطبيب قلق عليك وعلى صحتك

قالت : لست ادري ! أنا متعبة فعلا أمر في ظرف خاص.

وقالت ديانا: زوجي يريدني أن اترك العمل وأعود لتركيا ، فهو على وشك التقاعد من الخارجية

قالت : يا الهي ! خبر صاعق تعودت عليك يا ديانا الأمينة المخلصة

وقالت ديانا: عشرون سنة هنا.

قالت : عشرون سنة.. عمر! هل تقاعد ؟

وقالت ديانا:هو الآن يعمل هناك اكثر وقته والقليل هنا.

قالت : من يستطيع القيام بأعمالك؟

وقالت ديانا:السكرتيرة نورما

قالت : تعرف عملك

وقالت ديانا:نعم ، عملنا معا عند ذهابك أول مرة للعلاج .

قالت : نورما هي ما زالت في الشركة تحدثي معها اذا قبلت العمل مكانك ، ثم أتعاقد معها الشركات لا دخل لها في القصر.

وقالت ديانا: اعلم سأتكلم معها واقنعها لتعمل معك في القصر

قالت : شكرا لك ديانا اذا وافقت سأتحدث معها ونعمل العقد.

قبلت ديانا السيدة من خديها وشكرت ودعت لها بالشفاء وزوال الحزن . قالت : قد نعمل لك حفلة وداع هنا للظروف التي تعصف بي.

وقالت ديانا: سنبقى أصدقاء أيتها السيدة الفاضلة!

قالت : شكرا ديانا ، وأنا بحاجة للأصدقاء المخلصين مثلك سلمي على زوجك سليم خالص السلام .. عندما ازور تركيا سأتصل بكم لسماع أخباركم.

غادرت ديانا وقالت سلوفانا : هكذا الدنيا فراق بعد فراق ..لا أخبار عن مايكل آه لا احد يشاركني حزني عليه .. من خطفه بهذا الحذق والفطنة والترتيب ؟ سويسرا فرنسا النمسا اليونان تركيا اختفى.. امرأة تحمل جواز سفر كولمبي والطفل جواز كولمبي.. الخادمة تؤكد أن الصورة للطفل الذي قضى ليلتين في الفندق.. دخل ولم يخرج .. من يعرف سري وابني؟ لو كان بسيل يعلم سري وعشقي يفعل ذلك .. لا ، لا .. داليا وبول .. هذا فعل رجل يملك مالا كثيرا ، لابد من زيارة أخرى لبسيل هو الأقرب لنذير سمح له بمغازلتي وإقناعي بالنوم معه .. هل يختلف الرجال ؟ كلهم سواء اذا قضى شهوته اصبح حملا وديعا بصعوبة أن يعيد الكرة .. كم منهم التقيت؟ كلهم أدعياء قوة .. ماذا أقول حتى جومار لم يكن بتلك الفحولة التي يفتخر بها الرجال ؟ كلهم دعاة وهمية أصبحت الشهوة مملة ومتعبة .. هل من أجل للطاقة ؟ يتوقف هرمون الجنس عندنا مبكرا ويقف الحمل.. عجيبة الحياة الجنسية.. كم كنا نفرح أيام الجامعة عندما تلتقط الفتاة عشيقا ليلة وأياما .. بعضهم عندما يحاول يفشل كأنه طفل ؛ لكنها أعضاء خلقت لذلك .. كنت محبة لأن ألد شبعت من قضاء الرغبات المملة والأدوية والموانع والحذر من الحمل قبل الزواج .. خطف مايكل انتقام .. أحي نذير؟! انتقم منا بعد هذه السنين..

كيف عرف به قبل أن يموت؟ الجثة التي دفنت لمن ؟! الدكتور لما علم بموته ذهب المستشفى واستلم التابوت المغلق وشهادة الوفاة .. لم ير الجثة ؟ ولم يكن بحاجة لرؤيها ، ودفنت الجثة بواسطة شركة الدفن .. فتحوا التابوت وادخلوه القبر .. المسلمون لا يدفنون بالصندوق .. كان هناك جثة وإخراج الجثة يحتاج لأمر قضائي وشرطي .. أليس هناك حيلة لرؤية وجه الميت ؟! لماذا أحس هذه الأيام بحياة نذير ؟! إن الرجل يمكر بي لماذا سيطر عليّ هذا الشعور ؟ هل يصدر المستشفى شهادة مزيفة؟ لماذا مر على مالطا قبل السفر للعلاج ؟ هل هو مجرد للقاء جوني الملطي لماذا رافقهم في اليخت وسكر وزنى ؟ هل دفنّا ميتا آخر وسخر منا ؟ كان مريضا في المستشفى وكان في وضع صعب وفي غرفة العمليات وأجهزة وخراطيم ، لم يكن موته مفاجئا ، فالسموم التي كنت أضعها له في الشراب كانت تؤدي دورها ببطء، وكان الطبيب يساعد بذكاء وجومار يساعد بدون علم الطبيب، والطبيب بدون علم جومار تستبدل أدوية الكبد بوضع حبة أو حبتين في كل علبة ، وكانت تظهر مشاكلها بين زمن وآخر ، كل يريدني الزوجة بعد موته ، جومار قتل زوجته ؛ ليتمكن من الزواج مني أم لم يقتلها بنفسه .. لقد اقتربت نهاية السنوات الست ، وأنا قتلت زوجي من أجله هو الوحيد الذي فاز بقلبي وولدت منه لماذا فعلنا ذلك ؟ الهوى والعشق ما أنا شبعت منه قبل الزواج ، والدكتور غامر من اجلي .. كلهم يهوون الجسد ألا يشبعون؟ لقد نمت مع الدكتور اكثر من نذير لما رحلت إلى هنا .. وجومار كذلك .. هل استطعنا إخفاء الأمر عن نذير أم خدعنا وسكت لمثل هذا اليوم ؟ المال هل سيحول لي؟ .. لم افكر جيدا بسبب تأخير تنفيذ الوصية ومن عدم زواجي لماذا ؟

حدثت الطبيب في شكها بموت نذير ، وأنه ما زال حيا .. فاستغرب الدكتور وظن أنها ضربت في دماغها .

قال : لما وضع داخل التابوت لم نره كانت جثة في الصندوق ، وهو كان سيموت سواء في مالطا أو ميونخ الموت متوقع ، والشهادة رسمية ، وهذه مسؤولية يتحملها المستشفى حتى لو كان فيه نفس لمات بنقص الهواء والأوكسجين.

قالت : قد يزعم المستشفى أن خطأ حصل ، ولم يكن الميت نذيرا كان في غيبوبة ، ووضعوا جثة في تابوت على أنها لنذير وأخذناه على أنه نذير ألا يحدث ذلك في المشارح؟!

قال بتأمل: نادر جدا ! ويكشف ويصحح الخطأ .. والموت حدث من اربع سنوات وشهور

قالت : ألا من طريق لرؤية الجثة ويطمئن قلبي ؟

قال : ولماذا أنت تعتقدين حياته ؟!

قالت : أمور حدثت معي في سويسرا جعلتني أشك بموته وأنه حي.

قال : أمور مثل ...

قالت : أفعال لا يعرفها إلا هو ، وقابلت شخصا كأنه هو .

قال : جلست معه تحدثت معه!

قالت : لا ، قابلته كذا مرة ، وتعمد أن يريني نفسه، لولا يقيني بأن نذيرا ميت لقلت هو.

قال : نخشى طلب رؤية الجثة وتحدث قضية كبيرة.

****

سيطرت عليها فكرة العدو الزوج الميت ، لا احد يرغب بالانتقام منها إلا من تزوجها ، داليا حملت وانكره وهربت ولم يقتلها ويقتل بول، ما استعمل العنف ضدها ، ولم يقتل عشيقها ، فلو كشف أمري لطلقني ، وانتهى الأمر ، إلا اذا عرف سعي لتسميمه والقضاء عليه مع الطبيب وجومار ، كان منسجما مع جومار ، ذات مرة وكنا نشرب البرتقال فقال: فيه مرار سي الطعم . وتركه وتحدثت يومذاك وقلت : إنه من أجود الأنواع ومستورد خصيصا للقصر من اشهر المزارع الإسبانية. وانتهى الموضوع ، تابعت لنفسها : صحته كانت تتدهور بين حين وآخر بسبب مشاكل الكبد والجنس لم يشكُ من تسمم أو التعرض له ولا علاقة لي بالمطبخ .. من خطف مايكل ؟ من تلك المرأة التي مثلت دور الأم ؟ الطفل الذي دخلت به نيويورك وفرنسا وتنقلت به بين عواصم البلاد .. كان مغرما بالأطعمة الدسمة .. تلاميذ المدرسة ذكروا أن رجلا
تكلم معه في حفل الموسيقى وتبعه ظانا أن أمه في انتظاره لم تكن امرأة التي تحدثت معه.

صارحت الطبيب بسرها زعمت له أن ابنها اختفى، وهي كشفت له أنها حملت به من رجل أثناء وجودها في أوروبا ، ولا تعرف أباه ، ولا نذير يعرف بوجوده ، وصدقها الطبيب .. فمن يخطفه سوى نذير؟! فوعدها بالسفر إلى مالطا والتأكد من وفاته بطلب استخراج شهادة وفاة لضياع الشهادة القديمة أو احتراقها والتأكد من وفاة نذير فقال : أما الجثة المدفونة فأمرها صعب .. النبش بعد هذه السنوات بزعم دفن جثة غير جثة زوجها جثة من سيسألون؟ الأمر معقد وسيجري تحقيق جنائي ممن الخطأ ؟ وجثة من دفنت ؟ وأين جثة نذير اذا استبدلت؟

قالت : ولماذا لا تقبل الشرطة المحلية الأمر ببساطة ؟!

قال الطبيب: حتى لو فرضنا أن الرجل حي والتقاك ثلاث مرات أو ظهر لك ، ولم تهتمي

ليقينك بوفاته لماذا ظهر؟ ولو كان موته خدعة فلم يفعل ذلك ؟ وجثة من التي أخرجت من التابوت وغسلت ودفنت في القبر ؟ ما الهدف من هذه الحيلة ؟ افرضي أنه اطلع على خيانتك الزوجية فهو اكبر خائن زوجية.. يريد الانتقام ولماذا ينتقم بهذه الحيلة ؟ ألم يكن يقدمك لأصدقائه ويتحداهم بالنوم معك .. وكنت تقبليهم وتحضنيهم وتراقصيهم وتظهرين أمام بالزينة والعطر وآخر تبرج .. فهل سيحاسبك على الطفل الذي لا تعرفين أباه وعاش بدون اسم أب ؟ وذكرت أنه غار من علاقتي بك ثم ترك الأمر لما تخليت عني وقل اللقاء بك كصديق بس كطبيب فقط والطفل الذي حملت لم يحمل اسمه ولا اسمك.

قالت : كل هذا معروف وصحيح ؛لأنه يثق بأنني لم امكن احدا من شلته مني، قال يوما اذا فعلت ذلك عليك ألا اعلم من هو صديقك وعشيقك يا سلوفانا ! أسمح لك باتخاذ عشيق سري فقط .. فأنا شرقي في دمي لست أوروبيا .. أمي اعتبرها مومسا كان أبي ضعيفا ومتهاونا أمام عشاقها ، وقد يعمل لاحدهم عشاء بعد خروجه من غرفتها.. أنا متأكد أن لك عشاقا لكن لا اقبل أن يخرج احدهم من حجرتك وآخذه بالأعناق والترحيب سألت أبي كيف ترضى لها أن تفعل ذلك بوجودك؟! رد ببساطة لست ذكرا مات ذكري وهي تعشق الجنس.

قال : عجيب !

قالت : وعجبت أنه حدث صاحبه بسيلا بذلك صارحني بسيل بذلك .. لذلك السيد كان لا يهتم بهم ويعتبرهم أحياء أموات ؛ ولذلك كان يسرف في السكر والمخدرات لذلك لما زاد شكه فيك أراد أن تبتعد وخشيت أن يؤذيك بسببي .. كيف عرف؟ الخدم لا يؤتمن لهم سريعو الاستدراج .. ولا ادري كيف عرف حقا ؟!

قال مجيبا : هو شك شكا لم يتقين ؛ لأننا نعيش في إباحية جماعية يا سلوفانا ! لا تحتاج لفطنة وذكاء .. لماذا نرقص ونطرب ونشرب ؟ وكلنا معروف بالفجور دون رادع لسنا دينيين.. فكل من يتحدث مع أنثى بالتأكيد لترتيب موعد أو مواعدة على رأي الغربيين .. حياتنا الملذات والشهوات .

قالت : كلامك صحيح وأعرفه كما تعرفه! نحن نجتمع للملذات والشهوات ..هل نجتمع لسماع محاضرة أو درس علمي؟ .. الجنس والسكر يجمعنا وتارة القمار ، سمح لي بالعشيق العابر دون تردد ؛ لأنه مّني قبل السكن في هذه الجبال ، ومقصر معي في العلاقات الخاصة وهو يعتقد أن كل النساء مومسات وفتيات حانات ويتاجرن بفروجهن لكسب المال من الذكور عنده عقد

نفسية نحو جنسنا .

قال : أنت تقولين إنه لا يعرف ما كان بيننا بيقين ، ولا انكر ذكاءه ومكره وخبثه.

قالت : لا تنسى حياته في البرازيل، واكثر بلد فيها أولاد غير شرعيين وشذوذ وانحرافات شاذة.. تنافس الولايات المتحدة بالانحلال.

قال : ولا تنسي أنه كما وضحت من أسرة إباحية وأم فاسدة وأب بدون شهوة ولا تنسي قصة داليا وبول .. لماذا جاءت بعد زمن من موته بأي حق جاءت ؟

قالت : فكرت بقصتها كثيرا ولم اجد تعليلا وتفسيرا لحد الآن.

قال : تكلمت مع بعض محاميه في ميونخ وريو دي جانيرو فانكروا معرفتهم بها قال محامي البرازيل منذ هربت لم نسمع عنها شيئا ؛ كأنه تفاجأ بوجودها في كوبا .. هل هي زوجته الأولى فعلا أم مزيفة؟

قالت : معقول ! زوجة مزيفة محتالة ! أمي تلح عليّ ببيع القصر وكل استشاراتنا هنا بعد انتقال ملكيتها لشخصي والعودة لأوروبا

قال : هذا الأفضل بعد التملك التام.. هذا القصر كبير عليك ، لا أولاد ولا زوج خدم طهاة لماذا منعك من الزواج ؟

قالت : هذا ما جعلني أيضا أن أشك في موته..

امرأة أرملة شابة تمنع من الزواج ؛ كأنه يقول لي مارسي الجنس بدون زواج .

قال : من الصعب التحقق من الجثة اليوم .

قالت : لصوص القبور ألا يستطيعون فعل ذلك ؟

قال : يستطيعون؛ لكن كيف سينقلون الجثة وقد تآكل منها الكثير ؟

قالت : ثم تنقل لمكان سري خفي.

قال : جريمة ونضع انفسنا تحت الابتزاز تحت رحمة هؤلاء اللصوص .



مالطا

غادر الطبيب لوقان اتجاه جزيرة مالطا في المتوسط حيث قضى نذير نحبه ، وكان يحمل في حقيبته صورا لنذير والتقرير الطبي للوفاة ، بحث عن المستشفى الذي نعاه لهم، وسأل عنه جمعية الأطباء ، لا احد يعرف اسم هذا المستشفى على ظهر الجزيرة ، ذهب للمكان الذي يتذكره ، وجد هناك عيادة طبية ولم يجد المستشفى أصابته الحيرة والارتباك ، وعرض التقرير الطبي والشهادة على احد المحامين فقال له: هذا تقرير المستشفى الموهوم ، وأنت أدخلت الرجل إليه بنفسك !

قال : هذا ما حصل كنا في طريقنا لألمانيا لعلاجه،

ونزلنا هنا لدعوة صديق له يملك يختا وفي اليخت خالف كل نصائح الطب وتحول إلى المستشفى ورأيناه في غرفة العمليات والأجهزة وهو يعاني وبعد أيام اتصلوا بأن الرجل قد مات ، ولما جهزوه في تابوت وهذه الأوراق رحلنا به إلى بلدنا ودفن حسب التقاليد الإسلامية.

قال القانوني: سأقوم بالحديث مع وزارة الصحة وأسأل عن هذا المستشفى الوهمي.

قضى أياما ثلاثة يبحث عن المستشفى الذي مات فيه نذير دون فائدة ، فقال :كانت سلوفانا صادقة في شكها في موت زوجها .. لماذا فعل هذه المسرحية ؟! هل عليه مخالفات ضريبية أو مطاردة من عصابات؟ هل تورطنا بإعلان موته ؟ فهذه جريمة .. من الميت الذي حملناه إلى المدينة ؟! هذه ورطة كبيرة يا سلوفانا ! نقل ميت والزعم أنه نذير .. لقد قضى علينا اللعين أهذه أوراق مزيفة ؟ تحدث مع السيدة عن اختفاء المستشفى ، وأن خدعة كبيرة وقعوا فيها فطلبت منه العودة ، ولما التقيا فصل لها ما فعله . فقالت : نحن لم ندفن نذيرا دفنا من ؟!

قال : هذه جريمة وقعنا فيها .. لا ادري ما العمل ؟! لكن السؤال لماذا فعل ذلك وهذا الموت الموهوم؟ أهو مطارد أم انتقام؟ ممن ؟ مني منك هربا من أجهزة مخابرات لتجارته في بيع الأسلحة والمخدرات هو شريك في شركات أسلحة وتاجر برازيلي وأوروبي

قالت : ولماذا ينتقم مني ؟ يطلقني وينتهي الأمر ، والمستشفى أين ذهب والناس وغرفة العمليات واليخت؟ رأينا المرضات والأطباء وسيارات الإسعاف كنا في مستشفى أليس كذلك؟

قال : هذا ما عشناه ! هل هو متنكر في القصر في المدينة ؟

قالت بوهن وصراخ : يتنكر لماذا ؟! أكاد أجن وأفقد صوابي .. ما الغاية من هذه اللعبة ؟! كنت عندما أرى شبيهه أتسأل لماذا يظهر هذا الرجل أمامي؟!

قال : وأنا مثلك أكاد أجن ! لمّ هذا العبث كل هذه السنوات ؟! من الذي دفناه ؟ وماذا سنقول للحكومة والدولة؟

قالت : ابني هو الذي خطفه .

قال : احتيال كبير.. نعم، لابد أنه هو لكن لماذا ؟!

قالت : أترى أن لزوجته الأولى دور في هذه المسرحية ؟

قال بحيرة : وماذا يجنيان اذا كان حيا كما نرى الآن ؟ بعض المال أم الاعتراف ببول ابنا.. أترين أننا دفنا شخصا أخرج من القبر بعد انصرافنا .. أمور تخيل العاقل.. مريض مستشفى يخت نقل تابوت

دفن جثة شهادة وفاة تقرير طبي ماذا يقصد هذا المخبول ؟

قالت : أتراه كشف سعينا لتسميمه رويدا رويدا ؟

قال بحدة : لم نفعل ذلك.. إياك ذكر هذه الجريمة .. هو مات من أمراض الكبد والكحول والدواء سم كما هو علاج .

قالت : كيف سنتحقق من التابوت؟

قال : عليك كما قلت مرة عن طريق لصوص القبور.

قالت : وهل هناك منهم؟

قال : هناك كما سمعت منك ؛ ولكن كيف الوصول اليهم ؟

قالت : نباشون القبور لسرقة أشياء الأموات حتى أنهم مستعدون لسرقة أسنان الذهب من أفواههم يا دكتور!

قال : هذا في الدول الفقيرة أفريقيا الجنوبية والشمالية ، وما الفائدة بالنسبة لنا ما دام لا يوجد مستشفى وكله وهم؟ ..فنذير حي وقريبا سنعرف هذا وما دبره لنا ؟ هل من فائدة من نبش القبر ؟

قالت : نتأكد من وجود دفين .

قال مفكرا: الرجل ماكر وسيكشف نفسه قبل انتهاء السنوات الست ، فلا داعي لنباش ولص قبر .. هذا سيضر بنا اكثر مما نحن فيه ، ولم التقِ بلص قبر طول حياتي ؛ كأني سمعت ذلك بالأفلام عندما كنت صغيرا .

قالت : استعن بحفاري القبور بالمال .. علينا أن نتأكد أنه غير نذير خشية أن يظهر لنا الشبيه ويزعم أنه نذير .. القبر معروف مكانه لعل القبر اختفى

قال : ممكن نعمل على أن نذيرا حي؛ ليس ميتا .. نحن الذين بلغنا العالم عن موته واقمنا له العزاء والصدقات والتأبينات

قالت : اختفاء مايكل وظهور نذير .

قال : معرفة جثة من دفنا غير مهم لنا في هذه الورطة القضية كيف ننقل جثة ونزعم أنها نذير ؟ وأين نذير ؟ سنتهم بقتله وإظهار جثة غيره أمر معقد

قالت : سيظهر المجرم ، ويكشف لنا سره وسر هذا الاختفاء.. قصة عجيبة وموت عجيب ، لم يشك احد بموته ؛ لأنه كان متوقعا .

قال : شارك الكثير في هذه التمثيلية اليخت والمستشفى .. ونحن وأصحابه هنا اعتقدوا موته مثلنا وصاحبك بسيل طلق امرأته ليتزوجك.. لماذا اصطنع الموت ؟ وقال بغل :جننت من جنونه.. أيفعل هذا بشرا ؟!

قالت : وأنا مثلك فقدت الصواب .. مستشفى وهمي وأطباء وأجهزة طبية وشهادة وفاة وحمل تابوت كله كذب .. من الذي دفن فيه ؟ جثة من

؟

قال : قد نتهم بدفن رجل حي مخدر على أنه نذير .. أو ربما خنقا في التابوت .

صاحت : هذا مرعب مرعب مخيف !

****

ترجح لدى الدكتور والسيدة أن نذيرا يلعب لعبة خطيرة غامضة وغير معروف المقصود منها ولماذا صنع هذه التمثيلية ؟! وما زال يتظاهر بالموت ، وهل نبش القبر يفيد بعد أن اختفى المستشفى ؟ كان الدكتور والسيدة يلتقيان كل مساء أمام نافورة في القصر لمناقشة وتحليل وفهم القصد من هذه الحيلة والفعل الغامض لنذير ، هل نذير رتب لهذا الأمر ؟ولماذا يريد الانتقام؟ وجومار عالق في قضية احتراق زوجته وسقوط ابنه .. من الذي أحضر البنزين وسكبه في الحجرة ؟ هو ينكر فعل ذلك ، والبوليس لا يرى متهما غيره ، والدافع غير واضح للبوليس ، فليس هو بحاجة لقتلها ؛ فكان يمكنه طلاقها ؛ حيث هي شبه مهجورة .. هل تمارس الدعارة فترة غيابه؟ بل ثبت أنه كان يمدها بالمال لترعى على الأقل ابنه كومير ، وكانت تشرب الكحول والدخان من أمواله ، الحريق ثبت أنه متعمد ، والرجل تصرف تصرفا غريبا أيقظ ابنه وخرجا من النافذة للسطح مع أنه كان بإمكانه الوصول إلي الباب الرئيسي للشقة وزعم أن الدخان كان جهة الباب .

قالت: هل عملت شيئا لفتح القبر؟

قال:لم اعمل شيئا ، ولا اعرف كيفية إيجاد سارق القبر، وأخشى أن أتورط في جريمة أخرى وقد نجده فارغا ، ونتهم بسرقة ميت.. هل تعرفين سارقا في أوروبا؟

قالت: اسمع فقط

قال: في ألمانيا!

قالت: نعم وبعض بلدان أوروبا

قال: يفتحون التوابيت ويسرقون الجثث

قالت: نعم، عرضت قصص لممارسة الجنس مع الجثث من قبل منحرفين جنسيا ، و يفتحونها وبيعها لأطباء للتدريب والتشريح أو تحنيط الهيكل العظمي والجمجمة ويظن من يراه أنه حصل عليه من مستشفى بإذن أهله أو مشردا لا أهل له ، وهناك متاحف للجماجم والأسنان

قال: دون حكم محكمة وموافقة الحكومات

قالت: سرقة عصابات

قال: عجيب هذا يا سيدتي ! وهل نجد نذيرا كما دفناه ولم يُرم؟

قالت: قد نكون حملنا تابوتا فارغا.

قال: لا يمكن هذا ! كنا فرحين بفوزنا وفي لهفة عارمة ، وقاموا بغسل جثته حسب الشريعة لم تكن جثته محروقة أو بقايا انفجار .. وأنا لم اعرف جثة

من غسلت .

قالت: أحضرناه حيث احب أن يدفن .. كنا كما قلت في عجلة من أمرنا .. ظننت أن مراسيم الدفن جرت دون فتح التابوت .

قال: وعشت دور الأرملة الحزينة .. نتابع التمثيل ريثما تنتهي السنوات الست التي على وشك الانتهاء، وقد يكتشف الناس موته الكاذب.. لا مستشفى ولا جثته.. هذه ورطة كبيرة صدمة لي ولك ولأصحابه .

قالت: ألا يصدقنا احد ؟

قال: عندما يظهر علنا سيتهموننا بالخداع والتزوير وتقديم وثيقة مزورة .. هل من خبر من سويسرا؟

قالت: كل ليلة أتحدث مع المربية والمحامي ، لا جديد إلا مشاهدة المزيد من الجثث

قال بهمس : لعبة كبيرة !

فقالت: لماذا يلعب المجنون هذه اللعبة ؟!

قال: ؟ هذا اذا كان حيا حقا؟!

قالت: أوه ! ما زلت تشك ! اقسم أنه حي يسعى للانتقام مني ؟ لا ادري لماذا ؟ هل لأني ولدت خفية عنه ؟ خنته وأنجبت من غيره .. أتظن أنه يراه منك ؟ ولدت وأنا على ذمته .. ألا يحق لي أن ألد واتخذ العشاق كما يفعل يا دكتور ؟!

قال مجاملا ومتملقا : يحق المعاملة بالمثل ، وهو رجل فاشل ، لا ضمير عنده، ما دام رضي بالعشق والفُجر لماذا يتزوج إنسانة عاقلة جميلة مثلك؟

قالت: طمعني بماله وثروته ، وعرف عمق حبي للمال والثروة ، وأن المال عندي قبل الحب والغرام .. أول مرة رآني ورأيته كان قادما من البرازيل لدعم مصنع الأسرة والشراكة مع والدي فأتى به إلى النادي الخاص ، وكنت أعوم في الماء مع رفاق النادي ، فرأيت أبي ونذيرا يتفرجان علينا فأشار لي أبي بالخروج للتعرف على السيد الذي كان مبهورا من قوامي وجمالي وعُريي بالمايوه ؛ فكان ملهوفا على جسدي بكل وضوح ، الشهوة تخرج من عينيه وتغزل بي بصدري ولحمي قبل أن يعرفني أبي عليه ، ثم قال: لمن كل هذا الجمال ؟ فقال أبي: رغم كل هذا الحسن لقد طلقت من قريب يا سيد نذير ، كأن أبي يقدمني له ، وغادرنا المسبح للغداء في فندق كبير

قال: كان وسيما فاتنا هو !

قالت: لا انكر .. سلاسل الذهب على عنقه ، خواتم الألماس على يديه ، الثياب الباهرة البذخ والمال .. كل هذا واضح عليه ، والحق أنه فتن كل رفاق المسبح.

قال: وكنت تغرفين من ثروته بشره ودون حساب .. وكتب لك الكثير، ووضع رصيدا كبيرا في الحساب

قالت: لا انكر كرمه .. كان هذا تمهيدا لأقبل

الزواج بعد أن فشل في امتلاك جسدي ، سعى إليه بكل قوة وإغراء ، ولو حصل ما رغب ما تزوجنا ، هو اشتهى الجسد لم يحبني ، فهو رجل نساء كما حدثت أمي عنه ، والأيام أثبتت ذلك.

قال الطبيب آق : هل عرف بأمر جومار ؟ هو له نزعات شاذة وغريبة .. علاقتك بجومار كانت خفية اكثر مني معك.

قالت: كان لا يقرب حجرتي ومخدعي إلا آخر الليل قبل الفجر أو مع الفجر خشية أن يأتي نذير فجأة لغرفته أو يكون احد الخدم مستيقظا .. هو يعيش أما أنا أموت بحسرة .

التقى الدكتور علي يوسف بسلوفانا حول البحيرة الحجرية في القصر ، قال : يا مدام ألم تخبرينا بموت السيد قبل سنوات أثناء وجودكم في مالطا ؟

قالت باضطراب : نعم ، أيها السيد عندما سافرنا مرّ بنا على مالطا بدلا من التوجه مباشرة إلى ميونخ كما تعلم .. قال سنمر على مالطا لرؤية صديق نسيت اسمه له يخت عند تلك الجزيرة ولما رجع من رحلة اليخت مرض ودخل مستشفى ، وذهبت والدكتور والخادمة الفرنسية جوليا للمستشفى ، وبعد أيام اتصلوا عند الفجر بخبر وفاة نذير وقاموا بإخراج التقرير الطبي والشهادة ، ونقلنا التابوت بالطائرة كمل تذكر وقمتم بإجراءات الدفن .

قال علي: جاءت رسالة فيها أن الرجل سيعود للبلد قريبا.

قالت: ممن جاءت؟!

قال علي: من مكتبه في البرازيل

قالت: أليس هذا ملفتا ومثيرا للنظر ما دام لم يكن ميتا حقيقة؟ لماذا جاءت امرأته البرازيلية تطلب حقها ؟ وأنت التقيت بها قبلي ، وله خمس سنوات لم يتحدث معكم أو معي لم فعل ذلك؟!

قال علي: نحن تعاملنا معك على أنه ميت!

قالت: وأنا عشت بدون زواج على أنه ميت ، ولا أتزوج حتى تمر السنوات الست

قال علي: امر محير فعلا ! لنا سنوات بدون أي اتصال

قالت: أنا لم أشع موته ! نحن يبدو أنا تعرضنا لخداع في مالطا منه ؛ ولسوف تظهر الحقائق .. أين قضى هذه السنوات؟ ولماذا هذا الخداع العجيب؟!

قال علي: أنت أدرى !

قالت: هل يتأثر العمل ؟

قال علي: الإدارة تتأثر ، والبورصة تتأثر ، فلنا شركات ضمن البورصة .

قالت: اعلم يا دكتور علي أن هناك لعبة كبيرة منه ، أنا من شهور وأنا أعاني من الرعب يا دكتور أرسلت الطبيب آق لمالطا ، ولم يجد المستشفى موجودا كان مستشفى وهميا لعمل هذه الحيلة ..

لماذا ؟ لا اعرف .. هل هو متورط في صفقات سلاح غير شرعية مخدرات؟ أنا أعيش أرملة يا دكتور حسب وصيته.

قال علي: والعمل!

قالت: أنا اعتقدت وكما اعتقد الجميع أنه ميت حسب ما علمنا ..سننتظر حتى يظهر في البلد ونرى دوافع هذه الخدعة التي ورطني بها أنا والدكتور.. ومن الذي دفن؟!

قال علي: نحن في ارتباك واستغراب، نحن ندير الشركات على أنه ميت، اخبرنا مكتب برلين أن السيد في البرازيل مختفيا لأسباب خاصة، ولم يثبت موته إلا عندكم ويعلمون أنه حي

قالت بدهشة : يعلمون أنه حي منذ إعلان وفاته.

قال علي: بعضهم .. لماذا فعلوا ذلك لا يعلمون؟ اخبرهم محامي برازيلي أن السيد حي ؛ إنما ما نشر في وطنه الأصلي إشاعات ؛ إنما هو اختفاء هربا من عصابات ومخابرات، فتكتم على الأمر كأنه ميت.. ولماذا تركوك على الوهم؟!

قالت: حقيقة لا ادري يا علي ! نحن لم نعلن وفاته إلا هنا بناء على شهادة الوفاة التي قدمها الطبيب في مالطا، وكان الوضع الصحي يكاد يقول بموته فسلمنا بذلك

قال: كان في اختفاء اختياري لأسباب خاصة ، ويدير الأعمال من سان باولو

قالت: ولماذا جعلنا نعتقد موته هنا ؟وعشنا هذه السنوات على ذلك يا علي ! كانت وصيته غريبة ومثيرة للتفكير ، وسمح لي بإدارة الشركات والتوقيع عنه

قال علي: هذا ما لا نفهمه ! حتى حضور داليا وبول كان غريبا.. وهما جاءا من كوبا .. أنت والطبيب آق في ورطة من في التابوت الذي دفناه؟

قالت: هو أراد أن نعتقد بموته.. نحن على حسن نوايانا .. ولا افهم الغاية من هذه اللعبة المجنونة ؛ وكما ورطنا سينقذنا .. الآن فهمنا الست سنوات ومنعي من الزواج ..سأعقد اجتماعا هنا ولأول مرة لأوضح الموقف مم سيحدث؟

قال علي: وماذا سنفعل بالاجتماع؟ .. العمل يمضي بدون نذير وبدونك يا سيدتي ! عندما تلقيت الرسالة استغربت وتفاجأت .. خمس سنوات دون أي تلفون منه .. هل هناك لعبة وعملية نصب ؟ تحدثت مع مكتب المحاماة في برلين فأكد لي لما توثق من شخصي بأن نذيرا يعمل في البرازيل منذ اختفى لأسباب خاصة .

تنهدت وقالت: أنا صدمت بعد عودة لوقان آق من مالطا يقول لي يبدو أن نذيرا فعلا حي لا مستشفى ولا غرفة عمليات ، ولا ادري من في التابوت؟ علي نعمل اجتماع مصغر اشرح موقفي للإدارة أنت وبكر ولوقان ومن تحب .. وجومار

في الهند كما رويت لك سابقا .. الثامنة مساء يجب أن افهم ولماذا حشرني في هذه اللعبة ؟ والجثة المدفونة لمن ؟ من الذي دفن؟

قال علي: فعلا جثة من التي حملتموها معكم ؟ وكيف لم تخاطبكم حكومة مالطا عن الجثة؟

تنهدت وقالت: لما رجع من رحلة اليخت كان متعبا يا علي وأمراض الأزمة كانت بينة عليه وأمراض الكبد كانت تصاحبه كما تعلم من قبل زواجنا فذهبنا للمستشفى عند النبأ ورأيناه مسجى على السرير والأجهزة لم ترفع عنه بعد ، وقالوا للوقان سيوضع في التابوت كان على السرير ميتا وفكت عنه الأجهزة والأوكسجين، وانطلق لوقان لمكتب الطبيب المشرف لاستلام التقرير وأخذ شهادة الوفاة ، ولما جهز التابوت واغلق تماما ، وحان وقت السفر نقل التابوت للطائرة ، وفتح في قصر الدفن وغسل وكفن وصلي عليه ، وحملتموه للمقبرة وواريتموه القبر الخاص بعائلته الكبيرة .. هذا فلم سينمائي يا علي مرسوم ومدبر ، ونحن شاركنا في اللعبة دون اتفاق معنا !

قال علي: حسنا! كما قيل لعبة كبيرة.. السبب مجهول وسيكشف ، وجومار ذهب بعد موته للمستشفى وظن أنه يحمل التابوت الذي فيه نذيرا .. وهو في الهند ومتهم بموت زوجته المحروقة أو المختنقة وسقوط ابنه الصغير أثناء الهرب.

قالت: عنده مشاكل كبيرة كما أخبرتك ؛ ربما اذا عاد نذير للقصر قد يعود اذا لم يحكم عليه بالحبس.. كان يدير طقم الخدم الهندي في القصر باقتدار وخبرة هل هناك إمكانية لفتح التابوت ومعرفة شخص المدفون ؟

قال: الأمر ليس سهلا هذه جريمة دولية ! حسنا أيتها السيدة ! سنجتمع ونسمع ونرتب لعودة السيد ونعلن ذلك في الصحف .

أخبرت سلوفانا الطبيب بملخص الحوار مع علي يوسف ، ودعته لحضور الاجتماع للتفكير في عودة نذير للبلد وهو يقول ساخطا: لماذا هذه اللعبة الشيطانية؟! طار مخي ولم اعرف الهدف وهل زال الخطر عنه ليظهر حيا؟

قالت: لا احد هنا يعلم إلا أنه مات ، وبعض المحامين في برلين والبرازيل يعلمون بحياته ومات لأسباب خاصة حتى عني ما العمل ؟

قال:سأتحدث مع محامي في هذه القضية الصادمة .. لماذا خدعنا طوال هذه السنوات وأوهمنا بموته ؟

قالت: اصبر حتى يعود للبلاد .. ابني أين ؟

ضحك وقال: ابنك عنده !

قالت: ولماذا خطفه؟! أتراه قتله؟!

قال: لا أظن .. ظهوره سيكشف شيئا .. سيتعرض لمشاكل اذا كان خاطفا ، لن يعترف بخطفه أو قتله ..هذا مجنون حقا ! يستحق الحجر

في مصح أمراض عقلية!

قالت: جثة التابوت !

قال: هذه القضية الكبرى بسبب اختفاء المستشفى وزيف التقرير ووثيقة الموت اعتقد أنك ستطلقين استعدي لذلك انتهى دورك في اللعبة الغامضة .

قالت: وهل الأمر بسيط لهذه الدرجة ؟!

قال بحيرة : نحن يا سلوفانا لا نعلم لماذا فعل هذا الجنون وهذا الإيهام ؟! وجعلنا نعتقد موته وننشره في البلد ونقيم بيت عزاء ولم تتزوجي وأضحت الوصية كأنها غير موجودة .. واخترع مسرحية المشفى وغرفة العمليات .. أكيد مخرج وممثلون قاموا بهذه اللعبة الجنونية شغل إنتاج أفلام بدون تصوير .

قالت: سيكشف التفصيل كما قلت سنعرف الأسباب الخاصة لموته هنا

قال: هل هذا انتقام ؟!



نهاية الحلقة

التحقيق الجنائي والجريمة

لغز القصر الصحراوي

الحلقة ٥ والأخيرة

٢٨

بعد مغادرة الشرطة القصر بعد الأحداث المرعبة عقد منسي اجتماعا لفريق البحث فقال لهم : أيها السادة الطيبون مع هذا الحدث المرعب والمؤلم للقلوب أتذكر رسالة السيد جاءني الهام أن أقرأ الرسالة الخاصة ، فوضعت الصفحتين أمامي وقرأتها مرة جديدة ، فلاحظت أن الرجل ذكر نفسه صراحة ثلاث مرات باسم جدك بسيم الجدية وفي النهاية جدك بسيم الجدية لعل هذا التكرار لاسمه في نفس الرسالة يشير إلى طابق البداية الطابق الثالث حيث نجتمع الآن .. ومقتل هذين البرازيليين ومقتل بسيم قبلهما ذكرني باسمه المكرر في الرسالة ، وذكر في رسالته الموت حق .. لعل هذا اسم لكتاب في مكتبته ؛ فليكن عملنا في مكتبة الطابق الثالث عن كتاب اسمه الموت .. الموت حق .. اسم له علاقة بالموت .

فقال شاهر : هل نشرك النساء معنا لإشغالهن بشيء ؛ لنسيان الحادث العاصف ؟

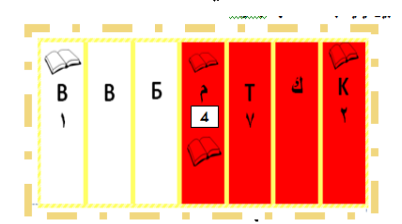
فقال حسن : جئن كما زعمن لمساعدتنا ودعمنا ، فانشغلن بالتنزه واللهو والثرثرة ، وقد غرقن بين أشجار البستان .. فلنتركهنّ على حريتهنّ ..ولا أعتقد أن موت هذه الأسرة الأجنبية أثّر فيهنّ .. لم يعد أي موت يؤثر في الناس اليوم .

فقال منسي عائدا للغز : تذكرون الكرت حرف بي B العمود الأيسر من البطاقة ، ولاحظوا أن B فوقها كتاب صورة كتاب أي مكتبة الطابق الثالث

في نظري ، وتحتها ١ فلنبحث في الرف الأعلى من الخزائن السبع على أنه واحد ، ثم في الرف الأسفل على أنه واحد .

وانتقل القوم إلى مكتبة الطابق الثالث ، فلما أصبحوا أمام الواجهة التي تشبه الكرت مفتاح كل اللغز ، فقال منسي لهم :سنبدأ من الرف الأعلى من كل الخزائن السبع سنعتبره رقم واحد سأبدأ أنا من اليمين ، وشاهر من اليسار ، وأنت يا حسن من الخزانة الوسطى الرابعة سواء عددنا من اليمين أم اليسار .

ولم يطل البحث في الرف السابع من الخزانة الوسطى ، فقد وجد حسن كتابين في الرف يحملان اسم الموت ، ووجد منسي كتابا يحمل اسم الموت حق ، ومثلهم شاهر ، فقال منسي : فقبل أن نقلب في صفحات هذه الكتب علينا المتابعة لإخراج الكتب المعنونة بالموت في هذه الرفوف السبعة .



ووجدوا في باقي الرفوف العليا كتبا تحمل عنوان الموت ، ولما انتهى التفتيش ، قال منسي : أصبح لدينا عشرة كتب فيها لفظة الموت .. كتاب الموت .. قصة الموت .. حقيقة الموت .. الموت لا مفر منه.. الموت حق .. أحياكم وأماتكم ..ملك الموت .. لا فرار من الموت .. حياتنا بعد الموت .. جاءكم الموت .. هذه عشرة كتب بعناوينها ، فبعضها كما رأيتم جاء صريحا في رسالة السيد لحفيده .. مثل كتاب الموت وكتاب الموت حق على كل واحد منا تصفح كتابا بحثا عن رسالة خاصة فيه كما فعلنا في مكتبة قصر أديب .. وإذا لم نجد شيئا نتصفح غيره .. ثم ننتقل للرف الأسفل ونعتبره رقم واحد أخذ كل واحد كتابا وبدأ التقليب والتحري ، ودخلت عليهم النساء وهم مستغرقون في البحث والصمت يخيم على المكان ، فشرح لهنّ منسي الأمر واشركهنّ في عملية البحث والتنقيب ، فتناولت كل واحدة مجلدا وذهبت إلى الجلوس على أحد مقاعد المكتبة يبحثن عن رسالة جديدة وكان من نصيب زوجة السيد حسن أن تجد في إحدى صفحات كتاب الموت حق شبكة مربعات ، ورأسها سهم للأسفل ، فقالت مضطربة : يا منسي يا أبا ضياء لعل هنا رسالة من السيد بسيم !

اقترب منها زوجها بعدما ترك الكتاب الذي كان يقلب صفحاته ، ونظر الشكل والحروف .

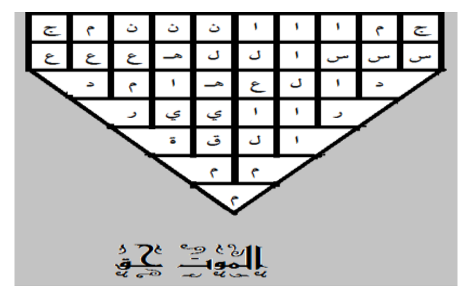
فقال حسن رافعا يده لأعلى : أجل! توقفوا أيها السادة ، وجدت الرسالة في هذا الكتاب الذي كان يجب أن نبدأ به ؛ لأنه موجود اسمه صراحة في الرسالة الموت حق .

أخذ المنسي الكتاب من يد حسن ، ونظر الشكل ثم

رسمه على ورقة بشكل مكبر عما هو في الكتاب ، ثم تتابع القوم برسم ونقل الشكل إلى ملفاتهم وأوراقهم ، وقال منسي : أعتقد كما قال الأخ حسن الرسالة في هذا المربع أو هذه الشبكة .. ونظر لزوجته نظرة خاصة ، ولما ابتسمت لنظرته إليها قال : أم ضياء العزيزة تقضي جل وقتها تحل شبكات الكلمات المتقاطعة في كل الصحف والمجلات التي تدخل البيت ..

فقالت ضاحكة ومتحدية : سوف أحل هذه الشبكة . وكانت قد انتهت من رسم نسختها .

فلما نظرت زوجة منسي الشكل والحروف بعض دقائق قالت : أعتقد أني فهمتها ، ثم تابعت بانفعال



واضح : هذه طبعا كما قال المنسي شبيهة بالكلمات المتقاطعة شكلا .. أو شبكات إخراج الكلمات لتبقى لدينا كلمة أو جملة مركبة من كلمتين أو حكمة أو مثل .. صور شتى لهذا النموذج من الشبكات .. فالعمود الرابع من اليسار في هذه الشبكة الهرم المقلوب لدينا كلمة لها معنى كلمة نهاية وفي العمود السادس من اليسار الخامس من اليمين كلمة العالم ولها معنى ، والسهم من الشكل الهرم المقلوب انزل الطابق الثاني وابحث عن كتاب اسمه نهاية العالم .

صفق الجميع للسيدة ، وكان الأمر بسيطا لدرجة مدهشة ، واحتفلوا بنجاحها بطلب إبريق من الشاي وإبريق من القهوة وبعض الفاكهة ، وانتقلوا لقاعة الطعام ، وعلق منسي وهم ينتقلون في انتظار وصول طلباتهم بصوت علني : ها قد نفعتنا تسليتك ولهوك بالشبكات يا أم ضياء .. والطابق الثاني سيغلق حسب نظام القصر بعد قليل .. وبعد شرب الشاي والقهوة سنطلب العشاء .. فبعد هذا التقدم علينا أن نريح أبداننا بعض الوقت .. وصباحا بعونه تعالى نتابع التنقيب ؛ فإذا وجدنا كتاب نهاية العالم في مكتبة الطابق الثاني كان شغلنا صحيحا فنتابع العمل لأنه قد يكون هناك شبكات أخرى ، فنحن لم نبحث في كل الكتب التي فيها الموت .. وحتى كتاب الموت حق عندما اكتشفت الأخت (أم جمال) الشبكة ، لم نبحث عن غيرها ؛ فربما وضع لنا شبكات خداعية .. وربما كانت ضربة حظ .

قال شاهر : هذا ممكن من الرجل الذكي رحمه الله

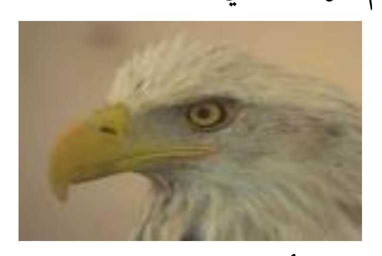
فهزّ الجميع رؤوسهم مؤيدين لوجهة نظر السيد منسي ، ووافق الجميع على التعمق في قراءة الورقة التي رسمها للشبكة وإبداء أي استدراك أو ملاحظة ، وأحضر الخدم المطلوب ، وقدم لهم

منسي قائمة بالمناسب للعشاء والشراب .. وبعد كل ذلك من الطعام والفواكه وصلت الساعة لمنتصف الليل فانصرفوا لمناماتهم ، وطلب منسي منهم في الصباح قبل النزول لمكتبة الطابق الثاني التفتيش في الكتب الأخرى التي تحمل لفظة الموت وبينما هم مشغولون ببحثهم جاءت الشرطة تبحث عن مسدس الجريمة المسدس الذي قتل به السيد ، فكان مخفيا في داخل إحدى الطابعات القديمة ، ثم أخرجوا كاتم الصوت من مكان آخر ، دلتهم عليهما الفتاة أثناء اعترافها .

٢٩

اتصل المحامي داود بأديب مخبرا إياه أنه حصل تقدم آخر في الوصول لكنز بسيم الجدية كما تقدموا في الوصول للخائنة القاتلة .

فعبر المهندس عن شكره لمحاميه ، وأثنى مجددا على مساعيه وجهوده التي يبذلها ، واعلمه أنه سيلتحق بالقصر مع نسيبه بشر وخاله محسن ، وطلب من المحامي بعد انتهاء التحقيق الجنائي أن يبدأ بصرف العمال ودفع المستحقات المالية لهم مع المكافآت المناسبة ، وتذاكر الطيران إلى بلدانهم ، فقال المحامي بعد سماعه طلبات المهندس وشكره : سألحق بكم أيضا آخر الأسبوع وهناك سنتحدث مع السيد السكرتير مايا لنبدأ في تصفية العمال والموظفين ، لأن الشرطة أنهت تقريبا تحقيقاتها وأعلمتني أن بإمكاننا إنهاء خدماتهم والسماح لهم بالعودة لبلدانهم إذا استغنينا عن عملهم.. وتابعت قضية نقل جثتي توماس وزوجته لموطنه وقريته الهندية ..وسترسل لعائلته الحقوق المالية وجميع أموال الاقتطاع من شركة التقاعد .. ولكن تبقى قضية حراسة القصر وبعض الأعمال التي لا غنى عنها مثل البستان والطعام للحرس ومايا حتى يباع القصر نهائيا .. وكذلك بعض الخدم لتنظيف القصر .. القصر يحتاج إلى هيكلة وترتيب إداري جديد يا أديب سنتكلم حول ذلك في نهاية الجمعة .



كان المنسي قد أجل البحث عندما جاءت الشرطة تبحث عن سلاح الجريمة ، وأدوات الجريمة الكاتم والعلبة ، فقضوا يومهم في البساتين ، ثم مشاهدة محطات البث الفضائي التي بدأت تشيع في ذلك الوقت من التاريخ وتزداد .

في الصباح التالي بعد تناول الجميع وجبة الإفطار قال لهم منسي : أخبرني المحامي عند اتصالي به ليلة أمس كالعادة المتبعة بيننا بتقديم فكرة له عن نشاطنا أن السادة أديب وأصهاره سيلتحقون بنا وهو سيكون بيننا نهار الجمعة .. وسيدفع للقصر

طاهيين عربين تعاقد معهم محامي جاد حتى إنهاء مهمتنا في هذا المكان ، وسيزيد عدد الخدم من اثنين إلى أربعة غير الطهاة وهم سيبدأون بتقليص سكان القصر الذين لم يعد القصر بحاجة لعملهم ، ووجبة الغداء سيستمر مطعم جاد بتوفيرها حسب مشيئتنا ورغبتنا ، وسيرسل لنا وكيله في جاد الماء المعلب والفواكه يوميا كما وعد سابقا .

فقال شاهر : فعلا الكثير من الموظفين لم يعد القصر بحاجة لهم بعد موت سيد القصر .. على الجميع أن يرحل .

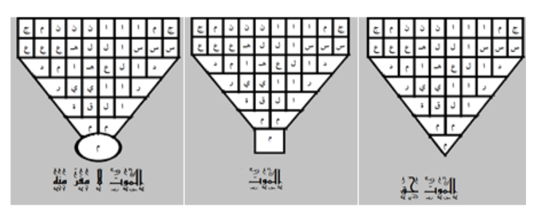
وأضاف حسن فقال : الغاية من وجودهم انتهت ، والسيد أديب كما علمتم يسعى للخلاص من هذا الكنز الكبير وحتى من شركات جده في الخارج ، وعلمت أن المحامي يسعى لتصفية شركاته أو بيع حصصه فيها .. والأمور تسير حول ذلك .. لا يريد أن يتمدد للخارج كجده بسيم .

فقال منسي : والآن بعدما أخذنا حظنا من الزاد بحمد الله وشربنا الشاي سنذهب للمكتبة هنا ونعاود النظر والبحث في الكتب العشرة التي أخرجناها من رفوفها ، ونبحث عن المزيد من الشبكات والرسائل حتى نطمئن أن الرجل يقصد فعلا كتاب الموت حق ، وأن الشبكة التي وجدتها أم جمال هي الشبكة الوحيدة التي اطلعنا عليها أول أمس .

فقال حسن : علينا فعلا أن نفتش تلك الكتب بدقة وجلد .

مشوا نحو قاعة المكتبة في الطابق الثالث ، وهناك طلب المنسي منهم إخراج الكتب التي تحمل اسم الموت من الرفوف السفلى ، فقامت النساء بهذه المهمة ، وتابع الرجال التصفح في الكتب العشرة التي أخرجت سابقا من الرفوف العليا ، ووجد القوم في أحد الكتب شبكة ثانية وتشبه الشبكة التي وجدوها ، والعجيب أنهم وجدوا نفس الشكل والحروف ، ثم وجدوا في كتاب آخر شبكة ثالثة .. وكان السيد قد جعل هذه الشبكات كصفحة ضمن كتاب مجلد كما حصل لهم عندما وجدوا رسالته المطبوعة في كتاب بلغة برازيلية .

ووجدت النسوة كتابا في الرف الأول الأسفل كتابا عن الموت ، ولكنهم لم يجدوا فيه شبكة، فقال حسن : بين أيدينا ثلاث شبكات فاعتقد أن شبكة الموت حق هي الشبكة المقصودة نهاية العالم هو الكتاب المطلوب البحث عنه في الطابق الأسفل



طلب منسي منهم النظر والتفكر في الشبكات من جديد ، فلماذا ترك الرجل ثلاث شبكات .. أللخداع أم أن الشبكات تكمل بعضها البعض ؟

فلم يجدوا اختلافا بينها إلا في رأس السهم أو الهرم المقلوب .

فتسأل شاهر : هل في ذلك رسالة يا ترى ؟!

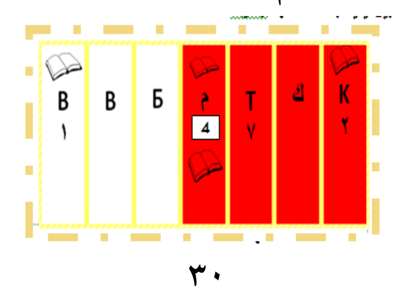
قال منسي : أعتقد أنه فعل ذلك للتشويش ، وأيضا تسهيل الانتقال للخطوة التالية ما دامت الأشكال متشابهة رسما ومساحة وأحرفا ، وكلها تشير لكتاب اسمه نهاية العالم ؛ لأنه في العادة عندما يجد الباحث عن الكنز إحدى هذه الشبكات سيتوقف عن البحث ليحللها ؛ فإذا عرف ما عرفنا من اسم الكتاب سينزل للأسفل فورا وبلهفة .. فهي عملية للتسهيل إلى مرحلة أخرى والتشويش في نفس الحين .. وعموما إذا لم نجد كتاب نهاية العالم في الأسفل نعاود التفكير في هذه الشبكات من جديد .

فقال حسن : كلامك معقول يا حضرة اللواء ؛ وقد يكون في وجود ثلاث شبكات إشارة لوجود ثلاثة كتب تحمل اسم الكتاب نهاية العالم .

فقال منسي وهو يهز رأسه مقتنعا : ممكن ، فهنا وجدنا في الرفوف العليا كما شاهدتم عشرة كتب فيها الموت والكتاب الذي وجدنا فيه الشبكة الموت حق أحدها .. وسنحتفظ بهذه الكتب الثلاثة التي وجدنا فيها الشبكات قد نعود إليها في وقت لاحق .. فلتبق كل الكتب التي فتشناها على طاولات القراءة .. ولننزل للأسفل أيها الكرام .. ولاحظوا أننا في قصر أديب في العاصمة بلبل كان الكرت حرف م الرف ٤ وصورة الكتاب مرتين .. وهنا **B** الرف الأول من جميع الخزائن ..ويبقى عندنا حرف **K** رقم ٢ و **T** رقم ٧ ، فهذه الأرقام لها دلالاتها أيها السادة لم تكن عبثا أو تشويشا لابد أنكم لاحظتم هذا ؟!

فقال شاهر : صدقت وأحسنت إنها عوامل مساعدة للباحث .. فالرجل يريد منا أن نصل للكنز ببذل بعض الجهد .

أضاء منسي الذي كان يتقدم الفريق مكتبة الطابق الثاني ، وكان مايا قد أمر بعض الخادمات بتنظيفها للفريق بعدما علم أن العمل سينتقل إليها .



٣٠

وقف منسي مخاطبا لهم : المهمة واضحة بالنسبة لكم البطاقة ترشدنا للبحث في الرف الثاني أو السابع ، وليكن البحث من الأعلى كما حصل لنا في مكتبة الطابق الثالث ، كل واحد يأخذ الرف الثاني من أعلى السادس من أسفل ، ويبقى رف الذي ينهي رفه قبل غيره ينتقل إليه .. وإذا لم نجد نهاية العالم ننزل للرف الثاني من الأسفل إلى الأعلى .. فإذا لم يوجد في كل هذه الرفوف ننتقل للرف

السابع من كل هذه الخزائن سواء من أعلى أو من أسفل .. هيا أبدأوا .

ولم يستغرق البحث طويلا فقد وجدوا ثلاث نسخ تحمل كتاب اسمه نهاية العالم ، وجدوها في الرفوف رقم اثنين من الأعلى ؛ ولكن منسي طلب منهم البحث في رقم اثنين من أسفل ، فلم يجدوا كتابا بذلك الاسم ، فطلب منهم البحث في رقم سبعة أو واحد على أنه سبعة من العد نزولا ، وكذلك لم يجدوا كتابا يحمل اسم نهاية العالم فيها .

فعلق شاهر : البطاقة الأساس لها دور كبير ومهم في عملنا .

فقال منسي : كل رجل منا وأهله يبحثون في نسخة عن رسالة السيد في هذه المرحلة .

بعد حين يسير قال حسن : الكتاب واحد هل لاحظتم ذلك ؟! إنما هي ثلاث نسخ لمصنف واحد .

قال منسي : جيد سيد حسن هو كما قلت ! كتاب منه نسخ .. فكما قلنا في شبكة الموت أعلى ؛ ربما هي للتشويش أو التسهيل علينا .. لحتى الآن لم نر فائدة لتكرار الشبكات في الأعلى .

قال شاهر : وجدنا في نسختنا مجموعة من الأرقام فوق بعضها البعض على شكل ملفت للنظر إنها ١٢ رقما .

تطلع إليها منسي وحسن فقال منسي : أي صفحة ؟

شاهر : ٢٩٩

فتح منسي نسخته صفحة ٢٩٩ فقال بعد نظر : الصفحة عندي لا يوجد فيها أرقامك.. وأنت يا حسن ؟

ـ لا يوجد بها أرقام شاهر

ـ فلنتابع البحث جميعا استعرض ما تبقى من صفحات الكتاب يا شاهر

لقد كانت الأرقام التي وجدها شاهر في صفحة ٢٩٩ من كتاب نهاية العالم مرتبة على شكل صفوف ، وعلى هامش الكتاب وبقلم حبر جاف ، ليست مطبوعة ، ومضافة لهامش الصفحة الأيمن ، فبعد حين وجدت أسرة حسن الهامش في صفحة ٢٤٩ ، وفيه ١٢ رقما ، ووجد منسي وزوجته الهامش الثالث في صفحة ٣٠٩ ، فقال منسي حاسما : هذه هي رسالة السيد في هذه المرحلة ، لينقل كل واحد منا أرقامه على ورقة ، واعتقد أن كل هامش يشكل كلمة ، ومن مجموعها اسم كتاب في مكتبة الطابق الأول ، وهي طريقة شيفرة سهلة ، ويستخدمها الهواة أكثر من المحترفين.

وبعد صمت للحظات شرح قائلا : رقم يعني رقم صفحة في هذه الكتاب ، ورقم آخر يعني سطر في تلك الصفحة ، والرقم الثالث يعني حرف في ذلك السطر ، فمن مجموع الحروف ينتج لدينا اسم

كتاب إذا كان الخطوة التالية كتاب ..

٥

١٥

٢٥

٣٥

٤٥

٥٥

٦٥

٧٥

٨٥

٩٥

١٠٥

١١٥

فأرقام السيد حسن انظروا إليها الموجودة في صفحة ٢٤٩

أعتقد أنها تعني رقم الصفحة من هذا الكتاب ؛ لأنه في الكتب من القليل والنادر أن يبلغ ويكون في الصفحة ٥٥ سطرا أو مائة سطر إلا إذا كان كتابا خاصا أو جريدة ، ربما تجد فيها مائة وخمسة عشر سطرا أو تجد في السطر مائة حرف ، ولو كانت كل كلمة فيه عشرة أحرف لبلغت مائة ، وهذا قليل خاصة في مثل هذا الكتاب نهاية العالم ، ورقم صفحة نسخة حسن ٢٤٩ أعتقد أن هذه الأرقام إشارة لرقم الصفحة إذن نسخة حسن تعني رقم الصفحات وهو أدنى الأرقام .. ونسختي ونسخة شاهر تحتمل رقم السطر ورقم الحرف في السطر .. لذلك سنجرب مجموعة شاهر ؛ لأنها تحمل رقم ٢٩٩ كرقم للسطر ، ونسختي تعني الحرف .. ثم نستعمل نسختي السطر ونسخة شاهر الحرف ، ونرى ماذا سيكون بين أيدينا من الكلمات ؟

هذه أرقام شاهر الموجودة صفحة ٢٩٩

٥

١٥

١٥

٤

٩

١٧

٢٠

١

٧

١٩

١٧

٣

سنعتبرها رقم السطر أولا ، وهذه أرقام مجموعتي

٥

١٠

٨

١٥

١٨

٢٠

٢٠

٣

١

٢٠

١٧

١٩

سنعتبرها الحرف ، ثم نعكس واضح هذا لكم ..

فاسم كتابنا يتكون من اثني عشر حرفا .

فقال شاهر : أغلب سطور الكتاب ٢٧ أو ٢٦ وبعضها ٢٤ لوجود عنوان في رأس الصفحة

قال منسي : جيد ! وهذه الأرقام التي عندك وعندي أكبرها ٢٠

فقال حسن: لنسرع العملية .. صفحتي قلنا رقم الصفحة .. ونعمل نسخة نقدم فيها أرقام شاهر ونسخة نقدم أرقامك سيادة اللواء .. ونعمل نحن الرجال مجموعة والنساء مجموعة .

ابتسم الجميع وقال منسي : فكرة طيبة .

دونت مجموعتان من الأرقام ، وأعطيت النساء

نسخة من الكتاب بعد أن تأكد منسي أن النسخ أرقامها متطابقة .. ثلاث نسخ من كتاب نهاية العالم ، وأقر القوم للمنسي بخبرته في معرفة الشيفرات فضحك وقال : شيفرات المؤسسات الأمنية شيفرات معقدة .. ولكنها بين الفريقين سهلة ؛ لأن كل طرف يعرف المفتاح لاستخدامه في فك الشيفرة .. إنما يقصد من الرسائل المشفرة تمرير معلومات سرية وخطيرة ، لا يحب للموظفين الاطلاع عليها ، وإذا وقعت لدى الأعداء يصعب عليهم فهمها وتحليلها أو يتأخرون في فكها ؛ لتنفيذ ما يراد قبل معرفة العدو ..وتركيب الشيفرات معقد بالنسبة للخصم ، ومعروف بالنسبة للمرسلة إليهم الرسالة المشفرة ؛ لذلك يكون لدي الأجهزة الأمنية قاعدة بيانات لفك الشيفرات وتحليلها .. ويستخدم الجواسيس والتجسس لمعرفة المفتاح المتعامل به بين الأطراف لفهم ما يدبر ويخطط فتكون خطط الخصم مكشوفة للخصم إذا استطاع معرفة وفك الشيفرة.

وبعد ساعة من الزمن تم استخراج كتابين أحدهما اسمه أسرار في أرقام ، والكتاب الثاني اللعبة في بيتي

قال المنسي : علينا الآن أن ننزل إلى الطابق الأول .. فنحن نتقدم بشكل جيد وسريع سبحان الله وسيكون البحث أيها الأفاضل في الرف رقم ٧ كما تخبرنا البطاقة.

فقال حسن بحماس وهو يفرك يديه ببعضهما جذلا : نعم ، ها نحن نقترب من كنزك يا عم بسيم الجدية ـ رحمك الله ـ إلى الطابق الأول أيها الأبطال .. كان مجيء النساء فال حسن يا سيد منسي .

ا	٥	٥	٥
ل	١٥	١٠	١٥
ل	١٥	٨	٢٥
ع	٤	١٥	٣٥
ب	٩	١٨	٤٥
ة	١٧	٢٠	٥٥
ف	٢٠	٢٠	٦٥
ي	١	٣	٧٥
ب	٧	١	٨٥
ي	١٩	٢٠	٩٥
ت	١٧	١٧	١٠٥
ي	٣	١٩	١١٥

ا	٥	٥	٥
س	١٠	١٥	١٥
ر	٨	١٥	٢٥
ا	١٥	٤	٣٥
ر	١٨	٩	٤٥
ف	٢٠	١٧	٥٥
ي	٢٠	٢٠	٦٥
ا	٣	١	٧٥
ر	١	٧	٨٥
ق	٢٠	١٩	٩٥
ا	١٧	١٧	١٠٥
م	١٩	٣	١١٥

وقبل أن يرد المنسي قالت إحدى النساء : سنصعد للغداء ، فقد رأيت سيارة الطعام تقف أمام القصر فاقترب بعضهم من نافذة تطل على مدخل القصر ينظر لبوابة القصر وقال : أجل أيها الناس

وتحدث السكرتير مع اللواء منسي على جهاز اتصال خاص بينهم زوده به السكرتير للحديث معه مباشرة ، ومن أي مكان ، ولما اغلق الجهاز قال : نعم ، وصلت سيارة الطعام فلنصعد لمطعمنا ونرفه عن أنفسنا بالمشروبات الطيبة ، والفواكه الطازجة.. واعلموا أن ضيوفنا سيكونون معنا هذا

المساء ؛ لذلك سنؤخر الغداء أيتها النساء حتى يشاركونا فيه .

قال شاهر : لا بأس يا أبا ضياء .

صعدوا بالمصعد للطابق الثالث ، وقدم لهم خادم الغرف الشراب المثلج ، ثم القهوة الحلوة ..

والخادمة وضعت أمامهم أوعية الفواكه .

وبعد ساعة وصل أديب وزوجته سعاد وبشر وخاله ، ومعهم الطاهيان والخادمان الإضافيان .



غمر الفرح أفراد فريق البحث بمجيء السيد أديب وأصهاره ، ولما انتهى تناول الطعام وانتقلوا لقاعة خصصت كصالة جلوس لهم ، قال محمد محسن بعد سماعهم ملخصا لما بذل من جهد للوصول إلى مكتبة الطابق الأول : رائع رائع جدا أيها الفرسان !! نحن نسمع ونقرأ عن الكنوز وفك طلاسمها .. فها هنا نحن نشاهد فك أسرار كنز عظيم .. بوركت جهودكم لقد تقدم الفرسان تقدما كبيرا .. استعد يا مهندس أديب لرؤية ذخائر جدك العزيز.

فقدم أديب شكره الجزيل لهم ، وأثنى عليهم وعلى نسائهم الثناء الحسن ، ثم قال بشر معبرا هو الآخر عن امتنانه : حقيقة أثبتم أيها السادة أنكم أهل لحل الألغاز ، والليلة ـ إن شاء الله ـ سنبحث معكم في مكتبة الطابق الأول ليكون لنا سهم في مشاركتكم الجهد الجبار الذي

بذلتموه ..والعجيب أن مقتل الكوا الهندي وزوجته فتح على سيادة اللواء .. فقد ذكركم مقتلهم بالسيد بسيم وتكرار اسمه في الرسالة البرازيلية .

فقال منسي معترفا : فعلا إنها أعجوبة في نظري .. أهلا بكم جميعا .. وإن شاء المولى بعد صلاة العشاء نهبط لمكتبة الطابق الأول .

نزلوا جميعهم بعدما صلوا العشاء إلى الطابق الأول حيث المكتبة الكبرى ، وحيث نزلاء القصر وحسب طريقة البحث التي اتبعت في المكتبات العليا ، وقف كل شخص عند الرف رقم ٧ من الأعلى ، ووجدوا الكتابين سريعا دون عناء اللعبة في بيتي واسرار في أرقام واستمروا في البحث عن نسخ أخرى ، فلم يكن لهنّ تكرار ، وتبين لهم أن كتاب اللعبة هو عبارة عن مجموعة ألعاب من مختلف بلدان العالم ، من كل بلد لعبة أو أكثر ، وهي من الألعاب الشعبية المشهورة في البلاد أو المدن الكبيرة حول العالم ، والكتاب مترجم للعربية عن الإنجليزية .. باحث تنقل في كثير من بلدان العالم ، ودون تلك الألعاب لنشرها على مستوى الكرة الأرضية .

فقال المنسي مازحا : للأسف لم التقِ بمؤلف هذا

الكتاب ؛ لأعرفه على ألعاب بلدنا .. يبدو أنه أراد أن يسيح في البلدان ، فاتخذ الفكرة الأساسية للكتاب للتجوال في العالم على حساب مؤسسة أو جمعية .

ضحك الجميع وقال بشر : ربما ما تفوهت به صحيح مائة بالمائة .. وأنا أول مرة أقف على هذا الكتاب ، وعلى هذا الاسم .. فما زال السيد بسيم يتحفنا بثقافته الواسعة .

وأما كتاب أسرار في أرقام فأرقام مجموعة إلى بعضها تكون نتائجها تساوي ضرب أرقام بأخرى أسرار الرقم ٩ الرقم ٨ حتى الرقم ١ ، ولفت نظرهم وهم يقلبون صفحات الكتاب أن هناك شبكات ٤×٤ ، ٥×٥ ، ٤×٥ ، ٥×٦ ، ٧×٧ شبكات كثيرة ، ومساحات مختلفة ، بدأ لهم الكتاب من تجميع أو تأليف السيد بسيم ؛ لأنه لم يكن عليه اسم مؤلف ، ولا دار نشر ، ولا سنة طباعة ، رغم أنه كتاب مجلد ، وهو يزيد عن مائتي صفحة .. طلب منسي منهم أن يقوم كل فرد بتقليبه ، ولما لم يفقهوا الرسالة المقصودة من رؤية هذا الكتاب طلب منهم منسي بالصعود للنوم فمن يرغب بالنوم فلينم ، ومن يرغب بالسهر على الكتاب فليبق في قاعة الجلوس ، ولقى هذا الاقتراح الاستحسان خاصة النساء اللواتي يرغبن بالحديث والثرثرة مع السيدة سعاد عيسى ، وكذلك السيد محسن الرجل الشيخ ارتاح للاقتراح ، ورغم أن حياته السهر لعمله كصحفي ورئيس تحرير جريدة قديما ومجلة اليوم ؛ ولكن يبدو أن مشوار الطريق أتعبه ، وللعمر دوره ، وعرض عليهم الطهاة عشاء خفيفا ، فمن رغب انتقل لغرفة الطعام ومن لم يرغب ظل يقضم من الفواكه ويشرب الشاي أو القهوة أو المرطبات أو يقزز البزر والفستق الحلبي المالح .

وبعضهم ذهب للنوم ، وبقي بعضهم يقلبون في الكتاب ، ويتأملون صفحاته ومعلوماته ويفكرون باللغز المخفي في ثناياه ، واستمر التخرص والتخمين والفكر حتى كاد يقترب الفجر

فقال لهم منسي وهو يترك الكتاب من بين يديه : جاءتني الآن فكرة قد تكون هي الحل .. لقد رأيتم في الكتاب صورا للمفاتيح صغيرة وكبيرة ؛ لعل لها دورا مهما يا إخوان .

قال بشر الذي ظل ساهرا معهم : فسر يا سيادة اللواء !

فقال منسي مفكرا ومفسرا : على بعضنا رسم هذه المفاتيح أو بعضها ، ثم نضعها على الأشكال المربعات الشبكات ، فربما تخرج لنا المفاتيح كلمات تدلنا على السر .. فعلى كل واحد منا أن يأخذ شكل مفتاح ويجربه على عدة مربعات ؛ ربما نصل لشيء ، فلابد أن لهذه المفاتيح دورا ، ثم نغير

المفاتيح بمفاتيح أخرى حتى نيأس أو نلهم بشيء جديد .

فقال حسن مادحا : صدق أنها فكرة رهيبة يا أستاذ منسي.. نعم الخبير أنت في فك الشيفرات

فقال شاهر مقترحا: نكوّن هذه المفاتيح من ورق بلاستيك شفاف .

فقال بشر : جميل هذا أيضا يا أخ شاهر !..فالحروف التي يغطيها المفتاح نكوّن منها الكلمة المناسبة ثم على ماذا تدل الكلمة يا سيادة اللواء ؟

فقال منسي : على المكان الذي سنذهب إليه إلى مكان الكنز ، لم يبق كتب نبحث عنها وفيها .

مشى شاهر وحسن إلى المكتبة يبحثون عن أوراق بلاستكية شفافة التي تستخدم للكتابة أو التجليد

وقال منسي وهو ينهض قائما: أما أنا فسأذهب للنوم أيها السادة تصبحون على خير .. و يكفي ما فعلناه اليوم ، فالساعة الثانية فجرا .

وانصرف الرجال والنساء ، وبعد حين يسير خرج شاهر وحسن من المكتبة ، وانصرف حسن للنوم ، وبقي شاهر وحده وهو يقول لحسن : لا رغبة لديّ في النوم .

٣٩

صنع الشباب قصاصات من البلاستيك الشفاف الذي يستخدم للكتابة بأقلام الفولماستر ، قصوه على شكل المفاتيح الموجودة في كتاب أسرار في أرقام ، وأخذوا يضعونها على الشبكات ، فتشكلت لديهم كلمات منها غرفة ، غرف ، قصر ، قصور ، سطح ، سطوح ، شجرة ، أشجار نسر ، نسور ، صقر ، صقور .

لم توحِ لهم هذه الكلمات رغم توفر معانيها في القصر بشيء ، وفجاءة هتف المنسي قائلا : جاءتني فكرة أيها الأخوة .

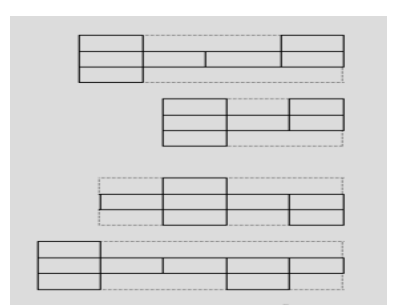
التفت إليه الجميع فقال موضحا الفكرة : علينا أن نضع على المربعات ٣×٣ مفتاحا ذا ثلاث مربعات ، شبكة ٤×٤ مفتاح رباعي المربعات .. وهكذا .. فعلينا تصوير هذه الشبكات .. مجموعة تبحث في الثلاثي ، مجموعة في الرباعي ، مجموعة في الخماسي ، ومجموعة في السداسي كم صفحة هذه الشبكات يا شاهر ؟

ـ حوالي ثلاثين صفحة .

استدعى أديب مايا ، وكلفه بتصوير الصفحات المرسوم عليها الشبكات ، فكل صفحة خمس صور وأخذ المنسي يصنع رسومات المفاتيح المصورة والمرسومة في الكتاب كما رسمها على ملفه .

ولما عاد مايا بالصور شكروه ، وأخذها منسي ووزعها على الجميع ، ثم وزع المفاتيح البلاستكية بعضهم أعطاه الثلاثي ، وبعضهم الرباعي والخماسي . وقال : من معه مفتاح ثلاثي يبحث في

الشبكات الثلاثية ، والرباعي في الرباعية ، وعلى كل مجموعة أو فرد استخراج كلمات تصلح ؛ لأن تكون مكان إخفاء الكنز



وبدأ الرجال والنساء يبحثون ويضعون المفاتيح على الأشكال ، ويكتبون على الورق ما يتولد لديهم من كلمات ، وبعد حين قالت سعاد بتردد لشقيقها ومن بقربهم : إني ألمح في هذه الأشكال حلا .

قال بشر وهو يتطلع في عيني شقيقته : كيف ؟

قالت : اقترب ـ ولما اقترب منها ـ لاحظ هذا المفتاح الخماسي على هذا الشكل .. فتشكلت كلمة النسر فقط

-	ا	-	س	-
ا	ل	ن	س	ر
-	ن	ص	ن	-
ن	س	ن	ر	س
-	ر	-	ر	ر

-	ا	-	س	-
ا	ل	ن	س	ر
-	ن	ص	ن	-
ن	س	ن	ر	س
-	ر	-	ر	ر

فكلمة النسر في العمود الثاني من اليسار ، وكلمة النسر في الصف الثاني من الأعلى وهي معكوسة

فقال أديب : النسر مكرر مرتين ماذا يعني ذلك ؟

تبسمت سعاد قائلة : نعم ، يعني الذهاب للأسفل إلى قاعة النسر .

همس بشر : قاعة الطيور النسور فعلا هناك نسران في أعلى العمود الأوسط ذي الرخام الأسود؛

لكن هناك ثلاثة طيور على كل عمود ثلاثة طيور

دعيني أحادث المنسي

ذهب بشر إلى حيث يجلس المنسي وزوجته فقال بشر : أستاذ منسي .. سعاد عندها فكرة لو سمحت بسماعها .

شرحت سعاد فكرتها للواء ، وأخذ المفتاح منها ووضعه على الرسم المختار الصف الثاني أفقيا والصف الثاني عموديا الكلمة مكررة في نفس الشكل ومطابقة لصورة المفتاح .

فقال منسي : النسور في قاعة النسور في الوسط، العمود الثاني من جميع الجهات النسور ثلاثة أليس على كل عمود ثلاثة طيور ؟

قال بشر : هي ثلاثة طيور حقا ؛ ولكن النسور اثنان فقط والثالث ليس بنسر

فاستدار المنسي لكل الموجودين وقال : السيدة الفاضلة سعاد اكتشفت شيئا مهما أيها الكرام وقد يكون هو الحل ، سأنزل أنا والمهندس أديب وبشر ونساؤنا لقاعة الطيور أسفل منا ؛ فإذا صح ما استنتجته الأخت سأتصل بكم للنزول وإيقاف البحث هنا .

نزل جزء منهم لقاعة الطيور أو غابة الطيور ، وقفوا عند العمود الأوسط الأسود الرخام في

القاعة الرخامية ينظرون إلى الطيور المجسمة في أعلى العمود ، ووجدوا أن على العمود ثلاثة أطيار كسائر الأعمدة في القاعة ، منها مجسم نسران ، والثالث عقاب كبير ، فقال منسي : هما نسران حقا !

طلب منسي سلما من مايا لقاعة الطيور ، وكان السلم على شكل ٨ ، فصعد منسي عليه ، والقوم قلقون عليه لكبر سنه، فلما وصل الطير فتأمله بنظرة سريعة ، فهي تفرد أجنحتها ؛ كأنها تطير ، ثم نزل وأزاح السلم حيث النسر الثاني ، ثم صعد من جديد لينظر التمثال الثاني وبعد نظر نزل وحرك السلم للطير الثالث ، ثم صعد ينظره ،كانت الطيور بالحجم الطبيعي أو تقاربه .

صعد أديب بعدما أعاد السلم لأحد النسرين ، ودقق النظر في أحدها ، وقال وهو ينزل : ممكن أن يفتح فم النسر ، فأسفل العينين ممكن إدخال مفتاح خاص ، فالفكان يمكن فصلهما عن بعض ؛ وربما نحتاج لمفتاحين معا ، فكل عين أسفلها فتحة لمفتاح .

أزاح الشباب السلم أسفل النسر الثاني ، فصعد أديب عليه حيث تمثال النسر ، وحدق فيه وبعدما نزل قال : له فتحتا مفتاح أيضا .

فقال المنسي : أين سنجد مفاتيح هذه الأفواه ؟

استدعى أديب مايا وسأله: هل شاهد جده يصعد يوما على سلم في هذه القاعة ويفتح فم النسر

دهش مايا للسؤال وقال : لم أشاهده يفعل ذلك ، رغم طول عشرتنا ، ولكن لا تنسوا أنني أغادر القصر في مهمات خاصة للرجل تستغرق أياما ، أو في زيارات لبلدي كإجازة ، وإذا أخفى الرجل شيئا عني فهو يفعله في غيابي ، وهذه القاعة من أحب الأماكن إليه في القصر بعد مكتبة الطابق الأول ، وإذا كان هناك كنز فهو سوف يستخدم شيئا سهلا ، ليس مثل هذا السلم .. وهذه القاعة لا يسمح للخدم والموظفين في القصر الجلوس فيها ، فهي استراحة لضيوفه فور وصولهم القصر .. قاعة الاستقبال الأولى ، وإذا أحببتم أن أسأل الحرس وأهل القصر عن إدخال سلم إليها للسيد أفعل .

قال منسي : إذا احتاج السيد لسلم كهذا ، لابد أن يأتيه به الخدم .. فهو ثقيل وطويل ؛ ولكنه موجود في القصر .. لماذا يستخدم هذا السلم ؟

رد مايا : هو لا يستخدم داخل القصر ، فلدينا سلالم قصيرة ومن مادة الألمنيوم ، ولكن هذا يستخدم للصيانة الكهربائية خارج القصر كتبديل لمبات الإضاءة ، صيانة سلك كهرباء ، ويستخدم في البستان لتقليم الأشجار العالية بالجملة لإعمال الصيانة ، وإذا استخدم هنا لهذه الطيور فيكون هذا قديما أثناء إنشاء هذه القاعة ؛ لأن هذه القاعة

شيدت قبل استقرار السيد نهائيا في بلده هذا .

قال أديب : سيد مايا مفاتيح السيد أين هي ؟

ـ إذا كان هناك مفتاح أو مفاتيح خاصة أتصور أنكم ستجدونها في مكتبه الرئيسي في الطابق الثالث .. أو في مكتبة الطابق الأول هناك خزانة فيها أوراق ووثائق مهمة ؟



فقال منسي لمايا : أحضر مفاتيح المكتب ، وخذ معك السيد أديب ، وانظروا مجموعة المفاتيح .

واتصل منسي في فريق البحث في الطابق الثالث ، وطلب منهم التوقف عن البحث والنزول لقاعة الطيور.

فتح المكتب المهجور منذ موت صاحبه ، ووجدت فيه مجموعات من المفاتيح فقال أديب: كثيرة كيف سنبحث فيها ونجربها ؟

فقالت سعاد: لا داعي لتجربتها كلها ، فسيعزل السيد مايا مفاتيح الغرف الخاصة بمنامات السيد ، فتبقى مفاتيح الخزائن الخاصة .

تبسم مايا لما سمعه ، وأدرك ذكاء وفطنة هذه المرأة التي تزوجها أديب .. وقال لنفسه : لو كان الجد بسيم حيا لأعجب بها .. فهو يحب الأذكياء وأهل الشجاعة .

٣١

جربوا المفاتيح التي فرزوها ، فوجدوها كلها مستعملة لغير هذه النسور ، فانتقلوا للطابق الأول حيث المكتبة الكبرى ، فوجدوا مفاتيح الغرف التي يستخدمها الحرس وبعض الموظفين ونظروا المفاتيح التي يملكها مايا للقصر فكلها مستعملة .

فقال أديب : سلسلة مفاتيح جدي أين استقرت ؟

قال مايا : لا أدري كنت أظنها معك أو مع المحامي .. لا أعتقد أن الشرطة حرزت عليها .. فالمحامي جاء واطلع على مكاتب السيد في جميع الطوابق ، واستعرض الملفات المهمة ، ونقل بعضها لمكتبه .. يوجد خزانة معدنية سرية في مكتبه الذي كنا فيه ، وأخرى في المكتبة ، وأحسب أنها فتحتا بعد الحادث ، واطلع على فحواهما السيد داود المحامي ، ولم يوجد فيهما شيء يدل على القاتل أو أوراق خاصة وخطيرة .. إنما هي صور عقود محليه وشراء عقارات وشقق في هذا البلد ، وأغلقت هذه الخزائن ، وأعطيت مفاتيحها وشيفراتها للسيد داود ليدفعها لك .

قال أديب وهو يتذكر : أذكر ذلك ، وهذه المفاتيح والشيفرات وصلتني فعلا ؛ ولكنها اللحظة هذه في المدينة .. فلابد من العودة للمدينة يا سعاد وجمع

تلك المفاتيح ؛ وربما نجد بينها سلسلة مفاتيح جدي بسيم .. أذكر الآن أنني رأيت ميدالية عليها صورة نسر يطير ، وفيها ثلاثة مفاتيح منقوش عليها النسر .. ربما تكون هي المطلوبة إنني أتذكرها جيدا الآن .. نقلت إليّ مفاتيح كثيرة كان يستخدمها الجد بسيم .

أخبر أديب المنسي عن عدم وجود أي مفتاح يخص النسر ، وذكر له ميدالية جده ؛ ولكنها موجودة في بلبل وقال : لابد من العودة للمدينة لإحضارها .

فكر منسي قليلا وقال : ألا يستطيع السائق إحضارها ؟

قال أديب : سأتحدث مع خالتي أم سالم ، ومع داود أيضا ، أذكر أنني وضعتها في درج مكتبي يا سعاد

اتصل أديب بخالته ، ووجد عندها حفيدتها التي جاءت للبقاء معها حتى يعودان ففرح ،

وتحدث مع الحفيدة التي فهمت عليه سريعا ، فذهبت الصبية إلى حيث أرشدها ، ووجدت الكثير من المفاتيح .

فقال لها : يا بيان ضعيها في كيس أو حقيبة صغيرة ودعي السائق الهندي يتكلم معي .

وتكلم أديب مع داود وحدثه بما حدث باختصار ، وطلب منه أن يذهب لبيته ، ويرى المفاتيح خاصة ميدالية النسر ومفاتيحها الثلاثة ، ويرسلها الليلة مع السائق الهندي.

انتقل المنسي وفريقه للغداء في الطابق الثالث حتى يصل السائق الهندي .

وفي الليل وصل السائق الهندي للقصر الصحراوي ، وسلم الحقيبة للمهندس ، وأخذه مايا ـ حيث هو قريب له ـ لقاعة الطعام ، وقدم له طعاما هنديا ، وأعلمه أنه سيقضي الليلة معهم فأرشده إلى حجرة ينام فيها .

وفي صالة السهر قال منسي وهو يقلب الميدالية التي نقش على وجهييها نسران : يبدو أنها فعلا مفاتيح لتلك النسور ؛ ولكنها ثلاث مفاتيح ..

فقال حسن : سيظهر مكان للمفتاح الثالث يا سيادة اللواء .

ضحك اللواء وقال : بالتأكيد يا أخ حسن .. تحول اللغز إلى مفاتيح في مرحلته الأخيرة .

فقال شاهر : هل ترى أنها الأخيرة ؟

التفت إليه منسي وقال : أعتقد أنها الأخيرة .. يا سيد محسن ما رأيك ؟

قال محسن : أصبح لدينا قصة كبيرة عن الكنوز.. أليس كذلك يا دكتور بشر ؟

ـ قصة كبيرة جدا يا خالي ..

فقال منسي : وفي الحقيبة دفتر صغير ؛ كأنه دفتر الشيفرات .

قال أديب : أنا طلبته ربما نحتاجه ، والسيد داود ربما يكون بيننا غدا ليشهد نهاية قصة كنز الجد

بسيم .

هلل الجميع معبرين عن فرحهم بقدوم المحامي ، فهو الذي اختارهم وجمعهم لحل لغز الصحراء فمن الرائع أن يكون بينهم ، ويحضر حفل الختام .

بعدما تناول فريق البحث عن الكنز الإفطار نزلوا إلى قاعة الطيور حيث النسور ، وطلب المنسي عدسة مكبرة من السيد مايا ، فجاءت العدسة المكبرة ، وصعد شاهر السلم إلى رأس النسر وحيث أسفل العين اليمنى قال : نعم ، إنه مكان يصلح لإدخال مفتاح . أدخل المفتاح وحركه يمينا يسارا ؛ ولكن النسر لم يفتح فمه ، استعملوا المفاتيح الأخرى ولم يفتح فم النسر . فقال شاهر : يبدو أن لها مفاتيح أخرى أيها السادة .

انتقل للنسر الثاني ولم يفتح فمه هو الآخر ، فأمرهم السيد منسي المحاولة مع باقي الطيور في الأعمدة الأخرى ، وبعد حين قالوا : لا يوجد مكان فيها لإدخال مفتاح

فقال منسي : أين المفتاح لهذه النسور يا ترى ؟!

ولما لم يتكلم أحد تابع قائلا: هذه المرحلة سجلت للسيدة سعاد مرة أخرى ؛ ولكن أين المفاتيح يا سيد أديب ؟ أيحتفظ بها السيد في القصر هذا ؟ أم تراها في خزانة خاصة في أحد البنوك ؟ أم في مكان آخر ؟

فقال محسن : عليك بالحديث مع داود قبل أن يغادر المدينة .. تحدث معه يا أديب قد يكون عنده علم بهذه المفاتيح .

فقال منسي : نحن نسينا داود في هذه المعمعة ، وعلمنا أنه سياتي مساء هذا اليوم بأم أولاده وأحد أبنائه .

طلب أديب داود في المكتب فلم يجده ، فقالوا : إنه ذهب في مهمة وسيعود منها للبيت ، تحدث أديب مع بيت داود ، فردت زوجته أم محمد فطلب منها أن يتحدث معه قبل مجيئه للقصر الصحراوي .

في العاشرة ليلا اتصل المحامي بأديب ، فحدثه أديب عن فشل المفاتيح عن فتح فم أفواه الطيور وبحثوا في كل مفاتيح القصر، ولم يجدوا المفتاح المناسب ، فقال داود : تحتاجون لمفتاح خاص لديّ مجموعة من ثلاثة مفاتيح تركها جدك لدى المكتب ، وقال لي عندما أعطاني إياها : لا تعطيها لأديب إلا إذا طلبها بلسانه.. وها أنت تطلبها اليوم ، يبدو أنكم وصلتم لنهاية اللغز فاحتجتم إليها .

أظهر أديب فرحه وانفعاله ، ووضع يده على السماعة وقال لضيوفه : ابشروا الجد ترك لدى المكتب ثلاثة مفاتيح لا تسلم لي إلا إذا طلبتها بنفسي

صفق الجميع فرحا ، وعاد أديب يقول لداود : آ .. يا داود بشرت الشباب أين ذهبت ؟

ـ أدركت ذلك قلت إنكم وصلتم لنهاية اللغز غدا

بمشيئة الله سبحانه سأكون بينكم وسأحضر معي كمية كبيرة من الحلويات لجميع الموجودين في القصر تهانينا للجميع .

ولما عاد لمجلسه قال بحياء : الحقيقة أشكركم فردا فردا أخا أخا ..لقد ترك الجد ـ رحمه الله ـ ثلاثة مفاتيح لدى داود لا تسلم لي إلا عند الوصول لنهاية اللعبة أو الكنز .. شكرا سيادة اللواء شكرا أخ حسن .. شكرا أخ شاهر .. الشكر للنساء جميعا .. أنا سعيد بالتعرف عليكم ، ولن أنسى معروفكم ووقوفكم معي في حل معميات هذا الكنز .. وأنا لم يخطر ببالي أمس طلب مفاتيح من داود ، ولم أكن أعلم أن الجد ترك لي مفاتيح عند السيد المحامي أصلا وأن تسلم حين أطلبها .

غمر الفرح أعضاء الفريق ، وأخذوا يهنئون بعضهم بعضا ، ويتذكرون المراحل ، وأقام لهم أديب حفلة صغيرة ، وكلهم شوق ولهفة لمجيء النهار التالي ليفتحوا كنز السيد بسيم والسؤال المهم أين أخفى السيد الكنز؟ .. فبطن هذه الطيور هل هو المخزن للجواهر والوثائق ؟

وعند ظهيرة اليوم التالي كان السيد داود وحرمه وابن له يقفون أمام القصر بسيارتهم الحديثة ، وكانت تقف خلفهم سيارة كبيرة مليئة بالحلويات التي تشتهر بها البلاد ، فأدخلها الخدم والحرس بإدارة مايا ، ووزعت على جميع موظفي القصر ، وأخذوا حصة فريق البحث إلى الطابق الثالث ، وتم الاحتفال بأكلها وشرب المثلجات والعصائر ، وبعدما كمل الاحتفال هبط الفريق رجالا ونساء إلى قاعة الطيور لينظروا الكنز الذي اشتاقوا لرؤيته ، فأخذ أديب المفاتيح التي تسلمها من المحامي ، وصعد السلم حسب رغبة الجميع ؛ ليكون هو أول من ينظر ويلمس كنز جده ، فادخل مفتاحا في العين اليمنى أو أسفلها ففتح جزء من فم النسر ، ثم نقل المفتاح للعين الأخرى ، فلم تفتح ، فوضع مفتاحا آخر ففتح النسر جوفه كاملا ، فذكر اسم الله بسم الله ، وأدخل يده في جوف النسر وتحسس المكان وأخرج جوهرة بحجم بيضة الحمامة ، وأعاد البحث فخرجت فارغة ، فنزل وهو يحمل جوهرة جميلة تلمع في العيون ، وسلمها للواء منسي الذي نظر إليها وأعطاها لغيره ، وكان أديب ينقل السلم للنسر الثاني وكان داود يقول مازحا : إنها جوهرة حقيقية ليست مزيفة !

استخدم أديب مفتاحي النسر الذين فتحا النسر الأول ، ففتحا جوف النسر ، فوجد فيه رسالة ملفوفة ومربوطة بخيط ذهبي وهي مرتبة كرسائل القدماء ، ووجد معها جوهرة أخرى ، ونزل فقال منسي : لا تفتح الرسالة أيها الصديق حتى نرى ما في جوف العقاب .

نقل السلم حيث جهة العقاب ، واستخدم المفتاح

الأخير ؛ لأن العقاب له قفل واحد ، فوجد فيه جوهرة ثالثة لا غير . فقال منسي : فهذه الرسالة إذن خريطة الكنز .

فك أديب خيط الرسالة وفتحها وقال : اسمحوا لي بقراءتها بصوت مرتفع

قال منسي : بارك الله فيك

قرأ أديب :

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم يا ولدي

لقد وصلت للنهاية بفضل الله ، فأنت تستحق ما ادخرت لك من درر ومجوهرات ، ولقد تركت لك الكثير من المال مما يغنيك عنها .. فلقد راودتني فكرة بناء جزء من مدينة بجوار هذا القصر اسكنها للفقراء والضعفاء ؛ ولكن لي أعداء وخصوم أشداء فخشيت أن يتخذوهم طريقا لتصفيتي ، وهذا منعني من تنفيذ الفكرة في حياتي. فلعلك بأموال هذا الكنز تستطيع إنشاءها عن روح جدك المفارق لهذا الدنيا .. وإن لم ترق لك هذه الفكرة فابن مستشفى عن روح الجد بسيم وبجواره مسجد .. وأما الوثائق فدعها للزمن والتاريخ فأنت لست بحاجة لإعداء.. وأنا تركت رسالة يا ولدي لدى المحامي ، وقلت له بعد القسم أن يسلمها لك أو لورثتك بعد تملكك للكنز والهبة الربانية ..خذ الأموال من المخبأ ودع الوثائق ، ففيها خطر كبير عليك وعلى كل من يطلع عليها دعها للتاريخ والزمن .

ستجد الكنز في الطابق الأرضي تحت غابة الجوارح ، هناك خزان ماء كغرفة صغيرة ، ففي قاعه غطاء معدني لا يصدأ ولا يسرب الماء لأسفل ؛ فإذا فرغ الخزان من الماء سيظهر الغطاء وإذا رفع الغطاء ستجد بداخله سلما في جدران النفق كسلالم آبار الماء ، ومنه ستنزل إلى سرداب أقيم عند حفر الآبار ، ووضع الخزانات الكبيرة لتخزين المياه المستخرجة من الآبار الجوفية .. وسيقودك السرداب بين تلك الخزنات الكبيرة إلى غرفة محصنة بالرصاص والألمنيوم أنشئت عندما بدأت أحفر الآبار ومواضع خزانات الماء ، فهي غرفة كملجأ أخير في حالة اقتحام القصر من قبل عصابات كبيرة ، وفيها خزائن معدنية مصفحة فيها المجوهرات ومذكرات جدك بسيم ووثائق أخرى ، كنت في أول عهدي بالقصر أهبط إليها كل سنة مرة ، ولم يكن يستخدم الماء في ذلك الخزان كان فارغا من الماء ، وفيما بعد سمحت بملئه بالماء ، وكنت أجتهد عندما أدخله أن لا يراني أحد ، فأزعم أنني أريد أن أنام في غابة الطيور فأتسلل إليه واضع الجواهر التي تتيسر لي والوثائق الهامة للعمل ، وما أضفت من مذكرات .. وتوقفت عن ذلك النزول بعدما سمحت لهم بملئه بالماء عام

١٩٩٠ م .

هذه الرسالة كانت تغير وتبدل في آخر كل سنة ، وكذلك الرسالة التي ستجدها عند داود .. طريقة حل الكنز كملت في سنة ١٩٨٤ م بعد انتهاء بناء جميع القصر .. لكن هذه الرسالة كنت إذا قدرت لي الحياة أغيرها برسالة جديدة هي والرسالة التي عند داود ، وهو سيؤكد لك أنني كنت أطلبها في آخر شهر من السنة ، ثم أعيدها إليه بعد أيام حتى إذا مت تكون الرسالات جاهزة .. ستقول كيف كان يفعل جدي لتبديل الرسالة في جوف النسر ؟ والأمر يحتاج لسلم طويل وكبير الأمر سهل يا أديب ويا أبناء أديب .. في مكتبة الطابق الأول تحت احدى الطاولات الثقيلة المعدة للقراءة هناك بلاطة متحركة فإذا نزعتها ظهر لك ظهر النسر وفي ظهره ثقب تستطيع إدخال يدك فيه وتدخل وتخرج ما تشاء .. استهوت جدك الأسرار والأنفاق التي يقرأ عنها في القصص والروايات والتاريخ .. فهكذا تخيلت هذا القصر ولكن الواقع يا ولدي ليس كالحقيقة .. ربما القدماء كانوا أقدر منا على صنع الأسرار والسراديب الغامضة .. وإذا أحببت أن تعرف المزيد عن جدك بسيم الجدية تصفح مذكراته وبعض يومياته .. شكرا لك ، قد تكون هذه الرسالة الأخيرة هذه السنة .. وقبل الوداع فاعلم أن مفاتيح الخزائن المعدنية في غرفة السرداب في نفس السرداب والتفاصيل في الرسالة التي بين يدي السيد المحامي داود .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



قال منسي بعد قراءة الرسالة ، وكان قد خيم الصمت المطبق عليهم : هنيئا لك الكنز يا أديب وها نحن قد وصلنا للنهاية أيها الأصدقاء !

كرر أديب لهم الشكر على الجهد المبذول لحل لغز السيد بسيم ، ثم قدم لهم الشكر المحامي ، واعتذر لهم عن الأوقات التي حرمهم منها مع زوجاتهم وأحفادهم ، ثم قال : هل نصل للغرفة السرية يا أديب أم نتوقف؟ والرسالة التي أشار إليها السيد بسيم موجودة لدينا ، وفعلا كان في آخر كل سنة يطلبها لمراجعتها ، ثم يعيدها بمغلف جديد حتى توفاه الله ﷻ ، فهي محفوظة في خزائن المكتب السرية .. والوثائق يطلب منك عدم نشرها حرصا على حياتك

قال منسي مؤكدا هذا المقصد : نعم ، الرجل خائف عليك ، وتذكر كيف صنعوا وصبروا ليصلوا إليه ؟ قد زوروا وانتحلوا وجندوا وصبروا حتى نالوا منه ـ رحمه الله ـ أفضل أن يبقى الكنز حيث هو لحين من الزمن .. فأنت حسب

علمي لست بحاجة لأموال ، وترك لك الجد عقارات تستطيع أن تنفق منها على جميع الأملاك من ضريبة وصيانة وخدم القصر وغير ذلك .
فبعد صمت قال أديب : إنني بعد هذا الجهد الكبير ليحزنني أن أتخلص من هذا القصر ؛ فربما تشاورت مع أخي داود أبي محمد في الابتداء والشروع بتأسيس مدينة في هذا المكان ، وتقديم بعض بيوتها أو كلها للفقراء عن روح جدي كما كان يحلم .. وأعتقد لو تيسر تأسيس لمدينة هنا سيكون في قلبها مستشفى ومسجد ، وإن عجزت عن فعل ذلك سيكون مبنى المستشفى متبرعا فيه في المدينة وكذلك الجامع.. فصاحب هذه الثروة العظيمة يستحق من حفيده كل شيء.
شكر الجميع همة الشاب وبره وحسن وفائه ، وقدم أديب الجواهر الثلاث لمنسي وشاهر وحسن قائلا : هذه لكم جزاء إشغالكم في قضيتي هذه .. وسأقدم للأخ بشر والسيد محسن مثلهما وكذلك صديقنا داود .. ليس ذلك أجرا ؛ بل للذكرى والصداقة التي جمعتنا خلال هاتين السنتين .
فرفض الرجال الهدية ، فأقسم أديب يمينا على عدم رد هدية جده قائلا : لولا جهودكم الجبارة لظلت كل الأموال تحت الأرض أيها السادة .. من لم يشكر الناس لا يشكر مولاه ﷻ .
فعاد الرجال لشكره والثناء على كرمه من جديد ، وقال منسي : غمرتنا بكرمك يا ابن الأكارم الطعام والشراب والفاكهة والمنام والتسلية .. ونحن لما طلب منا الأستاذ فهم أحاجي الجد لم ننتظر أجرا يا أخ أديب ؛ إنما كانت المحبة والأخوة
قال أديب بحياء ظاهر : أعرف ؛ ولكن هذه للذكرى والصداقة التي نشبت بيننا .
فقال منسي: إننا سعداء بالتعرف عليك وعلى حرمك المصون التي سهلت لنا متابعة المشوار ، وأحسنت في ختم المشوار ، وأكرمنا بالالتقاء بالصحفي الشهير محمد محسن وابن شقيقته الدكتور بشر عيسى ، وسنبقى أصدقاء ورفاقا حتى يفرق بيننا ما يفرق بين الناس الموت .
وقدم الشكر السيد شاهر لأديب وزوجه ، وللمحامي الذي اختاره للمساعدة في حل أحاجي هذه المهمة الممتعة للذهن والعقل ، ثم قدم حسن أيضا شكره وامتنانه للجميع للمهندس وقرينته سعاد ، وصعدوا للغداء أو العشاء ، ثم جلسوا في صالة الطابق الثالث يتذكرون ما صنعوا ، ويشربون الشاي والقهوة والكولا ويأكلون المكسرات والفواكه حتى قالت إحدى النساء : لا أدري كيف نعود لبلبل ولم ندخل غرفة الكنز ؟! ألا تخشوا من افتضاح أمرها ؟ أهؤلاء الخدم ألا يفشون سرها ؟ ويطمعون في الاستيلاء عليها .
تطلع بعضهم ببعض ، وقال منسي : أيفعلونها ؟

ماذا تقول يا داود ؟

ـ لست أدري يا سيدي .. أتحبون أن نخرج الكنز ؟ والوثائق ماذا سنفعل بها ؟! فهي هنا في تصوري أكثر أمنا من أي مكان آخر .

فقال المنسي بحيرة : المكان أظنه عرف .

قال داود : إفراغ الخزان يحتاج لوقت ، ونحن عن قريب سنبدأ بصرف العاملين في القصر ، ولن يبقى إلا القليل كالحرس وبعض الطهاة والسكرتير وزوجاتهم ، وعندما ينهي البوليس القضية يقلص عدد الحرس إلى واحد وزوجته ، لم نعد نحتاج لحماية أحد ، وقريبا ستقدم الفتاة لمحكمة الجنايات العظمى ، وهم كما أخبرني حاتم يبحثون عن أصحاب الفتاة الذين اختفوا ليلة بدء التحقيق الثاني ، وأكد لي حاتم أنهم لم يغادروا الحدود بشكل طبيعي إلا إذا تنكروا وخرجوا بجوازات أخرى ، ويمكننا وضع حرس جديد محلي ؛ فأنا أقترح على الأخ أديب الانتظار في إخراج الكنز ماذا يقول أديب ؟

قال أديب : حقيقة أنا من رأيك، وفكرة الاستعانة بحرس محلي جيدة أو حتى بواب بعائلته فقط لكن من يقبل أن يعيش في هذه الصحراء من أهل البلاد ؟

ـ إذا توفر لهم الإمداد بالطعام سنجد من يقبل العمل هنا .. وهذا عمل مؤقت حتى نصرف كل العمالة ونعطيهم مكافآتهم المالية المستحقة لهم .

فتدخل منسي فقال :وأنا بعد تفكير من رأيك يا دكتور داود .. فمكان الكنز الآن معروف وهو مكان آمن .. وعملية استخراجه هذه الأيام غير مهمة في نظري .. معذرة للجميع .. ونحن علينا أن نكتم الأمر ونحصره بيننا خاصة النساء .. أرجوكنّ أن تكتمن الأمر ولا تثرثرن عن مكانه حتى نرتب لعملية إخراجه .. والخطر يكمن على حياة المهندس من شيوع خبر الوثائق والمذكرات فتسعى إليها الدول والعصابات وأجهزة المخابرات العالمية ، فالأفضل أن يكتم أمرها إلى حين من الدهر .. وعلى الأخ أديب الاستمرار في اتخاذ جانب الحذر واستخدام السيارة المصفحة في تحركاته حتى يختفي ذكر الجد بعد عدد من السنين .. والكنز معروف ما هو ؟ فقد قال جدك في رسائله إنه عبارة عن مجوهرات تحصل عليها من خلال رحلاته في أنحاء دول العالم شرقا وغربا شمالا وجنوبا .. عبارة عن ماس وعقيق وياقوت وعقود لؤلؤ وغير ذلك مما يسمى بالأحجار الكريمة .. ويبدو أن لهذه الغرفة بابا سريا ربما يتصل بالصحراء ، صمم كل ذلك أثناء مرحلة حفر الآبار ؛ ربما أوهم العاملون في الموقع بأنه نفق لمرور الماء كمجرى نهر صناعي صغير .. فمكان الكنز أمان أكثر أيها الأصدقاء .. ومعذرة للنساء

اللواتي ربما بهذا الكلام حرمتهن من متعة النظر لتلك الجواهر التي لن تختلف عن الهدايا التي تكرم بها علينا المهندس أديب .

شكر المحامي السيد منسي ، وأكد أن هذا هو الخيار الأفضل حتى يفكر المهندس ماذا يفعل بهذه الثروة التي ورثها عن جده حلالا زلالا ؟



٣٢

أعلم مايا سكان القصر أنهم سيسرحون من العمل والعودة لبلادهم وإنهاء خدماتهم ، وسيقدم لهم أجرهم كاملا وزيادة رواتب ثلاثة أشهر ، وسيمنحون مكافآتهم ، وثمن رحلة الطائرة لبلادهم .

وقال : صاحب القصر ـ كما تعلمون ـ بناه ؛ ليكون حصنا له ؛ ولكن يد الغدر والخيانة نالت منه فيه ، والوارث لهذه الأملاك ليس بحاجة لنا ، وأنه قد يبيعه أو يمنحه للدولة ؛ لتسفيد منه في قلب هذه الصحراء القاحلة . وأعلمهم أن إنهاء خدماتهم سيكون رويدا رويدا ، وأعلمهم أن التحقيق الجنائي على وشك الانتهاء منه بعد اعتراف القاتلة بقتل السيد ، وقتل من زعمت أنهم والداها ، واستقبل العاملون الأخبار بوجوم وبعضهم بفرح يسير؛ لأن ترك الإنسان لما اعتاده ليس بالأمر الهين والطيب .

ونشط داود بعد العودة لبلبل بالاتصال بشركاء بسيم ومحاميه في خارج البلاد لتصفية وبيع حصص السيد ، وخلال شهور كانت الأمور تسير كما يحب داود والمهندس ، والنتائج النهائية ستتحقق بعد سنة أو أكثر ، هناك حسابات معقدة لبعض الشركات وفروعها في العالم .

أنجبت سعاد مولودها الأول ، وغمر الفرح القصر والأهل ، وسماه أديب على اسم جده بسيم امتنانا لما قدمه له جده من مال وثروة ، جعلته في مصاف السادة الكبار ورجال المال على مستوى العالم ، وكانت تنازعه نفسه بترك العمل موظفا مهندسا في شركة .

ووفد الأهل والأقارب والأصدقاء يباركون لهما الطفل ، ثم صنع لهم في يوم محدد وليمة كبيرة التقى فيها جميع أعضاء فريق البحث عن الكنز والتحقيق في مقتل السيد كالعقيد حاتم ومساعده المقدم مالح ، والتقت نساؤهم بسعاد ، وأظهروا عواطفهم الرقيقة والنبيلة نحوهم ، وقد فرحوا لميلاد السيد بسيم الصغير ، وتأكد لهم أكثر وفاء المهندس لجده ، وأنه محب له رغم المرار الذي تركه مقتل أسرته والديه وإخوانه في نفسه بسبب

مخاطرات السيد الكبير .



اطلع المحامي داود من قبل العقيد حاتم أن الشرطة قد ألقت القبض على الشخص العربي الذي كان مرافقا لأصحاب الفتاة البرازيلية القاتلة ، وهو مروج للمخدرات بين فتيان وفتيات المعاهد والكليات ، وهو من رواد مراكز العلاج ، وتعرف على الفتاة من خلال مركز العلاج من الإدمان أو هي تعرفت عليه ، وظلا على تواصل بعد خروجها ، وتبين للشرطة أنه لا يعرف عنها وعنهم سوى القليل من المعلومات بسبب اللغة ، وهو الذي عرفها على عدد من رفاقه في التعاطي والإدمان ، واستطاعت السيطرة عليهم وسلمتهم لزملائها البرازيليين ، فكانوا يقومون ببيع ونقل المخدرات بين المدن والحدود ، وبعضهم سقط في أيدي شرطة المكافحة ، وهم يقبعون في السجن ، وبعضهم أخذ فترة علاج كما هو متبع باعتبار متعاطي المخدر مريض بحاجة لعلاج أكثر من الحبس ، وكان هذا الرجل العربي يحلم بمغادرة البلد والعمل مع العصابات الدولية عن طريق الفتاة ورفاقها ، وهو لا يعلم الغاية الحقيقية لوجودهم في البلاد سوى تجارة المخدرات ، وسمع عن القتل والجريمة ؛ لكنه ظنها في نطاق تجارة المخدرات ، وأخبر الرجل أنه افترق عن زميليه بعدما اتصلت الفتاة مخبرة عن تجدد التحقيق في جريمة مقتل السيد بسيم ، واعتقدوا أن لدى البوليس شيئا جديدا للقيام بالتحقيق من جديد . فقال : لما تلقينا ذلك التلفون المرعب انزعج الشابان واجروا اتصالا دوليا من خارج الشقة ، ثم عاودوا الاتصال بالفتاة ، ثم في الصباح تم تسكير حساب الشقة ، وزعموا أنهم وجدوا سكنا جديدا ، وأخلت الشرطة سبيله .

قال حاتم للمحامي : وهو ما زال تحت المتابعة الخفية أملا بالوصول للشابين شركاء الفتاة في الجريمة ، وأما الرأس الكبير مانيو فعاجزة الشرطة عن المطالبة به ؛ لأسباب كثيرة في نظر الشرطة ، فالرجل الزعيم مانيو هو معروف للبوليس الدولي وعلى قائمته أصلا ؛ ولكنهم متحصنون في أماكن سرية من الصعب الوصول إليها .. فهؤلاء المجرمون يملكون سفنا ويخوتا وغواصات كما يشاع غير الأوكار في مدن وقرى أمريكا الجنوبية .

وتابع حاتم : حتى أن الشاب لا يعرف أسماءهم الحقيقية.. فهؤلاء أسماؤهم مركبة وأجنبية ليس من السهل ترجمتها وفهمها على شاب ذي ثقافة محدودة .. المهم أن العملية كلها انتقام في انتقام من السيد بسيم الذي ساعد أو شارك في قتل أبيه

المجرم الكبير في إحدى عمليات بيع السلاح أو تهريبه .. فهؤلاء الانتقام عندهم دين ، وله أهمية كما فهمنا منها للسيطرة على عدد من العصابات والمناطق كما تفعل الوحوش البرية الضارية .

قال داود : الشرطة لا تريد تقديم الفتاة للمحكمة حتى يتم القبض على صاحبيها الأجنبيين بالذات ، ونحن بدأنا بإخلاء القصر من هؤلاء الأجانب ، فقد أصبحوا عبئا على موازنة القصر وطلب أديب التخلص منهم ، وإكرامهم غاية الكرم لعملهم الطويل مع جده .. واليوم لم تعد لهم فائدة بعد وصول التحقيق إلى نهايته تقريبا .

قال العقيد حاتم : لا بأس يا سيدي ، فليست الشرطة بحاجة لشهاداتهم ، فلو أبقيتم على السكرتير مايا .

ـ سيبقى هو وزوجته وحارس واحد وطاهي واثنان من الخدم وعمال البساتين ، وستقام حملة صيانة للطابق الأول خاصة وباقي القصر عموما .. والحارس الإفريقي قد أنهيت خدماته ، وإذا احتجناه عند المحكمة وافق على المجيء وتقديم شهادته في أي وقت إذا كان على قيد الحياة ، وكذلك تعهد كل من صرف بالعودة للشهادة إذا احتيج إليهم .. حاول قاضي التحقيق تأخير سفرهم فذكرت له العبء المالي الذي ترتب علينا لبقائهم منذ مقتل السيد بسيم .. ندفع لهم مرتبات وأجورا دون فائدة تعود علينا بعد مقتل واغتيال السيد .

فقال حاتم : سأحاول الاتصال بهذا العربي ؛ لعلي استطيع الحصول على معلومات منه عن الرجلين الهاربين لنعجل في تقديم القضية للمحكمة للنظر فيها .

ـ هذه خدمة كبيرة تقدمها لنا عقيد حاتم ، ونشكر جهودك في تقدمنا في معرفة اليد الأثيمة التي نالت من السيد .

ـ أرجو أن لا يكونا قد هربا .

ـ لو ثبت خروجهما من البلد لعجل هذا في المحاكمة ، فيحاكمان غيابيا وينتهي الموضوع ، فيطلبان من البوليس الدولي .

ـ فعلا يا حضرة المحامي .. على كل حال سأبذل جهدي وخبرتي في الوصول إلى نتيجة ـ إن شاء الله

ـ سيد داود .

ـ لك كل الحب والتحية يا سيدي العقيد .. والأخ أديب لا ينسى جهودك معنا

ـ بلغه سلامي وشوقي وتحياتي .

ـ حضرت وليمة ولادة ابنه بسيم .

ـ نعم ، ولم يتسنَ الجلوس معه كثيرا كنت على موعد .

٣٣

من المعلوم أن الشاب الملقب بسحام ليس له يد في

مقتل السيد بسيم ، ولم يعرف بالحادث إلا عندما حدثت الجريمة ، وبالتأكيد أنه لم يكن يعلم بارتكاب الفتاة الوديعة التي تعرف عليها في مركز العلاج من الإدمان أنها هي تلك المجرمة ؛ ربما عرف دورها الخطير ليلة اتصلت برفاقها وأسرعوا بالهرب والاختفاء .

هو كغيره كان يظن أن الفتاة تعمل في القصر الصحراوي مع والديها ، وأنها جاءت من بلادها للعمل والعلاج شفقة وعطفا من السيد بسيم ، ثم لحق بها زوجها وأصحابها ، فقد كانت تخرج معهم في سهرات خاصة ؛ ولكن هل كانوا يجرؤن على معاشرتها وهي عشيقة وزوجة سيدهم ؟ لم يكن عنده جواب .

خلال فترة العلاج التقت بالشاب سحام وغيره ممن جاءوا راغبين بالعلاج من سموم المخدرات واستطاعت تجنيده للعمل بتجارة المخدرات ، خاصة صغار التجار والمروجين بين الطلاب في الجامعات وحتى المدارس الثانوية ، وكان يراوده الحلم بالسفر للبرازيل والعمل في تجارة المخدرات مع العصابات الكبيرة وعلى مستوى العالم ، ولما غادرت مركز العلاج أخذت تتصل به ويتواعدان على اللقاء ، فأصبح صديقا لها في البلد ، وجاء مدينة جاد عددا من المرات ليلتقي بها ، وعرفها على بعض الزملاء عندما تنزل بلبلا ، والفتاة متعلمة كما نعرف ؛ورأت العمل في المخدرات أفضل من العمل بوظيفة حكومية أو شركة خاصة ، وهي جاءت بلبل لعمل خاص كلفت به ، جاءت على أنها ابنة الكوا توماس المتورطة في تعاطي المخدرات والتي هي بحاجة لعلاج وعطف وشفقة من الآخرين ، ورغم تعاطيها للمخدرات فهي لم تصل لمرحلة الإدمان ؛ إنما كانت تتظاهر بذلك لغاية في نفسها ، وإنما هي تتعاطها للمرح والكيف ؛ولكنها أحبت تجارتها والعمل مع العصابات ، فأحبت المال والثروة عن طريق التجارة بها ، فكانت تعمل على زرع فكرة أنها مدمنة ومتورطة في التعاطي بين أهل القصر وبين أصحابها العرب ، وتشاركهم حفلاتهم الماجنة بين الحين والآخر ، وكان مايا لا يرى أنها تشكل خطرا في القصر لزعمها أنها ابنة الكوا وزوجته ، وهما لم يشككا في ذلك ، والأوراق تؤكد ذلك ، وجواز سفرها عليه اسم السيد الكوا واسم زوجته ، والسلاح غير مسموح بدخوله دون علم ومعرفة له وللحرس ، وكان من الصعب الوصول إلى غرفة السلاح ، ولا يصلون إليها إلا عن طريق غرفة السكرتير و الحقيقة أنها نجحت بخداع السكرتير والسيد بسيم وغيرهم ، وكانت تشارك الكوا وزوجته الشقة ؛ كأنها ابنة جاءت للعمل والعلاج من الإدمان فعلا ؛ ولكنها فشلت في

العلاج ، وظلت تتعاطى وتحاول كل مرة إدخال مخدرات للقصر ولو بشيء بسيط ؛ فصار الاعتقاد السائد أنها مريضة ، وما زالت تتعاطى ، فيشفق عليها الحرس وسكان القصر .

وعرفت أصحابها بسحام واستخدموه في نقل المخدرات بين المدن ونقاط الحدود لتهريبها للدول المجاورة أو الاستلام للبضاعة ، وظلت على ذلك الأمر حتى اغتالت الرجل كما ذكرت لنا في اعترافها بعد قتلها للكوا وزوجته ، وكان في حساب مانيو أن القاتل مجهول وسيغلق الملف وبعد حين سيغلق القصر ، ولن يكتشفها أحد ، ولكن ظهور حكاية الكنز والبحث عنه أخرت إغلاق القصر ، فطلب منها زوجها الصبر والبقاء في القصر حتى لا يصبحا طريدة العدالة الدولية ، ثم تجدد التحقيق في الجريمة من قبل محقق خاص ، ومعنى ذلك أن التحقيق سيعاد فتحه حتى يعرف الجاني ، وهي اتصلت بهم لتأمين جواز سفر آخر لها للهرب حسب خطة الطوارئ ، فطلب منها الاستمرار في القصر مع الاستمرار في أخذ المخدرات ، ثم اختفى الرجلان ، وانقطع عنها الاتصال .

التقى العقيد حاتم بالسيد سحام في مقهى عمومي اختاره الأخير بنفسه ، فقال سحام : إنني أعرفك قبل أن تتقاعد ، أنت تعمل مع جهاز الشرطة والسرقة والقتل ، أما أنا فكانت علاقتي مع شرطة المخدرات .. وأنا لا دخل لي في جريمة قتل السيد بسيم ، ولا جريمة قتل الكوا وقرينته .. بل أنا لم أعرف بدورها في الجريمة الأولى إلا عندما تجدد التحقيق ، وقتلها للرجل وزوجته ،فاستوعبت دورها الكبير في الجريمة الأولى .. علاقتي معهم علاقة مخدرات .

قال حاتم مشجعا : هذا معروف لي وللشرطة ، ومن أجل ذلك تخلت عنك شرطة الجرائم ، ولم تحبس وتقدم للقضاة .. أنا رغبت بلقائك صراحة أقولها لتساعدنا في إلقاء القبض على الرجلين أو تساعدنا في إثبات خروجهما من البلد .

ـ عندما اتصلت الفتاة بالشقة تلك الليلة رد عليها من اسمه الكسندر ، وكان حديثهما بالبرتغالية كما أفهم من حديثهما لبعض ، وهي بالطبع لم تتحدث معه عن الجريمة صراحة ، فهي تعلم أن السكرتير يسجل الاتصالات .. فقال الكسندر كما فهمت أن التحقيق عاد من جديد فخرج من الشقة بعد أن رطن لصاحبه بكلمات ، وخرج وعاد بعد ساعة أو أكثر وفهمت أنه اتصل بالبرازيل ، وبعد حين اتصل بالقصر بالفتاة ، واعلم أنهم يتكلمون بالرموز من خلال كلامهم ، وأنا كنت ليلتها معهم في الشقة ، وكان معنا بعض بنات الهوى ، ولما جاء الاتصال طلب مني صرف الفتيات ،

فتسللن خارجات ، وقد أخذن أجورهن وانصرفن ، واعلم أن دخول الفتيات ممنوع ؛ لكن بشيء من التنكر ؛ ودفع بعض المال للحرس يغضون الطرف ، ثم خرج كما قلت وأجرى محادثة من خارج الشقة ، ولما عاد هاتف القصر في آخر الليل ، وفي الصباح دفع للوكيل باقي حسابه وغادرنا الشقة. وقال لي فريدي : الشرطة يا سحام في قصر الجدية ويحققون في الجريمة من جديد ووضع صاحبتنا صعب هذه المرة .. وكان الكسندر غاضبا عليها ؛لأنها تكلمت معه من القصر ، فالأصل أن تتحدث معنا من بريد جاد ،وكان الكسندر يتحدث معها بلغة مفهومة بينهم ، مشينا مائة متر عن المجمع السكني للشقق المفروشة ، وركبنا سيارة أجرة إلى وسط المدينة ، ونزلنا في فندق صغير وشعبي ، لنا معرفة بمديره ، يأمُه سياح أجانب الذين يحبون قضاء أيامهم في الأماكن الشعبية وتوفير بعض المال .. وتركنا الكسندر وطلب مني البقاء مع فريدي ، وسافر إلى جاد ، والتقى بالفتاة كما علمت بذلك بعد رجوعه ، وفهمت من كلامهم بأن الأمر جد خطير .

ـ أين التقى بها ؟

ـ في مطعم سياحي معروف لنا ، وكان ذلك أثناء أخذها للحقنة ، فهو كما فهمت رتب لها هذا اللقاء للخروج وأخذ المخدرات والاستمرار في لعبة التعاطي ومحاولة إدخال كمية منها للقصر

ـ لم يقل صاحب المطعم ذلك .

ـ نحن نزود صاحب ذاك المطعم بالمخدرات في بعض الأحيان .. فلما رجع من جاد طلب مني الاختفاء سبعة أيام ، ثم العودة إلى الفندق فندق الوزة البيضاء .. ولما عدت حسب الأوامر ، لم أجدهما .. أخبرني صاحب الفندق أنهما غادرا بعدي بيومين ، وعدت ثانية وثالثة ، ثم استوعبت أنهما تخلصا مني ، وهم خائفون من صحبتي لهم في هذه الفترة الحرجة ، ثم علمت من الصحف بالقبض على الفتاة بجريمة قتل والديها في قصر الجدية .. لم أكن أعلم أنهما ليسا بوالدين لها وأعتقد يا سيدي العقيد أنها فعلت ذلك من نفسها ، ضاقت ذرعا من وضعها بعد تخلي الجميع عنها ، فتصرفت تصرفا فرديا ، ومن الصحف علمت أنهم لم يكونوا أهلها .. هذه قصتي معهم وأنا قلت للشرطة عندما مسكوا بي وأنا في زيارة لبيت أمي المطلقة ، وتعيش وحدها بجوار أحد إخوتي المتزوجين ، قلت لهم ما تفوهت به أمامك الآن .. فليس لي دور في جرائم القتل سواء الأولى أم الثانية

ـ ألا يمكن الوصول إليهم ؟ ألا يمكنك مساعدتنا ؟

صمت سحام لثوان ثم قال : حقيقة يا سيدي أن ذلك صعب ، فالكسندر رجل ماكر وحذر حتى

من رفيقه فريدي .. فهو ابن عصابة قوية .

ـ كيف كنت تفهم عليهم ؟

ـ من المعاشرة وهم يحسنون العربية إلى حد ما ، وإن لم يتكلموا بها ، فهم يفهمون عني ويكلمونني بها ؛ لأفهم المهمات التي كنت أكلف بها .. طبعا ليس كما نتحدث نحن بها ..وهم يخلطونها بلغتهم .. وكنا نتوقف أحيانا لفهم المطلوب بالضبط ويوضحونه لي بصبر .. فكان الكسندر يتحرك باسمه هذا ، وكذلك فريدي ، أما أسماؤهم في الجوازات فلا أعرفها ، ولم أرى جوازاتهم نهائيا .. وهم يتنكرون بشخصيات أخرى عند الحاجة .. اعلم يا سيدي أنني كنت بريدا لهم .. أنقل المال أنقل مكان تسليم البضاعة إحضار النساء المومسات لهم .. وكله بثمنه يا سيدي العقيد ..وهذه حياتنا القذرة ..وكنت أحلم بالرحيل لبلادهم .

ـ هل رأيت زوجها مانيو وقابلته ؟

ـ حصل أن قابلته ، وكلفني بمهمات خفيفة ، وهو زوجها بالتأكيد ، وكان يأتي للقاء بها ، واليوم أفهم أنه كان يأتي لمتابعة قضيته وانتقامه .. وها أنا أرى اليوم أنهم تخلوا عنها وتركوها لنفسها حتى لم يكلفوا محاميا بالدفاع عنها .. زرتها في السجن ، وقالت لي أرغب بالموت يا سحام ، الكل تخلى عني ، وتركوني تحت رحمة الكوا وزوجته .. وهي زوجته ؛ لأنها لم تكن تسمح لأحد أن يعاشرها .. كانت تخرج مع الكسندر في مشاوير خاصة ، ولا أدري ما يكون بينهما ، فقد شاركتها في جلسات تحشيش ورقص ، ولم تمكني من مضاجعتها ، فأدركت أن مانيو شيء مهم في العصابة .

ـ اعترفت بأن مانيو سيدها وعشيقها ، وأنه وعدها بالزواج الشرعي إذا حققت له انتقامه .. ويسرني خدمتك يا سيد سحام ، وأشكر شجاعتك وصراحتك .. وإذا احتجت لخدمة مقدورة فأنا في خدمتك .. وإذا وجدت جديدا أو جد شيء مهم فاتصل برقم الشرطة أو النجدة .. ولن ينسى لك البوليس أي خدمة تقدمها لهم وأي تعاون معهم .. وإذا تحتاج جديا لإدخال لمركز العلاج ؛ فأنا مستعد أن أقدم لك هذه الخدمة وتوصية لهم .

تنهد سحام بعمق: وقال : إنني أفكر بذلك جادا

ـ أنصحك بذلك ، وليس خطأ أن تصحح حياتك كأغلب البشر ، وتخلص من هذه السموم التي أنهكت بدنك .

ذكر حاتم للضابط المحقق في جريمة القصر عن أسماء الرجلين الهاربين ، وأنهما يتقنان التنكر وربما يحيون بجوازات سفر غير المعروفة للسلطات والمطار والموانئ

وقال حاتم : أنا أرجح أنهم هربوا بعد مفارقة سحام لهم .. وأقدمت الفتاة على القتل بعد يأسها

منهم ، ولم يعودوا يتحدثون معها ويقابلونها سرا وعلنا ، فأدركت أنها أمست ورقة محروقة ، فوجدت في الجريمة تنفيسا لغضبها وتوريطا لهم لتهتم الشرطة بمطاردتهم .

ـ لقد حاولت الانتحار أكثر من مرة في السجن ، وأتصور أنها ستفعل ذلك عندما تتهيأ الفرصة لها .. فهي أجرت كذا اتصال من السجن في البرازيل ؛ ولكن بلا فائدة ، لا يرد عليها أحد .. وتحدثت مرة مع أمها الحقيقية تطلب منها العفو عنها .. يبدو أنها أسأت لها في يوم من الأيام .

ـ عليها أن تتحمل ما جنت يدها .. وما أهلكت من الشباب ببيع المخدرات والسموم .. فهل يستحق هؤلاء الناس العطف والشفقة ؟!

ـ الجريمة والعقاب .

تمت قصة لغز القصر الصحراوي



وهج الحرب

الحلقة ١٥ والأخيرة

اختفاء

في الثاني عشر من حزيران ٢٠١٤ نهار الخميس اختفى ثلاثة مستوطنين إسرائيليين في جنوب الضفة الغربية المحتلة ، والتي عرفت فلسطينياً بعملية الخليل ؛ حيث تفترض إسرائيل أنهم قد خطفوا على أيدي حركة حماس ، ويعتقد بأن الاختفاء مرتبط بشكل مباشر بإضراب الأسرى الإداريين في السجون الإسرائيلية ، فيوم الاختفاء كان هو اليوم الخمسين لإضراب قرابة ٣٠٠ سجين إداري عن الطعام ، ويحتضر بعضهم في المستشفيات ، وكذلك إصرار إسرائيل على عدم إطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين، وبعضهم بالسجون منذ عشرات السنين.

مساء يوم ١١ حزيران الساعة السادسة والنصف ، توجه المستوطنون الثلاثة نحو مستوطنة غوش عتصيون شمال الخليل ، والمستوطنون الثلاثة هم إيال يفراح وعمره ١٩ عاما ، من سكان بلدة إلعاد ، والتي يسكنها اليهود المتشددون ، والثاني هو غيلعاد شاعر ١٦ عاماً من مستوطنة طلمون من غربي رام الله ، والثالث هو نفتالي فرينكيل ١٦ عاما من نوف أيالون القريبة من الرملة ، وهو يحمل الجنسية الأمريكية والإسرائيلية .. وكثير من يهود إسرائيل يحملون جنسية البلاد التي أتوا منها ، فاليهودي يحصل على الجنسية الإسرائيلية بمجرد أنه يهودي، الجنسية عندهم على الدين .. وقد فقد أثر المستوطنين بعد الساعة العاشرة مساء نفس

اليوم ١١ حزيران وقد شوهدوا آخر مرة عند محطة لاستيقاف على مفرق مستوطنة ألون شفوت. أحد المفقودين تمكن من الاتصال بالشرطة الإسرائيلية قبل أن يصبح في عداد المفقودين ،حيث استمرت المكالمة دقيقتين ، وتعقب الجيش تلك الدعوة بعد سبع ساعات إلى منطقة سنجر الواقعة بين الخليل ودورا. الشرطة الإسرائيلية كانت قد أرسلت دورية بعد ساعة من تلقيها البلاغ ؛ ولكن تأخرت لساعات عدة قبل إبلاغ الجيش والشاباك ، في الساعة ١١ صباحاً من يوم الجمعة، أصدر الجيش نداء بالتأهب وأعلن أن هناك اختطافا قد حصل ، وأن السيارة التي كان يستقلها الشبان هي من نوع هيونداي آي ٣٥ وهي تحمل لوحة ترخيص إسرائيلية ، وقد أشعلت النيران فيها في ليلة ١٢ حزيران ، وعثرت عليها الشرطة الفلسطينية بالقرب من دورا جنوب الخليل ، ونشأت في المقابل تحليلات بأن السيارة التي أحرقت كانت من أجل التمويه على العملية. الجيش الإسرائيلي أعقب ذلك بإغلاق محافظة الخليل ، وبدأ بحملة عسكرية على المدينة وعلى بلدتها ، وأطلق على العملية تسمية "عودة الأخوة"، ومنع عمال المحافظة من دخول إسرائيل ، وكذلك من عبور معبر الكرامة ، وأغلق مداخل المدينة وقراها بمكعبات إسمنتية.

بلدات جنوب محافظة الخليل ، وكذلك مدينة الخليل نفسها كانت محور التحقيقات مع تواجد عدد كبير من قوات الجيش والشرطة والقوات الخاصة ؛ حيث جابت العديد من البلدات ، حلحول ، دورا، يطا ، السموع ، ترقوميا ، بيت كاحل ، تفوح ، فيما اعتقل الجيش خلال يومي ١٤ و١٥ حزيران نحو ٨٠ فلسطينيا، من بينهم قيادات في حركة حماس ، ويشتبه في أن يكون لهم صلة بعملية الاختطاف، الاعتقالات طالت قادة سياسيين ورجال دين، وأساتذة جامعات ونشطاء من حركتي حماس والجهاد الإسلامي في الضفة الغربية.

عقب اختفاء المستوطنين بدأت إسرائيل في إجراءات للحيلولة من تمكن نقل المخطوفين إلى قطاع غزة أو سيناء، فقد أغلقت مداخل محافظة الخليل بالمكعبات الإسمنتية كمدخل الخليل الشمالي ، ومدخل مخيم الفوار جنوب الخليل ، وكذلك الطريق بين بيت كاحل والخليل ، فيما نصب الجيش عشرات الحواجز العسكرية على الطرق المؤدية إلى مدينة الخليل من ناحية بلدات حلحول وسعير ودورا وطريق مخيم الفوار.

خلال الثلاثة أيام الأولى من فقدان المستوطنين الثلاثة شن الجيش حملة اعتقالات واسعة طالت أكثر من ٢٠٠ مواطن من الضفة الغربية ، بينهم

نواب وقادة في حماس كحسن يوسف وعزيز الدويك ، وفي اليوم السادس على اختفاء الشبان اعتقل الجيش قرابة ٦٥ فلسطينياً في الضفة الغربية ، بينهم ٥١ معتقلاً تم الإفراج عنهم في إطار صفقة شاليط وفاء الأحرار ، وبعد مضي أسبوع على اختفاء الشبان كانت إسرائيل قد اعتقلت أكثر من ٣٢٠ فلسطينيا. بعد أسبوع على اختفاء الشبان كان الجيش الإسرائيلي قد اقتحم معظم مدن الضفة الغربية كمدينتي رام الله والبيرة وبلدة الرام في محافظة القدس ، ومدينة نابلس ، ومخيم بلاطة ، ومدينة ومخيم جنين وقلقيلية ، وبيت لحم ، وبيت جالا، وهي أكبر عملية إعادة انتشار منذ عملية الدرع الواقي واحتلال الضفة عام ٢٠٠٢ خلال الانتفاضة الثانية .

بدأ الجيش الإسرائيلي حملة عبر وسائل الإعلام الاجتماعية والدعوة لعودة المخطوفين تحت هاشتاج معين ، وقد شن مؤيدو القضية الفلسطينية حملة مضادة عبر نفس الهاشتاج للمطالبة بعودة الأسرى الفلسطينيين. في ١٥ حزيران تجمع آلاف اليهود للصلاة عند الحائط الغربي حائط البراق في القدس من أجل الإفراج عن المخطوفين. فقدان المستوطنين جاء في فترة يخوض فيها مئات الأسرى الفلسطينيين إضراباً مفتوحاً عن الطعام احتجاجاً على الممارسات الإسرائيلية من احتجازهم دون تهمة لفترات من ستة أشهر وأطول ، وبما يسمى الحجز الإداري ، توقيف دون قضية ومحاكمة ، وسبق أن تحدثنا عن سجون الاحتلال والحجز دون محاكمة ، وكثير من الفلسطينيين يؤيدون خطف الإسرائيليين كورقة مساومة من أجل العدالة ، وقد كانت صفقة جلعاد شاليط وتبادل الأسرى في عام ٢٠١١ سابقة مهمة لعودة السجناء الفلسطينيين مقابل عودة المخطوفين الإسرائيليين، وفي قطاع غزة ، احتفلت عائلات الفلسطينيين المسجونين من جانب إسرائيل ووزعوا الحلوى على المارة.

حسب موقع واللا العبري فإن زوج من النظارات تعود لأحد المستوطنين المخطوفين عثر عليها في خربة أرنبة قرب حلحول ، هي من قادت إلى مكان المستوطنين الثلاثة ، وهو عبارة عن بئر داخل مغارة في نفس المنطقة ، ففي عصر يوم الاثنين ٣٠ حزيران تمكن أحد المتطوعين المدنيين الإسرائيليين من العثور على طرف الخيط الذي مكن الجيش والاستخبارات من الوصول للجثث ، وحسب التقديرات الإسرائيلية فإن المستوطنين الثلاثة قتلوا

فور صعودهم للمركبة التي تم اختطافهم بها.
عقب العثور على الجثث انطلقت مسيرات للمستوطنين تطالب بالرد والانتقام وهوجمت المركبات الفلسطينية بالحجارة من قبل مستوطنين غرب بيت لحم . الأربعاء يوم ٢ تموز اختطف الطفل محمد حسين أبو خضير من قبل مستوطنين في شعفاط وقتل حرقاً ، وعثر على جثته قرب أحراش دير ياسين ، عقب الترويج للانتقام من قبل الحكومة الإسرائيلية وجماعات يهودية متطرفة تحت شعار "الانتقام بالدم"
كان الاختطاف قرب مفرق ألون شفوت شمال غوش عتصيون ، وعثر على جثثهم قرب بلدة حلحول شمال الخليل ، وقد تم العثور على جثثهم بعد ١٨ يوما على اختفائهم. اتهمت إسرائيل اثنين تدعي أنهم من نشطاء حماس بالاختطاف والقتل ، وهما مروان القواسمي وعامر أبو عيشة بعد مرور عدة أسابيع على العثور على الجثث بثت القناة الثانية شبه الرسمية في تلفزيون "زد دي إف" الألماني تقريراً عن الحادثة ؛ حيث ذكر التقرير بأن الشرطة وأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية عرفتا بعد وقت قليل من وقوع الحادثة أن الأمر يتعلق بعملية قتل وليس باختطاف وأن رسالة استغاثة مسجلة تلقتها الشرطة الإسرائيلية من أحد المستوطنين الثلاثة سُمع فيها أمر بخفض الرؤوس أعقبه إطلاق عشر رصاصات ، وأوضح أن الحكومة الإسرائيلية كانت تعرف أن المستوطنين الثلاثة في عداد القتلى، لكنها أرسلت شرطتها وأجهزتها الأمنية لتشنا حملة واسعة من المداهمات والاعتقالات بالضفة الغربية بحثا عنهم وكأنهم أحياء. هذا الحادث دفع لاشتعال حرب غزة الثالثة بعد شهر .

يوميات حرب ٢٠١٤

كانت من عواقب عملية الخليل ، الحرب الثالثة على غزة ، بين إسرائيل وحركات المقاومة الفلسطينية في القطاع ، بدأ القتال فعلياً يوم ٨ تموز ٢٠١٤ ، أطلقت إسرائيل عليها عملية الجرف الصامد ، وردت كتائب القسام بمعركة العصف المأكول ، وردت حركة الجهاد بعملية البنيان المرصوص ، بعد موجة عنف تفجرت مع خطف وتعذيب وحرق الطفل محمد أبو خضير من شعفاط على أيدي مجموعة مستوطنين في ٢ تموز ٢٠١٤، وإعادة اعتقال العشرات من محرري صفقة شاليط ، وأعقبها احتجاجات واسعة في القدس وداخل عرب ٤٨ ، وكذلك مناطق الضفة الغربية، واشتدت وتيرتها بعد أن دهس إسرائيلي اثنين من العمال العرب قرب حيفا ، وتخلل التصعيد قصف متبادل بين إسرائيل والمقاومة الفلسطينية في القطاع ، تخلل هذه الحرب عدة

عمليات عسكرية مثل عملية ناحل عوز وعملية العاشر من رمضان. شارك في المعمعة كتائب عز الدين القسام ، سرايا القدس، كتائب شهداء الأقصى، كتائب عبد القادر الحسيني، كتائب أبو علي مصطفى، كتائب جهاد جبريل، ألوية الناصر صلاح الدين. وكان الهدف المعلن من العملية الإسرائيلية هو وقف إطلاق الصواريخ من غزة إلى إسرائيل ، التي ازدادت بعد الحملة الإسرائيلية ضد حماس في الضفة الغربية في أعقاب عملية اختطاف وقتل ثلاثة مستوطنين إسرائيليين في ١٢ حزيران ٢٠١٤ من قبل حركة حماس كان هدف حماس هو الحصول على الضغط الدولي لرفع الحصار الإسرائيلي على قطاع غزة ، وإنهاء الهجوم الإسرائيلي، والحصول على طرف ثالث لمراقبة وضمان الامتثال لوقف إطلاق النار، وإطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين والتغلب على حالة الانعزال السياسي المفروضة على الحركة. قال البعض إن إسرائيل كانت أول من كسر اتفاق وقف إطلاق النار مع حماس في ١٣ حزيران ، والذي كان قائمًا منذ نوفمبر ٢٠١٢ ، ومع ذلك ذكرت إسرائيل أن الغارات الجوية على غزة كانت بمثابة رد فعل لإطلاق الصواريخ من قطاع غزة. وفي ٧ تموز، وبعد مقتل سبعة من نشطاء حركة حماس في انفجار نفق في خان يونس، الذي نجم عن غارة جوية إسرائيلية وفقًا لكل من حماس ، ومسؤول كبير بجيش الدفاع الإسرائيلي أو انفجار عرضي للذخيرة وفقًا لجيش الدفاع الإسرائيلي تحملت حماس المسؤولية عن إطلاق الصواريخ على إسرائيل، إذ أطلقت ٤٠ صاروخًا باتجاه إسرائيل.

بدأت العملية رسميًا في اليوم التالي ، وفي ١٧ تموز تم توسيع العملية لتشمل الغزو الإسرائيلي لقطاع غزة بهدف تدمير نظام الأنفاق في غزة ؛ ثم انسحبت القوات البرية الإسرائيلية في ٥ آب وفي ٢٦ آب أُعلن وقف إطلاق نار مفتوح. وبحلول ذلك التاريخ ، أفاد جيش الدفاع الإسرائيلي أن حماس وحركة الجهاد الإسلامي وجماعات مسلحة أخرى أطلقت ٤٥٦٤ صاروخًا وقذائف هاون من قطاع غزة إلى إسرائيل، وتم اعتراض أكثر من ٧٣٥ مقذوفا أثناء القتال وإسقاطه بواسطة القبة الحديدية، أصابت معظم قذائف الهاون والصواريخ التي أُطلقت من غزة أراضٍ مفتوحة ، بينما أصابت أكثر من ٢٨٠ قذيفة مناطق متفرقة من غزة وأصاب ٢٢٤ منها مناطق سكنية. وهاجم الجيش الإسرائيلي ٥٢٦٣ هدفًا في غزة ؛ ويزعمون أنه تم تدمير ما لا يقل عن ٣٤ نفقا معروفا .

جرت عدة محاولات لتثبيت التهدئة بين إسرائيل

والقطاع إلا أن تصاعد وتيرة العنف بعد مقتل الطفل محمد أبو خضير ، ومقتل اثنين من العمال العرب دهساً أدى إلى تصاعد القصف بين وإسرائيل والمقاومة ؛ حيث شن الجيش الإسرائيلي سلسلة غارات عنيفة على مطار جنوب القطاع ، وذلك عقب إطلاق مسلحين صواريخ عدة من القطاع على جنوب إسرائيل، وفي يوم الأحد ٦ تموز أطلق ٥ صواريخ أطلقت من القطاع، وسقطت في جنوب إسرائيل.

في فجر الأثنين ٧ تموز قتل عناصر من حركة حماس في غارة إسرائيلية استهدفت أحد الإنفاق في منطقة المطار شرق مدينة رفح جنوب قطاع . بدأ الجيش الإسرائيلي عملية عسكرية واستدعى الكابينت (المجلس الوزاري الإسرائيلي المصغر) ٤٠ ألف جندي احتياط ، وارتكب مجزرة في خانيونس أوقعت ١١ قتيلا فلسطينيا ، وأطلقت حركة الجهاد الإسلامي نحو ٦٠ صاروخاً ، واستخدمت حركة حماس صاروخ سام ٧ ضد مروحية من طراز أباتشي، ووصلت صواريخ القسام إلى أكثر من ٣٥ كم.

مساء الثلاثاء اقتحمت عناصر "كوماندوز بحري" تتبع لكتائب القسام قاعدة زيكيم العسكرية القريبة من عسقلان ، واشتبكت مع جنود من جيش الإسرائيلي. كانت قد أعلنت كتائب القسام عن تفجيرها نفقا أسفل موقع كرم أبو سالم شرق مدينة رفح جنوب القطاع ، وبثت في اليوم الثاني مقطع فيديو للعملية. تمكنت صواريخ المقاومة الفلسطينية من الوصول إلى مطار بن غوريون في تل أبيب بواسطة صاروخ فجر ٥ أطلقته سرايا القدس، وقالت إسرائيل إن القبة الحديدية اعترضت الصاروخين ، وفي وقت لاحق قصفت كتائب القسام مدينة حيفا الواقعة شمال تل أبيب لأول مرة بصاروخ "ار ١٦٠".

كان الجيش الإسرائيلي قد أطلق صاروخ تحذيري على منزل يعود لعائلة كوارع في خان يونس واعتلى عقبها عشرات المواطنين المنزل لمنع قصفه ، إلا أن ذلك لم يحل دون قصف المنزل مما أدى إلى مقتل ٧ مواطنين ، من بينهم ستة أطفال ، وأصيب ٢٨ شخصًا، عشرة منهم إصاباتهم خطيرة.

بعد تعرض مدن هرتسيليا وريشون لتسيون والقدس وتل أبيب وحيفا لصواريخ بعيدة المدى لأول مرة ، طلبت قيادة الجبهة الداخلية الإسرائيلية بفتح الملاجئ أمام الإسرائيليين في مدينة القدس ومنطقة وسط إسرائيل التي تعرف باسم غوش دان. خلال ٤٨ ساعة كانت إسرائيل قد شنت نحو ٥٠٠ غارة على القطاع وطالت ٣٢٢ هدفًا ؛ حيث استهدفت البنى التحتية وشبكات الصرف الصحي والكهرباء

والاتصالات ، ودمرت ٥٥ منزلاً واستهدفت مقار جهاز الأمن والحماية وجهاز الأمن الداخلي. في يوم الأربعاء ٩ يوليو شنت الطائرات الإسرائيلية عدة غارات دمرت خلالها منازل من عائلة عابد وقديح والجاروشة، وسقط قرابة ١٦ قتيلا حتى الرابعة عصراً من بينهم ثلاثة من عائلة المناصرة ، وفي فترة الظهيرة اندلع حريق هائل في محيط مستوطنة "شاعر هنيغيف" جراء سقوط أحد الصواريخ ، وحاولت ٨ فرق إطفاء إخماد الحريق. في فجر يوم الأربعاء قصفت الطائرات الإسرائيلية منزلاً يعود لحافظ حمد، وهو أحد قيادات سرايا القدس في بلدة بيت حانون شمال قطاع، مما أدى إلى مقتل ٦ من أفراد عائلته. في صباح يوم الأربعاء أيضا قصفت كتائب القسام ولأول مرة مطار نيفاتيم العسكري بصاروخين من طراز إم٧٥ ويبعد المطار أكثر من ٧٠ كيلومتر. عند الساعة السادسة مساءً ألقى خالد مشعل خطاباً قال فيه إن الاتصالات من كل أنحاء العالم من أجل التهدئة ، وذكر بأن المقاومة رد فعل طبيعي على ما يقوم به نتنياهو من جرائم ، وقال أيضاً في خطابه "لن يطول الزمن حتى لن تجدوا فلسطينيا يرضى بأرض الـ٦٧ كدولة فلسطينية، غيروا قيادتكم".

في حوالي الساعة الثامنة مساء أعلنت إسرائيل أن القبة الحديدية اعترضت صاروخا واحدا اطلق من القطاع في غلاف مدينة ديمونة النووية ، وأعلنت كتائب القسام أنها قصفت المدينة بثلاثة صواريخ من طراز ام ٧٥ ، في اليوم التالي نشر المكتب الإعلامي لكتائب القسام فيديو لعملية القصف ، وقد اعترفت إسرائيل بسقوط أحد الصواريخ في فناء مدرسة بالمدينة.

مساء الأربعاء وخلال استعداد عدد من المواطنين لمتابعة إحدى مباريات مونديال كأس العالم في استراحة على شاطئ ساحل القرارة في خان يونس، تم استهدافهم بشكل مباشر حيث كان يتواجد فيه نحو ١٥ مواطنا من سكان المنطقة المجاورة ، وقد أدى القصف إلى استشهاد ١٠ مواطنين.

١٠ يوليو بعد منتصف الليل أعلن دبلوماسيون إن مجلس الأمن الدولي سيجتمع صباح يوم الخميس لبحث العمليات العسكرية المتصاعدة بين إسرائيل والفلسطينيين ، وذلك بعد أن دعت المجموعة العربية في الأمم المتحدة لعقد الاجتماع. وفي وقت لاحق من اليوم وصلت صواريخ المقاومة إلى مناطق البحر الميت وشمال تل أبيب ، وكذلك مستوطنات معاليه ادوميم وشور ادوميم، وأعلن عن مقتل مستوطن في مدينة أسدود ، وكذلك أعلن عن عدة إصابات في صفوف الجنود في أشكول وبئر السبع.

صباح الخميس أعلنت كتائب القسام أنها قصفت مطار ريمون العسكري لأول مرة بصاروخين من طراز ام ٧٥ والذي يبعد إلى ٧٠ كيلو متر عن القطاع .

بعد ظهر الخميس قصفت كتائب القسام مدينتي اللد والرملة لأول مرة بعشرة صواريخ من طراز "سجيل ٥٥" والذي يستخدم لأول مرة، وقد أعقب ذلك استنفار في مطار بن غوريون القريب من اللد.

١١ يوليو : فجر الجمعة بلغت حصيلة القتلى الفلسطينيين ومعظمهم مدنيين جراء قصف الطائرات الإسرائيلية إلى ٩٥ قتيلاً وأكثر من ٦٥٠ جريحاً، وقد استمر القصف فجر الجمعة حيث دمرت الغارات مبنى تابع لجمعية الصلاح الخيرية في دير البلح، ومشفى الوفاء للتأهيل الطبي ، وفي الجانب الإسرائيلي أصيب ثلاثة إسرائيليين أحدهما جراحه خطيرة، إثر سقوط صاروخ تابع لكتائب القسام على محطة وقود في مدينة أسدود ، وقد تبنت كتائب القسام قصف المدينة. أطلقت المقاومة نحو ١٥٠ صاروخا، وأصاب أحدها مطار بن غوريون وتسببت بحرائق ضخمة في أسدود ومستوطنة زيكيم.

صباح الجمعة استهدف الطيران الإسرائيلي منزل يعود لعائلة غنام في رفح بثلاث صواريخ ، والمبنى مكون من ٣ طوابق بثلاثة صواريخ دون سابق إنذار ، وأدى ذلك إلى مقتل ٥ مدنيين.

عصر الجمعة عقد رئيس الوزراء الإسرائيلي مؤتمراً صحفياً في مبنى وزارة الدفاع في تل أبيب وقال: إنه لن يرضخ لأية ضغوط دولية لوقف الحرب ، وحمل حركة حماس المسؤولية عن الأضرار التي تحدث في غزة ، وقال : إن استعادة الهدوء للشعب الإسرائيلي هو الأولوية الأولى بالنسبة له ، ولم يستبعد إمكانية توسيع الهجوم من هجمات جوية إلى حرب برية.

خلال المؤتمر الصحفي وبحدود الساعة ٦:٣٧ مساء قصفت سرايا القدس مدينة تل أبيب بصواريخ من طراز فجر ٥ ، وسقطت الصواريخ دون إطلاق صفارات الإنذار ، ولم تطلق خشية هروب نتنياهو على الهواء مباشرة إلى الملاجئ.

١٢ يوليو : كانت مجزرة حي الشيخ رضوان ، مجزرة عائلة البطش، فجر السبت استهدفت الطائرات الإسرائيلية جمعية "مبرة فلسطين" للمعاقين بالقرب من جامعة القدس شمال القطاع مما أدى إلى مقتل فتاتين ، وأصيب ٤ آخرين وتحول المكان إلى أنقاض.

شغلت إسرائيل بطارية صواريخ ثامنة تنتمي للقبة الحديدية لمواجهة صواريخ الفصائل الفلسطينية. ظهر السبت قصفت طائرة إسرائيلية

مجموعة مدنيين في حي الشيخ رضوان شمال شرق المدينة ، وأوقعت ٧ قتلى وأكثر من ١٠ جرحى.

بحدود الساعة الثامنة مساءً بثت كتائب القسام رسالة باللغتين العربية والعبرية عبر فضائية الأقصى تفيد بأنها ستقصف تل أبيب وضواحيها الجنوبية بعد الساعة التاسعة مساءً ، وأنها تدعو المواطنين لأخذ الحيطة والحذر ، وطالبت وسائل الإعلام بتغطية الحدث ، وبعد حوالي ساعة من الرسالة بث الإعلام الإسرائيلي بشكل مباشر وقائع الهجمات؛ حيث أظهر السكان وهم يهرعون إلى الملاجئ، قد أطلقت القسام ٤ صواريخ على الأقل من طراز جي ٨٠ محلية الصنع على منطقة تل أبيب وغوش دان.

وبالتزامن مع خروج المواطنين من صلاة التراويح قصفت الطائرات الإسرائيلية منزل اللواء تيسير البطش بصاروخين على الأقل، وأدى إلى مقتل ١٨ مدنيا فلسطينيا ، وقد جاءت المجزرة الإسرائيلية عقب تهديد وقصف كتائب القسام مدينة تل أبيب.

كتائب القسام كانت قد أعلنت في أنها تصدت لقوة بحرية إسرائيلية فجر اليوم حاولت التسلل عبر شاطئ منطقة السودانية شمالي القطاع ، واعترف الجيش الإسرائيلي بإصابة أربعة من جنوده في الاشتباك الذي قالت سرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي إن مقاتليها شاركوا فيه وقالت : إن النار اشتعلت في زورق حربي إسرائيلي شارك في العملية. قبل ظهر اليوم قصفت الطائرات منزل لعائلة الخطيب في مخيم النصيرات في المنطقة الوسطى ، وآخر في مخيم المغازي وسط القطاع، وثالث يعود لعائلة حميد في منطقة بئر النعجة شمال القطاع ، وقصفت كذلك شقة سكنية في أبراج الشيخ زايد شمال القطاع، ومنزلًا يعود لعائلة حبيب في حي الزيتون شرق مدينة، وأيضًا على موقع للمقاومة في مدينة خان يونس، وأراضي زراعية في بلدة القرارة شرق خان يونس.

١٣ يوليو: كمنت مجموعة من كتائب القسام لوحدة متسللة من كوماندوز بحري صهيونية في منطقة السودانية ، وفتحوا نيران أسلحتهم باتجاهها فور وقوعها في الكمين، موقعين في صفوف الوحدة الإسرائيلية إصابات محققة إلا أن إعلام الإسرائيلي اكتفى بالاعتراف بإصابة ٤ من جنوده في الاشتباك.

١٤ يوليو: مئات المدنيين نزحوا إلى مدارس وكالة الأونروا هرباً من القصف الإسرائيلي العنيف ، حتى العاشرة مساء كان هناك ١٤ قتيلا جلهم من المدنيين، ومع غروب الشمس دمر الجيش الإسرائيلي مقرا للأمن الداخلي في خانيونس ومقرا

لأمن الحماية.

كتائب عز الدين القسام أعلنت عن إرسالها طائرات بدون طيار أطلقت عليها أبابيل١ وحلقت إحداها فوق وزارة الدفاع الإسرائيلية ، في حين قال الجيش الإسرائيلي إن منظومة آرو حيتس المضادة للصواريخ البالستية اعترضت صباح اليوم طائرة بدون طيار أطلقتها المقاومة الفلسطينية من القطاع، وقد ذكر بيان القسام إن "طائراتنا قامت صباح اليوم بثلاث طلعات شاركت في كل منها أكثر من طائرة" مشيرة إلى أنه "فقد الاتصال مع طائرتين" بدون المزيد من التفاصيل وذكرت أن إحدى الطائرات رجعت بسلام ، وبثت قناة الجزيرة القطرية صورا حصرية لبعض المشاهد التي صورتها ، وقد تم إسقاط الطائرة على بعد نحو ثلاثين كيلومترا في العمق الإسرائيلي، حيث كشفت كتائب القسام في بيان أن مهندسيها طوروا ثلاثة نماذج من الطائرات دون طيار تحت اسم "أبابيل١" ، النموذج الأول A1A للمهام الاستطلاعية ، والثاني A1B للمهام الهجومية المتمثلة في إلقاء القنابل، والثالث A1C للمهام الهجومية الانتحارية.

في مساء الأثنين ١٤ يوليو نشرت وسائل الإعلام نص المبادرة المصرية لوقف اطلاق النار بين الفصائل وإسرائيل ، وسبقها بساعات حديث عن شروط التهدئة فقد ذكرت صحيفة يديعوت أحرونوت إسرائيل وحماس تطلبان العودة إلى تفاهمات ٢٠١٢، لكن حماس تقول إن إسرائيل لم تلتزم بها، كما تطلب فتح معبر رفح، لكن المصريين وضعوا شروطا على حركة حماس كتولي أمن السلطة من رام الله شؤون المعبر وألا يكون معبر رفح مفتوحا طول الوقت.

وافقت إسرائيل على المبادرة المصرية، وذكرت أنها ستوقف إطلاق النار التاسعة صباح اليوم التالي أي ١٥ يوليو ، ولكن حركة حماس قالت :إنها لم تتسلم أي مبادرات رسمية من أية جهة، وأعلنت فصائل المقاومة بعد ظهر الثلاثاء رفضها للمبادرة المصرية.

١٥ يوليو :كانت إسرائيل قد أعلنت قبولها لمبادرة مصرية تتعلق بالتهدئة والتي لم تعرضها على المقاومة ، وأعلنت إسرائيل أنها ستوقف إطلاق النار ابتداءً من التاسعة صباحاً، ولكن صفارات الإنذار لم تتوقف خلال الساعتين التاليتين لإعلان وقف اطلاق النار من اتجاه واحد وضرب أحد الصواريخ مدينة حيفا للمرة السادسة منذ بداية الحرب ، بحدود الساعة السابعة مساء أطلقت المقاومة عشرات الصواريخ على إسرائيل، وقتل جندي إسرائيلي إثر سقوط قذيفة هاون اطلقتها المقاومة على معبر بيت حانون.

١٦ يوليو : خلال الليلة الماضية دمر طيران جيش الاحتلال أكثر من ٣٠ منزلاً في أنحاء القطاع وأعقب ذلك أن تعرضت مدينة تل أبيب والمدن المحيطة بها لأعنف الهجمات الصاروخية منذ العدوان ؛ حيث سقط فيها أكثر من ٤٠ صاروخا في الفترة بين الصباح حتى الظهيرة. بعد العصر تعرض محيط مسجد الكتيبة في خان يونس إلى قصف طال المدنيين ، كما ارتكب الطيران الإسرائيلي مجزرة طالت مجموعة أطفال كان يلهون على استراحة الشراع ، والتي تقع على الشاطئ في منطقة الشيخ عجلين ، وجميعهم من عائلة "بكر" ، وفي مساء الأربعاء قرر الكابينت استدعاء ٨ آلاف جندي إضافة إلى ٤٠ ألف مجند احتياط تم استدعائهم منذ بداية الحرب .

١٧ يوليو: بعد منتصف ليلة الخميس استهدفت سلسلة غارات بيوت المدنيين في القطاع ومن بينها منزل وزير الداخلية السابق فتحي حماد ، ومنزل في حي النصر ، ومنزل لعائلة عقيلان في شارع المخابرات غرب المدينة ، ومنزل لعائلة أبو عجوة شرق حي الشجاعية ؛ كما قصفت الطائرات مركز البر والتقوى شمال رفح ، واستهدفت منزل القيادي في حركة حماس خليل الحية ومنازل تعود لعائلات اليازجي وحبيب ، كما دوت صافرات الإنذار قبل العاشرة صباحا في عسقلان وأسدود وتل أبيب وبئر السبع وبلدات أخرى في إسرائيل. وقام وفد الشاباك بقيادة يورام كوهين بالتوجه إلى القاهرة للتوصل إلى اتفاقية وقف اطلاق نار وصولا إلى التهدئة ، كانت وكالة فرانس برس وبي بي سي البريطانية نقلت عن مسؤول إسرائيلي عصر الخميس أنه تم التوصل لاتفاق سيدخل حيز التنفيذ صباح الجمعة إلا أن إسرائيل وحماس نفتا توصلهما لهدنة وقف اطلاق نار. مع انتهاء وقف النار عادت صافرات الإنذار لتدوي في مدينة بئر السبع، ومركز مدينة عسقلان، ومحيط بلدات المجلس الإقليمي لساحل عسقلان، في فترة المساء تم رصد واعتراض طائرة بدون طيار أطلقت من القطاع بصاروخ أرض جو باتريوت قرب مدينة عسقلان، وأعلنت كتائب عز الدين القسام في بيان لها إرسال طائرة بدون طيار باتجاه إسرائيل. بعد مطالبة الأمم المتحدة كلاً من إسرائيل والمقاومة بهدنة إنسانية لمدة خمس ساعات تبدأ في الساعة العاشرة من صباح الخميس ، وتنتهي الساعة الثالثة لتمكين توصيل الاحتياجات الإنسانية للسكان، وفور بدء سريان التهدئة بدت شوارع القطاع نابضة بالحياة بفعل ضجيج السكان ، الذي خرجوا للتزود بحاجياتهم ومستلزماتهم ولم يسجل أي خرق . بحدود الساعة ٠٥:٢٧ بالتوقيت المحلي تناقل الإعلام الإسرائيلي بأن

حدثاً امنياً يجري على الحدود دون أن يذكر التفاصيل، وبعد قرابة الساعة ذكر موقع رويتر العبري بأن مجموعة من المسلحين نجحت في التسلل لأشكول.

بعد استدعاء الكابينت لنحو ٨ آلاف جندي احتياط، أعلن الجيش الإسرائيلي عن بدء عملية برية تهدف إلى ضرب الإنفاق مع مصر ، وستعمل على منع اطلاق صواريخ حماس في اتجاه إسرائيل. عقب الإعلان عن العملية البرية ارتكبت المدفعية الإسرائيلية مساء الخميس مجزرة جديدة بحق أطفال من عائلة شحيبر في حي الصبرة جنوب غرب المدينة.

١٨ يوليو: منذ ساعات فجر الجمعة وحتى الساعة الواحدة ظهراً بالتوقيت المحلي أعلن عن

سقوط ٢٨ قتيلا من المدنيين من بينهم ٣ أطفال قتلوا بقصف إسرائيلي على أبراج الندى في بيت حانون ، كما سقط ٩ قتلى وعدة إصابات بالغة الخطورة في قصف استهدف منطقة القرارة شرق خانيونس، كما استهدفت طائرات الاحتلال برج الجوهرة وسط المدينة والذي يضم مكاتب إعلاميين وصحافيين. بحدود الساعة الثانية عشر أعلنت إسرائيل رسميًا مقتل رقيب وإصابة خمسة من الجنود اثنين منهم بحالة حرجة في الاشتباكات مع كتائب القسام قرب قرية أم النصر شمال القطاع

، بعد أن حاولت قوة إسرائيلية خاصة التسلل فجراً قرب موقع "عسقلان" التابع لكتائب القسام حيث نصب كميناً محكماً هناك يتكون من ٥ عبوات ناسفة وعدد من مقاتلي النخبة ، وأعلن في إسرائيل عن سقوط ٧٠ صاروخا حتى الساعة الثالثة عصراً.

١٩ يوليو : أعلن الناطق باسم وزارة الصحة ارتفاع عدد القتلى إلى ٣١٦ قتيلا وأكثر من ٢٣٠٠ جريحا منذ بدء العدوان الإسرائيلي على القطاع. صباح السبت أعلنت كتائب القسام تنفيذها عملية خلف خطوط قوات الجيش الإسرائيلي في المنطقة الوسطى من القطاع ، وشهدت منطقة اشكول والشوارع المحيطة بها توترا أمنيا لا سيما عسقلان تحسبا من عملية تسلل للمقاومة الفلسطينية.

مع دخول العملية البرية يومها الثالث نفذت المقاومة الفلسطينية عمليات وصفت بالنوعية، حيث أعلنت كتائب القسام بأن وحدات مختارة تتكون ١٢ مقاتلا تمكنت من التسلل صباحاً إلى موقع "أبو مطيبق" الإسرائيلي شرق المحافظة الوسطى وتمكنوا من إنزال خلف "خطوط العدو"، وتمكنوا من مهاجمة دورية مكونة من أربع جيبات ، وذكرت الكتائب أنها قتلت ستة جنود ، وفي فترة المساء تمكنت مجموعة أخرى من قوات

النخبة في كتائب القسام من التسلل عبر نفق في منطقة الريان في محيط صوفا ، وتمكنت من قتل ٥ جنود بالرصاص، ثلاثة منهم في الرأس واثنان في مناطق مختلفة من الجسم حسب ما ورد في بيان الكتائب الذي وزع على الإعلام ، سرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد أعلنت مسئوليتها عن تفجير عبوة أرضية شديدة الانفجار بدبابة إسرائيلية شمال مدينة بيت حانون شمال القطاع، وتفجير دبابة إسرائيلية ثانية في بيارة أبو رحمة ببيت حانون.

٢٠ يوليو : مركبة إسعاف الدفاع المدني الفلسطيني، تعرضت للتدمير بفعل القصف في حي الشجاعية. منذ فجر الأحد ٢٠ يوليو قصفت المدفعية الإسرائيلية بشكل عشوائي وعنيف حي الشجاعية. المقاومة الفلسطينية كانت قد خاضت معارك فجر الأحد شرق غزة ودمرت ناقلتي جند ودبابة من نوع ميركافا ، وقتلت ١٣ جنديا من لواء جولاني ، وأسرت الجندي شاؤول أرون ، وبعد إعلان كتائب القسام عن أسر الجندي عمّت احتفالات في القطاع ومدن الضفة الغربية.

وكالة الأونروا التابعة للأمم المتحدة تحدثت على أن هناك ٧٦٠٠٠ نازح جراء الحرب في قطاع وأن هنالك ٦٠ مدرسة تابعة للأونروا تعمل كملاجئ للطوارئ.

ووقعت قوة صهيونية خاصة في كمين محكم لكتائب القسام شرق جحر الديك، واشتبك المقاومون القساميون معها وجهاً لوجه، وأطلقوا تجاهها قذيفة RPG، ثم قاموا بالاشتباك مع قوة أخرى متحصنة داخل منزل بالجوار فأطلقوا تجاهها قذيفة RPG واشتبكوا معها بالأسلحة المتوسطة، ما أدى إلى اشتعال النيران في هذا المنزل، كما استهدفوا إحدى الدبابات المساندة، وقد أكدوا مقتل جنديين إسرائيليين وإصابة ٥ آخرين.

٢١ يوليو: فجر الأثنين تسللت قوة من كتائب القسام تتألف من ١٢ عنصرا عبر نفق أرضي قرب مستوطنة نيرعام شمال القطاع ، وكانوا يرتدون بزات وخوذات عسكرية ، واستدرجت مجموعة جنود وقتلتهم جميعاً ومن بينهم الكولونيل دوليف كيدار ، وبعد تنفيذ العملية ومع الانسحاب قصفت الطائرات الإسرائيلية المجموعة وقتلت ١٠ منهم ، وقد اعترف الجيش الإسرائيلي بمقتل ٧ جنود في هذا اليوم.

قصفت الطائرات الإسرائيلية بيتا لعائلة آل أبو جامع في محافظة رفح جنوب القطاع ، وسقط ٢٥ قتيلاً وعشرات الإصابات ، بعد الظهر قصفت الطائرات الإسرائيلية مستشفى شهداء الأقصى في دير البلح وسط القطاع .

٢٢ يوليو: صباح الثلاثاء اعترف الجيش

الإسرائيلي بأنه فقد أحد جنوده المشاركين في الهجوم

على قطاع . ٢٣ يوليو: فجر الأربعاء تعرضت مناطق شرق خان يونس ، وهي خزاعة وعبسان الجديدة وعبسان الشرقية للقصف جواً وبراً ، واضطر السكان للبقاء في منازلهم وهم يستنجدون لإخراجهم مع قتلاهم، وقد سقط في خزاعة أكثر من ٢٩ قتيلاً وأكثر من ٦٠ إصابة ولم تتمكن سيارات الإسعاف التابعة للصليب الأحمر والهلال الأحمر من دخول بلدة خزاعة بسبب نيران القناصين ، وحسب شهود عيان فإن جيش الاحتلال عمد إلى تدمير أكثر من ثلثي بلدة خزاعة التي يسكنها قرابة ١١ ألف نسمة. في حين فجّر مقاتلون من كتائب القسام عبوة ناسفة برميلية بقوة راجلة غرب كيسوفيم ، واشتبكوا معها ففرّت إلى أحد المنازل الذي كان مفخخاً، فقام القساميون بتفجيره مما أدى إلى انهياره على من فيه من الجنود ، وقد اعترف الجيش الصهيوني بمقتل ٣ جنود أحدهم ضابط ، وإصابة ١٥ آخرين ٣ منهم حالتهم خطرة.

٢٤ يوليو: قصفت المدفعية الإسرائيلية مدرسة تابعة للأونروا في بيت حانون وكانت المدرسة ملجأً لفلسطينيين نزحوا من منازلهم ، أدى القصف إلى مقتل ١٦ فلسطينيًا وجرح ٢٠٠ آخرين، وأكد المتحدث باسم الأونروا كريس غانيس أن المنظمة أعطت إحداثيات المدرسة مسبقًا للجيش الإسرائيلي كتدبير وقائي لمنع الإغارة عليها ، مضيفًا أن طلبًا قدم للجيش الإسرائيلي لفتح نافذة للمدنيين لمغادرة المدرسة ، لكن الطلب لم يوافق عليه ، المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي بيتر ليرنير كذّب كريس غانيس قائلًا : إن مهلة أعطيت من العاشرة صباحًا حتى الثانية بعد الظهر ، مضيفًا أنهم طلبوا من الأونروا إجلاء الناس منذ ثلاثة أيام المتحدث الإسرائيلي قال أيضًا إن الجيش "لا يعلم ما الذي سبب هذه المأساة"، لكنه أشار إلى أن "أجهزة الاستشعار" الإسرائيلية رصدت إطلاق حماس صواريخ ومقذوفات سقطت في بيت حانون.

أما مقاتلو كتائب القسام فتسللوا خلف القوات الصهيونية المتوغلة شرق حي التفاح وقتلوا ثمانية جنود من مسافة صفر ، ودمّروا ناقلة جند من نوع شيزاريت بقذيفة آر بي جي – ٢٩ ، وهاجمت مجموعة أخرى من القسام من قوات النخبة القسامية مجموعة من الآليات الصهيونية المتوغلة شرق حي القرارة بعبوتي شواظ، كما فجرت عبوة رعدية بقوةٍ راجلةٍ واشتبكت معها،

وقد أكدت القسام قتل خمسة جنود صهاينة .

٢٥ يوليو : غارة إسرائيلية استهدفت دراجة نارية

، وقصف مدفعي في خان يونس جنوب القطاع ،
أعلنت كتائب القسام عن مقتل ١٠ جنود إسرائيليين في كمين ببيت حانون بعد أن استدرجت قوة إسرائيلية خاصة إلى منزل في شرق بيت حانون ، وفجرته بعبوات ناسفة.
عقب صلاة الجمعة خرجت مسيرات في مدن الضفة الغربية ، وتحولت إلى مواجهات مع جيش الاحتلال الذي قتل خمسة فلسطينيين، ثلاثة منهم في محافظة الخليل واثنين في نابلس.
٢٦ يوليو (اليوم ٢٠للحرب) : في الساعة الثامنة صباحاً بالتوقيت المحلي بدأت هدنة تستمر لمدة عشر ساعات والتي وافقت عليها إسرائيل وحركات المقاومة .
منذ ساعات الفجر الأولى وحتى الساعة الثامنة صباحاً كثّف الجيش الإسرائيلي قصفه المدفعي والصاروخي ، فقد قصف الطيران منزل لعائلة النجار وسط مدينة خان يونس جنوب القطاع وسقط أكثر من ١٩ قتيلاً بينهم أطفال ونساء وعشرات الإصابات. خلال الهدنة الإنسانية تم انتشال أكثر من ١٣٢ جثة ، من بينها ٢٥ جثة في منطقة بيت حانون ، وبيت لاهيا شمال القطاع ونحو ٢٥ جثة من مناطق الشجاعية والزيتون شرقاً و١٣ جثة من مناطق وسط القطاع كالبريج ودير البلح والنصيرات و١٣ جثة من خان يونس ورفح.
وعلى الصعيد الدبلوماسي، شارك وزراء خارجية كل من الولايات المتحدة وقطر وتركيا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا وألمانيا وممثل للاتحاد الأوروبي في اجتماع في باريس سُمي "الاجتماع الدولي لدعم وقف إطلاق النار الإنساني في غزة ". حث بيان صادر عن الاجتماع إسرائيل والمقاومة الفلسطينية على إعلان هدنة جديدة مدتها أربع وعشرون ساعة قابلة للتمديد ، وبدء مفاوضات تؤدي إلى هدنة دائمة. وقد ذكر الناطق باسم الخارجية رومان نادال أن الاجتماع يهدف إلى دعم المبادرة المصرية، وأنه نظم بالتفاهم مع القاهرة، لكن مصر لم تكن من بين المشاركين في الاجتماع.
في حين نصبت مجموعة قسامية كميناً لقوة صهيونية راجلة في منطقة "كيسوفيم"، واشتبكت
معها من مسافة صفر، وقام الجيش الصهيوني بإطلاق القنابل الدخانية والنار بشكل كثيف للتغطية على إخلاء القتلى والجرحى من جنوده ، وقد اعترف الجيش الصهيوني بمقتل جنديين وإصابة آخرين.
٢٧ يوليو: هو اليوم الواحد والعشرين للحرب على القطاع ، ارتفع عدد الشهداء خلاله إلى ١٠٣١ فلسطينياً، منهم ٢٠٨ طفلًا و٨٢ سيدة و٤٠

مسنا، فيما جرح ما يزيد عن ٦٠٠٠ فلسطيني ١٥٦١ طفلا و١٠١٢سيدة و٢٠٣ مسنين. قصفت طائرات الاحتلال مقر مرئية الأقصى وسط المدينة ، كما واصلت إسرائيل قصفها على مركز الخدمات الطبية واستهداف محيط مستشفى الوفاء شرقي المدينة كما انهالت إسرائيل بقذائفها على أبراج الندى ، وشكلت بالصواريخ لوحة فنية من الدمار في هذه الأبراج وحولتها إلى خراب ودمار ولا تصلح للعيش.

٢٨ يوليو : دكت مدفعية كتائب القسام تجمعاً لجنود الاحتلال شرق خزاعة بعد رصد تقدمه للمنطقة بالهاون الثقيل، فسقطت القذائف على تجمعٍ للجنود لا يقل عددهم عن ٧٠ ، وقد أعترف الجيش الإسرائيلي بمقتل ٦ من جنوده وإصابة آخرين بجراحٍ بالغة رغم تعتيمه الإعلامي. كما شنت طائرات الاحتلال مئات الغارات الجوية المكثفة على كافة مناطق القطاع مترافقًا مع قصف مدفعي ، طواقم الإسعاف والصليب يتمكنان من دخول خزاعة لأول مرة منذ عدة أيام من الحرب على المنطقة ، رغم احتجازه لسيارة تتبع للدفاع المدني الفلسطيني .

٢٩ يوليو: يوم الثلاثاء كان أكثر أيام الحرب دموية، فقد بلغ عدد الشهداء ١٤٠ ، جاء ذلك بعد عمليات الإنزال (عملية ناحل عوز) التي قامت بها كتائب القسام فجر اليوم خلف خطوط العدو وقتلت العشرات من جنود الاحتلال ، وتم تصوير العملية، وجن جنون الجيش الإسرائيلي ، وبدأ يقصف بقوة فقصف المساجد والمدارس، وفي المساء جاءت كلمة القائد محمد الضيف مرفقة بتصوير لعملية الاقتحام والتسلل خلف خطوط الجيش الإسرائيلي.

٣٠ يوليو: واصل الجيش الصهيوني قصفه للمدنيين حتى طال قصفه المساجد ومدارس الأونروا ، سقط هذا اليوم ١٢٩ قتيلًا فلسطينيًا وأكثر من ٤٠٠ جريح. ورداً على المجازر التي تحدث قامت كتائب القسام الجناح العسكري لحركة حماس بتفجير عربة من نوع "أمولوسيا" ـ المحملة بالمواد السائلة المتفجرة ـ بصاروخ كورنيت أدى ذلك لإبادة جميع من كان حول العربة من جنود وضباط إسرائيليين بالتزامن مع اندلاع نار بمساحة ضخمة. ، واستدرج مجاهدو القسام وحدةٍ صهيونية إلى مبنى مفخخ بـ(١٢) عبوة برميلية في منطقة الفراحين شرق خان يونس ، ثم تم تفجير المبنى، وقد اعترف العدو بوقوع ٢٠ من جنوده بين قتيل وجريح ، وسحبت إسرائيل قواتها المتمركزة على حدود القطاع إلى مواقع خلفية بهدف إبعادها عن مرمى قذائف الهاون التي تطلقها المقاومة الفلسطينية، وجاء هذا القرار بعد

تعرض مواقع تجميع الدبابات وقوات الاحتياط لهجوم بقذائف الهاون الاثنين الماضي .

٣١ يوليو: كمنت مجموعة من قوات النخبة القسامية لقوة صهيونية خاصة قرب مسجد الفردوس شرق حي التفاح ، وخاضت معها اشتباكاً عنيفاً، ثم هاجمت قوة خاصة كانت تتحصن في أحد المنازل بالمنطقة ، وأجهزت على ٣ من جنود الاحتلال .

١ أغسطس: جرى الاتفاق على هدنة تدوم ٧٢ ساعة بدءًا من الثامنة صباحًا وتقرر بقاء القوات في أماكنها أثناء هذه الهدنة ، اتهمت إسرائيل حماس بقتل جنود وخطف آخر ، في اليوم التالي ردت كتائب القسام ببيان جاء فيه أنه لا علم لها بموضوع الجندي المخطوف أو مكان وظروف اختفائه ، وجاء في البيان: "لقد فقدنا الاتصال بمجموعة المجاهدين التي تواجدت في كمين نصبوه لجنود الاحتلال أثناء توغلهم ليلا شرقي رفح، ونرجح أن جميع أفراد هذه المجموعة قد استشهدوا في القصف الصهيوني، فيما قتل معهم الجندي الذي يتحدث العدو عن اختفائه ، على افتراض أن هذه المجموعة من مقاتلينا قد أسرت هذا الجندي أثناء الاشتباك."

٢ أغسطس: المقاومة تقوم بعمليات نوعية وعمليات إطلاق صواريخ مختلفة الأنواع على وسط وجنوب فلسطين المحتلة رداً على المجازر الإسرائيلية المتواصلة في القطاع . حتى هذا اليوم تم إطلاق أكثر من ٣٠ ألف قذيفة مدفعية إسرائيلية على القطاع وأكثر من ٤٠٠٠ غارة جوية منذ بدء الحرب ، والقبة الحديدية تعترض ٥٠٠ صاروخ ، ونظام معطف الريح يعترض ١٠ صواريخ موجهة للدبابات. وسامي أبو زهري يعلن أن الوفد الفلسطيني يغادر للقاهرة دون مشاركة بسبب الوضع الأمني.

٣ أغسطس: ارتقاء عشر شهداء في مجزرة ضد عائلة الغول بمدينة .

٦ أغسطس: ولليوم الثاني على التوالي للتهدئة المتفق عليها منذ صباح أمس لمدة ٧٢ ساعة ، تواصل أعداد كبيرة من النازحين العودة إلى مناطقهم المدمرة ، ويترقبون جهود إعادة إعمار القطاع ، وبناء البنية التحتية وتوفير مقومات الحياة والصمود من كهرباء ومياه وصرف صحي وكذلك توفير مساكن مؤقتة، وانشغل عشرات المواطنين بتشييع شهدائهم الذين تم انتشالهم يوم أمس من تحت ركام المنازل .

وكان حوالي ٤٧٥ ألف مواطن قد نزحوا من أماكنهم ، منهم حوالي ٢٥٤ ألفًا نزحوا إلى مدارس وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين أونروا.

٢٠ أغسطس: محاولة إسرائيلية فاشلة لاغتيال محمد الضيف قائد كتائب القسام، والقسام تصدر بيانا تؤكد فيه تحذير شركات الطيران من استخدام مطار بن غوريون، وتحذر المستوطنين في محيطه من استهداف أماكن تواجدهم.

٢٤ أغسطس: دكت مدفعية كتائب القسام بعد الرصد والمتابعة مبنى الاستخبارات الصهيوني بموقع معبر إيرز فور دخول مجموعة من الجنود والضباط الصهاينة إليه ما أدى إلى وقوع عددٍ كبيرٍ من الجنود بين قتيلٍ وجريحٍ، فيما اعترف الجيش الإسرائيلي بإصابة ٦ من جنوده ٣ منهم بحال الخطر رغم التكتيم الإعلامي، كما أدى القصف لاشتعال النار وانقطاع الكهرباء عن المكان.

٢٤ أغسطس: بعد رصد كتائب القسام رئيس أركان الاحتلال آنذاك وقائد اللواء الشمالي ٤٠١ وقائد فرقة والناطق باسم الجيش الإسرائيلي أثناء زيارتهم لناحل عوز، استهدفت مدفعية القسام المكان بعدد من قذائف الهاون مما أدى إلى فرارهم مذعورين بعد سقوط القذائف قرب منطقة تواجدهم . استخدمت كتائب القسام لأول مرة صاروخ محلي الصنع أطلقت عليه اسم آر١٦٠ ويصل مداه ١٦٠ كيلومتر ؛ حيث ضرب مدينة حيفا في ٨ تموز، كما أعلن عن صاروخ من طراز ج٨٠ ، وهو نوع جديد يصل إلى مدى ٨٠ كيلو متر ، كما استخدمت سرايا القدس لأول مرة صاروخ من نوع براق ٧٠ والذي سقط في مدينة تل أبيب والمفاجئة الأكبر كانت باستخدام صاروخ من نوع إم-٣٠٢ حيث يصل إلى ١٥٠ كيلومترا وقد سقط في منطقة الخضيرة، وتعتبر إسرائيل هذا النوع يهدد مناطق القدس وتل أبيب وأجزاء من منطقة الشمال وحقول الغاز في البحر.

في ١٤ يوليو ذكرت كتائب القسام أنها سيرت أكثر من طائرة بدون طيار نحو عمق إسرائيل، وأصدرت الكتائب بياناً كشفت فيه عن تصنيعها طائرات بدون طيار أطلقت عليها اسم أبابيل١ وذكرت أنها أنتجت ٣ نماذج. وفقًا لكبير المراسلين الدوليين لسي إن إن بين ويديمان، قال : تختلف هذه العملية عن سابقتها التي تمت أواخر ٢٠٠٨ ومطلع ٢٠٠٩ حيث أن الهجمات الحالية تركزت على مناطق ذات كثافة سكانية عالية مثل حي الشجاعية ، أما السابقة فاستهدفت مناطق إطلاق الصواريخ ، ويضيف بين ويديمان اختلاف آخر هو تطور قدرات مقاتلين حماس الذين أصبحوا "أكثر تدريبا واكتسبوا مهارات جديدة لم تتوقعها إسرائيل".

كان واضح منذ اليوم الأول من الحرب على استهداف الطائرات الإسرائيلية لمنازل المدنيين بقصد تدميرها كإجراء عقابي وكتحريض السكان

ضد حركات المقاومة ، إحدى هذه الغارات استهدف بيت يعود لعائلة كوارع في مدينة خان يونس وأدى إلى مقتل سبعة أشخاص ، وأصيب ٢٨ شخصا ، بينما قتل ٦ مدنيين جراء استهداف منزل يعود لعائلة حمد في بلدة بيت حانون.

قال وزير الخارجية الألماني فرانك فالتر: إن إسرائيل لديها الحق في الدفاع عن مواطنيها من الصواريخ التي تطلق من القطاع . دانت المتحدثة باسم وزارة الخارجية الإيرانية مرضية أفخم بشدة الاعتداءات الصهيونية على القطاع ، وقالت: قتل الفلسطينيين الأبرياء بذريعة اختطاف ثلاثة مستوطنين للكيان الصهيوني واهية ، وأضافت أن استشهاد الفتى الفلسطيني في القدس

دليل على عجز الكيان الصهيوني أمام مقاومة وصمود الشعب الفلسطيني البطل.

دانت الحكومة الأردنية بشدة العملية العسكرية الإسرائيلية والتي تؤدي إلى مقتل الكثير من الفلسطينيين، مطالبة إسرائيل بوقف "الاعتداء الوحشي" فوراً. قالت الخارجية الجزائرية يوم الثلاثاء، إن صمت المجتمع الدولي "شجع إسرائيل على المضي في سياستها التوسعية والإجرامية في الأراضي الفلسطينية المحتلة". وقال بيان للخارجية الجزائرية عقب الهجوم الإسرائيلي : "هذه الهجمات الشرسة لم يكن لها أن تبلغ هذا المستوى من الترهيب للفلسطينيين والتضييق على أبسط حرياتهم لولا الصمت المذنب للمجتمع الدولي الذي شجع الاحتلال على التمادي في سياسته التعسفية، التوسعية والإجرامية". دعت الحكومة البريطانية الفلسطينيين والإسرائيليين إلى بذل ما في وسعهم لضبط النفس وتجنب سقوط المزيد من الضحايا الأبرياء، وقال وزير الخارجية البريطاني ويليام هيغ في بيان صحفي: "إنني أشعر بقلق عميق حيال تصاعد حدة أعمال العنف في كل من القطاع وجنوب إسرائيل مؤخرا".

أدان البيت الأبيض إطلاق الصواريخ على إسرائيل والتي وصلت إلى مدينة تل أبيب وعبر عن تأييده لحق إسرائيل في الدفاع عن نفسها من الاستهداف المتعمد للمدنيين من جانب "منظمات إرهابية" .

قال رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان : إن النهج الذي تتبعه إسرائيل تجاه الفلسطينيين لا يختلف عن عقلية الزعيم الألماني الراحل أدولف هتلر، متهما تل أبيب بارتكاب "فظائع وحشية ممنهجة"، وانتقد أردوغان المجتمع الدولي بسبب ما وصفه بـ"التراخي" في إيقاف الاعتداءات الإسرائيلية، وتابع : "المجتمع الغربي والمجتمع الدولي يتجاهل مأساة فلسطين منذ عام ١٩٤٨".

وأعلنت الخارجية السورية في بيان، أن "إسرائيل قامت بتصعيد عدوانها الوحشي على الشعب العربي الفلسطيني، وذلك عندما سمحت الحكومة الإسرائيلية لعصابات المستوطنين باختطاف طفل فلسطيني وحرقه وهو حي" ، ودانت "صمت مجلس الأمن وما يسمى الجامعة العربية غير المبرر، على هذه الجرائم المستمرة ضد الشعب الفلسطيني الشقيق"، وطالبت "مجلس الأمن والمجتمع الدولي بوقف العدوان الإسرائيلي، الذي يهدد الأمن والسلم في المنطقة". قال الرئيس الفنزويلي نيكولاس مادورو : إن حكومة بلاده تدين بشدة الرد العسكري الجائر وغير المتناسب من قبل دولة إسرائيل غير الشرعية ضد الشعب الفلسطيني البطل". قال رئيس الوزراء الكندي ستيفن هاربر "إن بلاده تقف حتى النهاية مع إسرائيل وتدعمها في حربها على القطاع "، وأضاف في بيان صحفي : إن القوات الفلسطينية تطلق الصواريخ باتجاه إسرائيل، بدون التفريق بين مدني وعسكري، قائلاً: "قولاً واحداً هذه أعمال إرهابية"، وأشار إلى أن "حماس تستخدم المدنيين دروعاً بشرية في القطاع ، وأن على المجتمع الدولي ألا يدين ما تقوم به إسرائيل من هجمات على الإرهابيين" على حد زعمه ، لافتاً أن كندا تدعو جميع حلفائها للوقوف بجانب "إسرائيل" في الحرب التي تخوضها ضد حماس التي تقتل المدنيين العزل ، كما زعم.. إنه الحقد الصليبي المتوارث !

قتلت القوات الإسرائيلية ثلاثة قادة من القسام في العشرين من آب ، نشرت صحيفة "يديعوت أحرنوت" على موقعها الإلكتروني : كيف تم اغتيال قادة القسام الثلاثة في رفح ؟ رائد العطار ومحمد أبو شمالة ومحمد برهوم .

فجر اليوم ٢٠ آب في مدينة رفح ، مشيرة الجريدة إلى أن غرفة القيادة المتقدمة لعمليات التصفية الخاصة في جهاز "الشاباك" في تل أبيب قد حبست أنفاسها الأخيرة في تمام الساعة الثانية والنصف فجراً عند سقوط أول صاروخ على منزل كان بداخله رائد العطار ومحمد أبو شمالة ومحمد برهوم الذين ارتقوا شهداء . وقالت الصحيفة : عملية الاغتيال التي وصفت بالأنجح منذ عملية اغتيال رئيس هيئة أركان حماس السابق أحمد الجعبري مع بداية عدوان "عامود السحاب" في نوفمبر ٢٠١٢م. وتشير الصحيفة إلى أن سلاح الجو الإسرائيلي قد تمكن من إطلاق عدة قنابل أو صواريخ يزن الواحد منهم نحو طن من المتفجرات تجاه مبنى لأحد ناشطي حركة حماس برهوم في منطقة تل السلطان برفح ، حيث كان قد وفر مكاناً لاختفاء ٣ من هيئة أركان حركة حماس ، أبرزهم قائد لواء رفح رائد العطار ، وقائد

المنطقة الجنوبية للقسام محمد أبو شمالة. ووفقاً لما جاء في الصحيفة فإن نائب رئيس الشاباك كان متواجداً بنفسه في غرفة القيادة المتقدمة في مدينة تل أبيب ، كما أنه قاد عن قرب العملية وذلك بتوجيه مباشر من رئيس جهاز الشاباك "يورام كوهين" والذي أعطى الضوء الأخضر لقيادة المنطقة الجنوبية وسلاح الجو في جيش الاحتلال بتنفيذ العملية. ووصفت الصحيفة ؛ كما نقلنا تقريرها في اغتيال الجعبري : أن عمليات مراقبة العطار وأبو شمالة قد استمرت لعدة أشهر ، وتم التركيز عليهم منذ بداية عدوان الجرف الصامد ، إلا أن الجيش خلال الحرب لم يتمكن من العثور عليهم طيلة أيام المعركة وذلك بسبب انعدام المعلومات الاستخباراتية الكاملة. وبحسب الصحيفة فإن المعلومة حول مكان قادة القسام في رفح قد وصلت إلى مقر قيادة الشاباك من خلال أسطوانة بداخلها صورة للمكان الذي تم استهدافه، وتم عرض تلك الصورة على شاشات كبيرة من أجل توضيح المنطقة المتواجد فيها المستهدفين في رفح. ومن ثم ترجم ممثلو قسم العمليات في الشاباك الجهود الاستخباراتية لعملية هجومية على أرض الواقع من خلال شن هجوم ضخم على المبنى الذي يتواجد فيه قادة القسام ، وكانوا قد قرروا استخدام أي سلاح أو صواريخ من أجل إنجاح هذه العملية، بغض النظر عن حجم وكمية المواد المتفجرة. كانت الخيانة من عميل فلسطيني ، قتلته عائلته لما ثبت دوره وخيانته في مد العدو بوجود القادة الثلاثة في المكان

وهج الحرب على غزة



شن الجيش الإسرائيلي في الأعوام الثمانية الماضية ، ثلاث حروب ضد قطاع غزة، لأهداف قالت إسرائيل إنها تتعلق بوقف الهجمات الصاروخية تجاه بلداتها، وتدمير قدرات المقاومة الفلسطينية التي تعرض أمنها للخطر. ولم يتحقق أي هدف منها!

الحرب الأولى (٢٠٠٨)

حرب استمرت لـ ٢١ يوما ، في ٢٧ ديسمبر/ كانون الأول ، لعام ٢٠٠٨، شنت إسرائيل حرباً على قطاع غزة، أسمتها "الرصاص المصبوب"، فيما أطلقت عليها حركة المقاومة الإسلامية حماس اسم "حرب الفرقان". وكانت تلك "الحرب"، هي الأولى التي تشنها إسرائيل على قطاع غزة أثناء سيطرة المقاومة على حكم غزة

، وانتهت المعركة في ١٨ يناير/ كانون ثاني ٢٠٠٩ اليوم الأول للحرب شنّت فيه نحو ٨٠ طائرة حربية إسرائيلية سلسلة غارات على عشرات المقار الأمنية والحكومية الفلسطينية التي كانت تسيطر عليها حركة حماس في آن واحد ، أسفر القصف الغادر عن مقتل ما يزيد عن٢٠٠ فلسطيني بالهجمة الجوية الأولى، وغالبيتهم من عناصر الشرطة.

وبعد مرور ثمانية أيام على قصف الجيش الإسرائيلي المكثف ، اتخذت الحكومة الإسرائيلية قرارًا بشن عملية عسكرية برية على قطاع غزة، بمشاركة سلاح المدفعية وجنود المشاة والدبابات.

واستخدمت إسرائيل، أسلحة غير تقليدية ضد الفلسطينيين العزل كان أبرزها قنابل الفسفور الأبيض، واليورانيوم المخفف المخصب ، الذي ظهر على أجساد بعض القتلى، وفق تقارير صادرة عن خبراء ومراكز حقوقية ومؤسسات أوروبية وعالمية.

وأعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك أيهود أولمرت، عن وقف إطلاق النار من جانب واحد دون الانسحاب من قطاع غزة، ، تلاه في اليوم التالي إعلان الفصائل الفلسطينية هدنة لمدة أسبوع، كمهلة لانسحاب الجيش الإسرائيلي من القطاع. وقالت تقارير دولية إن الجيش الإسرائيلي ألقى في الحرب الأولى قرابة "مليون" كيلوجرام من المتفجرات على قطاع غزة.

وبحسب مؤسسة "توثيق"، فقد هدمت إسرائيل في تلك الحرب أكثر من (٤١٠٠) مسكن بشكل كلي، و(١٧٠٠٠) بشكل جزئي. وبلغت خسائر الحرب الاقتصادية في قطاع غزة أكثر من "مليار" دولار أمريكي، حسب "توثيق".

وبحسب إحصاءات لجنة توثيق الحقائق التابعة للحكومة الفلسطينية (حكومة حماس) والجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (حكومي)؛ فقد أدت عملية "الرصاص المصبوب"، إلى مقتل أكثر من ١٤٣٦ فلسطينيًا بينهم نحو ٤١٠ طفلا و١٠٤ نساء ، ونحو ١٠٠ مسن، وإصابة أكثر من ٥٤٠٠ آخرين نصفهم من الأطفال.

وقد رفضت تركيا الحرب الإسرائيلية، ووصفتها بالعدوان على قطاع غزة. وحمّل رجب طيب أردوغان (رئيس الحكومة في ذلك الوقت) إسرائيل المسؤولية الكاملة عن اندلاع المعارك.

كما شن أردوغان هجوماً لاذعاً على قادة إسرائيل الذين، قال إنهم "يستهدفون تحقيق مكاسب انتخابية من جراء عدوانهم الوحشي ، والذي

سيظل عاراً يلاحقهم". وعقب انتهاء الحرب، وبّخ أردوغان، الرئيس الإسرائيلي شمعون بيرس، خلال جلسة، جمعتهما في مؤتمر دافوس نهاية شهر يناير/ كانون ثاني ٢٠٠٩، حيث اتهم إسرائيل بقتل الأطفال والنساء، قبل أن ينسحب من الجلسة. وعقب الحرب، قدّمت الحكومة والمؤسسات الإنسانية التركية، مساعدات كبيرة إلى قطاع غزة ، وبدأت عدة منظمات خيرية ، بافتتاح مقرات دائمة لها، أبرزها وكالة التعاون والتنمية التركية "تيكا" ، ومؤسسة الهلال الأحمر التركي وهيئة الإغاثة الإنسانية التركية .

الحرب الثانية (٢٠١٢)

حرب استمرت لمدة ٨ أيام ، في الـ ١٤ من نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٢، شنت إسرائيل حرباً ثانية على قطاع غزة، أسمتها "عامود السحاب"، فيما أسمتها حركة حماس "حجارة السجيل"، وبدأت الحرب عقب اغتيال إسرائيل، لأحمد الجعبري، قائد كتائب عز الدين القسام ، الجناح العسكري لحركة حماس، في اليوم نفسه، تنفيذاً لقرار اللجنة الوزارية المصغرة للشؤون الأمنية الإسرائيلية (كابينت)، الذي اتخذته سراً في صبيحة اليوم السابق، على الرغم من التوصل إلى مسودة اتفاق تهدئة مع المقاومة بوساطة مصرية آنذاك.

وأسفرت تلك العملية العسكرية التي أطلقت عليها المقاومة الفلسطينية اسم معركة "حجارة السجيل"، عن مقتل ١٦٢ فلسطينيًا بينهم ٤٢ طفلاً و١١ سيدة ، وإصابة نحو ١٣٠٠ آخرين بحسب وزارة الصحة الفلسطينية، فيما قتل ٢٠ إسرائيليًا ، وأصيب ٦٢٥ آخرين، معظمهم بـ"الهلع"، بحسب وسائل إعلام إسرائيلية. وهدمت إسرائيل ٢٠٠ منزل بشكل كامل، خلال هذه العملية، ودمرت ١٥٠٠ منزل بشكل جزئي، إضافة إلى تضرر عشرات المساجد وعدد من المقابر والمدارس والجامعات والمباني والمؤسسات والمكاتب الصحفية.

وقال الجيش الإسرائيلي إنه استهدف ٩٨٠ منصة صاروخية موجهة تحت الأرض، و١٤٠ نفقًا أرضيًا لتهريب البضائع والأفراد ، و٦٦ نفقًا للمقاومة الفلسطينية، إضافة إلى استهداف ٤٢ غرفة عمليات تابعة لـ"حماس" و٢٦ موقعا لتصنيع الصواريخ والقذائف المحلية.

وأعلنت كتائب القسام حينها تمكنها من ضرب مواقع وبلدات إسرائيلية بـ ١٥٧٣ قذيفة صاروخية ، واستهدفت طائرات وبوارج حربية ومدفعيات إسرائيلية، واستخدمت لأول مرة صواريخ بعيدة المدى وصلت إلى "هرتسيليا" وتل أبيب والقدس المحتلة.

الحرب الثالثة (٢٠١٤)

في الثامن من يوليو/ تموز ٢٠١٤، شنت إسرائيل حربها الثالثة على قطاع غزة، أسمتها "الجرف الصامد"، فيما أطلقت عليها حركة المقاومة الإسلامية (حماس) اسم "العصف المأكول". وكانت تلك "الحرب"، هي الثالثة التي تشنها إسرائيل على قطاع غزة، واستمرت "٥١" يوما، (انتهت في ٢٦ أغسطس/ آب ٢٠١٤).

وعلى مدار "٥١ يومًا" تعرض قطاع غزة، الذي يُعرف بأنه أكثر المناطق كثافة للسكان في العالم ، (١,٩ مليون فلسطيني) لعدوان عسكري إسرائيلي جوي وبري، تسبب بمقتل ٢٣٢٢ فلسطينيًا، بينهم ٥٧٨ طفلاً أعمارهم من شهر إلى ١٦ عاما ، و٤٨٩ امرأةً ، و١٠٢ مسنً ، بحسب وزارة الصحة الفلسطينية. وجرح نحو ١١ ألف آخرين ، وفقا لإحصائيات صادرة عن وزارة الصحة الفلسطينية. وارتكبت إسرائيل مجازر بحق ١٤٤ عائلة، قُتل من كل عائلة ثلاثة أفراد أو أكثر، بحسب التقرير. في المقابل، كشفت بيانات رسمية إسرائيلية عن مقتل ٦٨ عسكريًا من جنودها، و٤ مدنيين ، إضافة إلى عامل أجنبي واحد، وإصابة ٢٥٢٢ إسرائيلياً بجروح، بينهم ٧٤٠ عسكريًا، حوالي نصفهم باتوا معاقين، بحسب بيانات عبرية.

وشنت القوات الإسرائيلية قرابة ٦٠ ألف و٦٦٤ غارة على قطاع غزة، جواً وبراً وبحراً. وحسب إحصائية أعدتها وزارة الأشغال ووكالة غوث وتشغيل اللاجئين (أونروا) بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، فإن عدد الوحدات السكنية المهدمة كلياً بلغت ١٢ ألف وحدة ، فيما بلغ عدد المهدمة جزئياً ١٦٠ ألف وحدة ، منها ٦٦٠٠ وحدة غير صالحة للسكن. وبحسب "الأونروا"، فإن مخلفات الحرب القابلة للانفجار، لا تزال تشكل تهديدا كبيرا ومستمرا للمدنيين ، ولعمليات إعادة الإعمار في غزة.

ووفق بيانات للأمم المتحدة، فإن مراكز الإيواء التابعة لـ "أونروا" استطاعت استيعاب ثلاثمائة ألف نازح ، في أكثر من واحد وتسعين مدرسة، ومنشأة تابعة للمنظمة الأممية، بفعل الحرب.

وخلال الحرب أعلنت كتائب القسام الجناح المسلح لحركة "حماس" في ٢٠ تموز ٢٠١٤ عن أسرها الجندي الإسرائيلي شاؤول آرون.

وتعهدت دول عربية ودولية في أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٤ بتقديم نحو خمسة مليارات ونصف دولار أمريكي، نصفها تقريباً تم تخصيصه لإعمار غزة ، فيما النصف الآخر لتلبية بعض احتياجات الفلسطينيين، غير أن إعمار القطاع، وترميم ما

خلّفته الحرب، يسير بوتيرة بطيئة عبر مشاريع خارجية بينها أممية، وأخرى قطرية، وتركية.

وخلال ٥١ يومًا من الحرب، قدّرت وزارة الاقتصاد الفلسطينية الخسائر الإجمالية المباشرة وغير المباشرة ، في المباني والبنية التحتية ، وخسائر الاقتصاد الوطني في قطاع غزة بكافة قطاعاته بـ ٥ مليارات دولار تقريبًا. ولحق الضرر ٥٠٠ منشأة اقتصادية من المنشآت الكبيرة والاستراتيجية والمتوسطة والصغيرة. ووفق وزارة الزراعة ، فإن الحرب ، تسببت بخسائر في القطاع الزراعي، وصلت ٥٥٠مليون دولار

وتقول وزارة الأوقاف : إن إسرائيل دمرت خلال العدوان ٦٤ مسجدا بشكل كلي، إضافة إلى تضرر ١٥٠ مسجدًا بشكل جزئي. واستهدفت الطائرات الإسرائيلية أكثر من ٢٠ مستشفىً ومركزًا صحياً، بحسب وزارة الصحة. ووفق نقابة الصيادين ، فإن نحو ٤ آلاف صياد يعيلون أكثر من ٥٠ ألف نسمة، تعرضوا لخسائر فادحة طيلة العدوان، تجاوزت ٦ ملايين دولار.

وفي ٢٦ أغسطس/ آب ٢٠١٤، توصلت إسرائيل والفصائل الفلسطينية في قطاع غزة، برعاية مصرية ، إلى هدنة أنهت حرب الـ"٥١" يوماً، وتضمنت بنود الهدنة استئناف المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية غير المباشرة في غضون شهر واحد من بدء سريان وقف إطلاق النار.



مغادرة عمان

أصبح جهاد دكتورا في القانون منتصف تموز ـ أثناء العدوان الثالث على القطاع ـ واستعد للعودة للوطن ، فتم تسليم الفيلا لمالكها ، وانتقل للفندق يقضي فيه ما تبقى من ليال له في عمان ترك مهمة التصرف في الأثاث لزميله المهندس محسن وشقيقه محمود مدير متجر السراميك ، وقال : حقيقة يا محسن كنت نعم الأخ لي خلال هذه الغربة ، وقد هونتها عليّ ، فقد ظفرت بأخ لم تلده أمي .. فلك جزيل الشكر ، وأتمنى أن ألقاك ضيفا في بعنبس .. هذا الأثاث كله تصرفا فيه ، خذا ما يلزمكما منه ، وتصدقا بما لا يلزمكم ، وسيارة جنة هدية لأختكم الفاضلة أم يوسف وسيارتي لك أو بعها لن آخذ معي شيئا لبلدي .. علينا أن نذهب لدائرة السير حتى تصبح السيارة لك بعون الله ، وسيارة جنة مسجلة باسم أختك اعتقد لا تحتاج لنقل ملكية .

قال محسن: نحن فعلنا ذلك ؛ لأن الوقت لكما كان قصيرا .

قال جهاد: مبارك على الجميع ، وسأمر على الوالد الفاضل ابن البلد أودعه وأمك .. رتب لنا ذلك يا أبا صهيب ! وسيستمر تواصلنا ما دمنا أحياء ،

وبلادنا ترحب بكم .

قال محسن: إن شاء الله.. أنا ومحمود نزوركم !

قال جهاد: أهلا بكما في أي وقت ، واذا فكرت أنت وشقيقك يوما ما بامتلاك المتجر كاملا سأبيعكما حصتي دون تردد بعون الله ، وكذلك مصنع الخزائن .

قال محسن : حقيقة أنا عاجز عن شكرك وكرمك خلال هذه السنين العجيبة من حياتي!

قال جهاد: الخير كثير يا أخ محسن ويا محمود ! الله أكرمنا ، وعلينا أن نكرم الأصدقاء والناس أنا تركت مبلغا في حسابك هبة لك وللوالد الطيب .. أرجوك لا تعترض .. أنا ذكرت ذلك حتى لا تتشوش عندما يخبرك البنك به والأخ محمود هديته في هذا المغلف ـ ودفع إليه مغلفا بالمال ـ والله يا إخوان نحن نخرج زكاة كبيرة ، لم نكن نحلم بها يا محمود ! أما هذه فهبات ليست زكوات .

قال محمود : ليت كل الأغنياء مثلك ، ومثل إخوتك ؛ ربما انتهى الفقر بين المسلمين ، مليارات تنفق في أوروبا وأمريكا .

قال جهاد: بلادنا للأسف غير مستقرة ، والمال يحتاج لاستقرار وأمان .

قال محسن : حق ! منذ فرط عقد آل عثمان ! ونحن ننهش لحم بعضنا بعضا .

قال محمود : ليته نهشا ، بل أكلا .. الجزائر المغرب موريتانيا السودان مصر غزة اليمن .. أين الاستقرار؟!

قال جهاد : المال جبان.

قال محسن: لا تنسى لقاء الوالد والعم .

قال جهاد: أكيد سنمر عليكم بعون الله.

قال محسن: هل أحول لك أرباح المتجر والمصنع؟

قال جهاد: لا ،لا ، لا تحول شيئا ، كما اتفقنا تكفل بها بتدريس خمسة طلاب أو فتيات حسب الأرباح يدرسون في كلية الشريعة أو كلية الطب والباقي إلى الفقراء أو مؤسسة رعاية الأيتام هذه الأموال ستبقى هنا ، واذا تملكتم المصنع والمتجر نجعل هذا الصندوق المتخيل ضمن أرصدتك ، واذا احتجت لدعم اتصل بي ، سأحول لك ما تغطي بهم نفقاتهم ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، وتعاونوا على البر والتقوى ، أهم شرط ركّزا عليه أن يكون طالب المساعدة من أهل الصلاة يا أخي محسن ! واذا احتجت لمزيد من الدعم العاجل والطارئ تعاون مع صديقنا الشيخ خليل حسين ، وهو يترأس جمعية خيرية ؛ لتعليم محبي الشريعة وأعجبت بنشاطه ، وسأمده من هناك بالمال والزكاة ؛ لأنه أعلمني بأن الزكاة تجوز على طلبة العلم والشريعة خاصة .. فحولت له عشرة آلا ف من زكاة ٢٠١٣ .

قال محسن: هو أخ كريم ، ويعمل على الخير ،

ويقابل ويذهب بنفسه لطلبة التوجيهي ليتأكد من دراستهم المتفق عليها بينه وبينهم ويساعدهم .
قال جهاد: هدفهم نبيل والأمة بحاجة لطلاب الشريعة المتعلمين ؛ ليسوا مثقفين فقط ، ويتابع الجامعات التي يتعلم فيها الطلاب المختارين ؛ ليتأكد من همتهم واستمرارهم وعدم تغيير تخصص الشريعة.. وهناك جمعيات أخرى قدمت لهم بعون الله صدقات وزكاة .. الخمسة ملايين التي ورثتها عن أبي وأمي زكاتها فوق المائة ألف فيجوز دفع جزء منها لطلبة العلم ؛ فالناس بحاجة لطب ودين .

ـــــ

فات أن نذكر أن المهندس حبيب عارف أنه يقدم مالا من التجارة والمزرعة لطلبة العلم والمحتاجين والمنكوبين ، صندق تكافل خاص به ، من حرق بيته ، أو سيارته، انهار منزله ، هذا الخير يقدمه لأهل بعنبس ، وكان يقدم للجمعيات والمؤسسات التي ترعى الأيتام كجمعية رحمة جمعيات رعاية المعاقين ، والفقراء عامة ، وفيما بعد أصبح سامي وحسن يضعان فيه ما تيسر ، وقبل على مضض ؛ لأنه أحب أن يكون مكلفا فيه وحده ، وكانت وجهة نظرهم صندوق واحد أفضل من عدة صناديق ، فتقبل حبيب الأمر .
وكان يساعده في إدارته والإشراف عليه شريك له في المزارع المتشاركة بينهم ، وكانت ملفات الصندوق في مكتب صغير في مكتبه الكبير في وسط المدينة قرب سوق بعنبس الكبير في شارع رمانة الشهير في بعنبس .
وكان جهاد لما ورثوا أباهم وأمهم كلف عارفا بفعل نحو هذا الصندوق الخاص بهم وقبل عارف المهمة بهمة ونشاط ، فكان الأخوة الأربعة يمولونه ، ثم لحقت بهم جريدة بعد زواجها بأحمد نبيل ، وصارت تحاكيهم ، وتعمل مثلهم ، وكان عارف يتلقى الأسماء المحتاجة من رئيس جمعة الإغاثة رحمة ، ومن جهاد ، ثم من الدكتور احمد ، ويساعد بزواجات الجمعية حسب الحاجة ، ثم أضاف عارف مهمة أخرى للصندوق دفع تكاليف العلاج أو مساعدة بعض المرضى الذين يصطدم بهم .
كانت زكاة أموالهم كبيرة ، ونشاطاتهم التجارية كثيرة ، تعلموا من عمهم استثمار المال بأنفسهم أفضل من تكديسه في البنوك ، ما دامت أجسامهم قادرة على الحركة فزكاة أموالهم تصل سنويا للنصف مليون وتزيد .
كانت روز تساعد عارفا في إدارة الصندوق من خلال البيت ؛ بل كانت عندها فكرة طرحت وتنتظر عودة جهاد ، وهي تكلف نفقة حملة عمرة وحج على حسابهم ؛ كما يفعل سامي وحسن

كان عارف عندما تقدم له الأسماء من الجمعية أو من جهاد يكلف باحثا اجتماعيا يعمل معهم في المؤسسة لدارسة تلك الحالات مقابل أجر إضافي ؛ ليتأكد من صحة المعلومات التي قدمت وحاجتهم للمساعدة والدعم ، لا يحب أن يكون مغفلا ، فلما يسمع ويقرأ تقرير الباحث الاجتماعي يقوم بنفسه بلقاء المحتاج ، وفتح حساب بنكي له ، ويضع الدفعة الأولى في حسابه هذا الصندوق نشط بعد موت زكية وبلص وطلاق ميرا.

ولو يخرج المسلمون زكاة أموالهم بحق لقلّ الفقر كثيرا ؛ لكن الشح والبخل يمنع ذلك ، والقوانين الوضعية لا تلزم أحدا بإخراج الزكاة خشية هرب رأس المال لدول كافرة عقديا ، الدول تهمها الضريبة ، ولا يشرع أن تكون الضريبة جزءا من الزكاة ؛ لأن الزكاة لها مصارف محددة ذكرها القرآن في الآية ستين من سورة التوبة ، والضرائب تصرف رواتب موظفين مهرجانات فنية مشاريع بنية تحية مستشفيات ملاهي شوارع ، الضرائب تكون على الأرباح فقط بنسبة عالية ، والزكاة على كل المال ، وهي نسبة ضئيلة اثنان ونصف في المائة بعد النصاب الشرعي والحول ، أما الضريبة فعلى الأرباح فقط .

لو تطبق الزكاة بشكل صحيح في البلدان التي تزعم الإسلام ؛ لحلت الكثير من المعضلات والمشاكل الاقتصادية ، ولأعتمدوا على أنفسهم ، وما احتاجوا للبنك الدولي ،ولا لصندوق النقد الدولي ، فهاتان المؤسستان أغرقتا الدول في الديون والقروض والربا ، ونشرت الفقر في الدول الفقيرة أصلا ؛ وهي فكرة استعمارية بدون جيش وعسكر واحتلال .

في ٢٦ آب انتهى عدوان غزة بهدنة جديدة ؛ لعلها تصمد ، وتركن إسرائيل للهدوء ؛ ليلملم الناس آلامهم وجراحاتهم .

قدم الدكتور جهاد حبيب أوراقه لجامعة بعنبس الدولية؛ للعمل محاضرا في كلية القانون والحقوق. وقدمت جنة أوراقها لمتابعة إكمال دراسة ماجستير الفيزياء السنة الثانية التي أجلتها

بسبب زواجها وسفرها لعمان.

احتفل الدكتور إبراهيم وزملاؤه في صالة مطعم خاص بجهاد ، وقدموا له الهدايا الرمزية من الساعات والأجهزة الإلكترونية .

قال إبراهيم أثناء الاحتفال : يسرنا الاحتفاء بصديقنا ، وزميلنا جهاد نجيب عارف ، ونقدم لك التهنئة والتبريك .

وتكلم الدكتور مهران ، وقدم التهنئة ، والدكتور احمد ، والمحامية نوال شقيقة أسامة ، والدكتورة عوان ، وأسامة ، وحتى المراسل أبو خالد ، وحضر الاحتفال الدكتور عارف والمهندس سالم. وقام

عارف بشكر الحاضرين نيابة عن جهاد ، وجلسوا إلى مائدة الطعام التي أعدها المطعم للدكتور إبراهيم ، وكان جهاد يجلس بجوار أسامة ، وأخته جنبه فقال لجهاد : عندي موضوع خاص أجلته حتى تنتهي من الدراسة ، وفي أي وقت مناسب اسمح لي بالحديث معك عشر دقائق أو ربع ساعة على الأكثر .

قال جهاد: ألا ينفع الآن ؟

قال أسامة : ينفع ؛ لكن الأفضل يا أبا عبدالله جلسة خاصة بيننا !

قال جهاد: متى تحب أن تكون ؟ .. هل صحيح أنك ستدرس الماجستير في جامعة بعنبس؟

قال أسامة : أنت أنهيت الدكتوراه ، وأنا سأبدأ الماجستير.

قال جهاد: هل سجلت أختك للدكتوراه ؟

كانت نوال على يمين أسامة تسمع ما يتهامسان به أثناء البلع والمضغ فهزّت رأسها بأنها ستفعل وزوجها وافق على ذلك ، بعدما سمح لها بدراسة الماجستير فقال : ماجستير بدون دكتوراه لا فائدة منه ، وباركت له الدكتوراه .

فشكرها بهزّ رأسه وقال: أرجو أن تقبل أن تكون دراستك على حساب صندوقنا الخاص بالتعليم ؛ وكذلك أنت يا أم برقوق ؛ كأنه اسم ملك مملوكي!

قالت : اسم العائلة الأخير .

فقال : أرجو قبولكم هذا العون، فنحن الأخوة أنشانا الصندوق من سنوات ، نحن الأخوة الخمسة ، ففيه جزء وحصة للطلبة فأي شخص من طرفكم بحاجة لدعم مالي لطلب العلم فقدموه للدكتور عارف ، فهو المدير عليه ، الشرط أن يكون المقدم مصليا ، وليس شرطا اللحية الطويلة والدشداشة ، الصلاة والتربية الحسنة والحاجة، ذكرا كان أم أنثى .

ابتسموا فقال مهران : أشركونا همسكم.

فقال أسامة : لم نتحدث عن الجواسيس، الموضوع الذي استشرتك فيه.

فقال مهران : آ .. فهمت !

قال أسامة : بارك الله فيك يا دكتور جهاد ، ووسع الله عليكم ، كانت أم همام تكتب لصحيفة فجر الأمة .

قال جهاد: سمحت لها بمتابعة كتاباتها ، أنا مع حرية المرأة المنضبطة ، لست متشددا كما يشاع عني، اليوم البنات تقرأ والرجال يقرأون.

تابع جهاد بعد سكوت : التعليم مكلف ، وأنت عريس جديد ، ودخل المكتب لا يكفي للإنفاق على البيت والجامعة ، وأجاز العلماء الفقهاء دفع الزكاة لطلبة العلم يا دكتورة نوال !

قالت : أنتم آل عارف رجال عظام ! من تتبع

أخلاقكم وأموالكم يلمس ذلك والدكتورة وردة سيدة مباركة لا تقبل أي أجرة عندما أرشدني الدكتور إبراهيم لعيادتها ، وغضبت لما حاولت الدفع ؛ لأن الدكتور كلمها .

فقال جهاد : نحن نخدم المجهول ، فكيف المعروف ؟ وأنت يا أسامة اذا احتاجت زوجتك إلى عيادة نسائية ، فوردة تحب ذلك من غير منة ، فالأموال بعون وفضل منه تعالى كثيرة ، فوردة تعمل لمساعدة الناس، وراتبها يذهب هنا وهناك

مشروع كبير

اتصل سامي بأحفاد عارف الجد ، وطلب اللقاء بهم ببيت عصام التاسعة ليلا للعشاء وللحديث حول مشروع جديد ، ومهم سيقدمه لهم . لبى الجميع الدعوة ، وصحبوا زوجاتهم وأزواجهن للاجتماع المهم ، والذي أدهشهم عدم وجود العم حبيب في الاجتماع المهم.

فوضح سامي فقال: حبيب أبي وافق على المشروع ، وهو مع عمتكم فاطمة وابنها.

فقال عارف : أين حسن ونوار؟

فقال سامي : سيأتيان ، هما مع والدي في المستشفى ، فوالدي متوعك ، وكذلك والد حسن .

تقدم الجميع لقاعة الطعام الكبيرة في فيلا عصام حبيب ، تناولوا طعامهم بمرح وترقب ، وانتقلوا لصالون البيت تباعا ، وقدم لهم الشاي مشروبهم المفضل ، وبعضهم طلب نسكافيه القهوة الأمريكية .

قال سامي وهم يتسامرون ويتطلعون في عيون سامي : عندما يأتي حسن ونوار سيتحدث إليكم يا دكتور احمد عن المشروع الجديد .. كيف حالك يا دكتورة جريدة؟

قالت : الحمد لله يا سامي !

قال احمد بسعادة : الدكتورة بفضل الله تمكنت أخيرا من الحمل!

فهتفت وردة محتجة : ويحك لم تخبريني!

قالت : اليوم تأكد الحمل ، وكنت أرغب ألا يتحدث الدكتور حتى يثبت .

بارك القوم لها ، وغمرتهم السعادة والحبور ، وخرج تعقيب من هنا ، وآخر من هناك ، وشرح الدكتور احمد نبيل الموقف ، وقال : وقد استفادت من أدوية المانية خاصة بمشاكل والتهابات الرحم ، ومن وصفات الدكتور العشاب سعيد وزميليه ، والحمد لله ذو الفضل الكبير .. ونسأل الله تعالى أن يقر في القرار المكين ، وتقر أعيينا به ، ونسعد به في الدنيا والآخرة.

فقالوا آمين .

دخل حسن تتبعه نوار ، وصافح من تحل مصافحته ، وكذلك صافحت نوار من تحل مصافحته ، وتعانقت مع النساء ، وطمأنتهم على

صحة أبيها ، ووالد زوجها وبشرتهم بأنه سيكون غدا في البيت بمشيئة الله تعالى.

ولما شرب حسن الشاي الذي وضع بين يديه قال المهندس سامي : حسن سيتحدث لكم عن المشروع كفكرة ومشروع .

فقال عارف : شبعنا شوقا وانتظارا .. هات ما عندك يا ابن عمي!

فضجوا ضحكا ، فقال عارف : لماذا تضحكون ؟!

رد عصام : لأن حسنا سيتكلم لولا مقاطعتك.

فقال عارف: عفوا أيها المجتمعون !

قال سامي : حبيبي عارف والجميع ، سأتكلم قبل حسن .. المؤسسة الطبية سنعيد جمعها مطلع العام الجديد بعون الله ﷻ ، وستكون في بناية واحدة وقد قمت وحسنا بشراء وتملك عمارة مكونة من اثني عشر طابقا وأربعة تحتها مواقف سيارات ؛ لنعيد تجميع المؤسسة ما دامت أصبحت مشروعا موفقا بفضل الله تعالى وسيصبح مبنى عارف وجريدة مستشفى لهدف آخر وبدا عمالنا ومهندسونا بتأهيل المبنى ، ليكون مخازن ومقرا جديدا للمؤسسة ، وفي مطلع العام سنبدأ بنقل البضاعة رويدا رويدا .

قال عصام : باسم من العمارة يا سامي ؟ وهل هي في بعنبس؟

قال سامي : هي بناية في حي الجمل ، بنيت ؛ لتكون مجمعا تجاريا ضخما ، وتوفي المالك الرئيس قبل تشطيبها ، فقام الشركاء والورثة بعرضها علينا ، فبدأنا بعد نقلها لملكيتنا أنا وحسن بأعمال التشطيب ، فخلال مطلع العام سيكون جزء منها جاهزا للعمل ، ومع الزمن أيها الأصدقاء ستصبح كلها للمؤسسة ، لما نستد ثمنها فلا تستطيع المؤسسة حاليا دفع الثمن الكبير الذي دفعناه لامتلاكها ؛ عاما بعد عاما ـ إن شاء الله ـ تصير ملكنا جميعا.

علق وعقب من أحب الكلام ، ثم قال سامي باسما : لم أجمعكم في بيت شقيقي عصام لهذا الأمر وأشار لحسن أن يتكلم .

تبسم حسن وقال : مساء الخير لكم أيها الأصدقاء والأحباب ! وحياكم الله في بيت أخي وصهري عصام حبيب .. وأيتها العائلة الكريمة ! لقد تشاورت وأخي ساميا وعمي حبيب لعمل مشروع جديد ، والعم قال بعد سماعه : لا بأس .

فقال عارف : ما دام العم قد وافق عليه ، فعلينا أن نوافق ، فالعم لا يوافق على شيء بدون تمعن ونظر .. وهل من مجال مهندس حسن لنرفض؟

قال حسن : طبعا يا دكتور عارف ! الأمر بالخيار ..الدعم المالي بالخيار .. هل أجبرنا أحدا للمشاركة في المؤسسة الطبية .. وضعنا تصوراتنا على الورق وقدمناها لمن رغب ، ثم حدث التطور

والأفكار المعدلة والخطوات الفعلية خلال التطبيق ..والمبنى الذي اشتريناه للمؤسسة مبنى عارف وجريدة سيحول لمشفى كما رسما في البداية ، والكادر والإدارة بدأنا التعاقد معهم كما تعلم يا دكتور عارف !

فقال عارف : الله يوفق ويسدد النيات والخطوات

ترددت كلمة آمين.. آمين

قال حسن متسائلا : هل نبقي المال كله في البنك؟ كم من الأسر استفادت من المشاريع التي وفقنا الله إليها ؟ رغم أن إيداع المال في البنك وأخذ الفائدة عليه مريح لكثير من الناس.. فالاستثمار أفضل رغم المعاناة ؛ لأن الحياة لا تخلو من المعاناة حتى لو نام المرء في بيته .. أما المشروع الجديد ...

قال عارف مقاطعا : قل لنا عن مشروعكم الجديد .. ماذا بقي من مشاريع؟

قال سامي: المشاريع والاستثمار والإعمار لا تنتهي إلا بموت الشخص ، والآخرون يتابعون يا دكتور عارف نجيب!

قال حسن : المشروع الجديد باختصار ، هو إنشاء جامعة خاصة ، وأنا وسامي أيضا شرعنا بالحصول على الموافقات الخاصة والتراخيص المطلوبة من الدولة وسنبدأ بخمس كليات الشريعة الحقوق الهندسة الإعلام وتأسيس لكلية طب ؛ لذلك سيتحول المشفى يا عارف فيما بعد لكلية الطب ـ إن شاء الله ـ ما رأي عارف المتململ ؟

فقال عارف بحيرة وانبهار : والله ما خطر على بالي هذا المخطط الكبير! ما المطلوب منا ؟

قال حسن باسما : المطلوب منكم المال ، من يحب أن يساهم فليفعل ؛ كما فعلنا في المؤسسة الطبية ، وكلما تقدمنا زدنا الكليات ، وقررنا بأن يكون الدكتور الكبير احمد نبيل رئيسا للجامعة

التفت جريدة لأحمد : لم تخبرني!

قال احمد بسعادة وبسمة : هكذا الأوامر ، مبارك علينا جميعا المشروع .

فقال عارف : هذه مؤامرة يا دكتور احمد !

فضحك احمد وقال : الإخوان بارك الله فيهما ، طلبا مني التفكير بهذا المشروع ، وأنا خبير إدارة كما تعلمون ، وطلبا مني عدم نشر الخبر ؛ ليس خوفا منكم ؛ كما بدا لعارف ؛ بل من أجل أن لا يصل للإعلام قبل الحصول على الموافقات ، وكلية الإعلام التي أشار إليها المهندس سيكون لها قناة فضائية تابعة لها فيما بعد طبعا يديرها طلبة الكلية مع مهندسي الاتصالات .

قال سامي : هذا هو المشروع الجديد الذي ستساهمون فيه رغبا لا رهبا .

قالت وردة الصامتة من أول الجلسة : هذا عمل ومشروع كبير أنا سأساهم فيه يا دكتور احمد و

زوجي أنا عنه .. وماذا سميتم الجامعة ؟ لعلها على اسم عمي.

قالت نوار: فعلا ، فهذا الاسم المختار جامعة حبيب عارف الخاصة .

قال عارف: يا الهي!



مذكرات نجيب

رحب جهاد بأسامة في شقته : أهلا أخي ! ها نحن نجلس على انفراد كما رغبت .. نوّرت البيت

أدخلت الخادمة رأسها قائلة : الدكتورة جريدة هنا

فقام جهاد : وقال انتظر قليلا يا أخي حتى أسلم على شقيقتي!

قال أسامة : نؤجل اللقاء !

ـ لا داعي يا رجل اصبر !

تركه جهاد ، واحتضن شقيقته ، وربت على كتفها مرحبا ، وقبل رأسها ، وقبلته هي الأخرى ، وأخذت يده مقبلة لها تعبيرا عن حبها له ، ففعل مثلها : مرحبا بك في بيتنا .. أنا أحبك ؛ كما أحب حبيبتنا وردة !

قالت : وأنا كذلك .. الشيطان نزغ بيننا .. عندك ضيف!

قال جهاد : ربع ساعة وسينصرف ، سيتكلم في موضوع ، فهو زميل مكتب أيام إبراهيم .. تفضلي بالجلوس .. اجلسي يا جنة ! إنها تنتظر الأمر .. تفضلن يا حبيبتاي !

رجع لأسامة مرحبا من جديد ، وجلس وقال: آسف تفضل بالجلوس.

قال أسامة : حتى لا أطيل .

قال جهاد : خذ راحتك .

قال أسامة : الموضوع باختصار يا دكتور أن صحفيا صديق لي من أيام الدراسة الأولى اسمه عسير بلبل .

قال جهاد : عسير بلبل ! سمعت به يكتب في فجر الأمة الصحيفة المفضلة في بعنبس.

قال أسامة : صحيح ، نحن نسميها صحيفة بعنبس .. عسير هذا صديق لي وصحفي سياسي ، هو يكبرني بخمس سنوات ؛ لذلك قصة لا داعي لذكرها الآن لضيق الوقت ؛ وليس هي موضوعنا.. المهم ثقة أنا وإياه.

دخلت الخادمة بالقهوة بعد رشفة تركها على المنضدة ، وقال: هذا الصحفي سمع عن مذكرات أبيك التي أحضرتموها من كوبا.

قال جهاد : صحيح ! وهي في البنك .. احتفظ بها عمي .

قال أسامة : يرغب بالاطلاع عليها أو على شيء منها!

قال جهاد : جزء منها !

قال أسامة : الجزء الخاص باغتيال ضابط مخابرات إسرائيل في رام الله .. هل اطلعتم عليها؟

قال جهاد : هي مكتوبة بالإنجليزية يا أسامة ! أبي طبيب ، قرأت بعضها أثناء استلامي لها أثناء وجودي في كوبا ، كانت صفحاتها الأولى عن حياته هنا بعنبس وعلاقته بوالديه ، وزواج أبيه على أمه التي ولدت أختيه وأخاه حبيب ، ثم سافر بيروت والتحق بالجامعة الأمريكية ، وتخرج طبيبا ، وعمل مع الحركات اليسارية الصاعدة والبعث العربي والقوميين العرب ، وتأثر كغيره بنكبة فلسطين التي دفعت الشباب للعمل وإنشاء الأحزاب ، فعمل ضمن حزب ماركسي ، وعاد لبعنبس لتجنيد أعضاء يحملون الحلم الماركسي العالمي ، ولما ظهرت الحركات المسلحة في لبنان والأردن وأعلنت منظمة التحرير ، ذهب كعميل لمنظمة سرية في قلب رام الله ، ثم لم أتابع القراءة لانشغالنا بتركة أبي ولملمتها من بلاد الكاريبي.. وأنا لا مانع لديّ من اطلاع الرجل عليها .. بس عليه أن يتجنب الأمور الخاصة يا أسامة وليتذكر أن أبي ؛ ليس مسلما .. هو ملحد لذلك لم نقسم ثروته على الشريعة الإسلامية ، فليتجنب مغامراته النسائية ، لا فائدة من ذكرها أصلا .

قال أسامة : هو مهتم ؛ كما تناقشنا بقصة اغتيال ضابط مخابرات إسرائيلي التي وقعت قبل حرب حزيران ، والعيش مع الثورة في حضن بيروت ، ثم الاختفاء الطويل لمدة ربع قرن .

غادر أسامة ، وهو يفكر بترتيب لقاء بين جهاد وعسير ؛ لوضع النقاط على الحروف بشأن مذكرات نجيب عارف ، وودعه عند بوابة الفيلا ، وعاد للجلوس مع أخته ورحبا ببعضهم من جديد ، وقدمت له جنة تفاحة، فأخذها شاكرا ، ومد بها لجريدة ، وأخذتها وهي تقول: أكلت واحدة .. أحببت رؤيتك ، فلما أراك أشعر بالسعادة والحياة !

قال جهاد : وأنا كذلك .. نفس الشعور !

قالت : قال لي احمد عندما تشعرين بالضيق اجلسي مع جهاد ، فقد كان يوم مشروع الجامعة صامتا مما أثار فضولي ، فقلت له اذا قال عمي حبيب شيئا لا يقول جهاد شيئا .

ضحك جهاد وقال : أحسنت الإجابة ! كيف الحمل؟

فقالت باسمة : صعب ومتعب .. حملته وهنا على وهن .. لكني أحمد ربي طال انتظاري ، وتصدقت بألف دينار ؛ ليثبته الله تعالى.

قال جهاد : أحسنت يا أخت جهاد! جنة ؛ كأنها اشتاقت للحمل.

قالت : حدثتني قبل قليل عن ذلك .

قالت جنة : الحمل نعمة كبيرة يا دكتورة ! والحمل

أرى في الصغر أفضل من الكبر .. نحن أمي ولدتنا في فترة قصيرة سبع سنوات ، ثم اكتفت مع أن أمها أنجبت الضعف .. لله في خلقه شؤون !

قالت جريدة : وأمي ولدتنا في عشر سنوات .. نحن الخمسة وفور زواجهم.

قال جهاد : كان والدي يسابق الموت ، كان مطاردا من اليهود ؛ لمشاركته في اغتيال ضابط أمن صهيوني في عاصمة السلطة الأوسلوية رام الله !

رام الله



نختم الرواية بالتعرف على عاصمة السلطة الفلسطينية ومقرها حسب اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣. رام الله مدينة فلسطينية عريقة ، ومركز محافظة رام الله والبيرة ، تحتل رام الله حاليا مركزا سياسيا يجعلها من أهم المدن الفلسطينية ، إذ أنها تُعتبر العاصمة الإدارية المؤقتة للسلطة الوطنية الفلسطينية، وفيها مقر المقاطعة القصر الرئاسي ، ومبنى المجلس التشريعي الفلسطيني، والمقر العام لجهاز الأمن الفلسطيني في الضفة الغربية، بالإضافة إلى معظم مكاتب ووزارات السلطة ، كما تعتبر العاصمة الثقافية لوجود عدد من المراكز الثقافية الفلسطينية النشطة فيها. فإن المدينة قد تأسست في القرن السادس عشر أثناء الحكم العثماني ، والتي ازدهرت في أواخر أيامهم ؛ إذ تأسس أول مجلس بلدي فيها عام ١٩٠٨، وقد احتفلت بلدية رام الله مؤخرا بمأويتها الأولى .

وتقع رام الله ضمن سلسلة جبال القدس، حيث تطل على الساحل الفلسطيني للبحر المتوسط ، والذي يبعد عن المدينة حوالي ٤٥ كيلومترا إلى الغرب ، أما من جهة الشرق والجنوب فهي محاطة بالجبال ، وترتفع عن سطح البحر ما بين ٨٣٠ ـ ٨٨٠ مترا.

تعني كلمة رام المنطقة المرتفعة ، وهي كلمة كنعانية منتشرة في أماكن مختلفة من فلسطين ، فالكنعانيون من الأوائل الذين سكنوا فلسطين قبل الروم والفرس والعبرانيين ، وأضاف إليها العرب كلمة الله فأصبحت رام الله ، ولكن الثابت تاريخيا أن قبيلة عربية جاءت في أواخر القرن السادس عشر ، وسكنت في قرية أو غابة حرجية اسمها رام الله.

أسست مدينة رام الله على يد شيخ إحدى عشائر الكرك النصرانية ، يدعى الشيخ راشد الحدادين ، قرر الجلو عن موطنه بسبب خلافات عشائرية في القرن السادس عشر ، اشترى الشيخ راشد خربة رام الله من عائلات البيرة القدامى، دون أن يعلم

أنه كان يؤسس لمدينة سيكون لها دور هام في تاريخ الفلسطينيين.

وتجسد تماثيل الأسود الخمسة الواقعة في ساحة المنارة وسط مدينة رام الله تاريخ المدينة ، حيث أقام هذا المهاجر من الكرك هذه الأسود الخمسة رمزا لأبنائه.



وقد بدأ في رام الله مع نهاية القرن التاسع عشر تأسيس مدارس كانت من أول المدارس النظامية في فلسطين، اسمها "الفرندز" وتعني (الأصدقاء)، وهي من المدارس التبشيرية التي بادرت إلى إيجادها جماعة الكويكرز وهي منظمة دينية نصرانية أميركية ، وتضم مدرستين في رام الله والبيرة، الأولى للبنات وتعود للعام ١٨٨٩ والأخرى للصبيان تعود للعام ١٩٠١.

سقطت رام الله في عام ١٩١٧ بيد الجيش الإنجليزي خلال الحرب العالمية الأولى ، ودخلت المدينة مع باقي مدن فلسطين مظلة الانتداب البريطاني على فلسطين عام ١٩٢٠، وأصبحت رام الله مركزا لقضاء رام الله في تلك الفترة حتى وقوع النكبة.

قد ازدادت أهميتها في هذه الفترة نتيجة ثلاثة تطورات مهمة: أولها إنشاء أعمدة الإرسال الشاهقة لـ "محطة الإذاعة الفلسطينية" من قبل حكومة الانتداب البريطانية عام ١٩٣٦ على أراضي قرية البيرة التي يقع مدخلها على الشارع الرئيسي المتجه إلى قرية بيرزيت وقرى بني زيد وهو الشارع الذي أصبح اسمه منذ ذلك الحين "شارع الإذاعة" أو "شارع الإرسال"، وللشارع أهمية كبيرة في ذلك الوقت نظرا لوجود عدد من الفنادق "كفندق الحمراء" و"فندق حرب" وكان يجذب أهالي مدينة رام الله والقدس أيام الآحاد للاستمتاع بالجلوس في أحضان الطبيعة.

أما التطور الثاني فقد جاء نتيجة الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦- ١٩٣٩ ، حيث أقامت حكومة الانتداب على غرار ما جرى في بقية المدن الفلسطينية، المبنى الضخم المعروف حاليا بمبنى المقاطعة ، وبالتالي فقد أصبحت معنية بتوسيع شبكة الطرق القريبة ؛ لتستوعب الضغط الناجم عن إنشاء هذا المبنى ومحطة الإذاعة ، أما التطور الثالث فكان له علاقة بالهجرة إلى الأميركيتين من قبل سكان رام الله والبيرة ، وتعاظم ثروة أهالي المدينتين مما أدى إلى توسع عمراني كبير على امتداد

الشوارع الجديدة . وقد أدت هذه التطورات إلى توسيع شبكة الطرق في المدينتين، وخصوصا توسيع وتعبيد طريق الإذاعة وإنجاز خريطة التنظيم الهيكلية لرام الله عام ١٩٤٠.

وفي أوائل خمسينيات القرن العشرين خضعت رام الله للحكم الأردني بين حربي ١٩٤٨ و١٩٦٧، وأصبحت رام الله فيها بعد مركزا للواء رام الله التابع لمحافظة القدس ، وقد كانت المدينة هادئة نسبيا خلال سنوات الحكم الأردني، وكان السكان يتمتعون بحرية الحركة بين الضفة الغربية والأردن ولبنان وسوريا وأماكن أخرى ، وكان الأردن يطبق قانونه على الأرض بحكم وحدة الضفتين ، وسجن كثيرا من الفلسطينيين لكونهم أعضاء في ما كانت الحكومة الأردنية تعتبره أحزابا سياسية غير مشروعة ، بما في ذلك الحزب الشيوعي الفلسطيني وغيرها من الجماعات الاشتراكية والمؤيدة للاستقلال.

سقطت المدينة في يد إسرائيل عام ١٩٦٧، لتظل تحت الاحتلال لمدة ٢٧ سنة وتعاني من الإهمال الإسرائيلي لها كباقي المدن العربية الفلسطينية المحتلة، وقد بلغ عدد المستوطنات حتى نهاية عام ١٩٨٧م حوالي ٣٠ مستوطنة.

في عام ١٩٨٧، انخرط سكان مدينة رام الله بوقت مبكر في الانتفاضة الفلسطينية الأولى ، ضم الوفد الفلسطيني الأردني الموحد في عام ١٩٩١ إلى مؤتمر مدريد للسلام الدولي العديد من وجهاء رام الله والبيرة ، في ١٩٩٤ نقلت إسرائيل الحكم فيها للسلطة الوطنية الفلسطينية بموجب اتفاق أوسلو الموقع عام ١٩٩٣، أصبحت رام الله المقر المؤقت للسلطة الفلسطينية ، وبسبب رفض إسرائيل أن يكون مقر السلطة الفلسطينية في القدس الشرقية.

تعرّض كثير من تلك المقرات في رام الله إلى دمار كبير ألحقته آلة الحرب الإسرائيلية كجزء من الهجمات المستمرة على المدينة في فترة الانتفاضة الفلسطينية الثانية انتفاضة الأقصى ، مما أدّى إلى تعطيلها إلى حدٍّ كبير، وعادت هذه المقرات للعمل في الفترة اللاحقة للاجتياح الإسرائيلي الكبير للمدينة في عام ٢٠٠٢ جاعلة رام الله العاصمة الإدارية ، يشار بالذكر إلى أن حكومة نتنياهو شرعت في إعداد دراسة تهدف إلى إقناع الفلسطينيين بأهمية مدينة رام الله كعاصمة بديلة من القدس الشرقية، لهذا السبب لم يسمح لياسر عرفات بزيارة القدس خوفاً من الجماهير التي ستستقبله.

رام الله مدينة جبلية ، مبنية على جبال مطلة إلى الغرب على الساحل الفلسطيني، أما من جهة الشرق والجنوب فهي محاطة بالجبال ، تبعد رام الله حوالي عشرة كم إلى الشمال من القدس ، وتبعد

المدينة عن البحر المتوسط الذي يرى من تلالها حوالي ٤٥ كيلومترا ، كما تبعد عن نهر الأردن قرابة ٣٣ كم إلى الغرب ، تبلغ مساحتها ١٦ كم٢، كما بلغ عدد سكانها حوالي ٣٨٩٩٨ نسمة، بينما يبلغ عدد سكان المحافظة حوالي ٣٢ ألف نسمة .

ويتوسط موقع رام الله فلسطين التاريخية تقريبا، حيث تبعد عن نابلس ٣٦ كم إلى الجنوب، وجنين ٦٣ كم إلى الجنوب، والخليل ٨٢ كم إلى الشمال، وغزة ٨٢ كم إلى الشمال الشرقي، ويافا ٤٥ كم إلى الشرق، وحيفا ١٠٥ كم إلى الجنوب الشرقي.

وتلاصق رام الله مدينة البيرة حتى تتداخل مبانيهما وشوارعهما لتبدوان كمدينة واحدة، ومع أن مدينة البيرة أكبر من ناحية المساحة وعدد السكان ، إلا أن الأشهر بينهما هي مدينة رام الله.

تُقسم المدينة إلى عدة أحياء بالإضافة إلى البلدة القديمة ، منها: المنارة، المغتربين ، عين مصباح، الجبل، السرية، البيدر، القسطل، القديرة ، مار جرجس، المصيف، دار عواد، دار جغب ، دار إبراهيم، الجدول، الشقرة، بورسعيد، الحساسنة، المنطقة الصناعية، والإذاعة ، أما بالنسبة للطرق، فتقطع رام الله عدة طرق تربط مناطقها ببعض، كما تربطها بالمدن الملتصقة بها كـالبيرة وبيتونيا، وباقي قرى ومدن فلسطين المجاورة كالقدس وبيت لحم ونابلس، ومن أهم هذه الطرق: شارع الإرسال، شارع فلسطين، شارع الإذاعة، شارع النهضة، شارع القدس، شارع الصناعة، شارع تشيلي ، شارع راشيل كوري.

مناخ رام الله هو مناخ البحر المتوسط ، وعلى العموم فإن مناخ رام الله لطيف منعش في الصيف دافئ . وبالرغم من أن رام الله كانت مدينة صغيرة ، إلا أن اللاجئين الفلسطينيين بعد النكبة عام ١٩٤٨ شكلوا جزءا رئيسيا منها ؛ كما أن الهجرة الداخلية وانتقال فلسطينيين للعمل في رام الله بعد قدوم سلطة الحكم الذاتي الفلسطينية جراء تحولها إلى مركز إداري للسلطة زاد من عدد السكان المستقرين القادمين من مدن أخرى.

ومن الملاحظ أن تكلفة المعيشة في مدينة رام الله هو أعلى مستوى من نظيراتها في المحافظات الأخرى، يقع جنوب رام الله في بلدة قلنديا ، مطار القدس الدولي أو "مطار قلنديا"، يقع على أراضي محافظة القدس تحديداً في بلدة قلنديا على طريق القدس ـ رام الله ، أنشيء المطار عام ١٩٢٠ تحت إدارة الانتداب البريطاني على فلسطين ، ثم في أوائل الخمسينات وضع تحت الإدارة الأردنية بعد انضمام الضفة الغربية إلى المملكة الأردنية الهاشمية، إلا أنه وقع بيد القوات الإسرائيلية في حرب ١٩٦٧، والتي سرعان ما غيرت اسمه إلى "مطار عطاروت" ، ومنذ انتفاضة الأقصى

والمطار مهمل بالرغم من أنه تحت سيطرة الجيش الإسرائيلي.

تقع في رام الله مقرات شركات الاتصال الفلسطينية التي تزود الضفة الغربية بهذه الخدمة .

وتعتبر رام الله مركزا للعديد من المراكز الثقافية الأجنبية كالمركز الثقافي الألماني الفرنسي، والمركز الثقافي البريطاني، والمركز الثقافي اليوناني.

وتضم رام الله كذلك ، عددا من الجمعيات الخيرية ، النسوية في مجملها، ويعود تأسيس بعضها إلى أربعينيات القرن الماضي ، وتهدف هذه الجمعيات التي تضاعفت أعدادها مرارا في العقدين الأخيرين، إلى توفير الدعم للعديد من فئات المجتمع، ومن بينها المرأة، الطفل، كبار السن، ذوي الاحتياجات الخاصة، الأيتام، وغيرهم.

بدأ التعليم في رام الله في مدرسة للروم الأرثوذكس أنشأتها البطريركية في القدس حوالي ١٨٤٠،

عندما حضر مبشر من طائفة البروتستانت اسمه صموئيل غوبات وأسس خمس مدارس إحداها في رام الله ، فقد أسست جماعة الفرندز في عام ١٨٨٩ أول مدرسة من نوعها للإناث في رام الله ، والأولى من نوعها في فلسطين، وكان افتتاح هذه المدرسة حافزاً للروم الأرثوذكس لإنشاء مدرسة للبنات، وحذا حذوهم اللاتين ، وفي عام ١٩٠١ افتتح الفرندز مدرسة البنين في رام الله ، وفي رام الله اليوم ثلاث مدارس حكومية للذكور ومدرستان للإناث، وبعد عام ١٩٥٠ افتتحت بعض المعاهد مثل معهد المعلمات الحكومي والحق بالمعهد مدرسة للتطبيقات والتجارب التربوية ، والتعليم فيها مختلط، ولوكالة الغوث أربع مدارس للذكور ومدرستان للإناث في رام الله ، كما يتبع وكالة الغوث مركزا لتدريب المعلمين والفتيات، وكلية بيرزيت التي تحولت إلى جامعة ، وتعتبر من أهم الجامعات الفلسطينية.

يعود تاريخ جامعة بيرزيت إلى عام ١٩٢٤ عندما تأسست كمدرسة ابتدائية، وكان الهدف الرئيسي للمدرسة توفير فرص التعليم الأولية للفتيات من بيرزيت والقرى المجاورة في وقت انعدمت فيه المدارس تقريباً في تلك المنطقة. تطورت المدرسة لتصبح كلية عام ١٩٤٢، ولما كانت الكلية عندئذ هي المؤسسة الجامعية الوحيدة في المنطقة، فقد قررت التركيز على التعليم الجامعي، وتقرر أن تصبح الكلية نتيجة لذلك "جامعة بيرزيت" في ١٩٧٢.

كما أن مدينة رام الله تعتبر مركزاً للنشاط الثقافي في الضفة الغربية إذ تمتلئ بالمسارح ودور السينما والمراكز الثقافية، وفيها المعهد الوطني للموسيقى ومجموعة كبيرة من المنتديات الثقافية. يقع في وسط رام الله مقر الرئاسة الفلسطينية المؤقت منذ

إنشاء السلطة الفلسطينية في عام ١٩٩٤، قامت بإنشائه حكومة الانتداب البريطاني على فلسطين، كنتيجة إلى الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩، على غرار ما جرى في بقية المدن الفلسطينية، ليستوعب الدوائر الحكومية والسجون.

تعرض هذا المقر لحصار دام عدة أسابيع خلال اجتياح إسرائيل لرام الله والضفة الغربية عام ٢٠٠٢.

دوار المنارة، وهو من أهم معالم رام الله ، حيث يتوسط المدينة، ويوزع الحركة إلى شوارعها الرئيسية ، وتجسد تماثيل الأسود الخمسة الواقعة فيه تاريخ المدينة، قامت سلطات الاحتلال بهدمه في ثمانينات القرن الفائت، إلا أن السلطة الفلسطينية قد أعادت بناءه في عام ١٩٩٩.

يوجد في منطقة رام الله ، ثلاثة مخيمات مُسجلة رسميا في وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا)، وهي مثل باقي المخيمات في الضفة الغربية، فقد بُني معظمها فوق قطعة من الأرض قامت الأونروا باستئجارها من الحكومة الأردنية ، والمخيمات هي: مخيم الأمعري: قام الصليب الأحمر بتأسيس مخيم الأمعري في عام ١٩٤٩ ضمن حدود بلدية البيرة حيث قام بتوفير الخيام للاجئين الذين قدموا من مدن اللد ويافا والرملة، بالإضافة إلى الذين لجئوا من قرى بيت دجن ودير طريف وأبو شوشة ونانا وبيت نبالا ، وقد تسلمت الأونروا مسؤولية المخيم في عام ١٩٥٠ ، وعملت على بناء وحدات سكنية ذات أسقف إسمنتية ، وبحلول عام ١٩٥٧، كانت الأونروا قد أتمت استبدال كافة الخيام بالمساكن الإسمنتية ؛ حيث حصلت العائلات التي لا يزيد عدد أفرادها عن خمسة أشخاص على مسكن مؤلف من غرفة واحدة ، فيما حصلت العائلات الأكبر على مساكن من غرفتين ، ويفصل بين معظم المساكن مساحة تقل عن نصف متر؛ الأمر الذي يجعل التهوية داخل المخيم ضعيفة للغاية، ويرتبط المخيم بشكل كامل بشبكتي الماء والكهرباء البلدية.

مخيم الجلزون : تأسس المخيم عام ١٩٤٩ فوق مساحة من الأرض تبلغ ٠,٢٥ كيلومتر مربع على تلة صخرية تبعد مسافة ٧ كيلومترات شمال رام الله، وينحدر سكان المخيم من ٣٦ قرية تابعة لمناطق اللد والرملة ، وأصبح المخيم تحت السيطرة الإسرائيلية الفلسطينية المشتركة في أعقاب اتفاقيات أوسلو ، وتتصل كافة المساكن بالبنية التحتية لشبكتي الكهرباء والماء العامة.

مخيم دير عمار تأسس المخيم عام ١٩٤٩ فوق مساحة من الأرض تبلغ ٠,١٦ كيلومتر مربع على

بعد ٣٠ كيلومتر إلى الشمال الغربي من رام الله ، وقد بني المخيم فوق قطعة من الأرض تعود ملكيتها لسكان قرية دير عمار غير اللاجئين ، وفي المقابل، فإن منشآت الأونروا في المخيم تعمل على توفير خدماتها للقرويين من غير اللاجئين. وتنحدر أصول سكان المخيم من القرى المدمرة التابعة لمناطق الرملة ويافا واللد ، وفي أعقاب اتفاقيات أوسلو ، أصبح المخيم واقعا تحت السيطرة المشتركة الفلسطينية الإسرائيلية.

سارعت إسرائيل في وضع الخطط بهدف إقامة العديد من المستوطنات لما احتلت غزة وباقي فلسطين ،وكانت رام الله جزءا من هذا المخطط، حيث بنت إسرائيل في منطقة رام الله حوالي ٣٠ مستوطنة .



اغتيال

ظهرت منظمة التحرير التي أسست ككيان للشعب الفلسطيني على غير رغبة الكثير من الدول العربية عام ١٩٦٤ ، وأنشأت جيش التحرير في غزة ومصر وسوريا ، نشطت الحركات الفلسطينية العلنية والسرية بإنشاء حركات مسلحة خارج اطار المنظمة ، وأشهرها منظمة فتح التي نهضت عام ١٩٦٥ وأنشأت قوات العاصفة الشهيرة .

تلقى الطبيب نجيب عارف إشارة من حزبه أو جماعته اليسارية التي تكونت أثر نكبة فلسطين في بيروت ، وتبنت الفكر الماركسي أن يدخل فلسطين ؛ ليعمل طبيبا في مخيم الجلزون شمال رام الله ، ويكوّن خلايا سياسية وعسكرية ؛ لفعل عمليات عسكرية في الوقت المناسب .

فاستأجر عيادة بين مخيم الجلزون ومركز ووسط رام الله والبيرة دوار المنارة قلب المدينة ، واستغل العيادة التي يتردد عليها رجال ونساء المخيم المحبطين من العودة لأراضيهم التي هجروها على أمل العودة إليها بأسرع وقت ، ولكن الرحلة طالت ، والغارات تعصف بهم والمجازر متتابعة، ويعانون من قلة العمل ، والبطالة مرتفعة ، وما أكثر مرضى المخيمات بسبب الفقر والبؤس !

رام الله فيها أربع مخيمات تأسست عام ١٩٤٩ الأمعري والجلزون ودير عمار وعلى طرفها مخيم قلنديا . استطاع من خلال العيادة ، ومن خلال الاحاديث عن الماركسية استطاع أن يجد أناسا يرون أن الحل للقضية بسيطرة الفكر الشيوعي الماركسي على الشعب لتحرير فلسطين من البحر إلى النهر؛ وشكل خلايا مع رفيق اسمه أكرم البس الذي مهد له الأرض في المخيم والمدينة للنضال

ضد الأردن الحاكمة للضفة وإسرائيل .

منظمة فتح بدأت تنشط عسكريا داخل الضفة ، وتقنص جنود إسرائيل على الخط الأخضر ، وتضخم إعلاميا عملياتها الصغيرة لرفع معنوية الشعب المشرد واللاجئين.

استطاع نجيب ورفيقه أكرم ابن المخيم من عمل خلايا سرية تعتنق فكرهم ومبادئ ستالين وغيره . ولما كثرت عمليات فتح ، وزاد الإقبال للعمل معها ، كشف أكرم لنجيب عن رجل من المخيم يعمل مخبرا لإسرائيل عن طريق ضابط سمى نفسه عادلا ، اعترف بكر لأكرم بأمره ، وأن هذا الضابط استغل فقره وحبه للخمر ، فصار ينقل له نشاط أهل المخيم والفدائيين .

فقرر نجيب والخلية باغتيال هذا الضابط عادل ؛ لتعلن حركته من بيروت بأنها استطاعت قتل ضابط أمن شاباك إسرائيلي ، وزعم أكرم لبكر أنه سيخلصه من خيانته لشعبه بقتل عادل ، واقتنع بكر بالفكرة واستسلم لها . وتمكن نجيب من الاحتيال على عسكري وسرق سلاحه خفية ، وأعطاه لأكرم ليقتل به الضابط عادلا .

تسلل عادل لمكان اللقاء ببكر ، عادة يأتي ببعض المال والدخان وزجاجة خمر كهدية لبكر مقابل الخدمة والأخبار التي جمعها من الأهالي خلال الأسبوع .

قام بكر بالذهاب للمكان ، ولما اقترب من المكان تابع أكرم المشي متظاهرا أنه بكر وقتل الضابط عادلا ، أطلق عليه الرصاص بسرعة ، وعاد للمخيم مطمئنا لبكر أن المهمة انتهت ، وعليه أن يختفي عن المخيم عدة أيام ، فنزل لبيت قريب له في مدينة رام الله.

لم يمت عادل على الفور ، واعترف بأن أحدهم غدر به ومات ، فاستطاع الأمن الإسرائيلي القبض على بكر ، واعترف بكر عن ابن المخيم أكرم البس ، فألقي القبض عليه ، فهرب نجيب لعمان ، ومنها لسوريا ، واستقر ببيروت بحماية جمعيته والمنظمات الفلسطينية ، وأصبح طريدا لأجهزة الأمن الصهيونية ؛ لأن أكرم سيعترف لهم بأنه هو الذي سلحه ووفر له الفرد وهناك التقى بزكية حسني وتزوجا ، وولدت له خمسة ، قصصنا عليك حكاياتهم ، وعام ٨٢ غادر لقبرص ؛ ومنها اختفى نجيب عارف ورحل لكوبا ، وتزوج عميلة المخابرات أماندا روشيه اند الكوبية التي كان نشاطها في بيروت ؛ لدعم المنظمات اليسارية الفلسطينية بالأسلحة الكوبية أو التي تبتاعها لهم بحكم علاقتها القوية بالاتحاد السوفيتي تلك الفترة القوية من العهد الروسي عاش باسم جديد جيفر كرانسي الذي عرفته من تفاصيل هذه القصة

تمت حكاية وهج الحرب

سيف الزمان وجميلة

الحلقة ٣ والأخيرة

غزالة

كانت غزالة زوج الملك بهراما تـجلس في قصرها على فراش النعام والحرير ، وحولها إخوتها وعمها كلب الليل وأعمامها الآخرين ، عندما دخل عليهم الغلام ومخبرا لهم أن رسولا من أبي هند يقف بالباب ، ويرغب بالمثول بين أيديهم ، فأشارت للغلام بطرف حواجبها أن يدخله ، فدخل رجل شرس المحيا كثيف الشعر مخيف الهيئة ؛ كأنه لم يدخل حماما منذ سنة ، فألقى التحية باستعلاء وقال : أنا رسول الملك أبي هند إليكم ، وقد أتيتكم بخبر عظيم !

فقالت غزالة وهي ترمقه بسخط : اهدأ أيها النحس قبل أن تتفوه بالخبر العظيم .

فظل الرجل بانفعاله الظاهر عليه واستعلائه وقال : لقد جئتكم بخبر عظيم عن الأمير زوابع ربيب والدكم الغضبان !

فقطعت غزالة الكلام وقالت هازئة من اسم المذكور: هل قتل؟ هل أتيت تنعيه لنا يا رسول الشر ؟!

فقال الرسول باستهزاء وسخرية : لم يقتل .. أيها السادة ؟!

فقال كلب الليل ساخرا هو الآخر : إذا لم تأت بنبأ موته ، فما هو الخبر العظيم الذي بعثك به ملكك أبو هند العجوز الميت ؟!

فقال الرسول : لقد وجد والديه!

ضحك القوم بصوت عال وقهقهوا ، وصاحت غزالة ساخرة : يبدو أن أبا هند رجل مخبول ، أرسلك إلينا لتقول لنا : إن زوابع اللعين وجد أبويه .. ألا لعنة الله عليكم ما أسخفكم ! وماذا يهمنا من معرفته لوالديه ؟!

فقال الرجل وهو يهز رأسه ومنكبيه مستهزئا بهم : اسمعوا الخبر كله، ثم علقوا واسخروا بعد ذلك كما تشاءون .

فعادت غزالة للشتم واللعن وقالت : ويلك من رسول تعس ! هل بـقي شيء من الخبر؟

فصاح الرسول والسخرية بين شفتيه وقال : ألا تريدون أن تعلموا من هم والداه ؟ .. ولم ينتظر الجواب ، فتابع قائلا : فأبوه أيها السادة هو الملك قيس ملك بلاد الرايات ، وأمه الملكة سُلمى ملكة بلاد الأكباش .

ولزم الرسول السكوت ، وصدم القوم لهول النبأ وسادهم الصمت والوجوم ، وقاموا عن مساندهم وأخذوا يحدقون في عيون بعضهم بعضا ، ولما زالت دهشتهم تمتمت غزالة بخوف: ويلك ! أهذا نبأ صحيح يا رسول النحس ؟!..إن هذا

خبر لا يصدق .

فقال الرسول باسما وشامتا: نعم ، تأكد لنا ذلك.. بل انضم رجاله لجيش القائد صقر بن غراب وكثير من أتباعنا يفكرون باللحاق بهم وإعلان توبتهم .

فقال كلب الليل ساهما حالما : إيه يا ابنة أخي وعل الجبل !.. إني أكاد أن أصدق أن اللعين زوابع من نسل الملوك ، فسوى جبروته وعزته الغريبة فينا ، فقد كان كثيرا ما يردد أبي بعد انصرافه من مجلسه يا ابن الملوك ! صنعتك لصا وقاتلا جبارا ، وكان يحب أن يناديه بالأمير ، أتى الأمير ، وانصرف الأمير ، وكنا نظن أنه يقصد نفسه .. فهو إذن ابن الملوك وهذا السر الذي كان زوابع يسعى لمعرفته كان يتشاجر مع الغضبان ليعرف من أين أتى به الملك الغضبان ؟..

ولكن يا رسول النحس كيف عرفتم هذه الحقائق ؟

فقال الرسول : من الفلاحين الذين يترددون على الجبل لبيع الخضر والحب ، فقد احتفل القوم بلقاء زوابع وعودته لأهله ، فحدثوا رجالنا بذلك ، وأتت أخته الأميرة جميلة وعرفته بنفسها وأهلها ، وقد ساروا نحو بلادهم للقاء الملك الكبير .

فقالت غزالة : يا قوم أصبح وضعنا في خطر ! .. فهذا الشاب كان يكرهنا أيام جدنا فكيف اليوم ؟! عندما عرف ماذا فعل به والدكم الغضبان ؟ وحرمه من حضن والديه..فأخشى أن تراوده نفسه بغزو بلاد الملك بهراما للقضاء علينا والانتقام منا ، فهو شاب حقود دموي وحش هائل متعطش للدماء والانتقام ، ويبغض الناس ، عليكم بالتزام جانب الحذر والتربص به .

فقال كلب الليل مبديا قلقه هو الآخر : معك حق يا غزالة .. فالحرب ربما تستعر بيننا ، وهو عندما يرى والديه سيعدهم برؤوسنا وبكنوز الغضبان التي سلبها من خزائن أمه سُلمى ..

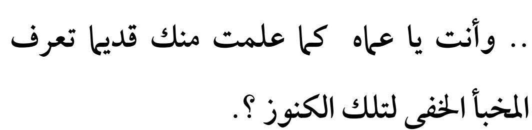
فقالت غزالة : الكنوز !!.. أجل يا عماه ، سيشتد الصراع من أجلها ، ولا يعرف نفق الغضبان إلا أنت .. والجبل أصبح ملكا لهم ، وهم يشيدون قلعة للبقاء فيه للأبد .. أيها الرسول انصرف راشدا إلى صاحبك أبي هند ، وسلم سلاما دافئا عليه وعلى رجاله ، ونحن سنأخذ حذرنا .. وأفضل أن تلتحقوا بنا ، وتخضعوا لزعامة كلب الليل بدلا من رئاسة ذلك العجوز ؛ لنقاوم انتقام زوابع سوية ، فأخبره أننا بانتظاره .

فقال الرسول وهو ينصرف : سلام وإلى اللقاء .

فلما غادرهم رسول أبي هند ، قالت غزالة : إنسان على صورة وحش !.. إنه يتشبه بوحوش الفلاة .. كان يطمع بالزواج مني !

وصرفت الأميرة الصبيان والنساء من مجلسها ، ولم

يبق إلا الرجال الكبار فقالت لهم متظاهرة بالجد والقلق: كنوز الغضبان الآن أصبحت في خطر ! فـزوابع ورجاله يعلمون أن جدنا يخفي أمواله في مكان خفي ؛ ولكنه مكان في وادي السرحان وفي جبل الرملي



.. وأنت يا عماه كما علمت منك قديما تعرف المخبأ الخفي لتلك الكنوز ؟.

فقال كلب الليل قلقا مما تبطن غزالة: تعلمون أنني كنت أرافق أبي إلى كهف الكنوز ، وكما تعلمين لم يكن أحد يجسر على متابعتنا أو اللحوق بنا ؛ لأن ذلك يعني موته .. ولكن زوابع كان أسدا بيننا ، وهو سيعتبر نفسه صاحب هذه الأموال الكثيرة ، وسيقلب الجبل بحثا عنها ، ونحن لا نستطيع المغامرة ودخول وادي السرحان ، فكيف بقرية والدي ؟! ولا

نستطيع أن نصل إلى الكنوز إلا بالعمل المدبر المحكم أو دحر جيوش القائد صقر.. والملك بهراما زوجك النحس ، لا يرضى قومه بالحرب نيابة عنا ، وأنت رضيت بحياتك خادمة عنده ونسيت قومك ، ولم تعودي تفكرين بقضيتنا وعودتنا إلى مملكتنا المسلوبة .

فقالت بحدة معهودة فيها : ويحك يا عماه ! .. إنني أبذل كل جهد ليبقى بهراما خاتما بيدي ؛ ولكن الحرب لا تقوم في هذه المدينة إلا بموافقة مجلس الأمراء والتجار والحكماء .. وهذا لا يجب أن يمنعنا عن حماية كنوز جدنا الغضبان ، وأنت إذا عجزت عن قيادة قومنا فأعطِ أخي شدادا الزعامة واعتزل الحكم والمشورة ..

فقال بحدة : ويحك إنك تغضبينني ! .. فهل عجزت وهرمت لتتكلمي معي بمثل هذا الكلام البارد مثلك ؟! .. واحذري أن أسمعه منك ثانية ؛ فإني قاتلك دون شفقة وهوادة ورحمة .

فقالت بغضب وسخط : على هونك أيها الزعيم النائم منذ جئنا هذه البلدة !.. على هونك.. أنا أريدك أن تتحرك وتفعل شيئا قبل عودة زوابع من مقابلة أمه وأبيه .

فأجابها بغضب أيضا : لن يصل زوابع لكنز الغضبان .. ولن أضع كنز الغضبان تحت رحمة بهراما زير النساء والخمر يا ابنة أخي الشجاع !

فقال أحد الجالسين راغبا في تخفيف التوتر الذي لمع على الوجوه والعيون : يا ملك كلب ! لا داعي للشجار الآن ، نحن اليوم بحاجة للاتحاد والقوة ، لا للتفرق والتمزق ..

فقال شداد مهدئا للجلسة : وأنا يا عماه ! لا أقبل أن أصبح ملكا عليك ، إنما غزالة تهيجك للدفاع عن ثروة جدنا وميراثنا لتلك الكنوز.. فكلنا

شركاء في تلك الثروة .
فقال كلب : : لستم أحرص مني عليها ، ونحن لما هربنا لم نكن بحاجة لحملها معنا ، فبقاؤها في الجبل كان خيرا للجميع وءامن ، ونحن لم نكن نعلم أن الملك قيس سيفكر بالبقاء على جبل السرحان وأن يضمه لأملاكه .. وعلينا الآن التصرف بذكاء وفطنة ، ولا يجب أن ننسى حقد زوابع علينا قبل أن يحقد على أموالنا ! فنحن أبناء الغضبان ووراثه.. فثأره عندنا ، وبغضه لنا كلنا معروف .

لما تفرق الجميع ومشوا الى معسكرهم أرسلت غزالة سرا وراء أخيها شداد ، ولما خلت به قالت : يا أخي العزيز ! كان أبوك أحق بالزعامة والملك علينا أكثر من عمك كلب ، ولكن كان عمك هو بكر الغضبان ، فكانت خفايا الملك الغضبان عنده .. وكلب رجل متردد وغير حازم ويمكنك أن تصفه بالضعف .. وزوابع هذا خطر كبير علينا وعلى أموالنا ! واعلم أن كلب لن يفعل شيئا غير الثرثرة ، ولن يكشف لنا عن موضع كنز الغضبان .. فهو لا يثق بنا ، ويظن أنه أحق الناس بأموال الغضبان .. فعليك يا ابن أمي وأبي أن ترسل قاتلا جريئا وحشا إلى بلاد الرايات ، وليس له هدف إلا الفتك بـزوابع .. وإذا سقط وكشف أمره عليه أن يلصق التهمة بأبي هند .. زوابع يعرف أننا منقسمون ، وأن أبا هند مستقل عن أبناء الغضبان .. ثم علينا أن نعرف مكان الكنز من عمنا كلب بأي طريقة .

فقال بقلق : هذا أمر خطير يا أخية !.. نخشى أن نتصارع فيها بيننا ويدب الشقاق والقتل بيننا فأولاد كلب لن يغفروا لنا قتل أبيهم بأي حال من الأحوال .

قالت : أنا لم أقل لك بقتله.. نحن نريد معرفة كنوز الغضبان وتقاسمها أو على الأقل نأخذ حصة أبينا وعل الجبل سيد الأبطال في وادي السرحان . وتساقطت بعض الدمعات على ذكره وبعد صمت قال شداد : نحن تحت أمرك ، ففكري ودبري لنا وعلينا نحن التنفيذ

فقالت بقوة : عليكم بالضغط القوي على عمك ، وتحريض الرجال على ذلك حتى يرشدكم للكنوز الدفينة من عشرات السنين ، ولا يبقى وحده حافظا ومالكا لها .. اذهب الآن .

وخرج شداد وهو حائر بأقوال أخته غزالة متضعضع الفكر، ولماذا هي خائفة على الكنوز ؟! وهي زوجة الملك بهراما ، ولديها كنوز المدينة كلها ، فذهب شداد إلى عمه كلب وصارحه بكلام غزالة ، وأنها أصبحت تشكل خطرا وجشعا على القبيلة ، فقال كلب بغضب : لقد جنت أختك ألا تشبع من الذهب والفضة ؟!.. إنها تفكر بالخلاص مني .. أشكرك يا شداد على حبك لي ، ونفذ أمرها

في إرسال رجل للفتك بـزوابع.. نفذ ذلك ، واحذروا الفشل ؛ فإن حقد زوابع سيكبر ويتضخم ، إن كان في قلبه بعض الرحمة علينا ؛ فإن فشلنا ستزول هذه الشفقة والرحمة وأمر الكنز سأدبره ، وأقول لكم عن موضعه.. أو أكشف السر للبعض قاتلك الله يا غزالة تسعين لدمارنا وهلاكنا وامتلاك أموالنا .

أراد شداد أن يلعب على الحبلين كما يقال ، أن يكسب غزالة المستأسدة بزوجها الملك ، ولا يخسر عمه كلبا ، فهو يعرف بأس كلب وغضب كلب ، فأما غزالة فغرورها وتسرعها ونزقها لا يسمحون لها بالتفكير السليم الناضج .. وقد جرى اجتماع آخر للضغط على كلب ولكشف السر .. ولما أصر على عدم ذكر مكان الكنز ، فاشتد غضب غزالة عليه وهددته بالموت علنا وبدون مواربة .

فقال وهو يكظم ثورته : حسنا يا ابنة أخي ! فقبل أن تقتليني أمهليني يومين أو ثلاثة حتى أحسم أمري في ضغطكم عليّ ، سأتجاوز عن تهديدك أيتها اللعينة ؛ لأجل العائلة والقبيلة .

سرت غزالة لهدوء عمها ، وتظاهرت بالأسف والانفعال وقالت : فكر عشرة أيام .. فنحن شركاء في أموال جدنا الملك ، وليست هي ملك لك وحدك ، فوعل الجبل ابن أبيك يا عماه .

فرد كلب ساخرا : أنت لا تشبعين ، وهذه الجواهر التي تملأ عنقك ممن يا غزالة ؟! .. واعلمي أن قتلي والغدر بي سيبعدكم عن الكنز إلى الأبد ..

فقالت : يا عماه ! نحن لن نقتلك ، هي هفوة لسان خرجت من فمي في لحظة غضب وتسرع ، أنت تعرف اندفاعي وتسرعي ..إنما نحن نريد حصة والدنا القتيل ، ولا يجب أن يبقى السر عندك وحدك .. فأخي شداد أهل إلى أن يعرف السر فالموت يُقبل فجأة ..

فصاح قائلا وهو ينهض للأنصراف : حسنا .. حسنا يا ابنة أخي ! أيام وأحسم هذا الأمر الذي شغل بالك منذ أيام ، وداعا أيها الرجال .

وأظهر كلب الاعتكاف في خيمته ، ولم يسمح إلا لغلام خادم واحد يدخل عليه بالطعام .. بل يضعه على باب الخيمة ويبتعد ، ولما اقتربت نهاية الأيام العشرة – المهلة التي منحتها غزالة لعمها بالتفكير – أرسل كلب قبل اليوم الأخير الغلام الخادم للخيمة لغزالة يطلب منها جمع الرجال ؛ ليكشف لهم مكان دفن وإخفاء أموال الغضبان .. فسرت غزالة لذلك ، وأمرت كبار قومها بالاجتماع مساء الغد ، ولما اجتمعوا تأخر كلب عن الحضور ، وطال انتظاره وتأخره ، فأرسلت إليه شداد يستعجله ، ولما دخل الخيمة لم يجده فيها ، فسأل عنه ، فأنكر الحضور رؤيته منذ دخل الخيمة ، فعاد شداد إلى أخته وأخبرها باختفاء كلب ، فأرسلت

وراء الغلام الذي كان يمده بالزاد فقال لها : إنه لم يكن يسمح له بالدخول إلى جوف الخيمة ، إنما يأمره بوضعه أمام الخيمة ويبتعد ..

وهذا الغلام كان من جواسيس غزالة ، فقد أهدته لعمها منذ تزوجت بالملك بهراما ، وكان كلب قد أخبر أولاده الكبار الثلاثة بأنه سيختفي إلى حين ، وطلب من أحدهم أن ينوب عنه في الخيمة ويمثل أنه كلب ، وغادر كلب ليلا وخفية معسكر اللصوص ، ولما تأكدت غزالة من هربه وخدعته لها قتلت الغلام من الغضب ، معتقدة أنه متواطئ مع عمها، وقد خانها رغم خدماته الكثيرة لها خلال الأيام الماضيات ، وكلفت أخاها شدادا بمنع هرب أي شخص من أبناء كلب ، بل طلبت من بهراما أن يحبسهم ففعل ، وظهر الغضب والضيق في عشيرة غزالة من فعلها اللئيم ، بل شداد نفسه لامها على هذا التصرف الأحمق ، وزجرها وتوعدها وهاجمها بشدة ، فغضبت عليه هو الآخر ، وأمرت حرسها بأن يضعوه في السجن مع أبناء عمه ، وأرسلت الجند يحرسون معسكر عشيرتها وأتباعهم ، وبمنعهم من الرحيل والهرب، ولنترك غزالة وقومها في صراعهم حول أموال الملك الغضبان .

لقد غمرت الأفراح بلاد الرايات والأكباش مرة أخرى بعودة الولد الضائع منذ ما يزيد عن ربع قرن من الزمان ، ولما تمت أيام الأفراح طلب الملك قيس من ولده سيف الزمان بأن يجلس مع حكماء البلاد سنة من الزمان ؛ ليتعلم القراءة والآداب والحكمة والشعر ، فوافق الشاب على ذلك ؛ ومع ذلك لم يستطع الصمود أكثر من أشهر ثلاثة ، فقد أرسل حكيم المدينة مدرسا على القصر يلقى على مسامعه الدروس في الحكمة والآداب والشعر ، وكان



الفارس يقضي أكثر وقته مع أخته الأميرة جميلة، ويسيران معا للصيد ويتبارزان سوية ، وذات مرة عرضت عليه الأميرة الزواج من إحدى بنات الأمراء ، فقال باسما : يا أختاه ! لا أفكر بالزواج بعد.. فهناك دين بيني وبين كلب الليل، فأموال أخي مرعي لم تعد بعد ، وقد وعدت أبي بالبحث عنها ولكن الملك أمرني بالصبر والانتظار حتى يتم بناء القلعة ، فعندئذ سيسمح لي بالبحث عن كنوز الغضبان ، ولكني أخشى يا أميرة الدنيا أن يسبقنا كلب وغزالة إليها ، فهي قد أوقعت الملك بهراما في غرامها ونكحها ، ولا يرفض لها أمرا ، وكاد أن يشعل حربا بين بلده وبلدنا لولا رفض مجلس الحكم في بلده الحرب الخارجية ، ولا يعلم دفائن الغضبان سوى كلب ابنه .. لم نكن نهتم

بذلك ، ونكترث لذلك ، فكل كان يأخذ نصيبه ..
ولما تركنا الجبل كنا نظن أننا سوف نعود إليه قريبا كما حدث في الماضي القديم ، وذلك بعد انسحاب الجيش .. فكثير من رجال العصابات تركوا أموالهم دفينة في رؤوس الجبال والكهوف .

فقالت : يا أخي الشجاع .. أتريد أن تظل بدون امرأة حتى يتم بناء القلعة والحصن .. فابنة الأمير صقر فتاة رائعة الحسن وفطنة ، وهي ابنة صديق أبيك الأمير صقر ..

فقال ضاحكا : لقد رأيتها أكثر من مرة بصحبتك وفي سهرات القصر ، ولا أدري لماذا ليس عندي ميل للحسناوات لليوم ؟! فكأن قسوة الجبل وخشونة الحياة أضعفت رغبتي نحو النساء أو أنني لم اصطدم بالمرأة الفاتنة الجذابة ..

قالت : صدق لو تجلس مرة واحدة مع ابنة الأمير ؛ لسوف تترنح غراما ، وهي بها إعجاب بشخصك القوي وشبابك الحيوي .

فقال : صبرا يا أختاه !.. ما رأيك بالسفر إلى بلاد أخي مرعي الملك ؟ .. فأنا مشتاق لأمي فلي أكثر من شهر لم أرَ وجهها وألمس حبها وحنانها .

فقالت : لا بأس بذلك .. وما رأيك بأن نصحب الأميرة عبلة معنا ؟ لعل الرحلة تغير أفكارك نحوها وتقترن بها ..

فقال: لا أفضل ذلك.. أنا أحب صحبتك أنت وحدك ، فلندخل على الملك ونستأذنه .

فدخلا على الملك قيس وبعد كلام ونصائح قال قيس : أتريد أن تهرب من دروس العلم والأدب يا ولدي ؟ .. إنما نفعل ذلك من أجلك ؛ لتكون الفارس الشجاع المتعلم ، فلربما تصبح ملكا مكاني يوما ما ، فلا يحسن بك أن تكون من أهل الجهل والسذاجة .

فقال سيف معتذرا عن ضعفه في تحصيل العلم: لقد كبر سني على التعليم يا والدي ! وعشقت الخيل والرماح ؛ ولكن سأبذل قصارى جهدي في تعلم بعض العلم ..

فقال الملك : الزواج ألا تفكر فيه ؟ .. أم أنت كأبيك في الماضي ، كان يكره فكرة الزواج والنساء حتى جرى ما تعرفه لنا .

فقالت الأميرة : إنني أحدثه كثيرا عـن ذلك ، بل عرضت عليه الأميرة عبلة ابنة الأمير القائد صقر بن غراب ..

فهتف الملك مقاطعا : إي والله ، نعم البنية ، فتاة جميلة ورقيقة وشجاعة .

فرد سيف قائلا : سيدي الملك ! لست بعجلة يا أبي ، دع الأمر للخالق .

فقال الملك وهو يتذكر أباه عندما كان يضغط عليه للزواج ويرفض: كما تشاء .. فسلموا على والدتكم الملكة ، وعلى أخيكم الملك مرعي ، وعلى

أولاده ، ولا تتأخروا في العودة إلينا ، وخذ معك عشرة من الجنود والحرس .

فقال سيف : لا داعي يا أبي .. سيرافقني غلامي وغلام الأميرة ، ولماذا نضع هذه السيوف على عواتقنا ؟!

فقال الملك : يد الـغدر لا ترحم يا ولدي .

فقال سيف : وماذا ينفع الحرس من يد الـغدر؟!

يد الغدر

لما اقتربسيف الزمان وأخته جميلة من مدينة سُلمى وأطلا على القصر ، قالت الأميرة وهي تشير بيده نحوه : ألا ترى هذا البنيان الجميل ؟.. من هذا القصر سرقك الغضبان وعبسان.. كان النصر في بلاد أبي كبشة ، وهنا كانت الجريمة .

فقال سيف : هنا ولدت إذن .. من هو أمير هذه المدينة اليوم؟

فقالت : على ما أظن الأمير جُبار ، وهو من رجال أبيك المخلصين ، وهو الذي ساعد أمنا كثيرا في وادي السرحان عندما خطفها ابن خالها المسمى ماجد وما هو بـماجد .

فقال سيف : سمعتك تتحدثين أنه لم يقتل في معركة الإنقاذ ، وقد نجا بريشه ثم انقطعت أخباره فقالت مفكرة متذكرة : احتار الناس في أمره ، قالت أمي : إنها لم تجده ، ولم تعثر على جثته ، واختفى أثره منذ ذاك الحين .

فقال سيف : ماجد .. الأمير ماجد ! .. لقد سمعت بهذا الاسم في الجبل ، وكان عندنا زعيم يدعى أبا الليل ، وعندما كان يحضر مجالس الزعيم الملك ، كان يرافقه في بعض الاحايين رجل أسمع القوم يقولون: أتى أبو الليل والأمير ماجد ، ولكنني يومذاك لم أكن أكترث للأسماء ، ولا اعيرها أي اهتمام ، ولما أصبحت فارسا من فرسان وادي السرحان لم أعد أراه أو أسمع به ، وبالأصح عندما هلك أبو الليل، وترأس ابنه جماعته لم نعد نرى ماجد في مجلس حكم رجال الجبل .. فلقد كان لهم ديوان كبير في قرية الغضبان يجتمعون فيه ويتدبرون فيه شأن الجبل أيتها الحسناء الشجاعة.. أي معلومات مهمة عن ماجد هذا أستطيع معرفتها من نائب الملك أبي هند لو أني أراه وألقاه سيدلني على ماجد هذا ومصيره ، حتى اليوم لا أدري هل سار رجاله اليوم مع غزالة وعمها كلب أم ظل وحده مع رجاله ؟ .. فنحن انقسمنا ثلاث فرق ، طائفة مع غزالة وكلب ، وطائفة مع أبي هند ، والآخرون معي ، والقليل انصرفوا لقراهم ومدنهم .. فأكثر هؤلاء اللصوص يأوون للجبل ؛ لأنهم هربوا من أوطانهم لارتكابهم جرائم قتل ، فيجدون في الجبل الحماية والرعاية وكل شيء لابد لي من زيارة وادي السرحان .

فقالت الأميرة : لا داعي للقاء أبي هند هذا ، ولا

يهمنا مصير الأمير ماجد بعد كل هذه السنوات فقال سيف : أليس هو سبب مآسينا وتعرف أمنا على الغضبان وعرقلة زواجها من أبي الملك ؟

فقالت : بل ظنوا لأول الأمر أن الأمير ماجد هو خاطفك ، وأنه كان قد دبر المكيدة قبل سقوط المدينة بأيدي فرسان الملك قيس ، ولم يخطر في بالهم الجبل ورجال الجبل .

ولما علم أمير مدينة سُلمى بوصول الأميرين خرج بنفسه يرحب بهم ويستقبلهم ، وأولم لهم الطعام وأمضى الأميران ليلة في ضيافة الأمير جُبار، وجلسوا في حدائق القصر يستمتعون بما فيها من الأشجار والأزهار والمياه ، وكان جل حديثهم عن وادي السرحان وضياع الأمير الصغير سيف ، ومع إشراقة الشمس استأذن الأخوان بمتابعة الرحيل والمسير لزيارة والدتهم وأهليهم في الأكباش ، ولما ابتعدوا عن المدينة بيومين شعر سيف الزمان بأنه متبوع ، فتنبهت أعصابه للقتال والدفاع عن نفسه وأخته وصارحها بذلك فقالت : أنا أحسست بذلك منذ فارقنا بلادنا ، علينا بلزوم الحذر، واعلم أن الذين يتبعوننا ثلاثة ملثمين ، ولم يبق للوصول إلا يومان ؛ فإذا كانوا يقصدوننا فسيتحركون ويمكرون بنا قريبا قبل دخولنا المدينة .

فرتب الأميران حيلة لكشف هوية متتبعيهم ، واختارا المكان المناسب لتنفيذ ذلك ، فقرب شجرة نزل الأميران والخادمان ، وخلعوا بعض ثيابهم ، وعلقوها بالشجرة ، وربطوا الخيل بالشجرة ، وصنع لهم الغلامان الطعام فأكلوا ، وجلسا تحت شجرة أخرى للنوم والراحة ، ثم وقفت جميلة بعد حين يسير على تل وحدها حتى ملأ الظلام المكان ، فانسحبت إلى غار صغير توارت فيه ، كان سيف ينتظرها فيه ، وأما الرجال الثلاثة المتعقبون القوم فلما اختفى جسد الأميرة تقدموا مشيا على الأقدام نحوهم ، فلما لمحوا الخيل قرب الشجرة ، ولمحوا الثياب المعلقة وكُومتين من الرمال المتمدد على الأرض عليهما عباءاتان يظنهما الرائي جسدين راقدين ظنوا أن الأميرين قد ناما ، فرقدوا ساعة من الزمان حتى اشتد الليل والحلكة ، وكان سيف وجميلة يتابعونهم من الغار ، فشاهدا رجلين يتقدمان نحو الشجرة ، والثالث تأخر ومعه الخيل ولما وصلا الشجرة شرعا خناجرهما وانقضا على الجسدين الرملين الوهميين ، ولما لم يسمعا صوتا أو صراخا أو يريا دما رفسا الثياب ؛ فإذا هي مخفية أكوام من التراب ، فتطلعا حولهما فشاهدا سيفا وجميلة والغلامين ، وهم مشرعون سيوفهم ، فهجما عليهما بسرعة ؛ ولكن ماذا يفعل خنجر مع سيف ؟ فسقطا ميتين على الأرض ، وقفز سيف على جواده وانطلق سريعا خلف الرجل الثالث ،

ولم تطل المسابقة ، فنزل الفارّ عن جواده وطلب العفو والصفح ، فساقه سيف حيث أخته والغلامان ، وكان الغلامان قد أشعلا النار في المكان ، ولما شاهد سيف وجوه القتلى قال للرجل الأسير : إنكم من رجال الجبل ووادي السرحان ؟! .. لا ينجيك أيها اللعين إلا الصدق .. من أرسلكم ورائي يا قتلة؟!

رد الرجل المرعوب : الأمان يا سيد الفرسان ! .. سأقول لكم كل شيء .. أبو هند يريد رأسك ونحن ننفذ أمره .

لم يرد سيف بل لزم الصمت حينا من الزمن ثم قال : أبو هند يريد رأسي ؟! .. وماذا بيني وبينه اللعين ؟ .. إنني لا أصدقك إنك تكذب .. ولماذا يريد أبو هند رأسي ؟!

فقال الرجل وهو يرجف : لا أدري ، ولكن أظن أن الأمر يتعلق بكنز الغضبان .. فهم خائفون على كنوزهم منك ومن رجالك .

فقال سيف بحدة وقوة وهو يضع طرف السيف على عنق الرجل وينخزه به : والذي خلقك إنك من رجال غزالة ، ولست من رجال أبي هند !.. صاحب الكنوز هو الغضبان اللعين ، وليس أبو هند إني قاتلك كصاحبيك إن لم تصدقني الحديث

فقال الرجل وهو يلتفت نحو الفتاة ويبعد السيف عن عنقه: أنا دخيل عليك أيتها الأميرة ! أنا فعلا من رجال غزالة زوجة الملك بهراما .. سأقص عليكم الأمر .

وحدثهم عن صراع غزالة وكلب ، وهرب كلب من معسكرهم في بلاد بهراما ، وهم خائفون من ضياع الكنوز وأموال الغضبان على يديك ، فكلفتني الملكة وهؤلاء الرجال بالقضاء عليك وإذا وقعنا بين يديك أن نتهم أبا هند .

فقالت الأميرة بعد اعتراف الرجل : هذا هو الحق يا سيف ! فاعفو عن حياته ، ثم ليمشِ لأميرته وملكته ويخبرها بمقتل رجليها ، وأن كنوز الغضبان لسوف يتم إخراجها رغم أنف الجميع .

فركب الرجل الجواد وانطلق هاربا يسابق الريح ، ويحمد الله بأن كتبت له الحياة ، بل فكر بعدم العودة للأميرة غزالة ، وأن يهيم في الأرض ، ويختفي في هذه الدنيا الواسعة ، وتابع الأميران والغلمان المسير بعدما واروا الجثتين ، وأمر سيف الغلامين أن يسوقا الخيل خيل القتيلين نحو بلاد الأكباش.

غمر وعم الفرح قصر الملك مرعي بمجيء أخويه سيف الزمان وجميلة ، وأقبل كل الأمراء والسادة للسلام والترحيب بهم ، وسعد القوم بوجودهم بينهم وزيارتهم ، ولما انتهى الاحتفاء بهم قالت الملكة سُلمى لولدها البكر يوما : كان أفرح يوم عندنا أنا وأبوك يوم مولدك ! آه ! كم فرح جدك

خصيب ! وكم ذبح من النوق والخراف ؟! كاد أبوك أن يطير من السعادة والفرح ، لقد كنت الابن البكر الابن الموعود .. كان القوم يخشون أن لا ينجب أبوك لما حدث مع عمك الأصغر سعيد من عدم الانجاب ولـتأخر والدك في الزواج .

وأخذت الملكة تتحدث عن تلك الذكريات ، والأبناء يسمعون كلامها بشغف وحب ، ولما أنهت الملكة حديث المولود الأول والذكريات قالت : وأنت اليوم ترفض الزواج كما علمنا من أختك الحبيبة جميلة ، وها أنت تؤثر عليها لترفض هي الأخرى عروسا باسلا .

فقال ضاحكا: أوجدت عروسا لأختي الجوهرة ؟..إيه من هو الرجل الذي يليق بها ؟! .. إنك يا أمي أنجبت لبؤة مثلك !

فقال مرعي باسما : هي ابنة من يا أخي ؟ أمها الملكة سُلمى ووالدها الملك قيس بن خصيب !

وقالت جميلة مجارية لهم : وأخشى أنا أن لا أصلح للحياة مع الرجال ! فيكون زوجي معي مظلوما..

فقالت الملكة : بل أنت أرق من النسيم ، وأحلى من السكر رغم بسالتك وفروسيتك.. أبوك يحب الفروسية ، وأراد أن يكون الأبناء الذكور والإناث فرسانا وشجاعا .. وهذا لا يعيب المرأة عندنا ؛ فأنا مثلك يا جميلة لقد عشقت الخيل والسيف والرمح والصيد .

فقال الملك مرعي : وهل ينكر أحد شجاعتك يا أماه ؟! فيكفي أنك عشت في وادي السرحان مع عتاة المجرمين - وكأنه تذكر حياة سيف معهم ـ لا تغضب مني يا سيف .

تبسم سيف وقال : أبدا يا ابن أمي وأبي ، صحيح أن رجال الجبل قساة ؛ ولكنهم جبناء يتظاهرون بالشجاعة ، وهم كالضباع عندما تنفرد بفريسة ما ، وإذا وجدوا نِدا هربوا وغدروا ..لم تذكر لنا أمنا الملكة الزوج الذي اختارته لعزيزتنا جميلة؟

فقال الملك : أتدري يا سيف الزمان لو أنك لم تخطف لكنت الآن تجلس مكاني على عرش هذه البلاد ؟! .. فما رأيك أن أخلع نفسي وننصبك ملكا ؟ .

ضحك سيف وقال : هذا قدرك ونصيبك ، ولست حاسدا لك ، وأنا قد طاب لي العيش في بلاد الرايات ، وقد أكون الملك بعد حياة أبي الطويلة– إن شاء الله – هناك .. فلست طامعا بعرش أو ملك يا أبا قيس .

أثنى جميع السامعين على الأمير سيف ومرؤته ، وعانقته أمه مرة أخرى ، فهمس أثناء ذلك في أذنها : أخبرينا عن العروس الذي اخترتيه لأختنا العزيزة ؟

فهمست قائلة : أختك رفضت ، فلا داعي لذكره ولكن ..

فقال : ولكن ماذا ؟!

فقالت : اعلم أن له أختا بديعة الحسن ، وهي مضرب المثل في الحسن والجمال والكمال في بلادنا هذه .

والتفتت إلى الملك وقالت : يا ولدي ! .. ما رأيك بأن نزوج سيف الزمان بالأميرة حسناء بنت الأمير ضارب بن غانم ؟

فقال الملك مرعي مستبشرا : والله إن ذلك من حسن الطالع ! .. فهي الجمال العجيب في بلادنا، فكثير من الشعراء يمدحون جمالها وعذوبتها وأدبها يا سيف ! ولا أظن أن والدها يرفض سيف بن الملك قيس .

فقالت جميلة كأنها معترضة : فهذا سيؤدي إلى زواجي من ابنه .. أنا أرفض ذلك يا سيف .. فالزوج الذي حدثتني عنه أمي ، هو ولد ضارب بن غانم الأمير براق .. وأنا سأرحل غدا يا سيف الزمان .

فقال الملك: مالك غضبت ؟!..ويحك ، هل نزوجك بالقوة والغصب يا ابنة الملوك ؟! .. اجلسي فلا يليق بك الغضب ..

فقالت جميلة: لأن الرجل إذا رفضتم تزويجه مني ، فلن يقبل بتزويج ابنته الحسناء الشاعرة من أخي

فقال سيف : يا أختي ! لم أوافق بعد فاهدئي . وعودي للجلوس .

فاحتدت الملكة سُلمى على ابنتها ، وغضبت عليها وتوترت الأمور ، وقالت جميلة غاضبة : سأرحل الآن ، أنا لم آتي هنا للعتاب والزواج والسب ، سأرحل وأعود إلى أبي .. هيا يا سيف وإلا سأنصرف وحدي .

وزاد اللوم والقيل من الأم والحدة ، فتركت جميلة القوم مسرعة إلى الاصطبل ، وهي غاضبة بشدة ، وأمها غاضبة أكثر منها ، ومرعي يعتذر للجميع ولسيف خاصة ، ويحاول تلطيف الثوران ، ويترجى أمه بالهدوء والتعقل ، وأسرجت جميلة الجواد ، وخرجت من القصر ثائرة غير مبالية لغضب القوم ، فصاح الملك بالفرسان أن يمنعوها فقال أحدهم : حذرتنا من اللحاق بها ، وأنها ستصرع كل من يلحق بها .

وأسرع سيف بدوره إلى الاصطبل وأسرج جواده ، وتبع الأميرة فلم يدركها ، واحتار بالدرب الذي سلكته في ذلك الليل البهيم ، وكانت الملكة ما زالت تدعو وتغضب على ابنتها ، فهدأ الملك من انفعالها وغضبها ثانية وقال : سيغضب أبي جدا يا أمي !! .. أنت تعرفين حب أبي لـجميلة ، علينا أن نتدارك الأمر .. فأنت تعيشين بعيدة عنها ، فهي متعلقة بأهل أبيها أكثر منا

فأخذت الملكة تبكي وتنشج وتقول : أنا أردت لها الخير ، ولم أزواج بين زواجها وزواج ابن ضارب،

كان الكلام مصادفة ألا لعنة الله على ضارب وابنته .. سيغضب أبوك الملك إن جرى لـجميلة شيء .. لقد دللها كثيرا .. قد كبر سنها

فلما لم يدرك سيف أخته عاد للقصر ، وودع أمه وأخاه قائلا : سألحق بها على درب بلاد الرايات الأميرة اشتد غضبها الذي لم أتعود عليه ، فهذه أول مرة أراها ثائرة ، ولا أستطيع أن أسمح لها بالعودة وحدها .

فقالت الأم وهي تعانقه : افعل ما تشاء يا سيف ! وإذا أدركتها أرسل غلامك ليطمئننا عليها وأعلمها أنني غاضب عليها حتى تأتي وتعتذر لي عن هذا الحزن والدموع التي سببتها لي يا ولدي أسرع وراءها إنها مغرورة .

فقال سيف: هوني عليك يا أماه ! سأتدبر القضية إلى اللقاء .

وهبط الحجرة مسرعا ، وكان الغلامان في انتظاره ، فأمرهما باتباعه ، وانطلق سريعا نحو الدرب الذي يسير نحو بلاد الرايات ومع إشراقة الشمس أدرك الأميرة الغاضبة، فأرسل أحد الغلامين ليطمئن أمه وأخاه ، وأنهم سائرون لبلاد الرايات

وسمع الأميرة تقول : يا سيف أمك تريدنا أن نسكن في هذه البلاد .. لا تريد لنا البقاء عند أبينا الملك وزوجات أبينا الملك وأهلينا ، فزواجنا من أهل هذه البلدة يدفعنا للاستقرار في هذه البلاد .

فقال وهو ينظر ما سمعت أذناه : ويلك .. أتقصد أمنا ذلك ؟!

فقالت ونبرة الغضب في صوتها : فلما طمأنت مرعي على الملك وعلى عدم رغبتك به ، أحبت أن تدفعك للبقاء عندها بالزواج .. لقد دار بيننا حديث قبل تلك الجلسة ، فقلت لها بقوة وعناد أنا أحب البقاء عند أبي وقومي وقلت لها أيضا أنا رفضت العيش هنا وأنا طفلة صغيرة ، فهل أوافق وأنا شابة ؟ .. فحاولت عن طريقك ، فهذا ما هيج أعصابي وتوتري .

فأخذ الفارس يهز منكبيه مصدقا ويقول : أشهد أنك تقولين الصدق!.. فقد حدثني مرعي عن حسن البقاء عنده وبجواره ، وكنت أظن أن كلامه من باب المجاملة والملاطفة

موت غزالة

هرب كلب الليل من معسكره في بلاد الملك بهراما ، ومكر بالأميرة غزالة بالاتفاق مع أولاده ، وإنه لم يبعد بعيدا عن المدينة، لقد اختفى في أحد الكهوف والأدغال ، وكان على اتصال بقومه بواسطة غلامه المخلص زهران ، فكان زهران يتنكر وينزل المعسكر على صورة متسول



، فيسمع الأخبار ويعود لسيده في الليل المظلم ،

ولما سجنت الملكة بسيف بهراما أولاد كلب الليل ، ثم اتبعتهم بسجن أخيها وبعض السادة من القوم .. فصمم كلب أن يمكر مكرا كبيرا وعظيما في غزالة ، فقال لخادمه زهران : سأمكر بغزالة مكرا تدوي له هذه البلاد عن بكرة أبيها ! .. فأريدك أن تعلم لي متى تقيم غزالة أو الملك سهرة كبيرة في قصر غزالة ؟ وعندما تعرف ذلك فأخبرني بالموعد ، وسوف ترى ما يفعل سيدك يا زهران ؟! وحفلات الملك وغزالة كثيرة ، فلما علم عين كلب بحفل وسهرة ستقام في قصر غزالة أخبر سيده كلب الليل بوقتها، ولما سأله عما سيصنع ؟ فقال كلب الليل : أحضر لي ثيابا تشبه ثياب غلمان القصر .. سأذهب وأحضر هذه الحفلة ، وسوف تسمع بمكري يا زهران بابنة أخي اللعينة .

تسلل كلب الليل بزي الغلمان والخدم العاملين بقصر غزالة ، ودخل المدينة مع الظلام الدامس وسار نحو القصر المعروف له ، وطلب من زهران انتظاره مختفيا أمامه ، ولما بدأ ضيوف القصر بالانصراف بعد منتصف الليل ، دخل كلب القصر ، وظنه الحرس السكارى بأنه أحد غلمان القصر خرج لحاجة ثم عاد ، وكان الظلام رغم القناديل والشموع قد اشتد ، دخل كلب الليل مخدع الأميرة غزالة الذي لا يخفى عليه ، واختبأ فيه ، وبعد حين أتى الغلمان والخدم بالملكة وهي تكاد يغمى عليها من كثرة الشراب واللهو ، وقامت الجواري بخلع ثياب الحفلة عنها وإلباسها ملابس النوم ، ومددوها على السرير واستغرقت بنوم عميق وبعد حين قصير أتى الغلمان والجواري بالملك السكران ، وأرقدوه على سريره بجوار الملكة ، واطفأوا المصابيح والشموع ، ولما سكن القصر وخفت الحركات ، ولم تعد تسمع سوى أنفاس السكارى والمخمورين من كثرة الشراب والسكر انتزع كلب خنجره المشحوذ وأغمده بصدر بهراما ، وغطاه ، وتسلل هاربا من القصر ، وقال لزهران : لقد قتلت بهراما ! لأرى ماذا سيحدث بغزالة اللعينة ؟! لقد ظنت أننا نسينا القتل والسلب !

فهتف الغلام مصعوقا : قتلت الملك ؟!!

فقال : أجل يا زهران ! .. ستشتعل البلاد لهيبا.. خذ حذرك وأنت تأتي إليّ في الجبل .. إياك أن تصل قومنا بضعة أيام ، هم لا يعرفون غضب كلب الليل بن الغضبان إذا غضب .. إنها تريد كنوز أبي .. تخوفني بـزوابع.. فمن أين له أن يصل لكنوز الغضبان ؟! .. كل شيء كان الغضبان يحب أن يفعله بيد غيره إلا المال فقد كان يخبئه بيديه.. المال هو العظمة والقوة يا زهران .. احترس أيها الرفيق وأنت تأتى بالأخبار .

وكما توقع كلب ، لقد قامت الدنيا ولم تقعد عندما

اكتشف القوم مصرع مليكهم ، فهاج الناس وماجوا ، واضطربت المدينة لهذه الطعنة الغادرة ، والكل يسأل من هو القاتل ؟! من هو صاحب المصلحة في قتل بهراما ؟! وكانت غزالة واجمة باكية ربما حزينة ، وتقول : ما فعلها إلا عمي كلب ؛ ولكن كيف ؟! .. لقد هرب ولم يجده رجالي وأعواني .. سأقتلك يا كلب قتلة الكلب .

عجز الأمراء عن معرفة القاتل لبهراما ، وقاموا بدفنه وتنصيب أكبر أبنائه ملكا على البلاد والعباد الملك شهراتا ، ولما تمت بيعته ، فكان أول أمر أصدره هو طرد زوجة أبيه غزالة وقومها من البلاد ، واعتبرهم هم السبب وراء مقتل والده رغم عدم وجود دليل على ذلك الاعتبار ، فعادت غزالة تجر أذيال الخيبة إلى معسكر قومها ، ورأت الجنود وهم يضربونهم ويطردونهم شر طردة من البلاد وحيث يقطنون ، فأخذت بالنواح والبكاء ، وأرسلت إلى الملك تترجاه بالعفو عن أخيها شداد ورجال قومها الذين أمرت بسجنهم في حياة أبيه ، وأنهم سيغادرون البلاد كما يشاء الملك الجديد .. فأخرجهم شهراتا من أجل روح أبيه ، فخرج الجميع هاربين يبحثون عن مكان جديد يأوون إليه ، ولما رأت شدادا قال لها بغضب : هذا ما جنيت على نفسك يا غزالة ؟! أصبحنا مطرودين ولا راعي لنا .. أنت سبب هرب عمنا وملكنا طمعت بالملك ..!

فقالت بحقد وغضب : أخبر الرجال بأنني سأعلن نفسي ملكة عليهم ، ومن يرفض ملكي فليهجرنا ويبتعد عنا .

فضحك ساخرا وقال : أنت تحكمين على نفسك بالموت .. فاحذري الغدر ممن يبايعونك .. فالمعركة قد بدأت .

فقالت : لا .. بل انتهت أيها الرعديد .. وأقسم بالذي خلقك إنه ما قتل الملك إلا عمك الجبان كلب .. ولكن لا أدري كيف دخل القصر ؟!

فقال شداد وهو ينظر للأفق البعيد : أمر وانتهى .. فلنحافظ على أنفسنا .

فقالت بحقدها وغضبها : لن يهدأ لي بال حتى أرى عمك صريعا مجندلا ، كما جعلني أرملة سأجعل بستونة أرملة .

فقال شداد : أين دم وعل الجبل الذي تعاهدنا على تحقيقه ؟!

بايع القوم غزالة الغاضبة ملكة عليهم رغما عن أنفسهم ، ولئن تفرقهم في هذا الظرف ضعف كبير لهم فوق ضعفهم ، ونصبوا خيامهم بين وادي السرحان ومملكة شهراتا بن بهراما .. وكانت هذه الأخبار تصل لكلب عن طريق غلامه المتسول زهران ، ولما استقر قومه وقد عزلوه عن الملك، قال كلب : هل سأبقى طريدة من غزالة الملعونة ؟!

.. زاد تعديها عليّ .. لابد من قتلها ما تقول يا زهران الطيب الوفي ؟!

فرد زهران قائلا : لقد تنمرت يا سيدي !.. أصبحت نمرة قاسية الفؤاد ، والأمر لك ، وأنا عبدك وخادمك المخلص يا سيدي الملك .

ثم فكر كلب قليلا وقال : هل ترى أيها الخادم المخلص أن قتلها سيحل مشاكلنا أم ستزداد ؟

فقال زهران الخادم : ليس لها ولد يطالب بالثأر بدمها ، ولكن إخوتها كثر ، وأكثرهم لا يطيقها ولكن الدم يفجر الدم ..

فقال كلب بحقده وجفائه : ولكنها تمردت وتمادت ، ونصيرها بهراما قد هلك كما تعلم .. عليّ أن ألتقي بكبار قومنا وعشيرتنا سلالة الغضبان وأنصارهم وحلفائهم .

فقال زهران : وعيونها ؟!.. ولا هدف لها إلا رؤيتك ، فلا تغيب خيمة زوجتك عن ناظريها .

فقال كلب : سأجد ثغرة أيها الشيطان وأصل إليها .. الأيام تضعف الأقوياء .. أريد أن أجتمع بابني الكبير يا زهران .. سأكون عند عين الشجرة .. فليكن هناك بعد يومين .. سأجعل منك ساعدي الأيمن يا زهران ! وأزوجك ابنتي زينة الجبل إذا نجحت وعدت ملكا على قومي بدلا من تلك الملعونة .

عند عين الشجرة التقى الأب وابنه وتشاكيا وتباكيا ، ثم قال كلب : يا ولدي قررت قتل غزالة كما قتلت زوجها بهراما !..لا تندهش أنا الذي غدرت به ، وأنا ابن الغضبان وابن الجبل ولو شئت يومها لقتلت تلك النمرة معه ؛ ولكن أحببت أن أعيد لها صوابها وعقلها وأذلها ؛ وها هي مصرة على معاداتي ، وتمردت على الركون إلى مخدع النساء وخدرهن .

فقال الابن : إنها تعرض عليّ نفسها ، تريدني زوجا لها ..

فقال كلب : زوجا لها ؟! يا لها من ماكرة ! عرفت من أين تؤكل الكتف ؟!.. تريد كشف أسرارنا وهل نحن على اتصال ؟ .. لا يا ولدي إنني قاتلها اليوم أو غدا .. أريدك أن تهيئ الرجال لعودتي فإني قادم إليكم قريبا .

استدعت غزالة ابن عمها رشق وقالت له : لم أسمع جوابك يا رشق يا عاشق الصيد ؟! .. ماذا صدت في خرجتك الأخيرة ؟.. ألست أهلا للزواج منك ؟

فقال رشق بخبث : إني حائر أيها الملكة !.. أترضين بي بعدما نكحت ملكا كبيرا ؟

فقالت بغرورها المعروف : نحن أبناء اليوم يا ابن عمي ، وأنا اخترتك دون رجال القبيلة والأقارب.. ليعرف والدك النذل معزتكم عندي ، ولا يـفكر بالعودة إلينا وطلب الملك .

فقال وقد تخابث أكثر : وهل إذا رفضت تبقين على حياتي ؟

فقالت بحدة : لا أظن ذلك .. سأتزوجك يعني سأتزوجك .. وغزالة لا يقال لها لا .. هل سمعت ؟

فقال بتخاذل : أنا رهن إشارتك .. أنا لا أحب أن أموت ، أرضى بأن أكون زوج الملكة .

فقالت ضاحكة : أحسنت يا رشق ! بدأت تفهمني الآن .. أخرج وأعلم أشياخ القوم وأتباعنا أن الزواج ليلة الجمعة .. ولتقم الأفراح والليالي الملاح على شرف الملكة غزالة .

وأخذت تضحك وتقهقه حتى ظن رشق أنها مجنونة !

وقامت الأفراح في معسكر القوم ، ونصب خباء كبير ليكون سكنا للزوجين ، ولما انتهت رقصات القوم .. تقدم رشق وأمسك بيد العروس اليسرى ، ورقصا عدة رقصات، ثم تقدم بها نحو مخدع الزواج ، وعند منتصف الطريق تراجع المحتفلون ، وابتعد الحرس عن الخباء والخيمة الكبيرة ، ولما وصل رشق الخيمة فتح بابها وهتف : ادخلي يا مولاتي الملكة إلى قصرك الجميل !

فقهقهت وهي تدخل وقالت : قصر !! .. ويلك يا رشق ! هذه خيمة جرباء ؛ ولكن للأسف لابد من الحياة فيها .

ولما استقرت بداخلها ، وتخففت من بعض ثيابها قالت : مالك أيها الزوج ؟! .. ما زلت بثياب العرس ؟!

وقبل أن يرد عليها الزوج رشق برز لها كلب الليل وهو مشهر خنجره قائلا هائجا : إني قاتلك يا غزالة !

فخافت من المفاجأة وقالت بصوت خفيض : عماه !!

فصاح : أجل عمك يا غزالة اللعينة !.. تريدين ثروة الغضبان .. فأعلمي قبل أن تموتي أنني أنا الذي قتلت بهراما .. وسأقتلك أيتها الملكة ..

وقبل أن تتكلم أو تصرخ أغمد الخنجر في صدرها ، فشهقت شهقة الموت وماتت ، وخرج فوجد رشقا قد قدم له جوادا،وظهر رجال ملثمون، فصاح فيهم كلب الليل : يا قوم .. استقيظوا من سكركم وخمركم .. أنا كلب الجبل .. كلب الليل .. لقد قتلت غزالة

أيها الجبناء كما قتلت بهراما الملك !

فهرع الناس من منامهم مذعورين مولولين قبل قليل كانوا يسكرون ويمرحون ، فطار السكر وطار المرح ، وسمعوا كلبا يعلن نفسه ملكا عليهم ثانية ، ويحذر أولاد أخيه من الغدر به ، وكان يهتف : غزالة لقد طغت وتجبرت علينا ! وحبست أبناءنا وتسلطت علينا .. وهذا عار كبير في حياتنا وتاريخ

الجبل وحياة قومنا !! فأردت إنقاذكم من طغيانها وجبروتها .. هل سمعتم ؟!

فهجم عليه شقيق لغزالة وهو يصيح : كذبت يا غدار .. يا جبان يا هارب !

ورماه بخنجر حاد النصل ، ورغم الظلام فقد أصابه ، فدب الهرج والمرج والقتال بين القوم حتى الصباح ، ولم يمكث كلب إلا أياما ثم هلك ولحق بغزالة غريمته ، ورفض أن يكشف لهم مخبأ الغضبان في جبل الرملي، ودفنوا قتلاهم ، وداووا جرحاهم ، واتفقوا على أن يتفرقوا بين الناس وبين المدن ، ولا يتعرف بعضهم على بعض إذا رآه ، وهكذا اختفى قوم الغضبان ورجاله.

وانتشر خبر مقتل غزالة وكلب بين الناس شرقا وغربا حتى وصل مسامع الأمير سيف وأخته جميلة ، فقال : يا ترى هل أفضى بسر الكنوز لأحد ؟! .. أموال أمي ما زالت في نفسي وبالي يا جميلة.. ما رأيك بأن نسير لوادي السرحان ؟ لـعلنا نصل إلى كنوز الغضبان ونعيد أموال مدينة أبي كبشة وتسكن حينئذ نفسي وروحي .

فكرت جميلة قبل أن تجيب ثم ردت قائلة : ما رأيك بأن نزور عبسان في السبع عدسات ؟ فهو من أصدقاء الغضبان القدامى منذ خمسين سنة قد مضين ، بل بدآ معا .. فلعل عنده علما بمدفن الكنوز .

ضرب الفارس جبهته لفطنة أخته وقال : أحسنت يا جميلتي !.. أجل لابد من لقاء عبسان وليمونة ، فهم من أوائل من سكن في وادي السرحان .

كان الملك قيس لا يخشى على ولديه جميلة وسيف من قطاع السبل واللصوص ، فسيف رُبي في الجبال وبين اللصوص ، وجميلة من خير النساء التي ركبت الخيل في بلاد الرايات

وحياتها سنة في الصحراء زاد من ثقته فيها ، فلذلك لما طلبا زيارة عبسان للسؤال عن كنوز الغضبان أذن لهما بالرحلة بكل أريحية.. وكان الأميران سعيدين برفقة وصحبة بعضهما البعض كان سيف يحب أخته جميلة حبا كبيرا ، ويسر بالجلوس معها والكلام معها ، وهي أيضا تبادله هذه العاطفة النبيلة حتى أن الذي لا يجد جميلة في حجرتها سيجدها بالتأكيد في حجرة سيف والعكس صحيح .. وأخذوا هذه المرة معهم في رحلتهم غلاما واحدا ؛ ليقوم على خدمتهما ، ومشيا في اتجاه بلاد السبع عدسات ، وقد علما أن الرحلة تحتاج إلى سبعة أو ثمانية أيام .. واجتازوا دروبا مأهولة تسير عليها القوافل التجارية ، ودروبا مهجورة لقطع المسافات ، وكانا سعيدين بهذه الرحلة ، وكانت الأميرة مسرورة بحكايات سيف في الجبل، وقصص السطو والنهب وقطع الطريق ، وكانا أحيانا يدخلان قرى الفلاحين

للتزود بالماء والطعام ، ثم يتابعون المسير نحو السبع عدسات ، ذات مساء وقبل الغروب بساعات انحرفوا نحو قرية وبساتين ظهرت لهم ..
فقال سيف : فلنرقد الليلة قرب هذه البساتين .. يا عبشلي هات لنا الطعام .



فأشعل عبشلي الخادم موقد النار وارتفع الدخان ، وكان سيف قد صاد أثناء السير عدة أرانب بالسهام ، وملأت رائحة الشواء المكان وبينما هم مسرورون في الأكل والكلام ظهر أمامهم خيالة ثلاث ، وعدد من العبيد ، وهم يحملون العصي والفؤوس وأدوات الحرث ، ثم اقترب منهم الخيالة الثلاث ، ولم يظهر أبطال القصة أي خوف أو قلق بل قال سيف: انزلوا إلى مائدة الطعام أيها الأسياد ..

فنظر الرجال الثلاثة بعضهم إلى بعض بقلق ، وقال أحدهم : ماذا تفعلون قرب البستان ؟!

فقال سيف : كما ترون نشوي هذه الأرانب ونحاول بلعها .. وأنتم من أنتم ؟.. أأصحاب هذه البساتين والثمار؟.. بل هذه القرية لأي المدن تابعة ؟!

فقال آخر : بل من أنتم أيها السادة ؟

فقال سيف : عابرو سبيل.

فقال الرجل الأول : يبدو عليكم أثر النعمة ، فثيابكم جميلة وثمينة رغم التعب الظاهر عليكم ونحن من رجال صاحب هذه البساتين والجنات ، وهو أحد الأمراء .. وقد ظن هؤلاء العبيد أن حريقا شب في البستان ، وأن لصوصا يفعلون ذلك فهرعنا إليكم .. ولابد أن تأتوا معنا ليراكم الأمير قبل المغادرة .

فقالت جميلة وقد تركت الطعام : ما ذكرتم لنا اسم أميركم ؟

فقال أحدهم : عندما ترونه سيذكر لكم اسمه .

فقال سيف : الحق أيها الرجال نحن نريد الآن الاستراحة والنوم ، ولا حاجة لنا برؤية الأمير، وبلغوه السلام والتحية عنا، واعتذروا لنا عن هذه المقابلة واللقاء .

ولكنهم قبل أن يسمعوا الجواب سمعوا فتاة حسناء ظهرت على ظهر حصان أشهب تقول لهم : سلام عليكم أيها القوم .. من الضيوف يا شمو ؟!

أدى الرجال الثلاثة والعبيد التحية للأميرة وتمتموا : الأميرة !.. يا مرحبا بكِ !

وسمع الرجال سيف وأخته يرحبون بالأميرة الشابة أيضا .. كانت فتاة في الخامسة عشرة من عمرها كما يبدو للناظر ، ذات جمال بديع وشعر طويل وعيون واسعة ، فعادت الأميرة تسأل: من

هؤلاء القوم يا شمو؟

فقال شمو : أغراب يا مولاتي !.. عابرو سبيل جلسوا يستريحون هنا ولشواء الصيد كما يظهر وقد ظن الخدم والعبيد أنهم يحرقون البستان .

فقالت الأميرة : نحن نرحب بالضيوف ، والنوم في القصر خير من النوم في العراء وعلى التراب يا سادة .. وأبي رجل كريم ! ويحب إكرام الغرباء ، وسوف يسر برؤيتكم وضيافتكم

أثنى سيف على الأميرة ووالدها وقال : بوركت أنت وأبوك ! ولكن يا أخية .. نحن سنستريح ساعة أو ساعتين ثم نتابع السير إلى بلاد السبع عدسات ..

فقالت الأميرة مصممة على ضيافتهم : ولا أظن أن أبي سيؤخركم .

فقالت الأميرة جميلة : يا أختاه ! جزاك الله خيرا ، نحن لا نرغب بالنوم داخل القصر بل سنتابع السير .. هيا يا أمير سيف .

فقالت الأميرة مستغربة : أمير سيف ؟!

فقال سيف باسما : نعم ، نحن أمراء مثلك أيتها الأميرة .. فهذه الأميرة جميلة بنت الملك قيس وأنا أخوها سيف الزمان ، ولولا زلة لسان أختي ما أحببت قول ذلك ..

ضحكت الأميرة وقالت : هذه حيلة ساذجة للفرار منا .. !

فظهر الغضب على وجه سيف وهو يقول : نفر منكم ! وماذا فعلنا لنفر منكم ؟!.. بل ويحك بقولك حيلة ساذجة ! ولماذا سنحتال عليك ؟! أتظنين أننا خائفون منك ومن رجالك ؟ .

فصاح شمو مظهرا حمية وقال : تأدب أيها الفارس واستل سيفه في وجوههم ، فكان سيفسيف أسرع منه ، وأطار السيف من يده فورا ، وقد احتقن وجه غضبا لتصرف الرجل ، ورفعه السيف في وجوههم

وقال : انصرفوا .. خذي رجالك أيتها الأميرة وانصرفوا ..

فقالت الأميرة متحدية: لا .. لقد أهنتنا أيها الغاضب..!!

فتدخلت جميلة قائلة: يا أميرة .. حرام عليك أن تجني على هؤلاء المساكين .

فقالت الأميرة بغضب : ولماذا هم يعملون عندنا ؟! .. إذا لم يستطيعوا أسركم .. هيا اهجموا أيها الرجال ..

بدأت معركة ، كل رجل نخزة في رأس السيف فيسقط مغمى عليه أو جريحا ، وخلال دقائق كانت الأميرة وحدها ، ورجالها الثلاثة صرعى على الأرض ، وعبيدها بين أنين وبكاء وألم ، فسقطت عن الجواد ذاهلة من فروسية الثلاثة ، وسحبت سيفها من الغمد ، وقالت بزعيق

وحقد : فارس لفارس !

فقالت جميلة باسمة : دعها لي يا سيف .

لم تصمد الأميرة الغاضبة أمام جميلة سوى بضع حركات ، وفقدت سيفها ، فأخذت تبكي وتصيح وتقول : أنا القوية الفارسة أخسر سيفي بلحظات إنكم شياطين !

فقالت جميلة وهي تضع قدمها في ركاب الجواد لتركبه : هيا يا سيف ! .. وداعا أيها الصبية نحن سائرون لبلاد السبع عدسات ؛ فإن أحببت اللحاق بنا فاتبعينا يا أميرة .. ولكن لم نعرف اسمك بعد ولا اسم أبيك ؟!

فقالت من بين دموعها وغيظها : أبي لن يغفر لكم ذلك .. أنا الأميرة قمر بنت ماجد .

فردد الأخوان معا : ماجد !!

فهذا الاسم له وقع على أسماعهما ، فنظر الأخوان في عيني بعضهما ، وقالا : أمعقول أن يكون هنا ؟!

وتوقفت جميلة عن اعتلاء صهوة الجواد وقالت : من أي البلاد أنتم ؟!

فقالت الأميرة وهي تكفكف دموعها : أتعرفان أبي ؟!



قمر بنت ماجد

لما سمع الأمير ماجد صاحب البساتين والحدائق بالمعركة ، أتى مسرعا ومعه باقي رجال المزرعة وقصت عليه الأميرة قمر قصة المعركة فاستصعب الأمر وضاق بالحادثة، وقد خشي من معركة جديدة ، وكان يستمع لابنته والأمراء على خيولهم صامتين ينتظرون ردة فعله وينظرون إلى الأمير ماجد ، ويرون أن سنه ليس من جيل أبيهما الملك وأمهما الملكة سُلمى ، يبدو أنه في الثلاثين سنة ، فقال سيف لما خيم الصمت : أيها الأمير !.. نحن لا نحب الاعتذار ، ولا الاعتداء .. فقد اتهمتنا ابنتك بالحيلة والكذب عندما ذكرنا لها اسم والدنا وأسمائنا ، وأصر رجالك على قتالنا ، فما كان أمامنا إلا الدفاع عن أنفسنا .

فقال الأمير ماجد: وهل أنتم صدقا وحقا من أبناء الملك قيس بن خصيب ملك بلاد الرايات ؟!

فقال سيف : ولماذا نكذب ؟! .. بل قلنا لهم أن وجهتنا مدينة السبع عدسات ليزدادوا اطمئنانا

فقال الأمير : وقد تغلبتم على كل هؤلاء العبيد ؟!

فقال سيف : نحن حذرنا الأميرة الصغيرة من ذلك قبل المعركة ؛ ولكننا لم نقتل أحدا منهم .. إنما هو جرح بسيط ليكف عن القتال .

فقال الأمير فجأة : أتعلمون أنني غريمكم ؟!..

وكاره لكم وحاقد عليكم وقد ساقتكم الأقدار إلينا .

فقال سيف وقد استغرب لتغير لهجة الأمير الهادئة : ولِمَ أيها الأمير ؟! فما الذي بيننا وبينك ؟! وهذه أول مرة نراك فيها !

فعاد ماجد يقول : ولكني رغم ذلك خائف من قتلكم ، فأبي حدثني عن الملك قيس وزوجته الملكة سُلمى وجبل السرحان ..

فقال سيف دهشا ومتحديا: كيف ذلك ؟! ومن هو أبوك ؟! .. ولماذا تخشى أبانا؟! ومن سيعلمه بقتلك لنا أيها الأمير؟؟ فما نحن إلا ثلاثة ؛ فإذا قتلتنا ودفنتنا تحت الثرى .. فلا أظن أن أحدا سيعلم بذلك إلا إذا خانك أحد رجالك ، وأحب أن يرث عنك هذه المزارع والبساتين ، فيذهب ويخبر الملك قيس بذلك القتل .

تنهد الأمير ماجد وهو يتطلع برجاله وللفكرة التي أوحى لهم بها ، فقال الأمير ماجد : نحن بيننا ثأر قديم ! .. وصدقوني أنني لا أحب حمله لو رضيتم بالمسالمة والمصافحة والثقة بيننا ، بل أهبك هذه الفتاة عروسا لك .

دهشت الأميرة قمر والأميرة جميلة والسامعون لهذا العرض الغريب ، فقال سيف : رغم غرابة ما أسمع فإني أصدقك !.. وسوف أسألك سؤالين ؛ فإن صدقتني سأدخل معك القصر وأنا مطمئن .

فقال الأمير ماجد : إنك ذكي ! ولابد أنك تعرف الأسرار .

فقال سيف : هل عاش أبوك بوادي السرحان ؟

فقال الأمير : أبي اسمه ماجد كاسمي ، وله رفاق بوادي السرحان .. والسؤال الثاني ؟

فقال سيف : والدك من بلاد أبي كبشة ؟!

فقال ماجد : أجل !.. هو من بلاد أبي كبشة وقد جار عليه الزمان !

فقال سيف : أحيٌ والدك ؟!

فقال الأمير : لا .. ولكنه حملني ثأرا وحقدا على الملك قيس وأولاده ! .. وها أنتم بأرجلكم أتيتم إلينا .. فسبحان الخلاق العليم !

فقال سيف : ما دام قد مات أبوك ، فلا داعي لحمل هذا الثأر .. ولنتصالح .. والآن تطيب النفس للدخول إلى قصرك .. لتعلم أننا لا نحقد على رجل لم نعاصره

كانت جميلة مدركة لكل ما يتكلم به الرجلان .. فهذا الأمير ابن الأمير ماجد ابن خال أمهم الملكة سُلمى .. فأمر الأمير ماجد بنقل الجرحى الذين لا يستطيعون المشي إلى القصر والعناية بهم ، وتصافح مع الأمير سيف وحيا جميلة وخادمها وقال سيف : أنا أعرف أباك .. لقد عشت في الجبل ما مدته العشرون سنة ، وكان يومذاك اسمي الأمير زوابع سيد اللصوص وأميرهم

فهتف ماجد قائلا : أوه ، إن هذا لشيء عجاب ! والذي نفسي بيده إن أبي حدثنا عنك، وإن زوابع هو ربيب الغضبان ، بل كان أبي يقول لي ولأمي لولا أن الغضبان غضبه الموت لظننت أن زوابع هذا ابن الملكة سُلمى المفقود ، للشبه الكبير كما بدا لأبي بينك وبين أمك الملكة فسر سيف وجميلة لهذا الكلام فقال سيف: أبوك قال ذلك؟!

فقال الأمير : أجل .

فقال سيف : الحمد لله أنه لم يقلها أمامه وإلا لقتله فعلا .. فأنا ربيب الملك الغضبان سيد وادي السرحان ، وقد رأيت والدك الأمير وهو برفقة أبي الليل في وادي السرحان ، وأنا عرفت أهلي منذ عهد قريب أيها الأمير .

فقال الأمير : أبو الليل هو صديق والدي ، وسأقص عليك بعد العشاء قصة أبي ماجد منذ نجا من معركة أبي كبشة ..

احتفى الأمير ماجد بالضيوف ، وأمر بإعداد وليمة كبيرة للضيوف ولأهل المزرعة جميعهم ولما انتهوا من الطعام جلسوا في ديوان واسع لسماع قصة الأمير ماجد الهارب من معركة إعادة الملك لسلالة الملك جعد بن همام .

قال الأمير بعدما روى قصة خطف والده ابنة عمته والهرب بها لرجال الجبل : ولما بدأت آثار الهزيمة على رجال العشيرة ، ورأى أن القوم يستعدون للاستسلام أخذ أمواله ومجوهراته وزوجه وابنيه ، وأمر أحد غلمانه المخلصين له في انتظاره خارج أسوار المدينة في مكان معروف لهما ، ولما بدأت المعركة الأخيرة ورأى أن جند أبيه أخذ بالاستسلام وإلقاء السلاح ـ وكان متحسبا للهزيمة ـ فر هاربا ومبتعدا عن المدينة الساقطة لما بينه وبين الأمير قيس والأميرة سُلمى من أحقاد وثارات ، ولما التقى بغلامه وزوجه ساروا هاربين حتى أتوا مدينة الخان ، فسكنا منزلا مستأجرا وتظاهر أنه غريب ضاقت به بلاده ، وسمى نفسه محمود بن ناجي وعمل بالتجارة فترة من الزمن هلكت فيها أمي ، ثم تعرف على ابنة أحد التجار الكبار فتزوجها فانجبت له أختي ماجدة ، ثم لم تعد تنجب ، ثم مات شقيقي الأصغر قبل البلوغ ، وخلال عمل والدي بالتجارة كان يتردد على جبل السرحان ، وكان طامعا بالانتقام والثأر من الملكة سُلمى ؛ ولكن لم يتيسر له ذلك بسبب سطوة الغضبان وجبروته ، ولما هلك أبو الليل ، ولم يتمكن من الانتقام ولم يصغ الغضبان لانتقامه عاد واستقر في المدينة ، وقد يئس من انتقامه ، وكنا نحن نظن غيابه عنا يا سيف ! للتجارة ، فلما وصل حد اليأس أتى هذه القرية واشترى هذه البساتين من ورثة أحد التجار ، وأنزلنا فيها ، وبعد حين من الزمن اعترف لنا بقصته وحبه للأميرة سُلمى ابنة

عمته .. ثم ظهر الأمير قيس ابن الملك خصيب في حياتهم ، ووافق والدها الملك على اقترانها بـ قيس ، فاضطر للمكر بها ، وأخرجها بالحيلة إلى وادي السرحان عند أصحابه من رجال الجبل .. ثم عرف شيطان اللصوص الغضبان بوجود الأميرة في الجبل فاستولى عليها ، وأرادها لنفسه ، ثم ظهر الأمير قيس و صقر والباقي لابد أنكم تعرفونه .. ورغم الصورة القاسية التي التقينا فيها ؛ فأنا سعيد بوجودكم ، ونحن أقارب رغم العداوات بين والدينا ، ورغم الحقد والثأر الذي أوصاني به قبل أن يموت ، لم أهتم بوصيته ، ولم أسع في يوم من الأيام للشروع في تنفيذها .. فأنا ضعيف وعاجز عن ذلك ، ولا أريده ، ولا مطمع لنا في الملك والحكم ، ونحن سعيدون بالحياة في هذه القرية الهادئة .

وقص سيف قصته على مسامع الأمير ماجد وابنته قمر وبناته وأولاده ، مما أدهش السامعين وأثار دهشتهم حتى قالت الأميرة قمر: ابن الملك يعيش بين الوحوش أكثر من ربع قرن .. يا الله !!

فقال الأمير ماجد : كان انتقام الغضبان من والديك انتقاما رهيبا وقاتلا ..الآن فهمت لماذا كانوا يرفضون تحريض أبي للانتقام من الملك قيس والملكة زوجته؟! .. فهو قد انتقم منهم ، ولا يريد فضح سره خوفا من معرفة الملك قيس بذلك ، فيدمر الجبل والوادي على أصحابه وساكنيه والآن كيف عرفت أهلك ؟

فعاد سيف يقول : اللعين كان يريد مني أنا أن انتقم من والديّ ، حرضني على سرقة جواد الملك قيس بطريق ذكية بايحاء ، ودفعني لسرقة أموال أخي الملك مرعي ملك بلاد الأكباش كبرت وكبر التمرد والإجرام والمغامرة في نفسي .. فسرقت فرس الملك قيس ورد ابنة الفرس المشهورة دموع ونجحت في ذلك ، ثم عرف الملك قيس بعد حين ذلك بواسطة أحد رجاله الشجعان الذي دخل علينا الجبل ، ومكث بيننا سنة ، فعرف الكثير من أسرارنا الخفية ، فصمم على غزونا ، ولكنه قبل الغزو أحب أن يحل القضية سلما ، فأرسل رسالة يطلب فيها الجواد والمال الذي سرقناه من خزائن الملك مرعي .

ثم تحدث عن محاولة خطف أبيه ، وكيف ركبت الأميرة الجواد الهائج ، ونجا الملك من الغدر ، ثم كيف اجتمعت الأميرة بـعبسان أحد رجال الغضبان القدامى ، واستمر الحديث للصباح ، فاستمع الأمير ماجد القصة ، وتعجب من شجاعة الأميرين ، ولما استيقظ الجميع من النوم كانت الأميرة قمر عاشقة ومحبة للفارس الشجاع ، وتتمنى أن يقبل بها زوجة لسماعها رفضه كثيرا من الأميرات في بلاده وبلاد أمه الملكة ، ولما تحدث

والدها ثانية بذلك قال سيف : إنني شاكر لك ذلك الكرم ، ونأسف للعراك الذي جرى بيننا وبين رجالك وسيصفح الملك قيس عنكم ، ولا أظن أن أبي يحقد عليكم ، ولا حتى على والدك ماجد ، فإن أبي يعتبر ذلك ماض وقد انتهى ، فـعبسان الذي ساعد الغضبان في خطفي صغيرا عفا عنه والدي وصفح وأكرمه .. وأما بالنسبة للزواج من كريمتكم أيها الأمير الشهم فهذا يقرره الملك .. وتأكد أني سعيد بالزواج من هذه الأميرة الجميلة التي كادت أن تجن عندما هزمتها جميلة ، فأظن الآن أنه قد ذهب إحن قلبها علينا ، وإن كان هذا الزواج قد يغيظ أمي ؛ ولكنك كما قلت نحن بيننا صلة رحم وقرابة ، والصفح والعفو سيد الأحكام .. فلما أنتهي من قضية كنوز الغضبان ، ونعيد أموال خزائن أخي الملك مرعي التي سرقتها أيام وادي السرحان اللعين ، سأرسل لك هذا الغلام الطيب أو ربما غيره ؛ لتزور الملك قيس ، وتلمس عفوه وتسامحه ، وإن شاء الله نعود أهلا وخلان يا سيدي الأمير .. أنظر إليّ أين كنت قبل سنة ؟ وأين أنا اليوم ؟!

فقال الأمير ماجد بفرح : نحن في انتظار خطابك وغلامك أيها الفارس والأخ النبيل ! لقد كان والدنا – رحمه الله – يحدثنا عن شجاعتك رغم صغرك ، قبل أن يهجر وادي السرحان أو قل قلّ تردده عليه.. فحيهلا .

وأمضيا ثلاثة أيام في ضيافته، ثم ودعوه وجميلة تقول لأخيها: لقد مات إذن ماجدعدو والديَّ وهل أنت مقتنع ومسرور بالزواج من تلك الأميرة المغرورة ؟!

فضحك سيف وقال : هي حقا مغرورة ! ولكنها فاتنة ، وما زالت طفلة يا أخت الملوك .. وتابع الحديث فقال : والزواج والمصاهرات – يا أميرتي– من الأشياء التي تزيل الأحقاد والضغائن ، ثم أن عشيرتهم قد تفرقت في المدن والقبائل.. ولا خطر على ملك أخينا مرعي منهم ، بل ربما كان هذا الاقتران منسيا الأحقاد والبغض والتفكير بإعادة الملك ثانية وثالثة ..

عندما شاهد عبسان الأميرين أمامه كاد يطير من الفرح والسعادة ؛ فكأنه كان على موعد معهم فالتزم الأمير سيف وعانقه ، وقبل الأميرة من رأسها وقال متحسرا : إيه يا جميلة يا غالية لقد كانت أيام الصحراء حلوة !.. لقد كانت تلك الأيام أيام سعادة ومرح .. يا أهلا ويا مرحبا بكم في بيت عبسان .

وعانقت ليمونة الأخوين عناق المشتاق والوفاء ، وصنعت لهما مائدة جميلة ، قرت بها عيون الضيوف وقال لهما عبسان: لقد كنت أفكر بالرحيل إليكم ،

اسألوا ليمونة لقد خيل لي يا جميلة إنك ابنتي ومن صلبي ، دائما أنا وليمونة في ذكركم أيها الأحباب

وقضى الأخوان ثلاثة أيام في ضيافة عبسان ، وتفرجا على مدينة السبع عدسات ، وقدمهما عبسان للوزير الأكبر ، فقد كان له عونا في مطاردة اللصوص ورجال الليل ، وأكد لهم توبته وحرصه على أمن المدينة ، وكان الملك قيس قد تشفع له عند الملك ، وقبل الملك شفاعته ومنحه بيتا جميلا ، وقام الوزير بإخبار الملك بزيارة ولديّ الملك قيس ، فاستقبلهما هو الآخر ، ورحب بهما وأهدى لهما ولوالدهما الهدايا.. ولما حدث عن شجاعة سيف قال له الملك : يا سيف بن قيس أريد أن أراك تبارز فرساننا ؟!

فابتسم سيف وقال : يا مولاي الملك .. أخشى أن أوغر صدرك ؛ فأنا ابن الجبل حيث القسوة والقوة الفردية ، وربيب الغضبان المشهور لدى الناس .. فأقسم الملك على أن يرى مبارزة سيف لفرسانه ، فاختار الملك سبعة فرسان ، ونزل القوم للميدان ، وطلبت الأميرة جميلة من أخيها سيف أن يأذن لها بالمشاركة بالمبارزة ، ووافق الملك على ذلك وقد أوصى ألا يؤذوهما ، فارس لفارس ، فتفوق سيف على أربعة ، وجميلة على ثلاثة أمام دهشة الحاضرين ، فطلب الملك أن يهجم السبعة على الفارسين ، ومرة أخرى أثبت سيف وجميلة شدتهما وبأسهما .. فنزل الملك نفسه الميدان وقلد الأمير سيف قلادة عظيمة في بلاده ، ومثلها لـجميلة ، وأثنى على شجاعتهما وقوة قلبهما ، وقال ضاحكا : ما رأيكما أن تتبارزا ؟!

فضحكا وقال سيف: منذ التقينا ، ونحن نتدرب ونتمرن معا .. فالسيف يحتاج لعضل قوي ، وقلب أقوى أيها الملك.. وأرجو أن تقبل اعتذارنا لغلبتنا فرسانك الأشداء ، فهم نـعم الفرسان ولكن لابد من غالب ومغلوب .

وأقاما في ضيافة الملك ثلاثة أيام أخرى ، واتفقا على أن يذهب بصحبتهما عبسان إلى وادي السرحان للمحاولة وإخراج كنوز الغضبان وإعادة أموال الملك مرعي ، فأوصى عبسان عمران على زوجته ليمونة حتى تنقضي هذه المهمة الكبيرة ، وانطلق الأربعة نحو وادي السرحان في جبل ضراب .

قطعوا القفار والبراري والوديان وعند عين ماء أمر سيف الزمان بنصب الخيام ، فأناخ عبسان البعير الذي اشتراه من عمران ، وقاموا بنصب الخيمتين خيمة الأميرة وخيمة الرجال ، واستحم الرجال بالعين ، وقال سيف: هذا الوادي يكثر فيه الظباء يا عبسان ! قد ترددنا عليه أيام الجبل فلنقض فيه بضعة أيام نستمع بأكل الغزلان .. أليس هذا جميلا يا جميلة ؟!

فقالت الأميرة مبتسمة ومشجعة للفكرة : بالتأكيد .. فأكل لحم الظباء من اللحوم الطيبة في البراري .. والحياة في البراري جميلة وممتـعة !!

وفي الصباح ترك القوم الغلام الخادم عند الخيم ، وانطلق الأمراء وعبسان العجوز حيث تتجمع الظباء والوعول عند الغدران والأشجار الكثيفة ، وبالفعل ما كادوا يقتربون من سيل ماء عميق ومتسع حتى لمحوا الظباء الحسناء وحولها الكلاب والثعالب وبعض الطيور تترصد بعضها بعضا .. فانطلقوا نحوها .. ولما شعرت بهم الحيوانات فرت مسرعة ، ولم تطل المطاردة فقد تمكن الثلاثة من محاصرة أحد الغزلان الصغيرة ، فسقط بسهم أحدهم فأسرعوا نحوه ، وقبل أن يدركوه ظهرت لهم لبوءة كامنة هناك ، ولولا سرعة سيف لانقضت على عبسان أقربهم للصيد ، فأصاب سهم سيف اللبوءة ، فزأرت وأبتعدت وهي تملأ المكان صياحا وزئيرا فقال عبسان : لولا سهمك لقتلتني اللعينة !

فقال سيف : لقد لمحتها تخرج فجأة عندما سقط الغزال صريعا ، كنت أظن أنها ستهرب عندما ترانا نركض نحو الصيد .. ولكنها اندفعت نحوك فما كان أمامي إلا رميها بسرعة ..

وأخذوا الغزال الميت وعادوا إلى الخيام، فلم يجدوا الغلام في انتظارهم ، ولا الجمل ، فقلق سيف وأخذ ينظر في الأرض ، ثم قال : لقد كان هنا رجال !.. اركبوا خيولكم .. إنهم ساروا بهذا الاتجاه - وأشار بيده لمكان سيرهم - وساقوا الجمل معهم فهذه آثار خفه .

وبعد ركض سريع سمعوا صوت رغاء ناقة، ولما وصلوا إليها لم يجدوا عندها أحدا ، فقال سيف : يبدو أنهم أحسوا بنا ، فنحن قريبون منهم .

وأسرعوا مجددا فلمحوا عددا من الرجال على خيولهم مسرعين وهاربين ، فصاح سيف : توقفوا أيها الجبناء ! .. توقفوا .

فتركوا الخادم وأسرعوا هربا؛ ولكن سيف لم يرض بذلك ، بل ظل يركض وراءهم ، ويتبعه عبسان ، وقد نزلت جميلة لتهتم بالخادم الجريح كما ظهر لها ، وأدركهم سيف وأشهر الجميع سيوفهم ، وقبل أن تبدأ المعركة قال الأمير وهو يخفف من ركض الحصان ويدور حول نفسه : من الرجال ؟!

ثم دار حولهم وسمع أحدهم يقول : لصوص .. رجال ليل .. قتلة .. سفاحون !

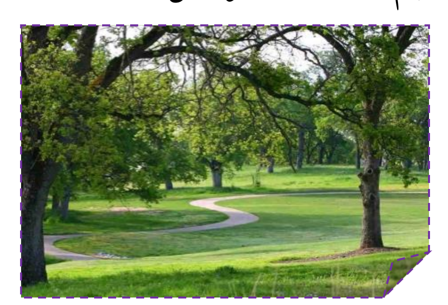
فقال سيف وهو مشهر سيفه نحو صدر أحدهم : ألم يخبركم الغلام بأنه غلام سيف بن الملك قيس؟!

فقال الرجل : بلى قد قال .. ولكننا طمعنا بالناقة وببيع المملوك .

فقال سيف : فأنتم لم تخشوا سيفي إذن ، من يريد منكم الموت أولا .

وأشار الرجل لرجاله بالهجوم.. فكان سيف يهاجم اللصوص ويدافع عن عبسان ، لا يريد أن يمس بأذى من أجل ليمونة ، وبعد قليل أقبلت الأميرة الشجاعة ، فهوى اللصوص بين جريح وقتيل ، وانصرف الأمراء وحملوا الغلام الجريح بذراعه إلى الخيمة ، فقد قام أحدهم بطعنه بذراعه ظانا بذلك إعاقة مطارديه عن المطاردة وإنشغالهم به ومعالجته، ولما وصلوا الخيمة وجدوا الوحوش قد نهشت الغزال ولم يبق منه إلا القليل ، فرماه سيف في الماء وهو يقول : لا نصيب لنا بأكل الغزلان اليوم .. ولكن لن أخرج من هذه الوادي قبل صيد غزال آخر!

وقاموا بمتابعة وإكمال إسعاف الغلام ، وصنعوا لأنفسهم طعاما مما يحملون من القديد .



دفائن الغضبان

سبحان الله ! اللصوص يقتلون ويسرقون ويجمعون الأموال ثم يهلكون ، فيأخذ هذه الذخائر والأموال غيرهم ، لما دخل الأمير سيف الزمان وأخته جميلة قلعة الجبل عمت فيها الأفراح ، وابتهج القوم بمشاهدة أولاد مليكهم بينهم ، وكان الأمير صقر قائد القلعة قد طاب له المقام فيها منذ بدأت الحملة منذ سنوات ، ومنذ بداية الإنشاء ، فبعد الترحيب الحار قال لهم : هذه المرة الثانية التي تزورنا الأميرة البطلة.. ففي المرة السابقة أتتنا الأميرة بسيف الفارس وهذه المرة ماذا تحمل لنا ؟!

فضحكت الأميرة وقالت : إنني مسرورة برؤياك يا عماه!.. وتهديك السلام الأميرة عبلة والأهل كلهم ، وهم مشتاقون لرؤيتكم وينتظرون عودتكم .

فقال صقر : لقد أشرف البناء على الانتهاء ، فلم يبق سوى تضخيم الأسوار والأبراج وتأمين الممرات والطريق بين هذه القلعة والقلعة الأخرى .. لعلكم مررتم بها ورأيتم الأمير خزون .

فقال سيف : للأسف لا .. لم تكن طريقنا من جهتها ..جئنا من جهة السبع عدسات .. نحن كما قلت وأشرت قادمون لمهمة ، وهي تتلخص بإخراج كنوز الغضبان الدفينة في هذا الجبل في كهف من كهوف هذه الجبال .. وهذا عبسان كان أحد المقربين من الغضبان منذ خمسين سنة في هذه الجبال والوديان .

وحدثه عن عبسان بعض الحديث ، فقال الأمير

صقر: على الرحب والسعة ، وإن قام رجالنا بإخراج الكثير من الدفائن .. بعضها بالتوفيق الإلهي ، وبعضها بسقطات المتسللين والمتنكرين فكل زعيم كان له مدفن خاص .

فقال عبسان: لأننا يا سيدي القائد عندما نهرب لا نأخذ شيئا ؛ لاعتقادنا أننا عائدون قريبا ولم يخطر على بالنا بناء مثل هذه القلعة في هذا المكان البعيد عن المدن العظام .. والحق أن الغضبان كان يترك كل شيء لرجاله ومساعديه إلا المال فكان يهتم به بنفسه ووحده ، ولقد قتل أكثر من ثلاثة أو أربعة صدفهم أثناء سيره لإخفاء المال ورغم قربي الشديد منه في السنوات الخوالي ، فقد كنت من أزهد الناس في المال ، ولم أفكر يوما بمعرفة مدفن ومخبأ أموال الملك الغضبان .. ولكن لما أطلعني الأمير سيف على الغاية من زيارته لي في السبع عدسات ، فقلت لهم سأبذل قصارى جهدي في الوصول إلى مخبئه ، ولن نعجز في الوصول إليه .. فهو لم يكن أذكى وأفطن منا .

فقال صقر : صدقت .. فمرحبا بكم جميعا !.. وسوف أسمح لكم برؤية الأموال التي تمكنّا من الاستيلاء عليها في هذه المغارات والأنفاق ، لعل أموال الغضبان بينها.. ففيها كثير من المجوهرات والعقود والأساور والسيوف والخلاخيل والخواتيم ..

فقال سيف : لا بأس ، وإن كنت أظن أنكم لم تصلوا بعد لمدفن الغضبان .. فالشخص الوحيد الذي كان يعرف سره هو ابنه كلب الليل ؛ ولكنه قتل وهلك كما تعلمون وسمعتم .

فقال عبسان : وأنا أظن ذلك .. نحن لما نزلنا وأتينا وادي السرحان منذ سنوات وعقود كانت كل مجموعة من الرجال يُكونون عصابة .. وكنا زعماء كثر ، وكلنا أصحاب جرائم وجنايات اجتمعنا في هذا المكان البعيد عن المدن ، ومع الزمن قويت شوكة عصابتنا بهلاك كثير من الزعماء إما غدرا من رجالهم أو من حماة القوافل ، فأحيانا يتغلب حرس القوافل على اللصوص فبدأت عصابة الغضبان تكبر وتتضخم ، ثم سمح لنا بالزواج فدخلت النساء حياتنا ، ولقد كان كل زعيم مجموعة يموت يستولي الغضبان على أمواله وثروته ، وربما انضم بعض رجاله لعصابة الغضبان ؛ ولكن بعض الزعماء كانوا يصرون على البقاء وحدهم ؛ ولكنهم يخشون غدر الغضبان ورويدا رويدا أعلن نفسه سيدا كبيرا ومطاعا في جبل السرحان ووادي السرحان ، وقويت شوكته فكان يفرض على كل عصابة أتاوة تدفع له اتقاء شره ، وهذه الأتاوات تذهب لصندوق الغضبان وحده ، أما مغامرات عصابته فقد كان كريما معهم عندما تؤتى المسروقات يختار منها ما شاء ، ثم يبدأ الآخرون

بأخذ ما يستحلونه من الحلي والذهب ، ثم توزع القطع الذهبية والفضية على المشاركين بالسوية ، وأصبح دينٌ أن كل من يموت فنصف ثروته للغضبان ، وكان كثير من الناس هنا هدفهم فقط الحياة ؛ لأن الطعام والنساء متوفرة ، وقد كانت علاقات الفلاحين وأهل القرى القريبة من بعض جهات الجبل طيبة ، ويدعموننا بالخضراوات والحبوب ، وأشجار الفواكه تملأ الجبل والوادي ، ثم أصبح لدينا خدم وعبيد ومزارعون ، فقد كبرت مملكة الغضبان حتى خضع له في النهاية كل زعماء وادي السرحان من أوله لآخره ومن شرقه لغربه .. فأنشأ مجلسا لكبار القوم ، وحلقة السلاح لتدريب الأسرى الجدد ، أو المطاريد الجدد على آداب وقوانين الجبل .. فكنوز الغضبان كثيرة يخيل لي أن مغارة كبيرة تحتاج لها ، وقد يكون له أكثر من مدفن .

بعد هذا الكلام الكثير من عبسان قال سيف: أيها الأمير .. فـعبسان يتصور أن الغضبان لم يكن يجد عناء ومشقة في إخفاء كنوزه وأمواله وما يستولي عليه ممن يموت أو سرقاته أو تآمره مع الملوك والطغاة .

فقال الأمير صقر: ما هو هذا التصور؟

فقال سيف : تحدثنا بذلك خلال هذه الرحلة إليكم من بلاد السبع عدسات إلى هنا .. فهو يرى أن نفقا كائن بين قصر الغضبان وأحد الآبار أو الكهوف .

فقال صقر باسما : لقد نـقض رجالنا القصر حجرا حجرا ، واستعملوه في بناء الجدار الغربي ، ولم يبق من آثار القصر إلا القليل من الحجارة ، ولم نجد نفقا أو بئرا خفيا .

فقال عبسان: سيدي القائد ! فهم أثناء نقض الحجارة والقصر لم يكن جل اهتمامهم منصبا على مدخل سري أو سرداب خفي أيها الأمير .

فقال صقر مشجعا : ربما كان معك حق! غدا صباحا ابدءوا البحث .. فأنا سأرسل قريبا رسولا للملك قيس يعلمه بنقل كنوز هؤلاء اللصوص وقطاع الطرق الجبناء ..

فقال سيف : إن شاء الله سأذهب بها أنا وجميلة، ومعها كنوز الغضبان وأموال أخي مرعي ؛ فأنا أريد رد تلك الأموال يا عماه .

ولما أراد القوم الخروج للنوم قال صقر: يا سيف كلمة وحدنا!

خرج جميع الجالسين ، وظل سيف وهو مستغرب لهذه الخلوة ، وسمع القائد يقول :اسمع يا ابن أخي .. أنت تعرف المعزة الجليلة بيني وبين والدك الملك ، وهو صديقي الأول في بلاد الرايات ، وأنا من الأوفياء لعرشكم العظيم .

فقال سيف وهـو أشد استغرابا لهذا الكلام : هذا

أمر لا يحتاج لتدليل يا عماه ! .. فقد شغلت بالي وروحي ما الأمر ؟!

فقال صقر : لا تقلق!.. أنا أحببت أن أتكلم معك ؛ لأرى رأيك في قضية دقيقة في نظري

فقال سيف : تكلم يا سيدي الأمير ؟ أثرت الفزع في نفسي !

فقال صقر : لا تخف أيها الصديق !.. أنا أريد أن أكلمك حتى أسمع رأيك قبل أن أتحدث مع الملك قيس.. والأمر بشأن الأميرة جميلة .

تبسم الفارس وقال : زواج إذن!

فقال صقر: أجل أيها الفطن زواج ولدي عقاب .. له هوى بالأميرة الشجاعة جميلة ؛ ولكنه يخشى أن تصده كما صدت الكثير من أبناء الأمراء والقادة ، وإنها تزعم أنها غير راغبة بالزواج ومنذ أن عدت إلينا والناس يتحدثون عن تعلقكم ببعض ، فأريد رأيك ورأي أختك قبل الإقدام على ذلك الأمر الدقيق .

قبل أن يذكر سيف رأيه حدث الأمير صقر عن لقائه بابن الأمير ماجد ، وعرضه عليه ابنته ، وأنه يفكر جديا بالاقتران بها ، فدهش صقر وقال : ألم تجد غيرها ؟!

فقال سيف : لحتى الآن لا .. وأعلم أن الفتيات كثر ؛ ولكن الرجل يريد أن ينسى ميراث أبيه وثأره ، وأن يعيش بأمان ورعاية الملك قيس وحمايته ، وهو كما تعلم لا دخل له بماضي وجرائم أبيه ، وأنا كما تعلم عشت ما يزيد عن عشرين عاما في هذا الوادي ، بين عتاة اللصوص والقتلة فقد لا أحتمل أي امرأة تعيرني غدا بهذا الماضي ، فأفتك بها أو أشوهها ، أنت تعرف وتسمع عن غضبي وحدة طبعي .. فزواجي من ابنة أمير فيه رضا لشرف العائلة والملك ، والفتاة تعرف من هو جدها ، فلا مجال لديها لتعييري وتذكيري بأي ماض .. وفوق ذلك فقد رأيت الفتاة واستحسنتها رغم غرورها ، ربما لتدللها الزائد .

فقال صقر بعد تأمل: كلامك معقول!.. ودائما تؤكد أنك من أذكى وأكيس الرجال وتنظر للأمام .. والإنسان لا يستطيع أن ينخلع من الماضي ، ونساء بلادنا فيهن مثل هذه الصفة الرذيلة من التحقير والتعيير والتفاخر.. فنساء قبيلتي من النادر أن يتزوجن من رجال القبائل الاخرى سوى قبيلة الملك قيس ، ورغم جهد الوزير عقاب واشهار والدي لبغضه لهذه العادة ما زال شيوخ القبيلة يعترضون على ذلك التغيير..إنك نعم الرجل والفارس والأمير!.. فأنا أول ساع لدى والدك لتحقيق غايتك من الزواج من قمر ؛ ولكن تبقى أمك الملكة

فقال سيف مـفكرا: لا أظن أن حقد أمي موجود بـعد كل هذه السنوات الطوال ، والرجل قد مات

ولم يؤذِها بعد اندحاره في المعركة الأخيرة .. وأمي بعيدة ، لقد حاولت تزويجي من إحدى بنات بلادها للبقاء عندها ، فرفضت أنا وجميلة أيضا .. نحن هوانا في بلاد الرايات بكنف والدنا الحبيب .. وربما أفكر أن أسكن في هذه القلعة منزويا عن المدينة ، فهنا وديان وصيد غزير

فقال صقر: لا أظن أن يوافق أبوك على ذلك .. فهو يفكر بأن يجعلك وريثه على العرش بدلا من روح الزمان أخيك من الملكة الشماء .

فقال سيف : أنا قلت وذكرت له أنني راضٍ بحياتي وحيدا حرا غير مقيد بأدوار وأشكال ، وليبق العرش للأمير روح الزمان .

فقال صقر : إنك شهم وجبار يا سيف ! .. المهم أرجوك أن تنظر في أمر الأميرة .. جس نبضها فإن كانت مصرة على عدم الاقتران برجل .. سأجبر وألزم ولدي على أن لا يفكر فيها .. أتعرف الأمير عقاب أنت ؟..

فقال سيف : نعم ، وجلست معه عدة مرات ، وهو فارس أسد ، وهو شبيهك شكلا وصورة ولا أدري أيشبهك شجاعة وقوة ؟ ـ وتبسم ـ ..ولكن أختي الأميرة لابد أنها تعرفه !.. ولابد أن عبلة ابنتك قد حدثتها عنه .. فهي الصديقة العزيزة والاثيرة لدى الأميرة .

فقال صقر : ربما حدث ذلك .. أطلب مساعدتك أيها الصديق البطل .

فقال سيف : أبشر يا عماه بكل خير ومساعدة .. وسأحاول إقناعها به.. فالزواج لابد منه مهما طال الزمن .

وعندما دخل سيف حجرته وجد الأميرة في انتظاره ، لم تذهب لمخدع النوم ، فحياها تحية الليل وقبل أن ترد التحية قالت بجرأة وابتسام : من هو العروس من أولاد القائد صقر الذي اختاره لي يا ابن أمي وأبي ؟!

ضحك سيف، وهو يعلم ذكاء وشجاعة أخته ، فقال ضاحكا: وما أدراك أن هناك عروسا ؟!

فقالت باسمة : لو لم يكن في الأمر عروس؛ لأبقاني عمنا العزيز؛ ليسمع رأيي !

فقال: إنك أذكى مني !.. هناك رجل يريدك حليلة وأما لأولاده إذا قبلت به ، والأمير الباسل يريد أن أتشفع له عندك قبل أن يخاطر في الأمر الدقيق كما يراه .. فإذا كان عند أختنا العزيزة ميل في الزواج منه .. فسيتحدث مع الملك مباشرة ، وأما إذا لم يكن لديها ميل فكأن شيئا لم يحدث

فقالت: عقاب بن صقر؟!

فقال سيف دهشا : ويحك أكنت معنا ؟! .. أكنت تسمعين لحديثنا؟!

فقالت : لا .. ليست عندي هذا العادة .. أنا أعرف عمي صقر حق المعرفة ! وأعرف أدبه وشجاعته

وصداقته لأبي .. فهو لا يحب أن يكسفه أبي لمَ بينهما من الصداقة والاخوة ، ولا يريد أن يحرج الملك الذي أطلق لفتاته الحرية في الاختيار.. والأخت عبلة سارتني بذلك ..

فقال سيف : وماذا قلت لها يومذاك؟!

فقالت : ما تظن أنني قلت لها ؟!

فقال : يا أختاه !.. إني ناعس.. ليس عندي وقت للتأمل والنظر ، هل رفضت كما تفعلين كل مرة أم ...؟!

قالت : لا .

قال : لا ! .

قالت : نعم ، لم أرفض الأمير؛ ولكني قلت لها عندما يتزوج سيدي وحبيبي سيف قد أوافق على الزواج من الأمير عقاب بن صقر.

فقال : سبحان الله !.. إذن يمكنني أن أقول للأمير صقر مبارك ، وتقدم بكل قوة .. فالأمير سيف قريب العهد من الزواج ، وقد حدثت عمي صقر عن قمر ، فأيدني وصوب اختياري .

فقالت باستغراب :صقر!.. صوب اختيارك.. ويلك ماذا قلت له؟! فالأمير صقر لا يؤيد قبل أن يسمع رأي وقول الملك قيس ..

قام عبسان إلى أطلال قصر الغضبان الذي هدم ونـقلت حجارته وأعمدته لتشييد الأبراج والأسوار في البناء الجديد.. نظر هنا وهناك ، ورفع بعض الأحجار المتبقية، فلم يجد شيئا تحتها أخذ يتحرك في حدائق القصر ، ويتذكر أماكن جلوس الغضبان ، ويتبعه سيف وجميلة وبعض الغلمان من الخدم والرقيق ، وقال لسيف : رغم ابتعادي عن هذا المكان أكثر من عشر سنوات أيها الأمير وعن الغضبان عشم ، لا أظن أنه غير مكان الكنوز ، لابد أنه استقر إلى مخبأ ما .. ولا أرى أنه من الأماكن المعقدة .. فالأموال كثيرة ، وتأتي بين كل فترة وأخرى من السطو ومن الملوك والتجار مقابل عدم تعرض رجال الجبل لقوافل مدنهم .. ويخيل لي أن الغضبان لحبه الجم للمال واللؤلؤ والياقوت أنه لا يطمئن على ثروته إلا برؤيتها في كل حين ووقت .. فهذه البساتين كانت ضمن قصره الضخم .. انظر إلى هذه الأشجار العالية كان الغضبان كثيرا ما ينام ويرقد عندها في النهار بل يتناول غداءه عندها فلنسير إليها ..

فقال سيف: أجل .. هذا العرائش كان يحب المكث عندها أيام الدفء والصيف.

ومشوا نحوها ، أشجار كثيفة عالية في السماء تشكل بتشابكها مكانا ظليلا ساكنا إلا من أصوات الطير الصغير .. وبدا الموقع مهجورا منذ موت الغضبان ، فحتى سرير الغضبان ما زال في مكانه ، وقد تراكم عليه الغبار والتراب ؛ كأن أحدا لم يجلس عليه أو يجلس في هذا المكان أحد منذ

مات صاحبه ، ربما خوفا من صاحبه الهالك أن يراه فيه .. لقد كان وحشا رهيبا موغلا في سفك الدماء

فقال سيف : هذا سريره ما زال موضعه مذ هلك

قال عبسان : هنا يجب أن نبحث عن سرداب أو حـفرة .

فقال سيف : هل نرفع السرير ؟!

رد عبسان : لا أظن أن شيئا تحته.. فالغضبان كسول ، ولا يثق بأحد .. ولا بأس من فعل ذلك فلربما ينشط عند إخفاء الذهب والفضة ..

قام الغلمان بتفكيك تخت الغضبان ونقله من مكانه ، وضرب عبسان بالفأس الأرض عدة ضربات هنا وهناك لعلها تصطدم بتجويف وفراغ ،ولكن لم يحصل ذلك .

فقال سيف : لم أكن أشعر يوما ما بذكاء الغضبان يا أبا النهار.. كنت أرى ذكاءه فقط في قسوته وسفكه للدم .

فقال عبسان: بل كان ذكيا وشجاعا ؛ وإنما أدركته أنت في شيخوخته واستقرار ملكه ، وإلا كيف تملك على هذه الجبال ؟ وعلى هؤلاء الوحوش الأشداء ؟!

قالت جميلة : صدقت يا أبا النهار ! مهما أوتي الرجل من قوة البدن ، لابد من رجاحة العقل والفكر .

أخذ عبسان يتنقل في المكان ويضرب بقدمه الأرض ، وأحيانا بالفأس ، ثم اقترب من شجرة ضخمة الساق ، وأخذ يتحسس ساقها بيديه ، ثم انتقل إلى الجهة التي لا ترى من مكان جلوس الغضبان أو من الاضطجاع على سرير الغضبان ، وهناك وجد قرب الساق فتحة مغلقة بقطعة من الشجرة وعليها اوراق كثيرة متساقطة.. وجد ثغرة ينفذ منها رجل واحد ، فأخرج الخشبة المغلق بها الثغرة وقال فرحا : ها نحن وصلنا للكنز تعالوا !

فأسرع القوم ودهشوا للباب الصغير المصنوع بذكاء قرب ساق الشجرة وجذع الشجرة الكبيرة ، والذي تخفيه سيقان الأشجار القريبة بحيث تخفيه عن أعين الناظرين ، وتخفي من يقف أمامه ، أدخل عبسان بدنه وقال : أريد مصباحا .. فالمصباح المعلق عند السرير على الشجرة تلك هو مصباح الغضبان .

فقال سيف : يا له من ماكر ! فهو عندما يقف أمام هذه الفتحة يرى من يتحسس عليه ، ولا يراه أحد ، فالأشجار تلفه بجذوعها الكبيرة ، والذي يجلس في مقعده وعلى سريره لا يمكن أن يرى هذه الطاقة إنه يرى جذع شجرة ضخم .

أتى أحد الغلمان بمصباح ، وتسلل عبسان من الثغرة ، ووراءه سيف ثم جميلة.. هبطوا سلما من عند جذع الشجرة الضخم يدخل في جوف

الأرض ، مشوا تحت الأرض مشوا وقتا ليسا قصيرا ثم أصبحوا داخل مغارة .

فقال عبسان: لا أدري كيف صنع ذلك الغضبان ؟! لابد أن الرجال الذين حفروا هذا النفق قد ماتوا ..!

تطلع القوم في جوف المغارة ، ولم يطل بحثهم ، فقد وجدوا صندوقين كبيرين ممتلئين بالمال وبعض العقود والجواهر والخناجر الذهبية .

فقال عبسان: لا أظن أن هذه فقط ثروة الغضبان ! بل وضعت للتمويه والخداع .. فعندما يجدها المتسلل يظن أن هذه ثروة الرجل فيقنع بها وينصرف .. إنه صاحبي ، وكان من أخبث وأمكر الرجال يا سيف ..

فقالت جميلة : صدقت يا أبا النهار .. فعندما يقوم أحدهم بمكر ضده ، ويصل إلى هذا السر ويجد هذين الصندوقين يظن أنهما هما كل ثروة الغضبان ، لقد كان يحسب حساب الغدر والتآمر على شخصه ، وكما قلت لا يثق بأحد .

واستمر البحث فوجدوا بابا مخفيا في المغارة فكسروه وتابعوا المسير في نفق جديد حتى وصلوا إلى كهف آخر ، وهناك وجدوا صناديق الغضبان قل عشرة قل أكثر .. صندوق فيه جواهر اللؤلؤ وآخر العقيق والياقوت .. الذهب .. السيوف والمدى والعقود وغير ذلك من الأموال الثمينة والتحف النادرة ..

ولما تأكدوا أن لا مخرج آخر ولا منفذ كروا آيبين ، فوجدوا الأمير القائد صقر واقفا أمام الشجرة ومعه الفرسان وهو في دهشة وخوف ، فبشروه بالوصول إلى الكنوز والدفائن ، فأمر بحفر النفق ، ثم تساقط الغلمان والخدم وقاموا بإخراج أموال وصناديق الغضبان ، فكانت ثروة مذهلة للجميع



الزواج الأخير

لما وصلت كنوز وادي السرحان لبلاد الرايات كان يوم مشهودا في المدينة ، وتعجب الناس من كل هذه الأموال والدفائن التي جمعها ملك اللصوص بالسفك والقتل والسطو، ثم أصبحت ملكا لملك بلاد الرايات ، فكان الملك يشارك الناس تعجبهم وانبهارهم ، ويقول لمن حوله : كم قتلوا وسلبوا ونهبوا واغتصبوا وأهلكوا من البشر حتى يجمعوا كل هذه الأموال ؟! ثم هلكوا وماتوا ولم ينتفعوا بها ، بل جمعوها لنأخذها في النهاية نحن ، ثم سنورثها لذاررينا .. لله في خلقه شؤون ! هم يجمعون ونحن نستفيد منها ونتمتع فيها ، هكذا حال اللصوص .

وقدم وفد بلاد الأكباش وأخذوا ما يتذكرونه من أموالهم ، وزادهم الملك قيس كثيرا وأمر ببيع المجوهرات والتحف النادرة إلى تجار الذهب والجواهر ، ثم أمر بتوزيع الأموال على الجنود والمحاربين والفقراء والأيتام في البلاد ، فنعم هؤلاء بخيرات وكنوز اللصوص ، وفرح الملك بموافقة الأميرة جميلة على الزواج من ابن صديقه العزيز الأمير صقر ، وأعلن النبأ في القصر والبلاد ، وكأن أحدا لم يكن يصدق أن الأميرة سوف تتزوج بهذه الطريقة البسيطة ، فكان يخيل إليهم أنها تنتظر الاقتران بملك كبير أو فارس نادر المثال ، وتأخر حفل القران حتى يأتي الأمير ماجد وابنته قمر ، فقد قبل الملك قيس اختيار الأمير سيف وأعلمه أنه ليس بينه وبين الأمير ماجد ثأر وحقد ، وأن قصة الماضي هي ماضي وأنه لم ير الأمير ماجد ذاك سوى بضع مرات ، إنما كانت مشكلته مع أمه الملكة سُلمى ولما علمت سُلمى بخطبة الأميرة جميلة أتت بوفد كبير من بلادها للتهنئة والتبريك ، ومعها الملك الشاب مرعي وتصافحت مع ابنتها ، وباركت لها هذا الاختيار والزواج ، وقالت : إن الأمير صقر رجل مقدام وكل أسرته ووالده من قبل كذلك وهو من خير الرجال ، لقد كان نعم الأخ والصديق لوالدك الملك ، فلا أظن إلا ابنه عقاب مثله مبارك لك أيتها الأميرة هذا الاقتران .

قبلت جميلة رأس أمها ، واعتذرت عما سببته لها من ضيق ذاك اليوم ، وقالت : أشكرك يا أماه ! مع معرفتي أن هواك كان أن أتزوج في بلادك ؛ ولكني متعلق بهذه البلاد .. وقد كلفني سيف أن أحدثك عن عروسه .

فقالت الأم: هو الآخر وجد عروسا.. رائع هذا! أخبريني من هي عروسه الحسناء ؟ .. هل هي عبلة ابنة صقر؟!

فقالت جميلة : يا ليت ذلك كان! .. لا ، إنما هي قريبة لك .

فقالت الملكة بحيرة واستغراب: ويحك !! قريبة لي .. وهل لي أقارب سواكم ؟

فقالت جميلة : أتذكرين ابن خالك الأمير ماجد؟!

جفلت الأم وحملقت في عيني جميلة وقالت بعد صبر وذكريات : أو أنساه ؟! .. ألم يكن هو سبب عذابي ؟

فقالت جميلة: ولكن هذا العذاب جعلك ملكة يا أماه وأم ملك وزوجة ملك !

فقالت الأم : ويحك مرة أخرى !.. وهل أنسى روح أبي واخوتي ؟!

فقالت الأميرة : هذا ماض قديم .. والأمير ماجد نـفسه قد مات وهلك .

تنهدت الملكة وقالت : خشيت شيئا رهيبا ..

فقالت جميلة: يا أمي عليك بنسيان الماضي .. فالرجل قد هلك وترك ابنا اسمه ماجد وبنتا .. ولـماجدهذا ابنة جميلة ، وهبها والدها لسيف لينسى الجميع التاريخ القديم .. وقد رضي الأمير سيف الزمان بها حليلة لحاجة في نفسه ..

أظهرت الملكة الامتعاض والضيق ، وقامت جميلة بإقناعها بالرضا ، وأن سيف قبلها ، ويرى أن حياته وسعادته ستكون معها ، ولما جلست الملكة مع سيف حدثها بالكلام الذي ذكره أمام الأمير صقر، وذكرناه في وادي السرحان ، فوجدت الأم أن في كلامه كثيرا من الإقناع والصواب ، فباركت له ذلك الزواج .

وبعد أيام أتى الأمير ماجد وحاشيته وابنته العروس ، ودخلوا على الملك قيس وأبدى أسفه واعتذاره عن أفعال أبيه ، فعانقه الملك قيس وخلع عليه وقال : يا ولدي أنا لم يكن بيني وبين أبيك أي عداوة أو حقد .. نحن طلبنا الأميرة ذاك الزمان ، ووافق أهلها ، فكانت مشاكله مع

قومه ، وأراد منع هذا الزواج وجرى ما حدثك به ، وأنت الآن صهرنا ونسيبنا تعالي يا قمر

فاقتربت قمر الحسناء من الملك وقبلت يديه ومسح على رأسها وبارك لها بعروسها سيف، وجرى الصلح بين الملكة سُلمى وابن ابن خالها ماجد ، وقالت الملكة : كما قالت ابنتي جميلة الماضي يبقى ماضي ، ولو رضي والدك بزواجي من الملك قيس ، ولم يخطفني ما جرت كل هذه الأحداث التي عايشناها ، وأنا لا أحمل لكم أي ضغينة والذي فات مات والله يغفر للجميع !

فانحنى الرجل مقبلا ليد الملكة وشاكرا لعطفها وحامدا لله على الساعة التي لقي فيها سيف وجميلة وكانت قمر تكاد تطير من الفرح لم تحقق لأبيها من العفو والصفح ، وهو البريء من أفعال أبيه وفرحت أكثر عندما تم عقد زواجها على الأمير الباسل سيف بن قيس ، وعلى أثر ذلك أعلن الملك الأفراح سبعة أيام في بلاد الرايات .

وتوافد الأمراء والفرسان للمشاركة في هذا العرس الكبير الذي أقامه الملك قيس لولديه الأمير سيف الزمان والأميرة جميلة، واحتفل الشعب كله بزواج الأمراء ، وأطعم الفقراء ، وكساهم الملك ، وتصدق بالمال والخير الكثير ، حتى أن أنباء الإحسان الذي بذله الملك في بلاد الرايات وصل للمدن والقرى المجاورة ، فهرع الضعفاء والفقراء إليها ، ثم تم زفاف العروسين بسلام وأمان وبهجة .

وبعد سنة من هذا الزواج السعيد كان الأمير سيف يجلس في حديقة قصر الأقواس وبين يديه طفلة جميلة ، ويقول لمن حوله : هذا عروس جميلة يا ابنة

الملوك وأخت الملوك !

فترد الأميرة بابتسامة حسناء: لقد وافق الأمير عقاب على أن تكون هذه الجميلة لولدك أسد !

وأخذت تعانق وتقبل ابن أخيها الذي بين يديها بحب وسعادة ، ثم قالت : الصغيرة تنتظر هدية خالها .. فالملك قيس قد أهداها تاجا صغيرا من الذهب وحبات اللؤلؤ .

فقال سيف باسما ومداعبا : أنا سأهديها فلذة كبدي أسد الزمان .. ألا يكـفي هذا هدية؟!

فقال الأمير عقاب : إنه أجمل هدية يا أبا أسد! .. فـهند لكم إن رضي بها أسد عندما يصبح أسدا هصورا كأبيه .

فقال سيف بعدما أثنى على صهره الثناء الحسن : إننا زائرون لعمي ماجد، فما رأيك أبا هند بمرافقتنا في هذه الرحلة ؟ .. فالأميرة جميلة لها سنة لم تخرج من القصر منذ حملت بزوجة ابني وهي محبوسة في القصر.

فالتفت عقاب لزوجته وقال : الأمر لها .. فهي مليكتي .. فـجميلة كنز .. فكثير من الأحباب كانوا يتخوفون من زواجنا ، ويظنون أن مصيره الفشل ، فقد كانوا يرون في الأميرة رجلا بثياب امرأة وليست أنثى! ولكنها خيبت ظنون الجميع .

وأخذ الجميع بالضحك ، وقالت جميلة : ما دام أن الأمير الحبيب ترك الأمر لي .. فأنا أيضا أقول إذا وافق زوجي الحبيب على هذا السفر فأنا موافقة .. وأيضا لا تكـفي موافقته وحده بل يجب أن يوافق عمنا الكبير صقر فأنا أحبه وأحب موافقته .

فقال عقاب : ووالدي يحبك جدا ومعجب بك ، ولم يكن يصدق أن تكوني كنته لِـمَ اشتهر عنك من رفض الزواج والفتيان .. فهو يحبكم ويحب سيفا حبا كبيرا ، ويسر بالجلوس معه .

فقال سيف وهو ينادي على الخدم والمراضع : تعالوا خذوا هؤلاء الأطفال .. وهيا بنا نزور الأمير الشجاع صقر بن غراب .

سعد الأمير صقر بلقائهم وأظهر سعادته وسروره ، وقدم لهم أجمل العشاء ، وقال بعدما عرف سبب مجيئهم : بل سأكون أولكم في هذه الرحلة ؛ فأنا أحب صحبتكم وصحبة ابنتي جميلة الطيبة !

قبلت الأميرة رأس الأمير وقالت : نعم العم أنت يا عماه !

وبعد عشرين سنة أيها الأخوة الكرام تم زفاف الأميرة هند بنت عقاب وجميلة على الأمير أسد الزمان بن الأمير سيف الزمان وقمر .. وهذا آخر ما نعلمه من قصة الأمير سيف الزمان وأخته الحسناء جميلة بنت قيس ملك بلاد الرايات .

انتهت قصة الأميرين سيف الزمان وجميلة

شحاذ أبو خروف ١٩٧٣

وكالة الغوث

انتشرت على أثر كارثة فلسطين ١٩٤٨م ما يسمى بمخيمات اللاجئين الفلسطينيين التي تديرها مؤسسة الأونروا ، وانتشرت هذه المخيمات في كل الدول المحيطة بفلسطين ما عدا مصر ، والسبب أن غزة أصبحت قطعة من مصر ، وربما وصل عدد المخيمات المعترف بها وتدار من وكالة الغوث خمسين مخيما ، وهي مخيمات بؤس تذكر بالمأساة الكبرى للشعب العربي الفلسطيني وانتشرت مخيمات غير رسمية حول بعض المخيمات الرسمية ، ويسكنها الفلسطينيون وفقراء الدول العربية أو العمال الوافدون .

واشتد الصراع بين العرب ومناصريهم من دول العالم واليهود ومناصريهم من دول العالم ، فظهرت ظاهرة العملاء والجواسيس بين الشعبين ، وأحداث هذه القصة وغيرها من قصص أبو خروف كانت في عقد السبعينيات من القرن العشرين .

وقبل الدخول لإحداث هذه الحكاية نتعرف على وكالة الغوث الدولية أسست الأمم المتحدة منظمة تسميهئة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين الأونروا في نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٤٨ لتقديم المعونة للاجئين الفلسطينيين ، وتنسيق الخدمات التي تقدم لهم من طرف المنظمات غير الحكومية ، وبعض منظمات الأمم المتحدة الأخرى ، وفي ٨ ديسمبر / كانون أول ١٩٤٩ وبموجب قرار الجمعية العامة رقم ٣٠٢، تأسست وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) لتعمل كوكالة مخصصة ومؤقتة، على أن تجدد ولايتها كل ثلاث سنوات لغاية إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية ، ومقرها الرئيسي في فينا عاصمة النمسا وعمّان العاصمة الأردنية .

بدأت الأونروا عملياتها يوم الأول من مايو / أيار ١٩٥٠، وتولت مهام هيئة الإغاثة التي تم تأسيسها من قبل وتسلّمت سجلات اللاجئين الفلسطينيين من اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

ومهامها تنفيذ برامج إغاثة وتشغيل مباشرة بالتعاون مع الحكومات المحلية، والتشاور مع الحكومات المعنية بخصوص تنفيذ مشاريع الإغاثة والتشغيل والتخطيط استعدادا للوقت الذي يستغنى فيه عن هذه الخدمات بعودة اللاجئين إلى مدنهم وقراهم أو ينفوا في الأرض .

تمول الأونروا من تبرعات طوعية من الدول المانحة، وأكبر المانحين للأونروا هي الولايات

المتحدة الأمريكية والمفوضية الأوروبية والمملكة المتحدة والسويد ودول أخرى مثل دول الخليج العربية وكندا والدول الإسكندنافية واليابان . تنفق هذه الأموال سنويا على برامج التعليم ٥٤٪ ، برامج الصحة ١٨٪ ، للخدمات المشتركة والخدمات التشغيلية ١٨٪ ، برامج الإغاثة والخدمات الاجتماعية ١٠٪

تغطي خدمات الأونروا للاجئين الفلسطينيين المقيمين في مناطق عملياتها الخمس وهي الضفة الغربية وقطاع غزة ولبنان والأردن وسوريا ، وقد عرفت الأونروا اللاجئ الفلسطيني بالشخص الذي كان يقيم في فلسطين خلال الفترة من أول يونيو/ حزيران ١٩٤٦ حتى ١٥ مايو / أيار ١٩٤٨ والذي فقد بيته ومورد رزقه نتيجة حرب ١٩٤٨، وعليه فإن اللاجئين الفلسطينيين الذين يحق لهم تلقي المساعدات من الأونروا ، هم الذين ينطبق عليهم التعريف أعلاه إضافة إلى أبنائهم .

عبد المجيد ضابط عربي متقاعد منذ العقد الماضي ، وهو اليوم تجاوز الستين سنة ، ويسكن في شقة في عمارة من ثلاثة أدوار أنشأها في أبو خروف ، وكل دور يتكون من شقتين فهو يقطن الدور الأول وابنته تسكن الشقة الثانية في نفس الدور ، ومخرجهما للشارع واحد ، والطوابق الأخرى لها مخرج آخر ، ومنزله تقريبا في وسط الشارع الجانبي الذي يربطه بالشارع الرئيسي وفي شارع أبو خروف الخلفي المسمى شارع السالم ، واسم شارع بيته النخلة ، وعلى رأس الشارع جهة شارع الحي الرئيسي مكتبة ـ اسمها مكتبة الطالب لصاحبها طلال أبي علي ـ يأخذ منها الجرائد والمجلات ، وهي في طريقه للمسجد ، وسوق خضار أبو خروف خلف المسجد ، فهناك محلات لبيع الخضار واللحوم والأسماك والفواكه والبهارات والخردوات .

برنامج الشيخ عبد المجيد تلك الأيام ومن سنوات بسيط ومختصر ، هو يعيش وزوجته ذات الأصل التركي في شقة تسمى بيت عبد المجيد محمد ـ والعمارة كلها يسميها الناس عمارة عبد المجيد محمد ـ يذهب الرجل عصر كل يوم إلى المسجد لصلاة العصر في مسجد الحي ، وبعد الصلاة يدخل المقهى ، ويجلس مع جيرانه ومعارفه ساعة من الوقت ، ويذهب بعد سماع أخبار الحي وشائعاته الجديدة إلى السوق الواقع خلف المسجد لشراء ما يحتاجه البيت من حاجات ، ثم يقفل عائدا لشقته ، فيجلس مع زوجته العجوز مثله ، فهو من المحافظين على صلاة العصر جماعة فقط ، وصلاة الجمعة أيضاً ، وهوايتهم قراءة الصحف والمجلات والقليل من الكتب السياسية والفكرية

، وله برنامج آخر في فترة الصباح كل الأيام حتى الجمعة ، وهو قراءة الجريدة اليومية ، ومتابعة صفحة الوفيات ؛ فإذا وجد فيها شخصا يعرفه أو خدم وأياه في الجيش يتصل معزيا بأهله وأبنائه ، إذا كان هاتفهم لديه أو يبعث برقية من مكتب البريد في الحي ، والجرائد اليومية يذهب بنفسه للإتيان بها من مكتبة (الطالب) التي تقع على رأس شارعه ، وهي على الشارع الرئيس بالنسبة للحي ، فكان يعتبر وجودها من محاسن أبو خروف ، مع أن الحي الكبير يوجد فيه مكتبات أخرى ؛ لكنها أقربها إليه ، فيشتري الصحف والمجلات ، وأحيانا تذهب زوجته أم عبد الله ، وتارة يرسلها لهم صاحب المكتبة مع العامل عنده أو بنفسه إذا كانت لديه رغبة بالحديث والدردشة مع السيد والتعليق على خبر مثير ، وشرب كأس شاي معه .

كان الشيخ عبد المجيد يضع في جيب الجاكيت التي يلبسها عندما يخرج لصلاة العصر ما يعادل دينارا من القطع المعدنية ؛ ليتصدق بها على المتسولين في شوارع أبو خروف ، وكان الموقع الأهم لهؤلاء الجلوس على الرصيف أمام بوابة المسجد ، وعند خروج الناس من الصلاة يبدأ صياحهم بطلب الإحسان لمدة انتهاء الناس من التجمع أمام المسجد ، ثم ينتشرون حتى الصلاة القادمة .

الكثير من المتسولين ينتشر في شوارع ومحلات الحي طالبا المال الذي يسمونه الإحسان ، وبعضهم يستوطن المكان حتى صلاة العشاء صيفا وشتاء ذكورا ونساء .. فهناك شحاذون ثابتون ، وبعضهم متجولون ، وبعض هؤلاء لهم تجمع أمام الجمعيات والمراكز التي يتردد عليها الناس بشكل يومي .

فالسيد عبد المجيد كان يحمل دينارا من القطع المعدنية من أجل تفريقه على هؤلاء الشحاذين سواء أمام المسجد أم في شوارع الحي ، وكان متسولون يقضون سنوات وسنوات في نفس الحي ويسكنون في الحي أو أطرافه ، وبعضهم عابرون لأيام وزمن معين ويختفون ، ويأتي غيرهم ؛ لأن الكثير منهم يعتبر هذا العمل مهنة ووظيفة ، ورأسمالها لبس ثياب عتيقة بالية ، شعر مشعث عدم الاستحمام منذ عهد ، وكذلك عدم غسل الوجه ، تشويه البدن ، استغلال عاهة أو صنع عاهة ، تغميض عين أو عينتين ، ومد اليد الملطخة بالسواد والشحبار ، والصراخ لله يا محسنين أنا أخوكم الفقير .. أنا أخوكم الأعمى .. أنا ... أنا ... تنهال القروش والدراهم على هؤلاء الناس .

تعود أو عود الشيخ عبد المجيد نفسه الدفع لهم أمام المسجد أو أثناء الطريق ، فيعطي هذا خمسة

قروش ، وذاك عشرة .

وأمام المسجد والمقهى المتجاوران يتربع عدد منهم ، مع الوقت صاروا منارات وعلامات ومعروفين لأصحاب المحلات ورواد المقهى والجامع ؛ فإذا غابوا افتقدهم الناس ، خاصة الذين يدفعون لهم باستمرار ، أشهر متسول في أبو خروف رجل ضئيل البنية ، يلبس بدلة بالية واسعة من يراه بها يعتقد أنه وجدها على مزبلة من مزابل الحي ، ولبسها بدون أن يغسلها ، ويدخن المتسول دخانا صغير الحجم اسمه عنتر ، وله عين أغلب الوقت مغمضة ، يجلس طويلا أمام الجامع والمقهى ، وأحيانا أو بعض الأيام يعمل جولة في الحي ، ويأكل طعامه أمام الجامع حيث يتربع منذ سنوات ، أو يأكل علبة سردين ورغيف خبز ، ويتسول كأسة شاي من المقهى مقهى مهران المعروف لكم ، وأصبحت له عادة ، وغض مهران الطرف عن ثمنها ، لا زوجة له ولا أولاد ، يعرف بفولة ، واسمه عصمت فولي ، ومعروف في الحي منذ أكثر من عشر سنوات من أوائل الستينيات ، وقد أصبح مع طول الزمن من أعلام الحي ، يفترش الأرض من الظهر أو قبل الظهر بقليل حتى المغرب ومرات العشاء ، ثم يختفي ، ومن النادر أن لا يوجد أمام المسجد ما دام موجودا في الحي ، وقد يختفي عدة أيام وأسابيع زاعما للفضوليين أنه يزور أقارب له أو أصدقاء ، وهو يمد يده للمتصدقين دون أن يهتف بشيء ؛ لكن إذا وضع أحدهم صدقة في كفه دعا له بالجنة والنجاح والحياة الطويلة .. والشيخ عبد المجيد دائماً يضع في يده عشرة قروش قطعة واحدة ، ويزيد كيف حالك يا أبا فولة؟، ولا ينتظر الجواب والدعاء ، واعتاد على هذا الفعل منذ أكثر من عشر سنوات ، فهذا متسول قديم ، وربما أقدم واحد كما يزعم البعض وأحيانا ينطلق في شوارع الحي طالبا الطعام ، فيجلس أمام شقة يأكل صحن طبيخ تقدمه له صاحبة البيت شفقة وعطفا ، وأصحاب الحوانيت يفعلون معه ذلك ، مع طول الوقت أصبح من أهل الحي ، وهو يسكن في عشة في طرف الحي الجنوبي كما ستتعرف عليها ، وقلنا إنه يختفي مرات بالأيام والأسابيع خاصة في فترة الشتاء زاعما أنه يتسول في وسط المدينة ، ثم يظهر مستقرا في الحي ، وقد رؤي من بعض الأهالي يفعل ذلك في شوارع ومساجد وسط المدينة بيت السلام لكن مقر عمله الرئيس رصيف مسجد أبو خروف ، وهو يستأجر عشة تقع بين الحي ومخيم عودة الأمل ، هناك ساحات ما زالت فارغة من العمران يستخدمها بعض تجار الخردة لوضع خردواتهم ، وأغراضهم القديمة ، فنشأت عشش وبيوت من الصفيح لإيوائهم في الليل ومن المطر والبرد في الشتاء ، فهو يظهر أمام

المسجد ظهرا ، ويختفي عصرا بعد خروج الناس من صلاة العصر ، ومرات بعد المغرب ، فإما أن يختفي في عشته أو ينزل وسط المدينة طالبا المزيد من التسول في مساجد قلب المدينة مغربا وعشاء .. هذا ما اشتهر عنه .. والعجب أن بعض شبان الحي رأوه يدخل دور السينما بلباسه الرث الذي يتسول به . والسؤال المتداول بينهم هل يدفع ثمن العرض أم يتسوله ؟!

حديث عن التسول

كان عصمت فولي أحد الأشخاص الذين يتحركون في أبو خروف منذ أكثر من عقد من الزمان بل سمعت بعضهم يذكر أنه رآه في خمسينات القرن في أبو خروف وغيره من الأحياء المجاورة ولكنه بعد حين من الزمن رسا واستقر بينهم ، وأصبح معروفا للجميع ، وسكن في ساحة الرغيف حيث تجمع الخردة والتنك، ويسكن العشش ودور التنك والصفيح الصغيرة ، وأصبحت هذا العشش مع الوقت تؤجر ويدفع لصاحبها ما يدفع ، وهذا يسكن وذاك يرحل فالحارس هو الذي يأخذ ويعطي ، وهو المسؤول أمام ملاك الأرض وبين الشرطة ؛ لذلك لما يختف هذا الشحاذ وتطول غيبته فيسأل الناس عنه ، لقد اعتادوا على رؤيته بينهم وفي شوارعهم وأمام بيوتهم طالبا للماء والأكل ، وقد ظهر متسولون غيره في الحي ؛ ولكنه أكثرهم ثباتا واتصالا بهم ، بعضهم ربما قضى أربع خمس سنوات ، ثم اختفى ولم يعد ، أما عصمت يغيب ثم يظهر من جديد.. فإذن أصبح الرجل معلما كالمسجد والمقهى والصحة وبعض المتاجر ونقطة الأمن وبعض الجمعيات كجمعية البر وجمعية الثقافة ؛ صلى عبد المجيد العصر كعادته التي بانت لكم ، وجلس في المقهى مع رفاق الحي وجيران الحي .. الشيخ لا يلعب الورق ولا الديمنو ولا النرد الطاولة .. يتحدث مع مهران وغيره ، ويشرب شايا أو قهوة أو قرفة وتسمى الاينر ، وربما يدخن سيجارة تقدم إليه من أحدهم ، ثم يخرج للسوق أو يتدرج عائدا لبيته قال لمهران : لي يومان لا أرى أبا فولة أمس واليوم

ـ وأنا مثلك لم أره يدخل المقهى لشرب ماء أو طلب كوب الشاي .. فأستغرب غيابه .. ذهب العامل أمس بكوب الشاي فلم يجده لا ظهرا ولا عصرا ولا حتى مغربا .. واليوم وأنا خارج من الجامع لم ألحظه مثلك يا أبا العبد ...وسأل العامل هيثم الشحاذين عنه فقيل له إنه مريض زاره أحدهم ليلة أمس فوجده مريضا .. وهو الذي يزعم أنه لا يمرض

فقال عبد المجيد مبررا سؤاله : تعودت على رؤيته أغلب الأيام .. لماذا لم يتزوج هذا المسكين يا حاج

مهران؟!

فكر مهران قليلا ثم أجاب : تعلم أنه يدخل حمامات المقهى لقضاء حاجته عندما تكون مراحيض الجامع مغلقة ، فيسلم عليّ ، فأتسلى معه ، فسألته عن سبب عدم زواجه لليوم ، فرد عليّ ـ يا حاج عبد المجيد ـ النسوان هم ونكد وغم ، تزوجت مرة وتركتني .. ولا أدري أين اختفت ؟ وأين هي الآن ؟ فقلت له مازحا: أيكم كان يجمع أكثر ؟ فصرخ ساخطا : طبعا أنا النسوان حتى في الشحذة غبيات .. هي تذهب ساعة تجلس قدام جامع في قلب المدينة وتشتري الغداء أو تشحذه ، وتعود لتأكله قبل أن أعود ، ولما تدخل عليها البيت تقول : أحضرت طعاما لنا ؟ وباقي الأكل بجانبها .. المهم أن تشبع هي .. وأنا طبعا أكون أكلت في السوق ، وبعد انتهاء مشكلة الأكل.. كم جمعت في النزلة ؟ تذكر رقما صغيرا .. وتقول الشغل اليوم تعبان .. وأنا عارف أنها كذابة ، وبعد حين نمل من الكذب على بعض ، ويصبح الفراق هو الأمل لحياة فضلى .. الشحاذ تعود على عدم الثقة بأحد حتى امرأته وأولاده .. لم تدفع شيئا في إيجار الغرفة فاختفت من حياتي

علق أبو عبد الله بعد صمت الحاج مهران ، وهو يفكر بحياة هؤلاء المتسولين ، فقال : كيف اتخذ هؤلاء هذه المهنة المشينة وعملوا بها ورضوا بها ؟!

– رأس مالها أن يمد يده للناس أول مرة ، ثم يصبح فنانا فيها .. الشحذة فن وخبرة كسائر الحرف .. ولما يتعود الأنسان على شيء يصعب الانتهاء منه ، مثل أصحاب المهن الأخرى .. تجد الحداد يستلذ في عمله ، ويكره تركه إلا لضرورة قلة العمل مرضه هرمه .. وهناك ناس يهوون التنقل والتقلب بين الأعمال .. ويضيع العمر وهو لم يتعلم حرفة واحدة .. العادة لها دور كبير في حياة الناس .. وهي أرزاق

سكت مهران فعقب عبد المجيد فقال : إذا ذهب الحياء ذهب الجاه ومعه ماء الوجه .. هل يؤجر الإنسان على مساعدة أولئك الخلق ؟

– لنا أجر في الإحسان إلى البهائم .. أما هؤلاء فالله أعلم ..اسأل الشيخ شيخ الجامع .



ابتسم عبد المجيد وقال: سألت كذا شيخ ، بعضهم يقول المرء يؤجر والمسلم على نيته وآخرون يقولون : لا تجوز الصدقة عليهم ؛ لأنهم ليسوا بحاجة للصدقة ، إنما يتخذونها مهنة ووظيفة ، وهي مهنة محرمة كمهنة الخمار وبنت الهوى ، وآخرون يرون أن المسألة لا تحل إلا إلى ثلاثة

أصناف {١} ، أخبر عنهم النبي ـ ﷺ ـ ويحق لهم طلب المعونة .. تعودنا على مد العون البسيط لهم قديما منذ زمن

– قل إن هذا المبلغ البسيط يكون في آخر اليوم عشرات الليرات والدراهم .. تخيل هذا الشيطان ـ أنا أحب أن اسميه الشيطان ـ له رصيد في البنك أكثر مني ومنك .. فهو شحاذ ابن شحاذ ورثها عن أمه وأبيه ، وتعلمها من عهد الطفولة ، كما نرى المتسولات يحملن أطفالهن ويتسولن بهم

– هذه الطائفة عجيبة! أنا أستحي أن أطلب مالا من الأولاد .. وقديما أيام الجندية كنت أخجل أن أطلب قرضا ولو بسيطا من أي رفيق في الوحدة ، الراتب ـ كما تعلم ـ لم يكن شيئا مذكورا ، إنما هو بضعة دنانير .. الحمد لله ربنا وفقنا في تعليم الشباب وتربية البنات ، وأكرمنا الله بهذه البناية ، ورغم أني لست بحاجة لمزيد من المال يا حاج مهران الأبناء يضعون في الحساب البنكي الخاص بي رغم أنفي .. وبيتنا لا يوجد فيه إلا أنا وأم العبد .. والأولاد كلما يطلون علينا يتحفوننا بالطعام والفاكهة والحلوى ، وأحيانا نحول الجزء الأكبر منه لجيراننا للبنت التي تجاورنا .. فزوجها دخله محدود وموظف بسيط ؛ لكنه طيب وخدوم وشهم

– السيد قاسم يوسف

– أجل

– نعم الرجل ، كما قلت رغم بساطته ودخله المحدود ؛ لكنه مجتهد في العمل ، ولما ينته دوامه الوظيفي يعمل على سيارة شقيقه العمومية في فترة المساء ، ويجلس أحمد مع العصابة هنا يشرب الشاي كم ولد له يا حاج ؟

– ما شاء الله ! لحتى الآن ستة مواليد الأكبر عمره ثلاث عشرة سنة

– الله يحفظهم لوالديهم ولكم يا أبا عبد الله

لقد بينا اهتمام السيد عبد المجيد بالمتسول أبي فولة دون الشحاذين الآخرين مع أنه يتصدق على كل من يصطدم به من هذه الطائفة ، فكلما يدخل المسجد أو يغادره عند وقت صلاة العصر يراه متربعا مفترشا الأرض صامتا مادا يده للناس دون نطق شعارهم التليد لله يا محسنين ، فهذا يعطيه خمسة قروش وذاك عشرة ، فهذه قطع معدنية متماسكة ، فلذلك فلما لم يره أمس واليوم قلق عليه

{١}– عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلاَلِىِّ قَالَ تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– أَسْأَلُهُ فِيهَا فَقَالَ « أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا ». قَالَ ثُمَّ قَالَ « يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إِلاَّ لأَحَدِ ثَلاَثَةٍ رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ ، وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلاَثَةٌ مِنْ ذَوِى الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ لَقَدْ أَصَابَتْ فُلاَنًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ ، فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا ». صحيح مسلم

، وافتقده فسأل عنه صاحب المقهى مهران أو عزب ـ كما يحب بعضهم تسميته بذلك ـ عن سبب تغيبه ، فرجع للبيت وهو يقول لنفسه : فعلا لعله مريض ، الناس تمرض حتى ينتفع الأطباء وأصحاب الصيدليات من ورائهم ، لذلك قبل أن يدخل لشارعه الفرعي ـ شارع النخلة ـ رأى طفلا فناداه وأعطاه القروش العشرة حصة أبي فولة اليومية ، فأخذها الطفل وهو يرقب الشيخ ، ثم قال: ماذا أفعل بها ؟!

ابتسم للطفل وقال : هي لك اشتر بها قطعة حلوى . طبعا كان لهذه القطعة في ذاك الوقت قيمتها ١٩٧٣ ـ فكنت ابتاع بها رغيف ساندويتش أو وقية كنافة ـ وتابع السيد طريقه ، وعند زاوية الشارع تقع مكتبة للصحف والمجلات والقرطاسية وأغراض الطلاب ، وبعض الكتب التي توزع عادة مع المجلات والصحف ، وصاحب المكتبة اسمه طلال السّد وهو أستاذ متقاعد من سنة أو سنتين ، فاستقبله الرجل كعادته من سنوات ، ورحب به ، وقدم له مقعدا يجلس عليه قائلا : تفضل بالجلوس يا أبا عبد الله .. أهلا بالجار الطيب

جلس السيد على الكرسي شاكرا للسيد طلال ترحيبه ، والتقط أنفاسه وقال : الجريدة الراية العربية لم تصل اليوم ، ظننت أن الحاجة نسيتها هي التي استلمت الصحف الصباحية

تبسم السيد طلال وقال : عندما جاءت أم عبد الله صباح اليوم لم تكن الجريدة وصلت بعد .. تأخر حضرة الموزع الفرعي في توزيعها .. تعطلت { بيك آب } التي يوزع بها بعض الوقت ، واحتفظت بنسختك يا أبا عبد الله .. فأنا أعرف نظام شرائك للجرائد وخاصة جريدة القوميين العرب ـ وضحك ـ ونظام مشيك لصلاة العصر في الجامع عشرة عمر .

– لابد من ذلك يا أبا علي ، لابد أن أقوم بنفسي لقضاء الحوائج ، لم يبق لدينا أطفال .. بقيت أنا وها العجوز

دعا الرجل قائلا : الله يخليها لك . ووضع الجريدة على طاولة المكتبة أمام السيد ، وتابع قائلا: وصلني اليوم كتاب قد تحب أن تطلع عليه

– جميل ، عن ماذا؟!

– عن حرب ٦٧

– من ألفه وكتبه؟

تناول طلال السّد الكتاب عن الرف ، وقال وهو يقدمه للسيد : أسباب الهزيمة الكبرى عام ١٩٦٧ تأليف الصحفي الكبير تيم بكر الزيدي

قال عبد المجيد بحيرة : أول مرة أسمع بهذا الصحفي الكبير

وقال الأستاذ طلال : وأنا مثلك ، ولقد قرأت

بضع صفحات منه .. وهو كتاب جريء يكشف الأوراق بقوة .. ولعله كبير في بلده .. ويبدو أن له صلات مع ضباط كبار شاركوا في الحرب .. هكذا أوحت لي الصفحات التي اطلعت عليها .. ويؤكد أنه لم يكن هناك استعداد حقيقي للحرب والجيوش العربية .. وغلب على ظنّ رجالات المخابرات أن لا حرب ستقع رغم التسريبات السوفيتية ومخابرات شرق أوروبا .. إنها الحرب العربية كانت بالصوت العالي والخطابات النارية والإذاعات الرسمية

تنهد عبد المجيد آسفا على حال العرب وقال: أنا قرأت عن الحرب ، وتبريرات النكسة والهزيمة الكثير .. وأنت تعلم أني ضابط متقاعد ، ووالد ضابط أمني أيضاً .. حقيقة أن للحرب والهزيمة أسبابا كثيرة .. من الأسباب المادية ضعف الإمكانات من أسلحة وأدوات قتال وكذلك عدم إعداد جدي للحرب ، وضعف التعاون العربي كجمع ، وتنوع أنظمة الحكم العربية ، والاستهتار بقدرات العدو ، والتركيز على عدد الشعوب العربية مع أننا اليوم نرى قنبلة ضخمة تبيد مدينة كما حدث في هيروشيما اليابان .. أدوات الفتك هائلة يا أبا علي والأهم من مجمل اطلاعي ـ في رأيي ـ الفسق والفساد في الجيوش العربية من زنا وخمر ومجون وضعف التدين والإيمان .. والبلد فيها قومي وطني ديني بعثي اشتراكي ماركسي .. والمصلي في الجيوش العربية يصلي على استحياء .. وشر البلية بعض المفكرين والمثقفين العرب يرون أن سبب التخلف العربي هو الدين والتدين .. فقلة من الضباط تصلي وتصوم .. لا يقاتلون من أجل الدين .. وإسرائيل دولة تصنع الأسلحة ، وتتابع التقدم في الصناعات العسكرية .. وقد سمعت أو قرأت أنهم يسعون لامتلاك السلاح النووي كالدول الكبرى .. والغرب الذي أوجدها يرعاها فهي إسفين لهم في قلب عالمنا العربي .. نحن نستخدم أسلحة الحرب العالمية .. وهم يستخدمون أسلحة فيتنام والحرب الباردة .. ونحن نقاتل بالأغاني والأفلام والأحلام والمقالات الصحفية.. فأمة محمد أمة تختلف عن الأمم الأخرى ، لابد أن تكون عقيدتنا قوية راسخة .. لاحظ لما تحسن الجانب الإيماني لدى المحاربين الجنود وضباط الصف استطعنا في حرب ٧٣ تحقيق بعض الانتصار والثبات .. نحن لم نحرر وطنا ، ولا أرضا مسلوبة عام ٧٣ ؛ لكن عادت للمواطن الثقة بقدرة جنوده على الحرب والانتصار .. اختلف عن حرب ٦٧

الدين ونسبة التدين والثقة بالله.. لم نحرر سيناء ولا الجولان ولا القدس الشرقية ؛ لكن المنطقة تحركت سياسيا .. والكل يدعو للسلام ونبذ

الحرب

- أنا قارئ وأعي ما تنطق

- الرجل لما يتقاعد ماذا يفعل؟ إما أن يقرأ أو يلعب الشدة والورق في مقهى عزب .. أنا أصلي العصر جماعة وأجلس مع الأفاضل ساعة زمان أطمئن عليهم وأسمع أخبارهم .. والحاج مهران صديق عزيز .. نعرف من مات ؟ من ترمل ؟ من تزوج ؟ في بريطانيا صحف تهتم بمثل هذه المواضيع تجد لكل مدينة وبلدة صحيفة أسبوعية تنقل على صفحاتها أخبار أهل البلدة والمدينة .. فيعرف المواطن أخبار بلدته عن طريق الجريدة ..وأنا من خلال هذا المشوار اليومي أشتري لوازم البيت والخبز .. لست مغرما بلعب المقاهي فقراءة كتاب أو صحيفة أو مجلة خير من مائة لعبة شدة أو زهرة (النرد) كم ثمن هذا الكتاب الأنيق ؟

- دينار ونصف فقط

- رخيص

- علمت من الموزع أنه مطبوع على نفقة شركات أو مؤسسة ، إنما الثمن أجرة النقل والشحن والتوزيع .. فبعض المؤسسات تساعد على نشر المؤلفات لبعض الشباب والكتّاب

قال عبد المجيد : فكرة جميلة ! وليست جديدة .. فالطباعة مكلفة خاصة لأصحاب الدخل البسيط ، وما أكثرهم ! ثم انتقل لموضع آخر فسأل : هل قابلت أبا فولة ؟

- الشحاذ

- نعم

قال طلال بعد تفكير : هل تعلم لي أيام لم أره ؟ وأحيانا هو يمر عليّ في طريقه لبيته الكائن في إحدى الفراغات حيث ساحات تجميع الخردة.. فهو يتسول الجرائد .. خاصة المستردة أو المرتجعة عن أيام سابقة أو حتى من قبل أسبوع يزعم أنه يقرأها ، ويضع عليها الطعام كمفرش

ضحك الشيخ عبد المجيد ملء شدقيه ، ولما التقط أنفاسه قال متعجبا : أبو فولة يقرأ الجرائد .. هذا شحاذ مثقف يا أبا علي ..هل لديهم وقت للقراءة ؟! أول مرة أعلم أنه يقرأ .

ضحك الآخر مجاراة لجاره وقال ضاحكا : وليس هذا فحسب يا سيدي ، بل يعلق على الأحداث الساخنة ، وكان مهتما بالحرب قبل شهر وما زال يتابع أخبار المعارك والمناوشات الجارية في سيناء والجولان .. ويبدي أسفه وخيبته من الجيش المصري من عدم تقدمه لتحرير فلسطين بعد دخوله القناة في حرب أكتوبر ٧٣ واقتحامه لخط بارليف الدفاعي

قال الشيخ بشيء من الحسرة وخيبة الأمل : وهل فعل الجيش المصري شيئا ؟! بضعة أيام من القتال ، ثم قبل وقف إطلاق النار ومفاوضات .. قبل

قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ فور صدوره وقبل قبول إسرائيل له .. لم يحرر سيناء حتى يحرر غزة التي كان يسيطر عليها قبل سنوات إذن متسولنا أبو فولة يقرأ سياسة

– الجرائد العربية تريد أن يقرأ الناس سياسة ، ولا يعملون في السياسة .. اقرأ كتب الدين ، ولا داعي للصلاة والصيام .

كان الشيخ مندهشا مما علمه عن أبي فولة فرجع يقول : معنى الكلام أنه يقرأ مقالات للكتاب

وقال طلال : والجيش المصري أصبح من المعلوم أنه لم يكن يخطط لتحرير فلسطين ، ولا حتى سيناء .. لم تكن له القدرة لتحقيق ذلك ، إنما كانت نتائج الحرب للضغط على إسرائيل للزحف نحو السلام مع العرب ، ورجعنا لروجرز .. فهم يتحدثون عن السلام قبل توقف الحرب نهائيا

– شغلتني به ، صاحبنا شحاذ متطور ما دام يهتم بالسياسة وأخبارها

قال : هو يهتم بكل شيء ، ولما يأت لشحدة بعض الجرائد يقف لدقائق نتحدث على سبيل المرح والمداعبة ، فهو يهتم بالفن والنجوم وأفلام السينما ، بل يحضر كل الأفلام التي تعرض في دور العرض ، ويتحدث عنها بحماس وجدية ، لو أتركه بدون مقاطعة ؛ لتكلم عن كل مشاهد الفِلم ويحب أفلام العنف والقتل ، وصديق لكل السينمات ، حتى أنه يذهب لمحافظات أخرى من أجل فِلم يسمع عنه

– قلنا شحاذ مثقف .. وهل يدفع ثمن التذكرة يا ترى ؟!

– لا أدري هل تشحذ السينما التذاكر ؟ فالشحذة يا أبا عبد الله عند هؤلاء الناس وظيفة وعمل وعادة

– الحاج مهران يقول إنه مريض

هتف طلال كأنه متفاجئ : مريض! قلت إنه لم يمر عليّ من أيام خلت ، وهو لا يمر يوميا من عندي أو يمر ويظل منطلقا إلى عشته .. فيمر غالبا بعد صلاة المغرب ، أو قبلها يأتي لأخذ القديم من الجرائد

قام السيد وقال : كم ثمن هذا الكتاب ؟

– بس ليرة ونصفها

أخرج السيد محفظته ، ودفع ثمن الجريدة ، والكتاب ، وسمعه يسأل: هل تريد شيئا من أبي فولة

ابتسم السيد وقال : وماذا تظن أن نستفيد من أبي فولة ؟ ! .. هذا يا صديقنا لابد أن حدثتك أني أفك دينارا لقطع معدنية لتوزيعها على الشحاذين أثناء الطريق وأمام المسجد حتى تنتهي .. وهو يأخذ حصته يوميا .. وأبو فولة من سنوات وهو الرقم الثابت في الحي .. يغيب ثم يعود .. تعودت أن أعطيه كل يوم قطعة .. ولي يومان افتقده .. هذا

فقط ما بيني وبين أبي فولة .. وهو عادة يفترش الأرض أمام المسجد .. فحرك غيابه الفضول في نفسي .. وماذا الناس يحتاجون من الشحاذ؟ الشحاذ يأخذ ولا يعطي .. منذ عرفته هل اشترى منك جريدة؟

تضاحك طلال وأجاب : لا أذكر أنه اشترى جريدة مني .. فهم لا يعرفون العطاء .. فقط الأخذ وحتى الطعام يحصلون عليه في الغالب بالتسول .. والملابس كذلك .. يدفعون القليل ومضطرين لعلاج وصيدلية .. كيف الشباب عبد الله وعمر وفاتح؟

-كلنا بخير ..وأنت كيف عيالك ؟

- الحمد لله في نعمة ووئام

- أدام الله نعمه عليك وعلينا .. أتخرج علي من الجامعة؟ أذكر أنك قلت إنه على أبواب التخرج

- نعم ، تخرج بفضل الله ، وذهبنا وشاركنا في حفل تخرجه الذي أقامته الجامعة خلال فصل الصيف ، وهو اليوم يعمل في شركة كبيرة

- على خير ، وفقه الله ، السلام عليكم .. تتأخر أحيانا عن الدوام في المكتبة

- كبرنا يا أبا عبد الله .. سلم على أم عبد الله

ـ وعليك السلام

ذكريات عبد المجيد

اعتاد السيد عبد المجيد محمد أن يصلي الفجر في بيته كسائر الصلوات ، ما عدا العصر يصليها جماعة في جامع أبو خروف ، واحيانا يصلي وزوجته جازية التركية ذات الأصول العربية ؛ لأن والده محمد أيضاً كان متزوجا من امرأة تركية ؛ لأنه كان عسكريا في الجيش العثماني الذي كان يحكم البلدان العربية قبل نهاية الحرب الكونية الأولى ، فكثير من أبناء العائلات كانوا يخدمون في جيش الخلافة قبل زواله ، فقد يأم زوجته في بعض الصلوات، وأكثرها يصليها منفردا ، وبعد الصلاة للفجر يجلسان لقراءة وردهما من كتاب الله عزّ وجل ، ويذكران أذكار الصباح بعد تسبيحات الصلاة وأذكارها ، وكانت أم عبد الله تصنع له كوبا من الحليب المجفف ، فيرشفه وهو يرتل القرآن ، فالرجل يحسن القراءة إلى حد كبير .. فقراءة القرآن ليست كقراءة جريدة أو كتاب .. القرآن له نظام قراءة خاص به اسمه الترتيل التجويد أحكام التلاوة .. وهذا العلم يحتاج لدربة وممارسة أكثر من تعلمه نظريا .

فعبد المجيد الشيخ ولد قبل الحرب الأولى بسنتين أو ثلاثة ، وكان والده ضابطا عثمانيا فخدم في سوريا والأناضول وفلسطين أثناء الحرب الأولى ، وأمه تركية وزوجته أم أولاده تركية ، وهذا أمر شائع تلك الأيام ، خاصة لمن يخدمون في الجيش ، ولما انهزم الجيش ، وسقطت تركيا مع ألمانيا ، تحول

كغيره من الضباط العرب للعمل مع الجيش الفيصلي في سوريا ؛ ولكن هذا الجيش انتهى بعد ميسلون ، وذهاب الملك فيصل لبريطانيا ، والتحق الضابط محمد بالجيش العربي الذي أنشأه الملك عبد الله بن الحسين من بقية جيش الثورة العربية الكبرى ، وفي الثلاثينات تركه واستقر في إحدى مدن الساحل الفلسطيني ، وكان ابنه عبد المجيد قد جنده لخدمة الجيش العربي ، وهو يحوي على عدد من بلدان العرب ، وكان عبد المجيد قد نال قسطا من التعليم في المدارس الحديثة ، وكان يتنقل بين فلسطين وقيادة الجيش العربي في شرق الأردن وأصيب في مدينة القدس أثناء أحداث عام ١٩٤٨ م ، وتعافى منها .. وفي مطلع الستينات تقاعد من الخدمة للعسكرية برتبة نقيب ، وكان قبل تقاعده ببضع سنين استقر في حي أبو خروف في العاصمة والمدينة الكبيرة بيت السلام ، ومع الوقت استطاع بناية عمارة من ثلاث أطوار سكن في الأول منها ، والأدوار الأخرى مؤجرة ينتفع من إيجارها ،ويحصل على تقاعد عسكري ، وعمل فترة في التجارة الموسمية كشراء زيت الزيتون في موسمه وبيعه ، ثم ترك التجارات في مطلع السبعينيات ، وولد له عشرة مواليد .. أربعة ذكور عبد الله وعمر وفاتح ، وولد بينهم طفل ومات دون العام ، وله ست فتيات ، ماتت واحدة منهنّ صغيرة أيضاً ، وبقيت خمس كلهنّ متزوجات ، ومثلهن الأولاد ، وإحدى بناته أجرها شقة ، وهي تسكن معه في نفس الدور ، ثم توقف عن أخذ الإيجار بعد حين ، والأولاد يضعون من مالهم في رصيده ، وحسابه المعروف لهم رغبة منهم في بر والديهم ، فعبد الله درس الشريعة في جامعة الأزهر المصرية ، وظل هناك حتى تحصل على الدكتوراه في الشريعة ، وتعين في جامعة محلية مدرسا في كلية العلوم الإسلامية ، وعمر التحق بالقوات المسلحة والأمن، وهو يعمل ضابطا في أحد أجهزة الأمن العسكرية ، وفاتح تخرج من كلية تجارة ، وبعد حين يسير فتح شركة تجارية خاصة متوسطة الحجم ، وأما البنات لم يتعلمن إلا للثانوية العامة ، وأقل من ذلك ، وكلهن تزوجن في هذه السن ، ومن أولادهن من تخرج من كلية طب القاهرة ، فالرجل جاهد وكافح وتحمل وأصيب وربّى ، وعند سرد هذه القصة كان فوق الستين من العمر ، وما زال قادرا على الحركة والنزول إلى الشارع والشراء والحمل والقراءة ، ويعاني من بعض أمراض ما فوق الخمسين بدرجات متفاوتة ، بعض آلام الركبة ، ضعف البصر فيستخدم النظارة للقراءة ، وحرمه نحوه ، وتصغره بخمس أو ست سنوات ؛ لكنها تعاني من سقم السكري الخفيف ، وساعد أولاده في الدراسة خاصة الكبير

، وهم ساعدوا بعضهم الأكبر فالأصغر ، وهم متزوجون ويعيشون في شقق بالإيجار بعدما استقرت أوضاعهم المالية ، فكل من يتزوج يفضل الرحيل والحياة بعيدا عن عمارة الأب وسكنوا قريبا من أعمالهم ، بل ساهموا في بناء العمارة ؛ ولكنهم رحلوا ؛ لأن العمارة سيكون مصيرها للحي منهم .. فمن الناحية المادية فحاله جيدة لا يعاني من ذات اليد .. فقد ربى وعلم وزوج .. والصحة متماسكة وعنده صفات جيدة ، ولم يتعلق بالدخان كسائر الجيل ، ولم يعرف طريق الخمر والحانات ، وهذه شائعة في ذلك الوقت بين كبار الضباط ، وهو ابن عائلة الدين مهم في حياتها ؛ لذلك كان متحمسا ليكون ابنه عالم دين أو قاضي شرعي ، لم ينجذب الرجل للأحزاب الناشئة والناشطة في الساحة العربية كان يراها عبثا ، ولن تحقق شيئا للأمة الممزقة ، وكان ـ كما رأينا من حديثه مع صاحب المكتبة ـ يحب القراءة في السياسة دون ممارسة السياسة ، ربما لحياته العسكرية ، فهم يحبذون عدم انخراط أفراد الجيش في السياسة ، مع أنه يحارب ويقاتل من أجل السياسة ، فهم لا يقاتلون لنصر الإسلام ، ربما لأن هذه الجيوش نشأت تحت ظل الاستعمار الإنجليزي والفرنسي بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية ، بعد أن هيمنت على حياة الناس خمسة قرون .. وكان أولاده أطوع إليه من بنانه ، يقدرون جهاده ويفتخرون به ، وهو لم يقصر معهم .. وصاحبنا عاصر أحداثا جساما .. أخطرها السعي لتحقيق وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا العظمى والاستعمار والانتداب بتحويل فلسطين العربية لكيان يهودي عالمي ، وعاصر حروب العرب مع إسرائيل ، وشارك في بعض معارك الجيش العربي في جبال ووديان البيت المقدس ، وتابع حرب تشرين الأخيرة بعد الهزيمة المروعة ٦٧ ، والصراع محتدم ورغبات وهمسات السلام التي تخرج من هنا وهناك ، والدعوة للتعايش ، لكنّ الناس يأخذونها تلك الأيام على محل الهزء والسخرية والتندر .. فلسطين لهم من البحر الأبيض حتى نهر الأردن ولكن الحرب الأخيرة لم تحرر سيناء ، ولا الجولان السوري ، ولا الضفة الأردنية ، والقدس الشرقية ، إنما كانت حربا دون نتائج واضحة في تلك الفترة ، وكان يعلو صوت دعاة السلام والاستسلام للأمر الواقع ونسيان فلسطين التاريخية .

كان عبد المجيد يحب الثرثرة في السياسة والأخبار والتعليق عليها ، ويقرأ ما يكتبه كتاب الأبواب في الصحف المحلية والعربية التي تدخل البلاد ، ويسمح لها بالعبور للحدود ،وذلك يعود إلى حسن العلاقات بين الدول الكثيرة الخصام

وسوئها ، بسبب نظم الحكم المتبعة ، فهذه اشتراكية ، وتلك قومية اشتراكية ، وتلك بعثية ، وتلك وطنية ، وماذا يقصدون بالوطنية ؟ لست أدري .. فيقرأ عبد المجيد ويناقش ، وربما كتب تعليقات وأرسلها للجرائد ؛ ولكنه كما أخبر لم يجد ردا عليها ، إنها لا تصل للصحفي كاتب المقال والتحليل ، أو الكاتب الصحفي ليس لديه وقت كاف للرد على قرائه .. والأخبار والأحداث متسارعة .. وهو يريد أن يعلق على كل شيء في السياسة في الاقتصاد في الثقافة في الرياضة ، تجده موسوعيا .. ولما تطلع على سيرة حياته فتجدها ثقافة جرائد ومجلات .. فقد أتيح له الاطلاع عليها للترجمة والاقتباس ، وإنما تظهر بتوقيعه ، والتصحيح اللغوي يقوم به موظف لغة في الصحيفة ، وكان الشيخ يكثر من الحديث والتعليق عندما يزوره الأولاد ، ويحتدم بينهم النقاش ، وكل يحتفظ بوجهة نظره ، ويتكرر هذا الحماس عندما يلتقي بأصهاره ، فكلهم لما يجالسه يعرف شغفه بالقراءة والحديث عن الأخبار الأخيرة .. وقصة فلسطين حديث الناس من مطلع القرن الأدب الشعر الأخبار الصحف الإذاعة ، وهي قضية حقيقة تشغل العالم ، فالشعب اليهودي في الكثير من دول العالم ، والشعب الفلسطيني بعد ٤٨ انتشر في أغلب دول العالم .. حظيت الشعوب العربية بدول مستقلة أو شبه مستقلة كدول الخليج العربي .. وترك الشعب الفلسطيني بدون دولة باسمه ، وكذلك الشعب الكردي ، الكرد توزعوا بين عدة دول بعد الحرب الأولى بين سوريا وتركيا والعراق وايران .. وجاءوا باليهود من بقاع شتى وأسكنوهم فلسطين الساحلية ، ثم أخذوا باقي فلسطين .. وهي حديث الناس ؛ فلذلك كل من يقرأ الصحف من المحيط إلى الخليج يتصبح بأخبار فلسطين تتصدر الصفحات الأولى من الصحف .. فحتى خبر راقصة فلسطينية فهو خبر مهم في تلك الصحف .. ورغم مشاغل الناس فيتداولون أخبار النضال الفلسطيني يوما بيوم ساعة بساعة فكل حاكم هدفه الدفاع عن قضية فلسطين .. فحتى وأنت تسمع خطاباتهم ومقابلاتهم الصحفية أو الإذاعية يقع في وجدانك أن التحرير على الأبواب ، ولما تدقق في الكلام ترى أنهم يقصدون بفلسطين التي استلبها اليهود عام ٦٧ ، أما البحر وحيفا وعكا فهذه أضحت لليهود بالاعتراف ٢٤٢ أو ٣٣٨ قرارات للأمم المتحدة التي أسست على أنقاض الحرب الكونية الثانية وموت عصبة الأمم .. هل يعيش عبد المجيد ليرى عودة الشعب الفلسطيني لبلاده يوما ما ؟ .. ليس ذلك على الله بعزيز .. فإنه يقول للشيء كن فيكون .. فتراه وهو يقرأ عن القدس:

أصلاة في الأقصى بعد ٦٧ ؟!



يصلي الحاج عبد المجيد سبحة الضحى عند وقت الشروق بربع ساعة أو ثلثها ، ثم يعود للاضطجاع ساعة من الزمن ، ويستيقظ بين التاسعة والعاشرة ، فتبدأ الزوجة بإعداد الفطور بغلي الشاي ، وهو بعد غسله وجهه يهبط ثلاث درجات قبل أن يصل بوابة العمارة للذهاب إلى المكتبة والمطعم الصغير، حيث تبتاع الأطعمة السريعة التجهيز كالحمص المطحون والفول المطحون والمسبحة والباذنجان المقلي والفلافل العربي .. وبعض الأحيان تذهب جازية لإحضار الجرائد والمطعومات ، ومثل هذه المطاعم تنتشر بين الأحياء وفي الشوارع الرئيسة ، فتأخذ أم عبد الله صحنا من الصيني لشراء الحمص ، وبعض حبات الفلافل .. وتجد على مائدة الإفطار الجبنة البيضاء واللبنة والزعتر الأخضر وزيت الزيتون.. ومرات تسلق بيضا أو تقليه بزيت نباتي كان تعاون بينها وبين قرينها في المسير لمكتبة الطالب التي تبعد عن البيت مائة متر اشترى السيد الحمص في علبة بلاستيكية نسي أخذ صحن الحاجة ، وبعض حبات الفلافل ، ومشى إلى مكتبة الطالب ، وزلف إليها ، فرحب به أبو علي ، وتبادلوا تحية الصباح ، وأخذ كيس الجرائد ـ حيث يضعها الرجل في كيس بلاستيكي ، الذي بدا يشيع في المتاجر والمحلات ـ واستدار خارجا ؛ ولكنه قبل أن يخرج من باب المكتبة ، سمع أبا علي يقول : قبل إغلاق المحل ليلة أمس بوقت يسير مرّ علينا صاحبك أبو فولة عصمت

توقف السيد واستدار إليه وقال : حقا! ظهر وبان

– نعم ، وأخبرته أنك افتقدته أمام المسجد ، فزعم أنك صديقه ، ويذكر أنك تقدم له مالا يوميا ومن سنين ، وأعلمني أنه كان مريضا فعلا ، واضطر أمام المرض أن ينقطع عن العمل أرأيت يا سيدي يا أبا عبد الله ؟! تعطلت الشحذة ذلك النهار ، وأيضا ذهب للمستشفى ،

وقالوا له إنه لا يوجد به شيء ، ربما تلبك في المعدة ..شحاذ وعنده تلبك

ضحك أبو عبد الله وقال: لا تستغرب ..كل ما يدفع إليه من طعام وفواكه يضعه في جوفه

– المهم علق وقال متهكما من الأطباء والتشخيص: تلبك معدة .. أنا لا آكل إلا السردين واللبن الرايب من أين أتى التلبك ؟

قال عبد المجيد وقد هز رأسه : المهم أنه بخير ؛ أنا أعتبره من معالم الحي .. تعودنا عليه .. له ما يقارب عشر سنوات يستوطن المنطقة .. الغريب يا أبا علي أنه لا يتسول الجمعة وقليلا السبت

فسر طلال فقال : الجمعة رأيته كذا مرة أمام المسجد الكبير في قلب المدينة .. الناس هناك أكثر وهم خارجون من المسجد بعد خطبة الجمعة.. أما السبت لعل هناك أماكن أخرى .. فالذي يتعود على هذا الشغل يصعب الخلاص منه .. التسول مرض اجتماعي خطير .. مهنة فظيعة .. وكسب خبيث .. ولا أعطال فيها .. لولا قلة الناس في الليل وإلا ما ناموا .. العطل عندهم اضطراري .. بسبب مرض فقط أو موت .. لا يعرفون التقاعد مثلنا

- أتاك من أجل الجرائد ؟

- أجل لا مصلحة بيننا .. جرائدك ماذا تفعل بها بعدما تقرأها ؟

قال : إن لم يأخذها أبو باسل زوج البنت لبنى جاري ، أضطر لدفعها لعامل النظافة ، أجمع له مجموعة من الجرائد والمجلات وأدفع له بعض المال ؛ ليقوم بحرقها لوجود كلمات دينية فيها عدا اللغة العربية المكتوبة بها

- على كل حال الذي تدفعه للزبال فأرسله لي .. وانا أتصرف به .. فبعضهم يطلب الصحف القديمة ليستخدمها كبساط للسفرة

- قرأت أن بعض أهل العلم يكرهون أو يحرمون الأكل عليها لوجود آيات قرآنية أو أحاديث نبوية على صفحاتها

قال طلال : إن الله غفور رحيم

- ومن ناحية صحية سيئة .. يقولون إن الرصاص المستخدم في الطباعة خاصة الجريدة يؤثر على بدن الإنسان ، فلا ينصح باستخدامها كمفرش طعام

- الله اعلم

- على كل حال سأطلب من عامل النظافة أن يتركها عندك بدلا من حرقها.. إذن صاحبنا ظهر في الحي ، وجاءك ليتثقف

- طبعا ، لست المكتبة الوحيدة التي يتسول المجلات والجرائد منها ، إنما حسب طريقه لعشته يتسول .. ولدي خبر هام تذكرته هذه الثواني

- عنه؟

قال طلال باسما : نعم ، وهل نتحدث عن غيره ؟ يريد أن يتزوج .. فهو تزوج مرة ؛ ولكنها هربت من بيته

قال الشيخ مهتما بعصمت : وأين سيسكن اذا تزوج ؟ فهو يسكن في عشة صفيح خلف شارع الحي الشرقي بدون إيجار أو بإيجار زهيد

- سمعته يرد على هذا السؤال ، فهو سيجد بيتا في الحي هذا أو في مخيم اللاجئين القريب من أبو خروف ، فضحكت ، وقلت مازحا : أتدفع إيجارا يا عم عصمت ؟ فقال : شر لابد منه .. أتنازل عن بعض المال صدقة لصاحب الدار .

ضحك عبد المجيد وقال: صدقة .. جميل هذا من

أبي فولة!.. صار دفع الأجرة صدقة.. يا له من جواد!

ضحك أبو علي ، وغادره أبو عبد الله وهو يقول : برد الفلافل يا أبا علي .

بعد رحيل أبناء السيد ، وذلك بعد زواجهم أصبح لديهم نظام غداء الجمعة ، كل جمعة يكون الغداء على أحدهم ، فيقوم الذي عليه الدور بإحضار الوليمة لبيت الوالدين إما مطبوخة في البيت ، أو يبتاعها من أحد المطاعم المختصة بصنع الوجبات الكبيرة ، ويوم الجمعة كما هو معلوم يوم العطلة الرسمية في كثير من البلدان العربية ، والبنات كانت تجتهد على مشاركة الأبوين الغداء في بحر الأسبوع بدون ترتيب مقصود ، حسب المناسب لظروف أزواجهن ، وكان الأخوة ينسقون مع بعض ، ويعتبرون هذا نوعا من البر للآباء ؛ فإذا طرأ ظرف تغير الترتيب ويتبادلون الأدوار .. وهكذا دواليك ، وهذا الترتيب منذ سنوات قليلة منذ زواج فاتح أصغر الأبناء وتركه بيت الوالدين ، فكان نهار الجمعة بعد انتهاء صلاة الجمعة حافلا في بيت السيد .. عندما يحضر عبد الله يحضر معه خمسة أبناء وزوجة ، وهو قد تزوج أثناء دراسته في مصر ، من امرأة مصرية ، أصولها تركية بينها وبين أمه قرابة ، فالأتراك جنس توزع في كثير من البلاد العربية بسبب إدارتهم ، وحكمهم لبلاد المسلمين العرب ، وكانت لبنى جارة والديها في كثير من الأحيان عندما تطبخ طبخة شعبية ترسل لوالديها صحنا منها ، السيدة جازية كانت في أغلب أيام الأسبوع تطهو لنفسها ولزوجها ، فهي ما زالت تجيد الطهو وتقدر على ذلك

لما كانت الجمعة التي تلت الأحداث التي سردناها عليكم في الصفحات السابقة ، كانت وجبة غداء الجمعة من نصيب الابن الأكبر للسيد الدكتور عبد الله ، ويطيب للسيد الكبير أن يحضر ابنه معه كل أفراد الأسرة ، والمتقاعد قد يهتم بأشياء يراها البعض سخيفة ؛ ولكنه يعذر بأنه متقاعد وكبير في العمر ؛ لذلك كان السيد قد حدث أهله باختفاء الشحاذ أبي فولة ، ثم ظهوره وتبين له أن يطالع الصحف وقد تفاجأ من ذلك ، وأنه يفكر بالزواج ، ويعتبر الأجرة التي سيدفعها صدقة على مالك البيت ، ولما جلسوا يأكلون الفاكهة ويتسامرون ويشربون الشاي بعد تناولهم طعام الغداء قال عبد الله : وأنت في الحمام حدثتني الحاجة عن الشحاذ فولي وأنك مهتم به

تبسم الوالد ضاحكا وقال : أبدا أبدا القصة ـ كما تعلم ـ أني تعودت على مشاهدته أمام المسجد عندما أذهب لصلاة العصر ، وشراء ما يلزم البيت ، فأوزع مبلغا من المال على الشحاذين ، فلي عهد أراه يوميا ، فلو صاحب بقالة انتقل دون أن أعرف

لابد أن أسأل عنه ، فجرى حديث بيني وبين صاحب المكتبة طلال السّد عن هذا المتسول .. فأخبرني أنه يتسول الجرائد من عنده ؛ ليقرأها ويتثقف ، ويأكل عليها ، فهو زبون عنده ؛ لكنه لا يشتري شيئا ، وهذا ليس أول مرة أفتقده خلال العمر ، فهو أقدم شحاذ في الحي ، وأثبت شحاذ على غير العادة .. الشحاذون يحبون التنقل ، وعدم التمركز طويلا في مكان واحد أو حي واحد ؛ ولكنه يغيب زمنا ، ثم يعود وحدثت الحاجة عنه من باب التسلية يا أبا أسامة .. وكنت أتحدث مع طلال فسألته عنه من باب التسلية ، فوجدته زبونا عنده يتسول الجرائد المرتجعة .. وعجبت فعلا من شحاذ يقرأ الصحف وهو يسكن في الفضاء الخالي خلف أبو خروف

– أعرفه ، وأعرف شخص الشحاذ عصمت ، وشاهدتك تضع في يده عشرة قروش .. وذكرت لي أنك تفعل ذلك منذ عرفته متسولا في أبو خروف

– المهم تحدثنا عنه ، ورغم معرفتي السطحية به ، فقد عجبت من قراءته للصحف ، وهو يعيش في عشة لا كهرباء فيها ، فبين لي طلال أن لديه سراج كاز ، وأيضا يقرأها في أول النهار على نور الشمس قبل التحرك للشحذة ، فطلال يعرفه جيدا من تكرار الحديث معه ، وأعلمني أنه يتحدث في السياسة وتحركات الرؤساء والقادة ، وحرب تشرين الناشبة بين الدول العربية ودولة اليهود .. وصباح أمس كنت أشتري علبة حمص لنفطر عليها أنا وأمك ، مررت على أبي علي لأخذ الصحف المعتادة ، فأخبرني أنه ظهر ليلة أمس ، وفعلا كان مريضا ، وذهب للمستشفى ، وأخبره أنه سوف يتزوج ـ فقد تركته امرأته الأولى قبل أن يستقر في حيينا ـ ولما سأله طلال أين سيسكن بها ؟قال له : إنه يبحث عن شقة أو غرفة كبيرة .. وسيعتبر الإيجار صدقة على مالك البيت أرأيت ؟! .. شر البلية ما يضحك .. ناسي أن صاحب الملك دفع شغل سنين ليبني هذه الدار وتلك العمارة .. وقد تمر عشرات السنين قبل أن يسترد ما أنفقه على تشييدها .

تبسم الدكتور عبدالله ـ وكان يحب الاستماع لوالده دون مقاطعة ـ وعلق: صدقة .. الإيجار سيكون بنية الصدقة عند أبي فولة .. مهبول هذا .. هذا الإيجار بدل منفعة .. ليس له أولاد من زوجته التي هجرته ـ يا أبي ـ لم يخلف منها .

– لا ، لم أسمع بذلك منه ، ولا من غيره ، والناس تناديه أبا فولة على اسم عائلته فولي .. فهذا السبب الذي دفعني للحديث مع أمك عنه .. وأنت تعلم أني أحمل بعض القطع المعدنية لتوزيعها على هؤلاء الشحاذين كل يوم .. وأنا متجه للجامع لأداء

صلاة العصر .. وذلك رغم علمنا بغناهم وبخلهم ، وأنهم يمتهنون هذه الوظيفة الدنية .. ولو توقفنا من إعطاءهم لا يتوقفون .. إن الفقراء الحقيقيين تصلهم صداقاتنا عن طريق جمعية البر .

- التسول مرض اجتماعي كسائر أمراض القلب والبطن .. لذلك يمتنع الكثير من الناس بالإحسان إليهم لعدم استحقاقهم للصدقة.. إنما أشكالهم تحتاج للصدقة وتدفعنا للتصدق عليهم .. والكثير منهم يملكون الثروات .. وبعضهم كما نسمع لهم بنايات ؛ ولكنهم تعودوا على حياة الدور القذرة والضيقة .. الإنسان بعد حين يصبح أسير العادة والعادات .. فهم يتسولون بحكم العادة ، وليس لسد الجوع والحاجة .. فقد نشرت إحدى الجرائد عن موت متسولة طاعنة في السن ، وتركت وراءها ثروة كبيرة ومواد تموينية فاسدة كثيرة .. الصدقة مطلوبة .. وفضل الغني على الفقير بالمال ؛ لتمحيص الخلق .. ويقال للسائل حق ولو جاء على ظهر فرس .. والرسول ﷺ وضح للناس من تحل له المسألة وطلب العون من الناس (حديث قبيصة المعروف في هذا الباب وقد سبق ذكره)

قال الأب: هؤلاء المتسولون لا يهتمون بحديث ولا قرآن .. إنهم يجعلون القرآن والأحاديث وسيلة للتسول ومد اليد .. كنت أجلس في متجر في مركز المدينة حيث شحاذ داخل وآخر خارج .. وبينما نتحدث في أمور الدنيا دخل علينا كهل شحاذ طالبا صدقة.. فالتفت إليّ صاحب المحل ، وقال: عشرات يدخلون علينا خلال ساعات النهار ، فصرفه دون فلس واحد ؛ ولكنه قبل أن يغادر المتجر صاح فينا : الله يقول ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة .. فنظر إليّ صاحب المحل بعد أن استوقفه قائلا : أسمعت بهذه الآية يا شيخ عبد المجيد ؟

هززت رأسي نافيا ذلك ، وقال : وأنا مثلك رغم قراءتي للكتاب ، لا أذكرها .

وقال للشحاذ قل لي في أي سورة هذه الآية ، وأنا أعطيك عشرة قروش . فعاد الشحاذ حيث الطاولة التي يجلس عندها صاحبي وأنا ، فقال لنا : هاتوا المصحف .

فتناول الرجل مصحفه وقال : ها هو المصحف .

أخذ المتسول القرآن ، وفتح على سورة فصلت

ووضع إصبعه عند الآية التي تنتهي بقوله تعالى وويل للمشركين ثم علامة نهاية أية ، ثم أية تالية الذين لا يؤتون الزكاة .. فعلق صاحبي قائلا : لي عشرات السنين أقرأ الكتاب ، ولم انتبه لها ، وأعطى الرجل عشرة قروش ، وقال بعد انصرافه : هذا الجزء أحفظه غيبا ومع ذلك.. هذه أول مرة انتبه لهذا الارتباط .. أرأيت هؤلاء الشحاذين يا أبا

عبدالله ؟!

فقلت له : وأنا مثلك .. هذه أول مرة أقرأ تهديد المشركين بويل لأنهم لا يؤتون الزكاة. وتركنا المتسول باسما .. التسول اليوم ليس علامة الفقر والمسكنة

قال عبد الله : أن أية فويل للمصلين في سورة الماعون شبيهة بها ثم الذين هم عن صلاتهم ساهون .. واليوم الدول فيها مؤسسات خيرية ، ووزارات معونة مالية وجمعيات ؛ لكنهم استهوتهم هذه الطريقة للحصول على المال .. وهناك جمعيات الزكاة كجمعية البر في حي أبو خروف ، وغيرها من الجمعيات .. حدثت عن متسول يملك عمارة من أربعة طوابق مؤجرة في أحد أحياء مدينتنا الكبيرة .. يركب سيارة مرسيدس حديثة كما يقال موديل سنتها يتخذ الشحذة وظيفة .. ينطلق صباحا في سيارته تلك إلى الأحياء الراقية ، ويتركها في موقف سيارات خاص ، ويخلع البذلة ويلبس ملابس العمل حتى الليل ، ثم يعود لسيارته ويلبس ثيابه الحسنة ويجلس مع سكان حيه كأنه وزير أو مدير شركة كبيرة .

مرض عبد المجيد

غادر عبد المجيد المسجد بعد صلاته العصر ، ودخل المقهى كعادته ليشرب فنجان شاي أو قهوة قبل أن يتوجه للسوق القابع خلف المسجد ،وجلس عند طاولة يجلس عليها أهم أصدقائه ومعارفه في الحي ، وأغلبهم جيرانه ومن جيله ، ولم يكد يجلس ، ويسلم على من لم يسلم عليه في المسجد ، حتى سمع مهران يناديه فهو صديقه وهو صاحب المقهى ، فالتفت إليه وقال : آ ، يا أبا عبد الكريم ، لدى الحاج كلام

فأشار إليه بالمجيء والجلوس معه ، فنهض وسار إليه ، وجلس على كرسي بقربه وصافحه وسأله عن عياله وأهله .

فقال له : لم تطلب شيئا .. يا سعيد فنجان قهوة للحاج عبد المجيد

– فنجان صغير يا حاج

أحضر النادل فنجان القهوة الصغير ، فهو معروف لهم ، فقال : كيف الحال ؟

– بخير الحمد لله

– الصحة؟

– الحمد لله

قال مهران : أخبر أيوب أبو سالم أنك ستدخل المشفى ؟

ابتسم أبو عبد الله وقال: أبو سالم جار عزيز .. وأحيانا يأتي بعجوزه للسهر وإيانا .. صحيح سأقوم بفحوصات طبية للقلب .. وهي دورية ليست جديدة .. تعبت قبل أيام ومررت على

ماجد .. أحسست بآلام في صدري

- الدكتور ماجد جارنا . وعيادته في عمارة قريبة من المسجد والمقهى

- نعم

- هو طبيب عام غير اختصاصي

- أعرف ، تعبت وأنا في السوق .. المهم نصحني بعرض نفسي على أخصائي صدر أو قلب

ولما حدثت الأولاد بهذا خاصة عمر الضابط أصر على أخذي لطبيب القلب في المستشفى العسكري ، وبعد تصوير وتخطيط قلب على جهاز رسم القلب ، قال الدكتور : الأمور طبيعية ربما عضلة القلب تحتاج لمراقبة ، ومتابعة تسارع النبض لمدة يومين أو ثلاثة .. فقريبا سيكون أمر الإدخال .. والمراقبة لهذا القلب ، لما تزول نزلة البرد التي أصابتني لعلني اشفى .. ربما هي سبب هذه المشاكل .. وأنت تذكر هذه الأزمة التي ألمت بي .. فالشتاء موسم نزلات البرد

- كان التهابا حاد ا كما أخبر أيوب جارك

- ونعم الجار

قال مهران : أذكر هذا وقد تغيبت عنا أسبوعا أو حتى أكثر ؛ كأنها عشرة أيام .. ولما شرفتنا ذكرت لنا هذه الأزمة الحادة .. حماك الله من الأسقام

- بارك الله فيك ..وهل ينجو أحد من السقم ؟

- هي دعوة ودعاء .. والرسول ﷺ كان يتعوذ من الأمراض

- صلى الله عليه وسلم .. وزارنا الجار والصديق أبو سالم وبعض رفاق الجامع .. جزاهم الله خيرا .. الإنسان ضعيف من البرد يمرض .. من الحر يمرض من تقلب الفصول يسقم .. ومن الطعام يمرض .. ومن الماء يمرض ..والحمد لله على كل حال ..والمرض رحمة بنا .. في النهاية فذنوبنا تغسلها الأمراض وتطهرها .. فكان الدعاء النبوي للمريض طهور إن شاء الله

- صدق الرسول عليه السلام .. سلامة لك يا حاج عبد المجيد يا بركة .. أخبار عمر في الشرطة كيف هي ؟

- بخير وعلى خير ما يرام

- والدكتور العالم عبد الله

- طيبة ، ويحاضر في الجامعة ، صرف نظره عن العمل في القضاء .. الأولاد نعمة وزينة .. عندما يضعف الكبير يعلم القيمة المهمة للذرية إذا كانت صالحة .. ولد صالح يدعو له .

- كما يزرع يحصد .. ربّ جيدا تجني ذرية جيدة .. لي حفيدة طالبة في كلية الشريعة بنت ابني سليمان .. أخبرتني أن ابن أبي عبد الله مدرس عندهم

- الله يفتح عليها ..إذا احتاجت لمساعدة فلتتحدث مع الدكتور دون حياء .. فنحن أهل وجيران يا أبا عبد الكريم

- هي مجتهدة ، وحصلت في التوجيهي إحدى وثمانين درجة .. ورغبت دراسة الشريعة وفي الجامعة

- وفقها الله .. وأنت كيف صحتك ؟

- الصحة لا بأس بها.. الكبر والسن لهما دورهما .. وعملت مثلك بعض الفحوص للقلب .. والوضع مقبول جملة ؛ ولكني تركت السجائر بأمر الأطباء

- الدخان شر.. وقاتل مخيف .. والعجب أن الناس يعشقونه عشقا مبرحا عشقا لا حد له .. ولا يخلو بلد من مصانع تصنعه للخلق زاعمين أنهم يدعمون الاقتصاد بصناعته ، مع أن العلاج لمرضاه يكلف الدولة أكثر من دخله

قال السيد مهران : الكل يعلم ضرره وشره ، ومنذ بدأنا ندخن ونحن نعلم فساده وضره .. يزعمون أن المال بدل أن يخرج للدول الأخرى ، فليبق ثمن الدخان في البلد ، ولا يذهب إلى الشركات الخارجية .. حجج هاوية ..فنحن نستورد كل شيء ..والدخان الأجنبي يملأ البلد والناس تعشقه ويتباهون بشرائه .

- الخمور تباع باسم التجارة العالمية .. المخدرات تشيع بين الناس

- لا حول ولا قوة إلا بالله

قضى السيد أياما في المشفى العسكري ، لأنه يحمل بطاقة علاج طبي عسكري بصفته ضابط متقاعد ، والجيش يؤمن العلاج الطبي لمنتسبيه في كل دول العالم التي لها جيوش ، وخضع الرجل للعلاج والمراقبة الطبية ، وبعد الانتهاء من العلاج منح بعض الأدوية المهمة والمنشطة لعضلة القلب ، ونصح بالمراجعة كل ستة أشهر مرة إلا اذا اضطر لغير ذلك .

ورجع للبيت ، فبدأت الزيارات ، أهل عليه من الأقارب والجيران والأصهار والأصدقاء ، وأغرب ما حدث في هذه المناسبة أن الشحاذ عصمت دخل عليه ليهنئه بالسلامة ، فاستقبله أبو عبد الله كما يستقبل زواره وضيوفه ، ورحب به وجلس وإياه في صالة الاستقبال ، وعرض عليه الطعام ، فاعتذر وقال مبررا اعتذاره : أحب الأكل في الشوارع شكرًا لكم .. لقد تألمت لما سمعت بدخولك المستشفى .. وكنت يوميا أسأل الحاج مهران عنك فيطمئنني عليك .. الحمد لله على السلامة يا سيدي

- شكرًا لك يا أبا فولة

أحضرت سيدة البيت الشاي ، ووضعته أمامهم ، وتقبلت دعوات أبي فولة بسلامة زوجها ، وسكب الشيخ الشاي داعيا له بشربه ، وأخذ الرجل بالتمتمة شاكرا للسيد ، حتى سمعه يسأله عن أخباره

فرد عصمت : عايش مستورة يا عم عبد المجيد .. وأنا رغبت أن أحظى بهذا الشرف .. وأمر عليك شخصيا ؛ لأني أعلم أنك صديق طيب ، وأعلم قدر قلقك عليّ لما أختف من الحي سواء للعمل في مكان آخر أو أمرض

ضحك عبد المجيد وقال: بارك الله فيك .. لقد تعودت على رؤيتك أمام المسجد من سنوات .. واعتبرتك جزءا من المسجد . وابتسم ، وابتسم الرجل أيضاً ، وأخذ يرشف شايه ، ولما فرغ ملأه الحاج ثانية قائلا : اشرب يا صديقنا .. حلت علينا بركات أبي فولة .. أخبرني صديقنا أبو علي

– أبو علي؟

– صاحب المكتبة طلال .. المكتبة القريبة من هنا

– آ .. عرفته تذكرته ماذا أخبرك؟

– أخبرني أنك ترغب بالزواج ثانية

– لقد تزوجت من يومين فقط

دهش عبد المجيد وقال : تزوجت !

– نعم ، وأنت في العلاج تزوجت .. التقيت بامرأة أثناء العمل تعمل مثلي .. وبعد حين اتفقنا على الزواج .. واستأجرت غرفة صغيرة على طرف المخيم المخيم القريب من أبو خروف.. والأجرة ثلاثة دنانير في الشهر

– هي تشتغل مثلك في الشحذة

– كما قلت قبل لحظات تعرفت عليها أثناء الشغل ، وذلك أمام الجامع الكبير في وسط المدينة حيث أعمل يوم الجمعة .. نحن يوم الجمعة نسترزق عند صلاة الجمعة أمام المساجد الكثيرة المصلين .. وبعدها نكف عن العمل للصباح التالي .. فهذه الصلاة نحصد ساعتها عن أسبوع من اللف والدوران .. فكانت من ضمن الجالسين وتعرفنا على بعض .. ولما علمت أنها مطلقة أكثر من مرة .. قلت لها دعيني اجرب حظي معك .. فإن طاب العيش كملنا الحياة سوية .. فبعد تردد وافقت .. نخرج للعمل قبل آذان الظهر بقليل ونعود للقصر ليلا .. ويتغدى كل منا مكان عمله .. والعشاء والإفطار معا .. وعلى كل واحد أن يحضر الطعام معه من المطاعم من الدور .. أنا فقط أدفع إيجار الدار .. ومن الشهر التالي وعدتني بدفع نصف الإيجار تبرعا منها

ـ ستساهم معك بدينار ونصف جيد .. كيف الشغل هذه الأيام يا معلم فولي ؟

ـ مستورة

ـ مستورة .. الله يستر على الجميع

– نعم ، يا أبا عبد الله .. شكرًا على الشاي .. واسمح لي بالمغادرة

– انتظر

دخل حجرة النوم ، وعاد يحمل دينارا ورقيا ، أعطاه للرجل ، وهو يقول : نقوط العرس ..

شكرًا على زيارتك .. ووفقك الله

سعى الرجل لتقبيل يد السيد ، وسحبها السيد قائلا: استغفر الله استغفر الله يا عم عصمت .. نحن أخوة .. مع السلامة سلم على أهلك . ورافقه إلى باب الشقة ، وصافحه مودعا ،وأغلق الباب خلفه ، وعاد للجلوس في الصالة، وجاءت زوجته وهي تقول :ماذا يريد هذا الشحاذ ؟

ضحك عبد المجيد وقال : جاءني مسلما ومهنئا بالسلامة ؛ بمناسبة الخروج من المشفى .. فهو يعتبرني صديقا له

– وهل للشحاذ صديق ؟!

– صديق عابر ؛ ربما لأنني اهتممت بمسألة غيابه قبل دخولي المشفى كما تذكرين .. فظن أن اهتمامي بغيابه جعله أن يتخذني صديقا .. الله يهديه ويصلحه

– الشحاذ صديقه الوحيد المال ؟ وهل سيتأخذ مهنة أخرى ؟

– قد يحصل هذا في يوم من الأيام .. الله أعلم .



شبكة جواسيس

في مطلع الشتاء نشرت الصحف المحلية أن أجهزة الأمن قد ألقت القبض على خلية تجسسيه في إحدى المدن العسكرية أي ذات الطابع العسكري ويغلب على سكانها العمل في الجيش ، ولم تفصل الجرائد الخبر ، وكيف تم الاعتقال ؟ وكم عدد أفراد الخلية ؟ ولم تحدد لمن تتبع الخلية ؛ لدولة عربية ؛ لدولة إسرائيل الصهيونية العالمية .. فالدول العربية تتجسس بعضها على بعض بسبب الصراعات الناشبة بينها ، إما إعلاميا ، وإما اقتصاديا حسب المحور الذي تدور عليه الدولة العربية ، فقد شهد العقد الماضي صراعا عسكريا حادا بين مصر ومن آزرها ، والسعودية ومن آزرها في حرب اليمن أثر الانقلاب العسكري على الإمام البدر ، والنزاعات الحدودية تثور وتهدأ حسب شهوة القادة والحكام لهذه البلدان ، ولم تكن هذه أول مرة يكشف فيها عن خلية أو خلايا تجسسيه .. منذ نشب الصراع بين العرب واليهود ويحدث هذا .. وعادة الصحف لا تتعمق في التفاصيل ، إنما إشارة للحدث فقط .. فالصحافة الأجنبية أجرأ على تناول هذه الأخبار وتحليلها .. والدول اليوم تملك أجهزة مكافحة التجسس ..فالدولة لديها جهاز مكافحة التجسس والاتصال مع العدو الغاصب .. والصحف لم تكشف لمن تتبع هذه الخلية ، ولكن الراجح أنها تتبع لإسرائيل ؛ لأنها العدو الأصلي لكل البلدان العربية .. والذي أعطى هذا الحادث أهمية لأهالي أبو خروف

وتداولهم له أن أحد أعضاء الخلية قبض عليه في الحي في أحد مطاعم الحي.. وهذا شكل مجالا للنقاش والقيل والقال ..ولماذا جاء الجاسوس أبو خروف ؟ ولماذا قبضت عليه أجهزة المكافحة في المطعم ؟.. فقال عبد المجيد متلهفا لإشباع فضوله لابنه عمر الذي يخدم في أجهزة المكافحة : ما القصة ؟ أيعمل في هذا الحي جواسيس ؟ ولماذا مطعم جودة ؟!

ضحك عمر قال : هذه الأحياء قد تكون آمن للجواسيس من الأحياء الراقية

وتوقف الحديث إلى ما بعد الغداء ، بعد الغداء العائلي دخل الشيخ مكتبه ومكتبته المنزلية الصغيرة ، وتبعه عمر الذي طلب من زوجته إحضار الشاي إليهم في المكتب.. وكان عبد المجيد مهتما بجاسوس أبو خروف الذي تحدثت عنه الصحف ، وهو حديث المقهى والشارع .. ولولا نشر الخبر في الصحف لما اهتم الناس بقصته ، والسؤال لماذا جاء الرجل للحي ؟ وقبض عليه في الحي في أحد المطاعم المهمة في الحي ؟ لذلك سأل ابنه مرة أخرى قائلا : وماذا كان يعمل الملعون في الحي ؟!

عمر يعلم شدة فضول أبيه ، واهتمامه بمثل هذه الحكايات ، فقال: رغم حساسية الموضوع يا أبي ؛ لكني سأشبع فضولك.. أنت تعلم من واجباتنا تعقب ورصد هذه الشبكات .. وهي مهمة حساسة وصعبة .. ربما يقبض على عميل في ظرف معين ، ثم يبان لنا أنه الشخص الخطأ .. كان هذا الرجل تحت المتابعة منذ أكثر من سنة..هؤلاء الجواسيس لا يستعملون الهاتف إلا في أضيق الحدود وبطريقة مشفرة..فهم يستخدمون البرق والرسائل المشفرة أو اللقاء مباشرة .. ونحن متأكدون أننا لم نقبض على جميع أفراد الشبكة ؛ لكن اضطررنا لأسباب خاصة بالتعجيل للقبض على المعروفين لنا خشية هربهم .. ولم نستطع أن نعرف سبب مجيء الرجل إلى أبو خروف بالذات .. لكن لا تنسى يا سيدي أن الحي قريب من مخيم عودة الأمل القريب منكم .. والمخيم كما تعلم فيه أنشطة سياسية وعدائية لدولة إسرائيل المغتصبة لفلسطين العربية .. ونحن فككنا الكثير من الشبكات والخلايا .. فبعضها نعلن عنها في الصحف ، وأكثرها لا تذكر .. تبقى لدى المحاكم والنيابة .. وأنا طلبت هذه الجلسة الخاصة لأسمع منك

- تسمع مني؟!

- نعم ، ماذا يتحدث الناس عن جاسوس أبو خروف؟ تعليق الناس على الحادث .. هل يتحدثون إلى أين كان ذاهبا ؟ هل كان على موعد مع أحدهم ؟ مدى اهتمامهم وتأثرهم بالقبض على جاسوس في حيهم .. هل كان ذهابه للمطعم

صدفة أم لمقابلة شخص ؟ الناس تتفاعل مع الحدث أحيانا كثيرة .. هل سمعت شيئا؟

بعد رشف الشاي قال عبد المجيد : أنا أصلي العصر في المسجد ، وأجلس في المقهى بعض الوقت ثم أمر على السوق وأقفل عائدا ..فلا أسمع الكثير .. والناس هنا منذ نشر الخبر في الجريدة ، وهم يتحدثون عن سبب ظهوره في أبو خروف ، لا يذكر أحد أنه قابله ، حتى صاحب المطعم يقول للناس: إنها أول مره أراه يدخل مطعمي . ولكن بعضهم يشكون في صاحب المطعم نفسه ـ المعلم جودة ـ ويقولون : لو صبر رجال المباحث حتى يقابل من أتى ليجتمع به .. لم يشاهد في الحي من قبل .. هكذا يقول أهل المقهى

– ربما أتى من قبل متنكرا يا أبي .. فالجاسوس بارع في التنكر ؛ ولكننا نعلم أن صاحب المطعم لا يعرفه ، وإنما دخل المطعم ليأكل أو ينتظر شخصا فيه .. وهو جاء مضطرا .. هو نزل من التكسي العامل على خط هذه الأحياء .. ووقف دقائق يتلفت يمينا ويسارا ، ثم دخل محل بقالة واستخدم الهاتف ، ثم تبين لنا أنه اتصل بمقهى في وسط البلد ، كما يقول الناس عن قلب المدينة ورد عليه صاحب المقهى أو مديره .. ولما ذكره رجال الأمن بالوقت الدقيق للاتصال ذكر أنه سأل عن رجل اسمه شوقي رجب .. ونادى الجرسون بصوت عال ، ولم يرد أحد ، وأنهى الاتصال ، ودخل المطعم عند جودة .. وهنا قررنا إنهاء المتابعة .. وقبض على خمسة من المجموعة وهو سادسهم .. وبعد التحقيق الابتدائي أعلن خبر القبض كرسالة للعدو ، ولباقي الشبكة؛ لعلهم يسعون للهرب ، ويخرجون من أوكارهم

– هذا ما تردد على السنة أهل المقهى من إشاعات عن الجاسوس ، ولم يزعم أحد أنه رآه أو قابله أو جالسه .. والسؤال المهم لماذا أتى الحي ؟! جاء يقابل من؟ لو عابر طريق لماذا نزل في أبو خروف ؟

ضحك عمر وقال : قد يكون جاء لخداع مراقبيه .. فهو يعلم أنه مطارد منذ أن أمسكنا جماعته وأنت تجلس مع أهل الحي والسوق والمقهى هل سألك أحد عني عن موظف في الشرطة السرية

– من الطبيعي أن يسعى الناس لمعرفة عمل الأبناء ؛ ولكن لا أذكر أن أحدهم ركز عليك بالذات ؛ إنما الحديث عن الأولاد جملة .

الجاسوس

شغلت قضية القبض على جاسوس إسرائيلي في الشارع العام لأبو خروف الأهالي ، فبعضهم ظل مهتما بها ويتابع أخبارها ، وأكثرهم نسيها خلال أيام أو ربما ساعات ..فهل كان الرجل عابر سبيل عند إلقاء القبض عليه ، أم جاء لمقابلة أحد أعضاء

الشبكة ، فاليهود يتابعون التسليح العربي والمجهود الحربي ، يتابعون الاقتصاد العربي والصناعات العربية ، يتابعون التنظيمات الفلسطينية التي نشأت على أثر نكبة فلسطين ، يندسون في مخيمات اللاجئين بعد عام ٦٥ وقبله وكانت المقاهي الشعبية مرتعا خصبا للسياسة ، وقراءة الصحف ، فإنك تجد قارئ جريدة يجلس أمام المقهى يقرأ ويقلب جريدته أثناء الصيف والأيام الدافئة ، وآخر يقرأها في الداخل ، وهو يرشف الشاي ، وآخر يتابع الراديو القابع في زاوية المقهى ، يستمع نشرة أخبار ؛ لأن محطات التلفزيون تتأخر في البث ، ما زالت في بداية الشوط ، وتفتح في المساء لنشرات الأخبار المصورة لذلك كان يتردد في مقهى أبو خروف التعليق والنشر على اعتقال جاسوس في مطعم جودة مطعم للمأكولات الشعبية الشهية ، حيث تطهى اللحوم والأسماك والطيور .. فكان كبار السن والشباب مشغولين بقصة الجاسوس ، خاصة المهتمون بالسياسة والثورات العربية والانقلابات العربية والأحزاب العربية .. ويتردد على ألسنتهم مرارا وتكررا (أتى لمقابلة من ؟!) من كان يسعى لمقابلته في الحي ؟ هل سيقابل شخصا من الحي من المخيم من حي آخر ؟ هل كان في المطعم لأجل اللقاء أم لتناول الغذاء ؟ هل جودة عميل إسرائيلي؟ هل بيننا خلية تجسس ؟ لقد سمعوا أكثر من مرة عن عملاء لليهود في قلب المخيم تمت تصفيتهم ؛ ولكن لم تظهر الحقيقة كاملة .. وقبض على بعضهم

كان مهران صاحب المقهى يتهامس في نفس الموضوع مع السيد عبد المجيد فقال: أنت تقرأ الصحف والمجلات والكتب ، وابنك عمر ضابط أمن ، فماذا يعلمون عن الحادث ؟

قال عبد المجيد وهو يثق بمهران : هو حادث غريب في أبو خروف حقا.. الجرائد نشرت الخبر ولم تعلق عليه ، ولا حتى كتاب الأعمدة يتحدثون عن تلك الخلية .. صمت قاتل .. حتى متابعة له في الصحف لم تحدث .. والقبض على الشخص حدث في وسط النهار ، وفي مكان عام ..ليس في بيته ولا ليلا ..وصاحب المطعم ومن حضر الاعتقال سيتحدث بما رأى .. فرأت الجهات الأمنية أن تعلن عن القبض عليه ؛ لأن الناس ستتحدث عن الحادث .. وستسمع الصحف ووسائل الإعلام من وكالات الأنباء .. فكان النشر قبل البدء في التحقيق الرسمي .. فالناس تتحدث بضعة أيام ، ثم ينشغلون بخبر وحادث وآخر ، ويكف الحديث عن الجاسوس.. لماذا قبضوا عليه في وضح النهار؟ ربما خشية الهرب والاختفاء

فعاد مهران يقول: الكل يتسأل جاء يقابل من؟ هل أراد أن يأكل قبل أن يذهب للمخيم ومقابلة عميل ؟ قصة مثيرة ومحيرة

– أنا أعتقد أنه كان يريد المخيم ، عن طريق أبو خروف للتمويه والتضليل .. فالمخيم له طريقه ومواصفاته .. له خط سير خاص .. فالمخيم لا يخلو من عملاء العدو .. فالمال سلاح خطير ، وشراء الذمم موجود .. حتى الأنظمة العربية تجد لها عملاء داخل مخيمات اللجوء .. فالدول العربية في حالة صراع بين بعضها بسبب خلاف أنظمة الحكم .. هذا شرقي وهذا غربي .. وهذا وسط بينهما عدم انحياز .. والعالم في حالة السلم حرب بين أجهزة التجسس .. والجاسوسية حرب دون شوشرة إعلامية .. إنما هي فقاعات هنا وهناك .. وإسرائيل حسب ما ينشر لديها جهاز مخابرات قوي ونشط في كل العالم حتى في أمريكا نفسها .. رغم التحالف القائم بينهم .. فإسرائيل سواء النظام العربي اشتراكي قومي تقليدي يهمها معرفة قادة النضال الفلسطيني ومساكنهم وأفكارهم وأعوانهم .. ويهمها معرفة المثقفين البارزين والعلماء والعسكر .. فهي دولة خبيثة ..والمعرفة عماد الانتصار والتقدم .. تقرأ ما تكتب الصحف والمجلات .. فالتجسس قائم حتى بين الأصدقاء .. والدولة تتجسس على شعبها بما يسمى الأمن الداخلي

قال مهران أثر صمت عبد المجيد :أفهم من كلامك أن الدولة لم تعرف بعد عضو الخلية أو الشبكة في منطقتنا وبيننا

– لا يعرفون ، وإلا سمعنا بالقبض عليه من جيرانه من أهله .. بيني وبينك ابني يقول : لا نعرف وهم يتابعون التحري والبحث والترصد ؛ لأنه لم يأت عبثا إلى هنا .. لو في وسط المدينة ؛ لكان الأمر مقبولا طبيعيا .. أما أن يذهب للأحياء ، لابد أن يكون قادما للقاء أحدهم

– بعض الأخوة يعتقد أن لصاحب المطعم علاقة أو عمالة بهذا الجاسوس ؛ ولكن قبض الأمن عليه قبل ظهور العميل نجّى العميل .. وقد اختفى أحد عمال المطعم بعد الحادث بأيام

– علمت بذلك من طلال صاحب مكتبة الطالب .. هو لم يختف ، إنما ترك العمل قبل القبض على الجاسوس .. وهو يعمل في مطعم حلويات في قلب المدينة

قال مهران : أنا علمت أنه اختفى لما علم بالقبض على شريكه

– لا ، لا ، لم يقبض عليه ، حدثني أبو علي بالأمر

– صاحب مكتبة الطالب

– أجل أجل صحح لي معلوماتي

– أبو علي رجل مثقف ، وأستاذ متقاعد ، وقارئ

نهم مثلك

قال عبد المجيد : بل أكثر مني .. على كل حال أكد أن العامل ليس له علاقة بالجاسوس .. إنما تصادف تركه العمل مع القبض على الجاسوس .. وإنما ذهب للعمل في مطعم آخر لقريب من جودة .. العميل موجود ويعيش بيننا .. وجاء الرجل مضطرا لمقابلته بعد القبض على رفاقه في المدينة العسكرية

– ماذا يفعلون بالخونة بعد إمساكهم ؟

قال عبد المجيد: اذا كان يحمل جنسية البلد ، فله حكم قد يصل للمؤبد أو الإعدام حسب الضرر والخطر الذي كان يشكله على المجتمع .. هل تسبب في قتل أناس أم لا ؟ هل عمل جاسوسا مكرها تحت سيطرة أشياء سيئة استدرج إليها ؟ هل هو متعاون مع التحقيق وقدم معلومات للجهات الأمنية ؟ .. واذا كان تابعا لدولة أخرى قد يتعرض لعقوبة قاسية أو يجرى تبادله بجاسوس أو جواسيس للبلد تم كشفهم لدى العدو .. وذلك بعد المحاكمة ولو شكلية وفي الغالب يحبسون .. وهناك جواسيس محترفون ، واذا كانوا يملكون معلومات خطيرة عن بلدهم ينتحرون بابتلاع كبسولة سامة سريعة المفعول.. عالم الجاسوسية عالم مرعب .. ولا يكاد يصدق ما ينشر عنه من معلومات

تلاشى الحديث عن الجاسوس رويدا رويدا في الحي كسائر أحداث الدنيا ، لها عنوان عاليا ، ثم تخفت وتصبح حديثاً يتذكرونه بين وقت وآخر ، وقد عجز المهتمون به من تعليل سبب مجيء الرجل لحي أبو خروف ، واقتنع البعض أنه قدم ليأكل وينصرف ، والناس تحب القصص المثيرة والغامضة ، وتكثر من تكرارها ونشرها في المجالس والتجمعات ، ومع التكرار يكون التبهير بالزيادة والإضافة عليها ؛ بإضافة المشاهد النفيسة والشخصية إليها ، وفجأة مع مطلع العام الجديد عاد الحديث عن الجاسوس الذي قبض عليه من حين ..وعاد الحديث عن الموساد اليهودي ، والسبب في العودة لهذا الحديث أن الشرطة قبضت على مدرس معروف بانتمائه لحزب قومي ، فأصبح الناس يتحدثون عن اعتقاله ليلا ، فربط الناس اسمه باسم العميل المأسور ، وأن الرجل كان قادما للقاء المدرس الذي يزعم أنه قومي وناشط سياسي في الدعوة للحزب القومي العربي .. وكثرت الأقاويل عليه ، وعن خيانته للأمة والشعب والشهداء والأسرى والوطن ، فلما التقى عبد المجيد بولده عمر حدثه بما تهامس به الناس حول القبض على المدرس منصور قُمة ، فغمر الضحك السيد عمر ، واستغرب هذه الربط ، وقال : هكذا يقولون إن الجاسوس المقبوض

عليه هنا جاء ساعيا للقاء الأستاذ منصور قمة .. هذا الأستاذ درسني يوما في ثانوية صلاح الدين الأيوبي .

– فهذا ما يشاع في المقهى وبعض المتاجر

– حسب معلوماتي أن القضية قضية شرطة ، كأنه ناصب على أحد التجار بمبلغ كبير ، ورتبت الشرطة للقبض عليه ليلا حتى يمسك في بيته ، وربما صمت أهله عن هذه الحقيقة خشية أن تلصق به تهمة النصب ، وتركوا الكلام للقانون

ابتسم عبد الحميد للمعلومة ، وكان يهز رأسه استخفافا وقال: نصاب !

– نعم قضية نصب ، قضية شرطة ، وليست سياسية ولا أمنية

– بعد خفوت قصة الجاسوس عاد الناس للحديث فيها وعنها بسبب القبض على منصور .. فالناس لا يهدأ لها بال حتى تعرف لمن أتى الجاسوس؟ فهم يتسألون ماذا يفعل الجاسوس في أبو خروف حيث لا جيش ولا معسكر .

– القصة يا أبي أن الحي هذا من الأحياء الشعبية .. فجاءه للاختفاء والتستر فيه .. فهناك جواسيس يعيشون في الأحياء الراقية والقصور والفلل والمال .. فإذا كان المطلوب منه أن يحيا وسط رجال الأعمال والمال ، سيكون جاسوسا غنيا حتى يُكون معهم صدقات ، ويعرف أسرارهم ونشاطهم .. وأما جاسوس المخيمات وأبو خروف فسيكون فقيرا أو متظاهرا بالفقر أو بعض الغنى ؛ لأن أغلب سكان المخيم من الفقراء .. فالغني في الغالب سيرحل لا يعيش في مخيم .. فالجاسوس يتقمص الشخصية الملائمة للعمل المطلوب منه .. فهو رجل مدرب وصنعته الدولة للمهام الجسام والخطيرة .. هناك جواسيس أو عملاء كمخبرين لا يحتاجون لتدريب كبير .. فمهامهم صغيرة نقل معلومة من مكان ما ، فربما يعيش جاسوس بين الناس سنوات قبل أن يكلف بمهمة ما .. ربما يكون بينهم لبث الإشاعات المطلوب منه بثها .. وقد يكون بينهم سيد الوطنية والإخلاص .. فالإشاعة جزء من الحرب القائمة بيننا وبين اليهود .. فالحرب النفسية تقوم على الإشاعات

– الحديث لا ينتهي، ألم يعترف الرجل عن سبب ذهابه ووجوده هنا؟!

– الجاسوس لا يعترف بسهولة .. واذا كان مهما للجهة التي يعمل معها قد يبلع حبة سم سيانيد ليقتل نفسه حتى لا تخرج منه كلمة تسيء لوطنه

تنهد عبد المجيد بعمق وقال : قصة هذا الرجل شغلت الحي ، وكثرت الإشاعات والخيالات ولما سمعوا بالقبض على منصور قمة ، كالوا له التهم الشنيعة ، وظنوا أن الرجل أتى للقاء به في المطعم ، وحلف صاحب المطعم أنه لا يذكر أن الأستاذ

منصورا دخل مطعمه ولو مرة واحدة مع أن له أكثر من خمس سنوات فاتح للمطعم ..

ـ فهو بعد أيام سيخرج إلا إذا حكم عليه بالسجن .. أما إذا رجّع المال أو تعهد بإرجاعه سوف يخلى سبيله .. وأنت اليوم كيف صحتك ؟

– الحمد لله رب العالمين .. الجرائد لا تشبع القارئ بمثل هذه القضايا .. لا تتابع مجريات التحقيق كما في جرائم القتل والعصابات

– مثل هذه القصص قد تحتاج لسنوات ليسدل الستار عليها .. قد يقبض على عنصر تابع لهذه الخلية بعد سنين .. عنصر قد تمكن من الهرب سابقا ، أو لم يظهر اسمه في التحقيقات الأولية .. عالم الجاسوسية عالم غامض

وهمس عبد المجيد بأذن صديقه مهران بسبب اعتقال الأستاذ منصور قمة ، فضحك مهران وقال : شرقنا وغربنا وحللنا .. والرجل طلع نصاب .. محتال ناصب على تاجر

– نعم ، لقد نصب على تاجر كبير ،قال أبو حفص عمر

– هو ولدك سمى ابنه حفصا

قال عبد المجيد : نعم ، كنيته به صغيرا ، فظل عالقا في قلبه .. تحدثنا ليلة أمس عن منصور .. فضحك ، وقال : منصور قضيته قضية شرطة وجناية

– أبو تامر سيصعق ، فهو قريب لبيت الأستاذ منصور ، وقد استيقظوا على صوت سيارة الشرطة ليلة القبض على الرجل .

[][][]

أفرج عن منصور ، وشاع خبر عودته في الحي ، أصابت الخيبة بعض من روج أنه العميل الذي جاء لمقابلته جاسوس المطعم ، وقد اعتقد هؤلاء أنه قد حل لغز ذلك الجاسوس ، وأما وقد خرج منصور فعاد اللغز للتعقيد من جديد ، بل وجد رجال في المقهى يصرون على عمالة منصور للموساد والمخابرات اليهودية العالمية ، وأنهم تركوه ليمسكوا بباقي الشبكة الخبيثة الخفية .. طعم كما يقال .. لذلك لما ذهب عبد المجيد لشراء الصحف من عند أبي علي قال مخبرا : اليوم زارني السيد منصور .. لقد أفرج عنه.. وعاد لوظيفته .. ولشراء الصحف أصررت على أنه عميل الموساد الصهيوني .. فلما لم تكتب عنه الصحف أدركت أن الرجل فعلا يتخابر مع العدو وأن جاسوس مطعم جودة كان قادما للقاء به ؛ لأنه قد صدع رؤوسنا بالقومية والثورية والبعثية والاشتراكية

– هو ليس ثوريا ولا قوميا .. طلع يا صاحبي نصابا .. لقد نصب على أحد تجار المدينة بمبلغ كبير ، وندم الرجل لما أثبتت عليه عملية النصب بشكوى عند المدعي العام .. وحدثني ابن عم له يجلس على المقهى أنه تعهد بالسداد بعد أن دفع

جزءا كبيرا من المبلغ المستولى عليه .. ولم تكن أول قضية نصب له

– أكيد أكيد .. نحن ظنّنا أن لغز الجاسوس انتهى ، وأغلق الملف ، لماذا عقد الناس القضية ؟!

– اعتقد الناس أن الجاسوس جاء لمقابلة إنسان شريكا لهم ، وليس لأكل صحن حمص عند جودة .. مطاعم وسط المدينة لا أعتقد أنها بلا حمص إذا جاز التعبير .. وصاحبنا منصور رجل مهتم بالسياسة والأحزاب ـ كما تعلم ـ فظنّ الناس أن القضيتين مترابطتان

قال أبو علي محتارا ولائما : لماذا الأمن استعجل القبض على الرجل؟ لماذا لم يصبروا حتى يأتي الرجل الآخر؟!

– المقبوض عليه هو من سكان إحدى المدن العسكرية ، وليس من سكان العاصمة ، وكان مطاردا ومتابعا ، لم تفصح الصحف عن سبب ظهوره هنا .. فسألت ابني عمر الذي يعمل في الأمن ـ كما تعلم ـ فأجابهم الرجل أنه جاء يبحث عن بيت للإيجار ، ونفى أن يكون قد جاء للحي لمقابلة شخص معين ، قد يكون ذلك صحيحا ، وقد يكون غير صحيح ؛ ولكن عندما يقبض عليه كجاسوس فقط يكون هذا غير صحيح ، فقد قبض عليه ضمن خلية تجسسية تقوم بأعمال الجاسوسية .. فالراجح أنه جاء للقاء شخص .. وشخص مهم حتى يغامر بدخول الحي وهو مطارد .. هل وصل الرسالة ؟ .. لم يقابل أحدا حسب معلومات المراقبة

فعقب طلال قائلا : وهل لا يوجد في المدينة العسكرية دورا للإيجار أيضاً ؟

– توجد ؛ ولكنهم لما رأوا أن أمرهم كشف أو على وشك القبض عليهم سعوا للهرب والاختفاء ..وهذا حي مناسب

– هل هو عربي مثلنا ؟

استفسر عبد المجيد : رجل المطعم ؟

– آ

– الصحف لم تكشف هذا بالتفصيل إذا تذكر ذلك يا أبا علي .. هم صرحوا بأنه تم القبض على عميل جاسوس في حي أبو خروف المشهور ، لم تكتب الصحف هل هو عربي أم إسرائيلي ؟.. ولا تنس أن عربا يعيشون في إسرائيل سواء عرب فلسطين القديمة أم فلسطين الضفة وغزة اللواتي احتلتا منذ سنوات .. وحتى هناك من اليهود من أصول عربية .. وإسرائيل تستطيع تجنيد عملاء في كل دول العالم ؛ ولكن رئيس الشبكة ومدير الخلية هل هو ضابط موساد أو عميل محلي ؟ لا أدري .. هذه أمور معقدة .. قد يقبض كما نقرأ على عميل وجاسوس ونظنه رئيس الشبكة ، ثم يظهر أنه مجرد عميل صغير أو حتى مخبر بسيط ؛ لأنه يقال إن من

الصعب الوصول لكبار العملاء والمحترفين ، حتى لو قبض عليهم لا يعرف مقامهم في جهازهم

- أمعقول هذا؟!

- معقول .. الجاسوسية علم واحتراف وشجاعة وتدريب ومدارس .. ضابط المخابرات غير ضابط التجسس .. والجاسوس حتى بعد إنهاء الخدمة والتقاعد يبقى مجهولا لمن يعيش معهم في عمارة في نادي خشية عليه من الخطف والاغتيال .. وقد يعطى جنسية أخرى ليعمل في بلد آخر أو يمنح اسما جديدا ووثائق جديدة .. أما ضابط الأمن فهو يقابل الناس يحقق مع الناس فقد يكون معروفا في الحي في الدائرة .. والجواسيس الكبار يختارون بعناية ، ويوصفون بالذكاء والفطنة

- من أين لك هذه المعلومات؟ من عمر

- من الكتب والصحف والمذكرات .. لا يجوز لعمر أن يفصح بمثل هذه المعلومات .. فهناك ضباط معروفون في الدائرة الأمنية للتحقيق والمقابلات .. فهؤلاء كموظفين يا أبا علي لخدمة الناس وسماع شكاوي الناس والبلاغات الخطيرة .. وهناك ضباط سريون للمهام الخطيرة والعمليات .. أما العميل فقليل ما يلتقي بالناس .. فعلاقته ضيقة ومحدودة وإلا تعرض للخطر في الحي في مكان العمل في السفارة في العمارة ..أحدهم لما عرفت زوجته أنه عميل قدم استقالته وعمل كضابط عادي إلا إذا كانت الزوجة هي عميلة مثله .. فهناك شرطي بزيه الرسمي .. وهناك شرطي بزيه المدني .. قرأت أن العميل السوفيتي يدرب تدريبا شاقا قبل أن يزرع في أوروبا وأمريكا .. عالم الجاسوسية عالم مرعب وعالم أعصاب مثل الحديد

- أترى أن عميل أبو خروف عميل كبير ؟

- هذا إذا كان لدينا عميل وحاول الرجل الاجتماع به .. فالكتب فيها الكثير من المعلومات ؛ ولكنك تجدها غير كاملة

جريمة غامضة

كلما خفت صوت قصة جاسوس المطعم والحي ، وقبض على شخص أو اختفى عادت القصة للبروز ، ولماذا أتى الجاسوس الصهيوني لـأبو خروف ؟.. فبعد قصة منصور حدثت جريمة قتل لفها الغموض أول الأمر .. والحوادث سريعة الانتشار خاصة الجرائم ، وهي تقل وتكثر في كل المجتمعات.. مشاجرة على شيء تافه تؤدي إلى معركة وقتل .. ولا أحد يفكر أهذه حقيقة أم شائعة؟.. والجرائد تنشر خبر المشاجرة والإصابات وتبين دور الشرطة في استتباب الأمن فما كادت حادثة منصور التي ربطت بحكاية الجاسوس تتلاشى عن المقهى والقيل

والقال حتى قتل شاب أعزب ، سكن الحي منذ سنة ، استأجر غرفة صغيرة ، فبعض العمارات تقام على ظهرها غرفة للغسيل أو مخزن فيستأجرها بعض الناس ، وهناك بعض الأقبية تكون تحت العمارات ، وتؤجر في بعض الأحيان .. وكان الشاب يخرج صباحا ويعود ليلا أو قرب منتصف الليل في بعض الأحيان ، وفجأة أخبر بعض الجيران عن رائحة قاتلة في العمارة التي يقطنها الشاب الأعزب الغامض ، فجاء صاحب العمارة والشرطة ، وفتح القبو بخلع الباب ، ووجدت الجثة منفوخة ورائحة عفنة ، وجاء البحث الجنائي والطب الشرعي ، وشاع الخبر في الحي ، ووصل لمقر الإشاعات المقهى ، وشاع معه أن اليهود قتلت العميل ، وأن هذا الشاب الغامض هو الذي كان يسعى إليه جاسوس المطعم ، وها هم تخلصوا منه قبل أن تقبض عليه أجهزة الأمن ، وبدأت الأخبار تتحدث عن العلاقة بينهم ، وأن أحدهم رآه ذات ليلة مع رجل غريب قد يكون جاسوس مطعم جودة ، ووضعت علاقة قوية بينهم .. انشغل أهالي أبو خروف بهذه الجريمة الغامضة .. فكنت تسمع بعضهم يقول : قتلوه قبل أن يقبض عليه ويعترف بعمالته لليهود ، وأنه هو الجاسوس الغامض ، وأشاع بعضهم أن الرجل فجر بأنثى ، فجاء بعض أهلها فقتلوه ، وبعضهم زعم أنه يعمل في عصابة سطو فخانهم فقتلوه ، وقال آخرون : إنه قتل رجلا في قريته وهرب للعاصمة ، فهو مبتلى بدم ، فظل أهل القتيل يطاردونه حتى عرفوا مكانه وقتلوه أقاويل كثيرة قيلت في أبو خروف عن هذه الجثة ، والذي غلب على أذهانهم أن قتله له صلة بجاسوس المطعم

أذاعت الجرائد خبر القتل ، ولم تتحدث عن أسباب القتل ودوافعه ، ذكرت بعضها أن الرجل قتل طعنا بسكين بيت ، وأن شجارا حدث في منزله مع بعض الأشخاص كانوا معه في البيت ، ولم يشهد أحد برؤية هؤلاء الزوار ، والتحقيق مستمر لكشف ملابسات الجريمة وانقطع حديث الجرائد عن الجريمة قبل مرور أسبوع على الحادثة .

لذلك كان أصحاب عبد المجيد في المقهى العتيد في أبو خروف مهتمين بالقضية الجديدة ، فبعضهم يشرب الشاي ، وبعضهم يلعب النرد الطاولة ، وبعضهم يتفرج ويثرثر حول هذه القصة مضيفا معلقا شارحا ، وهو يحب الكلام ، ولا يحب لعب الشدة أو الطاولة أو الديمنو ، فهو يسمع ويعلق ويشرب الشاي معهم ساعة من الزمن ، ثم يغادر إما للسوق الكائن خلف المسجد أو يتجه للبيت ، ويشتري ما يحتاجه من الدكاكين التي يجدها في دربه ، فيكون عرف منهم بعض أخبار الحي

والأصدقاء ، فسمع أبو سالم أحد الجيران يسأله :
آ يا حاج عبد المجيد ماذا عندك نحو جريمة عمارة مدحت رشاد ؟
ابتسم أبو عبد الله وقال : قرأت كل الجرائد ، ولم تفصح عن الكثير من المعلومات ، أو أن ليس لديهم معلومات .. أكدوا غموض القتل ، ولا أصدقاء للرجل في الحي.. فالرجل غامض لا علاقات له مع الجيران وسكان العمارة .. يذهب إلى الدكتور مدحت في عيادته التي وسط المدينة ويدفع له الأجرة في مطلع كل شهر ، ولا يراه إلا في الشهر التالي .. والرجل كما تقول الصحف يعمل في مصنع حقائب مدارس وسفر .. وأعزب رغم أن عمره فوق الثلاثين ، لا أقارب له في الحي
-كيف استأجر هذا القبو أو المخزن؟
- سألت الدكتور مدحت فقال : جاءني على العيادة . وقال : سمعت أن عندك قبوا تحت العمارة يصلح لسكن عازب مثلي لحين يسير من الزمن .. وبعد تردد أشفقت عليه ، وأجرته المخزن بثلاثة دنانير كل شهر ، وليس لديه أثاث كثير ، فرشة وغطاء وبابور كاز ، وبعض أدوات الطهو والشاي وحقيبة ملابس كبيرة ، ثم تبين لي أنه عامل مصنع حقائب ، والمخزن مهجورة .. تصورته رجلا قرويا بسيطا.. رجل على سفر .. رجل رحال .. عندما تراه تعطف عليه ؛ لكن الشرطة ترى أنه قتل قتلا .. هل له أعداء في المصنع أم لا؟ هل له علاقة بجاسوس المطعم ؟ لست أدري .. والصحف لم تشر لذلك يا أبا سالم
لما لزم الشيخ الصمت بعد ذكره ما كتبته الجرائد عن جريمة أبو خروف الأخيرة في قبو الدكتور مدحت رشاد ، قال أبو سالم : اشرب شايك ، سوف تصل الشرطة للجاني اللعين ..أما متى فالله اعلم ؟ ..بعد صمت قصير قال : هل علمت أن صاحبنا أبو فولة طلق امرأته التي نكحها منذ أشهر
ظهرت الدهشة على وجهه عبد المجيد وصاح استغرابا : طلقها! لحق أن يتزوج ! شيء مدهش لماذا فعل ذلك؟! لي يومان أو ثلاثة لا أراه جالسا أمام المسجد .. قيل لي إنه مريض
- سمعنا من الشحاذين أنه مريض .. وسمعنا منهم أنه طلق المرأة التي تزوجها .. وسمعنا أنه سيهجر الحي
- أمعقول بعد كل هذه السنين والعقود سيتخلى عن أبو خروف ؟
- هذا ما نقل إلينا عنه قبل أن يمرض .. احتجت لبعض الفكة فصرفت منه .. وسألته عن امرأته .. فقال لي أنه طلق المرأة ، وأن النفقة عليها حرام
- إنها تنفق على نفسها
- إنها لا تعطيه من تجوالها

قال عبد المجيد: هذا هو السبب الحقيقي إنها تجمع لنفسها

– المهم أنه طلقها ، وأخبرني بأنه سيترك الغرفة ، ويعود للساحة القديمة حيث العشة أو يرحل عن أبو خروف ، ويزعم أن العمل ضعف في أبو خروف مع أن الناس تزيد ، ونصف الجبل الغربي أصبح عمارات .. وامتد للحي الآخر ، وزاد عدد المنافسين له

ضحك أبو عبد الله وقال: المنافسون له زاد عددهم يا الهي !

– أما خبر المرض فسمعته من صبي المقهى ، فهو يسكن قريبا من بيته في حافة المخيم

– إذن سيفقد أبو خروف أحد معالمه .. منذ أكثر من عقد من منتصف الخمسينات أو آخرها ظهر الرجل في حينا

فقال أبو سالم : كيف سيعيش خارج حي أبو خروف ؟ وقد تعود عليه ، وعرفه سكان الحي .. فهو لا يعمل خارج الحي إلا عند صلاة الجمعة يوم الجمعة ، يتحول لوسط المدينة ؛ ولكنه في النهاية شحاذ

– ربما يشيع هذا الكلام حتى تبعد عنه زوجته ، وتظن أنه ابتعد عن الحي .. وأكيد خلال الزمن الذي مضى نال منها بعض المال ، وسيتهرب من دفعه ، أو تركت عنده بعض المال فطمع به ، فهو شحاذ طماع كما تعلم .. إنك تعلم أنه لما خرجت من المشفى قبل شهور جاء لزيارتي في البيت .. هذه أول مرة في حياتي أرى شحاذا يزور مريضا زيارة خاصة.. فعلها وأتاني

– أنا لا أعرف لمن يجمعون المال ؟ الناس تجمعه للزواج لبناء بيت لتعليم الأولاد يجمعونه للورثة فهو لا زوجة ينفق عليها ، ولا أولاد ، ولا لبناء دار ، ولا لورثة ، ولا يعلم في جامعات

– هذا ما يحير .. في عقلية الشحاذين حب المال فقط .. حتى منفعة الدنيا لا يهتمون بها الأكل اللذيذ الصلات الرحلات الملابس الجميلة .. لكن صاحبنا سمعت أنه كثير ما يحضر الأفلام .. مغرم بالسينما .. الحاج مهران يقول: إنه يغتسل في السنة مرة ، بل يظل لابسا للشلحة حتى تصبح سوداء عفنة ، ثم يرميها ويلبس غيرها من عشرات الشلحات التي يجدها ويتسولها

– فعلا له رائحة قاتلة ؛ولكننا تعودنا عليها .. ونحن نقف معه ثوان معدودة

– الحمد لله الذي عافانا مما ابتلاه به .. عملنا بشرف في القوات المسلحة ،

وتقاعدنا وربينا الشباب أحسن تربية .. كله بفضل الله ، وتعلموا في الجامعات ، وعلى حسابي إلا عمر ؛ لأنه التحق في أكاديمية الأمن .. فدرس على نفقة الشرطة

قال أبو سالم : على ذكر عمر ألم تسأله عن جريمة قبو الدكتور مدحت ؟

– جرى بيننا حديث كالمعتاد ، للأسف لا معلومات لديه أكثر مما نشر وأذيع في الصحافة ، ورجح أن تكون القضية ثأر بسبب اعتداء على عرض ؛ لاستخدام الجاني أو الجناة السكين في أكثر من موضع .. ربما أن الشاب قد اغتصب مراهقة وهتك عرض .. وعلم أهلها هوية المعتدي فتربصوا له . قال : اغتصاب !

– هذا ما قاله زميل له في الشرطة وفي دائرة التحقيقات الجنائية .. لقد كان الشاب قبل حياته هنا يسكن في منطقة جرت فيها عملية اغتصاب ، ولم يقبض على الجاني .. اغتصبت فتاة ذات عشر سنوات .. وقد ذكرت للمحققين أوصافا شبيهة بهذا الرجل ، بأوصاف رجل مخزن مدحت

– وكيف اغتصبت هذه الأنثى؟

– ما أنا مثلك فضولي .. قال صاحب عمر لعمر : كانت الفتاة تمر في طريقها لبيتها بمنطقة أحراش وهناك كمن لها

– اعتدى عليها الوحش ، لم تكن بإرادتها

– الفتاة صغيرة ، وتزعم البنت أنها رأته أكثر من مرة في تلك الأحراش، لأنها كانت تختصر الطريق إلى بيت شقيقتها المتزوجة .. فكان يتظاهر بأنه يصيد العصافير ، فبعد حين اطمأنت لمرآه في الغابة .. وفي الغابة ممر للمشاة كما أخبر الضابط عمر .. الغابة آمنة إلى حد ما .. فتأخرت ذات مساء عند أختها ، وغامرت ودخلت الغابة .. فكان الذئب ينتظر تلك الفرصة فكممها وأوثقها واعتدى على شرفها .. وبعد الحادث لم يعد يظهر الرجل في المنطقة .. لقد رآه غيرها من النساء والرجال

– الشرطة تظن أنه هو المقتول

– نعم ، الشرطة تحتفظ بالقضايا حتى يقبض على لص أو قاتل فيعترف بكل أفعاله

اختفاء عصمت فولي

مضى شهر نيسان كاملا ، ولم يظهر أبو فولة في الحي ، فوقع في قلب عبد المجيد ورفاقه أن الرجل غير مسكنه ، فرغم الفارق الاجتماعي بين المتقاعد وبين المتسول ترك غيابه شيئا في نفوسهم لقد اعتادوا على رؤيته أمام رصيف المسجد من سنوات ، وسرت إذاعة بينهم أنه قد مات في حي برغوث ، وبعضهم يقول برغوت بالتاء ، وهو حي كبير من أحياء المدينة العربية بيت السلام ، ولم يؤكد أحد أنه شارك في جنازته أو شاهد من شارك فيها .. إنما سمعت ، سمعت ، بل زعم بعضهم أنه هلك مدعوسا من سيارة كبيرة حافلة باص ، أكد صاحب الغرفة التي أجرت له قبل طلاقه أنه فارق الحجرة لعشة الصفيح ، وذكر أهل منطقة العشاش أنه عاد للحياة معهم بضعة أيام ، وترك

عفشه عند أحدهم واختفى ، وله أكثر من شهرين لم يعد إليهم ، وقد خلى مقعده ومجلسه أمام المسجد ، ومع أنه شحاذ فقد شغل غيابه رواد المسجد ورواد المقهى .

وبينما الشيخ عبد المجيد يدخل بعد عصر أحد الأيام المكتبة عند أبي علي ليأخذ بعض مجلاته قال له الرجل : هذا اليوم جاءت زوجة الشحاذ أبي فولة

دهش الشيخ للوهلة الأولى وقال: المرأة التي تزوجها ، ثم طلقها قبل أن تكمل ثلاثة أشهر

– نعم

– وماذا تريد منك؟!

– أولا تتسول ، وثانيا تسأل عن أبي فولة عصمت ، ولما سألت عن سبب مجيئها ، قالت : بعد طلاقنا استلف مني عشرة دنانير ، وطلب أن أمر عليه بعد شهرين لأخذها ، وسألت عنه هنا وهناك ، فلقد اختفى من الحي ، وقالوا : اختفى بعد الطلاق بأسبوع أو عشرة أيام .. جاءت تسألني عنه إذا أعلم عنه شيئا .. صرت أسأل عن أبي فولة يا شيخ عبد المجيد

أخذ السيد بالضحك للحظات ثم قال : ألست مصدر ثقافته وصحفه ؟ هي لا تعلم أين اختفى؟ هل هرب حتى لا يدفع الدنانير؟ ولماذا استلفها قلة فلوس معه ؟! إنه ينام على كنز أموال من الشحادة

– هذا ما سمعته منها ، فهي بعد الطلاق لم تره .. وهي سوف تستمر في البحث عنه في جميع شوارع المدينة .. لن يهرب بالدنانير العشر التي استلفها أيام إجراء الطلاق

– ستجده .. لن يهدأ لها بال حتى تسترد دنانيرها .. اللعين أين اختفى؟ اختفى من أجل عشرة دنانير

قال طلال ضاحكا: يا رجل هذا الشحاذ شغل الناس كما شغلنا جاسوس مطعم جودة .. تقول كأنه ملك الحي

– ليست القصة هكذا .. رجل قضى عقدين في الحي .. فأصبح معروفا للجميع .. وأصبح مكانه أمام الجامع فارغا .. فلما فرغ أخذ الناس يتساءلون عنه لا شعوريا .. وإلا الناس لا تحتمل الوقوف معه خمس دقائق .. وأذكر أنه كان يغيب بعض السنوات أشهرا .. ليست المرة الأولى التي يختفي فيها هذه المدة .. خاصة في فصل الشتاء

– صحيح ؛ ولكن هل غاب مثل هذه المدة مرة واحدة ؟ أنا معرفتي الشخصية فيه من ثلاث أربع سنوات .. ولما يختف يذكر بعض الناس أنهم يرونه أمام الجامع الكبير في قلب المدينة ، ثم يطل بعد غيابه فجأة ، ويقول : لعلك أبقيت لي جرائد هذين الأسبوعين .. فأقول سبقك غيرك .. واعلم

يا أبا عبد الله أن المطلقة ستعيش هنا ، ربما ترث مكانه أمام الجامع

- سلطانة !!

- نعم ، هي جاءت تبحث عنه ، وقالت : سأبحث عنه ، واستقر هنا ..لابد أن يعود .. سيصاب هذا الرجل بالحنين .. وستسكن في عشته في تلك الساحة .. فقد تفاهمت مع حارس تلك الساحة ، وقبل الحارس العرض

- يعني أنها متأكدة أن الرجل سيعود إلى هنا ، وأنه ليس ميتا كما أشيع

- أنكرت موته بشدة ، وقالت : لو مات لسمعت من الشحاذين المتجولين في أنحاء المدينة .. فهم يتبادلون الأخبار عن بعضهم البعض

- إذن سلطانة ستعيش في عشة عصمت .. فهل ستجد لها مقرا أمام المسجد ؟ لقد كان الرصيف مقر حكم عصمت

- أبواب المساجد أفضل أماكن التسول حيث يخرج الناس من الصلاة .. فيذكرهم الشحاذ بركن الصدقة دون خطبة ، ثم الأسواق .. والمدهش يا أبا عبد الله أنها طلبت السماح لها بقراءة الجرائد الراجعة

- أوه ! هي تقرأ أيضاً

- نعم ، طلبت منها قراءة خطبة قصيرة ففعلت ..وقراءتها جيدة

- الدولة تسمح لهم بالجلوس على مقاعد الدرس وهم أطفال

قال طلال : نعم ، وصدف عن علمت بعض أفراد هذه الطائفة .. ولكنهم يتركون المدرسة عند العاشرة للذهاب والجلوس أمام بوابات المساجد ، ثم عند إنهاء المرحلة الأساسية الأولى يتركون المدارس ويحترفون الشحادة .. الناس تتعلم لتتوظف وتحصل المال .. فهم يحصلونه صغارا .. فلماذا تستمر الدراسة وتضييع الوقت في المدارس ؟! فلسفة خاصة بهم سمعت أن متسولا تخرج من الجامعة ، ووجد دخل الشحادة أفضل وأكثر من دخل العمل على شهادة الجامعة

صاح عبد المجيد : هذا شاب قرأت قصته في إحدى الصحف التي أجرت معه مقابلة منذ سنوات .. أذكر أنها قالت : إنه طالب فقير درس الجامعة على نفقة أحد المحسنين ، ولم يوفق في العمل ؛ لأنه لم يكن أمينا يسرق وينشل .. فترك الشهادة واشتغل في الشحذة ، ووجدها مفيدة أكثر من الوظيفة التي راتبها ثلاثون دينار إلى أربعين .. فزعم للصحفي أنه يحصل خمسين دينارا في بعض الأيام

- أيصدق هذا يا حاج عبد المجيد ؟!

- ناقشه المحاور في هذه النقطة ، فأقسم أنه في بعض الأيام يحصل مثل هذا المبلغ .. وسأله لماذا لا

تستثمر هذه الثروة ؟ وتترك التسول .. فقال للصحفي : ولماذا أستثمر مالا ؟ وأنا أستثمر بدني في شوارع العاصمة في الحر والبرد بالوقوف ساعات أمام المساجد الكبيرة متسولا

– الله تعالى أعلم كم يحصلون ؟ ولكنهم يكنزون .. وأصبح همهم الأكبر تجميع المال والمزيد من المال والتخزين .. عالم التسول عالم غامض وغريب في نظري ومثير للشبهة .. وها نحن سنرى مطلقة عصمت ربما جلست مكانه ، بل رأيت متسولين جددا أمام المسجد

قال السيد : عابرون ، لا يمكثون طويلا ..مرات تخرج من الصلاة تجد جيشا منهم

قال طلال: أسواء حياة حياة المتسول !..حياة قذرة لا نظافة لا سعادة لا صلاة

++++++

في نهاية حزيران رجع عمر عبد المجيد من دورة تدريبية في الغرب الأوروبي ، فقام بزيارة والديه مباشرة من المطار ، وهذا أصبح عرفا عنده ، عندما يعود من سفر يذهب بداية للسلام على والديه ؛ وذلك قبل الذهاب لبيته ، وبعد دخوله بيت الوالد بقليل حضرت زوجته الطبيبة في مركز علاج ، وكان ولده حفص هو الذي استقبله في المطار ـ فعمر تزوج قبل عبد الله ، وتزوج فور إنهائه الكلية الشرطية ـ ووصل الطعام من المطعم ، وتناول الجميع الطعام ، وتحدث عمر بإيجاز عن الدورة والبلد التي تمت الدورة بها ، فكانت دورة لمدة ثمانية أسابيع في ألمانيا الغربية ، وجاءت شقيقته لبنى وزوجها وأولادها للسلام عليهم قبل الانصراف ، فهم جيران الوالد

ولما بدأت أسرة عمر الاستعداد للانصراف والعودة للبيت ، فقال عمر لأبيه ومفاجئا له بالسؤال: ما أخبار الشحاذ أبي فولة ؟

استغرب الأب لهذا السؤال في ظرف كهذا ، ظرف العودة من سفر وغياب شهرين ؛ ليسأل عن شحاذ أبو خروف ، فأجاب بدهشة واضحة :سؤال غريب ! أبو فولة قبل ذهابك لدورتك في أوروبا طلق امرأته التي حلت مكانه في الحي وأمام المسجد ، وأما الرجل فقد اختفى من خمسة شهور

ابتسم الرجل لأبيه ، وقال : أتحب أن تعرف أين اختفى أبو فولة ؟

– عجيب أمرك يا عمر ! ..أراك صرت مهتما مثلنا بأبي فولة على غير العادة ؟!

– بعد سفري بأيام اتصل بي زميل لي في الأمن السري .. وقال يا عمر : لقد قبض جهاز الأمن على شحاذ أبو خروف المعروف لدى أهل الحي بأبي فولة .. فقلت له ما الأمر؟ قال : ربما ننشر قريبا في الصحف إلقاء القبض على جاسوس كبير في البلد .. فقد أقر جاسوس المطعم أنه كان ذاهبا

للقاء عصمت فولي .. وتزوج تلك الأيام تغطيه على نفسه عن أجهزة الأمن التي كانت تتابع القضية

كان عبد المجيد يسمع الكلام ، وهو مصعوق للخبر ، فقال مصعوقا: أبو فولة جاسوس كبير لإسرائيل !!

– نعم ، وأنا أخبرك ذلك ؛ لأن الخبر سينشر في الصحف لينتبه الجماهير لمثل ذلك ، وأن الجاسوس قد يكون زبالا ، وقد يكون بائع ترمس ، وقد يكون تاجرا .. فهؤلاء الشحاذون يسهل الاندساس بينهم للرصد والتجسس .

– لا أكاد أصدق يا عمر

– أنا مثلك دهشت ؛ ولكن الزميل أكد لي ذلك ؛ ولأنني كنت من أهالي أبو خروف ، وأعرف الشحاذ ، وستكتب الصحف عنه .. لم يكن مجيء جاسوس المطعم للحي صدفة ، فرجل كهذا لا يتحرك إلا بعلم ودراية ، لو كان يريد بيتا ـ كما زعم ـ فهناك أحياء كثيرة قبل الوصول لهنا فيها بيوت للإيجار .. لقد أتى لمقابلة شخص عجز عن التواصل معه بغير اللقاء .. الرجل نزل من السيارة عند المطعم ليقطع الشارع اتجاه الجامع ، ولم يفعل ذلك مباشرة ؛ لأنه أراد أن يتأكد أنه غير متبوع ، فدخل البقالة ، ثم دخل المطعم ، فلما رأى أنه لن يتمكن من الحديث مع أبي فولة ، أكل لقيمات وأراد الخروج ، اضطر رجالنا للقبض عليه ، وإنهاء مهمته حتى لا يصل للشخص الذي يريده ويخبره بما جرى للخلية ؛ وكأنه جرى تواصل بينهم ، ربما بمجرد سماع أبي فولة بالقبض عليه في أبو خروف وصلت له الرسالة ، فبدأ يسعى للزواج ليوهم الشرطة السرية أنه مجرد متسول .. هذا ما أسرّه زميلنا .. وسيعلن نبأ اعتقاله على الملأ ـ كما قال ـ ولهذا كشفت لك الأمر ؛ لأني أعلم معرفتك الكبيرة له ؛ ولاهتمام أهالي الحي بجاسوس المطعم .

وبعد أيام يسيرة من هذا الحديث بين الأب وابنه نشرت الصحف جليا نبأ اعتقال عصمت فولي

وانتهاء التحقيق معه ، وأنه هو زعيم الشبكة التي قبض على عدد كبير من أفرادها خلال الشهور الماضية ، وأن إسرائيل دسته لرصد حركات قادة التنظيمات الفلسطينية في المنطقة والمخيمات ، وخاصة مخيم عودة الأمل القريب من أبو خروف ، وشكل عددا من الخلايا النشطة والعاملة ، والبحث جار عن هذه الخلايا ، والمخابرات تهيب بالمواطنين الاتصال بها في حالة الاشتباه في أحد المواطنين والأجانب .

فكان مهران يقول لعبد المجيد: يا الهي !! ..هذا الشحاذ يدير مجموعة خلايا من العملاء والمخبرين منذ عشرين سنة ولم يعرف .

– الصحف تذكر أن الأجهزة تعرف عن نشاطه ؛ ولكنهم لم يستطيعوا تحديد شخصيته ، لما يقبض على خلية تجسس لا يعترفون عن الرأس ؛ لأنهم في الغالب لا يعرفونه .. لكن الغلطة أن أحدا من مساعديه ـ وهو جاسوس المطعم ـ اضطر للمجيء إليه .. فكانت غلطة قاتلة .. ومع إصرار الأجهزة على المتابعة وصلوا إليه .. وكان جاسوس المطعم هو الحلقة الرابطة بين الخلايا وأبي فولة ، بل كان فولي اللعين ينتحل شخصيتين شخصية شحاذ هنا ، وشخصية مدير شركة سعيد برهوم .. وكانت زوجته الحقيقية تشرف على أعمال الشركة

– مدير شركة هذا الشحاذ القذر

– قذر أمامنا .. يستخدم مواد تظهره لنا بالمعفن القذر .. شيطان ؛ ولكن كله ذكاء .. ويخدم بلده بإخلاص .. فعمله بالشركة يسهل سفره للخارج ومقابلة أسياده

قال مهران : لا أكاد أتخيل أبا فولة بهذا الدهاء والمكر

– الجاسوس ـ يا أبا عبد الكريم ـ يدرب تدريبا علميا وعمليا .. ويجند العميل أثناء ذهابه للغرب لطلب العلم ، واذا فشل في الجامعة ، وغرق باللهو فيصبح صيده سهلا .. فلما يجد المال واللهو والمغامرة يقع .

– فهنا شحاذ قذر ، وهناك مدير شركة .. وفيلا ولهو .. عندنا يزعم أنه من عشاق الأفلام والسينما كي يبقى في الشركة والفيلا

– الشحاذ أبو فولة يهودي عربي مجند للمخابرات اليهودية

– قد يكون هناك مفاجآت أخرى

نشرت الصحف بعد حين خبر اختفاء أبي فولة من مكان توقيفه .. فاحتار الناس في فهم هذا الخبر .. فقيل ربما مات أو قتل نفسه .. ونشر هذا الخبر لإخفاء الأمر الحقيقي

تمت قصة شحاذ أبو خروف

رهاب الطلاق

الدكتور والطلاق

قال عزيز : ها قد التقينا مرة ثانية أيها الفضلاء ! وقلنا عند انصرافنا تلك الليلة عندما نجتمع سنسمع ونفسح المجال لباقي قصص الأخوة الكرام وحكايات طلاقهم أو طلاق أهاليهم .. تحدث دكتور جمعة العامد .

قال : شكرا عزيز والشكر لكل الأخوة الجالسين معنا .. كما تحدث الصديق الخطاط حمزة ، نحن هنا نحمل صفة خطاط .. خطاطون وتجمعنا هذه الهواية الممتعة ، ننسى هنا مهننا وأعمالنا وأشغالنا وبيوتنا ، وتجمعنا هذه الهواية الممتعة الجميلة ، وأكيد لكل واحد منا قصة لطيفة في غرامه بالخطوط العربية والزخرفة ، وكيف تعلق بها

وهويها ، وأنا حدثت طارق سليم بقصتي منذ تعرفنا هنا على بعضنا ؛ ولكن بعض الإخوة لم يسمعوها ، ذكر طارق أن شقيقه طلالا الطبيب تعرف على زميلة أثناء الدراسة ، وتكبره بعامين وانسجاما ، وما زال زواجهما ناجحا على غير ظن صديقنا طارق أن السن قد يكون من أسباب فشل العلاقة الزوجية ، تعمقت معرفتي بالزميلة الطبيبة لمياء السيد ، وأصبح حلمنا الاقتران ، ونسينا فارق السن بيننا ، فنحن في نفس العمر ، وحلمنا بتكوين أسرة بيننا ، أمرأ ينتظر إنهاء الدارسة والبكالوريوس ، وعشنا سنوات الكلية الطبية على هذا الأمل ، والإنسان يحيا بالآمال والأحلام ، وتمنى لنا زملاء الكلية التوفيق والنجاح ، وابتعد عنا العابثون والعابثات، فقلّ التحرش بها ، وقلّ تقرب الزميلات مني ، والأيام لا تتوقف ، وفور التخرج ، وقبل التدرب في مشافي الدولة تناقشت وأبي تيسير العامد في أمر الزواج خشية أن تغير الدكتورة لمياء السيد رأيها ، دعوتها لمكتب أبي في شركة هندسة النحاس والكوابل ، وتحدثنا عن الزواج والقران ، وأبدت قبولها بأريحية حتى قبل أن تشاور أسرتها في موضوع مصيري ، وهي رحبت كذلك بالزواج قبل العمل رسميا أنا وهي ، فنحن على قائمة التوظيف والتشغيل الحكومية ، المفاجأة أن أمي اعترضت ، وقال : إن حب الكليات والجامعات نهايته الفشل ، ولا ينهض على أسس قوية ، ولا يحتمل الهزات ، وسخرت من هذا التبرير والرفض ، وجرت نقاشات حادة بيني وبين أمي ؛ ولكنها أصرت على موقفها ورفضها وعدم قبولها زواجي من الزميلة لمياء السيد، ووقف أبي معي ، وتعجب مثلي من رفضها وذكر عيوب الطبيبة وهي لم ترها بعد ، وكان الزواج الشرعي رغم معارضة أمي وأخوالي ، واشترى لي والدي شقة تزوجت بها ، ثم عرفت سبب شدة غضب والدتي عليّ وعلى لمياء ، كانت ترسم على زواجي من ابنة أخيها الآنسة هيفاء ، وكانت متفقة معهم على ذلك دون علمي، وعلم أبي المهندس خالد العامد ، وكان خالي والد هيفاء يظن الأمر كله بيدها ، وأوقف كل مشاريع الزواج من ابنته هيفاء على أمل زواجي منها بعد الكلية ، ولم أكن اعلم بذلك البتة مما أدهشنا هذا الخبر وانتشاره بعد الزواج وصممت أمي على محاربة لمياء والنزاع معها واتهامها بسرقتي منها ؛ نتيجة لموقف أمي المؤلم معنا ندر أن نذهب لبيت الوالد خشية أن نعود بمشاجرة وأوصاف سيئة وقبائح ، وبعد زواجي بسنة لم تخمد نيران والدتي وبناتها معنا ، فلم تتغير البغضاء بمضي الوقت ، وحدث ذات ليلة أن دعاني أبي ولمياء للعشاء معهم ، فقد أقام وليمة لوالده الشيخ وأعمامي وعماتي بمناسبة عودة

والده من العمرة ، فبعد تردد ذهبنا لنشارك في الدعوة والعشاء ، ووصلنا مع دخول الطعام الجاهز من سيارة والي ـ مطاعم والي الشهيرة في المدينة ـ وجلسنا كما كان يجلس الآخرون ، جلست وبجواري ويساري لمياء كالمعتاد ، وكانت أخت لي اسمها ساري على يسارها هي وزوجها ، وزوجها ابن خال لي اسمه ياسر ، جاء معها لأنه زوج شقيقتي ، فما كدنا نجلس ، وقدم خادم البيت الطعام حتى نهضت أختي بنفرزة وهي تقول :شبعت هيا يا ياسر ! لم يبدأ القوم يا إخوان الطعام ، ما زال الخدم يوزعونه على الأواني ، مختصر القص حردت أختي، وهي كبرى ذرية أبي ، وبدا حردها واضحا لجلوسنا بجوارها وتبعها زوجها ، فقال أبي بغضب : لا أحب أن أراكم في البيت، لعنة الله عليك وعلى أمك. وهاجت أمي وتوقف الأكل، وارتفع الزعيق والشتم والسب، وكان يا إخوان من نتيجته غضب جدي من أمي وابن خالي وحرد هو الآخر ، وطلق أبي أمي قبل انصراف جدي وأعمامي وقال لابن خالي : خذ عمتك معك غدا نقف على باب المحكمة لعنكم الله .

قال الدكتور جمعة: وبالفعل أيها الزملاء انفصل أبي عن أمي، وذلك من نتائج زواجي من الدكتورة لمياء السيد دون رضا ومباركة أمي ، لحد ذلك الزمن ظل الزواج بيننا صامدا ، خلال الشهور الماضيات وبسبب الزواج من لمياء ، كان يتردد علينا بين الحين والآخر جارة لمياء وشقيقها في بيت أسرتها ، وكان الأمر مقبولا ، جيران قبل أن أتعرف على زوجتي، وتعرفت عليهم أثناء فترة الخطوبة الرسمية ، ورأيت الأمر عاديا ؛ لكني تفاجأت في سهرة في شقتي بعد كارثة أمي أن صرحت الجارة سميرة بقولها إن شقيقها سامرا كان راغبا بالزواج من زوجتي ، وينتظر تخرجها فسبقته إليها ، تطلعت في عيني لمياء والشقيق سامر فقال سامر: أنا تفاجأت فعلا بزواجك منها يا دكتور جمعة !

قالت زوجتي دون مواربة : كان بيننا ود قبل الجامعة ، وأثناء الجامعة ولم يصل إلى الزواج يا سميرة.

قالت سميرة : كنت أظن أن هذا سيحدث.

قلت محدقا في عيونها وتبرجها للمياء ومعاتبا بلطف : لماذا لم تكشفين ذلك يا لمياء؟!

قالت : اخترتك أنت ، كان كلامك وحبك أقوى مما بيني وبين سامر .

قالت سميرة بضحكة مقتضبة : أنت مليتي من سامر أحببت التغيير .

صاح شقيقها محتجا : لماذا هذا الحديث يا سميرة؟! الزواج نصيب

قالت : كنت تحلم بالزواج منها وما زلت ؛

ولكنك تفاجأت بخطبتها لا تنكر ذلك.

قال جمعة : ما وظيفتك بالدنيا يا سامر ؟

قال : درست إدارة واقتصاد ، ومدير عدة مصانع مع أبي.

قلت بوقاحة وغيرة : أصدقني هل نمت معها ؟

قالت سميرة مجيبة : وهل هناك حب بدون ذلك يا دكتور؟!

التفت لزوجتي وقلت بارتباك: هل... هل ...؟

قالت دون خجل أو مواربة : هذا قبل الزواج .

قلت بسخرية ومرارة في نفس الوقت : قبل الزواج !

قالت : وهل نحاسب على أفعالنا قبل الزواج؟!

قلت : أنت طالق يا لمياء ! مباركة عليك سامر

قال : جننت يا دكتور!

قلت : كلا ، خذوها معكم ، خدعتني بزعم الحب ، ومرات كثيرة قالت إنها عذراء مع أنني شككت أيام زواجي الأولى بعذريتها.

قال سامر لأخته : لماذا كشفت المستور يا سميرة؟!

قالت بحدة : تزوجها ، لا داعي لاستمرار الخيانة يا سامر !

قلت مصعوقا : ما زالت تخونني!

قالت لمياء : هددني بكشف الأمر إليك إن ابتعدت عنه ، ولم أسلمه جسدي.

قلت : يا الهي! وضربته لكمة على وجهه، وأنا أصيح :حقير نذل خائن !

قالت مقرة : ماذا افعل يا جمعة ؟! كنت سكرانة لما غدر بي واغتصبني قبل الزواج ؟

قلت : انصرفوا.. احذر أن أراك .. تأتينا يا فاجر لترتيب الغدر والفُجر يا فجرة!

قال: لن أنسى اللكمة.

قلت : أرجو أن لا تنساها يا خائن! صعقت ذلك الليل وأصابني الإحباط واليأس أيها الأحباب.

قال حمزة : كان موقفها صعبا ! كيف ستوضح لك جريمتها واغتصابها؟

رد جمعة : كيف تقبل الزواج بي وهي عاهرة ؟!

قال: حبك أعماك عن رؤية عيوبها .

قال طارق : تابع حكايتك .

قال جمعة : خرجوا ، فسميرة لم تعد تحتمل ثقتي العمياء بزوجتي الخائنة، أخبرت أبي بطلاقي للمياء دون الإفصاح بالحقيقة ، وطلبت منه مصالحة أمي وردها ، وأعلمها أني تخلصت من عدوتها لمياء زاعما أني لا أقبل بكارثة أمي بعدما فكرت بعمق ، وصدق أبي زعمي ، وتحدثت مع أمي وقلت لها الموقف ، وإني تخلصت من لمياء لتعود للمصالحة مع أبي ، وحدث ذلك بفضل الله وتزوجا من جديد ، سمعت بعد شهور بزواج مطلقتي من سامر للملمة الفضيحة .. لي قريب يعيش في أوروبا ، فلما سمع بفشل زواجي

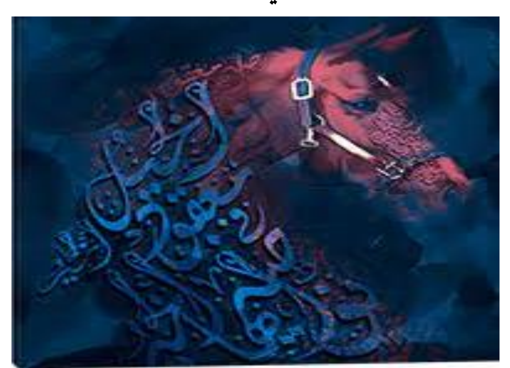
فحدثني عن شقيقة زوجته، فسافرت مهموما مقهورا إلى تلك البلاد ، وعرفني بعد أيام على البنت ، وقضيت شهرين معها ومع قريبي ، أتعرف عليها أحدثها عن نفسي ، وتحدثني عن نفسها حتى استطعت أن اتخذ قرار الزواج منها وحصل فعلا الزواج واحتفلنا به ، وعدت بها لأرض الوطن ، ولم يطل البحث عن عمل ، ولا أنسى أن أذكر لكم أن أبي يساعدني ماديا سواء في الدراسة ، سواء في الزواج الأول والثاني ، ولم أكد استقر حتى ظهرت عداوة أمي لزواجي من أوروبية مع أن هيفاء ابنة أخيها تزوجت قبل طلاقي من لمياء ، حتى سألتها ما العيب أن أتزوج غربية ؟ وهي أخت زوجة السيد مالك قميص.. هل لازم أتزوج عن طريقك ؟ لما رأيت حقد أمي لزوجتي والإساءة إليها في الصغيرة والكبيرة هاجرنا لكندا دون علمها ، وسمح لي أبي بترك البلاد ، وأعلمني أنه على وشك الزواج على أمي .. الحياة مع أمي وأشقائها صعبة ، ويتدخلون في كل شيء .. وفعلا تزوج الوالد من أرملة ، وطلق أمي من جديد ، وحصلت مضايقات ومشاجرات بينه وبين البنات ؛ حيث وقفن مع أمهن دون تردد ، حتى أن ابن خالي طلق أختي ساري التي سببّت طلاق أمها قبل سنوات .. مرضت أمي بعد حين يسير ، وأصابتها جلطة عاصفة هدت كيانها ، وعاشت بضعة أشهر تعاني صحيا ، وتكررت الجلطة وماتت ـ رحمها الله ـ وجاءتني نداءات بالعودة ، قضيت سنتين في الغربة ، وعدت لأبي، ووجدته سعيدا بزوجته الأرملة ، وأسعدني ذلك حقا ، كان أبي محبا وعطوفا عليّ اكثر من أمي ، وعدت لهواية وعضوية نادي الخط العربي والزخرفة الإسلامية التي ما زالت تزين قصور ومساجد العرب في الأندلس ، وأنا سعيد حقيقة بزوجتي الأوروبية وها نحن نسعى للخلفة بعد أن استقر زواجنا وتعمق الحب بيننا ، وقد تعلمت العربية في مؤسسة تعليم اللغة العربية للأجانب ، ونحن اليوم سعداء نأمل بمولود يزيد دفء الحب والحياة بيننا ، هذه قصة طلاقي باختصار أرجو أن يكون واضحا للجميع.. فالحياة عجيبة وقصصها أعجب ؛ ولكنها دنيانا وحياتنا ، علينا أن نحياها بحلوها ومرها ، وشرفت بالتعرف على طارق وعزيز والتاجر عمر وعلى الجميع وعلى حبيبنا حمزة حسام.

قال طارق : عفاك الله ، ومن قلبي أتمنى نجاح زواجك الثاني ودوامه، لقد حلمت يوما كما رويت لكم بالزواج من أجنبية ؛ فأنا حلمت وجمعة حقق ذلك الحلم.

فقال عمر : أليس لها أخت يا جمعة ؟ كما ساعدك قريبك مالك من الزواج من شقيقة أهله ساعد

طارق لنكاح أختها .

ضحك الدكتور وقال : والله فكرة ؛ لكن حسب معلوماتي لا اذكر أني سمعتهم يتحدثون عن أخت ثالثة ..سأسال زوجتي الليلة.



التحقيق الجنائي والجريمة

الزواج الخطأ ٢

عامل التصليح

جلس عامل التصليح حسن في قصر السيد نوفل في غرفة التحقيق لسماع شهادته حيث عمل في ذلك النهار في القصر .. عرف بنفسه وعمره وعمله ومكان إقامته .. وبين أنه يعمل صيانة في القصر للتمديدات الكهربائية بعد احتراق عدد منها .. وبين للضابط أنه يعرف السيد منذ عشرين سنة ..لقد قام بتركيب الأسلاك الكهربائية له في عدة مشاريع ..وغالبا ما يطلبه للتصليح والصيانة .. فبعدما بين للمحقق علاقته الشخصية بالسيد .

قال المحقق : أنت تعمل صيانة كهربائية من عدة أسابيع بسبب احتراق لأسلاك في المطبخ وغرفة "البويلر" التدفئة المركزية .. وكنت النهار السابق على الجريمة تعمل في القصر .

ـ صحيح يا سيدي ..عادة الصيانة نعملها في آخر النهار وأول الليل ، بعد ترك العمل اليومي قبل الحادث بأسبوعين حدثت مشكلة في تمديدات المطبخ ، صلحنا العطل الكهربائي ، وصيانة لمضخة الماء ، ثم تكرر الخطأ والماس الكهربائي في المطبخ والمخزن وغرفة البويلرات المركزية .. فاضطررت لتغيير الشبكة بأسلاك جديدة وأجود من الأولى .

ـ النهار السابق على حدوث الجريمة وقبل الجريمة علمنا أنك كنت في القصر في أول النهار وأول الليل .. هل لاحظت شيئا لم تعتاد عليه أثناء تواجدك في القصر؟

ـ كان مسار العمل كسائر الأيام تناولت الغداء على مائدة السيد .. السيد لا يرى في ذلك حرجا فهو كما أعلمني لم يولد يأكل في معلقة من ذهب .. الله فتح عليه وأكرمه .. وسمعت منه ذلك اليوم أنه انتهى من زواجه الثاني ، وغدا سيتم إثبات الطلاق قانونيا .. وأنا أعلم بحدوث الطلاق من أيام .. وعادة يشرف الطباخ عويس على مائدته بالإضافة للخادم الفلبيني فهذا الطباخ تعاقد معه السيد على إعداد طعامه من سنوات .. فهو يحضر صباحا عند التاسعة ولا علاقة له بوجبة الإفطار ..عليه وجبة الغداء للسيد وزوجته والخدم

والضيوف .. فبعد أن يتفق على الطعام المطلوب مع السيد أو الزوجة الميتة قبل موتها .. فيذهب بسيارة القصر للتسوق وشراء اللحم والخضار والأغراض التي يحتاجها للطهو .. في القصر سيارتان سيارة فخمة جدا لمشاوير السيد كان لديه سائق فليبيني منذ تقاعد عمليا في قصره هذا ؛ ولكنه ذهب في إجازة لبلده ولم يرجع قيل إنه مات.. والله أعلم .. والسيد يقود بنفسه منذ شب كما يقول .. وبينما نحن نأكل حاول عويس دفع الحاج عن التراجع عن الطلاق .. وأنها تحسب طلقة رجعية ما دامت الشهور الثلاثة لم تنقض ـ والمرأة قريبة لعويس ـ وهو الذي وفق ورتب زواجها بغفلة عن الأولاد .. لكن السيد نوفل قال : فات الأوان ، ولم تعد صالحة للزواج ، ما دام ابنها في حضنها .. وقال إن المحامي أتم الإجراءات والجلسة في التاسعة صباح الغد يا عويس .. أنا لم أدر أني تزوجت العائلة كلها .. وأنا لم أخذ حريتي في بيتي .. وسكت عويس وأوقف الشفاعة بعد سماعه رد الحاج الغاضب وبعد الغداء حضر المحامي وعمل جلسة مع الحاج .. والحاج عندما نشتغل عنده في بيته أكثر وقته يقضيه معنا يتابع العمل ونتحدث ويتسلى إذا لم يغادر لزيارة أو عمل .. فتركنا وجلس مع المحامي ..كما سمعت الخادم يخبره ونحن نغادر القصر قبل صلاة العصر .. كان الرجل ينصرف من عند السيد ، وعرض عليّ توصيلي في طريقه .. فأنا أعرفه شخصيا واستعان بي لأعمال خاصة به .. فاعتذرت وشكرته .. وقلت سنذهب لإحضار بعض الأشياء ، ونعود ليلا .. وأنا أغادر لمحت السيد يتحدث مع عويس ؛ لأنه هو ينصرف في الثالثة عصرا .. فهو ينتقل للعمل الليلي في فندقه .. وهو بعد وجبة الغداء ينتهي عمله .. وكان الوضع طبيعيا في القصر لم ألحظ توترات وقلقا على وجه السيد .. وبعد صلاة العشاء عدت للقصر ؛ لأني احتجت لإكمال الشغل في غرفة التدفئة .. واحتجت لأداة لأخذها في صيانه في بيت أحد الأصدقاء .. وفتح لي الخادم دانييل الفلبيني .. وذهبت بصحبته لغرفة وضع العدة والأدوات ، وقمت بعمل بسيط في الغرفة وأنا أغادر لمحت الحاج ينظر إلينا من إحدى نوافذ القصر فأشارت إليه محييا ، وفعل مثلي .. وكان الوضع طبيعيا أيضا يا سيدي !

ـ لم تكلمه هذه المرة .

ـ هو كان في الداخل وأنا في الخارج .. حييته برفع يدي ، وفعل مثلي .. وأغلق الخادم البوابة ورائي ؛ ولكني قبل مغادرة المنطقة لاحظت سيارة تتقدم أمام القصر وينزل منها السيد عادل ابن السيد .. وكان متجها لبوابة القصر ولم أسلم عليه .. وهو لم يفعل أو كأنه لم يرني .. وكان الرجل رغم الليل

طبيعيا يمشي كما أعرفه .. ولم أحضر المشاجرة التي علمنا بها بعد سماعنا موت الشيخ رحمه الله تعالى .

ـ هل كان أمام القصر سيارات غريبة أو لمحت أحدا يتمشى ويتجول حول القصر وجه غريب شيء قد يكون له دلالة بعد الجريمة .

ـ لم ألمح شيئا غريبا أو ملفتا للنظر .. ولم أر إلا سيارة عادل تقف أمام بوابة القصر .. لكن الرجل بعد سرقة مكتبه حدثني عن تركيب أجهزة إنذار .. فذكرت له أن شركات أمن خاصة تفعل ذلك لمراقبة القصر وربطها بالشرطة كما تفعل الشركات العامة والمتاجر .. فقال : أريد أجهزة داخل القصر فحسب . . فذكرت له أني أستطيع فعل ذلك أجهزة تحذيرية غير مربوطة بشركات حماية وأمن .. وذلك الحديث جرى بعد سرقه الحلي والخمسمائة دينار .. ووعد بتوفير الأجهزة ولكنه كان مشغولا بقضية الطلاق .

قال المحقق : في هذه الحادثة ألم يشك بأحد ؟ ألم يتهم أحدا ؟

ـ هو بشكل حازم لم يفعل كما أخبرني ، قال: ربما تكون السرقة مستقلة عن كسر الزجاج وفتح الشباك . تسأل : كيف ؟!

ـ يعني أن أحدهم سرقه ، ثم افتعل السرقة . قال: هو شك في أحدهم!

ـ شك قال لي بابن زوجته نافز ، فهو رجل فاسد .. وقال: قد يكون عادل .. فاستغربت ، وذكرت له أنه يعمل ، وله سيارات يؤجرها . فقال : صحيح هو صاحب سيارات ؛ لكنه يبذل المال على الخمر والنساء .. وهذه أول سرقة تحدث بالبيت .

ـ هذه معلومة جديدة يا حسن حديثك ممتع .

ـ لولا الجريمة ما تعرضت لذلك يا سيدي ! فأنا محب للسيد ، ومحب أن يلقى قاتله الجزاء الأوفى السيد في التحقيق لم يتهم أحدا ..فالاتهام ليس سهلا.

هادية

حقيقة واضحة للشرطة أن كل من يتردد على القصر يعلم أن لدى الرجل أسلحة نارية ـ وهي مرخصة قانونا من دائرة مراقبة الأسلحة ـ بحكم هوايته الصيد منذ أيام الشباب .

أحضرت السيدة هادية وابنها لمكتب التحقيق ، ولما انتهى الكاتب من كتابة اسمها وعمرها وعملها وإقامتها بعد طلاقها ، قال الضابط : كم يوما لك تاركة بيت الزوجية ؟

ـ حوالي عشرة أيام .. إن لم يكن أسبوعان .. لقد فشل السيد عويس في إصلاح ذات البين بيني وبين الحاج نوفل .. وأنا لم أستطع ردع ابني من الذهاب لقصر السيد .. تعود عليّ .. هو لم يتزوج فظللنا نعيش معا كل هذه السنوات ..وهو طول عمره يعتمد عليّ في الطعام والشراب واللباس والسكن

؛ فليس من السهل تخليه عن ذلك .. وهو بدون امرأة .. والرجل مصر على رفضه ، وإبعاده عني .. وهو يرفض الحياة بعيدا عني .. فوافقت على الطلاق بعد هذه الشهور من الزواج .. وسيدفع لي حقي كاملا .. وقد استلمت نصفه فعلا .. وعند جلسة المحكمة كنت سآخذ الجزء المتبقي من الحق المالي .. وهذا رتبه المحامي سليم محمود .

ـ أنت موافقة على الطلاق .

ـ حصل الطلاق .. ورمى اليمين عليّ أمام المحامي وعويس ..فماذا أفعل ؟!

ـ ماذا تفعلين ؟! كنت جاهزة للذهاب للمحكمة

ـ حسب الاتفاق كنت جاهزة .. ورغب ولدي بالتأجيل طمعا بقرشين زيادة .. ورفض المحامي ذلك

ـ هل تعرفين الأسباب لقتل زوجك ؟

ـ كانت مفاجأة لي أن يصل العنف للقتل!

ـ ألم تلاحظي خلال شهور حياتك في بيت الرجل أي خطر يهدد حياة السيد ؟

قالت بحزم : لا ، لم ألحظ أي خطر سوى خشيتي أن يموت بسكتة أو جلطة من شدة غضبه في البداية من أبنائه ، ثم من ابني .. وكنت أنزعج من هوسه بقتل القطط التي تدخل القصر

كان لديه عقدة وكره مثير للدهشة تجاه الهررة !

ـ أتعتقدين أن الجن قتلته ؟

ـ أسمع عن حكايات كهذه .

ـ وهل هذه الحكايات يا ترى صحيحة ؟!

ـ أسمع أنا ، لم أر ..ولكنه قتل في مسدسه الذي كان يصرع به تلك القطط !

ـ كيف سنعرف أن الجن قامت بقتله كما أخبرت عويسا وغيره يا أم نافز ؟

قالت بخوف : لا أدري! كيف يقتل في حجرته وهي مغلقة ؟! ولا أحد يسمع صوت الرصاص من الخدم .. هذا أعتقد فعل الجن أو جني دفع عادلا للاعتداء عليه ويغدر به .

ـ لكنّ عادلا غادر القصر والرجل حيّا .. والرجل قتل عند الواحدة والنصف حسب تقرير الطب الشرعي أي بعد ساعة ونصف من انصرافه .. هل الخادم يحقد على السيد ؟

ترددت في الرد ، وتوقفت لحظات ، وقالت : الخادم هو رجل طيب .

ـ هل أساء له الخادم أو حاول مغازلتك ورآه الحاج أو بهدله الحاج خلال وجودك في القصر ؟

ـ الحاج نوفل طبعه الهدوء ؛ ولكنه إذا ثار وتعكر مزاجه لا يعرف أمه من أبيه .. ولم يكن بيني وبين الخادم شيئا مريبا .. ولم ألحظ أنه حاول التحرش بي أو حتى مع الخادمة التي تسكن بجواره من سنوات .. لم يكن بينهم أمر قبيح .. وأنا لم أنتبه لشيء حتى أني سألت الحاج مرة لماذا لا يتزوجان ؟

فقال : كل له زوجة وأولاد .. وأنا من اهتمام السيد .. وهي كانت تهتم بأم مفتاح وهي تهتم بك اليوم ..وكل واحد منهما من بلد .. هو فليبيني ، وهي من سيلان .. ولم أر بينهما أي عداوة أو اهتمام بالعلاقات الفاسدة .. فكان السيد يرى أنهما بعيدان عن الزنا والفاحشة .. وكل له حجرته .. ولكنهما يشتركان في الطعام .. وأنا نفسي خلال فترة إقامتي في القصر لم ألحظ عليهما شيئا سيئا .. وحتى يمكنني أن أقول بصراحة إن ابني حاول مرة الإساءة للمرأة فنهره الحاج بغضب وشدة وبصق عليه.. وقال محتجا : ألا يكفي السكر والعربدة الآن تريد الفحشاء في قصري يا لك من مجرم ؟ ولزمت أنا الصمت .

ـ ما كان رد فعل ابنك ؟

قالت: تمتم بكلمات غير مفهومة فحسب ، ولزم الصمت مثلي .. ولم يرد على الحاج .. فهو يعلم كم بغض الحاج له .. وبعدها لم يحاول نافز الكلام مع الخادم ولا الخادمة .. وإذا احتاج لشيء إما أن أقدمه أنا أو الخادم أما المرأة فلم تعد تقدم له شيئا .

ـ الآن توقف موضوع الطلاق .

ـ لا أدري كيف ستسير القضية !

قال : الآن سترثين ثروة كبيرة .

ـ يقول المحامي إنني اعتبر مطلقة شرعا .. ولو مات موتة طبيعية ؛ ربما ورثت ما دمت في العدة

وعلمت منه أنه كتب الكثير من ثروته للجمعيات والنوادي ونادي الصيد العضو فيه ومؤسسات أيتام .. ولا أدري هل عدل الوصية بعد تصالحه مع أبنائه أم لا ؟!

ـ هناك القصور والعمارات والإيجارات والشركات .. الثروة كبيرة .. أنت تعيلين ابنك ..هل سيتزوج ابنك مما حصلت عليه من السيد ؟

ـ أنا لم أستطع التوفيق بين الزوج والابن ..وحاولنا تزويجه .. وعرض السيد المساعدة ؛ لكنه معقد من جهة النساء كما يقول .. وابني تعرض لحادث سير ؛ ربما أثر عليه عقليا .. فقد تأثر دماغه .

ـ سنتحدث معه بعد قليل .. هناك شخص سعى لمنع الطلاق في المحكمة !

ـ لا أدري إن كان ذلك صحيحا!

ـ ألا تشكين في ابنك ؟!

قالت بدهشة مصطنعة : ابني يقتل السيد ! ولماذا ؟!

ـ ظن أن الطلاق ما دام لم يسجل في المحكمة بأنك سترثين ويذهب إليه .

قالت : ابني فاسد ، يسكر ، يتعاطى المخدرات، يزني.. أما أن يقتل فهذا ظن ووهم ..لا أعتقد فهذا يحتاج لقلب مجرم .

ـ هو أحد المشتبه بهم .. فعادل نوفل يستفيد من موت أبيه بحل مشاكله المالية وابنك يستفيد مما

ترثين .

ـ قلت أنا لا أرث

ـ سوف ترثين .. مات وأنت في العدة ..والطلاق لم يسجل في محكمة الطلاق .. ابنك مشتبه به ولم نقل أنه القاتل .. هناك فرق يا سيدة هادية!

ولما خرجت من غرفة التحقيق أدخل السيد نافز ، وعرف عن نفسه وعمره واستأذن بتدخين سيجارة فسمح له ، وطلب له فنجان قهوة وكأس ماء .. ولما انتهى من القهوة والتدخين . قال له المحقق : أتعرف شيئا عن الجريمة ؟

وبدون تردد وبصوت حاد أجاب : لا!

ـ أنت كنت تتشاجر مع السيد نوفل كثيرا خلال مدة زواج أمك منه!

ـ باللسان فقط .. لم أرفع يدي عليه ، ولم أهدده .. فهو كنز بالنسبة لي .. فحياته تهمني .. وأنا لا أحقد عليه .. كان يكره كثرة زيارتي لأمي .. كان يكره ذلك ؛ بل يكره زيارة أختي وأقاربنا لها وأنا لم أتعود على فراقها.

ـ السيارة هذه لك . يشير إلى السيارة التي حضر بها لمكتب التحقيق .

قال : اشتريتها قبل شهر عندما طرد السيد أمي وأراد تطليقها أول مرة .. عادت للحياة في بيتنا فأعطتني المال واشتريتها .. الرجل لم يكن يبخل عليها بالمال بسبب ضعفه الجنسي ؛ لتبقى معه

ـ أتعرف حجرة نوم السيد ؟

ـ طبعا أعرفها ، ودخلتها أكثر من مرة لأحضر شيئا لأمي أو أخذ من مالها .. وجالست أمي فيها عندما يكون الحاج خارج القصر.

ـ أتعرف مكتب الحاج في القصر ؟

ـ أعرف كل القصر حتى الغرف الأرضية دخلتها .. لي أكثر من سنة أعيش معهم .. أنا لا عمل لي يا سيدي.. تعرضت لحادث سبب لي إعاقة عقلية .. أما أن أقتل الدجاجة التي تبيض ذهبا فلا يمكن فعل ذلك .. ورغم طلاقه لأمي نحن كسبنا منه الكثير من المال .. فلسنا بحاجة لقتله.

ـ ربما بموته قد ترث أمك مالا .

ـ أنا لم أقتل ..وكيف سترث وهي مطلقة وأخذت حقها ؟! وستأخذ المزيد عند إعلان الطلاق رسميا .. أمي تشتغل وتنفق عليّ منذ الحادث .. وأنا أضطر أن أمكث أياما طريح الفراش بسبب المرض والحادث .

ـ ليلة الحادث لم تقترب من القصر .

تردد لحظات وقال : ولماذا أقرب القصر؟! كان الأمور مرتبة في الصباح أمام المحكمة .

ـ هل تعلم أن السيد كان يشك بأنك سرقت مالا من مكتبه ؟

قال باستغراب : يشك فيّ! ولماذا يشك فيّ ؟!.. أأفتح مكتبه لسرقة خمسمائة دينار ؟

ـ هكذا تحدث الحاج لأحد الناس .
ـ أنا لم أسرق ..أنا آخذ من أمي المبلغ وأعتمد عليها ..ولم أقتله يا حضرة الشرطي كان وقحا ويكرهني
ـ لقد لاحظ أنك كنت تغازل الخادمة !
ـ فعلت ذلك مرة وأنا سكران .. وبهدلني ، وتكلم يومها بكلام سيّء لولا أن من طبعي التحمل لأسأت له .. كنت أخشى طلاق أمي .. ولم يكن مضى على زواجها سوى شهرين .. ولم أتكلم مع الخادمة بعدها نهائيا .

قال الضابط وهو يقف : حسنا يا نافز ! أنت مشتبه بك لحتى الآن .. وممنوع من السفر خارج البلاد ..وإذا غيرت سكنك عليك أن تخبرنا حتى نغلق القضية .. وإذا عندك ملاحظة شيء لاحظته رأيته عليك أن تخبر به تحت طائلة المسؤولية .

ـ لا لم ألحظ شيئا ، ولم أسمع شيئا يفيد التحقيق .. وأنا ماكث في المدينة حتى ينتهي التحقيق .

حادث دعس

قال عويس للمحقق : أنا كما أخبرتك عند لقائنا في القصر يبدأ عملي حسب الاتفاق مع السيد في التاسعة صباحا ، وينتهي في الثالثة ظهرا ..وأي تأخير يكون بثمن ؛ لأنني ليلا أعمل في الفندق طاهيا .. ومهمتي كما شرحتها سابقا الإشراف على وجبة الغداء بعد إعدادها وتجهيزها وأحضر وجبة العشاء ، ويقوم على خدمة السيد الخادمان العاملان في القصر .. فاليوم السابق للجريمة لم ألحظ شيئا غريبا أو مختلفا عن الأيام السابقة .. كان اليوم كسائر الأيام رتيبا .. لم يكن هناك سوى الاهتمام بموعد إشهار الطلاق رسميا .. فالرجل صمم على الطلاق بشكل نهائي ، واستلمت السيدة بعض حقها .. وهي تعرضت لأكثر من طلاق خلال الشهور بسبب ابنها .. فكان المحامي يرى أن هذا طلاق لا رجعة فيه ؛ ولكن لم تسجل أي طلقة سابقة رسميا فقال لي بعض المحامين : إنها لا تحسب ، ويمكن عودتها إليه .. وحاولت ؛ ولكنه رفض ، واعتبر نفسه متزوجا العائلة .. وسبب اهتمامي بالأمر يا سيدي المحقق ؛ لأن المرأة تمت لي بطرف قرابة وأنا الذي أقنعتها بالزواج من الحاج نوفل .. وقلت لها صراحة : المال سيعوضها عن الحياة الجنسية .. فأنا أعرف الحاج ، لي خمس سنوات أعمل معه .. وقبلت أمام إغراء المال .. وهو منذ ترمل أخذ يتحدث عن الزواج ؛ ولكن أولاده كلهم رفضوا زواجه قبل مرور سنة على وفاة أمهم .. وهو أصر ، ونفذ رغبته .. وخاصموه بضعة أشهر ، ثم رضوا بالأمر الواقع ، وإن بقي بينهم الجفاء ، خاصة البنات أنا أعرف الأم هادية أكثر من ابنها نافز .. كان مزعجا للحاج وثقيل الدم كما يقال وسيئا .. ولم يكن يهتم لطلاق أمه ..إنه يريد ذلك .. يريد المال الذي ستأخذه من

الحاج بسبب الطلاق .. وقد يكون سبب ذلك الحادث الذي أثر على رأسه وعقله .. وكان لا يستحي من الجلوس على مائدة الحاج .. ويأكل معها .. وحاولت أن أجعله أن يأكل معي في المطبخ ، فلم يبال ؛ بل أصر على مشاركة أمه المائدة .. المهم طفح الكيل .. ولما تصالح الحاج مع أبنائه قوي عزمه على التخلص من نافز .. ولما عجز أراد التخلص من الجميع .. سعيت باستمرار للإصلاح بينهم ؛ ولكنني لم أسمعه يهدد السيد بقتل ولا غيره .. مرات يضطر للرد على شتائم الحاج ، وأكثر المرات يسمع ولا يهتم ..والسيد عادل أعرفه كابن للحاج من زمن .. وهو لا يأتي القصر عادة إلا لطلب المال .. ولم أره تلك الليلة ؛ لأني أفارق القصر قبل دخول الليل ؛ ولكنني سمعت بمشاجرته مع أبيه .. وهي لم تكن الأولى .

ـ إذن أنت لا تستطيع أن تشتبه بأحد !

قال بقوة : طبعا لا أستطيع يا سيدي ! صحيح أن عادلا كان سيئا مع الوالد ؛ ولكنه كان كما يقول يحتمله من أجل أمه زوجته المرحومة .. وليس بالضرورة أن ينجح كل أبناء الرجل ، لابد من خائب بينهم .. وهو يعتمد على أبيه في تدبير معيشته .. ونافز سيّء ، وأمه ضعيفة أمامه .. أما القتل فلا أعتقد أن يفعله أحدهما قد تكون نظرات نافز للسيد أثناء سبه وشتمه حادة وحاقدة لكن القتل لا أعتقد .. ربما تمتم بكلمات مبهمة غير واضحة ؛ لكن لا تهديد فيها.

شكره الضابط ، وقال : إذا ذكرت موقفا قديما حديثا يفيد التحقيق لا تبخل به علينا .. هذه جريمة قتل لا مزح فيها.

وبينما الضابط ينهي التحقيق مع عويس رن الهاتف في المكتب فتوقف عن الكلام مع عويس وقال : نعم ، حادث سير ! وما لنا نحن فيه يا ملازم عماد ! آه الضحية امرأة الحاج نوفل السيدة هادية عبدو .. كانت تقطع الشارع وصدمتها سيارة ، ولاذت بالفرار .. هي في المستشفى .. فعلا قد يكون الحادث حادثا متعمدا .. هل تعرف شيئا عن القاتل وأراد التخلص منها ؟ إنها لم تتكلم ضد أحد يا ملازم عماد .. سأبعث إيادا إلى المستشفى، اهتموا بالموضوع والحماية ، سنتابع تحقيق الحادث.. هي ما زالت حية شكرًا لك يا ملازم عماد ، لو كان المحاولة بغير السيارة ؛ ربما كانت موضع شبهة .. لو قتل الرجل سما ؛ لكانت مشتبها به وكانت في بيتها عند تعرض السيد للقتل .. لم تكن في بيتها كانت عند ابنتها .. على كل تابع موضوعها .. فابنها مشتبه به كما ابنه مشتبه به .

وضع السماعة وقال لعويس الذي كان ينتظر الإذن بالانصراف : قريبتك هادية صدمتها سيارة كادت تؤدي بحياتها يا عويس ! وذلك قبل ساعات ،

والسيارة لاذت بالفرار ، لم تتوقف لإسعافها .

ـ لا إله إلا الله .. مسكينة السيدة هادية!

ـ كانت في إحدى العيادات ..وهي تقطع الشارع صدمتها سيارة دون أن تتوقف .. وهي بين الحياة والموت .

ـ أتظن يا سيدي أن الحادث متعمد ؟!

ـ في مثل هكذا ظرف يوجد مثل هذا الاحتمال .. القاتل ما زال طليقا يا عويس .. وابنها يسوق سيارة اشترتها له من قريب .. وهو الوارث لها يا عويس ، ويمكنه سرقة مفاتيح بيت السيد دون علم أحد .. وبصماته موجودة في القصر ؛ لعل السيدة تعرف شيئا عن المجرم .

ـ أنا حاولت الإصلاح بينهم لآخر دقيقة ؛ ولكنه قال انتهى الأمر ، وستأخذ حقها وزيادة يا عويس .. أنا لا أنسى مساعدتك لي في الزواج .. فلذت بالصمت إلى فرصة أخرى .. وها هو قتل قبل مجيء الفرصة الأخرى .

ظل الملازم عماد يتابع حالة السيدة هادية المصابة بحالة دهس ، وعلم أنها بعد مغادرتها العيادة الخاصة التي تتابع فيها العلاج من سنوات في شارع محمد فهمي .. وبينما هي تقطع الشارع إلى الجهة الأخرى فاجأتها سيارة صغيرة صالون بقوة كما أخبر شهود العيان ، واستمر السائق في الهرب ، لم يتوقف للحظة .. واتصل المارة بسيارة الإسعاف ، ولم يتمكن أحد من التقاط رقم السيارة ، وتمكن أحد الشهود من تحديد لون السيارة والماركة العالمية .. وهذا لا يساعد على إلقاء القبض على السائق الهارب إلا بعد معرفة رقم السيارة .. فالرقم هو الذي يسهل عملية القبض على السائق أو مالك السيارة ؛ لأنه مميز ، ولا يملكه أحد آخر ، بخلاف النوع واللون

وبينما المرأة تعاني وتحتضر أخبرت الطبيب المشرف على حالتها أنها ليلة وفاة السيد نوفل بكر

كانت في القصر . وسمع ذلك طاقم التمريض ،ولم يدركوا مغزى هذه الرسالة ، ولفظت المرأة أنفاسها ،وهم يعجبون من كلام المرأة الأخير ، فقد كانت الضربة عنيفة أودت بحياتها بعد انتهاء الأجل المقدر لها من عند الله .

نقل الكلام للضابط المتابع لحالتها ومنه لحمزة الذي استغرب منه ، ولكنه شرح للضابط عماد مختصر جريمة قتل السيد نوفل ، وأن هذه زوجته ؛ لكنها في حالة طلاق ؛ ولذلك قال لعماد : ألم تقل شيئا عن لقائها بالحاج نوفل ؟ ومتى كانت في القصر ؟

قال عماد : أنا نقلت لك كل ما قالته أمام الطبيب والممرضات .. وسأعاود الحديث مع الفريق

ـ لا تفعل .. سأقوم بلقائك ، ونتحدث معهم سوية.. يبدو أنها قتلت عمدا يا ملازم عماد !

ـ ومعها جهاز خلوي تم التحريز عليه .

ـ جيد قد يساعدنا كشف الاتصالات بالتحقيق في الحادثين .. فالرجل قتل منذ عشرة أيام .. وهي سترث عنه المال الكثير لو عاشت ،، فهنا صار لدينا مشتبه به مهم وهو ابنها .

لما عرف حمزة رقم السيدة من الطباخ عويس طلب من شركة الاتصالات المتعاقدة معها كشف بمكالمتها في الشهر الأخير لحتى وفاتها .

ولما انتهى دفنها والعزاء المعتاد في المدينة أحضر ابنها للتحقيق في ملابسات وفاة أمه هادية ، فسأله : ألم تكن مع أمك يوم الحادث ؟

ـ أنا أوصلتها إلى العيادة ، ووجدت عددا من الناس في العيادة ، فقلت لها : سأجلس في أحد المقاهي ساعة من الزمن .. وإذا أنهت العيادة قبل ذلك تتصل بي وتنتظرني على الشارع المقابل للعيادة حيث اتجاه طريقنا .. ولما أنهت العلاج عند الطبية نوال فتحي لم تتصل بي .. ولما أنهيت اللعب ، غادرت ، ثم علمت لما دخلت العيادة أنها تعرضت لحادث سير وهي تقطع الشارع إلى الجهة المقابلة ، ونقلت للمستشفى ، فاتصلت على رقمها ، فلم يجب ، وتحدثت مع أختي ، فذكرت أن الشرطة اتصلت بها تبلغها بالحادث ، وأنها تجلس في المستشفى ، والأم في غرفة العمليات، ووضعها حرج وصعب، فمشيت إلى المستشفى الموجودة فيه .. تابعت الوضع ، واستمعت لنعيمة ، ونزلت كافتيريا المستشفى وشربت قهوة ، ودخنت وصعدت ثانية .. فأخبرت أنها تنازع وتحتضر ، ثم توفاها الله تعالى ، فأخذنا بالبكاء والنحيب ..كان موتها صعبا على روحي .

ولما خفت موجة البكاء أمام الضابط ، قال : رحم الله الفقيدة يا نافز ! لكنها قالت أمك وهي تحتضر إنها ليلة مقتل زوجها الحاج نوفل كانت في القصر ماذا تقصد بذلك ؟

حدق الشاب بالضابط للحظات وقال : أمي قالت ذلك !

ـ نعم ، قالت للطبيب والممرضات .. وأنتم أنكرتم ذلك أثناء الاستجواب !

ـ أنا لا أعلم بهذا اللقاء يا سيدي .. نحن قبل وفاته بأيام ونحن نعيش بعيدون عن قصره .. عدنا لبيتنا ، وكنا ننتظر الصباح للذهاب للمحكمة ، وتسجيل الطلاق رسميا ، واستلام باقي المال الذي اتفقنا عليه من أجل إنهاء هذا الزواج .

ـ هذا علمناه .. والكل ينتظر توقيع الأوراق .

ـ نحن اتفقنا مع المحامي على إكمال الطلاق ولا أدري كيف كانت أمي تلك الليلة عند الرجل

ـ هل ذهبت وحدها دونك ؟!

ـ تذكرت .. ليلتها لم تنم معي في البيت ، ذهبت للمبيت عند نعيمة .. أخذتها إلى هناك .. وهبطت

إلى المدينة للسهر والشراب .. وعدت للبيت مع الفجر .

ـ سنتطلب نعيمة وزوجها للشهادة على ما تقول .. وسجل الهاتف هاتف أمك طبعا يثبت لنا أنها أجرت مكالمة مع رقم السيد نوفل الساعة الثانية إلا ربع ليلا ليلة الحادث .

قال بثقة : الجواب عند نعيمة ؛ وليس عندي .. ولماذا تذهب له في مثل هذا الوقت ؟ ! وهم متفقون على الطلاق عند التاسعة صباحا.

ـ ربما أرادت الصلح وإلغاء الطلاق .

قال متشككا بهذا المقصد : لا أعتقد ذلك سيدي! أكدت نعيمة صحة الاتصال ، وأخبرت أن أمها لم تعرف النوم تلك الليلة ، واتصلت بالحاج ، فطلب منها المجيء للقصر تلك الساعة للتفاهم ، وقام زوج نعيمة بتوصيلها للقصر على مضض ، والحاج نفسه فتح لها البوابة ، وبقي زوجها في سيارته ، ولما رجعت بعد ربع ساعة أو أقل قالت لزوجي : قد يلغي الحاج الطلاق . فقال لها : والاتفاق مع المحامي . فقالت : المهم أن يبتعد نافز عن القصر ، وعادوا لبيتي حوالي الثانية والنصف

فقال الضابط : كان الرجل حيا عند الثانية .

ـ على كلام أمي كان حيّا

ـ على كلام أمك .. لماذا قالت ذلك عند الموت ؟!ولم تخبر بذلك أثناء الاستجواب

ـ لا أدري ؛ ربما الصدمة بالحادث ، وخشية الاتهام بالجريمة .. وأنا قلت ما قاله زوجي .. نحن فوجئنا بالجريمة .

وطلب الضابط زوج نعيمة للتحقيق ، وأمر بتتبع خطوات نافز ليلة الجريمة .

تغيرت الأمور بقضية مقتل نوفل بموت مطلقته دهسا أمام عيادة تتردد عليها قبل زواجها ، وتبين للضابط أنها كتمت أمر الزيارة الليلة خشية تورطها في مقتله ، وتوريط زوج ابنتها، وظهر أن له مصلحة في مقتل نوفل بالإرث الذي سيعود إليها قبل إتمام الطلاق رسميا ولموته قبل انتهاء العدة ، فأصبح أحد المشتبه بهم ، وتغير وقت ارتكاب الجريمة .. والطبيب الشرعي حدد عددا من الساعات ، ولم يحدد الوقت بالضبط .. فانتقل حمزة المحقق لقصر السيد لإعادة الحديث مع الخادمين .

وكان السيد مفتاح قد أنهى خدمات عويس الطاهي ، وأبقى الخادمين ريثما ينتهي التحقيق وتوزع التركات ، وإما أن يصرفهم أو ينقلهم لأماكن أخرى ، فلما قابل المحقق الخادم قال : ذكرت ليلة الجريمة أن السيد دخل غرفته غاضبا من ابنه عادل .. وكان ذلك بعد إغلاق البوابة وراءه .. وباب القصر الرئيسي .. وطلب كوبا من الحليب الدافئ صح هذا .

ـ أجل يا سيدي! هذا ما حدث ، وكان ذلك بعد منتصف الليل بقليل .. وصعدت بالكوب السيدة .. وقبل أن أنام قمت بجولة على الأبواب الأخرى للقصر والنوافذ ، وشربت الشاي ، ورقدت، ثم استغرقت في النوم .

ـ نعم ، واستيقظت فجأة على صوت ، وظننت أن السيد قرع الجرس .. وتبين لك أنه لم يرن ، وفتحت باب الغرفة ، ومكثت دقيقة أو أكثر تتنصت ، ولم تخرج ، وعدت للنوم .. هل استيقاظك هذا طبيعيا أم بسبب شيء ؟

ـ استيقظت فجأة .. ولم أحدد السبب .. ظننت الجرس ، ثم توهمت ذلك .. وظننت أنني كنت أحلم .

ـ ألا تعتقد أنه جرس البوابة الخارجية ؟

ـ لا .

ـ كم مكثت على الباب ؟

ـ قد تكون دقيقة أو أقل .. كان المكان هادئا يا سيدي .

ـ هل نمت من جديد ؟

ـ نعم ، تقلبت بضع دقائق ، وغرقت في النوم ، ولم أستيقظ إلا بعد آذان الفجر

ـ أنظرت إلى الساعة عندما استيقظت ؟

ـ لم أنظر إليها ..وأنا جاهز للاستيقاظ عند رن الجرس .. فالسيد سنه كبيرة ومعرض لخطر صحي مفاجئ .. ومرات كما أخبرتك أن السيد يترك غرفته ويتمشى خارج القصر من البابين الأخريين صيفا شتاء .. يتدثر بمعطف خاص ويتمشى في المطر حول ممرات القصر والبستان ولكن تلك الليلة لم أشعر به يفعل ذلك .. فهو يتعمد لبس خف خاص حتى لا يزعج النائمين خاصة امرأته أم مفتاح ، فهي تتضايق من خروجه في الليل بعد دخولهما غرفة النوم ؛ لكنه تعود على ذلك كما أسمعه يبرر فعلته .

ـ اذهب واستدعي السيدة .

جاءت السيدة ، ولما جلست قالت : نعم سيدي!

ـ عندما استيقظت تلك الليلة ، وفتحت الباب لمحت الخادم خارج الباب .

قالت بتوتر ظاهر :لمحت رأسه يا سيدي !ولا أعلم هل كان داخلا أم يريد الخروج ؟! وسمعت الباب يقفل .. وكنت قد استيقظت فزعة على صوت صرخة مكتومة فظننت أني أحلم لم أكد أنام عندما استيقظت مرعوبة .. وفتحت الباب فلمحت رأس السيد .

ـ نحن علمنا أن السيد نوفلا حوالي الواحدة والنصف قد استقبل زوجته هادية وفتح البوابة الرئيسة وباب القصر ودخلت معه غرفة النوم أو المكتب ، ثم غادرت ألم تشعري بذلك ؟!

ـ لا ، كنت نائمة، وكثيرا ما يخرج السيد يتمشى في

الليل في حدائق القصر وممراته الخارجية .. نحن نلبي النداء عند الاستدعاء .. هكذا الأوامر يا سيدي .. استيقظت على الصوت ، وظننته مناما .. ولما اكتشفت الجريمة تيقنت أنها صرخة من السيد كانت صرخة الموت .. ولما أغلق السيد دانييل بابه فعلت مثله ، مع أني استغربت من استيقاظه في نفس استيقاظي .. أغلقت بابي بالمفتاح كما أمرني السيد منذ حادث السيد نافز خشية تسلله إلى غرفتي .. فهو سيد شرير !

ـ هل أساء لك الخادم يوما ؟

ـ لا ؛ ولكنه رجل، وهو متزوج .. هو صديق جيد ملتزم حدوده .

قال الضابط المحقق لزوج نعيمة: ما عندك ؟

ـ يا سيدي الضابط بعد صلاة العشاء عدت للبيت ، فوجدت حماتي عندنا .. وهذا أمر معتادون عليه قبل زواجها ، وبعد زواجها من السيد الكبير .. تعشينا معها ، وكان ابنها الفاسد قد تركها وذهب لخماراته وملاهيه كعادته.. سهرنا لنصف الليل ، وتحدثنا عن الطلاق .. وكنت نصحتها منذ زمن بالتمسك بالسيد إذا لم يكن من أجله من أجل ثروته بعد موته .. سترث الكثير .. كنت مغريا لها بالصبر والبقاء ، وأن عليها تزويج ابنها لتتخلص من مضايقته لها .. وبعد نصف الليل اتصلت به وفتح الرجل هاتفه .. ثم طلبت مني أن أذهب بها إلى لقاء السيد ..وأنا كنت أحب لها الصلح وإلغاء الطلاق كما حصل في مرات سابقة .. وقد ناقشت ذلك مع المحامي ومع ابنها اللعين .. وكان المشكل هو نافز إذا ابتعد عنها حلت القضية .. وافق الحاج على الصلح إذا تعهد نافز بالبعد عن أمه والقصر ، فرفض ؛ ولكنه قال : أجرب الزواج .. ولما سمع الحاج موافقة الشاب على الزواج قبل على مقابلة السيدة حماتي فوصلنا إلى بوابة القصر .. وكان الحاج في انتظارها ، فبقيت في السيارة ، ونزلت ودخلت القصر مع السيد ، وغابت ربع ساعة على الأكثر ثم غادرت البوابة . وقالت وهي تجلس بجواري : ستسجل طلقة واحدة أمام القاضي ، وسيعطيني فرصة جديدة . وعدنا للبيت ، وفي الصباح جاء الخبر الصاعق بهاتف من المحامي وأخذنا نتابع التحقيق ، ومن الذي أجرم بحق السيد الكبير ، وغدر به .. ونحن ابتعدنا عن القصر بعد الثانية ليلا بدقائق .

ـ إذن القتل حدث بعد مغادرتكم ؛ لأن الطب الشرعي حدد الوفاة بين الواحدة والثالثة صباحا والرجل كان حيّا بعد الثانية بناء على كلامك .

ـ نعم ، وأقسم على ذلك إنه كان حيّا قبل الثانية بربع ساعة أو ثلثها ..خرجت السيدة ، ولم أشاهده يغلق البوابة خلفها ؛ ربما بعد ابتعادنا فعل ذلك.

تمت الحلقة

اختفاء البدن ٢

الإسلام والشيوعية

قال : اطلع «ماركس» و«إنجلز» على بعض مراجع «الأنثروبولوجي» علم الإنسان التي تكلم أصحابها عن عبادات القبائل الأولى؛ لأنهما يستدلان بأحوال المجتمع في تلك القبائل على سبق النظام الشيوعي البدائي لنظام الملك الخاص والطبقة المستأثرة بوسائل الإنتاج، ولا يظهر من كلامهما على الأديان الكبرى أنهما توسعا في الاطلاع عليها ، ولم يطلعا على الإسلام الصحيح ربما رأيا ما كتبه المستشرقون عنه ، وقاساه على النصرانية واليهودية ، ولا يظهر من كلامهما العاجل عن الإسلام والمسلمين أنهما اطلعا على قواعد الإسلام، والإسلام كما هو معلوم نظام اجتماعي إلى جانب عقائده وشعائره الدينية أي عقيدة وشريعة ، ونظرة الشيوعيين إليه في دور تطبيق المذهب الشيوعي على الخصوص كنظرتهم إلى مزاحم خطير لبغضهم للدين مهما كان اسم هذا الدين حتى ولو كان دين بوذا وعبادة البقر كالهندوس ، كانوا يخشون منه أن ينازعهم السلطان على عقول الأمم وضمائرها في مسائل الأخلاق والمعاملات، مع ما يوحيه إلى العقول والضمائر من إيمان وثيق لا طاقة به لفلسفة الحياة كما يبسطها الماديون ، فهم يزعمون أنَّ الدين خدر للشعوب ويروضها على الفقر والمسكنة، ويلهيها بالآخرة والجنة عن نعيم الدنيا؛ ليستأثر به سادة المجتمع ويغتصبوا منه علانية ـ أو يسرقوا منه خلسة ـ ما طاب لهم أن يغتصبوه أو يسرقوه.

.. جعلوا الدين سبب خضوع العمال والعامة لسطوة وسيطرة النبلاء والكنيسة على الناس .

فالإسلام كما تعلمون يأبى للمسلم أن ينسى نصيبه من الدنيا، ويأمره أن يأخذ من طيباتها وزينتها وسعادتها ؛ وليس من الإسلام أن يتجرد المسلم من زينة الدنيا ليُقبل على الآخرة، بل هو مأمور بأن يأخذ نصيبه من الزينة وهو بين يدي الله، وأن يعد زينة القوة من نعمه التي يشكره عليها :يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا * إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ . وقال ﷻ : وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً.

ولم يخطر لعدو من أعداء الإسلام أن يتهمه بتحسين الجبن والخور والاستكانة لأتباعه والذل لغير الله وإلا لماذا كان واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيقولون عنه عن الإسلام : إنه دين السيف أو دين القتال ، فقد كان الإسلام مبتلى بسيوف أعدائه قبل أن يكون له سيف يذود به عن

نفسه، ومكث الرسول ﷺ اكثر من عقد يدعو باللسان قبل السنان ، ولم يأمر الإسلام قط بتجريد السيف عدوانًا على أحد، وها نحن نرى أكبر دولة إسلامية بشرا اليوم إندونيسيا لم تسلم بالجهاد السيفي ، وأصدق ما يقال عن الإسلام في أمر السيف: إنه يأمر بالسيف؛ لأنه ينهى عن الجبن وينهى عن العدوان، ولم يأمر به ليوضع في غير موضعه أينما كان قال الحق : وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا، فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ، وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ.

ومقاتلة البغي واجبة على المسلم ، ومن الواجبات الاجتماعية المفروضة على الجماعة في الإسلام أن يكون منها آمرون بالمعروف ناهون عن المنكر، يتولون عنها هذه الفريضة التي لا تنساها جماعة إنسانية إلا بادر إليها الفناء ، ومهما يتعنت صاحب الهوى في توجيه الكلمات ومعانيها، فما هو بقادرٍ على أن يتخذ من أوامر الإسلام حجة لتسخير المجتمع في خدمة أصحاب الأموال أو القابضين على وسائل الإنتاج، كما يقول المفسرون الماديون للأديان، فقد كان السادة في الجزيرة العربية يربحون من الربا المضاعف ومن احتكار التجارة، فجاء الإسلام بتحريم هذا وذاك أشد التحريم ومنع الإسلام الاحتكار والاستغلال ، منع الإسلام الاحتيال بالمتاجرة بالأعيان سترًا للربا الذي يحرمه ، ويسمى عند الفقهاء ربا الفضل ، ومن الاحتكار الممنوع أن يجتمع المال في أيدي طبقة من الأمة : كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ.

ولم يكن في سنة الإسلام أن يبيح لمنكر أن يقول كما قيل كثيرًا: إنَّ الشرائع إنما توضع للفقراء ولا تسري على الأغنياء، فلو فاطمة بنت محمد سرقت لأقمت عليها الحد .. فلا نرى في هذه البيئة الكبرى حجة لمن يقول: إنَّ الدين ينشأ في البيئة لخدمة سادتها واستبقاء سيادتهم عليها، فقد كان سادة العرب على خصلةٍ لم يشتهروا بخصلةٍ أشهر منها، وهي الكبرياء بالنسب والعصبية العربية وكان أميرهم يترفع عن مصاهرة الأكاسرة وهو تابع لهم في دولتهم؛ لأن عزة الملك لا ترفعه إلى مقام الكفاءة العربية، فلو صدق القائلون بأن الدين من إملاء السادة في بيئتهم لما خرج من هذه البيئة دين إنساني يخاطب الناس كافة ، ويستنكر المفاخرة بالأنساب والعصبيات، ويسوي بين العرب والعجم، وبين القرشي والحبشي، بل يفضل الأعجمي على العربي والحبشي على القرشي إذا فضله بالصلاح والتقوى.

ولم تأت فيه وصايا المساواة عَرَضًا في سياق وصاياه

النافلة التي تستحب ولا تكره مخالفتها، والنبي ﷺ يقول: «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لقرشي على حبشي إلا بالتقوى» ويتمم هذا الأدب الإلهي الذي لا تفاضل فيه بين الناس بغير الأعمال قد نشأ في وكر الأنساب والعصبيات، فليس في نشأته هذه ما يفسر نشوء الأديان لخدمة السادة في المجتمع واستبقاء سيادتهم عليه .

وإذا خابت وفشلت الفلسفة المادية في تفسير نشأة الإسلام بإملاء البيئة أو بإملاء السادة عليها، فإنها لأخيب من ذلك في تفسير هذه النشأة بإملاء الديانات التي سبقت الإسلام، ثم جاء الإسلام من جوف الجزيرة العربية ليعم بالدعوة أبناء آدم كافة، وكأنما قُضِيَ على الفلسفة المادية أن تبتلى بكل حجة من قبل الإسلام على أوفاها، فلا توسط بين حقيقة الإسلام وبين فروض الفلسفة المادية: دعوة عالمية من طرف تقابلها من الطرف الآخر تبعة فردية يستقل بها الإنسان في طويته، كأنه وحده عالم قائم بنفسه.

وظلت الشيوعية المادية شيوعة ماركس ولينين كذلك حتى دخلت في دور التطبيق، وحلت محل القيصرية الروسية في علاقاتها بالعالم الآسيوي داخل بلادها وعلى تخومها، فاستجد لها من أسباب العداء له سبب أقوى لديها من كل سبب؛ لأنها وجدت فيه نظامًا اجتماعيًّا يتعرض لكل مشكلة من مشكلاتها، ولم تجد مثل هذا النظام لملةٍ من الملل التي تعاملها، وتجتهد في نشر الدعاية بين أبنائها. فالنظام الاجتماعي ـ أو السياسي ـ الذي أخذت به اليهودية قبل عشرين قرنًا لا يسري اليوم على بقعة من الأرض، ولا يخشى منه على الدعاية الشيوعية في المستقبل، والمسيحية قد نشأت بين مزدحم الشرائع والنظم السياسية من جانب الهيكل وجانب الدولة، فتركت معترك السياسة، وقصرت دعوتها على الأخلاق والعبادات ، ولا يخفى أن العهد بالأديان العالمية التي يتبعها الملايين أنها تملك هذه الحيوية لتعيش بها في الأجيال المتعاقبة، أو تفقدها، فتنحل وتزول ويخلو مكانها لدعوة من الدعوات كيفما كانت، أو تتخبط في مكانها بين الإنكار والشك والبوار، فكانت للإسلام هذه الحيوية التي أعيت خصومه في حرب الاستعمار وحرب الإلحاد والإنكار. وشنوا عليه حملة شعواء من أشنع حملات القمع والاضطهاد ، وحملة أخرى في مثل شناعتها من حملات التشويه والتشريد مع تكميم الأفواه عن المناقشة أو الدفاع.. والغزو التنصيري والثقافي والإباحي والتمثيل والغناء وغير ذلك من الحرب .

لنرى عظم الجريمة في حق المسلمين فانظر إلى فريضة الحج في كل عام كشفت الاضطهاد الشيوعي ، فإنَّ حجاج الأمم الإسلامية كانوا

يلتقون في مكة بالألوف من أبناء الأقطار الأوربية والآسيوية فلم يجاوز عددهم ثلاثين أو أربعين حاجًّا في كل مرَّة منعوا من الحج ، موسوعة الثقافة الشيوعية، فإنها وصمت الإسلام بوصمة الرجعية ومعاونة الاستغلال، واعتبرته من عقبات التقدم وموانع الحضارة العصرية، وأفردته بالعداوة التي تستحقها كل عقيدة تصلح لمنازعة المذهب المادي على ضمير الإنسان.

وما كانت الخصومة الشيوعية لتتورع عن الدعاية الرخيصة، كلما أعوزتها أسانيد الدعاية المُقَنَّعَة لأن الأديان لا توجد لتلغى وتعاد كل صباح ومساء، فإما أن توجد لتدين أمة في أجيالها المتعاقبة، أو لا توجد على الإطلاق، ولا يتصور لها وجود، وإذا كان طول الأجل مأخذًا على الدين، فالإسلام لا يؤخذ بهذا المأخذ الهزيل؛ لأنه آخر الأديان الكتابية في تاريخ الظهور.

ولا كان كذلك من وجهة المآخذ التي أحصاها الشيوعيون، وأهمها الرق وتعدد الزوجات وحدود العقاب وشروط المعاملات الاقتصادية، لم يأت بحكم من الأحكام في مسألة من هذه المسائل إلا كان فيه إصلاح للحالة التي كان عليها في عصر الدعوة ، وحض على الإصلاح في العصور المباشرة التي تليه ، فشبهة الرق فالإسلام لم يشرع الرق ، أتى الإسلام والرق نظام معمول به بين الأمم والشعوب ومتوارثا ، وهو الذي كان مشروعًا في جميع الأديان الكتابية وغير الكتابية ، وكان الفيلسوف «أرسطو» يسوغه بآرائه الاجتماعية والسياسية، وقسم الجنس البشري إلى فريقين: فريق يعمل بعقله ومشيئته، وفريق يؤدي للفريق الأول أعماله كما تؤديها الآلات.

أما الإسلام للقضاء عليه أو الحد من انتشاره فشرع العتق وحض عليه ، وجعله من الكفارات للإفطار العمد نهار رمضان للظهار من الزوجات لليمين والقتل ، وما أباحه الإسلام من الرق لا يزال مباحًا إلى اليوم بين أمم الحضارة في حروبها، فإن الأسرى يعتقلون ويسخرون في العمل، ولا تفك قيودهم إلا بالمبادلة أو سداد الغرامة والتعويض، ولا يبيح الإسلام استرقاق الأسير في كل قتال، بل يشترط في القتال أن يعلنه الإمام مع عدو لا ذمام معه ولا معاهدة، ويأمر بمعاملة الأسرة معاملة لا يحلم بها أسير في حرب من حروب الحضارة الحديثة، وإذا كان الإسلام لا يسوي بين الأحرار والعبيد في جميع الحقوق ، فالأسرى في العصور الحديثة لا حقوق لهم ولا مساواة بينهم وبين من يأسرونهم ما داموا على ذمة الفكاك أو الفداء، وغاية الفرق بين العصر الحديث والعصر القديم أنَّ الدول في هذا العصر تتولى المبادلة على الفداء بعد معاهدة الصلح بين الغالب

والمغلوب، وأما في العصور الغابرة فلم تكن للدول عناية بهذه المبادلة ولا بالتعاهد على الصلح في جميع الأحوال، ومن لم يَفْدِهِ أهله من الأسرى فلا شأن به للدولة التي كان ينتمي إليها، ولا استثناء لذلك في شرائع الحرب والسلم إلا بعد قيام الدولة الإسلامية، وتفرقتها بين الأمم المسالمة والأمم المعاهدة والأمم المقاتلة، فإن الدولة الإسلامية قد أوجبت على الإمام فكاك الأسرى من جنوده ما استطاع.

والنظام الاجتماعي الذي جاء به الإسلام قد صنع في مسألة تعدد الزوجات ما قد صنعه في مسألة الرق، حالة سيئة تعانيها المرأة من حرمان المجتمع والقانون أصلحها الإسلام ومهد لمسايرة التقدم الطبيعي الذي يأتي مع الزمن من ضروب الإصلاح.

فإن الشائع بين الغربيين والمتفرنجين من الشرقيين أنَّ الإسلام هو الدين الكتابي الوحيد الذي لم يحرم تعدد الزوجات، وذلك وهم يخالف النصوص ووقائع التاريخ، فإنَّ تعدد الزوجات بغير قيد هو القاعدة الغالبية في زواج الآباء والأنبياء الذين ذكرت زوجاتهم في كتب العهد القديم، وليس في الأناجيل نص على تحريم ما أباحه العهد القديم التوراة ، وقد أفتى القديس «أوغسطين» في كتابه عن الزواج الأمثل بإباحة التسري لمن عقمت زوجته وثبت عليها العقم ، وحرم مثل ذلك على المرأة التي يعقم زوجها؛ لأن الأسرة لا يكون لها غير سيد واحد، وكان لشرلمان أولاد شرعيون من عدة زوجات معترف بهن، وبحث المشرع المشهور «جورتيوس» موضوع تعدد الزوجات من الناحية الفقهية، فصوب شريعة الآباء في العهد القديم، وقال «وسترمارك» المؤرخ الحجة في شئون الزواج: إنَّ الكنيسة والدولة كانتا تُقِرَّان تعدد الزوجات إلى القرن السابع عشر، وكان يقع غير نادر في الحالات، التي لا تحفظ في سجلات الكنيسة أو الدولة ، ولم يوجبه على أحد لأنه أباحه، بل أوجب على الزوج أن يعدل في المعاملة إذا بنى بأكثر من زوجة يكون فيها تعدد الزوجات خيرًا من الطلاق أو من العقم ،وإنه لمن السخف أن يقال: إنَّ تطليق الزوجة المريضة أو قبول العقم أفضل في جميع الأحوال من الجمع بين زوجتين، وإنه لأسخف من هذا أن يقال: إن متاجرة المرأة بعرضها عند التفاوت بين عدد الرجال والنساء أكرم من تعدد الزوجات، وكان رأي المرأة في الزواج مهملًا لا يعتد به سواء خطبت لرجل متزوج أو غير ذي زوج، فقيد الإسلام هذه الإباحة المطلقة، وجعل للمرأة رأيًا مشروطًا في زواجها، ونبه الرجل الذي يتزوج بأكثر من واحدة إلى وجوب العدل في المعاملة فخرج منها بعقيدة احتقار الجسد،

وتصوير المرأة في صورة النجاسة المحذورة؛ لأنها عنوان المتعة الجسدية والشهوات الحسية، فهبطت في معيار الأخلاق والعقائد إلى حطة النجاسة، وبقيت في معيار التشريع حيث أبقتها أم الشرائع في العصور القديمة ـ دولة الرومان ـ ولم تزد في شريعتها كثيرًا عن منزلة الرقيق المملوك الذي لا يستقل عن مشيئة رب الأسرة بحقٍ من الحقوق.

وقوام الأمر إذن أن تكون المساواة العادلة مساواة في الفرص والوسائل، فلا يحرم إنسان فرصته لإحراز القدرة، التي تمكنه من النهوض بواجب من الواجبات، ولا يحرم وسيلته التي يتوسل بها إلى بلوغ تلك الفرصة ما استطاع من وسائل السعي المشروع.

لأنَّ الجهل كان حظًّا مشتركًا بين الجنسين ولم يكن مفروضًا على النساء وحدهن دون الرجال، ومن زعم أنَّ الرجل فرض الجهل على المرأة فقبلته وأذعنت له، فقد قال: إنه أقدر من المرأة، أو إنه أحوج إلى العلم وأحرص عليه منها ، وليس الاستبداد في القرون الأولى سببًا صالحًا لتعليل تلك الفوارق؛ لأنَّ استبداد الحكومات كان يصيب الرجل في الحياة العامة، قبل أن يصيب المرأة في حياتها العامة وليس عجز المرأة عن مجاراة الرجل في الأعمال العامة ناشئًا من قلة المزاولة لتلك الأعمال؛ لأنها زاولت أعمال البيت ألوف السنين ولا يزال الرجل يَبُزُّهَا في هذه الأعمال كلما اشتغل بصناعاتها، فهو أقدر منها على الطهو وعلى التفصيل وفنون التجميل وتركيب الأثاث وكل ما يشتركان فيه من أعمال البيوت ، وقد يرجع الأمر إلى الخصائص النفسية فيحتفظ فيها الرجل بتفوقه على الرغم من استعداد المرأة لتلك الخصائص من أقدم عصور التاريخ، فالنواح على الموتى عادة تفرغت لها المرأة منذ عرف الناس الحداد على الأموات، ولكن الآداب النسوية لم تخرج لنا يومًا قصيدة من قصائد الرثاء تضارع ما نظمه الشعراء الرجال سواء منهم الأميون والمتعلمون، وقد كان أكثر الشعراء في العهود القديمة من الأميين نعم، إنَّ المرأة في المجتمعات الحديثة تضطر إلى العمل لكسب معيشتها، إلا أنَّ هذا الاضطرار خلل في المجتمع يؤسف له ولا يغتبط به ولا يبنى عليه قوام الحاضر والمستقبل، وقديمًا كان الطفل الصغير مضطرًا إلى العمل لكسب معيشته، فلم يكن هذا فضيلة للمجتمع الذي يحدث فيه تستوجب التشجيع والإقرار، وتستقيم عليه أسس التربية والتشريع، بل كان خللًا وخيم العاقبة تتضافر الجهود على سداده وتحريمه، وتحاربه الشرائع والآداب على الرغم من الاضطرار إليه في كثيرٍ من الأحوال. . ونكتفي اليوم بهذا وقل مثل ذلك في إصلاح نظام العقوبات والاقتصاد والسلام

عليكم ومن احب الاستفسار فمرحبا بذلك .

وبعد طرح الأسئلة والمناقشة تحدث الدكتور صاحب البيت عن شبهات أخرى يثيروها الشيوعيون فقال المضيف للحاضرين :

مِن شُبه الشيوعية المعروفة إنكار وجود الله وهذه الشُّبه تتعلَّق بأصْل المذهب، والتي جعلت أساسًا يقوم عليه مذهبهم الفاسد ، لكنَّهم اجتهدوا في بثِّها للعالَم كمُسلَّمات ينبغي الأخْذُ بها، وهي كثيرة، مِن أبرزها: رفض وجود خالق للوجود والكون والحياة والإنسان ويعرِض سؤال : هل البشر في حاجةٍ إلى أدلَّة لإثبات وجود الله تعالى؟ لا يُمكن أن نجدَ إنسانًا سليمَ العقل والفطرة يعتقد أنَّ الله يخفَى على عباده، فالعقل والكَوْن كله، وجميع المخلوقات مِن ناس وجماد، وساكِن ومتحرِّك، كلها تدلُّ على وجود الله - سبحانه وتعالى - وتشْهَد بقُدرته وحِكمته، ولطفه وعظمته، وجميع ذرَّات هذا الكون؛ ولهذا فلسْنا في حاجة إلى الإتيان بحشود الأدلَّة على وجوده، فهو أمْر فطري، وفي كتاب الله تعالى وسُنَّة نبيِّه - ﷺ - ما يَشْفي ويَكْفي لِمَن عنده أدْنى شك في وجود المولَى - ﷻ - ومِن العجيب أن يستدلَّ الملاحدة على إنْكار وجود الله تعالى بأدلَّة، هي أقوى الأدلَّة على وجوده وخلْقه لهذا الكون وتدبيره له.

ويزعمون أن المجتمع قام على الشيوعية في بدايته والرد أن هذه خرافة وادعاء كاذب : وهذا ما هو إلا افتراض وظنون، لا يملكون على صحَّتها أي دليل صحيح، بل كل شيء يُكذِّبهم.

ويعتقدون أنَّ البشر كانوا بمنزلة البهائم في بدايتهم: ويعتمدون على أبحاث داروين وهذا هو الظُّلم والكذِب على البشريَّة بعيْنه، وردٌّ صريح لكلِّ ما يثبت في الأديان السماوية مِن تكريم الله تعالى للبشَر، ورفْعهم عن منزلة الحيوانات البهيميَّة.

زعَم الملاحدة أنَّ الناس في الشيوعية الأولى كانوا يعيشون عيشةً متساوية لا فرْق بينهم: وهو افتراض ينقُصه الدليل، فمِن أين لهم أنَّهم ما كانوا يشعرون بالفوارقِ فيما بينهم؟! وأقل ما فيها فوارق في الذَّكاء، فوارق في إتْقان العمل، فوارق في القوَّة الجسديَّة والنفسية، وفوارق في الشجاعة، وفوارق في المال، إلى آخر الفوارق التي لا يجهلها أيُّ إنسان سليم العقْل.

موقِف الإسلام من الشيوعيَّة هو الرفْض التام لكلِّ الأسس الفكرية التي انبثقتْ عنها الشيوعية، مثل: إنكار وجود الله تعالى، وتفسير تاريخ البشريَّة من خلال مفهوم الصِّراع الطبقي، ومحاربة الأديان، ومحاربة المِلْكية الفردية، والمناداة بأزلية المادة، وأنَّ العوامل الاقتصادية هي المحرِّك الأوَّل للأفراد والجماعات، ويلخِّص هذا الرفْضَ التام للشيوعيَّة

موقفُ الأمَّة من الشيوعيَّة في فتوى أصْدرها كبارُ علماء الأمَّة الإسلامية من خلال المجْمع الفقهي بتاريخ: ١٧/ ٨/ ١٣٩٨هـ، بعد أن تبيَّن لنا أنَّ الشيوعية مذهب كُفري باطل، بل يُعدُّ أحطَّ المذاهب الكفرية على مدار التاريخ، نأتي إلى حُكم الانتماء إلى ذلك المذهب مِن خلال فتوى المجمع الفقهي الإسلامي، فلقد عُرِض موضوع الشيوعيَّة على مجلس المجْمع في دورته الأولى المنعقدة في ١٠-١٧/ ٨/ ١٣٩٨هـ، وبعد أنِ استعرض المجلس ذلك الموضوع، أصْدر فيه قرارًا بيَّن فيه حُكم الشيوعية والانتماء إليها، وهذا نصُّه: الحمد لله، والصلاة والسلام على مَن لا نبيَّ بعده، وبعد: فإنَّ مجلس المجمع الفِقهي درس فيما درسَه من أمور خطيرة (موضوع الشيوعيَّة والاشتراكية)، ... ولقدْ رأى المجمع الفقهي أنَّ كثيرًا من الدول في العالَم الإسلامي تُعاني فراغًا فكريًّا، وعقائديًّا، خاصَّة أنَّ هذه الأفكار والعقائد المستوردة قد أُعِدَّتْ بطريقة نفذت إلى المجتمعات الإسلامية، وأحْدثت فيها خللاً في العقائد، وانحلالاً في التفكير والسُّلوك، وتحطيمًا للقِيَم الإنسانية، وزعْزعة لكلِّ مقوِّمات الخير في المجتمع. وإنه ليبدو واضحًا جليًّا أنَّ الدول الكبرى على اختلاف نُظُمها واتجاهها قد حاولتْ جاهدةً تمزيقَ شمل كل دولة تنتسب للإسلام؛ عداوةً له، وخوفًا من امتدادِه، ويقظةِ أهله. لذا ركَّزت جميعُ الدول المعادية للإسلام على أمرين مهمَّين: هما العقائد والأخلاق؛ ففي ميْدان العقائد شجَّعت كلَّ مَن يعتنق المبدأ الشيوعي المعبِّر عنه مبدئيًّا عند كثيرين بالاشتراكية، فجنَّدَتْ له الإذاعات والصحف، والدعايات البرَّاقة والكتَّاب المأجورين، وسمَّتْه حينًا بالحريَّة، وحينًا بالتقدميَّة، وحينًا بالديمقراطيَّة، وغير ذلك من الألفاظ.

وسَمَّتْ كلَّ ما يضاد ذلك من إصلاحات ومحافظة على القِيَم والمُثل السامية، والتعاليم الإسلامية: رجعيةً، وتأخُّرًا وانتهازية، ونحو ذلك. وفي ميْدان الأخْلاق دعتْ إلى الإباحية، واختلاط الجِنسين، وسمَّت ذلك - أيضًا - تقدُّمًا وحريَّة، فهي تعرِف تمام المعرفة أنَّها متى قضَتْ على الدين والأخلاق، فقد تمكَّنت من السيطرة الفِكرية والمادية والسياسية.

وإذا ما تمَّ ذلك لها تمكَّنت مِن السيطرة التامَّة على جميعِ مقوِّمات الخير والإصلاح، وصرَّفتْها كما تشاء، فانبثق ذلك الصِّراعُ الفكري، والعقائدي والسياسي، وقامتْ بتقوية الجانبِ الموالي لها، وأمدَّتْه بالمال والسلاح، والدِّعاية؛ حتى يتمركزَ في مجتمعه، ويسيطرَ على الحُكْم، ثم لا تسأل عما يحدُث بعد ذلك من تقتيلٍ وتشريد، وكبْت للحريات، وسجْن لكلِّ ذي دِين، أو خُلُق كريم.

ولهذا لَمَّا كان الغزو الشيوعي قد اجتاح دولاً إسلاميَّة لم تتحصَّن بمقوماتها الدينية والأخلاقية تُجاهَه، وكان على المجْمع الفقهي في حدود اختصاصه العِلمي والدِّيني أن ينبِّه إلى المخاطِر، والتي تترتَّب على هذا الغزو الفكري، والعقائدي والسياسي الخطير الذي يتمُّ بمختلف الوسائل الإعلامية والعسكرية، وغيرها، فإنَّ مجلس المجمع الفقهي الإسلامي المنعقِد في مكة المكرَّمة، يُقرِّر ما يلي: يرى مجلس المجمع لفت نظر دول وشعوب العالم الإسلامي إلى أنه من المسلَّم به يقينًا أنَّ الشيوعية منافيةٌ للإسلام، وأنَّ اعتناقها كفْر بالدِّين الذي ارْتضاه الله لعباده، وهي هدْم للمُثل الإنسانية، والقِيَم الأخلاقية، وانحلال للمجتمعات البشريَّة. وفي مؤتمر الحِزب الشيوعي، الذي عُقِد في موسكو في ٢٨/ ٦/ ١٩٨٨م دعَا جورباتشوف إلى إصلاحات جذريَّة في الشؤون السياسية والاقتصادية للاتحاد السوفيتي، كما انتقد سياسةَ ستالين وبريجنيف، التي حجَرَتْ على الفِكر في الاتحاد السوفيتي – وصدَق الله إذ يقول: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

قدم لنا شراب الحلبة ثم تأجل الحديث عن محاربة الشيوعيين واليساريين للإسلام لليلة التالية وكان ذلك ورافقت زميلي مرة أخرى وبعد ترحيب المضيف بطلبة الجامعة والضيوف بدأت الجلسة ونحن نتناول اكواب الشاي المصري الثقيل إلى حد ما

قال المضيف اسمعوا وعوا : فإنَّ الرِّفاق الذين يراقبون حركةَ الدِّين في الاتحاد السوفيتي صرَّحوا – كما تذكر مجلَّة (العلم والدين) الروسية في عددها الصادر في أوَّل كانون الثاني من سنة ١٩٦١م – بما نصُّه: إنَّنا نواجه في الاتِّحاد السوفييتي تَحدِّياتٍ داخليَّة في المناطِق الإسلامية، وكأنَّ مبادئ لينين لَم تنتشرَّ بْها دِماءُ المسلمين. ولهذا جاء في الوثيقة بيانٌ للبنود التي يجِب على الشيوعيِّين محاربةُ الإسلام من خلالها، أختارُ بعضًا منها: أولا : عليكم مهادنة الإسلام والمسايرة ؛ لتتمَّ الغلبةُ عليه، والمهادنة لأَجَل؛ حتى نضمنَ السيطرة، ونجتذبَ الشعوب العربية للاشتراكية أولا لبحجة تحسين أوضاع البسطاء والفقراء وان لهم حق في ثروة الأغنياء ومصانع الأغنياء

وثانيا : علينا تشْويه سُمعة رِجال الدِّين والشخصيات البارزة في العلم ، وتشويه سمعة الحكَّام المتدينين، واتِّهامهم بالعمالة للاستعمار والصِّهْيونيَّة وان تدينهم لخداع الجماهير بحضورهم المؤتمرات الدينية وحضور صلاة الجمعة والذهاب للعمرة والحج .

والأمر الثالث : تشجيع تعميم دِراسة الاشتراكية

في جميع المعاهِد، والكليات، والمدارس في جميع المراحِل، ومزاحمة الإسلام ومحاصرته؛ حتى لا يصبح قوَّة تهدِّد الاشتراكية.. والدفع بأن الاشتراكية افضل مئات المرات من الرأسمالية الاستعمارية

وأيضا الحيلولة دون قيام حرَكات دينيَّة في البلاد وأحزاب نفسها إسلامي ولو ضعيفة ، مهما كان شأنُها ضعيفًا، والعمل الدائم بيقظة لمحوِ أيِّ انبعاث دِيني، والضَّرْب بعُنف لا رحمة فيه لكلِّ مَن يدعو إلى الدين، ولو أدَّى إلى الموت! وهذه الفقرة في دول آسيا الإسلامية ، ومع هذا لا يغيب عنَّا أنَّ للدِّين دورَه الخطير في بناء المجتمعات ، ولقد رأيتم ما صنعت فرنسا في الجزائر بقرن ونصف ولم تغير دين الناس ، فالأمر ليس سهلا ؛ ولذا وجَب أن نحاصرَه من كلِّ الجهات، وفي كلِّ مكان، وإلْصاق التُّهم به، وتنفير الناس منه بالأسلوب الذي لا ينمُّ عن معاداة الإسلام.

وعلينا في محاربة الإسلام تشجيع الكُتَّاب الملحدين واللادينيين ، وإعطاؤهم الحريَّةَ كلها في مواجهة الدِّين، والشعور الدِّيني، والضمير الدِّيني، والعبقرية الدِّينية، والتركيز في الأذهان على أنَّ الإسلام انتهى عصرُه.. ونحن أبناء القرن العشرين وأن الإسلام دين البدو والصحراء والخنوع والخضوع لسلطة رجال الدين واسيادهم من الحكام والاستعمار .

وكذلك قطْع الروابط الدِّينية بيْن الشعوب قطعًا تامًّا وان الحج والكعبة عبادة للحجارة والحجر الأسود ، وإحلال الرابطة الاشتراكية محلَّ الرابطة الإسلامية، التي هي أكبرُ خطرٍ على اشتراكيتنا العلميَّة. إنَّ فصم روابطِ الدِّين ومحو الدِّين لا يتمَّان بهدْم المساجد والكنائس؛ لأنَّ الدين يكمن في الضمير، والمعابِد مظهرٌ من مظاهر الدين الخارجية، والمطلوب هو هدْم الضمير الدِّيني.

وعلينا مُزاحَمة الوعي الدِّيني بالوعي العِلمي، وطرْد الوعي الدِّيني بالوعي العِلمي والتقدم الصناعي والتكنولوجي

ولخِداع الجماهير بأنْ نزعم لهم أنَّ المسيح المنتظر لدى الطوائف المختلفة اشتراكي، وإمام الاشتراكية؛ فهو فقير، ومِن أسرة فقيرة، وأتباعه فُقراء كادحون، ودعَا إلى محاربة الأغنياء، وهذا يُمَكِّننا من استخدام المسيح نفسِه؛ لتثبيت الاشتراكية لدَى المسيحيِّين. ونقول عن محمَّد: إنَّه إمام الاشتراكيِّين؛ فهو فقير، وتَبِعَه فُقراء، وحارَب الأغنياء المحتكِرين، والإقطاعيِّين، والمرابين، والرأسماليين وثارَ عليهم .. ونذكرهم بابي ذر الاشتراكي المسلم الأول .

وهذا مما طفح من خططهم وحيلهم ومكرهم واذكر هنا مِن جرائمِ الشيوعيِّين التي أنزلوها

بالمسلمين صورُ التعذيب، وأفانينه العجيبة، فمِن ذلك ما حلَّ بمسلِمي تركستان الشرقية، عندما رفَضُوا إلحاديةَ ماركس، التي منها:

١- دقُّ مساميرَ طويلة في رأس المُعذَّب، حتى تصل إلى مُخِّه.

٢- صبُّ البترول على المُعذَّب، ثم إشْعال النار فيه حتى يحترِق.

٣- جعْل المسجون المعذَّب هدفًا لرَصاص الجنود الذين يتدرَّبون على تسديد الأهداف.

٤- حبْس المعتقَلِين في سجون لا تدخل إليها الشمس، ولا ينفذ منها هواء، وتجويعهم حتى الموت.

٥- وضْع خوذات معدنيَّة على رأس المعذَّب، وإمرار تيَّار كهربائي فيها؛ لاقْتلاع العيون.

٦- ربْط رأس المعذَّب في طرْف آلة ميكانيكية، وربْط باقي الجسم في آلة أخرى، ثم تحريك كلٍّ مِن الآلتين في تباعُد وتقارب شدًّا وضغطًا على المُعذَّب، حتى يعترفَ على نفسه وغيره، أو يموت.

٧- كيُّ كلِّ عضوٍ من الجِسْم بقطعة من الحديد المحْمِي إلى درجة الاحمرار يقول إنجلز: إذا لم يكن المناضِل الشيوعي قادرًا على أن يغيِّر أخلاقه وسلوكه وَفقًا للظروف مهما تطلَّب منه ذلك من كذِب، وتضليل، وخداع - فإنَّه لن يكون مناضلاً ثوريًّا حقيقيًّا.

أرأيتم إجرام الشيوعيين في مسلمي أسيا وغيرها ؟! أهذا فعل البشر ؟ ويدعون الحرية والديمقراطية ، وقد خطَّطوا للمرأة، واستطاعوا أن يجعلوا مِن البعض منهنَّ أُلعوبةً في أيديهم، رائدات للشيوعية في العالَم الإسلامي، داعيات إليها بطُرق مباشرة أو غير مباشرة، وتشربها الكثير من الغافلات والمغترَّات بتلك الدعوات باسمِ الحرية، فانسقْنَ خلفها، وضاعتْ هُويَّة المرأة المسلمة. صار الإسلام على يدِ الشيوعيِّين وأتباعهم اشتراكيًّا في الجزائر، واشتراكيًّا دستوريًّا في تونس، وملكيًّا دستوريًّا في المغرب.. وليبيا واليمن الجنوبي حقا أن افعالهم يندى لها الجبين ولا تمت للإنسانية بشيء .. السادية مخيفة ومرعبة .. لا يعرف العاقل بماذا يصف هؤلاء الوحوش ولعلهم فاقوا هتلر بمعسكرات الاعتقال وشكرا لكم وبارك الله لكم .

قال لي رفيقي : أتعلم أنهم يقدسون لينين حتى كأنه نبي مرسل مع أنه مجرم عتيد وقتل في زمنه ما يقارب المليون روسي خلال الحرب الأهلية عندما استولى على الثورة .

ـ لا أحد يتحدث عن ذلك

ـ حتى أنه تعرض للاغتيال وكاد يموت فورا ومات بعد سنوات قليلة متأثرا بذلك الرصاص ..

لقد كان أسوأ من هتلر النازي .. ولكن كما يقال

التاريخ يكتبه المنتصر ولكن إلى حين سأعطيك مذكرة عن لينين زعيم البلاشفة الأول .

ناقشت الرسالة واخذت استعد لوداع الأساتذة والزملاء ومعارف العامين عندما تلقيت رسالة الزميل صالح التي فيها معلومات عن مؤسس الاتحاد السوفيني المحامي لينين .وكان فيها :

فلاديمير لينين : هو أبو الدولة السوفيتية، وُلد في عام ١٨٧٠ وتخرّج محامياً لكنه أصبح ثورياً وعندما قرأ كتب ماركس وأنجلز تغيّر نمط حياته فأصبح رجلاً ماركسياً متأثراً بالماركسية وبدأ نشاطاته الثورية ضد الإمبراطورية الروسية وإقامة دولة شيوعية ، وعندما قامت الثورة ضد القيصر نيقولاي الثاني تمكن الثوار من تحقيق النصر فقامت حكومة روسية مؤقتة وكان فلاديمير لينين يريد الوصول إلى سدة الحكم وإقامة دولة روسية شيوعية تتبع النظام الاشتراكي فقام البلاشفة عام ١٩١٧ بالثورة التي عُرفت بالثورة البلشفية تحت إمرة لينين ، تمكن البولشيفيك من القضاء على الحكومة الروسية المؤقتة وقيام جمهورية روسيا السوفيتية الاتحادية الاشتراكية وأصبح لينين زعيماً لروسيا وكان مساعده الأول في الثورة ليون تروتسكي ، قد تعرّض لمحاولة اغتيال برصاصتين وأصيب برأسه ولكنه لم يستسلم ، أصبح لينين قائد الدولة السوفيتية في الحرب الأهلية الروسية وتحقق الانتصار لصالح لينين ، قام الأطباء بعمليات جراحية وتمكّنوا من إخراج رصاصة واحدة أما الأخرى فبقيت ولم يستطيعوا إخراجها فتعرّض لينين إلى جلطات دماغية وكانت آخر واحدة هي القاتلة فتوفي لينين عام ١٩٢٤ ، وأُقيمت جنازة كبيرة له وتم تحنيطه ووضعه في الضريح واعتبر ضريحه جزءاً من الساحة الحمراء. وأصبحت محجا لاتباع الشيوعية الروسية .

ولد فلاديمير أوليانوف المعروف بلينين في مدينة سيمبرسك ، وبعد أن أنهى المدرسة دخل كلية الحقوق في جامعة مدينة قازان، إلا أنه فصل من الجامعة بسبب مشاركته في مظاهرات الطلاب، بعد إعدام أخيه ألكسندر بسبب مشاركته في تنظيم محاولة اغتيال القيصر ألكسندر الثالث .

عاد لينين إلى مدينة قازان وانضم إلى إحدى الجمعيات الماركسية فيها، وفي عام ١٨٩٣ انتقل لينين إلى العاصمة سانت بطرسبرغ وبدأ بتأليف كتب في موضوع علم الاقتصاد الماركسي وتاريخ حركة الفلاحين والعمال في روسيا .وتتواصل محطات حياة لينين مع اعتقاله بسبب نشاطه السياسي الماركسي. فتم نفيه إلى سيبيريا لمدة عام، وتمكن هناك من تخصيص فترات طويلة من وقته للكتابة إلى المفكرين الشيوعيين في أوروبا .وفي عام

١٩٠٠ سافر لينين إلى سويسرا وبقي خارج روسيا حتى عام ١٩٠٥. وخلال هذه الفترة تم اختياره لزعامة حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي الذي تكوّن في عام ١٨٩٨ .

لم يمارس لينين مهنة المحاماة بعد حصوله على الرخصة القانونية التي تؤهله، في 7 ديسمبر 1895 ، تم إلقاء القبض عليه وتوقيفه لمدة عام كامل وفي يوليو من عام 1898م تزوج لينين من الاشتراكية ناديجدا كروبسكايا وفي أبريل من عام 1899م تمكن لينين من إصدار كتابه المعنون بـتطور الرأسمالية في روسيا .ومع نهاية مدة نفيه في سيبيريا عام 1900م وعمل على إنشاء الصحيفة الاشتراكية اسكرا كما عمل على نشر الكتب المتعلقة بالعمل الثوري. كان لينين من الأعضاء النشطين في حزب العمل الاشتراكي الاجتماعي حيث تولى في عام 1903م زعامة الحزب البلشفي. وتم اختياره لزعامة حزب العمل الاشتراكي الاجتماعي عام 1906م وانتقل إلى العيش في فنلندا عام 1907لدواعي أمنية.

توفي والده وهو في السادسة عشرة، وفي السنة التالية أعدم أخوه ألكسندر شنقاً بتهمة الاشتراك في مؤامرة لاغتيال القيصر، وقد تركت هذه الحادثة أبلغ الأثر في نفسه وخصوصاً كلمات أخيه أثناء المحاكمة، إذ اعترف بما نسب إليه قائلاً :إنه أراد قتل القيصر لأنها الوسيلة الوحيدة لتحقيق الحرية السياسية للشعب الروسي ، أنهى لينين دروسه الثانوية بامتياز وحصل على الميدالية الذهبية ،وفي الخريف انتسب إلى جامعة قازان ولكنه طرد منها بسبب تزعمه لفئة احتجت على انعدام الحرية في الجامعة.

بعد قبول جامعة بترسبورغ طلبه للانتساب إليها شرط عدم حضور الدروس، والاكتفاء بالمجيء إلى الحرم الجامعي في نهاية السنة الدراسية للاشتراك في الامتحانات حصل لينين على شهادة الحقوق عام ١٨٩١ ثم بدأ العمل في مكتب للمحاماة في سامارا. وفي تلك الفترة راح يقرأ كتابات كارل ماركس بعمق حتى العام ١٨٩٣ حين انضم إلى منظمة ماركسية تدعى الديمقراطية الاجتماعية وما لبث أن عاد إلى بترسبورغ حيث تولى قيادة تلك المنظمة.

توفي القيصر الكسندر الثالث عام ١٨٩٤ فخلفه ابنه نيقولا الثاني ، أما لينين فقد أمضى معظم العام ١٨٩٥ في فرنسا وألمانيا وسويسرا حيث التقى معظم الماركسيين النشطين هناك .

عاد لينين خلال ثورة عام ١٩٠٥ إلى وطنه ليشارك في التمرد ضد الحكومة، وفي عام ١٩٠٨ توجه مرة أخرى إلى سويسرا وبعد ذلك سافر إلى باريس، وفي عام ١٩١٦ بعد انقسام شهده

حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي ترأس لينين الحزب البلشفي .ومع نشوب الحرب العالمية الأولى دعا لينين إلى تحويل الحرب العالمية إلى حروب أهلية ضد حكومات رأسمالية في الدول الأوروبية، وبعد انتهاء الحكم القيصري في روسيا بانتصار ثورة فبراير 1917 وتولي الحكومة المؤقتة السلطة في البلد سمحت ألمانيا للينين مع مجموعة من أنصاره بالعودة إلى روسيا .وفي أكتوبر عام ١٩١٧ قاد لينين ثورة أدت إلى تولي الحزب البلشفي السلطة في البلد ونشوء الحرب الأهلية . بعد هذه الأحداث وتكوين الدولة السوفيتية واجه لينين خطر الغزو الألماني ووقع اتفاقية سلام مع حكومة برلين، وفي عام ١٩١٨ تعرض لينين لمحاولة اغتيال من قبل «فانيا كابلان» التي كانت تنتمي لأحد الأحزاب المعارضة للينين حيث أصابته بـ ٣ رصاصات استقرت في كتفه ورئتيه لكن الموت لم يدركه، وسرعان ما أخذت محاولة الاغتيال وهموم إدارة الدولة نصيبها من صحة لينين فأصيب بالعديد من الجلطات القلبية التي أفقدته القدرة على النطق فأبعدته عن الحياة السياسة ليفارق بعدها الحياة وذلك في عام ١٩٢٤.

وفي ١٦/ نيسان / ١٩١٧ عاد لينين مرة أخرى إلى روسيا عقب الإطاحة بالقيصر الروسي نيقولا الثاني وتبوّأ مكانته من بين البلاشفة في روسيا ونشر في صحيفة البرافدا أطروحة أبريل التي تروي وجهة نظر لينين في كيفية إدارة روسيا سياسياً. وبعد الثورة العمالية الفاشلة في يوليو من نفس العام اضطر لينين للمغادرة إلى فنلندا مرة أخرى لدواعي أمنية ومن ثم عاود الرجوع إلى روسيا في أكتوبر مدججاً بالسلاح ليقود الثورة ضد حكومة كيرنسكي المؤقتة.

أول محاولة للينين لتصدير الاشتراكية الثورية كان عن طريق غزو بولندا بعدما قامت الثانية بغزو أوكرانيا في الماضي . وتمثل الفكر اللينيني في تصدير الثورة إلى غرب أوروبا إلى فرنسا وألمانيا بالاستعانة بالجيش الأحمر مروراً ببولندا عام ١٩٢٠

وبسبب الثورات المضادة لم تتم عملية تصدير الثورة إلى أوروبا الغربية، لم يكن النفي إلى سيبيريا سجنا بكل معنى الكلمة فقد كانت الحكومة تدفع للمنفيين علاوة شهرية بسيطة، وكانوا يختارون مكان إقامتهم ضمن حدود معينة. وقد اختار لينين بلدة شوشانسكايا في آباكان، وأمضى فترة النفي في الكتابة بعد زواجه من ناديا كروبسكايا عام ١٨٩٨ التي كانت هي الأخرى منفية بسبب نشاطاتها السياسية. وأهم ما كتبه هناك تطور الرأسمالية في روسيا .في تلك الأثناء اتحدت معظم

الحركات الماركسية السرية في روسيا وشكلت حزب «العمل الديمقراطي الروسي»، ومنها الحركة التي انتمى إليها فلاديمير لينين.

بعد انتهاء مدة نفيه في مطلع عام ١٩٠٠ غادر لينين إلى ألمانيا للمساعدة في إصدار جريدة الحزب الشرارة ثم جريدة الفجر وكانتا ممنوعتان وتوزع أعدادهما بعد تهريبها إلى روسيا. وهناك بدأ فلاديمير إيليانوف يستعمل اسم لينين، كما فعل سواه من الكتاب الذين اتخذوا أسماء مستعارة لتضليل بوليس القيصر السري. خلال ذلك انقسم الحزب إلى جماعتين: البلشفيين – ومعناها بالروسية الأكثرية – والمانشيفيين – الأقلية – بسبب التنظيمات الداخلية للحزب، وأهمها رغبة البولشفيين في اقتصار الانتماء إلى الحزب على المناضلين الثوريين، ورغبة الأقلية في أن يكون باب الانضمام مفتوحاً أمام الجميع.

مع بداية العام ١٩٠٠ بدأت تتكون في روسيا نقمة عارمة ضد القيصر بسبب تردي الأوضاع على كافة الأصعدة. وارتفعت المطالبات بمزيد من الحريات السياسية، السماح للفلاحين بزراعة الأراضي التي يمتلكها الإقطاعيون، زيادة أجور العمال وتحسين ظروف العمل، إنهاء الحرب ضد اليابان. وفي يوم الأحد ٢٢ يناير ١٩٠٥ نظم كاهن أرثوذكسي يدعى جورج غابون مظاهرة اشترك فيها أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ مواطن في بترسبورغ. وكانت مظاهرة سلمية تهدف إلى ايصال المطالب الشعبية إلى القيصر. ولكن رجاله أطلقوا النار على المتظاهرين وقتلوا عدة مئات منهم. وكانت تلك هي الشرارة التي أشعلت الثورة الروسية وامتدت، على درجات متفاوتة من الحدة، حتى سقوط النظام القيصري في عام ١٩١٧م.

وحين أصدر الحزب صحيفة البرافدا – تعني بالعربية الحقيقة – كانت مقالات لينين تشكل القسم الأكبر منها.

في الأول من أغسطس عام ١٩١٤م أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا. وبحلول العام ١٩١٧ كان الشعب الروسي يئن تحت وطأة الفاقة والعوز، وبدا أن المجاعة على الأبواب. وظهر نقص في المواد الغذائية على اختلافها حتى الخبز. والحكومة عاجزة عن عمل أي شيء. العمال يضربون عن العمل وصفوف النسوة تطول أمام الأفران يوماً بعد يوم. وبدأت المظاهرات العارمة، ورفض الجنود هذه المرة تنفيذ أوامر قياداتهم بإطلاق النار، ما اضطر القيصر إلى التنازل عن العرش وتسليم السلطة إلى حكومة برئاسة الأمير جورج ليفوف في ١٥ مارس ١٩١٧م.

عاد لينين إلى روسيا وكذلك معظم قيادات الحزب البولشيفي الذين كانوا منفيين إلى سيبيريا. وفي ١٦

إبريل عام ١٩١٧م وصلوا إلى بتروغراد واستقبلوا استقبال الأبطال. طالب لينين بإنهاء الحرب ضد ألمانيا فوراً وبأن تعود ملكية الأراضي إلى الدولة وبإسقاط حكومة ليفوف. واستطاع استعادة زمام قيادة الحزب البولشفي إلا أنه لم يتمكن من الوصول إلى السلطة. في تموز شكلت حكومة جديدة برئاسة الكسندر كيرينسكي، وأصدرت أمراً بإلقاء القبض على لينين بتهمة العمالة للألمان. فغادر إلى فنلندا حيث كتب واحداً من أهم أعماله الدولة والثورة وفيه شرح كيفية تنظيم الثورة ونوع الحكومة التي يجب أن تتولى السلطة بعد إسقاط الحكم القائم. ثم أرسل كتاباً إلى الهيئة المركزية للحزب البولشيفي معلناً أن زمن الخطابات قد ولى وحان وقت العمل الثوري قائلاً: إن التاريخ لن يغفر لنا إذا لم نستعد السلطة الآن.

عاد لينين إلى بتروغراد في أكتوبر عام ١٩١٧ ودعا الهيئة المركزية للحزب إلى إعلان الثورة حالاً. كانت حكومة كيرينسكي ضعيفة، وكان ليون تروتسكي أحد القادة البارزين في الحزب يحظى بولاء مجموعات كبيرة من الجنود. وأعلن بعض فرق البحرية تأييد الثورة. وهكذا قرر البلاشفة التحرك. سقطت بتروغراد بأيديهم دون مقاومة تذكر – ٧ نوفمبر، الموافق ٢٥ أكتوبر حسب التقويم الشرقي – في موسكو كانت المقاومة أشد إلا أن البلاشفة سيطروا على المدينة في أقل من أسبوع. وهكذا صارت كل الروسيا تحت سلطتهم. واستطاعوا اكتساب ثقة الأهالي بالشعار البسيط الذي رفعوه :الخبز والسلام والأرض للجميع.

اجتمع مجلس السوفييت -فروع الحزب – الأعلى في ٨ نوفمبر ١٩١٧م وضم ممثلين عن كافة الأقاليم الروسية. وانتخبوا مجلس مفوضي الشعب الذي انتخب لينين رئيسا له. وهكذا صار فعلياً رئيس الدولة الروسية. وفي الاجتماع الأول سأل لينين المجلس أن يعطيه تفويضاً بإعلان إنهاء الحرب ضد ألمانيا وبإلغاء الملكية الفردية. فوافق المجلس على الشأنين. وهكذا بدأت مفاوضات السلام مع ألمانيا وبدأ العمل على إلغاء الملكية الخاصة للأراضي وإلحاقها بممتلكات الدولة. ليتم فيها بعد توزيعها على الفلاحين.

لم تكن السنوات الأولى لحكم لينين سنوات سهلة. فالجيش كان مشتتاً بسبب الحرب والقوات الألمانية تتقدم على الجبهات فيما أعداء البلاشفة يتكتلون للإطاحة بهم. بذل لينين جهوداً جبارة لإنهاء الحرب مع ألمانيا مقدماً بعض التنازلات في المقاطعات التي كانت تحت حكم القياصرة كفنلندا وبولندا. وهكذا وقعت معاهدة السلام في

بريستيلوفسك يوم ٣ مارس ١٩١٨م. وفي العام نفسه طلب لينين تغيير اسم الحزب من حزب العمل الديمقراطي الاجتماعي الروسي إلى الحزب الاشتراكي الشيوعي الروسي .في شهر أغسطس تعرض لينين لمحاولة اغتيال فأُصيب برصاصتين ولكنه نجا من الموت، إلا أن واحدة منهما بقيت في عنقه. بدأ المعارضون للحكم الاشتراكي بالقيام بأعمال العنف في المدن وتحولت تلك الأعمال إلى ما يشبه الحرب الأهلية في الأرياف. ولكن المعارضين كانت تنقصهم وحدة الهدف والرؤية فاستطاعت الحكومة القضاء على تمردهم بحلول العام ١٩٢٠م حيث كانت تنتظر الحكومة معركة هامة على الصعيد الخارجي. يعد لينين من أهم المفكرين في العصر الحديث الذين تناولوا نظرية الاستعمار - وقد تناول لينين نظرية الاستعمار كوسيلة لنقد النظرية الليبرالية والدول الرأسمالية، حيث يبدو جليا أنه لم يسعَ لتوضيح موقفه من الاستعمار أو تحديد أسباب الاستعمار بقدر ما سعى لربط الاستعمار بالدولة الرأسمالية، وبرز ذلك في جملته الشهيرة والتي جعلها عنوانا لكتابه «الإمبريالية أعلى درجات الرأسمالية». - رأى لينين أن الدول الرأسمالية تتحول تدريجيا من المنافسة والفرص المتساوية والسوق الحر إلى الاحتكار، حيث تبدأ الدول الرأسمالية بقواعد المنافسة الحرة والفرص المتساوية للجميع ثم بعد ذلك تتحول تدريجيا إلى الاحتكار وهي المرحلة التي فيها تتركز الثروة في يد عدد قليل جدا من الأفراد وهم أيضا الذين يتولون السلطة ثم تتسع الهوة بين هذه الطبقة وبين طبقة العمال التي تمثل غالبية المواطنين والذين يصلوا لحد خطير من الفقر - ومع توسع الدول الرأسمالية في الإنتاج تظهر إشكالية جديدة تتمثل في الحاجة لأسواق جديدة لتصريف المنتجات والحاجة أيضا لمواد خام بأسعار منخفضة وأيدي عاملة بأسعار زهيدة وهنا تتجه الدول الرأسمالية الكبرى إلى الاستعمار والبحث عن مستعمرات لها لفرض عليها حمايتها والحصول منها على المواد الخام بتكاليف منخفضة أو ربما بدون تكاليف ثم تكمل التصنيع في بلادها وتعيد تصريف المنتج النهائي في المستعمرات بأسعار مرتفعة. - وقد ربط لينين بين فكرة الاستعمار هذه وبين الحرب العالمية التي تجري بين الدول حيث أشار إلى أن وجود أكثر من دولة رأسمالية في النظام الدولي يترتب عليها وصولهم جميعا إلى مرحلة الحاجة لمستعمرات لتصريف فيها المنتجات وبالتالي يتولد صراع وخلافات بين هذه الدول الكبرى للسيطرة على المستعمرات وبالتالي تحدث الحرب العالمية بين الدول، وكان لينين متأثرًا بالحرب العالمية الأولى التي وقعت بين الدول الرأسمالية في هذا التحليل.

علاقته بالدين

لم يكن لينين يهتم كثيرا بالشؤون الدينية ونادرا ما كان يتحدث عن الأديان لكنه أعطى حرية العبادة للمتدينين وقد تبين ذلك في نص ورسالة وجهها إلى المسلمين في ٢٤ نوفمبر 1917 جاء فيها: يا أيها المسلمون بروسيا وسيبيريا وتركستان والقوقاز ... يا أيها الذين هدم القياصرة مساجدهم وعبث الطغاة بمعتقداتهم وعاداتهم أن معتقداتكم وعاداتكم ومؤسساتكم القومية والثقافية أصبحت اليوم حرة مقدسة، نظموا حياتكم القومية بكامل الحرية وبدون قيد فهي حق لكم. وأعلموا أن الثورة العظيمة وسوفياتات النواب والعمال والجنود والفلاحين تحمي حقوقكم وحقوق جميع شعوب روسيا. وقد تم وضع برنامج ضخم لما يمكن أن يطلق عليه اليوم "التمييز المضـــــاد"، سُمي بالكورنيزاتسيا، أي إحلال السكان المحليين محل المستوطنين الروس. وقد بدأ بطرد المستعمرين الروس والقوزاق والمتحدثين باسمهم من الكنيسة الأرثوذكسية الروسية في تلك المناطق. وتوقفت اللغة الروسية عن الهيمنة، وعادت اللغات المحلية إلى المدارس وإلى الحكومة وإلى المطبوعات. وقد تمت ترقية السكان المحليين ليشغلوا مناصب في الدولة وفي الأحزاب الشيوعية المحلية وأعطوا أولوية حتى عن الروس في التعيينات. وقد أُنشئت جامعات لتدريب جيل جديد من القادة غير الروس.

أيضا أُعيدت الآثار والكتب الإسلامية المقدسة التي نهبتها القيصرية إلى المساجد .وقد تم تسليم القرآن الكريم المعروف بقرآن عثمان في احتفال مهيب إلى المجلس الإسلامي في بتروجراد في ٢٥ ديسمبر سنة ١٩١٧. وقد أُعلن يوم الجمعة، يوم الاحتفال الديني بالنسبة للمسلمين، ويوم الإجازة الرسمية في كل آسيا الوسطى.

في ٣٠ آب ١٩١٨ أطلقت فانيا كابلان النار على لينين وأصابته في رئتيه وكتفه قائلةً: «اليوم أطلقت النار على لينين لأنه خان الثورة»، ولكنه عاش بعدها رغم أنه لم يتعافَ كلياً وكان للرصاصة التي أصابت عنقه أكبر الأثر في انهيار صحته هكذا قيل ، وقد أزالها الأطباء من عنقه عام ١٩٢٢، ولكنهم لم يستطيعوا إلغاء آثارها القاتلة حيث كانت محاولة الاغتيال إضافة لهموم إدارة الدولة قد أخذت نصيبها من صحة لينين فأصيب بجلطة في مايو عام 1922 شلّت نصف جسمه الأيمن وقللت من مشاركاته السياسية وبحلول شهر ديسمبر من نفس العام، ألمّت به جلطة ثانية حينها أمرت الإدارة السياسية أن يبقى لينين بعيداً

عن الأضواء. وفي مارس ١٩٢٣ ، أُصيب لينين بجلطة دموية ثالثة ألزمته الفراش وحرمته القدرة على الكلام قبل أن يفارق الحياة بجلطة أخيرة في ٢١ يناير ١٩٢٤وقد حُنّط جسد لينين ودُفن في الساحة الحمراء في موسكو.

الحق يقال أن الحياة الفكرية والثقافية نشيطة في مصر خاصة القاهرة التي عشت فيها سنتي الدراسة منذ وجدت فيها والندوات والمحاضرات والمجالس الخاصة في كل مكان والمكتبات الخاصة مفتوحة لطلبة العلم والدراسات العليا فلا تجد وقتا للفراغ ندوات ومؤتمرات في قاعات ومدرجات الجامعات في طول البلاد وعرضها ستجد ذلك اذا كنت مهتما بالنشاطات الحرة الكل يتحرك الأحزاب لها نشاطات في مراكزها سواء إسلامية أم علمانية او يسارية فانا اهتمت ربما اكثر من اللازم بالفكر الشيوعي ومحاضرات المثقفين حوله لما عانيته من سمور وعاصم ولكن لكل شيء نهاية حصلت على الشهادة وتقرر العودة لعمان .

الْأَسَدُ الْمَرِيضُ

وَافَى الْأَسَدَ أَجَلُهُ فَانْهَارَ فِي مَدْخَلِ غَارِهِ يَنْتَظِرُ الْمَوْتَ وَيَلْفِظُ أَنْفَاسَهُ. فَاجْتَمَعَ حَوْلَهُ رَعَايَاهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ، وَجَعَلَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَقْتَرِبُ، وَيَتَمَادَى فِي الِاقْتِرَابِ كُلَّمَا تَمَادَى الْأَسَدُ فِي الْعَجْزِ وَالضَّعْفِ. وَعِنْدَمَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ فِي قَبْضَةِ الْمَوْتِ قَالُوا لِأَنْفُسِهِمْ: «لَقَدْ حَانَ الْوَقْتُ الَّذِي نَأْخُذُ فِيهِ ثَأْرَنَا الْقَدِيمَ.» فَتَقَدَّمَ الْخِنْزِيرُ الْبَرِّيُّ وَأَنْشَبَ فِيهِ أَنْيَابَهُ، ثُمَّ انْدَفَعَ الثَّوْرُ وَأَدْمَاهُ بِقَرْنَيْهِ، وَالْأَسَدُ بَيْنَ ذَلِكَ هَامِدٌ لَا يُبْدِي مُقَاوَمَةً؛ لِذَا تَقَدَّمَ الْحِمَارُ وَهُوَ آمِنٌ تَمَامًا مِنَ الْخَطَرِ وَأَدَارَ ذَيْلَهُ إِلَى الْأَسَدِ وَرَفَسَهُ بِعَقِبَيْهِ فِي وَجْهِهِ. تَأَوَّهَ الْأَسَدُ: «هَذَا مَوْتٌ مُضَاعَفٌ». وَحْدَهُمُ الْجُبَنَاءُ مَنْ يُقْدِمُونَ عَلَى إِهَانَةِ جَلَالَةٍ مُحْتَضَرَةٍ

طَائِرُ السُّنُونُو وَرِفَاقُهُ

كَانَ مُزَارِعٌ يَنْثُرُ بَعْضَ بُذُورِ الْقِنَّبِ فِي الْحَقْلِ، حَيْثُ كَانَ طَائِرُ السُّنُونُو وَبَعْضُ الطُّيُورِ الْأُخْرَى يَثِبُونَ هُنَا وَهُنَاكَ وَيَلْتَقِطُونَ طَعَامَهُمْ. قَالَ طَائِرُ السُّنُونُو لِرِفَاقِهِ مِنَ الطُّيُورِ: «احْذَرُوا هَذَا الرَّجُلَ.» قَالُوا: «لِمَاذَا نَحْذَرُهُ؟ مَاذَا هُوَ فَاعِلٌ؟» قَالَ: «إِنَّهُ بِذْرُ الْقِنَّبِ هَذَا الَّذِي يَنْثُرُهُ، تَأَكَّدُوا مِنَ الْتِقَاطِ كُلِّ حَبَّةٍ مِنْهُ، وَإِلَّا فَسَوْفَ تَنْدَمُونَ». لَمْ تَأْبَهِ الطُّيُورُ لِقَوْلِ طَائِرِ السُّنُونُو. وَشَيْئًا فَشَيْئًا نَمَا الْقِنَّبُ وَجُدِلَتْ مِنْهُ حِبَالٌ، وَمِنَ الْحِبَالِ نُسِجَتْ شِبَاكٌ، وَفِي الشِّبَاكِ وَقَعَ كَثِيرٌ مِنَ الطُّيُورِ الَّتِي اسْتَخَفَّتْ بِنَصِيحَةِ طَائِرِ السُّنُونُو، فِي الشِّبَاكِ الَّتِي نُسِجَتْ مِنْ ذَلِكَ الْقِنَّبِ نَفْسِهِ.

«اسْحَقْ بِذْرَةَ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهَا وَشِيكَةٌ أَنْ تَنْمُوَ وَيَكُونَ فِيهَا هَلَاكُكَ». انتهى العدد ١٧



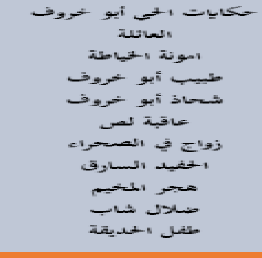
مشاهد تربوية
منشورات المكتبة الخاصة
كلام المكاتب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
حديقة الازهار
مواقف ارشادية
الزمردة
حجر القمر
الجواهر العشر
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
غربتي وابنتي
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
قصص
المصباح المضيء
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
وهج الحرب
جمال شاهين
موقعة الثلاثة والعشرين
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
حصرم بن سلام
رُمان
القصر المهجور
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
قريشا . . .
جمال شاهين
هو أنت لاجئ
جمال شاهين
الفوارس
عبد الله البحري
مملكة مالونيا والملك بربار
الأميرة نهر الأحلام
قطبة بن سنان
الأمير جفر
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
صورة الأم
بصمة وراثية
رجل اسمه سنار
حسان والطير الذهبي
زهلول في أرض الجآن
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
وصية جديدة
مغامرة النادي
مصرع المدير
شارع البحيرة الخامسة
ليموت الماضي
منشورات المكتبة الخاصة

























قصص المصباح المضيء

قصص وحكايات الفوارس

١	حسان والطير الذهبي	٢	الأمير جفر
٣	عبدالله البحري	٤	رمان
٥	الأميرة نهر الأحلام	٦	زهلول في ارض الجان
٧	مملكة مالونيا الملك بريار	٨	قطبة بن سنان
٩	حصرم بن سلام	١٠	القصر المهجور
١١	نمير وزعيط في جزائر البحر	١٢	انتقام الفارس شهدون
١٣	الأميرة تاج اللوز ووليدها	١٤	الفارس جبل بن مجدو
١٥	سيف الزمان وجميلة	١٦	حكاية ريح البحر
١٧	الملك ابن الراعي	١٨	مدينة نجوان
١٩	الملك زرارة والملكة سفانة	٢٠	أبناء الملك سماك

١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غربتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الحفل بالقط الأسود	١٠	الشقق السوداء
١١	حياتي قبل الحياة	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	















جمال شاهين

قلب الوطن
حكايات الفوارس
روايات اجتماعية
روايات جنائية
حديقة الازهار
جواهر القصص
قصص اخرى

المكتبة الخاصة

قصص

المصباح

المضيء

الجزء ١٨

٢٠٢٤

قصص

المصباح

المضيء

الجزء

الثامن عشر

اعداد

جمال شاهين

محمد الخاتم ﷺ

نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركه بن الياس بن مصر بن نزار بن معد بن عدنان.ههنا انتهى النسب الصحيح الذي لا شك فيه.

وعدنان لا شك من ولد إسماعيل الذبيح رسول الله، بن إبراهيم خليل الله ورسوله، صلى الله على سيدنا محمد، وعليهما وعلى جميع رسله وأنبيائه

مولده ومبعثه وسنه ووفاته

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، وعاش يتيماً، وماتت أمه وهو لم يستكمل سبع سنين. وكفله جده عبد المطلب، ومات عبد المطلب ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني سنين. ثم كفله عمه أبو طالب، وكان به رفيقاً، وقد خفف الله تعالى بذلك من عذابه، فهو أخف أهل النار عذاباً.

وأتته عليه السلام النبوة من عند الله عز وجل، وهو في غار حراء، وهو عليه السلام ابن أربعين سنة، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، أسلم فيها رجال من أصحابه ونساء ، ثم هاجر إلى المدينة، إذ أكرم الله الأنصار رضوان الله عليهم بذلك، فأقام بالمدينة عشر سنين.

ومات عليه السلام بها، وقبره فيها، في المسجد، في بيته الذي كان بيت عائشة أم المؤمنين رضوان الله عليها، وفيه دفن صلى الله عليه وسلم.

ابتدأه وجعه في بيت عائشة ، واشتد أمره في بيت ميمونة أم المؤمنين رضوان الله عليها، فمرض في بيت عائشة بإذن نسائه، رضوان الله عليهن، بذلك.

وصلى الناس عليه أفذاذاً ، وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية قطنية، ليس فيها قميص ولا سراويل ولا عمامة؛ ولحد له في قبره، وهو الحفرة تحت جرف القبر. وتولى غسله علي والعباس عمه، والفضل، وقثم، ابنا العباس، وأسامة بن زيد مولاه، وشقران مولاه أيضاً، رضى الله عنهم. ودخل في قبره علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، والفضل، وقثم، وشقران، وقيل: أوس بن خولي الأنصاري. وقد قيل: إن المغيرة بن شعبة نزل في قبره بحيلة.

وسجى ببرد حبرة، ووضعت في قبره قطيفة كان يتغطاها ومات وله ثلاث وستون سنة ولد ليوم الاثنين، لثمان بقين من ربيع الأول، ونبئ يوم الاثنين لأيام خلت من ربيع الأول، وهاجر يوم الاثنين، لأيام خلت لربيع. ومات صلى الله عليه

وسلم يوم الاثنين لثمان خلون لربيع الأول؛ وقد قيل غير ذلك. ولم يختلف في أنه عليه السلام مات يوم الاثنين، ودفن ليلة الأربعاء، وقيل: يوم الثلاثاء.

وكانت علته اثني عشر يوماً، وقيل: أربعة عشر يوماً، ابتدأ به صداع وتمادى به، وكان ينفث في علته شيئاً يشبه نفث آكل الزبيب. ومات بعد أن خيره الله عز وجل بين البقاء في الدنيا ولقاء ربه عز وجل، فاختار عليه السلام لقاء ربه تعالى.

أعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) منها القرآن، الذي دعا العرب وغيرهم مذ بعثه الله عز وجل قرناً إلى يومنا هذا، وإلى يوم القيامة إلى أن يأتوا بمثله إن شكوا في صدقه، فأعجز الله تعالى عن ذلك جميع البلغاء، ومنع الجن عن ذلك وغيرهم، قال تعالى: {وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين} (البقرة: ٢٢) . وقال تعالى {أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين} (يونس: ٣٨) .

(٢) وشق الله تعالى له القمر بمكة، إذ سألته قريش آية، فأنزل الله تعالى في ذلك: {اقتربت الساعة وانشق القمر. وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر} (القمر: ١ ٢) .

(٣) وأطعم النفر الكثير في منزل جابر، وفي منزل أبي طلحة يوم الخندق: مرة ثمانين رجلاً من أربعة أمداد من شعير وعناق . ومرة أكثر من ذلك، من أقراص من شعير، حملها أنس بن مالك في يده. ومرة أطعم جميع الجيش، وهم تسعمائة، من تمر يسير أتت به ابنة بشير بن سعد في يدها، فأكلوا منه حتى شبعوا، وفضلت منه فضلة.

(٤) ونبع الماء من بين أصابعه، فشرب منه العسكر كلهم وهم عطاش، وتوضأوا كلهم، كل ذلك من قدح صغير ضاق عن أن يبسط فيه صلى الله عليه وسلم يده المكرمة. وأهراق من وضوئه في عين تبوك، ولا ماء فيها، ومرة أخرى في بئر الحديبية، فجاشتا بالماء، فشرب من عين تبوك أهل الجيش، وهمحجة صلى الله عليه وسلم

حج صلى الله عليه وسلم واعتمر قبل النبوة وبعدها قبل الهجرة، حججاً وعمراً لا يعرف عددها. ولم يحج بعد أن هاجر إلى المدينة إلا حجة واحدة، وهي حجة الوداع، سنة عشر. واعتمر بعد أن هاجر إلى المدينة عمرتين مفردتين، قصد لهما وأتمهما:

إحداهما: عمرة القضية، قصد لها من المدينة سنة سبع، فأتمها في ذي القعدة؛ والأخرى: عمرته من الجعرانة ، عام ثمان، إثر وقعة حنين في ذي القعدة أيضاً.

واعتمر عمرةً ثالثة، قرنها مع حجته ، قصد لهما من المدينة، أهل بهما في ذي القعدة، وأتمها في ذي الحجة.

وكان خرج ليعتمر من المدينة، فصده المشركون وقد بلغ الحديبية، فحل عليه السلام بها ونحر الهدى، ورجع هو وأصحابه، رضوان الله عليهم أجمعينغزواته صلى الله عليه وسلم

غزا صلوات الله وسلامه عليه خمساً وعشرين غزوة، وهي على ترتيبها: أولها غزوة ودان وهي الأبواء، ثم غزوة بواطٍ وهي من ناحية رضوى، ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع، ثم غزوة بدر الأولى يطلب كرز بن جابر، ثم بدر الثانية، وهي البطشة التي أعز الله تعالى فيها الإسلام، وأهلك رؤوس الكفرة، ثم غزوة بني سليم حتى بلغ قرقرة الكدر، ثم غزوة السويق يطلب أبا سفيان بن حرب، ثم غزوة غطفان وهي غزوة ذي أمر، ثم غزوة نجران، ثم غزوة أحد، ثم غزوة حمراء الأسد، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل، ثم بدر الآخرة، ثم دومة الجندل، ثم غزوة الخندق، وهي آخرة غزوة غراها أهل الكفر إليه، ثم غزوة بني قريظة، ثم غزوة بني لحيان من هذيل، ثم غزوة ذي قرد، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة، ثم غزوة الحديبية، ثم غزوة خيبر، ثم غزوة الفتح فتح مكة ثم غزوة حنين إلى هوزان، ثن الطائف، ثم تبوك.

قاتل منها في تسعٍ: وهي بدر المعظمة، وهي بدر القتال، وهي بدر البطشة، وقاتل صلى الله عليه وسلم في أحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف

صفته وأسماؤه صلى الله عليه وسلم : كان صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير، ولا بالأبيض «الأمهق، ولا الآدم (، ولا بالجعد القطط، ولا السبط ، رجل الشعر، أزهر اللون، مشرباً بحمرة في بياض ساطع، كأن وجهه القمر حسناً، ضخم الكراديس، أوطف الأشفار ، أدعج العينين، في بياضهما عروق حمر رقاق، حسن الثغر، واسع الفم، حسن الأنف، إذا مشى كأنه يتكفأ ، إذا التفت التفت بجميعه، كثير النظر إلى الارض، ضخم اليدين لينهما، قليل لحم العقبين، كث اللحية واسعها، أسود الشعر، ليس لرجليه أخمص، إذا طول شعره فإلى شحمة أذنيه ومع كتفه، وإذا قصره فإلى أنصاف أذنيه، لم يبلغ شيب رأسه ولحيته عشرين شيبة .

وهو: محمد، صلى الله عليه وسلم وأحمد، والماحى: يمحو الله به الكفر، والحاشر: يحشر الناس على عقبيه، والعاقب: ليس بعده نبي، والمقفى، ونبي التوبة، ونبي الملحمة، وسماه الله تعالى: رؤوفاً رحيما.

وكان على نغض كتفه الأيسر خاتم النبوة، كأنه

بيضة حمام، لونه لون جسده، عليه خيلان ، ومن فوقه شعرات

نساؤه صلى الله عليه وسلم : أول أزواجه صلى الله عليه وسلم: خديجة بنت خويلد تزوجها عليه الصلاة والسلام وهو ابن خمس وعشرين سنة، وماتت رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين ، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت. وكانت قبله عند عتيق بن عابد بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم، فولدت له عبد الله، ثم خلف عليها أبو هالة ، واسمه هند بن زرارة بن النباش فولدت له ابنين ذكرين، وهما: هند والحارث، وابنة اسمها زينب. فأما هند بن هند فشهد أحدا، وسكن البصرة، وروى عنه الحسن بن علي بن أبي طالب . وأما الحارث فقتله أحد الكفار عند الركن اليماني.

فلما ماتت خديجة تزوج عليه السلام سودة بنت زمعة وكانت قبله عند ابن عمها السكران بن عمرو بن عبد شمس، فمات عنها.

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر الصديق، واسمه عبد الله، بن أبي قحافة، لم يتزوج بكراً غيرها. تزوجها بمكة وهي بنت ست سنين، وبنى بها بعد الهجرة بسبعة أشهر في شوال، وهي بنت تسع سنين، وبقيت معه تسع سنين وخمسة أشهر، وماتت سنة ثمان وخمسين.

ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب بعد الهجرة بسنتين وأشهر. وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي، فمات عنها، وتوفيت سنة خمس وأربعين، وصلى عليها مروان، وهو أمير المدينة.

ثم تزوج زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، قتل يوم بدر. وتوفيت زينب في حياته بعد ضمه لها بشرين، وقال الزهري: بل كانت عند عبد الله بن جحش الأسدي المستشهد يوم أحد.

وتزوج أم سلمة، واسمها هند، بنت أبي أمية، واسمه حذيفة ، وكانت قبله عند أبي سلمة، واسمه عبد الله، بن عبد الأسد المخزومي، فولدت له عمر، وسلمة، ودرة ، وزينب؛ وهي آخر نسائه موتاً، ماتت سنة تسع وخمسين، وقال عطاء : آخرهن موتاً صفية، وهذا وهم.

وتزوج زينب بنت جحش وكانت قبله صلى الله عليه وسلم عند زيد بن حارثة مولاه، وهي أول نسائه موتاً بعده، ماتت في أول خلافة عمر، وهي التي زوجها الله تعالى منه، ولما فتحت البلاد وآتاها عمر ما فرض لها بكت وأعولت، ودعت إلى الله عز وجل أن لا يريها عاماً قابلاً حتى تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما فارقته من التقلل في الدنيا، فماتت قبل تمام العام.

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، واسمه حبيب، وهو

المصطلق، من خزاعة. وكانت قبله عند رجل من بني عمها، اسمه عبد الله بن جحش الأسدي ، وتوفيت سنة ست وخمسين في ربيع الأول، وصلى عليها مروان، قاله الواقدي

ثم تزوج أم حبيبة، واسمها رملة، وقيل هند ، بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، فيما بعد الحديبية، سيقت إليه من بلاد الحبشة ، وكانت هنالك مهاجرة مسلمة، وكانت قبله تحت عبيد الله بن جحش الأسدي، قيل: إن النجاشي أصدقها أربعمائة دينار ذهباً، وماتت في خلافة أخيها معاوية، سنة أربع وأربعين .

وتزوج إثر فتح خيبر صفية بنت حيي بن أخطب، من بني النضير، من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم هرون بن عمران أخي موسى بن عمران عليهما السلام، وهو عمران بن قاهات بن لاوي بن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقوب بن رسول الله صلى الله عليه وسلم اسحق ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم رسول الله وخليله. وكانت قبله تحت كنانة بن أبي الحقيق. قال الواقدي رحمه الله تعالى: وفي سنة خمسين ماتت صفية بنت حيي

ثم تزوج ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية وهي خالة خالد بن الوليد وعبد الله ابن عباس. وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس وقال عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب: بل كانت تحت حويطب بن عبد العزى أخى أبي رهم.

وهي آخر من تزوج صلى الله عليه وسلم، تزوجها بمكة في عمرة القضاء بعد إحلاله، وبني بها بسرف ، وبها ماتت أيام معاوية، وذلك سنة إحدى وخمسين، قاله خليفة وقبرها هناك معروف.

ولم يصح عنه عليه السلام أنه طلق امرأة قط، إلا حفصة بنت عمر، ثم راجعها، بأمر الله بمراجعتها.

وأراد صلى الله عليه وسلم طلاق سودة بنت زمعة، إذ أسنت، وتوقع أن لا يوفيها حقها؛ فرغبت أن يمسكها، ويجعل يومها لعائشة بنت أبي بكر، فأمسكها.

ولم يبق من نسائه أمهات المؤمنين امرأة إلا تخيرته، إذ أنزل الله تعالى آية التخيير ، وصح أن صدقاته لنسائه كان لكل امرأة خمسمائة درهم، هذا الثابت في ذلك، إلا صفية، فإنه أعتقها وجعل عتقها صداقها، لا صداق لها غير ذلك ألبتة، فصارت سنةً بعده عليه السلام.

وأولم على زينب بنت جحش بشاةٍ واحدة فكفت الناس، قال أنس بن مالك: ولم نره أولم على امرأة من نسائه بأكثر من ذلك.وأولم على صفية وليمةً

ليس فيها شحم ولا لحم، إنما كان السويق والتمر والسمن.

وأولم على بعض نسائه، لم تسم لنا، بمدين من شعير ، فكفى ذلك كل من حضر وكان ينفق على نسائه كل سنة عشرين وسقاً من شعير، وثمانين وسقاً من تمر. هكذا رويناه من طريق في غاية الصحة، وروينا من طريق فيها ضعف: أن هذا العدد لكل واحدة منهن في العام، فالله أعلم، فقد كان لكل واحدة منهن الإماء والعبيد والعتقاء في حياته، صلى الله عليه وسلم ورضى عن جميعهن رضواناً يوجب لهن الجنة.

أولاده صلى الله عليه وسلم : كل أولاده من ذكر وأنثى فمن خديجة بنت خويلد، حاشا إبراهيم، فإنه من مارية القبطية التي أهداها له المقوقس، لم يولد له من غيرها.

فالذكور من ولده: القاسم، وبه كان يكنى، وهو أكبر ولده، عاش أياماً يسيرة، ولد له قبل النبوة.

وولدان آخران اختلف في اسم أحدهما، إلا أنه لا يخرج الرواية في ذلك عن " عبد الله: و " الطاهر " و " الطيب ".

وأما إبراهيم فولد بالمدينة وعاش عامين غير شهرين ، ومات قبل موت أبيه صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر، يوم كسوف الشمس.

وبناته: وزينب، أكبر بناته، تزوجها أبو العاصي، اسمه القاسم، بن الربيع ابن عبد العزي بن عبد مناف، وكانت خديجة أم المؤمنين خالة أبي العاصي. لم يكن لزينب زوج أبي العاصي، وماتت عنده سنة ثمان من الهجرة ، ومات أبو العاصي في خلافة عمر. فولدت زينب لأبي العاصي: علياً، ومات مراهقاً، وأمامة، تزوجها علي بن أبي طالب بعد فاطمة فلم تلد له، ومات عنها، فتزوجها المغيرة بن نوفل بن الحارث ابن عبد المطلب، فماتت عنده ولم تلد له.

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم: رقية، تزوجها عثمان بن عفان، لم يكن لها زوج غيره، فولدت له ابناً اسمه: عبد الله، مات وله أربع سنين ، ثم ماتت رقية بعد يوم بدر بثلاثة أيام.

وكان له صلى الله عليه وسلم أيضاً: فاطمة رضوان الله عليها، وتزوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فولدت له: الحسن، فهو أكبر ولده والحسين، وزينب، وأم كلثوم، وابناً مات صغيراً اسمه المحسن .

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم كلثوم، وهي أصغر بناته، كانت مملكةً بعتبة بن أبي لهب فلم يدخل بها فطلقها، فتزوجها عثمان ابن عفان، فماتت عنده في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، سنة تسع من الهجرة، قاله خليفة بن خياط، ولم تلد له.

أخلاقه صلى الله عليه وسلم : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم على خلقٍ عظيم، كما وصفه ربه تعالى. وكان صلوات الله عليه وسلامه أحلم الناس، وأشجع الناس، وأعدل الناس، وأعف الناس، لم تمس قط يده امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرمٍ منه.

وكان عليه الصلاة والسلام أسخى الناس، لا يثبت عنده دينار ولا درهم، فإن فضل، ولم يجد من يعطيه ويجنه الليل، لم يأو منزله حتييتبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ مما آتاه الله تعالى إلا قوت عامه فقط، من أيسر ما يجد من الشعير والتمر، ويضع سائر ذلك في سبيل الله تعالى. لا يسأل لله شيئاً إلا أعطاه، ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى يحتاج قبل انقضاء العام. يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويخدم في مهنة أهله، ويقطع اللحم معهن. أشد الناس حياء، لا يثبت بصره في وجه أحد. يجيب دعوة العبد والحر. ويقبل الهدايا ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب، ويكافئ عليها ويأكلها. ولا يقبل الصدقة ولا يأكلها. تستعتبه الأمة والمسكين، فيتبعها حيث دعواه. ولا يغضب لنفسه، ويغضب لربه، وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه. عرض عليه الانتصار بالمشركين، وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده في عدد من معه، فأبى وقال: إنا لا نستنصر بمشرك.

ووجد أصحابه قتيلاً من خيارهم وفضلاء أصحابه، يهد البلاد العظيمة والعساكر الكثيرة فقد مثله منهم، فلم يحف لهم من أجله على أعدائه من اليهود الذين وجده مقتولاً بينهم، بل وداه مائة ناقة من صدقات المسلمين، وإن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوون به وودى بني جذيمة، وهم غير موثوق بإيمانهم، إذ وجب بأمر الله تعالى ذلك. يعصب الحجر على بطنه من الجوع، ومرة يأكل ما وجد، لا يرد ما حضر، ولا يتكلف ما لم يحضر، ولا يتورع عن مطعم حلال، إن وجد تمراً دون خبز أكله، وإن وجد شواء أكله، وإن وجد خبز بر أكله، وإن وجد حلواء أو عسلاً أكله، وإن وجد لبناً دون خبز اكتفى به، وإن وجد بطيخاً أو رطباً أكله. لا يأكل متئكاً ولا على خوان، منديله باطن قدميه. لم يشبع من خبز بر ثلاثاً تباعاً حتى لقي الله تعالى، إيثاراً على نفسه، لا فقراً، ولا بخلاً. يجيب الوليمة، ويعود المرضى، ويشهد الجنائز. يمشي وحده بين يدي أعدائه بلا حارس. أشد الناس تواضعاً، وأشكتهم في غير كبر، وأبلغهم في غير تطويل، وأحسنهم بشراً. لا يهوله شيء من أمور الدنيا. ويلبس ما وجد، فمرة شملة، ومرة برد حبرة يمانياً، ومرة جبة صوف، ما وجد من المباح، لبس خاتم فضة، فصه منه، يلبسه في خنصره

الأيمن، وربما في الأيسر.

يردف خلفه عبده أو غيره. يركب ما أمكنه، مرة فرساً، ومرة بعيراً، ومرة حماراً، ومرة بغلة شهباء، ومرة راجلاً حافياً بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود كذلك المرضة في أقصى المدينة. يحب الطيب، ويكره الريح الردية. يجالس الفقراء، ويواكل المساكين، ويلزم أهل في أخلاقهم، ويستألف أهل الشرف بالبر لهم.

يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم، لا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذر.

يمزح ولا يقول إلا حقاً، يضحك في غير قهقهة، ويرى اللعب المباح فلا ينكره. ويسابق أهله على الأقدام، ويرفع الأصوات عليه فيصبر. له لقاح وغنم، يتقوت هو أهله من ألبانها. وله عبيد وإماء، لا يتفضل عليهم في مأكل ولا ملبس. ولا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى، أو فيما لابد له من صلاح نفسه.

يخرج إلى بساتين أصحابه، ويقبل البر اليسير، ويشرب النبيذ الحلو. ولا يحقر مسكيناً لفقره وزمانته، ولا يهاب ملكاً لملكه، يدعو هذا وهذا إلى الله تعالى مستوياً. أطعم السم، وسحر، فلم يقتل من سمه، ولا من سحره، إذ لم ير عليهما قتلاً، ولو وجب ذلك عليها لما تركهما.

قد جمع الله له السيرة الفاضلة، والسياسة التامة.

وهو صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب، ونشأ في بلاد الجهل والصحارى، في بلد فقر، وذي رعية غنم ورباه الله تعالى محفوفاً باللطف، يتيماً لا أب له، ولا أم، فعلمه الله جميع محاسن الأخلاق، والطرق الحميدة. وأوحى إليه جل وعلا أخبار الأولين والآخرين، وما فيه النجاة والفوز في الآخرة، والغبطة والخلاص في الدنيا، ولزوم الواجب، وترك الفضول من كل شيء.وفقنا الله تعالى لطاعته عليه الصلاة والسلام في أمرعه، والتأسي به في فعله، إلا فيما يخص به، آمين، آمين.

جمل من التاريخ

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفرد متقرباً إلى الله عز وجل في غار معروف بغار حراء ، حبب إليه عليه صلوات الله وسلامه ذلك، لم يأمره بذلك أحد من الناس، ولا رأى من يفعل ذلك فتأسى به، وإنما أراده الله تعالى لذلك، فكان يبقى فيه عليه الصلاة والسلام الأيام والليالي، ففيه أتاه الوحي.

وأول ما أتاه جاءه الملك فقال له: اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ: فغطه حتى بلغ منه الجهد ، ثم أرسله، فقال: اقرأ؛ فقال: ما أنا بقارئ؛ فغطه الثانية كذلك، ثم أرسله، فقال: اقرأ، مرتين أو ثلاثاً، فقال له: ماذا أقرأ فقال: {اقرأ باسم ربك الذي

خلق. خلق الإنسان من علقاقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم} . وهذا أول ما نزل من القرآن.

فأتى بها النبي صلى الله عليه وسلم خديجة أم المؤمنين، فكانت أول من آمن. ثم آمن من الصبيان علي، ثم آمن من الرجال أبو بكر الصديق [ابن أبي قحافة] وقيل: أول من آمن بعد خديجة أم المؤمنين: أبو بكر .

ثم عليّ بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وبلال.

ثم اسلم نفر من اهل المدينة، فوافوا مكة، وكان في جملتهم البراء بن معرور، فواعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق. فلما كانت تلك الليلة دعا كعب بن مالك ورجال من بني سلمة عبد الله ابن عمرو بن حرام، وكان سيدا فيهم، إلى الإسلام، ولم يكن أسلم بعد، فأسلم تلك الليلة وبايع، وكان ذلك سراً ممن حضر من كفار قومهم، فخرجوا في ثلث الليل الأول متسللين من رحالهم إلى العقبة.

العقبة الثانية

فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزرهم ، وأن يرحل هو إليهم وأصحابه، وحضر العقبة تلك الليلة العباس بن عبد المطلب متوثقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والعباس على دين قومه بعد لم يسلم؛ وكان للبراء بن معرور في تلك الليلة المقام المحمود في الإخلاص لله تعالى والتوثق لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولحقه

بدر الثانية : وهي أكرم المشاهد، وهي بدر البطشة، وهي بدر القتال. فأقام رسول صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا إلى رمضان من السنة الثانية، ثم اتصل به عليه صلوات الله تعالى وسلامه عيراً لقريش عظيمة فيها أموال كثيرة مقبلة من الشام إلى مكة، فيها ثلاثون رجلاً من قريش، عميدهم أبو سفيان بن حرب، أو قيل: أربعون رجلاً؛ من جملتهم: مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وعمرو بن العاصي؛ فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هذه العير، وأمر من كان ظهره حاضراً بالخروج، ولم يحتفل في الحشد، لأنه إنما قصد العير، ولم يقدر أنه يلقى حرباً ولا قتالاً، فاتصل بأبي سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خارج إليهم، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، فبعثه إلى أهل مكة مستنفراً لهم إلى نصر عيرهم، فنهض إلى مكة، واستنفر، فنفر أهل مكة، وأوعبوا إلا اليسير ، وكان ممن تخلف أبو لهب، ونفر سائر أشرافهم.

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لثمان خلون من رمضان، واستعمل على المدينة

عمرو بن أم مكتوم من بني عامر بن لؤي على الصلاة بالمسلمين، ثم رد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير، ودفع الراية: الواحدة إلى عليّ بن أبي طالب، كرم الله وجهه، والثانية إلى رجل من الأنصار، وقيل: كانتا سوادوين؛ وكان مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يومئذ، سبعون بعيراً يعتقبونها فقط، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلي بن أبي طالب، ومرثد بن أبي مرثد، يعتقبون بعيراً؛ وكان حمزة، وزيد بن حارثة، وأبو كبشة، وأنسة موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقبون بعيراً، وكان أبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، يعتقبون بعيراً؛ وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة من بني النجار.

وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ.

فسلك صلى الله عليه وسلم على نقب المدينة إلى العقيق، إلى ذي الحليفة، إلى ذات الجيش، إلى تربان، وقيل: وأتاه الخبر بخروج نفير قريش لنصر العير، فأخبر أصحابه، رضوان الله عليهم، واستشارهم فيها يعملون. فتكلم كثير من المهاجرين فأحسنوا فتمادى في الاستشارة وهو يريد ما يقول الأنصار، فبادر سعد بن معاذ، وسارع في فنون القول الجميل، وكان فيها قال: لو استعرضت هذا البحر بنا لخضناه معك، فسر بنا يا رسول الله على بركة الله تعالى. فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال: سيروا وأبشروا، فإن الله عز وجل قد وعدني إحدى الطائفتين.

مقتبس من جوامع السيرة لابن حزم

قصص من السنة

اية الكرسي

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنّك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة. قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة، وعيالا فرحمته فخليت سبيله، قال: أما إنه قد كذبك، وسيعود. فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه سيعود. فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال، لا أعود، فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أباهريرة ما فعل أسيرك. قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا، فرحمته فخليت سبيله، قال: أما إنه كذبك، وسيعود. فرصدته الثالثة،

فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات تزعم لا تعود، ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي :﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله فأصبحت، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما فعل أسيرك البارحة؟. قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: ما هي؟. قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم: الله لا إله إلا هو الحي القيوم. وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح – وكانوا أحرص شيء على الخير – فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة. قال: لا. قال: ذاك شيطان .

الفاتحة

عن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال: انطلق نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلمفي سفرة سافروها، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب، فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا، لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط، إن سيدنا لدغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم، والله إني لأرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه ويقرأ :﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبة. قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسموا، فقال الذي رقي: لا تفعلوا حتى نأتي النبي صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله فذكروا له، فقال: وما يدريك أنها رقية. ثم قال: قد أصبتم، اقسموا، واضربوا لي معكم سهما. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم

تربية البنات

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ دَخَلَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا فَسَأَلَتْ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ فَدَخَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم" مَنِ

ابْتُلِيَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ "

تربية نبوية

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ جَاءَ شَيْخٌ يُرِيدُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَبْطَأَ الْقَوْمُ عَنْهُ أَنْ يُوَسِّعُوا لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا "

لطمة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: استب رجلان: رجل من المسلمين، ورجل من اليهود، قال المسلم: والذي اصطفى محمدا على العالمين، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم وجه اليهودي، فذهب اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم المسلم، فسأله عن ذلك فأخبره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري: أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله

قلب الوطن

اختفاء البدن ٣

ماتت أمي

في أواخر عام ٨٥ ماتت أمي رحمها الله كما ذكرت لكم ذلك ولم أتمكن من العودة بسبب الاستعداد لمناقشة رسالة الماجستير ،وقبل أن استرسل في بقية مراحل حياتي عليّ أن أعود للوراء للماضي القريب للتاريخ الذي يصعب نسيانه من قبل جيل التشرد والبؤس والرحيل وظل في وجدان الإباء والأجداد وانتقل لنا نحن الأبناء ، ولابد أن نورثه لأبنائنا ، فما تجلس في مجلس فرح أو عزاء أو سهرة ويلتقي جيل النكبة إلا وحديثهم عن قراهم وبياراتهم وبرتقالهم وحسرتهم على تلك الأيام ، مع أنها لم تكن في نظري أياما وردية ؛ لكنها ارض الوطن حيث ولدوا وشبوا وحصدوا وزرعوا وفرحوا وحزنوا .

كان قرار التقسيم الأممي عام ١٩٤٧ لأرض فلسطين اعتراف بدولة إسرائيل قبل أن تظهر ككيان رسمي ومعترف به دوليا ، وبأن جزء كبير من وطننا السليب حق لليهود وهذا حق القوي على الضعفاء .. اشتد الصراع بين عرب فلسطين ويهود العالم المدعوم من الغرب والاستعمار بغض عن تغيير المسميات .. بدأت قرى الساحل الفلسطيني منذ إعلان بريطانيا عن الخروج من فلسطين تتساقط رويدا رويدا وتهوي في أيدي عصابات الصهاينة والصهيونية العالمية .. أخذت القرى تفرغ من أهلها باتجاه المدن الكبرى التي أصبحت بدورها في خط النار الأول .. كان عمر

أبي" محسن سالم " خمس سنوات عندما ترك قريته الأولى .. قريته كانت صغيرة بضع عائلات تقطنها، وكان لأهل القرية امتدادات عائلية في قرى أخرى ؛ كأن تلك العائلات عندما جاءت فلسطين انتشروا في عدة قرى .. وكان خروجهم من قراهم دون ضجيج إعلامي ، لأن الخروج كان بسبب الفقر والإرهاب الصهيوني وضغط نفسي من بريطانيا المنتدبة من قبل عصبة الأمم على فلسطين التي انتدبت من عصبة الأمم لتعلم الناس على الإدارة والحكم الحديث .. رحلوا إلى قرية اكبر وفيها أناس اكثر يعملون عند أقاربهم كرعاة أو فلاحين في المواسم .. كانوا خمسة أخوة وأختين .. كانت القرية قريبة من مدينة يافا الشهيرة في ذلك الزمن فهي عروس فلسطين وبلد البرتقال الفلسطيني والصحافة الفلسطينية الناشئة ، وبعد حين رحلوا من تلك القرية مع أحداث النكبة الفلسطينية الشهيرة ١٩٤٨ .. مشوا في ذلك المشهد المهول للخروج من القرى والبلدات والمدن الفلسطينية الساحلية مشوا نحو الشرق نحو الضفة الغربية كان عمر أبي في الهجرة الثانية ابن سبعة عشر عاما .

في سنة خمسين تزوج أبي محسن سالم من أمي فاطمة محمود ..وكان عمرها أربعة عشر عاما .. أمي قريبة لأم أبي .. كان يسكن أهل جدتي في تلك القرية الكبيرة .. فلما تزوجها جدي سالم رحلت لقريته ولما ترك القرية الصغيرة سكن قريتها حيث ولد أبي محسن وبعد الرحيل تزوج قريبة لجدتي وهي أمي فاطمة .

كان ترتيبه الثالث بين أخوته الذكور تحصل أبي على بعض العلم في كتاتيب القرية ونال بعضه من مدارسها الصغيرة ..ربما درس للصف الرابع أو السادس .. وحتى أمي أتيح قبل النكبة الدراسة في مدارس الأرياف الناشئة .

اشتغل أبي محسن في وكالة الغوث الناشئة حديثا لإغاثة المهجرين كعامل يؤمنون ويوزعون المواد الغذائية على الأسر المهاجرة والذين يسمون اللاجئين ، فقد انتشرت المخيمات في غزة والضفة الغربية والشرقية ولبنان وسوريا ، الدول المجاورة لفلسطين .

ولما توحدت الضفتان بعد عام ١٩٤٩ بعد عدة مؤتمرات تأييد للوحدة بقيت وكالة الغوث الأونروا ترعى اللاجئين صحيا وتعليميا وغذائيا وتوظيفا تجمع المساعدة من دول العالم وتوزعها بتلك الصور على هؤلاء اللاجئين .. تمكن والدي من العمل كموظف صغير لدى الحكومة الأردنية وترك عمله في الوكالة .. وسكن نفس مدينة نابلس في شمال فلسطين .. وأصيب بشظية أثناء حرب ١٩٦٧ فنقل لعمان للعلاج واستقر فيها ثم

رحلنا اليه .. في جبل القلعة بعمان .

قبل السكن في بيت في ذلك الحي سكننا عند قريب يخدم في الجيش العربي ، ولما تحسنت صحة الوالد سكننا في ذلك الحي التاريخي المسكون بالبشر قبل ٧٠٠٠ سنة على ذمة أهل الآثار والحفريات .

ولما تعافى الوالد النحيف البنية أصلا عاد للعمل في دائرة حكومية في عمان كبواب هذه المرة في مبنى الدائرة .. وقد اصبح يعرج بسبب الحادث .كان أبي محسن مسالما طيبا في رأيي بسيط الذكاء ، وكذلك أمي الأمية يحبون الستر في الحياة ويحلمون بحظ أوفر واحسن للأبناء .. لم يكن أيام فلسطين والفلاحة التعليم مهما كثيرا لهم ، إنهم يتعلمون لقراءة القرآن والرسائل اذا كان هناك رسائل .. فثقافتهما بسيطة بالممارسة والسماع وأمثال القرية وخطب الوعاظ والقصاص .

كان والدي مصليا بالفطرة كالكثير من أبناء الفلاحين والقرى .. ولكن بعد النكبة ترك الكثير من الناس الصلاة والصوم جهلا وحمقا واحتجاجا على القدر والعياذ بالله .. وظهر الكفر سواء كفر منظم كالذين اتصلوا بالحركات الإلحادية واليسارية أو الكفر الفوضوي .. فالفكر الشيوعي تضخم في فترة الخمسينات في أنحاء العالم .. بعد انتصار الشيوعية الروسية على هتلر النازي .. والثورة الصينية ثورة ماو وفيتنام وكوريا الشمالية .. وكوبا .. لذلك ظهر التهاون من الآباء في تعليم أبنائهم الصلاة والصوم ..المهم المال والشغل ولو ببيع الكعك المحمص والحلاوة وما شابهها .. وظهرت أفكار تحارب التدين وتزعم أنه سبب نكبة الشعب الفلسطيني وتشرده في بقاع العالم .

بعد ولادة عاصم مرضت أمي بسبب هذه الولادة وأصيبت بالعقم .. مما ازعج والدي ونحن شعب حبب اليه المزيد من الذرية في ذاك الحين .. وكانت قد ولدت بكرهما أخي الفاضل سميح في سنة ١٩٥١ في نابلس ثم سمور بعد بسنتين ونصف وسمي على اسم احد أجداد أبي وبعده بسنة ولد عاصم .. فاخذ الوالد يطارد بها بين الأطباء والحكماء في الحكومة ووكالة الغوث وربما الحجابين لقد كان سوقهم رائج في المعالجات والشعوذة .. حتى حملت أمنا بتوأم من الإناث في عام ٥٧ وبنفس المعاناة وضعت بنتا أخرى .. وكلهن اليوم متزوجات بفضل الله من أقاربنا وشرفت أنا وعبد القادر قبلي بساعة أو أقل في منتصف عام واحد وستين .. ظهرنا للوجود في مدينة نابلس العريقة حيث رحل إليها عددا لا بأس من أسرتنا واهل قريتنا .. ولما حلت الهزيمة الثانية بالدول العربية انتقلنا كما رويت سابقا للحياة في قلب عمان الغالية ..

والسبب إصابة أبي بشظية من انفجار قنبلة .. فجاءوا به للعلاج في عمان ؛ لأنه من رعايا الحكومة وأصيب أثناء العمل .. وسكن عند قريب له ولما تعافى اشترى منزلا بحي القلعة بمساعدة قريبه ابن الجيش العربي .. وسمحت لنا إسرائيل باللحاق به لعمان العز .

لم نكن من أهل اليسار كنا نقتات بالدخل البسيط لأبي ، ومن ثمن بعض التطريز لأمي الذي تقوم به أمي للميسورات من أبناء المدن والقرى سواء المهاجرة أو التي لم تهاجر من أهالي الضفة الغربية الأصليين .. كان أخي سميح منذ وعى يعمل مع الأقارب في حرف ومهن فلم يتابع التدريس حتى المجاني في خيم وكالة الغوث .. وكان يساعد أبي وأمي وكانت المصروفات قليلة تلك الأيام والذي يصعبها قلة الدخل .. اشتغل ليس لفقرنا لا إنما اشتغل لعدم حبه المدرسة .

كان الراتب في ذلك العهد رغم بساطته وقلته يسد الحاجة ناكل ونشرب ونكتسي مرة في السنة واحيانا مرتين .

كان بكر أبي كما قلت آنفا أخي سميح .. ولم يكن محظوظا في الدراسة ومع تصارع الأحداث تعلم مطلع حياته ثم عمل مع معارف أبي ، وثم تعلم قيادة السيارات وبعد أحداث السبعين في الأردن بين الجيش العربي والفدائيين الفلسطينيين تيسر له العمل كسائق في احدى الوزارات بمعاونة أبي ، وبعض أقاربنا الضباط في الجيش .. وفي سنة ١٩٧١ تزوج ابنة عمه محمد سالم وكانت بكره قد انجبها عام ١٩٧٢ وسماها سليمة وبعد عامين ولد محسن .

وأما سمور فبمساعدة احد رجال حركة القوميين العرب التي نشأت في لبنان وسوريا في فترة الخمسينيات وقد هرب هذا الرجال للبنان بعد أحداث أيلول عام ١٩٧٠ م وكان الرجل قد رتب لسمور بعثة دراسية في بلغاريا ، وذلك على حساب منظمة التحرير التي كانت قد ظهرت في عام ١٩٦٤ أو ١٩٦٥ للوجود بزعامة احمد الشقيري وبدعم من عبد الناصر زعيم العرب ومصر في تلك الأيام الرمادية .. وكان سمور ابن الحركة الشيوعية قبل عام ٧٢ حيث تقدم للثانوية العامة ونجح وأثناء زواج سميح كان يدرس في بلغاريا باسم منظمة التحرير الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .. وربما عاد للبلد خلال سنوات دراسة الهندسة بضع مرات .. وبعده

بسنة نجح عاصم ولحق به بمساعدته ومساعدة رجال المنظمة .

كانت الشيوعية العالمية رغم اعترافها بدولة إسرائيل عند تأسيسها تناصر وتدعم القضية الفلسطينية واتخذتها يدا للتحكم في الشيوعين

العرب والقوميين العرب .. وربما السبب الحقيقي بسبب الحرب الباردة الناشبة بين الغرب والشرق والقتال عنهم بالوكالة كما نقول اليوم وما يقدم من دعم وسلاح هو سلاح بسيط للدفاع اكثر من الهجوم وللعمليات المحدودة .. ودفاع عنهم في بعض محافل الأمم المتحدة والعالم .. فالدول الغربية تتحكم بكثير من الأنظمة العربية لمحاربة المد الشيوعي كما يزعمون ، وكانت الدول الغربية هي من تدعم وكالة الغوث لإغاثة الشعب الفلسطيني تغذية ودراسة وعلاجا .. إذن الدعم السوفيتي والصيني للصراع الكبير بين زعماء العالم وأقطابه ليس إلا .

الفكر القومي كانت بدايته الأولى ظهرت في أوروبا الغربية بظهور الدول القومية بتوحيد فرنسا وإيطاليا وألمانيا ، وقلما تجد دولة أوروبية تتكلم بلغة واحدة ؛ فكان أوروبيا قبل انتقاله للشرق ودول العالم الأخرى . . وانتشرت القومية في الشرق مطلع القرن العشرين .. ولما بدأت الدول العربية تستقل عن الاستعباد الفرنسي والبريطاني شاعت القومية وتأججت بثورة أو انقلاب مصر على الملكية بمصر ثم سوريا والعراق واليمن فبرزت وأصبحت شعارا للأحزاب القومية ، وحركة القوميين العرب ظهرت في لبنان تحلم أن تجمع العرب بقومية واحدة ، هكذا سافر أخي سمور الذي لم يكن مسلحا بالدين والإيمان إلى بلغاريا ليدرس الهندسة .. سافر شقيقي إلى بلغاريا بعد أحداث الأردن وتعلم الهندسة والإلحاد وتضايق منه أبي في أول الأمر ثم اعتاد على ذلك الإلحاد ويقول " ماذا افعل لشاب أطول مني ومتعلم ؟" ثم نسي الأمر بعد رحيل أخي سريعا عن البيت والتحق أو عاد لخلايا الشيوعيين السرية في الأردن .. ورغم تحريم الشيوعية في بلادنا بقانون قديم كانت الدولة تغض الطرف عنهم نتيجة للصراع الدولي بين الغرب والاتحاد السوفيتي وما سمي بالحرب الباردة .

واحيانا أخرى تداهمهم أجهزة الأمن فتقبض على بعضهم ثم تحبسهم ثم يخرجون فتثير البلبلة في صفوفهم .. وكان لهم انتشار في الجامعات والنوادي والنقابات وبين المدرسين والأطباء والمهندسين وغيرهم .

وأخواتي الثلاثة كن يتزوجن قبل بلوغ الثانوية العامة ، ولم يكن لديهن الحماس للتوجيهي تزوجن من أقارب لنا في فلسطين والأردن ، فلنا أعمام لم يخرجوا من الضفة الغربية ، ولو بعد ٦٧ .

ولما انهى عاصم الثانوية كما قلت استطاع سمور أن يدبر له مقعدا في بلغاريا الشيوعية ودرس في نفس جامعة سمور .. وكلاهما رجع يحمل شهادة هندسة في عام ١٩٧٨ .. تأخر سمور سنة هناك

ليعود مع شقيقه عاصم .

نحن أبناء أسرة ريفية مغمورة ولكن أحداث فلسطين العاصفة منذ بداية الانتداب وربما قبله غيرت مسيرة حياة الكثير من القرويين المهاجرين من ديارهم وتهيأت لنا فرص التعليم والكفاح اكثر من بقية شعوب المنطقة .

في الأربعينيات من القرن العشرين بدأ يزداد انتشار الفكر الشيوعي في بلاد العرب ورافقه الفكر القومي والوطني لظهور الدول القومية في لبنان وسوريا والعراق .. وكذلك ظهرت الحركات الإسلامية كحركة الإخوان المسلمون في مصر وانتقلت لعدد من الدول العربية كالأردن وسوريا .. واخذ الاستعمار الرسمي والعسكري ينحسر شيئا فشيئا عن الأقطار العربية .. وظهرت الانقلابات العسكرية في سوريا ومصر والعراق واليمن .. وكانت نكبة فلسطين ضربة مدوية للعرب شرقيهم وغربيهم آسيويهم وأفريقيهم .. وبرزت الأمم المتحدة للوجود على موت عصبة الأمم وبدأ عملها بالاعتراف بإسرائيل ككيان يحق له الحياة في فلسطين .

إذن ظهرت إسرائيل العبرية اللسان كدولة بين الدول والقومية العربية ذات اللسان العربي .. والغريب أن النصارى العرب لهم وجود اكثر من اليهود في البلاد العربية ومع ذلك لم يكن لهم دولة قومية خاصة وإن حكموا لبنان المختلط بالوان من الطوائف، الرئيس ماروني ورئيس الوزراء سني ورئاسة مجلس النواب للشيعة .. والغريب أن الكرد لهم وجود في الوطن العربي ومع ذلك لم يظهر لهم كيان مستقل .. لماذا اليهود جعل لهم هذا الكيان ؟ وفي ارض فلسطين ؟ هل الغرب النووي بحاجة لهم لتمزيق أقطار العرب ؟ مأساة فلسطين لم تستوعبها الشعوب العربية ولا الإسلامية .. وذلك كالخلافة التي حذفت من الوجود قبل ٢٤ سنة من نكبة فلسطين .. لقد أصبحت الأمة دولا كثيرة ضعيفة مهيضة الجناح لقد تشتتنا في العالم العربي وأنحاء العالم .. وتعددت حركات تحرير فلسطين وكلها تخضع لمن يمول ويدفع لا استقلالية لها .. فنشأت منظمة التحرير لتحرير يافا وعكا وحيفا في عام ١٩٦٤ ثم أصبحت تسعى لتحرير نابلس ورام الله بعد اعترافها بقرار الأمم المتحدة ٢٤٢ وغيره ..

انتهت يافا وحيفا وعكا من قاموس التحرير ومن المية للمية . ثم وقعت هذه المنظمة بأحزابها الهلامية في حروب مأساوية مع الدول العربية ومع بعضها البعض بأسماء متفرقة ، في الأردن ولبنان .

عاد أخي سمور وعاصم من أوروبا الشرقية يحملان الفكر الشيوعي السطحي ويرون أنهم يسعون لتحرير الشعب الفلسطيني من نير

الصهيونية العالمية مع أن ستالين السوفييت زعيم الشيوعية الأول من أول الدول التي اعترفت بإسرائيل ككيان مستقل ، ويحق لها الحياة في فلسطين .. وللشيوعيين العرب في هذا الموقف تبريرات لهذا الاعتراف السريع لا يبررها الروس انفسهم .

المهم في حياة أسرتنا عاد الأخ مناضلا يساريا ووجد جفاء في البيت فترك البيت سريعا ومن خلال عمله ورفاقه ؛ كما يسميهم تعرف على ناشطة شيوعية مثله وبعد سنوات أصبحت زوجة غير شرعية فهم ينكرون الزواج الشرعي والمحاكم الشرعية ولكن للظروف وعادات البلد اضطرا لعمل عقد زواج في المحكمة الشرعية ، ولما تخرجت وفاء من الجامعة كان له منها طفلان ذكر وأنثى .

العودة

أنهيت الماجستير في مصر وعدت للوطن للحاجة للعمل لجمع المال لدراسة الدكتوراه وكان رجوعي صيف ١٩٨٥ وكانت الشرق الأوسط ما زال هائجا فقد اغتيل زعيم مصر وانتشرت الحركات الجهادية في مصر ولبنان وغيرهما وكانت الحرب في لبنان بين الشيعة الممثلة بحركة امل والمنظمات الفلسطينية القريبة من سوريا ، وظهور حزب شيعي آخر في لبنان ومدعوم من الخميني الإيراني ، وسبقت ذلك أحداث طرابلس بين منظمات فلسطينية مدعومة من سوريا وبقايا عناصر فتح التي لم تخرج من بيروت مع قوات المنظمة أو خرجت ثم تسللت عن طريق سوريا أو البحر .. كان شرق متكهرب وظهرت حركات تنازع الشيوعية في شرق أوروبا وبذات في بولندا بظهور حركة التضامن وظهرت الإصلاحات السوفيتية في عهد ميخائيل غورباتشوف التي اطلق عليها البيريسترويكا تعني إعادة الهيكلة « هي برنامج للإصلاحات الاقتصادية أطلقه رئيس للاتحاد السوفييتي، ميخائيل غورباتشوف وتشير إلى إعادة بناء اقتصاد الاتحاد السوفيتي ، صاحبت البيريسترويكا سياسة غلاسنوست والتي تعني الشفافية. بدأت مع استلامه الحكم ١٩٨٥ ، يطرح البعض أن تلك السياستين أدتا إلي تفكك الاتحاد السوفيتي وتفككه سنة ١٩٩٠ .

شهدت الثورة الروسية عام ١٩١٧ تأسيس أول دولة شيوعية على مستوى العالم عُرِفت باسم اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية، عندما أطاح البلاشفة بالحكومة المؤقتة وحكموا الدولة بالعنف والديكتاتورية كما فعل هتلر وموسوليني فيما بعد ، خلال فترة ما بين الحربين العالميتين كانت الشيوعية تزداد شعبيتها في أجزاء كثيرة من

العالم، بسبب ظهورها القوي في روسيا وبغض العالم للرأسمالية الغربية والاستعمار ، والدعاية السوفيتية ودغدغة مشاعر التحرر من الاستبداد وكذلك في البلدات والمدن ، ونجمَ عن ذلك سلسلة من عمليات التطهير في العديد من البلدان بهدف تضييق الخناق على الحركة تسبّبت المقاومة العنيفة لهذا القمع في تصاعد التأييد للشيوعية في وسط وشرق أوروبا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا .

في المراحل الأولى من الحرب العالمية الثانية، عمِلت كل من ألمانيا النازية والاتحاد السوفيتي على غزو واحتلال دول أوروبا الشرقية بعد توقيع الاتفاق الألماني السوفييتي (اتفاق مولوتوف–ريبنتروب) رسميًا عُرِفت هذه المعاهدة العدوانية باسم معاهدة عدم الاعتداء بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي ، هي معاهدة وقعت في العاصمة السوفيتية موسكو في 23 أغسطس 1939 بين وزير الخارجية الألماني ريبنتروب ونظيره السوفيتي مولوتوف، نصت هذه المعاهدة على بقاء كل من ألمانيا النازية والاتحاد السوفيتي على الحياد في حالة تعرض أحد الطرفين لهجوم من طرف ثالث ، وقد تضمنت المعاهدة بروتوكولاً سرياً يقسم شمال وشرق أوروبا إلى مناطق نفوذ سوفيتي وألماني ترقباً لإعادة الترتيب السياسي والحدودي لهذه الدول .. سايكس بيكو جديد لكن ساحته أوروبا .

وعلى إثر هذا الاتفاق العدواني ، قامت ألمانيا هتلر في الأول من سبتمبر والاتحاد السوفيتي ستالين في ١٧ سبتمبر بمهاجمة بولندا واقتسامها بينهما ، ثم تلى ذلك ضم الاتحاد السوفيتي لإستونيا ولاتيفيا وليتوانيا ، قبل أن يهاجم فنلندا مجبراً إياها على التنازل على أجزاء من أراضيها بقيت اتفاقية عدم الاعتداء بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي سارية المفعول حتى 22 يونيو 1941 حينما أقدمت ألمانيا على غزو الاتحاد السوفيتي .. فانقلبت ألمانيا ضد الاتحاد السوفييتي وأقدمت على غزوه ؛ كانت معارك الجبهة الشرقية هذه الأكبر في التاريخ ، انضمّ الاتحاد السوفياتي على اثر غدر المانيا النازية للحلفاء وفي المؤتمرات التي عُقِدت في طهران ويالطا وافق الحلفاء على وضع أوروبا الوسطى والشرقية ضمن «مجال النفوذ السياسي السوفيتي». حارب الاتحاد السوفيتي الألمان واستطاع أخيرًا إيقافهم، ووصل إلى برلين قبل نهاية الحرب العالمية الثانية ، كانت الأيديولوجية النازية معادية للشيوعية، وقمع النازيون بوحشية الحركات الشيوعية في البلدان التي احتلوها ، لعب الشيوعيون دورًا مهمًّا في مقاومة النازيين في هذه البلدان عندما أجبر السوفييتيون الألمان على الانسحاب، تولّوا

السيطرة المؤقتة على هذه المناطق المدمّر بعد الحرب العالمية الثانية، أكّد السوفييت أن الشيوعيين الموالين لموسكو استولوا على السلطة في البلدان التي احتلّها السوفييتيون احتفظ السوفييت بقوّاتهم المنتشرة في جميع أنحاء هذه المناطق واختبرت وعانت هذه الدول الحرب الباردة، المرتبطة بميثاق وارسو، وعانت من التوتّرات المستمرّة مع الغرب الرأسمالي، المرتبط بحلف الناتو، وفي اقصى الشرق أرست الثورة الصينية الشيوعية في الصين في عام ١٩٤٩ سفينتها وسيطر ت على معظم البلاد وتخلصت من اليابانيين .

خلال الثورة الهنغارية التي قامت ضد السوفييت والشيوعية عام ١٩٥٦، وهي ثورة عفوية ضد الاستبداد اندلعت في عموم البلاد ، غزا الاتحاد السوفيتي المجر هنغاريا بهدف توطيد سيطرته ودعم الحزب الشيوعي فيها ، وبنفس الطريقة قمع الاتحاد السوفيتي ربيع براغ من خلال تنظيم غزو حلف وارسو للأراضي التشيكوسلوفاكية في عام ١٩٦٨، الانتفاضات كانت تثور وتخمد خلال الاحتلال السوفيتي لتلك البلدان ، أدّت الاضطرابات العمالية خلال عام ١٩٨٠ في بولندا إلى تشكيل حركة تضامن (اتحاد نقابة العمال البولندي)، بقيادة ليخ فاونسا، والتي أصبحت مع مرور الوقت قوّة سياسية مرعبة ، في ١٣ ديسمبر ١٩٨١، بدأ رئيس الوزراء البولندي فويتشخ ياروزلسكي حملة قمع ضد حركة التضامن من خلال إعلان العمل بالأحكام العرفية في بولندا ، وتعليق النقابة، وسجن جميع قادتها مؤقتًا.. لكن العفريت خرج من القمقم

على الرغم من أن العديد من دول الكتلة الشرقية قد حاولت إجراء بعض الإصلاحات الاقتصادية والسياسية الفاشلة والمحدودة منذ خمسينيات القرن العشرين (مثل الثورة الهنغارية عام ١٩٥٦ وربيع براغ ربيع ١٩٦٨)، إلا أن صعود الزعيم السوفيتي ذي الميول الإصلاحية ميخائيل غورباتشوف في عام ١٩٨٥ أشار إلى نحو المزيد من التحرّر ، خلال منتصف ثمانينيات القرن العشرين، بدأ جيل أصغر من العملاء السوفييت (أبارتشيك)، بقيادة غورباتشوف، في الدعوة إلى الإصلاح الجذري من أجل قلب سنوات الركود في زمن بريجنيف ، بعد عقود من النمو والحرب الباردة والفضاء ، كان الاتحاد السوفيتي يواجه الآن فترة من التدهور الاقتصادي الحاد وبحاجة إلى التقانة الغربية والتكنولوجيا الغربية والائتمانات للتعويض عن تراجعه المتزايد ، وقد زادت تكاليف الحفاظ على وجود قواته العسكرية في دول الحلف وارسو وحربه في أفغانستان المكلفة ، وتكاليف لجنة أمن الدولة «كيه بي جي»،

والإعانات المقدّمة إلى الدول الأجنبية العميلة من توتّر الاقتصاد السوفيتي المُحتضر ، فظهرت أولى علامات الإصلاح الرئيسي في عام ١٩٨٦ عندما أطلق غورباتشوف سياسة الغلاسنوست (الانفتاح) في الاتحاد السوفيتي، وأكّد الحاجة إلى البيريسترويكا (إعادة الهيكلة الاقتصادية).. فكانت الضربة القاضية لانكشاف عوار الاشتراكية الشيوعية التي أدت في سنوات قليلة إلى موته كما ماتت حضارات أخرى .. لم يطل نزاعه فاختفى ما يسمى الاتحاد السوفيتي وعادت روسيا للوجود باسم الاتحاد الروسي .

تفاجأ الكثير من قادة وزعماء لم حل بحلف وارسو والاتحاد السوفيتي وسرعة الانهيار .

***

نحن وإن كنا بعيدين عن عواصف العالم مباشرة كنا نتأثر كغيرنا بما يجري شرقا وغربا ؛ لأننا نحن وقود الحرب الباردة بين الأقطاب الكبار الخمسة ، لحقت بالجيش كخدمة علم تسمى أو التجنيد الإجباري ، لأنني أجلت الالتحاق حتى إنهاء الماجستير في الأزهر ، فعبد القادر التحق بالجيش مهندسا قبل رجوعي من مصر ، وأما سمور وعاصم وقبلهم سميح فلا يلحقون بخدمة العلم لأنهم اكبر من سن الخضوع للعلم ، ولما أنهيت دورة التأسيس والمشاة ألحقت بمدارس الثقافة العسكرية التابعة للجيش ، ولما مضى العامان اشتغلت محاضرا في كلية شريعة محلية وقدمت للعمل في دول الخليج العربي ولو لزمن محدود ، وكان أبي يلح علينا بالزواج من بنات أخيه عمي ماهر وكنت أتعذر بالسعي للدكتوراه قبل الانشغال بالمرأة والأطفال ، وطلب أخي سمور للعمل في مكتب الجبهة التي يسرت له البعثة في العراق في بغداد ، سمور مهندس ميكانيكي فيشرف على مصانع وماكينات تركيب وصيانة ، يقوم بأعمال تخص المكتب ، وليس موظفا في المكتب ، فترك زوجته وأطفاله وسافر ، وكانت الشيوعية العربية تهتز بقوة بسبب ضعفها الأصلي النابع من جذورها الأولى وبسبب التحركات في شرق أوروبا وظهور أحزاب تطالب بالإصلاح والانفتاح على الغرب والتكنولوجيا الغربية ، فكنت كلما التقي بشقيقي عاصم أتهكم عليه قائلا : ما بال السوفييت لا يتدخلون ببولندا كما فعلوا في هنغاريا وبراغ وألمانيا الشرقية .

فيرد بعصبية : لا تفرح كثيرا فغورباتشوف يسعى للإصلاح وليس للقضاء على الشيوعية .. الاقتصاد الاشتراكي عالمي غير مربوط بالشيوعية المشكلة تورطه في أفغانستان .. والإصلاح وتعديل القوانين شيء طبيعي في الدول وهو علامة صحة لا علامة ضعف .

قال عبد الرحيم : الصحف والتقارير الغربية تقول أن الوضع في روسيا والمعسكر الشرقي صعب .. هل يستطيع شخص ترميم إمبراطورية ملحدة ؟!

ـ الاقتصاد شيء والإلحاد الشيوعي شيء آخر .

ارفع صوتي فيه : اصحوا اصحوا يا جدعان .. عودوا إلى دينكم ..بولندا تصير وتتحرك إلى التحرر من ربقة الاستعمار الروسي من الشيوعية والاشتراكية .

فيجيب بحدة : هذا ما هو استعمار .. الشيوعية عملت على تحرير الناس من استعمار الغرب يا أستاذ ..ماذا فعلت لشعوب أمريكا اللاتينية وشعوب أفريقيا وللعرب

ـ لا شيء مجرد ثورات وضحايا .. حسن ما أخبار سيدك سمور ؟

فقال بعصبية : لا اعرف اتصل به واسمع منه أخباره .

فأزيد في امتعاضه وغيظه :حزبكم السري تحت الأرض على وشك الانهيار هنا .. وكثرت الانشقاقات بينكم والهروب من أحلامه العاجية .

فيقال مبررا : هذه سببها الدعم الغربي والدعم الشيوعي والصراع بين الصين والروس

قال عبد الرحيم : صراع قديم قبل موت ستالين وماو ..ما أخبار العم سمور ببغداد ؟

عاصم : ما أخبار الجيش ؟

ضحك عبد وقال : أنهيت خدمة العلم أين أنت ؟

أنا كما تعلم عملت مدرسا في مدارس الجيش بحكم شهادة الماجستير ليس كعبد القادر في سلاح الهندسة .. هل تتفقد زوجة سمور كما أوصاك ؟

رد بضيق : أخلاقها سيئة كلما امر عليها اجد عندها رجال تزعم أنهم يعملون معها ، فكلمت سمورا عنهم لأنني ارتبت فيها وفيهم فقال : سأعود قريبا وأرى من هم ؟ وتقول لي بكل وقاحة نحن مستغنون عن خدماتك يا مهندس عاصم .

ضحكت وقلت : ما زوجة شقيقك فاسدة من قبل زواجهم الرسمي خلفت طفلين قبل عقد الزواج ظنوا انفسهم في كيف أو براغ .

قال : أنا لم ارغب بالزواج من صاحباته ولا عن طريق سمور.. ووفاء لها علاقات قبل زواجها من سمور .. الشيوعية لا يهمها العفة والشرف .

ـ هو كيف ربط نفسه بها ؟

ـ تعرف عليها من خلال الحزب الشيوعي وكانت في أخر سنوات الجامعة وهي مهندسة مثلنا وتعلقت به اكثر من غيره ومع الوقت حملت منه ولم تعمل إجهاض ولم يتزوجا رسميا إلا بعد الحمل الثاني

فقال : ولماذا تزوجا رسميا ؟

ـ القانون والمدارس في المستقبل لسنا في موسكو أو برلين الشرقية .. وأهلها تعقدوا لأنهم كانوا يفكرون بإرسال الطفل الأول لجمعيات أوروبية تتبناه وتتولى أمره كما تفعل الكثير من نساء أوروبا

عقبت قائلا : جمعيات اللقطاء وجمعيات التنصير .. أكيد للشيوعيين جمعيات للأطفال

هزّ رأسه وردد : نعم ، جمعيات اللقطاء

قال عبد مستهجنا الصورة : كيف تعيشون هذه الحياة الحيوانية ؟

فلسف الجواب فقال : أنت ترى الأمر صعبا بحكم التمسك بالعادات والتقاليد ونحن لما تخلينا عنها أو عن أكثرها نرى الأمر طبيعيا وعاديا

هتفت قائلا : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به .. وهل يضمن أخوك أن الأبناء من صلبه ؟!

فكر عاصم للحظات قبل الرد : لا أحد يضمن أن الأبناء من صلبه ..إنما هي غلبة ظن .. أنا عيلتي متدينة مثلك كما تعلم ، ولا تؤمن بشيء اسمه الإلحاد هل اضمن أنها لا تخونني ؟

قال عبد الرحيم : الشريفة العفيفة عفيفة ويهمها شرفها من اجل دينها وربها وليس من أجل أبيها وزوجها كثيرا ما نسمع عن قصص خونة لزوجاتهم وهن صابرات رضين بنصيبهن ولم يفعلن مثل بعولتهن .. والأيام يا أبا حاتم تكشف الخائنة والعفيفة .. وماذا تتوقع أن يفعل أخوك بأصدقاء زوجته ؟

ـ لا شيء .. سمور ضعيف أراه معها وحيالها .. فهي تعلم أنه يعاشر غيرها .. فهل تراه يصبر عن النساء في بغداد وعن الخمور ؟!

فقال : حقيقة يا عاصم يصعب عليّ الرضا بمثل هكذا أفعال .. اذكر أننا سمعنا أن الاتحاد الشيوعي أباح النساء لكل الرجال والرجال لكل النساء كما يذكرون عن الشيوعية الأولى التي لا يعرفها إلا الشيوعيون ثم فشلت التجربة سموها تجربة لانتشار أمراض الجنس بينهم فأوقافها سيدكم ستالين .. فلنسأل الآن عبد الثاني ..ما أخبار عبد القادر ؟

ضحك عاصم وقال : أنت عبد رقم واحد قضى الخدمة الإلزامية خدمة الجيش في أخر سبتمبر وقد يخطب ابنة ضابط تعرف عليه أثناء الخدمة .

ـ ابنته أو أخته أنا سمعت مرة أنها أخته عملا في موقع واحد

ـ ربما أخته كما قلت نسيت بالضبط .. مشكلة عبد انه قرف النساء قبل أن يتزوج ولا يثق بامرأة مما عرفه أثناء الجامعة .. وقد يهاجر لكندا بسعيها فلها أقارب هناك فهذا سبب اختيارها

قال عبد آسفا : ضيعتم عبد القادر بأفكاركم السوداء

ـ كل عاقل عقله برأسه يا سيد عبد الرحيم ماذا

ستفعل الآن ؟.. فهو كان مؤهلا للتنوير وترك الرجعية والتخلف .. كأنك رحت للقاهرة لدراسة الشيوعية من الأشرطة التي رأيتها في بيت أبي .

ضحك عبد الرحيم وقال : أي تنوير ببعدكم عن الدين يا مهندس عاصم ؟ التنوير في ديننا .. الأوروبيون ثاروا على الدين لأنه ليس بدين مجرد أسماء ورموز ..وهل ترى عيسى كان يصلي بدون وضوء كما يفعل نصارى اليوم ويهود اليوم ؟

ـ لا اعرف ؛ إنما هو دين مثل دينكم

قال : مساكين انتم ..سأعمل مدرسا لفترة وادرس الدكتوراه بمساعدة العزيز سميح

ـ ظننت انك ستتزوج بأموال التدريس في العسكرية .

قال باسما : سأعمل صباحا وأدرس مساء وأتزوج قريبا مثل عبد القادر

ـ أين ستسكن ؟

قال : في أول الأمر سأعيش مع أبي فهو يريد ذلك تحدثنا بذلك .. مصر دنيا العجايب فهذه الأشرطة أكثرها عن الماركسية فاسمع بعضها لعلك تنتفع ببعضها وتترك الفكر الأحمق أو تعمل إصلاح لفكرك كما يفعل زعيم الشيوعية الأول

قال : أنا أصلا تخليت عن الحزب اثر نزاع شخصي

ـ خبر جميل ومبشر يا عاصم !

حركة الإصلاح في حلف وارسو وشرق أوروبا نشطت في منتصف الثمانينات وآخر العقد حتى في دول القوقاز ذات الصبغة الإسلامية التي خضعت للقوة الروسية الغاشمة أيام لينين وستالين بأحزاب شيوعية عميلة ، كانت الاشتراكية تكتسب زخمًا بين مواطني الطبقة العاملة في العالم منذ القرن التاسع عشر ، وبلغ هذا الزخم ذروته في أوائل القرن العشرين عندما شكّلت عدة ولايات ومستعمرات أحزابها الشيوعية الخاصة بها ، كان للعديد من البلدان المعنية هياكل هرمية ذات حكومات ملكية وهياكل اجتماعية أرستقراطية بالإضافة إلى طبقة راسخة من النبلاء، كانت الاشتراكية غير مرحّبٍ بها في أوساط الطبقات الحاكمة (التي بدأت تشمل قادة الأعمال الصناعية) في أواخر القرن التاسع عشر/ أوائل القرن العشرين؛ على هذا الأساس، قُمِعت الشيوعية كحزب وحركة ، عانى أبطالها من الاضطهاد بينما كان الناس محبطين من تبنيها ،كانت هذه هي الممارسة المُتّبعة حتى في الدول التي يُعرف عنها تبني نظامٍ متعدّد الأحزاب.

على الرغم من أن العديد من دول الكتلة الشرقية قد حاولت إجراء بعض الإصلاحات الاقتصادية

والسياسية الفاشلة والمحدودة منذ خمسينيات القرن العشرين (مثل الثورة الهنغارية عام ١٩٥٦ وربيع براغ ربيع ١٩٦٨)، إلا أن صعود الزعيم السوفيتي ذي الميول الإصلاحية ميخائيل غورباتشوف في عام ١٩٨٥ دفع نحو المزيد من التحرّر في الأمن والاقتصاد خلال منتصف ثمانينيات القرن العشرين، بدأ جيل أصغر من العملاء السوفيت (أبارتشيك)، بقيادة غورباتشوف، في الدعوة إلى الإصلاح الجذري من أجل قلب سنوات الركود في فترة حكم الزعيم بريجنيف بعد عقود من النمو، كان الاتحاد السوفيتي يواجه الآن فترة من التدهور الاقتصادي الحاد وبحاجة إلى التقانة الغربية .

لم يختبر الاتحاد السوفيتي نقاشًا حيويًا حول وسائل الإعلام فحسب، بل كان قد عقد أيضًا أول انتخابات متعددة المرشحين في مجلس نوّاب الشعب الدوما بينما دعا الغلاسنوست ظاهريًا إلى الانفتاح والنقد السياسي، إلا أنه كان مسموحًا به فقط ضمن نطاق ضيق تمليه الدولة كان الرأي العام في الكتلة الشرقية لا يزال يخضع لرقابة الشرطة السرية والقمع السياسي.

وحثّ غورباتشوف نظرائه في وسط وجنوب شرق أوروبا على محاكاة البيريسترويكا والغلاسنوست في بلدانهم ومع ذلك، في حين تشجيع قوّة التحرير، التي انتشرت من الشرق، للإصلاحيين في المجر وبولندا، بقيت دول الكتلة الشرقية الأخرى في حالة شكٍّ علني وأظهرت عدم رغبتها بإجراء أيّ إصلاحات ظنًّا منهم بأن مبادرات إصلاح غورباتشوف ستكون قصيرة الأمد ، تجاهل الحكام الشيوعيون المتشدّدون مثل إريش هونيكر رئيس شرق ألمانيا، وتيودور جيفكوف رئيس بلغاريا، وغوستاف هوساك رئيس تشيكوسلوفاكيا، ونيكولاي تشاوتشيسكو رئيس رومانيا، دعوات التغيير وقال أحد أعضاء المكتب السياسي لألمانيا الشرقية: «عندما يعلّق جارك خلفية جديدة، فهذا لا يعني أن عليك فعل ذلك أيضًا "

بحلول أواخر الثمانينات، كان الناس في دول القوقاز ودول البلطيق يطالبون بمزيد من الحكم الذاتي من موسكو، وكان الكرملين يفقد بعضًا من سيطرته على مناطق وعناصر معينة داخل حدود الاتحاد السوفيتي ، في نوفمبر ١٩٨٨ أصدرت جمهورية إستونيا السوفيتية الاشتراكية إعلانًا بالسيادة، مما كان سيؤدي في النهاية إلى تحفيز دول أخرى على إصدار إعلانات مماثلة عن الحكم الذاتي .

كان لكارثة محطة تشيرنوبل النووية القابعة في أوكرانيا في أبريل ١٩٨٦ آثارٌ سياسية واجتماعية

رئيسية حفّزت أو تسبّبت جزئيًا على الأقل في اندلاع ثورات ١٩٨٩ ، فقد بدت سلطات موسكو عاجزة بالتخفيف من وقعها وأضرارها على الاتحاد وعلى أوروبا الغربية ، وكانت إحدى النتائج السياسية للكارثة هي الأهمية المتزايدة للسياسة السوفيتية الجديدة في الغلاسنوست ، من الصعب تحديد الكلفة الاقتصادية الإجمالية للكارثة وفقًا لغورباتشوف، أنفق الاتحاد السوفيتي (ما يعادل ١٨ مليار دولار في ذلك الوقت) على احتواء وإزالة التلوث، وهذا ما يُعتبر إفلاسًا من الناحية العملية.

الحاد الدولة

الإلحاد لم يكن ابن القرن العشرين فهو قديم ، الحاد الدولة هو الجديد ، فقد وجدت مجموعات تتبني الإلحاد في التاريخ الإنساني ، أما فرضه بالقوة والدعاية له فهذا ما كان في روسيا والصين أمريكا وأوروبا فيهما ملحدون ؛ لكنه لم يكن على نطاق الدولة وتبنيه رسميا هو من ضمن الحرية الشخصية والفردية ، أما الاتحاد السوفيتي فهو الترويج الرسمي للإلحاد من قبل الحكومة، مع قمع فعلي للحرية الدينية وممارسة الشعائر لكل الناس والأديان وعلى النقيض من ذلك ، فإن الدولة العلمانية تهدف إلى أن تكون محايدة رسميا في مسائل الدين ، ولا تدعم الدين ولا تعارضه ، قد يشير مصطلح إلحاد الدولة إلى الحكومة المناهضة لرجال الدين، حيث تعارض السلطة المؤسسية الدينية وتأثير الدين في جميع جوانب الحياة العامة والسياسية، بما في ذلك تورط الدين في الحياة اليوميَّة للمواطن ، كان لكل من الجمهورية الروسية السوفيتية الاتحادية الاشتراكية

(1917 -1991) والاتحاد السوفياتي-1991)

(1922تاريخًا طويلاً من تعزيز الإلحاد في الدولة ، على امتداد تاريخ الاتحاد السوفيتي أي قمعت السلطات السوفياتية واضطهدت مختلف أشكال المسيحية والدينية بدرجات مختلفة تبعًا لحقبة محددة إن السياسة السوفياتية المعتمدة على الأيديولوجية الماركسية اللينينة ، جعلت الإلحاد المذهب الرسمي للإتحاد السوفيتي ، وقد دعت الماركسية اللينينية باستمرار السيطرة والقمع، والقضاء على المعتقدات الدينية وكانت الدولة ملتزمة بهدم كل دين في بلد يحكم بالشيوعية ودمرت الكنائس والمساجد والمعابد، سَخِرت من القيادات الدينية وعرضتهم للمضايقات ونفذت بهم أحكام الإعدام، وأغرقت المدارس ووسائل الإعلام بتعاليم الإلحاد ، وبشكل عام روجت للإلحاد على أنه الحقيقة التي يجب على المجتمع تقبلها للقضاء على أفيون

وحشيش العامة والبسطاء ، العدد الإجمالي لضحايا سياسات دولة السوفييت الإلحادية من المسيحيين تم تقديره بما يتراوح بين ١٢–٢٠ مليون والمسلمون اكثر من ذلك سواء في القوقاز والشيشان وتركستان الشرقية والغربية ومع ذلك استمرت المعتقدات والممارسات الدينية بين الغالبية العظمى من السكان، في الميادين المحلية والخاصة ولكن أيضًا في الأماكن العامة المنتشرة المسموح بها من قبل الدولة التي اعترفت بفشلها في استئصال الدين والأخطار السياسية من اندلاع حرب ثقافية لا هوادة فيها تُعد الدولة الشيوعية في الخطاب المُتعارف عليه، دولة يتميز حكمها بشكل عام بحكم معين، وهو حكم الحزب الواحد أو حكم الحزب المسيطر الذي يكون حزبًا شيوعيًا، ويتمثل مبدأ الدولة في الولاء المعلن والمتفق عليه للإيديولوجية الشيوعية اللينينية أو الماركسية اللينينية. مصطلح الشيوعية يشير إلى مجموعة أفكار في التنظيم السياسي والمجتمعي مبنية على الملكية المشتركة لوسائل الإنتاج في الاقتصاد ؛ تؤدي بحسب منظريها إلى إنهاء الطبقية الاجتماعية وإلى تغيّر مجتمعي يؤدي إلى انتفاء الحاجة للمال ومنظومة الدولة وفي العلوم السياسية والاجتماعية هي أيدلوجية اجتماعية اقتصادية سياسية وحركة هدفها الأساسي تأسيس مجتمع شيوعي بنظام اجتماعي اقتصادي مبني على الملكية المشتركة لوسائل الإنتاج في ظل غياب الطبقات المجتمعية والمال ومنظومة الدولة يختلف المعنى الدقيق للشيوعية وغالبًا ما يُخلَط بينها وبين الاشتراكية في الخطاب السياسي العام ، النظرية الماركسية تؤكد أن الاشتراكية ما هي إلا مرحلة انتقالية في الطريق إلى الشيوعية، ولكن اللينينيون قاموا بمراجعة هذه النظرية عن طريق تقديم مفهوم حزب الطليعة للثورة البروليتارية والتحكم بجميع القوى السياسية بعد الثورة باسم العمال وبمشاركهم في المرحلة الانتقالية بين الرأسمالية والاشتراكية ، فالشيوعية نظرية اجتماعية وحركة سياسية ترمي إلى السيطرة على المجتمع ومقدّراته لصالح أفراد المجتمع بالتساوي ولا يمتاز فرد عن آخر بالمزايا التي تعود على المجتمع وتعدّ الشيوعية الماركسية تيّارًا تاريخيًّا من التيارات المعاصرة الأب الروحي للنظرية الشيوعية هو كارل ماركس، ويعدّ فلاديمير لينين من أهم من توغل في النظرية الشيوعية وأسهم في الكتابات والتطبيق فيها. ويذكر أيضًا روزا لكسمبورغ – 1919) (1871كفيلسوفة ومنظّرة نشطت حتى اغتيالها.كان لدى مؤسس الماركسية ومنظّرها الرئيسي، المفكر الألماني كارل ماركس في القرن

التاسع عشر، موقف متناقض تجاه الدين، إذ اعتبره في الأساس «أفيون الشعب» الذي استخدمته الطبقات الحاكمة لإعطاء الطبقات العاملة أملًا زائفًا لآلاف السنين، كما أدرك أنه شكل من أشكال الاحتجاج من قبل الطبقات العاملة ضد ظروفهم الاقتصادية السيئة في التفسير الماركسي اللينيني للنظرية الماركسية، التي طورها في المقام الأول الثوري الروسي فلاديمير لينين، اندلع الفكر الإلحادي من المادية الجدلية ويحاول تفسير الدين وانتقاده.

يقول لينين: الدين هو أفيون الشعب – هذا القول المأثور لماركس، هو حجر الأساس في النظرة الماركسية العامة للدين لطالما اعتبرت الماركسية جميع الأديان والكنائس الحديثة وكل منظمة دينية عمومًا، أدوات رد فعل تعمل على الدفاع عن استغلال الطبقة البرجوازية للطبقة العاملة

على الرغم من كون ماركس ولينين ملحدين، إلا أنه يوجد العديد من الجماعات الشيوعية الدينية، بما في ذلك الشيوعيين المسيحيين.

كانت الرابطة «منظمة مستقلة اسميًّا، أنشأها الحزب الشيوعي لتعزيز نشر فكرة الإلحاد». ونشرت صحيفتها الخاصة بها بالإضافة إلى مجلات عديدة ، ورعت محاضرات ونظمت مظاهرات للسخرية من الدين والتشجيع على نشر الإلحاد

نُفذت الدعاية المناهضة للدين والمُدافعة عن الإلحاد في كل جزء من الحياة السوفيتية، بداية من المدارس وصولًا إلى وسائل الإعلام وحتى إلى استبدال الطقوس الدينية لتحل محلها طقوس أخرى على الرغم من تقديم لينين في الأصل التقويم الغريغوري إلى السوفييتين، إلا أن الجهود اللاحقة لإعادة تنظيم أيام الأسبوع لتحسين إنتاجية العمال شهدت ظهور التقويم الثوري السوفيتي، والذي كان له تأثير جانبي، إذ كان من النادر أن يكون يوم الأحد عطلة خلال حوالي عام من الثورة، صادرت الدولة جميع ممتلكات الكنيسة، بما في ذلك الكنائس نفسها، وفي الفترة التي استمرت من ١٩٢٢ إلى ١٩٢٦، قُتل ٢٨ أسقفًا أرثوذكسيًا روسيًا وأكثر من ١٢٠٠ كاهنًا (تعرض عدد أكبر بكثير للاضطهاد) أغلقت معظم معاهد التعليم الدينية، وحُظر نشر الكتابات الدينية قدر اجتماع لجنة الأديان التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعي لعموم الاتحاد البلاشفة الذي انعقد في ٢٣ مايو ١٩٢٩، نسبة المؤمنين في الاتحاد السوفيتي بـ ٨٠ في المئة، ويمكن تقدير هذه النسبة المئوية لإثبات نجاح الصراع مع الدين كانت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية تضم ٥٤٠٠٠ أبرشيًا قبل الحرب العالمية الأولى، خُفض هذا الرقم ليصل إلى ٥٠٠ بحلول عام ١٩٤٠.

وبصورة عامة، بحلول ذلك العام نفسه، أغلقت ٩٠ في المئة من الكنائس والمعابد اليهودية والمساجد التي كانت تعمل في عام ١٩١٧، قسرًا، إذ أنها حُولت أو دُمرت .

على الرغم من محاولات الاتحاد السوفيتي المتعددة للقضاء على الدين والفظائع التي ارتكبت ، إلا أن الاتحاد السوفيتي السابق والدول المعادية للدين، مثل أرمينيا وكازاخستان وأوزبكستان وتركمانستان وقيرغيزستان وطاجيكستان وبيلاروسيا ومولدوفا وجورجيا، يعيش فيها أعداد كبيرة من السكان المتدينين. كتب بروفيسور الفلسفة والفكر الديني نيلز كريستيان نيلسن الذي كان يعمل بجامعة رايس، أن سكان «ما بعد الاتحاد السوفيتي»، وتحديدًا في المناطق التي كانت في الغالب أرثوذكسية، هي الآن «أمّية تقريبًا فيما يتعلق بالدين»، ما جعلهم يفتقرون العلم بالجوانب الفكرية أو الفلسفية لدينهم وليس لديهم تقريبا أي علم بالأديان الأخرى.

***

انهى عبد الرحيم الدكتوراه سنة ١٩٨٩ وأخذ يستعد للسفر والعمل في جامعة سعودية ، وكان قد تزوج قريبة لأبيه عام ١٩٨٨ ، فتاة كانت تعمل في سلك التعليم ، وكان يتحدث مع سمور وعاصم في بيت الوالد المريض تلك الفترة وخرجوا من حجرة نوم محسن وانتقلوا إلى صالون الشقة ثلاثتهم وتركوا سميحا والبنات عنده .فقال عبد الرحيم متسليا : ما بال الروس يتمللون هل فشلت البروسترايكا أو البريكستوريكايا ؟

قال سمور وهو يشعل سيجارته : لعلك شامت بنا .. فنحن غير الروس .. نحن لم نحكم سوى في اليمن الجنوبي أو لم نجربه إلا هناك .

هنف عبد : افشل نظام عربي وافقر بلد عربي ..وبالعنف والقتل تحكمون .. أنتم اكبر حركة دموية في العالم وفي التاريخ ربما تفوقتم على الأوربيين الذين ذبحوا الهنود الحمر .. أي سبقتم هتلر في التطهير .. لقد قتلت الشيوعية على مستوى العالم اكثر من مائة مليون بالتطهيرات العرقية بالإبادة الجماعية بالجوع والمجاعات كما حدث في الصين بعد ثورة صاحبكم ماو تسي تونغ في منتصف الخمسينات أو مطلع الستينات

قال عاصم : لم يقتل احد هنا

تبسم عبد الرحيم لجواب عاصم وقال : حزبكم هنا حزب ضعيف، ولم يحكم هنا ، حتى في الانتخابات يفشل أو يفوز عضو أو اثنان باسمهم الشخصي ليس باسم الحزب .. وسمعنا عن شيوعيي اليمن الجنوبي واشتراكية سوريا وليبيا والعراق فأينما حكم الشيوعيون وأشباههم تجري الدماء الحمراء دون حساب

قال عاصم : أين عبد القادر ؟ لم يطل على أبيه .

قال سمور : يستعد للسفر إلى الخليج واتصل بي أنه سيمر الليلة

قال عبد الرحيم : سمعت انه قد يهاجر لكندا أو الولايات الأمريكية

ـ يفكر ما زال يفكر .. سيعمل سنة واحدة في الخليج ثم يسافر لكندا

سأل عبد عن زوجة سمور : ما جرى لزوجتك بعد تلك العملية ؟

ـ تكاد تموت ، وأنا منذ عدت من بغداد تركتها ولم نتطلق رسميا من اجل الطفلين وقد اتفقنا على ذلك نتواصل من اجل الطفلين .. وقد يحدث الطلاق رسميا بعد هذه الأزمة .

فقال عاصم مازحا : لماذا لا تتزوج ؟ فبنات الحزب العوانس كثيرات

تطلع فيه وقال جادا : فكرت ولكن .. لماذا ارتبط بامرأة بعقد شرعي وهن لا يهتممن به ؟ مجرد ورقة أمام الدولة وأهليهن .

فقال عبد الرحيم بحيرة : حياتكم غريبة ! لا ادري كيف تسلم أنثى نفسها لذكر بدون زواج ولا تراه فاحشة وزنا ؟ أو تحمل منه ؟

ـ خشية الطلاق وسماع كلمة الخيانة الزوجية من قبل الطرفين .

قال عاصم مدافعا عن نفسه : أنا منذ تزوجت لم ازنِ يا عبد الرحيم .. انتم الذين تسمونه زنى شعوب الأرض تسميه صداقة وحب .. أنا خفت من أمراض الجنس ..فهنا المرض فضيحة .

قال : هو زنا في كل العالم بغض النظر عن المسميات .. أي علاقة جنسية بدون وثيقة أو اتفاق رسمي وقانوني هي زنا ..وإن سموه بأسماء لماعة كما يسمون الربا أرباح أو فائدة والخمر مشروبات روحية والرقص فن .. وغير ذلك من الاصطلاحات الماكرة والخبيثة .. أو حتى بوي فرند أو عرفي .

قال سمور مفلسفا الحكمة : احسن من مصاريف على الزوجة .. مرضت الزوجة نقلها للمستشفى .. تخيل كم سأنفق لو لم اطلق وفاء شفويا واتفاقا مع أهلها عندما مرضت من اشهر .. كم سأنفق عليها ؟

فقال عاصم مبررا : وفاء غنية يا سمور .

ـ المهم سأساهم

قال عاصم باسما : ستبقى امرأتك ما لم توثق الطلاق بورقة .. ما يقول دكتور الشريعة في دخان سمور ؟

صدرت ضحكة من الجميع وقال عبد : تركت الخمر يا عاصم !

ـ على الخفيف .. لم تجب على سؤالي

ـ لما يدخل الإسلام سيعرف الجواب

قال سمور : متى سفرك ؟

ـ سأسافر وحدي ولما تلد السيدة الكريمة ستلحق بي .. ووصيت سميحا على رعايتها حتى تتعافى وتلحق به .

قال عاصم : عرفتم جنس المولود أم لا يجوز .

ـ تقول الطبيبة ولادة يوسف بنت والله اعلم وأبي يرغب بتسميتها فاطمة .

قال سمور : أوه اسم زوجته !

موت المعسكر الشرقي

بدأت حركات التحرر من الأحزاب الشيوعية والنظم الديكتاتورية في بولندا التي أسقطت نظاما شيوعيا شموليا عنيفا تابعا من عقود لموسكو ، بدأت الحركة الديمقراطية بالصعود في بداية الثمانينات إلى أن تمكنت عام 1989 من تشكيل أول حكومة بدون رئيس شيوعي وهو ليخ فاونسا أصبح عام 1990 أول رئيس منتخب للبلاد وامتدت فترته لعام ١٩٩٥ .

العدوى انتقلت سريعا لكل أوروبا الشرقية واشدها عنفا ودموية في الدولة الرومانية كانت فترة من أعمال العنف والشغب بدأت في ١٦ ديسمبر عام ١٩٨٩ كجزء من ثورات ١٩٨٩ التي حدثت في بعض البلدان بالأخص البلدان التي كانت جزء من الكتلة الشيوعية ، انتهت الثورة بمحاكمة شكلية وإعدام رئيس الحزب الشيوعي الروماني نيكولاي تشاوشيسكو وزوجته إلينا ، وبذلك انتهي الحكم الشيوعي في رومانيا بعد حكم دام ٤٢ عاما، وكانت أيضا أخر إطاحة بحكومة ماركسية–لينينية في حلف وارسو في أعقاب ثورات ١٩٨٩ والوحيدة التي قامت بالعنف . ثم جاء بعد بولندا الدور على المجر النظام هناك الذي تشجع لما رآه من غورباتشوف والحلفاء في الاتحاد السوفيتي ، مد يده إلى المعارضين أملاً في احتواء حالة الغضب بإصلاحات قليلة لكن سرعان ما سقط النظام القديم تحت جحافل المطالبين بالديمقراطية من الإصلاحات التي تمت فتحت الحدود بين المجر والنمسا، وهو أول مُسمار يتم دقه في نعش "الستار الحديدي" الذي فصل الكتلة الشرقية عن الغرب ساعد هذا على نشر حمّى الثورة إلى ألمانيا الشرقية ، الدولة الأقوى اقتصادياً من بين الدول التابعة للاتحاد السوفيتي وراح الآلاف من أبناء ألمانيا الشرقية يقضون "إجازاتهم" في المجر، ومنها يعبرون إلى الغرب ، نظام ألمانيا الشرقية الذي كان يقوده إريش هونيكر المتشدد، حاول احتواء الأزمة، لكن الضغوط بدأت في إحداث تصدعات تمت إزاحة هونيكر عن منصبه، وحل محله "الإصلاحي" إيجون كرينز زار كرينز جورباتشوف في موسكو بنهاية شهر أكتوبر،

حيث قال جورباتشوف إنه لن يدعم استخدام القوة لمحاولة وقف تدفق اللاجئين من الشرق للغرب وعلى خطى ألمانيا الشرقية ، سارت كلّ من تشيكوسلوفاكيا وبلغاريا ، فالمرحلة الانتقالية بدأت في تشيكوسلوفاكيا في تشرين الثاني، وكانت جدّ سلميّة ولذا عُرفت بـ الثورة المخملية فاصبحت دولة للتشيك وأخرى سلوفاكيا وأصبح المنشقّ والكاتب المسرحي فاتسلاف هافيل، دوبتشيك في العام ١٩٨٩ رئيساً.

على رأس الحزب الشيوعي السوفيتي اللجنة المركزية المنتخبة من قبل مؤتمر الحزب والمؤتمرات الأخرى وتتولى اللجنة المركزية بدورها انتخاب المكتب السياسي للحزب الذي يرأسه أمين عام وبحكم الأمر الواقع فإن الأمانة العامة أعلى منصب سياسي في الاتحاد السوفيتي

حافظ الحزب على هيمنته الكاملة على الحياة السياسية في الاتحاد السوفيتي من خلال سيطرته على التعيينات ،والمناصب الحكومية الهامة والقيادية ، وعضوية مجلس السوفييت الأعلى شغلت من قبل كبار أعضاء الحزب من ستالين وخروتشيف الذين شغلا منصب رئيس مجلس الدولة.

الحرب الباردة هي فترة من التوتر الجغرافي السياسي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وحلفائهم، الكتلة الغربية والكتلة الشرقية، والتي بدأت في أعقاب الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ يُستخدم مصطلح الحرب الباردة للدلالة على عدم اندلاع قتال مباشر واسع النطاق بين القوتين العظميين ، إلا أن كل منهما دعم النزاعات الإقليمية الكبرى المعروفة باسم الحروب بالوكالة ، فكل النزاعات بين دول العالم الثالث بسبب الصراع بين الولايات المتحدة وروسيا دار النزاع حول الصراع الأيديولوجي والجيوسياسي من أجل تحقيق القوتين العظميين النفوذ العالمي ، وذلك عقب تحالفهما المؤقت وانتصارهما ضد ألمانيا النازية في عام ١٩٤٥ ، علاوة على تطوير الترسانات النووية والانتشار العسكري التقليدي ، جرى التعبير عن الكفاح لتحقيق الهيمنة بوسائل غير مباشرة كالحرب النفسية ، والحملات الدعائية، والتجسس، وعمليات الحظر طويلة الأمد، والتنافس في المحافل الرياضية، والسباق التكنولوجي وغزو الفضاء والأقمار الصناعية سعت بعض الدول الكبيرة العدد أن تشكل طرفا ثالثا أمام هذين المعسكرين فشكلوا في الخمسينات منظمة عدم الانحياز أي الانحياز لأحدى الكتلتين ولكنها منظمة ضعيفة وغي منحازة ، فاغلب دولها إما تابعة للشرق وإما للغرب ، وهي في حروب دائمة ومتكررة فالعرب مشغولون

بمقارعة إسرائيل وحروب بين بعضهم البعض أو حروب أهلية وكل الأطراف تعتمد على تسليح وسلاح احد المعسكرين فمن أين سيأتي عدم الانحياز .

بعد تدهور الأوضاع في الاتحاد السوفيتي ووعود غورباتشوف بالإصلاح الاقتصادي وخفض التوتر الأمريكي السوفيتي تفكك الاتحاد السوفيتي بعدما وصل بوريس يلتسن إلى الحكم في روسيا وإعلان رابطة الدول المستقلة.. وفشل الإصلاح في كل المعسكر الشرقي وظهرت أحزاب متعددة في كل الدول الاشتراكية الروسية بعد اتفاقية حل الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ تم إعلان رابطة الدول المستقلة وأصبح بوريس يلتسن أول رئيس للاتحاد الروسي بعدما تفكك الاتحاد السوفيتي وسقوط النظام الشيوعي ولكن رغم سقوط الاشتراكية في روسيا شُكِّلَ فيها الحزب الشيوعي لروسيا الاتحادية.

أتت ثورات ١٩٨٩ المعروفة أيضًا باسم سقوط الشيوعية وانهيار الشيوعية وثورات أوروبا الشرقية وخريف الدول هي الثورات أطاحت بالدول الشيوعية في مناطق مختلفة في دول أوروبا الوسطى والشرقية ، تم حل الاتحاد السوفيتي بحلول نهاية عام ١٩٩١م، مما نتج عنه ميلاد ١٤ دولة في أوروبا واسيا .

***

كتب عبد الرحيم رسالة مطولة لسمور وعاصم يهنئهم فيها بتفكك الاتحاد السوفيتي زعيم الشيوعية في كل العالم ، ويبارك انتصار الشعوب على الإلحاد ، ويدعوهم لترك أحلام حكم العالم ووصول الناس لطبقة أو المرحلة الشيوعية حلم الشيوعيين ماركس وانجلز صاحبا البيان الشيوعي الأول عام ١٨٤٨ ، وإنما هي وسيلة اتخذوها لمحاربة الرأسمالية والكنيسة ثم الإسلام وقيام دولة إسرائيل الحلم الصهيوني حلم تيودور هيرتزل الدولة اليهودية الوحيدة في العالم مع أن ستالين صنع دولة أو جمهورية لليهود في روسيا ولم يهتم بها أي صهيوني أو يهودي .

كان الشباب العربي اليساري الملحد المتطرف المستغرق بانتظار ظهور دولة شيوعية عربية قوية مصدوما بسقوط زعيمهم ومحط رحالهم وفخرهم وتبرير خيانتهم لأمتهم ودينهم ، ولقد كانت أحلام كل ماركسي عربي شد الرحال لموسكو ورؤية الزعيم مجرد رؤية لينفش فيها ريشه أمام الناس ، فكيف من شارك في اجتماع مع الرئيس أو قادة الحزب ورثة لينين وستالين ، هناك من بكى على موت الماركسية الروسية واتهم غورباتشوف بالعميل والخائن الأكبر ، واتهم من استلم بعده بوريس يلتسن مخبرا أمريكيا ، ماتت دولة الحزب

الواحد قبلة وكعبة الشيوعيين العرب .. وكذلك صدمت أحزاب اليسار الفلسطيني من موت الاتحاد السوفيتي وزعموا انهم فقدوا سيدا مهما لهم ، وطفقوا يلملمون انفسهم والبحث عن أسماء جديدة لأحزابهم وتجمعاتهم وكثرت الأسماء في ساحات الوطن العربي من شرقه لغربه ، والمتلونون منهم اسرعوا إلى العلمانية الغربية عسى أن تقبل بهم بعد كفرهم بعلمانية الشيوعية .

كتب عبد الرحيم لعاصم الذي كان يراه ناعقا لسمور بالعودة للإسلام بدلا من العودة للرأسمالية الغربية ، فهذه بلاد ستبقى تدين بالتوحيد والإيمان رغم انفلات الناس شرقا وغربا ولكنهم لمجموع المسلمين لا شيء لا عدد رقم لا يذكر فكم من الغزاة دخل البلاد قديما وحديثا وظل العرب عربا والإسلام إسلاما ؛ إنما أبواقهم الإعلامية هي التي تنفخهم أمام العامة حتى يخيل إليك من سحرهم أن كل الشعب تبع لهم ولفكرهم وفسادهم ، وسياستهم الماكرة التضخيم والتهويل ، واذا هرع الناس مسايرة لصناديق الاقتراع تجد انهم لا شيء يفوز واحد أو اثنان لا تأثير لهم في صنع القرار وسياسة البلد وإنما يجاملون بالمناصب والكراسي لإرضاء من يدعمهم واحتوائهم ومناكفة بخصومهم ، حتى أن الغرب الحاقد يشجعهم على ذلك كرها وحقدا على الإسلام وحملة الإسلام ، وحثه على مراجعة أفكاره السمورية وفهم الإسلام فكرا وعقيدة ؛ وليس محاكاة وتقليدا للعامة من ناس الإسلام ما دام محبا للعلم والقراءة .. الناس ليس حجة على الإسلام الحجة الكتاب والسنة النبوية الصحيحة ، كانت صيحة من عبد الرحيم لفرد من أسرته .. فكم من مجلات وصحف ظهرت في ارض العرب وبلاد الإسلام كانت مدعومة من مخابرات الدول الغربية من مراكز تديرها تلك الأجهزة لتفتيت المسلمين و لدفعهم لقبول وجود دولة عبرية في ارض لسانها كله ينطق العربية .. حتى الأقليات المهاجرة من بلدان شتى تتكلم لغة القرآن .. حتى انه كانت تدفعهم لحمل الشيوعية والوجودية والمادية وكل ضلال وغي .

***

كان عاصم يقرأ رسالة من شقيقه عبد القادر الذي هاجر لكندا هو وزوجته بعد قضاء سنتين في الخليج وولدت له بنتا أثناء الإقامة في الخليج قبل الهجرة الطوعية لكندا ، ولم تلد له هناك رغم مرور سنوات على هجرتها ، وكان الرسالة شبة تعزية بموت الحزب الشيوعي السوفيتي ودول شرق أوروبا وسقوط سور برلين ثم يدعوه للهجرة إلى كندا أو أمريكا فهم بحاجة لمهندسين وأطباء ، فبعد أن اطلع عليها قال لسمور حيث كانا يجلس

في مقهى وسط عمان : هذه رسالة من عبد القادر يشمت بي مثل عبد الرحيم ؛ كأنني أنا الحزب الشيوعي مع إنني تركت الحزب الشيوعي هنا لما حصل الانشقاق بين الرفاق عند انتخابات ٨٩.

عقب سمور : هزمنا وإن ضعف حزبنا .. كنا ندافع بشراسة عن ستالين وإجرامه وسيده لينين كنا نعتقد أن نجاة العالم العربي من براثن الغرب بالماركسية .. ثم تنهد وقال : ارتاحت وفاء من هذه اللحظات المؤلمة كانت تحلم بزيارة موسكو رغم إصلاحات غورباتشوف .. ماتت قبل هذه السنوات العجاف .. أنا الذي يحرني اكثر رسائل عبد الرحيم زاعما أننا تاجرنا في الهواء .

ـ فكرت بالعودة !

قال بحدة وضجر : لا تفكر بالعودة ، فالإسلام دين فشل زمان قبل ظهور الشيوعية كل بلاد الإسلام تعرضت للاستعمار .. والشيوعية والأحزاب الشيوعية حررت الكثير منها بمدها بالسلاح الروسي والصيني والكوري والكوبي .

ـ الغرب سحقنا.. الرأسمالية هزمت الاشتراكية .. يلبسون في روسيا ملابس الغرب ويأكلون خبز المانيا وهامبرغر أمريكا وجينز أوروبا .. كل تقليعات أمريكا في موسكو اذا صح ما ينشر ويبث في الأخبار

ضحك سمور للحظات وقال : تهويل غربي .. روسيا تغذي العالم بالقمح وغيره ..هناك تعديلات كبيرة ستحصل للأحزاب الشعبية والحركات الشعبية في بلادنا بلاد العرب أوطاني .. وسيعود الحزب الشيوعي الروسي قويا بعد تطهيره من أعوان الغرب وعلمانية الغرب يا أبا حاتم

قال عاصم بحرقة : كنا نسخر من تهكم المسلمين على أن الشيوعية ستصبح تاريخا كغيرها من المذاهب المعاصرة يحملها مجرد أفراد كالوجودية وغيرها

قال : لم تسقط شيوعية الصين وكوبا وفيتنام ولاوس وكوريا الشمالية

أجاب عاصم بعقلية المؤرخ : مسألة وقت يقولون .. والصين لم يكن اقتصادها اشتراكيا بالكامل يا سمور .. هل أهاجر كما فعل الشباب .. عبد القادر يتغزل بكندا .

ـ كندا بلد كلها جليد وأمطار وبرد .. القرار لك يا أبا حاتم .. المهم دعك من خيالات عبد الرحيم الرجعي المتخلف .

قال عاصم : أنا كان عبد الرحيم يهزمني بالجدل وأظن أنه متعصب وأنه يخرف بموت الحزب الروسي من مطلع الثمانينات وهو على مقاعد الدرس ..كيف حصل هذا ؟

قال سمور مبررا : خيانة .. والحرب الباردة دمرت

اقتصاد حزب وارسو أو حلف وارسو.. سمعت أن عبد الرحيم سيعود هذا الصيف .. سأرحل لبنان لأقضي إجازة فقد استطاع مؤتمر الطائف إنهاء الحرب الأهلية فيه وبدأت الحياة تعود إليه والكيف والمتعة .

ـ ولكن هناك حزب ايران في صعود .. وحصار العراق يشتد كان هزيمة مدوية لصدام وهاهم ذهبوا لمؤتمر سلام بين باقي العرب وإسرائيل في مدريد .. كيف فكر بغزو الكويت ؟ أهذا فعل عاقل يا أبا عبير ؟

ضحك سمور : طول عمرنا نسمع عن مؤتمرات سلام دون سلام ..حرب حرب .. لا تكاد تمضي عشر سنوات حتى تخوض إسرائيل حربا ، منذ أنشئت جرحا نازفا في العرب .. ٤٨ .. ٥٦ .. ٦٧ .. ٧٣ .. ٨٢ .. وحروب فرعية ..منذ نشأتها وهم يوهموننا بالسلام .. ورأينا وعشنا سلام مصر .. فهو في الحقيقة استسلام .. ما زالت مصر دولة فقيرة ..أموال التسليح والقوات المسلحة أين ذهبت ؟ ونصف شعبها يجوب بقاع الأرض بحثا عن لقمة العيش .. يا رجل الصين التي فيها اكثر من مليار إنسان تطورت وصارت صناعاتها تغزو العالم رويدا رويدا .. أسلحة صينية .. صناعة صينية ..

ـ هل ترى أولادك عبير وسلام ؟

ـ من حين لآخر .. هما كما تعلم عند أم وفاء .. لم يحضر إسماعيل ولا راضي

ـ فعلا تأخرا ماذا يريدان منا ؟! ألا تعرف ؟

قال : لا شيء .. جلسة عادية مجرد لقاء .. لم يتحدثا بشيء عن هذا اللقاء .. وشبعنا شايا وقهوة قبل مجيئهما .

ـ ها هو طل سمعة وحده عند ذكر القط بان .

تقدم نحوهما سمعة وعانقهما وقال : آسف آسف فعلا ..أخرني راضي ثم اعتذر .. فقريب له توفي قبل ساعات بحادث سير وذهب مع إخوته للمستشفى واتصل بي من هناك

بعد دردشة عن الحزب والسعي لهيكلة الحزب وتجميع الرفاق ووضع أفكار حديثة ومراجعات وانه يمر على الرفاق لانتخاب قيادة جديدة .. وإعادة العناصر التي انسلخت من الحركة اليسارية فقال عاصم محتدا لما علم سبب هذه الدعوة : اسمع يا إسماعيل .. أنا لا تحاول معي فبعد طردي بقلة أدب وفصلي علنا لا افكر بالعودة لأي قسم سواء حزبك أو جماعة غيرك وانتم ترون أن الحزب الأم مات في روسيا وغيرها.. وفشلوا في كل دول أوروبا الشرقية .. فهل سننجح هنا أو حتى في دولة عربية أخرى .. يا رجل سمعت أن الحكومة كفت عن مطاردة نشطاء الحزب وقسم المتابعة في المخابرات اغلق مكتبه عن الشيوعيين

ومراقبتهم .

ـ يا سيد عاصم سيقدم لك بدر والشباب أي اعتذار وسيجري تعديلات كبيرة على حزبنا والحزب في روسيا سيعود تأكد أنه سيعود .. الاقتصاد والتكنولوجيا أضعفت الحزب وأنت يا سمور

ـ أنا سأسافر إلى بيروت .. الجبهة أرسلت لي طلب لمقابلة مهمة لبعض القيادات واحتمال إرسالي للعمل في الجزائر أو ليبيا اذا سمحت المخابرات الليبية بوجودي بينهم فلديهم شغل كثير

فقال سمعة : هذا سبب هذا اللقاء .. طلبوا مني دعوة الشباب الزعلانين للعودة لبناء فرع قوي مع تعديل للايدلوجية والفكر .. وما زال يا إخوان الحزب الشيوعي في الصين وكوبا وغيرهما قويا ونشيطا وحاكما للبلاد والعباد .. والانتخابات ستكون عام ٩٣ .

قال عاصم : بالدم والدبابات ..ماذا فعل الجيش الصيني في ساحة التي لا اعرف اسمها .. ميدان تيان أن من كأنه هكذا يلفظ

***

كانت الصين تمر بتغييرات كبيرة في الثمانينيات من القرن الماضي ؛ حيث بدأ الحزب الشيوعي الحاكم بالسماح بعمل بعض الشركات الخاصة والاستثمار الأجنبي ، كان الزعيم دينغ شياو بينغ يأمل في أن يعزز ذلك اقتصاد البلاد ويرفع مستويات المعيشة للناس ، لكن هذه الخطوة جلبت معها الفساد أيضاً، وفي الوقت نفسه بعثت الآمال في مزيد من الانفتاح السياسي، وانقسم الحزب الشيوعي بين أولئك الذين كانوا يحثون على التغيير السريع وبين المتشددين الذين أرادوا الحفاظ على تحكم الدولة بمفاصل الحياة بحزم. وذلك مثل روسيا وأوروبا الشرقية .

وفي منتصف الثمانينيات، قاد الطلاب احتجاجات في العاصمة بكين، وكان من بين المشاركين أشخاص عاشوا في الخارج وتبنوا أفكاراً جديدة وعاشوا مستويات معيشية أفضل، في ربيع عام ١٩٨٩ اندلعت احتجاجات تطالب بالمزيد من الحرية السياسية ، اندلعت شرارة المظاهرات عند وفاة السياسي البارز، هو ياوبانغ، الذي أشرف على بعض الاصلاحات الاقتصادية والسياسية والذي تم طرده من منصب رفيع في الحزب الشيوعي قبل ذلك بعامين من قبل خصومه السياسيين. وفي نيسان، تجمع عشرات الآلاف لحضور جنازته، مرددين شعارات تطالب بمزيد من حرية التعبير وتخفيف الرقابة. ، وفي الأسابيع التالية، تجمع المتظاهرون، الذين قدرت أعدادهم بنحو مليون، في أكبر تجمع لهم في ساحة تيانانمن التي تعد من أشهر معالم العاصمة بكين ، وفي

الأسبوعين الأخيرين من شهر أيار تم فرض الأحكام العسكرية في بكين.

وفي ٣ و ٤ من حزيران، بدأت القوات في التحرك نحو ساحة تيانانمن، وفتحت النار على المتظاهرين وسحقتهم واعتقلت العديد منهم بغية استعادة السيطرة على المنطقة.

وقالت الحكومة الصينية في أواخر حزيران، إن ٢٠٠ مدني وعشرات من رجال الأمن قد قتلوا إلا أن التقديرات الأخرى فتراوحت بين مئات إلى عدة آلاف من القتلى . وكشفت برقية دبلوماسية من السفير البريطاني في الصين قالت إن عشرة آلاف شخص لقوا حتفهم.

***

قال سمعة بحماس : المهم الخونة هناك فشلوا فشلا مؤزرا .

قال عاصم : سأطلق الشيوعية نكاية بكم وليس فقط الحزب

ـ طلق الشيوعية وصلي وصوم وظل معنا

ـ سيسخر مني عبد الرحيم

ـ هو عبد الرحيم هنا .. أليس هو في السعودية ؟

قال : سيعود خلال الصيف .. رفضتم مناقشته

ـ وماذا سنجني من مناقشته يا عاصم ! ناقشنا اعلم منه دون فائدة .. فكل مجالسنا نقاش مع هؤلاء الرجعيين

قال سمور : نحن نناقش قضية لا تهتم بها الشيوعية .. قضية وجود الله

قال سمعة : هذه قضية لا تهمنا كثيرا ولم يهتم بها ماركس ولا لينين

قال عاصم : قرأت وقرأت ما يقول الخصوم وتبيَّن بعد انهيارها أنَّها لم تفلحْ في القضاء على القوميَّات المتنافِرة ، بل زادتها اشتعالاً، ولم تسمح بقدْرٍ ولو ضئيل من الحرية، بل عمدَتْ دائمًا إلى سياسة الظلم والقمع والعنف ، والنفي والقتْل، وحوَّلت أتباعَها إلى قطيع من البشر، وهكذا باءتْ جميع نبوءات كارل ماركس بالفشَل، وأصْبح مصيرُ النظرية الفناء.. هل عندك تعليق ؟ كما أنَّ الواقِع الحي المعاصِر يؤكِّد أنَّ بضعة ملايين مِن الأشخاص، قد فرُّوا من شرق ألمانيا الاشتراكي إلى غرْبها الرأس مالي، بمجرد فتح حدود المجر مع النمسا ، والواقع يقول أنَّه لم يهربْ واحد فقط مِن غرب ألمانيا إلى شرقها، وإذا كانتِ الشيوعية صادقةً فيما تقول: لماذا نسمع باستمرارٍ عن هروب أفراد مِن بلادهم ذات النعيم المقيم على حدِّ تعبيرهم، إلى البلاد غير الاشتراكية ذات الجحيم الذي لا يُطاق؟! وإذا كانتْ بلادهم كما وصفوها، لماذا يضربون الأسوار حولَ شعوبهم؟! ولا يشاهدون ولا يسمعون إلا ما تفرضه شيوعتهم من أفلام وبرامج وحوارات ؟ ولماذا يمنعونهم من

السَّفر للخارج؟! ولماذا لا يدعونهم يذهبون في رحلات سياحيَّة للبلدان التي وُصِفت بالجحيم؛ كي يروا الجحيم بأمِّ أعينهم؟! وماذا عن حرْمان مواطنيهم الذي يجعلهم يتتبَّعون السيَّاح الأجانب؛ من أجْل بقية الطعام أو لفافة دخان يعطونهم إيَّاها؟! أو بنطلون جينز ؟ ولماذا يذهب وفدٌ رياضي؛ لتمثيل بلادهم في منافسات خارجيَّة فيهرب واحدٌ أو اثنان أو ثلاثة لبلدان الجحيم!! كنا نظن ذلك دعاية غربية لترك الحزب ؟ قل لي ماذا فعل حزبنا العربي لشعب اليمن الجنوبي ؟ أين الرفاهية منذ سبعين سنة ؟ كلام كلام اجتماعات بيانات دون جدوى دون ثمرة إلى متى سنبقى ننتظر ونصدق شعارات الشيوعية ؟ لي عمر افكر .. ولم اجد شيئا نافعا للجماعة ؟ اسر مشوهة تذهب للشراب للهروب من الواقع المر يا إسماعيل !

تنهد إسماعيل وتطلع في عيني سمور الصامت كالتمثال : أوه ! هذا أنت صرت إسلاميا أو تحريريا .

حدق فيهما وقال : لم أصر شيئا بعد ؛ لكني سمحت لنفسي أن اقرأ لخصومكم .. وأنت تعلم قراءتي للتاريخ الأوروبي والمعاصر .

ـ يا لك من جهبذ هل ناقشت سمورا بذلك؟

ـ سمور مثل التمثال حقا .. لا يفكر بالتراجع حتى لو يبق ماركسيا في الأرض إلا هو .. هو حفظ الدرس من أيام المدرسة ولن يتراجع عن أفكار الشيوعية فلا يحب النقاش فكله عنده مسلمات ومنطق .. آلة العقل عنده في استراحة وكما قيل من شب على شيء شاب عليه .. هذا حال أخي سمور

قال سمور معلقا : قضينا افضل سنوات العمر في ذلك .. فهل نتخلى عن تلك السنوات ؟.. دعك منه يا إسماعيل .. فعاصم فتل مخه عبد الرحيم برسائله .

ـ لم يفتل مخي .. فعبد منذ خلص الدكتوراة تزوج وسافر .. ربما تلقيت منه بضع رسائل .. لكني غيرت اتجاه القراءة الذاتية .

***

رجع الدكتور من السعودية صيف ٩٢ أو مطلع الخريف .. الأصح في شهر أيلول في إجازة مدتها شهر واحد وانشغل بالترحيب بالأهل والأنساب والأصدقاء وصحة الوالد محسن الذي فرح برؤيته خشية أن يموت ولا يراه ، فهو اكثر الأولاد برا به مع سميح ، وهو الذي زوجه بأرملة تؤنسه في وحدته ، وكان عبد الرحيم قد اشترى شقة في منطقة اسمها ضاحية الحسين في غرب المدينة الكبيرة والعامرة ، وكان مرحبا بشقيقه سميح وأولاده فقد ساعده ماديا أثناء دراسة الماجستير والدكتوراه ، وفي مثل هذه الإجازات يترك الوالد

بيته في حي القلعة ويقضي زمنا مع ابنه الغالي كما يقول ، وكان الشاب ينفق على أبيه بسخاء، ويساعد سميح ويرد له الجميل ويدرس ابنته الكبيرة سليمة في الجامعة على نفقته عرفانا بما قدمه له سميح للدراسات العليا .

جاء عاصم لزيارة عبد وأبيه ، ويسلم على شقيقه كعادة متبعة بزيارة العائد من السفر ، وبعد العناق والتقاليد المعتادة قال عاصم : أهلا بأخي الصغير

ـ أهلا بالمهندس الغالي عاصم ما أخبار سمور ؟

قال عاصم : سمعت انه تزوج في بيروت مناضلة من الجبهة

ـ شيوعيو العرب في حيص بيص بعد سقوط جدار برلين واختفاء الستار الحديدي وذكر لي سميح انك رفضت العودة لحزب الإلحاد .

قال : كفرت بالأحزاب والحركات ..ها هي منظمة التحرير تفاوض إسرائيل على جزء من الضفة الغربية .. المهم كرسي .

قال عبد : سمعنا أو سرب أن هناك مفاوضات سرية على غزة وأريحا وعلى الاعتراف بإسرائيل

هتف عاصم : سرية !

ـ سرية عند العرب فحسب .. أما في صحف أوروبا يسربون ذلك

علق مفسرا : احتلال الكويت كان كارثة على العرب ..حتى سوريا لوقوفها ضد العراق هرولت لمؤتمر مدريد ..تحس كأنها مسرحيات هذه العداوات ؛ كما حصل في حرب تشرين

ـ سوريا من زمان مهرولة .. المهم بقاء النظام الأسدي .. ألم تقف مع ايران علنا يا أبا جيفارا ألم تلقب ابنك حاتم بجيفارا العرب

ضحك وقال : غلطة كان هذا الاختيار .. كنت مفتونا به وبنضاله ضد اللبرالية .. سمعت أنك ألفت كتابا عن الشيوعية في العالم

ـ كتبته لمن يقرأ من شباب الأمة بينت فيه عوار وفساد مذهب ماركس ولينين .. هل تعلم أن لينين نبي الشيوعية خاض حرب أهلية في روسيا هلك فيها الملايين من المدنيين والجيش الروسي ولا احد ينشر تفاصيلها .

قال عاصم : هل طبعته ؟

ـ بعد ، لديّ مسودة وملخص عنه اذا رغبت بالقراءة سأصور لك الملخص

قال : افعل يا أبا عبد الرحمن .. أنا أحببتهم لحياتي في بلغاريا أثناء الدراسة ولعلاقتي بسمور الأكبر مني بسنة كما تعرف كنت أرآه كبيرا في الحركة ومهما في نشر أفكار ماركس

ـ ابشر يا أخي وبعد اطلاعك على الملخص ناقشني إما على التلفون أو بالبريد

قال : كما قال لك سميح سعوا لإعادتي للحزب الميت .

ـ على كل حال من أعماق قلبي أتمنى أن تعود للإسلام أنت وأخوك سمور ..ما أخبار عبد القادر ؟

ـ مثل العمى .

دهش السامعون وقال سميح المستمع للأخوين بعدما ترك الوالد مع البنات وزوجته امرأة أبيه : ما الأمر ؟

ـ قبل أيام اتصل بي بأنه يفكر بترك أحلام كندا

قال سميح بدهشة : السبب !

ـ السبب كما ذكر بأنه يفكر بطلاق زوجته أم طفلته الوحيدة

قال عبد : كان يتغنى بها وبكندا

ـ قال وجدها تصادق شبابا مغتربين وتسكر وتسهر معهم بدون حشمة وشرف .. عاد ليلة مبكرا من العمل الليلي وجد البيت صالة رقص وخمر .

تبسم عبد وقال : أليست هذه حياة الناس هناك ؟ لهو لهو .. اللهو فنون عندهم .. حياة فارغة حياة بلا روح وعبادات .. كيف سيقضون ساعات ليلهم بغير الفواحش يا عاصم ؟

فقال المهندس عاصم : لكن لا ادري بعد حديثنا الأخير على الهاتف ما الذي جرى ؟ لكنه كان متألما كما بدا لي ومتعبا ومتضايقا من أفعال أم صفاء .. ألا تتواصل معه يا عبد ؟

هز رأسه نافيا : لا ، ولا هو يتواصل معي لا بالهاتف ولا بالرسائل هو نفر مني مثلكم لا يتحمل سماع نقدي وكلامي .. أيتواصل معك يا أبا محسن ؟

قال سميح : نادرا عندما امرض أو يسمع عني شيئا من عاصم ..وكلامك اعتقد أنه يؤكد أن خط التمسك بالدين افضل من تقليد الغرب والشرق .

قال عاصم : الطلاق والمشاكل الاجتماعية موجودة عند كل الناس سواء في الشرق أم والغرب الشمال أم والجنوب .

قال عبد الرحيم :هذه سنة الحياة ؛ ولكنها عند المسلمين اعتقد اقل عنفا وطلاقا حتى في مجتمع لا يحتكم لقانون السماء كما هو الآن في كل بلاد المسلمين .

قال سميح : هدى الله الأمة لدينها الصحيح .. كيف أنت والسياسة ؟

ـ ما زلت على الخفيف أو قل الخبر هو الذي يفرض نفسه عليّ .. اقرأ القليل من الأخبار .. فالوقت لا يتسع للتدريس والتحضير والتأليف .. فتركت السياسة لأهلها .. ماذا نستفيد فلان صرح وفلان رد فلان زار روسيا أمريكا .. الحمد لله الذي عافانا منها ومن سوالفها الفارغة

قال سميح : لا تنتهي لنا أربعون سنة نسمع عن

تحرير الوطن من المية للمية من النهر للبحر واليوم نسمع عن السلام والاعتراف بإسرائيل ..نخ الجمل

ضحك عبد وقال : استسلم المناضلون والأشاوس منذ اعترفوا ب ٢٤٢ و ٣٣٨ ؛ لكن من يقرأ يا عم سميح ؟

فقال عاصم : الحال بعد لعنة الخليج مأساوي .. العراق محاصر .. ايران تحارب العراق ثمان سنوات ثم ينتقل البطل لدخول الكويت ويتحدى دول الاستكبار دون قوة رادعة .. اليوم سوريا ودول الطوق تقبل الجلوس مع إسرائيل للتفاوض .

قال سميح متذكرا أواخر الستينات : آه على بيانات الثورة أيام زمان ! أيام البيانات الثورية والأناشيد الثورية حيث كان البسطاء مثلنا يظنون أن العودة قد اقتربت .. كله ثبت تدجين

ضحك عبد وقال : لا داعي يا أبا محسن للحسرة والأسف أنا كنت طفلا عندما ظهرت المنظمة والثوار ومع صغري لم اقتنع يوما بهم ..الأقوال أكثر من الأفعال .. وابتعد عنهم الإسلاميون ولما كنت في أول سنوات الجامعة وحدثت حرب ٨٢ قالوا انتهت منظمة التحرير أصبحت قواتها في سبع بلاد بعيدة عن فلسطين فهي لم تحررها وهي بجوارها فكيف ستحررها وهي تقبع في تونس واليمن الجنوبي ..

قال عاصم مؤكدا : كلام صحيح قال احدهم : ثورة بسفارات ووزرات ورواتب ودرجات ومحسوبيات ستحرر ارض مسلوبة .. وها نحن كما قال عبد نشم رياح اتفاقات سرية بين العرب وإسرائيل . . حتى العرب لا يجتمعون على مبدأ . .

ـ بعضهم قال من أيام البنود العشرة وغصن الزيتون القضية انتهت .. أنا لا اعرف قصة البنود العشر .. ولا قصة غصن الزيتون .. إلا اذا يقصدون غصن أبي عمار في الأمم المتحدة

قال عاصم وهو يبتسم : هو هو .. الحركة الشيوعية كانت مرتبكة في قضية فلسطين بسبب اعتراف الرأس الكبير ستالين بإسرائيل بعد الولايات المتحدة وبريطانيا .. حقيقة من تعمق في السياسة الدولية يرى أن المؤامرة اكبر من المنظمة والشعب الفلسطيني وحتى العربي أيها الأصدقاء كانت انشقاقات كثيرة تحدث هنا وهناك في كل منظمات وحركات التحرير .. حركة فتح انشق عنها صبري البنا والجبهة الشعبية انشقت عنها الديمقراطية ثم القيادة العامة .. وفتح الانتفاضة مع أحداث بيروت وطرابلس لبنان .. مرة مع سوريا ومرة ضد سوريا .. وها هم جميعهم مع مدريد .

ـ هون عليك أبا حاتم " قل كل من عند الله"

عاصم : قرآن

ـ نعم ، لا يجري امر إلا بأمره سبحانه وتعالى

التحقيق الجنائي والجريمة

الزواج الخطأ

الحلقة ٣ والأخيرة

مزيد من النقاش

عقد الضابط حمزة وفريق التحقيق جلسة في دائرة الشرطة بحضور وكيل الادعاء المكلف بمتابعة القضية والحق العام وقال: ما الدافع لهذه الجريمة ؟

قال حمزة : الدافع الواضح للعيان المال .. عادل يريد المال .. وأكثر الإخوة بحاجة للمال .. ونافز يريد المال .. وهذا بئر نفط لا يجب أن يغلق .. فهذا كنز بالنسبة له إذا ورثه عن أمه التي تعتبر زوجة ، وهي في العدة .. وهناك نعيمة وزوجها يستفيدون من الكنز .. والرجل كان يدفع ليعوض عن ضعفه الجنسي وشيخوخته .. والذهب والمال له بريق عند النساء كما هو معلوم .. والشاب ابنها من أجشع الناس ،وخاصة أنه عطيل لا يحب العمل ..وبموت أمه سيرث الكثير من الثروة .

ـ وهل يقتل أمه ؟

ـ يبدو لي أن أمه تعرف شيئا خطيرا ومهما ، وخشي أن تضعف ؛ وربما اعترف لها بقتل السيد أو التآمر على قتله ، ثم ندم على اعترافه ، وإلا كيف عرفت السيارة الداعسة أن السيدة في العيادة ذلك الوقت ؟! وقد عرف أن أمه تركت الحاج حيّا ؛ لأنهم في التحقيق الابتدائي كانوا يسهرون عند نعيمة أخته ، ثم تبين لنا أنه أوصل أمه وذهب للسهر واللهو .. لكن الذي يحيرني أيها السادة ضعف شخصيته ، بدا لي ضعيفا منهوك القوى ، لا يستطيع القتل والتخطيط لجريمة كهذه .. القتل يحتاج لقوة وشجاعة .. كدخول البيت والتسلل للطابق العلوي وإطلاق النار .. شخصية نافز ضعيفة متوترة قلقة كيف رأيتموه أنتم؟!

قال الملازم : كان مرعوبا أثناء الاستجواب .. يحاول التظاهر بالشجاعة وعدم الخوف واللامبالاة

قال الوكيل: وهكذا رأيته أنا .. يحاول التظاهر بالقوة وتماسك الأعصاب .. فالإقدام على جريمة مدبرة يحتاج لجرأة وقوة قلب لينجح .. هو لم يكن في موقف دفاع عن النفس ليقتل .. وسرقة مسدس تحتاج لشجاعة كذلك.

قال حمزة : أله شريك ؟

ـ لن يضع نفسه تحت رحمة شخص كهذا .

ـ لماذا التزمت الأم الصمت عن تلك الزيارة ؟!

واعترفت وهي تموت أنها قابلت أو زارت الحاج تلك الليلة .. وسجلات النقال الذي تملكه تؤكد اتصالها برقم السيد في الليل .. فالقاتل إذا كانت مقتولة ألا يعلم أن لديها خلويا ؟ ولماذا سرقت

شريحة خلوي السيد ؟ هل القاتل اتصل بالسيد قبل مقتله ؟ وفتح له الباب بناء على اتصال خاص ؛ لكنه يستطيع الاتصال بشريحة غير موثقة " استعمل وارم " كانت الشرطة تنظر للحادث كحادث سير اعتيادي .. فهي بذلك تقول إنها قتلت عمدا .. ومن القاتل للسيد نوفل ؟

ـ هل لدينا مشتبهون غيرهما ؟

ـ السيد عادل المشتبه الأول أدلة غيابه عن مسرح الحادث قوية ، فأهل البيت يشهدون على عودته قبل الثانية للبيت ، ولم يخرج حتى تلقى خبر الجريمة صباحا من مفتاح .. كان في المنزل فليس أمامنا إلا نافز .. كيف ارتكبت الجريمة ؟ هذا ما زال ضبابيا .. لم يره أحد منذ غادر القصر يعود للقصر أو يحوم حوله .. المرأة شهدت أن الرجل كان حيّا في الثانية صباحا .. رفاق المقهى يذكرون أنهم غادروا المقهى منذ منتصف الليل ، وزاروا الخمارة .. وعند الصبح وصل بيت شقيقته .. وكان في حالة سكر معتادة كما قال زوج أخته .. والخمار شهد أنه شرب خمرا في خماراته كما تعود على ذلك .. والقتل حدث بعد الثانية ليلا بناء على كلام المرأة وزوج ابنتها .. هل ذهب سكرانا ليقتل السيد ؟ هل يملك مفاتيح الأبواب بحكم تواجده في القصر ؟ هل قالت المرأة تلك الرسالة لتدافع عن ابنها ؟ لأنها تشك فيه .. تريد أن تقول أن ابنها بريء .. وأنه مات بعد الثانية .. تحرينا عن كل أولاده .. ولم يتكلم أحدهم بشيء يفيد التحقيق ..وهم يعتمدون ماليا على أنفسهم ما عدا عادل .

ـ ولا دليل ضده لحتى الآن .. ووقت الجريمة كان يغط في النوم كما يزعم الشهود

كلما تعمق تفكير المحقق في الجريمة ووقتها وجد في وجهه السيد نافزا ابن القتيلة إذا كانت مقتولة عمدا .. وهو أكثر الناس فائدة مادية من الجريمة الأولى والثانية .. ولكنه كان بعيدا عن مسرح الحادث في الجريمة الأولى .. ولم يكن في القصر تلك الليلة إلا إذا كان الشهود كاذبين ومزورين .

قال الضابط لنافز : اسمع أيها الشاب هل ترى أن دعس أمك كان متعمدا ؟

ـ فكرت بذلك كثيرا يا سيدي .. لو كان الدهس متعمدا كيف عرف الجاني العيادة وموعدها وخروجها ، وإنها ستقف على الرصيف المقابل لعمارة العيادة إلا إذا شككتم بي ؟

حدق فيه الضابط المحقق في جريمة نوفل وقال : أنت أكثر الناس شبهة يا سيد ؛ ولكن شهودك ليلة الحادث رفعوا عنك الاشتباه .. فأنت بين الواحدة والثالثة لم تكن على مسرح الحادث .. فقد كنت في الحانة ومع الشلة إلا إذا ثبت تواطؤهم معك .. فنحن نتحرى عنهم ، وعن صاحب الحانة .. هل ترى أن زيارة أمك لزوجها تلك الليلة أنها أوقفت

الطلاق ؟

قال : السيد نوفل متردد في الطلاق ، رمى عليها عشرات أيمان الطلاق خلال تلك السنة ؛ لكنها لم توثق في المحكمة .. كان الاتفاق إنهاء الحياة الزوجية بينهما .. وتم الاتفاق على ذلك ، وقبضت أمي مبلغا للموافقة على الانفصال .. والسيد عويس قريبنا طباخ السيد وسبب هذه الزيجة كان يتوسط بيننا دائما ، ويصلح بيننا باستمرار .. وكاد السيد أن يلين في المرة الأخيرة ؛ ولكن كانت عقدته أنا أن أخرج من حياتهم .. وكانت هناك فكرة أن أتزوج لأبتعد عن حياة أمي ؛ ولكن زواجي غير مضمون النجاح .. والبعد عن أمي قد يفشل زواجي ، وقد أستمر في التردد عليهم فكان الخلاص هو الطلاق ، وأخذ مبلغ من المال تعويضا غير الحقوق المقررة في عقد الزواج .. أما لماذا اتصلت أمي بالسيد تلك الليلة وذهبت للقصر بصحبة زوج نعيمة ؟ فلا علم لي بذلك الترتيب إلا بعد إعلان وفاة السيد غدرا .. وبعد الحادث بأيام .. وهل اتفقا على الصلح كما أخبر زوج أختي لست أدري ..لا أدري الحقيقة .. لم أشاور في ذلك .. لكن السيد عويس كان يبذل الجهد لعودة المياه لمجاريها لآخر الوقت .. والرجل يعرف طبيعة ونفسية الحاج حتى أنه قال مرة : يا هادية الرجل محترم وجواد وإذا أصر على طلاقة سأتزوجك على زوجتي

قال الضابط : عويس قال لها ذلك .

ـ عندما يغضب السيد يتدخل للإصلاح ؛لأنه السبب في زواجها منه وتعرفنا على السيد نوفل.. وهو الذي أقنعها به زوجا رغم كبر سنه .. وقد استفاد منه بقرشين مال ؛ لأن أولاد السيد الستة رفضوا زواجه قبل مضي سنة على وفاة أمهم ؛ لكن الحاج لم يطق الوحدة منذ دفن السيدة زوجته وهدد وتوعد ، ولم يعره الأبناء أهمية ؛ فكان السيد عويس البطل .. والسيد لا يصلح للنساء فهو ضعيف القوة الجنسية .. فلجأ للأدوية والعقاقير دون فائدة .. فلذلك لجأ للمشاكل معي والتحجج بي للتخلص من زواجه .. وأنا كنت معهم من أول أيام الزواج .. وحاول عويس إبعادي عنهما لفترة .. وتدخل عويس المستمر أخرّ الطلاق قانونيا ورسميا.. وكما تعلم طلع الفجر على مقتل السيد ، فلم يكمل الطلاق قانونا ، ولم نقبض باقي المبلغ المتفق عليه بيننا وبعضهم يقول إننا سنرث في هذه الحالة قصدي أمي ..وأنا وأمي واحد .. ولم يكتمل الطلاق بسبب موته.. وبعضهم يقول حتى لو وقع الطلاق شرعا فهي في العدة ، وسترث حصتها الشرعية .. وهذا امر سيقرره المحامون ..وأنا لا دخل لي في حادث دعس أمي ـ رحمها الله ـ يا سيدي

قال : العجب أن الناس شاهدت الحادث ، ولم

يحاول أحدهم أخذ رقم السيارة !

ـ هو كان يسير مثل الصاروخ ، هو لم يتوقف ؛كأنه دعس فرخة!

ـ لكنه سيقع ، نحن عرفنا نوع السيارة ولونها ..وعممنا على جميع محطات الصيانة أوصاف السيارة وماركتها العالمية ؛ لأننا إذا قبضنا عليه سنعاقب كل محطة غطت عليه ، وغسل السيارة عندها ، وعليها أن تتحمل المسؤولية ؛ بل أخبرك أن بعض المحطات أخبرت بذلك ، ولم يكتمل التحقيق بعد .. سيقع السائق ، ويعاقب على هربه وجريمته .

السائق الهارب

أسفرت تحريات وتعقبات الشرطة إلى الوصول للسيارة التي قضت على حياة السيدة هادية في شارع العيادة التي تتردد عليها من سنوات شارع ديك الجن ؛ وذلك عن طريق إحدى محطات التصليح والصيانة .. واعترف السائق أن سيارته تعرضت للصدم في ذلك الشارع ؛ وإنما الذي صدم سائق آخر ، وأنه يعطي السيارة لبعض المعارف ..وتبين أنه يؤجرها مقابل بعض المال والقانون لا يمنع دفع السيارة الخاصة لأحد مقابل مال أو دون مال .. وتبين للشرطة أنه في ذلك التاريخ أجرت السيارة لشخصين ..استأجرها صباحا شاب اسمه مهند صابر وفي الساعة الثالثة بعد الظهر كانت مع شخص اسمه خالد نعمة ..وتكشف للبوليس أن السيد خالدا أجرها لشخص اسمه نضال خوفو .. والسيد نضال من أصحاب السوابق .. واستأجرها من خالد بخمسين دينارا لمدة ثلاث ساعات ، ثم اتصل به عند الخامسة مساء مخبرا له أن السيارة في محطة صيانه ، وعليه استلامها من هناك .. والمحطة أخطرت الشرطة بذلك برقم السيارة ولونها عندما بلغوا بقصة السائق الهارب .. ونضال خوفو صاحب سجل أمني إجرامي ، وليس له عنوان معروف .. فوضع اسمه على نقاط الدخول والخروج .. وإنه مطلوب للشرطة في قضية دهس ، ولما اطلع حمزة على ملفه قال لمعاونه عماد : أترى أن هناك جريمة ؟

ـ الوضع المتصور للحادث يشير إلى ذلك يا سيدي المحقق ! فترتيب وصول السيارة إلى السيد نضال يدل على أمر مبيت .. هو أخذ السيارة المستأجرة من صاحبه خالد ..وهو الذي اتصل بخالد ؛ ليذهب ويتابع تصليح السيارة بعدما صدمت بها المرأة .. من كلّف نضالا وعرفه على الضحية ؟ من دفع له وأقنعه بفعل ذلك ؟ لابد أنه شخص يعرفه .. الحادث يبدو مدبرا .. هل نافز سعى لقتل أمه ؟ ولماذا ؟!.. المال يصل إليه من أمه دون الجريمة ؛ وربما ترث القصر .

ـ القصر أوقفه السيد لأحدى الجمعيات .. وأوقف قصرا آخر لنادي الصيد الذي كان عضوا فيه .. وقد علمت من المحامي تفاصيل الميراث.. الحاج نوفل بعد زواجه الأخير أراد من الغضب حرمان الورثة من المال أو تقليل حصتهم ، فأوقف وتبرع بكثير من العقارات .. ولكن بين لي المحامي أنه يمكنه التبرع بالثلث فحسب أو يكتب هذه العقارات رسميا لجهات معينة ففعل ، واعتبر أن أبناءه ليسوا بحاجة لمزيد من المال .. وهو يملك الكثير من المال والشركات الشريك فيها .. إذن علينا القبض على السيد نضال خوفو .. وهكذا يستخدمون السيارات الخاصة يا عماد .. هذا يؤجر هذا .. وهذا يؤجر ذاك لتضليل الأمن !

ـ هؤلاء يؤجرون بدلا من شركات تأجير السيارات .. يأخذ المستأجر السيارة مقابل عشرين دينارا .. ويؤجرها لآخر بمبلغ أزيد لعمل أمر غير مشروع للتهريب للسرقة .. وصاحبها يزعم أنه أعطاها لصديقه عند انكشاف السرقة أو التهربية وهكذا .

ـ وهذه ليست مخالفة قانونية .. فهو لا يعمل كسيارة الأجرة .. لا وثائق .

ـ من ناحية نظرية ممنوعة ومخالفة ؛ لأنه ممنوع تأجير السيارة الخاصة ؛ لكن ضبط ذلك صعب إلا إذا اعترف المستأجر بذلك ، وثبت ذلك ؛ لكن يجوز إعارة السيارة لأي شخص يملك الرخصة المناسبة للقيادة .. ومالك السيارة هو مسؤول عند جهل السائق الذي كان يقود عند الحادث والمخالفة .. والسائق أثناء الحادث هو الذي يتحمل المسؤولية القانونية .. فأغلب السيارات مملوكة لتجار وملاك ومؤسسات كما تعلم ويسوقها موظفون بإذن من أصحابها مقابل راتب .. ومرتكب الحادث هو الذي يتحمل للعقوبة الفنية والعقابية .. فيحق لكل مالك سيارة دفعها لغيره .

ـ القصور موجود في كل قوانين الدنيا والخدع والحيل لا نهاية لها .. أنت لو طلبت سيارتي لقضاء حاجة لا أمنعها عنك .. وقد تضع فيها بنزينا أو لا تضع ..هل ستحاسبني عليه ؟! الثغرات موجودة ..لا يشترط القانون على السيارة أن لا يسوقها إلا مالكها ؛ ربما مالكها لا يملك رخصة قيادة ، ويملك السيارة وغيرها .

ـ ظروف القضية توحي بالجريمة .. حوادث السيارات لا يخلو منها يوم حسب معلوماتي .. حادث يومي.. أما كجريمة فهو قليل .. وهناك من يهرب عند الحادث لخوف لسبب ما .. ليس لأنه قتل ودعس ؛ فربما لم يمت المدعوس .. والسبب في قضيتنا ربطها بقضية اغتيال السيد نوفل

قال حمزة : ليس أول حادث دعس مر علينا ويهرب الفاعل! .. فبعضهم يهرب يظن أنه يتخلص من الشرطة بذلك ، ومن أجل الهرب من الحقوق المترتبة على فعلته ؛ لكن أين الهروب من الله سبحانه ؟!

ـ نعم ، من هرب من عدالة أهل الأرض لن يهرب من عدالة رب الأرض والسماء ـ هل سيستغرق القبض على نضال وقتا ؟

ـ لقد تم التعميم على مداخل ومخارج البلد كلها ومراكز الشرطة في البلد كلها .

كان السيد مفتاح في مكتب المحامي ، فلما استراح قال : ما آخر أخبار الجريمة ؟!

تنحنح المحامي وقال : للأسف لا جديد لدى الشرطة .. المحقق حمزة لم يصل لشيء جديد .. ابن المرحومة هادية زوج أبيك يظهر أنه بعيد جدا عن الجريمة .. لقد كان ساعة الجريمة يخمر في خمارة بعد مغادرته المقهى ..والسيد عادل شقيقك المشتبه الآخر أيضا بريء ..وهذا جيد الأسرة يا أستاذ مفتاح .. يقولون إنه كان في بيته ساعة الجريمة .. وليس لديهم أي مشتبه غيرهم الآن ..وامرأة أبيك كانت آخر من رأى الحاج حيّا تلك الليلة .. وزوج ابنتها رَآه يستقبلها عند بوابة القصر ويفتح لها ـ وهو لم ينزل من سيارته ـ دخلت وقضت مع الحاج عشر أو ربع ساعة ثم عادت إليه تقول لصهرها : الأمور ستحسم صباحا ـ إن شاء الله ـ ولكن البوليس يرى أن الاعتداء عليها في شارع ديك الجن بعد خروجها من العيادة جريمة .. وقد استطاعت الشرطة الوصول إلى السائق الهارب أو قل معرفة اسم السائق الهارب .. وهو ذو سوابق جنائية معروف للشرطة .. ولكن هل الحادث قضاء وقدر أم جريمة ؟ لم يحسم الأمر لدى الشرطة .. هذا سيتضح عند القبض على الرجل .

ـ أفهم أن الشرطة قد تربط بين الحادثين .. وهل إذا عرف قاتل هادية يعرف قاتل أبي نوفل ؟!

قال المحامي : لا دليل حاسم على الربط بين الحادثتين ؛ إنما إحساسات ضباط الشرطة ..ولأن السيدة اعترفت للأطباء أنها قابلت الحاج ليلة مقتله .. واخفت ذلك عن التحقيق خشية إلصاق التهمة بها .. الخوف .. والضابط يعتقد أنها قالت غير ذلك من الكلام .. ولم يفهم عنها الممرضات كل ما قالت .

تنهد مفتاح وقال : هذا يعني أن الأمر سيطول !

وتنهد المحامي مثله وقال بملل واضح : إنهم يعتقدون كما نعتقد نحن أن القاتل من ضمن معارف الحاج .. فأحدهم استغل الظروف ، وارتكب الجريمة .. والشرطة عادة تشك في أقرب الناس للضحية ..فالزوجة والزوج والأصدقاء والأقارب أول المشتبه بهم .. والسؤال البدهي

الأول من المستفيد من الجريمة ؟ ! فدافع المال سبب مهم لارتكاب الجرائم العنيفة .. وأكثر الناس يهمهم موت الحاج شقيقكم عادل والسيد نافز ؛ وذلك عن طريق أمه .. وهو كما ذكرت لك ثبت أنه لم يكن على مسرح الجريمة كما يقال .. والخدم لم يعرفوا بزيارة السيدة لأبيك تلك الليلة إلا من الشرطة .. تلفونها أكد أن مكالمة جرت بينها وبين الحاج تلك الليلة ، وأتت للقصر بعد منتصف الليل ، وقابلت الحاج على قول زوج ابنتها ، ورآه قد فتح لها البوابة الرئيسية للقصر وغابت ربع ساعة في الداخل ، وغادرت حسب أقوال صهرها .. وفهم منها أنها ستعود للقصر وتسجل طلقة واحدة ، وترجع لذمته .

ـ لقد نصحنا الأب أن يؤخر زواجه لمرور سنة على وفاة أمنا ؛ لكنه رفض الإصغاء وظن أنه شاب صغير فليعجل بالزواج .. وكان اختياره سيّئا امرأة شعبية ابنة أحياء فقيرة ، لا ذوق لديها ولا حياء .. كانت بذيئة اللسان وقحة يا أستاذ ..أبي ظن أنه ما زال ذلك الفقير وابن الفقير ، وعليه أن يتزوج من الفقراء .. فقبل الزواج من ابنة حي شعبي.. نسي نفسه وأنه من وسط اجتماعي تغير عن طفولته .. كنت أخجل من الجلوس معها .. ألفاظها سوقية ؛ لكن كان علينا الرضى بالأمر الواقع ، والتظاهر بالرضا .. للأسف نسي نفسه وموضعه الاجتماعي ذلنا آخر عمره .. رجل أعمال كبير تزوج امرأة جاهلة لم تتعلم في أي جامعة !

كان محامي نوفل يعلم بغض وحقد أولاد نوفل على زوجة أبيهم ، فقال مخففا من توتر وغضب مفتاح : هذا قدر الله يا مفتاح ! المرأة حسب معرفتي بها من خلال الوالد وزيارتي للقصر لا بأس بها ؛ لكن ابنها هو سبب المشاكل .. ظن نفسه متزوجا للحاج معها .. غداء عشاء نوم .. يأتي للقصر سكرانا .. لم يعد الوالد يطيق ذلك .. والطباخ عويس لم يستطع إبعاده عن أمه والقصر وقد فكروا بتزويجه ليهجر القصر ؛ ولكنهم خشوا فشله في الزواج والمزيد من المشاكل .. وسبب ذلك تعرضه قبل زواج أمه من أبيك لحادث سير .. وسبب له مشاكل عقلية واضطرابات دماغية .

ـ عائلة سيئة جشعة ! لقد نسي أبي من أجل شهوته الميتة نفسه وموقعه الاجتماعي منذ عقود .. ولقد صار سخرية للأصدقاء والأقارب والعائلات .

ـ تعلق بالنساء ، لم يعد يتحمل الوحدة .

ـ قلنا له سنة واحدة ، ثم سنزوجه ابنة عائلة كبيرة ؛ ولكنه كلّف الطباخ بالبحث عن زوجة أرملة .. وبماذا سيأتي له الطباخ إلا بامرأة من طينته وطبقته السيئة ؟ !

لقد رحل إلى رحمة الله .. وانتهينا من حضرة الطاهي .

ـ ولكنه ماهر جدا في الطهو يا مفتاح ، ويعمل في فندق كبير !



تلقت الشرطة إخبارية عن وجود جثة في أحد منازل حي وادي وهدان ، وتوجهت الشرطة والدوريات الأمنية على الطرق الخارجية إلى العنوان المذكور حيث وجدت الجثة في حجرة مهجورة ، وهي في طرف بعيد عن الحي المأهول ، وتبين لرجال الأمن أنها كانت لحارس في أحد المحاجر القديمة .

حضرت الفرق المحققة.. الفريق الجنائي والمختبر الجنائي والطب الشرعي .. وتبين لهم أن الجثة لها عدة أيام ، وعلى الطب الشرعي تحديد وقت الجريمة وتاريخ الجريمة ، وكانت مخنوقة بسلك معدني ، وظهر في المكان آثار حديثة لعجلات سيارة واحدة .. وكان في الغرفة الوحيدة موقد نار ، وأدوات طعام ، وإبريق شاي وغلاية قهوة ، وفانوس أو سراج يعمل بمادة الكيروسين الكاز .. فهو مكان يصلح للاختفاء وليس للحياة .. ولما انتهى التصوير الجنائي ورفعت البصمات وفتش المكان وما حوله رفعت الجثة لسيارة الإسعاف ؛ لتنقل إلى قسم الطب الشرعي في المستشفى القريب من المنطقة لإجراء التشريح العميق للجثة .. وتبيين سبب الوفاة ووقتها ، وكيف ماتت ؟ وكانت الجثة في حالة سيئة ، وتبين للشرطة أن الاتصال كان من هاتف أرضي عام .. وعرفت الشرطة أن القتيل كان مطلوبا للشرطة ومطاردا من قبلها بسبب حادث سير .. فدخل حمزة المحقق على خط التحقيق ، فذهب مع فريقه لمعاينة مكان الجريمة ، ومعهم الفريق المكلف بالبحث عن الجاني ..وأمام معطيات التحقيق ومعرفة شخصية الضحية سيكون التحقيق والبحث مع أصحاب نضال خوخو واستئجار السيارة من خالد ..وأصبحت التحقيقات والتحريات حول مالك السيارة وسلسلة المستأجرين للسيارة ومن لهم معرفة بين نضال وخالد ، وأن السيد نضالا كان يطلب من خالد استئجار سيارة من مؤجر ..وكان خالد يطلب من معرفة له استئجار سيارة ، ويستأجرها هو منه بدفع أجرة بزيادة بضعة دنانير ، ويقوم نضال بسرقة أو تهريبة أو دعارة بواسطتها .. ولم تستطع الشرطة إثبات أكثر من ذلك ، وشهد أكثر من شخص على مثل هذا الفعل .

الشرطة تبحث عن الذي كلّف نضال بهذه المهمات المعقدة التي أدت إلى قتله واغتياله واعترف أحد رفاق نضال أن المكان الذي قتل فيه يختبئون فيه من مطاردة الشرطة ، ويخفون فيه صفقات مخدرات أو

تهريبات أجهزة ممنوعة في البلاد .. والمكان معروف لعدد من العصابات واللصوص وأكد هؤلاء الرفاق أن نضالا لا يعمل وحده ؛ إنما يستعين بهم وببعضهم في بعض المهمات الأقل خطورة مقابل المال والدفع الفوري والاختفاء الصوري .. ورجح البوليس أن المتصل هو القاتل ، فلما رتب أموره وعلم أن الشرطة لم تكتشف الجثة اتصل مخبرا عنها بمخبر مجهول .. وقررت الإدارة مراقبة المكان خفية ما دام مستخدما من قبل المهربين والمجرمين .. فهم رأوا أنهم بحاجة لصيد يتردد على المكان .

وأثمرت الرقابة السرية بالقبض على ثلاثة مهربين حشيش ، وظلت الرقابة على المكان والموقع

وتبين أثناء التحقيق أنهم يعرفون السيد نضال خوخو ، ولا يعملون معه .. واعترف أحدهم أنه عرف المكان من نضال ، ودل عليه عصابته وجماعته ، واشتغل معه مرة واحدة في تهريب كمية من الذهب المسروق لأحد التجار ؛ وذلك قبل عشر سنوات .

كان حمزة ومساعده عماد يتحدثان عن مجريات التحقيق في سلسلة الجرائم ويتسألان : من استأجر نضالا لدعس المرأة هادية ؟! وما علاقتها بقتل الحاج نوفل ؟ ..اعترف أحد رفاق نضال أن الرجل كان يدبر لعملية كبيرة ؛ ولكنه لم يفصح له عنها أو عن تفاصيلها ، وظن أنها عملية تهريب كبيرة ؛ وليست عملية دعس أو قتل ، فلم يعملوا معه لقتل أحد ، وهو بعد دعس المرأة اختفى عن الرفاق ، وشاع أنه خارج البلاد أو المدينة حتى ظهرت جثته في ذلك القفر البعيد المحجر المهجور

قال حمزة : قضيتنا معقدة يا حضرة الملازم أو قل تعقدت وكبرت ! كنّا بواحدة أصبحنا بثلاثة لماذا كل هذا التعقيد ؟! هل هي مترابطة يا عماد في نظرك كما نرى ونعتقد اليوم ؟ هل قابلت هادية الحاج نوفل حقيقة يا ملازم عماد ؟

ـ إشارة مهمة !

التقى المحقق في جريمة نوفل بمحقق جريمة نضال الضابط نزار ؛ لتبادل المعلومات والافتراضات . فقال نزار : أنتم تعتقدون أن السيد نضالا دعس المرأة عمدا وتنفيذا لأمر من قبل شخص يتحكم فيه أو لحساب شخص ما .. وأن نضالا اختفى على أثر الجريمة بعد وصلوكم للسيارة التي تم بها الحادث ، واختفى في ذلك البيت المهجور ، والمستخدم من قبل ا لمهربين واللصوص ، وقضى فيه حياته قتلا وخنقا ؛ ولكنكم تقولون إن بين الحادثين أكثر من أسبوعين .

قال حمزة : صحيح ! هو لم يختف مباشرة ؛ ربما لما علم بوصولنا للسيارة المرتكب بها حادث الدهس

.. وكان بين مقتل هادية وزوجها نوفل أكثر من أسبوع .. هادية تبين من اعترافها أثناء الاحتضار لدى الممرضات والأطباء أنها كانت ليلة الحادث في بيت زوجها خفية ، وقابلته ليعدل عن الطلاق .. فحادث الدهس أطلق لسانها بالاعتراف ؛ وربما قالت غير ذلك من الكلام ولكن الأطباء والممرضين لم يحفظوا كل ما قالت لعدم الاهتمام أول الاعتراف .. لقد قضت معه في القصر أكثر من عشر دقائق حسب أقوال زوج ابنتها الذي أوصلها بنفسه للقصر ومقابلة السيد ، ولم يطلع الفجر على الزوج وهو حيّ .. هل قتلته ؟ الرجل ينفي أنها فعلت ذلك ، وكانت هادئة عندما خرجت ، ولمح أحدهم يفارقها عند الباب ، لكنه لم يعرفه ، وتوهم أنه الحاج كما فعل ذلك عند الاستقبال .. ونحن نرى أن الكلام أمام الأطباء ناقصا ؛ لأننا لم نفهم سبب هذا .. الاعتراف لا يدل على قاتل على شريك .. هل لها دور في الجريمة ؟! أم تعرف المجرم .. وهذا الراجح لدينا .. فهي اعتبرت نفسها مقتولة لتصمت عنه ، ولمعرفتها للجاني .. وتحقيقات الحادث وصلت إلى أن المقتول نضال هو الفاعل .. كان يعرف يوم العيادة أو بوجودها في العيادة ذلك الظهر .. وانتظر حتى قطعت الشارع ثم دهمها .. فهي قطعت منتظرة ابنها في السيارة التي ابتاعتها له بعد زواجها من السيد نوفل وقبل مقتله بأسابيع .. فهو الذي أوصلها للعيادة ، وذهب للهو والقمار على أن تتصل به بعد خروجها من العيادة .. تبين لنا أن ابنتها تعلم بذهابها للعيادة .. وتكلمت معها أثناء وجودها في العيادة في انتظار دورها للدخول على الطبيب .. وابنها يعلم .. تعرضت للدعس وهرب الفاعل الذي تبين لنا أنه نضال خوخو قتيل المحجر المهجور منذ عشرات السنوات .. والسيارة التي ارتكب بها الدهس خضعت لسلسلة من الإيجارات لتضليل الشرطة للعملية هذه أو غيرها من التهريبات .. ثم قتل الرجل الهارب بظروف غامضة كما تعلم في مكان بعيد عن المدينة العاصمة .. في مكان يستخدمه المجرمون الفارون والمهربون ، اختفى حتى بلغنا عن وجود جثته ؛ فإذا كانت قصة هادية جريمة متعمدة فهذه الجرائم بينها رابط أو أن القاتل والمجرم واحد .

قال نزار : وأنتم لم تعرفوا قاتل السيد !

ـ كان الاشتباه في البداية حول ابنه عادل ؛ حيث تشاجرا ليلة الجريمة ، ثم تبين أنه وقت الجريمة لم يكن على مسرح الحادث .. هناك من شهد على وجوده في بيته .. وابن المرأة المدعوسة هادية أحد المشبوهين لم يكن ليلتها في القصر أو قربه ، فقد كان في حانة يسكر مع رفاقه .. وخدم البيت من جنسيات أجنبية لماذا يقتلون ؟ وعامل التصليح لم

يكن ليلتها عند الجريمة في القصر والطباخ الخاص لا يرقد في القصر ينتهي عمله عصرا ، ولا مصلحة مادية له في قتله .. والمرأة وزوج ابنتها لا مصلحة لهم في قتله .. ونضال لم يشاهد حول القصر ولحساب من سيقتل ؟! دافع القتل البين لمقتل نوفل المال .. وأكثرهم حاجة للمال ابنه عادل ، وليس لدينا دافع آخر لحتى الآن.

ـ والجريمة لابد لها من فاعل .. وباقي أفراد الأسرة وضعهم سليم .

ـ ثبت لنا ما عدا عادلا أن أمورهم المالية طيبة وسليمة ، ليسوا بعجلة لمزيد من المال .. فهم أصحاب ثروات وشهادات جامعية ، فأوضاعهم ممتازة إلا ذاك العادل .. وكان في وقت الجريمة في البيت نائما أو سكرانا إلا إذا كلّف نضالا أو غيره .. وهذا ما نحاول إثباته لليوم .. والجريمة تحتاج لرجل يعرف القصر ونظامه جيدا ، ويملك مفاتيحه أو قل مفتاح غرفة الحاج نوفل .. ويعرف أن للسيد مسدسا في حجرته ..وإن كانت معرفة ذلك ليست صعبة لاشتهار الحاج بالصيد .. ويملك قصورا للصيد في أطراف المدينة ..وإنه صياد قطط في داخل قصره .. فالقاتل قتله بمسدسه ، وفي حجرة نومه .. وقد استخدم كاتم الصوت .. فهو قدم للقتل .. وأخذ شريحة إلكترونية لهاتف الحاج .. فالخدم لم يسمعوا صوت الرصاص كما شهدوا ، وأطلقت ثلاث رصاصات عليه .

ـ إذا عرفنا قاتل نضال ،فقد نعرف قاتل السيد نوفل .

ـ نعم .

قال نزار : حسن هذا ! اسمع يا رائد حمزة .. نحن تلقينا إشارة مهمة أن النضال هذا بدأت حياته السيئة مع زوج هادية الأول والد نافز .. فهو يعرف المرأة قديما بمعرفته لزوجها .. أحد المعتقلين من أصحاب نضال ذكر أن غريبا زوج هادية عبدو له صداقة مع نضال ، وعملا معا في بيع وتهريب المخدرات .. وكانوا يوفرون المخدر لبعض زبائن الفنادق الكبيرة .. والسيد عويس الطباخ المعروف لكم ، وطباخ السيد نوفل لجزء من النهار هو صديق لغريب زوج هادية الأول.

ـ هل السيد نوفل رجل تهريب ومخدرات ؟

ـ لا ، لا ، ليس هذا قصدي .. هو تاجر أخشاب كبير كما تعلم .. وهو تارك للعمل منذ عشر سنوات .. فهو شريك ومشرف على بعض المتاجر .. وهو تعرف على عويس الطاهي من تردده على فندق عويس للمشاركة في حفلة أو تكريم زائر أجنبي مصدر له .. فأعجب بطهو عويس وأخذه عنده منذ خمس سنوات .. واهتمامنا به ؛ لأننا عرفنا أنه الذي يهرب المخدرات لزبائن الفنادق بغض

طرف من الإدارة .

ـ نحن لم نر للمخدرات دورا في الجريمة ، رأيناها جريمة بسبب المال والميراث ؛ لأن السيد المقتول لا علاقة له بالمخدرات حسب تحرياتنا عنهم .. عويس كان لدينا مجرد طاهي يعمل في وضح النهار ، وفي الليل في الفندق الكبير .. وتعرف على السيد فعلا عن طريق تناول الطعام في الفندق .. ويعمل في القصر بضع ساعات فحسب .

قال الضابط نزار : عويس هذا له معرفة بهادية وزوجها ، وله معرفة بنضال خوخو لتأمين المخدر للزبائن المهمين لدى الفندق .

ـ زوج هادية مروج مخدرات ! ونعرف أن عويسا قريب لهم .

ـ نعم ، بعض رواد الفنادق يطلبون الحشيش والممنوعات ، فيقوم عويس أو غيره بتوفير هذه المواد المحظورة خفية وسرا .. وإدارة الفندق تغض الطرف للمحافظة على الزبائن من الشخصيات المهمة .. وذلك حتى إذا قبض على مروج وبائع صغير تكون الإدارة بعيدة عن التحقيقات والقانون والمشاكل .. وإنها أمور فردية .. فغريب والد نافز كما أخبر المعتقل كان واسطة نضال بين عويس والفندق أو يتظاهر أنه واسطة ؛ لأن نضالا وغريبا أصدقاء وتجار لها فيقوم عويس ببيعها للأجانب متظاهرا أن الإدارة تجهل ذلك .

ـ عويس إذن واسطة بين المهربين والتجار والفندق

ـ نعم ، نعم ، هذا ما نعرفه عنه .. لم يسجل عليه قضية كبرى ؛ليحقق معه .. فاهتمامنا بقضية مقتل نضال لاهتمامنا بالمخدرات .. فعويس يتحصل على العمولة من الطرفين ، وهو طاهي ماهر ، وله زوجة ، وابن وحيد يعمل في التدريس ويسكنون في بناية واحدة .. نحن نرى أن علاقته لنوفل علاقة طعام وإعجاب بطهوه ، وسلمه الرجل مطبخه .

ـ وهذا ما علمناه .

ـ ركز على علاقته بهادية ؛ لأنه كما علمنا منك ومن غيرك أنه هو الذي زوجها للسيد نوفل .

قال حمزة : نعم ، وذلك أثناء التحقيق الأولي.. بعد وفاة زوجة نوفل رغب الشيخ بالزواج رغم بلوغه السبعين من العمر .. منذ الشهر الأول رغب بذلك ، فرفض أولاده التسرع في الزواج قبل مضي سنة على وفاة أمهم .. تقاليد مهمة لديهم ؛ ولكنه رفض الاعتراض ، وتدخلهم في حياته ، وغضب منهم جميعا .. وساعده الطباخ في تحقيق ذلك الزواج من تلك الأرملة القريبة له ، وأصبحت السيدة وابنها سادة القصر لبضعة شهور حتى تصالح مع الأولاد ، وعادت الأمور لسابق عهدها ..وكان السيد قد ضاق ذرعا من وجود ابن زوجته معه في القصر ، وصبر على مضض .. والمرأة فوق الأربعين ليست صغيرة ؛ لكنها كسبت مالا وفيرا

بعد ميراثا ؛ لكنه ينتظر انتهاء التحقيق في مصرعه .. وهذا الابن تعرض لحادث سير قبل زمن من زواج أمه من السيد نوفل ، فأصبح على أثره عطيلا عالة على أمه ، فلم يستطع الابتعاد عنها بعد الزواج ، وأصبح القصر مكانه ، ويذهب في آخر الليل للمبيت في شقتهم قبل الزواج ..وكان السيد في أول عهده بالزواج ومقاطعة أولاده له يصمت ويصبر ويتذمر بضعف .. ولما تصالح مع الأولاد ارتفع اعتراضه على وجوده في القصر ، وكثرة تردده وأقارب زوجته على القصر .. وكان الشاب يأتي للقصر سكرانا مما زاد الطين بلة .. وتعرضت أمه لعدة طلقات ؛ ولكنها لم توثق رسميا .. وكان عويس الطباخ يصلح بينهم لعدة أيام ، ثم تحدث المشاكل من جديد .. وعجزت الأم من الخلاص من ابنها .. فطردهما الحاج لفترة ، ثم تصالحا، ثم رتبوا الطلاق رسميا .. وتحدد موعد جلسة أمام القاضي ؛ ليكون الطلاق قانونيا وشرعيا.. وفي الصباح أصبح الرجل مقتولا بظروف غامضة ؛ ولكنها قبل لفظ نفسها بحادث السيارة ذكرت أمام الفريق الطبي أنها كانت في بيت الحاج نوفل ليلة موته ، ولم نفهم سبب قولها هذا الاعتراف وهي تحتضر .. هل القول ناقص ولم يكتمل ؟! هل قتلت ؟! هل لها يد في القتل ؟! زوج ابنتها ثبت لدينا بُعده عن الجريمة والتآمر ، وليس له سوابق جنائية وملفه نظيف ، وكذلك زوجته .

اجتماع

عقد الرائد حمزة وفريقه اجتماعا لمناقشة القضية التي كلّف بها ، وهي قضية مقتل السيد نوفل في قصره ، وجلس الفريق حول الطاولة المستديرة في دائرة الشرطة فقال : هناك تطورات في القضية قد تغير مسار التحقيق ، فقد ظهرت المخدرات في القضية ، وليس المال والطمع فحسب .. نحن رتبنا أمرنا على أن الدافع المهم للجريمة أموال السيد نوفل.. فالطباخ عويس طباخ القصر نهارا وطباخ الفندق ليلا .. فهو غير عمله كطاه فهو معروف لدى دائرة المخدرات بإدخال المخدرات بأنواعها إلى زبائن الفندق بعلم الإدارة أو بجهلها أو التظاهر بالجهل مقابل عمولة يأخذها من المهربين أو التجار ، ومن زبائن الفندق .. وهذا العويس يوفرها لهم عن طريق رجل اسمه غريب قريب له أو معرفة قوية ؛ ولكنه ميت من عشر سنوات .. وهذا الرجل الميت هو والد نافز وزوج هادية الأول .. وقد ترملت عنه .. وغريب هذا كان زميل ورفيق نضال خوخو المعروف في وسط المهربين بالتهريب وترويج المخدرات في البلد ، وما حولها من البلدان .. ونضال كما تعلمون قتل في محجر بعيد عنا ، وتبين لنا أنه قتل منذ أيام من قبل البلاغ .. ونضال هو المتهم بدهس هادية ..

وهادية زوجة نوفل .. وعويس يعرف هادية ونوفلا وغريبا ؛ وربما نضال .. وقد يكون هو مزوده بالمخدرات بعد وفاة غريب .. وهو الذي زوج هادية الأرملة للعجوز نوفل .. وأحد أصدقاء نضال بين للشرطة أن نضالا كان صديقا لهادية رغم ترملها .. وكاد يتخذها بعد ترملها زوجة .. والمرأة معروفة لدى دائرة المخدرات من أيام حياة زوجها ؛ ولكنها لما ترملت لم يعد لها نشاط في التهريب والترويج .. وعويس خلاصة وسيط بين طالبي المخدر في الفندق ومروجي البيع كنضال وغريب وغيرهم ..ويأخذ العمولة من الطرفين .. فنريد التحقيق حوله ، وهل له علاقة بالجريمة ؟ وهل هناك مخدرات في القصر وقصور نوفل ؟ هم يؤكدون أن نوفلا تاجر أخشاب فحسب ، لا علاقة له بالمخدرات ، ولم تستغل تجارته للتهريب .. وهل عرف شيئا عن عويس جعله يغدر به ؟..هل هو هناك أكثر من طاهي في القصر ؟ هل تعاطى نوفل المخدرات كزبائن الفندق ؟ وألحق عويسا كطباخ لذر العيون وتوفير المخدر له ؟ وأنا سأطلب نافزا مرة أخرى للتحقيق ؛ لأعرف قوة وضعف العلاقة بين أمه وعويس ، وعلاقتهم بنضال ومعرفتهم به .

قال وكيل الادعاء : قضيتنا معقدة يا حمزة !

ـ نعم ، يا سيدي .. هي من البداية غامضة رغم أنها بدت بسيطة عند الوهلة الأولى .. رجل عجوز يقتل في عقر داره سيكون السبب المال والميراث ..كنت أظن أننا سننتهي منها خلال أيام وليس أسابيع وأشهر .. لم يكن عويس ظاهرا بدور معين .. وما زال دوره غامض إذا كان له دور في الجريمة .. ونضال لم يظهر على مسرح جريمة القصر .. وللأسف خدم القصر ليس لديهم معلومات وأعاجم لا يفهمون ما يدور في القصر ..فهم لم يسمعوا شيئا مهما ، ولا عرفوا بمجيء هادية .. ولا ساعة إطلاق الرصاص .. مهمتهم تقديم الخدمة ، وتنظيف القصر .. سأعود لزيارة القصر والحديث معهم .

ـ وماذا يفيد التحقيق إذا كان للرجل يد في المخدر ؟

ـ يكون السيد نوفل قد هدد عويسا بفضحه .

ـ هو معروف يا رائد حمزة لدى المكافحة بأنه وسيط لزبائن الفندق فقط وبغض نظر من الإدارة

ـ هناك كلام سمعته من نافز عن عويس لم ألق له بالا آنئذ .. وهو أنه وعد أمه بالزواج منها إن طلقها الحاج ، وأصر على ذلك ؛ لترجع وتعود للسيد.. وذلك لما طردها وابنها إحدى المرات ، وعادت بناء على شفاعته المتكررة .. فهناك علاقة قوية بينها وبين عويس ، وقد كان صديقا لزوجها غريب .. وزبونا عندهم .. وله مصلحة تكشفت لنا الآن

وصداقته كذلك لنضال خوخو .

قال : أي مال سيكون للزوجة سيستفيد منه نافز ونعيمة وزوج نعيمة .

ـ إذا عرف قاتل نضال سيعرف قاتلنا يا سيدي ! وإذا عرفنا قاتلنا سنعرف قاتل نضال !

ـ والمرأة هل قتلت عمدا ؟

ـ الظواهر تدل على ذلك.. لكن كيف عرف القاتل نضال وقت خروجها من العيادة ؟! ليترصد لها ويدعسها هي ، ولا يخطئها ، ويصيب امرأة أخرى .. جريمة محبوكة .

ـ ولن يعرف أحد أن المقصود هادية نفسها ..إنه حادث دعس متكرر كل يوم في شوارع مدننا

ـ عندما نعرف عويسا أكثر ربما يتحرك الموضوع .. فدوره في القضية غامض .. فهو يعرف القصر والحاج ونافزا والمسدس ونظام الخدم .. إذا اتضح أن له هدفا في القضية والمعمعة سيكتشف الكثير من الغموض .

ـ أنت متفائل !

- لابد من معرفة الجاني والوصول إليه .

لبى نافز غريب دعوة الشرطة ، فهو كسائر أولاد نوفل ينتظر انتهاء التحقيق ؛ ليرث حصة أمه ويعرف قاتل السيد ، فلما جلس أمام المحقق حمزة رُحب به ، وقدمت له القهوة ، أشعل سيجارة ونفث منها عدة نفثات ، فقال حمزة : هل تتابع أنت قضية دعس والدتك ؟

قال متظاهرا باللامبالاة : علمت من أختي وزوجها أنكم تتهمون رجلا اسمه نضال ..وقد وجدتموه مقتولا في الصحراء .

ـ جيد ! اسمع يا سيد نافز .. أنت تعلم أنك كنت أحد المشتبه بهم في قضية مقتل سيد القصر .. وثبت بعدك عن مسرح الحادث تلك الليلة .. وقد توصلنا بالتحقيق المضني أن قتل أمك كان متعمدا ..وأن السيد نضالا المقتول في الصحراء كما تقول هو المنفذ للدعس .. فكيف معرفتك به ؟ فقد كان صديقا لوالدك قبل موته من عشر سنوات .. وهو يعرف والدتك حق المعرفة.

ـ بل هو صديق للعائلة رغم هلاك أبي .. أنا مات والدي وأنا ابن أربع عشرة سنة .. ونعيمة تكبرني بعامين .. فنحن نعرف السيد حق المعرفة كشخص وصديق للأسرة للوالد والوالدة .. وهو معروف لدى العائلة بتجارة المخدرات وبيعها وتهريبها .. أبي كان سائقا يعمل على سفريات خارجية بين عواصم الدول العربية وتركيا وأوروبا الشرقية .. وكان أحيانا يعمل على شاحنات سيارات كبيرة هكذا قضى حياته ..ونتيجة هذا العمل تعلم التهريب وتعاطي الحشيش وغيره لزيادة الدخل والكيف .. كان مهربا صغيرا يعمل لغيره .. هذا علمناه من أمنا لما

كبرنا ووعينا .. كان والدي ، وكذلك والدتي من أهل السكر والتدخين وبعض المخدرات وتعرف أبي على أمي في مدينة طرابلس في لبنان وتزوجها .. وعاد بها لبلدنا هذا .. وكان السيد نضال يكلف الوالد بنقل المخدرات المزروعة بالدول العربية إلى دول أخرى .. فهو صديق الوالد منذ تعرفا .. وبعد موت أبي بانقلاب سيارته وموته ظل صديقا للعائلة .. وعلمنا أنه فكر بالزواج من أمنا بعد ترملها ولم يحدث النصيب كما يقال ..ولما مات أبي لم يترك لنا الكثير من المال .. فكان ينفقه على شرابه وقماره .. وترك لنا الشقة التي نعيش فيها قبل زواج أمي من نوفل والسيارة التي كان بها مقتله بيعت بمبلغ زهيد .. فهذه يا سيدي قصة أبي مع نضال .. وأنا لما تعرضت لحادث بسبب الشراب أيضا فأثّر الحادث على بدني وعقلي .. فأصبحت ضعيفا لا أستطيع العمل المتتابع .. وساعدتنا بعض الجمعيات حتى تخرجت نعيمة وعملت في أحد البنوك .. وتعرفت على زوجها وكانت تساعدنا إلى حد ما .. وعشنا .. وكان نضال يتكرم علينا بين الحين والآخر ببعض المال .. والسيد عويس ظل يدعم الأسرة حتى تعلمت أنا ونعيمة ؛ ولكن الحادث أبعدني عن العمل كليا ..فهو قريب لأبي ولي قرابة بعيدة .. وهو الذي أقنع أمي بالاقتران من السيد نوفل لتستفيد قرشين كمهر وميراث ..

وهو استفاد عمولة مثلنا .. والسيد نوفل مطمع كصندوق مال .. فهو كبير في السن غير قادر على الجماع .. فزوجته الميتة منذ عشر سنين لم يقربها لمرضها ولضعف طبيعته ؛ لكنه رغب بالزواج ظانا بأنه سيعود شبابا .. وليقنعها به تعهد بالزواج منها إذا فشل الزواج بسرعة عندما يكتشف السيد أنه لا يصلح للنساء .. وعويس ذو زوجة عليلة من عهد بعيد يرعاها ابنهما الوحيد .. وهو كما تعرفون طباخ فندق وحفلات خاصة .. وصاحب كأس وبعض الميسر .

ـ والمخدرات .

ـ ربما .. أنا لا أعرف عنه ذلك .. هو يساعد ويرشد إلى من يبيع ويشتري مقابل سمسرة فبعض رواد الفنادق التي يعمل فيها يوفرها لهم مقابل المساعدة وبغض نظر من أصحاب الفنادق .. فهذا معروف عنه ، والشرطة كما يقول تعرف ذلك عنه .. وكان أبي يوفرها له عن طريق نضال ثم تعرف على نضال وغيره مباشرة ؛ لأن أبي أحيانا كثيرة يكون في رحلة تستغرق أياما وأسابيع فعرفه على نضال ورفاقه ..وأنتم تزعمون أن نضالا قتل أمي ..ونضال قد مات فهل هذه الحقيقة ؟! الله أعلم ..وتباع المخدرات بواسطة خدم الفندق ينقلون الرسالة لعويس ، وهو يفهم الطلب لأني أحيانا كنت أذهب بها له مقابل حصة من المال .. أريد أن

أعيش وأشرب .. المال مذلة للرجال !

وقف حمزة وقال : استدعِ يا عماد الطاهي عويس ..

شكرًا نافز أفندي .. قد تكون قضيتنا أشرفت على النهاية؛ لتكسب ميراث أمك ، وتصبح ثريا .. السيد نوفل لا يتعاطى المخدرات

ـ نوفل ! أبدا هو رجل نظيف ، يصلي ويصوم ويقرأ القرآن !



عويس

لبى عويس نداء المحقق حمزة وجلس في غرفة التحقيق ، وسمح له بشرب القهوة وتدخين سيجارة ؛ ليذهب ما به من توتر ، وسمع الضابط يقول : عويس سبق أن تحدثنا معك حول مقتل سيد القصر نوفل ، وبعد دعس السيدة هادية ، وترجح لدينا القصد الجنائي ، وتبين لنا أن الفاعل يعرفها ويعرفك ..وهو القتيل نضال خوخو .. فعلمنا أن لك علاقة ومصلحة بالسيد نضال الذي قتل في مكان مهجور على الطريق الصحراوي .. وأكد السيد نافز هذه العلاقة!

ـ لقد التقيت بالضابط المحقق في مقتل السيد نضال .. ونضال شخص معروف للبوليس كتاجر مخدرات ومهربات .. وهو سجين سابق ..وأنا تعرفت عليه عن طريق والد نافز وزوجته هادية التي دهسها ، كما أصبح معلوما للناس من شهر مضى .

ـ جيد يا عويس ! علمنا أنك مهدت الطريق لبيع المخدرات لزبائن الفندق الذي تعمل فيه وغيره ، وخاصة للأجانب والغرباء .

ـ هذه قضية أخرى يا سيدي ! وهذا تعلمه الدولة ، وتغض النظر عنه لدعم قطاع السياحة .. وأنا أستفيد بعض المال .. وإن بدا سريا فهو معلوم ..أنا لا أدخل المخدرات للبلد من الموجود

ـ هذا معروف لدينا يا سيد عويس ! ولا يهمنا ذلك .

ـ أنا مهنتي الطبخ خاصة الطعام الشرقي القديم .. عملت في مطاعم سياحية كبيرة والفنادق الكبيرة .. هناك أناس يحبون المطبخ القديم والتقليدي كما أن هناك من يحب الطبخ الغربي .. وأتقن بعضه ، ولست بارعا فيه .. أثناء العمل في هذه الأماكن عرفنا أن بعض الرواد يطلبون المخدرات كالحشيش والمار جوانا كما يسميها الأمريكان والمهلوسات .. ومع الوقت أصبحت أستطيع المساعدة بمعرفتي لقريبي غريب وعلاقته بها ..وقد كان معروفا في العائلة الكبيرة بتعاطيها لعمله وسفره الدائم فساعدني بتوفيرها خفية للزبائن .. والإدارة لا تتدخل في منعها ولكن

يكون الطلب عن طريق خدم الغرف والقاعات .. ونتيجة لكثرة سفر قريبي غريب اضطررت للتعرف على مروجين غيره لتأمينها لهم في أي وقت .. الحاجة أم الاختراع .

قال حمزة ضاحكا : الحاجة أم الاختراع.. جميل هذا منك!

ـ وهي وأنت سيد العارفين تباع ولو سرا في الملاهي والنوادي الليلة وحانات الخمور للزبائن الموثوقين .. وأنا أجمع بين التاجر والزبون .. إما في أماكن عامة أو مقاهي أو موقف سيارات الفندق حسب رغبة الزبون .. وأخذ عمولتي من الفريقين .. أنا لا أبيع ولا أشتري .. مجرد وسيط .. وقلت هذه الخدمة بمعرفة أصحاب المطاعم والفنادق دون قرار رسمي كما يقال .. فهي أماكن الأصل ألا تباع فيها أو تُمارس بحكم القانون العام .. وهذه الأصناف كما أسمع أنها مباحة في بعض الدول .. ولا تحرمها خاصة بعض الأنواع كالحشيش .. والفندق لا يتقاضى عليها أجرة ؛ إنما يسكت عن تعاطيها وإدخالها للزبائن .. الخدم هم يخبرونني بالأمر وأنا أتصرف بخبرتي وبسرية تامة .. ويؤمنها غريب قبل موته أو نضال أو غيرهما ؛ لأنه لا يصح ترك الزبون ينتظر ظهور ووجود هذين الشخصين .. هناك غيري سيدبرها لهم .. ورجال المكافحة يعرفون هذه الواسطة ؛ لأنها تؤمن بكميات ضئيلة للتعاطي فقط .. وأيضاً لنجاح السياحة .. وهؤلاء قادمون للفرح والانبساط والكيف ؛ وليس فقط مشاهدة الآثار القديمة وتصويرها .. والسياحة كما تعلم تحتاج للكيف والدعارة وتوفير الممنوعات .

ـ أفهم ذلك .. فالسائح طائر مهاجر ..فمطلوب أن يترك أكبر كمية من المال لدعم الحركة السياحية والدخل القومي .. صراحة هل للسيدة هادية علاقة بالدعارة على ذكر الدعارة ؟!

سكت عويس دقائق يفكر ثم قال : هي أرملة منذ أكثر من عشر سنوات .. وأنا تعرفت عليها بحكم قرابتي لزوجها الأول .. علمت ولم أتحقق أنها كانت زوجة قبل أن يتزوجها غريب .. هو تعرف عليها في ملهى أو حانة خمارة في طرابلس الشام .. وأتى بها وتزوجها .. والحق أن زوجها كان يكلفها بنقل الممنوعات سواء للخارج أو الداخل .. وولدت له نافزا ونعيمة ، وأنت تعرفهم .. ولما مات زوجها الأول غريب كان وضعها المادي سيئا ومأسويا .. وكان الرجل يبيع ويهرب لقضاء شهواته وملذاته .. حاولت بعد ترملها العمل بالدعارة والنوادي الليلة والبارات ؛ لكنها كانت كبيرة فوق الثلاثين ، ليست مرغوبة كثيرا للقوادين .. أولئك يحبون الفتيات الصغيرات دون الثلاثين .. لم توفق في بيع جسدها كثيرا .. وأقول

بصراحة إنها حملت سفاحا بعد ترملها .. فاضطرت لعمل عملية إجهاض فأصبحت تقدم خدمات جنسية للكبار فحسب .. وكنت حقيقة أوفر لها الزبائن في الفنادق والنوادي الليلة التي أعرف أصحابها فتستفيد هي بعض المال وصاحب الملهى والفندق نصيبا منه .. وتنفق على أبنائها حتى تعلموا وتخرجوا من الجامعات ..وساعدت نعيمة قبل زواجها وبعده بمساعدة أمها وأخيها .. وتوقفت المساعدة بزواجها من السيد نوفل الذي كان بحاجة لخدمة جنسية بدون معاشرة مباشرة .. كنت أتصل بها وتحضر لمكان ما ويأخذها الزبون إلى حيث يريد سواء في شقة خاصة أو الفندق أو الملهى .. لم تكن تُمارس الجنس بعد الإجهاض ؛ إنها تقدم خدمات يسمونها جنسية الشباب يبحث عن الصغيرات ، والكبار يبحثون عن الكبيرات ؛ وربما لي أكثر من خمس سنوات لم أطلب منها خدمة كهذه يا سيدي ؛ ولكن ربما عن طريق نضال فبينهما علاقات جنسية من أيام زوجها حتى كادت تطلق لما عرف غريب بذلك ؛ ولكن نضالا هدده وخوفه فسكت عنها ولما رأيت السيد نوفلا يرغب بالزواج أي زواج .. المهم أن يكون على فراشه امرأة يلهو معها .. تحمست وأقنعتها بالزواج منه والحياة معه .. قد تعجب إذا قالت لي إنه رجل كبير لا يصلح للنساء ، وكانت ابنة خمس وأربعين سنة .. فذكرتها بسنها وستعيش معه كم سنة وتغرق بالمال والأشياء .. وللعلاقة بيننا وافقت وقبلت الزواج والحياة كخادمة للسيد وتغرف من مال السيد مالم تغنمه في حياتها كلها .. ولكن ابنها أساء للحياة في القصر ، وسبب الكثير من المنازعات للسيد ولأمه حتى وصل الأمر لنهايته وهو الطلاق .

ـ لكن نافزا يقول إنك وعدتها بالزواج إذا طلقت وفشل الزواج .

ـ قلت لها ذلك لإقناعها .. وأنا لي نصف زوجة .

ـ سيد عويس هل السيد نوفل يتعاطى المخدرات ؟

ـ لا ، كان الرجل من أهل الصلاة ، ويذهب لصلاة الجمعة في المسجد كالناس .. الرجل من كبار التجار ، وكان يحكم إدارة عدة شركات أيام قوته .. وكان يعمل حفلات ومناسبات في الفنادق والمطاعم الكبيرة للموظفين ولضيوفه الكبار الذين يستورد من بلادهم للترحيب بهم وكان يطلب مني في بعض الأحيان ـ أراه مضطرا ـ بأن أقدم خدمة من نساء ومشروبات لهؤلاء الأجانب .. وقد تعرفت عليه من خلال الفنادق التي عملت بها .. فأنا كما قلت لكم أتقن الطهو القديم ، وتعرفت عليه من خلال الخدم، فقدموني إليه وتصاحبنا إلى حد كبير .. وطلب مني قبل سنوات

العمل لديه في القصر لنصف نهار مقابل أربعمائة دولار شهريا .. والمبلغ مغر لي ، فقبلت ، فأعمل على توفير وجبة الغداء ، وتحضير المطبخ ، وأجهز وجبة العشاء .. وأنصرف .. وأي دعوة يدفع أكثر .. فكان عملي يبدأ من التاسعة صباحا حتى الثالثة شتاء والرابعة صيفا لطول النهار .. وفي الليل أعمل بفندق.

عاود حمزة ونزار الاجتماع لمناقشة القضايا ، فقال حمزة : هل قتل نضال السيدة للعلاقة القائمة بينهم بشأن المخدرات والجنس ؟ولماذا قتل هو الآخر ؟! هؤلاء يقتلون لاحتراق أوراقهم لدى العصابات .. ونحن لا نرى أثر عصابة في جريمة نوفل .. ونضال معروف بعمله وحده في السنوات الأخيرة من حياته .. ويستعين بالآخرين بمهمات معينة ، ثم يصرفهم مقابل عمولة يدفعها لهم .. وقضى نصف عمره بين السجن والتوقيف .. والمرأة قبل زواجها من نوفل كانت تعمل في الدعارة بشكل متقطع ومتباعد .. تعمل شغلا خاصا بها عن طريق عويس ونضال وربما آخرين لم نعرفهم .. وزوّجها عويس للرجل للهفته على الزواج وعودة الحياة إليه بعد ترمله ..وعويس كان يحلم بثروة من ورائها ؛ لكن ابنها سبقه إلى ذلك .

ـ قد يكون صادقا بما اعترف به ؛ لكنها مع نضال كانت تكلف بترويج ونقل بعض الصفقات السريعة ، وكانت له كعشيقة .. هو لا زوجة ولا أولاد .. وابنها يزعم غير ذلك.. وأنها تركت المخدرات من وفاة أبيه ، وأنها شريفة لا تُمارس البغاء ، وهي أشرف أنثى على الأرض كلام ابن فاسق .. كانت تتحصل على المال بعد ترملها من التوزيع والنقل والجنس .. نضال يستخدمها عند الاضطرار ، فهي مكشوفة ومعروفة لرجال المكافحة .. ونحن نتظاهر أحيانا بالجهل ؛ لنعرف الوجوه الجديدة ، ولا أعتقد أنه وصل لمرحلة أن يقتلها بسبب المخدرات .. فهي كانت غنية في السنة الأخيرة ، وليست بحاجة لنقل بضع غرامات لتأخذ بضعة دولارات أعتقد أنها دعست لإخفاء شيء تعلمه عن مقتل نوفل .. وعويس يتردد عليها في الزمن الأخير لماما ، لم يعد بحاجة لخدماتها لزبائنه .. فلديه معارف غيرها ، وأصغر سنا منها ..فهو ليس الوحيد في الفنادق يقدم نفسه للسياح والخدم ، فغيره كثير .

ـ لو كان لدى عويس هدف في قتل السيد لماذا ؟! سيعود المال لابنها أو للسيدة أولا .. وهي تدفع لابنها ليصمت عن فجورها وخمرها ، وقد ترث القصر كله ؛ولكن السيد لما رأى موقف أولاده من زواجه أوقف كل القصور والمنازل التي يملكها لدائرة الأوقاف الرسمية ، وبعضها للنوادي والجمعيات التي يساعدها بالتبرعات

ـ يخيل لي يا حمزة أن الرجل زوّجها لنوفل ليتزوجها بعد موت الرجل موتا طبيعيا أو جنائيا .. طمع بثروة الحاج لما رأى لهفته على الزواج .

قال حمزة : هل لهذا الطباخ يا سيد نزار هذه العقلية المدبرة والمخططة لمثل هكذا جريمة أو جرائم ؟ هل يصلح أن يكون رأسا ؟ لا يبدو عليه الذكاء أمامي .. إنسان يعيش على الهامش .

ـ ضابط المكافحة يقول إن السيد نضالا يملك عقلا إجراميا كبيرا ، وقدرة على السيطرة والإقناع لصغار المجرمين .. وهم يستغربون من طريقة قتله .. والسيدة هادية فتاة بار وخمارة لا تشكل خطرا .. هي تقدم خدمات مقابل مبالغ بسيطة ؛ لتشرب وتدخن وتأكل طعاما فخما هي لا تتعاطى ؛ ربما جربت ذلك في حياة زوجها الأول .. إنها متعلقة بالخمور بجميع أنواعها لعملها في أول شبابها عاملة خمارة .. وقد علمت من ابنها يا حمزة أنها كانت تستغل فرصة خروجها من القصر لزيارة ابنها أو شقيقها أو ابنتها لتشرب كأسا هل يدري السيد بذلك ؟

ـ لم نهتم بهذا يا نزار ؛ لأننا كنا نرى أنها بعيدة عن تنفيذ الجريمة ، وما زلنا ؛ لكنها ربما لعبت دورا دون قصد منها .. هي تشرب ولم تكن مدمنة كما أخبر عويس عنها .. لا تشرب حتى تسكر تشرب لتعودها على ذلك والسيد .. كان يريد امرأة تشاركه الحجرة ..ولما تغضب كانت تعيره برجولته .

ـ هي بالنسبة له محترمة ، ولم تكن تُمارس البغاء لأنها غير مرغوبة من أهل الزنا ولكن إذا أتيحت لها فرصة تقدم عليها دون تردد بعلم عويس أو بدون علمه .. ولا تمانع بتقديم خدمة جنسية لكبار السن .. والسيد رغم ذكائه ونجاحه في الحياة العملية كان مع النساء تقليديا يثق فيهن أو قل فيها .. وهي ليست جميلة ليحرص عليها أصحاب النوادي وعلب الليل .. باختصار علمنا أنها تقدم خدمات جنسية لمنحرفين بحكم تعودها على ذلك مقابل المال .. تغيرت حياتها في القصر إلى حد ما ؛ ولكنها بقيت على حالها المنحرف .. زواجها كان لزمن وضمن لعبة .. لعويس دور فيها ولنضال أيضا.

ـ هل من خطر على حياة عويس ؟!

ـ لا أدري أصدقاء نضال في السجن يرونه نكرة مجرد مراسل بريد .. عندما يطلب منها خدمة ولا علاقة له بتجارة المخدرات .. حياته المطبخ والشراب والسكر وقليل من الميسر .

قال نزار : يمارسه مع زبائن الفندق وأصحابه في الحي أو المقهى .. يتسلى ليس مدمنا عليه .. وعلى كل حال نحن وضعناه تحت المتابعة والرصد ، ونتتبع أخباره .. طريقة استئجار السيارة مريبة يا

حمزة السيارة التي دهست المرأة .. وسجل هاتفها فيه عدد من الاتصالات مع عويس ونضال وحتى ليلة مقتل السيد نوفل سجل أكثر من اتصال معه ، بعضها مجرد اتصال دون كلام ضرب رقم فقط .

ـ هو كما نعلم صديقها ، وهو طباخ نوفل ، وكان يتدخل كثيرا في الإصلاح بينهما ، ويصبرها على الحياة الزوجية .. وابنها هو الذي كان يفسد الأمور والحياة الزوجية .. وهو الذي دفع السيد للتصميم على طلاقها على غير رغبة عويس .. وترتب في النهاية أن يكون الطلاق قانونيا لدى المحكمة ..والفائدة لم تكن كبيرة .. عشرون ألف من الدنانير المحلية .. فهذا مبلغ بسيط أمام الميراث .. هل هناك تدبير بينها وبين عويس ؟ من المنفذ ؟ هل يذهب السيد لفتح البوابة له بنفسه ؟

ـ يستطيع الاستيلاء على المفاتيح .. فله مدة يعمل في القصر .

ـ لم يثبت أنها كانت تعطي عويسا مالا .. العكس هو الصحيح يا نزار ؛ إنما استفاد من إقناعها بالزواج منه ، وأخذ هديته من السيد .



أصبح البيت المهجور أو الغرفة الوحيدة المهجورة تحت مراقبة دوريات الشرطة ، ورجال مكافحة تهريب المخدرات ، فقد رفعت عند اكتشاف الجريمة جميع البصمات التي وجدت هناك وقد تم تصوير المكان والجريمة وآثار عجلات السيارة ، وعرفت الشرطة من المكافحة أن لنضال زوجة تزوجها خارج البلد ، وأحضرها معه ، ولم يوثق عقده عليه في بلده ، وهي تعمل معه في التهريب حسب المعلومات المثبتة عنها ؛ لكنها لم توقف أو تحبس في البلد ، واعترفت المرأة الأخيرة فريدة للشرطة بأن زوجها أودع لديها قبل موته بزمن مبلغ عشرة آلاف دولار أمريكي ولما سألته عن مصدرها من أين ؟ قال : صفقة فقط! وبعد أيام قليلة أعطاها خمسة أخرى ، وقال : باقي الصفقة ! واعترفت أنها تساعده في التهريب كلما احتاج إليها ، وبينت للبوليس أنه يعقد صفقاته في البيت أو المقهى ، وهناك أماكن أخرى تجهلها ، وأخبرت أن جل وقته في المقاهي والحانات ، وأنها تزوجته منذ سنة ونصف ، وأخبرت أنها لم تلد منها ، وهما اتفقا على ذلك ، واعترفت أنها لا تعرف الكثير عن حياته وأسراره ، وأنها تعلم أنه رجل شرير ومحتال ، ويعمل في التهريب ، وهي بحاجة لماله أكثر من بدنه .

ورجحت الشرطة أن هذه الصفقة قد تكون بسبب قتله لهادية عشيقته وصديقته لعشرات السنين ، وأنها لم تكن صفقة مخدرات لعدم دخوله وأعوانه

في هذه الفترة بمهربات وممنوعات ولضآلة المبلغ ـ وهي فترة مقتل نوفل ثم هادية ـ فهي صفقة لقتل المرأة التي عاونتهم بالقضاء على نوفل بعد أن صمم على طلاقها ، وأنها تعرف شيئا عن الجريمة ، ظنوا أن هلاكها بحادث

سير سينتهي بموتها وتقييد الحادثة ضد مجهول .

وأعادت الشرطة التحقيق مع نعيمة وزوجها أنور في شأن تلك الليلة الغامضة والزيارة الغريبة، وأعادت المرأة أن أمها كانت عندها دون شقيقها ، وكانت تتحدث في الهاتف هنا وهناك ، وتكلمت ليلتها مع السيد ، وطلبت اللقاء به قبل الذهاب للمحكمة لإجراء الطلاق قانونيا ، ولما قبل السيد الزيارة تلك الساعة من الليل اضطر أنور لحملها في سيارته . وقال : أنا لن أدخل سأقف أمام القصر . وأكد الزوج هذه المعلومات ، وأنها رنت عليه من هاتفها عند وصلولهم للبوابة الخارجية ، وفعلا كان في الانتظار ، وفتح الباب وأدخلها ، وحياه بيده بالإشارة ، وكان يلبس كوفية حول رأسه، وأنه يعرف هيئة السيد ، لقد جلس معه عشرات المرات في القصر خلال سنة زواجها ، ودخلت السيدة وغابت ما بين عشر وربع ساعة ، وخرجت وردت الباب وراءها ، لم ير السيد عند إغلاق البوابة .. هي ردت الباب ، ودخلت السيارة ، وأعلنت أن الأمور ستحل في الصباح ، وقبل الذهاب للقاضي .. وفهم من كلامها أنها سترجع زوجة للقصر ، وخلال العودة لم تتكلم كثيرا لزمت الصمت ..ولما سئل عن سبب عدم إفصاحها عن هذا اللقاء أثناء التحقيق الأول ، وتكلمت عند الموت . فقال: أنا لم أدر ماذا قالت في ذاك التحقيق ؟ ولا حتى ابنتها ، ولم نهتم بما قالت لكم .. كنّا نحس بقلق أن يكون لنافز دور في الجريمة للمشاكل القائمة بينه وبين السيد .. وإنه ذهب في ساعة غضب وسكر وقابل السيد وقتله ، وأراد الانتقام لأن السيد عويسا بهدله وحقره .. وفاض به الكيل فلما سمعنا بهذا التصريح في المستشفى أكدنا ذلك اللقاء يا سيدي المحقق ..أنا لم أنزل من السيارة ، ونحن كنّا نسعى للصلح بينهم .. أنا ونعيمة وعويس وبعض أقاربهم .. أوكد فتحت البوابة ، ودخلت ، ورفع الرجل يده محييا ، وأدخلها .. لم أذهب للسلام عليه .. وهو بالطبع لم يفعل .. وانتظرت حتى عادت بعد وقت قصير ، وفهمت من كلامها معي أن أمر الطلاق انتهى ،وأن الصلح قادم وباركت لها العودة ، وعدت بها لبيتي ، وجاء الخبر صاعقا في أول الصباح .

مشى حمزة ونزار للمستشفى الذي ماتت فيه هادية ، واجتمعوا مع بعض المرضات اللواتي شاهدن اللحظات الأخيرة للسيدة ، وكررن ما

قيل للشرطة ، وإنها كررت تلك المعلومة أمامهن

" أنا كنت في بيت الحاج تلك الليلة "

فقال نزار : هكذا قالت !

ـ نعم ، فعرفنا أن ذلك شيء تعرفه الشرطة .

فقال حمزة : أتراها لم تر السيد ؟ وأن القاتل هو الذي فتح لها الباب واستقبلها ، وأشار بيده لأنور ليوهمه أنه الحاج نوفل ، وأنه سيد القصر .. لقد أخبر مفتاح أن البوابة كانت مغلقة ، وأن الخادم هو الذي فتح له ، وسمع صوت المفتاح ، وأخبره الخادم فور دخوله أن غرفة السيد مغلقة ، والسيد لا يفتح وأنه كان على وشك الاتصال به .

ـ التقرير الطبي يؤكد أن الجريمة كانت في ذلك الوقت .

ـ التقرير الشرعي يضع ساعتين لحدوث الوفاة الواحدة والثالثة .. المرأة تقول إنها تركت القصر في الثانية فجرا ، وكان بينهما اتصالات .

ـ قد تكون الاتصالات بينها وبين القاتل من تلفون السيد القاتل يا حمزة ..قتله بمعرفة السيدة والسيدة تعرفه ومتآمرة معه ..أتصور ما حدث .. الرجل قتل بعد الواحدة ، ورتبت ساحة الجريمة .. وجاءت السيدة تلك الليلة زاعمة أنها قابلت السيد لبضع دقائق هل هذه الدقائق حلت القضية ؟ إنها قابلت القاتل الذي لبس بعض ثياب السيد ليوهم زوج ابنتها أنه السيد .. فحياه باليد وأدخل المرأة ومكث معها تلك الدقائق ، وغادرت ليوهم المحققين أن الجريمة حدثت بعد الثانية .. ولما اختفت اختفى هو الآخر ؛ ليس بالضرورة أن يترك سيارته قرب القصر .. ولما شعر بالخطر من جهتها كلّف نضالا بدعسها ليبدو لنا أنها ماتت بحادث سيارة طائش ، ثم اضطر لقتل نضال بعد أن عرف أننا عرفنا السائق الهارب .

ـ من يكون ؟ عويس وماذا يستفيد من كل هذه الجرائم ؟!

ـ الدافع للجريمة الأولى غير واضح .. والمرجح أنه المال .. قد يكون الرجل دفعها للزواج منه لترثه ويتزوجها كما تحدث ابنها .. ولما صمم الرجل على الطلاق عجل بالفتك به .. فهي لعبة بين يديه فهي سترث ما دامت زوجة ، لم تطلق قانونيا ، وما زالت في العدة الشرعية كما هو معمول به في بلاد المسلمين .

ـ وهل ترى أن عويسا بهذه القدرة والمكر ؟

ـ هو ليس بهذه القدرة الذهنية والمكر .. الظروف خدمت الرجل .. هو لم يفكر بالجريمة ابتداء لحظ لهفة الحاج للزواج ورفض الأبناء ولجوء الرجل إلى طباخ فلم يصدق عويس ما يحدث واستغل الظروف .. وتذكر هادية أنها امرأة تقدم الخدمات الجنسية لكبار السن والشواذ .. ورتب أمر الزواج والصفقة مع السيدة .. ولا تنسى دوره المستمر في

الإصلاح بينهم ؛ ولكن ابنها أفسد خطته وحياتها ، وصمم السيد بعد صبر على إنهاء الزواج .. وقد يكون أحد الأبناء والبنات طلب منه ذلك ليقوما بتزويجه بعد مرور العام على وفاة أمهم .. فهي لم تكن مقبولة منهم .. وكانوا يرونها فتاة شوارع وبارات .

قال حمزة : هذا صحيح ..لا أحد يتكلم عليها بالحسنى .

ـ فلما خشي الفشل ..تطورت الجريمة في قلبه وذهنه .. ولو استخدم السم بالقتل لانفضح ؛ لأنه طباخ السيد ، واتُهم بذلك فورا .. وهو بحكم عمله في القصر هذه السنوات يعرف مكان المسدس أو المسدسات التي يصطاد الرجل بها القطط .. ويستطيع تقليد المفاتيح دون أن يعرف أحد بذلك .. وهو الذي أقنعها بالزواج بعد ترملها كل هذه السنين ومن رجل عجوز هو يعلم أنه لا يصلح للزواج .. وكذا مرة كاد يفشل الزواج بسبب ذلك ، وتأكد عجز الرجل التام ولكنه يرممه .. فهم كانوا يتوقعون موت الحاج خلال شهور أو سنوات قليلة على الأكثر ليتزوجا ويتمتعوا بثروة نزلت عليهما من السماء .. وهو الذي يستطيع إقناع السيدة بالمجيء تلك الساعة من الليل بزعم مقابلة السيد .. نحن بحاجة لمعلومات دقيقة عنه .

ـ المرأة لم تقابل ذات الزوج ! ـ الخدم لم يشعروا بما جرى .

ـ استيقظوا على صوت غامض لهم .. صوت داخل القصر ، ثم عادوا للنوم ؛ لعلهم سمعوا صرخة الميت ، لم يسمعوا صوت الرصاص .

عاد حمزة يسأل : ولماذا دفع عويس خمسة عشر ألف دولار لقتل السيدة شريكته وهو يريد أن يرثها ؟ فموتها يمنع عنه الزواج والمال .

قال نزار : هو لم يفكر بموتها إلا مضطرا للحفاظ على حياته هو .. فبعد الزواج يقتسمان المال فالمرأة فاسدة قبل أن تعرفه ؛ ولكنه استغل فسادها لصالحه .. يقدمها لزبائنه مقابل المال .. وهي معتادة على ذلك ؛ وربما منذ حياة زوجها ما دام أتى بها من بار لبناني .. وقد عملت إجهاضا بعد ترملها .. وكانت تنقل المخدرات لغريب ولنضال ، وتقدم خدمات جنسية لمن شاء لتسكر وتخمر .. وقل نشاطها في السنوات الأخيرة لكبر سنها ، ولم تقبل الزواج من الشيخ ابتداء كما أخبر ولدها لولا تدخل عويس القوي .. أما لماذا قتلها فقد أصبحت خطرا عليه ؛ ربما خشيت أن تلبس الجريمة ابنها ما دام ابن السيد أبعد عن الاشتباه بعد أن شكت الشرطة بابنها .

ـ هذا الكلام إذا كان الفاعل لقتلها نضال بتكليف من عويس ..إذن علينا معرفة تحركات عويس في الأيام التي قبل الجريمة.. التحقق من حركات

عويس في تلك الفترة .. هو لا يملك سيارة ؛ ولكنه يملك رخصة القيادة .. هل هو الذي خطط لنضال لاستئجار تلك السيارة ؟لا أكاد أحتمل أن يكون هذا الرجل بهذا الذكاء والتدبير .. لقد التقيت به عدة مرات .. هل يعرف تلك الطريقة الملتوية في الاستئجار ؟ هو وسيط جيد في مثل هذه الحيل . .لعبها هو ونضال .. أنا لم أقابل ذاك النضال ؛ ولكن من كلامكم يدل على أنه أذكى وأخبث من عويس قبض خمسة عشر ألفا أمع عويس هذا المبلغ ليدفعه لنضال ليدعس ؟ ثم قتل نضالا المجرم العتيد كيف تركب هذه ؟

ـ حبة مخدر يا حمزة يرقد الثور لدقائق لساعات .

ـ مخدر ..ممكن هذا!

متابعة

"الاشتباه سهل ؛ لكن إثبات التهمة صعب"

هكذا قال عماد لما سمع كلام حمزة الذي نقله عن نزار المحقق في جريمة مقتل نضال .

فقال حمزة : هم يشتبهون أن عويسا وراء هذه الجرائم ، وأنه قتل نضالا ..كيف ؟! فهم لا يعرفون .. هم يجعلون علاقته الشخصية بنضال وهادية احتمالا لارتكاب الجريمة ..ومع أن الرجل تحت المتابعة منذ جريمة نضال ما زال واضحا لا غموض في تصرفاته ..إني لا أصدق أنه بهذا المكر والفطنة يا عماد .. وهو لا يفارق العمل كما يقول المخبر أو فريق المراقبة .. هل يعقل أن يكون هذا الرجل بكل هذا الذكاء والمكر ولا يترك وراءه دليلا عليه ؟!

ـ في جريمة القصر يا سيدي لو وجد الدافع والسبب فباستطاعته ارتكاب الجريمة لمعرفته بنظام القصر ، ويستطيع تقليد المفاتيح كلها ، وسرقة المسدس ، ويستطيع سرقة المكتب بأن يأتي ليلا ويكسر الشباك ؛ ولكن القتل مصلحة وغاية .. لمن يقتل لمصلحة هادية؟!

ـ يقتل لمصلحة الثروة المنتظرة .

ـ وأولادها وزوج ابنتها

قال : الزوج يرث .. أليس كالأبناء والابنة بعد الزواج ؟تكتب له نصيبه وحصته ..ونحن نعلم أن الرجل كان له عليها سلطة منذ ترملت ما دام قد كان يقود عليها ويعطيها لتدخن وتشرب ويعرف ماضيها وحاضرها

ـ ولماذا جند قاتلا لها ؟ وهي لم تعترف بدخول حجرته ، وكانت هناك تمثيلية على زوج ابنتها ليشهد أن السيد حيّ عندما قابلها كما يعتقد المحقق نزار .

ـ ولماذا اضطر لارتكاب جريمة ثالثة ؟! وقد دفع مبلغا كبيرا لنضال إذا صح ذلك مقابل قتل هادية

ـ الحل لهذه الأسئلة عند القاتل .. سنقوم بتحريات أدق عن تحركات عويس يوم ارتكاب جريمة قتل

نضال أين قضى ذلك اليوم؟

قال : كيف سنثبت ذلك؟

ـ عليه هو أن يتحدث عن تلك التحركات .. أين قضى تلك الأيام ؟ اذهب للفندق وحاول معرفة متى فارق العمل ذلك اليوم؟ ..وإننا سنطلبه بعدما يطلبه نزار ، ويعرف تحركاته تلك الأيام الأخيرة من حياة نضال.. المسافة بين المدينة وذلك المكان كم تستغرق من الوقت؟

قال عماد : قد تحتاج أكثر من ساعتين

ـ سنحسبها بالدقة .. ولا تنسى المسافة بين الشارع العام والمحجر ، وأنها طريق ترابية .. والسير عليها ليس كالسير على الطريق المسفلتة ..وكم من الوقت قضى معه قبل أن يغدر به ؟ وهل مشيا لذلك المكان معا ؟ فهو ينكر معرفته لذلك المكان ؛لأنه لا يعمل بالتهريب .. وهو معروف لدى أجهزة المكافحة للمخدرات إذا ثبت الغياب عن العمل سنحتاج لجردة حساب

وبينما هما يتناقشان في الموضوع رن جرس الهاتف ، وكان المتحدث الضابط نزار وبدا لهما منفعلا وهو يخبر أن عويسا كان مريضا تلك الأيام ، ومتغيبا عن الفندق وادخل المستشفى قبل الحادث بيوم ، وغادره بعد ثلاث ساعات إلى بيته .. وأعطي إجازة من الفندق ، وشهد ابنه وزوجته وزوجة عويس أنه خرج من المستشفى للبيت ، وقضى أيام الإجازة طريح الفراش .

ـ تطور خطير يا نزار!

ـ نعم ، علينا أن نبحث عن الحيلة التي التقى بها بنضال .. فالرجل رغم بساطته وتظاهره بالنزاهة فهو ماكر وخبيث كما تبين لي من اللقاء بزملاء العمل

ـ أرجو يا سيدي الضابط أن يثبت ارتكابه للجريمة فورثة نوفل ينتظرون انتهاء التحقيق والمحكمة لتوزيع التركة ، وحتى الجمعيات التي كتب له يتصلون من أجل الأموال ، ولهم محامون يطالبون بذلك .

ـ عسى أن نغلق هذه الملفات الثلاثة يا حمزة ..علينا أن نثبت خروجه من المنزل تلك الأيام أثناء فترة المرض .. وستكون النهاية .

النهاية

جاء عادل نوفل الفندق لمقابلة عويس طاهي قصر والده قبل مقتله ، فاعلم أن السيد موقوف لدى الشرطة مشتبها به في قتل السيد نضال خوخو .. فطلب حجز غرفة وصعد إلى الطابق الثامن ، ودخل الغرفة التي جهزها خادم الفندق ، وطلب مسكرا للغرفة وخدمة الغرف الفندقية .. واغتسل ولما خرج وجد المائدة المطلوبة جاهزة فتناول الطعام وسكر وصرف الخادم وكرر الاتصال على عويس دون فائدة .. وبينما هو في هذا الوضع رن

الهاتف الخاص بالغرفة .. فرفع السماعة وسمع أحدهم يقول له : عويس على الخط سيد عادل .

ـ أهلا عويس لماذا خطك مغلق؟

ـ أنا لدى البوليس .

ـ سمعت .. لماذا ؟

ـ متهم بقتل نضال المهرب سأعترف .

ـ أنت لست القاتل .. بماذا ستعترف ؟

ـ سأعترف بدوري في هذه الجرائم .

ـ الخط مراقب

ـ الشرطة تسمع المكالمة

ـ حسنا اعترف يا عويس عليّ أن أغلق الخط.. اعترف يا عويس اعترف . واغلق السماعة .

وبعد إنهاء المكالمة سمع صوت طلقة في الغرفة ، فزع أمن الفندق إليها ، فتحت الغرفة التي سمع صوت الرصاصة منها .. كانت غرفة السيد عادل أطلق الرجل رصاصة على رأسه فأردت بحياته .. انتحر !

حضرت الشرطة ، والطبيب الشرعي الذي أكد وأعلن الوفاة بعد المعاينة .. وكانت ورقة على منضدة مكتوب عليها "أنا القاتل" عادل

استدعي الرائد حمزة ونزار فقال حمزة : إذن هو القاتل ..قاتل والده !!

ـ هذه الحقيقة .. كان يريد نصف مليون من أبيه فرفض .. فهدده بالقتل .. فلم يهتم الرجل .. فقتله بمساعدة عويس وتهديده .. الرجل الذي يقدم الخدمات مقابل المال .

قال عويس : أنا أعرف السيد عادلا منذ سنوات قبل أن أعمل طباخا في قصر والده .. وهو أفسد أبناء السيد نوفل وأفشلهم .. ولكنه كما كان يقول السيد : ابني ، ولابد أن يكون أحدهم خائبا وسيئا في العائلة إنه ابني رغم أنفي .. كان نضال صديقه في تقديم المخدرات له والنساء الماجنات ..كان يهوى المتعة والزنا والشراب والخبث والنصب ..وكان ينزل هذا الفندق الذي أعمل فيه وعرفته من خلاله .. وكان يسافر لقبرص واليونان وتركيا للدعارة والملاهي المشهورة في مدن تلك البلاد .. سافر أمريكا للتجارة والمشاريع ففشل هناك كما فشل هنا .. واستقر كصاحب مكتب سيارات أجرة ، وبمساعدة كبيرة من أبيه نوفل ..ولكن أكثر السيارات رهنت للبنوك أو بيعت .. الوالد كذا مرة أقال عثرته لأنه ابنه ، ومن أجل خاطر أمه التي ترمل السيد عنها .. كان يعرف هادية وأنها فتاة دعارة ولا أعتقد أنه مسها جنسيا قبل زواج أبيه منها أو بعده لم تكن تروق له ..أنا لما أدركت أن السيد يريد امرأة ليجدد شبابه كما كان يزعم .. رأيت أن تلك المرأة ستقدم له تلك الخدمة كما تقدمها لزبائنها ..لم تصمد كزوجة ..كنّا نأمل وفاة الحاج بعد شهور ..ونكسب وإياها بعض المال

الكثير الذي لدى الحاج .. لم يعجب ذلك عادل رغم تبريراتي له ودفاعي عن ذلك ..وأن طلاقها سيكون أسهل من زواجه لابنة عائلات ..فسكت على مضض .. طالبه عادل ببعض الميراث .. فقال له بقوة : لما أموت يصير ميراثا يا فهيم .. اصبر لم يعد في العمر بقية .. طلب نصف مليون .. رفض الوالد هذا الكلام .. وكنت أعرف ذلك بحكم قربي من الحاج خاصة عند وجبة الغداء فيتكلم أمامي دون تردد .. لي سنوات أعمل عنده .. وأنا من وقف معه عند حاجته للزواج .. وكان يعتبرني كوالد لهادية أو شقيق أكبر .. قام هو بسرقة مكشوفة للمكتب ؛ ولكنه لم يجد سوى نصف الف دينار .. وبعض قطع الذهب.. سكت الأب وإن شكى الأمر للشرطة ؛ لتخويف الابن من المخاطرة مرة أخرى واقتحام غرفة نومه .. ورفض إقراضه كقرض لأنه لا يسد .. وقد اقترض الكثير كما قال .. هددني الرجل بالقتل إن لم أتعاون معه على الخلاص من أبيه .. سرق مسدس أبيه ومفاتيح غرفة النوم والقصر ..كنت تلك الأيام أظنه لن يقتل إنما هي مجرد حركات صبيانية .. قلت ربما يقتحم حجرة والده ويهدده ليوقع له على شيك ـ كما فهمت منه ـ تحت تهديد السلاح .. كانت هادية مرعوبة مثلي منه ومن ماضيها .. وكانت هادية على وشك الطلاق كما تقرر مع المحامي والسيد .. كان دوري أن أتصل بهادية التي ستكون في بيت ابنتها كما أخبرني السيد عادل لتحضر إلى القصر في الثانية ليلا بصحبة زوج ابنتها .. نحن لم نكن نرى إلا التهديد وتوقيع الشيك .. كنت أجلس في سيارة في منطقة معتمة قريبة من القصر كما طلب مني .. قتل أباه بعد أن تظاهر ليلا أمام الخدم وعامل التصليح بتشاجره وصراخه مع الوالد .. وخرج مطرودا غاضبا وأن المشاجرة كانت بسبب رفضه شراء سيارة جديدة لابنه في الجامعة .. وبعد نصف الليل تسلل للقصر حيث انتظرته في السيارة .. حسب ما أخبرني أن والده رفض التوقيع على الشيك فاضطر لقتله .. وألقى المسدس على سريره وغادر القصر .. وطلب مني الاتصال بهادية التي أتت تمثل دور مقابلة الزوج لإلغاء الطلاق المقرر صباحا وأخذت كما قال عشرة آلاف دولار .. اتصلت بها وطلبت منها أن تضرب على رقم السيد الذي أصبح بحوزة عادل .. وتظاهرت أمام ابنتها وزوجها أنها تتحدث مع السيد نوفل وصدقوا ذلك .. ثم قام أنور حياء لتوصيلها تلك الساعة ولما اقتربت من القصر اتصلت على رقم السيد ، وفتح لها عادل البوابة وقضيا عشر دقائق حول القصر .. ثم انصرفت .. ولما انصرفت السيارة غادر عادل البوابة ومشى إليّ وهو يهددني بالقضاء عليّ إذا تحدثت عن وجوده في القصر أو عن مجيء

هادية ليلا ؛ لأنها لا تعرف أنني قريب من القصر .. تورطت فكان عليّ بالصمت .. ومن فعل فعلته لن تهمه حياتي .. وأوصلته للبيت ، وعدت للبيت مرعوبا بعد أن عدت للفندق وشربت بعض الخمر ..كانت ليلة سوداء في حياتي وكان ذهابي للفندق بعد أن أعدت السيارة ممن استأجرتها منه حسب ترتيب السيد عادل طبعا هادية لم تكن تعرف بقتله إلا لما حضرت للقصر .. وقابلته لتنفيذ خطة التهديد .. وبعد أن هدأت الأمور أرادات هادية ابتزاز عادل بعد التحقيق الأول وإخفاءها ذهابها للقصر .. فكلف نضال بالقضاء عليها دعسا مقابل مبلغا من المال .. ولم تقتل فورا ، واعترفت للشرطة بذهابها للقصر .. وأعتقد أنها قالت لهم إنها لم تقابل الحاج تلك الليلة ، وعاجلها الموت .. واضطر عادل لقتل نضال لما عرف وكشف أنه القاتل لها ، فاستدرجه لذلك المكان المعروف لهما ، وأسقاه مخدرا ، ثم خنقه بسلك كهرباء .. ولما لفظ أنفاسه أزال آثار الجريمة ، وغادر المكان إلى الحدود ثم عاد واتصل بي قائلا : نم مرتاحا يا عويس ، وستقبض المائة ألف عند استلام الميراث .. كنت قلقا على حياتي لقد أصبح وحشا يفترس .. لا أدري لماذا لم ينل مني ؟! ولماذا لم تكشف هادية ذهابها للقصر للشرطة ؟! ربما أراد أن تكون ورقة أخيرة لتضليل الشرطة عن وقت حدوث الجريمة .. أغواني بمائة الف لم قدمته له في جرائمه .. وما كنت أستطيع أن أرفض .. كان يخطط ويدبر .. وأنا أنفذ وأطيع .. أنا اتصلت بها في بيت ابنتها لتتصل على رقم السيد .. ولما أرادات الابتزاز لم تتحدث معي فكان القتل .. وكان دوري معرفة وقت ذهابها للعيادة وإخبار نضال نضال مهرب وقواد ليس له على القتل ؛ لكنه صديقه وهو محترف قيادة .. والمبلغ بالنسبة له مغريا هي ساعة أو دقائق ويملك هذا المبلغ .. وعشرات حوادث السيارات تحدث في المدينة .. وأنا أستحق أيها السادة أي عقوبة ؛ لأنني جبان .. واستسلمت لقواد وأجرمت في حق الأصدقاء ، وعلى رأسهم السيد نوفل .. لم أكن أظن أنه سيقتله .. إنما هو مجرد تهديد وتوقيع على شيك ؛ ولكن لما تعرف بجريمة ستخشى على رقبتك ، وستلزم الصمت .



تمت قصة الزواج الخطأ

رهاب الطلاق

إخوة نعمان

قال عمر باسما : جاء دورك يا مهندس نعمان بدير ! قال طارق سليم : يا نعمان بن بدير هات مع عندك من قصص الطلاق والفراق والتسريح بإحسان كما نص القرآن .

قال عزيز متفكها : التسريح اليوم بفضائح وصحف وجرائم ، قديما كان الطلاق سهلا وبدون محاكم وقضايا ومشاهدة .

قال حمزة معللا : الحياة تعقدت ، ومشاكل الناس زادت وتنوعت وتضخمت ، اليوم نعالج قضايا شرطية فيصيبنا الذهول من تفاصيلها ، نواجه حرق أصابع كي أجساد حرق بيوت ، انحلال غريب ، وخيانات رهيبة بهيمية وحيوانية، لا تدري كيف تحدث بين البشر؟

قال طارق مفسرا : الكحول والمخدرات والسموم خراب البيوت ، ضاعت العقول والقلوب وهناك تضخيم للحرية المطلقة والشخصية .. تكلم يا سيد نعمان .. فنحن في المحاماة نسمع ونرى قضايا قانونية عجيبة ومثيرة مثلك يا حمزة .

قال نعمان : أنا يا دكتور طارق لم اطلق كما طلقت ، ولا أبي بدير طلق ، كما طلق والدك يا حمزة واختفى ـ رحمه الله تعالى ـ ولا أمي طلقت ، أمورنا بفضل الله طيبة ، والغيب علمه عند الله أنا أختي طلقت وكذا أخ لي ، درست شقيقتي دينا بدير الجامعة ، ودخلت كلية الإعلام ، كانت ترغب بالعمل في التلفزيون كمذيعة أو محررة أخبار ، وخلال الجامعة كونت علاقات صحفية مع بعض الصحفيين ، وكتبت ونشرت لها تلك الصحف والمجلات مقالات خواطر تعليقات تخرجت أختي من كلية الإعلام ، وقدمت أوراقها للعمل في محطة التلفزيون الوطني ، وقبلت كموظفة وداومت فترة تحت التمرين ؛ ولكن بدا لنا أن الراتب لم يوافق هواها كما وضحت لما تركت التلفزيون ، بعد أقل من نصف سنة تركته للعمل في الصحافة في صحيفة الثورة مع ابن عمتي جبير المحرر فيها ، وبعد شهور علمنا رغبتها بالزواج من الصحفي جبير تزوج السيد جبير دينا ابنة خاله بدير ، فرحنا لهما فرحا كبيرا وعمنا السرور ، فهي الكبيرة في ذرية أبي ، وأول زواج في الأسرة .

لم تكن دينا والعائلة أسرة متدينة؛ لنهتم بأخلاق جبير وخفاياه وصلاحه وفساده ، رجل وبس ، وجبير على نفس الشاكلة ، لا يختلف عن دينا ، لا دين ولا صلاة ، أقول صراحة أن الشاب كان زانيا وسكيرا وهذا معروف للجميع ، والرجل صاحب سهرات ومجون وقلنا هذا اختيارها ، وهي أنثى ناضجة ، ولا طاعة لنا عليها ، وكما نوهت آنفا نحن أسرة غير متدينة لنقيس على مقياس الدين والصفات الحسنة والخلق الحسن، ولكننا نقدس الزواج ، ولا ترتاح نفوسنا للخيانة الزوجية ومقدماتها ولا توابعها، وقلنا وأملنا ؛ لعله بعد الزواج يعقل ويرتاح للحياة الزوجية الشرعية والحلال ، ويترك الفساد والمواخير والحانات وعلب الليل والساقطات ، رائحته تزكم الأنوف

حقا .

تخرجت كشقيقتي مهندسا كالأخ عزيز ، واشتغلت بشكل رسمي في شركة كبيرة يديرها الوالد وبعض أشقائه رحم الله أبي ، فهو اليوم في دار الحق في مدافن العائلة ـ ترحم الأصدقاء على والد نعمان وآبائهم ـ وتابع نعمان فقال : وأخي منير أصغر مني بسنتين لم يكن صالحا درس المحاسبة المالية ، واشتغل في شركة مالية كبرى على سمعة وأموال الأسرة المودعة فيها خاصة أبي وأعمامي ، تزوجت أنا العبد الفقير إلى الله بعد ممارسة العمل بسنة ، صديق لي ساعدني على الزواج من شقيقته ، وهي لحد الآن نعم الزوجة والقرينة ، وما زلنا حبايب ولا داعي لذكر باقي أولاد الأسرة ، فهم مثلي سعداء والحمد لله ، الصغير منير المحاسب تعرف على أنثى في المؤسسة المالية اسمها دانيا ، هذا اليوم أمر طبيعي ، فالشركات والمصانع يعمل فيها من الجنسين ، فالتعارف حاصل ، فكانت دانيا اختيار منير بدير كزوجة ، قبل والدي الاختيار ولو على مضض لأن أبي كان يرغب وتكلم بذلك لو منير يتزوج شقيقة جبير ابنة عمته ، فكما تزوج ابن عمتي أختي ابنة خاله ، فعلى أحدنا الزواج من بنات العمة ؛ لتزداد أواصر العائلتين وتمتد الصلات.

سكتت العائلة على اختيار منير حسب قانون الحرية والديمقراطية التي يتغنى بها أهل الشرق قبل أهل الغرب، ولا يجوز لأحد الرفض والاعتراض والنصح على خيار الآخر ، فكيف الرفض ؟!كان ابن والدي منير صاحب خمر وميسر ، علق بهما من عم لنا قريبا من جيله وتساهل أبي في ردعه وزجره وتربيتنا ، حرية شخصية يقال ، والتهاون شعار الوالدين، المهم عدم إيذاء الآخرين بدنيا ومعنويا ، التساهل مع الجميع ، وقلت ذلك لكم لأنه بدأ لنا أن الفتاة تفاجأت بذلك وشكت من ذلك ؛ كانت تراه مدخنا ومحبا للأفلام والسينما والمسرح والحفلات والقليل من الشراب في المناسبات ، عرفت فيه شيئا أو أشياء لم تكن تراها وهي ترسم عليه كزوج، رأته رجلا منفتحا أنيقا محبا للزينة والعطور والأطعمة الغربية والبذلات الغربية ، فلما طفق يستلف من مالها للقمار وشرابه وسهرات البيت ، ويجلب البنات والرفاق للسكر والقمار عرفته على حقيقته ، وأنه مولع بالقمار فهجرت البيت ، وظن منير أن الأمر لبضعة أيام ، ثم تعود أو تتصل به ليأتي لأخذها ، ويا دار ما دخلك شر ،وهذا حدث كثيرا منذ اقترنا ، ونسمع به من أمي أو عمنا رفيق منير أو بنات أمي كتسلية ، كانت مشاجرات البيت كثيرة بينهما بسبب القمار والعربدة ، هذه المرة طالت المدة ، مضى أكثر من شهر ودانيا في

بيت والدها ، وركب أخي رأسه ولم يسع لإعادتها والتصالح معها ، وحتى هي غيرت دائرة العمل تجنبا للقاء به ، انتقلت لفرع آخر تابع للمؤسسة المالية ، ونحن نراقب المسرحية دون تأثر كبير ، ونسمعه يتذمر من النساء والغدر والخيانة ولعن النساء والعاهرات ، نتركه للحظات ، فقد وصل لمسامع العيلة أن دينا شقيقتي علقت بشاب صحفي يشتغل معهم في صحيفة الثورة وأحبا بعضهما ؛ كما زعمت لأمي وأبي، وكان ردهما السكوت كعادتها لعدم جدوى التعليق والنصح للجميع ، فاللامبالاة أفضل في قناعتهما ، لما وصلت المعلومة لجبير وأدرك أن الزوجة تخونه مع زميل له تزوج صديقة لها قبلته وليحطمها كما قال ، ولم يطلقها ، وشرّط للطلاق أن تعيد أمواله إليه ، المهر وحفلة الزواج، فخضعت وأعادت جزءا كبيرا منها تفاهما عليه مع العشيق ورئيس التحرير للجريدة خشية التأثير على مقالات وإعلانات الصحيفة القومية والثورية، فطلقها رسميا ، ولم يعقد عليها زميلها وحبيبها، وجبير انتقل للعمل في صحيفة أخرى ، والأسرة نبذتها بدون قرار رسمي، والكل يتجنب مجالستها مما دفعها لاستئجار شقة للعيش وحدها ، كنا ننتظر زواجها لترحل ، فلم تتزوج كما قلت من حبيبها ورحلت ، فتنفس والدي الصعداء كما يقال ، وعدنا لزيارتها كما عودناهما ، وكان رحيلها يا أحباب حقيقة بطلب من أبي ، فهو لا يحتمل سكرها ورفاقها في بيته، ولا يحتمل وجودها وعشيقها فرحلت ، ثم ماتت بعد حين في شقتها وهي تتعاطى المخدرات ، وقيل جرعة مخدر زائد ، وجرى تحقيق مع شلة تلك الليلة ، ولم تكن هناك جناية أو جريمة حسب قول الأمن ، ثم علمنا أنها بدأت التعاطي منذ تزوجت جبيرا ؛ بل قيل تعلمت ذلك أثناء الدراسة الجامعية وقد يكون ذلك صحيحا ، أما أخي منير فذكرت لكم أن زوجته هجرته لما كثرت الديون عليه لها ولغيرها ، ويتملص من سدادها حتى قالت لي شخصيا استدان منها خمسة آلاف دينار محلي ، وتفاجأ منير بوقت متأخر أن زوجته المهجورة من سنة ونصف بأنها حامل ، في البداية ظنها لعبة ليردها ويتصالحا ، وسعى للتحقق من الخبر ، وأكدت له أمها بحصوله رغم أنفها ، وأنها تعرضت للاغتصاب ، فجن جنونه وطلب منها الإجهاض ، ولن يعترف بابن الزنا ، ووعدها بالصلح والعودة بعد الإجهاض ، وهو مستعد لتطليق صديقتها والزواج من جديد ، فأصرت على بقاء الحمل والوقت فات ، وأنها غير مستعدة لمخاطر الإجهاض ، رغم الجهود والتوسلات ، وتأخر وقت أخباره ، وضعت طفلها ، وحمل الطفل اسمه

قانونا ، وفقد منير الصواب رغم الجهود التي بذلها لنفي الأبوة ، ولدت سفاحا ، ووقع الطلاق رسميا ، واختفى الرضيع ، واتهمته مطلقته بخطفه وقتله .. هذه قصص الطلاق في أسرتنا وعائلتي أيها الهواة في الخط العربي وزخرفته.

قدم لهم المهندس عزيز أكواب الشاي الكبيرة التي أعدها ، وهو يقول : تمتعوا بعصير العصر الشاي السيلاني.. اذكر أنهم كانوا يقولون لنا ونحن في المدارس أن الشاي ظهر ميلاده في الصين.. واليوم اسم على كل لسان.. ميد أن جاينا.. صنع في الصين.

قال حمزة : صحيح .. اكتشفه راعي صيني ، وانتشر في الهند وباكستان وجنوب آسيا وشرقها.

قصص وحكايات الفوارس

جبل بن مجدو

الحلقة ٥ والأخيرة

جبل في المعركة

وعاد الرسول ومعه بعض رجال العصابة ، فقال أحدهم : يا رجال مدينة الدب ينصحكم الزعيم لهب الليل سيد هذا الوادي بمغادرة هذا المكان قبل فوات الأوان ..هل سمعتم ؟!

فأجابه قائد السرية شهاب : لقد سمعنا أيها الرجل ! ونحن لن نغادر هذا المكان قبل أن نسترد أهلنا وأموالنا أو الموت .. ننتظر لصباح الغد ؛ فإذا لم تعيدوا ما سرقتموه سندخل عرينكم ونقاتلكم حتى النصر أو الموت .

فصاح رسول لهب الليل : أنتم مصممون على القتال ؟

فصاح رجال السرية : نعم ، وألف نعم .

فقال مهددا ومخوفا : احذروا أيها الموتى ، لا تدرون متى ننقض عليكم ؟

وعاد رجال العصابة أدراجهم إلى قلعتهم في قمة الجبل ، وأمر شهاب رجاله بالحذر والتهيؤ لدخول وكر الثعلب .

ولما ظهر الصباح وأشرقت الشمس بنورها الوضاح وملأ النور الفضاء ، كان رجال الجبل يعسكرون قرب فرسان مدينة الدب وعلى رأسهم الزعيم لهب الليل الرجل الأعرج الذي طعنه جبل في صدره ولم يقتل للبسه يومئذ الدرع ـ كما يذكر القراء لهذه القصة الممتلئة بالفرسان ورجال السيف ـ وعرض عليهم الزعيم الانسحاب مرة أخرى ، فأبوا وقال عنهم شهاب : لن ننسحب ولن نستسلم أيها الجبناء ؛ فإن كان لابد من الموت فمن الذل والهوان أن يموت الإنسان جبانا .. إلى الموت يا فرسان الملك سليل بن شامة .. إلى الموت أيها الرجال البواسل !

وتصايح الفرسان ودارت معركة بين الأشراف وبين الأنذال ، وسقط القتلى من الطرفين ، ولقد

بذل شهاب وضيغم جهدا متواصلا ، ولكن كان عدد اللصوص يفوق رجال السرية ، وهم مقاتلون مهرة ؛ لأن كثيرا منهم فرسان منفيون أو حاقدون على ملوكهم ، وثائرون على بلادهم فاندمجوا في حياة الجبل ، وما أشرفت الشمس على المغيب حتى استسلم كثير من أحياء مدينة الدب من هول وشدة المعركة رغم مناشدة شهاب لهم بالصبر والثبات والقتال حتى الموت ، وظل شهاب وضيغم وجدار وعدد قليل يقاتلون بشجاعة وجلد ، ثم أطبق عليهم رجال الجبل فمنهم من قتل ، ومنهم من جرح وسقط عن جواده كجدار ثم مات ، ومنهم من جرح وأخذ أسيرا كشهاب وضيغم ، وانتهت المعركة بهزيمة لفرسان مدينة الدب ، فأمر لهب الليل بلم وجمع الغنائم وحرق الجثث وقيادة الأسرى والجرحى إلى قصر الجبل .

فلندخل القلعة وقصر العصابة .. فهو قصر يقع على قمة جبل من تلك الجبال ، وهو قصر ضخم ضمن أرض واسعة ، فيه أكثر من مائتي حجرة ، ويصعد إليه بسلم صخري يزيد عن خمسمائة درجة ، وجنب السلم منحدر تسير عليه الخيول وغيرها ، وخلال صعود السلم تجد هناك عددا من الكهوف يتمركز فيها رجال لحماية الدرب ، وهم يحملون الأقواس الكبيرة ، وفي الدرب محطات استراحة يوجد فيها الماء والفواكه .. وحول القصر أو القلعة الأسوار العالية ، وهناك الأشجار العالية والكثيرة وعين ماء وحدائق وبساتين وخدم وغلمان وكلاب حراسة شرسة ، وحراس منتشرون على الأسوار ، فالمكان قرية صغيرة فوق الجبل ، فقاد رجال العصابة الأسرى والمستسلمين إلى ذاك القصر ، وهم في حالة يرثى لها من الذل والهوان والتعب ، فعندما وصلوا باب القلعة واجههم باب من الحديد الصلب ، وفتح لهم الباب ، ولما أدخلوهم أغلق الباب الضخم ، فسيقت الخيول للحظائر ، وقيد الأسرى إلى غرف خاصة وذهب رجال العصابة إلى حجراتهم للاستراحة من عناء المعركة ، ومن كان جريحا قام طبيب القلعة بمداواته والعناية به ، فهؤلاء الضحايا قد يصبحون عمالا في أرض القلعة أو سقاة ماء ، أو ينضموا لرجال العصابة ، ومن يحاول الفرار عادة يقتل سريعا ، والغلمان والجواري يبقون لخدمة رجال ونساء العصابة ، ويزعم الناس أن هذه القلعة كانت قديما لأحد الملوك ، ثم هجر الموقع ، ثم عرفه المطاريد والهاربون من ملوكهم وأسيادهم حتى تزعم هؤلاء السبع العادي فرمم القصر ، وأعاد بناء الأسوار بواسطة أسراه ومساجينه فأصبح قلعة صعبة المراس على الحكام ، فعجزت عنها الجيوش

، ومل الملوك عن محاصرتها والنيل منها ، وكبرت العصابة بعتاة المجرمين من بلاد شتى ومن رجال الحكم الحاقدين والفارين ، وكان السبع العادي قد ملأ الدنيا رعبا بقسوة قلبه وشدة فتكه بالناس ، حتى كان بعض الأمراء يتفادون شره بالمال أو يستعينون به في تصفية خصومهم ويدفعون له الأموال والعبيد ، فلما قتل هذا المجرم على يد الفارس الشهير بابن الخباز ، استلم الزعامة لهب الليل وهو صديق السبع العادي الحميم ، وكان ذراع السبع القوي ، وكان شرسا عنيفا قويا ولا رحمة في قلبه ، فكان رجال العصابة كلهم يهابونه وينفذون أوامره بحذافيرها ، فكان السيد المطلق في تلك القلعة ، وحوله حرس خاص لا يغفل عن عيونهم لحظة واحدة من أصحابه القدماء ، وفي اليوم التالي للمعركة أرسل لهب الليل وراء الأسرى ؛ لينظر في شأنهم ويوزعهم على الواجبات التي تحتاجها القلعة بعد مقتل ما يزيد عن مائة رجل منهم في الملحمة الأخيرة ، فجمعوهم له في ساحة ، فخرج إليهم يحف به رجاله الأشداء ، فطفق يمعن النظر إليهم دقائق ، ثم أخذ في توزيعهم ، فمنهم من يختاره للعمل في البساتين ، ومنهم للحراسة في أطراف القلعة ، ومنهم للخدمة في نقل الماء ، ومنهم من رشحه للعمل مع رجال العصابة في تنفيذ المهمات ، وهؤلاء يخضعون لتدريب ؛ ليرى مدى إخلاصهم وولائهم لرجال الجبل ، ولما جاء دور ضيغم ، قال له لهب الليل : أيها الشاب ! لقد كنت قويا ومحاربا شديدا .. ولمحت براعتك في السيف والدفاع والهجوم .. ما اسمك ؟

كانت ذراع ضيغم قد تعرضت لجراح بليغة أكثر من باقي جسده ، وقد لفت بخرقة ، وكان يمسح عليها عندما سأله لهب الليل عن اسمه فنظر إليه وهزّ رأسه وقال : ضيغم .. هذا اسمي فقط ، ولا أعرف اسم أبي .

فقال الزعيم بصوت خشن : ضيغم هذا اسم مخيف ! .. انتظر هنا حتى أرى ما يناسبك من العمل معنا يا ضيغم .

ثم أشار الزعيم لشهاب الجريح أيضا قائلا : أنت قائد السرية ؟.

فهز شهاب رأسه بحزن قاتل وقال : هذا حق ، وما عليّ إلا طاعة ملكي الملك سليل وقائده الأمير قيس ، ولا أظن أيها الزعيم إلا أن يأتيك الملك بجيش جرار لإنقاذنا .

فضحك الزعيم وقال : قد يفعل أيها الجندي الباسل ! ..ولكن عدوكم الضبع قد يستغل الفرصة أو أرسل إليه رسولا يخبره بترككم المدينة وقبل أن يتابع الزعيم كلامه مع شهاب ، تذكر ضيغم في هذه اللحظة الأمير جبلا ورسالته لرجال

الجبل ، فقطع استرسال الزعيم فجأة وقال : أيها الزعيم ! أحب أن أذكر أمامك أمرا قبل فوات الأوان ...

فصفعه أحد رجال العصابة القريبين منه على خده صفعة طار لها صواب ضيغم وقال : يا كلب !.. لا تتكلم قبل أن يأذن لك الزعيم أيها الحقير .

وضع ضيغم يده على خده المصفوع ، وقد طفرت الدموع من عينيه المحمرتين من شدة الغضب وقال وهو يضغط على شفته من الغيظ والقهر : لن أغفر لك هذه الصفعة يا جبان آه يا سيدي ! يا جبل بن مجدو .. أين أنت لترى ما يفعل بي هؤلاء الجبناء ؟!

وكان الرجل يهم بصفعه مرة أخرى ؛ ولكنه لما سمع اسم الفارس جبل بن مجدو يخرج من بين شفتي ضيغم توقفت يده فجأة في الهواء ، ونظر في عيني الزعيم فوجده مبهوتا مثله ، وقد ملأ الفزع نفوسهم ، فقال الزعيم بعد صمت قد طال لضيغم : ويحك !! .. أتعرف أنت الفارس جبل بن مجدو الشهير بابن الخباز ؟!

فرد ضيغم وقد أدرك ما فعل اسم الفارس جبل بهؤلاء الوحوش الضارية فقال : هو أخي وصديقي ومدربي على ركوب الخيل واللعب بالسيف .. ابن الخباز حبيبي ، ولن يغفر لكم ما فعلتموه معي .. فعندما غادرت بلاد الدب مع هذه السرية أرسلت له خادمي برمو أيها الأنذال ولسوف يأتي بمشيئة الله .

فقال لهب الليل : ويحك .. لمَ لم تذكر لنا ذلك قبل هذه المعركة ؟! .. فجبل صديقنا وبيننا وبينه عهود !.

فدهش الأسرى ما أحدثه ذكر جبل في هذا المكان ، فعاد ضيغم يقول وهو يتذكر ما عرفه من أخبار جبل مع هؤلاء القوم : أنت وأنتم تعرفون ما فعله جبل وثعلبون بالسبع العادي ، وما أصابك أنت منه يا لهب الليل ، ولولا الدرع التي كانت على صدرك لكنت من سنوات تحت الثرى ولابد أنكم ما زلتم تذكرون تلك الرسالة عندما خطفتم ابن الملك جبرون وزوجته ؟

فقال لهب الليل والنار تتأجج في صدره : ويحك إنك تعرف كل شيء !.. أين جبل الآن ؟

فقال وقد فطن للرعب الذي أصابهم من الحديث عن الفارس جبل : لقد التقيته في بلاد التين وعلمني الفروسية والشجاعة .. وسوف يأتي إليكم عندما يخبره غلامي برمو بموتي ، فهم الآن يعتقدون موتنا .. وهو هذه الأيام في جزيرة النمور إحدى جزر البحر الكبير ؛ ولكنه سيجيء .

فقال لهب الليل كأنه مواسيا نفسه : إنها بعيدة !!

فقال ضيغم : ليس على الفارس شيء بعيد .

فاعترف لهب الليل صراحة أمام الجميع فقال : ما

خشيت أحدا من الناس في هذه الأرض خشيتي هذا المخلوق ! فهو مرعب سريع الطعن مع ذكاء حاد ، سأكرمك أيها الشاب وأعفو عنك إكراما له ..لقد توعدنا هذا الرجل وحذرنا من عودته لهذا الجبل ؛ وكأني أحس أن نهاية هذا الجبل ستكون على يديه .. سأعفو عنك وعليك الرحيل إليه عاجلا لتمنعه من المجيء إلينا وتعتذر له عن خطأنا نحوك .

فقال ضيغم بشجاعة : أرجو أن لا يكون الوقت قد فات ..

فقال لهب الليل : عليك بإصلاح الأمر

فقال ضيغم : وهؤلاء الأسرى بل والقافلة التي سلبتموها ، ألم تعلموا أن الفارس من بلاد الدب ؟! وأن الأميرة التي تعرضتم لها قديما الأميرة حظوظ هي أخت ملك بلاد الدب الملك سليل بن شامة .. وهؤلاء الفرسان الذين قتلتموهم بعضهم أصدقاء وتلاميذ جبل بن مجدو الساحر ؟

فقال لهب الليل : ويحك أيها الصعلوك !! ..لم نفطن لذلك إلا الآن ، لقد نسينا أن جبلا فارس تلك المدينة ..والمهم الآن لدينا أن تنجو بنفسك .

فقال ضيغم : وماذا أقول لسيدي الأمير ؟! .. أأقول له نجوت بنفسي ؟! فاسمعوا أيها الأسياد إما أن أبقى معكم حتى يعلم الفارس بأمرنا ، وإما أن نخرج كلنا ، وسأشفع لكم عند الفارس في دماء القتلى فقط .

فأمر الزعيم الحراس بأخذ الأسرى إلى حجرهم ، ودخل القصر ليتشاور مع جماعته ، وقال لهم : أكثركم تعرفون بسالة الفارس جبل .. وبسالة هؤلاء الناس ، لقد قاتلوا لآخر لحظة ، وقتلوا منا مائة محارب ؛ فإذا أتانا اللعين وسرية منهم سنهلك

فقالوا : افعل ما تراه مناسبا أيها الزعيم !

فقال : سوف أفعل .

وكان من نتيجة الاجتماع أنهم استدعوا ضيغما مرة أخرى ، فقال له الزعيم : اعلم أيها الشاب أننا صدقنا أنك صديق وتلميذ للفارس الشجاع ابن مجدو ، واعلم أنني لو علمت أنك خدعتني ولا علاقة لك بجبل ، فلسوف آتي بك ولو كنت في عنان السماء أو في بلاد الهند عند الملك سرهوت ..سننسى ما جرى بيننا وبين بلاد الدب إكراما لصديقنا الفارس وللعهود التي بيننا ، وسنعيد الأموال والبغال والجمال والأسرى ونرضى بالهزيمة من أجل ابن الخباز فقط !.. وبين له احترامنا له واعتذارنا عن الخطأ الكبير الذي وقعنا فيه .. وأننا ما زلنا على العهد .

وصدرت الأوامر من لهب الليل بالعفو عن أهل مدينة الدب ، ورد أموالهم إليهم كلها ، وأخلى سبيلهم تجارا وفرسانا ، فهبطوا الجبل سائرين نحو بلادهم ، وهم يلهجون بذكر فارسهم القديم جبل

المخيف ، ويتعجبون من أمر ربهم ، ويتحدثون عن الرعب الذي أصاب هؤلاء القوم من اسم جبل فقط ، وهم في غاية الغرابة من الرهبة والخوف الذي في نفوسهم من الفارس جبل بن الخباز مجدو ، وكانت الغبطة والفرح تملأ نفوسهم ، وكان الجميع يمدح جبلا ، ويتذكرون بطولات جبل محررهم من حامية الضبع ، ويشكرون ضيغما على شجاعته وإيثاره وتصميمه على الإفراج عن الجميع ..وبينما هم سائرون جهة بلادهم التقوا بجيش كبير ؛ فإذا هو جيش مدينتهم زاحف للثأر لهم ، فحدثهم شهاب بما حدث ، فقفلوا عائدين وهم يلهجون بمدح فارسهم الشهير ، ويشكرون ضيغما أيضا على بسالته ووقوفه أمام العصابة بثبات وقوة ، فقال له بعض الناس : لماذا لم تفعل ذلك قبل القتال ؟! فقال : والله ما كنت أعلم أن اسم الأمير يؤثر فيهم هذا التأثير ، وهو على بعد آلاف من الأميال عنهم ، فالفارس الآن يحيا في جزيرة النمور ، وإلا يا قوم ما خسرت أخي جدارا ولقد كنت أرى أن فرساننا سينتصرون عليهم ، وأثناء تحاور الزعيم اللعين والقائد شهاب تذكرت جبلا وقبل أن أتحدث عنه صفعني ذلك الحارس اللعين كفا ، فرددت اسم صديقي الأمير متمنيا وجوده ، فجرى الانقلاب الذي شاهدتموه بعد ذلك !

فقال المدرب أبو مالك الذي قدم مع الجيش : عندما كنت أمرنك يا ضيغم كنت ألمح فيك حركات الفارس جبل ؛ ولكني استبعدت لقاءك به !



الأمير حريف

كان لعودة القافلة بما تحوي من مال ورجال ، وعودة من نجا من الفرسان صدى كبيرا في المدينة وكان الاعتزاز بابن مدينتهم ابن الخباز أثرا كبيرا بتخفيف المصاب عن نفوس المفجوعين بفقد عزيز وحبيب ، ولما سمع الملك سليل الحكاية استغرب ، وقال متمنيا عودة الفارس : ليت الفارس ظل عندنا ! .. أريد أن أرى الفارس ضيغما يا وزيرنا العزيز ..لنسمع منه ونسأله عن صديقنا جبل .. والله ما كان لنا أن نسمح له بمغادرة البلاد ؛ فإذا اسمه يفعل هذا الفعل في هؤلاء القساة الأفئدة ، ويجب تخليص الناس من شرهم .

فقال الوزير ليث بن أحمد : ليس لهذه المهمة الجبارة إلا البطل الشجاع جبل بن مجدو .

وقد انتقلت أخبار جبل وضيغم للملكة الأم جملة

بنت يوسف وابنتها حظوظ التي كانت في ذلك اليوم من أسعد البشر ، فهي ما زالت متعلقة بالبطل وتنتظر عودته للوطن ، فكانت تخاطب أمها بسعادة وبشر ظاهرين على محياها الجميل ، فهي منذ عهد بعيد لم تسمع عن الفارس شيئا ، فقد قالت وكلها غبطة : أرأيت يا أماه ؟! .. من هو الفارس جبل ؟! .. إنني مازلت أذكر تلك الأيام التي عشتها مع هؤلاء العتاة .. ثم أتى الفارسان وحدهما من غير جيش أمام تلك العصابة الكبيرة من السفاكين والسفاحين ، وقلما ينجو إنسان من شرهم إذا أخطأ الدرب ومر بالقرب من واديهم ، بل يغيرون على المدن من حولهم ، ويثيرون الرعب والفتك فيها ويختطفون الأطفال من ذويهم .. أذكر جبلا عندما وقف كالأسد الهصور يهتف عندما طعن زعيمهم ، ولم يمت من طعنته لارتدائه درعا أوه لم تمت بعد ! .. وهل أنتم أشراف حتى أتعامل معكم بالشرف أيها المجرم الحقير ؟ .. وتسلبون الناس وتقطعون السبل فأيّ شرف لكم ؟! وكان من جملة كلامه يا أماه أن حذرهم من عودته ثانية للجبل ، وها هم لما سمعوا باسمه وخشوا من مجيئه تركوا الأسرى والأموال .. أماه أريد أن أرى صديق جبل .. أريد أن أسمع منه أخبار البطل الكبير جبل ..

قالت الأم متأثرة بكلام ابنتها ومما سمعت عن البطل : ما زال هواه في قلبك يا ابنتي رغم مرور كل تلك السنين ..سأنسى أن أباه خباز كان يعمل بجوار القلعة من أجلك يا حظوظ .. لقد أنقذ حياتك وشرفك وأعادك إلينا ، ومن قبل أعاد لنا التاج المسلوب بعد أن طرد حامية الضبع وها هو اسمه الساحر أعاد للناس الفرحة بعد أن خيم عليهم الحزن الشديد .. الرجال بأعمالهم وأفعالهم وليس بنسبهم فحسب !!.. إنك تحبينه يا بنيتي منذ أن عدت من مدينة اللؤلؤ وأنت تهوينه ، لقد أدركت ذلك منذ الوهلة الأولى .. وكذلك من شدة إصرارك على رفض الزواج .. فأسأل الله صدقا أن يكون قدرك وحظك .. سأكلم الملك لتري الشاب ضيغما ..كم أود أن أراك زوجة يا حبيبتي !

قالت الأميرة : سيأتي يوما ما ـ أماه ـ إنه وعدني أنه لن يتزوج حتى أتزوج قبله .. إنه كريم شجاع كان يرى أنه جبل ابن الخباز ، ويراني حظوظا ابنة الملك شامة .

كانت تتكلم عنه بوله وهوى ، وقد اشتهر اعجابها ورغبتها بالفارس منذ عادت للبلاد ، ويحق لها ذلك فهي قد لمست شجاعته بنفسها ، فإن الشجاعة فخر النساء في الأولين والآخرين ، وما زالت النساء تعشق الفرسان والشجعان والشجاعة .

استقبل الملك سليل والأمراء الفارس ضيغما أحسن استقبال ، وأنعم عليه الملك بوسام الشجاعة ، وروى للقوم قصته مع رجال لهب الليل ، وختم القصة قائلا : والذي دفعني للجوء إلى ذكر الأمير جبل أمامهم أني تذكرت حادثة ، وهي أن ابنا للملك جبرون وقع في أيدي هؤلاء المجرمين ، فكتب إليهم الفارس رسالة ، فأخلوا سبيله من غير تردد أو تأخير .

فقال الملك : إيه يا ضيغم أنت شجاع ! فقل لنا أين البطل جبل هذه الأيام ؟ بل كيف التقيت به وعرفته وتعلمت منه الفروسية ؟

قال ضيغم وهو يتذكر الأيام الأولى له مع جبل : التقيت به ـ يا مولاي ـ في بلاد التين في قصر القائد الأمير سالم بن قنبرة ، ثم أصبحنا أصدقاء ، فعلمني على الفروسية ، ثم غادرنا إلى جزيرة النمور ، فهو يتردد الآن بينها وبين جزيرة النمر الأحمر .

فقال الملك باستغراب : وماذا يفعل هناك ؟!

تلفت ضيغم إلى الحاضرين وقد احمر وجهه وهو ينطق و يجيب : الأمر سر خطير ـ يا مولاي ـ يمكنني أن أقوله لك ولوزيرك وللأمير قيس .

فأشار الملك للقوم بالانصراف ما عدا الوزير وأمير الجيش ، فقال ضيغم :الحق يا مولاي أن الأمير جبلا يخطط ويدبر للقضاء على مملكة الضبع .

ذهل الثلاثة وصعقوا لما سمعوا وقالوا بدهشة كبيرة : ماذا تقول ؟!

قال ضيغم : ما بكم ؟!

ابتسم الملك واسترد هدوئه وقال : لقد قلت أمرا عظيما يا ضيغم !! . فنحن حلمنا الأكبر أن نرتاح من الضبع ، فلنا عشرون سنة نحارب ونقارع هذا الملك اللعين .. أفصح عما أجملت ؟

فقال ضيغم : الذي أعرفه أن الفارس جبلا جذره من هذه المدينة ، وقد هلك أبوه فيها من قبل رجال الضبع .

فقال الملك : نعرف هذا .

فتابع ضيغم الكلام : الفارس الشجاع جبل يحقد حقدا هائلا على الضبع ، فيريد صديقي تدمير مدينة العقرب ، فحارب مع جيوش الملك جبرون ردحا من الحين ، ثم تبين له أن جنود بلاد التين وحدها لا تحقق النصر الكامل على بلاد العقرب الأحمر ، وكان الفارس قبل مسيره لبلاد التين قد دخل بلاد العقرب ودرسها شبرا بشبر ، فوجد أن أضعف نقطة لاحتلال المدينة هي غزوها من جهة البحر ، فلجأ لبلاد النمور لإعداد جيش قوي يغزوها من جهة البحر ، وبالتعاون مع جيش الملك جبرون من البر ، وقد سمعته يقول لثعلبون بأنه قد يتعاون معكم في المعركة النهائية ، فمن أجل هذا رحل الفارس لجزيرة النمور .

وبعد فترة صمت ووجوم قال الملك المذهول من طموح جبل وصبره : إنه فارس جبار ! هكذا الرجال المخلصون لبلادهم يا أبا الهيثم !

فرد الأمير قيس : إي والله ! إنه لفارس عملاق يا مولاي !.

ودعا الأمير ليث فقال : بارك الله في همته ومرؤته !

فقال ضيغم : لذا يا سيدي الملك أرجو أن لا يتسرب هذا الأمر حتى لا يصل للضبع فيقوي تحصيناته البحرية ، فهو لا يتخيل مثل هذا الهجوم في يوم من الأيام ، ولا يتخيل أن يهاجمه أحد من البحر والماء ، هكذا يتحدث الفارس الشجاع أيها الأسياد !

فأظهر الملك بعد هذه الأسرار ثناءه ووده على ضيغم ثم قال : ولماذا تركت صاحبك وجئت بلادنا ؟!

فقال ضيغم : طلب مني الفارس أن أسكن بلادكم لحين ، فهو يتابع أخبار حروبكم مع الضبع ومنذ فارقكم وعينه عليكم ، وهو ما زال الآن في طور إعداد السفن الكبيرة والفرسان ، فقال لي انزل بلاد التين وبلاد الدب وأتنا بأخبارهما مع الضبع .

فقال قيس : بما إنك فارس وتلميذ جبل فلماذا التحقت بمدرسة التدريب ؟!

تبسم ضيغم وقال : أنا في الأصل - يا سيدي ـ عبد فقدت أهلي قديما وصغيرا ، وكان لي سيد في بلاد الشرق ، وقتل في معركة بين الملك الضبع والملك جبرون ، ووقعت أسيرا عند القائد سالم بن قنبرة ، وهناك التقيت بجبل وجدار ، فأصبحت غلاما للقائد سالم ، وقد ذهب الفارس جبل وصديقاه هزبر وثعلبون لبلاد الهند ، ولما عادوا وجدا القائد الكبير قد غضب عليّ وألقاني في السجن ، فتشفع لي جبل وأخرجوني من السجن ، وعلماني الفروسية ولم اختبر بعد ، ولم أشارك في معركة كفارس ، فوجدتها فرصة للتثبت من تدريبات جبل ومن قوتي ، فنجحت عندكم ؛ ولكنني فشلت عند رجال الجبل ، ولم أكن كجبل بن الخباز .

فقال الملك : بل أنت شجاع وقوي !!.. لقد ذكر لنا القائد شهاب أنك قاتلت ببسالة لآخر لحظة ، وكان لديك قوة مخاطبة لرجال الجبل .

فقال ضيغم : أشكره يا مولاي ! وهو أيضا قاتل حتى الموت .

فقال الملك متحمسا ومبتهجا : أمام هذه الأخبار والحقائق يا ضيغم سوف نعد جيشا لليوم المنشود .. متى أنت مسافر للقاء الفارس ؟

قال ضيغم : لم يحدد لي الفارس وقتا للعودة ؛ لأن الحرب التي يعد ويخطط لها جبل تحتاج لسنوات من الإعداد ..على الأكثر خمس سنوات ؛ فإذا مللتم مني سافرت .

فابتسموا لمداعبة ضيغم وقال ليث : أبدا أيها الفارس ما دام جبل صديقك فأنت صديقنا ، وها هو وجودك بيننا قد أفاد البلاد والعباد .

وأكد الملك ما تفوه به وزيره فقال : أنت صديقنا يا ضيغم ، فمتى شئت فاحضر مجالسنا ؟ ولن ننسى أنك مواطن صالح ، ولا يذهب معروفك وفضلك على هذا البلد سدى .

فقال ضيغم بخجل وحياء : الشكر لكم الشكر لكم .. واعلموا وثقوا أن جبلا الفارس الشهم يحب هذا البلد حبا كبيرا ، ويريد أن يفعل من أجله المستحيل .

فقال الملك : نحن نعرف جبلا وإخلاصه ، ولقد لمسناه ؛ ولكنه اختار تركنا لأسباب خاصة ، يكفي هذا منك الليلة يا ضيغم .. وسنلقاك مرة أخرى لتحدثنا عن رحلة جبل للهند .

اطلع الملك على رغبة أخته حظوظ بالحديث مع ضيغم ، فقص عليها القصة ، فقالت : أريد أن أراه ، ولسوف أسأله بعض الأسئلة عن الأمير جبل بن مجدو .

فتبسم الملك وقال : ما زال هواك مع الفارس يا أختاه !.

ورخص لها الملك الشاب الالتقاء بضيغم ، وبعث رسولا خاصا يخبر ضيغم برغبة الأميرة حظوظ بالحديث معه ، ففرح ضيغم من هذا الطلب ، وكان يرجوه ، فقد أوصاه الأمير جبل بأن يأتيه بأخبار الصبية التي احتلت موقعا حسنا في قلب الفارس ، فقد حدثه جبل عنها عندما رآها أول مرة في بلاد اللؤلؤ ، ولولا غربته وترحاله الدائم لتزوجها ، فقد جاءت الفرصة للحديث مع الفتاة التي يهواها صاحبه ، فهو يعرف الهوى ولواعجه ، فما دخل الليل حتى أسرع إلى القصر ملبيا رغبة الملك ، فوصل إلى قصر النساء ، ووجد خادما من خدم القصر في انتظاره ، ثم سار به الخادم نحو غرفة كانت تجلس فيها الملكة الأم والأميرة حظوظ ، فأوقفه الخادم حتى يستأذن له بالدخول ، فأذنت له الملكة وتهيأت لاستقباله ، ففتح الخادم الباب مشيرا له بالدخول ، فدخل ضيغم وهو يلقي السلام ، وأغلق الخادم الباب ووقف عنده ينتظر أي أمر فلما رأت الملكة ضيغما وتبينت هيئته وسمعت صوته قفز قلبها في صدرها وازداد اضطرابه ، وحدث مثل ذلك لحظوظ التي أحدقت النظر في هيئة الشاب الجميل الذي اهتز قلبها لمرآه ، وحتى ضيغم نفسه خفق قلبه بشدة وأحدق النظر في الأميرة والملكة الأم ، وبدأ عليه الارتباك والاضطراب المفاجيء مع تعوده الدخول على الاميرات عندما كان خادما في قصر ابن قنبرة ، فقالت الأم وهي تحاول السكينة : اجلس يا بني .

فخرجت كلمة يا بني لذيذة دافئة من أعماق قلبها ، ثم تابعت بدون أن تدري أو تعي : يا بني لقد حن إليك قلبي .. كأنك عشت في أحشائي !

فقالت حظوظ : أماه ما تقولين ؟!

فاقتربت الأم من أذن ابنتها وهمست قائلة : أحس أيتها البنت كأنه ابني حريف .

فقالت حظوظ بهمس : والله يا أماه إن هذا الشعور قد راودني كأنه أخي المفقود !

فقالت الأم : معذرة أيها الفارس .. أهلا بالبطل ومحرر القافلة المكلومة والجند .. مرحبا بالفارس ضيغم ابن .. وسكتت .

فقال ضيغم : مرحبا بمولاتي الملكة ، أنا لا أب لي ، قصدي أنني لا أعرف إلا أن اسمي ضيغم أما من هما أبواي فكل ذلك مجهول عندي .

فقالت الأميرة : نأسف لإحراجك ؛ ولكن أين ولدت يا ضيغم ؟

فقال ضيغم : يا مولاتي الأميرة ! صدقيني لا أدري ؛ ولكني أذكر أنني عشت طفولتي في مدينة يقال لها الشرق .

اضطربت الأم وابنتها مرة أخرى وقالت حظوظ : مدينة الشرق .. الشرق !!

فقال : نعم كنت غلاما عند تاجر ، ثم مات ، فورثني الورثة ثم باعوني لامرأة ، ولما ترملت وتزوجت آخر وهبتني لابن لها من زوجها الأول يسمى داود ، فهذا ما أذكره من طفولتي القاسية .. غلام رقيق يتنقل من أسرة لأخرى .

فقالت الأميرة : ألا تذكر يا ضيغم أن لك اسما آخر ؟! لا تستغرب من هذه الأسئلة .. أكيد ذكر لك الملك سليل أننا ستتحدث معك عن الفارس البطل جبل .. ولكن بعد حين سنقول لك سبب هذه الأسئلة .. ولما لزم الشاب الصمت عادت الأميرة تقول : ألا تذكر أنك كنت تمشي مع ناس وأنت صغير ؟ وفي شدة الظلام هجمت عليكم عصابة وخطفوك بشدة وعنف وكانت معك فتاة صغيرة مثلك وحملوكم إلى مدينة الشرق .

سكت ضيغم طويلا قبل أن يرد وكان يعصر ذاكرته ثم قال : إي والله ! إن هذا المشهد المرعب يكاد لا ينسى .. ليلة مظلمة .. نمشي .. نمشي وفجأة انقض علينا رجال ملثمون ..صراخ .. إني أذكر هذا المشهد ، صرخت بكيت ، وكانت جواري فتاة تصرخ وناس يصيحون ويركضون أيتها الأميرة كأنك كنت معي .. إنني أتذكر تلك المشاهد المرعبة الباكية ..

فقالت الأميرة بارتباك وانفعال عنيف : ألا تذكر أنهم كانوا ينادونك باسم حريف حريف ؟!

فصاح الشاب دهشة واضطرابا : والله .. إن هذا اسمي الضائع !.. الاسم الذي أبحث عنه ولم أجده .. هذا اسمي وأنا طفل صغير جدا ..إنه

محفور في قلبي .
فصاحت الأميرة بلهفة وقوة وهي تنهض قائمة عن مقعدها : أماه !! .. أماه !! .. إنه أخي المفقود .. إنه حريف يا أماه ! .. أنا أختك وهذه أمك! .. أنا حظوظ التي كانت معك يوم داهمتنا العصابة ، وفرقوا بيننا وباعونا رقيقا وكم بكينا عند الفراق .. ؟!

كان ضيغم مبهوتا مذهولا ، وكان يرى الحادث الباهت القديم قويا ثم صاح : أجل .. أجل يا أختاه ! واحتضن الشاب أخته وهو يقول : لقد خفق قلبي لمرآكم عندما رأيتكم للوهلة الأولى وترك أخته واحتضن أمه وعانقها بحرارة وشوق ، والدموع تنساب من العيون المحمرة ، وتصعد التنهدات الحارة من الصدر وهو يهتف : أماه ! وهي تقول : ولدي حريف !

وتبكي بحرارة ، ودخل الخادم على صوت التنهدات والزفرات ، فشاهد الأم تحتضن الشاب الضيف وهي تبكي ، فاستغرب وأسرع إلى حجرة الملك ، وأسر له بالأمر ، فأتى الملك مسرعا وهو في حيرة مما سمعه من الخادم ، فدخل ورأى السعادة والدموع فقال بحيرة : ما الذي يقوله الخادم ؟!

فصاحت الأم المذهوله من المفاجأة الكبيرة وهي تشير لضيغم وتبكي : سليل .. هذا أخوك الضائع حريف .. هذا أخوك المسروق .

فبهت الملك وارتبك وهو يتمتم : ماذا ؟ ماذا ؟!

واحتضن أخاه وهما يبكيان ويقول : ضيغم أخي ! ..أمس عندما حدثني أنه لا أهل له خفق له قلبي وتذكرت أخي حريفا .. يا الله ! ما أعجب قدرتك ! أماه هذا أخي !!

فقالت الأم : نعم يا ولدي .. اكشف عن إبط أخيك الأيسر ستجد شامة بنية صغيرة حولها شعرات صفراء .

فمزق حريف القميص على الفور ، ورفع يده اليسرى إلى أعلى ، فأحدق الملك في الشامة التي حولها الشعرات الصفر ، ثم أخذ يصيح ويرقص : حريف حريف حريف يا الله !

وانتشر الخبر في القصر ، فهرعت الأميرات جميلة وقسمة وأخوات الملك شامة وبناتهن والأمراء فامتلأ قصر النساء بالرجال والنساء الأقارب ، وكانت ساعات وأيّ ساعات .. لحظات من السعادة محملة بالدموع العزيزة .. دموع اللقاء .. دموع الفرح .. دموع الذكريات فجأة تجد نفسك ابن ملك من ملوك الدنيا .. إنها لحظات مثيرة .. ومن خلال هذه الدموع العزيزة والغزيرة كان ضيغم يرى الأميرة ريها فيقول لنفسه لقد أصبحت كفئا لك يا ابنة قنبرة !.. ماذا أقول لصاحبي جبل ؟ .. يا لك من دنيا .. الحمد لله على

فضله .

أمضى الأمير حريف الليلة في حجرة أمه وهم يتحدثون عن حلاوة اللقاء والذكريات.. وما وجد من الشقاء وهو يتنقل من سيد إلى سيد ، ثم قال : وما أحسست بحلاوة الحياة إلا عندما التقيت بسيدي الفارس جبل بن مجدو !.

ونظر لأخته التي احمرت وجنتاها من غمزه فقالت : ما أكثر ما تلهج باسمه !.. واعلم أن أرسلنا وراءك لتحدثنا عنه فحدث ما حدث .. يبدو لي أنك تحبه كثيرا يا أخي ؟!

فسكت هنيهة ثم همس قريبا من أذنها ، وقال : وأنت ألم تحبيه جدا ؟! .. فمن عرف الفارس أحبه بسرعة .

ازداد احمرار وجنات الأميرة ، ونظرت لأمها واتبعتها بأخرى للملك ولأختيها جميلة وقسمة ، ثم قالت : إنك لجريء مثل صاحبك يا أخي الصغير ..كم بكيت لفراقك ؟ حتى أن المرأة التي اشترتني ندمت على شرائي من كثرة البكاء ، وفكرت بالتخلص مني أكثر من مرة .

فقال الملك : هنيئا لنا عودتك أيها البطل ! ونشكر الله على هذه المنة العظيمة ، وعلينا يا أماه أن نصلي شكرا لله .

فقالت الأم : هذا يوم سعادة كبيرة لي ولكم ؛ ولكن الأمل في هذا اللقاء لم يخبو في صدري منذ ضياعه ، وسأصلي شاكرا لله وأتصدق على الفقراء والمساكين .. اللهم لك شكرنا ولك المنة .

ثم أمرت الجواري بتجهيز غرفة للأمير وتهيئة الحمام لاغتسال الأمير ، وأخذ الأمراء والأميرات بالعودة إلى حجراتهم ومنازلهم ، وقالت الأميرة حظوظ بعد انصراف عماتها وخالاتها وأختيها لحريـف : أترغب بالنوم أم السهر ؟

فنظر لأمه وأخيه وأجاب قائلا : بل نسهر الليل كله ، إنني مشتاق لكم .. مشتاق .. كيف ننام وقد جمع الله شملنا بعد ضياع طويل ؟! .

فنظر الملك لزوجته وقال : أما نحن نستودعكم الله .. فالأيام بيننا إن شاء الله .

وغادر المكان تتبعه الزوجة ، فهمس حريف في أذن الأميرة : إن الفارس لم يتزوج بعد .. إنه يحبك أيتها الأميرة ؛ ولكنه يكابر نفسه ، ولا يرى أنه كفء لك ، فأنت ابنة شامة وهو ابن الخباز مجدو الساحر

فقالت بصوت مسموع لأمها : ويحك .. أحدثك جبل بهذا الحب ؟! ثم ارفع صوتك فأمي تعلم رغبتي بالاقتران بصاحبك جبل .

فالتفت حريف نحو أمه فسمعها تقول : إنها ترغب به منذ أن أنـقذها من مجرمين الوادي .

فقال حريف باسما : وها هو اسمه قد أنـقذني يا أمي .

فقالت : حق هذا !!.. فقد زادت مكرمات

الفارس علينا .

فقال حريف : يا أمي قد رفض الفارس الزواج من بنات الأمراء ، فكم ألح عليه الملك جبرون بالزواج ؟ وأصر هو على الرفض ؛ لأن قلبه خفق مرة لفتاة وهي جارية في قصر من قصور الأمراء ، ووعدها متى نوى الزواج أن تكون حليلته إذا ظلت من غير بعل ؟ .. والله لو طلب الفارس ابنة الملك جبرون لوهبها له جارية ، ولكن الفارس وعد وعدا ووعد الفارس دين .. فقد أرسل الملك جبرون عندما أراد أن يزوج جبلا رسولا خفيا لبلادكم ليرى هل تزوجت الأميرة حظوظ ؟ فوجدها الرسول لم تتزوج بعد .. فاقتنع الملك بتزويج ثعلبون وهزبر ، فخطب لهما من بنات الأمير سالم بن قنبرة ، وأرادت الفتاتان الدلال والفخار على فتيات المدينة ، فطلبت الصغرى من خطيبها هدية جوهرة حسن خان ، وطلبت الكبرى عقد زوجة علي خان من ملوك بلاد الهند ، فذهب الفرسان الثلاثة لبلاد الهند وأحضروا تلك الأشياء ، ولكنهم وهم عائدون فرحون من بلاد الهند ، عرضت لهم عصابة مجرمة ، وكان هزبر المسكين وحده في مهمة فغدروا به وقتلوه ـ ودمعت عينا حريف على هزبر وهو يتحدث عنه ـ ثم قتلهم الفارسان جميعهم انتقاما لصديقهم .

فقالت الأميرة بحزن فهي تعرف الفارس هزبر : هل مات الفارس هزبر ؟!

فقال حريف وهو يمسح الدمعات المتساقطة على خده : نعم يا أختاه ! غدر به اللصوص رحمة الله عليه .. أتعرفينه ؟

فقالت بحزن : إيه يا حريف .. لقد دافع عني بواد الرعب حتى سقط عن جواده مضرجا بدمائه عندما وقعت بين يدي عصابة الوادي ؛ ولكنه لم يمت وقد أسعفه ثعلبون الشجاع .. يا سبحان الله ! ها هو يقتل مرة أخرى على أيدي المجرمين .. رحمك الله يا هزبر .

أكمل حريف باقي القصة ومغادرتهم بلاد التين إلى جزيرة النمور ، وحدثهم عن أحلام جبل للقضاء على مملكة الضبع ، وحثهم على إخفاء الأمر عن الناس ، فعلقت الأم قائلة : إنه رجل مبارك !! ما زال يعمل من أجلنا .. أحسن الله إليه ، ونحن نرغب بزيارته لبلادنا لنزوجه من أختك الأميرة يا حريف .. طال الانتظار

فقال الأمير وهو سعيد بما يسمع :سآتي به ـ إن شاء الله ـ قريبا ، ونخطبه للأميرة التي ما زالت تنتظر الفارس الجميل على حصانه الأبيض ليطير بها إلى عنان السماء .. وأيّ فارس جبل ! إنه سيد الفرسان ، قلبه قُد من الصخر يا أماه ، إنه لا يهاب الموت يقاتل بضراوة ويحب أصدقاءه يفرح لهم ، ولي قصة في بلاد التين ، وكيف أخرجني

الفارسان من السجن ؟ وروى لهما حكايته مع الأميرة ريم ابنة القائد سالم ، ثم عاد للحديث عن جبل فقال : بعد أن أخرجت من السجن تعهد جبل بأن يعلمني ضرب السيف وركوب الجياد ومقارعة الأبطال .. وفعل ذلك

فقالت الأم مازحة : أرى أنك تحبه يا ولدي أكثر من أختك ؟

فضحك الأمير وقال : حب الأخ لأخيه والضعيف للقوي العزيز .

وقالت الأميرة : نفهم من قصتك أنك عاشق ولهان لابنة سيدك سالم إذن أيها الأمير .

فقال : أحبتني الأميرة الصغيرة فهي أصغر بنات القائد الخمس .. فأحببتها وظننت أن الزواج منها ميسورا ، فغضبت عليّ الأم ثم الأب وطرحوني في السجن ، فلبثت فيه شهورا يسيرة ، فلما عاد الفارسان الصديقان من سفرهما وعلموا الحكاية ، تشفعا وعفا عني الملك سريعا .. ولكن كيف العبد الغلام ضيغم يتزوج ابنة القائد الكبير ؟!

فقالت الأم : عليك أن تعذر القائد سالم وزوجه ، فالأمر صعب يا ولدي .. وعادات الناس الخروج عنها ليس بالأمر الهين .. أما زلت ترغب بتلك الحسناء الأميرة ؟

فقال : بالتأكيد يا أمي .

فقالت الأميرة : ستبذل أمك الملكة جهدها لتحقيق رغبتك يا أخي الصغير .

فقالت الأم : سأحدث الملك سليلا أبا شامة ؛ ليرسل وفدا يخطبها أيها الولد العزيز ..وأنا الآن قد نعست سأقوم للنوم ، لا تنسى الحمام يا ولدي ! فقد أرسل لك سليل ثيابا تليق بك .

وأحضرت الجارية لهم الطعام فأكلوا جميعا ، وودعوا الأم وانتقلوا إلى حجرة الأميرة ، فلما جلسا قال : اعلمي يا أخية أنني منذ التقيت بالفارس وهو من أحب الناس إليّ ، وأتمنى من أعماق قلبي أن يكون من نصيبك ، وإن كنت أتمناه له وأنا ضيغم ؛ فإنني أتمناه الآن أكثر ..فهو رجل الوفاء ، لقد حدثني الأمير ثعلبون عندما عرضت نفسك عليه يوم الوادي العصيب ، ومع حبه لك لم يستغل الموقف والأثر الذي تركه عليك بإنقاذه لك من هؤلاء العتاة المجرمين

فقالت الأميرة وهي تتذكر تلك اللحظات : لقد كان زعيمهم يريدني سرية أمة له ، والله ـ يا حريف ـ إني وهبته نفسي عندما أنقذني من العار والخوف والهلاك في ذلك اليوم الموحش ، لقد كنت في يأس شديد من العودة للحياة الدنيا ..فكنت عاجزة عن الشكر والامتنان للأمير .. ومع ذلك اعتذر الفارس وقال أن لا وقت لديه للزواج .

فقال حريف متأثرا بما سمع ، فهو يدرك ما هو وادي الرعب : لم يرد إحراجك .. فهو يعلم من هو

وأنك ابنة ملكه ؟..وخشي أن يكون إعجابك به في لحظة ضعف أمام ذلك المشهد البطولي .

قالت : يا الله ! .. إنه مرهف الحس شديد الذكاء والفطنة .

فقال الأمير معجبا بصديقه الفارس : لقد تبارز مع عشرة فرسان أمامي وانتصر عليهم !

وأمضت حظوظ وحريف ليلة خالدة من ليالي العمر حتى سمعت الأميرة كل الأخبار والمعارك التي خاضها جبل بن مجدو فارس الأحلام ، ثم ذهب حريف للاغتسال ، وقامت الأميرة للنوم لتحلم في الساعة التي تلتقي فيها بالبطل المنتظر .



نهاية جبل الرعب

لقد عم الفرح الأسرة المالكة وأهالي مدينة الدب بظهور الابن الضائع ، ولما كملت مشاعر الفرح ، عقدت الأسرة الحاكمة اجتماعا للنظر في أمر حريف والأميرة ريم ، فقال الملك سليل مخاطبا أخاه الأصغر : ما خطوتك القادمة ؟

فرد حريف : أفكر الآن بالانطلاق إلى الأمير جبل وأطلعه على الأمر .

فقالت الأم : أتريد أن تبتعد عنا يا ولدي ؟

فقال مؤكدا ما تفوه به آنفا : لابد من الذهاب بنفسي للفارس - يا أمي ـ لأحدثه بما سرني ، لقد قال لي ذات ليلة إنك يا ضيغم لم تولد رقيقا ..إني كلما أحدق النظر في عينيك اللامعتين أراك أميرا من صلب أمير ؛ ولكن .. ولكن .. ثم يسكت ، وأنا كنت أعتقد لحظتئذ أن كلامه لمواساتي ولوعده لي بنيل الأميرة ريم .

فقال الملك : أرى ـ يا أخي ـ أن نرسل وفدا يطلب يد الأميرة قبل سفرك للقاء الفارس .. ربما تكون الفتاة قد تزوجت أو خطبت .

فقال حريف : سوف أكتب لها رسالة وأحدثها عن نسبي ، وأحثها على الصبر حتى ألتقي بالأمير جبل والأمير ثعلبون .. هذا ما أراه مناسبا .

فقال الملك : افعل ما تشاء يا عزيزي الأمير !

فكتب الأمير رسالة للأميرة ريم ، فصل لها فيها التطورات الأخيرة من حياته ، وأرسلها مع غلامه برمو إلى بلاد التين قائلا له : ثم انتظرني في مدينة القمر .. فندق الديوك الثلاثة .

وبعد رحيل برمو بأيام ودع الأمير أخاه الملك وأهله ، وحثهم على تقوية الحراسات والمزيد من التدريب للفرسان والجنود ، وبشرهم أن النصر قريب ، وأن النصر مع الصبر ، ولابد للطغاة من يوم يزولون فيه ، وأوصى أخاه على أمه الغالية ، وودع أخواته ، وركب جواده منطلقا لمدينة القمر

وبرفقته ثلاثة فرسان لحمايته ، وفي فندق الديوك الثلاثة التقى الأمير بغلامه برمو ، فأعلمه أنه سلم الرسالة لرمح ، ثم استأجر لهما مكانا في سفينة ، ولما سافرت السفينة بهما عاد الفرسان لبلادهم ، وبعد مسير سبعة أيام بلياليها رست السفينة على ساحل جزيرة النمور ، ثم استأجرا عربة لتنقلهما لمنزل الأميرين ، ولكنّ الأميرين لم يكونا في البيت ، فهما في قصر السلطان ، وبينما الأمير يتحدث مع الخدم ، ارتفع صوت مرتفع ينادي معلنا عن وفاة ملك جزيرة النمور مروان بن أسد ، وأخذ المنادي يعدد ويذكر بعض مناقب ومحاسن السلطان على العامة المتجمعون حوله ، ثم يغير مكانه ويعيد الخبر على مسامع الناس من جديد ، فترحم الأمير عليه وقال : أعدوا لي غرفة للنوم ، وعند حضور الأمراء أيقظوني ، فأنا متعب من ركوب البحر .

وكان جبل وثعلبون ضمن الأمراء والقادة في قصر السلطان ساعة وفاة الملك الذي كان يحتضر منذ أيام ، ولما خرجت الروح لبارئها بدأ الاستعداد لدفن الميت ، وقد بايع الأمراء ابن أخ السلطان ملكا على البلاد والعباد السلطان أمجد بن بلال بن أسد ، فالملك مروان لم يكن له ولد يخلفه ، وكان أمجد هذا أكبر أبناء اخوة الملك الميت ، وهو في العقد السادس من عمره ، ثم تقرر دفن الملك مساء ، فاستأذن الفارسان القوم عندما حضر أحد الغلمان وأخبرهما بعودة ضيغم ، وتعانق الفرسان وقد لاحظوا البشر على وجه حريف ، وعلى مائدة الطعام حدثهم الأمير حريف بكل ما جرى ، ولما علموا أنه الأمير حريف المفقود يوم سقوط مدينة الدب في يدي الضبع أصابتهم الدهشة ، وعادوا للعناق من جديد ، ثم همس جبل وهو يتذكر أول لقاء له بحريف : ألم أقل لك يا حريف مثل هذا الكلام ؟! .. اعلم يا سيدي الأمير عندما رأيتك أول مرة ، ونحن سائرون إلى قصر القائد بن قنبرة لمحت فيك دم الملك شامة .. فهناك شبه بينك وبين الأميرة حظوظ لا يلحظه إلا المدقق الخبير ، فأنت بعيد الشبه عن الملك سليل لذلك كنت أشعر هذا الشعور الخفي ؛ ولكن الأحداث لم تسعفنا للوصول للحقيقة .. والآن نقول مبارك عليك الأميرة ريم .

وقال ثعلبون : الحمد لله على فضله أنك عرفت عشيرتك وأمك وأباك ، وأنك من نفس موطننا ومن أكابرنا .

وكان حديثهم عن الحنين للوطن ، وأنه قد طال غيابهم عنه ، ثم قال جبل : ولكنه وطن مهدد من الأعداء ، مهدد من الحاقدين ، يحتاج منا إلى بذل المزيد من الجهد والعرق لإبعاد الخطر عن الوطن إلى الأبد أيها السادة والفرسان .. الحمد لله على نجاتك من رجال الجبل أيها الأمير الصديق ،

ولتفرح الأميرة ريم بهذه الأخبار .. هل فعلت شيئا من أجلها ؟ ورحم الله الصديق جدارا .

فبعد أن ترحموا على الصديق جدار ، قال حريف : أراد الأهل أن يخطبوها .. فأجلت ذلك حتى أراك وأنظر رأيك ، فأنت سيدي وأخي الأكبر ومعلمي ؛ ولكنني أرسلت لها خطابا مع الغلام برمو أخبرتها بحقيقة أمري .. وأنا انتظر أوامرك ، فأنا لا أنسى الأيام التي عشتها بصحبتكم ، ولا أنسى اللحظات التي فعلها اسمك في عتاة وطغاة الجبل

فقال ثعلبون : أصيل يا ابن الأجواد !!.. وحمدا لله على سلامتك ، ورحم الله صديقنا جدارا .

ثم قدم حريف الهدايا التي أرسلتها أخته الأميرة للفارسين ، وقال : هما من الأميرة حظوظ ، وهي تهديكم السلام ، وتترحم على الفارس الصنديد هزبر .. وإنها ما زالت تذكر يوم الوادي وتتذكر وعد الفارس .

فتأمل جبل الخاتم الهدية مليا ثم قال : ما أخبار الأميرة يا أخا الأميرة ؟

فقال حريف : تحيا بحمد الله ، وعندها الأمل بعودة الفارس يوما ما .

دهش جبل وقال : ماذا قلت ؟!

رد حريف فقال وهو يتبسم : الأمل .. تنتظر الفارس ابن الخباز لتقترن به .. الكل هناك في انتظارك أيها الفارس .. قل شيئا يا ثعلبون .

فقال جبل : أنا سعيد بما أسمع منك ، وأشكرك يا ضيغم عفوا الأمير حريف .. وأتمنى أن أكون عند حسن الظن بي .

فقال حريف : أشفق على قلبها يا أخي .. لا تريد من الرجال في هذه الدنيا إلا الأمير جبل .

فقال جبل : عندما نقضي على بلاد العقرب أحزم أمري في موضوع الزواج أيها الصديق الوفي

لقد ظلمت الفتاة معي ؛ ولكنك يا حريف خبرت حياتي لا استقرار في مكان .

فقال ثعلبون مشجعا : لما تظلمها يا سيدي الفارس .. امرأة خفق قلبها بحب الفارس الكبير .. وإنها لتستحق أن تعشق أيها الصديق .. وأنا أعلم وحريف يعلم أنك تحبها وتتمنى وصالها.

فقال حريف :إن جبلا من الرجال القلائل في هذا العهد ، يا سيدي عليك أن تنسى أنك ابن خباز ، فأنت اليوم فارس الهيجاء قاهر الأعداء بل أنت كنت أمير بلاد الدب قبل عودة الملك سليل .

وقال ثعلبون : والأميرة اختارتك وأهلها يرحبون بهذا الزواج ، وها هو أخوها الشجاع يدعوك للاقتران بها ، ولا تنسى كما قال أخونا حريف إنك سيد وأمير وفارس ، وكم من ملك منحك هذا اللقب في بلاده ؟! .. لقد كنت كما قال الأمير حاكما لبلاد الدب أثناء المحنة التي مرت بها المدينة ، ومنحك الملك سليل منزلة أكبر الفرسان في

بلادنا .. والملك أحمد بن خالد فعل مثله ، والملك أسعد ، ثم الملك العظيم جبرون ، وملوك الهند وملوك الجزر ، فأنت سيد الفرسان وناصر الضعفاء وقاتل اللصوص والسفاحين .

وقف الفارس فجأة وهو يضرب برأسه وقال : لقد نسينا جنازة السلطان مروان أسرعوا !

وأمر الغلمان بإعداد الجياد للمشاركة في دفن السلطان ، ولما آذانهم الغلمان بأن الخيول جاهزة ، تقدم جبل رفاقه نحوها ، فلما وصل للحصان وأراد أن يضع قدمه في الركاب لمح شخصا مندفعا نحوه بخنجر ، فألقى نفسه بخفة على الأرض ، ومن تحت قوائم الجواد نهض سريعا ، فأصابت طعنة الرجل جنب الحصان ، وبخفة الفهد كان جبل يقبض على عنق الغادر ويطرحه أرضا ، ويضع قدمه على صدره ، وقد لاحظ هروب شخصين فقال بانفعال وصوت متوتر : ثعلبون أسرع وراءهما .

حدثت هذه المحاولة لاغتيال الفارس بسرعة ، وعلى الفور قفز ثعلبون على جواده منطلقا خلف الفارين اللذين كانا يركضان في أرض البستان المحيط بالمنزل ، وقد قفزا عن سوره المنخفض ، وأرسل جبل أمرا لحراس الميناء بإغلاقه ، ولما هدأت أعصابه رفع قدمه عن الغادر وقد استل خنجره عن وسطه وقربه من عنق خصمه ، وقال بهدوء يشوبه اضطراب خفيف : لمن تتبع أيها الغادر ؟

فقال الرجل وهو يرتجف من الخوف : العفو يا سيدي الفارس ! ..صدر لي الأمر بقتلك ، ولا أستطيع أن أرفض وإلا قتلني هذان الرجلان الهاربان .

فصاح جبل : قل من أرسلك يا جبان ؟

فقال الرجل : أعطني الأمان يا نادرة الزمان .

رد جبل بغضب : لا أمان لك .. تكلم نفد صبري .. من الذي كلفك بهذه المهمة القذرة يا نذل يا جبان ؟

فقال الرجل : العفو عند المقدرة يا سيدي الفارس ! .. أرسلني لهب الليل زعيم الجبل .

فتمتم جبل وكرر اسم لهب الليل مرات ثم قال : لهب الليل .. يا لها من مفاجأة !!

فعاد رجل العصابة يقول : أيها الفارس .. لقد ضاق زعيمنا بك ذرعا ، والخوف منك يملأ قلبه وقلب رجاله الأشداء ، فلما سقط صاحبك هذا أسيرا بين أيدينا ـ وأشار لضيغم ـ علمنا منه أنك نزيل جزيرة النمور ، فقرر الزعيم التخلص من الرعب المتمثل بشخصك ، فوقع الاختيار عليّ لتنفيذ رغبة الزعيم ، ولا أستطيع القول لا .. فإذا رفضت قتلوني فورا .. بل أرسل معي هذين الرجلين حتى لا أهرب ، وإن نكست قتلاني .

فقال جبل الغاضب : ويلك ولو جئت إليّ لخلصتك من ذلك !

فقال : يقتلونني سريعا .

فقال جبل : حسنا أيها الغادر سأرسلك الآن للسجن !

فجاء رجال الشرطة وقادوه إلى سجن الجزيرة ، وانطلق الفارسان للمشاركة في الجنازة ، وبعد الدفن رجعوا مع القوم للقصر ، وتمت المناداة بالملك الجديد أمجد بن رباح ملكا على الجزيرة ، وخرج المنادون يعلنون ذلك للأهالي ، ولما هنأ الأميران السلطان الجديد قفلا عائدين للبيت ، فوجدا ثعلبون قد أمسك بالرجلين بمساعدة الأهالي ، وهما مقيدان ، وهو في انتظارهما ، فلما شاهدهما جبل قال : أرسلكما لهب الليل ؟!

فأقرّا بالمؤامرة ، فقال جبل : لماذا لم تحاولوا الهرب ؟!.. لماذا لم تلجئوا إلينا ؟! فأنتم تعرفون قدرتنا على حمايتكم .

فقال أحدهم : لا نستطيع يا مولانا يده طويلة ، وكم شاهدنا ما حل بالذين تمردوا أو حاولوا الهرب من الجبل ؟!..ثم لم يعد الزعيم يطيق ويحتمل الخوف الذي تسببه له فظن بقتلك العلاج لمرضه .

فقال جبل مهددا ومتوعدا : حسنا أيها الأوغاد ! سوف أنفذ ما وعدته به ، وآن الأوان أن أريح الخلق من شر الجبل ومن يسكن الجبل .

وأرسلهما للسجن وأوصى قائد السجن بالمحافظة عليهما ، ونبه وحذره من هربهما ، ومن حاول ذلك فأمره بقتله بدون هوادة ، فهم من أشرار الخلق ويستحقون الموت مرات ، وأمر بفتح الميناء أمام حركة السفن والمراكب ، ورحل إلى جزيرة النمر الأحمر ، والتقى بالملك شهلب ، وتفقد مكان صناعة السفن والمراكب ، وكان قد تم إنجاز سفينة ضخمة تسع أكثر من مائتي فارس بخيولهم وطعامهم وسلاحهم ، وما زال العمل قائما على قدم وساق لصناعة المزيد من السفن والمراكب ، ثم تفقد مكان تدريب الرماة المهرة والفرسان ، ولما اطمئن أن الأمر يسير كما خطط له ، ومكث أياما في ضيافة الملك شهلب ، ثم أخبره بمحاولة اغتياله من بعض أعدائه رجال لهب الليل زعيم جبل الرعب ، وهو يريد غزو الجبل والقضاء التام على مجرميه ، فانزعج الملك من محاولة قتله ، ورحب وتحمس لفكرة غزو جبل الرعب ، ثم أصر الملك شهلب على صحبة جبل في هذه المعركة ، وبعد جدل عقيم رضخ الأمير لرغبة الملك ، فجهز الملك مائة فارس وحملتهم السفينة الكبيرة الجديدة ، وركب الملك وجبل سفينة الملك الخاصة مع حرسها الكامل وابحروا إلى جزيرة النمور ، فنزل الملك شهلب ليعزي الملك الجديد

بوفاة عمه مروان ثم يبارك له بالملك ، وكانت السفينة التي أنشأتها هذه المدينة أيضا للحملة المخطط لها تجهزت ، فقد سبق ثعلبون وحريف الأمير جبلا عندما أراد الملك شهلب مرافقتهم بنفسه ، فأعدوا السفينة والبحارة وانتخبوا مائة فارس ، فلما وصل جبل بصحبة الملك ركبوا السفينة ، وكان جبل قد طلب من ثعلبون وحريف بعد تجهيز السفينة وإصدار الأوامر للبحارة الذهاب لبلاد الدب لإعداد مائتي فارس والالتقاء به عند خربة تسمى قرية الماء قرية قريبة من جبل الرعب أو الخوف ، وودع الأمير جبل السلطان أمجد ، وتحركت السفينتان وبعض المراكب الصغيرة ، وخلفهما سفينة الملك شهلب إلى ميناء مدينة القمر ، وبعد سبعة أيام وصلوا الميناء فرست السفن والمراكب فيها ، وركب الفرسان خيولهم وساروا إلى مدينة القمر نفسها ، ومنها اشترى جبل جمالا وبغالا وأحمالا ثم ساروا إلى قرية الماء ، وكانوا قد تركوا البحارة وبعض الحراس عند السفن والمراكب ، فاستمروا يقطعون الجبال والوديان ومن ثم اجتازوا النهر الكبير الذي يقع جنوب بلاد التين ويصب في البحر الكبير بعدما يجتاز بلاد العقرب ، فلما وصلوا قرية الماء نصبوا خيامهم ووضعوا الحراسات اللازمة حتى لحق بهم فرسان مدينة الدب بقيادة الأمير حريف والفارس ثعلبون ، فتجمعت فرسان من مدن ثلاثة .. النمور .. والنمر الأحمر .. والدب القطبي للقضاء على رجال الجبل وكانت عيون جبل ترصد الجبل والوادي ، فأتت معلوماتهم تؤكد لجبل أنهم في غفلة مما يدبر لهم ، فهم لا يخطر في بالهم من غرورهم أن يدخل عرينهم أحد مقاتلا لهم ، فالرعب من وحشيتهم ينتشر في كل المدن القريبة والبعيدة من حولهم ، فزحف الجيش إلى الجبل خلال الليل ، وكان جبل قد شرح للقادة والملك شهلب الخطة مفصلة ، فبعد الفجر يبدأ التنفيذ .

عند الفجر تحركت قافلة من البغال والجمال التي تزيد عن مائة حيوان تسير بخط مستقيم وطويل يتقدمها بعض الفرسان وعلى يمينها ويسارها أيضا بعض الفرسان وعلى مؤخرتها عدد منهم ، ودخلت القافلة الوادي كأنهم لا يعلمون الخطر المحدق بهم ـ وهذه الجمال والبغال هي التي ساقها جبل معه من مدينة القمر ـ وقد بلع رجال العصابة الطعم ، فاندفعوا من مواضعهم المختلفة نحوها وأعلن حماة القافلة استسلامهم ، فأحاط كثير من فرسان لهب الليل بهم ، وبدأوا يجمعونها وهم يضحكون ويهنئون أنفسهم بهذا الصيد الكبير ، وقد نزل كثير من فرسان الجبل عن جيادهم يمسكون بخطام وحبال الدواب ، وما

شعروا إلا وهجوما قويا من فرسان على خيولهم على رأسهم الفارس جبل وثعلبون ، وتحول أسراهم لفرسان محاربين يحيطون بهم ، وقد تم الفتك بهم سريعا إلا من هرب في الوديان وصعد الجبال ، واختفى في الكهوف والشعاب وكان انتصار ساحق وسريع .. وكانت الأوامر القتل السريع لا أسرى ، وما هي إلا ساعة حتى لم يبق مجرم يقاتل أو حيا ، كانت معركة سريعة ، ونفذت الخطة كما رسمت ، وكان ثعلبون ومن معه من الفرسان قد أغلق الطريق الموصل لقصر الجبل ، وبارك الفرسان والملك شهلب لجبل على نجاح خطته وحيلته في استدراج أكبر عدد منهم قبل الصعود للجبل ، وكان الملك شهلب مسرورا من نجاح خطة جبل غاية السرور ، فقد انتصروا ولم يفقدوا أيّ رجل ، وكان جبل قد أبقى فقط على حياة اثنين من المجرمين ، فقال أحدهم معتذرا : كم نصحت الزعيم بعدم التعرض للفارس ابن الخباز !

فقال جبل متهكما : لا وقت للاعتذار .. فات الوقت .. اصعد أنت ورفيقك هذا إلى لهب الليل وقولا له بتسليم القلعة قد ينجو بحياته .

فركبا بغلتين وانطلقا ليبلغا الرسالة وهما مجردان من أسلحتهما ، وطلب جبل من ثعلبون أن يأذن لهما بالصعود ، وقال جبل بعد ذهاب المجرمين : سأصعد الآن ومعي مائة بطل السلم ، وبعد ساعة تتبعني يا ثعلبون بمائة أخرى ، وبعدك بساعة يتبعك الفارس شهاب بمائة ثالثة ، ويبقى الملك شهلب والأمير حريف هنا على مدخل هذا الجبل بمائة ، واحذروا الهاربين والمختبئين في الكهوف .

وتقدم جبل بفرسانه على ظهور خيولهم ، وقد حاول بعض حراس الطريق منعهم من الصعود ولكنهم تساقطوا أمام رماة الأقواس المهرة والخوف الذي ساعد على هزيمتهم ، ومنهم من هرب في شعاب الجبل ، وظل جبل يصعد حتى وصل باب القلعة من غير أن يفقدوا محاربا واحدا سوى بعض الجراحات التي ألمت ببعض الفرسان في المعركة الأولى ، فعندما أصبحوا أمام باب القلعة انهالت عليهم سهام الرماة ، فتترسوا بالصخور وبجيادهم التي أصابتها السهام وبعض الأشجار ، وانتشر الفرسان حول المدخل حتى يصعد باقي الجيش ، وقد أمر جبل بحرق الأشجار الواقعة خارج الأسوار ، فحجبت كثافة الدخان والنار عنهم رماة رجال العصابة وضايقتهم ، وقد رمى جبل رسالة بسهم يعد فيها من استسلم وتعاون معهم بالإبقاء على حياته وحفظ روحه ، ومن أصر على البقاء والقتال والدفاع فمصيره الموت .

وتعاهد رجال القلعة على الصمود والدفاع حتى آخر رجل ، ولما اكتمل صعود المئات الثلاثة تقدم

عدد من الفرسان بسلالم مكلبة فعلقوها على الأسوار ، ثم صعدوا الأسوار يرمون خصومهم بالسهام والنبال ، وقام بعضهم بإشعال النار بالأشجار من داخل القلعة ، وارتفعت النار إلى عنان السماء ، وابتعد حراس الأسوار عن النيران ولهيبها ، وخلع بعض الأبطال الأبواب ، وهدم بعضهم مواضع من الأسوار ، ثم اندفع الفرسان رويدا رويدا داخل القلعة ، وأخذ رجال لهب الليل يتساقطون واحدا تلو الآخر ، وتم القضاء التام عليهم ، وتمت محاصرة القصر ، وقتل كل الرجال الذين احتموا فيه وعلى رأسهم لهب الليل ، وأسرت النساء والجواري والغلمان والصبيان ، وتم الاستيلاء على كنوز العصابة وأموالها وخيولها ، وأمر جبل بنـقل هذه الأشياء لأسفل الجبل عند الملك شهلب ، ثم بدأ هدم القصر وإتلاف الأسوار والأشجار وردم عين الماء بحيث لا يتمكن أحد من العيش على قمة هذا الجبل بعد هذا الدمار الشامل ، وأشعلت النيران في المكان حتى أصبح قاعا صفصفا ، ثم صاح جبل بقوة ونشوة النصر والقتال : لقد انتهى لهب الليل !! فليرقد الناس على فرشهم آمنين مطمئنين بأمان وسلام .. بوركت السواعد التي سحقت هذه القلعة وهذه العصابة .

وأمر جبل بحمل الأموال والغنائم إلى قرية الماء ؛ ليتم توزيعها على رجال الحملة ، وبعد أن استراح القوم بضعة أيام في أكل وشرب وسعادة ، واحتفلوا بالنصر على عصابات الوادي المرعب ، وأكمل الرجال تدمير القصر بعدما حرقوه ، فقد رخص الأمير للنساء والغلمان بالحرية ، فمن كان له أهل ومدينة سمح له بالانصراف إليها ، ومن ظل ورغب بالاسترقاق وزع على الفرسان لمن شاء ، وقسمت الأموال والأنعام على الجميع ، وتناقل الركبان خبر هلاك جبل الرعب والخوف على يد الفارس جبل بن مجدو ، ولما أرادوا التفرق أقسم الأمير حريف على دعوة الملك شهلب والأمراء والقادة على زيارة مدينة الدب ، ولقد حاول جبل التخلص من هذه الدعوة ، فهمس حريف في أذنه مهيجا له ومرغبا : أتخشى رؤيتها ؟!

فقال جبل بارتكاب وحياء : نعم أيها الصديق .

وقبل الملك شهلب الدعوة ، وصرف فرسانه إلى مدينة القمر بما كسبوا إلا بعض خواصه وحرسه ، وأمر جبل فرسان جزيرة النمور بمصاحبة فرسان جزيرة النمر الأحمر إلى مدينة القمر والانتظار هناك ، وصحب معه بعض قادته ، فكما تعلمون فإن جبلا هو أمير الجيش في جزيرة النمور ، وتحركوا إلى مدينة الدب التي وصلتها البشائر من أيام بالنصر الكبير ، فخرجت المدينة عن بكرة أبيها ترحب بالضيوف والفرسان المنتصرين ، وكان

يوما مشهودا في بلاد الدب ، والتقى الملك الشاب سليل بالملك شهلب والأمير جبل وثعلبون وغيرهم من الفرسان والقادة وهنأهم على السلامة وعلى الظفر على مجرمي الجبل المرعبين ، ودخلوا المدينة والناس ترحب بهم ، وأعدت لهم مائدة عظيمة ، وجاءت التهاني من ملوك المدن المجاورة للأمير جبل ، وقد أتت تهنئة من الملك جبرون ودعوة لزيارة بلاد التين ، فأخبر جبل الرسول أنه سيلبي الدعوة هو والملك شهلب ، ومضت سبعة أيام في ضيافة الملك سليل ، فاستأذن الملك شهلب بعدها بالسفر من الملك سليل فأذن له ، فلم علم حريف بذلك قال لجبل : ويك الأميرة لها أيام تستعد للقاء الفارس ! وأنت تتعذر بانشغالك مع الملك شهلب .. سر إليها وودعها يا أخي .

فقال جبل بعد تردد : خذني إليها .. لأننا مسافرون غدا بعون الله ..فأنا مستعد للقاء مائة فارس ولا ألقى الأميرة حظوظا بضع لحظات .

فاستأذن الأمير حريف من الملكين ، وأخذ جبلا لقصر أمه ، وكان حريف قد أرسل غلامه قبله يخبرهم بزيارة الفارس لقصر النساء ، فكانت الملكة والأميرات والجواري في استقبال الفارس جبل ذائع الصيت ليشيعنه بأبصارهم ، فكن يحطنه بنظرات الإعجاب والإكبار ، فشجاعة فارسنا أضحت مضرب الأمثال في مدينة الدب وغيرها ، وكل منهن تهمس في أذن جارتها : هذا هو الفارس جبل ابن الخباز مجدو الساحر !!.. قاهر الفرسان والأعادي .. هذا ابن مدينتنا !!

فلما وصل الملكة حياها بحياء شديد ، وكذلك في تحيته للأميرة العاشقة ثم قال : أنا خادمكم المخلص .

فقالت الأم : أهلا بك يا فارس الدنيا ! ..لماذا تتهرب من لقائنا منذ وطئت قدماك أرض آبائك وأجدادك يا أمير الفرسان ؟

كانت الأميرة في غاية السعادة وغاية الحياء والارتباك وهي ترى الفارس يقف أمامها ، وكما يقولون كانت العيون هي التي تتكلم عما في قلبيهما ، ورد جبل على الملكة فقال : إنني لا أتهرب من لقائكم ولكن ..

فقالت الملكة : أنا أعرف أنك تخجل من ابنتي الأميرة .. فيا أيها الفارس إنها ترغب فيك بعلا فأنا أخطبها لك .

فأمسك جبل بيد الملكة وقبلها قائلا : يا أمي أنت كريمة !!.. اعلموا أيها الناس أن لقاء مائة محارب أهون عليّ من مثل هذا الموقف .. قبلت أيها الأم .

فقال حريف وهو يعانق جبلا : مبارك أيها الأخ العزيز .

وصافح أخته مهنئا وهو يقول : مبارك أيتها

الأخت ! فها هو الفارس جبل قد ترجل عن جواده ولان قلبه لأختنا العزيزة .

ثم قال فارسنا وقد ملأ الحياء روحه وقلبه : مبارك لنا . وتناول يدها وقبلها ، وزغردت النساء فرحا ، وقالت الأميرة : مبارك لك أيها البطل .. أيها الزوج الحبيب ، وها أنا قد وفيت بوعدي

وأرسلت الأم وراء الملك سليل ، فلبى نداءها سريعا ، فأطلعته على موافقة الفارس أخيرا على الزواج ، فضحك الملك وقال : وهل وافق الفارس أخيرا يا أماه ؟!.. مبارك يا أختي العزيزة ها قد تحقق حلمك بالفوز بقلب هذا الرجل الشهم النادر في زماننا هذا ..ومبارك يا عزيزنا جبل بن مجدو وعانقه مهنئا ، وأعلنت الأفراح بمدينة الدب

أزواج

فرح الناس جميعهم في مدينة الدب الخاصة والعامة بهذه المصاهرة ، فسكان المدينة يعرفون جبلا ويحبونه ولا ينسون أفضاله عليهم ، وتعهد الملك شهلب بدفع صداق الأميرة هدية منه لصديقه الفارس ، وتعهد أيضا بتزويج أخته للأمير ثعلبون ، وأعلن الملك سليل الأفراح في البلاد لمدة سبعة أيام ، وكمل زفاف الأميرين بسلام وهدوء ، والتقى العاشقان في عش الزواج وأمضوا أسبوعا آخر في كنف الملك سليل ، ثم قال الملك شهلب للملك سليل : سنسافر أيها الملك الكريم .. فما تقول يا فارسنا العريس ؟

قال جبل : لقد جهزت نفسي وعروسي يا مولاي .. سنمر على الملك أسعد في مدينة الشرق ثم بلاد التين لنشارك الأمير حريف زواجه .

وجهز الملك سليل سرية من الخيالة للذهاب مع الأسرة الحاكمة لخطبة الأميرة ريم التي وافق أبوها بناء على رسالة تلقاها من الملك سليل وأخرى من جبل ، فسار الملك شهلب وجبل لبلاد الشرق ومنها لبلاد التين للاحتفال بحريف ، وسار سليل وأمه وأخواته ونساء أخريات والفرسان لبلاد التين ، وتولى قيادة البلاد الأميران قيس وليث .

استقبلت بلاد الشرق الفارس والملك شهلبا استقبالا حارا ، ورحب الملك أسعد بضيوفه ، وأهدى الملك شهلبا وجبلا ومن معهما هدايا ملكية ، وكان الملك أسعد قد تزوج ، ووهب ذكرا فسماه جبلا ، فجاء الصبي جبل وعانق سميه الفارس وضيوف أبيه ، فوهبه جبل سيفه ، ودعا له بطول العمر والقوة والحياة السعيدة ، وأظهر الملك أسعد فرحه وابتهاجه بزواج الفارس من الأميرة حظوظ ، وأمضوا ثلاثة أيام في ضيافته ، ثم رحلوا إلى بلاد الملك جبرون ، فخرج جبرون بنفسه مرحبا بهم ، وعانق الفارس عناقا طويلا تخللته الدموع ، وقال : كم سررت عندما علمت بزواجك من الأميرة ؟! فإنني أحبك أيها الصديق

حبا كبيرا .

وأظهر الملك جبرون فرحه بلقاء ثعلبون والملك شهلب ، وقام جبل وثعلبون والملك شهلب بزيارة القائد سالم بن قنبرة المريض ، ودعوا له بالعافية والسلامة ، وحضر الملوك والأمراء خطبة وزواج الأميرين حريف وريم ، ومكثوا شهرا في ضيافة الملك جبرون .. وكان جبل قد أطلع الملك جبرون على جهوده للقضاء على مملكة العقرب ، فلما انتهى من تفصيل الأمر ، قال الملك : أو تستطيع ذلك أيها الشجاع ؟ .

فقال جبل : مضى سنتان وخلال سنتين أو ثلاث ـ إن شاء الله ـ سيكون الأسطول البحري جاهزا لحمل الفرسان المدربين ، وسيتم ذلك الهجوم بالتعاون معكم ، أنتم والملك سليل ، تشغلونهم عنا من البر ونحن ندخلها من البحر ، ثم نطبق عليهم ، وأسأل الله وحده أن ينصرنا على الضبع اللعين .. وأوصيك يا مولاي ببلاد الدب ، فكلما حاول اللعين الهجوم عليها فتأمر بتحريك جيشك المظفر ، فينقل له جواسيسه ذلك فتراه يرفع حصاره المتكرر على بلاد الدب حتى أبعث إليكم رسولا لتزحفوا نحو بلاد العقرب .

فقال الملك جبرون : أنا رهن إشارتك أيها الصديق الوفي ، فمنذ أن التقينا وأنا أرى بوجهك الفرج والنصر .. فكما أن الضبع عدوك وعدو بلادك ، فهو عدونا ، فابشر بما يقر عيناك .. لقد أنهكتنا هذه الحروب المتكررة ، نود من أعماق أفئدتنا أن نرى نهاية لها .. فكم من الأطفال فقدوا آباءهم ؟ وكم من الشباب قتلوا أو خسروا أعضاء من أبدانهم ؟ .. فنحن نطمح بنصر ساحق

فقال جبل بحماس وثقة : اقترب الوعد الحق يا مولاي .

قال الملك : نحن في انتظار الإشارة .. وإن مت ولم أشهد هذا اليوم سأوصى ولدي الكبير بالإصغاء إليك أيها البطل !.. لقد أخبرتني أم العيال أن الأميرة حظوظا أسعد النساء في الدنيا بزواجها منك ، وهي تحبك حبا ما كنا نتخيله أيها الفارس الصديق ، فاحرص عليها ولا تفرط فيها أبدا .

قال جبل ممتنا : هي في عيوني وقلبي يا مولاي ! وكيف أنسى كل سنوات الانتظار التي انتظرتها من أجلي ؟.. فأنا أحب سعادتها ، ليت أبواي على قيد الحياة ليشاركوني هذه السعادة وهذا الفرح الكبير.

وغادر الملك شهلب ومن معه بلاد التين إلى مدينة القمر ، ثم ساروا للميناء فركبوا سفنهم ومراكبهم وعادوا إلى جزائرهم سالمين .

وبعدهم بأيام أخذ الأمير حريف عروسه وعاد مع أهله وفرسانه إلى مدينة الدب ، وهم أيضا في غاية السعادة والحبور ، أولا لزواج الأمير حريف

من محبوبته الأميرة ريم ، وثانيا إنهم وجدوا حليفا قويا يدعمهم في مواجهة حملات الضبع .

رحب الملك أمجد بالملك شهلب واستضافه وفرسانه يومين ، وأخذ الملك شهلب ثعلبون معه إلى جزيرة النمر الأحمر ليزوجه من أخته ، كما قطع على نفسه عهدا بذلك أثناء إقامته في بلاد الدب ، وتقرر أن يمكث جبل بضعة أيام ثم يتبعهم للاحتفاء بزواج الفارس ثعلبون ، وأعد جبل المنزل الذي يسكن فيه ؛ ليكون لائقا بالأميرة حظوظ ، ثم تفقد مرسى صناعة السفن والمراكب ، فوجد الأمور تسير على ما يرام ، وتفقد معسكرات إعداد البحارة والرماة والفرسان ثم عاد للبيت مسرورا ، فوجد الأميرة تستقبله بفرح آخر فقالت الأميرة : هل من جديد أيها الحبيب ؟ رد قائلا : الحمد لله ، الأمور تمضي كما رسم لها ، متى نلحق بثعلبون لنشاركه فرحه ؟

قالت : في أي وقت تشاء أيها الحبيب ؟

رد قائلا : أدام الله عليك السعادة ـ أيتها الزوجة الطيبة ـ غدا نسافر ـ إن شاء الله ـ ثم يتبعنا الملك أمجد وأمراء البلاد لحضور الاحتفال الكبير الذي سيقيمه الملك شهلب لثعلبون وأخته ، إنه نعم الملك والأخ .

وفي مركب خاص بالأمير جبل ركبه هو وزوجته وبعض خدم الأميرة وساروا لجزيرة النمر ، فرحب بهم مليكها والسعادة والغبطة تغمره ، وذبح لها من الخراف اللذيذة ، وأحسنت زوجة الملك وبناته وأخواته في استقبال الأميرة ، وسررن بها سرورا عظيما ، وهي سعدت بترحيبهن وحفاوتهن وودهن وبشاشتهن ، وأخذن يسألنها عن الفارس الذي خلب عقل وقلب الملك ، فحدثتهن عن أمرها ومعرفتها بالفارس ، فلما سمعن حديثها ظنن أنها تبالغ في الحديث عن بعلها وقرينها ، فلما اجتمعن بالملك وحدثنه حديث الأميرة ، فقال الملك ضاحكا : إن حظوظا لم تعرف جبل بعد ..آه .. لقد هزم عشرة من فرساني الذين كنت أباهي بهم الدنيا مرة واحدة وفي المعركة التي رحلنا إليها في البر عندما أغار على المجرمين كان كأنه العاصفة الهائجة .. يهربون من أمامه كالأرانب سقط بينها سهم .. ارتعبوا من صوته .

فقالت : أمعقول هذا ؟!

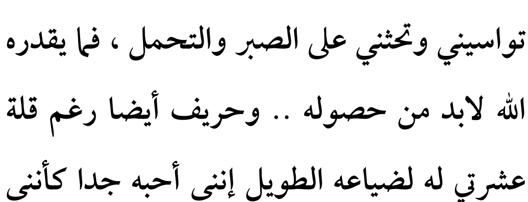
فأجاب بحماس وإعجاب : نعم معقول .. استعدوا وتهيئوا لزواج أختي بالأمير ثعلبون ، فعندما يصل الملك أمجد تبدأ الاحتفالات من أجلها .

ولما حضر الملك أمجد بن بلال وحاشيته أعلنت الأفراح في جزيرة النمر الأحمر ، وتزوج على أثرها الأمير الفارس ثعلبون من أخت الملك شهلب الصغرى ، ولما تم الفرح والعرس غادر جبل

الجزيرة موصيا الملك وثعلبون بمتابعة صناع السفن وتدريب الفرسان للمعركة الفاصلة التي يحلم بتحققها الفارسان .

وذات مساء عاد الأمير للبيت وهو يحمل رسالة ، ولما ألقى السلام ، قال للأميرة التي كانت تحمل رضيعها المولود منذ أيام : أيتها الحبيبة وصلتني رسالة اليوم عن طريق الحمام من الأهل في بلاد الدب ، وفيها أن الضبع الشرير قد رفع حصاره عن المدينة الحزينة عندما سمع بأن الملك جبرون يعد جيشه لغزو بلاد العقرب ، وفي الرسالة أيضا أن الأمير حريف قادم لزيارتنا ومعه أمنا الغالية وزوجته وبعض الأميرات ، ويطلب إرسال مركب لتحملهم ، فأذن لي الملك بإرسال مركبه ببحارتها وحرسها ، فأرسلت برمو الخادم معهم لانتظارهم في مدينة القمر ، والآن كيف حالك اليوم وحال المولود أشهب ؟

فقالت وقد سرت بما سمعت : نحن بخير ما دمنا في ظلك يا سيدي الفارس !!.. وإنني في شوق لأمي .. هي الوحيدة التي كانت



تواسيني وتحثني على الصبر والتحمل ، فما يقدره الله لابد من حصوله .. وحريف أيضا رغم قلة عشرتي له لضياعه الطويل إنني أحبه جدا كأنني عاشرته سنوات ربما لحبه الكبير لك .. آه .. كم يحبك حريف يا جبل ؟! .. يحق لي أن أغار من حبه لك يا أميري الجميل .. فمرحبا بالجميع .. أيها الحبيب أريد منك جارية خاصة بابننا .

فقال : سأهتم بالأمر ..وسأفارقك بضع ليال أزور فيها جزيرة النمر ، فقد أرسل لي ثعلبون أن السفينة الكبيرة الثانية قد جهزت ، فاصبح لدينا هنا اثنتان وهناك اثنتان ومئات المراكب ، فقد اقترب الفجر يا قرة العين .

فقالت الأميرة ضاحكة : كيف أفقد هذا الوجه الحسن ليلة واحدة يا سيدي الفارس ؟

فقال باسما : عليك أن تتعودي ذلك يا أميرتي الحسناء ، فعندما تجهز الحملة قد أغيب عنك أشهرا أو قد أقتل .. فهذه حياة الفرسان .

فقالت : الله !! وتتركني هنا وحدي !

فقال : هناك حل .. عندما يقترب موعد الحملة تذهبين لبلاد الدب .

قالت : سوف أفكر في ذلك بوقته يا فارسي الجميل

وسار الفارس بمركب صغير مع اثنين من البحارة إلى جزيرة النمر ، وتعرض المركب لعاصفة قوية في البحر ؛ ولكن الله سلم من شرها ، واطلع جبل على السفينة الجديدة ، وتابع بنفسه تدريبات الفرسان ومكث بضع ليال عندهم ، ثم قال لثعلبون : قد نبدأ الهجوم الصيف القادم بمشيئة

المولى .

وقفل الفارس عائدا لجزيرة النمور ، واستقبل ضيوفه القادمين من بلاد الدب ، فأمضوا في ضيافته شهرا ممتعا ، ولما انتهى موسم الشتاء أمر جبل بعرض كبير للجيش الذي أعده للمعركة فوجدهم ما يقارب خمسة آلاف مقاتل ، وكلهم مستعد للغزو والقتال ، ومثلهم في جزيرة النمر ولما دخل فصل الصيف تجمعت الجيوش على أرض جزيرة النمور ، وكان قد تم إنجاز سفينتين اخريتين فأصبح في كل جزيرة ثلاث وآلاف المراكب ، واستأجر جبل أربع سفن كبيرة ، وركبت الجيوش على السفن والمراكب والقوارب ، وحملت الأقوات والأعلاف والماء والخيول والسلاح ، وأعلن النفير العام ، واجتمع جبل مع قيادات الجنود ، ووضح لهم خطوات المعركة وكان جبل قد زار مدينة العقرب من البحر ليعرف كما تستغرق الرحلة البحرية إليها ، وحدد مواقع النزول المناسبة ، ولما تحركت الحملة أرسل رسله لبلاد التين والدب يأمرهم بالتحرك لمحاصرة بلاد العقرب وإشغالهم عن الهجوم البحري القادم ، وكانت المراسلات لتنسيق الهجوم قد بدأت بين جبل وجبرون وسليل مع بداية فصل الربيع ، ثم أتت رسالة بواسطة الحمام من الملك جبرون تبين أنه قد جهز ما يزيد عن عشرة آلاف فارس ومثلهم رجالة ، وأتت رسالة من الملك سليل تبين أنه أعد عشرة آلاف محارب وهم في طريقهم لبلاد العقرب ، ولما وصلت أخبار خروج الملك جبرون لغزو بلاد العقرب للملك الضبع أصدر أمره لقادته لملاقتهم قبل الوصول للمدينة ، ولكنه لما علم بحلف جبرون وسليل وخروجهما معا لحربه دهش بداية للأمر واجتمع بمستشاريه وكبار قادته يتدارسون الوضع الغريب ، فمنهم من قال : ننتظر حتى يتجمعوا ، ومنهم من اقترح البقاء داخل المدينة وقرر الضبع في النهاية الخروج لملاقتهم أمام المدينة ، وأرسل للمدن التابعة له بمده بأقوى أبطالهم ، واجتمعت جنود الملك جبرون المريض ـ والذي أصر على شهود هذه المعركة ، وعلى قيادة الحملة بنفسه ـ وجيوش مدينة الدب بقيادة أمير الجند قيس ، واشتبكت العساكر بعضها ببعض ، وكان يدور القتال بينهم يوميا قتالا ضاريا ، واستمر القتال أياما ، وكانت جيوش الملك جبرون والأمير قيس مهمتها اشغال عساكر العقرب حتى يدخل جبل بجيوشه المدينة ، ثم يقتحمونها هم جهتهم .. ولما اقتربت عساكر جبل من المدينة طلب من القادة أن يكون النزول مع الفجر ، ولما تشرق الشمس تكون الفرسان على سواحل المدينة ، واحتل جبل الساحل وتخلص من حامية البحر سريعا ، وسقطت البروج بسرعة

، فهم لم يتوقوا مثل هذا الهجوم العنيف والسريع فكانوا صيدا سهلا ، ودب الرعب في المدينة فتمت السيطرة على المدينة في ساعات ، وجيوش البر تغلبت على عساكر الضبع ، فمن هرب نجا ومن استسلم نجا ، ثم اندفعت العساكر البرية لداخل المدينة ، وسقطت المدينة بأيدي الغزاة ، ولم يبق إلا قلعة الضبع فتمت محاصرتها ، وأمر جبل بحرق المدينة وأذن للناس بالرحيل ، وبدأ جبل بهدم أسوار المدينة بواسطة الأسرى ، وكانت بعض السرايا تطارد فلول الجيش المنهزم ، وفي خلال أيام أصبحت المدينة خاوية على عروشها سوى قلعة الضبع المحاصرة ، وقد وصلت أخبار الكارثة التي حلت بالجيش والمدينة للضبع فأصابه الجنون ولعن الساعة التي غزا فيها بلاد الدب ، وتذكر قتله للملك شامة وتخريبه لبلاد الدب وغيرها من البلاد ، وتيقن أن ليس للدنيا أمان ، وأخذ يكيل السباب والشتم للغضبان الذي سفك دم ذلك الخباز الذي أنجب هذا الفارس ، وشدد جبل الحصار حول القلعة ، وأخذ المنادون يطوفون حول القلعة يدعون الجنود والعسكر للتسليم ، ويعلنون من استسلم نجا ومن أسر بعد دخول القلعة مصيره الموت ، ولكنّ المحاصرين أصروا على البقاء ، ولم تنفع معهم تحذيرات جبل ، وعلم جبل أن بعض المدن التابعة لمملكة العقرب تتحرك للهجوم على جيوشه ، فأرسل الفارس رسائل لملوك المدن يدعوهم للطاعة حقنا للدماء والأموال ، ولكن بعضها رفض الاستسلام وأصر على الثأر ، فأرسل جبل خمسة آلاف محارب مع ثعلبون يقاتلون الرافضين في عقر دارهم ، وقاد هو مثلهم في جهة أخرى ، وظل الملك جبرون والملك شهلب والأمير قيس يحاصرون قلعة الضبع ، وقامت الجيوش بحروب سريعة في المدن الغاضبة ، وتم تأديبها بعجلة فاجأت قيادات تلك المدن ، فالمدن التي أعلنت الحرب على جبل عزل حكامها وأسرهم ، ومنحها الاستقلال عن مملكة الضبع الزائلة ، والمدن التي رضيت بالطاعة ترك حكامها وأعطوا الاستقلال عن مملكة الضبع ، وكذلك فعل ثعلبون مثلما فعل جبل ، وهكذا تفتت مملكة الضبع العظيمة إلى ممالك شتى كما كانت قبل ظهور الضبع وجده ، ثم عادت الجيوش تتابع حصار القلعة ، وأمام ضغط الحصار الشديد ، واليأس من إمدادات المدن التابعة للضبع ، وكذلك قد ضاق المحاصرون بالحصار الذي لم يتعودوه ، ومن نقص الأقوات ، فازداد ضغط الجياع من الجند وزاد عصيانهم ،فأخذوا يستسلمون للأمير جبل ، وطلبوا الأمان ثم فتحوا أبواب القلعة فأخلى سبيلهم فخرجوا بأنفسهم من غير سلاح هم ونساؤهم وأطفالهم ، ودكت

أسوار القلعة بالأرض ، ودخل الفرسان قصر الملك الضبع ، وساقوه أسيرا هو وأفراد أسرته ومن معه من الوزراء وقادته الكبار الذين لم يشاركوا في القتال خارج الأسوار ، ووضعهم الأمير جبل في أقفاص ، وتم الاستيلاء على كنوز مملكة الضبع كلها ، وأمر جبل بحرق القصور ثم ردمها ، فأصبحت أطلالا كأن لم تكن عاصمة ملك في يوم من الأيام ، وباع جبل الأسرى لتجار الرقيق ووزعت النساء والأطفال على المحاربين ، وقسمت الأموال والأنعام على المقاتلين ، وأهلك جبل رجال الضبع الكبار ، فأمست مدينة العقرب الأحمر حديث السمار في تلك الأيام ، ثم انصرفت الجنود لبلادها وهي تحمل الغنائم الكثيرة ، والذين قتلوا من محاربين المدن الأربعة أرسلت غنائمهم لذرياتهم وورثتهم ، ومن القادة من كان نصيبه أميرة من الأميرات السبايا فباعها بدريهمات ، ومنهم من صمم على أخذها جارية وخادمة له ، فقلما فارس من بلاد التين ومن بلاد الدب لم يمت له أب أو أخ في حروب الضبع الطويلة ، فأكثرهم موتورون ، وعادت جنود جبل إلى سفنها ومراكبها ، ثم قال جبل : ماذا نفعل بالضبع يا مولاي الملك جبرون ؟!

فقال جبرون : لقد قمت بعمل عظيم يا جبل ! .. هذه هي نهاية كل باغي وطاغي .. لا دوام لدولة الظلم والعدوان ، الحق لابد أن يعلو مهما طال الزمان .. وكل من ساعد وشارك وسكت عن الظلم واستمرئه سيصيبه العذاب والهوان ،كانوا مسرورين بظلم وبغي الضبع ، ويتنعمون بأموال الناس ، ويتندرون على ضعف الضعفاء ، فها هم قد صاروا ضعفاء ، ها هي الكنوز التي سفك الضبع من أجلها آلاف النفوس استولى عليها غيره ، قد جمعها للآخرين فالأيام دول إنك يا جبل أشفيت غليلنا ، فكم من الأبطال فقدنا في الدفاع عن أنفسنا من جبروته وطغيانه فكم من الجرحى والمصابين يعيشون بيننا من عدوانه ؟! فكم من الأموال ضاعت من أجل تغذية هذه الحروب الظالمة ؟! .. وإنك يا ابن الاجواد محارب لا يشق لك غبار ، وفارس صبور وخصم لا يرحم خصمه العنيد المكابر .

فقال الأمير جبل مخاطبا الأمراء والقادة : أيها الملوك والأمراء ! كم من السنوات والأعوام وهو يثير الرعب في المدن والقرى ؟! .. كم من الملوك قتلهم وضم أملاكهم لملكه ! فها هو قد جمعها لغيره ؟ ! ..كم سنة وأنتم تتصارعون ؟ .. وكم من الرجال والنساء ذهبوا لشهواته وحبه للسيطرة وإذلال الخلق ؟!.. نحن في بلاد الدب لا ننسى ما فعل ببلادنا من الفتك والنهب والأسر وما حل بالحقول والحدائق والضيعات ؟ وما فعل بالملك

شامة ووزيره ليث وقائد جيشه ربيع ؟!.. هذا يوم عيد عندنا ، منذ ما يزيد عن عشرين سنة وبلادنا في حرب وحصار معه ، فقد آن للناس بترك السلاح والنوم من غير خوف وتهديد بالاحتلال .. فالمشاهد الدامية ما زالت مرسومة على وجوه أهل مدينة الدب ، وما زالت تلك الفظائع في ذهني مع أنني كنت صبيا ابن عشر سنوات .. فالملك سليل والأمير قيس لم يشاهدا تلك الصور ، لقد أبعدهما والداهما عن تلك الفظائع .. فلما عدنا رأينا الجثث المحروقة والمشوهة .. النساء البواكي في الطرقات .

فقال جبرون : إنني أعرف الضبع .. بل كلهم يعرفون الضبع أنه وحش ! .. ما أنت فاعل به بعدما سمعنا منك هذا الكلام ؟

فقال جبل : هناك عجائز في مدينة الدب فقدن أولادهن وأزواجهن في الحرب يرغبن بمشاهدة الضبع في قفصه .. سنأخذ الضبع في قفصه إلى مدينة الدب ليراه أهل تلك المدينة الصابرة .. وها هم أولاده وذريته قد أصبحوا عبيدا وإماء .. فلنذهب به للمدينة لنحتفل بنصرنا هناك ثم نذهب لبلادكم بلاد التين ونكمل الفرح ، فمن حقنا أن نفرح بعد كل هذه التضحيات .

طلب جبل من بحارة سفينة الملك شهلب أن يأخذوها ويسيرون بها إلى مدينة القمر وينتظرونهم هناك ، وتحرك الملك جبرون ومن بقي معه من قومه إلى مدينة الدب ، وكذلك الملك شهلب والأمير جبل وثعلبون وقيس وأمراء جزيرة النمور



واستقبل الملك سليل الملوك بالترحاب الكبير ، وأمر بذبح النوق والأبقار ، وكانت الأفراح منتشرة في البلاد ، وأبواب المدينة مفتوحة باستمرار ، وخف عدد جنود الحراسات عن الأسوار والأبراج ، فهم يحلمون بالسلام الذي كان ينعمون به أيام الملك شامة ، وشاهد الناس الضبع ، فقد وضع في ساحة عامة فرجة للجماهير ، وهو يقبع في قفصه كالحيوان ، وبينما الناس حوله يتفرجون عليه ويشتمونه ويحقرونه ويبصقون عليه ، طفق يصيح ويصرخ وهاج كالوحش فترة من الزمن ، ثم سكن جثة هامدة ، فأمر جبل بنقله لبلاد العقرب المدمرة ودفنه هناك .. وهكذا انتهت أسطورة الملك الضبع ، ذلك الإنسان الوحش الذي كان لا يحلو له إلا سفك دماء ضحاياه .. فقد قهر الملوك وسبى الآباء والأطفال والنساء وارتكب الآثام والشرور وسلب الأموال والأمتعة

احتفلت بلاد الدب بالنصر الكبير ، وأعلنت أن الأمير جبل بن مجدو صانع هذا النصر بطل خالد لا ينسى ذكره في تاريخ المدينة ، وأن تدون قصة بطولاته في صحائف تتلى على التلاميذ ، وأن كل ذكر يولد هذا العام يسمى جبلا ، وكل أنثى تسمى



حظوظا ، حتى لا ينسى هذا العام من ذاكرة الأجيال .

وتحرك المنتصرون لبلاد التين التي كانت الأفراح قد أقيمت فيها منذ عودة الجيش المظفر ، واحتفل الناس بعودة الملك وضيوفه الكرام ، وذبحت الذبائح الكثيرة شكرا لله وتكريما للضيوف ، ووقف الملك جبرون يقول في جمع كريم من أهل المدينة : الحمد لله الذي أحياني حتى رأيت الضبع قتيلا ذليلا !

ثم أعلن أمامهم أن الفارس الشهم جبل بن مجدو بطل من أبطال المدينة هو وثعلبون ، وأنهم مكرمون وأسرهم ومن اتصل بهم إلى الأبد ، وما دامت بلاد التين قائمة وموجودة على وجه الأرض ، ولهما راتب سنوي من بيت مال الدولة والملك كالفرسان والأمراء ، فتنازل الفارسان عن راتبيهما للفقراء في البلاد ، وعندما تهيئوا للرحيل كان المرض قد قضى على الملك جبرون وانتهى الأجل فمات ، فحزنوا عليه حزنا كبيرا ، وبكاه جبل بكاء عظيما ، ولبثوا أياما أخرى ، ثم استأذن الملك سليل بالرحيل فأذن له الملك الجديد .

وقال الملك سليل مخاطبا جبلا : أيها الفارس ! وقد وضعت الحرب أوزارها ألا تريد أن تستقر في بلاد الدب بعد كل هذه المعارك الطاحنة والترحال في البر والبحر فأنت منا ونحن منك ؟.

فقال جبل : أنا يا مولاي أصبحت ابن هذه المدن كلها ..كلكم أهلي وعشيرتي .. ولكن استقر بي المقام في جزيرة النمور ، وقد قمت بواجبي نحو الأهل والأصدقاء .. فدعني على راحتي أيها الملك العزيز ! وسأبقى منكم وتبقون مني ..والحمد لله الذي نصرنا على الضبع ، وارتاحت نفوسنا من همه والتفكير به .. فسلم أيها الملك على أمي الملكة ، ومتى اشتقت إليكم يا أخوال أشهب زرتكم ؟ وأرجو يا مولاي ألا نحمل سيفا بعدما وضعت الحرب أوزارها وعليك الآن أن تهتم برفاهية شعبك مع عدم الغفلة عن تقوية الجند ، فالأيام دول كما تعلمون فالقوي لا يظل قويا ، والضعيف لا يبقى ضعيفا .

وتعانق الأمراء والفرسان ، وودع الأمير حريف جبلا وثعلبون بالدموع وتمنى لهما السعادة ، وشكروا الملك شهلب على شجاعته وشهامته ،

وأوصوا الأمير جبلا على أختهم حظوظ .

ثم سافر الملك شهلب وأمراء الجزيرتين نحو مدينة القمر ، ومنها إلى جزيرة النمور التي تجددت بها الأفراح بعودة الأمير المظفر قائد الجند ، وأكرم جبل أبناء الذين قتل آباؤهم أو أبناؤهم غاية الإكرام ، وأعتق جبل كثيرا من الأرقاء ، وعفا عن المساجين الثلاثة الذين أرسلهم لهب الليل لقتله ، وأمرهم بمغادرة الجزيرة ، ولما تم الاحتفال بالنصر الخالد بجزيرة النمور أخذوا معهم الملك أمجد للمشاركة بالاحتفال الأخير في جزيرة النمر الأحمر ، ولقد استقر ثعلبون الفارس في جزيرة النمر الأحمر في قصر خاص شيده له الملك شهلب هدية العرس ، فلما وصل البيت تناول أحد الغلمان منه الحصان ليضعه في زريبته ، ودخل ثعلبون حجرة فخلع ملابس الحرب وعلق سيفه على الجدار ، وقال : أرجو أيها السيف أن تستريح الآن !

وخاطب الأميرة التي كانت تنظر إليه باسمة ضاحكة قائلا : أرجو أيتها الأميرة أن لا نحتاج إليه مرة أخرى ، وآن لنا أن نستريح من حروب ، لها أكثر من خمس وعشرين سنة في بلاد الدنيا الواسعة .

فقالت الأميرة : مبارك النصر ، وحمدا لله على رجوعك سالما ظافرا .. وقد آن لك أن تستريح يا سيدي الفارس يا قرة العين !..كم شقيت أنت والفارس جبل ؟! لقد حدثنا أخي الملك عن بعض معارككم ورحلاتكم ، وأدهشنا بما سمعنا حتى أننا عندما سمعنا الأميرة حظوظ تروي لنا بعضها ظننا أن حبها وهواها للفارس دفعاها لقول تلك المبالغات ؛ ولكننا لما سمعنا الملك شهلب يرويها لنا قلنا إنها لم تقل لنا شيئا ..فإني أعددت لك الحمام ؛ لتزيل عن بدنك أوساخ الحرب يا سيدي الفارس !

فقال : أحسنت أيتها المرأة الجميلة الطيبة ، فعندي خبر جميل سأقوله لك .

فقالت بلهفة وفضول : ما هو ؟!

فقال وهو يدرك كم ستفرح زوجه عندما تعلمه : لقد اتخذ صديقي الوحيد في هذه الدنيا سيدي الفارس جبل ابن الخباز قرارا صارما ومهما ، وهو البقاء في جزيرة النمور ، فهي قريبة كلما اشتقت إليه ركبت المركب الصغير وسرت لزيارته .

فغمر الفرح نفس الأميرة ، تلك الأميرة الطيبة ، فهي لم تعرف جبلا وحظوظا إلا من سنوات قليلة ، ولكنها أحبتهم من كل قلبها ، ألا تحب من أحب أخوها وزوجها ؟! فأظهرت فرحها الغامر لهذا الخبر ، وكانت تخشى من عودة جبل لبلاده ، فيضطر ثعلبون المخلص لصديقه أن يتبعه ثم قالت : أيها الحبيب سأبشرك بشيء يفرحك كما أفرحتني

فقال : هات أيتها الأميرة .

فقالت : عما قريب سأضع لك مولودا تقر به عينك .

فقفز الفارس في الهواء من الفرح مرات ثم قال : مبارك أيتها الأميرة .. إنني والله لسعيد مع أنني كرهت النساء بعد مقتل صديقنا هزبر ؛ ولكنك قد غيرتيني.



فلنترك صاحبنا ثعلبون يحتفل مع زوجته الأميرة بفرح قادم إن شاء الله ، الإنسان يفرح عندما يعلم أن مولودا قادم له ..فهذا يعني امتدادا لحياته .. أو كأنه بدأ الحياة من جديد ..فلندع المنزل تخيم عليه السعادة والحبور والغبطة والسرور ، ونعود إلى بطل هذه الملحمة الخالدة .. فالفروسية وحديث الأبطال من الأشياء التي تحبها النفوس وتلذ لها ، وتحب أن تسمعها الآذان وترددها في كل حين ، فمن سنن الله الخالدة في الأرض نشوب الحروب ، فالحروب تُكون الدول ، وتهدم الدول ، وما زال القادة يحبون الحروب ليوسعوا ممالكهم أو لنشر العدل أو الظلم ، أو قد تكون الحروب لرفع ظلم عن أناس ضعفاء ، والحروب أيضا هي التي تظهر لنا الأبطال والعمالقة في القتال وتدبير وتنفيذ الخطط الذكية والحيل واستغلال لحظات الغفلة والضعف في الخصوم والأعداء .



آخر الحكاية

صاحبنا جبل وهبه ربه الذكاء والفطنة ، وكذلك الشجاعة ، فكان لا يهاب خصومه مع حذر منهم ، فها هو يركب مركبا ، فيها زوجته والملك أمجد وبعض نسائه ، وكانوا في غاية الفرح والمرح .. فالنصر الكبير يستحق فرحا كبيرا من الأبطال ، فبعض القادة من نصر صغير أو قتل عدو واحد يملأ الحبور قلوبهم ، فكيف بفارس كجبل ظل سنوات وسنوات وهو ينتظر اليوم الذي يظفر فيه على الضبع مخرب بلاده ومدمر بلاده بلاد الدب ومثير الرعب قي قلوب أتباعه قبل أعدائه ! ..كم من القرى مسحها عن الوجود ؟ ..كم من الأيتام والأرامل ترك في البلدان التي اكتوت بشره وناره ؟ ، كان الضبع يعشق الشر ، فهل فكر الضبع يوما ما أن مدينته بل قصره وقلعته ستتخليان عنه ويصبحان ركاما من الحجارة ؟ .. وهل فكر بأنه سوف يهزم ويموت مقهورا داخل قفص ؟! كم

من مرة وقف ينظر إلى الحيوانات المفترسة وهي في أقفاصها تلتهم أعداءه ومن غضب عليهم من رعاياه ؟ لقد كان اسمه يثير التوتر والقلق في قلوب الناس في بلاده والبلاد التي امتد إليها حكمه .. لا أظن أن غروره سمح له بذلك النظر ولم يقرأ يوما كلمة إن الأيام دول كان همه حربا جديدة أموالا تدخل خزائنه ، نساء جدد يدخلن سراياه

وقصوره .. فهو ملك جبار حوله جنود عمي لا حياة لهم إلا الغزو والنهب والسلب والقتل .. وكان يرى ذاك الذكي أن هؤلاء الجنود .. هؤلاء الوحوش إن لم يوجههم لذلك قد يتآمرون عليه .. فالجيوش الكبيرة تحتاج لأموال كثيرة ، فالغزو والحرب يسهل له ذلك .. فقتل الناس والمدن يؤمن ويوفر لهم ذلك .. ولكنهم من جشعهم وغرورهم لا يفكرون في لحظة من اللحظات المتأنية أنهم هم قد يكونون الضحايا ووقود الحرب .. ومع ذلك لابد من استمرار الصراع بين الخير والشر ، ولكل منهما أنصار وأعوان .

بعد حين من المسير على سطح البحر ، حلت مراكب الملك أمجد وفارسه الشهم جبل في جزيرة النمور ، وخرج بعض الأهالي والسادة يرحبون بالموكب القادم ، ومشى الملك مع مستقبليه إلى قصره ، ومشى الفارس جبل وزوجه وخدمها وحوله بعض الفرسان إلى قصره ، وعلى مدخل القصر كانت الجواري يستقبلن سيدتهن ..وترك الفارس ابنه أشهب يمشي ويدب على الأرض وحده بدون مساعدة ، وتخلت الأميرة عن رضيعتها الصغيرة ماجدة تدرج على الأرض ، ولما استقروا في حجرة من حجرات القصر ، قالت الأميرة : الحمد لله على عودة الفارس سالما من هذه الحرب .. ليتني كنت معكم في مدينة الدب لأرى قاتل أبي يا سيدي الفارس !

فقال جبل : كنت أرغب بإحضاره إلى هنا ليرعى أغناما بدلا من رعاية البشر ، ولكنه مات مقهورا ، فانفجر دماغه من الغل والحقد .

فقالت : وكيف تركت أمي يا سيدي الفارس ؟

فقال : لقد قالت بعد موت شامة ابتسمت مرتين مرة ، عندما وافقت على الزواج من الأميرة حظوظ والمرة الثانية عندما جاءت البشائر تخبرنا بهزيمة الضبع .. وانتهاء أسطورة مدينة العقرب .

فرددت الأميرة : الشكر لله .. وبارك الله جهودك ، فمع قسوة هذه الحرب ، وكم راح فيها من النفوس ؟! ولكنها أدخلت السعادة على قلوب الثكالى من سكان مدينة الدب والتين .. علمت أن الضبع عندما انتصر علينا ازهق أرواح ما يزيد عن عشرة آلاف نفس .

فقال جبل : القاتل يقتل ولو بعد حين يا أميرتي .

فقالت : الشكر لله .. لابد لكل ظالم من زوال .. والآن ألا تفكر يا سيدي الفارس بالعودة لوطننا الحبيب ، وقد آن لسيفك أن يستريح ؟

تبسم الفارس وقال : وطننا الحبيب .. أليس هذا وطننا الحبيب أيتها الحبيبة ؟! لا تحزني .. فأنا قد اتخذت قرارا منذ فارقت بلاد الدب ـ أيتها الحبيبة ـ أن أحبها وأخدمها ؛ ولكن لا أستقر فيها .. لا تدمعي ولا تبكي إنني أتألم من بكائك .

فقالت : دعني أبكي يا سيدي الفارس ، لقد كنت أحلم بأنك عندما تحقق انتصارك هذا سترجع لمسقط رأسك .. وطنك الحبيب .

فقال جبل بقلب حزين : أيتها الحبيبة ارفقي بي .. لم يعترض أهلك رجال وطنك على مغادرتي لهم منذ القدم .. لا تبكي يا قرة العين .. ولولا حبي لبلادي ما فعلت كل ما تعلمينه ..ولكن لا مكان لي فيها ، مكاني هنا في هذه الجزيرة التي ساعدتني على تحقيق الحلم وهو القضاء على مدينة العقرب .

فتنهدت الأميرة وقالت : ماتت الأحلام يا سيدي

فرد الفارس الآسف الحزين : أميرتي ! أنا مستعد أن أذهب بك غدا ـ إن شاء الله ـ لوطنك فأنا وطني كل البلاد .. الدب .. الشرق .. اللؤلؤ .. التين .. النمور .. النمر .. فهذه الأسماء كلها وطني .. سأذهب بك إلى وطنك الوحيد ، ألم أقل لك يوما في وادي الرعب لا تنتظريني أيتها الأميرة .. فأنا طائر محلق في فضاءات الدنيا .. سأسير بك إلى أهلك عزيزة مكرمة ، وسأترك لك فلذات كبدي أمانة في عنقك ، وأرحل إلى أرض فيها حرب أسلي نفسي بها .

وتساقطت الدموع من عيني الفارس ، فقالت الأميرة : سيدي الفارس .. إنك تظلمني بهذا الكلام .. تقتلني بكلامك وتجرح مشاعري الكبيرة نحوك .

فقال باكيا : أميرتي ! ما دمت لا تستطعين البقاء معي أينما أكون ؛ فإني أسامحك ، وإن شئت انفصلت عنك .

فأجهشت الأميرة بالبكاء الغزير والنحيب ، فاضطرب الفارس وترك الغرفة ، وخرج إلى بستان أمام قصره ، وأخذ هو الآخر بالبكاء بكاء ينفس من ضيق الصدر ، وما توقف الدمع إلا عندما وضعت الأميرة الحسناء يدها على رأسه بحنان وعطف ، وهي تقول من بين دموعها : مولاي الفارس !.. إن بكاءك وشهيقك وتنهداتك سمعتها من داخل القصر ..سامحني يا سيدي !.. كنت أحلم بأن أعود لمدينتي العزيزة يوما ما .. فليبق ذلك حلما .. ولا يمكن أن أتخلى عنك .. لقد فكرت بكل ما عاتبتني به ، فوجدت أن الحق معك ، وأن مكانك هنا ، ولا مكان لك في بلادنا .. فمكانك مع هؤلاء الناس الذين رضوا بأن يحاربوا

معك ، وبذلوا مهجهم وأقواتهم وأبناءهم من غير أن يكون لهم غاية أو ثأر أو حقد على الضبع .. أرجو أن تقبل أسفي ، فهم أحق الناس بك ، هم كانوا في النهاية أهلك

فنهض جبل قائما وأخذ يتأمل عيون زوجته الذابلة من كثرة البكاء وقال : حظوظ .. أحق ما أسمع أم مجاملة أم مداهنة ؟!

فنظرت إليه بعتب وقالت : سيدي الفارس !.. لقد أخلصت لك الحب .. سأسير معك حيثما تكون .. هذا الكلام من عقلي وقلبي .. هيا نعود أيها المحب إلى الصفاء والود ؛ فأنا ليس لي في هذه الدنيا إلا أنت .

فقال مبتهجا جذلا : ما أرق هذا الكلام وأحلاه يا ابنة الكرام !..فالفارس عندما يترجل عن جواده منهيا حروبه فهو بحاجة لصدر حنون وقلب كبير وعطف كالصغير أيتها الزوجة المخلصة .. صدقي يا أميرتي ! أن سعادتنا في البعد عن بلاد الدب ، فأنا ابن خباز ، وهذا معروف لأهالي مدينة الدب ، مع أن أفعالي صنعت لهم ما صنعت فسأبقى في نظرهم ابن صانع الخبز.. يتهامسون ضحكت له الأيام .. فلا ينسى أبناء اخوتك وأخواتك وأقربائك غدا عندما يكبرون أن الأميرة حظوظ تزوجت من الشاب الوضيع جبل .. ينسون الحروب والعرق والدم والتفكير الذي قدمناه من أجلهم ويعيرون أبناءنا .. وشجاعتي ظهرت من قبل أن أعرفك ؛ ولكنهم يظنون بعد حين أنني متسلق .. وهذا الشعور أنا ضعيف أمامه ، ولا أستطيع أن أتخلص من هذا الإحساس .. أما هنا يا حظوظ فالناس لا تعرف إلا الفارس جبلا ، الأمير جبل الذي دفع عنهم أذى الملك شهلب .. أمير تزوج أميرة ، فيكبر أبناؤك ولا يرون أباهم إلا سيدا وأميرا .

فرفعت الأميرة كف الفارس وقبلتها ، وقالت : سامحني سيدي الفارس !.. هي لحظة ضعف وحنين غلبتني .. أنت سيدي وزوجي وقرة عيني ووالد أشهب وماجدة .

فقبل الفارس بدوره يد زوجته ، وقد غمرت السعادة كيانه من جديد ، وقال : اعلمي كم سيبتهج الأهل والأصدقاء عندما نذهب إليهم زائرين بين الحين والآخر ، سيستقبلوننا بحفاوة وحب وفرح غامر .

قالت : صدقت يا أبا أشهب ! .. أعدك بأن لا أطلب منك الآن أو غدا الرحيل .. فهذا شأنك سكنت هنا أو هناك .. فأنا أعلم مقدار حبك الكبير لي .

فقال جبل : حسن هذا ! .. الحمد لله أنني أسمع هذا الكلام منك .. فسعادتنا بعد هذه السنين من الحروب والسفر أرى أنها هنا ؛ ولكن لا يعلم الغيب إلا الله وحده .. فأنا أعتذر عن أيّ إساءة

أساتها إليك بكلامي .. فنحن جاهدنا حتى جمع الله بين قلبينا .. ألا تذكرين عندما رأيتك أول مرة في قصر الأميرة رشاء في مدينة اللؤلؤ ؟ يوم تعشينا أنا وأصدقائي عند الأمير خالد ، في ذلك اليوم خفق لك هذا الفؤاد معلنا بدء الغرام ؛ ولكن الأمور يومها تطورت بسرعة ؛ فإذا أنت قد تحولت فجأة من جارية إلى أميرة ..وليست ايّ أميرة ؟! ..لا .. إنها الأميرة حظوظ بنت شامة .. ابنة مدينة الدب .. ، فضغطت على فؤادي ونحن نستعد لمعركة استرداد ملك الملك أسعد .

فقالت : وأنا يومها تمنيت أن أكون جارية عند الفارس جبل .. لقد لحظت نظرات عينيك إليّ فخشيت أن تكون نظرات عطف وشفقة ..ولما انكشفت حقيقة أمري في تلك الجلسة أدركت أنه قد أصبح بيني وبينك جبل كبير ، ثم عجبت من أمر الله عندما أسرني رجال الجبل ، وجرى ما جرى على يديك .. لقد يئست من العودة للدنيا ، فلما أنقذتني فلم أملك إلا أن أهبك روحي فقد غمرتني بمعروفك النادر .. كم أصابني من الخوف والهلع وأنا بين هؤلاء الوحوش ؟! .. تمنيت لو بقيت جارية أمة .. أنا الأميرة الشريفة سأكون زوجة لص .. قاتل .. مجرم .. يا الهي ! يا الهي !.. هذه لحظات لا تنسى يا سيدي الفارس ! ..مازالت تثير الرعشة في بدني وقلبي .. فعندما أقبل إليّ أحد الرجال وقال لقد نجوت أيتها الأميرة فهناك رجل مرعب يريدك أتعرفينه فقلت من هو هذا الرجل المرعب الذي يريد لي الحياة ؟ وتمنيت أن يكون جبلا .. دعوت الله أن أسعد بالقرب من روح الفارس جبل ، وأن أكون من نصيب الفارس ، وقد استجاب الله لي رأيت القوة والبأس والشجاعة والغضب اللواتي بذلهنّ الفارس من أجلي .. فعلمت أن حبك لي كبير .. ذاك الجميل لا يمكن نسيانه ، وإن تظاهرت بتجاهله .

فقال جبل : كم أنت مسامحة ولطيفة ومخلصة ؟ ! .. ليتني شاعر لأصف هذه العواطف الجياشة في قصيدة خالدة يتناقلها الركبان بين الأمصار والأقطار يرددونها من جيل إلى جيل .

فقالت : كفاني هذا الكلام منك ، وأن أبقى في قلبك المحب .

وعاد السكون والصفاء لهذين الزوجين بعد هذه العاصفة ، ولكن كما يقولون السعادة لحظات قصيرة ، فبينما الفارس جبل في مجلس السلطان أمجد دخل أحد غلمان جبل راكضا نحو المجلس يصيح : سيدي الفارس جبل !.. لقد خطفوا ابنك أشهب !.. سرقوه رجال البحر .

فقام القوم كلهم فقال جبل للغلام : اهدأ يا غلام .. اهدأ وقل ما حدث ؟!

فقال الغلام وهو يلتقط أنفاسه المتسارعة : سيدي ! كان الغلام يلعب في البستان .. وغفلت عنه الجارية ، فقد دخلت القصر لأمر ما .. وفجأة سمعنا صراخ الطفل ، فهرعنا نحن والحرس سريعا إليه ، فلمحنا رجلا يحمل أشهب راكضا جهة البحر ، وكان آخر ينتظره فتناول الآخر الطفل ، وقفز الرجل عن السور ، ثم انطلقوا بقارب صغير في البحر ، فرماهم بعض الحرس بالسهام ولكنهم ابتعدوا .

فقال جبل : الحمد لله على كل حال .. ما أصاب المرء لم يكن ليخطئه ..كنت أظن أيها السادة أن سيفي قد آن له أن يستريح من الطعن والضرب .

وطلب من أمراء البحر البحث والحركة عن الطفل الصغير والخاطفين ، واستأذن من الملك للعودة لبيته ، فقفل عائدا ومعه الغلام ، فوجد زوجته تحتضن ابنتها ، وهي تذرف الدموع ، فلما رأته مقبلا نهضت قائمة تقول : سيدي جبل ! ذهب أشهب ، هل يصير به ما صار بأمه وخاله حريف ؟!

أجاب جبل بهدوء : هذا أمر الله وقدره .. لا تجزعي أيتها الحبيبة .. إنما الصبر عند أول اللقاء والصدمة الأولى . . فهذه حياة الرجال والفرسان .. ما شاء الله كان ، وما شاء الله فعل .. فلقد أرسلت فرسان البحر يطوفون حول الجزيرة .. فالأمر لله من قبل ومن بعد .

فقالت وهي تكفكف الدموع : ظننت أن الحروب قد انتهت وأقبل السلام والهدوء ، وانتهى الشقاء والموت والخطف والأسر .

فقال مشجعا ومصبرا لها : الحرب لم تنته يا أميرتي العزيزة .. إنما وضعت أوزارها إلى حين .. إلى أجل ..فاصبري ..فلنصبر ، فالنصر مع الصبر .. فالله هو المعطي ، وهو الآخذ ، وكل شيء عنده إلى أجل مسمى .



فقالت وقد بدأت روحها تعود إليها : الحمد لله رب العالمين .. إن كلامك بلسم .. هي مصائب لابد لنا من الصبر والتحمل .. لقد مكثت جارية أكثر من خمس عشرة سنة .. فقدت فيها الأب والأم والأخ .. وها أنا أفقد اليوم الابن .

ولما هبط الليل عاد أمراء البحر وهم يحملون الطفل أشهب ، فقد وجدوه على متن مركب وحده ، لقد تركه الخاطفون واختفوا ، مما أدهش جبل والقوم ، فقال أشهب الصغير : تركوني يا أبي وأعطوني هذه !

وأخرج من جيبه ورقة دفعها لأبيه ، فتناولها جبل

وقرأ فيها : هذا ابنك قد عفونا عنه .. فاحذرنا في المرة الأخرى

وانتهت ملحمة جبل بن مجدو

رواية اجتماعية

الحفل بالقط الأسود ٤



تسرب خبر عودة نذير للحياة بقصة غامضة بعد سنوات من الغياب والسؤال الصريح لماذا كان هذا الاختفاء ؟! ومن الذي دفن ؟ وكيف نشرت سلوفانا ولوقان وفاته ودفنه ؟ومن خدعهما هل هو نذير نفسه؟

تكررت الاجتماعات بين السيدة وديانا ولوقان وبكر وعلي واطلعت السيدة والطبيب على نص الرسالة التي وردت من البرازيل التي تخبر بعودته ، وكانت الرسالة مطبوعة ؛ ولكن عليها توقيع وختم السيد ، وجاء فيها أنه تعالج في كوبا .

فقالت: لماذا كوبا ؟ ونحن كنا قبل تمثيلية الموت ذاهبون لميونخ؟

قال بكر: لم يفصح الرجل عن سبب العلاج في كوبا .. ولماذا كل هذه السنوات في العلاج ؟ هل لما سلمك الإدارة أنهى علاقته بنا ؟

قالت: لست ادري ولا علم لي بهذه الأفكار .. هذا لهو الجنون بعينه .. هل العلاج يحتاج أن يظهر ميتا ويورطنا في نقل تابوت على أنه فيه؟ هذا الجنون بعينه !

وقص الطبيب آق تفاصيل الرحلة لمالطا بناء على رغبته وقال : وقد وضح الآن لماذا عرج بنا لمالطا مع أننا كنا في عجلة للمستشفى في ميونخ للموعد المضروب معهم ؟ وذكر حفلة اليخت وصناعة مستشفى سينمائي وغرفة عمليات وغرفة انعاش وأنه مرض وفارق الحياة وقال مختتما القصة : واستلمنا الجثة داخل تابوت . وعقب : لم افهم هذه المسرحية ! وما هي الأسباب الخاصة وأساء لزوجته ولي بفعله الأحمق وسأقيم دعوة عليه وبدأت بها وسلوفانا ستطلب الطلاق فور عودته ، حرمها من الزواج خلال السنوات الخمس.. ولو تزوجت ماذا سيكون موقفها أمام القانون؟ تتزوج وزوجها حي ستتهم بالتزوير لتتزوج .

قالت: نحن لما استلمنا التابوت ظننا أنه فيه لما رأيناه ميتا قد فككت عنه بعض الأجهزة بحضورنا .. سأتقدم بشكوى للمدعي العام قبل الطلاق .

صاح الطبيب: لماذا أيها السادة فعل بنا هذا واحرجنا اليوم أمام الصحافة؟ لماذا هذه الحيلة السخيفة؟

قال علي: فعلا أيها الكرام الأمر غامض بشدة ، ما الغاية من ادعاء الموت حتى عشنا على أنه في حالة موت؟!

قال لوقان وعاد إليه الشك والوسواس : أنتم واثقون أن الرسالة هذه منه ! وليست لعبة جديدة

قال بكر : هذا ما يحير يا لوقان ! أنتم لم تفتحوا التابوت وترون من فيه.

قال لوقان: أبدا ذهب اعتقادنا أنه ميت وجثته دخلت فيه حسب العادة ، وطلب من المستشفى أن يدفن بالتابوت كما وصى وطلب منهم ، وهنا رفضوا الوصية بدفن التابوت إلا بعد تغسيله كما تذكرون ، وأخذ الأمر على حسن نية وأوراق وتقرير طبي.. نحن غرباء في مالطا، كانت الفكرة أن نذهب إلى ميونخ مباشرة، ليلة السفر زعم أن صديقا له يرغب بلقائه في مالطة ، الصديق اشترى يختا جديدا ويرغب أن يراه نذير في طريقه لألمانيا وعمل جولة لليلة واحدة فقلنا لن تفرق هذه الليلة ونزلنا في فندق وجاء الصديق ودعانا للاحتفال باليخت الجديد واعتذرت أنا وإياها، وحاولنا منعه بسبب صحته فقال ساعات ورجع ليلا منهكا من الشراب والنساء ونقل للمستشفى بزعم أن حالة أزمة قلبية وبعد أيام اتصل المستسقى مخبرا بموته فجرا فذهبنا لذلك المستشفى المزيف ورأيناه في الغرفة وقد فككت الأجهزة الحثية عنه وأخذت بإجراءات التقرير الطبي وشهادة الوفاة وجاء جومار بعدما جهزوه لينقل إلى المطار وحملت سيارة المستشفى التابوت وجئنا به

قال بكر: لم تشكوا بشيء وأن المستشفى مزيف.

قال لوقان: أبدا.. كان الفلم متقنا وبدون كاميرات تصوير .

قالت: لم نشك بترتيب وموت مزيف .. خرجنا به كما تعلمون بوضع صحي صعب بسبب التهابات الكبد الدائمة ، ولم أكن أتدخل في عمله وإدارته ومراسلاته ، وهو شريك والدي وإخوتي والأسرة وتتابع الأرباح السنوية حسب الاتفاق

قال علي: الرسالة تزعم أنه في كوبا ولا هاتف في الرسالة ولا حتى عنوان مراسلة

قال بكر: هل يتعالج هناك من الكبد أم المخدرات ؟ولما هرب منكم بهذه الحيلة ؟ فكان يسافر مرارا بدونكم وبدون هذه الخطة.. الأمر يا علي ما زال يلفه الغموض !

قال لوقان : كان يقصد أن يظهر أمامنا ميتا خلال السنوات الخمس، ولما ذهبت لمالطا وجدت مكان المستشفى عيادة ولم تتحول العمارة إلى مستشفى أو مستشفى تحول لعمارة وظنوا أنني مجنون .

قال: قصة عجيبة ومحيرة!

الانتظار

مضى شهر على رسالة نذير إلى علي يوسف ، ولم يتصل ، ولم يكتب ، ومكتب برلين لم يتلق شيئا لأن السيد لا علاقة مباشرة له في شركة ألمانيا ، هو شريك لهم في رأس المال والأرباح وشركة محاماة تتابع أمواله واستشاراته ، انتهت علاقته الإدارية بالمصانع لما ترك ألمانيا ، وهم لا يعرفون أنه حي أو ميت ولا يهمهم ذلك ، الأرباح توضع في حسابه المعروف لهم.. من يستفيد من الحساب غير مهم؟ هذا ما تعرفه سلوفانا ، ووالدها هو شريك مالي وما زال عقده ساريا لم يطلب احد توقيفه أو بيعه كانت السيدة وعشيقها السابق لوقان في حيرة واضطراب من هذا الاختفاء، وعشيقها والد ابنها المخطوف جومار في معاناة مع البوليس الهندي ، وما زال ممنوعا من السفر حتى يغلق ملف القضية ، ويوجه الاتهام للجاني .

قال علي لبكر : هل من جديد ؟

قال بكر : الجديد الحيرة يا صديقي ! منذ وصول تلك الرسالة من كوبا ولم يصل شيء بعدها ونحن لا علاقة لنا بمشاريعه في البرازيل أو حتى كوبا .. نحن صدقنا موته ، والقرائن والملابسات تدل على حياته ، ولماذا الرجل يتصرف بهذا الغموض؟!

قال علي: والزوجة مصدومة هي وعشيقها القديم هل هو حي أم ميت؟

قال بكر : والرسالة!

قال علي لبكر : الرسالة كما رأيناها عليها توقيعه وختمه المعروفان لنا .. وهي قادمة من كوبا فعلا .. وكوبا بلد يعالج فيها المدمنون ومشهورة بذلك .. فالمشاهير المدمنون يعالجون فيها

قال بكر : قصته مع السيدة محيرة لماذا ورطها بهذه القضية؟ تظاهر بالموت وسافر لكوبا على أنه ميت حتى طليقته وبول يعيشان هناك.

قال علي: اذكر ذلك ، لماذا فعل هذه الفعلة؟! مرضه معروف قبل نقل نشاطه الاستشاري بنفسه لهنا ، وكان رجل شراب وزنا ، وكان يأخذ حقن منع الحمل ومبيدات المني خشية أن تنجب له اعتقد أن لدى السيدة وصديقها الطبيب أمور أخرى لم يفصحا عنها يا دكتور بكر وهل جومار انهى خدماته؟

قال بكر : لا ، لا، ما زال موظفا في القصر ،وعلمت أنه متهم بحرق زوجته أو قل مشتبه به ونحن لا علاقة لنا بخدم وموظفي القصر علاقتهم مع نذير ثم مع السيدة.

قال علي: الاختفاء خمس سنوات غريب ومزعج حتى السيدة اختفت لشهور للمعالجة من إدمان الكحول .. الحمد لله أن العمل لا يتأثر كثيرا بتصرفاتهم .

قال بكر : أنا كنت افكر بعد تملك السيدة أموالها بشكل كامل أن اطلب منها بيع حصتها في

المجموعة ونعيد هيكلة المجموعة من جديد ، وقد نتخلص من بعض المصانع .

قال علي: تحدثت معها بذلك.. تحدثنا وقالت كنت افكر بذلك وبيع القصر والعودة لوطنها في ألمانيا .. لا شيء يربطها بهذا البلد فموطنها أوروبا.

قال بكر : ألم تختار زوجا لليوم؟!

قال علي: الوصية أجلت فكرة الزواج والزواج .. وإلا عدد كبير سعى لذلك ظهر البرت قريب أمها، الدكتور لوقان مع أنه متزوج وله أولاد ؛ لكن المال يغري

قال بكر : هذه المرأة جميلة وحولها الأصدقاء.

قال علي: شاع قديما عن علاقة آثمة بينها وبين الطبيب، وغضب منه نذير، ثم قل اتصاله بها فبقي مجرد طبيب.. الدكتور بسيل صديق نذير ـ شلة نادي القمار ـ سعى للزواج منها بعد موت نذير وفشل وطاردها هو وغيره بالرسائل والمحاولات ، وطلق زوجته لتحقيق هذه الرغبة حتى هلك من قريب بسرطان القالون ، وحلم منذر بذلك ، طلق زوجته والتهى ببنات الملاهي ، التقيته مرة فقال عن صاحبه : مات وهو في حسرة من فشله بالزواج منها كان يعشقها كالمراهق وقال متحسرا : ابتعدت عنا بعد موت نذير ، وفقدنا حفلات القصر والقط الأسود والأحمر

قال بكر : نعم ، تحدثت السيدة عن إزعاجه لها ..السيد كان يلعب القمار

قال علي: تعرف عليهم في نوادي القمار ..كان مقلا يلعبها كهواية وتسلية .. همه النساء والزوجات .. وفرصة للقاء نساء علية القوم كما يقال .. لأن هذه النوادي يغزوها الأثرياء وأصحاب الأموال والأرصدة الكبيرة .. شعاره النهار عمل والليل سكر ونساء .. وكان يحب أن يكنّ من المتعلمات كالمهندسات والطبيبات .. ليس سرا كان يجلب فتيات من أوروبا وروسيا يقضين ضيوفا في شقتيه للمتعة والتسلية.

قال بكر : المال .. هو يريد المتعة والفسق وهن يردن المال .. كانت سلوفانا تضيق من ذلك وطلبت منه ممارسة دعارته خارج القصر .

قال علي: كما قلت قبل ثوان الشقتان كانتا مسرح العمليات ، وكانت تعلم بأفعاله وساكتة ؛ لأنها تزوجته من اجل المال؛ لكن قصة الموت لليوم لم افهم المغزى منها!

قال بكر : من يعش سيعلم الحقيقة والسر .. الوصية كانت مريبة ، ولم ندقق فيها والميراث كتب تأخيره بعد مضي السنوات

قال علي: إنها تعيش صدمة .

قال بكر : كسبت الأرباح خلال السنين الماضية أهي غنية؟

قال علي: لقد كانت وما زالت تملك الملايين

باسمها وحدها.

القصر يرقب عودة نذير حسب الرسالة التي أرسلت للسيد علي ، دخل جومار القصر واستقبلته السيدة أمام القصر ، ورحبت به وعانقته أمام دهشة الحرس والموظفين ، فقد ذهب جودت لجلبه من المطار ، ذهبت به السيدة إلى مكتبها الخاص تصحبها نورما التي احتلت مكان السيدة ديانا التي رحلت لتركيا .

ادخل الخدم القهوة واستأذنت نورما بالعودة لمكتبها ، فلما اغلق الباب نهضت السيدة وعانقت السيد عناق الولهان ، وعادت لمقعدها ، وقالت:

ابننا ما زال مفقودا لا جديد ، وما حدث معك

قال: لم يستطيعوا اتهامي لنقص الأدلة ، واستطاع المحامي بعد جهد جهيد أن يسمح لي بالخروج والعودة للعمل ، وتعهدت بالمثول بين أيديهم في أي وقت يطلبونني فيه .. وهل من أخبار عن عودة السيد ؟

قالت: كما أخبرتك ، بعث رسالة غامضة للشركة ؛ بل للدكتور علي ، ولم يتطور شيء بعدها ولم يعد ونحن نعيش في حيرة وارتباك.

قال: هل حقا هو حي ؟

قالت: مكتب المحامي في برلين يؤكد أن الرجل غير ميت ، وأرسلت لهم صور التقرير وشهادة الوفاة ، وتحدثوا مع مالطا ، وارسلوا لهم الصور، فنفوا وجود هذا المستشفى في البلاد ومعلومات التقرير ورقمه لا وجود لها ، ودائرة توثيق المواليد والموتى لا يوجد فيها اسم هذا الشخص ولا وزارة الخارجية لديها وثائق باسمه كميت حتى أمي وأبي دهشا من حياته.. هم مثلي صدقوا بموته ، ولم يهتموا بحياته أو موته، فالعمل هو شريك مالي فقط انسحب من مجلس الإدارة عندما رحل لهذه المدينة ، وكانت الأرباح توضع في حسابه حتى اليوم ، وستوزع ثروته بعد السنوات الست.

قال: لماذا وضعنا في هذا المأزق؟

قالت: لا تفسير عند احد سيد جومار ، طلبنا التحقيق في الجثة التي في التابوت ، رفضت السلطات حتى يظهر السيد حيا فإخراج لجثة مربوط بحياة نذير فعليا حتى يفهموا هذه الخدعة واللعبة.

قال: ونحن ماذا سنفعل؟

قالت: سأطلب الطلاق فورا فور ظهوره ونتزوج في ألمانيا.

قال: ويقبل والدك!

قالت: هناك لا دخل للأهل في حياتي الخاصة ، ويمكنك أن تعيش مع امرأة بدون عقد

ـ والولد

قالت: عندما نتزوج ننجب غيره بإذن الله.. أنا أبي مسلم مثلك.. أمي بروتستانتية

قال: أنا احب أن نعيش كزوجين ، يصعب عليّ الحياة على طريقتكم الغربية

قالت: أنت حبيبي وجعلتني أما.. أنت والد ابني

قال: سنستمر بالبحث عنه بإذن الله .. ما رأيك أن نعيش في الهند؟ فبمومباي مدينة عظيمة وبلد المال والاستثمار في الهند.

قالت: بعد الطلاق والخلاص نفعل.. أنا احب الشرق وسحره .

قال: ألم يعلم ما فعلنا؟!

قالت: صدق لا ادري، لم يحدثني يوما عن شكه فيك وبما يأكل ويشرب .. قضيتك ليس لها حل.. إنني بشوق إليك .. كان وجه مايكل بلون وجهك.

قال: وأنا كذلك كلي شوق.. واحلم باليوم الذي نعيش في أمان ؛ ولكن الوصية الخبيثة جعلتنا نصبر ونؤجل الزواج على غير ما رسمنا ودبرنا .. وأنا احتفظ بصور مايكل .

قالت: هل ستمكث هنا؟

قال: مسموح لي العمل والبقاء حتى يحتاجني البوليس.

قالت: وكيف سيعرفون الفاعل والقاتل؟

قال: لا ادري كيف ؟!اذا اعترف شخص بذلك فتتم براءتي من افتعال الحريق

قالت: ألا تعرفه أنت؟

قال: لو عرفته لا استطيع اتهامه .. أنا لا ادري لماذا فعل ذلك ؟ كنت افكر بالطلاق لولا الطفل جان كومير .. وأمرُنا كان ينتظر السنوات الست ؛ لنغادر البلاد .. النساء عندنا لا تحب الطلاق ولكنه يقع .

عبرت له عن حبها وشوقها ، وأنها ستكون له فور طلاقها ، وأن نذيرا انتهى من حياتها وسيبحثان عن الولد ، قالت : الدكتور لوقان يرى أنك قتلت زوجتك تمهيدا للزواج ؛ لأن قوانين ألمانيا لا تقبل الجمع بين الزوجات.

ضحك وقال: لماذا اقتلها ؟وهي ترعى الشاب الصغير ، وابني الكبير يعمل بعيدا عنا ، وتزوج في دلهي وهي ليست أمه .

قالت: حسنا! باشر عملك في القصر كالمعتاد ، وأنا في انتظارك آخر الليل اشتقت إليك

فقبلها وداعبها وخرج لمكتبه ، واجتمع بنورما والموظفين ، وكان يقول لنفسه : هل استمر مع هذه الأنثى أم اهرب؟ هل نذير حي ؟ وهل له يد في سعيه لحرقي ؟ فحرق المرأة لاتهم بقتلها هل كان يعلم بتبديل بعض حبات الحبوب بطلب من لوقان وسلوفانا ؟ دفعتني إلى الجريمة بزعمها حبي .. أغرتنا نحن العاشقين بالجريمة .. اذا

اكتشف عشقي لها والتآمر معها وعرف أن مايكل ابني من زوجته لن يرحمني .. إنه حقود وماكر، له يد في قتل الزوجة يتكشف لك يا جومار .. عشرة سنوات معه !

****

سيطرت سلوفانا سيطرة كاملة على جومار بعد أن ابتعد عنها لوقان بسبب اكتشاف نذير العلاقته بينهما ، ورغبت بجومار للمتعة وتخلي نذير عن معاشرتها منذ تركا ألمانيا ملّ منها ومن جسدها كما توقعت ، فهو لا تبقى له عشيقة إلا أياما أو بعض الأسابيع ، ولكن احترم مشاعرها كما يزعم ومارس فجوره في شقق خاصة كما مر معنا ، فلما ابتعد الطبيب ومنعه نذير من النوم في القصر استطاعت إغراء جومار والإيقاع به واستسلم لها ويستغل الليالي التي لا يعود نذير فيها للقصر ؛ ليكون بدلا منه حتى أعلمته بحملها منه واستقبلت ذلك بفرح وأن هذ ا هدف لها وسعت إليه من الاتصال به فأصبح زوجا لها وبحذر شديد .

كانت تعيش في جناح خاص ، وخادمتها الفرنسية التي تعاقدت معها تنام خارج الجناح ووجدت كخادمة وعين وليطمئن نذير بعدم تسلل لوقان للمبيت معها .

فكان جومار يغشاها اذا كان السيد خارج القصر حتى الثانية فجرا خشية أن يعود ليلا بعد سهرة في نادي ، وكانت تستقبله بحب ووله بعد ولادتها منها ، فاصبح هو الزوج الحقيقي لها فيقضي بين يديها ساعة من الزمن ، ثم يتسلل لحجرته ، وكان نذير يعجب من عدم رغبته بإحضار زوجته ، والفرنسية جوليا تؤكد أن لا احد يدخل عليها ؛ لأنها هي نفسها كانت مشغولة بأحد خدم القصر رغم وجود الزوجة ، وكانت تدفع له مقابل الفاحشة كما فعلت زوجة منذر مع رومو .

كان جومار رغم السنوات والعادة يخشى انكشاف أمره والتعرض للأذى البدني كالقتل ، وكان مهيئا نفسه للفرار معها للهند عند الاضطرار ، وهي لم تمكن أحدا من رفاق نذير أن يشاركها الفراش رغم ترخيصه لها بالفجور ، فجومار الزوج والخادم الأمين والشريف والزاهد في النساء أمام سيد القصر والخدم والحرس ، وكان نذير يحتقر الخدم ، مع حاجته للخدم ويعجب نفسيا كيف رضوا بهذه الحياة ؟ ويخدمون السادة ، وكانت سلوفانا تدرك لو عرف أنها عشقت الخادم ليصاب بالجنون ؛ لذلك كانت تظن أنه لا يخطر بباله أن تعيش حياة فسق مع خادم أو حتى رئيس خدم ، فكيف لو علم بحملها منه ، وكان جومار يعلم هذه الحقيقة والنظرة الطبقية منه للناس ، وكيف سر عندما رآه يطرد الخادم رومو الذى مارس المتعة

مع فريدة واعتبرها منحطة وحرمها من اللقاء به..

لم يكن يزني ببنات الهوى والمومسات كانت فرائسه من بنات وزوجات الأرستقراطية وعلية المجتمع.

والسيدة كانت تراه افضل عشيق عرفته في عمرها ، ووجدته الأفضل بعد خروج الدكتور لوقان من حياتها كعشيق الذي شك به نذير ، وهو متزوج وله صديقات غيرها كما صارحها بذلك.. ولم تسع للتحقق من هذا الادعاء.

فكان جومار خاتما بيدها ، ونذير يصعب عليه أن يصدق أن تتخذ منه عشيقا ، والخادمة أكدت له بعده عنها ، المرأة عندما تفجر تستطيع ترتيب الأمر والظروف ، ولا يهمها الفجور مع ملك أو عبد ؛ لأنها أصبحت تخضع لشهوتها الجامحة ، واستطاع جومار أن يكون الفارس الملبي لها رغبتها ورغب هو بذلك وإن تظاهر بغير ذلك وقبل هداياها ومالها ونسي زوجته أليشا بالان ، وكان تتدعي في قلبها الانتقام من زوجها، الزوج المستهتر بعلاقته النسائية "كما تخونني أخونك" ولكن جومار خادم يا سلوفانا وتقول : أأمن !

لذلك بعد رجوع جومار للقصر عادت الليالي الخاصة بينهما من الفحش والزنى ، فجوليا فصلت وعادت لبلادها من قبل بسبب رحلات سويسرا ، كانت تجلس وفتحت جهاز الحاسوب الخاص بها لتتفقد الاميلات الإلكترونية ، فلها أيام لم تنظر إليها ، ولما شغلته تبين أن في الجهاز قرص سي دي ارتبكت ، فهي من النادر أن تضع القرص، ولما اشتغل الحاسوب فتحت القرص ؛ فإذا هو فلم ، يصورها وهي عارية على السرير وجومار ينظر إليها ، فأوقفت الحاسوب ورددت: من فعل هذا ؟! وتابعت المشاهدة فلم اباحي لها مع جومار خلع ثيابه واعتلاها .. ربع ساعة مدة الفلم ، ثم خرج أو اختفى عن الكاميرا ، دهشت وجنت من الفلم وممن صوره ؟وممن وضعه في الحاسوب ؟ الصور في نفس الحجرة لكن الأثاث الموجود غير الموجود في الفلم فهذا يدل على قدمه .. متى ؟ ومن وضعه في الحاسوب ؟!

ارتدت الثياب وذهبت لمكتب جومار ، وهي تحمل القرص ، واستمع لها فصعق ، وامتقع وجهه وهو يشاهده وقال : كيف حصل هذا ؟!ومتى؟! يبدو أنه قديم منذ اعترفنا بحبنا .. الأثاث يدل على ذلك هل كان في الحجرة كاميرات سرية؟

وقالت : الفلم يؤكد ذلك ، كنا مكشوفين لنذير !

وقال : هل هو الذي صوره وسكت عنا تلك الأيام ؟

قالت : كيف وضعوا كاميرا في حجرتي؟

فسر لها قائلا : كنت تسافرين خاصة فترة الولادة فدسوا الكاميرا ، هل هن موجودات الآن سأعمل

تفتيشا.

وقالت : والقرص !

وقال : احدهم دخل حديثا ووضعه في حاسوبك

وقالت : وكيف أكدت أنه قديم ؟

قال : من أثاث الغرفة وألوان الستائر ، وهذه الألوان والموديل كانت في فترة بداية حبنا

وقالت : هناك غيرة وانتقام ومكر

وقال برعب : أنا لا احتمل هذه اللعبة .. علينا بالهرب يا سلوفانا ! لا ندري ما يخطط لنا.. أنا سأهرب يا سيدتي ونلتقي في الهند هناك مليار بنو آدم يعيشون فيها.

قالت بتأمل : وهل هذا يحل الإشكال؟ تمالك أعصابك .. أنا حرة في جسدي ، وهو يعلم أنني مارست الفسق مع غيره في رحلاتي السياحية .. هو الذي يزعجه العشيق الدائم ليس ليلة مع هذا وليلة مع آخر .. لماذا انزعج من لوقان وسمح لشلته الأطباء أن يحاولوا معي وإغوائي ؟ لماذا ظهر هذا الشريط في هذا الوقت ؟ ومن ادخله الغرفة ؟ سأتحدث مع علي .

اتصلت فورا بعلي ، وذكر أن الرجل لم يبعث شيئا بعد تلك الرسالة لليوم، وهم في حيرة من صحة الرسالة رغم وجود التوقيع والختم.

قالت لجومار : لم يخبر بعودته .. لم يظهر

قال : هل عاد دون الاتصال بهم أم أنه كاذب؟!

كيف وضع القرص في حاسوبك الشخصي؟

وقالت : ولماذا يكذب وأنا التي كلفته بإدارة الشركة ؟

قال : إني مرعوب يا سيدتي ! فلماذا صورنا وصمت طيلة هذا السنوات؟!

قالت : ليقول لي إني مطلع على خيانتك منذ بدأت ، وقد يكون هو وراء قتل زوجتك يا جومار

قال : حياتي إذن في خطر! وقد كنت أنا المقصود بحرق غرفة نومي.

وقالت : اجل هذا بين الآن .. من الجاسوس علينا ؟

وقال : ما تقولين في هذه السكرتيرة التي استلمت مكان ديانا؟

وقالت : إنها تعمل منذ وفاته هنا ، وعملت مع ديانا فترة علاجي في بازل ، وعلي رشحها للعمل معي.

وقال : لا يوجد موظفون جدد غيرها ، والحرس يستبدلون من الشركة الخاصة بالأمن ، ولا يدخلون القصر مساكنهم عند الباب .

قالت : قد يتسلل احد الخدم .

وقال : الذي دخل رجل ذكي ! أين زرع كاميراته ؟ وهل ما زالت موجودة؟

وقالت : اصعد للجناح وسأجلس مع نورما ، واذا لم تكشفها سندعو مهندسا للبحث عنها

وقال : بالك هل ما زالت ؟ والفلم قديم التصوير .. سنغير موقع اللقاء

وقالت : في حجرتك لا اصبر عنك ، وأحضرت لك أدوية تنشطك .. دع الخوف واذا حدث الطلاق فورا سنتزوج.

وقال : أنا خائف سوف انتظرك في الهند ؛ لعله اكتشف إنني ساعدتك في الخلاص منه

وقالت : لا اعتقد أنه عرف .

وقال : هو يعاقبنا من اجل ذلك ؛ وليس من اجل الحب والغرام.. عليّ بالهرب

قالت : والهرب هل ينجيك من انتقامه؟ لقد خطف ابننا يا جومار فهذا هو الانتقام .. أنا لست ضعيفة .



حياة نذير

نذير عاش طفولة بائسة أخلاقيا ، والده مهاجر شرق أوسطي إلى البرازيل ، عمل مهندسا في شركات الكيماويات وصناعة البترول ، تزوج امرأة ثرية في سان دي جانيرو ، وولدت له وكان أخرهم نذير ، عندما كان نذير طفلا دون الخمسة دخل حجرة أمه فجأة فرأها في أحضان رجل غير أبيه ، عارية وهو عار ، فلما شاهدهما صعق ، مشهد تخزن في الذاكرة ؛ كما كان يقول لأمه وأبيه ، وصاحت أين كارينا ؟ المربية تقصد ، ونهضت عن السرير ودفعت العشيق بعنف وهي تصرخ : لماذا لم تغلق الباب بالمفتاح ؟

فقال وهو يلبس ملابسه: لقد نسيت لما رأيت جمالك يا حبيبتي!

جاءت المربية مهرولة فصرخت فيها :كيف تسمحين لنذير يدخل علينا؟

وقالت : ظننته مشى للحمام سيدتي !

هذا المشهد تكرر منه متعمدا لتكف عن الزنا في البيت ، أنبته أمه ووبخته ، ولم يرتدع ، وانبه والده بالدخول حجرة النوم دون قرع الباب ، واتهمه بالكذب عن حديثه عن رجل مع أمه ، وتكرر هذا المشهد في طفولته ، فوالدته لم تعبأ بأبيه حتى أنه لم كبر ودخل الجامعة سأله عن سبب صمته فقال له: أنا مريض وضعيف جنسيا ، وأمك عاهرة وأنتم خمسة .

وبعد هذه التكرارات أرسل لزريق عند أعمامه وعائلته الكبيرة لإكمال المدرسة ، ورجع لدراسة الجامعة كلية الاقتصاد في فلوريدا الأمريكية ، وكلما زار البرازيل وجد أمه كما تركها تعبث بعشاقها أمامه بدون حياء ؛ لذلك كان يمارس الفسق مع الفتيات دون تأنيب ضمير وأخلاق رادعة ، ولما تخرج من الجامعة بكالوريوس إدارة

اشتغل مع أبيه في احدى شركات العائلة ثم أرسله والده للعمل في الصناعة مع شريك له ، ثم تعرف على مستثمرين في صناعة السلاح والطائرات الحربية ، وتعرف على احد الكبار وتعلق بابنته داليا ، وخلال سنوات امتلك ثروة كبيرة وتزوج ابنة غسال حيتان ، ثم اكتشف أنها عشيقة لابن زوجة غسال المتبنى بعدما طلق والدتها البرازيلية ؛ حيث تزوج امرأة غنية لها ابن متبنى من زوجها الأول ، وولدت له داليا وهي على ذمته أمام القانون ، فلما علم نذير بالولادة أراد أن يطلقها فهربت بابنها من أخيها إلى كوبا فترك الأمر لتبقى الشراكة مع غسال الذي يستثمر أموال الأرملة الثرية ، ونسي موضوع داليا ، وكان يعمل ويستثمر مع آخرين في الصناعات الثقيلة ، ولم يتزوج على داليا ولم يطلقها ،والتهى بغانيات رجال الأعمال، ولم يعترف ببول ابنا ، وفي كوبا تزوجت عشيقها وحمل بول اسمه وهي غير مطلقة ، وكان نذير يستخدم الواقي الذكري وأدوية منع الحمل حتى لا يخدع كرة أخرى، حقق السيد نجاحا كبيرا في البرازيل وتشيلي حتى اصبح له شهرة بين رجال الأعمال في العالم ، وذلك في حوالي خمس عشرة سنة ، وكان والد سلوفانا يمر بأزمة عاصفة في بعض الشركات في وطنه برلين الغربية ، والتقى به أثناء رحلة في البرازيل يتفقد استثماراته في صناعة السيارات والشاحنات والجرافات ، وعرض عليه أن يستثمر بعض الملايين في ميونخ وبرلين وفرانكفورت ، فانتقل لألمانيا مستثمرا ، والتقى بسلوفانا وعشقها من أول لقاء ، وحاول معاشرتها بدون زواج ؛ ولكنها ادركت تأثير جمالها عليه ، وتزوجا كما مر معنا ، ولما رتب أمور الشراكة مع والدها وأسرته عاد لبلده ليعيش فيه ويتابع استثماراته وقد شيد القصر قبل عودته لزريق .

كان يكره النساء بشدة رغم العشق النهم الشديد لأجسامهن ، وكل عشيقاته من الطبقة المخملية، لم يجامع بنت هوى أو مومس .. بنات ليل ؛ إنما الطبقة العليا ؛ لأن المال والذهب والسهرات هو السلاح الذي تسيل له لعابهن ، جل عشيقاته بنات عائلات ثرية ، كانت أمه لها من العشاق حسب كل جيل ، كان الماضي لأمه يرهقه، ولا يثق بأنثى، وأخواته إنه أخواته وجدهن مثل أمه ، ووالده لا ذكر عنده ، كان عاجزا عن إتيان النساء لمرض أصابه، يتفرج على أفلام الإباحية ، ومارس الزنا مع نساء القمار إلا ريما مع علمه بأن منذرا وماهرا وعريفا نالوا منها ، كانت ترهبه وتخافه ، وكان يعلم بعشق زوجته المهجورة بلوقان طبيبها وطرده وتشاجر معه ، ثم اكتفى بأن يكون طبيب القصر ، ولم يعد يقبل بياته في القصر ، كان لا يحب لزوجته أن تتخذ عشيقا دائما ؛ ولأنها امرأة بحاجة لمن

يداعبها وتداعبه ، وكانت تسكر مثله لبغضها له ، فتهرب للخمر والحشيش وفترة تعاطت الكوكائين، وتعبت منه ؛ ولكنها لما اتخذت جومار زوجا سريا حتى تحمل منه جنينا بصحة جيدة ، كان لا يحب أن يعرف عشاقها العابرين سواء هنا أو في أوروبا ، وادرك أن الطبيب ملّ منها وأصبح صديقا وطبيبا لها فحسب ، ثم تفاجأ بعلاقتها بجومار الخادم وقال لنفسه : لهذه الدرجة انحطت يا الهي! لما تسيطر الشهوة والرغبة على الإنسان مثلنا ، خشي الفضيحة رغم الصدمة ، فزاد الاحتقار لها فصور لها فلما مع الخادم ، واكتشف أن حياته بخطر منها ، وأنهم يدسون لها السم البطيء كلما يتحسن الكبد ينتكس ، ويزعم أن المخدرات والكحول والنسوان السبب ؛ لكنه لم يعرف كيف يسمم ؟ ثم اكتشف أن زوجته ولدت من الهندي من سنوات كما فعلت داليا اكتشف ذلك من مكالمة خاطئة في البداية لم يعرف من أبيه ، كانت السيدة في أوروبا تتفقد ابنها وجومار في إجازة فركبت الكاميرا الخفية في مكتب جومار ، وفي غرفة نومها ، كان يحبها كلما يهم بالانتقام يقف جسدها الذي ارتوى منه حائلا من الانتقام ، فهو لا يقربها ربما كل بضعة شهور كإحسان ، ففكر بالتظاهر بالموت ، وبدأت الخطة عندما مرض ليلة القط الأسود.

تكشفت للسيدة أن علاقتها المحرمة بجومار مصورة ومكشوفة كل هذه السنوات بناء على أن القرص مصور من زمن بعيد ، وكانت تقول له: أتراه يعرف بحملي منك؟

قال : اعتقد ذلك ، لم يكن غبيا نحن كنا الأغبياء يا سيدتي ! فهو رجل يتعامل مع الكاميرات في المصانع والإدارة والفنادق .

وقالت : هل وجد المهندس مكان الكاميرا؟

وقال : يقول لا يوجد في غرفة النوم أي كاميرا ؛ ربما استعملها في وقت ما أو كاميرا غير ثابتة في دمية في تحفة في زجاجة عطر ثم أخفيت .

وقالت : وهل عرفت من وضع القرص في الحاسوب ؟

قال : لم استطع معرفة عين نذير ، إنني مرعوب أعيش في رعب يا سيدتي ! سيعمل على فضحي سأقدم استقالتي والنفاد بجلدي .. هل تستطيعين حمايتي ؟ أنت زوجته الشرعية وألمانية فلا يستطيع إيذائك ، والذي سعى لحرقي سيكرر الفعلة .

قالت : أنا اقدر ضعفك أيها الحبيب ! وأنا مثلك موقفي ضعيف ..الشواهد الصبيانية تدل على جنونه ؛ فكان طلاقي اسهل من كل هذه الألعاب ؛ لكن ابني ضاع في هذا الصراع هل هو حي وهل عرف بأننا كنا نتآمر على حياته.. الطبيب لوقان

اخبرني أن السم لا يمكن أن يعرف تظهر آثاره فقط .. هي عقاقير طبية وهو كان مريضا بالكبد ، ولم ينقطع عن تعاطي الكحول فبدل أن تساعده على الشفاء تساعد على قتله .. لقد تعامل مع لوقان بقسوة وحقد فقبل الدكتور المساعدة على الفتك به ، ولما انسحب الطبيب من حياتي ، وجدت نفسي افكر فيك ووجدتك في لهفة إليّ ، وفكرت فيك كثيرا قبل المغامرة بسمعتي ، وجدتك محبا لي كما أحببتك وأحببت أن ألد منك وأحقق ذلك ، وما زلت احبك يا جومار ، واحلم بالزواج منك ، وأنك الرجل الذي أحببت أن أختم حياتي بالزواج منه وستكون الزوج الأخير لسلوفانا.

فقال : وأنا أحببتك من قلبي وبصدق ؛ ليس فقط من اجل الشهوة ، أنت غامرت من اجلي فأنا احلم أن أعيش معك زوجا وبأمان، وعشنا السنوات الخمس على هذا الأمل، ونجتمع بابننا .

قالت : فهذه الأقراص لا تخيفني هي مزعجة فقط، واذا سافرت لا قيمة لها ، وأصدقاؤنا هنا لا أهمية لهم في حياتي ، كما تركت أصدقاء ميونخ وبرلين فنتركهم ، هم مجرد ذكريات لا علاقة حميمية مع احدهم ، رأيت ما فعلت بشلة وأطباء نذير ؛ كأنهم لا شيء ..أنا أحببتك وحدك فهو يحب عشرات النساء.

وقال : عليّ يا سيدتي بالعودة للهند حتى ترسلين لي ونجتمع للابد ، وسأحاول مساعدة الشرطة بكشف ملابسات حرق الشقة وادفع عن نفسي الشبهة

وقالت : هل أنت متأكد أن في هربك تحفظ حياتك ؟

وقال : اعتقد ذلك .

وقالت مشككة : قد ينال منك هناك.. أنت هنا بحمايتي وحماية قانون البلد.. ونحن لا نستطيع الزواج قبل طلاقي رسميا .. أنا لست أرملة عشنا الوهم كما أراد ، واذا عدت للهند سأغادر إلى ألمانيا حتى يظهر الميت الشيطان نذير خاتم ، ثم انتقل إلى جنيف في سويسرا وأقابل المحامي وربما آتيك الهند

وقال : أما من خبر من المحامي؟

وقالت : لا خبر.. السيد نذير ينتقم منا بلا شك .. جريمة شكلها انتقام .. أنا حذرت لوقان منه

وقال : أيمكن أن يقتله؟

وقالت : قتلنا ...الحقد وحش يا سيدي!

وقال : ولماذا صنع مسرحية الموت؟ للانتقام

وقالت : نعم ، عشنا في وهم ولهفة انتظار السنين لامتلاك الأموال.. الأعمال لا تهتم بموته كما يموت الكثير ، وحصته تنقل لغيره ، والأموال لورثته.. على كل تملكت الكثير من الأرباح خلالها وهي باسمي ، ولما نقترن سأكتب وصية لصالحك ؛ لتثق بحبي لك ، وسنسعى لحمل جديد ؛ ولعله

يحدث قبل سفرك .

وقال : كانت الست سنوات للتضليل.. لعبة ذكية !

وقالت : سأبدأ بفحوص إخصاب يا جومار ! أرجوك لا تتعجل .. نحن في أوروبا لا يهم الحمل بزواج وعقد وغير عقد .. المهم أن تقوم العلاقة برضا الطرفين دون اغتصاب

وقال : أنا مستعد ؛ لأنني ربطت نفسي بك .

امضيا شهرا يمارسان الجماع ، ولم يحصل أي حمل ، ويبدو أن الخوف أثر على نشاط جومار وحسم الأمر بالرحيل .

وقالت : ألم تعرف عين الرجل ؟

وقال : كلهم عيون له

وقالت : الخدم في القصر

قال : الأمر محير كلهم هنود إلا اذا كانت نورما

وقالت : لا اعتقد أن لها دورا .

وقال : المال

وقالت : هي موظفة جاءت القصر بعد موته وسفري للعلاج .. ها هو قرص ثاني يوضع في الحاسوب يا جومار ! كنت عند الطبيبة أنا وإياك وضع قرص حاسوب ولما عدنا وجدناه

وقال : سأجن لابد من هربي قبل أن أموت رعبا .. اهربي إلى والديك .

****

جلست السيدة مع عشيقها القديم الدكتور لوقان فريد ، واطلعته على خوف جومار الشديد من عودة نذير ورغبته بالهرب من البلد وترك الوظيفة . والطبيب هذا كان العشيق الأول لما رحلت إلى المدينة وابتعد عنها نذير ، وملها كما يمل عشيقاته بسرعة ، فتعرفت عليه أثناء وعكة ألمت بها وتردد على القصر كطبيب عن طريق ديانا ، ووجد الدكتور أنها تعاني من الوحدة ، وبدا معها قصة غرام ، فكلما يسهر نذير تتصل به ، ويقضي الوقت معها ، ثم يغادر القصر ووصل خبر الخلوات بها لنذير ، وصور لهما قرص فيديو ، وأهداه إياه ، فابتعد مطرودا ومفضوحا ، وبعدها تزوج وبقيت علاقته بها كطبيب خاص ، وذلك بعد منازعات بينهما ، ورفضه معاشرتها كزوجة ورفضه طلاقها بشكل قانوني انتقلت لجومار خادم نذير الأمين ، وحملت منه وبمعرفة من الطبيب الذي ساعدها في إخفاء الحمل ظانا أن والده ذكرا أوروبيا، وسعى معها وجومار بالقضاء على نذير بإبدال أدوية الكبد بأدوية تزيد من حالته المرضية ووضع أدوية فاسدة أو منتهية الوقت والصلاحية دون أن يدرك نذير ذلك ؛ لأن هذه الأدوية تأتيه مباشرة من ألمانيا أو تركيا ، فلوقان مصدر ثقة عندها وشريك متورط معها حتى أنه بارك لها عشقها وتفريغ شهوتها مع جومار ، فلما حدثته عن مخاوف جومار

من اللقاء بنذير ، شجعها على تركه يهرب ، ولما تتطلق تتزوجه قانونا ، ويبدآن من جديد ، وحدثته عن الأقراص الإلكترونية في حجرة نومها ، فزاد يقينه بوجوده بينهم متخفيا وبجواز سفر برازيلي وقال: هذا شيطان . وتذكر القرص الذي أرسله إليه ليبين له أنه على علم بما بينه وبين امرأته.

فقالت : لابد أنه ادرك سعي للقضاء عليه.

فقاف : هذه الأدوية من الصعب كشف خطرها ، فالمنوم منوم واذا اخذ الشخص زيادة فيموت منتحرا ، وأدوية الأعصاب والأمراض الصعبة تتحول لسموم ، فأدوية القلب لو اخذ الشخص جرعة زيادة تسبب له مشاكل أو الوفاة ، والتشريح يبين ذلك وينسب الخطأ للمريض بعدم التزامه بالجرعة المقدرة ، والمختبرات الحديثة تسطيع تحليل الأدوية وتحدد خطرها ، الأسبرين تناول عدد كبير منه كجرعة واحدة تؤدي للموت ، نحن كنا نستبدل حبتين أو ثلاث ليبدو الأمر طبيعيا ، وأن الأدوية السبب ، يمكننا استخدام الأدوية كسموم والخطر عليّ وعلى وجومار اكثر منك .. أنا أوفرها وجومار يضعها في علب الأدوية الخاصة

قالت : الخطر على الجميع ، سأطلب الطلاق فور ظهوره ، لا استطيع طلب الطلاق إلا اذا ظهر حيا .. أنا أرملة في نظر القانون ، لا تطلق

قال: نعم أنت أرملة حتى يخرج من القمم

قالت: واذا لم يحضر في وقت قريب سأغادر لألمانيا ، وألتقي بالأسرة ، وأراجع مركز المعالجة وأعيش في شقتي في سويسرا شقة ابني المفقود .

فكر قبل رده فقال: خطوة طيبة ! نحن لحد الآن لم نفهم لماذا هذه المسرحية وهذه الحيلة ؟ هل أنت المقصودة أم فعل ذلك لغرض خفي اشتركنا فيه لأمر خفي ؟

قالت: الغرض الخفي الانتقام الحقد ، لي سنوات بعيدة عنك جسديا ، والسيد جومار يستطيع طرده وصرفه بجرة قلم ؛ كما طردنا رومو الخادم .. أنا أرى السم السبب ، فهو كما تعلم جوعان نساء وأسرته كلها مثله .. أتعلم أن شقيقه سمير سعى للزواج مني، تخيل لو قبلت الموقف الدنيء الذي سأكون فيه .. أسرة قذرة منحطة .. فالسم هو وراء الحكاية .. احس وادرك أن حياته في خطر .. أتذكر ذات ليلة تحدث معي أن الاغتيال لبعض الناس بالسم .. الآن اجزم أن الكلام كان موجها لي ، لم انتبه لذلك ، وأنه يحاورني أنا ومتهما بذلك ظننته مجرد كلام عابر وكلام للتسلية .

قال: هو معقد ، مريض نفسي ، لم احبه يوما متعجرف شرس لسانه بذيء لولا صداقتي لك لما دخلت القصر نهائيا .. حبي لك والصداقة دفعتاني على تحمل وقاحته ولم احب أن أكون الصديق

الجبان وقليل الوفاء .

قالت: أنا أحببتك تلك الأيام ، كنت الرجل الحبيب يا لوقان ، ورأيت إخلاصك نحوي وأشفقت عليّ من حرمان الونيس ، وكنت من الجالية أيضا ، ولما حدثت المشاكل دخل جومار كموظف لدى نذير ، فاصبح محط اهتمامي ، ولم احب إفساد حياتك الزوجية ، كانت امرأتك تغار مني بعد زواجك وتكرهني وتعرف ما كان بيننا ؛ كأنني أول امرأة في حياتك الخاصة

قال: لقد شكت من البداية فأخبرتها بحبي لك حتى تكف عن الغيرة ، وهددتها بالانفصال فسكتت على مضض ، وأنا قللت وأنهيت مغامراتي معك بسبب زواجي وبسبب زوجك حيث زودني بقرص حاسوب وأنا في حجرتك كما يفعل معك الآن.

قالت: لم تخبرني به .. أنت صديق وفي ، ولا انسى الساعات التي قضيناها معا ، وأنت رفضت أن احمل منك وأنا على ذمة نذير وأنا امتلأت نفسي بالشوق ؛ لأن يكون لي طفل أو طفلة .

قال: الولد مشكلة وأنت زوجة لغيري ، أنت تزوجت الرجل لماله كما اخبرتيني وهو وافق وبين لك أنه يرفض أن يكون أبا.

قالت: أنت لو عشت في أوروبا الغربية مثلي لرأيت ذلك أمرا طبيعيا ، نساء تعاشر الرجال للحمل ، لدينا بنوك مني وأرحام مستأجرة ؛ كما تلقح الحيوانات يا لوقان! مؤسسة الزواج معقدة وفاشلة.

قال: نسمع ونقرأ .. المرأة تعيش مع رجل سنوات وتلد منه، ثم يحدث الزواج القانوني ، ثم يتحول الأبناء إلى شرعيين

فقالت: الحياة هنا مملة وصعبة ؛ إذن إثبات جريمة علينا صعب افهم منك ومع هذا المجنون والمعقد

قال: قد تكون الحياة في موطنك افضل لأعصابك .. ومن يدير القصر ؟

قالت: سأطلب من الدكتور علي أو بكر بتعيين مدير للقصر ريثما يعود السيد.. لقد كان انتقامه رهيبا يا دكتور! كيف عرف بأمر ابني ومكانه؟

قال: هل ثبت أنه وراء خطفه؟

قالت: لا عدو إلا هو

قال: الله اعلم سيدة سلوفانا



الوضع الغامض والخطر دفع جومار للاستقالة للسيدة وقدم الطلب بذلك وأصبحت نورما مديرة القصر ، ولما حصّل حقوقه المالية غادر البلاد سرا ، وبعد رحيله رحلت سلوفانا ومن ألمانيا

أخبرت الدكتور علي بعودتها لموطنها ، فعين مديرا عاما للقصر ونورما مساعدة له ، فهو المسؤول عن الطهاة والبستانيين والخدم وعاملات الصالون والإضاءة والنظافة ، وقدم لوقان استقالته من خدمة المرضى في القصر ، وبين أنه كان يفعل ذلك خدمة وصداقة للسيدة ، وعينت الشركة الطبيب نصري عزات معالجا لمرضى القصر .

وصلت السيدة لشقتها في ميونخ التي وهبها لها نذير عند زواجهما كهدية وعلامة حب ، واتصلت بوالديها وأعلمتهم بعودتها للحياة في أوروبا.

ولما التقوا في شقتها وتناولوا العشاء واخذوا بالشرب ، قالت الأم: أنت أشعت خبر وفاة السيد وحملت لقب الأرملة.

قالت: هذا ما حصل فعلا ، وحصلنا على تقرير طبي وشهادة وفاة وحملنا التابوت وصلي عليه ودفن في التابوت لوصيته بذلك.. لماذا فعل هذه الحيلة واشركنا فيها ؟ لليوم لا نعرف ولليوم لم يظهر بدنه ، والسلطات رفضت فتح القبر قبل ظهوره حيا .

قال أبوها: أنا لما انتشر الخبر عندكم وعدنا من زريق تحدثت مع الشركاء قالوا لا يهمنا موته فهو شريك مالي والأرباح تحول لحسابه حتى ينقل للورثة ، وفي البرازيل لم يأتهم خبر الوفاة وهو ليس عندهم بذاته ؛ لأن العمال والإدارة بشر يموتون ، فالعمل المؤسسي لا يؤثر فيه وفاة أو انفصال مدير شريك أو مساهم كثيرا ، وهو منذ غادر لمدينته خف اتصاله بالشركات والمصانع هنا ، وقال المحامي أوكل لسلوفانا الإدارة قبل ذهابه للعلاج

قالت: نحن كنا نتعامل على أنه ميت ، ونسخة الوصية أثارت في البداية الاستغراب من نقل الأموال لحسابي بعد ست سنوات ، وشرط عدم زواجي خلالها ، وحجزنا له في مركز العلاج لمرضه الكبدي هنا.

قال أبوها: ولماذا هذا الاختفاء الغريب ؟ ! هل هو متورط في قضية تتطلب هذا الاختفاء؟!

حركت الرأس وقالت: لست ادري ! جهزنا انفسنا للسفر إلى هنا ، وقبل السفر المباشر ذكر أن رفيقا له دعاه لمشاهده يخته في جزيرة مالطا ، وذهبنا وجاء الرجل الداعي للفندق ؛ حيث ننزل وسهر معنا ودعانا لجولة في اليخت ، نحن لم نر اليخت ، كان الأمر طبيعيا ، أنا والطبيب اعتذرنا

وحاولنا منعه لأن اليخت سيكون فيه خمر ونساء ، فغامر وذهب وعاد متعبا وحضرت سيارة إسعاف ونقلته لمستشفى تبين أنه غير موجود ، ودخلنا غرفة العمليات والأجهزة والأوكسجين كانت أعراض جلطة ، وبعد أيام اخبرنا فجرا بمفارقته الدنيا وطلبت جومار الخادم وعلمنا أنه أوصى بدفنه بالتابوت كما يفعل النصارى عندكم وأخذنا

تقرير الطبيب والمستشفى وشهادة والوفاة ثم نقلوا التابوت للمطار ، ثم عدنا للمدينة وحضرت شركة دفن الموتى وغسلوه على أنه ولد مسلما صلوا عليه وحملوه لمدفن العائلة ورافقهم الطبيب والأصدقاء وجومار ، ونشر الخبر ، اخوه سمير جاء للعزاء عن عائلته في البرازيل وطلب يدي للزواج ، واستلمت الإدارة ثلاث سنوات وتعبت من الكحول فجئت للعلاج في سويسرا كما تعلمون ، وقضيت شهورا بالتردد على عيادات العلاج ، وعدت للمدينة وبدأت تتسرب الإشاعات عن حياة نذير وتوقف تنفيذ الوصية ؛ حيث جاءت رسالة للشركة أنه سيعود ولليوم ما عاد ، ذهب لوقان لمالطة ووجد أنه لا يوجد في المكان مستشفى ولا اصل للتقرير والشهادة ، لعبة شاركنا فيها ولا ندري لماذا هل هناك عملية احتيال؟ فعدت للوطن قبل عودته وسيكون الطلاق العمل الأول لي معه

قالت الأم: الطلاق لماذا ؟

قالت: وهل يفعل ذلك عاقل يا أبي ؟! وهو لا يريد أولاد ، وارغب بولادة واحد على الأقل وأنا دخلت على الأربعين.. إنه مجنون ولا يشبع من النساء والفسق.

قال أبوها: ونحن لنا خمس سنوات لم نره ، وهو شريك ، ترسل أرباحه لحسابه والمكتب القانوني لم يطلب حصته لتباع نتعامل معه على أنه حي.

قالت الأم: سمعنا أن لك طفلا ، من أين أتيت به؟

نظرت لامها وقالت: تبنيته سرا خفية عن نذير ، وكلما ازور أوروبا أتفقده ؛ ولكنه خطف قالت الأم: اختفى !

قال أبوها: ليس من نذير سمعنا غير ذلك

قالت: لا، نذير يحقن نفسه بمانع الحمل ، ولا يحب الأطفال

قال الأب: احدهم سألني هل ولدت ابنها من زوجها ؟ قلت لم نسمع

قالت الأم: صحيح

قالت: صحيح ! وليس من نذير

قالت الأم: ليس منك.. ابن غير شرعي أم متبنى

قالت: الحق هو مني يا أمي حملته بدون علمه وولدته في برن

قال أبوها: لا يعلم بوجوده !

قالت: حسب علمي لا يعلم ؛ لأنه يعيش في سويسرا في شقة أملكها ؛ ولكني بعد خطفه من سنة اجزم بأنه هو الذي خطفه .

قال أبوها: هذا اتهام خطير !

قالت: لا احد له مصلحة في خطفه إلا هو

قال أبوها: وما المصلحة في خطفه؟

قصت قصة الخطف والبحث في فرنسا والنمسا وتركيا وختمت بقول: أنا أريد ذرية وهو لا

يريد

قالت الأم: أتعرفين أباه؟

قالت: اعرف أباه ؛ ولكنه في السجلات ابن من غير أب

قال أبوها: هذا يجهله السيد

قالت: كنت اعتقد أنه يجهل ذلك ، لم يحدثني عن الحمل ؛ لأنه لا يمسني ليشتبه بحمل

قال أبوها: لماذا لم تنسبيه له ؟

قالت: إنه يتعاطى كما قلت موانع الحمل ومبيد الحيوانات المنوية

قال أبوها: قانونا سيكون باسمه شاء أو أبى ؛ لأنك زوجته قانونا

قالت: فولدته وأخفيته ؛ لأنني كنت متوقعة موته بسب التهابات الكبد ودهون الكبد فهو يشرب كثيرا ، وظهرت له زوجة ولها ولد اسمه بول .. هربت به مع عشيقها لكوبا وتخرج من الجامعة

قال والدها: سمعنا بها هناك

قالت الأم: صحيح .. بنت غسال، شريكه في المصانع

قضت شهورا في ألمانيا ولا أخبار عن مايكل ، ثم انتقلت لشقة سويسرا ، ولما وصلت واستقرت أنهت عقديّ الخادمة والمربية ، وعرضت الشقة للبيع ، واشترت شقة جديدة وجلبت خادمة جديدة ، وكتبت رسالة لجومار تدعوه للسفر لسويسرا والحياة معها في شقتها الجديدة ، وبينما هي تنظر رده اخبرها محاميها برانس أن مكتب قانوني في برلين ارسل له وثيقة طلاق رسمية ، وينتظر موافقتها على الطلاق لإتمام الطلاق ، وأن زوجها سيدفع لها خمس ملايين ، ولن يقاسمها ثروته ، وتأكدت حياته بهذه الرسالة ، وأنه مطلع على أسرار حياتها مع لوقان وجومار ، وطالبها بالتنازل عن وكالة المجموعة الوكالة الخاصة ، وكان المحامي يراسل مكتب قانون برلين ، وسعى المحامي للقاء نذير ، فاخبره المكتب أن الرجل يعيش في كوبا ويصعب عليه الحضور شخصيا، وترك لها زوجها رسالة في برلين سترسل لها في وقت معين حسب ترتيب السيد

حدثها جومار أن السلطات لا تسمح له بالسفر إلى أوروبا ؛ لأنه ما زال المشتبه به في القضية بحرق غرفة نوم زوجته وموتها ، وتسبب في قتل ابنه الصغير الحدث ، وخشية الحصول على جنسية أوروبية فيضعف طلبه ، وأنه يفكر بالهرب ، ووعدها بالسفر في اقرب فرصة ليبحثا عن ابنهما المخطوف ومعرفة مصيره .فقالت : أنا في انتظارك .

كانت تقضي الوقت بين المعارض والأزياء والمسارح والأفلام، وذات ليلة وهي في احد المطاعم الشهيرة تتناول وجبة العشاء وحدها كما

اعتادت اقترب منها رجل فحياها وقال : سيدة سلوفانا!

تطلعت في وجهه وقالت: نعم سيدي ! من أنت ؟

جلس على مقعد قبالتها ، وطلب من النادل أن يحضر طعامه إلى مائدة السيدة ، وقال: أنا أعرفك أنت ابنة السيد باريش جانسل

قالت: هو أبي فعلا

قال: وأنا صديقه الدكتور ببيرس اوكلي

قالت: تذكرتك! أنت تعمل في الجامعة جامعة لودفيغ ماكسيميليان

قال: نعم، أنا محاضر كنت في تلك الجامعة اقدم جامعات ميونخ

قالت: تذكرتك ورأيتك في مجالس أبي مرحبا بك

قال: ما أخبارك؟

قالت: كنت من زمن قريب عند الأسرة

قال: أما زلت تعشين في زريق ؟

قالت: رحلت منها ، وقد تطلقنا من عهد يسير

قال: السيد نذير صديق الأسرة طلقك! لقد عرفني عليه السيد باريش

قالت: انفصلنا، أتعمل في الجامعات؟

قال: نعم ، وما زلت .. وجئت هنا لمجموعة من المحاضرات في التاريخ الأوروبي في القرون الوسطى .. فلما رأيتك قلت إنها ابنة صديقي باريش رجل الصناعة ، نحن أبناء الجالية التركية في ميونخ ، من عهد بعيد لم نلتق ، وما زال والدك صديقا

قالت: تذكرتك جيدا .. ولك ابنة تزوجت من لاعب كرة قدم ، ولم يكن ذلك يعجبك

قال: جميل ! اليوم البنات سيدات أنفسهن

قالت: ما أخبارها ؟

قال: عاشت معه سنوات ، أنجبت خلالها طفلين وانفصلا .. البنات يقبلن المتزوج بسهولة فتزوجت الثاني والثالث وهي تعمل في احد بنوك برلين.

قالت: الحياة لا يرسمها الإنسان لنفسه ، وإن بدا له ذلك

قال: هل تعشين هنا؟

قالت: الآن نعم ، غدا لا ادري

قال: هل تقبلين دعوتي غدا للغداء؟

قالت: لا مانع لديّ على أن تقبل دعوتي أيضا



جومار في سويسرا

استطاع جومار أن يطير إلى سويسرا ؛ حيث تعيش عشيقته التي استقبلته نصف الليل في المطار وساقته لأحد المطاعم وتعشيا معا ، وانتقلت به لشقتها الجديدة ، وقضت بين يديه ليلة من لياليها في قصر

نذير.

وحدثها عن طريقة هروبه إليها ، وبعد أيام حدثها عن إمكانية الزواج القانوني، فأجلت الموضوع لأسابيع ، فاستغرب ذلك أين اللهفة التي كانت لديها في القصر قبل عودته للهند ؟!

فقالت : صحيح تخلصت من ذلك الشرير ، والأفضل أن نبقى على هذا الوضع حتى يظهر ابننا فأنا لم أقابل السيد ولم يظهر لا في أوروبا ولا في القصر

قال: أنا اذا تزوجنا أتمكن من الحصول على الجنسية الألمانية أو الإقامة الدائمة في ألمانيا

قالت: الزواج ارتباط يا جومار أريد أن أعيش بدون ارتباط حرة

قال: يبدو أن حبنا ضعف

قالت: لم يضعف ؛ ولكني في أزمة نفسية يا حبيبي .. أنت عندك قضية وأنا افقد ابني

قال: وهو ابني

قالت: أنت غير مهتم كما أنا !

قال: إنه ولدي ، وقبلت بفعلك رغم الخطر الذي كان محدقا بي وما زال

قالت: اصبر ، ها نحن نعيش كما كنّا في القصر .. ألست تملك جسدي ومالي.. لست مستعدة لزواج قانوني .

قال حزينا أو متصنعا الحزن : كما تشائين يا سيدتي!

كنت احلم بأن أكون الزوج ، وانتهى دور العشيق

قالت: ستكون عندما تخرج بريئا من موت زوجتك، نتزوج ثم تحبس وأتعرض لفضيحة جديدة .. حبيبي لنا سنوات نعيش معا ، لو حملت منك مرة أخرى ؛ ربما يتغير الأمر أنا دون أطفال رغم المال الذي أنفقته على قضيتك ما زلت متهما ، لم تسطع رشوة القضاة وإنهاء الملف ولو أرادوا القبض عليك سيطلبونه عن طريق البوليس الدولي فماذا يحل بي جومار في الوسط الاجتماعي الذي أعيش فيه؟ اسع لحل قضيتك.

قال: لم أكن اسمع هذا الكلام في القصر

قالت: كنت مرتبطة برجل ، حبسك يضرني ، أنت كنت الزوج كما تعلم

قال: هذا كلام جديد للموقف

قالت: أبدا نحن هنا لا تهمنا العلاقة الزوجية اصبر اصبر

قال: إلى متى اصبر؟ لي أسابيع .. الحياة بدون زواج هي حياة الدواب

قالت: حياة الدواب ! وما كانت حياتنا في القصر؟!

قال: كنت عشيقا لك كغيري ، وما دمت طلقت فالزواج أحسن .

قالت: لم افهم وجهة نظرك، يبدو أنك متعب من قضية قتل زوجتك ، ومن الهرب افرض أننا

تزوجنا واعتقلت ، هل أظل مرتبطة بك حتى تخرج من السجن ؟ وأترجاك حتى تطلقني أو تعدم يا جومار .. احصل على البراءة ، وسأكون لك زوجة شرعية ونعيش في الهند.

قال: تغيرت يا سلوفانا ! رغبت بالزواج منذ وضعت قدميّ في المطار لأصبح مواطنا أوروبيا وترفع سلطات الهند من بقائي في قائمة المتهمين .

نامت ولم تسمح له النوم في سريرها ، فشعر بالغضب والخزي ، وفي الصباح خرج باكرا وغاضبا وحائرا ، وسكن احد الفنادق وأمضى ثلاثة ليال ، ولم تتصل به فأدرك أن تغيرا كبيرا حدث في حياتها بعد تحررها من نذير ، وأنها وجدت عشيقا جديدا ، فهو اعرف الناس بها وكان مخدوعا بها .

نهشته الغيرة وكان يظن أنه الذكر الوحيد بعد تخليها عن لوقان ، وها هي تتخلى عنه ،كان يظن أن لا أحد ركبها منذ سعد بها ، فاستسلم ، وعاد للشقة وطرق الباب ، ولما فتحته قالت : عدت يا جومار ! ادخل

كان يقف خلفها رجل صغير فقالت : صديقي جاك

فدخل غاضبا وحانقا ومكشرا وصائحا : جاك العشيق الجديد .. أنا ادركت أن هناك رجلا آخر في حياتك ! .. شكرًا سيدتي ! أتمنى لك التوفيق مع جاك . وغادر الشقة دون أن يسمع كلمة وعاد للفندق ، وفي الصباح سافر إلى سنغافورة ومنها للهند ، وعرف أن الخائنة لعرضها لا يحلو لها إلا الخيانة ، يوم الاستقبال شعر بتغير المرأة ، وأن الخائن لولي نعمته سيلقى الجزاء بعد حين ، وأنه خسر الزوجة والابن ، وشارك في جريمة لقتل نذير ، خسر أحلامه بالمليونيرية، خسر المعركة .



ذكرنا أن السيدة تواعدت مع دكتور الجامعة ببيرس اوكلي على مائدة الغداء ، ولما وصلت للقاعة وجدت معه شابا طالبا في الجامعة اسمه جاك ، أخذ عنوانها وكان يتردد عليها لممارسة الفسق أو الحب كما يسمونه غربيا ، فلما جاء جومار وعرف بفارسها الجديد غادر سويسرا سريعا ، وكان الشاب يصغرها بعشرين سنة يدرس الماجستير .

هي لما استقرت في بلدها كانت تفكر بإنهاء علاقتها بجومار للظروف المحيطة به، وقد تحررت من تقاليد القصر وضياع ابنها الذي يربطها به ، ووجدت من يشتهي لحمها رغم الفارق الكبير بينهم في السن ، مضت شهور واختفى جاك من حياتها اختفى بدون كلمة واحدة

كوداع أو اعتذار وغير رقمه الخلوي ، واتصلت بالجامعة ، وتمنت لو أخذت رقم تلفون المحاضر ، وأخبرتها الجامعة بانتهاء الفصل عاد لفرنسا، فأدركت أنها أصبحت كبيرة وأنها تُمل سريعا .. وهكذا حياة الغربيين ، فتذكرت أصدقاء نذير والدكتورة فريدة التي هجرها الجميع ، واشتغلت مومسا في باريس ، وقبل ذلك اشتغلت في الدعارة في الملاهي الليلية، تذكرتها وقالت : هل سأكون مثلها؟ لقد خسرت الكلب الوفي الذي يقبل قدميّ قبل أن يصل لوسطي تخلص من رقمه الدولي .. وها هو جاك استفاد بدنيا ومالا ، لقد كبرت يا سلوفانا .. عليّ أن أحب رجلا جديدا .. من يتزوجني ؟!

بينما هي ذات ليلة في احد الملاهي تتصيد رفيقا رأت جاك يراقص فتاة صغيرة فأشارت برأسها له، ولما اقتربت منه قال :هذه صديقتي الجديدة ما أخبارك؟

قالت: بخير لم تعيد المال !

قال: لا شيء عليّ.. لقد أخذتيه من بدني

قالت: هكذا تعيش ،كم دفعت لك هذه ؟

قال: أرجوك .. وقبض يد صديقته وقال :هيا بنا

قالت: سدد حسابك

قال: سددته من بدني . وغادر الحانة تصحبه رفيقته فقالت: هكذا هم الرجال وترعت من الكؤوس ، ولم توفق باصطياد رفيق ليل .

غادرت الحانة والمرقص وهي تقول : أليس هذا فعل المومسات يا سلوفانا ؟ ألا أستطيع شراء ذكر ، إني أملك عشرة ملايين ، عادت تفكر بجومار والبحث عنه والزواج منه ، هو غامر وهرب من اجل الزواج ، وليس من اجل العشق ، وهي غامرت وعلقت بهذا الشاب وصدقت أحلامه وحبه للنساء الكهلات.

اتصلت بسكرتيرة القصر ، وطلبت منها عنوان جومار في الهند أو أرقام تلفوناته ، فأعطتها الأرقام التي كان يتصل بها في وطنه وسألت: هل عاد سيد القصر ؟

قالت نورما : ما زال الأمر غامضا ، وعلمنا أنه اجرى اتصالا بالدكتور علي

قالت: شكرًا سأتكلم معه

قالت: سمعنا أنك حصلت على الطلاق

قالت: حصل هذا ، شكرًا.

أغلقت الخط قبل أن تضطر لشرح قصة الطلاق ، واتصلت بعلي وبعد التحية . قال :نعم اتصل فهو على قيد الحياة ، ويعالج في مركز خاص ، ولم يذكر اسم المرض ، واسم المركز وأعلمني أنه أغلق علاقته بك وأن لا علاقة لك بالشركات ، ودفع خمسة ملايين مخالصة وطلقك ، وأتمنى لك السعادة والتوفيق

انتهى الاتصال ، وأخذت تحاول الاتصال بالهند وبالأرقام التي أخذتها من نورما ، ولم ينتج عنها شيء مهم ، وكتبت رسالة لأحد العنوانين، ثم كتبت لكل العنوانين ، ولم يرد عليها عنوان ، فصاحت مقهورة : مع من كان يتصل أو يراسل . ثم جاءتها رسالة من المحامي الذي تذكرته في النهاية ، فاخبرها انه يقبع في السجن متهما بالقتل لزوجته وابنه .

بحثت عن شركة سياحية لرحلة إلى شرق الهند حيث بومباي ، فالسياحة اليوم تجارة مهمة لكل الدول ، حجزت مع شركة لتلك القارة ، وركزت على بومباي ووفقت للمطلوب ، ولما اكتمل الكروب السياحي ، حجز لهم على الطائرة لزيارة المعابد الهندية والأماكن التاريخية وأبلغت مكتب العمارة بأمر رحلتها ، وتركت المفتاح لرعايتها وتنظيفها ، وركبت لطهران وتابعت للهند .

كانت سلوفانا لما نزلت سويسرا لا تحب الظهور في المجتمع الراقي لأسباب خاصة؛ فكان لا يظهر عليها أنها امرأة ثرية ، امرأة غنية دون مظاهر حماية لنفسها ، فهي في سويسرا مجهولة وتبحث عن ابن لها .

****

تأكد لنا أن السيد نذيرا لم يكن ميتا حقيقيا؛ كما أوهم لوقان وسلوفانا رفاقه في العلاج ، تبين لنا أنه استطاع إثبات خيانة زوجته بالطبيب ، وأرسل له قرص دعارة ، فخفت علاقته بها كعشيق واستطاعت الكاميرا الخفية كشف سقوطها مع الخادم من بدايتها وسكت عن الأمر وشغله بعشيقاته تركها تمارس دعارتها مع جومار ، وقد احتقرها لهذا السقط ، وأن جومار ضعيف أمام أمرها ، وأن لا فائدة من طرده ، ويقوم بخدمة القصر بكفاءة ، وستبحث عن غيره عن لوقان جديد وجومار آخر ، ولم يكتشف سر حملها بسبب كثرة سفرها إلى أوروبا تلك السنة خاصة الشهور الأربعة الأخيرة ، وانشغاله بشهواته ، ولم ينتبه مبكرا لسعيها في قتله وأنها تتآمر على حياته إلا لما أخذت الأوجاع تتكرر كل فترة وأخرى ، وكشف له المعالجون أن الأمر غير طبيعي ، فقل طعامه في القصر ، ولم يذهب الألم ، وتبين له أن الأدوية هي السبب وأكد بعض الأخصائيين أن الدواء المستخدم فيه مشاكل ، وعرف بقصة الطفل وظن أنه متبنى سرا ، ثم علم بأنها ولدته هي من المستشفى الذي وضعت، ولم يعرف والده ؛ لكن عشاقها لا يعدون.. ممن علقت به؟

وكانت له رحلات للبرازيل فيمر على أمريكا وعياداتها من اجل الكبد والأسقام الأخرى ، وله معرفة برجال السينما والتصوير للإعلان ، فرتب مع مخرج لتلك الحيلة ، وتصنع المرض لما جهز

المخرج قصة إظهار موته ، ووضعت أمام الساحة واجهة مستشفى وسيارات إسعاف وغرفة عمليات وممثلين، والسلطات تظن أنه فعلا يتم تصوير فلم ومشاهد من فلم كبير وعملت التمثيلية وحمل التابوت للمطار ، ولما طارت الجثة فكك المستشفى ، ورجعت كاميرات التصوير وغادر من قاموا بالأدوار ، وانتهى الفلم وغادر نذير وفريق العمل إلى أمريكا زاعمين تكميل الفلم في أمريكا ؛ لذلك لما جاء لوقان يسأل بعد سنوات كان الأمر منسيا ؛ لأن كل من شاهد المكان عرف أن المكان أعد لتصوير بعض المشاهد لنذير كما قلنا .

غادر التابوت إلى الوطن يحمل جثة مشرد مشتراة لمشهد من الفلم وقاموا زعما بدفنها ، وغادر نذير إلى البرازيل ثم إلى كوبا للعلاج من الإدمان على الكحول والمخدرات ومعالجة السموم ، وكان يتابع قصة موته وهو يتنقل بين كوبا والبرازيل ، وأثناء وجوده في هافانا استطاع معرفة سكن زوجته الهاربة من سنين وابنها بول، وكلف محاميا خاصا في البرازيل أن يتصل بها ويقنعها بميراث لها في وطنه ، وصدقت المرأة واتفقت على نسبة للمحامي وأعطاها المال وذهبت للقصر كما قصصنا ، ولم رجعت سلوفانا من رحلة العلاج أرسلها وابنها مرة أخرى، وقد فشلت في تحقيق فلس من القصر وأعطاهما المحامي المال وأرسلها لزوجها في كوبا ، أحب نذير إزعاج القصر والانتقام هدف نذير ، وصحته لم تتحسن كثيرا ، قلل فقط من الخمر ، وكان يتابع نشاط شركاته في المدينة بأصدقاء سريين ، وكتب رسالة لعلي حتى يشعره أنه حي وأن الوصية باطلة ، وحسابه في أوروبا تتضخم فيه الأموال ويسحب منها القليل؛ فكانت أموال البرازيل ومصنع تشيلي تغطي مصاريف العلاج والحياة .

وكانت السيدة وأهل القصر يعيشون على موته حتى فقد ابن السيدة ، وبدأ الشك في حياته وزاد الشك برسالة كوبا ومقتل امرأة جومار حرقا واتهام جومار ؛ لكن لم يثبت شراء البنزين من قبل جومار ، وهو لا يملك سيارة ، ولما طلقت تأكدت من حياته ، وأنه في كوبا باسم العلاج ، وأرسل عددا من الأقراص ليعلمها أنه مطلع على دعارتها مع الطبيب وجومار وكانت ترغب بلقائه ليعيد لها ابنها فرفض المجيء لأوروبا وظلت في حيرة هل هو حي أو ميت ؟

هذه تفاصيل حيلة نذير لعقاب زوجته وعشاقها ، والنجاة بحياته من سعيها لقتله ، وحل قضية الزواج بخمسة ملايين، لأن قوانين الغرب تلزمه بدفع نصف ثروته لشريكته.

****

سافرت إلى الهند لتصالح العشيق بعد فشلها بالاستمرار بعلاقة مستمرة مع الطالب جاك فأدركت أنها وصلت لسن لا يرغبها الشباب ، علاقات سريعة مثل أيام الجامعة والمراهقة قضاء رغبة والحصول على بعض مالها، أحست أن أفضل رجل لها جومار ، وخرجت في رحلة سياحية نحو الهند ، ولما انتهت الجولة وأشرفت على النهاية انفصلت عن المجموعة باتفاق عقد في سويسرا ، فودعت رفاق الرحلة وانتقلت لفندق آخر ، استطاعت الوصول لمحامي جومار ورحب بها ، وشكر لها اهتمامها بمواطن بلده ، وأبدى استعداده للتعاون معها لمساعدته ، واتُهم خادمها بالجريمة رغم عدم كفاية الأدلة لعدم ظهور مشتبه آخر ، ولإصرار أهل المرأة باتهامه ، فحكم عليه بخمس سنوات لإغلاق ملف القضية ؛ لتقصيره في إنقاذها والتأخر في إبلاغ السلطات.

قالت: أنا ساعدته ماليا ليتخلص من الحكم والحصول على البراءة

قال: إعادة فتح القضية لغير صالحه ولا فائدة من ذلك، فلن يتغير الحكم ،قد تمضي سنوات السجن قبل فتح القضية ، القضايا كثيرة والجرائم كل دقيقة ، فالأفضل أن يقضي المدة حتى لا يبقى تحت رحمة المحاكمة وأهل المرأة .. صحيح عندنا قانون مدني وعصري كما عندكم لكن التطبيق يتفاوت..

نحن السجون مكتظة بالناس ، سأسعى لترتيب زيارة لك لتشدي من أزره

وأنك معه معنويا.

قالت: الرشوة

قال: فعلنا الكثير دون نجاح ، أخذت الأموال دون فائدة ، قد نستطيع بعد قضاء نصف المدة ببعض المال تخفيف مدة الحبس باسم حسن السلوك للسجين .

قالت: حسنا يا أستاذ! رتب لي لقاء به ، ولن أبخل عليك بالمال.

قال: الزيارة مسموحة لكل السجناء ؛ سأرتب زيارة خاصة للقاء دون حواجز زجاجية وشبك.

استطاع المحامي الهندي الحصول على زيارة خاصة ، ولما رآها تفاجأ وقبل يديها وقال: سيدتي هنا .. عساك بخير!

قالت: أنا بشوق لك يا جومار ! لما علمت بحبسك تألمت وجئت لأراك ؛ لكي أساعدك وأشد أزرك ، ومحاميك ساعدني للحديث معك ، وسيستمر معك حتى يفك أسرك وتحصل على عفو وتخفيف مدة الحكم .

قال: ربما بعض قضاء نصف المدة يتحقق الإفراج .. كيف أنت وأخبارك؟

قالت: بخير وأتحسر على فقد ابني ومشتاقة صدقا .. يسعدني أن تعمل معي بعد الإفراج ؛ لأني سأقوم

بعمل مشاريع خاصة بي ، وأي مال يلزمك اكتب أو اتصل بي حتى تنتهي محكوميتك والمحامي سيتابعك وقد نعمل شركة هنا في بومباي وسأزورك باستمرار .

قال: شكرًا لك سيدتي قلبك كبير .. ما أخبار السيد جاك؟

نظرت إليه نظرة صاعقة وقالت بغضب مكبوت : بخبر هو طالب في الجامعة .. وعندما يفرج عنك ستجدني بانتظارك .. لا أنسى سنوات قضيناها في القصر

قال: هل من أخبار عن مايكل؟

قالت: لا، سيد جومار

تحدثت مع المحامي تشكره لتأمينه هذه المقابلة ، ووجهته للاهتمام بجومار ، ودعت جومار للصبر وقالت: وأنا معك جومار واذا كنت ترى ببقائي هنا فائدة فأنا مستعدة للبقاء

قبل يدها وقال: شكرًا ! لن أنسى هذه الزيارة ، ولا داعي لبقائك فالوقت طويل، وقد يغضب جاك ، وعندما اخرج من السجن قد أكون لك خادما وعبدا

قالت: سأضع لك رصيدا في البنك، ألك حساب ؟ لا يمكن أن أنساك من اجل مايكل

قال: هل ظهر زوج السيدة ؟

قالت: لم يظهر في القصر بعد ، هو يعالج في جزيرة كوبا ، لا ادري مما يعالج كل هذه السنوات .

قال: إذن هو حي حقيقي لم يمت ؛ كما عشنا السنوات الست

قالت: كانت لعبة شيطانية إلى اللقاء جومار .. انتظر عودتك

قال: أين؟

قالت: في سويسرا

قال: وجاك

قالت: هو طالب فرنسي سيغادر لبلده

قال: أنا سأسعى لمعرفة قاتل زوجتي ، لن أنسى هذه السنوات هنا

قالت: سنفكر؛ لعله نذير

قال: لا أشك بذلك .

رحلة جديدة

عادت إلى سويسرا بدون جومار وما زالت خائفة من العيش حياة طبيعية ، وكانت تعتقد أن خطف ابنها من فعل زوجها وحبس جومار من فعل زوجها إنه ينتقم لسعيهم لقتله بوضع أدوية في علب الدواء لتعجل بموته، فسيطرت عليها فكرة اللقاء به ، وتطلب العفو عنها ، وعن ابنها فرحلت لبرلين وميونخ وقضت بعض الوقت مع أمها ولم تجد لدى والدها أي عنوان خاص لنذير في البرازيل سوى مكاتب الشركة ، وكذلك مكتب

القانون الذي يتعامل معه ، فوجدت صندوق بريد
له في برازيليا وآخر في سان ريو دي جانيرو
فسافرت إلى أمريكا مطار جون كنيدي في نيو
يورك ومنها للبرازيل العاصمة ، وهذه أول مرة
تدخل أمريكا الجنوبية لقد زارت نيويورك ولوس
أنجلوس قبل الزواج وبعد الزواج منه ؛ بل كان
يصحبها لحضور افتتاح وعرض فلم
أمريكي جديد .

لم تُمارس العمل منذ زواجها إلا عند وفاة نذير
المصطنعة ، وكانت الأرباح تصرف على القصر
خدمة وموظفين وخدم ، استطاعت الوصول
لمكتب شركات نذير وشركائه ، والتقت بوالد
داليا السيد غسال ورحب بها وقال لها: إن نذيرا
ممول ومستثمر ، عمل في مجلس الإدارة فترة وجيزة
وانتقل لألمانيا ثم استقر مديرا لشركاته في وطنه
الأول . وذكر لها أن الرجل له استثمارات كثيرة في
البرازيل وبعض دول أمريكا الجنوبية ، فله
شراكات في عدة فنادق سياحية وصناعة السلاح ،
هو مساهم ولا يدير الأعمال بنفسه ، يتردد على
البلاد لمتابعة أمواله، وهو حاليا مريض يتعالج في
كوبا من سنوات ، ولا يعرف عنوانه ولا حتى
عنوان ابنته وابنها بول .

هي تعلم أن الرجل لم يكن يباشر الأعمال بيده إلا
في الوطن ، فهو يستثمر في المشاريع والبنوك

ففكرت بالسفر إلى كوبا ، حاولت مع المكتب
القانوني في البرازيل أن يؤمن لها مقابلة معه ، فبين
المكتب أن ذلك ليس من اختصاصه خشية أن
يتعرض السيد لمحاولة اغتيال ، وهم لا يعرفون
مكانه الخاص ، وأعطاها عنوان لمراسلته ،
واستعملت أرقام تلفونات فباءت بالفشل

ولما رأت صعوبة الوصول إليه أجلت رحلة كوبا
وعادت لأوروبا تعالج نفسها مما ألم بها من
أتعاب السفر. ولما تعافت من وعكتها الصحية ،
اتصلت مع المحامي الذي يتابع قصة ابنها
المختطف ، اعلمها أن لديه رسالة من زوجها
السابق فتفاجأت من الخبر ، وكان فيها علمت
أنك زرت البرازيل سعيا للقاء بي ماذا تريدين ؟!
ووجدت عنوان مراسلة فكتبت رسالة قصيرة
أريد ابني أو رؤيتك، فجاء الرد قصيرا أيضا أي
ابن ! نحن لم ننجب!

فكتبت اعلم أنك تعلم أن لي ابنا، فرد : أنت لم
تخبرني أن لك ابنا قبل زواجي منك ، ولم اخبر أنك
ولدت مني؛ فأنا لا أنجب ، فمن هو والده ؟
كتبت: اسمح لي باللقاء بك ، فكتب : عندما
يتحسن الوضع الصحي والأمني ، فكتبت تذكره
بحبه لها وإقناعها بالزواج منه رغم كثرة عشيقاته
وحياته الماجنة، فكتب لها : أن غرامياته كانت
مكشوفة لها ومعروفة ، وأنه لم يسع لتلد له ، ولما

أشفى بشكل تام ، سأسعى للقاء هذا الابن ألا تعرفين من أبوه؟ كتبت : اعرف أباه ، هو ليس لك ، وأتمنى أن أعرف لماذا لم تحب الإنجاب والذرية ؟والحياة بدون الأولاد تعيسة وبائسة، فكتب لها : اذا احدنا شقي فلماذا يشقي غيره ؟! ابنك مفقود أتحبين أن ابحث عنه؟ كتبت : هذا يحتاج إلى مقابلة كتب : أنا لا أستطيع المقابلة والمال يساعد في البحث ومكتب تحريات خاص ،كتبت : أتمنى لك السلامة لا أنسى الأيام التي عشتها في حمايتك، كتب: لم تكن أياما سعيدة ، سعدت بك أول سنة ، ثم تغيرت كليا وخنتني قبل الانتقال لوطني وقصري ، ثم خنتيني مع لوقان ، والأدهى والاحقر مع الخدم وعلى رأسهم جومار .. خادم يشاركك الفراش، رغم أني سمحت لك بتكوين علاقات مع الأطباء فكان ذلك غاية الذل والاحتقار ابنة العائلات الأرستقراطية تعشق وتزني بخادم حتى خجلت من معاقبته وطرده كما فعلتم مع الخادم رومو .

****

زارت سلوفانا المحامي في مكتبه ، وكلمته عن فكرة تكليف مكتب تحريات خاص فضحك وقال : في مسائل الخطف الشرطة أقوى وأقدر من مكتب تحريات ، ولو فرضا وسمعنا أن مايكل في مدينة أو قرية قد يستطيع التحري الخاص معرفة مكان الإخفاء فيها، أما على مستوى البلد وأوروبا فالشرطة اقدر أجهزة عناصر ، اتصالات مع شرطة الدول فالشرطة بأجهزتها وإمكانياتها عجزت ..فهل رجل واحد أو اكثر يستطيعون تحقيق شيء وبعد سنتين؟ القصة غامضة يا سيدتي ! العادة الخاطفون يخطفون للفدية للابتزاز وللانتقام ؛ ولكنك ذكرت أن لا أعداء لك ،وذكرت لي لو أن زوجك نذير حي لشككت فيه ، وها هو تبين أنه حي ، نحتاج لاعتراف منه حتى يتعرض لاستجواب ، وأدلة الشك لا تكفي للاتهام لو تم القبض على منفذ الخطف واعترف واتُهم السيد لتحركت الشرطة ؛ لأنه اذا لم يثبت الاتهام يرفع قضية ضدك بتشويه سمعته وشرفه أنت عشت سنوات على أنه ميت ، ولا تعرفين لماذا تظاهر لك بالموت ؟

قالت: لليوم لا اعرف القصد ، لو كان لا يريدني لاتفقنا على الطلاق كما فعلنا مؤخرا .. هو يتعالج في كوبا في مكان مجهول ، لماذا ! وهل هو صحيح؟ الله اعلم ، ترك مالطا لكوبا .. طول عمره يعاني من الكبد ، تعلق بالخمر من الطفولة لديه تشمع كبدي ويرفض الاجتماع بي.

قال: ربما وضعه الصحي لا يسمح بمثل هذه المقابلة ، وسافرت البرازيل لهذه الغاية ولم تتمكني من معرفة مستقر علاجه

قالت: نعم ، كما رويت لك ، وهو الذي أشار للاستعانة بالبوليس الخاص وأنه مستعد لدفع التكاليف .

قال: وكيف تشكين فيه؟!

قالت بضحكة ساخرة : يفعل للمراوغة يا سيدي ! فقد عاشرته عشر سنوات متواصلة، في ألمانيا سنتان وثمانية في بلده قبل تمثيلية الموت.. أنا لم احبه هو احبني ، وكان يساعد أبي في مشاريع تكاد أن تموت فساهم في إنقاذها بأمواله وخبرته الاقتصادية ، ولما انتقلنا للعيش في بلده هجرني فاتخذت العشاق وحصل الحمل ، فجئت إلى هنا وولدته دون أن يحس به ، واشتريت الشقة والخادمة والمربية ، وكلفتك بمتابعتها راتبا واهتماما بأمر مايكل ، والتفاصيل تعرفها ، رفضت الإجهاض كما طلب مني طبيبي الخاص هنا الدكتور انطون بلوكاي ، ولما اختفى الصبي فجأة كان نذير في نظري ميتا .. هو كان يعلم أن لي علاقات برجال غيره ؛ كما يفعل هو.

قال: وماذا نشاطاتك اليوم؟

قالت: ليس لديّ أي نشاط جدي .. أنا بين المسارح والأفلام والحانات .. حاولت اتخاذ صديق شاب ، دمنا أسابيع وهرب.. أنت تعرف الشباب يهربون من الأكبر منهم سنا لا يتمتعون معهن وبعد الأربعين المرأة تبدأ دورتها الشهرية تختل ، والفتيات الصغيرات يملئن الشوارع والحانات والكبار من الرجال يتعبون من الجماع.

قال: نعم ، المرأة تعاني في خريف العمر ومنتصفه وحتى الكبار يهربون للصغيرات وحتى أنهم يتفرجون على أفلام الإباحية لضعفهم الجنسي حتى في بعض البلدان الآسيوية وغيرها ترين فتيات الريف يأتين المدن الكبرى للبغاء والدعارة خمس ست سنوات وتعود للريف تتزوج من رجل كبير في السن وتفتح حانوتا في قريتها للعمل والدخل ، وعادة الكبيرات في الملاهي يقدمن خدمات جنسية للزبائن الضعفاء في مثل هذا الفعل ، فالأفضل هو الزواج وبشيء من المنشطات تستمر الحياة ، والشباب يحبون الصغيرات ولهن جاذبية ..تزوجي رجل من جيلك الشباب أو اكبر بسنوات .. الصغار يملوا الكبيرات بسرعة كما نلاحظ

قالت: أنفقت على بعضهم وهجروني دون كلمة الوداع

قال: لعلك لم تخسري الكثير

قالت: اكثر من عشرين ألف يورو

قال: مبلغ كبير كيف التقيتم بهم؟

قالت: في الحانات والمطاعم

قال: سأهتم بذلك.. هل لك شروط ؟ زواج رسمي طبعا لا

قالت: هل يقبل شاب أو رجل اصغر مني بي زوجة ؟

قال: المال حلال المشاكل يا سيدتي !

قالت: هل ترى المومسات مترفهات في حياتهن ؟

قال: لا اعتقد ، عليهن أن يعملن من اجل المال ولشراء المخدرات وإجراء الفحوصات ولا يصلحن إلا أن يكنّ مومسات ، ويستخدمن في التهريب ونقل المواد ، فحياتهن قبيحة والرجال يعاشرونهن لسرعة الخلاص منهن بدون تبعات ، وحتى بعضهنّ يغتصبهن دون أجرة.. الزواج اليوم شكلي لا المرأة مقتنعة برجل واحد ، ولا الرجل مقتنع بإمراه واحدة .

قالت بتحزن : المعاشرة عذاب رغم لذتها ، ويسعى إليها الناس، إن عرف العشيق أنني مع غيره نسيني أو أصبحت احتياط .. اليوم الإعلان كله نساء مغريات ومثيرات ؛ وإذا تزوجت احدهم سأكتشف أنه يذهب لغيري يأكل يسكر على نفقتي ويمارس قوته وشهوته مع صبية أو يرغبون بممارسات شاذة .. الإباحية ظاهرة عالمية ، ولا احد يفكر بعلاجها حتى صرنا نرى مسارح لممارسة الإباحية أمام الناس ليس أفلام فحسب

قال: الركض وراء المال والثراء السريع .. اذا وجدت باحثا عن الحياة الهادئة سأخبرك ..هل تحدث محامي طليقك عن الوثيقة التي نذير عنده لما تطلقتم ؟

قالت : رفض تسليمي إياها؛ لأنها لا تفتح إلا عند تحقق موت نذير

قال : أترين بها معلومات عن مايكل؟

قالت : هم لا يعرفون كما يزعمون.



حكايات الحي أبو خروف

عاقبة لص

الرحيل

هذه حكاية أخرى من حكايات حي أبو خروف وهي حكاية قيس وأمه عجيبة ، الناس في حركة دائبة ، ناس يسكنون في أبو خروف وأناس راحلون ، هكذا تكون الحركة في حياة الناس والأحياء .

كانت عجيبة أم ذيب قد طلبت من ابنها قيس ـ بعدما رجعت من آخر زيارة لزوجها السجين منذ عشرين سنة والذي على وشك الخروج ـ أن يجد لها بيتا في حي أبو خروف لرغبة الأب أن يسكن فيه بعد الإفراج عنه ، والسبب بسيط أن للرجل صديقا عرفه سجينا مثله من أهالي ذلك الحي المشهور في قلب المدينة المدينة بيت السلام ، فصديقه في السجن منصور قاسم الملقب بالعجل

يعيش فيه ، فقد قضيا فترة معا ، فأحب صقر راجي قضاء باقي العمر في جوار صديقه منصور ، واستمر منصور يزور صقرا في سجنه .

فمشى قيس الشاب المهندس منذ سنوات يسيرة إلى ذلك الحي الذي يعرفه كما يعرف أحياء أخرى من المدينة واستطاع بواسطة ذاك الرجل أي منصور أن يستأجر شقة في الحي .

وقبل مضي شهر كانون الثاني من عام ١٩٧٤ كانت الأسرة تستقر في أبو خروف ، في بناية مكونة من ثلاثة أدوار ، وكل طابق ثلاث شقق ، استقرت عجيبة ووالدها الهرم المريض شوكة في عمارة حازم محمود في الطابق الثاني .

وقيس صقر له معرفة جيدة لـحي أبو خروف ، وكان يأمل بتوبة والده بعد عودته وخروجه من سجنه بعد كل هذه السنوات وراء القضبان كما يقال ، وقيس لم يكن الابن الوحيد لعجيبة أمه ، فله شقيق يكبره بسنوات اسمه ذيب ، وهو عند أحداث هذه القصة من مأسي أبو خروف كان يقبع في السجن كوالده في قضية سرقة كبيرة .

وتعود معرفة قيس لحي أبو خروف لظروف الفقر والجوع اللذين عاش بهما ولدراسته الجامعة على نفقة جمعية البر لرعاية الفقراء والأيتام الكائنة في أبو خروف ، وهي جمعية نشطة ، ولها عدة فروع في الأحياء القريبة أيضا، وكانت هذه الجمعية ترعى أبناء السجناء والمنحرفين قانونيا وشرعيا .

فلما علمت الجمعية بحالتهم الاجتماعية حضنتهم ورعتهم خاصة الأم وولديها ذيب وقيس ، ولما فشل ذيب في مدرسته والتحق بالعصابات والشلل المنحرفة واللصوص توقف دعم الجمعية له ، وظلت الجمعية تتابع قيسا حتى اجتاز الثانوية العامة بنجاح باهر ودخل كلية الهندسة وتخرج منها مهندسا .

رأى قيس في الرحيل إلى أبو خروف بداية حياة جديدة ، وهو يعلم أن سيرة والده شائعة ومنتشرة ولا يمكن إخفاؤها ، وكذلك سيرة جده شوكة والد أمه ، وأن عليه أن يعيش مع هذا الواقع المر .

كان والده تجاوز الخمسين سنة فسيلزم السكون وعدم الرجعة للسطو والسرقة ، كما هو حال جده شوكة ، هذا ما حلم به قيس وهم يفتتحون بيتا جديدا في حي جديد .

الشقة مكونة من غرفتين نوم وصالة معيشة وحمامين ومطبخ ، كانت الأسرة بعد حبس صقر تعيش على دعم الجمعيات وإحسان أهل الخير ، ومثلهم الجد شوكة ، وكان الوالد يرسل بعض الفائض من عمله داخل السجن ، ولما باشر المهندس عمله أوقف تلك المساعدات ، وأخذ هو يدعم ويتبرع للجمعية رادا لهم الجميل .

أخذ شوكة المريض حجرة ، واستقر قيس وأمه

عجيبة في الغرفة الأخرى ، ووضع مكتبه الصغير في إحدى زواياها ، وكانوا يرقدون على فراش مطروح على أرضية الحجرة ، لا يستخدمون الأسرة بعد .

واستقرت مقاعد الاستقبال في صالة الاستقبال التي تواجه باب الشقة الرئيسي .

إذاً كانت الأسرة على موعد عودة الأب صقر طليقا من سجن طويل، سجن الحكومة الذي أمضى بين جدرانه ما يقرب من عشرين عاما بسبب عدة جرائم سرقة وسطو مسلح ، وقد قامت الأسرة بدهان الشقة وتبييضها قبل الرحيل إليها ، وقد عاد الهدوء لها كان الجد المريض مستلقيا على سريره الأثري والوحيد في البيت ناظرا للسقف الأبيض .

وكان قيس هو الآخر مستلقيا على كنبة أريكة في صالون الشقة ، وكان يفكر ويتذكر كيف تزوجت أمه من والده ؟ أمه لا تتكلم كثيرا عن حياتها الخاصة ؛ لكن مع السنين والأيام كملت الصورة لديه، كان والدها شوكة ـ العجوز القابع في تلك الغرفة ـ لصا ، قضى سنوات من حياته في السجن على تهم ثبتت عليه .. كيف التقى بصقر أبيه؟ التقيا في أحد السجون وترافقا رغم فارق السن بينهما ، جمعهما السجن والسرقة ، ولما كان يخرجان من السجون يعملان مع بعضهما في عالم اللصوصية ، وهو عالم عجيب ، عالم كله شر وفتنة ، ثم يقبض عليهما ، ويعودان للمكث وراء القضبان من جديد بعد أن تمتعا ببعض الحرية ، وبما سرقوا من أموال الناس زوجت العائلة شوكة بعد قضائه مدة حكم إحدى السرقات ، زوجوه مرغما لعله يعقل ويحس بالزوجة والمسؤولية ، زوجوه فتاة فقيرة راضية محبة للستر ، وعلى أمل تحسن حال الزوج وترك سرقة الناس والبيوت ، الفقر قوة للاستسلام والرضا بالنصيب .. تزوجها سترة كم يقال في مثل هذا الحال ، ولدت له ابنته الوحيدة عجيبة ، ولم يقدر له بعدها بمولود آخر ، لم يتعالج ولم يهتم بذلك ، وهي لجئت لبعض المشعوذين ووصفاتهم السحرية ، ولم يحصل نجاح ؛ لأنها تعتمد على الخرافات والجهل والغباء والاستدراج ، واذا نجحت حالة ضخمت وكبرت ، واذا فشلت نسي الأمر ، وذهب المريض المتعلق بقشة إلى حجاب وفتاح آخر .. ثم ماتت الزوجة بعد حين ، وتركت له البنت عجيبة ، فقبلت إحدى شقيقاته بتربيتها والعناية بها مع أطفالها الكثر ، تركها واستمر في مساره الظالم ، ولما يخرج من الحبس يزورها ويتفقدها ، ثم يعود للمدينة لمارسه رذائله وفحشه ، كبرت البنت وصار عمرها عشرين سنة ولم يتزوجها أحد بسبب سيرة والدها الرديئة ابنة لص مرد على

اللصوصية وسرقة أموال الناس، وأخته بدأت تلح عليه بأخذها للعيش معه ، وأن يستر عليها بزوج ، ورجل من أهل المدينة ، وأن سيرته السيئة تنفر أبناء القرية من مصاهرته والاقتران بابنته ، فشكا شوكة حال ابنته لرفيق لصوصيته صقر ، والمأزق الذي وقع فيه ، وتخلي أهله عنه وعنها ، فعرض عليه صقر الزواج منها ، فبعد تردد قصير قبله بعلا لكريمته ، ورأى أن ذلك حل لمشكلته مع ابنته فهو يستر عليها بالزواج ، وتدوم الصداقة بينهما وذاك تظاهر أنه فعل ذلك إكراما وحبا بشوكة ومساعدة له ، وقبلت عجيبة به زوجا لكبر سنها وبلوغها العشرين ، ولم يطلبها أحد للزواج .. وكما يقال ظل راجل ولا ظل حيط يعني جدارا ولم يكن أمامها الرفض والاعتذار .. فهي منذ سكنت في المدينة وهي تعرف الرجل صديق درب أبيها في عالم الشيطان .. وجرى زواجهما بسرعة الريح خشية أن يسجن أحدهما أو كلاهما .. فهما ما زالا يسرقان وينصبان ، وهيئت حجرة من حجرات بيت شوكة ؛ لتكون غرفة زواج ابنته وصديقه صقر ، وأصبح صقر رجل البيت ، فهو يصغر شوكة بأكثر من خمس عشرة سنة وقد سعت المرأة بإقناع زوجها بالعمل كسائق سيارة ؛ لأنه يحمل رخصة سيارة أو يعمل بائع خضار وفاكهة إما في دكان أو على سيارة نقل صغيرة كبائع متجول أو بقالة .. فيسخر من هذه الأفكار والاقتراحات ويقول : يا مجنونة خبطة واحدة عن شغل سنة أو بيع سنة .. فتصمت المرأة إلى حين ثم تعود لطرح الحلول .. ولد ابنهما البكر وسماه ذيبا .. وكانت تلد وزوجها يقضي مدة على سرقة قبض عليه فيها .. ولما خرج عادت تكرر عليه اقتراحاتها لحياة أفضل من أجل ولدهما .. وحتى لما كانت تزوره في السجن ، وتذكره بالحال والتوبة يستمر في السخرية منها ومن أفكارها ويترجاها بأن تصمت ، وتحفظ أفكارها لنفسها .. وأنها رضيت به ..وتعلم مهنته في هذه الحياة .. فتبكي وتلزم الصمت إلى حين آخر .. فتعاود الكرة ، فيقول : هذه حياتي يا عجيبة ، وأنا حر بها .. ووالدها شوكة بدأت تدهمه أمراض الخمر والدخان والحشيش ، وحتى بصره أخذ يضعف ، وخفت نشاطه الإجرامي ، وأصبح عاجزا عن مسايرة نسيبه حتى أن صقرا حاول التخلص منه والحياة بدونه ؛ لكن عجيبة رفضت التخلي عن والدها والحياة بدونه حتى ولو طلقها صقر .. فصمت الرجل فهي كانت تتقن مهنة الخياطة والتطريز بالحرير وأنها لا تعتمد عليه كثيرا في مصروفها ومصروف أبيها وابنها ، وفي أثناء هذه المنازعات ، ولدت ابنها الثاني قيسا ، وصمت صقر على وجود والدها معهم ، سكت على

مضض رغم أنه يسكن في بيته منذ تزوج ابنته ، فكان شوكة يدفع الإيجار ، ثم ابنته لما هبط عليه السقم ، رفضت الرحيل والتخلي عنه ، ومع المشاجرات الحادة والتهديد بالانفصال ،وأخذ الأولاد رفضت بشدة فكرة الحياة بدون وجود أبيها معها ، وكانت مدة سجنه فرصة راحة لها من تهديدات زوجها بالطلاق وكان شوكة يلزم الصمت أمام تلميحات وتلويحات صقر فقد أصبح ضعيفا لا يعمل ،لا يسرق لا يحشش ، وحاولت بعد مجيء قيس للدنيا الكرة والدعوة له بالتوبة والأوبة لكن دون فائدة ، وأخذ يعمل مع العصابات صغيرة كانت أم كبيرة ،ولما بلغ قيس سنته الثامنة وأصبح تلميذا في صفه الثاني كان صقر يحاكم بسطو مسلح على مبنى إحدى الشركات المالية ، وإطلاق النار من سلاح ناري على أحد الحراس ـ وقد أصيب الحارس في غير مقتل ؛ ولكنه أصيب بشلل كبير ـ وحوكم بعشرين سنة سجن فعلي مع الأشغال الشاقة على هذه القضية العنيفة ، وغيرها من الجرائم .

وظلت عجيبة رغم هذا الحكم الكبير على ذمته كزوجة ، كما كانت وفية لأبيها .. وزاد اهتمامها ببنيها ذيب ابن الاثنتي عشرة سنة ، وقيس ابن السنوات الثمانية ، وكان ذيب قد أخذ ينحو نحو والده وجده في السير نحو الانحراف ، ويهرب من المدرسة ، ويسرق زملاء المدرسة أو يعتدي عليهم بالعنف ، ويرسب في الدراسة ، ويعيد الصف مرة ثانية ، وبالكاد ينجح ، ثم يصاحب رفاق السوء والخمر والدخان ، ولم يكن أمام تلك الأم إلا الدموع والحزن

حلم قيس

وبينما قيس يتذكر هذه المشاهد واللقطات من حياتهم التي قد عرفها مع طول هذه السنين التي مرت سمع أمه تنادي عليه ليتناول طعام الغداء ، فعاد للواقع للحظات التي يعيشون فيها فنهض واقفا يتمطى ويحرك يديه بحركات رياضية ، وعاد يسمع أمه تسأل : أتريد أن تتغدى مع جدك أم في المطبخ ؟

– سآكل في المطبخ . ومشى إلى المطبخ حيث توجد مائدة للطعام ، حولها كرسيان ـ فأمه تارة تأكل معه وتارة مع أبيها ـ فهو منذ سنوات لا يحب الأكل مع الجد الذي يأكل في غرفة منامه

وكان من النادر مشاركة جده المائدة خاصة بعدما هبط الجد ، وصار يأكل راقدا في غرفته ، سكبت له الطعام ، ثم أخذت لها ولوالدها على طبق آخر ، فلما وضعت الطعام والخبز أمام الجد ، قال لها اللص المتقاعد بسبب الأمراض : أين الولد ؟

ـ يأكل في المطبخ

تمتم ساخطا : إنه لا يحب الأكل مع اللص الفاجر

قالت بامتعاض : دعنا من هذه الكلام الفارغ .. ثم تابعت بعد سكوت ضئيل : هو الذي خرجت به من هذه الدنيا .. المسكين كلما أطلب منه أن يتزوج ينظر إليّ قائلا ومن تقبل بي يا أمي؟.. عندما يعرفون من أبي ومن جدي يهربون

فقال العجوز ساخطا : ومن قال له أن يتعلم ويدرس في الجامعات ؟! .. وهل خلت الدنيا من الشر والأشرار واللصوص والحرامية ؟.. لي أكثر من عشر سنين طريح الفراش ، وعايش على صدقات الناس .. يأكل معي أو لا يأكل دعينا منه يا عجيبة .. أخوه ذيب بطل هو الابن الحقيقي لنا

أكل العجوز بعض الطعام ، ثم قال وهو يبعد الصحن من أمامه ببعض العنف والضيق : هذا الطعام ليس لي .. وهل أحب أنا مثل هذا الأكل يا عجيبة .. هذا طعام مصنوع لهذا الشيطان قيس

قربت الصحن إليها وقالت : يا أبي .. قيس اليوم مهندس سيد العائلة .. وهو الذي ينفق علينا ولو كان نذلا لهجرنا بعد نيله شهادته .. عشرات المرات قدمت لك هذا الصنف من الطبيخ والنفيخ .. دعك من قيس .. الذي تحبه اذكره لي .. وأنا أحضره لك ..وأطبخه لك

التفتوا إلى الباب الذي يقف فيه قيس ـ وقد سمع آخر الكلام ، وهو لم يكن جديدا على مسامعه

ـ فقال زاعما الغضب : لا يهمني ما تقول أيها الجد ،ولا يهمني ما يقول أبوك يا أمي .. سأذهب للجامع لصلاة العصر .. هل يلزم البيت شيئا من السوق والدكاكين .. غداً سأعود للعمل فقد انتهت إجازة الرحيل .

قالت باعتذار :لا تتضايق يا ولدي مما تسمع .. إنما هو جدك .. فهم لا يعرفون الأخلاق الحسنة إلا بين بعضهم البعض .. إنه أبي!!

ـ أعلم يا أمي .. فليقل ما يشاء في شخصي .. وهو جدي شئت أم أبيت هل أحضر شيئا.. بيض .. جبنة .. لبن

فقال الجد : ألا تريد ترك الجامع والصلاة يا ولد ؟.. أتجد أحدا في الجامع غيرك ؟

ـ لماذا لا تصلي أنت يا شيخ يا هرم ؟.. تب إلى الله

قهقهه العجوز ، ونسي مشكلة الطعام التي افتعلها قبل دقائق وقال : لا أعرف الصلاة .. ولا أذكر أني صليت يوما مع أن أبي شيخ لا يقطع فرضا مثلك ؛ كأنك طالع عليه يا ولد .. أريد سجائر يا عجيبة

فهم قيس الرسالة فقال : أنا لا أشتري السجائر .. لما تنزل بنتك السوق تشتري لك السجائر

فصاح الجد : حرام هي السجائر ؟!

ـ تحدثنا عن ذلك كثيرا يا سيد شوكة

ـ ألا تريد أن تتزوج يا ولد لنتخلص منك ومن لسانك الطويل ؟

ـ لما يريد ربنا سنتزوج .. كله بأمره

غادر قيس الشقة وهو يدرك كم يكن له جده من الكره بسبب أنه لم يسير على دربه ودرب أبيه فعندهم حياة السجون رجولة وبطولة .. فهم يريدونه أن يكون فاسدا لصا مثلهم ، يقتات على جيوب المال الحرام ؛ لذلك لم يكن يلقى بالا لكلام جده السقيم ، ويضطر لحد لسانه في بعض الأحيان على أمل أن يصحو من غفلته ويتوب قبل موته ، لذلك كان الجد محبا للذيب ؛ لأنه سائر على طريقهم وشرورهم ، فهو يريده شيطانا مريدا ، وبذل الجهد لصرفه عن المدرسة والحياة السليمة ، وهو الذي أفسد شقيقه ذيبا بالحديث عن بطولاته ومغامراته ووهمياته وحياته البطولية في السجون ، وإزعاجه رجال السجن والشرطة ، فسقط الذيب في فخ تلك الوهميات والمغامرات الوهمية في الاستيلاء على أموال الناس بالباطل .. فالفاسد يريد أن يكون كل الناس فسدة مثله ، كلهم شياطين .. ولكن الله نجاه من كيده ومكره .. ويذكر أن جده قد عاش فترة وحيدا ، ولكن بجوارهم حتى لا يطلق والده ابنته ، ولكن لما هبطت صحته وسجن الأب تخلى عن بيته ، وعاد لبيت الابنة نقل الفراش لبيتهم ، وقد كان طعامه دائما معهم ، وكانت الأم ترفض أن يعيش بعيدا عنها ، فليس له إلا هي .. فتقبل قيس مع كبره هذا الوضع .. وسكت عن لسان جده .. ويرد عليه في بعض الأحيان على هذه الألفاظ القبيحة .. ويستاء من معاقرته للخمر في البيت .. والإكثار من الدخان .. ويحتج على استقباله لبعض رفاق السوء في بيتهم ، ممن عرفهم أثناء حياة السرقة أم زملاء السجون.. لقد كان قيس سعيدا بعدم تعلقه بجده ووالده ، وكان مشفقا على أمه غاية الإشفاق ، وكان سعيدا لأن أمه كانت تشجعه على الصلاة والعبادة وتسحره في رمضان .. وتراه الجوهرة الوحيدة في البيت .. وكان هو الآخر يسر لما يرها تصلي وتصوم .. ويحزن جدا لما تترك ذلك .. كانت تقضي أياما في الصلاة ثم تترك ، وتعود للكسل والعادة التي شبت عليها مع أنها تعلمت الصلاة والصوم عندما عاشت في بيت عمتها عدة سنوات .. فقد درست بضع سنين وصلت وصامت حتى رجعت للحياة مع شوكة .. فتركت ذلك ، فكانت تتحمس في بعض الأحيان وتنافس قيسا في القربات والطاعات .. ثم يعود لها الضعف والتقاعس عن العبادات .. فهي بين رضا ابنها الطيب ورضا أبيها الخبيث .. فهي تعلم وغيرها أن المرض والضعف البشري سببا ترك والدها للسرقة والسطو على منازل ومتاجر الناس .. فهو يرى ذلك نوعا من البطولة والشجاعة ، وله الحق في أموال هؤلاء .. فكان مفتخرا متباهيا بتلك

السرقات ويبكي ويتحسر على تلك الأيام كأنها بطولة حقيقية قام بها

ذهب قيس للمسجد مسجد أبو خروف لأداء فريضة العصر ، فمنذ وعى وهو يصلي في المساجد يجد فيها الراحة والسكون والحياة السعيدة رغم قصر الوقت فيها (رجل قلبه معلق بالمساجد) فهو يصلي في المسجد الصلوات الخمس ، وحتى أثناء عمله يسعى لأقرب بيت من بيوت الله للصلاة أو يصلي جماعة في مصلى الدائرة التي يتواجد فيها لأداء عمل أو شغل ، فهو يحافظ على الصلاة والصوم منذ شب ووعي أمر الإيمان والدين .. ويصبر رغم البيئة التي شب وولد فيها التي تمجد الانحراف والزيغ ، ورغم الهجوم والاستهزاء من رفاق المدرسة وأبناء الحي وسخريتهم من صلاته وعبادته ومن جده وأخيه ذيب .. رغم كل ذلك صمد وصبر ونجح في الثانوية العامة ، وقبل في الجامعة ، ودرس على نفقة جمعية الفقراء والأيتام التي يمتد نشاطها لكثير من أحياء المدينة ، وليس هو الوحيد الذي تعلم على نفقة الجمعية وأهل الخير كما يسمون في المدينة والأحياء .. وكان يحلم بعد تخرجه وعمله كمهندس أن يجد فتاة طيبة تقبله كزوج ، أن يجد أسرة تغض الطرف عن سيرة أسرته كأب وجد وأخ .. فكانت سيرة الأسرة كعائق لمحاولتين زواج .. يحلم أن يجد أسرة كريمة تمنحه هذه الفرصة والحياة السعيدة والطيبة



جابر

قضى قيس صلاة العصر في مسجد الحي ، ومشى نحو محلات بيع الفاكهة والخضار واشترى ما يستطيع حمله ، وكان في طريق عودته يمر من أمام بقالة أبي صالح كمال الذي عرفناه في أول حكايات أبو خروف ، بل كانت مأساته أول المآسي التي بدأنا بها قصص حكايات أبو خروف كانت شقة قيس في وسط شارع النخلة الذي يتفرع عن الشارع العام للحي في عمارة حازم محمود العليا لأن الرجل له عمارة أخرى في القسم الشرقي للحي ، فيستطيع الوصول للمسجد من جهة الشارع العام أو من جهة شارع جبل أبي خروف .

فلما مر قيس من قدام الدكان ، كان جابر كمال يقف أمامها فألقى عليه التحية ، فردها جابر ، ولما عرف شخص من حياه نادى عليه بصوت عال : قيس قيس . فتوقف قيس واستدار إليه ثم رجع إليه وقال: نعم ، إنك تنادي عليّ .

تصافح الرجلان وقال جابر : مرحباً بك يا جارنا الجديد

– أهلا أخ جابر .. هل من خدمة ؟

- كيف حالك أولا ؟

- بخير كيف العم أبو صالح ؟

- بخير يا حضرة المهندس .. هناك حساب لأمك .. لا أدري هل أفتح لها صفحة في دفتر الديون أم ..؟

قال قيس : اسمع يا أخ جابر طعام خضار عصير أنا أدفع لك ثمنه .. أما الدخان والسجائر فلا دخل لي في تسديدها .. تسددها لك أمي .. الدخان حرام ولا أدفع ثمن حرام.. فأبوها مدخن ابتسم جابر دهشة وقال : آ ، فهمت يا حضرة المهندس !

- أي حساب سوى الدخان كلما أمر من هنا أو أشتري من عندك ذكرني به وسأدفع لك الثمن فورا إن شاء الله

- حقيقة أغلب هذا الحساب دخان وعلب دخان

قال : أمي تدفع لك .. هل صحيح أن الحاجة أم ريان خالتك ؟

- طبعا الحاجة أم ريان شقيقة امرأة أبي .. أنا أمي ماتت قديما هي خالة إخوتي الآخرين

- رحمة الله على والدتك .. أم ريان سيدة فاضلة أنا درست الهندسة على حساب جمعيتها أو الجمعية التي تعمل بها

- إنه لا يخفى شيء في أبو خروف .. وأنت حديث عهد به .. فأنت البطل الحقيقي يا قيس في عيني وعين أهل الحي .. فأم ريان تثني عليك خيرا .. وأنت في نظرها من الأمثلة الحية للنجاح في الحياة .. فقد ذكرت صعوبة الحياة والظروف التي تعيش فيها ، إنها معجبة بك

- شكرا لك وأنا أعلم أن لا شيء يخفى عن عيون الناس وآذانهم .. فجدي والد أمي يضرب به المثل في عالم الحرامية .. لا أحد يستطيع الاختباء والاختفاء عن أهله .. لقد تعرفت على أخيك فريد ، فهو شاب جيد وهو من رواد المسجد .. وخالتك نموذج طيب للنساء في أبو خروف سأسعى لزيارتها

قال جابر : العم منصور صديق أبيك إذاعة كثير الكلام .. وهو يعتقد أن عمله ومغامراته بطولات وعمل فرسان

ابتسم قيس وقال : الغرور والهوى .. اللص لا يكون بطلا أبدا ، بل إبليس اللعين .. فهم يزعمون مزاعم ساذجة باسم حق الفقراء .. يظنون بأنفسهم بالبطل الخيالي التي تنشر قصصه أرسين لوبين .. نحن جيران .

فقال جابر : نعم الجار ..أنا أقدر شجاعتك بعد أن عرفنا بعضا من حياتك .. ثبتكم الله على الطاعة

- جزاك الله خيرا ، سلم على العم أبي صالح .

تابع سيره اتجاه عمارة حازم محمود التي تقع في نفس الشارع شارع النخلة ، ولما دخل الشقة رد

السلام ، وقال لأمه وهو يضع الأكياس في المطبخ حيث تبتعه أمه ، وأخذت تضع الأشياء في الثلاجة البراد على لغة بعض الناس : كنت أتحدث مع جابر ابن أبي صالح

- أتشرب الشاي أم القهوة ؟

- سنشرب العصير لقد أحضرت بعضها من عند أبي صالح عندما استوقفني جابر

- العجوز ..إنه في طريق البيت من ناحية الشارع الرئيسي

- له حساب

- أطالبك بالحساب؟

- سألني الابن جابر هل نضع لك اسما في دفتر المدينين أم أدفع له ؟ فقلت له حساب المواد كلها ما عدا الدخان أدفعها كلما نتقابل ، والسجائر تدفعها أمي .. كما كنا نفعل في حيينا القديم يا أم ذيب

قالت : يبدو أن والده لم يخبره بذلك .. أنا طلبت منه أن لا يطلب منك شيئا ، أنا أدفع ثمن دخان جدك .. الرجل العجوز لم يكلم ابنه عن هذا الترتيب

- لماذا لا تدفعين ثمنه عند الشراء ؟ ألا أعطيك مصروف الشهر كاملا يا أمي ؟

- إنك تفعل وأحيانا ينقص ما أحمل منه فأؤجله بمشوار تالي ، وربما لتعودي على فعل ذلك في الحي القديم .. هو مبلغ بسيط الذي يبقى عادة .. لا تزعل .. يا ابني أنت أمل الحياة أنت البسمة التي خرجت بها من الدنيا

- الحمد لله الذي أخرجني من الظلمات إلى النور .. العم منصور حدث الناس بكل قصتنا وتفاصيلها

- هذا نصيبنا ، وأنا لا أدري لماذا أصر أبوك على رحيلنا إلى هنا إلى أبو خروف !

لما أتت ليلة الجمعة الثالثة للرحيل قال الجد شوكة لابنته: هل ستذهبين للزيارة غداً؟ فالسجين ينتعش بزيارة الأهل والأصدقاء ، ومنذ سكنّا هنا لم تزوري أحدا .. فلابد أن تذهبي لزيارة أحدهم .

قالت المرأة بعد صمت : سأذهب هذا الأسبوع لزيارة ذيب ، فلي شهر لم أمر عليه

فعاد الشيخ يقول : اذهبي إلى صقر وأخبريه بأمر الرحيل والانتقال إلى حي صديقه منصور

- جاء أمس وأخبرني عند الباب بأنه سيزور صقرا ، ويسألني مرافقته ، فقلت له : لي أكثر من شهر لم أزر ابني ذيبا ، ولم أره .. آه ! يا أبي قضيت سنوات عمري وأيامي في زيارة السجون

- هذا نصيبك

فقالت بضيق : ألم تجد أحدا تزوجينه إلا ذلك اللص ؟

– وهل تقدم إليك غيره ؟

– أنت السبب ، لو كنت رجلا صالحا لتقدم إليّ الكثير .. من يقبل ابنة شوكة الحرامي ؟

قال بسخط : أنا لا أحب الولولة والندم ، لم أجد من يقومني

كان قيس يقف بالباب فأجاب : أبوك طيب وأخوتك أناس محترمون .. أنت الفاسد بينهم .. السائق صبحي في العاشرة صباحا أمام العمارة لنقلك إلى سجن ذيب

فصاح شوكة وقال: كم أكرهك ! أنت شيطان

ضحك قيس وقال : أنا شيطان وأنت ماذا ؟

– لا أحب أن أسمع هرجك .. لو أنت بطل مثلنا ، لم تتهكم علينا

عاوده الضحك وقال : بطل بطل ! تسرق أموال الناس وكدهم وتعبهم وتزعم ذلك بطولة .. ها هي ابنتك المسكينة تقضي عمرها في زيارة الأبطال

– السجن للأبطال .. يوسف الرسول قضى سنوات في السجن .. ألا تقرأ هذا في القرآن يا سيادة المهندس ؟

اضطر قيس للقهقهة على منطق جده وقال: تقارن نفسك بالنبي يوسف .. ذاك هو البطل الحقيقي .. رفض الزنا .. رفض أن يكون خائنا لسيده الحاكم .. عشيقا لزوجته قبل السجن.. وأحبه حتى لا يخون ويزني .. لتعلق المرأة به .. يوسف لم يسرق ولم يزن

ضغط العجوز على نفسه وقال ضجرا : إني لا أحب سماعك.. متى ستغادر هذا البيت للابد ؟ لسانك أطول منك يا رجل .. اذهب وتعرف على أبيك قبل أن يخرج من الحبس

– ماذا سأرى ؟! سأرى لصا سارقا لبيوت الآمنين ..رجل تخلى عنا صغارا

قالت عجيبة : دعك من مناقرة جدك .. زيارتي الأسبوع القادم لصقر .. ومنصور صديقه سيزوره غداً ، ويعلمه برحلينا لحي أبو خروف والتفتت لقيس قائلة : أنا لا أعرف كيف ستعيش معه عندما يخرج ؟!

– سأجرب الحياة معه ؛ فإن همد وترك حياة اللصوصية مثل هذا الجد سأتحمل العيش معكم والإنفاق عليه .. وأما إن أراد العودة للفساد بعد هذه السنوات من العقوبة سأضطر إما للسفر خارج البلاد أو استئجار شقة خاصة بي ؛ بل قد أشتري شقة ، فصاحب لي يبيع شققا .. ولن أتخلى عنك يا أمي .. أنت ضحية مثلي من ضحايا هؤلاء الفساق

صاح شوكة: أنت علة قلبي يا ملعون .. أرسلك الله عذابا لنا في الحياة الدنيا وعقابا .. لم ننجح في تعليمك [كارنا] ..أصبحت شيخا تصلي وتصوم لتحاسبنا

- لم أنس سعيك في تعليمي الضلال والانحراف وشرب الدخان في أيام الطفولة .. لولا ذاك الشيخ الفاضل قال لي : يا بني أنت صغير على هذا الدخان .. تحرق بدنك قبل أن يشب .. لا أنسى إرسالي لشراء التبغ والخمر .. أنت جد سيء .. لولا هذه المرأة المسكينة لرميتك في الشارع .. لقد حملتمونا العار

صرخ العجوز مهتاجا : الأفضل يا عجيبة أن يرحل ابنك قبل خروج صقر .. أنا قد أحتمل سلاطة لسانه.. أما صقر فلا .. لن يحتمل سماع هذا الكلام

قال قيس : وهل هذا كلام مفترى ؟ أنتم تفتخرون بمثل هذه الأعمال ، وتتباهون بها .. أنت تتحدث بها أمام منصور .. تتحدث عن خبطاتك الكبرى وتعتبرها مغامرات وبطولات

صرخ شوكة : نعم هذه هي حياتي

- وها أنت تدفع الثمن طريح الفراش والأمراض

صداقة المسجد

في مطلع الأسبوع انطلق قيس لعمله حيث يعمل في إحدى شركات الإنشاء والإعمار ، وأثناء دوامه أقبلت ورشة تمديد الهواتف المنزلية وشبكت شقته بشبكة الاتصالات الأرضية ، فهو قدم طلب الهاتف منذ استقر في أبو خروف ، وخلال أسبوع الرحيل ، فلما عاد في المساء وجد الهاتف قد نشط وفعل فقال : جميل أن يكون لدينا تلفون منزلي ! .. وكتب على ورقة هاتف الشركة التي يعمل بها ، فأمده لأمه وقال : هذه رقم الشركة عندما تحتاجينني لأمر ضروري اتصلي به كالسابق ، وهم يخبرونني بطريقتهم الخاصة .. وأنا أتصل بك من أقرب هاتف ؛لأن الورشات قد تكون خالية من خط تلفون وهي في أول قيد الإنشاء .. ويمكنك إعطاء رقم البيت الجديد لذيب ليتصل بك إذا سمح له بذلك .. فهم أحيانا يسمحون للسجناء بالاتصال بذويهم وأهليهم .

وبعد صمت يسير قال : ربما أتعاقد مع شركة خارج المدينة أو البلد .. أنا لا أرغب بالاصطدام بأبي .. فتركه لعمله المنحط لن يكون سهلا عليه .. وقد شب وشاب عليه .. واذا علمت بتحسن حاله وتوبته عن الحرمنة سأعود إليكم .

قالت بحزن ظاهر : وتتركني يا بني !

- لا أحب أن تسمعي صراعنا وصياحنا .. أتقبلين أن أتصل بالشرطة إذا مارس أبي سرقته من جديد ؟ أم تريدين أن أصمت عن الحرام ؟!

- أنت لم تعاشر أباك !

تظاهر بالابتسام : أبي حرامي معروف على مستوى الدولة كلها .. ألم يحدثنا رجل دربه منصور بحرمنتهم حتى في السجن ؟! .. كان على أبي أن يغير نمط حياته بعد عودته من السجن أول مرة أن

يعمل سائقا أن يعمل في محل بيع كما عرضت عليه ، أن يعلم أنه رب أسرة وأطفال .. المال الحرام زائل لا يدوم ..كان عليه أن يطعمنا الحلال لا الكسب الخبيث .. ألم ينفق عليّ سبع أو ثمان سنوات من ماله الخبيث؟ أنا أعرف سيرة أبي وأبيك بالتفصيل الممل .. وأعرف بعض الأسر وأفرادها .. فهم يتحدثون عن سرقتهم لذهب أمهاتهم وأخواتهم وأقاربهم .. فالناس تعرفكم وتعرف صداقة منصور لأبي ، وأن صحبتهم صحبة حرامية ، وأنهم سرقوا المنازل والمحلات سوية .

قال شوكة بعد صمت طال منه: لسنا الحرامية وحدنا في هذه الدنيا .. كل بلد فيها ما يكفيها .. لا أتخيل بلدا في العالم لا يوجد فيه أشرار مثلنا ؛ لكننا أشرار صغار يا حضرة المهندس .. هناك رؤساء يسرقون بلادهم ، ولا أحد يحاسبهم ويتشاطر عليهم ويحبسهم مثلنا

– الله سوف يحاسبهم يوم الحساب .. من لم يحاسب في الدنيا فسوف يحاسب غداً .. عندما توضع الموازين القسط ليوم القيامة .. ويا سيد قد ينحرف الإنسان في حين لظروف تربوية سيئة لفقر ليتم لأي سبب ولضعفه البشري ؛ لكنه يرجع يستيقظ يتوب بعد سجن وسجن بعد عقاب بعد مرض ومصائب يؤوب ؛ ولكنكم تزدادون إجراما وعنفا .. ألم يطلق السيد الوالد على الحارس النار ؟! وسبب له إعاقة أبدية ، ما زال الرجل مشلولا كما سمعت من أبي .. كم مرة حبس قبل الزواج من ابنتك ؟ أما في ذلك كفاية وأوبة وكف عن الشر .. زوجة أولاد ألا يدفعه ذلك للاستيقاظ والارعواء ؟! هذه المرة طال حبسه ؛ لكننا لم نسمع بأنه ندم تاب صلى ؛ بل يقول منصور : إنه يهدد بالانتقام ممن ؟ من الحارس المعاق منذ سنوات .. سنوات قضاها عن مجموعة من القضايا والجرائم سرقة واعتداء على الحارسين ومحاولة قتل أو شروع في القتل .. قضى أحدهما هذه السنوات كلها إذا ما زال حيا في حالة شلل دائم .. عاجز عن القيام بواجباته وامرأته كما أخبرت تركته بعد عامين من الحادث .. مأساة بمعنى الكلمة .. وأولاده ذاقوا المرار والذل .. كانوا صغارا مثلي أيام الحادث .. أليس هذا ظلما وإجراما يا سيد شوكة ؟! أهذا الذي يفتخر به أمام الخلق ؟! فبسببكم لم يقبلني أحد زوجا لكريمته .. حاولت أمي مع بعض العائلات الطيبة وجاء الرفض .

قال شوكة : لو أنت تقبل الزواج من بنات أصحابنا لتزوجت من أول الدهر

ضحك قيس ونظر في وجهه أمه وقال : الإسلام طلب أن نجد الصفة الطيبة الصالحة في أم الأولاد على أمل أن يكون أولادي ـ اذا شاء ربي ـ ذرية طيبة لا فاسدة مثلكم .. سأصبر حتى أجد

البنت الكريمة .. الحمد لله الذي أخرجني من الظلمات إلى النور .. أنت رجل تجاوز الستين ولم تسجد لله سجدة .. تب إلى ربك .. اندم ماذا تنتظر ؟!

صرخ شوكة ممتعضا : لست أنت الذي سيحاسبني

- أنا لا أحاسبك .. الله تعالى هو الذي سيحاسب الجميع .. إني أنصحك .. أذكرك بربك .. آمُرك بالمعروف والندم .. هذا واجبي نحوك ..لا تظن أني لا أشفق عليك .. ولا تظن أنني لا أدعو لك ولأبي وأخي بالهداية والتوبة والعودة للدين .

اعترض شوكة فقال : اسمع يا إنسان ، لا تدعو لي يا رجل .. ادعوا الله أن يخلصني ويريحني منك .. هذه حياتي وأنا حر فيها

تضاحك قيس لثوان وقال : أنت حر ! ومن قال لك ذلك ؟! .. هذه الحياة منحة لتعمل في طاعة ربك .. إنها دار اختبار وابتلاء

- أتمنى أن أصحا من نومي ولا أراك بيننا .. متى ستسافر يا ابن عجيبة؟

- تتضايق من دعوتك للدعوة والتوبة .. أنا لا أقصدك وحدك .. قصدت معك هذه المسكينة

قالت : أنا أعلم أن نصحك وكلامك للجميع .. ماذا أفعل للكسل

والضعف؟ إنهما يسيطران عليّ سأجدد توبتي ، وسأذهب لصلاة المغرب .. أظن أن المغرب قد اقترب

- سيؤذن بعد وقت يسير .. سأمشي للمسجد أتريدين شيئا ؟



تعمقت الصداقة والمعرفة بين قيس وفريد كمال وطلال جمل ، وذلك في ثنايا مسجد أبو خروف فهم يجلسون بعد صلاة المغرب في إحدى أركان المسجد للحديث ، وانتظار الصلاة رغبة في ثواب انتظار الصلاة إلى الصلاة ، وأيضا لقصر الوقت بين الفرضين خاصة في فصل الشتاء ، فربما بينهما ساعة وربع تزيد وتنقص ، فليل الشتاء في بلاد الشام طويل ، والنهار قصير .. فبعد أداء الصلاة وانصراف الكثير من المصلين ، يجلس الشباب الثلاثة للحديث والمناقشة في مسائل شرعية قديمة وحديثة ، ثم ينتقل الحديث إلى مسائل عامة أو أخبار شائعة في البلد أو الحي ، وقد يعودون للحديث الديني مرة أخرى .

وكثيرا ما ينحرف الحوار بينهم إلى الحديث عن سبب تأخر زواج قيس ، حيث لا ينقصه المال وقد تجاوز الخامسة والعشرين من العمر ، وما زال أعزبا ، مما دفعه ليصارحهم بظروفه الخاصة وسيرة

والده وأخيه وجده السيئة الذكر ، فعقب طلال ـ وهو قد سمع هذه القصة من أهل الحي ـ فقال : ولماذا تتحمل عبء فساد من هو أبوك ؟

– لقد سعت أمي لتزويجي وخطبة فتاة لي ، ولما علم أهلها بسيرتنا الحسنة ـ ضاحكا ـ اعتذروا فأبي مسجون وأنا لا أستطيع الزواج من فتاة من أصحاب أبي وجدي ؛ فإذا جنى أبي عليّ فلن أجني أنا على أولادي.. إذا يسر الله لي الزواج .. فالقضية أني أريد فتاة طيبة متدينة من أسرة كريمة

– وأنت شاب فاضل متعلم وتحمل شهادة وتعمل مهندسا كما أخبرتنا في جلسات سابقة ، ورغم الانحراف الشائع في الأسر هذه الأيام ؛ لكنهم عند الزواج يتخوفون ويخشون المستقبل هل تحب أن نساعد في ذلك؟ لعلنا نجد لك ما يسرك ؟

خجل أن يجيب مباشرة فقال: لو انتظرنا بعض الوقت .. فأنا كما أخبرتكم من قبل في انتظار خروج أبي من سجنه بعد ثماني عشرة سنة قضاها خلف القضبان والقيد .. قضى سنوات شبابه وعمره في السجون .. وهو على وشك الإفراج والخروج من مهاجع السجن .. وأنا منذ كبرت سني ، ودخلت المدرسة الثانوية لم أره ، لم تطب رؤيته وراء القضبان في قضايا لا تشرف الإنسان فلو حبس في قضية ظلما ؛ لكان الخطب أسهل على النفس

وبعد صمت عاد يقول : ربما أترك البيت إذا لم يعدني بالتوبة وعدم العودة لحياة اللصوص أو أسافر للخارج للعمل في إحدى بلدان العالم الغنية

قال طلال وقد انشغل بفكرة زواج قيس : وما يمنعك من الزواج سواء خرج أبوك أم سافرت للخارج أم استأجرت شقة تعيش فيها أنت وزوجك ؟! وهذا لن يزعج أمك ستبقى قريبا منهم مستقلا بنفسك .. أرى الزواج مناسبا لظروفك مع عودة الأب الذي سيحتاج لفترة حتى يتأقلم مع الحرية بعد سنوات طويلة

قال فريد : وقد يأخذ البحث عن الزوجة أشهرا وليس أياما وساعات

وبعد صمت قال قيس : الزواج مسؤولية وأسرة وعلاقات .. صدقوا أني راغب بالزواج .. وإنما حسن الاختيار مطلوب ، وهو من أهم أسس بناء الأسرة الصالحة والزواج السليم .. لقد تحدث فريد عن دور زوجته في إعادة ترتيب حياته وتوبته وإخراجه من اليأس بعد مأساة شقيقته وضعفها أمام الإغراءات والفساد .. كانت قصة مؤلمة أدمت القلب .. وأنا أتمنى من كل قلبي لأبي صالح بالهداية والتوبة .. وأنا أقدر لخالتك أم ريان الدعم الكبير لي ولأسرتي بعد حبس أبي فهي نعم الأم لي .. لا أنسى دورها في حياتي وإنقاذي من براثن الجوع والعري والفقر وقد نلت الشهادة بدعم من

قال فريد: خالتي تذكرك دائماً بخير .. وتكبر فيك الإيمان والشجاعة .. وأنك تقدم اليوم للجمعية بسخاء .. فكلما أزور الحاجة أم ريان إلا وتسألني عنك لما عرفت برحيلك إلى هنا والتقائنا المتكرر في المسجد

– هذا الكلام المؤلم يا طلال .. فدعمي هو لتقوم الجمعية بإنقاذ غيري كما أنقذتني .. أنا مدين للجمعية بأكثر من عشر سنين من الإنفاق والمساعدة يا أخ فريد .. اكتم ذلك لا تشيعه .. أما الزواج فلنصبر حتى يخرج السيد الوالد من الحبس.. سيفرج عنه خلال هذه السنة .. أنا جدُ شاكر لمشاعركم وتعاطفكم معي .. وأشكر صدق هذه العواطف وهذا النبل

قال طلال : لي ابنة عم متخرجة من كلية شريعة منذ أشهر كنت أرغب بمفاتحتها بظروفك .. وإذا رفضت فخالة فريد قد تتدخل في الموضوع .. فلها جهد في مثل هذه الزيجات .. فقد ساعدت كثيرا في التوفيق بين الرؤوس .. والناس تقدر تدخلها

– ذكر لي فريد قصة زواج شقيقه الأصغر ناجح بمساعدة قوية من أم ريان ، وله اليوم طفلان

قال فريد : قامت بدور كبير ما زال يذكر لها ، وطلال له جهد في مثل هكذا مشاريع.

قال طلال مشجعا لقيس على النكاح : عندما تقرر بشكل جدي يا قيس أنا أحاول مع ابنة قريبي فأنت رجل يخدم ومن أهل الإيمان

كانت أم ذيب تجهد نفسها وتزور زوجها مرتين في الشهر ، وذيبا مرة واحدة في الشهر الواحد ، تأخذ بعض الطعام المسموح بإدخاله للسجين والفاكهة وعلب السجائر .. وتجلس معه ساعة قد تزيد نصف ساعة أخرى حتى ينتهي وقت الزيارة الرسمي .

ولما تخرج المهندس قيس وتوظف ، كلف أحد السائقين لصحبتها في رحلة العناء ـ سائق اسمه صبحي من أهالي حيهم القديم ـ يتصل به قيس لترتيب زيارة أمه ، فيأتي صباحا قبل الظهيرة عندما تكون الزيارة يوم الجمعة .. في هذا الأسبوع ستكون الزيارة لصقر ، وهي أول زيارة له بعد رحيلهم للحي الجديد .. فجهزت الطعام والدخان والشراب [علب العصير] والفاكهة .. ولما أتى صبحي ساعدها قيس في نقلها للسيارة ، ودعا لهما بالتوفيق ، وكان قيس يحاسبه عندما يعود بأمه حسب الأجرة المتفق عليها بينهم .

يكون اللقاء مع السجين من خلف الشبك الذي يسمح بالمصافحة وإدخال الأشياء .. ويفتش الزائر من قبل الشرطة هو وما يحمل خشية إدخال ممنوعات كالمخدرات والخمر ، أما السجائر

فيسمح بإدخالها مع أنها تباع في دكاكين السجن .. فيسمح للمساجين داخل السجون العمل في الورش والمشاغل كالنجارة والحدادة والخياطة على أمل أن يتعلم السجين مهنة أو حرفة يعمل بها عند خروجه من السجن وقضاء محكوميته ، خاصة أصحاب المدد الطويلة التي تمكن صاحبها من التعلم والتدرب.. وبعد أن تناول صقر الأشياء من عجيبة قال بنبرته القاسية : أخبرني منصور الجمعة الماضية أنك ذهبت إلى الذيب كيف هو ؟

– لا جديد .. يهدد ويتوعد ويريد تدمير الحكومة

تظاهر بالأسف على بكره فقال : يا له من أحمق ! نصحته أكثر من مرة أن لا يتأسى بأبيه ولا جده .. فهو نحيف البنية ، وغبي لا مخ عنده .. يقع من أول سرقة .. أنا كل عشر أو أكثر لما تصطادني الحكومة

قالت بحسرة الأم : ليته سمع نصحك .. فأنت ذو خبرة !

لم يعجبه كلامها فقال: تتهكمين علينا ! .. هل تزوج حضرة المهندس ؟

– لم يجد ابنة الحلال .. الناس الأشراف يخافون من سمعتنا

– انقطعت بنات الحلال

قالت : يريد واحدة متعلمة ومحترمة .. بنت ناس محترمين .. والناس المحترمون لما يعلموا سيرتنا العطرة يرتعبون .. ويعتقدون أننا من صقلية أو شيكاغو

قهقهه صقر عاليا مما لفت نظر الزوار الآخرون إليهم ، وقال ساخرا : أتعرفين عصابات شيكاغو يا عجيبة؟! ولما رآها لم ترد قال : أبوك لم يمت بعد ؟

– لم يمت بعد .. فهو في انتظارك

– في انتظاري .. أبوك مات منذ سنوات .. لما خرج آخر مرة من السجن مات .. دهمه مرض السكري القاتل

– والقلب .. هذه الأيام عضلة القلب تضعف

فقال : إذن هو على وشك الرحيل

وفاجأته قائلة : وقيس يرغب بالسفر بعد خروجك حتى أنه يفكر بالهجرة إلى أمريكا

قال بنبرة حادة وزاعما عدم الاكتراث : أحسن ! أنا لا أحبه يا عجيبة مع أنه أحسن منا خُلقا ودينا ..أنا مقدر لشجاعته وحبه للدراسة ، وعجبت من نجاحه ودراسته غاية العجب .. ولما صار مهندسا عجبت أن يخرج من صلبي مهندسا

– طالع على أمه .. أنا أحب العلم ودرست بضع سنين عند عمتي رحمها الله

قهقهه صقر وقال : أنت مسكينة يا عجيبة ! لا تفقهين من الدنيا والحياة شيئا .. أبوك لص كبير في

زمانه ، وزوجك مثله ، وقضى عمره في السجون ، وابنك في طريق اللصوصية .. وحضرة المهندس يستعر من مقابلة أبيه في السجن .. يريد الهرب وهو الذي يزعم أنه شيخ

قالت بنبرة غضب : يريد الهرب من أعمالك .. يقول لو يتوب أبي أنا مستعد للإنفاق عليه طول العمر ، ولو كل راتبي .. بس يعيش مثل الناس

قال كأنه نادم : أنا أحلم أن أعيش مثل الناس يا عجيبة .. تعودت على مد يدي على أموال الناس تعودت على حياة السجن

- الذي يعزم يتخلص من كل العادات القبيحة.. ها هو أبي اللص المعروف لك .. لما ضعف ومرض تخلى عن تلك الحرمنة رغم أنفه .. الإنسان يستطيع ذلك ..عشرات دخلوا الحبوس وما عادوا إليها .. تستطيع يا أبا الذيب

بعد صمت قال : هل تعلمين أني صليت بضع مرات هنا ؟

- أنت ؟!

- نعم ، أنا ..قضى أحدهم رجل متدين بضعة أيام هنا موقوفا .. وأقنعنا بالتوبة والصلاة كان بارا بنا .. ثم خرج .. لو طال مكثه بيننا ربما استمررت بالصلاة

- أين ذهب ؟

- كان موقوفا بسبب حادث سير .. قضى عشرة أيام حتى عفى أهل الميت فأخلي سبيله

قال مشجعة لقرينها : عندك بذرة خير يا صقر

فصاح معاتبا : ويحك يا امرأة هل نحن نكره الخير ؟!

ثم سكت لحظات كأنه يفكر وقال : إنما تربيتنا وظروفنا جعلتنا من أهل الشر والسرقة

- لو كل الفقراء يحتجون بالظروف لصاروا كلهم مجرمين .. عليك أن تنوي أن تتغير يا صقر من أجل ابننا الفالح المهندس .. المال الذي تسرقه سيعطيك إياه .. دائماً يردد ذلك أمام منصور وغير منصور

قال كأنه يأسف لبقاء منصور خارج السجن : كنت أظن أن منصورا سيعود إلينا خلال أيام .. ولكن له أشهر خارج القفص

- هو ينتظر خروجك أو أن عصابته تخلت عنه .. وعلمت من قيس أن امرأته هجرته

======

في منتصف شهر فبراير شباط أدخل والد عجيبة مستشفى الحكومة لإجراء فحوصات طبية للقلب ، وقد يحتاج بناء على فحوصات قديمة لعملية توسيع شريان أو إبداله ، وقام قيس ووالدته باللازم ، وقضى الرجل أياما تحت المراقبة والعلاج ، وعلى تلك المعالجة قرر الأطباء تأجيل أي عملية للقلب ، وعاد الضغط لطبيعته ، فرجعوا به للبيت

، وبعد أن تمدد شوكة على سريره قال لهم : كنت أظنها النهاية يا عجيبة من كثرة الأطباء حول السرير .. ابنك هذا ـ وأشار لقيس ـ في مثل هذه المواقف جدع ، ويستحق الثناء

قال قيس باسما : اشكر الله يا سيد شوكة .. الشافي هو الله .. وانا أساعد وأقف مع الغريب والأجنبي ..الإنسانية حق للجميع .. أنا أكره وأبغض أعمالك الماضية والسيئة ..أما أنت اليوم فلا حول لك ولا قوة .. نصحك الطبيب بترك الكحول ، ولو كان شيء يسيرا منها.. ونصحك بترك التبغ أو التقليل منه .. فهو سبب مشاكل الشرايين يا جدي

قال بضيق : لا أستطيع يا قيس ترك الدخان .. أما الخمر فلست مدمنا عليها .. ربما أشرب في الشهر ثلاثة أو أربعة ألتار .. كمية ضئيلة عن أيام الشباب

– أيعجبك أن تبقى هذه المسكينة ذاهبة لدكان الكحول لتشتريها لك ؟! .. تحمل تلك الزجاجات اللعينة

– أنا لا أستطيع المشي الطويل.. وإلا لذهبت بنفسي لشرائها .. وصاحب الدكان يعرفني ويعرف لمن تشترى هذه الزجاجات .. والرجل يعرف أمك وأباك ولمن الخمر .. وهو يضعها في حقيبة لإخفائها عن أعين الفضوليين .

ضحك قيس وقال : كل الناس تعرف ما في هذه الحقيبة ، بل ويستغربون رؤيتهم لأمي خارجة من خمارة أو دكان بيع الخمور .. فاضطر لتوضيح الأمر لهم

هاج شوكة وصاح : كأن الخمارة لا تبيع الخمر إلا لشوكة .. أين تذهب الأصناف والكميات يا رجل ؟.. لو أنا وحدي الذي يشربها لأغلقت المحلات أبوابها ، وأفلست المصانع ..أنت ربنا نجاك من هذه الشرور فاحمده .. نحن ضعفاء

– اهدأ يا رجل ..لا تنفعل .. إذن بعد هذه العودة من المشفى احذف الخمر من حياتك .. وقلل من دخانك

حك رأسه وقال : هاتِ شايا يا عجيبة ..وأنت اغرب عن وجهي .. سأشرب ما بقي عندي فحسب .. وهل ستمنع أباك من شربها ؟

– له عمر لا يشربها وممنوع عنها .. أنت تعلم أن الخمر في السجن ممنوعة .. وإذا هربت فهي كميات محدودة

تضاحك شوكة وقال : مسكين أنت بعض المال للشرطي فيشتريها هو لك ويدخلها السجن

– مهما يكن .. فالأمر قليل .. والشرطي الذي يساعد في ذلك قد ينقل لمكان بعيد أو يفصل من جهاز الشرطة

– كلهم يعملون معا .. يأخذون الرشوة والمال

– أتريد أن تقول أن شرب الخمر في السجن متيسر

وسهل

- يعني إلى حد ما

- نعم ، حاول أبي مرة إغراء أمي بإدخال الخمر للسجن .. فطردها الضابط شر طردة .. ومنعها لفترة من الزيارة .. ورفض لها بعد ذلك إدخال أي مواد لزوجها

تراجع شوكة عن بعض أفكاره فقال : طبعا هم يتشددون بالسماح للزائرين بإدخالها .. إنما هم يدخلونها خفية مقابل المال

- ربما يضعف أحدهم ، وإذا عرف وكشف أمره سينال العقاب المحدد في القانون .. الشرطة بشر يصيبهم ما يصيب الآخرين من ضعف وشهوة .. ويتعرضون للمحاكمة والعقاب .. قد يستطيع تاجر مخدرات توريط شرطي أو ضابط بإغراء المال والمخدرات .. وسمعنا قصصا كهذه ، ونشرت الصحف مثل هذه الجرائم ، وتعرض من قام بها للعقوبة والمحاكمة .. فهذه حالات فردية يا سيد شوكة .. أنا المهم عندي أن تهتم بصحتك الضعيفة حتى لا تصل لعملية القلب المفتوح .. وقد تهلك فيها فالله يعطيك الفرص لتتوب وترجع إلى الله .. ها هي أمي عادت إلى الصلاة دون أي حرج .. وتجتهد للثبات عليها بإذنه تعالى .. فعليك أن تشجعها على ذلك .. ولا تطلب منها شراء الخمر بعد هذا الخروج .. فشربك للخمر يؤدي إلى موتك بيد ابنتك

بعد صمت وتناول الشاي قال شوكة : ألم تجد بنت الحلال بعد؟.. كلما أراك أذكر ما أنا عليه من سوء وفساد .. فألعن الساعة التي ولدت فيها .. وتعود بي الذكريات لأيام الصبا ولوالدي المرحوم ونصائحه وتحذيراته ؛ كأنك تنطق بلسانه ، فقد كان مصليا وصواما لرمضان .. فكنت أستهزأ بنصحه وإرشاده .. فأقول ألم تعلم أن الصوم قد مات ؟ وكذا الصلاة .. الناس تجاهر بالإلحاد اليوم

- صحيح أنهم يجاهرون بالإلحاد في كوبا وبلاد الروس والصين وبعض دول العرب ؛ لكنهم هم الخاسرون .. فهم يعبدون الكفر وتماثيل زعماء الكفر .. ألا يحجون لصنم لينين في وسط موسكو ؟ ويحنون له رؤوسهم .. الدين لدى الإنسان فطرة تولد معه ، وحاجة ضرورية له فإن لم يعبد الله وحده سيعبد غيره .. الهوى الشيطان البقر التماثيل الشجر البحر.. ألا يعبد الهنود في هذا القرن البقر ؟ بل سمعنا أن هنودا يعبدون الجرذان والقرود وبوذا .. وهناك من يعبد الدينار والدرهم والثياب كما حدث النبي . وصلت أمه على النبي صلى الله عليه وسلم

قال شوكة : سمعت أن الهنود فقراء يعبدون البقر فكيف يعبدونها ؟

- توارثوا دينهم عن أجدادهم ، يقدمون لها

الخضوع والسجود ، ويقدسونها ، ويترك لها صاحب الدكان العبث والأكل في متجره وهو راكع لها يتقبل بركاتها .. وربما يتباركون ببولها ولست أدري أهذا صحيح أم لا ؟! ولكن الإنسان اذا عبد أي شيء خضع له خضوعا كاملا فقد عبد القدماء الشجر والكواكب والأوثان والشمس والقمر .. الحمد لله الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور .. نور الإيمان والإسلام .. فعلا الإنسان بدون عبادة صحيحة في ضلال وتيه وضياع .. الإنسان بطاعة ربه الحقيقي يشعر بسعادة وحلاوة في أحلك الظروف السكينة تتنزل على القلب .. ورغبته العارمة في جنة الخلد الخالية من المنغصات والنكد والضعف والغضب والسخط والفقر والمرض ومن كل العيوب المعروفة في الدنيا .. يشعر المسلم أن للحياة قيمة لأن هناك آخرة .. وأن سعيه سوف يرى ويجده عند ربه .. ليس فقط أيام تمضي والكسب من ملذات الدنيا فحسب .. يا رجل في الجنة أنهار من خمر لذة للشاربين ليس لهذه الخمر عواقب وخيمة من تشمع كبد ضياع عقل بول على النفس المشي على أربع الصداع والهذيان بكلام فارغ وفضح أسرار الأسرة والبيت .. والتلفظ بألفاظ مقززة أمام المسجد

قالت عجيبة لابنها قيس: هل كلمت صبحيا عن مشوار الغد ؟ وكان ذلك السؤال بعد رجوع قيس من المسجد بعد صلاته العشاء ـ فالشاب محب لصلاة الجماعة منذ تعلق قلبه بها ـ وكانا يجلسان في المطبخ حيث يتناول الشاب عشاءه وحيدا ؛ لأن أمه تتعشى مع أبيها بين المغربين في حجرة الشيخ شوكة ، فبلع قيس اللقمة وأردفها بجرعة ماء ، وقال : نعم ، اتصلت بالرجل وهو سقيم سيبعث ابنه لمرافقتك فربحي سائق كأبيه

قالت بقلق معتاد : ما به صبحي ؟!

– مريض.. ولم يفصح الرجل عن المرض .. اسألي ربحيا غداً .. فإذا احتاج الوضع لزيارة خاصة قمنا بها .. فالرجل يخدمنا وجار لنا في حينا السابق .. صحيح أنه يأخذ أجرته ؛ لكن المجاملة مطلوبة .. والرجل يصلي .. والصلاة عنوان المسلم وحياته .. أنا لا ارتاح لتارك الصلاة

قالت بعد هدوء للحظات : ألا ترغب بالزيارة لأبيك؟.. فوالدك في الزيارة الماضية أكثر من ذكرك وشوقه لرؤيتك ..وطلب مني بالضغط عليك

– ورائي صلاة جمعة ، وقبل أيام حدثته بالتلفون .. ألم تسمعي مكالمتنا ؟ .. وقلت لك إني أكلم أبي وأنت كنت في المطبخ.. أنا لا أحب رؤية السجون خاصة سجون اللصوص والانحراف

– حسنا ، زر ذيبا ، وأدعوه لدينك

تبسم قيس وقال : اتصلت به في السجن هو الآخر ، وطلب مني عدم الاتصال به والكلام معه مرة أخرى.. فهو لا يحب مكالمات التلفون المزعجة .. وأخبرني أنه يكرهني ويتمنى موتي .. أهذا أخ ؟!

– من القهر يا ولدي .. السجين ضيق الخلق .. لو أتابع شتم أبيك ولعنه لما زرته البتة لانقطعت عنه منذ سنوات .. نحن المتنفس الوحيد لهم بهذه الزيارات

– أين أصحابه في السرقة والسطو ؟ لا أحد يزوره إلا منصور

– رأيت رجلا آخر يتردد عليه صدفته أكثر من مرة اسمه جربوعة أو هذا لقبه .. فكر بمصاحبتي إليه

– لم يبق إلا القليل يا أمي ويخرج زوجك .. نحن في آخر شباط .. شهر ونصف ويكون بيننا ـ إن شاء الله تعالى ـ وأرجو أن ينصلح حاله بعد هذه العقوبة الطويلة .. فسيرته لا تسر صديقا ولا عدوا .. أسمع نحنحة أبيك

تابع قيس مضغ الطعام ، وحملت الأم الشاي بكوب كبير السعة لوالدها الذي استقبلها بالصراخ والصوت العالي: بماذا تتحدثون في مطبخ المؤامرات؟ طعامك لم يعد يعجبني هذه الأيام .. لا يوجد به لحم .. فقران قيس؟!

– ويحك ! ألم تأكل ظهرا زوجا من الحمام كما تشتهي ؟

– هذا حمام !.. هذه عصافير

– أنت تعلم أن الحمام قليل اللحم

قال شوكة : غداً لو طهوت لنا سمكا .. لي سنة لم آكله يا عجيبة يا بخيلة يا عاقة

– سنة ! يا لك من جاحد .. الأسبوع الفائت أكلنا سمكا يا بار بابنتك

قال : دخلنا على التعيير ..ماذا كنت تتحدثين مع ذاك؟ ـ وأشار بعينيه إلى المطبخ ـ هل لقي عروسا؟

– كنا نتحدث عن زيارة صقر صباح الغد .. وأرغبه بزيارة أبيه .. وقيس لا يرحب بذلك .. ولا يحب زيارة السجن

قال هازئا : وهو عامل نفسه شيخا علينا

– لقد حادثه على الهاتف.. وقيس ابن فضيل .. ولولاه لربما ضعفت عن رعايتكم .. هو بسمة حياتي

شوكة يعرف حب عجيبة لقيس لأسباب كثيرة فقال :كيف ستعشين إذا تزوج وترك البيت ؟

ردت على أبيها فقالت : سأسعد وأفرح بزواجه ..وسيسكن قريبا منا .. قد يسكن في هذه العمارة التي نستأجر فيها ..ففيها شقة فارغة في الطابق الأول الأرضي معروضة للإيجار .. وطلبت منه أن يستأجرها .. ويبدأ بتأثيثها ليتزوج فيها ؛ ولكنه متردد في أمر الزواج ويفكر بالسفر وأنه أفضل من

الزواح

– يريد الهرب من أبيه

– يريد الهرب من سيرته وماضيه .. فأنتم نقطة سوداء في حياته ؛ ولكنه شجاع ومتقبل للأمر ولو على مضض

– لقد وفيت له بوعدي بترك الشراب المسكر .. لي أيام لم أذقها .. ولم أطلب منك شراءها والدخان أصبحت أحرق علبة ونصف.. فقط ثلاثون سيجارة في اليوم والليلة .. أتريدين أن أترك الأكل والماء؟

– قيس لا يقصر معك .. ويشتري لك المكسرات والمملحات والحلوى

– هو حقيقة سخي في بعض الأحيان

قالت : كل الأحيان إنما أنت لا تشبع .. الطبيب آخر زيارة قال لك قلل من أكل الدهنيات ؛ ولكنك غير مبالي

– لسانك مثل لسان ابنك قيس .. ارميني في الشارع

– لا أستطيع إنك أبي !

عندما يخرج المصلون لصلاة الجمعة في حي أبو خروف من المسجد فور انتهاء الصلاة يتبادلون التحيات والأخبار أمام المسجد حيث الرصيف ..فيتصافحون ويسلمون على بعضهم ؛ لأن الكثير من المصلين لا يدخلون الجامع إلا يوم الجمعة ؛ فلذلك تجدهم يتجمهرون أمام المسجد لتبادل التحايا والكلام ، وتسمع العبارات الحميمة ، والقبل البريئة ، والاطمئنان على الصحة والحال ، وكان قيس قد افتقد طلالا منذ ثلاث ليال ، وعلم من فريد كمال أنه مشغول بقضية أسرية ؛ لذلك لما تقابلا أمام المسجد أخذه بالحضن والعناق وقال : أهلا بالأستاذ طلال عساك بخير .. لقد أفتقدك كثيرا في المسجد. وهممت بالمسير إليك ؛ ولكن الأخ فريدا منعني من ذلك وكشف لي بعض أسباب تغيبك عن المسجد .. عسى الأمور تحسنت

– الحمد لله ، أنا بخير .. وأنت كيف حالك ؟

– مشتاق لمجالسك الإيمانية الطيبة .. أنت رجل معلم في المدرسة ومعلم لنا في الجامع طمأنا على حالك

– مرحباً قيس .. المشكلة كما قلت لفريد منذ عهد أن أبي راغب بالزواج على أمنا ..أمي تجاوزت الخمسين ولم تعد تصلح للمعاشرة الزوجية .. وأبي يكبرها بسنتين فقط ..فيرى أنه ما زال بحاجة لزوجة ، وأنه لا يستطيع العيش مع أمنا المريضة والكبيرة .. وبعض الأخوة يرفضون هذا الزواج الثاني .. والبنات ترفض لأن ذلك قد يفتح الباب لفعل أزواجهن بهن مثل ذلك مع مستقبل الأيام .. ووصلت القضية للطلاق والقاضي

قال قيس : ولماذا يرفض إخوتك زواجه ؟

ضحك طلال وقال : خوفا على الميراث ونقصانه ، مع أن الميراث لا يؤثر أول الوقت علينا ؛ إنما تنقص حصة أمي النصف .. ربما إذا ولدت المرأة ..ويخافون يا صديقي من أن يكتب لها شيئا خاصا بسبب الزواج وحصوله لتقبل به

– المال لكم أم له ؟

– ماله .. وأكثره ورثه عن والديه

قال فريد بعد طول صمت: أنت لا اعتراض عندك ؟

ضحك طلال وقال : أنا تزوجت امرأة قبل امرأتي الحالية أم محمد كما تعلم من قبل يا فريد .. عشنا أشهرا معا يا قيس .. ثم حدث الانفصال .. فلديّ معرفة بتكرار الزواج .. فأنا لم أكن معددا في الواقع ، لم أجمع بين زوجتين .. وقد ساعدتني أم ريان خالتك في هذا الزواج .. ثم عرفنا فريدا فيما بعد عند تردده على هذا المسجد .. وأنا أزعم أنني متدين فلا أعترض على التعدد وكما قال قيس المال مال أبي ، فلم يحرم من الزواج ؟! ما دام لديه رغبة ، ويرى أن له قدرة على الزواج ، حتى أمي راضية بزواجه ـ وكما في الحديث ـ أنت ومالك لأبيك

وردد الشباب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وتابع طلال : ونحن نعلم منذ خمس سنوات أن أمنا تمتنع عن فراش الزوجية..

فصحتها ضعيفة ومتدهورة قبل دخول هذا السن .. وأبي حاول الزواج قبل هذه الأيام ؛ ولكن أخي الكبير يرفض وبشدة ، وبعض أخوالي معه يشدون أزره ..كيف يتزوج على أختهم بعد أن كبرت ومرضت؟ يعتبرون الزواج عليها إهانة لهم للأسف .. وسكت الأب مكرها .. وهذه الأيام تجدد الأمر .. وذهب للمحكمة وطلق أمنا دون علمنا .. فعلمنا بذلك ، وثار العراك والقتال في الأسرة حتى اضطر لإرجاعها قبل انقضاء العدة الشرعية

قال قيس : من حق أبيك الزواج يا طلال .. وهو قادر على الصرف على زوجته وعلى أمك

– وعلينا .. فيهب لنا بعض المال في الأعياد والمناسبات .. أبي يملك ثلاث بنايات .. اثنتان في أبو خروف .. وأغلبها مؤجرة .. إخوته بنوا ورحلوا ، لم يبق في أبو خروف من أقاربنا هنا إلا عمة أرملة .. ولما كبر أولادها رحلوا وسعوا لأخذها معهم .. لولا رفض أبي ؛ لذلك فهي تعيش في شقة في عمارة أبي .. وبعضنا يعيش في عماراته

فقال فريد معقبا : أبو عبد الجبار رجل ميسور يا قيس .. وهو متقاعد من الشرطة

قال طلال مغيرا موضوع اللقاء : الفتاة يا قيس التي حدثتك عنها المتخرجة من كلية الشريعة منذ

فترة .. فهي من أقارب زوجتي أم محمد وأمها صديقة لها .. وبيني وبين والدها طرف قرابة لكنها بعيدة

قال قيس : عفوا على المقاطعة ما موقف أخواتك من زواج الوالد ؟

ضحك طلال لعودة قيس لموضوعه فقال : مثلنا بعضهن يرفضن، وبعضهن متحفظة ومشفقة.. المهم أتيحت لزوجتي اللقاء بالآنسة وذكرك لها ، فقالت لما يصير الكلام جديا وحقيقيا أفكر في الأمر .. الذي يهمها في المقام الأول أن يكون الرجل متدينا ، وأنها لن تتزوج أهله ، وسردت على مسامعها ما أعرفه أنا عن أهلك

ابتسم قيس وقال : أخشى إن تحول الكلام إلى أفعال أن ترفض ويرفض أهلها يا طلال

ـ نحن جسسنا نبضها الآن ، ووالد الفتاة متدين أكثر منا .. عندما تعطي إشارة الانطلاق ، فأذهب إليه وأقابله وأكلمه بصراحة مطلقة ، بسرد كل قصتك بالتفاصيل ، وقد نستعين بخالة فريد ، فالرجل متعاون مع الجمعية منذ عهد بعيد ، وله نشاط دعوي ومعوني إغاثة .. وهو أستاذ مثلي ؛ لكنه مدرس في مدرسة ثانوية خارج أبو خروف في الحي الذي يلي دوار الحي .. المهم الإشارة منك

بعد صمت قال: اقترب موعد خروج الوالد من سجنه ، وفي عمارة العم حازم شقة فارغة.. ترغبني أمي باستئجارها وتأثيثها سلفا للسكن بجوارها .. أمهلني يومين أو ثلاثة حتى أحسم أمري .. ونشرع في مشروع الخطبة .. أنت تشجعني على هذه المغامرة .. وتفتح أمامي أبواب السعادة من الزواج من فتاة محترمة وطالبة كلية شريعة



رجع قيس للبيت متأخرا بسبب اللقاء الطويل بطلال أمام المسجد ، مما دفع أمه أن تسأله عن سبب تأخره ، فهم يوم الجمعة يتغدون جميعا مباشرة بعد عودته من صلاة الجمعة ، خاصة الجمعة التي تستريح فيها والدته من زيارة السجن ، ففي تلك الجمعة يكسر قيس القاعدة ، ويأكل مع أمه وجده دون سائر الأيام منذ حطوا رحالهم في أبو خروف فقال باسما : تأخرت عنكم .. لقد أحضرت الرايب [لبن بودرة] ، والكولا .. التقيت بأحد الأصدقاء له أيام متغيب عن المسجد وصلاة الجماعة .. تحدثنا بعض الوقت .. وقد نتصاهر معه

قالت أمه دهشة: ماذا قلت ؟!

يعلم لهفة أمه الشديدة لزواجه فقال : هناك كلام عن زواج أو خطبة نتكلم عند الطعام .. فأكيد الجد مات من الجوع وساخط عليَّ

- لا تنزعج .. جدك أكل .. لم يصبر أكل الأرز بسلطة البندورة .. لم ينتظر الرايب .. استغنى عنه وضعت عجيبة الطعام على مائدة المطبخ الصغيرة وأفرغت اللبن في وعاء ، وسلطة الطماطم والخيار .. وتناول قيس معلقته وبدأ الأكل .

وقالت أمه: حدثني بكل شيء

ضحك قيس وقال : كل شيء .. هو شيء واحد فقط .. هذا الشاب له قريبة متخرجة حديثاً من الجامعة .. ولم تعمل بعد .. أهلها يبدو أنهم راغبون بتزويجها .. فتحدثت امرأته معها عني فلم ترفض الموضوع وأجلت الكلام الجد حتى يصير الأمر جديا لتفكر فيه .. حياء النساء أليس كذلك ؟

- أكيد ، وأهلها ؟

- هذه هي المشكلة .. أهلها لا يعرفون بعد .. والصديق طلال أبو محمد يبدو أنه واثق من نفسه وعلاقته قوية معهم .. وصديق لوالد الفتاة سوى القرابة والمصاهرة .. ومصرٌ على تزويجي

- وأنت ماذا قررت ؟

قال : لا شيء ، لم أر الفتاة لأتحمس للأمر .. أأنت موافقة ؟

- إذا كانت البنت محترمة كما تريد .. فهل أمانع ؟ أنا يوم المنى أن أراك عريسا وزوجا .. المهم أنت وأهلها - وكأنها تذكرت شيئا - ولكن أباك سيخرج قريبا

- وهذا السبب يدفعني للزواج أو على الأقل الخطبة ؛ فإني استصعب السفر وتركك وحدك مع هؤلاء الوحوش .. أب مريض ، وزوج خارج من السجن

شكرته بقلبها وهمست : ليس لي في هذه الدنيا بعد الله سواك .. ولا أحب أن أراك مصطدما بوالدك .. فأبوك عصبي المزاج وعنيف .. وسيكون صعبا بعد خروجه بعد كل هذه السنين .. الحرية حياة الإنسان .. حياة السجن تبقى حياة السجن مهما ادعى الإنسان الراحة فيها .. فرق كبير بين الحياتين .. أخشى التصادم بينكم .. فأنا تعودت على أذى والدك وتطاوله عليّ ومد يده عليّ .. قد لا تحتمل أنت رؤية هذا المشهد .. لذلك أنا أحب أن تسكن في دار وحدك .. ها هو جدك يصيح

قال قيس : هو لا يجب أن نتحدث دون أن يسمعنا .. على كل سأسعى لرؤية الآنسة أو أرسلك لرؤيتها وتصفينها لي .. فوالدها من أهل البر والإحسان ..وله علاقة بجمعية البر لرعاية الفقراء والأيتام ؛ وأنا لا أعرفه شخصيا ، ربما قابلته دون الانتباه لشخصه والحاجة أم ريان تعرفه بقوة كما قال طلال .. ربما أشركها في القضية إذا احتجنا لجهودها الطيبة .. فكثير من أهل أبو خروف يحترمونها ويقدرون جهادها الطويل معهم .. مع أنها تسكن خارج أبو خروف بعد الدوار الذي في

مدخل أبو خروف بقليل حي النجمة .

– لقد قمت بزيارتها في بيتها ، وعلمت منها أن لها أختا تعيش في الحي .. وهي زوجة البقال الذي في طريقنا إلى الشارع الرئيسي

– دكان أبي صالح وابنها فريد رفيقي في المسجد

قالت بحماس: وهي تقدرك ومعجبة بك ، وأثنت عليك خيرا ، واعتبرتك من الأوفياء للجمعية وأنا متأكدة أنها ستبذل أكبر الجهد لمساعدتك.. وهي تعتبرني مجاهدة في سبيل الله على صبري وتحملي لوالدي ووالدك .. حتى أدمع كلامها عيناي .. هل ستخبر والدك بأمر الخطبة ؟

– لا أعتقد أن أبي له اعتراض أو رأي .. لم نتعاشر كثيرا يا أمي .. فبيننا برود .. لي سنوات لم أره فحتى ذيب لم يكن من زوار أبيه .. نحن تجمعنا الأبوة والبنوة وأنت .. ولولاك لما بقيت معهم لابتعدت عنهم.. وأنا لا أقبل لك أن تتخلي عن أبيك .. إذا عاد أبي إلى السرقات فكيف سأعيش معه ؟! حتى لو كان أبي .. لا أستطيع العيش مع حرامي .. أنت كنت مضطرة للعيش معهم أما أنا فلست مضطرا .. ولن أنسى فضل الجمعية بعد فضل الله وتسخيرها لنا .. وأنا اليوم أسدد لهم الدين طواعية .. فأنا مدين لهم { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} .. واتفقت مع فريد ابن أختها على القيام بزيارتها ،والتعرف على زوجها وابنها المهندس ما دمنا صرنا جيرانا فالفقراء والمحتاجون لا يقلون .. والفساد يزيد .. والانحراف عن الأخلاق الحسنة والدين يشيع ويفشو

– إذن تعجل في رؤية الفتاة ؛ لعل الخطبة تحصل قبل مجيء أبيك . وهل تكلمت مع مالك العمارة حول الشقة الفارغة

– ليس بالضرورة الاستئجار في نفس العمارة .. وسأجتهد أن أعيش في أبو خروف .. من أجلك وحدك يا أمي .. الليلة سأتحدث مع طلال وأطلب مساعدته في رؤية البنت أو تذهبين لرؤيتها وتتعرفين على أهلها

– أنا سعيدة بما أسمع ! كم أنا بشوق لرؤية أطفال أحفاد ! يا الله يا رب سهل زواج ابني قيس ارتفع صراخ جدك

فقال قيس : يظن أننا نتآمر على حياته ، وندعو عليه بالموت .. اذهبي إليه قبل أن ينفجر الضغط هداه الله إلى الصراط السوي

– الحمد لله ..قلبك كبير يا ولدي

– الدين الدين يا أمي !

ارتفع حماس قيس بتشجيع أمه له بالاقتران من الفتاة ، وهو يعلم علم اليقين أن أمه سعت بنفسها تطلب له منذ تخرج من الجامعة ، ولم توفق في سعيها ، وأدركت حجم المأساة التي يعيشون فيها بسبب

أبيها وأبيه ؛ لذلك لما كاشفها بفتاة أبو خروف استغاثت بالله حيث لا مغيث إلا سواه أن يوفقه ويحقق رغبته وأن ينال الفتاة التي تشتهيها نفسه ؛ لذلك كانت على نار وجمر تنظر عودته من الجامع تلك الليلة .. وبالفعل التقى الشباب الثلاثة كعادتهم بين المغربين وبعد صلاتهم لسنة المغرب جلسوا في زاويتهم المفضلة في الجامع ، وبعد كلام عام قال طلال : أرى في عينيك كلاما يا قيس

قال فريد قبل أن يرد قيس : لقد كان كلامك ظهرا عن العروس مثيرا لقيس أحدثت أمك ؟

ارتسمت ابتسامة بريئة على وجهه وقال : نعم نعم .. تحدثت مع الأم فبدت لديها لهفة شديدة بأن أتزوج واستقر قريبا منها .. وكلام الأخ طلال المشجع دفعني لقبول الخوض في هذه المغامرة من جديد .. فكيف سيكون الترتيب المطلوب مني يا أخ طلال ؟! أأقابل الفتاة أم تذهب أمي وحدها لمقابلتها ما عندك يا طلال ؟

تنحنح الأستاذ طلال : في البداية سأدع أم محمد تنقل رغبتك للفتاة ، ثم نمشي كعوائد الناس تذهب أمك الكريمة في زيارة لأسرة أبي حبيب ، وسأذهب برفقتها زوجتي وأمك.. وبعدها سأتحدث أنا مع السيد حمدي أبي حبيب .. وإذا رأيت القبول وعلاماته .. سنذهب في زيارة عائلية أنا وزوجي وأنت وأمك ، وترى الفتاة وتراك حسب السنة الشريفة ، ثم يجري ترتيب الخطبة إذا توافقتم ، ثم الزواج

– إذا قدر الله تعالى الأمر ستكون الخطبة ، ويؤجل الزواج لحين خروج أبي .. وبعد الخطبة سأبدأ بتجهيز البيت والعفش.

قال طلال : وإذا وجدت ترددا من أهل البنت سيرتب لنا فريد زيارة لأم ريان لتضغط على الأستاذ حمدي ..فالناس يقدرون تدخل الحاجة أم ريان .. ويقبلون تزكيتها وشفاعتها .. أمهلني يا مهندس قيس يومين أو ثلاثة على الأكثر .. وإذا لم استطع مقابلتك في المسجد سأتصل بك في البيت من أجل ترتيب زيارة أمك مع أم محمد ..أنت أخ عزيز يا قيس .. أحببتك في الله تعالى

– أحبك الله الذي أحببتني فيه ..أنا شاكر لك .. ولن أنسى جهدك وفضلك سواء تحقق الزواج أم لم يتحقق .. فأنت والأخ فريد مكسب كبير من رحيلنا لهذا الحي .. الإنسان لا يختار أباه ، ولا أمه، ولا مكانه ، ولا زمانه .. هذا كله اختيار الله تعالى

قال طلال مواسيا نبرة الحزن التي كانت في آخر كلام قيس : لا حرج عليك يا صديقي .. فإبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ لم يستطع إدخال أبيه في الإسلام والنبي نوح ـ عليه السلام ـ لم يوفق في إدخال ابنه في الإسلام ولا زوجته ، والنبي محمد ـ عليه السلام ـ لم يستطع إدخال عمه أبي طالب

لحظيرة التوحيد ..المسلم يدعو ويهدي ويرشد إلى الطريق والصراط .. والتوفيق للإسلام بيد الله { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } هداية التوفيق بيد الله وحده .. فأنت لم تختار أباك ولا جدك .. وأمك سيدة فاضلة وجاهدت حقيقة وشجعتك على الثبات على خط الطهارة والتوبة

– نعم ، أمي وقفت معي ، وكانت تشجعني على الذهاب إلى المسجد وتعلم القرآن والجلوس مع الشيوخ رغم سخرية جدي من فعلها ؛ لذلك كنت أسمعه يقول لها : (هذا بيت لا يصلح فيه العبادة .. الشيطان والرحمن كيف يجتمعان في بيت صقر ؟! فليترك المدرسة ويتعلم صنعة أحسن ؛ ولكنها ترفض أفكار أبيها وتشجعني على الاستمرار في الذهاب إلى المدرسة والجامع والحمد لله منذ بلغت اثنتي عشرة سنة وأنا أحب بيوت الله ، وأداوم على الصيام ، وتهتم أمي بسحوري

قال فريد: أم فاضلة حقا ..نصيبك يا مهندس وأتمنى لك الزواج .. وكنت لولا سبق طلال لي سأتحدث مع عديلي ماجد ـ وهو شيخ كبير في المدينة ، يعرفه طلال ـ كنت سأستعين به لتحقيق مأربك .. وله علاقات جيدة مع الأسر ..وله تلاميذ ..وهو مثل خالتي يقوم بأعمال البر والإحسان والمشي في حوائج الناس والصلح بينهم

قال طلال فرحا : فعلا الأخ ماجد أبو إبراهيم رجل فاضل وإمام له كلمة في منطقته .. وإن فشلنا هنا سنجد طلبتنا عنده يا أخ قيس .. لكن سبحان الله لما فتحنا موضوع زواجك خطرت في بالي بنت أبي حبيب

قال قيس : جميل أنكم تفتحون لي أبواب الفرح والسرور .. الحمد لله الذي وفقني للالتقاء بكم وفهم ظروفي!

لما انتهى قيس من قص ما دار بينه وبين طلال لأمه أخذته بالعناق ، وعبرت عن سعادتها بهذه الخطوة ، وهي تظهر مشاعرها وشوقها ، ودعت الله أن تراه زوجا ، وحلمت بأطفاله يلعبون معها ، قال لنفسه لما عبرت عن سعادتها ومشاعرها: مسكينة أمي ! لقد شقيت بين أب وزوج وابن .. مجرد كلام ملأ قلبها حبورا وسعادة .. ألا يفكر أهل الأجرام والانحراف بما يسببونه من ألم وعذاب لأهليهم من أبناء وأمهات ؟ أظن أنهم لا يفكرون إلا بأنفسهم .. نرجسيون ولا يهمهم الآخرين وما يصيبهم من هم وغم وحزن وشقاء .. أمهات الأشقياء يتحملن ويصبرن مكرهات والله تعالى أعلم .. اني أرى الحزن والشقاء في بريق عيون أمي عندما أكون في جدال مع جدي والدها .. فأشعر بالألم المرسوم على وجهها وفي لمعان العين .. كان يفكر في هذا وهو يرى السعادة الحزينة المخيمة على

وجه أمه وهي تحلم بزواجه وذريته .. ولما صمتت الأم وقد عبرت عن مشاعرها وفرحها عادت تقول : جهزت لك الشاي هيا لمطبخنا أترغب بالعشاء ؟

– لقد تناولت ساندويشا من المطعم المقابل للجامع .. والعم مرعي الطوسي وأولاده خبرة كبيرة ، فطعامه جيد كما تعلمين

– نعم ، حمصُه لذيذ وطيب . صبت له الشاي ، وجلس يشربه على كرسي المطبخ ، وصبت لنفسها كوبا، وحملت ثالثا لوالدها الذي كان يصرخ من فوق سريره ، فلما رآها داخلة عليه قال : ما أخبار العريس ؟

نظرت للسماء ـ أي سقف الحجرة ـ وهمست : حمدا لله حمدا كثيرا ـ وخفضت رأسها عن السماء ـ وقالت : إن شاء الله تسير الأمور وتسلك .. ليبق قيسا معنا وبجوارنا .. أخشى أن يسافر أو يهاجر يا أبي .. ليس لي في الدنيا سواه

قال مدعيا الاحتجاج : وأنا وصقر وذيب

– أنت عجوز ، وذيب يسير على دربكم ، وسيخرج من السجن ، ثم يعود إليه مثلكم .. فهو لا يسمع النصح .. لم نستفد منكم شيئا .. كنت اشتغل وأخيط للنسوان بل تشحذون في بعض الأيام علبة السجائر مني ..عشنا على صدقات الناس وزبالتهم.. أنتم تقبعون في السجون تطعمكم الحكومة .. ونحن نموت من الجوع .. أنسيت كل هذا يا أبي ؟ أنتم تعيشون على صدقة الحكومة والشرطة .. أليس إطعامهم لكم إحسانا وشفقة ؟ماذا تستفيدون من سرقة أموال الناس؟ لا أدري .. تعبوا في جمعها وتحصيلها وأنتم تستولون عليها أو على بعضها لماذا يسرق الحرامي ؟!

قال : لا ، لماذا هذه الخطبة الطويلة ؟ فلو فكر الواحد منا لماذا يسرق؟ ومن سرق ؟ ما سرق ولا نشل ولا نصب ولا احتال ولا قتل .. إنه مرض يا عجيبة ..مرض في أبداننا وأدمغتنا .. ها أنا لي سنوات طوال لم أسرق بسبب العجز والمرض فإذن كان باستطاعتي أن لا أسرق ولا احتال تعقدنا وكرهنا الشغل والعمل عند أصحاب العمل .. نشتغل ساعات وساعات مقابل بعض المال .. فالسرقة مال كثير ووقت قصير للسرقة ثم وقت طويل في السجن مقابله .. لماذا نسرق ؟! أنا مثلك لست أدري !

– السجن مقابل سرقة الأغنياء ، وضرائبهم تطعمكم في السجون

– هذا كلام قيس ، نعم ، الحكومات تأخذ حظها ونصيبها من أموال الأغنياء وأصحاب الشركات والمصانع

قالت : الحكومة تدير أمور البلاد من شرطة جيش

موظفين ترعى الفقراء والمحتاجين الجامعات المدارس ..فهذا قيس تعلم على حساب الجمعيات الخيرية .. وأصبح مهندسا من أموالهم فلماذا تسرقون ؟ ألم تتعالج يا أبي قبل تخرج قيس على نفقة الحكومة والجمعيات ؟!

قال مستسلما : لا أدري بما أجيب ، لكنّ قيسا هو الصح في هذه الدنيا .. غلبت علينا الشهوات والصحة .. وربما حسدنا لأصحاب الأموال والمصانع دفعنا للاستيلاء على بعض أموالهم .. كنا نظن ونتصور هذه الأعمال بطولة مع أننا إذا رأينا دورية شرطة أثناء ذهابنا لخبطة نهرب ونكمن كالأرانب .. مرض مرض أحسن وصف لعملنا .. كنا نرى أن معهم أموالا زائدة نحن أولى بها .. حمق وسخف .. الحياة صعبة يا عجيبة

خرجت عجيبة بنتيجة قائلة : أرى أنكم قضيتم أغلب أيامكم في السجن عالة على أموال الحكومة ، رضيتم بالراحة والكسل ، والرضا بطعام السجن ، وتنتظرون بلهفة وشوق زيارة ابن وأم وزوجة ؛ ليهبكم علبة دخان وكيس طعام .. عقولكم معطلة وملبدة .. لا تفكرون إلا بالانتقام والحقد لمن أوقع بكم

تنهد شوكة وقال : علمتك الحياة الكلام يا عجيبة – هذا تعلمته من حواري مع قيس ولدي الغالي .. ربي يحفظه لي .. أتمنى أن يعقل ذيب ويتعلم منكم قبل فوات الأوان وينتبه لحياته وأن يتعظ بكم..

الشر قاتل يا أبي قاتل ومخرب البيوت



مقدمات الخطبة

نقلت أم محمد زوج طلال للفتاة ابنة أبي حبيب رغبة قيس بالاقتران بها ، فطلبت الفتاة منها مكاشفة أمها بهذه الرغبة ، وأنها لا تمانع بالزواج منه إذا قبله أهلها ،وعدتها أم محمد بزيارة خاصة لأمها ، وذكرت لها ما تعرفه عن أهل قيس – وكانت المرأة قد أشارت إلى هذه السيرة في المرة السابقة – وأكدت الفتاة الشابة أن الذي يهمها هو صلاح الشاب وتمسكه بالإسلام ، ولا يهمها كثيرا فساد والده ، المهم أن المهندس من أهل المسجد ، ومحافظ على صلاة الجماعة وصديق زوجها طلال ، وذلك رغم البيئة السيئة التي تربى فيها ، فقدرت شجاعته ، وتأثرت بكلام أم محمد عنه ، وهي سمعته بدورها من زوجها طلال .. فاستطاعت أم محمد أن تنقل إعجابها بقوة وعزيمة الشاب إلى الفتاة ..وأنه اختار الطريق الصعب بفضل من الله أولا ورغبة حقيقية بالخروج من مستنقع الرذيلة والانحراف .. ومشى في الدرب الصواب ، ودرس وتعلم رغم البيئة والفقر .. فالانحراف

والسقوط في مثل تلك الظروف سهل ، ولا أحد يلوم الساقط في ذلك الوحل، بل يجد تشجيعا للانخراط في ذلك الدرب المنحرف ؛ لأن الشيطان يحب أن يرى كل الناس شياطين وفسقة ومغويين .. فشارب الخمر يتمنى أن يرى كل الناس مثله في معاقرة السكر والزاني كذلك مشى طلال إلى أبي حبيب ـ فهو من سكان حي النجمة المجاور لـ أبو خروفحتى بعض الناس يعتقد أنه نزع من أبو خروف .. واستطاع أن يجلس معه جلسة خاصة وصارحه بمبتغاه ، وأنه هو الذي اختاره ، ولا معرفة للشاب بابنته ..فقال أبو حبيب : أنا أعرفه عن طريق جمعية الفقراء ربما هو لا يذكرني ؛ لأنني لما أتعامل معه مباشرة .. وأنا فعلا أكبر فيه نجاحه وإرادته وصلاحه عندما كان شابا صغيرا .. وكان يضرب به المثل بيننا في النجاح والنجاة من براثن السرقة واستطاع الابتعاد عن التأثر بأبيه وجده .. فهم معروفون بالفساد وسوء الأخلاق .. أما الزواج من هذه الأسرة فلم يكن يخطر في بالي يا أبا محمد .. ولقد زوجت ابنتين بأيسر الأمور وعلى هدي الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة .. وحسن الاختيار مطلوب في الاتجاهين .. فكما حث الرسول على الظفر بذات الدين حث على الظفر بالرجل ذي الدين والأخلاق .. وأنا لا أنكر صلاح قيس ـ ولا نزكي على الله أحدا ـ حتى أن أمه امرأة مسكينة في وسط تلك العائلة .. لكن رحمة الله أدركتها بهذا الشاب قيس .. اسمح لي أبا محمد بالتفكير والتأمل في هذه المصاهرة .. أنا أعرف نبل مشاعرك نحونا

- أنا أقدر أن هذا زواج ومصاهرة ، وليس لعب عيال ولهو .. أحببت هذا الشاب ودخل قلبي وهو من رواد المسجد ومهندس وبحبوح ومرح ..ولا تحس أنه مهندس بناء .. ويمتلك صفات جيدة .. وتعلقت به سريعا

قال أبو حبيب : هل تعلم أنه منذ اشتغل بعد تخرجه وهو يقدم نصيبا من راتبه للجمعية حتى قبل أن يرحل إلى حي أبو خروف ويعتبر نفسه مدينا للجمعية ، مع أن الجمعية لا تتعامل مع الناس بهذا المنطق ؛ لأنها جمعية خيرية تقدم ولا تطالب من أنفقت عليه إعادة المبلغ .. فالشاب نفسه طيبة وكريم ، ولا يحاول تجاهل فقره .. صدق سأفكر جيدا في الموضوع وسأحسم الأمر عاجلا .. فأنا لست متعصبا للزواج من أبناء العائلة كما تعلم .. لقد زوجت بناتي من خارج الأسرة الكبيرة .

قال طلال مشجعا لأبي حبيب : وأنا من أجل ذلك تشجعت وتحدثت معك .. وأنت عرفتك تحب الشفقة والعطف على الشباب والضعفاء .. والرجل راغب بالزواج من بنت عائلات محترمة

تحب الخير .. لا يريد نكاح من بنات أقارب أبيه أو جده وأصحابهم .. وطلب من جده عدم التدخل في زواجه .. وسيفرج عن أبيه قريبا بعد حبس عشرين سنة في قضية شروع في القتل أو محاولة قتل وسطو .. فالشاب يريد أن يكون بعيدا عن أبيه قدر الإمكان ..والبقاء قربهم من أجل أمه التي شقيت بسببهم الزوج والابن والأب

- أعرف الكثير عن قصة تلك العائلة .. فلذلك أقدر شجاعة وإرادة هذا الشاب .. فقد سمعت بها من زملاء لنا في فرع الجمعية في حيهم السابق.. وهذا ما يزعج .. العرق دساس .. لكن واجبنا أن نقف مع الشرفاء ، وأن نعينهم على الزواج كما أنها أي الجمعية كانت تساعدهم بالمال ونجحوا وصاروا .. فقيس من مفاخر الجمعية يا طلال .. فيضرب به المثل في حفلاتنا وخطبنا فهو نموذج حي لنجاح شاب في بيئة ضالة ومنحرفة ..كيف استطاع أن يكون إنسانا صالحا في وسط فاسد يشجع على الفساد ؟.. هذا أمر عظيم

- كلام مشجع هذا يا أبا حبيب فكر كما تشاء ..وأرجوك ألا تتأخر بالرد لأن الشاب راغب بالخطبة قبل خروج الوالد حتى لا يصطدمان .. فهو منذ شب وهو يعيش دون أب .. ويريد البقاء قريبا من أمه التي تعيش بين ثلاثة عصاة أب وزوج وابن

قال أبو حبيب برقة ورنة حزن : فعلا أمه مسكينة !وجاهدت ، وقد كانت تعمل خياطة للنساء في بيتها لتعيش مع مساعدة الجمعية لهم .. ولما تخرج تركت العمل الخاص ..والشاب بار بها خير البر .. قصته معروفة لأعضاء الجمعية يا طلال توكل على الله غداً سيكون الرد عندك أي ساعة تكون في البيت ؟

- قبل العصر وأنت تعرف رقم البيت والمدرسة .. أسأل الله أن يفتح عليك .. وإذا اخترت الرفض فساعدني في البحث عن فتاة تليق بصديقي قيس

- ابشر أيها الصديق هل تزوج والدك ؟ سمعت أنه يريد الزواج

- طلق أمي دون علمنا ، ثم أعادها بعد علمنا ..وقد يتزوج ؛ لأنه هدد إذا لم يتزوج عليها سيطلقها غيابا كما فعل

- كونوا معه خشية أن يتزوج خفية .. لقد طلب مني المساعدة .. وأنا أخشى التدخل بينكم

قضى أبو حبيب ساعات في مكتبه المنزلي ، يفكر بقيس وطلال وضحى ابنته ، فهو لم يتعرض لمثل هذا الأحراج أو الموقف في حياته كلها ، هو صحيح أنه رجل يحب العمل الخيري ، وينشط في جمع التبرعات لجمعية البر ، وينشط في اللجان الشعبية في الأحياء ؛ لمساعدة العائلات المستورة ، ويساعد في حل قضايا اجتماعية ، ومنع طلاقات

بين أزواج ، وحل منازعات ومشاجرات بين أسر في عدة أحياء بصفته أستاذ في مدرسة ثانوية كائنة في حي النجمة جنوب أبو خروف ، وعضو جمعية البر لرعاية الفقراء والأيتام ، ويلم تبرعات من المحلات والمتاجر في عدد من أحياء المدينة ، وعمل في النادي الاجتماعي لمخيم عودة الأمل القريب من أبو خروف ، ولهم نشاط لمعاونة فقراء المخيم ، وتسلم فترة النشاط الثقافي في النادي المذكور .. والتقى بأعداد من المنحرفين سواء شاربي الخمر أم الزناة والحرامية ، وسعى لمعالجتهم ، ومعاونتهم على التوبة أما أن يزوج فلذة كبده لابن حرامي وحفيد حرامي وشقيق حرامي فهذه أول قضية تعصف به وقال لنفسه : لو تكلم معي طلال قبل مفاتحة قيس لربما هان الخطب .. وطلبت منه أن ينسى الأمر .. فهو له جولات في دعوة المنحرفين للتوبة والعودة لحظيرة الدين .. وقيس شاب سوي متعلم .. وذلك منذ نعومة أظفاره .. وهو ابن المساجد ..وهو من النماذج الحية الجميلة ممن أعانتهم الجمعية وفلحوا

دخلت روحية أم حبيب بالقهوة عليه ، وقالت بعد التحية وسكب القهوة: طال مكثك هنا .. ومنذ دخلت البيت ..وأنت مشغول الفكر هل من شيء يزعج حضرتك ؟

نظر في عينها للحظات وقال بعمق : أمر بامتحان يا أم حبيب

– امتحان ؟!!

– نعم ؛ ربما أصعب امتحان في حياتي رغم بساطته ؛ ولكنه جعلني في حيرة . وقص عليها حكاية طلال وقيس ثم ختم الكلام : لماذا اختارنا طلال نحن بالذات؟! وهو يزعم أن قيسا لا يعرف الفتاة البتة ، وإنما كان اختياره هو لنا .. والشاب لا كلام عليه حسب معلوماتي .. أما والده فمجرم عتيد يقضي عقوبة طويلة في السجن أوشكت على النهاية .. وشقيقه قد يخرج في صيف هذا العام .. ووالد أمه لص قتله السقم .. ولكن الأم أم صابرة .. وكافحت من أجلهم ومن أجل نجاة قيس

– أنا تحدثت معي أم محمد على الهاتف بحكاية هذا الشاب .. ومثلك استغربت اختيارهم لنا أو لابنتنا دون سائر البنات

– ما سبب اختيار ضحى ؟!

– لم تفصح عن شيء واضح سوى أن طلالا تحدث عن الشاب لها

– هل تكلمت معهم ضحى بشيء؟

– لا أعتقد ذلك فأم محمد متزوجة ، ولها أولاد .. وضحى صغيرة عن أم محمد .. علاقة أقارب بيننا، وعلاقة عابرة ، ونلتقي بها في المناسبات

– وهذا الذي يحيرني لماذا يهتم طلال بزواج ابنتنا .. أنا أحيانا عندما أصلي في مسجد أبو خروف أسلم

عليه وأصافحه .. ووالده صديقي أكثر منه ، وطلب مني أنا أن أساعده في الزواج مرة أخرى .. أرملة مطلقة المهم أن يتزوج

وبعد صمت بينهما قال : هل تقبل البنت بشاب مثله ؟

– أم محمد فاتحت ضحى بالموضوع ، وذكرت لها حكاية أهله وضلالهم ، وضحى تركت الأمر لنا

– هذا الزواج عجيب وغريب أللبنت رأي فيه؟ بعد أن علمت من هم أهله

– لقد كانت أم محمد صريحة معها كما فهمت من ضحى

– الأولاد هل يعترضون ؟

– لم أتحدث معهم ؛ لأن المرأة قالت : إن طلالا سيتحدث إليك ، ومن كلامك يبدو أنه تحادث معك

– عرض الأمر ، ومنذ عدت للبيت وأنا مشغول في هذه القضية .. أنا في حيرة .. الشاب جيد ، بل ممتاز ..لا غبار عليه ويتاجر به ؛ لكن أسرته ما عدا أمه كلهم أشرار

– أليس سيعيش بعيدا عنهم ؟

– أكيد فهمت من طلال أنه لم ير أباه منذ زمن بسب سجنه بسبب احترافه السرقة واللصوصية يتواصل معه بالتلفون ..ولا يريد أن يصطدم به بعد خروجه ، ولولا وجود أمه ورعايتها لأبيها لهجرهم .. فيريد أن ينكح فتاة صالحة ويعيش معها في بيت مستقل .. فهو لا يستطيع التخلي عن مسؤولياته اتجاههم .. فجده مريض ، ويأمل أن يعقل والده بعد خروجه من محبسه

قالت بعد صمت أبي حبيب : معك حق الموقف يجلب الحيرة !

– إذن دعيني أفكر وأوازن يا أم حبيب .. وعودي إليّ بعد ساعة .. سأقوم للصلاة ؛ لعل الله يلهمني الصواب وحسن الاختيار .. قلبي متعاطف مع الشاب وراغب أن أتاجر فيه .. والرجل يسعى للزواج من فتاة صالحة آملا بذرية طيبة صالحة .. فعلينا أن نكون معه .. وقد وضعنا في هذا الابتلاء .. دعيني أصلي يا أم حبيب

لما قضى أبو حبيب ركعات من قيام الليل جاءته أم حبيب وجلست قبالته وقالت : عساك وصلت لحل مقبول ؟

– عليك بجمع العائلة ليلة الغد بعد صلاة العشاء .. سنطرح الموضوع على الأولاد ونتشاور .. والآن أبعثي لي ضحى لأتناقش وإياها .. من حيث المبدأ لا مانع من زواجها من المهندس قيس صقر

أقبلت ضحى التي ما زالت ساهرة قلقة ، وهي تعلم أن والدها مشغول بخطبتها وزواجها ، وتحدث معها مباشرة بدون لف ودوران ، ولما صمت قالت : أي فتاة تحب أن تكون زوجة .. وأنا

من حيث مواصفات الشاب فهو صاحب دين وخلق .. وقد تركت الأمر النهائي لك ولأمي .. ما تريانه مناسبا سأقبل به .. فسمعة العائلة وشرف العائلة هذا يعود لكم

شكرها والدها ـ وابنته متعلمة ومتخرجة من الجامعة من بضعة شهور ـ وتحدث عن الحياة والظروف والبيئات ، وأن الإنسان يسر بعائلة سمعتها طيبة وشريفة .. ولابد من إعطاء الشباب الذي يعيش في مجتمع فاسد منحرف فرصة ؛ ليعود للمجتمع الصالح وتصحيح المسار وتابع الكلام : وأنا عرفت قيسا من دون اختلاط به لعلاقتي القوية بالجمعية الخيرية وتردد اسمه بين الحين والآخر بين أفراد وأعضاء الجمعية .. فأنا لا مانع لدي على شخصه وهو قوي الشخصية وشجاع .. وهو حسن الأخلاق .. وزكاه طلال خير تزكية .. وهو من أهل الدين ، وكما قال الحسن البصري للذي طلب منه أن يصف له لمن ينكح ابنته ، فأمره أن يزوجها لأهل الدين ؛ لأنه لا يظلمها إذا أبغضها .. والرجل يسعى لحياة فضلى ومجتمع صالح .. فغدا سأجتمع بأخوتك بعد صلاة العشاء ..ونرى وجهات نظرهم واعتراضاتهم ..فأنت موافقة من حيث المبدأ

– أنا تحدثت معي كما قلت لأمي أم محمد زوجة طلال .. وشرحت لي الموقف .. وقلت لها القرار الفصل عند أبي ..وأنا شخصيا لا أعرف الرجل ، لم نتقابل ولو صدفة ..ولا حتى أم محمد رأته رغم صداقته لطلال .. إنما هم رفاق مسجد .. فالشاب يسكن في أبو خروف من شهر واحد .. وإنما طلال حسب كلام أم محمد راغب بتزويجه وإخراجه من اليأس من الزواج من بنت عائلات .. ومن كلامهم ما فيه ما يعيب خلقا ودينا

وشرح لها الرجل ما يعرفه عن قيس وأمه الصابرة مع زوج مجرم وابن سارق وأب لها مريض وحرامي .. وقال : فلما يخرج من هكذا عائلة إنسان صالح فهو يستحق الدعم والوقوف معه

اتصل أبو حبيب أثناء استراحة الطلاب المدرسية بمدرسة طلال ، وطلب منه اللقاء عصرا في مسجد أبو خروف ، ولما التقيا وتصافحا واطمأنا على صحة بعضهم ، قال : أخ طلال أنا أشكر لك اختيار ابنتي لصاحبك قيس لكن لما فتحت الموضوع لم أعرف سبب اختيارك لابنتي

– لقد ذكرت لك أنها خطرت في بالي عندما تذاكرت أنا وقيسا موضوع زواجه وسعيه للاقتران بفتاة محترمة وابنة عائلة كريمة فاضلة .. وكان معنا الأخ فريد كمال ابن أخت أم ريان ومن خلال الحديث تذكرت ابنتك .. لقد حدثتني أنت عن تخرجها من كلية الشريعة يوما وقلت أمامي حان الآن وقت زواجها فلما تحدثنا بذلك ..

ذكرت كلامك اتفاقا يا أبا حبيب .. ولما سألت قريبتك أم محمد هل تزوجت ابنة أبي حبيب قالت لم أسمع فاتصلت أم محمد بالبنت ، ودعتها لزيارتها بحكم القرابة بينكم ، وتحدثت لها عن قيس وأنه يبحث عن فتاة متعلمة ومتدينة ، فقالت البنت يومها : لما يحدث شيء جدي أفكر .. فتحدثت مع قيس ، ثم تشجع الشاب لمسعاي أنا وأم محمد في تحقيق مراده ، وعادت أم محمد لمكاشفة كريمتك بجدية الشاب بالزواج ثم عرضت الأمر عليك ، ولا أنسى أنني أيضاً التقيت بأحد أبنائك بعزاء قريب ، وسألته هل تزوجت ضحى ؟ فقال : لا ، تنتظر قدرها ونصيبها ..لا سبب خاص يا أبا حبيب لاختيار ابنتك .. والشاب لم ير الفتاة .. وهي لم تره

تنهد أبو حبيب وقال بفرح بين : الآن ارتحت.. على كل حال أنا والبنت من حيث المبدأ موافقون والليلة سأجتمع بالأولاد لمناقشة الطلب .. وأذكر لهم من هو قيس ؟ ومن هي أسرته ؟ حتى لا يلوموني على هذه المغامرة ..فالبنت كسائر الفتيات ترغب بالزواج .. فهذا زواج ومصاهرة .. والناس تفتخر بالمصاهرات والنسب.. وأنا قلت لك كشخصي لا مانع لديّ .. وفي زواج كهذا أيها الصديق لابد من مشاركة الجميع وسماع أي اعتراض حتى لا يقال لي غداً رميت ابنتك في أسرة عصابة وحرامية .. ماذا يعني مهندسا وأهله كذا ؟! ماذا يعني متدينا وأنت تعرف عشرات من المتدينين في العائلة ؟ سيكون مثل هذا الهمس في العائلة والأقارب ، وسيكون لومهم قاسيا.. وإذا ـ لا سمح الله ـ فشل هذا الزواج ستتعرض للوم والكلام الجارح .. ففي المشاركة والمشاورة رفع للحرج والعتب الجارح

أثنى طلال على أبي حبيب فقال : بارك الله فيك ، وتصرفك تصرف حكيم وصاحب خبرة وتجربة .. وقد سمعنا مثل هذا الكلام الشامت في بعض الزيجات .. غداً ـ إن شاء الله ـ تنقل لي نتيجة الاجتماع .. فالشاب كلما طال الانتظار زاد قلقه .. فقد سعى لمحاولتين قبل هذه المحاولة وفشل فيهما بسبب سيرة عائلته .. ويبدو أن الإنسان عليه أن يتحمل تبعات وجرائم الأسرة ، ربما كل العائلة الكبيرة .. خاصة المجتمعات العربية والإسلامية ينظر الناس أن الجميع له دخل في الجريمة

– لأننا ما زلنا نتمسك بنظام العائلة والأسرة .. والفرد ابن الأسرة ، ليس ابن الدولة فقط فتجد الفرد منا يبتعد عن عيوب وتقاليد من أجل العشيرة والعائلة حتى لا يحرجها ويوصم بسمة دون العائلة ، فحتى بعض الأعمال يهجرها أفراد بسبب نظرة العائلة لها باحتقار واستخفاف.. فعندنا العمل في ملهى أو خمارة عمل سيء قبيح

مرفوض .. وكذلك البغاء معرة لكل الأسرة مع أنه في نظر بعض الدول أمر مشروع وجائز في القانون الوضعي

الخطبة الشرعية

عقد أبو حبيب اجتماعا عائليا ، وطرح فيه موضوع زواج ضحى أمامهم ، وسمع وجهات نظرهم ، ودافع الرجل عن مبادئه ، وأن على الإنسان أن يضحي في بعض الأحيان من أجل المبادئ المعتنقة ، وفعلا استطاع إقناع الأولاد بعد شرحه المفصل لقصة كفاح قيس ، وتصميمه على طلب العلم حتى تخرج من كلية الهندسة حاملا شهادة ، قد تجعله في موقع قيادي في المستقبل وكلمهم عن صبر أمه وعملها كخياطة لتصل به القمة ، وصبرها على المنحرفين وعدم انحرافها وضياعها في تلك البيئة .. وفي نهاية الجلسة اقتنع الأولاد أو أقنعوا أنفسهم بزواج أختهم من ابن رجل شرع في القتل ، ويقضي عقوبة طويلة بسبب ذلك ، وأسرة فاسدة ، وأعجبوا بقيس وجهاده وكفاحه في مثل تلك العائلة ونجاحه بعدم الانحراف والسقوط كشقيقه السجين أيضاً .. وبعد الاجتماع اتصل بطلال وأعلمه موافقة العائلة ، وعلى الفور اتصل طلال بصديقه قيس الذي كان علم بهذا الاجتماع منتظرا نتيجته ، ثم التقيا في شقة أم ذيب فرحبت الأم بطلال ، وبكت لما سمعت طلال يبارك لقيس الموافقة ، وبعد شرب الشاي أعلمها أنه سيمر عليها تصحبه أم محمد لتذهبا للتعرف على الفتاة وأمها وأخواتها ، ومن ثم يرتبون للقاء قيس بتلك الأسرة ؛ ليتم نظر العروسين لبعضهما البعض ؛ ليكون القبول النهائي ، مع أن كل الإمارات تدل على رضا الطرفين ؛ ولكن النظرة قد تغير الأمر فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للمغيرة بن شعبة فَقَالَ : اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا قال قيس معبرا عن سعادته : من ناحيتي أنا، أنا أقبل بها ما دامت ابنة أسرة طيبة ومتعلمة ، وما دامت اختيار رجل اجتماعي مثل طلال .. فهذه غاية السعادة .. وألم يقل محمد صلى الله عليه وسلم : اظفر بذات الدين تربت يداك ؟

تعرفت عجيبة على الفتاة وأمها واستراحت لهما قلبيا ، وهم أيضا طابت أنفسهم لهذه المرأة الصابرة على الابتلاء العجيب زوج وابن وأب ، كلهم لصوص ، ولم يجر بينهم ذكر الأب والزوج والابن السجين خشية الأحراج .. وفي مساء نفس اليوم عادت عجيبة بصحبة ابنها قيس وطلال ، وجرى التعارف والمجاملات الطيبة ، ودخلت الفتاة الشابة بالقهوة كعادة الناس وتعرفت على رجل الغد ، وتحدثا ببعض العبارات الترحيبية .. وأين درس ؟ وأين درست ؟

وقال قيس : الحمد الذي تتم بنعمته الصالحات أنا يا سيدي يا أبا حبيب كما أخبرت الأخ طلالا أنا موافق ، وأقبل ابنتكم زوجة لي ، وأشرف بكم ، ويسعدني أن أعتبر هذا اليوم من أيام سعادتي والحمد لله الذي جعلنا أن نتعرف على بعض .. وجعلنا ننتقل إلى حي أبو خروف من أجل أن يتحقق هذا الزواج ـ إن شاء الله تعالى ـ وأنا ممنون لكم جداً .. وأترك الكلمة الفصل للآنسة ضحى بعدما تشرفنا برؤية بعضنا .. وأرجو أن أكون قد ظفرت بذات الدين حسب وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

غادرت النساء الغرفة ، وبقي الرجال يتحدثون في أمور شتى ، وفي نهاية الجلسة تمنى أبو حبيب لقيس الثبات والفلاح في دنياه وآخرته ، ووعده أنه يكون رده قريبا ، فشكره طلال وقيس ، وغادروا البيت تغمرهم السعادة والفرح القاصر

كانت الخطبة عصر يوم الجمعة في ساحة بيت أبي حبيب ، ودعا قيس لخطبته بعض أقارب جده شوكة ، وبعض أقارب والده ، من يسكن القرية ، ومن يسكن المدينة ، واجتمعت الأسر في بيت أبي حبيب ، وحضر الحفل بعض زملاء قيس في الشركة ، وكتب العقد الشرعي كما هو العرف هذه الأيام على يد ما يسمونه المأذون ، وقدمت الحلوى والشراب للضيوف والمحتفلين ، ثم أخذ الناس يتفرقون ويعودون لبيوتهم ، وودع قيس ضيوفه وأقاربه الوداع اللائق بهم ، واتفق مع أسرة أبي حبيب أن يكون الزواج الشرعي بعد خروج الوالد من سجنه في شهر نيسان .. وسيبدأ قيس بالبحث عن شقة في حي أبو خروف ، ويشرع في تأثيثها ليكون الزواج بعد خروج والده بأيام .. وسيقابل حازم محمود مالك العمارة لاستئجار شقة فارغة في نفس العمارة حيث علم بوجود شقة فارغة فيها .. وودعهم شاكرا لهم ، فدعوا له بالتيسير والسداد ، ثم أخذه طلال وأمه بسيارته لبيته ، وجلسوا بعض الوقت في شقة أم ذيب ، وبارك طلال وأم محمد للجد شوكة زواج حفيده ، فشكر العجوز لهم جهدهم ، ثم انصرفوا وهم يشعرون بسعادة غامرة لما تحقق على أيديهم من الخير ، خاصة طلال ، ويرجون الله أن يكون زواجا مباركا

في الليلة التالية للخطبة وصل قيس للشقة ، ولما فتحت له والدته الباب قالت : عمك منصور مع جدك سلم عليه ، فقد جاء قبل دقائق ليبارك لك ولنا

دخلت أمه المطبخ لصنع القهوة أو الشاي للزائر ، ومشى قيس لحجرة الجد حيث نهض منصور معانقا له ومهنئا بالخطبة ـ فالرجل قضى مع أبيه تسع سنوات سجن ـ فدعا له بالتوفيق وبعدما عاد للجلوس وحيا قيس جده ، وجلس مرحباً

بالرجل ، قال منصور : كنت أمس عند الوالد وكان عاتبا على عدم صبرك لهذه الشهور ليشارككم الفرحة

- لم أتزوج بعد يا عم منصور .. هي خطبة .. والزواج بعد خروج أبي بأسبوع - إن شاء ربي - وقد اتصلت به قبل الخطبة ، وبارك لي .. وظروف الزواج كانت دقيقة

- على كل حال ألف مبارك .. والزواج بعد خروج الوالد جيد .. فهذا

سيسر أباك ؛ لأنه كما أخبرني سيكون الإفراج في نصف نيسان القادم .. السجن عذاب رغم أنه أكل وشرب ونوم

قال قيس غامزا : ألستم أنتم الجناة على أنفسكم ؟! .. فباب التوبة يملأ الأفق .. وهو ما بين المشرق والمغرب .. لا يغلق إلا في آخر الزمان

- يا ولدي من تعود على شيء حتى ولو كان سيئا يصعب عليه البعد عنه .. غلبتنا العادة .. كيف سأعمل أجيرا بعد كل هذه السنوات ، وبعد هذه السن

- اعمل سائقا على خط تكسي أو سائق تكسي أجرة متجول في أنحاء المدينة

- ألا يتحكم صاحب السيارة بك ؟

- سيارتك أنت تملك سيارة

- ومن أين آتي بثمنها ؟

- اقترض

- ومن يسلفني ثمن سيارة ؟!

- اعمل بالأجرة ، واجمع ثمن سيارة ..واشتغل عليها حر نفسك .. اسمع يا أبا خالد .. الحلال دربه كثير وواسع .. أهل الشر قلة بالنسبة للأخيار .. الضعف البشري موجود لدى كل البشر وكل ابن آدم خطأ وخير الخطائين التوابون

أحضرت أم ذيب الشاي والفاكهة والمكسرات ووضعتها على منضدة في حجرة الجد ، وجلست تسكب الشاي للجميع ، وتدعو الجميع لشربه وأكل الفاكهة والمكسرات ، وبارك لها منصور خطبة قيس ، وقال : ما دام العرس بعد خروج الوالد فهذا سيسعد أبا ذيب عن حفلة الخطبة

قالت : كانت حفلة صغيرة في منزل أبي حبيب .. إنهم أناس محترمون جزاهم الله خيرا .. لقد أفرحونا بقبولهم لقيس لابنتهم ، والتفتت لقيس كأنها تذكرت شيئا فقالت : ماذا فعلت مع السيد حازم ؟ هل استأجرت الشقة ؟ في الطابق الأول شقة فارغة لو سكنها قيس سنبقى متجاورين

ابتسم قيس وقال : للأسف يا أمي الحجرة أو الشقة استأجرها رجل مقعد .. وسينزل فيها مطلع الشهر القادم أول نيسان ؛ ولكن عند أبي حازم عمارة أخرى في الجزء الشرقي من الحي فيها شقة ستفرغ خلال أيام .. ولما تجهز سيتصل بي

لإجراء الصيانة وتجديد الدهان

– المهم أنها في أبو خروف .. سهل الله الأمر

فرغت شقة لحازم محمود في عمارته الثانية شارع القمر ،واتصل بقيس الذي ذهب إليها وتفقدها وشرع في صيانتها بمساعدة طلال وفريد ، فأعيدت صيانة المراحيض والمطبخ والأبواب والكهرباء والمغاسل ، وقام فريد بدهانها كهدية لقيس ، ووفر له قيس مواد الصيانة والطلاء ، وقام قيس بتقديم هدية دراجة لابنه الصغير ، وتدخل طلال فقبلها فريد ، وجاءت العروس وأمها وبعض أخواتها وشاهدن الشقة ، وأخذ الشاب بشراء الأثاث اللازم

الخروج من السجن

ذهب منصور والسائق صبحي وعجيبة إلى السجن لإحضار صقر المفرج عنه هذا النهار من نيسان .. فقد قضى سنوات في السجن بسبب عدة سرقات وبسبب إطلاق النار من مسدس على أحد حراس الشركة التي أراد سرقة خزنتها ، وقد أصيب الحارس بعيار ناري أدى إلى إصابته بشلل دائم .. وقبل الظهر بوقت يسير تم الإفراج عنه .. وكان يصحبه منصور عندما خرج من بوابة السجن ، وعانق زوجته ، وعانق صبحيا سائق عجيبة من سنوات ..وركب منصور بجوار السائق ، وصقر بجوار عجيبة وقال : سنذهب إلى سجن ذيب ..إني بشوق له يا صبحي .. لي سنة ونصف لم أره .

توجه صبحي إلى البلدة التي يقع فيها سجن ذيب ، فهو يعرف المكان خير المعرفة ، وأثناء الطريق نزلوا واشتروا طعاما للذيب بعد أن تناولوا غداءهم ، واشترى له علبا من الدخان والعصير ، ثم ساروا إلى ذلك السجن ، فوصلوا إليه بعد ساعتين ، وافق ضابط السجن على زيارتهم ، وسمح لهم بمقابلة ذيب الذي جاء بدوره ، وعانق والده وأمه ومنصورا وحتى السائق صبحيا ، وبارك لأبيه الإفراج ، مما دفع أمه للقول: عقبال عندك يا ذيب

وبعد الكلام والأخبار قال : قيس سيتزوج .. وجدتم عروسا أخيرا

قالت : عقبال عندك يا ذيب

– أنا لا أحب النساء ولا الزواج

ضحك منصور فالتفت إليه الشاب وسأل : مالك تضحك ؟!

قال منصور ضاحكا: على عدم حبك النساء ؛ كأنك نسيت ليلة القبض عليك في دار دعارة !

– كانت آخر مرة ، وبعدها تخلصت من شرورهن

– إن شاء الله يا سيدي

قال صقر : ستخرج قريبا في آخر الصيف تقول

أمك . وناوله الطعام والعصير والدخان وانتهت الزيارة ، فحملهم صبحي لحي أبو خروف ، ولما نزلوا من السيارة ، ونزّل صقر أغراضه التي أخذها من السجن ، ووقفوا أمام مدخل العمارة ، ومنصور يودعهم بعد انصراف صبحي قائلا : سأمر عليك غداً أو بعد غد عندما تستريح من تعب السجن

– أنا في انتظارك

تقدمت عجيبة نحو مدخل العمارة ، وكان يسد الباب رجل مقعد على عربة المرضى ، عرفت أنه المستأجر الجديد ، فأفسح لها سائق العربة الطريق لتدخل ، وقبل أن يدخل صقر خلف امرأته كان المقعد يطلق عليه الرصاص من مسدس أشهره أو كان معدا له لهذه اللحظة ، وهو يقول مبتهجا : آهذا صقر ؟ آهذا صقر ؟!

رد عليه سائقه : نعم يا أبي ، نعم يا أبي

صاح صقر وهو يسقط أرضا ، وصاحت عجيبة ، وقال الرجل : أنا حارس الشركة يا صقر الذي انتظرك كل هذه السنوات .. أنت محبوس في سجنك الكبير .. وأنا محبوس على هذا الكرسي مشلول .. مت قرير العين . ورماه بما تبقى من رصاص في مسدسه

التم الناس كالعادة على صوت الرصاص ، وعلى صراخ المرأة ، وعويل صقر ، وحضرت سيارة الصحة والشرطة ، ونقل المصاب للمستشفى ، والقاتل لقسم الأمن أو نقطة الشرطة

وفي أول الليل جاء نبأ موت صقر في المستشفى ، وكانت عجيبة تبكي زوجها بعد عودتها للبيت وأبوها يقول : مات الفارس يا عجيبة ! مات قبل أن يفرح بخروجه من السجن.. قبل أن يفرح بزواج ابنه .. وهذا العدو الذي لم يحسب له أحد حسابا

جاء قيس أيضاً وقال : إنا لله وإنا اليهم راجعون .. اللهم أجرنا في مصيبتنا وأخلف لنا خيرا منها .. عليك بالصبر يا أمي .. علينا بالصبر .. فالقاتل بين يدي الشرطة

شيع أهالي أبو خروف جثمان صقر والد قيس الشاب الطيب الذي أحبوه في مدة قصيرة ، والذي جاورهم منذ عهد قريب ، وشاركوه العزاء بأبيه ، وبعد أيام ثلاثة انتهى العزاء .. وكان قيس يقول : قابلت قاتل أبي ، فقال : أنا فعلت ذلك بعد ثماني عشرة سنة قضيتها محبوسا في جلدي وعجلتي .. وسأقضي حياتي كلها في السجن إن لم أعدم ؛ لكنني ارتحت بأخذ ثأري ، وأنا مستعد لحكم الإعدام .. لقد دمر والدك حياتي .. فصمت لم أرد عليه وماذا أقول ؟ ! علينا بالصبر لقدر الله وقضائه يا أمي .. وأنا سأسامح بحقي ودم أبي ؛ لعل الرجل يتوب ولا يحكم عليه بالإعدام

فهاج شوكة سخطا وقال : عار أن تفعل ذلك .. يقتل أبوك وتعفو عنه .. هذا جبن وضعف .. لن نقبل بذلك

– وماذا نستفيد من إعدامه ؟ .. فله سنوات يعيش في سجنه أليس الشلل حبسا ؟.. وليقضي ما تبقى من عمره محبوسا في جلده يا جدي

ولما ذهب الأسبوع على وفاة صقر أخبر قيس أمه برغبته بإتمام الزواج ، وأن الحزن والحداد لا يعيدان الميت ، وأن كلام الناس لا يهمه ، وحاولت الأم والجد منعه من فعل الزواج ، فقال : لماذا نؤخر الزواج لبعد الأربعين ؟ أو السنة ؟ أهذا من الدين ؟ أرجو أن يقبل أبو حبيب بكلامي فقط .. شاورت طلالا وفريدا بذلك . فقال طلال : هذا عين الصواب .. لا حداد في الإسلام .. المرأة تحد على الأخ والابن والأب والقريب ثلاثة أيام فقط .. والزوج أربعة أشهر وعشرا

قالت : كيف ستتزوج وأنا أرملة ؟

ابتسم قيس وقال : يا أمي أنت أرملة منذ ولدتني

قال شوكة: أنت يا قيس لا تحب أباك

– وما دخل الحب لأبي في الزواج يا جد شوكة .. أبي ـ رحمه الله ـ نسأل الله تعالى أن يغفر له ذنبه .. على كل حال الفصل عند العم أبي حبيب يا أمي .. لن يكون هنالك حفل غناء ورقص سيكون زفافا شرعيا ؛ وربما ينشد بعض المنشدين أو المنشدات أناشيد دينية عند العروس كما قال طلال .. سيكون حفلا بسيطا إذا قبل أبو حبيب

قالت بتجهم : أنت أدرى بحالك يا ولدي

مشى قيس لوالد خطيبته وحدثه بأفكاره ، فقال الرجل : ألا تخشى كلام الناس؟!

– وماذا يفيد كلام الناس يا عم ؟! هل الحداد الشهور والأيام من الإسلام ؟

– أمك ؟

– أمي كما تعلم مسكينة ، الذي يحز في نفسها أنها لن تفرح الفرح الكامل .. وهل بعد الأربعين ستفرح .. قالت : أنت أدرى بحالك

– وهذه شجاعة أخرى فيك يا قيس

– هل نحن نعمل أمرا حراما ؟ .. لقد حضرت مرة دفنا وزواجا في نفس الوقت.. جدة العريس ماتت ، ودفنت يوم عرس العريس .. فكان طعام العرس طعام الميتة

– أنا فخور بك يا قيس يا ولدي .. رحم الله والدك ، وغفر الله له

ـ الأمر لك يا عمي

ـ اللهم الهمنا الصواب .

تمت الحكاية الخامسة ١٩٧٤

مُخُّ الحِمَارِ

ذَهَبَ الْأَسَدُ وَالثَّعْلَبُ للصَّيْدِ مَعًا. أَرْسَلَ الْأَسَدُ، عَمَلًا بِنَصِيحَةِ الثَّعْلَبِ، رِسَالَةً إِلَى الْحِمَارِ يَقْتَرِحُ عَلَيْهِ عَقْدَ تَحَالُفٍ بَيْنَ عَائِلَتَيْهِمَا، فَأَقْبَلَ الْحِمَارُ إِلَى مَكَانِ الِاجْتِمَاعِ وَكُلُّهُ ابْتِهَاجٌ بِبَشَائِرِ تَحَالُفٍ مَلَكِيٍّ، غَيْرَ أَنَّهُ عِنْدَمَا حَضَرَ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَسَدِ إِلَّا أَنِ انْقَضَّ عَلَيْهِ وَافْتَرَسَهُ، ثُمَّ قَالَ للثَّعْلَبِ: «هَا هُوَ غَدَاؤُنَا لِهَذَا الْيَوْمِ. قُمْ أَنْتَ بِالْحِرَاسَةِ حَتَّى أَذْهَبَ لِأَنَالَ قِسْطًا مِنَ النَّوْمِ. وَالْوَيْلُ لَكَ إِذَا لَمَسْتَ فَرِيسَتِي.» انْصَرَفَ الْأَسَدُ وَظَلَّ الثَّعْلَبُ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذْ وَجَدَ سَيِّدَهُ قَدْ تَأَخَّرَ غَامَرَ بِإِخْرَاجِ مُخِّ الْحِمَارِ وَالْتَهَمَهُ لِلتَّوِّ.١ وَعِنْدَمَا رَجَعَ الْأَسَدُ لَاحَظَ مِنْ فَوْرِهِ غِيَابَ الْمُخِّ، فَسَأَلَ الثَّعْلَبَ بِصَوْتٍ رَهِيبٍ: «مَاذَا فَعَلْتَ بِالْمُخِّ؟» فَقَالَ الثَّعْلَبُ: «مُخٌّ؟! يَا صَاحِبَ الْجَلَالَةِ، الْحِمَارُ لَا مُخَّ لَهُ، وَإِلَّا لَمَا أَمْكَنَ أَنْ تَنْطَلِيَ عَلَيْهِ حِيلَتُكَ».

«لَا يَعْدَمُ الْفَطِنُ رَدًّا حَاضِرًا فِي أَيِّ وَقْتٍ».

تَمَخَّضَ الجَبَلُ

ذَاتَ يَوْمٍ لَاحَظَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ أَنَّ الْجَبَلَ كَانَ فِي مَخَاضٍ: الدُّخَانُ يَتَصَاعَدُ مِنْ قِمَمِهِ، وَالْأَرْضُ تَتَزَلْزَلُ تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ. وَكَانَتْ أَشْجَارٌ تَتَحَطَّمُ وَجَلَامِيدُ تَنْهَارُ. أَيْقَنَ النَّاسُ أَنَّ شَيْئًا رَهِيبًا كَانَ وَشِيكَ الْوُقُوعِ.

تَجَمَّعَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ لِيَرَوْا مَا عَسَاهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الشَّيْءُ الرَّهِيبُ. وَانْتَظَرُوا، وَانْتَظَرُوا، وَلَكِنَّ شَيْئًا لَمْ يَأْتِ. أَخِيرًا حَدَثَ زِلْزَالٌ أَشَدُّ عُنْفًا وَظَهَرَ صَدْعٌ ضَخْمٌ فِي جَانِبِ الْجَبَلِ. فَسَقَطُوا رُكَّعًا جَمِيعًا، وَانْتَظَرُوا. وَأَخِيرًا، وَفِي نِهَايَةِ الْمَطَافِ، أَبْرَزَ فَأْرٌ صَغِيرٌ جِدًّا رَأْسَهُ الضَّئِيلَ وَشَعْرَهُ الْهَزِيلَ مِنَ الصَّدْعِ، وَهَبَطَ يَجْرِي نَحْوَهُمْ. مِنْ يَوْمِهَا اعْتَادَ النَّاسُ أَنْ يَقُولُوا: «صِيَاحٌ كَثِيرٌ، نِتَاجٌ قَلِيلٌ».

تَقُولُ الْعَرَبُ فِي هَذَا الْمَعْنَى: «جَعْجَعَةٌ، وَلَا أَرَى طِحْنًا

الْأَصْلَعُ وَالذُّبَابَةُ

جَلَسَ رَجُلٌ أَصْلَعُ بَعْدَ أَنْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ ذَاتَ يَوْمٍ حَارٍّ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ، فَجَاءَتْ ذُبَابَةٌ وَظَلَّتْ تَطِنُّ١ حَوْلَ صَلْعَتِهِ، وَتَخِزُهُ بَيْنَ الْحِينِ وَالْحِينِ. سَدَّدَ الرَّجُلُ بِجُمْعِ كَفِّهِ٢ لَطْمَةً لِعَدُوِّهِ الصَّغِيرِ، غَيْرَ أَنَّهَا أَصَابَتْ رَأْسَهُ بَدَلًا مِنَ الذُّبَابَةِ. ثُمَّ عَادَتِ الذُّبَابَةُ تُزْعِجُهُ كَرَّةً أُخْرَى،٣ وَلَكِنَّهُ كَانَ حَكِيمًا هَذِهِ الْمَرَّةَ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «لَنْ تُؤْذِيَ غَيْرَ نَفْسِكَ، إِذَا أَنْتَ الْتَفَتَّ لِكُلِّ خَصْمٍ حَقِيرٍ».

الثَّعْلَبُ وَطَائِرُ اللَّقْلَقِ

ذَاتَ مَرَّةٍ كَانَ الثَّعْلَبُ وَطَائِرُ اللَّقْلَقِ مُتَحَابَّيْنِ يَتَزَاوَرَانِ وَتَجْمَعُهُمَا صَدَاقَةٌ حَمِيمَةٌ؛١ لِذَا دَعَا الثَّعْلَبُ صَدِيقَهُ اللَّقْلَقَ إِلَى الْغَدَاءِ، وَعَلَى سَبِيلِ الْمِزَاحِ لَمْ يَضَعْ أَمَامَهُ غَيْرَ بَعْضِ الْحَسَاءِ فِي طَبَقٍ ضَحْلٍ٢ جِدًّا، فَكَانَ بِإِمْكَانِ الثَّعْلَبِ أَنْ يَلْعَقَ هَذَا

الصَّحْنَ بِسُهُولَةٍ بَيْنَمَا لَمْ يَمْلِكِ اللَّقْلَقُ إِلَّا أَنْ يُبَلِّلَ فِيهِ طَرْفَ مِنْقَارِهِ الطَّوِيلِ. وَفَرَغَ مِنَ الْوَجْبَةِ وَهُوَ عَلَى جُوعِهِ الَّذِي بَدَأَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الثَّعْلَبُ: «مَعْذِرَةً، يَبْدُو أَنَّ الْحِسَاءَ لَا يَرُوقُكَ». فَقَالَ اللَّقْلَقُ: «أَرْجُوكَ لَا تَعْتَذِرْ، وَأَنْ تَرُدَّ لِي هَذِهِ الزِّيَارَةَ فَتَأْتِيَ لِلْغَدَاءِ عِنْدِيَ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ».

لِذَا فَقَدِ اتَّفَقَا عَلَى مَوْعِدٍ يَحْضُرُ فِيهِ الثَّعْلَبُ لِزِيَارَةِ اللَّقْلَقِ، وَعِنْدَمَا حَانَ الْوَقْتُ وَجَلَسَا إِلَى الْمَائِدَةِ كَانَ كُلُّ الْغَدَاءِ الْمُعَدِّ لَهُمَا مَحْصُورًا فِي وِعَاءٍ لَهُ رَقَبَةٌ طَوِيلَةٌ جِدًّا، بِحَيْثُ لَمْ يَتَمَكَّنِ الثَّعْلَبُ مِنْ أَنْ يَدُسَّ فِيهِ أَنْفَهُ، وَكُلُّ مَا أَمْكَنَهُ فِعْلُهُ هُوَ أَنْ يَلْعَقَ الْوِعَاءَ مِنَ الْخَارِجِ. هُنَا قَالَ اللَّقْلَقُ: «إِنَّنِي لَا أَعْتَذِرُ عَنِ الْغَدَاءِ؛ دَقَّةٌ بِدَقَّةٍ».

الذِّئْبُ وَالْكُرْكِيُّ

كَانَ الذِّئْبُ يَلْتَهِمُ حَيَوانًا افْتَرَسَهُ، إِذِ انْحَشَرَتْ فِي زَوْرِهِ فَجْأَةً قِطْعَةٌ صَغِيرَةٌ مِنَ الْعَظْمِ كَانَتْ فِي اللَّحْمِ، وَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ ابْتِلَاعِهَا، وَأَحَسَّ مِنْ فَوْرِهِ بِأَلَمٍ رَهِيبٍ فِي زَوْرِهِ، وَجَعَلَ يَعْلُو وَيَهْبِطُ، وَيَئِنُّ وَيَئِنُّ، وَيَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ يُخَفِّفُ عَنْهُ أَلَمَهُ. حَاوَلَ الذِّئْبُ أَنْ يَحُثَّ كُلَّ مَنْ يُقَابِلُهُ عَلَى أَنْ يَنْزِعَ قِطْعَةَ الْعَظْمِ قَائِلًا لَهُ: «سَأَمْنَحُكَ أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُهُ إِذَا أَنْتَ أَخْرَجْتَهَا.» وَأَخِيرًا وَافَقَ الْكُرْكِيُّ عَلَى أَنْ يُحَاوِلَ، وَطَلَبَ مِنَ الذِّئْبِ أَنْ يَرْقُدَ عَلَى جَنْبِهِ وَيَفْتَحَ فَكَّيْهِ كَأَوْسَعِ مَا يَسْتَطِيعُ، عِنْدَئِذٍ أَدْخَلَ الْكُرْكِيُّ رَقَبَتَهُ الطَّوِيلَةَ دَاخِلَ زَوْرِ الذِّئْبِ، وَجَعَلَ يُخَلِّصُ الْعَظْمَةَ بِمِنْقَارِهِ إِلَى أَنْ تَمَكَّنَ فِي النِّهَايَةِ مِنْ إِخْرَاجِهَا.

قَالَ الْكُرْكِيُّ لِلذِّئْبِ: «هَلْ سَتَتَكَرَّمُ بِأَنْ تَمْنَحَنِي الْمُكَافَأَةَ الَّتِي وَعَدْتَ بِهَا؟»

ابْتَسَمَ الذِّئْبُ وَكَشَّرَ عَنْ أَنْيَابِهِ وَقَالَ: «كُنْ قَنُوعًا؛ لَقَدْ وَضَعْتَ رَأْسَكَ فِي فَمِ ذِئْبٍ وَأَخْرَجْتَهَا ثَانِيَةً فِي أَمَانٍ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مُكَافَأَةً كَافِيَةً لَكَ».

«الْعِرْفَانُ وَالطَّمَعُ لَا يَجْتَمِعَانِ».

الدِّيكُ وَاللُّؤْلُؤَةُ

ذَاتَ يَوْمٍ كَانَ الدِّيكُ يَتَبَخْتَرُ أَعْلَى فِنَاءِ الْمَزْرَعَةِ وَأَسْفَلَهُ بَيْنَ الدَّجَاجِ، إِذْ لَمَحَ شَيْئًا يُشِعُّ وَسْطَ الْقَشِّ، قَالَ الدِّيكُ: «هُو هُو، هَذَا لِي.» وَفِي الْحَالِ انْتَزَعَ هَذَا الشَّيْءَ مِنْ تَحْتِ الْقَشِّ، فَعَنْ أَيِّ شَيْءٍ تَكَشَّفَ فِي النِّهَايَةِ؟ لَا شَيْءَ، مُجَرَّدُ لُؤْلُؤَةٍ شَاءَتِ الْمُصَادَفَةُ أَنْ تَضِيعَ فِي الْفِنَاءِ! قَالَ السَّيِّدُ دِيكٌ: «رُبَّمَا تَكُونِينَ ثَرْوَةً بِالنِّسْبَةِ لِلْبَشَرِ الَّذِينَ يُقَدِّرُونَكِ، وَلَكِنْ بِالنِّسْبَةِ لِي فَإِنَّ مُجَرَّدَ حَبَّةِ قَمْحٍ وَاحِدَةٍ هِيَ خَيْرٌ عِنْدِي مِنْ مِكْيَالٍ مِنَ اللَّآلِئِ».

«إِنَّمَا النَّفَائِسُ لِمَنْ يُقَدِّرُهَا».

التحقيق الجنائي والجريمة

نفس الشعب

عالم الغرب

شارع خالد في المدينة العاصمة الكبرى يمتد لأكثر من خمسة كيلو متر طولا ، في منتصفه جرى

الحادث في شارع جانبي متفرع عنه اسمه شارع احمد بن حنبل جرى حادث الاغتيال .

الحادث جرى في أول النهار ، وقع مع الشروق ، لما بدأت الناس تغادر المنازل إلى أعمالها وأشغالها ووظائفها قبل ضغط المواصلات والطوابير .

كانت سيارة صالون سوداء ألمانية الصنع توقفت في أول الشارع الفرعي ، ونزل السائق كما ظهر للشهود ، وأطلق النار على راكب كان بجواره وأرداه قتيلا . وكان الحادث أمام دهشة المارة ، السائق يطلق النار على الراكب الوحيد معه ، تجمهر الناس حول السيارة والسائق ، كانوا يحدقون في القتيل والقاتل كما بدا لهم ، سمع الناس صوت الرصاص ، كان الرجل يقف جهة باب الراكب ، وبعد اطلاق الرصاص أخرج سيجارة وأخذ بالتدخين ، وقد ألقى المسدس في المقعد الخلفي للسيارة ، تكاثر الجمهور ولفظ القتيل أنفاسه أمام دهشتهم ، وبدا للناس أنه في الخمسين من عمره .

اتصل أحد أصحاب البقالة بالشرطة ، وخلال دقائق كانت أقرب سيارة نجدة تقف معهم .

وقال ضابط الدورية مخاطبا السائق الجالس على مقدمة السيارة يدخن واحدة تلو الآخرة : أأنت قتلته ؟!

فهز رأسه " بنعم "

اتصلت الشرطة بالإسعاف الفوري ، وفريق التحقيق الجنائي ، ومكتب المدعي العام للدولة

قال ضابط الدورية : لست مواطنا محليا يبدو !

قال بهدوء : أنا من عرب عق .

فتجرأ ضابط النجدة فسأل : ماذا فعلت ؟!

قال السائق القاتل بجرأة : أمرت بقتله .. وأنا سائقه.. وبرتبة ملازم مثلك .

دهش الضابط وقال : ماذا ؟! أمرت بقتله وأنت سائقه!

ـ نعم

ـ حسنا .. هي جريمة سياسية إذن !

توجه الضابط للجمهور المحيط والمستمع وصاح : أيها الناس! بارك الله في جهودكم وتعاونكم .. الرجل اعترف بإطلاق الرصاص .. والجريمة جريمة سياسية.. فاذهبوا إلى أعمالكم .

فبدأ الجمهور بعد صياح الملازم يقل رويدا رويدا حتى لم يبق إلا القليل والأكثر فضولا .

حضر المحققون والبحث الجنائي والطب الشرعي ومندوب المدعي العام ، ولما بدأ التحقيق الابتدائي قال السائق بتوتر بدا خفيفا : هذا الدكتور القتيل هو وائل البصري عالم الفيزياء النووية في عرب عق .. وأنا سائقه وحارسه الشخصي .. وأمرت بقتله ؛ لأنه كان يسعى للفرار لأوروبا ألمانيا حيث تعلم .

ودفع هوية خاصة أخرجها من قميصه للمحققين ، تبين أنه ضابط استخبارات وأمن في دولة عرب عق . أمر ضابط التحقيق المكلف بعد كشف الطبيب وتأكيد الوفاة بالرصاص بنقل الجثة إلى سيارة الإسعاف ، ونقلها لغرفة التشريح في مستشفى النصر العربي ، ووضعت القيود في يد السائق الحارس ، وأدخل سيارة نقل المجرمين ، ولما انتهى التصوير بنوعيه الفوتوغرافي والفيديوي أمر المحقق بنقل السيارة إلى مكان ما.

لما سجلت البيانات والاعتراف السريع ، نقل الخبر لوازرة الخارجية للدولة التي جرت على أرضها الجريمة والاغتيال حيث نقلته لسفارة حكومة عرب عق ووزارة خارجيتها .

ونقل الخبر كذلك لزوجة القتيل التي تبين أنها عالمة كيمياء ذات عمل كبير في بلدها ، ومحاضرة في إحدى جامعتها ، وسيفرج عن الجثة بعد التشريح وظهور تقرير الوفاة والتشريح بالتفصيل ثم تدفن في مدافن الهجرة أو ترحل لبلدها.

قال الضابط الرائد نعيم : لماذا قتل يا دكتورة سهاد الفرد في رأيك ؟!

قالت بصوت متماسك : أنا زوجته ، ولا دخل ولا علاقة لي في مصرعه جهارا نهارا .. كنا أعضاء فريق العمل في تطوير السلاح في دولة القتل والظلم والعبث .

قال نعيم مسكنا من روعها : نحن لا نتهمك يا دكتورة ! السائق الخاص بكما اعترف بإطلاق النار على الدكتور ، وأن الأوامر الأمنية صدرت له بتنفيذ الاغتيال وهو ضابط سري.. وسائق للعالم وائل.

قالت : نعم ، هو الملازم أول سريان أنا أعرف ذلك .. وقد حذرنا قبل الجريمة .. وطلب منا العودة لعرب عق

قال نعيم : ذلك صحيح كما قال.. إذن الدافع رفضكم العودة للبلاد بعد أن قمتم باتصال بسفارات أجنبية سفارة ألمانيا بالتحديد سعيا للهجرة والهرب .

قالت : نعم، رغبنا بذلك ؛ لأننا لو عدنا قتلنا .. فرغم التهديد والوعيد تحدثنا مع السفارة .. ولي لقاء قريب مع السفير أو موظف كبير في تلك السفارة .. السيد درس الدكتوراه عندهم .. ويحمل جنسية مزدوجة .. كنا نرغب بالهجرة والعمل هناك ؛ لكن أسيادنا يرفضون ذلك .. يجب أن نبقى عبيدا عندهم في مختبرات ومعامل سيئة لا تصلح لشيء .



عالمة الكيمياء

سعاد الفرد امرأة الفيزيائي وائل تعلمت في أمريكا علم الكيمياء ، والدهما عالم كبير الفرد جرير وكان مهاجرا قديما من بلد عرب عق ، وترك البلد لما سيطر الشيوعيون على الدولة مع أحزاب يسارية أخرى ، وذلك في زمن الاضطهاد والانقلابات العسكرية ، فلم يستسغ نظام الحكم الظالم والمقيد للحريات الفردية والجماعية ، والقائم على التجسس والاضطهاد ، فرأى الخروج من القطر أخف الضررين وأحسن حالا من عرب عق وبلاد الله واسعة .

واستطاع أن يكون عالما كيميائيا في أمريكا ، وتزوج امرأة من أمريكا الجنوبية تعرف عليها في الجامعة ، وولدت له سعاد وسهاد ، ولما تخرجتا من الجامعة تزوجتا من مغتربين مثلهم عرب ومسلمين ، ولم ينجح زواجهما ، وطلقتا ، وكانت سعاد في بعثة علمية في المانيا ، والتقت بالدكتور وائل الذي كان متزوجا أجنبية ، ولما التقى بسعاد كان هو الآخر مطلقا ، واتفقا على الاقتران ، وعادا للوطن ؛ لأن الدكتور كان مبتعثا للدراسة على حساب النظام الحاكم في عرب عق ، وقد قام هذا النظام القومي العروبي على أثر انقلاب على الشيوعيين واليسار الاشتراكي ، والتحقا ببرنامج يقوم به النظام يسمى " برنامج تطوير الأسلحة " في البلد وقدمت لهما كل الحوافز للبقاء والاستقرار في الوطن .

كان الدكتور مبدعا في مجاله ، ومهتما بتسليح جيش عرب عق ، كان الزعيم الملهم للدولة محبا للحروب والمعارك ، سواء ضد خصوم النظام في الداخل أو الخارج سواء في الشرق أو الشمال أو الجنوب .

كان يرى هذا البلد أنه أهم بلدان العرب تاريخا وجغرافيا وشعبا وغنى وجيشا وبشرا ،كان الزعيم الملهم يزعم لشعبه وشعوب العالم والأمم أنه فريد عصره ، وأنه عظيم سيقيم أمة خالدة وحضارة جديدة ، يكتب عنها التاريخ صفحات مشرقة ،ولما انتهت أكبر حروبه مع جيرانه التي لم يحقق فيها الأمجاد المطلوبة والنصر المؤزر والفريد ، سمح لعلماء الديار بالسياحة في بعض البلدان المجاورة ومنها بلاد الوئام حيث كانت علاقته بها متينة وقوية دون سائر بلدان العربان فخرج العالم وائل وزوجته سعاد للسياحة في بلد الوئام كغيرهم من العلماء ، ولخشية نظام الزعيم من هربهم وتشردهم أو اغتيالهم كما يزعم أرفق معهم حراسا أمنيين على شكل سواقين لأنه يسيطر عليهم بالخوف والقتل وأسرار الدولة .

وكان الإعلال خشية تعرضهم للاغتيال من أعداء الدولة ؛ كأنهم شرذمة من الأفاقين صنعوا دولة في

بلاد الإسلام لخدمة أسيادهم الغربيين .

سكن الدكتور العالم شقة ضمن أرقى أحياء وئام ، والحرس والأمن في الطابق الأرضي من البناية ، وكانت السفارة تؤمن لهم المال والطعام والخدمة كلها .



فزعيم ورئيس الوئام صديق شخصي لزعيم عرب عق ، كانت تنقلات وائل مكشوفة للأمن السري ، وكذلك اتصالاته كان متبوعا من الملازم أول سريان أو الرقيب علي وآخرين ، فهو وإن كان حرا في الحركة والكلام ، كان في الواقع محاصرا وتحت الرقابة بزعم الحفاظ عليه من القتل أو الاختطاف ، فهو مسموح له ارتياد كل الأماكن والفنادق والملاهي والمسارح والنوادي ولكن برفقة أحد حارسيه سريان وعلي ، وكذلك الزوجة سعاد الفرد ، ومهما كانت للرقابة قوة ونشاطا فلها ثغرات ولحظات ضعف وغفلة.

تمارض الدكتور وأدخل مشفى خاصا ، واستمرت القبضة الأمنية بزعم الحماية ، واستطاع عن طريق المستشفى وأحد زواره أن يرسل رسالة خفية للسفارة الألمانية التي رحبت بهجرته فهو يحمل جنسيتها ، ولديه كنز من المعلومات عن بلده ووطنه ، تسيل إليها أجهزة المخابرات الغربية، فهو عالم تطوير أسلحة ؛ لكن كيف سيتخلصون من الحرس للوصول للمطار الدولي؟ واستطاع الحرس المدرب معرفة المحاولة ، لانهم بذلك يحافظون على انفسهم وذرياتهم وأقاربهم ، فلما كشف الاتصال للأمن المراقب ، طلب منه إنهاء الإجازة والعودة لمعمله العلمي فرفض الانصياع وأنه بحاجة للراحة لمدة أطول بعد عمل عشر سنوات متواليات قبل الحرب الثُمانيّة ، فجاء الأمر بقتله قبل هربه إلى الغرب العالمي ، ونفذ الحادث بكل بساطة ، وأمام العامة وفي بلد الوئام .

ألقت الشرطة الجنائية القبض على السائق دون مقاومة أو محاولة هرب ، واعترف سريان بتنفيذ المهمة الأمنية ، وسجلت الجريمة كقضية سياسية ، وكانت النتيجة أزمة سياسية بين الحكومتين وسيكون أمر حلها للزعيمين .. كيف يقتل ويغتال الرجل في بلد الوئام؟!

وكانت سعاد العالمة الكيمائية مهددة كزوجها بالهلاك ، وزاد خوفها من القتل على أثر مقتل زوجها جهارا نهارا دون احترام للبلد المضيف، تريد انقاذ حياتها المهددة بأن تسهل الدولة المضيفة

خروجها لألمانيا أو أمريكا بعد دفن زوجها.

أصبحت حكومة الوئام العربي في حيرة وارتباك ، فعلاقتها كبيرة ومهمة سياسيا واقتصاديا وعسكريا بعرب عق ، وعلاقتها التاريخية قوية مع أمريكا وألمانيا والغرب عموما ، وتتلقى منهم مساعدات دائمة من عقود ، وهي تحت الحماية والمظلة الغربية منذ تولي الأسرة الحاكمة القيادة والنظام الحاكم بعد سقوط الأسرة السابقة عن سدة الحكم .

هؤلاء الغربيون يرغبون بتسفير العالمة سعاد ، وأولئك يرغبون بعودة الدكتورة سعاد لعرب عق ، ووالدها الأمريكي الجنسية يطالب بسفرها للغرب ، وحكومة عق يطالبون بالإفراج عن رجالهم بدون حكومة وقضاء ، وهؤلاء يقولون الجريمة حدثتهم على أرضهم ، ولابد من قضاء وحكم ، ليغلق الملف ، فسعاد تطالب بحق زوجها والحكم على قاتليه بالإعدام .

قال مدير الشرطة الأكبر وهو يستقبلها في مكتبه الفخم بعد أن قدم لها العزاء ، ووصف لها موقف الحكومة الحرج وقال : نحن لا نستطيع فعل الشيء الكثير يا حضرة الدكتورة .. فالجريمة كما ترين سياسية .. وحتى لو تم قتل وإعدام السائق بزوجك .. فهو موظف وأداة .. فالفاعل الحقيقي معروف لك .. وأنت تعلمين قوة علاقتنا ببلدك خلال الحرب الطويلة .. كانت علاقات مميزة وكبيرة وعلى مستويات مختلفة .. ولولا هذه العلاقة الجيدة ما سمح لكم التطواف في بلادنا .. والقاتل سلم نفسه لم يهرب .. فهو بين أيدينا .. وحكومته تطلب الإفراج عنه.. ومن أجل واحد مهما كان مقامه لا نستطيع قطع العلاقات السياسية والدبلوماسية .. فبيننا مصالح كثيرة .. ولا نستطيع إعادتك لبلدك .. فوالدك الفرد ودول الغرب يريدون تسفيرك فورا.

قالت بهدوء وترون : أعرف كل ما تقول! الحل بسيط يا سيدي ! الدكتور وقد قتل . . أبقى هنا تحت حمايتكم حتى لا تخسروا دعم بلادي لبلادكم.

قال : نخشى اغتيالك .. قد لا نستطيع الحماية لك .. فشراء الذمم سهل.. المال يا دكتورة المال سلاح !

قالت : أمنوا سفري سرا.

قال : نحن كحكومة نفكر في هذا الحل .. لكن الأمر يحتاج لبعض الوقت ليبدو لعرب عق أننا غفلنا عنك ، ولم نقصر في حمايتك والمحافظة على ذاتك .. ليبدو التهريب أمام الإعلام دون اتفاق وتواطؤ .

قالت : ما المطلوب؟

قال : أن تنتبهي لحياتك وزوارك ومخالطيك..

وعندما تخرجين من البلد لا تتحدثين عن مساعدتنا في إخراجك ؛ إنما فعلت ذلك من نفسك وبمساعدة من السفارة وخيانة من بعض حراسك

قالت : فهمت ! الأمر واضح يا سيدي!

قال وهو يعتدل قائما ، وتفعل الكيماوية مثله : انسي بعد خروجك من المكتب هذا اللقاء .. اتفقنا .

هزت رأسها بالموافقة .

الشرطة تطمئن العموم

نشرت الصحف تفاصيل عملية اغتيال العالم الفيزيائي وائل البصري الذي دخل البلاد سائحا ثم تعرضه لعملية اغتيال ناجحة في وضح النهار ، وأن الجريمة تصنف ضمن الاغتيال السياسي والتي يعجز القضاء الفصل فيها ؛ لأن بلد القاتل هي التي أمرت بقتل أحد مواطنيها ، ولم يكن الضحية مواطنا وثاميا ، ولا لاجئا سياسيا ؛ إنما قدم البلد بصفة زائر سائح ونشرت سيقضي الجاني الأداة حكم الحق العام في السجن ، فلا تعدم الحكومة السائق رغم اعترافه بالقتل والجناية الحبس حكمه بسبب المصالح المشتركة بين القطرين الشقيقين ، واذا عفا أهل الدم سيكون هناك حكم آخر .

وكتبت الصحافة الحرة أن الموضوع انتهى ، ولا داعي للتكهنات والإشاعات المغرضة في صحف المعارضة للحكومة وسائر الأحزاب .

وقالت : على حكومة عرب عق الاعتذار العلني لدولة الوثام لقيامهم بالجريمة على أرضنا .

وورد لو كان المقتول مواطنا لتصرفت الحكومة تصرفا آخر ؛ ربما وصل الحكم للإعدام أو الحبس مدى الحياة مع الأشغال الشاقة للقصد والعمد وأداة القتل .

هذا الكلام في صحف الحكومة الرسمية وشبه الرسمية بالطبع لم يرض أحزاب المعارضة ، واعتبر تهاونا وتفريطا بسيادة وهيبة البلد ، وطالبت بالحزم وقطع العلاقات الدبلوماسية وطرد السفير ، وأشارت بعض صحفهم أن الأمر الإجرامي صدر من زعيم تلك الدولة الظالمة فهذا يدل على عدم احترام الدولة وأركانها ، وإهانة لكل مواطن صغيرا كان أو كبيرا .

وانشغل المواطنون في الوثام في قيل وقال ، ونشب العراك بين الصحف التابعة للحكومة والصحف التابعة لأحزاب المعارضة الشكلية ؛ لأنه من المعروف أن أحزاب المعارضة في بلدان العرب والمسلمين أنها معارضة هشة وضعيفة وتزويقية ؛ لأن الأحزاب تلك لا تشكل الحكومات كما نرى في بلدان الغرب ، فالحكام يختارون شخصية مقربة من النظام الحاكم ويقوم بتشكيل قيادة مدنية للبلاد ؛ حتى لو شكل حزب الحاكم حكومة فهي من ناحية سياسية ضعيفة وبرامجها أضعف، وتعتمد

على تعاليم الغرب وإرشاداتهم ، فكنت ترى صحفيا ذي قلم سيال يهاجم الحكومة ، وآخر يرد عليه ، هذا ما جرى في قضية مصرع الفزيائي وائل في بلاد الوئام ، حتى أن صحفا ومقالات في صحف دول أخرى دخلت على الخط عربية أو غربية لتزيد من اشتعال القضية ، وتسلية قراء ورق الجرائد ؛ وربما تزيد الأعداد المباعة .

التقى وزير الأمن في وئام بزوجة العالم المغدور وائل لما ارتفعت الضجة في العالم، فقال : لقد علمت بأنك ترغبين بالخروج من بلدنا ، وأنك ترين على حياتك خطرا بعد اغتيال الحراس لزوجك .

قالت بهدوئها : نعم، يا سيدي الوزير حياتي في خطر قبل الاغتيال وبعده ..وأنا حدثت مدير الأمن بهذه الأخطار ، وتحدثت مع السفارة الألمانية ، ورحبوا بسفري إلى بلادهم .. وأنا أحمل الجنسية الأمريكية .. وولدت فيها.. فأنا أعتبر أمريكية ؛ لكن زواجي من الدكتور وائل دفعني للعودة معه لبلاده .. وهي وطني الأصلي أصلا .

قال : السفارة الألمانية ماذا قالت؟

ردت : رحب السفير بنفسه بي .. وطلبوا مني التنسيق معكم للخروج ؛ كأن الأمر بدون علمكم للعلاقات القوية بينكم وبين وطن وائل.

قال : نحن نحب سفرك بدون عوائق ..ولدينا طلب من حكومتك بلدك الأصلي بإرجاعك إليهم .. ولكننا نعلم الخطر المحدق بك .. وتحدثت السفارة معنا لحمايتك وتسفيرك .

قالت : سأخرج على صورة هروب يا سيدي ! .. وقاتل زوجي هو الزعيم بنفسه

قال : أنت تتهمين صراحة الزعيم بدم زوجك !

قالت : الرجل معروف بشهوته الإجرامية وشدته بحجج كثيرة .. هو ديكتاتور ومعلوم بذلك .. هو يحب هذا الوصف .. هو يتشبه بهتلر وستالين وماو وزعيم مصر في الخمسينات .. وهو يزعم أنه أعظم وأعبقر منهم .. فكل العالم الحر يعلم دمويته وإجرامه .. فلم يقتل زوجي وائل إلا بإشارة منه شخصيا .. فوائل عالم كبير .. وكان باستطاعته أثناء دراسته في المانيا أن يقبل عروض العمل في أوروبا والولايات المتحدة .. لكن المسكين أحب خدمة وطنه وتسديد دين تعليمهم له .. وشارك العلماء في حربهم الأخيرة .. فهو كبير لا يستطيع أحد أن يمسه بدون ترخيص من الزعيم القاتل .

قال وزير الأمن : ولكنه في مؤتمر صحفي عقده قال إن خطأ حدث ونفذ الأمر بدون علم القيادة الثورية لقرار سابق صدر أثناء الحرب وقرارات الحرب والطوارئ تختلف عن قرارات السلم والهدنة .

قالت بدون انفعال : إنه يكذب يا سيدي ! هل

تريد من زعيم فرض على حكم أمة أن يعلن ويعترف أنه أمر بقتل دكتور فيزياء .. وعنده مئات العلماء.. لو اعترف بجرمه سيهربون .. هذه سياسة عامة يا سيدي الوزير ! من يحاسب في نظام ديكتاتوري؟! سمح لنا بالخروج لتوقف الحرب؛ لتغيير جو ولبلدكم فقط .. وكنا سنذهب للغرب لا حبا به ؛ بل للحرية للقانون .

قال : على كل أنت تحت حماية الأمن والمخابرات.. فلا نريد جريمة أخرى .. حتى زعيمنا العظيم غضب لحدوث الجريمة على ساحة وطننا ، وعتب على زعيمكم وتحدث هاتفيا معه شاكيا ولائما .

قالت : وماذا رد الزعيم الملهم ؟!

ابتسم الوزير وقال : لا أعلم .. ولكنه هل سيقول أنا أمرت بقتل الدكتور ؟! قال هذا قانون عند المخابرات ينص على أي شخص مهما كانت صفته عالم وقيادي يهرب للغرب أن يموت بدون محاكمة

قالت : الديمقراطية الشوهاء خير من الدكتاتورية .. لم يحب زوجي الحياة في أمريكا لما أنهينا الدراسة في ألمانيا .. والدي وأنا رغبناه بذلك كان مخلصا لوطنه .. أحب أن يخدم وطنه ..فقد علموه وأنفقوا عليه.. واعتبر ذلك دينا في رقبته .. وها هو سدده من دمه .

محاولة الهرب

لما اشتغل العالم البصري مع العلماء في برنامج تطوير الصواريخ والسلاح في بلده العربي لم يكن مرتاحا في العمل مع الفريق الفني ، ولا حتى مع الضباط ، كان عليه ضغط نفسي رغم قيامه بتطوير وتحديث بعض النماذج من الصواريخ ، كان بينهم من يحقد عليه في صفوف الفنيين والعسكريين وحتى السياسيين ؛ لأنه عالم فقط ، لم يكن في حزب الزعيم ولا السياسة كان هاويا للعلم والفكر ، وقد فضل العمل في بلده على البقاء في أوروبا رغم الإغراءات والحوافز التي قدمت له ولزوجته للبقاء ، أحب رد الجميل لبلده الذي أتاح له الدراسة وأمور أخرى .

لكن الاحتجاج وخلق المعاذير في نظام مغلق مظلم يعني الموت ، صمت على مضض كغيره من العلماء منتظرا فرصة للهرب ، لما توقفت الحرب بعد سنين طلب إجازة لإراحة نفسه من ضغوط سنوات الحرب .

فقد سمحت القيادة العسكرية للعلماء بالخروج لبعض البلدان المجاورة لضمان سلامتهم ، ومتابعتهم باسم الأمن والحماية لذواتهم ، ومراقبتهم في نفس الوقت ، وخشية هربهم فتذمرهم أثناء الخدمة وهمساتهم كان معروفا لأمن معسكرات التصنيع والجيش ومعامل الجامعات .

سمح له بدخول دولة الوئام حيث العلاقات جيدة ، فخرج وسكن في شقة مفروشة وحديثة

وهو في قرارة نفسه يريد الهجرة ، لا يحب السياحة ، فقد ساح في أوروبا حتى شبع ، هو يعلم جيدا أن سائقه ومرافقيهم أمن سري ، ولم يجتهدوا في إخفاء ذلك ؛ وربما عاداتهم وطباعهم وتجسسهم على بعض لا يسمح لهم بالتخفي والسرية ، وشارك الزملاء العلماء نزهاتهم وحفلاتهم في الوئام .

العلماء لهم أصدقاء وزملاء دراسة أو عمل أو مراسلات في بلدان من العالم ، وعادة العلماء يتراسلون، يتبادلون الأفكار ، وربما الزيارات ، وتمكن وائل من تهريب رسالة مطولة عن طريق زائر أمريكي تصادف وجوده في وئام ، والتقيا في سهرة ، ولما دخل المشفى كتب الرسالة وأعطاها للأمريكي ضمن كتاب تناوله من الأمريكي تظاهر أنه أخذه ليتصفحه ، والأمريكي بدوره أوصلها للسفارة الألمانية في مدينة وئام العرب .

ورحبت السفارة بذلك ، وبدأت الإعداد لإخراج الزوجين سرا عن عيون أمن عرب عق ، فهما معروفان على مستوى العالم من الناحية العلمية والأكاديمية .

علم الأمن السري وأمن سفارة عق بالاتصال الخفي بين العالم وسفارة المانيا ، اكتشف الخيانة في نظرهم ، وأدركوا أن الدكتور يفكر بالهرب ، وأنه اتصل بالسفارة من ورائهم ، لأن السفير اتصل به في بيته وطلب اللقاء به في السفارة أو في بيته ، فأدرك الأمن أن الدكتور اتصل بهم بطريقة ما ، فأخبرت القيادة الأمنية في بلد عرب عق ، فطلبوا منه عدم مقابلة السفير ؛ لأنهم خشوا إن دخل السفارة لا يخرج منها ، ويتعقد الأمر ، فالسفارة أرض ألمانية في القانون الدبلوماسي الدولي ، فرفض العالم الانصياع والعودة ، فهو لم يقض إجازته بعد ، وهو لن يقابل السفير ، وهو مازال مريضا متوعكا لم يبل من الوعكة التي أدخلته المشفى .

وكانت إحدى الحيل المطروحة أن يمكث في المشفى ، ويستبدل حتى يصل المطار وتتحرك الطائرة ، رفضت السفارة لبلده باستمرار علاجه في وئام وسيكمل المعالجة في عق ، فرفض الاقتراح . فصدر الأمر بتصفيته علنا وفي وضح النهار ؛ كما وصفنا الجريمة في أول القصة ، وظهر أمام العامة أن السائق سريان أطلق عليه الرصاص ، ومات أمام الجمهور ، وانتظر الجاني حتى حضرت الشرطة والتحقيق . وهكذا تخلص النظام القاسي من عالم الصواريخ المتطورة ؛ لتفكيره بالهروب إلى أوروبا ، فهم الذين علموهم فعليهم أن يخدموهم حتى الموت وها قد مات .



السائق لم يقتل

تبين للتحقيق الجنائي أن المسدس الذي استخدم في الجريمة في شارع ابن حنبل مسدس السائق لم يكن هو أداة القتل ؛ أداة الجريمة سلاح آخر ، كما قال خبراء فحص الأسلحة ، وأن السائق كان كاذبا ، وتظاهر هو بالفاعل ، وكان مخادعا للتحقيق ، إذن هناك فاعل آخر ، ومسدس آخر لم تخرج الطلقات القاتلة من مسدسه الذي سلمه للشرطة ، وشهد الناس أنهم سمعوا صوت الرجل في نزعه الأخير ، وفسر أن القتل حدث ، ثم فعل المشهد الاستعراضي أمام الناس لتضليل التحقيق ، وأن الرجل مات قبل وصول الإسعاف ، ليقال إنه قتل من رصاصة السائق التي على أثرها هرع الناس لمسرح الجريمة ، تمت عملية القتل في مكان آخر ، ولم يشهد أحدهم هرب أحدهم ، وعندما تجمهر الناس ، لم يكن إلا قاتلا واحدا ، ووقف السائق أمام العامة يخبرهم بأنه الفاعل ، وضباط الدورية أدركوا الجريمة بعد دقائق من حدوثها . والسائق يصر أنه المنفذ ، ولا يوجد بحوزته سلاح آخر ، وتعقد الأمر لدى البوليس فكيف يقدم السائق للمحاكمة وثبت أن سلاح الجريمة الذي على المسرح لم يكن أداة القتل ؟ فأين القاتل ؟ أو أين مسدس الاغتيال ؟ هذا اعتراف يضلل الشرطة .. كان الأمر سهلا في البداية .. قاتل .. مسدس .. اعتراف.. لم تعقد القضية إلا أن الموت غيب الدكتور وائل .. وقالوا للسائق لماذا ضللت الشرطة بزعمك القاتل؟

رد ببرود وثقة : أنا أنفذ تعليمات.. أنا ضابط أمن مخابرات.. عليّ السمع والطاعة .. لا أناقش فيما اؤمر .. أنا صحيح لم اطلق النار ؛ وإنما تظاهرت بإطلاق النار أمام الناس والجمهور .. عليّ أن أفعل ما طلب مني.

قال المحقق : هل قتل قبل تظاهرك بالقتل ؟ ربما قتلته أنت قبل التظاهر وتخلصت من سلاح القتل.

قال المشتبه به : هذا يفصل فيه القضاء إن وصلنا إليه .. الطاعة العمياء مهمة رجل المخابرات العربية والعالمية .. وهكذا قانون الضبط العسكري نفذ قبل أن تفكر .. لا اعتراض

قال المدعي العام المكلف بالقضية لمدير التحقيق والشرطة: نحن في حيرة أيها السادة !.. هناك قاتل .. وهناك معترف بالجريمة .. فعلينا البحث عن الفاعل الحقيقي .. فالقضية كما تعلمون تشغل الرأي العام والرأي العالمي.. وحتى قيادتنا مشغولة بهذه القضية التي بدت بسيطة .

ضابط التحقيق : هذه جريمة صريحة جريمة نظام .. وبدون القبض على مطلق النار فلا فائدة من حبس السائق ..وما اعترافه سوى إزعاج للشرطة .. والرقيب علي لم يكن على مسرح الجريمة أو كان

ولم نره ؛ لأننا انشغلنا بسريان ؛ فكان بالإمكان هربه على راحته .

ـ خدعنا بالاعتراف .. الفاعل أعوان الزعيم

التقى المحقق المقدم بسريان وعلي وأعلمه أن الرصاص لم ينطلق من مسدسه عند إلقاء القبض عليه

فقال : أنا عبد مأمور .. لا أعرف من أطلق الرصاص .. وممنوع أن أتكلم إلا بما قلته أن أزعم أني القاتل.

قال : أنا أعلم أنك جندي صغير لا قيمة لك عندهم ..نحن نعرف بعضنا بعضا

ـ هل أنت تستطيع رفص أوامر أسيادك أيها المقدم .. فالناس عبيد الأسياد.. ولو علقنا عشرات النجوم على أكتافنا.. فلا تجعل نفسك سيدا عليّ ..

أنا قتلت اقتلوني .. هل بعد الموت شيء؟!

قال مقدم الشرطة : ليس مهما ما تعتقده يا سريان! .. أنت عبد .. أنت سيد .. نحن نرى أنك ضللت الشرطة .. وتركت المجال لهرب القاتل .. وما لم يقبض عليه ستبقى القضية رهن التحقيق وستبقى موقوفا على ذمتها .. وبعد الحكومة والقضاء لا يهمنا الإفراج أو الإعدام .. نحن نقوم بواجبنا الأمني .. القضاء شأن آخر .. جريمة قام بها مجرم فيجب إمساكه لنقدمه للقضاء فينتهي دورنا .

قال الملازم المتهم : حتى لو عرفت الفاعل .. هل تراني أستطيع الإشارة إليه ؟ ! ربما السفير فعل ذلك ؛ ربما السكرتير العسكري فعل ذلك .

قال : أنت اعترفت بالقتل على مسرح الحادث مرغما مكلفا فلن نستطيع اتهامك سوى بتضليل الأمن بعدما تبين ؛ لأننا لم نجد سلاحا آخر معك عند القبض عليك .. الجريمة نفذت بيد غيرك فأنت شريك .. وستبقى حبيسا حتى يقبض على شريكك .

قال : صدق يا سيدي المقدم أنا فعلت ما طلب مني حرفيا .

قال المقدم : ومن هو الذي أمرك ولقنك هذه التمثيلية ؟

قال باسما : رجل زارني بعد أن بلغنا أن العالم يسعى للهرب والاختفاء .. ولابد أن يكون من موظفي السفارة أو أرسل من هناك .. كان بصحبة السكرتير العسكري وقال اسمع من هذا .. فعلمت أنه موثوق به ومن الوطن فسمعت ونفذت .

قال : هل ترى أنك في أمان من الإيذاء والتصفية إذا أطلقنا سراحك؟

تنهد السجين : لا أدري! لكن تعلمنا أنا حياتنا كل ساعة في خطر .. من يعمل في مثل هذه الأجهزة .. لا يعرف شيئا .. وأن بقاء النظام أهم من حياة أحدنا .

قال : لا نستطيع تقديمك للقضاء بجريمة قتل العالم ..ولكنك المتهم في الحقيقة.. من الفاعل؟

ردد همسا : أعوان الزعيم .. أعوان الزعيم أكيد هم الفعلة

ـ الزعيم بنفسه!

قال سريان : الزعيم بنفسه إذا غضب على وزير أو ضابط أو ابنه يفعل الفعل بنفسه .. ممكن أن يقتل أمه وأباه .

قال : نحن في بلدنا الوئام لنا اليد التي ارتكبت فعلت .. الزعيم أمر ابن الزعيم فهذا ليس لنا .. نحن من أول وهلة اعتبرنا الجريمة سياسية ولمواطن زائر .. والقضية صارت قضية رأي عام ؛ فإذا ساعدتنا سنوفر ونؤمن لك اختفاء وجواز سفر .

ـ أنا المتظاهر بالقتل فقط.. لم أمر بالقتل ولم أقتل.

قال : لكنك ضللتنا وأتحت الفرصة لهرب الفاعل الحقيقي .. ولم نتابع التحريات بسببك .

قال : تابعوا البحث.

الإفراج عن الجثة

قررت السلطة الإفراج عن جثة العالم ، وشاركت زوجته وبعض الأفراد في نقله إلى إحدى مقابر المدينة تحت رعاية أمنية مشددة ، وكان الجمهور عددا بسيطا من الأصدقاء لها ، وكانوا قد صلوا عليه في مسجد صغير ، وبترتيب أمني مع وزارة ورعاية المساجد ، ومن ثم بعد إنهاء مراسم الدفن نقلت الأجهزة الأمنية الدكتورة سعاد الفرد إلى بيت آمن تابع لجهاز الاستخبارات العسكرية ، حتى يبث في أمرها ، فحكومتها تلح على عودتها بصفتها عاملة في برامج التسليح الحربي وتحمل أسرارا عسكرية لبرامج التسليح الوطنية ، وهي ترفض العودة بعد ترملها ، واغتيال شريكها في الحياة ، وترغب بالعودة لوطنها أمريكا أو المانيا للعمل فيها ، والحكومة القائمة في موقف حرج . فالحكومة بينها وبين عرب عق مصالح وأعمال وأموال وتجارات تنفع المصانع والتجارة والشعبين ، ومصلحتها مع الغرب الحماية والتبعية منذ عهد الاستعمار والانتداب ، وخلال الحرب الباردة ظلت وئام تحت المظلة الأمريكية الغربية، وظل الدعم قائما لنظام الحكم والنظام ويهمهم استقراره ، ويقدمون الهبات المالية والعسكرية المستمرة .

وقد تحدث السفيران مع رئيس الدولة في وئام ، كانت القضية سياسية بامتياز ، وقد تفاعلت معها الصحف والمحطات الإعلامية في الغرب ، والمرأة تحمل جنسية أمريكية ، وقد ولدت هناك ووالدها وأمها وأختها كل عائلتها هناك ، فهي لم تعد عربية ، هي أمريكية من أصول عربية .. فكيف تسلم لبلد لا تحمل جنسيته إلا بالزواج من وائل ؟

لقد كانت مدينة وئام في وضع لا تحسد عليه إزاء

هذه الجريمة التي وقعت على أراضيها، طالما كانت العلاقة قوية ومتينة أثناء حرب السنوات العشر ، فقد شاركت وئام الحرب بدعم قوي وقوات مسلحة لعرب عق ودعم قومي ومالي وسياسي واقتصادي ، وقد ذهب ضباط كبار وميدان للمشاركة في الحرب ، وموقفها كان واضحا دون ضبابية وغباش.

كثير من دول العربان كان موقفها السياسي والمالي والإعلامي ملتبسا وضبابيا رماديا أثناء القتال الدامي الشرس ، وكانت وئام تقدم الدعم العسكري واللوجستي والمخابراتي وصور الأقمار العسكرية التجسسية لعرب عق.

ومن المعروف تاريخيا أن الدول المستعمرة ظلت مستعمرة ، خرج الاستعمار العسكري ، وترك حكاما يتبعون له ، وثقافة شائعة فيها لغة وبعثات ، فهي دول هشة ممزقة شمالا وجنوبا ووسطا كلٌ يخضع للغزاة بثياب عربية ووطنية وقومية ، لا حرية ولا ديمقراطية ، ولا رأسمالية ولا شيوعية ولا اشتراكية ، ولا قومية ولا وطنية ، أمم يرثى لها ، حروب قائمة ، وحروب نائمة ، شعوب متصارعة كل يوالى المستعمر المغتصب ، الحال صعب ، استعباد استبداد ظلم ضياع ثروات ، عسكر مهزوم مترهل ، اقتصاد ضعيف ، شعوب وجدت للاستهلاك والعيش على الفتات، هذا حال العربان عند مقتل الفيزيائي وائل ؛ فلذلك كان دولة الوئام في حيرة وارتباك وحيص وبيص ، صداقة قوية مع عرب عق ، ومع ذلك كانت مسرحا لاغتيال عالم خدم بلدة سنوات وسنوات ، فلا تقدير لموقفهم معهم ووقفتهم الشجاعة في تلك الحرب الضروس .

وحتى عرب عق كانت خائفة وجبانة من اغتيال الزوجة ، فهي أمريكية وإلا كان الحرس يستطيع قتلهم في الفيلا سوية ، فهم يعيشون معهم ؛ لكنهم خشوا ردة فعل الغرب تجاههم .



القبض على السائق

الشرطة أخلت سبيل الملازم سريان وعلي ، وظلا تحت المراقبة الخفية على أن يخرجا من البلاد وحتى تنتهي القضية شكليا . وكان القصد من إخلاء سبيلهما الوصول لمن أطلق الرصاص إن أمكن ؛ ولمعرفة من سيتصل بهم ؟ لإتمام إغلاق الملف شكليا أمام القضاء .

فعادا لشقة الأمن والسفارة ؛ وبما أنهما رجلا أمن فهما سبب إخلاء سبيلهما ، وإنهما تحت المراقبة ولم يطل خروجهما فقد تعرضا لاغتيال ، مما دفع الشرطة للقبض عليهما من جديد.

فقال سريان للمقدم : لقد أصبحت حياتي في خطر وعبء وأنتم السبب.

ـ كيف نحن السبب ؟!

ـ لأنكم لم تمسكوا الجاني .

ـ أنت لم تتعاون معنا !

قال سريان : صدقوا أنني لا أعرفهم .. عليكم بالسكرتير العسكري القابع في السفارة ؛ ربما تغير خلال هذه المدة .. وعليكم بمسؤول الأمن في السفارة.

قال : بأي صفة؟! لا يصح ذلك مع دبلوماسي ، ولم يخالف القانون.. لم يكن على مسرح الحادث .. ومن واجباته متابعة ضباط بلده هنا .. وينسق عمليات بيع وشراء الأسلحة .

مضت ثلاثة شهور على القضية دون القبض على القتلة الفعليين ، ودون بيانات واضحة من سريان وعلي ، فقررت الشرطة والادعاء العام إغلاق ملف القضية ضد مجهول ، ولا محكمة ، ولا سجن لاحد ، وتم إخلاء سبيل السائقين سريان وعلي ، وأعطيا رقم هاتف أمني اذا احتاجا لمساعدة ، ولم يعودا للشقة إياها، واختفيا بما يحملان من أسرار بين عموم ملايين الناس . وخفت صوت الجريمة وتلاشى الحديث عنها ، والأحداث لا تقف ، واستطاع سريان الخروج من البلد إلى أمريكا اللاتينية ، وبمساعدة الشرطة ، هرب إلى أفريقيا ثم إلى أمريكا ورجع إلى عرب عق.

المرأة تسافر المانيا

بترتيب مع موظف أمني في سفارة المانيا ، وتعاون من مخابرات وئام تم ترتيب سفر سعاد الفرد سرا ، وبعيدا عن الإعلام .

فقد كانت تعيش وحيدة مع خادمتها الآسيوية ، وليلا تم تأمين انتقالها للسفارة ، وبعدها أمنت السفارة نقلها إلى المطار الدولي ، وهناك تولى الأمن السري الألماني من ترحليها برحلة سرية إلى فرانكفورت ، وخلال ساعات كانت سعاد في أجواء أوروبا ، وسلمت لمجموعة أمنية أخرى وبعد حين يسير تعاقدت للعمل في مركز بحوث ألماني في برلين الغربية .

لقد طلب منها ألا تظهر في الإعلام إلى حين ، ووافقت السفارة على هذا الشرط ، والدكتورة قبلت الشرط وذلك خوفا على حياتها في أوروبا ، وذلك أن المانيا وأوروبا الغربية قدمت دعما قويا لعرب عق خلال الحرب أو الحروب التي خاضتها ضد دول الجوار ، فقد باعوا أطنانا من الأسلحة والذخائر والأجهزة والمواد الخام لصناعة الذخيرة ، وقطع الغيار ، وتقديم المعلومات الاستخبارية ، كانوا كأنهم شركاء للحرب ، فالحرب مصدر لبيع السلاح وتجارته والخلاص من المصُنع القديم ، وتشغيل المصانع .

فألمانيا بعد هزيمتها في الحرب الثانية لم تخض حربا رغم انقسامها إلى دولتين كما هو معروف من نتائج الحرب الكبرى . وعرب عق لهم أعوان وموظفو سفارات في الدول الغربية فكان لابد من إخفاء هرب سعاد عن الأخبار . وللحقيقة أن أمر خروجها من وئام ظهر في صحف عق ، وسكتت وئام بالتعليق على الخبر ، وكذلك حكومة بون الغربية ، وصحف البلدين لزمتا الصمت. وكما قلنا وقال غيرنا الأحداث متلاحقة ومتسارعة ، ولم يكد الناس يفوقون من حرب العشر حتى دخلت عق في حرب جديدة مع عرب التا تو ، وزادت شرخ الانقسام العربي الضعيف أصلا .. أصاب الجميع الحيرة عن السبب الحقيقي لحرب جديدة وفتنة جديدة . وفي خضم العراك نسي الناس والإعلام قضية وائل البصري المصروع غدرا، وزوجته الهاربة إلى الغرب الألماني .

الثورة

بعد جريمة اغتيال وائل واختفاء زوجته في المانيا ببضع سنين حدثت ثورة عارمة عصفت بنظام حكم عق ، واعتقل الزعيم والقتلة ، وحوكموا صوريا واعدموا كما عدموا غيرهم ، وأصبحوا في خبر كان ، ودمرت وفنيت مختبرات ومعامل ومصانع البلاد ، وعادت كما كانت فقرا وضعفا وهوانا وصراعا حزبيا ، وفككت قطاعات الجيش ، وأصبحت البلاد تحت الحماية والوصاية الغربية الأمريكية هي وتسع دول عربية أخرى .

واشتعلت الحرب الأهلية والنزاعات العرقية والأثنية والطائفية والشعبوية والأبيضية والأسودية والعربية والأعجمية في بلاد العربان والغربان عدة أعوام قبل أن تهدأ قليلا وتسكن على رماد النار ، لقد تمزقت العروبة والقوميات والوطنيات والاشتراكيات والشيوعيات .

ونتيجة هذه الثورة المدعومة من الغرب وستين دولة تشرذم أعوان الزعيم المقتول ، وظهرت أخبار فترة حكمه للعيان وإجرامه في شعبه والشعوب المجاورة وسيرته ، وبعده تهاوت الكثير من العروش التي صنعها الاستعمار والغرب.

الأحداث تمشي وتتقافز وتتسارع غربا وشرقا ، هب وثار شعب نسانس في ثورة قوية عارمة مفاجئة على نظام حكم.. ثورة من الشعب دون عون الغرب والشرق .

فقد شبع الشعب من الظلم والطغيان ، ولم يحتمل الاستعمار والاستبداد ولو بأسماء عربية وبذلات أجنبية ، وقصات غربية ، وميزانيات تصرف على أسلحة أمنية وعسكرية للفتك بالشعوب العربية . فتحركت الأمم ضد الأحزاب الظالمة الحاكمة ، أعدت ثورة نسانس غيرها من مضارب وخيام وبلدان ، وهرب الزعيم الغاشم المتبجح ، ولم يجد

ملجأ إلا دولة أشد منه ظلما واستبدادا ؛ ليموت على أرضيها بعد قليل، فالذين دعموه ، وغطوا على ظلمه ، وقهره لشعبه ، تخلوا عنه دون تردد ، دون مجاملة ؛ لأنها ثورة شعب لن يخسروا منافعهم ومصالحهم من أجل زعيم محروق مهزوم ، فهم يحمونهم من أجل مصالحهم المختلفة، والطغاة لا يتعلمون من التاريخ من فرعون ، كل واحد يعتقد أنه الوحيد الباقي ، يركبهم الغرور والوهم والغباء ..ولا يقرأون ولا يتعظون .

فلما هرب الطاغية من الموت من شعبه انتهت مصلحته معهم ، فالمصالح هي الأهم من الأشخاص والأعيان ، وبدأ الصراع على السلطة والحكم . والانتقال من حكم الفرد الباغي المتسلط إلى حكم الاختيار ليس سهلا ، الانتقال من الاعتقال والحبس إلى الحرية والكرامة يحتاج لزمن ، التحرر من طواغيت الظلم يحتاج لوقت ، الشعوب تنظر لبعضها وتتأثر عجلة وبطأ .. بدأت تتحرك وتريد حقوقها .. النائم يستيقظ واستيقظ ، هرب زعيم نسانس حرك شعوبا أخرى . كان الزمن فعلا عجيبا ومثيرا ذلك العام ! عرفت الشعوب الضعيفة قوتها وقدرتها ، وأنها قادرة على التغيير والثورة ورفع الظلم والخلاص من الاستضعاف ، فاشتعلت ثورة في الشرق البحري والشمال البحري .. ودول الطوائف تتهاوى في أيام معدودات، سقطت العروش ، سقط عن العرش سقوطا مدويا ، والثاني سقط ميتا مقتولا بعد مطاردة في داخل البلاد .. وبدأ الدفاع عن العروش المهزوزة بالمال والمؤامرات الواضحة ، والإغراء بالمناصب والرتب والنجوم ، والتحالف مع قوى الاستعمار والاستبداد.. استغلت الثروات الكبيرة لوقف زحف الأمم الغاضبة الهائجة ، والقتل أصبح كشربة ماء، العالم كله على شفير ساخن ، ونام الثائر المجنون في السجون والحبوس وممنوع من الدخان ومن الكلام ، وبعضهم مدافع عن ثورته في زاوية ضيقة حرجة وتآمر عالمي ليعود للغفوة والنوم من جديد.



الصمت

استطاع أعداء نفس الشعب والأمة والثورات الاجتماع وإخراج الأموال وشراء الذمم لإعادة الظلم والطغيان وحكامه للسلطة ، وكذلك إشعال الحروب الأهلية بين أعوان النظام القديم ومعارضيه ، حتى سالت أودية الدم للركب ، فصرنا نرى القبور والحفر التي فيها مئات الأجساد الهالكة ، سعوا بكل قوة ومال لإخماد روح الثورات

اليعربية ، وحمي الوطيس وتناحر الثوار ، وسقطت الدماء غزيرة وعزيزة ، ونشطت الهجرات الشعبية إلى البلاد الأكثر أمنا أو الأماكن الأكثر سلاما خرجت الرويبضات التي أخبر عنها رسول الأمة المحمدية ﷺ ، وسجن الثوار والأحرار ، وما زال الغضب ثائرا وظاهرا ونشطا.

لقد استطاع الخصوم إخفاء لهيب الثورة ، وعاد الثائرون إلى بيوتهم ونومهم وسباتهم كالدببة والأفاعي في فصل البرد والشتاء ، وفي فترة الصمت ظهر السفاحون والجلادون والحاقدون والدمويون ، وظهر قتلة وائل وغيره للبروز ، واعترفوا بأن الزعيم المقتول أمرهم بتلك الجريمة نطقوا لعلهم يرحمون ؛ لعل تكتب لهم حياة من جديد ، فالملفات المخفية ظهرت وبث .

كان الفرعون القديم يزعم أنه يملك الأرض والعباد والأنهار تجري من تحته ، فمات غرقا بالماء الذي اعتز به ، ومات والناس ترى هلاكه وغرقه ، أهلك فرعون وجنوده أمام أعين الناجين.. فهل نرى ذلك ؟!

دعت بلاد عق الدكتورة سعاد وأمثالها للعودة للبلاد لإحيائها . فقالت : هيهات هيهات فات الأوان !.. فأنتم أشر ممن مضى! أنتم بعتم البلاد للغريب بزعم تحرير البلاد والعباد .. قسمتم الشعب إلى شعوب ، ونهبتم الأموال إلا للأحزاب .. لم تتحسن الأحوال ، ولم تقدموا قاتل وائل للقصاص والعدالة .. نحن لا نحب الغرب لأنه غرب ؛ لكننا نجد عدالتهم أفضل بكثير عدالتكم .. هذا اذا كان عندكم عدالة أصلا.. عدنا لنخدم بلدنا في أحلك الظروف ونطوره فحاربتمونا ورملتمونا .

الثورة من جديد

الناس ذاقت طعم الحرية ، والحرية الحمراء التي دقها الثوار عادت، ظهر ثوار جدد ، وهاجت شعوب من جديد ، يريدون الحرية والانتخاب ، الحر النزيه عرفوا قوتهم ، وفائدة تجمعهم ، وبدأت موجة جديدة من المظاهرات الشعبية حتى أطاحت برؤوس جديدة.

يا دكتورة الناس تريد الحرية ، نريد العمل ، نريد أن تبقى الثروات في البلاد .. هل تعودين؟ من يضمن السلام ؟ من يضمن الحب الوئام ؟ من يحكم ؟ الشعب أم الحكام .. لقد استبدلوا الوجه بوجه.. له نفس العين.. نفس الفم.. نفس الأنف .. نفس اللسان .. صدق أيها الإنسان ! آه ما أدراك ما اللسان؟! الكلام المعسول .. والوعد الخلاب.. إنها ذلك لأيام .. ولبسوا وارتدوا بذلات جديدة .. وتغير الديكور والسيارة .. وطاولة المكتب أصبحت حمراء بلون الثورة .. هل هؤلاء هم الثوار ؟! أما زلتم في غيبوبة ؟ .. أما زلتم نياما ؟

متى تصحا أمة محمد الرسول ﷺ ؟!

لا أحد يخبر .. لا أحد يعلم الجواب ! قل علمها عند ربي !



قصص وحكايات الفوارس



الحلقة الأولى

كشف السر

جرت أحداث مهمة قبل أن نبدأ في قص هذه الحكاية حكاية ريح البحر ، وسيأتي بيانها خلال الصفحات المقبلة ، ولكني أبدأ القصة عندما بلغ الأمير خالد أحد أبطال هذه القصة خمسة عشر ربيعا ، وأحس أنه أصبح رجلا يستطيع التدخل في تقرير مصيره واختياراته ، والسبب أنه في هذه السنة قد سمع بعض أحداث قصة أمه ، عرف أن أمه الأميرة طردت طردا من مدينة "الماعز السمرة" قبل عشر سنوات ، يوم كان طفلا صغيرا ذا خمس سنوات ، لقد كان يظن أن والده هلك في حرب من الحروب التي نشبت بين مدينتين ، وأن خاله الملك يقوم على رعايته عرفانا بمقتل أبيه من أجل بلادهم وديارهم ، هكذا كان يعتقد ، وهكذا كانت أمه تظهر ، أما أن والده حي وأمير كبير من أمراء الماعز السمرة فهذا لم يطلع عليه إلا من وقت حديث ، وقد ضاق ذرعا من فعل أمه ، ولامها في نفسه لإخفاء هذه الحقيقة .

قد استغرب من تصرف القوم ، وود لو ينصرف من الصيد قافلا لمدينة أمه 'القمحة' ليعرف صدق الحقيقة التي قيلت له همسا ، وهو يُسائل نفسه : لماذا أخبرني ذاك الرجل بهذا السر ؟!

كان الأمير الشاب مع بعض أقاربه وأولاد أخواله في رحلة صيد معتادة في وادي الصيد القريب من مدينتهم ، وعند عين ماء التقوا برجال من مدينة الماعز يتصيدون في نفس الوادي ، فهو قريب بين المدينتين يبعد عن كل مدينة مسيرة ثلاث ليال .. ولما عرف الرجل الكهل أنهم من أمراء مدينة القمحة ، وعرف أن خالدا ابن الأميرة صيد تذكر حكايتها التي دارت في بلاد الماعز وسمع الأمير ينسب لرجل من بلاد القمحة.. فأخبره أن أباه حي ومن بلاد الماعز فقال له همسا: أمك الأميرة كانت متزوجة في أرضنا ومدينتنا يا خالد ، وأبوك هو الأمير رضوان من أمرائنا .

فقال خالد مستغربا: لم أسمع بذلك أيها الرجل !..

أنا والدي مات في الحرب !

فابتعدا عن القوم وجلسا على تلة بحيث يراهم رجال المدينتين فقال الرجل الكهل : أين أعمامك في مدينتكم ؟ أين جدك لأبيك ؟ أين أقارب أبيك ؟ ألم تسأل نفسك مثل هذه السؤال؟ أكلهم ميتون ؟! أنت تشبه أباك رضوان فإذا قدرت لك رؤيته سترى أنك شبيهه.. وسوف أخبره بأنك أصبحت شابا فارسا ليطلبك.. تحقق أيها الفارس مما قلته لك من أمك ولسوف تقر بما قلته .. هيا بنا نلحق بالقوم فهم يشيرون إلينا. عاد خالد ملبيا نداء رجال قومه وهو غارق الفكر بما سمع من كلام الرجل الكهل ، ولما وصل خيمة أمير الحملة وهو أحد أبناء أخواله قال ورآه مغضبا : يا خالد لماذا تجلس مع هؤلاء الأغراب ؟!

صمت خالد ولم يرد فهو مشغول الذهن بما أخبر .. ولما لم يرد أشار له الأمير بالجلوس مع أبناء عشيرته وفرسانهم ، وبعد حين يسير انصرف رجال مدينة الماعز وتركوا المكان لرجال مدينة القمحة وقد سقوا دوابهم وملئوا قربهم ، ولزم خالد الوجوم والصمت منذ سمع كلام رجل مدينة الماعز حتى قفلت الفرقة عائدة للبلاد ، فقد صدم بما علم من حياة أبيه ، ومن بعد أمه عن أبيه، هو كان يعتقد أن أمه أرملة .. لذلك كان يهمس لنفسه وهم يطاردون الصيد " أين أعمامي فعلا ؟! أين جدي لأبي ؟! أين أبناء عمومتي ؟.. لماذا لم أفكر بهذه الأسئلة ؟! لقد فهمت واستوعبت أن أبي غريب وحيد.. عاش في مدينتنا.. ليس له أهل هنا .. وأنه مات بعد زواجه من أمي .. وتركني أنا وأخي يزيد وأخي زيادا في رعاية جدنا ثم خالنا الملك .

وكان يتسأل الفتى : ما دام والدي حيا لماذا نحن عند أخوالنا ؟! لماذا تخلى عنا أبونا رضوان ..؟ هل صدق الرجل فيما أخبر؟! .. أبي اسمه رضوان وأنا شبيهه.. هل هذا الرجل صادق ؟! .. منذ وعيت وأنا أعتقد أني ابن قتيل المعارك .. وأني يتيم .

وأمضى الأمير خالد أيام الصيد وهو في شرود وغضب مكتوم من حاله ومما حدث ، وكان ينتظر بفروغ الصبر ساعة العودة ؛ ليعرف الحقيقة من أمه ويلومها على فعلها ، ويعرف أسباب كتمان هذا الأمر عنه.. ولماذا هي هنا وليست عن زوجها؟!هل أصابت شيئا قبيحا ؟ أمي طيبة عاقلة.. لعل الرجل مدسوس.. متى نصل لبلاد القمحة ؟ لماذا تخليت عن أمي يا أمير رضوان ؟!.. أبي حي يرزق ولا يهتم بنا ، ولا يسأل عنا ولا يكترث بنا.. خواطر سوداء ترتسم في الذهن.. لماذا يا أبي تركتنا كل هذا الزمن .. لماذا ؟!!

الأميرة صيد

أدركت الأم صيد أم خالد بحسها حزن ولدها

البكر ، ولاحظت الهم الذي يكتنفه منذ التقيا، فقد كان من عادة الأمير إذا رجع من الصيد أن يدخل عليها فرحا جذلا ويحتضنها معانقا ، ويأخذ بالحديث عن تفاصيل تلك الرحلة والمغامرة ، وعن الحيوان التي تمكنوا من صيدها ، فتسعد بها تسمع ويغمر قلبها الحبور، وقد لاحظت عليه هذه المرة اختلاس النظر إليها بطريقة مريبة لم تعتادها منه، قالت لنفسها : حدث شيء للولد !

فلما عاد من الحمام ، وجلسوا على مائدة الطعام لزم الفتى الصمت على غير العادة أيضا ، فلما رفعت المائدة ، وأراد الفتى المغادرة قالت له أمه : اجلس يا خالد .

فعاد الفتى إلى مكانه وأشارت لولديها الآخرين بالانصراف وقالت: ما بك يا خالد ؟ أراك كئيبا هل ضايقك أحد من رجال الرحلة ؟ هل الأمير فواز أساء لك ؟!

نظر في وجهها لحظات ثم غض بصره وقال : إني في حيرة يا أمي !

صاحت بارتباك وخوف : حيرة !! ما الذي يؤلمك ويحيرك ؟!

ـ أتحبينني يا أمي ؟

بهتت الأم لهذا السؤال، وهل تسأل الأم عن حبها لولدها ، فهو حب فطري فقالت : ويك .. أتشك بحبي لكم؟!هذا والذي نعبده بحق سؤالك عجيب !.. أنتم قرة عيني وأنتم حياتي .. سؤالك خطير يا بني !

توقف لحظات عن الرد ثم قال: أمي أنا أحبك .. أحبك كثيرا .. وقلبي مليء بحبك ولكن.. أين أبي ؟ أأبي ميت ؟!

وجمت الأم وزادت دهشتها وبدت حيرتها ، وأدركت أن وراء الأكمة ما وراءها وقالت مرددة : أين أبي ؟!

ـ نعم ، أحي أبي ؟

ـ حدثني بكل ما حدث لك في صيدك .. لعلي أجيبك عن سؤلك .

ـ أخبريني قبل أن أخبرك بما علمت أثناء الصيد .. هل أبي حي يرزق ؟!

ـ حسنا، أبوك على حسب علمي حي .

ـ حسب علمك .

ـ أنا لم أقل لك يوما ما أن أباك هالك.. وإنما شاع ذلك في بلادنا.. للعداوة التي بين قوم أبيك وقومنا.. فاعتبروه ميتا.. ولزمت السكوت لأنكم تعيشون في كنف أخوالكم وبغير أب..

ـ ولماذا نحن بدون أب ؟!

نهضت الأم قائمة تتمشى في الحجرة ، ثم نظرت لولدها قائلة : حدثني بما جرى معك بالصيد وبمن فتح معك هذا الحديث عن أبيك ؟.. حتى أروي قصتي مع والدك كاملة.. منذ عدت وأنت

على غير عادتك ..كنت كلما عدت من صيد تقبل علي مخبرا لي بكل شيء يا خالد ! أأحد من قومنا أساء لك ؟

ـ لا .

تنهدت بفرح ظاهر ، ثم قالت : الحمد لله رب العالمين .

ـ التقيت بقوم من أهل أبي كما أدركت اليوم ..سارّني رجل من بلاد الماعز السمرة بحديث.. لما علم أننا من بلاد القمحة وأخبرني بأنني أشبه أبي الأمير رضوان.. ولابد أن أكون ابنه من الأميرة صيد .

ـ نعم ، لا أحد يقول غير هذا ، أبوك الأمير رضوان من أبطال وفرسان تلك الديار .. لكنهم طردونا طرد الكلاب الضالة.. فغضب جدك الملك أبي منهم غضبا شديدا ومن أبيك رضوان لرميهم لنا رمي الجيف .. عندما جئنا من بلاد الماعز كنت ابن خمس سنوات ، ويزيد يصغرك بعامين وزياد كان رضيعا على صدري بعد.. وبما أنك ترى من نفسك أنك رجل فاسمع حكاية أمك. قال: أرجو ألا يؤلمك الحديث .

ـ سيؤلمني؛ ولكن لابد لك من سماعه حتى لا تسيء إلى أمك وتظن بها الظنون.

ـ لا يمكن ذلك يا أماه !

ـ وسواس الشيطان أقوى منك زواج صيد

كان جدك والد أبيك الملك شامخ العسلاني ملك بلاد الماعز في ضيافة الملك نادر ملك بلاد الرمان في حفل زواج لأحد أبنائه ، وكان أبي الملك مدعوا أيضا ، فأبي صديق للملك نادر، وفي مثل هذه الأفراح يذهب وفد كبير من الرجال والنساء لمشاهدة العرس الملكي ، وصحبت أمي في هذه الرحلة وأنا ابنة ثلاث عشرة سنة يا ولدي.. جلسنا مع كثير من الحريم والنساء ضيوف الملك نادر.. وللقدر المقدر كانت في الحفل بعض زوجات الملك شامخ وتعرفنا علينا وبعد انتهاء الحفل بأيام حضر وفد من بلاد أبيك خاطبا لي من أبي الملك ، وحدثوا عن إعجاب إحدى نساء شامخ بجمالي وحسني عندما رأتني في عرس ابن الملك نادر .. مع أن تلك الجدة لك لم تحدث أمي عن زواج ومصاهرة .. ربما لم تفعل لتشاور بعلها الملك ..المهم أن أبي الملك رحب بذلك وأثنى على جدك شامخ الثناء الحسن أمام الوفد ، ووافق على اقتراني بالأمير رضوان .. ثم زارنا الأمير رضوان.. وبعد سنة من المراسلات والزيارات عقد الزواج وأصبحت زوجة للأمير رضوان ، ورحلت لبلاد الماعز.. وسكنت في قصر جدك شامخ مع زوجات الملك وزوجات أبنائه الأخريات.. وكنت سعيدة بأبيك الأمير.. وفرحنا معا بمولدك ، وسعد جدك الملك بولادتك وسماك خالدا آملا بطول العمر

لك.. ولكن مكر القصور وحكايات النساء كثيرة لا تنتهي .. وأنا كنت في وسطهن غريبة، ليست من بلاد الماعز، لا رجال حولي من قومي ولا نساء أثق بهن وأتناجى معهنّ.. فاخترت العزلة قدر الإمكان.. وولد أخوك يزيد بفضل الله تعالى .. وبدأ وضعي يسوء في القصر، وأتهم بالكبر والدس والاستحواذ على أبيك، وامنعه من معاشرة رجال قومه.. وما كان لي صبر على الخلافات والمنازعات، فرجوت أباك أن يسكنني في قصر خاص به.. وكان لأبيك ولسائر أعمامك قصورهم الخاصة ؛ ولكن كان من سياسة جدك أن لا تسكن امرأة من نساء أبنائه إلا في قصره الكبير.. فإذا لم يرتح لها يطردها وزوجها إلى القصر الخاص بالأمير وتصبح منبوذة ومكروهة.. كان جدك يقدر أبي .. وكان يحب بقاءنا حوله ؛ ولكن لما أخبره أبوك برغبتي تلك أذن لنا بالرحيل لقصر الأمير رضوان.. فزاد عداء نساء الملك لي بدل أن ينقص ويزول.. فحاولت بعض زوجات الأبناء تقليدنا وأن يفعلوا مثلنا ، فضاق قلب جدك وأظهر غضبه.. وظل القيل والقال عني .. وكان أبوك أحيانا كثيرة يغيب عن القصر في الصيد أو الزيارات أو المعارك التي يشنها جدك..

وصمت برهة أخذت فيها نفسا عميقا ومسحت دموعا سالت على وجنتيها وقالت : ولما ولد شقيقك زياد ..اتهموني بالفاحشة والزنا مع أحد حراس القصر.. أرأيت قسوة نساء جدك ونساء أعمامك ؟! .. وانتشر وشاع الخبر كالنار في الهشيم.. وأصبح الخبر كحقيقة ويقين.. فصعقت لهذا الاتهام الشنيع وزاد سقمي ومرضت.. وأبوك لم يسندني وخذلني ، وصدق الشائعات والدسائس التي أثيرت حولي ، ولم يدافع عن شرفه وشرفي.. وكان مصيري الطرد والإهانة.. ولكن أباك أرسلني لأهلي ومعي بعض فرسانه.. وكان أبي على قيد الحياة ، فأخبرته بحكايتي وبراءتي، ومما يشنع عليّ ، والظلم الذي وقع عليّ.. وكادت تنشب بين المدينتين حربا ولكني ترجيت والدي بأن يدع الثأر والانتقام لله سبحانه، ولا أحب أن تهرق قطرة دم من أجلي لأنهم سيبقون أباء أولادي.. فغير أبي اسم أبيكم وأشاع أن أباكم قد مات في إحدى المعارك في بلاده .. فيظن من يسمع ذلك ويعرف الأمير رضوان أنني ترملت وعدت للحياة في كنف أبي عليه الرحمات.. ورفضت الزواج من رجل آخر ، ونذرت نفسي لكم وللعناية بكم.. ومضت الأيام على ذلك يا بني .. وأنا أقسمت الأيمان المغلظة لأبي أنني شريفة وما كشف ستري إلا لزوجي الأمير.. أبوك.. وإنني طاهرة .. وبعد سنتين أرسلوا وفدا لردي إليهم ، فرفض أبي أشد الرفض ، وطرد الوسطاء ولا

كرامة .. هذه قصة أمك يا أمير خالد.. أمك طاهرة عفيفة .. ولم يكن من المناسب مكاشفتك بهذه الأسرار وأنت صغير ، وأن أحدثك عن عشيرتك التي طردتكم معي ..هم طبعا لم يشكوا في مولدك ومولد يزيد، إنهم فقط يشكون بأني أنجبت زيادا وحده من الزنا.. وراجت هذه التهمة لأنه الوحيد الذي لم يلد في قصر جدتك .. وأبوك جاراهم في هذا الاتهام مسايرة لأمه وخوفا من والده الذي لزم الصمت في هذه القضية .. حتى لا يفسح المجال لخروج نساء أبنائه الباقيات من قصره الكبير وسكت أبوك كذلك طمعا بالملك من بعد موت أبيه شامخ عسى أن يختاره دون إخوته وريثا.. فسكت ورضخ للاتهام ..وصدق أمه بتهمتها لي .. ولم يدافع عن شرفي وعرضي.. واعلم يا ولدي أن جدك أبي رعاك حق الرعاية ، وأوصى خالك الملك عدنان بكم خيرا .



خلوة الملك

خلا الملك عدنان ملك بلاد القمحة بابن أخته خالد بعدما روت له شقيقته صيد ما حدث لبكرها في واد الصيد ، فقال له: مالك مغضب أمك يا خالد ؟!.. وقد روت لك قصة زواجها من أبيك الأمير رضوان ابن الملك شامخ .. وقد روت لك قصة اتهام قوم أبيك لها بالفاحشة والخيانة.. وهي ابنة الأشراف والأطهار، ولم يعرف هذا الفحش فينا.. هل سمعت بأن أحدا من أخوالك غرر بفتاة وزنى بها ؟.. قد حفظنا الله من ذلك .. وأمك العفيفة رفضت الزواج مرة أخرى من أجلكم.. ولما مات أبي الملك وجعلت ملكا للبلاد مكانه قلت لأمك الطاهرة " إن الوالد قد مات إلى رحمة الله الواسعة لماذا لا تنكحين أحد الفرسان والأمراء؟.. فما زلت فتية تحسنين التبعل؟.. فقالت لي أنا ووعته أذناي " إنها لن تتزوج حتى ولو مات الأمير رضوان .. أنا نذرت نفسي للعناية بأولادي حتى يكبروا ويتزوجوا " واحترمنا قرارها واختيارها وصبرها.. ونشأتم في بلادنا كأبنائنا وتحت رعايتنا وحمايتنا.. وجئت أنت بلادنا وعمرك خمس سنوات .. ولم يحدث أن جرح أحد منا مشاعركم بكلمة.. أما عشيرة أبيك فقد طردوا أمك طردا طرد الكلاب الضالة.. مرة واحدة فكروا بكم .. بعد سنوات من طرد الأميرة صيد .. أرسلوا بطلبكم أنت ويزيد فقط .. أما زياد فلم يذكروه ، فهم ينكرونه ولا يعترفون بأنه ابنهم أتعي ما أقول يا ابن الأجواد؟!..أبوك الأمير منذ طرد أمكم لم يأت إلى هنا مرة واحدة بحجة

رؤيتكم .. وهذا لا يضيرنا ولا يهمنا مجيئه .. لا تغضب أمك.. وتعظم الأمر بأننا أخفينا عنك حقيقة أهلك.. فها هم أهلك ليبعثوا إليك وليأخذوك إذا أحسست أنك مهضوم الجناح .. نحن من واجبنا أن نرعاكم ونحسن تربيتكم ..تكلم لمَ أنت متضايق من أمك الضعيفة المظلومة أتشك بأن أمك بغت كما أشاع قومك بأحد حرس أبيك؟.. يا ولدي لو شككنا بشيء مما تقوّلوه أتظن أن جدك أبقى أمك على قيد الحياة ؟..لسفكنا دمها جميعنا.

ـ يا مولاي الملك! ..كان يجب أن تخبرني من زمن بابن من نحن ؟.. لا أن تظل صامتة.. أن نظل معتقدين أننا أيتام ولا عشيرة لنا ولا قوم لنا .. أبونا حي يرزق ولا نعرف هذا .. هذا أمر قاسٍ يثير الشجن .

ـ ها نحن أخبرناك.. ما عساك فاعل؟.. أتريد أن تذهب إلى أبيك؟ .. اكتب له ليأتِ لأخذك.. وإذا أحببت أن نرسلك إلى هناك فحيهلا يا بني.. نحن لا نطلب منك ألا تسعى لأبيك ..فأنت ستبقى ابن قومك وقبيلتك.. ولكن قدرك أن تربى هنا في قوم أمك .. وأمك ستبقى أختنا وشرفنا وكرامتنا .. نحن ما كتمنا الأمر عنكم لغاية في نفوسنا ..لا نريد من عشيرة أبيك شيئا أنتم أطفال ، وليس من الكياسة اطلاعكم على أمر نحن تناسيناه ..فلما جاء وقته حدثناك به ..لا تغضب أمك ، ولا تنس فضلها عليك .. واحذر أن تشك بشرفها وعفتها .. وأن قومك تخلو عنكم لشك في أبوتهم لكم .. فأنت لا تسيء لأمك وحدها بل تسيء لنا كلنا ..لا مانع عندنا من عودتك لبني قومك بلاد الماعز .. اذهب وتعرف على أبيك.. الذي لم يهتم بكم يوما بعد طردكم جميعا .. وصدق أن زوجته الشريفة أم أولاده تخونه في رجل حقير .. جندي يقف على باب القصر .. ليس بطلا ومغوارا لتهفو إليه أفئدة النساء .. بل قتلوه غيلة بعدئذ.. ليجعلوا من الأمر حقيقة .. وإنهم غاروا على عرضهم .. نحن موقنون من براءة أمكم اليقين كله .. ويا بني هذه البلاد بلادكم .. ومفتوحة لكم أبد الدهر .. وإن شئتم أن تسيروا لمسقط رأسكم فافعلوا وسيروا.. لا تتضايق من كلامي ربما الجارح القاسي .. ونحن لا نتمنن عليك وعلى إخوتك .. فأنت من لحمنا ودمنا ..فالخيار لك .. أرجو ألا تتمادى في غضبك وأفكارك .. ونحن ما أشعنا موت أبيك إلا صونا لشرفكم وشرف أمكم وحتى لا تلوك الألسن سمعة أمكم وإخوانك .

عاد خالد يقول : كان يجب أن أعلم من أمي قبل أن أعلم من الأغيار .

ـ ها أنت علمت ، وها هم أتوك لواد الصيد ليطلعوك على هذه الحقيقة .. على هذا السر.. وما

هو بسر أصلا.. كل من يعرف أمك يعرف القصة .. ويعرف قدر تضحية أمكم من أجلكم .. فهي لم ترمكم .. لم تتخلى عنكم .

ـ يا مولاي! عشنا على أن أبانا هلك في الحرب .. هذا مؤلم ! وهو لا يبعد عنا سوى مسيرة سبع ليال

ـ لك هنا عشر سنوات يا ولد.. هو لم يهتم بك صغيرا .. أتراه يهمه أمرك اليوم؟ .. سر وزر قومك وعد وأخبرني بما تجد .

ـ سأفعل يا مولاي! إن شاء الله.. ولابد لي أن افعل

ـ افعل ما يربو لك ؛ لكن لا تغضب أمك ، وتضايقها بالقيل والاتهام ..هذا غير لائق منك يا ولدي .



صديق خالد

كان لخالد صديق من سنه وجيله، شاب يتيم تعرف عليه في حصن التدريب ، حصن التدريب هو مدرسة يتدرب فيها أبناء الفرسان والأمراء على الفروسية ، ويتعلمون فيها أيضا تربية الخيول وصناعة أدوات الحرب ، ومن احترف الصناعة إذا شب يلحق بمصانع الصناعة كصناعة السيوف والسهام والرماح ، ومن أتقن الفروسية لحق بفرسان الملك وجيش البلاد ، ولما نضج الأمير خالد ونال قسطا من القراءة والكتابة انتقل لحصن التدريب كأغلب أبناء الأمراء والفرسان ، وبعض الأمراء يعقدون عقدا مع أحد المدربين فيقوم على تدريب أبنائهم داخل قصورهم

وكان الشاب الذي تعرف عليه خالد في حصن التدريب من أقرانه ، وهو ظاهر وبارز بشجاعته وتقدمه على أبناء جيله ، فرافقه خالد واتخذه صديقا واسمه غاضب ويلقبونه بريح البحر .

وأكثر فتيان حصن التدريب من أبناء الأمراء والفرسان ونبلاء البلد ، أما أبناء العامة فقليل من يسمح لهم بالتدرب داخل حصن التدريب ، لأن الأمراء والفرسان هم حماة البلد ، فأبناء التجار والزراع والرعاة يبتعدون عن الفروسية، فهم يتوارثون مهن آبائهم .

وريح البحر هو لقب الفتى " غاضب " وهو لم يكن من أبناء الأمراء ولا الفرسان ؛ ولكن كان والده غالب ـ وهو ابن فلاح ـ بصحبة أحد الفرسان الكبار في مهمة خاصة للملك والد الملك عدنان الملك براق ، وقتل الفارس ومرافقه غالب .. وكان الرجل غالب متزوجا حديثا قبل مقتله بسنة، ولم يولد له سوى غاضب ، فقام الملك جد خالد الملك البراق برعاية اليتيم وأمه ، وبعد نكاح

أم الفتى وزواجها ثانية ، وقد شب الغلام أيضا وبلغ العاشرة ألحقه الملك البراق بمدرسة التدريب أو حصن التدريب كرامة لمقتله في مهمة ملكية ، واستجاب الشاب الصغير للتدريب واستهوته الفروسية ، فبرع فيها ومن أولى سنواتها ظهر وبرز على أقرانه بشجاعته وقوته وفطنته .. واستقرت حياته في الحصن تدريبا وخدمة .. وانقطع عن أمه التي انشغلت بزوجها الجديد وأولادها منه .

فكان من رفاقه في الحصن الأميران خالد ويزيد ثم تعرف على الأمير زياد ، وسمحت لهم صيد بمصاحبته والتعلق به ، لذلك كان تسمح له بالمجيء معهم إلى القصر الخاص بها وترحب به كأنه شقيق لأولادها وخاصة لما علمت أن أباه هلك بمهمة خاصة لوالدها البراق .

وكان ريح البحر كما كان يحب أن ينادى محبا للأميرة ولأولادها .. وشاكرا لعطفها عليه وسكوتها عن صحبته لأبنائها ، وهو ابن الفلاح ، وما هو بابن فارس ولا ابن أمير فكان يرى ذلك أمرا عظيما وكبيرا .

وكان الأمير خالد دون إخوته الآخرين قد اتخذه صديقا عزيزا ومحبا لصحبته ومعجبا بقوته وفروسيته ، وقد اعتبره أخا رابعا له ، وكان يعاشره على هذا الأساس وخاصة عندما لم يجد ضيقا وتبرما من أمه نحوه ، وكان ريح البحر يقدر له ذلك التلطف والإحسان، ويعتبر نفسه محظوظا بهذه الصحبة .

وكان لهم رفيق آخر، وهو من أبناء الفرسان ، وهو يشارك ريح البحر في اليتم اسمه هلال .. وقد هلك والده هو الآخر في مهمة ملكية .. وكان هؤلاء معروفين في حصن التدريب بالرفاق الثلاثة ..المدربون يعرفونهم بهذه الصفة .. دائما يأكلون معا .. يلعبون معا.. يتواجدون معا إلا في ساعات النوم .. فكثير من أبناء الأمراء والفرسان ينصرفون لبيوتهم في نهاية النهار.. وكان خالد ينام بعض الليالي في الحصن حبا بهم .. بل حاول مرات مصاحبتهم في رحلات الصيد مع أبناء أخواله .. ولكنهم كانوا يرفضون مثل هذه الصحبة .. فهم ليسوا من أبناء الأمراء .. ويعتبرونهم ما زالوا صغارا على رحلات القنص .

لذلك كان الأمير خالد يحلم يوما أن يصير قادرا على قيادة رحلة صيد ليصطحب رفيقيه إلى الصيد وخاصة الفارس الصغير غاضب بن غالب .

ومن حبه لهما كان يقاسمهم الهدايا التي تصل إليه من ثياب وطعام ، فلما عاد من الصيد في المرة الأخيرة وعرف أن أباه حي يرزق ، أطلع الشاب صاحبيه غاضبا وهلالا على قصة ذلك الرجل الذي التقى به في الصيد ونبأه خبر أبيه .. وتعجبوا لهذا الأمر.. وهم كانوا يعتقدون أن الأمير يتيم

مثلهم .. وصارحهم فيما بعد بلقائه بخاله الملك ، وقال لهم وهم يجلسون يستريحون تحت ظل شجرة عملاقة بعد أحد التمارين : أنا أحب أمي كثيرا.. ولا أسمح لخيالي أن يشك في عفتها وشرفها .. وهي التي عافت الرجال من أجلنا وصبرت على المحنة .. ورفضت التخلي عنا .. ولم تتزوج مرة أخرى من أجلنا.. ولكننا نبقى من أبناء بلاد الماعز .. وأنا أتعجب من تجاهل أبي نحونا.. ولم يسع لأخذنا حتى بعد أن كبرنا.. أو حتى التعرف علينا واللقاء بنا.. هذا ما يؤلمني ويحز في نفسي ..ألا يسعى أب للقاء أولاده ؟! لكنني في شوق للتعرف عليه ورؤيته والحديث معه .

فقال ريح البحر : الأمر مؤلم يا صديقي الشجاع .. أبوك أمير في بلاده فليس من اليسير والهين أن يتنازل عن كبريائه للسفر إلى بلادنا بعدما صدق التهمة التي أحاطت بأمكم الشريفة العفيفة وأمك تعرضت لظلم قاس يا أمير خالد .

وقال هلال : أمك عظيمة يا خالد !.. ولولا عظمتها لأقامت الدنيا واشتعلت الحرب بين البلدين.. ولكنها صبرت حتى لا يكون بين البلدين دم ويؤثر ذلك عليكم ثم قبلت بالصمت وعدم الغضب من أجلكم .. والحق أن أباك أخطأ في حقها .. وفي حقكم .. وعندما حاولوا بعد حين أخذكم ظلوا مستمرين على الاتهام وأبوا أخذ زياد لتظل التهمة ثابتة على الأميرة .

فقال خالد بحدة : ولكنهم قومي وأهلي وأبي ..أنا راغب برؤية أبي .

فقال ريح البحر : هذا حق وحقك .. مهما أخطأ الأب فهو أب .. فمن حقك اللقاء به .. ولتسمع منه حجته في الصمت عن الدفاع عن أمك الأميرة .. لماذا لزم الصمت ؟!

ـ هذا ما أريد معرفته أيها الرفيقان ! .. أنا أعلم تقصيره الكبير نحونا وطردنا .. ولكن فكرت وفكرت فبدا لي أنه كان مصدقا للتهمة التي ألصقت بأمي .. عليّ أن أسمع منه أيها الرفيقان !

فسأل هلال : وهل يقبل الاجتماع بك إذا سعيت إليه اليوم ؟!

ـ بعد كل هذه السنوات لا يستطيع المرء الإجابة والتوقع .. ولكن إذا كان رجل وادي الصيد جاء قاصدا لقائي وتذكيري بأهلي وأن الأمر لم يكن صدفة .. فهم ساعون للّقاء بنا .

فقال ريح البحر فجأة ؛ كأن فكرة ضربت ذهنه : ما رأيك أيها الصديق بأن تكتب له رسالة تسأله اللقاء .

نظر خالد لحظات في عيني ريح وقال: فكرة !فكرة طيبة !.. وكيف ستصل الرسالة ؟!

فقال ريح بحماس وحب : أنا رسولك لأبيك ، وسيرافقني هلال إذا شاء ، وليبق الأمر سرا بيننا

حتى نعود بالرد .. ولكن هل سيسمحون لنا بترك حصن التدريب ردحا من الزمن ؟

ـ لا أدري.. ولكني سأكتب خطابا لأبي .

فقال هلال: اكتب.. وسأرافق ريح البحر في هذه المهمة.. وعليك أن تدبر أمر خروجنا من مدرسة التدريب .

فنهض خالد قائما ، وفعل الاثنان نحوه ، وعانقهم وعيناه تذرفان الدمع وقال : إنهم قومي وعشيرتي .. وهذا جميل عظيم منكم نحوي!.. أرجو ألا أنساه في يوم من الأيام أيها الأصدقاء.

الرسالة

دفع الأمير خالد الرسالة للفارسين الشابين، ووضع بين أيديهما بعض قطع النقود ، واشتريا حمارا قويا وتسلحا بالخناجر، وتزودا ببعض الطعام ، وغادرا حصن التدريب دون علم أهله ، وكانت وجهتهما بلاد الماعز السمرة ، وفارقوا بلاد القمحة بدون أي اعتراض من أحد ، وكانت خطتهما السير على أطراف القرى التي تمتد بين مدينة القمحة والماعز.. وعندما يحتاجان الطعام يشتريانه من أهل القرى من الفلاحين والزراع ، وكانت طريقهم بعيدة عن طريق القوافل والطرق المطروقة .. وظلا يسيران حتى وصلا مدينة النور ، فهي تقع بين بلاد الماعز والقمحة من تلك الجهة التي يسيران فيها ، كانا يركبان الحمار سوية وأحيانا أحدهما ويمشي الآخر .

وكان نومهما في المغاير وأطراف الغابات ، ولما تزودوا ببعض الطعام من مدينة النور بعد أن قضوا يوما في المدينة يتعرفون على أهم أسواقها تابعوا المسير نحو مدينة الماعز، وبينما هما يجتازان أحد الأودية ، وكانت الشمس عند المغيب سمعا أنينا

فهمس هلال : أسمعت ما أسمع يا غاضب ؟

ـ كأنني سمعت .

أوقفا الحمار وأصغيا آذانهما، فقال بحر: صوت أنين. وأشار إلى جهة قائلا : كأن الصوت آت من تلك الناحية .. عند تلك التلة التي عليها تلك الأشجار العالية .

ـ نمشي أم ...

ـ قد يكون الرجل بحاجة لمساعدة .

اتجها نحو التلة، فازداد سماعها للصوت كلما تقدما من التلة فقال هلال : كأن الرجل يموت!

صعدوا التلة وهم في قلق وتوتر.. ولما صارا فوقها همس ريح : إنه رجل مصاب

وكأن الرجل أحس بهما ، فرفع صوته صائحا من الألم.. فاقتربوا منه فكان رجلا شاحبا قد نزف الكثير من الدم فقال هلال: هل يمكننا أن نفعل من أجلك شيئا ؟

ـ إنني سأموت بل أحس أن روحي في صدري .

قال بحر : من أنت وما قصتك ؟!

فقال الجريح بصوت واهن : إنني أموت غدرا ، واسمي الرمح من بلاد الماعز .. كنت مسافرا في مهمة لسيدي الأمير بهاء ..

وضع أحد الشابين قطعة من القماش على جرح الرجل الغائر الذي قال : لا تفعل دعوني أموت لا يمكنكم الوصول بي إلى أهلي.. لقد طعنت بخنجر قد سحبته من صدري قبل مجيئكم.. أمعكم ماء ؟

ـ ها هي قربتك ؟

ـ قربوها إليّ .. ظننتهم قد أخذوها.. قاتلهم الله.. من القوم ؟

ـ نحن من بلاد القمحة ونحن في طريقنا لبلاد الماعز في أمر خاص .. هل نحملك إلى هناك ؟

ـ إني أحتضر أيها القوم ..لا أستطيع الركوب على حماركم هذا.. ولكن هل يمكنكم نقل رسالة ميت لأهله والأمير بهاء ؟

فقالا : نفعل أيها الرجل إن شاء الله .

ـ الحمد لله .. لقد أرسلكم الله لي في آخر ساعة لي من الدنيا .. لتصل وصيتي لأمي .. في قرية تابعة لمدينة الماعز اسمها قرية الفرس بلدة صغيرة شمال بلاد الماعز .. اسألوا عن عجوز اسمها سعدية أم الرمح فانعوني لها ولتغفر لي وأخبروها أن لي بعض المال عند أخيها سلمان فلتخذه وتنفقه على نفسها.. ولي مال آخر عند الأمير بهاء الذي أعمل عنده .. أنا أعمل في بساتينه وأرضه ..وأخبروا الأمير بمقتلي ، وأن الرسالة التي طلب مني توصيلها لم أستطع توصيلها وأن قتلي كان من رجال أخيه.. رجل اسمه فانوس أنا أعرفه جيدا رغم تنكره والسلام .

ثم شرب شربة ماء ولفظ أنفاسه مع آخر قطرة بلعها .

قام الفتيان بحفر حفرة له ، وقبل أن يدلوه فيها أقبل جواد نحوهم ، فأدركوا أنه فرس الرجل لأنهم وجدوا عليه طعامه ، فبدا لهم أنه هرب عندما انقض عليه القاتل أو القتلة ، فظن الجريح أنهم سرقوه ، وسقطت القربة عن الجواد أثناء عراك الرجل مع قاتله .. دلوه ودفنوه، وكان الليل قد دخل ، فنزلوا عن التل متجهين لبلاد الماعز يجرون الجواد معهم ، وقد غمرهم الحزن على هلاك الرجل الغريب ، وصمموا على نقل رسالته مهما كلف الأمر .

ولما وصلوا بلاد الماعز استراحوا في أحد الخانات ، ثم مشوا إلى قصر الأمير رضوان شقيق ملك بلاد الماعز " الملك رياض والملقب بشرح " واستأذنوا عليه فرحب بهم الأمير ، وأخذ منهم رسالة ولده الأمير خالد ، وذرف الأمير الدمع لما مسك خطاب ولده ، وقرأ الرسالة وهو يبكي وقد رؤيت الدموع تتساقط على خديه، ثم أمر الرسولين بالنزول بدار الأضياف الخاصة به ، فاعتذروا له

وأعلموه أنهم ينزلون في أحد الخانات ، ولما رأى رغبتهم بالبقاء في الخان شكرهم وقال لهم : قبل سفركم مروا عليّ .

فقال ريح قبل الانصراف: أيريد مولانا أن يرسل جوابا لولده الأمير معنا أم سيبعث رسولا ؟

نظر إليه رضوان متضايقا ولكنه قال: لم أفكر بشيء بعد .. إذا كتبت شيئا ربما أرسله عن طريق خاص.. المهم عند مغادرتكم لبلادنا مروا عليّ حتى أودعكم الوداع اللائق .. فأنتم قمتم بعمل كبير ..أتعرفان ما في رسالة الأمير؟

قال هلال : لم يطلعنا الأمير على فحواها يا مولانا الأمير.. ولكن فهمنا منه أنه راغب بلقياكم

ـ أجل ، أجل ! متى تسافران ؟

ـ سنستريح بضعة أيام ثم نغادر.. هل نعتبر أن مهمتنا انتهت ؟

ـ أنا سأرسل رسولا من طرفي ..فعلى الرحب والسعة .

وأمر الخازن الخاص به بأن يعطي كل منهما صرة من المال ، فحاولا الاعتذار ؛ ولكنه الرجل أصر ، وقبضا المال وغادرا قصر الأمير رضوان ، وهكذا انتهت المهمة الأولى لهما في بلاد الماعز وبقيت المهمات الأخرى ، وصايا الميت الذي صادفاه في الطريق .

الأمير بهاء

رحبت العجوز سعدية بغاضب وهلال ، ولما نقلا لها نبأ هلاك ابنها بكت الدمع عليه، ثم سكنت روحها، فقدمت لهما الزاد ، ثم مشت بهما إلى شقيقها سلمان ، ونعت له ابنها ، وأقر لها بدين ولدها عليه، ووعدها أمام الشابين بسداده حين تيسر الحال، ومشى معهما نحو الأمير بهاء شقيق الملك على بلاد الماعز السمرة، فاستقبلهما الأمير وأثنى على شجاعتهما ، ولما انتهت مهمتهما عند الأمير غادروا القصر، ووهبهما سلمان فرس الرمح على رغبة أخته سعدية ، فاعتذرا له عن قبوله لعجزهما على إطعامه والعناية به ، وعاد سلمان لشقيقته محملا بهدايا وأموال الأمير بهاء .

وفي الصباح التالي لقضاء مهماتهم في بلاد الماعز غادر الشابان تلك الديار بدون المرور على قصر الأمير رضوان ، وقد تزودوا بالطعام والشراب وقفلا عائدين إلى بلاد القمحة ، وقد أنجزا المهمة الخاصة على أحسن حال ، وعمهما السرور لما فعلا وبعد مسيرة أيام بلياليها حلو في بلاد القمحة ، والتقيا بالأمير خالد الذي سر بعودتهما سالمين، وعمه الفرح بعد ذلك الغياب ، وعانقهما العناق الحار ، وعجب من عدم إرسال والده ردا معهما ولو كلمة تشجعه على الرحيل لبلاد عشيرته ؛ ولكنه سلم الأمر لله رب السماوات والأرض ، وأمل بوصول رسالة مع رسول من طرف والده

الذي فرح برسالته كما نقل له الأخوان ، وبكاؤه لما سمع بخبره .

ولما علم قائد الحصن بعودتها بعد ذلك الغياب بدون أذنه رفض لقائها ، وأمر بطردهما ، فكشفا لقائد الحصن عن سبب تغيبهما الخفي ، وأكد له الأمير نفسه هذا الأمر .. فاحتار القائد بما يفعل بعد سماعه حجة القوم وبقيامها بهذه المهمة الخطيرة .. فعندئذ غض القائد الطرف عن تصرفها وخاصة عندما أكد له الأمير أنه أطلع والدته على فعله ورسالته لأبيه ..فلزم القائد الصمت أمام هذه الحقائق .

تبدد قلق الأمير خالد لما علم بوصول وفد من بلاد الماعز لمقابلة الملك عدنان ، وقرأ الملك

رسالة الأمير رضوان ، وأرسل وراء الأمير خالد، الذي دخل ديوان الملك فرحا ؛ ولكنه دخل متظاهرا بجهل الأمر، فعرفه خاله الملك على وفد أبيه المكون من ثلاثة رجال ، وبعد أن انتهى الترحيب والسلام ، قدم له أحد الخدم رسالة والده لخاله ، فقرأ فيها بعد التحية والسلام " لا مانع لديّ من زيارة ولديّ خالد ويزيد واستقبالها في بيت والدهما " .

وضع الرسالة بعدما قرأها أكثر من مرة على مائدة في الديوان ، واختلس النظر لخاله الذي قال واجما : ها هو أبوك يرحب بك في قصره .. فاذهب

لأخيك يزيد وتجهزا للرحيل .

قال الأمير بصوت منخفض : الأمير يزيد .. لا يريد الرحيل .

ـ وما أدراك بذلك ؟

ـ قد تحدثنا منذ حين بهذا الأمر ، فقد فقال " من طرد أمي ليس بأبي .. ومن شك في طهارة أمي ليس بأبي "

تبسم الملك وقال : هذا منا .. اذهب وحدك يا ابن أختي ..

ـ ألا تسمح لي بالنظر والتشاور مع أمي يا مولاي الملك ؟

ـ أنا تكلمت مع والدتك قبل حضورك مجلسنا هذا.. إنها لا تمانع برحليكم مع

وفد الأمير رضوان لرؤية والدكم حتى لا تلومونا في يوم من الأيام .. وعليك أن تجمع الوفد بأخيك يزيد حتى يتحدثوا معه ويقنعوه بالرحيل معكم .

ـ لن أنسى فضلك يا مولاي عليّ وعلى إخوتي .. ولكنه أبي يا مولاي الملك !

ـ نحن نعلم أنه أبوك .. وها أنت ترى أننا لا نحول بين تعرفك على بني قومك .. ونحن بلادنا ترحب بك وقتما تشاء .. فستبقى ابن أختنا .. فإذا لم يطب لك المقام .. فلا تنسى أننا نرحب بك من أجل اختنا الطاهرة .

ـ أترضى أمي ببقائي هناك ؟!

ـ أنا طلبت منها ذلك أيضا يا أمير خالد .

تقدم الشاب مقبلا يد الملك وقال ممتنا : أنا منكم يا سيدي ومولاي .. وهو أبي .. أبي !!

ـ افعل ما يطيب لك .. وها هو الوفد عندنا لثلاثة أيام .. ففكر أنت وأخوك ثانية وشاور .

أثنى الوفد على كلام الملك عدنان ، وشكروه على أريحيته ، ووعدوه برعاية الأمراء أحسن رعاية والمحافظة على حياتهم ، وغادر الوفد لديوان الضيافة على وعد أن يجتمعوا بالأمير يزيد والتخابر معه .

وانصرف الأمير خالد إلى قصر والدته الأميرة صيد ، وكلمها بكل ما دار في قصر الملك ، فردت بجملة واحدة : لقد وعدت خالك الملك أن أترك لك فعل ما تراه مناسبا .. اذهب يا ولدي لأهلك راشدا ..وإن طاب لك العيش هناك فاعلم أني سعيدة .. فكما أنا أمك فرضوان هو أبوك

ـ إنني أحبك يا أماه ! .. ولا يمكن أن أنسى فضلك وتربيتك لي .. ولا يمكن أن أنسى تعلقك بنا وتضحياتك من أجلنا.. ولا يمكن أن أشك في عفتك وشرفك يوما .. ولكنهم قومي.. إنهم آبائي.. وهل يمكن للرجل أن يهجر أباه يا أماه؟!.. لابد لي من رؤية هذا الأب.. ومعرفة أعمامي وعشيرتي أيتها الأم الحنون .

ـ لا حرج عليك يا ولدي.. افعل ما تراه مناسبا ، لا يجوز لي أن أحرمك من قومك .. ولكن أقسم أمامك مرة أخرى إنني لم أسمح لنفسي أن تخلو برجل غير أبيك يا خالد .. لا تصدق ما سيصفون به أمك من البهتان .. ولولاي لجرى الدم بين البلدين .. أنا لم أخن قومك ، ولم أخن قومي .

ـ أقسم لك يا أمي إنني لا يمكن أن أدنس فكري بالشك والريب في طهارتك وبراءتك .. الموت خير لي إن غيرت اعتقادي فيك

الأب

كان الأمير خالد سعيدا ؛ لأنه سيلقى أباه الذي كان يعتقد موته كل هذه السنوات العشر ، وطلب من الملك عدنان أن يسمح بسفر رفيقيه هلال وغاضب معه ، فالتقى بهما الملك ، وتعرف عليهما الملك وأذن لهما بالسفر معه ، وصحبته في بلاد الماعز، وكان يزيد قد اجتمع بالوفد ، ورفض الرحيل ، ولم يقنع بوجهة نظرهم ، وباءت محاولات خالد نفسه معه بالفشل، وقد حاول عم لهلال صرف ابن أخيه عن هذه الرحلة ؛ ولكن الشاب أصر على مرافقة صديقيه خالد وغاضب .. وكان هلال قد قتل والده في مهمة خاصة كهذه ، وتقديرا لشجاعته أذن لولده بالتعلم والالتحاق بحصن التدريب.. كما حصل مع غاضب أيضا وقد اشرنا لذلك آنفا.. ولما علم العم برغبة الملك ورضاه اضطر أن يصمت.. وأم الأمير خالد

استسلمت لرغبة الفتى ولزمت الهدوء ، وأمر الملك خمسة من فرسان المدينة بمصاحبة الوفد والأمير إلى أطراف بلاد الماعز .

وودع الأمير خاله الملك بالعناق والاعتذار من اختياره للحياة مع قومه ووالده ، وكان الوداع أليما على أمه وإخوته، وقال لها مودعا : أعلم أن هذا صعب عليك يا أماه .. ولكنهم قومي.. وأبي ! ولسوف أتردد عليكم كلما سنحت الأحوال .. لا يمكن أن أنساك.. سامحيني يا أماه .. لا تغضبي عليّ .. ولم اختر أبي تفضيلا له عليك .. أبدا بل أنت قرة عيني وتاج رأسي .

ـ رافقتك السلامة وصحبتك أبد الدهر .. لا تنسى أمك التي تحبك .. فأنت أول فرحة لها في الدنيا الماكرة .

رحل الوفد بصحبة خالد وصاحبيه إلى بلاد الماعز السمرة ، وقطعوا الطريق بين البلدين بدون حديث يذكر، ومضى القوم إلى قصر الأمير رضوان شقيق ملك بلاد الماعز، واجتمع الوالد بولده بعد غياب اختياري امتد عشر سنوات .. وتعانق الأميران ، وأعجب الأمير رضوان بوسامة ابنه وشبابه وصلابة عوده رغم صغر سنه ، وجاء الإخوة من زوجات أبيه الأخريات اللواتي نكحهن بعد طرده لصيد أم خالد .. وكن ثلاث فتيات وابن واحد اسمه ضرغام .. ولما انتهى الاحتفاء بالأمير، قال الأب : سأرتب لك زيارة لعمك الملك.. وأعمامك وقومك.. وعماتك وجداتك أيها الأمير ، وأخبر الوفد الأمير برفض ابنه يزيد المجيء ، وأصر على البقاء عند أخواله .

وقال خالد: لقد رفض رغم الجهد الذي بذلته أنا وهؤلاء السادة ، وربما يلين بعد حين .

فأخذ الأمير الأب يلعنه ويشتمه وقال : أهلا بك يا ولدي ! .. والتفت لرفاق الأمير من بلاد القمحة وتابع قائلا : ورفاقك هؤلاء.. ماذا ستفعل بهم ؟ لقد التقينا بهم سابقا وتعرفنا وسافروا دون علمنا وقد تضايق خالد لعدم سؤال أبيه عن أخيه زياد ؛ ولكنه غض الطرف عن الغضب ورد على أبيه: سيبقون معي .

فاعترض وقال الأب: لا يا ولدي أنت أمير، وهما رعاع لا مكان لهم في القصر .

فقال خالد بضيق واضح : وماذا أفعل بهم ؟ هل أتخلى عنهم ؟!

ـ من الصعب يا بني أن يعيشوا بيننا.. فهؤلاء جواسيس عليك وعلى بلادنا .

هتف الأمير مستغربا اتهام أبيه لهم : جواسيس !! إنهم رفاقي عشنا معا في حصن التدريب يا أبي .. وهم الذين غامروا بحياتهم لنقل رسالتي إليك .

ـ أعرف ؛ ولكنهم من بلاد أمك المطرودة ، ولا يؤمن جانبهم .. فنحن في عداء دائم مع بلدكم

دعهم ينصرفوا لبلادهم خير لهم ولنا .. وأنت ستسكن في هذا القصر .. فلا مكان لهم بيننا.. وعندنا نساء لا نسمح للأغراب والأعداء برؤيتهن.. فتخلص منهم بحيلتك .

ـ حيلتي !! ألا يوجد حرس لهذا القصر؟ .. يكونون مع الحرس .

ـ قلبي لا يطمئن إليهم وهم صبيان لا يصلحون للحراسة .. إذا أنت مستحي من خطابهم فأنا أخطابهم أو حتى وكيل القصر يخاطبهم .

لم يكن الأمير خالد يتخيل أن تضيق بلاد أبيه بوسع رفيقيه ريح البحر وهلال .. ولم يخطر في باله أن يكون أصحابه جواسيس .. فهو قد خبر إخلاصهم له منذ سنوات منذ الطفولة ، ولا يمكن لهم أن يعملوا جواسيس لخاله ؛ لأنه هو الذي اختصهم لصحبته ومرافقته.. ولكنه كان شجاعا ولا يريد أن يدع لأبيه حجة عليه ليسيء إليه ويرده لأمه، فكلم صديقيه بما ادعاه والده من خوفه من ناحيتهما ، وأبدى اعتذاره الشديد لهما.. وبعد وجوم وصمت قاتل بينهم ، قال هلال : نحن نستطيع العودة لبلادنا وأهالينا !

فقال خالد والحزن يغمره : لكنني سأجد صعوبة بالحياة هنا دونكم !

فقال بحر : سوف تتأقلم على العيش بعد حين يسير ..وأذن لنا بالرحيل .

ـ لا ..لا ..كيف آذن لكم وأنا أحبكم ..إني حزين !

فقال ريح بضيق مكتوم : أيها الأمير .. نحن سنبقى بقربك بعض الوقت .. حتى نطمئن عليك .. فأبوك يبدو أنه لا يحب أحدا من بلاد القمحة .. وقد وصتنا أمك كثيرا عليك .. سنسكن بيتا خاصا ..أو نعيش في أطراف البلاد .. حتى تستقر بين قومك ، وتقر نفسك .. فنعود لبلادنا ، ونطمئن أمك الأميرة على وضعك وحياتك مع بني قومك ..

فقال خالد دامعا : تعودت عليكم .. لا أتخيل كيف أعيش بدونكم !

فقال هلال معزيا له : سنة الحياة الاجتماع والتفرق أيها الأمير .. وقد كبرنا، ولم نعد أولئك الأطفال أيها الصديق الحبيب .. نتمنى لك إقامة طيبة مع والدك وعشيرتك .. وسنبقى على اتصال حتى نتأكد أنك بأمن وقادر على رعاية نفسك والثبات والبقاء في هذه البلاد .

ـ إني خجل مما يجري ..أأعجز عن الاحتفاظ بصديقيّ ؟!.. قصر أبي وملك عمي لا يتسع لصديقين ..

فقال بحر : هو يتسع ؛ ولكن الخوف منا والزعم أننا عيون لبلادنا هذا ما يريبهم .

فقال هلال : وهذا خير لنا ولك .. حتى لا يعتبرونا

جواسيس حقا .



ودع الصديقان خالدا وغادروا قصر الأمير رضوان وهم في غيظ وغل وحيرة وألم ، وهاما على وجهيهما في ساحات وشوارع المدينة ، ثم مشيا لأحد الخانات يقضيان ليلهما، ويفكران بما يفعلان ، وقال بحر : هذا سيدفعنا على الاعتماد على أنفسنا ولا نركن إلى هؤلاء السادة .. وها نحن قد تحررنا من أي ارتباط بهؤلاء الناس.. سنقضي شهرا هنا لنطمئن على الأمير؛ لأنه صديقنا ومن أجل خاطر أمه التي اعتمدت علينا لحمايته والبقاء مع ابنها .. ثم نعود لبلاد القمحة .. فبلادنا خير لنا .. أو نهيم في بلاد الله الواسعة .

ولما لاحظ الأمير رضوان ثانية تردد الشابين على الأمير ، طلب منه أن يأمرهما بالرحيل من البلاد ولا داعي لوجودهما وإلا رماهما في السجن .

ثم قال له غاضبا: عليك أن تصدق أنهم عيون عليك يا ولدي ..ونحن خائفون على حياتهما ..

وكان هذا الطلب بعدما أقام الأمير رضوان وليمة كبيرة دعا إليها الملك والأقارب ليتعرفوا على ولده العائد من بلاد القمحة ، وقد تعرف الأمير على الملك والأعمام الكثر وأولادهم وعلى زوجاتهم وعلى رأسهم جدته أم والده الملكة التي عادت أمه ، ولم تحترم حفيدها فأسمعته الكلام القبيح في حق أمه، وهو صامت لم يحرك ساكنا، وأدرك حقد الجدة الكبير على أمه .. وأدرك أيضا أنه ضعيف وعاجز عن الدفاع عن شرف أمه ..

فلما سمع مطلب والده أو أمره خاف حقيقة على اغتيال صديقيه ؛ ولكن صعب عليه أن يطلب منهم مغادرة البلاد ، وهو في حاجة إليهما في جواره ، وهو في هذا الخضم من الحقد والكره لأمه

وقد بدأ له العداء سريعا من أخيه ضرغام ومن أمه.. فهو من سنه من زوجة أبيه التي تزوجها بعد زواجه من أمه بسنتين أو ثلاث ..وهي قريبة لأبيه .. واطلع الرفيقان على تحذير الأمير رضوان من أحد الخدم الذين وضعهم رضوان لخدمة الأمير .

فقال ريح البحر للأمير : يا صديقي .. ائذن لنا بالعودة لبلادنا .

تساقطت الدموع وقال : إني حائر.. وعزيز عليّ فراقكم .. فأنتم أعز الإخوة عندي .. ولكن حياتكم غالية عليّ .

فقال هلال : يا أمير لابد من الفراق .. فهم ينظرون إلينا كأعداء .. ولعلنا نستطيع أن نتردد عليك من حين لآخر . وودعهما الأمير والعيون باكية عاجزة .. وهو يعجب لبلد تعجز عن استبقاء شابين صغيرين في ربوعها بحجة واهية لا تقنع رضيعا .

وغادر الرفيقان المدينة ولكن ليس لبلاد القمحة ،

إنما نحو القرى القريبة من المدينة ؛ ليعملا بالرعي ، وللبقاء حول المدينة ليظلا حول الأمير، ويغلب على ظنهما أنه في أمان واستقرار بين قومه وأهله . وفي إحدى القرى تيسر لهما العمل مقابل النوم والطعام عند أحد الرعاة الذي بين يديه ما يزيد عن ألف رأس من الغنم .. وقبلهم الرجل وهو فرح بشرطيهم .

وعندما كانا يعودان من الرعي بين الجبال والوديان يتسللان إلى المدينة يلتقطان أخبار الأمير مدعين أنهم يزورون بعض أقاربهم .

ودام هذا الحال عاما وقد رجع هلال يوما من المدينة بخبر مثير ومرعب ، ومفاد الخبر أن الملك قتل أخاه الأمير بهاء ، والغضب والفتنة تعصف في البلاد .

وعلم ريح من هلال أن صراعا كان دائرا بين الأمير بهاء والملك .. فبهاء يطمع أن يكون الملك بعد موت أخيه حسب وصية أبيه الملك شامخ ، ولكن الملك القائم يريد وضع ابنه ملكا ليبقى الملك في ذريته .. فكان الأمير بهاء يراسل بعض الملوك لمساعدته على الاستيلاء على الحكم .. وتكشف لهم أن الرجل الذي قتل في الغابة وقد التقياه قبل زمن كان رسولا من الأمير بهاء لأحد الملوك الذين يشجعون الأمير على التمرد وعزل شقيقه والتسلطن على المدينة.. ولكن أعوان الملك وعيونه كانوا يتابعون تحركات بهاء وأعوانه .. فتابعوا الرسول وقتلوه في الغابة ، ولم يجدوا معه جوابا .. ولما ضاق الملك بأخيه ودسائسه .. أرسل بعض أعوانه إلى قصره واغتالوه أمام الجميع .. وكبر الصراع بين الإخوة .. ورفضوا هذه الطريقة القاسية لحل المشاكل .. وأن اللجوء للقتل لحل المشاكل ليس الطريقة المثلى ؛ ولكن الملك هددهم وتوعدهم بنفس المصير بلاد الماعز

بلاد الماعز واسعة ، وتضم ثلاث عشائر كبيرة سوى القبائل الصغيرة والأحلاف ، واستقر الملك في قبيلة الوعل لأنهم أول من سكن الديار ، وعددهم كثير مما ممكن لهم الاستقرار حكاما على المدينة، وتوارث رجالها السيادة جيل بعد جيل ، والقبيلة الكبرى الثانية قبيلة الحمام ، وقد كانت في حلف مع قبيلة الوعل ، وأكثر رجالها في الجيش والشرطة ، ومنهم الوزراء أو وصلوا لكرسي الوزارة ، وأما القبيلة الثالثة قبيلة " العزام "، خاضت حروبا مع القبلتين ، وتعرضت لهزائم حتى رضخت في النهاية لحكم قبيلة الوعل والحمام .. ولها امتداد في المدن والقرى المحيطة ببلدة الماعز، وكما ذكرت آنفا هناك فروع وعشائر تحالفت مع هذه القبائل الكبيرة .. وتركوا أمصارهم وبواديهم وسكنوا الماعز نتيجة صراعات قبلية أو ضيق المكان .. ومع الوقت كبرت المدينة، واستقر الحكم

في أسرة الملك شامخ والد الأمير رضوان وبهاء الذي كان في عصره زواج الأمير رضوان وصيد كما مر معنا في الصفحات السابقة .

وظل رجال قبيلة الوعل يحافظون على الملك ، ولا يتهاونون في الحفاظ عليه ، وكانت التحالفات تقوم بينهم وبين ملوك المدن الأخرى ، ولكن طبيعة الناس التنافس والصراع والدفع فتحدث الفتن والقلاقل بين القبائل بين الأمراء ..

وكان الملك شامخ ملكا قويا وشجاعا ومغامرا فقد خاض معارك شرسة مع ملوك المدن الأخرى حتى صارت له هيبة بين الملوك ، ويهادونه بالهدايا الثمينة من الجياد الأصيلة والسيوف المنيعة .. ولكنه لم يضم أي مدينة لمملكته .. يغزو ويقاتل ثم يكر راجعا لبلاده .. وكذلك كان يصاهر الملوك إما بنفسه أو بأولاده وأعمامه وأبنائهم ..ولقد حاول مرة ضم إحدى المدن بعد انتصاره على أهلها؛ ولكنه وجد مقاومة عنيفة فلم يكرر التجربة .. وكان تزوج الأمراء من عدد من النساء شائعا في البلاد .. وكان من عادة الملك شامخ أن يشيد لكل زوجة من زوجاته قصرا كبيرا تستقر به هي وأولادها وزوجاتهم .. ولما نكح رضوان ابنة الملك (البراق) الأميرة صيد سكن في قصر أمه .. ولكن بعد حين نتيجة بعض المنازعات انتقل رضوان بزوجاته إلى قصر خاص به .. ووافق الملك الكبير على ذلك تخفيفا من مشاكل النساء ومنازعاتهن التي لا تنتهي .. وتكريما لملك بلاد القمحة أيضا سكت .. ولكن أم الأمير رضوان زاد حقدها على الأميرة صيد لانفصالها عن قصرها ، وعدت ذلك جريمة وإهانة لا تغتفر .. فأكثرت عليها الإشاعات والدسائس حتى اتهمتها بخيانة زوجها مع أحد الحرس وكشفت لهم ذلك إحدى جواري الأميرة .. التي اختفت من الحياة بعد إثارة تلك الشائعة .. وتبع ذلك قتل الجندي الحارس .. فترسخ في الأذهان أنهم فعلوا ذلك لإخفاء الجريمة .. وصدقت المقولة على الأميرة صيد .. وأمام هذه الاتهام عجز الأمير رضوان عن فعل شيء ، وأقنع نفسه بأن مولوده الأخير من الزنا تمشيا مع الاتهامات .. وأعلن انفصاله عن الأميرة ، وتبرأ من المولود المسمى زيادا.. وصمت الملك شامخ عن التدخل .. وأعادوا الأميرة المتهمة إلى بلادها ، ولم يقتلوها كعادتهم في إهلاك الزانيات ..وحتى لا يثيروا حربا بين البلدين ، ومن أجل خاطر الابنين خالد ويزيد .. وربما تركوا أمر العقاب للملك براق والد الأميرة . هذا التفصيل علمه خالد بعد وصوله لبلاد الماعز.. ومن مصادر مختلفة .. وكان أشد الناس عداوة لأمه جدته أم أبيه ..فما تلتقي به مرة إلا وتحدثه عن فحش أمه .. رغم مرور كل هذه السنين على هذه الحادثة الكاذبة

ولما هلك الملك شامخ تولى الحكم ابنه الأكبر رياض ، وكان شامخ أوصى بأن يكون الحكم في أبنائه الأكبر فالأصغر.. ولكن الملك رياضا بعدما استقر في الملك أراد إلغاء هذه الوصية ، وعزل أخاه بهاء عن ولاية العهد .. وكان أخوال ابنه من عشيرته ، وهم معروفون بالفروسية والقوة .. وأيدوا هذا المطلب ودعموه ، فدار تنازع داخل الأسرة فبعضهم سكت عن طلب رياض ، وبعضهم أيد ولاية الأمير سيف .. وأما الأمير بهاء فرفض الانصياع والتنازل وتمسك بالوفاء بعهد أبيه .

ولما أعلن الأمير سيف وليا للعهد ، وبايعه المقربون من أبيه الملك ، فزاد التحزب بين القبائل ، وكان الملك رياض يرى أن ذلك أثبت للعرش والحكم . وضيق الملك على أخيه الخناق ، ومنعه الخروج من البلاد ، وأصبح تحت عيون الجواسيس ، لما سمع أنه يراسل بعض الملوك الناقمين على بلادهم .. وقد قرأتم نبأ رجل الغابة الذي صدفه بحر وهلال في أول مسير لهم لبلاد الماعز .. وتبين لنا أنه من رجال الأمير بهاء، وقد كان مرسلا برسالة شفوية لأحد الملوك .. والأمير رضوان شقيق للأمير بهاء من أمه أيضا .. وكذا الأمير زيدان والأمير نشوان .. والأميرة سلمى وخولة وليلى .. كلهم من أم واحدة .. وغضبت أمهم " الملكة نعسة " غضبا شديدا على ابن زوجها الملك .. وشتمته أمام كل رجال حاشيته .. لما فتك بابنها بهاء .. ولكنه تمالك غضبه وأمر أولادها بسحبها إلى قصرها .

والحق أن إخوة بهاء طلبوا منه التنازل عن ولاية العهد ، والابتعاد عن الصراعات وعن المحرضين له على ابن أخيه الأكبر .. حفظا على قوة الملك وقوة العشيرة .. وتفويت الفرصة على الحاقدين والحاسدين .

ولكن الأمير بهاء أصر على البقاء وليا للحكم .. وأن الوفاء بعهد الأب دين ، وصدم القوم كلهم بمقتل الأمير علنا ومتهما بالخيانة والتواطؤ مع أعداء البلد ومراسلتهم للتحريض على غزو المدينة

.

وتعرض الأخ زيدان للملك ، واحتج على فعلته، فطرح في السجن مع أفراد أسرته ، ووضعت قصور رضوان ونشوان تحت الحراسة من أعوان الملك الغاضب .. وتحرك زعماء القبائل للصلح بين الأخوة ؛ ولكن أولاد الأمير بهاء رفضوا الحديث في الصلح وطلبوا الخروج والرحيل عن البلاد .. فرفض الملك ذلك ، ورضي في شفاعتهم في أخيه زيدان ، ووضع كسائر إخوته تحت الحراسة .

وجرى تطور خطير في البلاد أن إحدى زوجات الأمير بهاء أرسلت رسالة لوالدها وهو أحد ملوك

المدن المجاورة تعلمه بترملها ومقتل زوجها وترغب بالعودة إليه ..

وقد علم الملك رياض بذلك عندما تلقى رسالة من ذلك الملك يطلب إرسال ابنته معززة مكرمة لبلاد أبيها . فغضب الملك رياض وعاقب الحراس الذين سمحوا بخروج الرسالة أشد العقاب وطلب من الأميرة برد مغادرة البلاد ، ومنع سفر أبنائها معها أشد المنع .. وأمرها بالسفر مع الرسول وبعض خدمها .. وخرجت الأميرة إلى أهلها بغير أولاد وحرس .

فلما رحلت الأميرة برد إحدى زوجات الأمير المقتول بهاء .. وليس بصحبتها إلا الرسول والخدم .. دخل بعض الأمراء على الملك رياض .. وطلبوا منه أن يرسل معها بعض الحرس والجند لبلاد أبيها خوفا من العاديات ولصوص الغابات ليوصلوها لبلدها كما كانت عادات الملوك والأحرار .. وأن سفرها بدون حرس سيكون عيبا وعارا في حقهم .

فرد الملك عليهم : أنا فعلت ذلك عمدا حتى تلين وترتد إلى أولادها وتستقر بيننا .. ولكنها ركبت رأسها وأصرت على الخروج .. وأنا لا أسمح لأحد مهما كان شخصه أن يرفض طاعتي ويتمرد على رغبتي !

فقال أحد الأمراء : أيها الملك .. هذه امرأة مفجوعة بزوجها ـ كان عليها أن تلزم بيتها كسائر النساء ، ولا تحشر نفسها في صراعنا .. مدينة برأسين لا تصلح ولا تقوم .. أين كانت عندما حذرت أخي اللعين من التمادي في تآمره وعدوانه ؟!.. لماذا لم تنصح زوجها بالطاعة للملك ؟!

ودار حديث حاد بين الرجال ، ولم يقتنع البعض بتفرد الملك برأيه ، وغادر بعضهم غضبا من بين يدي الملك .. وارتفع التحزب بين أهل المدينة ، وأخذ البعض يسعى لتهدئة البلاد وتسكين الأوضاع .. ولكن ازداد ملكهم طغيانا وعنفا وعتوا .. وبينما هؤلاء يتصايحون ويتجاذبون الاتهامات وصل إليهم خبر مصرع الأميرة برد قبل الوصول لديار أبيها .. فقد هاجمها قطاع الطرق ، واستولوا على ما معها من ذهب ومصاغ بعد أن رفضت تسليمهم ذاك ، وأعلمتهم أنها أميرة ، ولم يصدقوا طبعا ادعاءها أنها أميرة بلا حرس .. ولما نقلت هذه الأخبار للملك رياض صعب الأمر عليه وندم على تشدده .. وأدرك عظم غلطته في عدم إرسال بعض الحرس معها .. وبينما هو يعض أنامله ندما وصلته رسالة من ملك بلاد الأميرة برد الملك الشيخ عزب يخبره فيها بالاستعداد للقتال ؛ لأن قومه غاضبون لم حل بصهرهم بهاء وابنتهم

برد .

ولم تكد تصل الرسالة حتى علم الملك رياض أن جيوشهم على أطراف المدينة طالبون الثأر لمقتل ابنة ملكهم كما أخبر الرعاة .

فطلب الملك أخاه عامرا ، وكلفه بالخروج لصد الأعداء ودفعهم أو يقبلوا الدية .. ولما اجتمع الجيشان أرسل الأمير أحد الفرسان ليحاول التفاهم مع القائد حمد شقيق الأميرة برد وحقن دماء الرجال .. ولكن الأمير حمدا أصر على القتال أو مجيء الملك الرياض بنفسه للاعتذار للأمراء والملك عزب ثم يدفع الدية .. ويتعهد لهم بمطاردة اللصوص الذين اعتدوا عليها والقضاء عليهم .

ودارت رحى الحرب وسقط القتلى من الطرفين ، وبدأ لسادة الماعز ضعفهم أمام جحافل الملك الحصان(عزب).. واستعرت الحرب بوصول المدد لعساكر القائد حمد .. وانتهى الأسبوع الأول من المعارك الدامية .. وقتل الأمير عامر في رحى الحرب وأحد أبنائه .. فطلب من الأمير رضوان الالتحاق بالقتال والثأر لأخيه .. فمشى الأمير مكرها وبصحبته ولده خالد وضرغام ليقود الجيش في الدفاع عن المدينة ..وتمنى يومئذ الأمير خالد لو ظل عاكفا في بلاد أمه .. ماذا يجنون من مطاعم عمهم الملك؟!.. واستمر العراك وأصيب الأمير خالد وسيق أسيرا .. وتبعه والده رضوان وهرب أخوه ضرغام من آتون الحرب كان الجرحى والأسرى يسحبون من ميدان المعركة وينقلون إلى بلاد الملك عزب الملقب بالحصان .

وعرض الملك رياض الصلح ثانية على القائد حمد وحقن الدماء .. فكرر الملك الحصان شروطه.. ورفض الملك رياض وأشار إليه بعض حاشيته الخروج بنفسه لتقوى شوكة الجنود خاصة عندما علم بخروج الملك الحصان بنفسه للقتال .. فتردد الملك ورفض الخروج ، استمر القتال .. وبدأت القبائل تهجر المدينة .. ثم كثر هرب الجند .. وانتشر الرعب بين الأهالي .. وبينما الملك يفكر بالحل الملائم تقدم الملك الحصان وفرسانه نحو القصر الملكي .. فغادر الملك البلاد هاربا ، وقد بدأ لقومه أنه قد استعد لهذه اللحظة الخطيرة.. ولجأ إلى أحد الملوك .. واستولى الملك الحصان على بلاد الماعز .. واستولى على خيل ودواب الملك وأمواله التي لم يحملها معه أثناء هروبه في جنح الليل .. واستقبل بعض سادة المدينة معلنين الانصياع له والاستسلام لجنده والقبول بشروطه .. فأمر الحصان جنده بوقف القتال والفساد في البلاد .. وبعد تشاور مع رجالات البلد عقد الصلح بينهم .. وأعلن عن تنصيب الأمير زيد بن بهاء والأميرة المقتولة برد ملكا على المدينة .. وأصبح عمه مخلوعا ، ولا يحق له العودة للمدينة ، ولا الجلوس على

عرشها   ووافق أهل المدينة من الأمراء والسادة على ذلك .. ووعدهم الحصان برد الأسرى .. ثم رتب أمور المدينة ، وهدد وتوعد من الغدر وعدم الوفاء بعقد الصلح .. وغادر الملك الحصان بلاد الماعز ظافرا منتصرا محذرا لهم الغدر وأنه إذا لم يستقر الملك لابن ابنته سيضمها لبلاده ويجعل عليها أميرا من أبطاله .

الصراع

ولما رجع الملك الحصان من غزو بلاد الماعز والثأر لمقتل ابنته برد وزوجها بهاء ومن تنصيب حفيده زيد ملكا عليها ..وقد جلس في قصره يتقبل تهاني وزيره والملوك الآخرين أتاه الخبر الصاعق باغتيال حفيده زيد .. فاستشاط غضبا ونقمة على بلاد الماعز .. فأمر أحد قادته بالمسير إليها بألف فارس ، والبقاء فيها حاكما حتى ينظر في أمرها وما يناسبها من حكم وملك ولما وصل القائد إليها جمع رجال الأسرة الحاكمة للتشاور .. وطلب منهم أن يختاروا ملكا منهم عليهم .. فاقترح بعضهم عودة الملك رياض والعفو عنه ليستقر حال البلاد والعباد .. وبعد مراسلات بين الملك الهارب والملك الحصان وزعماء المدينة تمت المصالحة على أن يحكم البلاد الأمير سيف بن الملك رياض سيد البلد الهارب .. وبعد أشهر وافق الملك الحصان على ابن الملك رياض على اعتلاء العرش الملك سيف ، وأن يبقى رياض في المنفى الذي اختاره .. وعاد كثير من رجال الملك رياض من منافيهم ، وأعلن سيف ملكا جديدا على بلاد الماعز السمرة .. وبعد زمن يسير تزوج الملك سيف ابنة عمه الأمير بهاء أخت الملك المقتول زيد .. أملا في تحقيق السلام في البلاد وبين العائلتين .. وانشغل الناس بهذا العرس ، واعتقدوا أنهم بهذا الزواج قضوا على الفتنة والفساد وزالت الأحقاد والإحن .

أما الأمير خالد فبعدما رجع من الأسر مع والده ـ وكان قد أصيب قبل أن يؤسر ـ فانشغل كل هذه المدة بمداوة جرحه الخارجي والداخلي .. وأخذ يحلم بالهدوء الذي كان يحياه في بلاد خاله عدنان .. ولما تماثل للشفاء من جرحه أعلمه والده برغبته بتزويجه من إحدى بنات أخيه الأمير بهاء .. ووافق أخوتها على اقتران أختهم بالأمير خالد .. وبهذا الزواج أصبح الأمير عديلا للملك سيف .. ومنحه والده أرضا ليشيد عليها قصرا خاصا به .. وكانت هذه الأرض المزروعة التي سيقام في وسطها قصرا في أحد أطراف المدينة .. فسر بها الأمير، وقام البناء ، وتم بالزواج من الأميرة ريم . وبينما هو يتجول في أملاكه يوما أخبره أحد الخدم عن شخصين يسألان مقابلته ، فلما علم من

هما سر غاية السرور ، ورحب بهما معانقا لهم ، وهو يظهر سعادته بلقائهما .. وكان يظنهما قادمين

من بلاد القمحة .. فأخبروه أنهما لم يعودا إليها بعد، وإنما يسيحون في الأرض .. فأخبرهم بخبره وأحواله .. وهما يعلمانه لأنهما لم يبتعدا عن بلاد الماعز بعيدا .. وفرح الصديقان لم حل للأمير من سعادة واستقلال .. وطمع ببقائهما عنده ، فاعتذرا عن ذلك خوفا من حصول أي مشاكل بينه وبين أبيه .. وهو في قرارة نفسه كان قلقا من ذلك وغير راغب ببقائهما..وبعد أيام قضياها في ضيافة الأمير ..أبديا رغبتهما بالعودة هذه المرة لبلاد القمحة ..وهما قد اطمأنا عليه .. وتمنى أن يرافقهما لتلك البلاد ؛ ولكن وضعه وزواجه لا يسمحان له بالسفر في الوقت الحالي وحملهما التحايا لأمه وأخويه وخاله الملك عدنان .. وكتب رسالة لأمه مخبرا لها بزواجه من ابنة عمه ، وأخرى للملك ..

ولما غادر الشابان بلاد الماعز قال بحر لهلال : أعتقد يا هلال أن صداقتنا بالأمير انتهت .

ـ هذا قولي أيضا .. فما العمل الآن وقد اطمأننا على الأمير .. وهو الآن يعتمد على نفسه ، وليس بحاجة إلينا ولا لسيوفنا ..

ـ أجل ، أجل أيها الصديق .. بعد هذه السنوات من الغربة عن بلادنا فلن يقبلونا في حصن التدريب .. فأنا أفكر بأن نبحث عن أمير محارب نضع سيوفنا وأنفسنا في خدمته .. فالأمير خالد وجد عشيرته واستغنى عنا ..

ـ أين نضع سيوفنا وحياتنا ؟!

ـ عندما نصل بلاد القمحة ، ونوصل الرسائل لأهلها، ونطمئن الأميرة التي عهدت إلينا برعاية ابنها بحال ابنها نمشي في الأرض حتى نصل لسيد يقبل خدمتنا وبحاجة لسيوفنا .

****

ترك الصاحبان بلاد الماعز يحملان رسائل الأمير خالد لبلاد القمحة ، وفكرهما مشغول بأي طريق يسيران.. فها هو صديقهم قد تخلى عنهم منذ وطئت قدماه ديار أهله وعشيرته.. وتابعا المحنة التي دارت بين بلاد الماعز والملك الحصان .. وتابعا أسر خالد وجرحه ، ثم زواجه من ابنة عمه المقتول الأمير بهاء .. فهو لم يعد بحاجة لصحبتهما وقربهما منه.. واقتنع بكلام والده بأنهما من بلاد القمحة ، وهم عيون أمه والملك عدنان عليه .. وحتى عندما أصبح رجلا وزوجا وصاحب قصر لم يضغط عليهما للبقاء معه ، وظل خائفا وقلقا نحوهما من ناحية أبيه .

وكان من عادة الفارسين أن يمشيان في الوديان وأطراف الجبال ويبتعدان عن طرق القوافل المعروفة والمطروقة .. ورغم المخاطر التي قد تعترضهما من اللصوص والحيوان ظلا على هذه العادة وهما سائران إلى بلاد القمحة .. ولما بعدا عن بلاد الماعز مسيرة أيام دخلا واديا سحيقا لا ماء فيه

.. فهو يمتلأ بالماء في فصل الشتاء أثناء نزول المطر فقط.. وبينما هما يمشيان على أقدامهما.. وقد وصلا لجبل صغير مليء بالأشجار العالية.. يبتعد عن حافة الوادي .. فسمعا صوت خيل تركض .. فاختفيا بين الأشجار، وأخذا يتنصتان، وقبل أن يتسألا عن سبب هذه الضجة ، كان راكبا الجوادين يصلان إليهما ، ويقفان أمامهما، ويخفضون من ركض جواديهما ، ولما هدأت الخيل قال ريح البحر : ماذا تريدون أيها الرجال ؟!

فقال أحد الفارسين : ألستم خرجتم من بلاد الماعز

ـ بلى أيها الفارس ؟ ما الأمر ؟!

ـ ألستم كنتم في ضيافة الأمير خالد بن رضوان ؟

ـ بلى ، .. فهل أصاب الأمير شيئا ؟!

ـ حسنا أيها الشابان .. هناك رجل يرغب بالحديث معكم قبل متابعتكم السير إلى بلاد القمحة ألستم سائرين إليها ؟ ـ بلى .. نحن من أهالي تلك المدينة

ـ بلاد أم الأمير خالد ! ـ نعم .

ـ هل أعطاكم الأمير شيئا ؟

ـ معنا بعض رسائله لأمه وأهله .

ـ رسائل لأمه!!..هيا بنا إلى عند تلك التلة ..فهناك رجل يهمه لقائكم .

ـ ولماذا لم يكن معكم ما دمتم تلاحقوننا منذ فارقنا دياركم ؟! ـ لا أدري .. هيا !!

تطلع ريح في عيني صاحبه هلال للحظات وقال: هيا أيها الصديق لننظر ما القصة من وراء هذه المطاردة ؟! مشيا أمام الفارسين حتى وصلا إلى مكان الفارسين الآخرين ، كانا اثنين لم يكن واحد كما فهما من كلام الفارس .. وكان أحدهما معروفا لهما وهو شقيق الأمير خالد الأمير ضرغام .. فبعد السلام والتحية أخذ أحد الفارسين يتحدث مع الأمير همسا بما دار بينه وبين غاضب من استفهام . ولما انتهى الهمس التفت الأمير الصغير إليهما قائلا : أتعرفانني ؟

فتظاهرا بجهالته فقال هلال :لا .. ولكنك من بلاد الماعز كما فهمنا من هؤلاء الرجال .

ـ ماذا كنتما تفعلان عند الأمير خالد بن الأمير رضوان ؟

ـ هو صديقنا وجئنا لزيارته ..ثم كلفنا بحمل رسائل لأمه في بلاد القمحة .

فقال الأمير: أرغب برؤية هذه الرسائل والاطلاع على فحواها ؟

فقال ريح : أولا لم تعرفنا بشخصك ، وثانيا الرسائل أمانة أيها السيد .

ـ ليس من المهم معرفة شخصي .. ومن المهم أن نستوثق مما في هذه الرسائل وهل أنتم ذاهبون لبلاد القمحة حقا ؟

قال بحر باسما: أتعتقدون أننا جواسيس أيها الناس

ـ نحن لا نعتقد فحسب بل واثقون أنكم

جواسيس لبلاد القمحة .. وخالد جاسوس مثلكم .

فصاح هلال غضبا : وخالد جاسوس مثلنا!!..

ألا تعلم أنك تهيننا أيها الإنسان بهذه التهمة الكاذبة .. ومن يخدم ملكه ليس جاسوسا .

قهقهة الأمير عاليا كأنه يسمع دعابة وقال : أهينكم !!أرأيتم يا رجال ؟!.. أأريتم وسمعتم ما قالوا ؟! ..أأنا أهينهم ؟! .. هاتوا الرسائل قبل أن يثور غضبي وأسحقكّم وأدع جثثكم للغربان والسباع .

تبسم ريح وقلبه يغلي من الغيظ والقهر وقال: لقد علمنا أن الأمير خالدا دافع عن بلاده أمام الملك الحصان بكل قوة حتى أصيب وأسر .. فهل هذا جاسوس أيها الرجال ؟

فقال أحدهم : أطع الأمير .. لقد طال صبره عليكم ..

فتبسم ريح ومتظاهرا أنه للتو عرف الأمير وقال : أهذا أمير ؟!

فالتفت الأمير للرجل لما كشف لقبه كأنه غاضب عليه وقال : أمير أو حقير .. نحن نريد رؤية ما في هذه الرسائل .. طلب منا تعقبكم وأخذ الرسائل

فقال له ريح بكل صراحة : أبوك بعثك !.. أنت الأمير ضرغام .. شقيق الأمير خالد؟ نحن نعرفك منذ رأيناك .

ـ آ ..أنا ضرغام بن الأمير رضوان .

فصاح ريح البحر: لماذا يكرهنا والدك ؟ ونحن الذين جعلنا من أنفسنا بريدا بينه وبين أخيك ؟

ضحك الأمير وقال: يكرهك! ومن أنتم حتى يكرهكم أبي ! أنتم حشرات .. صبري نفد .

قال ريح : يبدو أنكم لم تعرفونا جيدا أيها الأمير ..ظننتم أننا من الغلمان والخدم .. نحن يا سيدي من فرسان بلاد القمحة .. ونحن زملاء أخيك في حصن التدريب .. ولا يغررك أن معك هؤلاء الرجال ونحن اثنان ..أما الرسائل فلست أنت صاحب الحق في فضها .. ولا يمكن تسليمها ونحن أحياء ..وهذه الرسائل ليس فيها أمر يسيء لبلادكم .. هي رسائل خاصة لوالدته وإخوته .. ونحن في بلاد القمحة لا يهمنا ما يحصل في بلادكم من صراع وقتال فهذا شأنكم .. فدعوننا ننصرف بسلام .

فقال الأمير ضجرا : أوه!.. كلامك أكبر منك أيها الفتى.. أترفضون تسليم الرسائل ؟

فقال هلال متحديا وقد أخرج خنجره مستعدا للقتال: بالتأكيد نرفض أيها الأمير .. فهذه أمانة يلزمنا المحافظة عليها وتوصيلها لمن يستحق .. لأصحابها.. إلا إذا متنا كما قال صاحبي .

فأشار الأمير لرجاله بأسرهما وتجريدهم من أسلحتهم ، وكان الفارسان يقفان يستمعان لحوار

الأمير ضرغام ببحر وهلال ، ولما سمعا الأمر الملقى إليهما وقبل أن يستجيبا لطم ريح أحدهما بقبضة يده على وجهه ، وثنى عليه باليسرى فطرحه أرضا يئن من قوة الضربة ، وفعل بالآخر مثل الأول قبل أن يفيق القوم من الصدمة والمفاجأة .. فنهضا وهما في أشد حالات الغضب ، وقد استلوا سيوفهم والدوار يعمي إبصارهم ؛ ولكن خناجر الفارسين كانت تستقر في أحشائهم .. ثم كان خنجر ريح حول عنق الأمير المطروح أرضا قبل أن يفيق من المفاجأة .. وهلال تفوق على الآخر ، وقد هاج الفارسان هيجان الأسود ، واحمرت عينا ريح وقال للأمير : أتريد أن تموت ؟

ولكن رفيق الأمير المبطوح كسيده: العفو .. العفو .. أيها السيدان !

فقال هلال : وأميرك ألا يريد العفو ؟

ظل الأمير صامتا مأخوذا مما حصل ، وأخذ رفيقه يطلب الصفح ويتوسل لهم والإقرار بنصرهم فرفس ريح الأمير بقدمه وصاح : قم للمبارزة إن كنت رجلا .. ألم تهرب من ميدان المعركة يا جبان يوم أسر أبوك وأخوك ..؟

جلس الأمير ولم يقف بل قال : لن اغفرها لكم إذا التقينا .

فقال هلال : تغفر لنا .. ومن أنت لتغفر لنا .. نحن الذين سنعفو عنك أيها الجبان لصداقتنا لأخيك فقط .. فصاح الأمير بغيظ وقهر: أيها الحقير !

ورفسه بحر ثانية رفسة رفعته عن الأرض ، فقال رفيقه : دعنا ننصرف أيها الأمير.. اعف عنا أيها الفارسان.

فقال هلال : ألا تريد الانصراف أيها الأمير ؟

فقال بانكسار: سأنصرف ؛ ولكن حذار أن نلتقي ثانية .

فقال ريح هازئا متهكما : نحن أمامك سيف لسيف .. ألست تحمل سيفا وتركب جوادا ؟!

وبينما هم يتكلمون كان أحد الجريحين يتسلل ، وكاد يمسك بقدم هلال ؛ ولكن ريحا أحس به وهجم عليه وقتله بسرعة، فصاح صيحة وخمدت أنفاسه على أثرها وقال ريح الغاضب : أول قتيل على يديّ .. هلال خذ جيادهم الأربعة ..بل اثنان ودع لهم الآخرين .. ليصلا بلادهم ما زالت في قلوبنا الشفقة على بني الإنسان .

فأخذ هلال جوادين ، وركب أحدهما ، واعتلى ريح الثاني بعد أن استولى على سيفين، وجعب السهام وقوسين وقال : انصرفوا أيها الأوغاد ..لا .. ادفنوا صاحبكم أولا .

ولما باشر رفيق الأمير بالحفر .. ابتعد الفارسان عن مكان المعركة، وقد تغيرت الدنيا أمامها بعد هذه الحادثة .. فهذا أول دماء تراق من خناجرهما .. وأحسا بأنهما كبرا سنين وسنين .



مشاهد تربوية
منشورات المكتبة الخاصة
كلام المكاتب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
حديقة الازهار
مواقف ارشادية
الزمردة
حجر القمر
الجواهر العشر
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
غربتي وابنتي
قصص المصباح المضيء
وهج الحرب
موقعة الثلاثة والعشرين
قرشا ...
هو أنت لاجئ
الفوارس
حضرم بن سلام
رُمان
القصر المهجور
عبد الله البحري
مملكة مالونيا والملك بربار
الأميرة نهر الأحلام
قطبة بن سنان
الأمير جفر
التحقيق الجنائي والجريمة
صورة الأم
بصمة وراثية
رجل اسمه سنار
حسان والطير الذهبي
زهلول في أرض الجآن
وصية جديدة
مغامرة النادي
مصرع المدير
شارع البحيرة الخامسة
ليموت الماضي

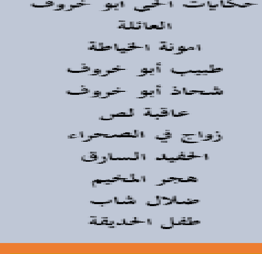
قصص المصباح المضيء

























قصص وحكايات الفوارس

١	حسان والطير الذهبي	٢	الأمير جنر
٣	عبدالله البحري	٤	رمان
٥	الأميرة نهر الأحلام	٦	زهلول في ارض الجان
٧	مملكة مالونيا الملك بريار	٨	قطنة بن سنان
٩	حصرم بن سلام	١٠	القصر المهجور
١١	نمير وزعيط في جزائر البحر	١٢	انتقام الفارس شهدون
١٣	الأميرة تاج اللوز وولديها	١٤	الفارس جبل بن مجدو
١٥	سيف الزمان وجميلة	١٦	حكاية ريح البحر
١٧	الملك ابن الراعي	١٨	مدينة نجوان
١٩	الملك زرارة والملكة سفانة	٢٠	أبناء الملك سهاك



١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيتام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غريتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الحفل بالقط الأسود	١٠	الشقق السوداء
١١	حياتي قبل الحياة	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	

الزواج الخطأ













مدينة نجوان

قصص

المصباح

المضيء

الجزء ١٩

٢٠٢٤

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الشوارع

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة

اعداد

جمال شاهين

قصص

المصباح

المضيء

الجزء

التاسع عشر

قصص الأنبياء

قصة عزير

سيرته: مرت الأيام على بني إسرائيل في فلسطين، وانحرفوا كثيراً عن منهج الله عز وجل. فأراد الله أن يجدد دينهم، بعد أن فقدوا التوراة ونسوا كثيرا من آياتها، فبعث الله تعالى إليهم عزيرا. أمر الله سبحانه وتعالى عزيرا أن يذهب إلى قرية. فذهب إليها فوجدها خرابا، ليس فيها بشر. فوقف متعجبا، كيف يرسله الله إلى قرية خاوية ليس فيها بشر. وقف مستغربا، ينتظر أن يحييها الله وهو واقف! لأنه مبعوث إليها. فأماته الله مائة عام. قبض الله روحه وهو نائم، ثم بعثه. فاستيقظ عزير من نومه. فأرسل الله له ملكا في صورة بشر) :قَالَ كَمْ لَبِثْتَ .(فأجاب عزير) :قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ .(نمت يوما أو عدة أيام على أكثر تقدير. فرد الملك) :قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ .(ويعقب الملك مشيرا إلى إعجاز الله عز وجل)فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ (أمره بأن ينظر لطعامه الذي ظل بجانبه مئة سنة، فرآه سليما كما تركه، لم ينتن ولم يتغير طعمه أو ريحه. ثم أشار له إلى حماره، فرآه قد مات وتحول إلى جلد وعظم. ثم بين له الملك السر في ذلك)وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ (ويختتم كلامه بأمر عجيب)وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا)نظر عزير للحمار فرأى عظامه تتحرك فتتجمع فتتشكل بشكل الحمار، ثم بدأ اللحم يكسوها، ثم الجلد ثم الشعر، فاكتمل الحمار أمام عينيه. يخبرنا المولى بما قاله عزير في هذا الموقف: (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) سبحان الله أي إعجاز هذا.. ثم خرج إلى القرية، فرآها قد عمرت وامتلأت بالناس. فسألهم: هل تعرفون عزيرا؟ قالوا: نعم نعرفه، وقد مات منذ مائة سنة. فقال لهم: أنا عزير. فأنكروا عليه ذلك. ثم جاءوا بعجوز معمّرة، وسألوها عن أوصافه، فوصفته لهم، فتأكدوا أنه عزير. فأخذ يعلمهم التوراة ويجددها لهم، فبدأ الناس يقبلون عليه وعلى هذا الدين من جديد، وأحبوه حبا شديدا وقدّسوه للإعجاز الذي ظهر فيه، حتى وصل تقديسهم له أن قالوا عنه أنه ابن الله)وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ .(واستمر انحراف اليهود بتقديس عزير واعتباره ابنا لله تعالى –ولا زالوا يعتقدون بهذا إلى اليوم– وهذا من شركهم والعياذ بالله.

محمد ﷺ

هو خاتم رسل الله وأنبيائه، وقد أرسله الله إلى الناس كافةً، برسالةٍ عامةٍ شاملةٍ. قال تعالى} :مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمًا]{الأحزاب: ٤٠ .[وقال تعالى خطاباً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم} :وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ]{سبأ: ٢٨ * .[نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم: هو سيدنا محمد، واسمه في الإنجيل أحمد. ١- ابن عبد الله، وهو أصغر أولاد عبد المطلب العشرة. ٢- ابن عبد المطَّلب - واسمه شيبة الحمد لأنه ولد وله شيبة ٣- ابن هاشم - واسمه عمرو - وسمي هاشماً: لأنه خرج إلى الشام في مجاعة شديدة أصابت قريشاً، فاشترى دقيقاً وكعكاً، وقدم به مكة في الموسم، فهشم الخبز والكعك، ونحر جُزُراً وجعل ذلك ثريداً، وأطعم الناس حتى أشبعهم. ٤- ابن عبد مناف - واسمه المغيرة - وكان يقال له: قمر البطحاء لحسنه وجماله، ومناف: اسم صنم. ٥- ابن قصيّ - واسمه زيد - ولقب بقصي: لأنه أُبعد عن أهله ووطنه مع أمه بعد وفاة أبيه. ويقال له: مُجمّع لأن الله جمع به القبائل من قريش في مكة بعد تفرقها. ٦- ابن كلاب - واسمه حكيم، وقيل: عروة - ولُقِّب بكلاب: لأنه كان يكثر الصيد بالكلاب. ٧- ابن مُرّة وهو الجد السادس لأبي بكر الصديق رضي الله عنه. ٨- ابن كعب وقد كان يجمع قومه يوم العروبة - أي: يوم الرحمة، وهو يوم الجمعة - فيعظهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وينبئهم بأنه من ولده، ويأمرهم باتباعه. ٩- ابن لؤي ولؤي تصغير لأي، وهو الثور الوحشي. ١٠- ابن غالب. ١١- ابن فهر وكان كريماً يفتش عن ذوي الحاجات فيحسن إليهم، وفهر: اسم للحجر على مقدار ملء الكف. ١٢- ابن مالك. ١٣- ابن النَّضْر وهو قريش فمن كان من ولده فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي. والنضر في اللغة: الذهب الأحمر. وقيل: قريش هو فهر بن مالك. ١٤- ابن كنانة. ١٥- ابن خزيمة. ١٦- ابن مُدرِكة. ١٧- ابن إلياس وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قومه. ١٨- ابن مُضَر وكان جميلاً لم يره أحد إلاَّ أحبه، وله حِكَمٌ مأثورةٌ. والمضر في اللغة: الأبيض. ومضر من ولد إسماعيل باتفاق جميع أهل النسب. ١٩- ابن نِزار وكان أجمل أهل زمانه، وأرجحهم عقلاً. ونزار في اللغة مأخوذة من النزارة، وهي القلة. ٢٠- ابن مَعَدّ وقد كان صاحب حروب وغارات، ولم يحارب أحداً إلاَّ رجع بالنصر. ومعدٌّ: مأخوذ من تمعدد، إذا اشتد وقوي. ٢١- ابن عدنان. وعند عدنان يقف ما صحَّ من سلسلة نسب الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغ نسبه الكريم إلى عدنان قال: من ههنا كذب النسّابون. وكل هؤلاء الجدود سادة في قومهم، قادةً أطهاراً،

ونسب الرسول صلى الله عليه وسلم أشرف الأنساب. ولا يختلف النسّابون في نسب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى عدنان، وإنما اختلفوا من عدنان إلى إسماعيل، ومن المجمع عليه – الحقّ الذي لا ريب فيه –: أن نسبه عليه الصلاة والسلام ينتهي إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. وأمه صلى لله عليه وسلم: هي آمنة بنت وهبٍ بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة.. وهكذا حتى آخر سلسلة نسب الرسول صلوات الله عليه، فتجتمع هي وزوجها عبد الله في كلاب. ورسول الله صلى الله عليه وسلم خيار من خيار من خيار. فعن العباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال) :إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم، من خير قرنهم، ثمّ تخيَّر القبائل فجعلني من خير قبيلةٍ، ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً .(وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) : إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم .(

*حياته ﷺ : ١- ولد سيدنا محمد ﷺيوم الاثنين (12)من شهر ربيع الأول عام الفيل، وذلك حوالي سنة (٥٧٠م)، أي قبل الهجرة بنحو (53)سنة. ٢- وتزوج بخديجة لما بلغ من العمر) ٢٥ (سنة. ٣- وأوحى الله إليه لما بلغ عمره أربعين سنة، وذلك حوالي سنة 610)م-4 .(وأمره الله بتبليغ ما أُنزل إليه بعد نحو ثلاث سنين من نبوته، فقام يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ولبث يدعو إلى الله في مكة وما حولها نحواً من عشر سنين بعد بعثته، حتى أذن الله له بالهجرة إلى يثرب)المدينة المنورة -5 .(فهاجر إليها وجعلها مركز دعوته، وعاصمة دولته الدينية، دولة الإِسلام، وكان ذلك في ١٢ من ربيع الأول للسنة الأولى من حساب السنوات الهجرية ٦- ولما أكمل الله للناس دينهم، وأتم عليهم نعمته، وأدى رسوله محمد صلوات الله عليه الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وفتح الله عليه بالنصر المبين، اصطفاه الله فقبض روحه، وكان ذلك في يوم الاثنين ١٢ من ربيع الأول لسنة ١١ من الهجرة، هذا ما عليه الجمهور، ٧- وأما سيرته وغزواته وسائر ما يتعلق بحياته فمبسوطة محققة في كتب السيرة النبوية، وقد تعرض القرآن الكريم إلى القسم الأعظم من حياته ﷺ

قصص من السيرة

الشورى والمساواة من غزوة بدر والأحزاب

غزوة بدر هي إحدى الغزوات المليئة بالمواقف التربوية ، ولعل من أبرزها موقف النبي ـ صلى الله

عليه وسلم ـ في تأكيده لمبدأ الشورى ، باعتباره مبدأً من مباديء الشريعة ، وصورة من صور التعاون على الخير ، يحفظ توازن المجتمع ، ويجسّد حقيقة المشاركة في الفكر والرأي ، بما يخدم مصلحة الجميع .. فرسول الله – ﷺ – وهو المؤيَّد بالوحي – استشار أصحابه في تلك الغزوة أربع مرات : حين الخروج لملاحقة العير ، وعندما علم بخروج قريشٍ للدفاع عن أموالها ، واستشارهم عن أفضل المنازل في بدر ، واستشارهم في موضوع الأسرى ، وكل ذلك لِيُعَلِّم الأمة أن تداول أي فكرة وطرحها للنقاش يسهم في إثرائها وتوسيع أفقها ، ويساعد كذلك على إعطاء حلول جديدة للنوازل الواقعة

وهذا الموقف التربوي في ترسيخ مبدأ الشورى ظهر كذلك جليا في غزوة الأحزاب ، إذ لما سمع رسول الله ـ ﷺ ـ بزحف الأحزاب إلى المدينة ، وعزمها على حرب المسلمين ، استشار أصحابه ، وقرروا بعد الشورى التحصن في المدينة والدفاع عنها ، وأشار سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ اعتمادا علي خبرته في حرب الفرس ، بحفر خندق حول المدينة ، وقال : " يا رسول الله ، إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا " .. فوافقه وأقره النبي ـ ﷺ ـ وأمر بحفر الخندق حول المدينة ، وتمّ تقسيم المسؤولية بين الصحابة..

لقد أنزل الرسول ـ ﷺ ـ الشورى منزلتها ورسخَّها في حياة الأمة ، إذ الحاجة إليها في الشدائد والقرارات المصيرية على غاية من الأهمية ، فالشورى استفادة من كل الخبرات والتجارب ، واجتماع للعقول في عقل ، وبناء يساهم الجميع في إقامته ، ولذا قال الله تعالى} : وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ {الشورى: من الآية٣٨.. (

كما أقرّ النبي ـ ﷺ ـ في غزوة بدر والأحزاب ـ وغيرهما من غزوات ـ بمبدأ آخر لا يقلّ أهمية عن سابقه ، وهو تطبيق المساواة بين الجندي والقائد ، ومشاركته لهم في الظروف المختلفة ، يتضح ذلك في موقفه وإصراره ـ ﷺ ـ في غزوة بدر على مشاركة أبي لبابة وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ في المشي وعدم الاستئثار بالراحلة .. وفي الأحزاب تولى المسلمون وعلى رأسهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المهمة الشاقة في حفر الخندق ، وكان لمشاركته ـ صلى الله عليه وسلم ـ الفعلية في الحفر الأثر الكبير في الروح العالية التي سيطرت على المسلمين .. لقد أعطى رسول الله ـ ﷺ ـ في بدر والأحزاب ـ وغيرهما من الغزوات ـ موقفا تربويا عمليا في الشورى وأهميتها ، وفي مشاركته لأصحابه التعب والعمل ، والآلام والآمال.. لا .. للعصبية والفرقة في غزوة بني المصطلق:

عند ماء المريسيع كشف المنافقون عن حقدهم الذي يضمرونه للإسلام والمسلمين ، فسعوا ـ

كعادتهم دائما إلى يومنا هذا ـ إلى محاولة التفريق بين المسلمين ، فبعد انتهاء الغزوة ـ كما يقول جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ : ضرب رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري : يا للأنصار، وقال المهاجري : يا للمهاجرين .. فاستثمر المنافقون ـ وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول ـ هذا الموقف ، وحرضوا الأنصار على المهاجرين ، فسمع ذلك رسول الله ـ ﷺ ، فقال :)ما بال دعوى الجاهلية ؟! ، قالوا يا رسول الله : كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : دعوها فإنها منتنة (رواه البخاري .

فمع أن اسم المهاجرين والأنصار من الأسماء الشريفة التي تدل على شرف أصحابها ، وقد سماهم الله بها على سبيل المدح لهم ، فقال تعالى : }وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ {(التوبة: من الآية١٠٠) ، إلا أن هذه الأسماء لما استُعْمِلت الاستعمال الخاطئ لتفريق المسلمين وإحياء للعصبية الجاهلية ، أنكر ذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنكارا شديدا ، وقال قولته الشديدة) : دعوها فإنها منتنة (، وذلك حفاظا على وحدة الصف للمسلمين ، والتحذير من العصبية بجميع ألوانها ، سواء كانت عصبية تقوم على القبلية ، أو الجنس ، أو اللون أو غير ذلك ..

وهذا موقف تربوي عظيم من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للأمة الإسلامية على مر العصور..

إقالة ذوي العثرات

عندما أكمل الرسول – صلى الله عليه وسلم – استعداده للسير إلى فتح مكة ، كتب حاطب بن أبي بلتعة ـ رضي الله عنه ـ إلى قريش كتاباً يخبرهم بمسير رسول الله ـ ﷺ ـ إليهم ، ثم أعطاه امرأة ، وجعل لها أجراً على أن تبلغه إلى قريش ، فجعلته في ضفائر شعرها ، ثم خرجت به إلى مكة ، ولكن الله ـ تعالى ـ أطلع نبيه – ﷺ – بما صنع حاطب ، فقضى ـ ﷺ ـ على هذه المحاولة ، ولم يصل قريش أي خبر من أخبار تجهز المسلمين وسيرهم لفتح مكة .. والخطأ الذي اقترفه هذا الصحابي الجليل ليس بالخطأ اليسير ، إنه كشف أسرار الدولة المسلمة لأعدائها ، ثم هذا الصحابي ليس من عوام الصحابة ، بل هو مِن أولي الفضل منهم ، إنه من أهل بدر، ويكفيه هذا شرفا ، والصحابة بمجموعهم خير القرون بقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ومع كل هذا زلت به القدم في لحظة من اللحظات ، وكَمْ للنفس البشرية من زلات ، وهذا من سمات الضعف البشري والعجز الإنساني ، ليعلم الله عباده المؤمنين بأن البشر ما داموا ليسوا رسلاً ولا ملائكة فهم غير معصومين من الخطأ ،

وهذا الذي عناه النبي ـ ﷺ ـ بقوله) :كل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون (رواه أحمد .

وقد عامل النبي ـ ﷺ ـ حاطبا ـ رضي الله عنه ـ معاملة رحيمة تدل على إقالة عثرات ذوي السوابق الحسنة ، فجعل – ﷺ – من ماضي حاطب سبباً في العفو عنه ، وهو منهج تربوي حكيم.. فلم ينظر النبي – ﷺ– إلى حاطب من زاوية مخالفته تلك فحسب ـ وإن كانت كبيرة ـ ، وإنما راجع رصيده الماضي في الجهاد في سبيل الله وإعزاز دينه ، فوجد أنه قد شهد بدراً ، وفي هذا توجيه للمسلمين إلى أن ينظروا إلى أصحاب الأخطاء نظرة متكاملة ، وأن يأخذوا بالاعتبار ما قدموه من خيرات وأعمال صالحة في حياتهم ، في مجال الدعوة والخير ، والعلم والتربية ، والجهاد ونصرة دين الله قال ابن القيم " :من قواعد الشرع والحكمة أن من كثرت حسناته وعظمت ، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر ، فإنه يحتمل منه ما لا يحتمل لغيره ، ويُعْفَى عنه ما لا يعفى عن غيره ، فإن المعصية خبث ، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث ، بخلاف الماء القليل ، فإنه لا يحتمل أدنى خبث.".

وإلى ذلك أشار النبي ـ ﷺـ بقوله لعمر ـ رضي الله عنه ـ) : وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم (رواه البخاري

إن إقالة العثرة ، والعفو عن صاحب الخطأ والزلة ، ليس إقرارا لخطئه ، ولا تهوينا من زلته ، ولكنها ـ مع الإنكار عليه ومناصحته ـ إنقاذ له ، بأخذ يده ليستمر في سيره إلى الله ، وعطائه لدين الله .. ومن ثم فإقالة إقالة ذوي العثرات موقف تربوي عظيم من النبي ـ ﷺـ للأمة طبقه مع حاطب بن أبي بلتعة ـ رضي الله عنه ـ

اذهبوا فأنتم الطلقاء:

في السنة الثامنة من الهجرة نصر الله عبده ونبيه محمدا– ﷺ– على كفار قريش ، ودخل مكة فاتحًا منتصرًا ، وأمام الكعبة المشرفة وقف جميع أهل مكة ، وقد امتلأت قلوبهم رعبا وهلعًا ، وهم يفكرون فيما سيفعله معهم رسول الله – ﷺ– بعد أن تمكن منهم ، ونصره الله عليهم ، وهم الذين آذوه ، وأهالوا التراب على رأسه ، وحاصروه في شعب أبي طالب ثلاث سنين ، حتى أكل هو ومن معه ورق الشجر ، بل وتآمروا عليه بالقتل – ﷺ – ، وعذبوا أصحابه أشد العذاب ، وسلبوا أموالهم وديارهم ، وأجلوهم عن بلادهم ، لكن رسول الله – ﷺ– قابل كل تلك الإساءات بموقف تربوي كريم في العفو ـ يليق بمن أرسله الله رحمة للعالمين ـ ، فقال لهم) : ما ترون أني فاعل بكم ؟! ، قالوا : أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء (رواه البيهقي .

لا رجعة للوثنية:

خرج مع رسول الله ـ ﷺـ في غزوة حنين بعض حديثي العهد بالجاهلية ، وكانت لبعض القبائل ـ قبل الإسلام ـ شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة ، فيعلقون أسلحتهم عليها للتبرك بها ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها ، وبينما هم يسيرون مع رسول الله ـ ﷺ ـ إذ وقع بصرهم على الشجرة

يقول أبو واقد الليثي -رضي الله عنه) : - إن رسول الله - ﷺ- لما خرج إلى حنين مَرَّ بشجرة للمشركين يقال لها : ذات أنواط ، يعلقون عليها أسلحتهم ، فقالوا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال النبي - ﷺ - : سبحان الله ! هذا كما قال قوم موسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم (رواه الترمذي .

وهذا يعبر عن عدم وضوح تصورهم للتوحيد الخالص لحداثة إسلامهم ، ولكن النبي ـ ﷺـ مع رفقه بمن أخطأ لم يسكت على هذا الخطأ ، بل حذر من آثاره ونتائجه ، وأوضح لهم خطورة ما في طلبهم من معاني الشرك

وهكذا كان الرسول ـ ﷺـ يربي أصحابه ، ويصحح ما يظهر من انحراف في القول أو السلوك أو الاعتقاد ، حتى في أشد الظروف والمواجهة مع الأعداء..

فالمخطئ والجاهل له حق على مجتمعه ، يتمثل في نصحه وتقويم اعوجاجه برفق ، وبأفضل الطرق وأقومها ، فلو أن المسلمين ـ وخاصة الدعاة والمربين ـ اقتدوا برسول الله ـ ﷺـ وبمواقفه التربوية مع أصحابه ، وما فيها من حلم ورفق ، ونصح وحكمة ، لأثروا فيمن يعلمونهم تأثيراً يجعلهم يستجيبوا لتنفيذ أمر الله وهدي رسول الله ـ ﷺ.

لن نُغلب اليوم من قلة:

الغرور يمنع النصر، وإذا كانت غزوة بدر قررت للمسلمين أن القلة لا تضرهم شيئا بجانب كثرة أعدائهم ، فإن غزوة حُنين أكدت أن كثرة المسلمين لا تفيدهم ولا تنفعهم إذا لم يكونوا مؤمنين صادقين ، إذ كان المسلمون في حنين أكثر عددا منهم في أي معركة أخرى خاضوها من قبل ، ومع ذلك لم تنفعهم الكثرة شيئا لما دخل إلى قلوبهم العجب والغرور ، فقد حجب الغرورُ النصرَ عن المسلمين في بداية المعركة ، حينما قال رجل من المسلمين : " لن نُغْلب اليوم من قلة " ، فشق ذلك على النبي ـ ﷺ فكانت الهزيمة..

وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله} : لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ

عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾التوبة:٢٥

ومن ثم نبه رسول الله ـ ﷺ ـ إلى أهمية الاستعانة بالله في الحروب وغيرها ، ونِسْبة النصر والتوفيق إلى الله في كل شيء ، فكان دائما في غزواته وحروبه إذا لقي العدو يقول) : اللهم بك أحول ، وبك أصول ، وبك أقاتل (رواه أحمد .بك أحول : أتحرك ، وبك أصول : أحمل على العدو..

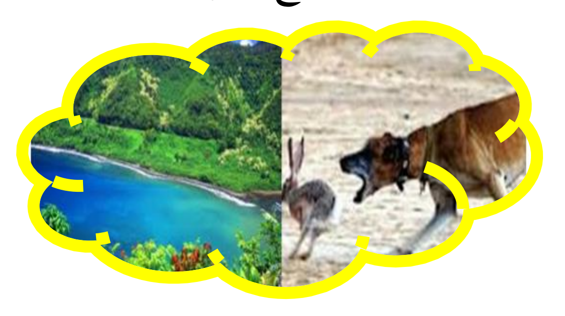
ولعلَّ هذا الموقف من أبلغ المواقف التربوية في غزوة حنين ، وقد انتفع به الصحابة بعد ذلك في حروب كثيرة دارت مع الفرس والروم وغيرهما من أجناس الأرض ، وما فَرَّ المسلمون الذين شهدوا حُنَيْنًا بعد ذلك ، فكلهم أيقنوا أن النصر ليس بالعدد ولا بالعدة ، وأن الكثرة لا تغني شيئا ، ولا تجدي نفعاً في ساحات المعارك ، إذا لم تكن قد تسلحت بسلاح العقيدة والإيمان ، وأخذت بأسباب النصر وقوانينه فالنصر والهزيمة ونتائج المعارك لا يحسمها الكثرة والقلة والعدة فقط ، وإنما ثمة أمور أُخَر لا تقل شأنا عنها ، إن لم تكن تفوقها أهمية واعتبارا ، قال الله تعالى} : وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ }(آل عمران: من الآية١٢٦) ، وقال : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾محمد

إن المتأمل في حياة وسيرة النبي ـ ﷺـ ليعجب من فقهه في معاملة النفوس ، وحكمته في تربيتها وإصلاح أخطائها ، وعلاج ما بها من خلل ، يظهر ذلك في مواقفه التربوية الكثيرة والجديرة بالوقوف معها لتأملها والاستفادة منها في واقعنا ومناهجنا التربوية..

ومن ثم تمر السنون والأعوام ، وتظل سيرة وغزوات النبي ـ ﷺـ نبراسا وهاديا ، يضيء لنا الطريق في التربية والإصلاح ، والعزة والتمكين..

قصص وحكايات الفوارس

حكاية ريح البحر ٢



هجر بلاد القمحة

كان لهذا الحادث العارض في حياة غاضب وهلال تغيير كبير في مسار حياتهما ، وما أخذوه هو أول غنم يكسبونه بسيوفهم وخناجرهم ، وأصبحوا الآن مطلوبين في بلاد الماعز إذا عرف الخبر وانتشر .. والأمير خالد صديقهم لابد أن يغتاظ منهم إذا علم بالحادث وشوهت التفاصيل.. والأمير رضوان سيزداد حقدا عليهم وبغضا.. ولسوف تزيد العداوة بين خالد وأخيه ..وربما يطلبونهم من ملك بلاد القمحة في مقتل رجلهم والجريح

الذي قد يهلك هو الآخر قبل أن يصل بلاده .
أدرك الشابان عظم الأمر، وهما سائران نحو بلادهم ، التي وصلوها بسلام .. ودفعوا الرسائل لأم الأمير ..وسعدت بما سمعت من أخبار زواج ابنها من ابنة عمه .. وسألتهم عن الحروب التي وصلت أخبارها إليهم ، فحدثوها بالصراع الناشب على تاج تلك المدينة ، وأنه استقر الآن على رأس الملك سيف بن رياض .. وبعدما زار كل منهما والدته ..غادرا البلاد قبل وصول وفد أو رسول من بلاد الملك سيف مطالبين بثأرهم .. واتفق الشابان على المسير إلى بلاد القنفذ .. ففيها أمير محارب يحب الحروب والمعارك ، ويبيع سيفه لمن يدفع أو يؤجر نفسه وفرسانه .. فأحيانا يستأجره أهل المدن لصد عدوان .. وأحيانا تستأجره قوافل تجارية لتصل إلى مكان ما أو لتجتاز دربا خطيرا .. وكان قطاع الطرق يهابون هذا المحارب هيبة عظيمة .. ويتحاشون الصدام معه .. لشدته وقسوته ..وكان أمير هذه البلدة الصغيرة يدعى المقدم هزيم الرعد .. وله شهرة يتناقلها الركبان وأهل الديار .. وهو يتقاضى أموالا كثيرة مقابل تأجير نفسه ورجاله.. وبلدته هي قرية وليست مدينة كبيرة أو مملكة ..فهو ليس بملك ..إنما هو محارب وسيد قرية ، وأكثر تجارتها بيع الخيل والسلاح .. وهذه البلدة هي التي يمم الفارسان سيرهما نحوها للانضمام لفرسان هزيم الرعد .. والحياة بكنفه .
وهذه القرية تسمى قرية القنفذ .. وهو حيوان شوكي صغير .. للقرية قصة طريفة .. ملخصها هي قرية ككثير من القرى القائمة حول المدن الكبرى والعيون المائية.. هي لم تكن تنتمي لمدينة كبيرة لبعدها عن كثير من المدن الكبرى .. ولكن لها اتصال ببعض القرى القريبة منها والتي تتصل بالمدن الكبرى في ذاك الزمان ..
الفارس هزيم الرعد كان ابن هذه البلدة التي لم يكن عدد سكانها يتجاوز المائة إنسان .. يعملون في الزراعة لإعالة أنفسهم .. ويربون الماشية والحمير ، وما يفيض عن حاجتهم يبيعونه في المدن البعيدة عنهم أو لأهالي القرى المجاورة فمن عنده حصان زائد أو بقرة ..أو ثور أو خروف .. يبيعه ويشتري بثمنه طعاما وثوبا
دهمت عصابة لصوص القرية ذات يوم وعاثوا فيها الفساد .. ونهبوا ما استطاعوا أن ينهبوه ولم ينجو من عدوانهم إلا ما كان في البراري وشغاف الجبال .. وكان هزيم الرعد المسمى أحمد حمزة ابن عشر سنوات أو قريبا منها قد تألم من هذا العدوان الظالم على هذه القرية الوادعة المسالمة .. فهجر القرية نحو إحدى المدن وتعلم فيها استعمال السيف، وروح الانتقام ترفرف عليه.. وقضى عشر

سنوات قبل أن يعود للقرية ، فوجد المزيد من الظلم والآلام ..فبدأ يختار بعض الرفاق المكلوم والراغب في الثأر .. وأخذ يعلمهم فنون القتال والطعن بالرماح والرمي بالنشاب .. ويأخذهم على الصيد لمزيد من التدريب والشجاعة .. وكانوا يعودون بصيد وفير.. فالتحق بهم فتيان أخر .. فأصبح بدون قصد سيد القرية بلا منازع .. وتعلق به الشبان وأحبوه وتزوج من فتيات القرية .. ولما سمع بوصول قطاع الطرق للقرى المجاورة .. صنع لهم كمينا وكان لهم بالمرصاد .. وفتك بهم فتكا شديدا مدويا .. وغزا مكان تجمعهم واستولى على أموالهم وبدأت العصابات تتساقط أمام رجاله وفرسانه الشجعان ..

وتجمعت عدة عصابات للقضاء عليه فصدهم وكان لهم بالمرصاد .. فطار صيته بين رجال الليل واللصوص ومع الوقت زاد رجاله ومن لحق بجيشه من أبناء القرى المجاورة حتى وصلوا لخمسمائة فارس .. وابتعدت العصابات عن القرى التي يشملها بحمايته ..

ولما أدرك حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه .. اتخذ خربة ملاصقة لبلده وأنشأ عليها قرية جديدة لرجاله أو معسكرا لهم وظلت تسمى القنفذ .

وبدأوا يؤجرون أنفسهم للأفراد والتجار والملوك .. فأصبح لهم شهرة بين القرى والمدن المجاورة .. ويطلقون عليهم جيش هزيم الرعد .. وهكذا كان أمر هذه العصابة الرهيبة وكان من أخلاقهم عدم الاعتداء على القرى الآمنة .. ولما قصد ريح البحر وهلال بلاد القنفذ كان هزيم الرعد قد شارف على الستين عاما .. كان شيخا كبيرا .

رحب الفارس الشيخ بالفارسين الشابين وضمهم لرجاله كما يرغبون بعدما قاموا ببعض الاختبارات البسيطة.. ومنها اختبارات الأمان حتى يطمئنوا من جهتهم أنهم ليسوا عيونا لعصابة أو حاكم .. ويكون ذلك بإرسالهم في مهام خطيرة قد تكلف المخاطرة الشخص حياته

قد كانت قرية القنفذ ملاذ كل فارس ضاقت به بلاده ، فسعى الفارسان نحو تلك الديار بعد أن لم يجدا لهما مكانا في بلاد القمحة وكذلك في بلاد الماعز، ولم يعد الأمير خالد بحاجة لصحبتهما ، فرحب بهما زعيم البلدة ، وضمهما لفرسانه ، وبدأ يرسلهما في المهمات الخطرة لمرافقة القوافل التي تنشد حمايته للمرور في درب معين .. وبعد حين من الزمن أدرك أحمد حمزة الملقب بين رجاله بهزيم الرعد ..أنهما فارسان قويان ومدربان أحسن تدريب وأثبتا جدارتهما في المطاردات والحمايات ، بل وجد ولمس لديهما الذكاء للقيادة والسيطرة ..

وحسن التدريب هذا لمسه منهما خلال سنتين من العمل معه ومع رجاله .. ولما اطمئن أنهما صديقان لهم وليسا عدوين أو متآمرين زادت ثقته بهما.. ولذلك تقدما على كثير من رجال وأعوان الأمير .. ولذلك لما ظهرت مجموعة من اللصوص في إحدى القرى واستنجد به أهل تلك القرية .. كانوا أيضا على رأس الذاهبين للبحث عن المعتدين مع رسول تلك القرية .. ومعاقبة أولئك اللصوص التي كانت من أهم واجبات هزيم الرعد صاحب الصوت المرعب وأعوانه .. وقد تعرض صاحب مدينة القنفذ للغدر والاغتيال أكثر من مرة من قبل الكثير من رجال العصابات ولكن الله حماه ، وانتصر على الكائدين ، واستمر في أداء واجبه وحمايته للفلاحين وأصبح اسمه مثيرا للرعب والوهن في أوساط المجرمين ، ويبتعدون عن القرى التي تمتد إليها حمايته ورعايته حتى أن بعض ملوك المدن يحسبون حسابه ويتوددون إليه بالهدايا والعطايا.. وقد استطاع بحر وهلال القبض على اللصين اللذين أثارا الرعب في تلك القرية وأسروهما ووضعوهما أمام سيدهم هزيم الرعد .. فازداد حب الرجل لهما وازداد ثقة بهما وبإخلاصهما.. وعمل على تزويجهما بأسرع وقت من بنات أعوانه ، وشيد لكل واحد منهما بيتا صغيرا يستقر به هو وزوجته وكانت منازلهم من الطين .. وبالزواج من نساء القرية أصبحا من أهالي هذه القرية بحكم هذا الزواج وهذه المصاهرة .. ولا يسمح لهما بالعودة إلى البلاد التي جاءوا منها ، وطاب لهم العيش في رحاب الأمير الشيخ .

وأصبحا من أقرب الرجال إليه في خلال زمن يسير رغم صغر سنهما بالنسبة إليه ولمن حوله من الرجال القدماء .. وبين لهما ذات مرة أنه نكح امرأة في بلاد القمحة وأنه قام بمهمة لملك تلك البلاد وذلك قبل وجودهما على الأرض .. وعلى أثرها تزوج فتاة منهم.. ولما أنهى تعاونه مع ذلك الملك طلق المرأة التي أنجبت له طفلا واحدا ، ثم هلك صغيرا .

لقد وجد الفارسان لهما مكانا طيبا في بلاد القنفذ ، وسكنت قلوبهما لتلك البلدة الصغيرة ، وبينما هم في سعادة ورغد من الحياة أتى القرية على حين غفلة رجل مستنجدا بسيد القرية من ظلم أحد الأمراء الذي خطف ابنته رغم أنفه ..فغضب الأمير هزيم لهذا الظلم والعدوان والاعتداء على الأعراض ، واستمع لقصة الرجل بالتفصيل وكانت ...

" أن أميرا من بلاد الماعز كان مارا من قرب قرية الرجل البلدة الصغيرة ..ينشد الماء ، فشاهد الفتاة ابنة الرجل ، فطمع بها وأخذها عنوة .. فهرعت أمها صارخة بين رجال القرية .. فأسرع الرجل

خلفهم لتخليص ابنته وتبعه بعض الرجال بعصيهم وفؤوسهم ..وتوقف الأمير وهدد بقتلهم جميعهم ، وكان معه عشرون من الأعوان ..فخاف وجبن أهل القرية وخاصة من كثرتهم وتسلحهم بالسيوف والرماح والخيول ، وأن الرجل احد أمراء مدينة الماعز السمرة كما أعلن أمامهم.. وظل والد الفتاة يطاردهم خفية حتى عرف بلادهم ومن هم؟! .. ثم جاء مستنجدا بشيخ القنفذ ".

ولما ذكر القروي اسم الأمير الخاطف فإذا هو ضرغام شقيق الأمير خالد صديقهم القديم.. فزاد حنقهم عليه ولوحشيته وتعجبوا من سوء أدبه ، وخطفه لبنات الناس .. وإن كان هذا الأمر شائعا بين الناس في القرى والمدن في تلك الأزمنة .. ولما انتهى القروي من مظلمته ، نهض الفارسان بحر وهلال وتعهدا للأمير بإحضار الأمير ضرغام بين يديه مكبلا أو قتله إذا شاء الأمير أحمد حمزة ، ومن ثم إعادة الفتاة لأبيها ..وقد بينا للأمير معرفتهما الشخصية بذاك الأمير فوافق الأمير على جلب الأمير مأسورا وإنقاذ الفتاة من بين براثنه.

تنكر الفارسان بصورة أخرى، ومشوا برفقة والد الفتاة لبلاد الماعز .. للبحث عن ابنة القروي ولسوف يلحق بهما عشرة فرسان بعد عشرة أيام ينتظرونهم عند قرية معلومة لهم .

قطع الرجال الثلاثة المسافات من الوديان والتلال حتى دخلوا بلاد الماعز التي يعرفها الشابان معرفة جيدة .. لقد عاشا بين سهولها ووديانها وجبالها عامين .. والذي فاجأهما بعد وصولهما إليها أن ملكها الملك رضوان الذي كانا يعرفانه قديما بالأمير رضوان والد صديقهم خالد .. وكان من أخبار ذلك أن الملك سيف قتل غدرا على يد زوجته ابنة عمه بهاء التي سقته السم انتقاما لأمها وأبيها ، وذلك تآمرا مع أخوتها، انتقاما من عمهم الملك الهارب رياض ..فجاء الملك الحصان مرة أخرى مصلحا للأمور، وعين الأمير رضوان ملكا على البلاد إرضاء لقومه لأننا قد ذكرنا أن الأمير بهاء كانت برد إحدى زوجاته وهي ابنة الملك الحصان .. وكان موتها على أيدي اللصوص سببا لتدخل الملك الحصان في بلاد الماعز .. ووضع رضوان أخ الملك رياض ملكا إرضاء لعشيرته الوعل لبقاء الملك في تلك العشيرة .. وعلموا أيضا أن الأمير خالدا في صراع شديد ورهيب مع أخيه ضرغام من أجل ولاية العهد .. وأن الوالد يقف مع ضرغام مع أنه أصغر من خالد بسنة قد تزيد قليلا .. وضرغام ما زال يسيء ويشنع لأم الأمير خالد رغم زوال عدد كبير من السنوات على تلك الفرية.. وقد علموا أن الأمير كاد يصرع أخاه أكثر من مرة من غضبه لأمه.. وعوقب بالسجن بضعة أشهر .. وضرغام ازداد حقدا على أخيه

بعد الإهانة التي لحقت به من ريح وهلال ..وقتلهما لأحد أعوانه .

هذا ما علم به الشابان وهما يبحثان عن ابنة القروي المخطوفة .. وأشفقا أسفا على وضع صديقهما وعداء قومه له.. وقد أبعد عن ديوان الحكم والسلطان ، وأن أخاه هو السيد الكبير في الديوان ، ويتدخل في شؤون الحكم والسيادة ، وصاحبهم في عزلة خوفا من الاحتكاك بأخيه .. فزاد حنينهما على صديقهما من بغض ضرغام في قلبيهما، واعتبرا في هذه المهمة التي جاءا من أجلها أن فيها خدمة لصديقهم الضعيف .

وعلما بعد البحث والتفتيش أن الأمير ضرغاما اتخذ من ابنة القروي عشيقة وخدن ، وأسكنها في بيت يخصه على أحد أطراف المدينة .. فصنعا له كمينا بالاتفاق مع الفتاة التي سعدت برؤية أبيها وذرفت الدمع بين يديه ورحبت بفرح بالهرب معهم .. وتم أسره بسهوله ، وهو قادم إليها لقضاء شهوته ذات ليلة.. وكمماه وهو وأحد رجاله أو حرسه ، وساقوهما إلى المكان المتفق عليه بينهم وبين رجال هزيم الرعد .. وكان أسره سهلا بالنسبة للفارسين المتمرسين على المغامرات والأسر والخطف .

وظلا على تنكرهما، وعادا لمدينة الماعز ليرصدا ردة الفعل ، وتابع رجال القنفذ سيرهم بصيدهم لبلادهم بلاد القنفذ ونبذوهما أمام الأمير هزيم الرعد .

ضرغام

ذهب رفاق الأمير ضرغام إلى بيت ضرغام الذي يضع فيه أسيرته ، ففوجئوا بخلائه من الأمير والفتاة ، وهو قد واعدهم اللقاء في بيت الفتاة ، فاحتاروا بخطوتهم التالية ، فانسل أحدهم إلى قصره سائلا عنه ، فعلم من حرس القصر بأنه لم يبت الليلة في القصر، فعاد لرفاقه مؤكدا لهم أن الأمير غير موجود في قصره .. ولابد أن شيئا عرض له .. لخلاء البيت منه وهم ودعوه ليلة أمس عندما اقترب من البيت .. فترتب على هذا الاختفاء إيصال الخبر للملك رضوان .. فدخلوا على الوزير عنان وأطلعوه على قصة الفتاة التي اتخذها الرجل خليلة ، بعد أن خطفها من والدها فانزعج الوزير مما سمع وخشي على حياة الأمير ، وصعد لديوان حكم الملك وساره باختفاء الأمير المفاجئ.. وروى له قصة الجارية المخطوفة .. فاستشاط الملك غضبا لفعلة ابنه وعدم إخباره بهذا الموضوع ، ولما صفا ذهنه قال لرفاق ولده : أنتم ترون أن أهل تلك الفتاة هم الذين خطفوه أو اغتالوه لاختفاء الفتاة من بيتها ؟

فقال أحدهم : هذا ما نرجحه يا مولانا الملك .

وأيد الرفاق كلام رفيقهم ، وفاجأهم الملك قائلا :

أمتأكدون أن ليس للأمير خالد يد في هذا الشأن ؟!

فهتفوا في دهشة ؛ كأنه غاب عن بالهم العداوة بين الأميرين فقالوا معا : خالد !!

لقد أصابهم الذهول والتردد ، فهم ربطوا الخطف بأهل الفتاة لاختفاء الفتاة وقال أحدهم : ما علاقة خالد بالفتاة يا مولانا الملك ؟!

فلما رأى الحاكم استغرابهم قال : حسنا ! .. أتعرفون القرية التي خطفتم البنت منها ؟

ـ نعم ، نعرفها يا مولانا الحاكم .. ونحن نصحنا الأمير بترك تلك الحسناء، وأن نساء بلادنا كثيرات وأجمل منها .. ولكنها حسنت في عينيه .

ضحك الملك وقال : لا داعي للتبرير ..المهم نرجو أن يكون الأمير حيا ..أرسل أيها الوزير أحد القادة مع هؤلاء الأبطال لمنازل تلك الفتاة .

واستدعى الملك بعد انصرافهم الأمير خالدا ، فلما لبى النداء قال له الملك والحنق باد على محياه : أخوك اختفى يا خالد !

قال الشاب باستغراب واضح : اختفى !!

ـ ربما قتل أو خطف .

ـ قتل !! لا تتهمني يا مولاي بشيء .. إنه أخي .. لا علاقة لي بأمره يا مولاي .. وأنا منذ أخرجتني من السجن وأنا أتحاشاه .. وأقضي وقتي في مطاردة الغزلان والوحوش والطير في الوديان والغابات .

وغير الملك القضية فقال : ألا ترغب بزيارة أمك

ـ أرغب ؟! .. ما الحكاية يا مولاي ؟! أتريد طردي

ـ لا .. ولكني أفكر بإرسالك لزيارة أمك وأخوالك .. وأن تأتيني بأخيك يزيد .. لديّ رغبة برؤيته قبل موتي .

ـ أخشى أن افشل في هذه المهمة يا أبي الملك .. فأرسل الأمير ضمضما فهو أمير جليل ورسول وديع .

ـ ضمضم !! ابن عمي .. إنك تفكر جيدا أيها الأمير .. ضمضم رسول وديع .. وبعيد عن الحكم .. أيرضى أخوك بالمجيء ؟

ـ السنون تغير الناس ..هل تحب أن أشارك في البحث عن أخي المفقود ؟

ـ لا داعي ، لقد خطف اللعين فتاة من إحدى القرى التي مر بها، وهو يطارد الصيد وأسكنها في بيت عشقه .. فلابد أن أهلها مكروا به .. فهو يحسب أن كل صيد يكون سهلا .. وأن الكثير من الناس يحسبون لملك أبيه شيئا ..فأرسلت إليهم القائد عجاجا .. وأمرته بتدمير القرية على ساكنيها إن عادت الفتاة إليهم واختفى ضرغام.. ليت له صفاتك لجعلته وليا للعهد .. اذهب وأرجو أن لا يكون لك يد في الجريمة.

ـ اطمئن يا مولاي ..أنا أحببت العزلة والصيد ..لا أريد الحكم ولا السلطان .

ـ وهل أنا كنت أريد الحكم والسلطان يا خالد ؟!

وأعرف أنك جبان وتخاف الصراع والقتال
وبالطبع لم يرد خالد ، لزم الأمير الصمت على تجريح أبيه لكيانه وطأطأ رأسه حزنا، وبعد أيام رجع رسول من القائد عجاج مخبرا للوزير عنان : إن الفتاة عادت لقرية أبيها ، وإن الأمير المخطوف حي وأسير في بلدة القنفذ لدى الزعيم هزيم الرعد وأصاب الملك رضوان الخوف والجزع على ولده ، فهو قد سمع بقوة هذا الشيخ ، واحترام الملوك له واستعانتهم بقوته وبرجاله الأشداء .. وعلم الملك من وزيره أن القروي بعد خطف ابنته ذهب مستنجدا بذلك الفارس ، فأرسل بعضا من رجاله وخطفوا الأمير وبعض حراسه، وأعادوا الفتاة القروية لأهلها .

فقال الملك لوزيره : هذا رجل معروف بالشراسة ، إنني أذكر فعاله من زمن أبي شامخ ..لا أدري لماذا تهابه الملوك؟! أتدري أنت ؟

ـ أدري أيها الملك السعيد.. لأنه نصير الضعفاء من بني آدم.. ولا يتدخل في شأن الممالك .. ونذر حياته لمطاردة اللصوص .

ـ وهل أنا ظالم يا وزيري؟!

ـ لست ظالما يا مولاي .. ولكن ولدك لم يحسن اصطياد فريسته هذه المرة .. والأمير أصلحه الله يثير المشاكل والمنازعات ، ولا يهمه علاقات المدينة بالمدن الأخرى .

ـ رغم قسوة ردك يا وزيري .. أنا أقر بما تفوهت به.. وعجزت عن إصلاحه .. إنه ولدي .. وأحسد الأميرة صيدا على تربية ولدنا خالد .. لقد تربى في بلاد العدو ولكنه إنسان صالح .

ـ يا مولاي هم ليسوا أعداء ..نحن اتهمنا تلك المرأة .. وانتهى ما بيننا .

ـ إنك تقسو عليّ يا وزيري .. للصبر نهاية ..

ـ أنا لا أقسو عليك أيها الملك السعيد .. ولكني أحب الحق وإن كان قاسيا .. وأبوك الملك شامخ كان يعلم براءة تلك المرأة ، وحدث أبي بذلك، وحدثني بذلك .. فماذا ستفعل لإنقاذ الأمير؟

ـ ماذا تظن أنهم فاعلون به ؟

ـ أخشى على حياته .. فهذا الرجل عدو للظلم .. وحدثت عنه كثيرا .. وفعلة ابننا شنيعة لا تليق بأبناء السادة والملوك ..

ـ أنقبل الفدية ؟!

ـ أظن أنه سيقبل إذا أحسنا الاعتذار معه .

ـ ولماذا لا نرسل كتيبة تدمر بلاده على رأسه ؟! ..إنك تخوفنا منه أيها الوزير .

ـ نحاربه!! .. يا مولاي .. بلدته بعيدة.. وهو لا يملك جيشا كبيرا ، وليس بصاحب مملكة .. ولكن رجاله أشاوس يحبون القتال ولا يهربون .. ولهم قدرات على الاغتيال والمطاردة .. وها أنت علمت ما حل بالأمير ضرغام .. ولم يُشعر بهم ..

سأرسل إليهم وفدا من سرية القائد عجاج بن رباح .. وأطلب منه مسالمة أهل القرية وتطييب خواطرهم .. لأنهم في حمايته .

ـ لقد جعلته ندا للملوك يا وزيري !

ـ إنه مخيف حقا يا مولاي .. وبلادنا في قلاقل لا داعي لدخول حرب وعداء مع هذا الرجل وأعوانه .

ـ حسنا أيها الوزير .. كلي ثقة بك وبعقلك ..افعل ما تراه مناسبا .. واعلم أن الأمير إذا أصابه موت .. عليك تدمير تلك القرية عن بكرة أبيها ..

ـ الأمر ليس سهلا يا مولاي .. قد حاول ملك أن يفعل ذلك .. فقتل وقتلت أسرته ورجاله من فرسان ذلك الرجل .

ـ أمعقول هذا؟! أأنت معنا أو معه؟!

ـ معقول يا مولاي .. فهذا الرجل اليوم ينوف على الستين ، وما زال رجلا شجاعا يهاجم ويطارد .. وسيرته تملأ الأمصار

ـ إنك تثير قلبي وحقدي عندما تتحدث عنه يا وزيرنا .. وتدفعني لشن حرب ساحقة عليه .

ـ هذا الحق يا مولاي .. أتريد أن أغشك وأداهنك؟

وفد الماعز

وصلت أوامر الوزير عنان لقائد السرية عجاج بن بلال ، فاختار وفدا مكونا من عشرة رجال ليذهبوا إلى بلاد القنفذ ، وكان قد أوفد رسولا لهزيم الرعد ممهدا للوفد .. وسار القائد بنفسه لبلاد القنفذ على رأس الوفد .

كان الأمير ضرغام ورفاقه الثلاثة محبوسين في أحد الكهوف .. وعلم بوصول وفد بلاده للمفاوضة بشأنه.. فسر لمعرفتهم بمكانه ومكان أسره .. ولما وصل الوفد المفاوض، وعلم هزيم الرعد الغاية من مجيئهم ، وأنهم يبغون السلام وليس التهديد والقتال ، طلب الأمير بإحضار الأسرى للخيمة الواسعة التي يتخذها أحمد حمزة للحكم والقضاء والتي أهديت له من أحد ملوك الأرض .. فأعجب بها وأصبحت مقرا للحكم والسلطان .. ولما أحضر الأسرى وكانوا في غاية الذل والامتهان قال هزيم : تكلم أيها القائد أمام ابن ملكيكم .

تنحنح القائد وسعل لحظات ثم قال : جئنا أيها الأمير إليك رغبة في السلامة والاعتذار عما فعل هذا الأمير الطائش .. واعلم أن الملك رضوان لم يعرف بفعلته إلا عندما اختفى الأمير.. ونحن مستعدون لكل عوض عما أساء به الأمير إليكم من إزعاج مقامكم ومن إساءة لوالد الفتاة وللفتاة نفسها .

فلما سكت القائد وأشهر اعتذاره قال أحمد حمزة : جميل أن تتكلم بهذا الكلام أيها القائد الشجاع ونحن نعلم أن الفتاة الطاهرة قد اغتصبت رغم

أنفها ولن يفيد الاعتذار لم حل بشرفها وشرف أبيها.. وأنا كنت مصمما على قتل هذا الأمير .. للظلم الذي أحاق بالفتاة وأهل تلك القرية التي تشملهم حمايتي .. ولكن وضعت اعتبارا للملك رضوان وعدم الرغبة في نشر العدوان بين بلدينا .. وبما أنكم دستم ترابنا وأخذتم الأمان منا.. واعترفتم أن الفتى طائش لا يقدر قدر فعلته القبيحة .. وتحبون السلام مثلنا وتقرون أن هذا من الظلم والعدوان ونحن نصراء الضعفاء والمظلومين ..فسنقبل شفاعتكم ونعالج الأمر .

قال القائد عجاج : أمرني الوزير الأكبر في بلادنا في قبول كل شروطكم .. وما تقضي به علينا

أيها الأمير من العدل علينا أن نسلم به .

وكان الأمير ضرغام يسمع هذا الكلام من القائد وهو يتمزق من القهر والغل ، وفي نفس الأمر يعجب من قدرة هذا الرجل الجالس على الأرض في هذه الخيمة ، ويثير الخوف لدى وزير أبيه، وربما أبيه أيضا .. فهو أول مرة يراه منذ رماه في الكهف .. ولكنه كظم قهره ، وتذكر أنه ما زال مكبلا وبين يديه .. وسمع الأمير يرد على القائد : أهلا وسهلا بالقوم .. ونحن وأنتم نعلم ونقر أن الأمير ارتكب جريمة كبرى في حق هذا الرجل الضعيف الفلاح المسكين ـ وأشار إليه ـ وأن الأمير اتخذ الأسيرة عشيقة وخدنا له .. فأقضي بأن ينكحها الأمير علنا ، ويشهر هذا في بلادكم وفي قرية الفلاح .. فإذا وافقتكم على ذلك فاقبل العفو عن رجالكم

فأحنى القائد عنقه وقال متفاجأ: هذا الأمر ليس لي يا سيد الوادي .. فهو للملك رضوان ووزيرنا عنان والابن هذا .

نهض الأمير قائما ووقف جميع الحاضرين إلا الأسرى المكبلين وقال هزيم الرعد : يتزوجها زواجا صحيحا.. وتخطب من قريتها .. ويعرف القاصي والداني في بلادكم أنها أضحت حليلة للأمير ضرغام .. فانصرفوا لبلادكم متشاورين ومتناصحين .. ثم عودوا إلينا بما يناسبكم .

ـ والأسرى ؟

ـ سيبقون في المغارة ، ولن يضيرهم بضعة أيام أخرى.. وخذوا حاجتكم من الطعام ودعوا بلادنا قبل غروب الشمس .. ننتظر رسالة تأتي بالقبول .. فينصرف الأمير إلا بلاده .. وعندما تصلنا أخبار الزواج ينتهي الشر الذي نشب بيننا وبين بلاد الماعز السمرة .

أخذ الرجال الأسرى إلى الكهف مرة أخرى ، بعدما لم يتم الإفراج عن أشخاصهم ، وغادر الوفد بلاد القنفذ وهم في غم وهم ، وكانوا يظنون أنهم سيدفعون بعض المال للقروي ولهزيم الرعد وينتهي الخطب .. ويرجعون بالأمير .. أما الزواج فلم يخطر على بالهم .

موقف الملك

أدخل الوزير عنان القائد عجاجا على الملك، فقص عليه مطلب أمير بلدة القنفذ ، فلما سمعه استشاط غاضبا صارخا في وزيره : ابني الأمير!.. ابن ملك هذه الديار! .. ابن الأشراف يتزوج قروية .. فلاحة !.. لا يمكن أن يحدث هذا أيها الوزير .. هذا الرجل وقح ، ولابد من مسحه من الوجود ..لابد من قتله وسفك دمه ..

ولما انتهى الملك رضوان من السب والشتم واللعن تلفت الوزير يمنة ويسرة وقال : اهدأ أيها الملك السعيد .. ولا تنسى أن الأمير بين يديه ..سأحرك الجيش لغزو بلاد القنفذ .. لكن أحب أن أقدم لمليكي النصح والتذكير .. إن هذا الرجل له أصدقاء من الملوك فقد يحرضهم علينا .. وتكبر وتعظم المعركة هل نحن مستعدون لذلك ؟!

فعاد الملك للصياح والقذف: أتخذلنا بدل أن تشد عضدنا ؟

ـ يا مولاي الملك!.. أنا كنت أعتقد بأن ندفع بعض المال لهم .. وتنتهي الحكاية .. ولكن اعلم أن هذا الرجل قضى وحكم ولا يمكن أن يغير حكمه إلا إذا انهزم .. ومنذ بدأت أسمع أخباره ومغامراته وهو الفارس المنتصر

فعاد الملك يصيح ويصرخ في وجه وزيره ويقول: أمير ملكي يتزوج قروية! كيف نسلم بهذا ؟ الحرب أيها الوزير الخانع .

ـ حسنا أيها الملك ..سأدخل عليك قائد الجيش .. فاطلب منه ذلك .

ـ بل تبقى ـ وضرب على مائدة ـ فدخل أحد الخدم سريعا وهو يهتف : مولاي !

ـ قائد الجيش .. فليدخل .

بعد حين يسير وصل قائد الجيش وأدخلوه على الملك ، وصارحه الملك بها يطلب هزيم الرعد وختم كلامه قائلا : هذا الزواج لا يصح أيها الأمير القائد .

تطلع القائد بعيني الوزير للحظات ، ثم قال : معك حق يا مولاي أتريد أن نغزو بلاد القنفذ ؟

ـ أجل وبأسرع وقت.. وأن يؤتى بالرجل مكبلا بالقيود ليعدم هنا في بلادنا ليعلم اللعين كيف يتطاول على أبناء الملك ..

ـ لا بأس أيها الملك ! ولكن الأمير أسير بين أيديهم .. فإذا سمعوا بزحف أبطالنا فسيقتلونه بلا هوادة .. لن ينتظروا حتى نصل إليهم .

وضع الملك الغاضب الساخط يده على رأسه وقال : القهر .. الغضب أنساني ذلك اللعين .. لقد ذلني.. ذل أباه .. ونظر للوزير وقال : ما العمل أيها الوزير؟

الوزير: ليس لدينا سوى تحقيق رغبته بزواج ابنكم من القروية .

فقاطعه غاضبا وصاح: موت الأمير خير من الزواج !.. اخرج أيها القائد وأتني برأس ذاك الصعلوك ..



وانتشر خبر الحملة التي سيقودها الأمير نعمان بن سعد إلى بلاد القنفذ لتدميرها .. وحاول الوزير بعد أيام ثني الملك عن خسارة ابنه .. فرفض وأصر على القتال .. نقل الفارسان بحر وهلال خبر هذه الحملة للملك القنفذ .. فأمر رجاله بالاستعداد للقاء الحملة، وكلف الفارسين بصنع كمين لفرسان الماعز ، وأرسل إليهم مائتي محارب.. وطلب الأمير هزيم من بعض الملوك المتعاونين معه بمده بعدد من جنودهم .

وتقدم ريح البحر وهلال ورجالهم لملاقاة الأمير نعمان ، ورأوا أن يلتقوا بهم في واد حتى لا يلتقوا بسهل واسع ويستفيدوا من كثرتهم ..وفعلا التقى الجيشان في واد اختاره ريح للمعركة.. ودارت معركة فاجأت الأمير نعمان وفرسانه .. مما جعلهم في موقف دفاع وتقهقر وجرح قائدهم نعمان .. وظلوا في اندحار يوم وليلة .

ولما رأى الأمير ضعف رجاله وكثرة جراحهم أمرهم بالعودة للبلاد ..ولما دخلوا المدينة كانوا في حال يرثى لها .. وأصيب الملك بالذهول لمقتل عدد من فرسان المدينة وتألم لجرح الأمير نعمان وجاءته الأخبار بأن هزيم الرعد يتصل بالملوك ليغزو بلاد الماعز .

فلما أدرك الخطر المحدق بمدينته ، طلب من وزيره بالسعي بنفسه لهزيم الرعد لتصحيح الأوضاع ، وأنه سينفذ شرطه بزواج ابنه من القروية .

ساق الوزير وفدا من سادة المدينة بعدما أرسل رسولا يسبقهم لهزيم الرعد، وأخذ معه العطايا.. سر الأمير أحمد حمزة لهذه النتيجة وزاد اعتمادا وثقة بريح وهلال.

وصل الوزير عنان بلحمه وشحمه للاعتذار والصلح ، وأعلن لهم موافقة الملك على الزواج وعلى دفع الأموال لأسر الرجال الذين قتلوا من رجال القنفذ .. وقرأ على الملأ رسالة الملك رضوان التي يوافق فيها على شروط الأمير هزيم الرعد.. وجيء بالأمير الأسير ورفاقه.. وأطلق سراحهم وسلموا للوزير الأكبر.. وقال وهو يودعهم: أرجو أن نسمع أخبار هذا الزواج .. قبل أن يعود هؤلاء الجنود لبلادهم ومدنهم .

وفعلا قد وصل للبلاد ما يزيد عن ألف فارس أنجده بهم أصدقاؤه الملوك .. ولما انصرف الوزير أكرمهم بالهدايا والعطايا وصرفهم لبلادهم .. فإن

بلاد القنفذ لا تستوعب كل هؤلاء الجند لفترة طويلة .. خاصة الأقوات اللازمة لهم .

وقد كان في هذه المعركة قد قتل زوج إحدى بنات الأمير هزيم .. الفارس ساب .. فلما هدأت الأحوال ، وعاد الصفاء للبلاد طلب الأمير من ريح البحر الزواج من أرملة ساب.. وهي تكبر ريح بسنوات ولها أولاد من ساب.. فقبل ريح الاقتران وقال: على الرحب والسعة .. وهذا شرف كبير يا سيدي الأمير!

وابنة هزيم الأميرة شام أنجبت لساب خمسة أبناء، بعضهم في سن الزواج ..وكذلك باقي الأرامل زوجت من فرسان الأمير.. هذه عادة متبعة عندهم من يقتل أو يموت تتزوج أرملته بأسرع وقت إلا إذا أبت هي نفسها ورضيت بالعيش بدون زوج .

وبعد زواج ريح من ابنة الأمير عرض عليه زيادة فرسان البلد .. وزيادة أراضي القرية أو إنشاء قرية أخرى.

وجاءت الأنباء بزواج الأمير ضرغام من ابنة الفلاح زواجا شرعيا .. وأصبحت تلك الفتاة المظلومة أميرة من أميرات بلاد الماعز رغم أنف الملك رضوان بن شامخ ورغم أنوف كل قبيلته

قام بحر بالبدء بإنشاء قرية جديدة سماها هزيم الرعد .. وانتقل للحياة فيها هو وهلال وبعض فرسان الأمير .. وبدأ يستقبل المزيد من شباب القرى المجاورة ويدربهم على الفروسية كما تعلم في حصن التدريب ، وكما فعل هزيم قبل العقود .. ونشطت الحركة في القريتين بتوافد الفتيان من القرى للخدمة في جيش هزيم الرعد .. وزاد عدد الأسر التي رغبت بالحياة في بلاد القنفذ ففي خلال خمس سنوات انقضت وصل رجال هزيم إلى ألفي فارس .. وقد ظهرت همة ريح البحر وهلال خلال هذه السنوات في تجنيد الشباب الصغير وتدريبه ..

وقد سعد الأمير هزيم بهمة صهره ، وأعجب به غاية الإعجاب وذكره بأيام شبابه ، ولذلك وهو على فراش الموت جمع قادة وعرفاء رجاله ونعى لهم نفسه ، وألزمهم بطاعة زوج ابنته شام أميرا عليهم ، وعليهم أن يسلموا إليه القيادة ويطيعوه كما كانوا يطيعونه .. وأثنى عليه الثناء الحسن وأنه أهل للقيادة والرياسة .. وذكرهم بمبادئه التي أقام عليها هذه القرى .. بنصر المظلوم والتعاون مع الملوك العادلين ومحاربة اللصوص وقطاع الطرق .. وحماية المستجير والضعيف ، وعدم الاغترار بالقوة وحدها ، فالعدل هو سبب النصر والحكم السليم

هزيم الرعد

هزيم الرعد أمير مدينة القنفذ .. منذ أن عاد للقرية

حاملا لواء العدل ونصرة المظلوم ومطاردة اللصوص والمجرمين وهو يحقق ذلك ، وحقق انتصارات تروى في بلاده .. وزاد أنصاره وأعوانه والمهاجرين إليه.. واستطاع أن يصاحب الملوك والتعاون معهم في رفع الظلم ورد كيد الطغاة ، ومغامراته الجريئة كانت شائعة بين الناس ..وهو في نفس الحين رجل مسالم لا يحب الاحتكاك بالملوك والسلاطين خوفا من تقلباتهم وجورهم .

وكذلك كانت العصابات تبتعد عن القرى المشمولة برعايته وحمايته ..فلا تكاد تخلو قرية من القرى القريبة منه إلا وبعض شبابها ورجالها يعملون تحت زعامته .. فكل من أحب الفروسية والقتال لحق بجيش هزيم .. وقضى الرجل ما يزيد عن أربعين عاما في معاركه وتوطيد حكمه ورغم تزوجه بعدد كثير من النساء لم يعش له سوى ثلاث فتيات .. كلهن تزوجن قبل مجيء ريح وهلال للانضمام لجيشه الصغير ..ولما ترملت شام أنكحها لريح ، وأنجبت منه ثلاثة أطفال ولما أحس الأمير بالموت ودنت ساعة الرحيل عن ظهر الأرض والسكن في بطنها.. قدم بحرا أميرا وزعيما لقريته أو مدينته ..وبايع القوم ريحا أميرا عليهم رغم صغر سنه عن سن بعض رفاق هزيم .. ولكن وصية وعهد الرجل كانت دينا ، وكذلك لأنه زوج ابنة سيدهم .

وأظهر ريح وصاحبه هلال قدرة كبيرة على الزعامة منذ هبطا على القرية.. بإنشاء القرية الجديدة وزيادة عدد الجيش، وزيادة العائلات في القريتين ، وأصبحت بلاد القنفذ تشمل قريتين كبيرتين مما دفع أهل القرى المحيطة بها بإتخاذها مركزا لتبادل السلع والتجارة .. في المواسم والفصول .. وبارك الأمير خطوات ختنه وأعجب بطموحه وقرت عينه به .. وساره الأمير بإعجابه وحذره من الغرور ومن الحساد .. ونبهه على حسن اختيار حراسه ومعاونيه .. وحثه على إبداء محبته للجميع ..ونبهه إلى تقلب النفوس وغيرة الشجعان ..وبعد رحيل الأمير هزيم سمى أصحاب ريح البحر الأمير الجديد بالبحر بدون ريح .. وقبل منهم حذف جزء من لقبه .. فأصبح يقال " الأمير البحر" .. ووثق البحر صداقته بالشيوخ أصدقاء هزيم وقربهم من مجلسه وكذلك الكهول .. وكان يقدمهم في المشورة ويتحادث معهم بشأن القوم والجماعة .. ويعمل بنصائحهم قدر الإمكان.. وكان يثير في الشباب روح المغامرة،

ويرسلهم للصيد ومطاردة الحيوان .. وظلت قبضته قوية على اللصوص الذين حاولوا جس نبضه بعدما سمعوا بموت هزيم ، واعتقدوا أن خليفته لن يكون بعنفه وقوته.. ولكنهم وجدوه أشد بأسا من حميه .. وعادوا للابتعاد عن دائرة سيطرته .. وعدم التعرض للقوافل التي تلجأ لحمايته ويرافقها فرسانه .. وكان كلما زار قرية أو مرّ منها استقبله الناس استقبال الأبطال، وكما كانوا يستقبلون هزيم الرعد .. بل اعتقدوا أن هزيم الرعد لم يمت، وأنه ما زال على قيد الحياة .. وشكروا الله ﷻ لاختيار هزيم الرعد هذا الفارس زعيما عليهم .

وكان البحر لا يبخل بمد العون لملوك المدن الكبرى في تحقيق العدالة والأمان ورد المظالم إذا وثق من المقصد .

وأذن الأمير البحر لبعض رجاله بالعمل بالتجارة .. واتخذ مكانا وجعله سوقا تتوافد إليه التجار وسمح ببناء الخانات .. فبعد حين أصبحت هذه المحطة ممرا للتجار وتبادل السلع كان الأمير يسعى لأن تصبح بلاد القنفذ مملكة كسائر المدن المحيطة بها .. وهو لم يكاشف أحدا بهذا الحلم ولكن الأحداث تسير إليها .. وبعدما نجحت قريته التجارية .. اتخذ قرب أحد الأنهار قرية أخرى لتجارة اللحوم والأسماك ..وجعل لها ميناء للمراكب الصغيرة .. وكان يدير هذه الأماكن رجال مخلصون له .. وكثرت القوافل التي تدخل هاتين القريتين التابعتين لبلاد القنفذ وأهل قرية القنفذ نفسها وقرية هزيم لم يتأثروا بالمدن التجارية التي تم إحداثها فبقي أهلها على عاداتهم وتقاليدهم السائرة بينهم ..ونشط عمل الزراعة فيهما وامتد لأراضي أخرى .. وكبرت تجارة الخيول التي كانت تشتهر بها مدينة القنفذ ..ولكنه سمح بتحديث العمران في قرية القنفذ فظهرت البيوت الحجرية الكبيرة ..وأخذ الأمراء والسادة ينشئون القصور الصغيرة .. وشيد قصرا للحكم ..وترك الناس الكهوف والمغارات .. واتصلت القرى التي عمرها البحر ببعضها بالعمران ..وزاد أفراد العسس والحرس في المدينة لفض المنازعات والمشاجرات، واستحدث

نظام القضاة .. وزاد أعداد الجيش وعملت له نقاط كبيرة حول المدينة ..

كبرت البلاد على عيني ريح البحر ..ولاقى استحسانا من حاشيته وفرسانه ورجال هزيم الرعد الكبار ..فلمس أصدقاء هزيم قوة في صاحبهم وجرأة ، فكانوا يثنون على هزيم بحسن تسييده لهذا الشاب وهم الكهول والشيوخ ..وما انقضت عشر سنوات على موت أحمد حمزة حتى أصبح جيش المدينة يقارب الخمسة آلاف فارس

.. سوى العسس .. وزادت الأسر والأولاد والأحفاد .. فشكر الرجل ربه على ما وفقه إليه .. وما زالت شجاعة الرجل تترك أثرها في القرى والملوك المجاورين .. وما زال الأمان والعيش الحسن يخيمان على البلاد والعباد حتى أصبحت خمسين قرية حول المدينة تخضع لبلاد القنفذ .. وحتى أصبحت بعض القرى الخاضعة لبلاده تلاصق مدنا كبرى وممالك أخرى ..

وظل البحر محافظا على تدريب الجند ، ويتعرضون لتدريب قاسٍ وحاسم .. ومن يلتمس به ضعف أخرج للعمل في التجارة أو الزراعة .. ودخلت صناعة السيوف والخناجر المدن التجارية وكذلك الحرف النجارة والحدادة كبرت وزادت في البلاد .. البلاد تسعى لتكون مدينة كبرى ومملكة ناشئة جديدة .

كانت العدالة سائدة في جميع القرى التي خضعت لحكم الأمير البحر ..وذات ليلة حدث حدث خطير في البلاد .



بلبل

كان لريح البحر مولودا من الزوجة الأولى التي اقترن بها عندما استقر به المقام في بلاد القنفذ بأمر من هزيم الرعد سيد البلدة ، وقد اقترب هذا المولود من العشرين سنة ، وكان فارسا شجاعا اسمه بلبل ، فهذا الفارس رافق جماعة من فرسان البلاد في مطاردة الوحوش في أحد الوديان القريبة من بلاد القنفذ ، وقد صحبهم في هذه المطاردة مدرب بلبل وعشرة رجال .

وبينما القوم على غدير ماء معروف لهم يستريحون من مطاردة الظباء والوحش أحاطت بهم على حين غرة عصبة من الرجال ، وسلبوا خيلهم وسلاحهم الملقى على الأرض ، وقتلوا واحدا منهم ، وأخذوا بلبلا أسيرا معهم ، واختفوا في الغابات المحيطة بالوادي .

ورجع الرجال الناجون وهم في وضع سيء لبلادهم ، وأخبر الأمير بالحادثة ، فاجتمع الأمير البحر بقادته الكبار وقال لهم مستنكرا : هل ضعفنا أيها القادة ليتجرأ علينا رجال العصابات؟! بما أن بلبلا ابني أسيرهم سأخرج لهم بنفسي ، وسيكون نائبي على البلاد والعباد الأمير هلال .. وعليّ أن أحضرهم ليصلبوا هنا ليكونوا عبرة لمن يتطاول علينا أبد الدهر .

وخرج الأمير بخمسين فارسا يتتبع أثر اللصوص ومعهم قصاص الأثر .. وهم لهم قدرة على المطاردة والتتبع .. فمضى الشهر الأول عندما علم الأمير أن بغيته نزلوا بلاد الماعز .. فعادت به

الذكرى لتلك البلاد عندما وطئها أول مرة .. ثم تنكر الأمير على هيئة متسول ، ودخل المدينة متعسعسا .. واستطاع بحيلته وذكائه المتقد أن يصل إلى العصابة .. ويعلم أن الذي أرسلهم لبلاد القنفذ الأمير ضرغام .. فقد التقى هذا الأمير في إحدى مغامراته بعصابة سنج واجتمع برئيسها " برسوم ".. وعقد معه عقد تعاون .. وكلفه بغزو بلاد القنفذ .. ووافق برسوم السندي على خدمة الأمير ضرغام .. ولما صدف وأن حاصر برجاله فرسان بلاد القنفذ ووجد بينهم ابن سيد البلاد .. فرح بذلك واعتبره صيدا كريما فأسره .. وصرع رجلا منهم ونهب خيولهم وأموالهم ، وعاد بذلك لضرغام الذي كاد أن يطير من الفرح بهذا الأسير، ووهبهم المال الكثير .. وأحس أن ساعة الانتقام لأسره في بلاد القنفذ قد دنت .. وتمنى لو كان الأسير من أبناء وذراري هزيم الرعد ..استطاع المتسول بحر أن يعلم هذه الأخبار بدهائه وفطنته.. ولما انتهى من معرفة ما يريد .. عاد إلى حيث ترك فرسانه ، وذكر لهم ما علمه ، وعقد مجلس شورى بينهم .. فوضعوا خطة لخطف ضرغام .. وخطة لإنقاذ ابن الأمير .. وخطة لخطف برسوم السندي .

دخل الأمير بحر بلاد الماعز مرة أخرى، وتبعه بعد أيام عشرة فرسان متفرقين .. وبعد أن استقروا في المدينة بدون أن يلحظ أحد دخولهم ، اجتمعوا وشروا بعض الخيول وهيئوها للخطة الأولى ..وذات ليلة والأمير ضرغام عائد لقصره من سهرة أو حفلة من حفلاته اعترضه ثلاثة رجال وقتلوا حارسيه أو جرحوهما وكمموا الأمير بسرعة البرق ، وسيق إلى بيت العصابة ، وخرجت به مجموعة ثانية إلى خارج المدينة .. ثم رُحل إلى بلاد القنفذ مخفورا .

ولما علم الملك رضوان بما حدث لولده أدرك أن الأمير رُحل لبلاد القنفذ، والسبب أن الوزير عنان أعلم الملك بفعلة ابنه بعد أن اطلع على قصة خطف ابن أمير مدينة القنفذ خليفة الأمير هزيم من قبل أعوان الأمير ضرغام ، وتألم الوزير لتجدد الصراع بينهم وبين بلاد القنفذ .. والملك نفسه انزعج ؛ ولكنه لما علم بهلاك هزيم الرعد ارتاح قلبه قليلا ، فقال لوزيره بفرح مشوب بالحذر: مات إذن ذلك الرجل المزعج ..!

فقال الوزير: ولكنّ خليفته أشد منه بأسا كما يقول الركبان والتجار الذين دخلوا بلاده ..

ـ عجيب أمرك أيها الوزير ! .. أما زال الرعب يملأ جوفك من تلك البلاد الصغيرة ؟!

ـ قد كبرت يا مولاي!! ..وعلمت أن جيشها زاد عن جيوش بعض المدن .

ـ أين ابن أمير هذه البلدة لنساومهم عليه ؟

ـ إنه تحت حماية رجل سندي يدعى برسوم السندي زعيم عصابة سنج استعان بها ولدك لخطف ابن الأمير البحر .

ـ واسم أميرهم الجديد البحر .. ذاك هزيم الرعد وذا البحر ـ أريد لقاء هذا المجرم برسوم هذا اللعين ما الذي أتى به لبلادنا ؟!

ـ ولدك !..يا مولاي ..وأنا سأطلب منكم اعفائي من الوزارة لم أعد أطيق مشاكل ابنك التي لا تنتهي ..وسأضع بين يدك بعض الأسماء ..لتختار من تشاء .

قال الملك رضوان حانقا : فعلا أنت كبرت أيها الوزير .. وحان لك الجلوس في بيتك وبين نساءك وبناتك .

ـ سأفعل يا مولاي !..

ـ أحضر الشاب الأسير .. لعلنا نساوم عليه الأمير البحر الفارس المزعوم .

ـ سأحضره هو واللعين برسوم .. وها هو الفارس المزعوم أسر الأمير ..ولولا وجود ابنه لدينا لخشيت على أميرنا من الاغتيال.

فهمس الملك قائلا : دم تلك القروية بدأ يثور .

ـ كان يجب أيها الملك ألا نسكت على مصرع تلك البريئة .

خرج الوزير من بين يدي الملك ليطلب من قائد الشرطة إحضار برسوم الهندي والأسير ، ففاجأه قائد الشرطة قائلا : هذا الرجل قد قتل فجرا مع عدد من أتباعه، وأن الأسير قد اختفى وقد تركتهم قبل قليل يبكون زعيمهم ..

صعق الوزير وهو يسمع أخبار قائد الشرطة : قتل برسوم!.. واختفى بلبل !.. يا ويلنا ماذا نقول للملك ؟! ..اصعد معي للديوان .

وعاد الوزير لديوان الملك ومعه قائد الشرطة في المدينة، وأخبروه بمصرع برسوم السندي وبعض أتباعه واختفاء الأسير ..فصعق الملك بدوره وصاح : ما هذا أيها السادة !.. يخطف ابني ابن الملك، ويقتل برسوم الهندي ويختفي الأسير .. أين الجند ؟ .. أين الشرطة؟! ..ألا يوجد حراس في البلاد؟!.. عصابات تسرح وتمرح في بلادنا ..



عمت الأفراح والليالي الملاح في بلدة القنفذ ، وخرج الناس يرحبون بسيدهم لما وصلت البشارة بعودتهم ظافرين .. وزال القلق الذي أصابهم بغيبته عنهم كل هذا الزمن ..وقدم السادة الكبار لتحية الزعيم القائد .. ورويدا رويدا عاد الهدوء للقرى كلها.. وأعلمهم الأمير البحر أن بلادهم ستصبح مملكة تضاهي الممالك المجاورة .. وبدأ

الاستعداد لتتويج البحر ملكا على بلاد القنفذ.
وفي اجتماع شعبي كبير أعلن الأمير البحر نفسه ملكا على مدينة القنفذ ، وأعلن الأمير هلال الوزير الأكبر.. وعين أحد أحفاد هزيم الرعد قائدا للجيش .. وحفيدا آخر قائد للشرطة .. وعين البحر أحد أبنائه قائدا لحرس الملك البحر .. وكان أكثر رفاق هزيم الرعد الكبار قد أخذهم الموت الذي لا مفر منه .. وبايع الفرسان والأمراء الملك الأول لبلادهم ، وقد عمتهم الولائم والأفراح ..
وكانت البلاد قد هيئت لأن تكون مملكة كما ذكرنا ذلك في صفحات سابقة وأمر الملك بإنشاء حصن ضخم على قمة جبل من جبال بلاد القنفذ ليكون مقرا للحكم والسلطان وحاشية الملك .
وبدأت الوفود تأتي بالتبريك والتهنئة لما يحدث في بلاد القنفذ ومن ميلاد مملكة جديدة ، واعترف بعض الملوك بالمملكة الجديدة ، والبقاء على الصداقة التي كانت قائمة بينهم .. ولما أشرفت مراسم تتويج الملك البحر على النهاية .. قدم وفد من بلاد الماعز مهنئا بما يحدث في بلاد القنفذ ويطلبون أسيرهم .. فأخبرهم الوزير هلال بأن ابن ملكهم أساء للملك البحر ولأهل بلاد القنفذ جميعهم ، وأن الأمير محكوم عليه بالموت والقتل ..لإرساله عصابة سنج لخطف الأمير بلبل بكر الملك البحر .. وهذه العصابة قتلت رجلا بريئا أيضا .. والرجل أقر أمام قضاة المدينة بالجريمة وإرساله لعصابة سنج .



وأخبرهم الوزير بأنهم علموا بأنهم غدروا بالفتاة القروية .. عندما طلب من أحد خدمه وغلمانه بإسقاطها في بئر عمدا ..ولا مجال للعفو ..
بل خلال وجود الوفد تم تنفيذ حكم الموت بالأمير ضرغام .. وأعطوهم جثته بعد صلبه يوما واحدا .
ولما وصلت الجثة بلاد الماعز غمر الحزن والأسى والبكاء القصر الملكي وبعض الأحياء .. وأظهر بعضهم بغضه على مملكة القنفذ وتمنى زوالها..
واعتزل الوزير عنان الوزارة واعتلى أحد أبناء عمومته الوزارة .
وعندما انتهى الحداد الملكي على الأمير المقتول قال الملك لوزيره شداد وقائد جيشه الجديد الأمير صارم : كيف سننتقم لشهيدنا ؟
فاقترح القائد إرسال مجموعة فطنة لقتل ملك بلاد القنفذ غيلة.. ولكن من يلبي نداء القيام بهذه المهمة الخطيرة .. ثم كانت الدعوة لبقايا مجموعة سنج .. فتطوع ثلاثة للقيام بهذه المهمة الخطيرة

ورافقهم رابع من أهل المدينة من أصدقاء الأمير المقتول .

وكانت خطتهم مرافقة القوافل التجارية ، ويدخلون بلاد القنفذ بهيئة التجار المتنقلين مع القوافل .. والتحرك مع التجار كان سبيلا يسيرا لدخول المدن والحركة بداخلها .. ومع ذلك ربما يقع الكثير من الماكرين في أيدي الشرطة إذا كانوا على قدر من النباهة ..ودسوا أعوانهم بين رجال القوافل خفية ، وأيضا بواسطة التجار الذين يعملون في التجارة .. هم تجار أمام التجار ورجال خفية أمام الأمن .. فمن اشتبه بدخوله للبلد كجاسوس وعين يعتقل فجأة ، ويجري معه التحقيق وهو وقوة أعصابه وشجاعته أمام المحققين .. وهذا سيعرض القافلة كلها للاختبار والابتلاء وربما المصادرة والمعاقبة القاسية ..ولكن استطاع الرجال الأربعة دخول بلاد القنفذ وهم يمثلون دور التجار وأبناء التجار .. وباعوا واشتروا في المدن المجاورة حتى غلب الظن على رئيس القافلة التي رافقوها لبلاد القنفذ أنهم تجار مخضرمون ..وعادة القوافل الكبيرة أنها يرافقها في المقدمة حرس وفي المؤخرة حرس .. وهؤلاء عادة يستأجرون من قبل رئيس القافلة وزعيمها وحسب طول الرحلة ومدتها ..وأحيانا يدفع للمدن التي سيمرون منها مقابل حمايتهم إلى أطراف مدينة أخرى .. وأحيانا يدفعون للقبائل التي تمر من مضاربها وبواديها ليحموهم من قطاع الطرق واللصوص ..وتم التثبت من رجال القافلة التي دخلها رجال مدينة الماعز .. فنزلوا في الخانات الملائمة للقافلة التي يصطحبونها ..سيبيع القوم في هذه المدينة ما يناسبهم وسيأخذون ما يناسبهم لبلاد أخرى .

وأحيانا تدخل المدينة قافلة لا تحمل إلا صنفا واحدا أو اثنين ..كأن تحمل دقيقا أو شعيرا لتأخذ مقابله جلودا ..بهارات .. أو سيوفا ..أو أخذ خيول أو حيوان يكثر وجوده في بلاد القنفذ .. ودخل الرجال الأربعة كتجار خيل ..فاحضروا معهم بعض الخيل الثمينة ..فمشوا بها نحو سوق الخيل والبغال والحمير .. دخلوا لبيع عشر جياد قوية .. وكانوا يطمعون أن يصلوا بها للملك البحر أو حاشيته .. فالفرسان يحبون اقتناء الجياد الأصيلة والقوية .. للحرب وللصيد وفعلا وصل الخبر لبعض رجال الجيش بوصول هذه الجياد .. فذهب بعضهم للمشاهدة كسائر المهتمين بالخيل ..ولكن قدر أن يكون أحد الذاهبين لمشاهدة هذه الخيل أحد الجنود الذين تعرضوا للسلب في حادثة اختطاف الأمير بلبل ..التي أدت إلى مقتل برسوم وضرغام .. فعرف هذا الجندي أن أحد هؤلاء التجار من عصابة سنج .. فكتم الأمر وتصرف

بذكاء وفطنة .. وبعد انصرافه عن السوق أعلم أمير الحماية الخفية .. الأمير أسعد بما فطن له .. فشكره الأمير على نباهته وحسن تصرفه وكلف أعوانه بمراقبة هؤلاء الوافدين والتعاون مع الجندي الفارس ومعرفة الغاية من دخولهم بزي التجار بلاد القنفذ وقال لمساعديه : هناك مكر وشأن خطير

تابع أعوان أمير الحماية الخفية منازل التجار بل تمكن أحدهم من أن يكون خادما لهم في بلاد القنفذ ، وأنه رجل معتوه يعيش على الإحسان وخدمة الناس ..

وكان الأربعة يعمل منهم اثنان في سوق الخيل والآخران يتجولان في طول المدينة وعرضها .. يبحثان على ثغرة يدخلون بها قصر الملك .. وبعد حين أقروا بصعوبة دخول القصر.. واستطاع الخادم الأبله اكتشاف جل أسرارهم والغاية القادمون إليها ووجدوا أنفسهم عاجزين من تنفيذ مأربهم والنجاة بجلودهم .. وقال أحدهم ذات ليلة : لا يمكن التسلل لقصر هذا اللعين واغتياله .. لابد من قتله في اجتماع واحتفال عام .. أو تجنيد جندي وإغرائه وفي هذا مخاطرة كبيرة على أرواحنا .. ومن معرفتي برجال هزيم أو البحر فمن غير الممكن توريط أحد منهم .

اشتباه

لما علم أسعد أمير الحماية من جاسوسه بغاية هؤلاء الرجال اللصوص المتنكرين بزي تجار القوافل كاشف الملك البحر بالمؤامرة التي تدبر للانتقام منه من قبل بلاد الماعز، فسر الرجل من نباهة أعوانه وشدة ولائهم له، وحمد الله على ذلك الحفظ ، وأمر الأمير بالقبض عليهم والاستماع لأقوالهم ثم تقديمهم للقضاء .

داهم رجال العسس والحماية الخان الذي ينزل فيه الرجال الأربعة بالتعاون مع صاحب الفندق في ساعة متأخرة من الليل ، وأسروا الخادم الجاسوس معهم .. خداعا لهم ، وأمام التحقيق أقروا بأنفسهم وغايتهم من الوجود في بلاد القنفذ .. وأن قائد جيش بلاد الماعز الأمير صارم كلفهم بالقيام باغتيال ملك هذه البلاد ، وليس أمامهم إلا الطاعة وإلا القتل .. فأمر الأمير أسعد بحبسهم في أحد الآبار المهجورة حتى يقدموا لأحد القضاة وكبير قضاة الملك البحر وينالوا الجزاء الملائم

وقضى القاضي عليهم بقطع الأيدي وحسمها بالزيت الساخن وطردهم من البلاد .. وبعد عذاب شديد وصلوا بلاد الماعز يبكون وينوحون أمام قائد الجيش حظهم وتعاستهم .. وحذروه من الاعتداء عليه من قبل رجال الملك البحر .. فأصابه الخوف والهلع ، فهو يعلم ما يشاع عن شدة إخلاص رجال الملك البحر لملكهم .. ويعلم مكر

هؤلاء القوم.. فقد عاصر خطفهم للأمير ضرغام مرتين .. وبعد تأمل وتدبر خاطب الوزير وعرفه بفشل المهمة التي كلف بها الرجال الأربعة وما جرى لهم .. وحثه على تشجيع الملك على الصلح والاتفاق على عدم الاعتداء على بلاد القنفذ ، والتعاون معهم على مطاردة العصابات ، وطرد من بقي حيا من عصابة سنج .

ودخل الوزير شداد بالرجال الأربعة على الملك رضوان ، وأمر أحدهم أن يحدث الملك بقصة قطع أيديهم الذي رعب بدوره من هيئتهم بأيدي مقطوعة ، ولما صرفهم الوزير أطلع الملك على اقتراحات قائد الجيش ، فغضب رضوان وقال :

الملعون لو كان ابنه المصلوب أيقبل بالصلح؟! فليجلس في دار أمه وبين نسائه وليعين ابننا خالدا قائدا للجيش، وليستعد لغزو بلاد القنفذ مهما كلف الأمر .. من مال وجند .

ولما علم خالد بالأمر حاول التملص من قيادة الجند ، وزعم أنما هو جندي من جنود الملك .. ولكن والده أصر على تحميله المسؤولية ، وأصبح القائد الأكبر لبلاد الماعز السمرة .. ولما انتهت مراسم التعيين والاحتفال بذلك كلف بوضع خطة لغزو مدينة القنفذ .. فالتقى القائد خالد بالوزير شداد الذي بين له صعوبة المسير لتلك البلاد، فالمسافة بين البلدين تحتاج لأكثر من عشر ليال للوصول إليها .. والملك البحر له أصدقاء من الملوك الذين سنمر من أطراف بلادهم .. فنخشى تآزرهم وتحالفهم على غزو بلادنا .. ونحن منذ احتلال الملك الحصان لبلادنا وجيشنا ضعيف لا يقوى على المعارك الخارجية فلا داعي لمعادة ملوك تلك المدن .

فعاد الأمير القائد يصارح أباه بوضع جندهم وبعد المسافة بين البلدين ، فرفض الإعفاء وأن دم أخيه لا يجب أن يذهب هدرا بدون انتقام وقال : هم الذين قتلوا أخاك، ولم يرعوا حرمة أبناء الملوك والحكام .. أليس عندك دم ؟! .. أم دمك أصبح ماء ؟

ـ لم أنس دم أخي .. ما رأيك بأن نستعين بالملك جاد ابن الملك الحصان ؟

ـ فكرة عظيمة ..نعطيه نصف مملكة القنفذ .. سأذهب لزيارته واطلب عونه .. فهو أخ لزوجة أخي بهاء .

صحب الملك رضوان وفدا كبيرا فيهم بعض أبناء أخيه بهاء لبلاد الملك جاد ، وبعد الوصول وتناول الطعام كاشف الملك رضوان الملك جاد بسبب مجيئه وطلبه العون منه لغزو بلاد القنفذ والثأر لمقتل ولده .

فلما استوعب الملك جاد كلام الملك الضيف قال : أيها الملك نحن غزونا بلادكم للظلم الذي أصابنا

من شقيقك بقتله أخيه بهاء ، ثم طرد أختنا ليقتلها اللصوص .. ودعمناكم للثبات والاستقرار في بلادكم .. أما أن نرسل فرساننا لبلاد القنفذ للثأر لولدكم فهذا غير صائب، ولسنا بحاجة لعداوة تلك المدينة .. فلم نكسب عداوتهم ونقتل رجالنا ؟!.. فهذا شأنكم أنتم وحدكم .

ـ أسندنا ببعض الجند .

ـ هذا إعلان حرب عليهم وعدوان غير مبرر.. أيها الملك.. لو أعطيتك مائة فارس .. أو ألف فارس فهذا العدد هل يكثر فرسانكم؟.. أتقبل مائة فارس مائتين أيها الملك .

فقال رضوان : أقبل بها أيها الملك السعيد .

فقال الملك جاد: حسنا أيها الملك! لو كان الملك البحر هو الذي يغزو بلادكم وطلبت مساعدتنا ربها أرسلنا معك الكثير ..أرجو ألا يعلم أحد أننا أرسلنا معك مائتين فارس فهؤلاء ضيوف عندكم ورجع الملك رضوان لبلاده قابلا مائتي فارس من الملك جاد ، وعاد مصرا على مقاتلة الملك البحر، ولما كمل الاستعداد تحرك القائد خالد بالجيش الغازي ، وأرسل الملك رسائل لملوك المدن التي تعترض طريقهم لبلاد القنفذ يتعذر منهم للمرور من أطراف مدنهم ..فسمحوا لهم بالمرور من خارج المدن وبدون أن يؤذوا أي من أهل القرى .. ويقع في الطريق مدينتين من المدن الكبيرة ..وهم بدورهم أخبروا الملك البحر بعدوان بلاد الماعز ونيتهم الزحف لبلاده .. وكانت عيون الملك البحر التي تتردد باستمرار على مدينة الماعز نقلوا إليه استعداد الملك رضوان لمحاربة بلادهم ..فأمر الملك البحر بتقدم ألف فارس يقودهم بنفسه لملاقاة حملة الأمير خالد ..صديقه القديم ..وجعل الوزير هلالا نائبا على البلاد ، وأمره بتهيئة ألف فارس آخرين ليكونوا على أهبة الاستعداد ، وكان على رأسهم قائد الجيش حفيد الأمير هزيم الرعد وقال الملك البحر لوزيره : سأعرفه بنفسي وأذكره بشخصي فإن رجع رجعنا .. ولسوف نسعى لعقد صلح بيننا وإذا اضطررنا للحرب سنقوم بأسره وأسر قادته .

استمر الزحف من الطرفين حتى التقوا في منتصف الطريق بين المدينتين ، طلب الملك البحر اللقاء بقائد الحملة .. ولكن الأمير خالدا والقادة رفضوا اللقاء للتفاوض وأصروا على القتال للزحف على بلاد القنفذ .

ودارت رحى الحرب .. وتجالد الفرسان بضعة أيام ، ولما رأى البحر أنهم مصرون على القتال وعدم التراجع وعلى غزو بلاده .. فعرض الصلح عليهم مرة ثانية ، وأبوا وأعلنوا أنهم جاءوا ليثأروا لقتيلهم ضرغام ..فطلب البحر إخبار أميرهم بأن قائد هذا الجيش صديق قديم له ، فلما سمع ذلك

قال لمن حوله: كيف يكون هو صديقي ؟!

ـ يقولون إن الرجل البحر صديق طفولتك في بلاد القمحة .

ـ غاضب !!.. أمعقول أنه ملك هذه المدينة لم نسمع بذلك؟!

ـ كان اسمه ريح البحر قبل أن يصير ملكا .. ثم أصبح يقال له البحر بدون ريح .

كان خالد ما زال في دهشته وردد : صديقي غاضب ملك! .. لم اسمع بهذا ؟! ملك بلاد القنفذ هو صديقي ريح البحر ..إن هذا لشيء عجاب !

ـ هو أحب أن تصل إليك هذه الرسالة .. لتقبل اللقاء به .

التقى الرجلان فوجده فعلا صديقه القديم ورسوله إلى أبيه رضوان قبل ربع قرن من الأيام وتذاكرا أيامهما ، وسمع الأمير قصة ملك الملك البحر ، وبدا معجبا به غاية الإعجاب؛ ولكنه قال : ما دمت تعرف من هو ضرغام لماذا قتلته؟!

ـ لم اقتله يا سيدي الأمير! .. القضاء قتله .. فهو متهم بقتل رجل من بلادنا يوم خطفوا ابني بلبلا .. وأنت أعرف الناس بلسان أخيك وقبحه .. وقد قتل القروية التي خطفها أولا ثم قتلها بعد شفاعة الأمير الزعيم هزيم الرعد .. ثانيا وأنت تعرف عداوته وشراسته .

طأطأ الأمير رأسه خجلا من صفات أخيه وقال : لم أنس .. ولكنه أخي .. وكل هذه الحرب للثأر له .. صدق أيها الصديق أني أكره الحرب وأبغضها.. كرهتها منذ مصرع عمي بهاء .. ولكن أبي يصر عليها .

فوقف الملك البحر وقال : أنا أحببت هذا اللقاء حتى إذا حمي الوطيس وسالت الدماء الغزيرة لا تلوم صديقك القديم في بلاد القمحة وحصن التدريب وتقول لو علمت .. لو علمت .. ما استمرت الحرب .. فأنتم مصممون على القتال .

كان الأمير قد قام أيضا وقال : ليس الأمر إليّ يا صديقي القديم .. ألا ليت تلك الأيام تعود ..

ـ حسنا أيها الأمير أرجو أن لا نلتقي وجها لوجه أثناء المعارك .. فإني لا أغفر لنفسي أن تعلم أمك الأميرة صيد أني سفكت دمك .

ـ أمي !!



ـ لا يمكن أن أنسى أمك التي عطفت عليّ صغيرا ، وكانت تمسح على رأسي أيها الصديق أرجو أن لا تلتقي سيوفنا أيها القائد .

بعد انصراف القائدين من الخيمة، طلب الملك البحر من رجاله عدم قتل الأمير خالد، ووضعت خطة القتال موضع التنفيذ ، تقاتل مجموعة أول النهار لإنهاك العدو وإرهاقه ومجموعة أخرى

تستريح حتى نصف النهار، ثم يتبادل الفريقان المواقع فإذا تحقق النصر كان بها ، وإذا لم يتحقق في اليوم الأول تكرر الخطة في الأيام التالية .. وتجدد القتال في الصباح التالي، ولما تقدم الفريق الثاني من جيش بلاد القنفذ ليتابع القتال.. تقهقر أمامهم جنود بلاد الماعز فعادوا للخلف في أول اللقاء رويدا رويدا ، ثم أخذوا بالفرار غير المنظم ، وتركوا خيامهم ومعسكرهم طالبين النجاة بأرواحهم .. ولما رأى أتباع الملك البحر.. انهزام الجيش المعادي .. تابعوا القتال وأخذوا في مطاردة الأعداء إلى عدة مراحل.. ثم قفلوا ولملموا الأسرى والجرحى وأموال القوم .. وكان من ضمن الجرحى الأمير خالد الذي أخذ بالبكاء على ما أصابه وما حل بجيشه من الهزيمة ، فأمر البحر أحد أطباء الجيش العناية بهم .. ومن ثم نقلهم إلى بلاد القنفذ .. ولما خلا المكان من الأسرى والجرحى طلب الملك من جيوشه دفن القتلى من الفريقين .

وبعد مكث الجيش ثلاثة أيام للاستراحة في ميدان المعركة .. أخبرهم الملك البحر بأنه عازم على المسير لبلاد الماعز وغزوها وفرض الصلح عليها جبرا وقسرا .. وكان قد أرسل مع القائد الذي ساق الأسرى والجرحى للبلاد .. أن يأمر الألف فارس الآخرين اللحاق به لبلاد الماعز وتحرك الجيش نحو بلاد الماعز ..

ولكنه التقى بالطريق بوزير الملك رضوان عارضا السلم والصلح ..فتردد في قبوله قبل دخول بلاد الماعز .. فطالب بمجيء الملك للاعتذار له ولبلده .. وأن يغرم مال الحرب .. ويطلب السلم .

وبعد أيام جاء الملك رضوان ووزيره للقاء الملك البحر .. وسلموا عليه سلام الملوك المغلوبين، وطلبوا الصفح والاستعداد لدفع المال المطلوب وتعويض أسر القتلى والجرحى من بلاد القنفذ ولم يكن عددهم كثيرا.. ولما استلم رجال الملك البحر الأموال المقدرة والديات قبل الملك البحر الصلح .. وأمر بعودة الأسرى والجرحى إلى بلادهم .. وقفل جيشه المظفر عائدا لبلاده آملا بانتهاء الحرب بينه وبين بلاد الماعز ..

وارتفع من جديد صيت الملك البحر وجيشه في الأمصار والبلاد بعد هذه المعركة .. وجاءته التهاني والتحيات من الملوك والوزراء .. وفي الطريق التقى بصديقه خالد الجريح ، واطمأن عليه وحثه بالعودة لبلاد أمه .. حيث الحياة الهادئة والصيد .. وعاد الأمير لبلاده وهو في غاية السوء من الجراح التي ألمت به بدنيا، ومن نفسه المحطمة من سوء الهزيمة ، وكان لقاؤه بأبيه عاصفا وشديدا ثم قال : نحن قوم لا نصلح للقتال ..فهذا المغامر أقوى منا ألف مرة ..

فقال الملك : إنه دم أخيك ..

ـ دم أخي !.. قتل مئات الرجال من أجل دم أخي الظالم .. جيشك تركني وهرب ..لا يوجد عندنا رجال حرب.. وصمت لحظات ثم قال : أتعرف من هو الملك البحر الذي التقيت به أيها الملك ؟

فقال بحزن وأسف : جلست بين يديه كالعبد الذليل وأنا وسادة قومك ..وهو يشرط علينا شروط المنتصر !

ـ هل عرفته؟ وقد التقيت به قبل اليوم ؟

ـ ظننت أنني التقيته قديما؛ ولكن لم اذكره جيدا ..فلعمري والله ما وطئت قدماي تلك البلاد .. ولكني أحسست أني رأيت هذا الوجه .. لكن أين ؟!

فصاح خالد منفعلا : هنا التقيت به ..إنه صديقي .. الرسول الذي أرسلته إليك قبل ربع قرن من الزمان .

ـ الرسول .. أي رسول .. آه .. ذاك الفتى ..

ـ نعم ، ريح البحر .

ـ ذاك الشاب ..ذاك الجاسوس.. يا ويلاه!! .. يا ذلاه !..وأنا أنظر في عينيه قلت لنفسي إن هاتين العينين مرتا عليّ .. رهيب وكيف حصل هذا العز والملك؟!

قص الأمير على أبيه مختصرا قصة تملك ريح البحر وهلال بلاد القنفذ .. فقال الأب معجبا : رجل بطل! .. وللأسف نحن أعداء .. ولا يمكن أن يصفى قلبي له .. إنه قتل أخاك يا خالد كنت أظنه قادما إلينا من قبل أمك جاسوسا وعينا .

ـ ولكنه اليوم سيد مطاع .. وأمير تهابه الملوك .. وتقدم له الهدايا والعطايا .. وهلال صديقي الآخر وزيره الأكبر .. أرأيت الدنيا يا أبي ؟!.. بسبب الرسالة التي أرسلتها إليك معهم .. تغيرت أحوالهم وأصبحوا الملوك والوزراء .. ولكن هزيم الرعد أحسن الاختيار لخليفته.. هكذا يقول كل من قابلت من الشيوخ والسادة في بلاد القنفذ .

يزيد

بعد هذه الأحداث التي عصف ببلاد الماعز .. طمع الملك رضوان بعودة ولده يزيد إليه .. وكان قد كرر المحاولة ليعود إليه أكثر من مرة .. بواسطة بعض كبار قومه وبواسطة الأمير خالد ، ولكنه في كل مرة يرفض ويربط صلحه مع أبيه باعترافه بزياد مولودا له، وبالاعتذار لأمه الشريفة العفيفة، وتبرئتها على رؤوس الناس .

تلقت الأميرة صيد رسالة من زوجها القديم يخطب ودها، وأنه مستعد للزواج بها من جديد، والاعتراف بأن الابن زيادا ولده ومن صلبه ، والاعتذار إليها أبين الاعتذار ، وأنه بشوق لرؤية ولديه بعد كل هذه السنوات .

ولما استوعبت الأميرة رسالة زوجها الملك تعجبت

من قلة عقل زوجها ، وتحدثت مع أخيها بأمر الرسالة، وبحكاية الاعتراف ـ وهو الأهم عندها ـ بابنه زياد الذي تزوج ، وأصبح له أولاد قد تزوجوا منذ زمن قريب.. وكان الرسول قد حدثها عن جراح ابنها خالد في معاركهم مع بلاد القنفذ .

فلما قرأ الملك عدنان الخطاب والرجاء والتوسل والاعتراف والزواج قال لأخته : أمجنون زوجك ؟!

ـ يبدو أن هزيمتهم أمام جيش الملك البحر.. أضعفت عقله.. وأنا لولا قصة الاعتراف وإظهار براءتي وطهارتي لمزقت الكتاب كل ممزق.. وما عرضته عليك يا أخي الملك .

ـ نحن نعلم طهارتك وعفتك .. وصبرك عن الرجال كل هذا الزمن ولا أظن أن بك رغبة للنكاح رغم كل العروض التي قدمت لك .. وأنك آثرت مصلحة أولادك على مصلحتك وشهوتك .. وفي اعتذار بعلك وندمه فضل آخر لك وكرامة .. وفي حق الأمير زياد .. وذلك عندما يشهر في بلاد الماعز.

ـ وأعود له زوجة بعد كل هذه العداوة والعذاب!!

ـ مصلحة الأمير التي ضحيت من أجلها اجعليها في المقام الأول .

ـ لا أتصور أن أكون زوجة بعد الظلم الذي ظلمت به وحاق بي من وراء الزواج .

ـ أنت طلبتي مشورتي ، والأمر في النهاية إليك وحدك .

وبعد تشاور مع أصحاب المشورة والأميرين يزيد وزياد ، وأنه من مصلحة الأمير زياد بعد كل هذه السنوات الطوال من اعتراف وإقرار أبيه بأنه من صلبه وافقت الأميرة على الصلح ؛ ولكن الأمير زيادا قال : يا أماه اعتراف أبي بي لن يضيرني ويرفع من مقامي بين الخلق.. والذي خلقني ما شككت في عفتك وشرفك يوما بل لحظة ..لا تظني أنني أحببت أبي يوما ..إني أبغضه يا أماه ومع ذلك أقول الأمر والشأن لك أيتها العفيفة.. ولا أدري ماذا يريد مني هذا الأب بعد كل هذه سنوات؟!.. ولا تطيب لي الحياة في بلاد الماعز .

أرسلوا للملك رضوان رسالة يخبرونه بالموافقة على تصحيح الأمور ، والاعتذار عن الزواج ، وأنها لا ترغب بالحياة الزوجية.. ولكن كانت المشكلة إذا لم يحصل الزواج كيف سيذهب الأولاد لأبيهم ويعيشون معه بدون أمهم؟ .. وهي لم تستحسن الحياة هناك وحدها .

لما نقلت رسالة الأميرة صيد بالرضا عنه إذا أعلن على الملأ اعترافه بولده زياد ستقبل رحيلهم إليه إذا شاءوا .

فبعث الملك ابنه المصاب رغم مرضه لبلاد القمحة للشفاعة له عند زوجه ، وأن زواجه منها سيعيد الأمور لنصابها ، وأنه أخطأ في حقها ، وأنه نادم أشد الندم ، وسيرحل الأولاد وهم في طمأنينة، وأنها ستنصب ملكة في بلاد الماعز .

وبعد تردد الشفعاء بين المدينتين سافر رضوان بنفسه



وحاشية كبيرة من الأمراء ، وأعلن ندمه على ظلم زوجه وأولاده ، وأنه جارى أمه في تهمتها الشنيعة .. واعترف أن أمه اعترفت وهي على فراش الموت أنها اتهمت الأميرة كذبا وزورا .. وأبان أنه نادم أشد الندم معترفا بذنبه.. واعتذر لأولاده جميعهم ، ولإخوة الأميرة وعشيرتها .. وتم الصلح بين المدينتين بمشاعر الندم ومظاهر البكاء والأسف .. وأعلن الزواج من جديد .. ورحلت الأميرة لبلاد الماعز مرة أخرى، وهي تطمع بسيرة وحياة هانئة كما كانت في بلادها .. واستقرت الأميرة بين زوجات الملك بعدما تم إعلان براءتها مما اتهمت به وما ألحق بها من عار .. ثم أعلنت ملكة على البلاد ، وهكذا ضحت صيد من جديد من أجل أولادها ، وسر الملك باجتماعه بأولاده وأولادهم ، وأخذ يرغبهم بالزواج من بنات مدينتهم حتى يحبوا الاستقرار والمكث فيها ، وقرت عينه بهم وبأمهم صيد .

وبينما الملك رضوان سعيد بعودة أولاده الذكور وزوجه إليه وتجدد حياته ، دخل عليه رسول من قبل أخيه الملك رياض بن شامخ طالبا منه ترك تخت الملك لحفيده ابن الملك سيف الذي اغتالته زوجته بنت ابنة الملك الحصان الأميرة (برد) ، وأنه جند جيشا ضخما للمطالبة بملكه المسلوب .

دهش أهل بلاد الماعز لهذا النبأ الخطير، واجتمع الوزير شداد بكبار رجال القوم ، والسؤال الدائر على فكرهم لماذا كل هذا الانتظار وبعد كل هذه السنوات ؟! وما الذي ذكرهم ببلادهم بعد العقود التي ذهبت ؟!

وذهب وفد من السادة إلى بلاد الملك دوان الذي قدم الحماية للملك رياض ، فوجدوه قد مات واعتلى عرشه ولده سعيد، فلما استقبل الوفد قال لهم : أهلا وسهلا بكم في بلاد الطير .. وحكايتكم حكاية قديمة .. لا دخل لنا فيها .

وعاد الوفد لبلاد الملك جاد بن الملك الحصان حاكم مدينة سلمي يطلبون مساعدته ضد الملك رياض .

فقال الملك جاد : هذه حكاية قديمة .. مضت عشرات السنين عليها ، وأختنا لها عقود ميتة وقد قتل عدد من فرساننا في معارككم مع ملك بلاد

القنفذ .

فعاد الوفد بخفي حنين للملك رضوان الذي كان قد أمر الجند بالاستعداد للدفاع عن بلادهم وأدرك التململ والفتور بين القبائل .. وكذلك بروز الطامعين من أبناء القبائل من جديد فقدم لأخيه الأكبر المال للعودة للسكون في منفاه ، ولما أبى إلا العودة لبلاده ..فوافق على العودة للبلاد مقابل الهدوء ..فجاءته رسالة تهديد ووعيد ويعيب عليه الاعتراف بابن الزنا من زوجه صيد فغضب الملك للرسالة ومزقها قبل أن يقرأها أحد غيره ..واستعد للمعركة القادمة .

وكان ذلك الملك الشيخ قد تحالف مع ملك قريب للملك سعيد بن دوان تقع مدينة ملكة بين بلاد الماعز وبلاد الطير ..فلما انتشرت عودة الملك رضوان لزوجته الأميرة صيد كما روينا ذلك سابقا ..أرسل الملك الشاب لمدينة غراب .. يخبر الملك الشيخ أن أخاه تصالح مع زوجه صيد ونفى عنها الفاحشة وجعلها ملكة .. وأنه لم يفكر في أخيه وأبناء أخيه ليعيدهم لبلادهم كما أعاد زوجه وولديه يزيد وزياد .

ولما استوعب الشيخ الوشاية ومصالحة أخيه من أبيه من زوجته التي طردت ذليلة من بلاد الماعز وأن أولادها على وشك أن يعتلوا عرش أبيه شامخ .. تظاهر بالغضب والأسف، وكذلك حثه بعض أبنائه وأحفاده بالعودة والمطالبة بالعرش والحكم ، وأنهم أولى من أبناء الملك في الملك والسلطان ، وأن أمهم متهمة بالفاحشة واعتبروا ذلك خيانة لأبيهم شامخ .

ووجد هذا الفعل تشجيعا من ملك البلاد الغراب ، وأنه على أتم الاستعداد للتعاون معه لاسترداد ملكه مقابل نصف ملكه إذا ظفروا بالحكم ، وكان ذاك الشاب محبا للمغامرات والتحرش في المدن باحثا عن الشهرة والعلو بين الممالك .. والظهور على أبناء أقربائه حكام بلاد الطير .

وبعد ضغط من أبنائه وأحفاده ، وافق الشيخ على المسير لبلاد الماعز طالبا استرداد عرشه وعرش ابنه المقتول .. ولما رفض رضوان التنازل عن العرش كما أسلفنا لكم تحرك الملك رياض والملك صخر بجيش يزيد عن الخمس آلاف فارس ومحارب .. واقترب الزحف لبلاد الماعز خلال شهر .

وقامت المفاوضات للصلح بين الأخوة من جديد .. وأثناء هذه المفاوضات التحق عدد لا بأس به من جيش الملك رضوان بالجيش الزاحف بعدما تم تقديم الإغراءات لهم ، وأيضا لمعرفتهم بضعف جيش بلادهم ، فهم منذ موت الملك شامخ وصراع الإخوة قائم فيما بينهم ، والاحتماء بالغريب دأبهم .

ودارت المعركة بعض نهار واحد ، ثم رفع قادة

الجيش في بلاد الماعز الرايات البيضاء ، وطلب الملك رياض من أخيه التسليم والإقرار بعودة الملك لأهله ، فرفض الملك التنازل عن عرشه، وغادر البلاد طالبا المنفى، واتجه بأسرته نحو بلاد القمحة ، التي فوجئت بوصول الملك رضوان والملكة صيد التي احتفلوا بتتويجها منذ أشهر.. فقدم لهم الملك الشيخ عدنان القصور اللائقة بمقامهم ومواسيا لهم بسقوط عرشهم .

بعد تلك الهزيمة المدوية حاول الملك رضوان الاستفادة من جيش بلاد القمحة ومساعدتهم باسترداد الملك ، ولكنهم اعتذروا له عن الدخول في صراعات بينه وبين إخوته، وحاول أن يوظف استعادته لزوجه بأنه سبب هذا الصراع، وتحدث عن مضمون رسالة أخيه إليه قبل الحرب التي فيها حجة لطلب العرش من جديد وهي عودته لزوجته المتهمة وتنصيبها ملكة فقال الملك عدنان بحزم : نحن لا ناقة لنا في هذه الحرب .. ومهما كان السبب وراء هذه الحرب فجيشنا لا يستطيع القتال إلا في حماية حدود البلاد ..وأهلا بكم ضيوفا مدى الحياة .

وامتعض الملك رضوان من هذه الصراحة ولم يعجبه الجواب الصريح ، فلزم الصمت على مضض، وبعد حين اتصل بأخيه طالبا العودة للبلاد، وأنه مستعد للتنازل عن العرش، وأنه لا مطمع له بالتاج والحكم.. ولما وثق الأمر .. أخبر الملك الملك عدنان بصلحه مع أخيه، وأنه قرر العودة ليموت في بلاده وبين أهله ورعاياه ..وأمر أعوانه وأولاده بالعودة للبلاد .. وبارك ملك بلاد القمحة هذه الخطوة الجريئة .. وأثناء الوداع ادعى أن أخاه شرط وطلب منه طلاق الملكة صيد ، وأظهر غضبه زاعما أنهم لو ساعدوه في تحرير بلاده من الغزاة لما اضطر لهذا الفعل ولكن جبنهم منعهم من الوقوف معه ، وأن ابنهم خالدا كان مهيئا ليكون ملكا بعده.

وأمام هذا المشهد الجارح أعلن الأمير زياد رغبته في البقاء في بلاد أخواله ، وفعل يزيد مثله ، فأظهر رضوان عدم اكتراثه بتمردهم ، وظن أنهم سيتبعونه بعد أيام ، ولكنه وصل البلاد التي غادرها قبل حين ولم يصحبه من أبناء الأميرة صيد سوى الأمير خالد فقط ، وكانت المفاجأة بعد رحيل زوجها رضوان أن اكتشفت الأميرة صيد أنها حامل منه ، فأنجبت فتاة في بلاد الأخوال وسمتها أسماء .. وهكذا ترك الملك المخلوع رضوان ابنته تربى من جديد في بلاد الغربة

****

حرم على الملك المخلوع رضوان الخروج من المدينة إلا بإذن من أخيه الأكبر ، وكذلك ولده خالد ، وأحيطت قصورهما بالجند الخاص من قبل الملك ،

فمنعوا من السفر والصيد إلا بسماح الحاكم عن ذلك ، أي حبسوا في منازلهم .
ولما وصل المدينة نبأ ولادة أم خالد لابنتها أسماء فكر خالد بالرحيل لزيارة أمه فرفضوا طلبه .
وبعد حين أدرك الناس في المدينة بأنهم محتلون من قبل نائب الملك صخر الأمير مجد.. وأيقنوا أنهم أصبحوا عبيدا لمملكة الغراب ..وأموالهم تذهب لتلك المملكة .. وأن ملكهم ألعوبة بيد نائب الملك مجد ..فتأمر مجموعة من أبناء القبائل واغتالوا الملك الشيخ رياض .. واعتلى العرش مكانه ولده فراس الذي قام بمجزرة رهيبة في القبائل انتقاما لمصرع لأبيه بمساعدة جنود الملك صخر ، وهو صديق له في بلاد المنفى.. وفراس عرف بشراسته وحقده على مدينته.. فأساء لأهل البلاد رغم أنهم عشيرته وأقاربه.. وحدثت ثورات ونزاعات حادة داخل البلاد بسبب مجزرته في حق بعض القبائل.. حتى أن ثورته كادت تصل لعمه الشيخ رضوان .. ثم تراجع عن ذلك الدم ..
وقدم الملك صخر بنفسه للبلاد لتثبيت الملك فراس وشد أزره ..وأخذ عددا من الرهائن من سادات الأمراء والقبائل، وساق الأموال والأنعام ومهددا القوم وأهل المدينة بضمها لملكه للأبد ..إلى مملكته التي تكبر يوما بعد يوم .. فهدأت البلاد بعد مقتل الملك الشيخ رياض وبعد العنف الذي غمر القبائل.. وهدأت الثورات قليلا.. ولكن أبناء القبائل الذين تمكنوا من الهرب أصروا على معادة الملك فراس .. وظلوا يتصلون بالناس ويحثونهم على الثورة والتمرد ورفض الذل والهوان .. وحاولوا إقناع الأمير خالد بمؤازرتهم .. ومشى بعضهم لبلاد القنفذ وطلبوا مساعدته في تحريرهم من الملك صخر .. فاجتمع الملك البحر ببعض زعمائهم .. وأسف لم حل برضوان وولده خالد من الهوان والحبس ثم قال لهم بعدما أظهر تعاطفه معهم وحزنه لحالهم : ماذا نستفيد من بلادكم ؟!
عرضوا دفع المال له لمدة عشرة سنين ، فأجابهم : لقد خبرت بلادكم أنها كثيرة التقلب.. ولكني راغب في مساعدتكم ..إذا قدمتم لنا كل عام عشرة آلاف قطعة ذهبية ..وأشرط موافقة الأمير خالد على هذا الشرط ، وأيضا سيكون هو الملك عليكم ..وسأفعل ذلك إذا رضي للصداقة التي كانت بيننا قديما أيام الصغر .. والمال الذي عرضتموه علينا هو ثمن للحرب وللجنود الذين سيبقون في بلادكم للمحافظة على السلم ، ومنع الغزاة من المسير إليكم.. شاوروا شيوخكم والأمير خالدا ، ثم عودوا إلينا بكتاب من الأمير راضيا بما تفاوضنا عليه .
وللجروح والنكبات التي أصابتهم من فراس وصخر ومجد رأوا شروط الملك ريح أخف وطأة

من احتلال صخر لمدينتهم .
ولما علم الأمير خالد بموافقة الملك البحر على التعاون معهم للقضاء على فراس الوحش كما يسميه أهل المدينة لوحشيته معهم بعد مقتل أبيه وإسرافه في الانتقام دون التروي فيمن له يد في مصرع أبيه ، وافق الأمير على المؤامرة .
ولما جاءوه برضا الأمير على شروطه قال لهم :اعلموا أيها السادة أنه إذا حدثت فتن بعد تمكين الأمير خالد في الحكم ببلاد الماعز سأقوم بضم بلادكم لمملكتنا رغم أنوفكم ..فنحن سنسعى لاستقرار البلاد .
وبعد تشاور الوفد من جديد سلموا للملك البحر بهذا الشرط ، وتعهد الوفد على الوفاء بتعهداتهم للملك البحر ، وأنهم ينشدون السلام والاستقرار في مدينتهم كما كانت في عهد الملك رضوان وشامخ من قبله .
أعلن النفير في بلاد القنفذ ، وأعد الملك البحر جيشا يتكون من ثلاثة آلاف فارس للزحف في الحملة الأولى ، ولسوف يتبعهم جيش آخر مقداره ألفان من الفرسان .
ولما وصل الفرسان قرب بلاد الماعز كتب الملك البحر رسالة للملك فراس، وأعلمه فيها بأنه يغزو بلاده رغبة عن طلب الأهالي من قومه ، ويحثه على الاستسلام وخلع نفسه ، وأنه يتعهد له بحفظ حياته وحياة من شاء من أسرته وأبنائه أو يخرج إلى حيث كان منفيا مع أبيه .
كان الملك فراس يعرف كره الناس له ولأسرته منذ طردهم من البلاد على يد الملك الحصان .. وأن الجند الذي يحيط به لا يصلح للقتال ..وليس له إلا الاعتماد على جنود الملك صخر والذين يقودهم الأمير مجد ..فتشاور مع مجد الذي رغبه بالدفاع ريثما تصل النجدة من الملك الغراب .
فطلب من أكبر أبنائه الخروج لقتال الملك الغازي ، وهو خرج هاربا نحو صاحبه صخر ، فهو يعلم لو قبض عليه أبناء القبائل التي سحقها سيشربون من دمه ويمثلون بجثته كما فعل بأبنائهم ليقذف في قلوبهم الرعب .
ولما التقى به الملك صخر قال : لقد ندمت على تحريض أبيك على الطلب بملك سكت عنه عشرين سنة .. إنكم مكروهون من الأهالي وهواهم مع غيركم .. ولكني سأصر على القتال معكم والدفاع عنكم .
وجاءت الملك صخر رسالة خطيرة من الملك البحر يطلب منه سحب جنوده من بلاد الماعز ، وإذا قاتلوا مع جيش بلاد الماعز سيحتل مدينتهم ويدمرها .
فاغتاظ الملك لهذا التهديد ، وكان قد أعلم قادة جيشه بالاستعداد للعودة لبلاد الماعز والدفاع عن

نصف ملكهم لها فقال للرسول : اخبر مولاك بأننا قادمون للقائهم ودحرهم والقضاء عليهم .
وبينما الجيش يزحف متجها لبلاد الماعز التقوا بالطريق ببقايا جندهم وأنصار الملك فراس الذين أعلموهم أن البلاد أصبحت تحت سيطرة جيش الملك البحر.. وقد نصبوا ابن الملك رضوان ملكا على البلاد .. فهو صديق للملك البحر في طفولته توقف الملك عن متابعة الزحف، ورأى أن مؤازرة الملك فراس معركة خاسرة ، فهذه بلاد تمزقها القبائل وتتقاسم سيادتها ومن الصعب تغيير التقاليد والعادات التي درجوا عليها من مئات السنين .. ولكن كبرياءه وهيبته أمام جيشه والمدن التي تغلب عليها وضمها لملكه تؤرقه لم تسمح له بالتراجع فأمر بمتابعة الزحف قائلا : لا تحلو الحياة إلا بالمعارك والمغامرات .

الحرب

واصطدم الجيشان على أطراف بلاد الماعز من جهة بلاد الغراب، ودارت رحى معركة قوية لا ينساها من خاض غمارها ، وبعد أيام من القتال المستمر أخذت جنود الملك صخر بالتقهقر والرجوع لبلادها.. يتحركون في الليل نحو مدينتهم.. وفي النهار تتبعهم جنود وكتائب الملك البحر.. وظلت الجيوش تزحف وتطارد حتى دخلت مدينة الملك صخر ..واحتلت قصر الملك صخر نفسه ، وصادرت الكثير من الأموال والخيرات من إبل وأنعام وسلاح .. وخلال هذه المصادرة أرسل الملك البحر الرسول الذي أرسله من قبل للملك صخر يطلب من التسليم والخضوع ، ويأتي طالبا العفو من الملك البحر.. فرفض الملك صخر العرض، وأخذ يلملم فلوله وأنصاره في إحدى القرى ، ويستعد لجولة جديدة من القتال حتى الموت .. فرخص الملك لرجاله لما جاءه الرفض بسبي نساء وبنات الأمراء واتخاذهن جواري وزوجات واتخذ الملك نفسه أم الملك صخر الأرملة زوجة له ، وجرى الاحتفال بزواج الملك البحر في قلب مدينة الغراب ، ولما علم الملك صخر بهذا الزواج حنق على نفسه وعلى أمه ، وتمنى قتلها بنفسه .
وقال لرجاله وكله غضب : لن أخضع له ولو تزوج حتى بناتي .
وهمس بعض أعوانه في أذنه أن يستغل زواج أمه للغدر بالملك البحر .. ويعلن الاستسلام ويتظاهر به، وأخذ يفكر هو وأعوانه بحيلة لتحقيق ذلك الهدف ..
وأتته رسالة من الملك البحر يخبره بزواجه من والدته دون إكراه، ويحثه على الخضوع والعودة ليبقى ملكا على مدينته .
وقد قام عدد كثير من الجند والقادة بالزواج من

أميرات المدينة سواء المترملات أو العزباوات وقد أدرك الملك البحر أن عند الملك صخر قسوة وكبر وعناد .. فقرر الانسحاب من بلاد الغراب بعد أن أصبحت خرابا ، وعاد لبلاد الماعز التي أقام عليها صديقه خالدا ملكا وقد بايعه الناس .

وأما الملك صخر فعاد لبلاده باكيا حزينا لما أصابها من دمار وحرائق ، وتذكر ما كان يفعله في
المدن التي كانت تجتاحها جيوشه عندما تنتصر على مدينة أو جيش .. فبعد بكاء تعهد أمام رجاله على الاستمرار في القتال وقتل الملك البحر رغم تزوجه أمه ، ولن يثنيه هذا الزواج عن عداوته واغتياله ..وأخذ يرمم ما دمر من القصور والأملاك .. ولما بدأت الكارثة تخف على نفسه دعا خادما خاصا اسمه سمر ، وكلفه بالسعي على اغتيال الملك البحر .. فوافق الخادم على ذلك الطلب وسعى إلى رفيقين له وغادروا بلادهم .. وهذا الخادم مشهور بالقسوة والشجاعة وسيف سيده ، وكان مكلفا بالمهمات الخطيرة والخفية .

دخل سمر العبد الشجاع ورفيقاه بلاد الماعز .. وعلم أن الملك البحر اتخذ قصرا من القصور التي هجرها أصحابها إما بموت أو هرب ..وعلم أن مكثه هنا لحين من الزمن حتى تستقر الأوضاع في البلاد ..

وعلم أن الوفود والأعيان ما زالوا يتوافدون عليه للتهنئة بالانتصارات والتبريك بالزواج من أم ملك بلاد الغراب .. وأنه الآن الملك الحقيقي في البلاد ..وأنه طلب من قادته تأسيس جيش جديد من الفتيان والشباب الصغار ..

ورأى تزلف الأمراء والسادات له بالهدايا والهبات ، فلم عرف هذه الأشياء أخذ سمر ورفيقاه بالبحث عن حيلة ماكرة يغتالان بها هذا الحاكم القوي .

ووقع في نفسه الاتصال بالملكة الأم " ربى " أم الملك صخر ..ولكنه خشي أن تفضل زوجها الجديد على ولدها وتفضح أمره .

وذات يوم وهو يراقب القصر لمح خادما يعرفه من خدم الملكة الأم خارجا من القصر فسر من ذلك الاكتشاف وقال : لابد من الاتصال بهذا الخادم ..أنا كنت أعرف الكثير من خدم الملكة وهذا أحدهم .

فتبعه في رحلته ، وفي مكان بعيد عن القصر اعترضه مدعيا أنه التقى به فجأة قائلا : ويك !.. ماذا تفعل هنا ؟ ألست من خدم الملكة الأم ربى ؟!

ـ أجل ، وألست من خدم مولانا الملك صخر ؟!

ـ بلى ..ولكني هنا لقتل زوج سيدتك الملك البحر

انتفض الخادم وقال مرتعبا: ويحك أتخسر حياتك من أجل ماذا ؟!

ـ أريد مساعدتك ؟

ـ لتصبح مولاتي أرملة مرة أخرى .

ـ أسعيدة مولاتك بزوجها البحر ؟

ـ إنه ملك شريف وقوي .. ولو صرعته أتظن أنك تنجو بفعلتك؟! إن رجاله مخلصون محبون له .. وهو لم يعتد على بلادنا إلا لاعتداء ملكنا على هذه المدينة .. والملك خالد صديقه .. وهو ملك ليس من سلالة ملكية .. ابن رجل مثلنا ..

قطع سمر على خادم الملكة استرساله في مدح الملك البحر وقال : المهم أريد مساعدتك في الانتقام ..فقد قتل أولادي وزوجتي ..أريد أن أنتقم لنفسي .

فكأن الخادم تفاجأ بمأساة سمر فهتف: أمات أهلك؟ رحمهم الله ..ولكن يا صاحبي قتل الملك في أجناده ليس بالأمر المتيسر أيها الصديق .. ومن يضمن لي روحي ؟

ـ ومن يضمن لك حياتك بعد أن كشفت لك سري وغايتي من الوجود هنا ؟

ـ أعاهدك على الصمت وألا أتحدث لأحد .

ـ قتلك هو الضمان الحق لقتل سيدك الجديد ..فصمتك الأبدي نجاحي .

ـ سيعرفون قاتلي خلال ساعات .. للملك البحر رجال أمن أشداء وأذكياء .. وهم يعرفون أن الملك صخرا غاضب وناقم عليهم .. وهم على علم بأنه أرسل جماعة لقتله .. ولم أكن أعلم أنك أحدهم .

ـ إنك تكذب لتنجو من بطشي .

ـ اقتلني ولسوف ترى .

ـ أنا لا أريد قتلك أيها الأحمق .. أريد مساعدتك وتعاونك معي ..ولسوف تستفيد .

ـ قلت لك إن الملكة أخبرتني أن ابنها أرسل جماعة لقتل زوجها .. أقسم لك على ما نطقت به إذا كنت أحد الجماعة فانج بروحك .. الملك البحر يعلم بذلك وقال لها : إذا جاء القدر ذهب الحذر يا أم الملك صخر .. هو ما زال يناديها بأم صخر .

قال سمر بغيظ : لا وفاء عندهن .. لقد نسيت الملك والد ابنها وبناتها .

ـ لم تنسه يا أخي .. وهذا ملك طلبها وتزوجها ..وبعض بناتها تزوجن من أمراء بلاد القنفذ ورحلن إلى هناك .

ـ ألا تريد التعاون معي لأشفي غليلي ممن أهلك أولادي وامرأتي؟

ـ يا أخي كيف سأساعدك؟

ـ أن توصلني حجرة الملك .

ضحك الخادم وقال متهكما: وهل يسمح لي بالوصول لحجرة الملك؟!..أنا الملكة لا أدخل حجرتها، وهي ملكتي منذ عشرات السنين.. اقتلني اليوم قبل أن أقتل غدا ..هذا صعب فرجال الملك يحرسونه ، ولا يسمحون لشخص مجهول

بالدخول إلى مخدعه ولو كان وزيرا يا هذا .
ـ ألا طريقة ألا حيلة عندك؟
ـ نحن لنا معهم بضعة أشهر ..هات طريقة من عندك ..وإذا ساعدتك وانكشف أمرك إياك أن تذكرني بشيء .. عدني بذلك .
ـ الآن عدت لأصلك وجنسك.. أعدك إذا قبض عليّ ألا أتحدث عنك بشيء .. واعلم أنك إذا وشيت بي أن الرجال الذين يساعدونني في انتقامي سيقضون عليك .. وسوف أخبرهم عندما ألتقي بهم بعد ساعة من الزمن .. سوف ألقاك بسوق النحاس بعد يومين .
اختفى الخادم وكذلك سمر، وبعد يومين سعى خادم الملكة لسوق النحاس للقاء الرجل فاقترب منه وحياه، فأشار له أن يتبعه .. فسار خلفه على بعد عشرين خطوة .. حتى خرجا من المدينة إلى القرى والصحراء ، ولما صارا في الخلاء وبين الجبال قال سمر للخادم : إذا نجحنا في
قتل عدونا البحر، ونجونا يا سعد سيكون لك عند الملك صخر مقام كبير .. تسعد به أنت وذريتك للأبد .
ـ أنا خادمك المطيع .. ولن أنسى أفضال الملك الوالد ولا ولده الملك صخر .
ـ والآن كيف يمكنك مساعدتنا ؟
ـ قلت لك أنا لست بصاحب حيله مثلك ..أنا أخبر بأمر فأنفذه .. واعلموا أن الملك قد يرحل قريبا إلى بلاده .. وقتله هنا بالتأكيد أسهل من بلاده حيث الفرسان والحرس .
ـ معك حق ..ولم يهن عليك ما فعل بي اللعين .. ولا بأهل مدينتك ..وأنت الآن زدت ثقتي بك وخشيت أنك حضرت وخلفك عيون الملك؛ فلذلك أبعدت بك النجعة ..وأقسم لك إننا إذا فزنا ستكون من المقربين ومن حاشية الملك صخر .. وستدع العبودية والهوان وتصبح حر نفسك ..حدثني عن تحركات الملك ، ومتى يدخل جناح الزوجات والحريم .. وهل معه حليلة غير أم صخر ؟
ـ نعم .. معه الأميرة شام ابنة سيده هزيم الرعد الملك الذي ولاه من بعده.
ـ أخبرني متى ينامون ؟.. متى يأكلون ؟.. كيف هي حياتهم داخل القصر ؟ وكيف يمكنني الدخول يا سعد ؟
ـ اعلم أن كل رجاله من بلاد القنفذ .. ولا يوجد في قصر الملكة الأم من بلادنا سواي وثلاث جاريات رافقن الملكة أثناء رحلينا لبلاد الماعز .. ولكن هناك حفلة ستقام للتشهير بالملك خالد ملكا على البلاد والعباد .. قد تجدون في هذا الاحتفال الكبير ثغرة وفرصة .
ـ وهل سيكون البحر في الحفل ؟

ـ الأكيد نعم ..فالملك خالد كان صديقا للملك البحر في طفولته ..وروى له شيئا من قصة خالد وريح البحر .

ـ هذا البحر لم يكن ملكا بالوراثة كما أشرت إلى ذلك في المرة السابقة .

ـ نعم ، هو الذي صنع مملكة بلاد القنفذ .. وصار ملكا عظيما تلجأ إليه الملوك للمساعدة في تثبيت حكمهم وملكهم .

ـ حسنا يا سعد .. فلنرجع للمدينة الآن .. وليكن لنا لقاء في سوق النحاس بعد يومين للتشاور وتبادل الأخبار والأنباء .



روايات اجتماعية

الحفل بالقط الأسود

الحلقة ٥ والاخيرة

الندم

كانت تشعر بالندم عن تخليها عن جومار الذي جاءها هاربا من القضاء الهندي ؛ ليتزوج منها ويكمل حياته بقربها بعد طلاقها ؛ وليتمكن من أخذ الجنسية الغربية بعد زمن بزواجه من غربية وينجو من الحبس بجريمة لم يفعلها ، فوجدها بين يدي طالب الجامعة وترفض الزواج ، فاتصلت بالمحامي الهندي الموكل بمتابعة قضية جومار فطمأنها على صحته وحاله ، وهو يستغرب اهتمام هذه السيدة الغنية بمتهم بقتل زوجته وابنه ، ما هو إلا رجل عمل خادما للقصر كما علم منه كان رئيسا للخدم فقال : غريبة هذه الأنثى ! لماذا تهتم بشخص مسجون ؟

وهي تقول : لو لم يظهر جاك في حياتي ؛ لربما كنت تزوجته وعاش هنا ، لقد عشقته فعلا ولو أنه خادم حقير على رأي نذير .. إنه مخلص وشجاع قبل معاشرتي بوجود زوجي الجنتلمان ، وكان يفعل ما أريده والاهم أن قبل لي أن أكون أما وألد منه رغم الرعب الذي حل به عندما علم بحملي.. كيف عرف اللعين بابني؟! كان عليّ أن أعيش بعيدا عنه ، أيعقل أن نذيرا لا علاقة باختفائه؟ لا يمكن أن اصدق أن نذيرا بعيد عن الجريمة .. هل قتل واختفت جثته ؟ كيف عرف أنه ابني وسكنه ؟ هل للخادمة أو المربية شأن ؟ هنّ لا يعرفن نذيرا ، ولا يعلمن عن حياتي شيئا في قصر زريق .. إنهن يعتقدن أني اعمل في برلين .. هل حدث اتصال مع القصر ورد نذير وانكشف السر ؟ هل كان يتجسس عليّ عندما أسافر؟ هل هو الذي كان يظهر لي أثناء موته المزيف؟ من هم جواسيسه في القصر؟ ولماذا هو يكره الإنجاب؟

وللجواب على هذا السؤال نعود للسيد نذير القابع

في كوبا قال يوما لاحد الأصدقاء : سأكشف لك سرا ـ لما سأله عن سبب الخوف من الخلفة ـ أرجو ألا تتحدث به إلا بعد موتي ووعده الصديق بذلك ، فقال: عندما كنت طفلا عرفت أن أمي زانية وبرضا أبي فكرهت النساء ، نفسي لم تتقبل فجورها ، وأمارس الزنا ؛ كأنني انتقم من أمي ونساء العالم ، فصار الزنا أمرا طبيعيا في المدرسة في الجامعة كلما يتاح افعله.. امرأة متزوجة أرملة مطلقة بكر ثيب انتقم لنفسي ، وتشترى المرأة بهدية بسيطة وبإشارة عفوية تتهافت النساء عليك من اجل المال سافرت للبرازيل شابا وحصلت على ثروة كبيرة .. كنت اذهب لوس أنجلوس للقاء فاتنة ظهرت صورتها في الأفلام أو في مجلة.. هل أنا ابن أبي ما دامت أمي خائنة وتهب نفسها لمن هب ودب ؟ ولما انتشر اختبار دي ان ايه واستخدامه في التحقيقات الجنائية، وقدرته على تحديد الأب البيولوجي سيطرت عليّ الفكرة ، ولو عرفت أن من هو أبي ليس أبي من سيكون أبي عشرات عاشروا أمي.. التقيت بطبيب جنائي فقال : الأمر بسيط اذا أحببت ذلك .. وقت يسير تعرف النتيجة .. اليوم النتائج اكثر دقة عينة دم أو لعاب منك وأخرى من أبيك أو احد فعلا ابن أبيك أو أخت أو جد والمقارنة بين الجينات ، وحصلت على عينة شعر من أبي وتم الفحص وتبين أن الرجل ليس أبي الحقيقي .. أنا ابن من ؟ فمن الصعب الوصول إليه؛ فأنا احمل جينات أب مجهول الأب .. فأمي لا تعرفه ؛ لذلك كرهت أن يكون أطفال لي .. فأنا لست ابن هذا الرجل حقا.. الأولاد إخواني من أمي فقط .. وهل نحن من نفس الرجل الذي أنجبتني منه أم نحن من عدة رجال؟ .. المهم الأم ؛ فلذلك اكرهها بشدة ، كان على أبي لما أصابه العجز الجنسي بتطليقها .. نحن مأساة حرمت على نفسي الإنجاب.. فصرت أنا الذي يأخذ مانع الحمل يا طارق .. مرة فتاة حبلت وزعمت أنها حملت مني ، فضحكت وقلت أنا لا أنجب يا جميلة وأتعاطى إبر منع الحمل القاتلة للحيوان المنوي .. ابحثي عن عشيق آخر .. فهذا سر تحريم الذرية على نفسي حتى لا يحمل احد اسم العائلة، وهو ليس من العائلة .. جريمة أن تحمل المرأة طفلا ليس من زوجها الشرعي ؛ لذلك كتبت كل الأموال في البرازيل وألمانيا لمؤسسات ونوادي وجمعيات ومؤسسات طبية ومعامل أبحاث وجامعات وكتبت أموال البلد لسلوفانا ؛ لكنها لما خانتني غيرت الأمر.

هذا هو سر كره نذير للأطفال ، فهو ابن وضحية الإباحية والانحراف اللذين يجتاحان العالم شرقه وغربه بعد الحرب الثانية ؛ حيث هلك ملايين الرجال ، وانتشار عمل النسوان في المصانع

والمكاتب بثياب العري وشيوع الاغتصاب إلى مستو عال .

اكتشف نذير مؤخرا المؤامرة على حياته من قبل الزوجة والعشقين ، لاحظ في السنوات الأخيرة أن الأدوية التي يستخدمها للتخفيف من آلام الكبد تزيده ضررا في بعض الأيام فينسب ذلك للخمر التي يكثر من شربها ، ولما يكون في سفر يتحسن الوضع ، فدفع الدواء وهو في أمريكا لأحد المختبرات بناء على نصيحة طبية ، فوجدوا حبة غير مناسبة لجسمه وسقمه، فهل هي من المصنع ؟ فأكد له المختبر والطبيب ما دامت حبة واحدة ، فهي مدسوسة لأن الجرعات اذا لم تكن مناسبة للجسم تضاعف المرض ؛ فلذلك يقوم الأطباء بإعطاء المرضى الجرعات المناسبة ثم تزاد الكمية تدريجيا أو ينقل لدواء أقوى .. من يعبث بالدواء؟ الدكتور لوقان يكرهه وزوجته، فلابد أن الطبيب يوفر الأقراص الضارة وجومار يضيفها للعلبة، لم يستطع الوصول لكيفية وضع الدواء في العلبة، فكتم الأمر خاصة لما اكتشف عشقها للخادم ادرك أنه متآمر معهم ، وأما الأقراص الممغنطة فهم في المصانع يراقبون العمال من خلال الكاميرات في غرفة الإدارة ، وهذ اليوم معمول به في البنك في الشركة المصنع، فطلب من احد المهندسين الذي بينهم علاقة قوية بأن يضع له كاميرات في غرفة نوم زوجته؛ ليعرف من هو عشيقها ، فاشترى كاميرات صغيرة التي تستعمل وتستخدم في التجسس ولدى أجهزة المخابرات ، ولما توفرت الكاميرات فأثناء غيابها عن القصر وضعت كاميرات سرية بدون أسلاك ، فزرع المهندس خمسة في كل جهة واحدة والسقف ، وبعد فترة حضر المهندس بعملية تمويه وأخرجها إلى شقة من شقق السيد ، وحولت الصور إلى جهاز خاص ثم أصبحت فلما أرسل منه نسخة للدكتور لوقان ، فأدرك أنه مكشوف لنذير فترك زيارة غرفة العشيقة واقتصر على العلاج وتزوج؛ ليؤكد لنذير أنه ابتعد عن امرأته ، وأعاد نذير الكرة وفعلا لم يعد الدكتور يتسلل لغرفة النوم ، ثم بعد حين ربما سنة أو اقل وجد أنها تزني مع جومار فاحتار نذير من سقوطها المريع ، ودعاها للبغاء مع الأطباء فتظاهرت بالشرف والعفة هكذا كانت تصور الأفلام ، ولم تكن الأفلام بصوت ، فيديو بدون صوت ، ووضعها في خزانته الخاصة في البنك وذات مرة كان يجلس في مكتب سلوفانا في القصر وذهبت السيدة لمكتب ديانا لحاجة ورن هاتف سلوفانا الخاص ففتح الخط فسمع امرأة تقول: سيدتي الطفل مريض فسكت وسمعها تسأل سننقله للمستشفى واغلق الخط ، وما دخلها في الطفل أي طفل ؟ وهل لها طفل ؟ هل تبنت طفلا

دون مشورة ؟ علم أن الرقم من أوروبا عليه مفتاح سويسرا الدولي ترك المكتب وذهب لمكتبه يفكر واهتم بالموضوع وما اكثر المواضيع ؟ سافرت بزعم ما فتابعها ورآها تدخل المستشفى ذهب متنكرا كما يفعل في الحفلات التنكرية ، دخل المستشفى لعمل فحص للكبد مرضه المعروف ، ورأى الطفل عرف الشقة عرف المحامي والمربية والخادمة السؤال ابنها أم تبنته !

هو لم يتضايق كثيرا من مغامراتها الشهوانية امرأة كغيرها من النساء تبحث عن اللذة والمتعة ما دام هو يوفرها لنفسه، هي ابنة أوروبا وإلا لماذا تتبرج النساء وتتابع الأزياء لإغراء الرجال ؟! واحتقر علاقتها بخادم حتى عجب فعلق لا تحسن الاختيار ، لم يعرف ممن ولدت ، فزوجته البرازيلية كان يعرف من أين أتت بالولد ؟جومار لم يسافر معها لأنه خاص به ليشك بأنه أبوه وفي أوروبا مسجل مجهول الأب ، عرف أن الولد هي حملت به ابن بطنها ، واعتقد أن جومار لا يعرف بالحمل والولادة ؛ إنما هو شريك الفراش بدلا عنه، ولما تأكد له أنهم يسعون إلى قتله بمضاعفة قوة المرض حتى يبدو موته طبيعيا ، وأنهم يدفعون إليه بأدوية لتقتله كما يقال بجرعة زائدة ، فرتب وصنع خدعة الموت والوصية لخداعها وخداع الشركاء ، فوافق على مرافقة لوقان معهم في رحلة العلاج ، ولم يكن يعلم أنهم خططوا لموته قبل دخول مركز العلاج ، كان يتعاطى المخدر ؛ وليس مدمنا ، تعلق بها أثناء عمله وحياته في البرازيل بين وقت وآخر ، يستعملها مع الدخان ، خطط للانتقام ، وكانت سلوفانا تستغل الحفلات لوضع حبة مضرة في كأس نذير خلال الرقص، حدثت مسرحية مالطا بتحويل عمارة وساحتها لمستشفى لتصوير الفلم ، وعادوا بالتابوت وانتظار السنوات الست ، وغادر نذير لكوبا للعلاج من اثر الكحول والمخدرات ، واغلق المستشفى وزعموا أن التصوير سينقل لمكان آخر وبعد سنوات ثلاثة بدأ الانتقام بترتيب سفر جومار للهند ، وتم الحرق لشقته ، ولكنه نجا وتعرض للاشتباه مع أن القصد كان القتل بحريق ، وكان الفاعل مستأجرا في العمارة قبل عودة جومار بشهور ولما تم ترحيل الطفل مايكل إلى أمريكا اللاتينية بخطة ماكرة طلب من المهندس الصديق بوضع القرص في حاسوب غرفة النوم ، وكان في البلاد بجواز سفر برازيلي ، ثم دفعها للهرب إلى أوروبا وجومار للهند ، وسر من حبسه فيما بعد وأسف لموت أليشا زوجته ، وطلقها ودفع لها للإيهام بأنه بريء من خطف الطفل ، ومن سعيه في قتل جومار ، وكان يفكر بقتل الطبيب الذي كان يوفر الأدوية السامة لقتله ببطء في الوقت المناسب ، كانوا مصدومين من عودته للحياة وأن

مكرهم كان مكشوفا له وكل ينتظر العقاب.
قضى سنوات ثلاث يخطط للانتقام وزار أوروبا ورأى السيدة أو تعمد الظهور أمامها ثلاث مرات ، وكان لنذير قصر صغير في تشيلي ؛ حيث كان شريكا في ثلاثة مصانع في ذلك البلد ولما يزور البرازيل وتشيلي ينزل فيه ، وزار بومباي لترتيب قتل جومار العين بالعين ، ورأينا كيف رتب لحرقه في شقته ، ولم تنجح الخطة وأرضى غروره حبسه ، رتب لخطف مايكل كما رأينا ، وقامت المرأة الكولومبية بعملية التمويه نقل لفرنسا ثم الجنوب الفرنسي ، وكان الهدف هو مقابلة والده الذي أخفته عنه أمه خشية أن يعيش معه ، ومن فرنسا إلى مالطا وأمريكا ثم قصر تشيلي ، وأخبر أن أمه ماتت في تحطم طائرة ، وأنه هو والده الحقيقي ، ذهبت به إلى أوروبا حيث ولدته لتبعده عنه ، وأخفته عنه ، وادخله في مدرسة داخلية وعين له خادمة ومربية . واستسلم الصبي لهذه الحقائق لكثرة غياب أمه وعيشه مع المربية والخادمة ، وتزوره أمه بين فترة وأخرى، وزعمت أن والده مجهول ، وأنه بحث عنه حتى وجده ؛ فلذلك بدا أنه غير مهتم ببعده عن أمه لأنها كانت هي بعيدة عنه منذ صغره ، تمر عليه بزيارات وتعيش معه بغموض مما دفعه لتصديق رواية نذير ، فكل وقته مع الخادمة والمربية ، واقتنع أن هذا المحسن والده المجهول الذي لم تعرفه به أمه ، كان يعجب من عدم معرفته لأبيه أمام التلاميذ ، ولما ماتت بحادث سقوط الطائرة استطاع أبوه بعمل هذه الحيلة ليعيش في قصر أبيه ، طاب له العيش في تلك المدينة والمدرسة الأمريكية الخاصة سانتياغو
ست سنوات مضت دون وجود نذير في موطنه حيث عاش طفولته وتعليمه المدرسي، اتصل بالدكتور علي، وطلب منه تجديد تأثيث القصر ، وتغيير الخدم الهنود ، وتغيير شركة الحراسة ولما يتجهز القصر بعد التجديدات والإدارة سيعود للبلد ، وأرسل إليه شيكا بثلاثة ملايين ، ولما انتهت التجديدات وإنهاء خدمات القدامى رجع نذير للمدينة ، واستقبله في المطار عدد من مدراء الشركات والمصانع ، وكان ظاهرا عليه الضعف والإنهاك رغم تركه الكحول والمخدرات وترك السوجار الكوبي ، واكتفى بالدخان الألماني حيث تعلق به عندما نزل ألمانيا للشراكة مع والد سلوفانا ، وترك قبل ذلك النساء وبدا للمستقبلين أنه ميت حقيقة وتعين طبيبان وممرضات في القصر.
استقبل الكثير من الضيوف ورجال المال والعمل ، وكشف لبعضهم سعي زوجته لقتله بالعبث بالأدوية ليتضاعف المرض ، والتظاهر بالموت ، نقل أمواله إلى حساباته في ألمانيا حتى اذا مات لا يرثه احد حيث توهب لمراكز علمية وطبية.

استقبل الرفاق القدامى كمنذر وماهر وعريف وغيرهم الذين أنهكتهم أمراض الجنس والخمر وتفاجأ بزيارة ريما وزوجها الشيخ وفرح بزيارتها واهدها سيارة لزوجها احدث طراز ، وسألها عن فريدة التي هاجرت لفرنسا عند أسرتها فقالت: اشتغلت في الدعارة حتى هلكت في باريس ودفنت هناك . فترحم عليها، وأمر بصرف مكافأة لكل عمال المصانع والشركات وأمر بتقديم مبنى مستشفى لوزارة الصحة وعددا من المدارس في أنحاء البلاد يكتب عليها نذير خاتم ، وممن جاء لزيارته مطلقته سلوفانا ، ورأته محطما ، فقال: لا تحزني عليّ يا سلوفانا ؛ لأنك ساهمت بتدميره .

قالت: اقسم

قال: لا تقسمي أنا أموت من سم عشيقك لوقان الذي مات قبل أن انتقم منه

قالت: اقسم

قال: لن اصدق قسمك

قالت: أنت وعدني بالمساعدة في لقاء ابني

قال: كنت سأكلف مكتب تحريات على نفقتي .. ابن من هو؟

قالت: لا ادري لما حملت به لم أفكر بأبيه .. المهم أن أكون أما .

قال: فعلت ما فعلت زوجتي الأولى داليا ، حملت من أخيها ، وأرادت أن أكون أباه .. يا للنساء !

قالت: غلبتني الأمومة

قال: ولماذا لم تجهضي وأنت زوجة ؟! اطلبي الطلاق .. خفت على الأموال .. هل ابن لوقان أم الخادم جومار؟

قالت: أتقسم أنك لا تعرف مقر مايكل ؟

قال: ابنك ! لا اعرف أن لك ابنا إلا منك.. من سيقول لي أن لزوجتك ابنا في أوروبا ؟ لو عرفت لطلقتك كما فعلت بداليا .. أنا صدمت لما عرفت أن الخادم يركبك وأنت ابنة الأرستقراطية .. خادم ..خجلت أن اطرده كما طرد رومو لم ركب فريدة بخاتم وزنا بها.. أهو أبو الطفل؟

قالت: لا ادري يا سيدي !كما كنت تعاشر الكثير كان الكثير يحلم بي.. احلف على جهلك لحياة ابني

قال: ولماذا احلف ؟ وأنا عرفت منك .. أنا في الأول ظننته طفلا متبنى من دار أيتام

قالت: ألم تقتله ؟

قال: اقتله!

قالت: ومن حرق زوجة جومار ؟

قال: مع السلامة يا سيدة انتهت الزيارة .. اقتل احرق من قتل لوقان ؟

قالت: أنت ! أنت عبثت بسيارته.

ضغط على الجرس ، فدخل الحارس الذي رافقها فقال: اطردها خارج القصر ،واستدعي لي الطبيب

الذي كان هنا في أول اللقاء
ودخل الطبيب والدكتور علي ، وتعجب من قصة حملها ، وخطف ابنها ، وعلم أن القصر كان غارقا بالإباحية ؛ ولكنها وهي تقف أمام البوابة وهي تشتم وتلعن القاتل نذيرا انتشر بين الحرس خبر لفظ السيد أنفاسه ، فتوقفت عن السب والركوب بالسيارة المستأجرة ، لم يحتمل كلامها واتهامها بقتل الدكتور لوقان وحرق زوجة جومار البريئة وخطف ابنها وحضرت سيارة الإسعاف لنقل الرجل للمستشفى وقالت باكية : فقدت ابني للأبد
وقام الدكتور علي والمحامي بكر وإدارة الشركة بالإشراف على جنازته للمرة الثانية وبعد إنهاء خدمات أهل القصر سلم القصر لجمعية خاصة طلبته من نذير لتحويله لمستشفى خاص بالجمعية ، وعادت سلوفانا لأوروبا بعدما حضرت دفن زوجها السابق ، كررت البكاء عليه كما بكته قبل سنوات .
قبل السفر التقت بالدكتور لوقان ؛ حيث حدث معه حادث سيارة قبل حضور نذير للوطن أصيب منه بالشلل ، ولم يمت كما اعتقد نذير ؛لأن أشيع أنه مات في الحادث ؛ فكان يتوقع أن يقتل من نذير ، فلما انتشر خبر موت نذير اتصل بسلوفانا ، وأحب أن يلتقي بها قبل عودتها لأوروبا وفرحت جدا بنجاته من الموت ، وحزنت للشلل الذي حل به .
قال: لست نادما على سعي في الخلاص منه ..ألم تعرفي نتيجة عن الولد؟
قالت: لم يعترف بخطفه ، وكان مهتما بمعرفة شخص أبيه
قال: ربما الذين خطفوه لما يصلهم خبر موته بعد ليفرجوا عنه
قالت: قد يقتلونه لإنهاء موضوعه بعد موته.. أتراه حيّا يا دكتور ؟
قال: لم تظهر جثته.. فهذا يعني أنه حي إلا اذا دفن في قاع البحر ، ولا اعتقد أن يقتله؛ لينتقم منك
قالت: إنه يريد تعذيبي ، لو أراد قتلي لفعل ؛ كما فعل بامرأة جومار
قال: وهل ثبت أنه الفاعل ؟ ما حدث معه؟
قالت: حبس في القضية خمس سنوات؛ ليس أمامهم سواه ، ترك المرأة تحترق وهرب
قال: اذكر أن المرأة تعرضت للحرق قبل موتها
قالت: هذا حدث لاستدراجه للهند ؛ ليشرف على علاجها ، وكنت أنا أتعالج في سويسرا كما تذكر
قال: يا ! هذا مجرم عتيد له أعوانه !
قالت: عاش في البرازيل ؛ حيث السيارات المصفحة ، والطائرات الخاصة .. والمال يشتري الرجال .

قال: لقد كرهته منذ عرفتك يا سيدتي ! جمالك يسحر الرجال وأشفقت عليك لما رأيت من الحزن وعدم احترامه مشاعرك .

قالت: أنا اعرف هذا عنه ، وهو اعزب قبل الزواج ، كان مغرما بالجمال والنساء ، كان المال مغريا لصبية مثلي .. حياتها وسعادتها المال، وهو سيؤمن لي المال وما تشتهيه المرأة ، وسخي بالهداية والمال ، وكانت الأسرة ترى مصلحة لها ولي بالزواج منه ليستمر بدعم المصانع.

قال: أنا حقدت عليه منذ التقيت بك ، مرة دخلت القصر لأراك فأخبروني أنك في زيارة قصيرة فدخلت مكتبه قلت أدردش معه تمضية لمجيئك ، ولما أدخلني الخادم ونظر إليّ فقال باحتقار واستعلاء : أخطأت العنوان يا دكتور ! هذا مكتبي وليس مكتب عشيقتك.. أنا لا ادري كيف اتخذتك عشيقا ؟ رددت بغضب : أنا لست عشيقا يا سيد نذير أنا متزوج كانت زوجتي الأولى مريضة كما تذكرين وماتت أثناء علاقتنا

فقال ضاحكا : أتظنني مغفلا ؟ أنت كلب لها ، لا تظن أني مغفل

وكان الكلام قبل أن اجلس فقام فاقترب مني وبصق في وجهي وقال : اخرج أنت حقير تنام معها في القصر ، وهي حقيرة مثلك.. اتفقنا على الفجور خارج القصر.. جعلتم القصر ماخور وسأرسل لك قرص دعارتك معها .. وأرسل الملعون لي قرص حاسوب سي دي يضع في قصرك كاميرات بحثت عنها ، فلم أجدها فلزمت الصمت عن هذه الحادثة والإهانة

قالت: لم تقل عن هذه الحادثة إلا اليوم!

قال: نعم ، وماذا أقول لك سيدتي ؟ لذلك رحبت بمساعدتك للخلاص منه

قالت: كانت إهانة كبيرة ؛ ولكن زوجي يسمح لنفسه بالزنا .. عليه أن يقبل زنا امرأته دون غضب وغيرة ما أخبار زوجتك وابنتك؟

قال: الأولى ـ رحمها الله ـ لم تكن طاهرة ، وابنتي منها لم أر ولم اسمع عنها السوء.. أنا استسلمت لإغرائك وأنت رحبت بي عشيقا

قالت: تحولت لجومار لوجوده في القصر ، وأنت سعدت بذلك، ولم تقف ضده ، فأدركت أنك انسحبت وخفت .

قال: السبب نذير ، وأصبح عدوا لي ورأيت الابتعاد لمصلحتنا

قالت: لقد كنّا في حرب

قال: وماذا ستفعلين الآن؟

قالت: استعد للعودة لسويسرا وقد اعمل مشروعا ألتهي به ، وإذا خرج جومار من السجن قد أتزوجه كما وعدته يوما .

قال: تنظرين خمس سنوات .

قالت: قد يخفف الحكم ، قابلته في السجن ، فهو تعرض مثلك للأذى بسببي ، وسعيت للزواج من أوروبي ، كلهم يريد علاقة دون ارتباط بعقد قانوني، ويفضلون الصغيرات على الكهلات مثلي ، تعرفت على شاب طالب فرنسي عاش معي بضعة شهور وتركني وقد نال مني بعض المال.. الزواج معقد اليوم في بلادنا

قال ناصحا : الأفضل أن تتزوجي زوجا أوروبيا، فأنت معك ثروة كبيرة ..ستجدين الزوج المناسب في لحظة من اللحظات.

قالت: لست صغيرة يا دكتور قريبة من الخمس والأربعين .. لا أريد زواجا شكليا يقضي طاقته ورغباته في الملاهي والحانات كما عشت مع نذير.

قال: ستجدين الحبيب

قالت: عجوزا أنفق عليه

قال: لو كنت سليما لتزوجتك وتركت التي عندي.

قالت: شكرًا لوقان

قال: لماذا كان هاجرا لك؟

قالت: معقد! دخل يوما حجرة أمه ، وهو طفل فوجدها تُمارس الحب مع عشيق ، وتكرر ذلك فتعقد ، ولم يتقبل الأمر لصغر سنه ، ورحله أبوه إلى هنا لزريق حتى أنهى الدراسة والتحق بجامعة أمريكية وتعلم الزنا والعهر والخمر مع الاقتصاد

*****

رجعت السيدة للشقة محطمة نفسيا واليأس التام من الاجتماع بابنها ، وعدم اعتراف نذير بحياته أو خطفه ، فأخذت تفكر بحياتها وحبس جومار ، ففكرت بالجمعيات الاجتماعية والحركة معها لإشغال الوقت ، فقد ملّت المسارح والنوادي والسينما، ففكرت بجمعيات تركية كانت تقدم لها الهبات والدعم أثناء حياتها بزريق ، فاتصلت بجمعية كانت تمر عليها سيدة لاستلام الشيكات والدعم ، فرحبت بها السيدة (ايسون احمد بوراك)، وكان لهذه الجمعية مقر جمع في ميونخ بين الجالية التركية في ألمانيا ، ومقرها الرئيسي في إسطنبول ؛ حيث ذهبت يوما تبحث عن ابنها مرافق المرأة الكولومبية ، جمعية الأمل مهتمة بالفقراء وضحايا الكوارث في تركيا والعالم الإسلامي؛ لتخفيف ضرر الزلازل والفياضات والتسونامي عنهم . كانت معروفة وصديقة للجمعية ، وكانت السيدة ديانا زوجة الدبلوماسي التركي سليم قد عرفتها على مندوبة الجمعية ايسون وصارت بينهنّ صداقة ، واتصلت بديانا التي تسكن في تلك المدينة فساعدت السيدة بالاتصال ايسون ، ورحبن بها في ربوع بلدها الأصلي ، سافرت بعد ترتيبات إلى تركيا ، ولما استقرت في الفندق اتصلت بديانا وجاءت للفندق ، وأخذتها للغداء مع الأسرة

ورحب بها زوج ديانا الذي يعرفها أيام زريق وحفلاتها التي لا تنتهي ، واتصلت ديانا بالجمعية ، فعلمت أن السيدة ايسون قد تقاعدت من العمل ببدنها ، ورحبت إدارة الجمعية بهن وحضرت معهن موظفة الجمعية السابقة ايسون ، وبعد التعارف والذكريات فقابلت السيدة رئيسة الجمعية السيدة زينب برقوقا والمدير العام للفرع الإسطنبولي الدكتور احمد يوسف اصلون ، ورحبوا بعملها معهم ؛ لأنها تعاني من الفراغ في بلدها ، ولا زوج ولا ولد ، وهي تعود جذورها للجنس التركي ، وإن لم تولد في تركيا ، فأخبرها المدير بأن عليها بأخذ دورة إسعاف أولية والتمريض والاستماع إلى محاضرات عن كيفية التعامل مع المصابين والأهالي في أماكن الحدث ، وهذا العلم ضروري قبل الذهاب إلى تلك الأماكن ، وكيفية التعامل مع المترجمين والناس المنكوبين ، اجتازت السيدة الدورات والأعراف المتبعة أثناء عملية الإنقاذ والمساعدة ، وأقبلت على العمل بحماس ونشاط ، وكانت تقضي الإجازات القصيرة في سويسرا وسعيدة بحياتها مع الحوادث، وفي آخر إجازة رن جرس الهاتف في الشقة فقالت الخادمة: محامي من الهند ، انقبض قلبها من كلمة الهند ، وأخذت السماعة من يد الخادمة ، فلها شهور لم تتحدث معه منذ سافرت تركيا ، كان محامي جومار وقال : لي أيام اتصل حتى ظننت أنني أخطأت الرقم

رحبت به وعلمت منه أن جومار تعرض لطلق ناري من شرطة السجن ؛ حيث حدث تمرد داخل مهاجع السجن أو بعضها أدى إلى إطلاق نار ، ونقل السيد للمستشفى مصابا ، وقد يفرج عنه بعد الشفاء، أظهرت الفرح لسماع الخبر وقالت : عندما أجد الوقت المناسب سأزوركم .

ادرك المحامي أن حماسها الذي لمسه ورآه في الماضي قد ضعف وخفت ، كانت المرة الماضية تتحدث كالمحب والمشتاق ، وهي بعدما تركت السماعة قالت : مات حبك يا جومار ! أنت من الماضي والذي يربطني بك فُقد وضاع ، كنت أريد شيئا بيني وبينك ، لقد سكت جسدي عن طلب الشهوة ، وجدت حياتي في جمعية الإنقاذ والأمل لأهل الزلازل والفيضانات حتى أني أريد أن اصلي وأصوم مثلهم ومثلهن حتى أن الأوروبيات اللواتي يعملن معنا يصلين ويقرأن القرآن متدينات ، وبعضهن لم يكن مسلمات فأسلمن ، أنا مسلمة، العمل مطلوب كالعمل العبادي ، لم يعد الزواج مهما لي يا جومار ، لقد خان سيده بدون مقدمات من اجل الفسق مع سيدة القصر ، سأهتم بالإسلام مثل رفيقات وصاحبات العمل التطوعي؛ بل يفكرون بجعلي مديرة فرع للجمعية، ذهبت لمركز

إسلامي ، وطلبت مساعدتهم بتعلم أركان الإسلام والصلاة وصارت تصلي خمس صلوات ، وتعلمتها بلغة العرب لغة نذير ، كانت أمها تزور الكنيسة وتسمع القداس ، أما والدها المسلم فلم تره يدخل مسجدا حتى جومار لم تره يصلي ؛ بل كان مثلهم يسكر ،لم يكن مسلما ؛ لعله من طائفة السيخ ،العمل الخيري أفضل من علاقات عابرة .

قبل العودة لتركيا اتصل بها برانس قائلا : أين أنت ؟ كلما اتصل تقول رايسا أنها في تركيا وكنت مشغولا جدا .. متى تمرين علينا؟

قالت : اعمل في تركيا مسعفة في جمعية للكوارث ما الأمر؟

قال : تحدث معي محامي برلين ، فقد علموا بموت السيد نذير خاتم موتا حقيقيا ، ولك عندهم رسالة خاصة كأمانة يرغبون زيارة منك شخصيا لاستلامها

قالت : صحيح تذكرتها .. سأمر عليك.. هل من جديد حول مايكل؟

قال : لا جديد.. مري لأسمع أخبارك سمعت من رايسا أنك ستبيعين الشقة والخلاص من رايسا.

قالت : افكر بالاستقرار في تركيا لحين ؛ فأنا سعيدة في العمل معهم ، وعدت لإسلامي

قابلت المحامي برانس ، ودفعت له أتعابه ، وأنهت عقدها معه بمتابعة مايكل قبل الاختفاء وبعده ، وكلفته ببيع الشقة وإنهاء عقد رايسا ، وسافرت برلين لاستلام الأمانة فدفع الرجل إليها شيكا بمليون دولار أمريكي تسحب من بنك ألماني ، ورسالة قرأتها في الفندق كتب فيها "اطمئني على ابنك حي".

السعادة

كانت تشعر بالسعادة من عملها في الجمعية رغم المشقة البدنية في التنقل إلى مواضع الكوارث والنكبات الطبيعية ، وترى عذابات الناس وآلامهم بكسر عضو رضوض بدن بفقد أم أو أب أو زوجة وأسرة ، فلم تكن تتأثر كثيرا عندما تراها في الأقلام والأخبار لحظات من الحزن تمر سريعا، اليوم تمكث الصور أياما من العطف والحزن ، فهم يقدمون الطعام والخيام والثياب والبطانيات للمنكوبين الناجين والإسعاف للجرحى ، فكانت تحس بالسعادة ، وهي تساعد إخوانها في الإنسانية لتخفيف المصائب عنهم والآلام.

قضت خمس سنوات من عمرها في العمل والإشراف على معسكرات المساعدات، وكانت تقدم الدعم البدني والمالي من نفسها ، وتقرر أن تكون مديرة فرع من فروع الجمعية ، فقد كبرت سنها وهي تحمل شهادة جامعية في الإدارة من جامعة برلين .

استأجرت شقة في تركيا حيث تمارس عملها

الميداني ثم الإداري ، حتى عرض عليها مدير فرع إستنبول زوجا أرملا طبيبا متطوعا ويرافق حملات إغاثة الجمعية ، وبعد جلسات خاصة قبلت الاقتران به وعلى الشريعة الإسلامية الصحيحة ، وقلنا إنها أصبحت من أهل الصلاة والصيام وقراءة القرآن ، واطلعت على مختصر تاريخ تركيا قبل الجمهورية والعلمانية ، وقد كانت دولة كبرى قبل قرن من الزمان، وعرفت أن زواج المسلمين هو الزواج الصحيح، أما زواج نذير كان على طريقة الغرب ، وعرفت أنها زوجة حقيقية اذا تألمت ومرضت تجد أولاد زوجها وبناته يغمرونها بالحب والدعاء والزيارة وأن زوجها يحبها رغم زواجه قبلها من غيرها ، وكانت زوجات الأبناء أو أزواج البنات يسألون عنها ويتصلون بها ، هذه المشاعر لم تلمسها من والديها كانت تعيش مع الدكتور في بيته وتمارس عملها في الجمعية ؛ كأنها غير متزوجة ، وأحيانا تجلس مع زوجها في العيادة التي هي في نفس حي السكن وحتى في أيام الكوارث يسافران معا ، لم تَر امرأة تتسلل لبيت زوجها واستغلال غيابها ، ولم تسمع بمثل هذه الحكايات في بيت أولاده أو بناته مع أن تركيا دولة علمانية وفيها ما في أوروبا من الملاهي والحانات والإباحية .

ورحلت معه وابنه الصغير برحلة للحج إلى اقدم بيت للعبادة في الدنيا ، وتفاجأت بالكم الكبير من البشر في مكان واحد اسمه عرفات، واحتفلت الأسرة والجيران في الوداع والاستقبال، وتزينت البيوت بالأنوار والأعلام والأشجار وذبح الخرفان .

كانت لغات العالم ولهجاتها في يوم عرفة ، والتقت بعدد من الألمان والألمانيات يأتون للحج وشاهدت إزدحامات الصلاة في الحرم المكي ، واستيقاظ الناس وهم يهرعون للصلوات الخمس في المسجد الحرام، كانت في دهشة في ممارسة كل نسك وأن هذا العمل مطلوب فرضا مرة واحدة في العمر للقادر ، تعجبت من ترتيب كل هذه الطقوس من قبل السفر حتى العودة للديار وإقبال الناس لأكل تمر الحجاز وشرب ماء زمزم ، وزارت المدينة حيث دفن الرسول الأعظم ﷺ معلم الناس كل هذا الخير ، شعرت بالسعادة الروحية التي كانت تفتقدها في صباها وحياتها في القصر حتى لما زارت ساحة الفاتيكان مرة لم تحس بالجمال والسعادة كما أحست برحلة الحج رغم المشي والسعي والطواف .

****

أمضت السيدة عشر سنوات مع الجمعية التركية وتقاعد زوجها من العمل مع الجمعية بدنيا ولحقت به ، وتوقفت عن العمل الخيري ببدنها ،

وظلت على الدعم المادي ، وما لبثت أن ترملت بوفاة الدكتور من أزمة قلبية ، ففضلت أن تعود لسويسرا رغم سعي أولاد زوجها لبقائها تعيش معهم ، أحبت أن تقضي باقي العمر في سويسرا ؛ حيث عرفت الأمومة وفقد مايكل ، اشترى لها صديقها المحامي شقة بدلا من تلك التي باعها لها ، وكانت خلال عملها في تركيا كونت علاقات جيدة مع جمعيات ومؤسسات إسلامية في ألمانيا وسويسرا وباريس حيث تنتشر المراكز الإسلامية والمساجد والجمعيات الخيرية التي تخدم الجاليات الإسلامية المهاجرة من بلدان العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه ، وكانت تقوم معهم بزيارة المرضى والمعوزين والمحتاجين وتسارع لحضور الندوات والمحاضرات والافطارات الرمضانية .

ذات صباح اتجهت لجامع باريس الكبير لصلاة العيد ولقاء صديقة عملت معها في تركيا ومن جيلها ، كانت تنتظر الصديقة والرفيقة اقترب منها شاب ومعه امرأة محجبة وقال: ألست السيدة سلوفانا ؟

حدقت في عينيه وهتفت: أوه! السيد جاك طالب الجامعة في سويسرا

صاح جذلا: جاك الفقير بلحمه طالب الماجستير

قالت: أهلا جاك .. أراك بلحية وصديقة محجبة؟!

قال: نورا جزائرية زوجتي .. سلوفانا صديقة أيام الدراسة للماجستير صديقة لي في سويسرا ألمانية الجنسية . وعرف نورا على سلوفانا

قالت: تزوجت يا جاك !

قال: نعم ، عندما تعرفت على الطبيبة نورا في المستشفى تزوجتها ، ودخلت دينها ، من خمس سنوات تعرفت عليها وتزوجنا برضا أهلها ، ولدت طفلين لي ..وأنت ما أخبارك أراك أمام المسجد .

قالت: صليت العيد وانتظر صديقة لنقوم بزيارات على المرضى وبعض الفقراء

قال: رائع ! دخلت الإسلام

قالت: أنا مسلمة وعدت مسلمة يا جاك ! أمي ألمانية وأبي تركي مسلم ، وأنا مسرورة بإسلامك

قال: لابد من جلسة خاصة لأسمع حكايتك فأنا ونورا ندعوك وصديقتك لزيارتنا في بيتنا المتواضع

قالت: اذا تبقى لدينا وقت نلتقي .

نقل رقم هاتفها وقال: غدا سأتصل بك بعد العشاء لنرتب لدعوة في مطعم ..اليوم مشغلون بسبب زيارات العيد، لها أقارب هنا يتفقدون بعضهم.. أني سعيد بعودتك للإسلام

قالت: وأنا سعيدة بإسلامك ومرحبًا بأختنا الطبيبة المسلمة

شكرت نورا السيدة وعبرت عن فرحها بعودتها

للدين ، وسمعت زوجها يقول: السيدة مليونيرة كبيرة ، وها هي تقف أمام مسجد باريس بدون حرس ! هل تتواصلين مع أبيك وأمك

قالت: أبي مات ، وأنا أرملة مات زوجي الأخير بأزمة قلبية ، وزوجي الأول نذير مات رحمهم الله جميعا .

قال: اغفري فضولي .. وابنك المخطوف هل وجدتيه ؟

بكت وهو يذكرها بالطفل وقالت : منذ فقده لم أره ،لا ادرى أحي أم ميت؟

قال: آسف بحديثي عنه، كلنا حزن من أجلك .. ألم تحملي من زوجك الأخير؟

قالت: لقد صرت في الخمسين ومن الصعب أن احمل ؛ ولعل زوجتك تشرح لك

قال: على كل حال آسف جدا ، سنرتب للقاء ..كل عام وأنت بخير .. إلى اللقاء ..لقد ساعدتيني بالمال أيام الجامعة .

قالت: غفر الله لنا

حضرت صديقتها بعد انصرافه بدقائق ، وذهبتا للمهمة التي اجتمعتا من أجلها ، وهي توزيع هبات على مستشفيات يتعالج فيها أناس من الجاليات الإسلامية.

توماس

عرفنا أن الذي رتب عملية خطف مايكل من أوروبا إلى أمريكا زوجها نذير خاتم بسبب تأمرها على حياته ، وبسبب حملها وهي زوجة له ، وذكرنا أن ابن العشر سنوات استقر في مدرسة داخلية تابعة للولايات الأمريكية المتحدة في تشيلي ، وأن أمه ماتت في حادث طائرة فاضطر والده الحقيقي لنقله من أوروبا والحياة في أمريكا الجنوبية في فيلا باسمه ، ورتب له خدم ومربيات ، ومكتب قانوني يشرف على ذلك ، وسجل باسمه الجديد توماس نذير خاتم عشرين مليونا يمتلكها عند بلوغه الحادية وعشرين سنة ، بعضها في تشيلي والبعض الآخر في فلوريدا في بنك أمريكي ، وكان حساب نذير في البرازيل يرسل تكاليف الخدم والمحامي والمدرسة، لم يقتله نذير إنما حرم أمه منه ، وزعم مقتلها حتى لا يفكر باللقاء بها ، فهو لم يكن يعيش معها أصلا كان يراها عند زياراتها لأوروبا ، وبعد هذه الترتيبات لم ير أباه ؛ لأنه ذهب لمتابعة العلاج في كوبا ، ثم رحل لموطنه حيث مات ودفن فيها كما كان يحب ويرغب ، ووصل إليه خبر وفاة والده ، ولم يتأثر كثيرا لموته رآه أياما معدودة فحسب ، انتقل لأمريكا فلوريدا لدراسة الطب ، ولما بلغ السن القانونية اصبح مالكا للثروة التي سجلها والدها باسمه واشترى منزلا في أمريكا وطلب من مكتب تشيلي ببيع الفيلا ، وأنه لن يعود لتلك البلد البائسة ، وكانت الثروة تدر

عليه دخلا كبيرا ، أرباح لتلك الملايين ، وحصل على الجنسية الأمريكية أثناء الدراسة وبسبب الأموال المودعة في البنوك ، تخرج طبيبا وانتقل للشمال الأمريكي للماجستير الطبي في أمراض القلب ،وبعضهم نصحه بالذهاب إلى ألمانيا ؛ لأنها من أقوى الدول في جراحة القلب .

فقبل في جامعة في برلين ، فرحل إليها ، وكان ما زال يذكر صورة أمه في سويسرا وحبها له ويذكر الأب الذي نقله بعد موتها إلى أمريكا ، وسجل باسمه الملايين ثم مات ، ولا يفعل ذلك إلا رجل كريم وأب حقيقي ، ويذكر أن اسمه في أوروبا مايكل بدون أب ، وفي أمريكا توماس نذير خاتم وأن والده من بلاد العرب يعيش في أمريكا .

كان لتوماس أصدقاء في تشيلي وفي فلوريدا ثم في برلين من الجنسين ، كانت بشرته سمراء

وعيونه زرقاء ، وكان لديه مجموعة من الصور لنذير أرسلت له في مناسبات وذكريات، وكابن للغرب مارس المعاشرة مع بعض الفتيات في الأميركتين ، وكان مقلا للشراب ، يخشى أن يصيبه ما أصاب أمه وأبوه منه ، وكان في أوروبا يحذر من العلاقات الجنسية خشية العدوى من الأمراض الجنسية رغم وجود أدوات الحماية، ربما تمضي شهور قبل أن يجامع امرأة ولا يفكر بالزواج القانوني ، قالت له صديقة في المستشفى : لم تر الأب الذي ترك لك هذه الثروة إلا مرات معدودة أثناء نقلك لأمريكا من هذه البلاد .



قال: صدقي ذلك، لما علم بموت أمي بحادث طائرة اعترف بي واضطر لترحيلي سرا إلى تشيلي وسجل لي الأموال ، وبعدها ذهب للعلاج من الإدمان، وعاد لبلده العربي ومات ، كانت أمي تخفي عني اسم أبي وتزورني كل شهر أو شهرين يوما أو يومين كانت خائفة أن يعرف زوجها مكان إخفائي

قالت: وباقي ثروته!

قال: علمت من المحامي في تشيلي أنها وزعت على جمعيات ومؤسسات

قالت: وهل أمك ماتت حقيقة؟

قال: هكذا قيل لي ، ولم اهتم بصدق وكذب الخبر ، وكيف لي أن اعرف كنت صبيا لما نقلوني إلى أمريكا وقابلت أبي في البرازيل أولا.

قالت: وهذه الملايين ماذا ستفعل بها ؟

قال: سأعيش بها ، ولست بحاجة للوظيفة ، قد أقيم مستشفى بعد زمن للعمل فيه .. أفكر برحلة علمية للقطب الجنوبي.

قالت: لا يوجد مرضى فيه إلا البطاريق والطيور

..ألا تفكر بالزواج؟
قال: الآن لا
قالت بجرأة : تزوجني يا توماس أنا احبك!
قال: أنا لم أحب أنثى بعد .. البنات رخصن من انفسهن.. بعض المال وعشاء يتناكحان
قالت: جيد ! عندما ترحل للقطب خذني معك قد تحبني هناك
قال: قد افعل.
قالت: زرت وطن أبيك
قال: قد افعل .. لا يربطني به شيء ، ولا اعرف أين هو ؟

******

قامت السيدة بزيارة خاصة لتركيا بدعوة من ابن زوجها لتشارك في حفل زواج ابنته، وهم لم يفوتوا مناسبة اجتماعية إلا واتصلوا بها ودعوتها ، وفي الغالب تلبي الدعوة وتقدم الهدايا فهي لم تنقطع علاقاتها بالجمعية وبديانا .
ذهبت للمشاركة في ٢٠١٠ في حفل زواج حفيدة لزوجها التركي ، وكانوا يستقبلونها بالمطار نساء ورجالا، وكانوا في الأعياد يرسلوا لها الهدايا وبطاقات العيد ، وكانت ترفض قضاء النوم في بيت احدهم ، وتفضل النوم في الفنادق ، لقد أوصاهم والدهم على الإحسان إليها وحبها .
وكان من برامجها بعد الوصول الاتصال بديانا صديقة القصر ، وكانت ديانا قد تعرضت لحادث سير قبل هذه الزيارة للمدينة، فأخذها احد الأبناء للقاء السيدة ، فلما التقتا في الفندق قالت لها : كنت في ألمانيا للعلاج في عضلة القلب وسرعة وتسارع دقاته.
فعتبت عليها عدم إخبارها ، فسويسرا بجوار ألمانيا ، بينهما حدود مشتركة وجزء كبير من السويسريين يتكلمون الألمانية ولغة رسمية للبلاد
وبعد العتب قالت : هل لنذير خاتم أولاد سوى ما أشيع عن بول ؟
قالت متفاجئة : أولاد! عشت معنا عمرا .. لا ، ما الأمر أبدا .. عشنا سنوات وكان لا يحب الأولاد.. امرأته البرازيلية ؛ كما تذكرين حملت ببول وهي على ذمته ،ثم هربت القصة
قالت ديانا : اذكر تلك المرأة وابنها ؛ ولكنه لم يحمل اسم نذير
قالت: ما الأمر ؟
قالت ديانا : ألم يكن له ولد من عشيقة أو صديقة أو ابن متبنى
قالت وهي في حالة دهشة : نذير كان يتعاطى حقن منع الحمل خشية أن تحمل منه ماجنة وتزعم أنه منه وحتى مني رفض ما سبب هذا الكلام؟
قالت ديانا : السبب سيدتي وصديقتي كنت في مركز علاج ألماني ، وكان بين فريق العلاج طبيب

أمريكي يحمل اسم توماس نذير خاتم طبيب قلب وشرايين.
قالت: توماس نذير خاتم !!
قالت ديانا : حتى أن زوجي سأله أنت عربي تحمل جنسية أمريكا فحسب، ضحك الطبيب وقال : صحيح ! أنا عمري ما دخلت بلاد العرب؛ لكن لي أصدقاء منهم في أمريكا أثناء الجامعة وأبي عربي أمريكي ، فقال له زوجي إننا عشنا وعاشرنا شخصا اسمه نذير خاتم قبل سنوات طويلة ، وذكرنا له اسم المدينة، فرد على زوجي لم أر أبي إلا مرات قليلة في البرازيل وترك لي الملايين، وأمي رأيتها مرات كثيرة قبل رحيلي لأمريكا .
قالت: توماس نذير خاتم! المعلومات عندي لا ذرية له ، ولا اعلم أنه تبنى طفلا
قالت ديانا : حدثه زوجي عنك ، فقال الطبيب : لا اعرفها ؛ ولكنني أذكر وأنا صغير عشت في سويسرا
فنطقت بدون وعي: ابني أكيد أنه ابني !
قالت ديانا : ابنك! كيف ؟!ألم تذكري قبل دقائق أن نذيرا لا ابن له.
انتبهت السيدة وقالت: نعم ، كنت تبنيت طفلا في احدى رحلاتي لأوروبا ، ثم فقد هذا الطفل في ظروف غامضة، شككت يومها بأن نذيرا سرقه.. عليك يا ديانا أن تعطيني اسم المستشفى يجب أن ألتقي به ؛ لعله ابني المسروق المفقود من عشرين سنة.
قالت ديانا : كنت متبنية لطفل!
قالت: نعم ، دون علم نذير ، ولما خطف اتهمت نذيرا، فنفى علمه بخطفه.. بعد حضور زواج حفيدة زوجي الطبيب عليّ أن اذهب لبرلين وأقابله عسى أن يكون هو ؛ولعله يتذكرني بعد هذا العمر الطويل
قالت ديانا : كيف سيتذكرك؟!
قالت: كنت كلما اذهب سويسرا ألتقي به واجلس معه ، ولدي صوره ونحن معا ،ولدي المربية والمحامي الذي كان يشرف عليه .. خطفه النذل وأعطاه اسمه .
قالت ديانا : سبحان الله رب ضارة نافعة!
قالت: شفاك الله يا ديانا !أعدت لي الحياة إن تبين أنه المفقود ، وسأخبرك إن كان هو .. يا رب دعوت ربي كثيرا أن لا أموت قبل أن القاه .
قالت ديانا : أرجو أن يكون ابنك المفقود.
بعد حضورها حفلة زواج حفيدة زوجها ، ذهبت لخزانة في البنك في برن ، وأخرجت منها مجموعة من صور لها مع مايكل ، وسافرت لبرلين مباشرة ، وفي الصباح قصدت المستشفى، وكانت تسأل سيسأل عن أبيه الحقيقي عن جومار .. هل يقبل أني أمه ؟ وقد ولد وأنا على ذمة نذير ، وسيسألني

لما عاش بعيدا عني وعن أبيه ، سأقص الحقيقة ، سيعرف أنه لم يكن ابن زوجي أبوه خادم القصر جومار ، المهم أنا أمه.. غير مهم من أبوه ، سيسأل لماذا كان يعيش في سويسرا بعيدا عن والديه؟ لماذا لم يزره أبوه في سويسرا ؟ ولماذا غير أبوه اسمه من مايكل لتوماس ؟ سيعرف أن له أبا آخر أبا بيولوجيا ..يا لها من ورطة ؟! كنت أريد طفلا ، وزوجي لا يريد أي طفل ، كنت أريد ابنا مني مهما كان أبوه ، كان أبوه مرعوبا أن يعرف نذير أنني ولدت منه .. هل استمر على أنه ابني بالتبني ، ولكن سجلات المستشفى ستكشف أني أمه وأبوه مجهول .. يا لحياتنا المعقدة !

سأقول الحقيقة بحذافيرها .. المهم أن يعلم أني أمه ..وهو حر في حياته .. هل سيقبلني في حياته ولا يغضب ؟ هل سيحقد على خاطفه؟ القانون سيجعله يحمل اسمه ، ولدته وأنا زوجة لنذير سيبقى يحمل الاسم .. هل سيعرفني عندما يراني ؟ كان ابن عشر سنوات .

المقابلة

فتحت الباب شابة فقالت السيدة: مساء الخير

تطلعت الفتاة دهشة وقالت : مساء الخير!

قالت: أريد الدكتور توماس طبيب القلب أخذت العنوان من المستشفى .

قالت: هو يستعد للسفر

قالت: أنا السيدة سلوفانا من سويسرا

سمعت الفتاة صوت توماس : من طرق الباب يا جينا؟

قالت: امرأة ترتدي حجابا ،ممن نراهن في الشوارع والأسواق ، أخذت عنوانك من المستشفى

قال: دعيها تدخل ، واذهبي البسي ثيابك لنر ما تريد السيدة المحجبة؟

رفعت السلسلة ، وأدخلت السيدة: ادخلي مدام سلوفانا

دخلت السيدة تتبع الفتاة ، وأشارت لها بالجلوس ، وخرجت تلبس ثيابها ، وما كادت تجلس حتى كان الرجل يدخل الغرفة ، وهو يلبس روب الحمام ، حيث كان يستحم ولما رآها قال بدون تمهيد : أمي ! أنت أمي! أنت حية !

قالت: أنا أمك وما زلت حية! وتعانقا وسلوفانا تبكي وتقول : عرفتني مايكل عرفتني مايكل أنا أمك !

قال: قيل لي إنك مت بحادث طائرة.

قالت : كذبوا عليك حتى لا تفكر بي، لقد خطفوك ليحرموني منك.

دخلت الفتاة لتجد صديقها يطوق المحجبة بذراعيه فهمست: توماس!

قال: إنها أمي يا جينا ! أمي لم أنساك أبدا ؛ ولكني علمت أنك ميتة هكذا قيل لي .

قالت: آه يا حبيبي ! لقد تعذبت من أجلك أرادوا حرماني منك .

قال: اذهبي إلى حجرتك جينا.. دعيني اجلس مع أمي وحدنا.. من هو الرجل الذي خطفني وحرمنا من بعض ؟!

قالت: من تحمل اسمه.

قال: نذير خاتم!

قالت: اجل

قال: أهو زوجك؟

قالت: اجل

فكر لحظات وقال: ولم خطفني منك أم الوقت غير مناسب لسماع الجواب؟

قالت: ستسمع كل شيء . فتحت حقيبتها وأخرجت صورا لهما ومع التلاميذ.

فنظر إليها وقال: أنا أعرفك بدونها ،لما افترقنا كنت ابن عشر سنوات ، أكلنا معا ، لعبنا معا مع أنها أيام قليلة إلى مجموع السنوات.

قالت: الظروف الصعبة

قال: فهمت

قالت: وماذا فهمت؟!

قال: لم أكن ابن أبي نذير.

قالت بانكسار : نعم ، هذه هي الحقيقة ، حملت بك من رجل آخر ؛ فكان عليّ إخفائك عن نذير خاتم .. كنت امرأة فاسدة ، لم استطع أن اعترف له أني حملت من رجل آخر

قال: من أبي الحقيقي ؟

قالت : لست ادري يا ولدي .. انظر إلى هذه الصورة تعبر لك عن حبي الكبير لك وحبي لحياتك بعد أن حملت بك رفضت الإجهاض .. كنت أريد ابنا يقول لي أمي .

قال: أنا احبك يا أمي !حتى لما قالوا لي إنك ميتة ، كانت ما زالت ذكرياتنا مغروسة في دماغي وكنت ادرك خوفك من أن يعرف احد أنك أمي وأكدت لي الخادمة والمربية سبب بعدك عني قلن إنك وضعتيني في ظروف غير طبيعية ، وهذا لا يهمني ، ولما قيل إنك ميتة صدقت لأنك بعيدة عني .

قالت: كذبوا عليك لتهدأ وتقبل تغيير اسمك.

قال: كنت صغيرا وواعيا ، عشت في تشيلي في قصر صغير وخدم ومربيات وحرس ومال وتعلمت في مدرسة داخلية تابعة للأمريكان ، والرجل الذي احمل اسمه التقيت به خلال وجودي في قصره في البرازيل ، ولما سافرت لتشيلي لم أره ، رتب أموري وسجل باسمي عشرين مليونا في أمريكا يسمح لي بالتصرف فيها لما ابلغ السن المالي ، وكان محاميه في البرازيل يدفع مصاريف القصر والخدم والمدرسة الداخلية ، فدل هذا على حبه لي وإنني ابنه واليوم تقولين إنه ليس أبي الحقيقي.

قالت: هو أبوك القانوني ، أبوك البيولوجي رجل

آخر لا أظنه حيّا اليوم، أنت فلذة من جسدي لما اخبرني الطبيب بالحمل أراد الطبيب أن اعمل الإجهاض؛ لأن أباك القانوني كان يأخذ حقن منع الحمل ، نحن كنّا نعيش في جو إباحي له عشرات من العشيقات فرحلت لسويسرا لما قرب الوضع وولدتك فيها.

قال: خشيت أن يكتشف زوجك خيانتك.

قالت: لم تكن خيانة ؛ لأنه كان يسمح لي بمعاشرة الرجال، وأنا امرأة كسائر النساء

قال: تشتهي المرأة ما يشتيه الرجل ، لا إنكار لذلك ؛ ولست بمقام من يحاسب ، هذا حق الزوج على ما أظن .

قالت: كنت امرأة ، هل علمت أن أباك القانوني قد مات؟

قال: علمت قبل انتقالي لدراسة الطب في فلوريدا ، وتحصلت على الجنسية الأمريكية، كيف وصلت إليّ؟

قالت: امرأة صديقة تعالجت عندك هي تركية ، كانت سكرتيرة في القصر أيام زواجي من أبيك القانوني كنت في زيارة لتركيا والتقيت بها فقصت عليّ التقائها وزوجها بك

قال: عرفتها السيدة ديانا وزوجها سليم عمل في السفارات.

قالت: نعم ، فقد تزوجت بعد طلاقي من نذير طبيبا تركيا ؛ لأن والدي ألماني من أصل تركي وأمي من أصل ألماني.

قال: كان أبي مريضا يتعالج في كوبا قبل أن يرحل لوطنه ؛ حيث مات .. سمعت من أعوانه أنه مات بالسم أو متأثرا بالسم

قالت: السم! كان مريضا بالكبد من كثرة الشراب وسم الكحول ، وأنا تعالجت منه في سويسرا وكنت أراك كثيرا ..حياتنا مجون ولهو ، لو كان أبوك المزعوم يقبل الإنجاب لتغير الوضع

قال: رحمه الله ..أنت متدينة يا أمي !

قالت: متدينة ..أنا مسلمة عادت لإسلامها ، وأنت مسلم لأن نذيرا مسلم .. فأبي جدك مسلم تركي وإن ولد في ألمانيا .. جاء السيد من البرازيل لمساعدة الأسرة بالمال وتعرفنا وتزوجنا .. فأنا عشت في تركيا مع زوجي الطبيب وزرنا مكة .

قال: الحج ! هل أبي البيولوجي مسلم ؟

قالت: لا ادري

قال: اليوم الإسلام موجود في كل العالم والمساجد ، وطعامهم الحلال منتشر لمن يهمه الحلال

قالت: المسلمون شعوب كثيرة

قال: ماذا تريد أمي من ابنها جراح القلب؟

قالت: لا شيء لست بحاجة لمال ، أملك مثلك الملايين ، لما طلقني نذير اكتفيت بخمس ملايين للخلاص منه.. ومن سنوات عندما مات منحني

مليونا آخر ، وكتب لي ابنك حي ، ولم يذكر أين تعيش؟ فقط أريد حبك ،وأن تعلم أني أحبك ومكثت زمنا أبحث عنك.

صمت دقائق يحدق فيها قبل أن يقول :لا فائدة من عودتي لمايكل يا أمي!

قالت: لا تغير شيئا .. المهم أن نتواصل ونحب بعضنا.. تزورني وأزورك كلما يتاح ذلك لكل منا .. أنا لي سبعة أولاد في تركيا.. قبل مجيئ إليك كنت احضر حفل زواج حفيدة زوجي رحمه الله .

قال: الأمر هين .. وأنا على وشك السفر والرحيل إلى القطب الجنوبي في بعثة علمية

قالت: القطب الجنوبي ! هل هناك بشر ؟ هناك الثلج والجليد والبطاريق والفقمات

قال: يجرون دراسات على حيوانات وطيور ، كيف تطيق العيش في تلك البيئة ؟ وأنا طبيب للبعثة ، ومعي زميلتي جينا وهي طبيبة مثلي ، ولما ارجع سأزورك ، ولن أنسى سنوات الطفولة التي عشناها معا ، كانت لي صديقة في المدرسة ...

قالت: الآنسة كارمن ، وإنها ما زالت تذكرك كلما نلتقي تسأل عنك إنها تحب الأطفال فأصبحت مدرسة أطفال لديها طفلان .

قال: نعم، كنت احبها.. ألها عنوان عندك ؟ أنت تعيشين هنا أم في سويسرا ؟

قالت: أحب سويسرا منذ ولدتك فيها ، لا أقارب لي فيها ؛ لكن اليوم لي صديقات في أنحاء أوروبا تعرفت عليهن أثناء عملي في جمعيات الإغاثة التركية ؛ نذير لما علم بحياتك اغتم وانتقم مني بخطفك وأبعدك عني كل هذه السنين .. متى سفركم؟

قال: سنسافر لكندا ، فالبعثة كندية ، وعندما يتحدد الوقت سأخبرك ؛ لعلك تأتين للحياة معي تلك الأيام أبي الحقيقي لم يهتم بي .

قالت: كان لا يستطيع كان مرعوبا من السيد.

قال باحتقار : أكان من حثالة الناس من خدم القصر ؟! يا للنساء

تألمت لقسوة الكلام ولم ترد ، فكرر ببغض : خادم يا أمي! أبي خادم .. هل من الممكن التعرف عليه ؟ لابد من زيارة له .

قالت: لما تعود سالما بإذن الله تعالى ستجد عندي الخبر اليقين أيها الحبيب! لك حياتك ولي حياتي الأمومة حياة الأنثى مهما سعى لقتلها الجهلاء .. فالله خلقنا لنكون أمهات

قال: اعتذر من قسوة العتاب ..أنت تعرفين الله وتصلين له!

قالت: نعم ، وساعدت في إنقاذ حياة البشر بسبب الكوارث والفيضانات .

قال: نلتقي يا أمي نلتقي بمشيئة الله

قالت: لديّ امل كبير.. نلتقي بمشيئة الله تعالى

ودعته بعناق ودموع ، وخرجوا الثلاثة من الشقة إلى المطار ، ركب طائرة كندا ، وأمه تلوح لهما بيديها ، وعادت لقضاء الليل في الفندق ، وفي الصباح رحلت لميونخ لزيارة والدتها في بيت المسنين ؛ حيث انتقلت إليه بعد ترملها ، وقضت أسبوعا بجوارها ، ثم رحلت لشقتها في برن ولما وصلت أخبرتها الخادمة الأخيرة بعد انتهاء وظيفتها في تركيا، أن تتصل بالمحامي برانس فقد اتصل يسأل عنها، وفي الليل رنت على هاتفه الخاص ، وحدثته عن التقائها بمايكل وسمع قصته وحياته في أمريكا اللاتينية ، ولما انتهت، سألت عن سبب الاتصال في الشقة ، ضحك وقال : ملجأ القطط أخبرني بموت القط الأسود باريس.



القطط السوداء

القطط السوداء هي قطط محلية ذات فرو أسود من سلالة القطط الأصيلة أو المختلطة، واعترفت جمعية (CFA) بأثنين وعشرين نوع من سلالة القطط الذين يولدون بفراء أسود، ويكثر هذا النسل في بومباي، والذكور منهم يكون فروهم أسود بالكامل أكثر من الإناث، وذلك بسبب ارتفاع صبغة الميلانين لديهم التي بسببها أيضا يصبح لون العينين أصفر ، قد يكون فرو القطة أسود كسواد الفحم أو الأسود المائل للرمادي أو الأسود المائل للبني، وقد تظهر بعض العلامات الباهتة حتى على فرو القطة السوداء تحت الضوء. ويمكن أن يتحول الفرو إلى اللون البني(لون الصدأ) تحت أشعة الشمس ، فإن جمعية محبي القطط تسمح باللون الأسود كخيار في واحد وعشرين سلالة أخرى، ووصف اللون لهذه السلالات هو أسود: أسود فاحم من الجذور حتى الأطراف، خالي تماما من اللون البني (الصدأ). جلد الأنف: أسود ، باطن الكف: أسود أو بني.

و الاستثناءات هي: القط الشرقي: الأبنوس (أسود) أسود فاحم من الجذور حتى الأطراف، خالي تماما من اللون البني (الصدأ) أو الدخاني جلد الأنف: أسود، باطن الكف: أسود أو بني.

القط الفرعوني : أسود بالكامل من أنفه إلى طرف ذيله، جلد الأنف: أسود، باطن الكف: أسود أو بني.

الخرافات والتحيز وجلب الحظ الجيد أو السيء:

يختلف التراث المحيط بالقطط السوداء من ثقافة إلى أخرى، ويعتقد الاسكتلنديون أن وصول القط الأسود الغريب إلى المنزل يدل على الازدهار، وفي الأساطير السلتية هناك خرافة تعرف باسم **Cat Sìth** و تأخذ شكل قطة سوداء، وكانت القطط

السوداء أيضاً تدل على الحظ الجيد في بقية بريطانيا واليابان، وعلاوة على ذلك فإنه يُعتقد أن الآنسة التي تملك قطة سوداء سيكون لديها العديد من الخاطبين، وفي التاريخ الغربي كان يُنظر إلى القطط السوداء عادة على أنها رمزاً للشر وبالتحديد يشتبه في أن لها علاقة بالسحرة، أو في الواقع أن السحرة يقومون بتحويل أنفسهم إلى قطط سوداء، وتعتبر معظم أوروبا أن القط الأسود رمزاً للحظ السيئ، ولا سيما إذا كان هناك شخص يمشي في طريقه ومر من أمامه قط فإنهم يعتقدون أنه فأل لسوء الحظ وللموت، ويعتقد البعض في ألمانيا أن القطط السوداء التي تعبر أمام الشخص من اليمين إلى اليسار هي نذير شؤم، ولكن من اليسار إلى اليمين عكس ذلك، وفي المملكة المتحدة فإنه من الشائع أن القط الأسود الذي يعبر أمام الشخص هو فأل خير. ولقد تمكنت القطة السوداء في التراث من التحول إلى طابع بشري لتعمل كجاسوسة أو ساعية للسحرة أو الشياطين، فعندما وصل الحجاج إلى صخرة بليموث كانوا يؤمنون إيماناً راسخاً بالكتاب المقدس، وأيضاً يؤمنون بأن أي شيء يعتبر من الشيطان، وكانت تلك المجموعة مريبة للغاية وكانوا ينظرون إلى القطة السوداء على أنها رفيقة للسحرة، وأي شخص يُقبض عليه ومعه قطة سوداء سيعاقب بشدة أو حتى يقتل، هم ينظرون إلى القط الأسود كجزء من الشيطان والشعوذة وبسبب هذه الخرافات قتل الناس القطط السوداء، ولا يوجد دليل على أن إنجلترا أقامت مذابح منتظمة وواسعة النطاق على القطط "الشيطانية" أو حرقها في منتصف الصيف، كما يحدث أحيانًا في أماكن أخرى في أوروبا.

على النقيض فإنه كانت القوى الخارقة للطبيعة المنسوبة إلى القطط السوداء يُنظر إليها في بعض الأحيان بشكل إيجابي، وعلى سبيل المثال البحارة الذين يفكرون في "قطة السفينة" يريدون الحصول على واحدة سوداء لأنها تجلب الحظ الجيد، وتحتفظ زوجات الصيادين بعض الأحيان بالقطط السوداء في المنزل أيضاً على أمل أن يستخدموا تأثير القطط لحماية أزواجهن في البحر.

ويرجع لوجهة نظر أن القطط السوداء مخلوقات مواتية على وجه التحديد إلى الآلهة المصرية (باستت)، وهي آلهة القط، واعتقدت الأسر المصرية أنها يمكن أن تحصل على الدعم من باستت باستضافة القطط سوداء في منازلهم ، وكان العاهل الإنكليزي تشارلز الأول في أوائل القرن السابع عشر مصدقاً لهذا الاعتقاد، حيث قيل بأنه عند وفاة قطته السوداء الأليفة رثى حاله بأن توفيقه رحل، ووفقاً لادعائه تم اعتقاله في اليوم التالي وأُتهم بالخيانة العظمى. ويعتقد قراصنة

القرن الثامن عشر أن القطة السوداء تجلب أنواعًا مختلفة من الحظ، فإذا كانت قطة سوداء تسير نحو شخص ما فسيكون ذلك الشخص سيئ الحظ، أما إذا كانت القطة السوداء تمشي بعيدا عن شخص ما فإن هذا الشخص سيكون ذا حظ سعيد .

وعلى العكس في المملكة المتحدة إذا ما سارت قطّة سوداء نحو شخص ما فإنها تجلب الحظ السعيد، ولكن إذا انحرفت عن مسارها فإنها تأخذ الحظ الطيب أو السعيد معها، إذا كانت القطة السوداء تسير على متن سفينة ثم مشت خارجا، فالسفينة ستغرق في رحلتها التالية.

إن احتمال تبني القطط السوداء في الملاجئ الأمريكية أقل مقارنة بالألوان الأخرى باستثناء اللون البني، وعموماً فإن الحيوانات السوداء تأخذ وقتاً أطول للعثور على منازل، وبعض الملاجئ أيضاً تعلق أو تحد من تبني القطط السوداء خلال فترة عيد الهالوين خشية تعرضهم للتعذيب، أو استخدامهم كزخارف حية للعطلة ومن ثم التخلي عنهم. على الرغم من هذا فإنه لم يوثق أحد من قبل في تاريخ العمل الإنساني أي علاقة بين تبني القطط السوداء والقطط التي تُقتل أو تُصاب. فعندما يتم الإبلاغ عن حالات القتل هذه تشير الأدلة الجنائية إلى الحيوانات المفترسة الطبيعية مثل القيوط والنسور أو الطيور الجارحة كسبب محتمل، ويوم ١٧ أغسطس هو "يوم تقدير القط الأسود". وفي الأيام الأولى للتلفزيون في الولايات المتحدة، استخدمت العديد من المحطات الموجودة ترددات عالية جدًا على القناة ١٣ وجلبوا قطة سوداء من أجل جعل الرياضة الموجودة على تلك القناة غير محظوظة.

وفي شهادة أُدلي بها أمام المحكمة في محاكمة ١٩١٨ لعمال الصناعة في العالم، قال رالف شابلن الذي يُنسب إليه إنشاء رمز القط الأسود الخاص بعمال صناعة العالم **IWW** أن القطة السوداء "شاع استخدامها من قبل الأولاد باعتبار أنها تمثل فكرة التخريب". و الفكرة هي تخويف صاحب العمل من خلال ذكر التخريب أو عن طريق وضع قطة سوداء في مكان ما، أنت تعرف إذا رأيت قطة سوداء تمر عبر طريقك إذا كنت مؤمنًا بالخرافات سيكون لديك حظ سيء، وفكرة التخريب هي استخدام قطة سوداء صغيرة لتخويف رئيس العمل. عندما تم إعادة صياغة نظام تسمية برنامج المكوك الفضائي للبعثات لتفادي ظهور **STS-**١٣ ، قام البعض منهم بتصديق الخرافة وفي أبولو ١٣ والطاقم الذي كان من المفترض أن يكون في **STS-**١٣ (انتقل إلى **STS- 14 C**) قاموا برسم هزلي يحتوي على قطة سوداء وعلى رقم

١٣. كانت المهمة ناجحة وحتى أنها هبطت الجمعة في اليوم ١٣. كان السبب الرئيسي الآخر لنظام الترقيم الجديد هو استيعاب عدد أكبر بكثير من عمليات الإطلاق.

تم تحديد ٢٧/ ٢٠١٤ أكتوبر "يوم القط الأسود" من قبل حماية القطط في المملكة المتحدة وبريطانيا العظمى وإيرلندا الشمالية وذلك للاحتفال بفضائلها وتشجيع الناس على تبني القطط السوداء غير مرغوب فيها، وتشير الأرقام الخاصة بحماية القطط إلى أن القطط السوداء تواجه صعوبة للعثور على منزل جديد أكثر من الألوان الأخرى.

و في عام ٢٠١٤ ذكرت **RSPCA** أن ٧٠ ٪ من القطط المهجورة في رعايتها كانت سوداء مما يشير إلى أن السبب المحتمل هو أن الناس يعتبرون القطط السوداء غير جذابة . في الولايات المتحدة "يوم تقدير القطة السوداء" هو ١٧ من أغسطس. وأظهرت الأبحاث التي أجرتها **ASPCA** أن القطط السوداء تملك فرصة أقل للتبني من القطط الأخرى في الملاجئ ، وهذا يمكن أن يكون جزئياً بسبب الخرافة وراء أن القطط السوداء ترتبط بالسحر أو الحظ السيئ أو لأنها تبدو مملة بجانب القطط الملونة . وفي عام ٢٠١٤ ، نظمت تورونتو أكبر المدن الكندية حدثًا في يوم الجمعة الأسود حيث انه يمكن للناس أن يتبنوا قطة سوداء دون دفع رسم التبني المعتاد البالغة قدرها ٧٥ دولارًا، وذلك لتشجيع تبني القطط السوداء. وقد انتشر هذا الاتجاه الآن في الولايات المتحدة حيث توفر العديد من الملاجئ تبنيًا مجانيًا للقطط السوداء يوم الجمعة السوداء.

قدس الفراعنة منذ آلاف السنين القط ، وقد نُظر إليه بتبجيل واحترام، وكان جزاء من يقتل قطًّا عقوبة الإعدام، فعلى عكس ما يتوقع الناس ويسود بينهم الآن، كانت النظرة الخاصة بالمصريين القدماء تحديدًا، تجاه القطط جميعًا، سوداء اللون كانت أو بأي لون آخر، نظرة مليئة بالاحترام والتقدير، تجاه تلك الحيوانات الأليفة صغيرة الحجم، وكان عبور القطة السوداء أمامهم لا يحمل معه أي مشاعر سلبية، بل إنه كان يدعوهم إلى التفاؤل، وانتظار قدوم الخير والرخاء.

في عصور ظلام أوروبا الوسطى ارتبطت القطط السوداء بالساحرات والمشعوذين؛ ذلك أن كل ساحرة كانت تصحب معها قطة، وهذا الأمر جعل الناس يتأكدون من اعتقادهم بأن القطة السوداء ما هي إلا جنيّ متخفٍ، قصة من القرن السادس عشر الميلادي لأب وابنه كانا مسافرين، وقد مرت قطة سوداء من أمامهما، فقام الولد

بقذفها بحجر، فركضت القطة بعيدًا لبيت إحدى الساحرات، وفي الصباح وجدوا الساحرة وفي وجهها كدمات، فاعتقدوا أن الساحرة كانت متشكلة في هيئة القطة وأنها جني.

سئل الشيخ الألباني رحمه الله : هل القطة السوداء شيطان ؟ فأجاب : "لا ، ذاك هو الكلب الأسود شيطان " انتهى

قال ابن تيمية: إِنَّ الْكَلْبَ الْأَسْوَدَ شَيْطَانُ ، الْكِلَابِ وَالْجِنُّ تَتَصَوَّرُ بِصُورَتِهِ كَثِيرًا وَكَذَلِكَ صُورَةُ الْقِطِّ الْأَسْوَدِ؛ لِأَنَّ السَّوَادَ أَجْمَعُ لِلْقُوَى الشَّيْطَانِيَّةِ مِنْ غَيْرِهِ.

الإسلام يبيح تربية القطط بجميع الألوان والقطط من الطوافين والطوافات .



مقارنة بين فتيات الغرب وفتيات الإسلام

الفتاة الأوروبية الغربية: تفرح بها أمها كثيرا ؛ ولكن لا أحد يعرف من هو أباها ؟ تدخل الروضة والمرحلة الأساسية ومرحلة الثانوية والمراهقة وهي لا تعرف من هو والدها ؟ خلال كل هذه المراحل تتنقل أمها من رجل إلى آخر محاولة الحصول على زوج قبل أن ينقضي قطار العمر. عندما تبلغ الفتاة الـ ١٨ سنة من عمرها تختار إما أن تستمر في العيش مع أمها وتشارك في إيجار السكن ، أو تطرد من المنزل ! غالبا تخرج من المنزل ؛ لأنها لا تزال طالبة في الجامعة وترغب في السكن مع صديقها الحالي! تضطر إلى العمل في أي مجال حتى البغاء والحانات مهما كان للحصول على المال ودفع رسوم الجامعة ورسوم سكنها مع صديقها « هذا في حال أنها استمرت مع صديق واحد » تتعرض للتحرش يوميا وليس أمامها إلا خيارين إما أن تنحرف أو تستمر في التنقل من سكن إلى آخر ومن صديق إلى آخر!

تقوم بعض الشركات الغربية باستغلال الكثير من الفتيات لعمل أفلام إباحية وانحرافات جنسية ، تتعرض الكثير من الفتيات للاغتصاب وربما القتل والضرب في الشارع في الملاهي! عندما تكبر في السن يتركها أولادها فلا مفر من رميها في بيوت العجزة والمسنين ،وزيارتها في عيد الأم .

أما حياة الفتاة المسلمة فعندما تولد يفرح بها الأب والأم والجد والجدة والأهل والأحباب، ويعق عنها بشاة ويتصدق بفضة بوزن شعرها ، تدخل جميع مراحل الدراسة وهي تعيش بسعادة في كنف أمها وأبيها ، تنهي دراستها وجامعتها وهي تعيش في بيت أبيها وأمها وأسرتها معززة مكرمة ، يأتي إليها خطيب فيقوم الأب بالبحث عنه والسؤال عن دينه وأخلاقه ، تتزوج وتنجب وتتكرر السعادة مع ابنتها وتتكرر نفس مراحل عمرها ،

عندما تكبر في السن يتنافس الأبناء في خدمتها ورعايتها والبر والإحسان إليها . ثم يأتي علماني أحمق إلينا وينادي بحقوق المرأة ! ويقول رجعية معقدة ؛ لأنها تغطي وجهها وتصون نفسها وتصون مجتمعها من الفتنة .

أيها المسلمون استيقظوا من غفلتكم وخدعة الحرية التي يروج لها الغرب الحمد لله على نعمة الإسلام !

انتهت حكاية القط الأسود

التحقيق الجنائي والجريمة



الصديقان

جميل شاب طالب في الجامعة ، كان يجلس مع علياء صديقته في الجامعة على أريكة في ساحة من ساحات الكلية ، وكان الكثير من الجنسين يفعلون مثلهم ؛ كأنها ساحة غرام لا ساحة علم وتعليم ، فجميل صديق لها من أيام المدرسة الثانوية ، فهما يزعمان الحب والغرام من تلك الأيام ويحلمان بالزواج بعد الجامعة ؛ وبدأت القصة ؛ لأن مدرسة الذكور الثانوية ومدرسة الإناث في نفس المنطقة والمكان ، فيختلط طلاب المدرستين بعد الابتعاد عن مدخل كل مدرسة في الشارع الرئيس ، فبعد معاكسات أثناء السير في الشارع الرئيس قبلا أن يعيشا قصة عاطفية ، فيكتبان لبعضهما الرسائل الغرامية، ويتبادلان أشرطة الكاسيت والأغاني العاطفية ، وأحيانا يلتقيان في حدائق وغابات المدينة يتبادلان الحب والقبل أو الذهاب إلى دور السينما دون علم أهليهما ، ولما نجحا في الثانوية ذهبا للدراسة في نفس الجامعة ؛ لكن لم يكن تخصصهما واحدا .

قالت علياء لجميل وقد بدأ عليها الضيق : يتحدثون عن خطبتي في البيت.. ابن عمتي يرغب بالزواج ، ورشحوني له لأن الدور عليّ .

تنهد جميل بعمق وحزن وقال : خسارة بعد هذه السنين أن لا نكون لبعض ! .. جامعة سنة أولى وزواج لا يستطيعونه أهلي يا علياء !

قالت بحزن وشفقة : أعرف ظروفك .. ولا أريد أن أخسرك .. لقد أحببتك من أعماق قلبي يا جميل كما أحببتني !

ـ ما العمل ؟ ماذا يشتغل ابن عمتك ؟ ما اسمه ؟

قالت : ياسر .. هو موظف حسب علمي في شركة تجارة للحوم والمواشي.. وقد بنى بيتا جيدا .. ولم يبق على رأي أمي سوى العروس .. ووقع عليّ الاختيار أن أكون هذه العروس .

قال : هل أقابله وأحدثه عن حبنا ؛ لعله يتفهم الأمر .. ويبحث عن غيرك .

قالت بعد ضحكة ساخرة : لم يختارني هو.. أبي الذي اختار أن أكون له !

قال وهو يظهر الشفقة : نتحدث معه ؛ لعله يشفق علينا ، ويعلم عمق غرامنا ويعتذر لأبيك .

قالت علياء : إنهم يحبون زواج الأقارب يا جميل!

قال بفتور : قابليه أنت إذن ؛ ربما تعاطف معك .. وغار من الزواج منك عندما يعلم أنك لا تريدينه ولك حبيب .

قالت بحيرة : أيحسن بي فعل ذلك؟ .. أترى أن أزوره في الشركة ؟!

قال : جيد علياء ! عندما يرى أنك على صداقة وصحبة مع غيره يحمى ويغار وينصرف عنك .. ولعلي أرتب لاتصال معه عندما نكون معا في غابة البلدية فيرانا فيتأكد من صدق علاقة بيننا .. علينا أن ندافع عن حبنا وحياتنا .. لا يجب أن نستسلم سريعا يا حبيبتي !



خطبة علياء

علياء سنة أولى جامعة رفضت طلب يدها من قبل ابن عمتها ياسر رشدي ، دخلت عليه في مكتبه في "شركة المواشي واللحوم" في المدينة .

فنهض قائما ومسلما ومظهر فرحا وبشاشة مصطنعة ؛ لأنه صدم بوجودها في مكتبه دون مقدمات واتصال . فقال : مرحبا وأهلا ابنة خالي الغالي !

وبدون تمهيد ورد التحية سمعها تقول بقسوة وتحدي :سمعت أنك ستطلب يدي !

تظاهر بالسذاجة وقال : سمعت ! ممن سمعت ؟

ضحكت ضحكة قصيرة وقالت : من خالك ..أبي !

عاد إلى مقعد المكتب وأشار لها بالجلوس على مقعد في المكتب وقال :حسنا! هل الكلام هنا ـ وهو يشير لطاولة المكتب ـ ينفع ومناسب .. فلنلتقي في النادي أو مقهى الشمس أو حتى في بيتكم بعد الدوام .

قالت بحدة : لا داعي لأي لقاء.. ها نحن نلتقي .. فلماذا الزواج يا ياسر ؟

رد بجفاء : لم نقل زواج يا علياء ! كان الكلام على خطبة ..خطبة فحسب ولما تنته الدراسة نتزوج.

قالت بنفس الانفعال : ألم تجد إلا أنا من بنات الأسرة ؟

اشعل سيجارة وقال : خالي يريد ذلك .. أنت تعلمين أنهم يحبون أن تتزوج بنات العائلة من العائلة اذا أمكن ذلك .. أنا حدثت أمي برغبتي بالزواج وتكوين أسرة ، وتحدثت الأم مع شقيقها .. فوافق ولم ير فيّ عيبا

قالت علياء : دون رأيي!

قال : أبوك هو الذي يسمع ويأخذ رأيك .. أما أنا لا أدري يا ابنة الخال الغالية.

قالت علياء : دعك من الألفاظ الغالية

قال : أنت ترفضينني ؟ هل أفهم ذلك؟!

قالت بتعال : أنا لم أقبلك أولا لأرفضك ؛ لكني لست مهيئة للخطبة والزواج.

قال بضجر وغضب مكتوم : أنا سأخطب أنت أو غيرك يا علياء .. أبوك هو الذي يريدني .. وقال لأمي: علياء لياسر.. فتحدثي مع أبيك، ومع أمي.

قالت : لا استطيع .. أنت تحدث .. أنت تعلم قانون بنات العائلة الظالم .. هل هو دين أن يتزوجن من العائلة ؟ فلنكسر هذا القانون .

قال بلكنة تهكمية : اكسريه .. أنا لا أستطيع كسره .. ولست متعلقا بفتاة معينة .. أنا أحب أن أكوّن عائلة .. فحاوري أباك كما نتحاور في مكتب الشركة والشغل .. وتحججي بالدراسة وسنوات الجامعة الأربعة.. تحدثي معهم قبل نهاية الأسبوع ؛ لأن الخطبة كما علمت ستكون خلال الأسبوعين .. وأنا كرم مني سأنتظر حتى التخرج .. وهو مدة طويلة .

قالت : ولماذا تنتظر كل هذه المدة ؟ فأبي يريد خطبة قصيرة .

قال بابتسامة : الأمر له .. وأنا جاهز .

رفعت يدها مودعة ، وقام هو ظانا أنها راغبة بمصافحته فصافح الهواء ، خرجت مظهرة امتعاضها منه .

وقال لنفسه وهو يمشي لنافذة المكتب المطلة على فناء الشركة : لا تريدني فلتقل ذلك لأبيها .

ولما خرجت قالت وهي تهبط الدرج : سأكلم أبي وأرفض الخطبة والزواج.. أنا أحب جميلا وسأتزوجه رغم أنف العائلة .. ولا يهمني قانون العائلة السيء الذكر.

وقف ياسر مراقبا لها في ساحة الشركة ، فرأى أن شخصا ذكرا هو الذي أتى بها إلى مكاتب الشركة فقال : من هذا ؟ بعد تفكير قال : سيارة من ؟ لابد أنه زميل الجامعة . تبسم وقال: من أجل هذا الشقي لا ترغبين بالزواج مني.. سأعرف من هو ؟

نشأت

لما غادرت الآنسة علياء مكتب ياسر دخل عليه زميله نشأت ـ الموظف في شركة المواشي ـ محركا يده ؛ كأنه يقول له " من هذه الأنثى ؟" ففهم ياسر الإشارة وأجاب : إنها ابنة خالي موسى .. وستكون خطيبتي رسميا قريبا .

قال نشأت : حسناء بمعنى الكلمة ونحيفة ! ماذا تريد من خطيبها لتأتيه لمكتبه ؟!

عاد ياسر للجلوس ، وجلس الزميل الفضولي على مقعد قريب من المكتب.

فقال ياسر وهو ينفخ : باختصار لا تريدني يا نشأت !

قال متعجبا : لماذا ؟! ماذا ينقصك ؟.. كل بنات الدنيا يرغبن بك .. وماذا تعمل هي ؟

قال مفكرا : طالبة مستجدة .. هي التي لا تريدني من كل بنات الدنيا ..عاشقة .. إنها تحب رجلا غيري .. رجلا معها الجامعة .

قال : دعها .. البنات كثير

ضحك ياسر قليلا قبل أن يقول : أنا لم أفكر فيها أبدا .. لم تخطر في بالي أبدا .. لما أكملت بناء الشقة كما تخبر رغبت بالزواج يا عم نشأت ، فقالت أمي : لخالك موسى بنات .. دعني أتكلم معه .. قلت : لا بأس تكلمي.. ليست عيني على فتاة معينة .. فقبل خالي بي قبل أن يأخذ رأيها ومشاورتها .. للأسف غالب الناس لا يعلمون ما تفعل بناتهم خارج البيت!

عقب نشأت : وهي جاءت تطلب منك رفضها.

قال : صحيح يا صديقي ! ومن الوقاحة أنه أتى بها بسيارته أو سيارة أبيه

قال : وماذا فعلت لها؟

قال : قلت صارحي أباك بحبك وبرفضك .. لماذا أكسب عداوة خالي والأسرة من تحت رأسك ؟

فخرجت ساخطة ناقمة .

قال : الأفضل دعها!

قال : يا نشأت .. الأمر ليس بيدي .. الأمر بيد أبيها.

ـ وهل حقا لها حبيب ؟!

قال ضاحكا : وإلا لماذا أتت ؟! .. أنا سمعت عن ذلك الحبيب قبل سنوات .. وبالطبع لم أعر الأمر أهمية .. أنت تعرف حب فترة المدرسة .. يبدأ سريعا وينتهي سريعا.

قال: أتراه نفس العاشق؟

قال : لا أدري ! ولسوف أعرف .. ليت خالي يخلصني من هذه السفاهة

قال : أيرفضك خالك اذا تباكت أمامه .

قال ياسر مفكرا : خالي متعصب لزواج البنات من ذكور العائلة.

نهض نشأت خارجا لمكتبه قائلا : أتمنى لك التوفيق والخروج من مشكلتك مع زوجة الغد .

*****

لما رأت علياء جبن ياسر في نظرها ، وعدم قدرته على مواجهة أمه وخاله ، صارحت الفتاة والديها بعدم رغبتها بالخطبة والزواج قبل انتهاء الجامعة والدراسة ، وهذه السنوات يحدث فيها الكثير من الأمور والأشياء ، وبعد جدل ونقاش استسلمت الأم لاعتراضات علياء .

قالت الأم : الآن بينك وبين أبيك .. وأنا من رأيي أن توافقي .. فياسر شاب متعلم ودارس ، ويعمل في شركة كبيرة ، وعنده شقة في بناية أبيه ولا تنقصه إلا زوجة جميلة وطيبة مثلك .. وأبوك يحب ذلك يا علياء ، وهو سيسمح لك بإكمال الجامعة ؛ إنما هي مجرد خطبة.. فلن يكون هناك حبل وولادة .. ويكتب العقد بعد حين .

فصرخت : أنا لا أحبه .. ولا يدخل لي من زور.

قالت الأم : وهل أنا أحببت أباك قبل الاقتران.. الحب غالبا يأتي بعد الزواج .

قالت : وقد لا يأتي . فردت : الحياة الزوجية تسير بدون حب ..والمحاكم موجودة .. تكلمي مع أبيك .

رفض الأب موسى بشدة تأجيل الخطبة لاعتبارات كثيرة ، فهو لا يجب ولا يحب ولا يجوز أن يبدو ضعيفا أمام كبار العائلة ، وهو الذي أعطى لأخته وأقاربه ، فمن العيب والوهن والخور التراجع بعد النطق بالعطية والموافقة ، ومن العار الخضوع لرغبة النساء .

قالت بتوسل : أنا غير مستعجلة على الزواج يا أبي الطيب .. فلم ينتظر ؟ وقد أغير رأيي فأظلمه .. ينتظر ثم أرفضه .. سيصيبه الجنون والزعل .

فقال بدون تردد : فمن العيب يا بنية أن أغير قراري لأختي وصهري رشدي والد ياسر ، وقد نطقت بذلك لهما قبل أن أسمع كلامك .. أعترف أني تعجلت .. ولم أشاورك .. وحتى أمك .. وهم وافقوا ورضوا بك .. والجامعة التي ترغبين بها سيحققها لك.. ولن يكون هناك زواج حتى لا تنشغلي عن طلب العلم.

قالت بحزن : لم أتصوره زوجا لي!

ابتسم موسى وقال : بنات اليوم عندهن أفكار عجيبة وسخيفة !.. هل ترين أني تصورت أمك زوجة لي قبل رضا أهلها .. وتراها تصورتني زوجا لها .. عشرات الصبايا يراهن الإنسان ولا يتصور أن إحداهن ستكون أهله وأم ذريته .. مرات يرى الشاب فتاة في عرس أي مناسبة ويميل إليها فور رؤيتها وتكون حليلته .. حكايات النساء والنصيب عجيبة .. وقد تبدو مستحيلة.. ابن صديق كان يعالج في مستشفى فرأى فتاة ألزم أهله بأن يخطبوها له .. على كل حال تصوريه .. هو لما رغب بالزواج لم يقصدك ؛ لكن أختي رأت ذلك للتقاليد والعادات الدارجة قالت ياسر يفكر بالزواج يا موسى وأنت عندك بنات.. فرحبت والدور لك وعليك أنت الكبيرة اليوم .. وقلت لها لا بنت معينة عنده .. قالت : لو كان مصاحبا لقال اذهبوا واخطبوا لي فلانة .. وأنت في سن الزواج .. والزواج مهم لكل الناس وللبنات أهم ؛ لأن البنت بعد سن معين تقل الفرصة أمامها كما

تخبرين .. وما الذي يعيب ابن عمتك؟ والزواج لابد منه لكل الناس .. ونحن كما تخبرين نحب أن تبقى بنات العائلة في العائلة .. وهي فرصة وإلا العنوسة .. وأنت الآن في توتر وقلق ؛ ولكن بعد الخطبة ستفرحين وتنسجمين وتتغير نظرتك لياسر والزواج .

قالت بشبه استرحام : أخشى أن يشغلني عن الدراسة، ستكثر زيارته بعد الخطبة صاح

الأب : وقته كله في العمل يا علياء ! وتستطيعين ترتيب أمر الزيارات بما يناسب الدراسة وتستطيعين الحد منها .

****

جرت الخطبة وحفلتها رغم اعتراض الخطيبة ، حضرت أسرة ياسر وأقاربهم ، وكان والد علياء وأهلها في استقبالهم ، وطلبت يد علياء لياسر ، وقرئت الفاتحة ، وزغردت النساء ، وشربت العصائر ، وقدمت الحلوى ، ورقصت النساء ، ووضع خاتمي الخطبة في أصابع العروسين ، وأقيم احتفال صغير بهذه المناسبة السعيدة إلا عند العروس .، ثم بعد حين انصرف الناس إلى بيوتهم ومصالحهم .

رغم مظاهر الفرح بين الأسر والبشاشة والمجاملات والذكريات، ولبس العروس بدلة العرس البيضاء والتصوير ، كانت عروسهم حزينة مع أنها خطبة ، وياسر تقبل امتعاض العروس وتكشيرها عندما وضع الذبلة في أصبعها .. وهو يعلم أنها تقابل رفيقها جميلا في الجامعة ، وأخبره بعض من اتصل بهم على عمق صداقتها لجميل منذ بداية السنة الأولى ، وأحس أن هذا الزواج سيفشل فشلا ذريعا إلا إذا استطاع الوصول لقلبها ؛ لذلك غمز عند تلبيس الذبلة الذهبية فقال أثناء تلبيس الخاتم :جميل ! جميل منك أن تقلبي ارتباط قلبينا . وابتسم ؛ كأنه يقول: علمت بحبك لجميل . وهي بدا عليها الاضطراب لقول اسم حبيبها .

اتصل به أحدهم أن خطيبته مع حبيبها في غابة البلدية ، فتأكد له ما أحس به عندما جاءته الشركة تطلب منه إلغاء الخطبة وتركها وشأنها ، وانزعج جدا ، فقد أمل أن تنهي علاقتها به بعد الإعلان الرسمي لخطبتهما ، وأن يتوقف العبث كما يراه ، فذهب إلى الغابة ليرى بعينيه ، فأخذ مغادرة لبضع ساعات ، وفكر أن يظهر لهما ؛ لتعلم أنه يعلم ، ولما أشار لجميل أثناء الخطبة تضرج وجهها بالاحمرار والاصفرار.

فلم يفعل شيئا ، وما بينه وبينها خطبة وفاتحة ، وتمالك أعصابه وغضبه ، فعاد لعمله ، وازداد يقينا بعلاقة ابنة خاله برجل غيره رغم إشهار الخطبة ، وشغله الأمر وأهمه وأغمه ، وبدا أمام زملاء

العمل مشغول الذهن ويغمره الحزن وهو يحدث نفسه إن ترك سيسأل أمام العائلة عن السبب ، وسيضطر للكلام وفي ذلك إساءة لخاله وأمه والعائلة ولنفسه معهم .

اتصل بها ليلا وسألها عن قصة الشاب الذي صحبها في الغابة ظهرا ، فأنكرت فعل ذلك ، فأخبرها أنه ذهب بنفسه ليرى الوشاية ورآهما بأم عينيه ، فاعترفت وقالت: زميل في الجامعة أحب أن يدعوني للغداء في مطاعم البلدية .. وبعد لحظات صمت تابعت : اسمع بصراحة أنا أحبه يا باسر !

قال بحنق وصياح : أنت جبانة وخائنة ! كان عليك مصارحة أمك على الأقل .

أغلقت التلفون ، ثم عاودت الاتصال بعد حين .

وقالت : قلت لك لا أريدك ؛ لكنك لم تفهم.

لم يرد واغلق هو بدوره .

اتصلت علياء بجميل وأطلعته عن رؤية ياسر لهما في غابة البلدية عن وشاية تلقاها من أحدهم وعن إساءته لها ووصفها بالخائنة والجبان.

فقال جميل : من اخبره ؟

فقالت : لا أدري ! أنا لم أخبر أحدا موعد اللقاء .

قال : ولا أنا.. من سمعنا من الزملاء ونحن نتواعد؟

قالت : حتى لو سمعنا أحد ؛ فكيف اتصل بمن هو خطيبي ؟

قال : فعلا ما أدراه بتلفون ياسر ..أو شركة ياسر .. ولماذا أتى ياسر الغابة ؟

قالت : ليتأكد من حبنا وعلاقتنا .. رفض أن يترك الخطبة كما حدثتك مع علمه بما نحن فيه .

قال : على كل نتكلم غدا في الكلية .. سنجد حلا تصبحين على خير.

وضعت السماعة عندما دخلت أختها الأصغر قائلة : مع من تتحدثين ؟

- ياسر .. تشاجرت مع خطيب الهنا

قالت : عليك الرضا بنصيبك

قالت علياء : الرضا بنصيبي ، قد لا يكون نصيبي ويموت أحدنا قبل الزواج.

بعد هاتين المكالمتين العاصفتين بيومين وجد الناس جثتين في غابة البلدية ، وكانتا لجميل وعلياء لقد اطلق الرصاص عليهما ،وأتت الشرطة الجنائية والطب الشرعي والتحقيق البوليسي.

اشتباه في الخطيب

كانت فضيحة مدوية في العائلة لعلياء وياسر وهم يسألون من هو هذا القتيل معها ؟ ولماذا كانا في

الغابة ؟ والسؤال الثالث من قتلهما ؟
حققت الشرطة مع أسرة علياء ، وأسرة جميل ، وتحدث ياسر عن الواشي وقصة الغابة ، وتحققت الشرطة من صحة الاتصال ، وتبين أنه من هاتف عمومي .
التقت جهات التحقيق بزملاء ورفاق جميل سواء في الجامعة ، أم في نادي العائلة ، وتحدثوا مع رفاق الحي ، وجميع من سئلوا أنكروا الاتصال بياسر وإخباره بخروج جميل وعلياء سوية ، وأي معرفة لهم بالمتصل ، وعلاقات الشباب والشابات أمر اعتيادي في صالات وساحات وقاعات الجامعة ، شيء لا يثير الدهشة والانتباه بينهم ، سواء كان اللقاء والجلوس علاقة عاطفية أو مناقشة ، وسواء كان اللقاء بين زملاء كلية أو شعبة واحدة .
وبين رفاق الكلية أنهما صديقان من بداية العام الدراسي ، حتى وقع في قلب البعض أنهما أصدقاء قبل الالتحاق بالجامعة ، ولم يعرفوا منافسا أو خصما لهما أو لأحد منهما ، فهما دائما معا ولم يكن الأمر خفيا . وبدا الكل مستغربا الجريمة ، وأن ما كان بين علياء وياسر مجرد خطبة وهم أقارب بعضهم ببعض، لم يزعم ياسر بحب جارف لها أو علاقة كانت تربط بينهم تطورت لزواج ، والخطبة يمكن إنهائها بطرح ونبذ الذبلة من يده .
إذن لماذا قتلت؟ ولماذا قتل جميل ؟ على الشرطة الإجابة .. المجتمع المحلي والجامعي والأسري أصابه الانزعاج والقلق . كالعادة تسري الأقاويل وتكثر الإشاعات.
وتأكد للشرطة أن ياسرا لم يغادر العمل عندما تحدد الوقت التقريبي للقتل لأي ظرف ، انصرف في الرابعة مساء كأي يوم عمل آخر ، كما شهد على ذلك عدد من زملاء العمل والمسؤول عنه ، وهو الذي كشف أمر تلفون الواشي قبل الجريمة ؛ وقال بعضهم افتراضا : ربما فعل ذلك الواشي ؛ ليدفعه ويهيجه لارتكاب الجريمة نيابة عنه بزعم الغضب والانفعال .. ويبدو أن الواشي لم يكن يعلم بأن الشاب ياسر عرف بالعلاقة بينهما منذ بدأت الفتاة رفضه وزارته في مكتبه في شركة المواشي تطلب منها الابتعاد عنه .. وكيف رأها تركب معه السيارة الخصوصية لم تزره بتكسي أجرة ؟
اضطر البوليس إيقاف التحقيق ، أغلق الأمن الملف إلى حين حتى يظهر جديد في القضية الجنائية، كان والد علياء في شوق ولهفة لمعرفة قاتل ابنته رغم الوضع والخزي الذي حصل في العائلة.. هناك جريمة قاتل .. فمقتل ابنته مع شاب غريب لم يمت للعائلة بنسب بعلاقة بقرابة أمر مثير .. لو قتلت في مكان آخر أو غابة في الجامعة ؛ ربما كان الأمر أهون على النفس ، ولم يثر شبهات وأقاويل.. عادة ما يجلس الطلبة مع بعضهم في المطعم في

الملعب أما في غابة البلدية البعيدة عن الجامعة.. فهذا يشي بأمر كبير بينهما ، ويدل على علاقة سيئة وقبيحة .

وفرح والدها والأسرة رغم المأساة لما أخبر الطب الشرعي أنها كانت عذراء بكرا لم يحصل بينهما اتصال جنسي أو اغتصاب ؛ ولم تكن في حالة حمل ؛ فكان موسى سعيدا بذلك إلى حد ما. ولكنها قتلت ! والشرطة لم توجه الاتهام لأحد ، وهو أيضا لا يتهم أحدا.

لما برد وخفت موضوع مصرع علياء بين أفراد العائلات ، والأيام تنسي المصائب والآلام ، وقلّ ذكره في الصحف همس ياسر بالزواج ، عرضت عليه أسماء شقيقة علياء طالبة في الثانوية بينها وبين الجامعة شهور معدودات ، فقبل ياسر وأعلنوا الخطبة رسميا ، وأن الزواج سيكون بعد امتحانات الثانوية العامة التي بقي لها شهران ، ونجحت الفتاة ، وحصلت درجة ممتازة وستتعلم الصيدلة أو الطب ، ولم يمانع الزوج ياسر على أن يكون الزواج قبل الالتحاق بالجامعة . وبدأ الاستعداد لحفل الزواج بعد أن تمت كتابة عقد الاقتران في إحدى المحاكم الشرعية في المدينة .

ذهب ياسر بصحبة أخيه يامن إلى حجز صالة أو قاعة لإقامة حفل الزفاف ، وكانت الأمور تسير على ما يرام ، ونسي القوم علياء وقاتلها، والحياة لا تتوقف عند حياة أحدهم أو موته. تركوا السيارة في ساحة مخصصة لسيارات الشركة المالكة لإدارة القاعة ، وهذه الساحة أو الفناء عادة مخصصة كما هو معلوم لاصطفاف ووقوف سيارات المدعوين ليلة الحفلة أو السهرة وحين تكون خالية أو قليلة السيارات فهذا يدل على عدم وجود مناسبة وحفلة عقدوا الاتفاق مع إدارة القاعة والصالة ، ووقعوا العقد ودفعوا المبلغ المتفق عليه بين الفريقين وهبطا إلى سيارة يامن الصغيرة ، وجلس يامن في مقعد القيادة منتظرا صعود شقيقه ياسر ، وأوشك ياسر أن يقترب من بابها الأيمن ؛ ليجلس على يمين يامن ؛ ليذهبا لمكتب كتابة وطباعة كروت الحفلة والبطاقات بهذه المناسبة ، وقبل أن يمد يده إلى مقبض الباب أطلق اتجاهه عددا من الرصاصات الغادرة ، فصرخ وسقط أرضا ، ولاحظ الناس الموجودون في الساحة السيارة التي قامت بالجريمة ، ولقطوا لونها ورقمها وعلامتها التجارية .

وكانت بعد اطلاق الرصاص تحركت مسرعة حيث كان يجلس على مقعد القيادة شخصا في وضع تشغيل للسيارة ،ولما صعد مطلق الرصاص تحركت مبتعدة هاربة. حضر الإسعاف الفوري والأمن ، ونقل المصاب إلى المشفى ، وأدركه الموت بعد ساعات . قامت الشرطة بسماع أقوال الجمهور

ويامن ، وبدأت مطاردة السيارة فورا ، ولم يكن عسيرا إلقاء القبض عليها ، فخلال ساعات كانت في قبضة الشرطة بدون السائق والجاني كما قال الشهود . وكان الحادث صاعقا لأهل ياسر وأهل العروس، وكان الناس في حيرة في سبب هذه الجناية والجريمة .. فقبل شهور قتلت خطيبته علياء .. وها هو اليوم يقتل .. ما الأمر ؟!

وذكرت الصحف الناس بمقتل علياء وجميل قبل سنة ، ولاموا البوليس الذي فشل بكشف خيوط تلك الحادثة ، فلو عرفوا أسباب ومرتكبو الجريمة المزدوجة ؛ ربما ما حدثت هذه الجريمة! ورغم معرفة رقم السيارة والقبض عليها ، لم تقدم للشرطة شيئا مهما ومفيدا ، فتبين أنها سيارة مسروقة من مدة من شهر .. فذهبت الشرطة بعد تفكير عميق أن الجريمة فيها مخدرات وممنوعات . فمن المعلوم لدى الشرطة أن الكثير من السيارات تسرق لاستخدامها في التهريب والسرقة أو بيعها قطع غيار ، لكن هذه السيارة موديل قديم لا تصلح لبيعها قطع غيار .. فرجح لديهم أن السيارة استخدمت قبل الجريمة بعمل تهريب .. لكن ما دخل ياسر في المخدرات .. وبدأ الاهتمام بسيرة وحياة الرجل.

نهاية الحكاية

ارتبك التحقيق في الجريمتين ، القتل كان في وضح النهار ، اجتمع مجموعة من المحققين، والمدعين العامين المكلفين بالقضيتين ، وخبراء علم نفس وطب شرعي واجتماع للنظر في مآل الجريمتين .

هل هناك مخدرات ؟

الطب الشرعي أجاب : لم يكن في أجساد الضحايا ما يشير للتعاطي . تبين أن هناك بيع مواشي سرا لياسر .. بيع لحوم خفية لمصانع معلبات اللحوم .. إذا كان مقتل ياسر لعلاقته بالشركة ، فما دخل الجامعة ومقتل علياء وجميل !

نطقت أسماء أن أختها كانت لا ترغب بالزواج منه ، وأنها أكرهت لقبوله ، وكانت ترغب أن يتركها ، فهددته بكشف أمره ببيعه اللحوم دون علم رؤسائه ؛ لتجبره على فسخ الخطبة ؛بأن تكشف أمر سرقته وبيعه للخراف واللحوم من خلف الإدارة .. ولكنها لا تدري هل فعلت ذلك ونشرته ؟ ولما سؤلت كيف عرفت ؟ أخبرت أن علياء حدثتها بذلك ، وعلياء عرفت منه اعترف لها أنه يتاجر ببعض الأموال خفية لما سألته من أين وفرت أموال البناء والخطبة.. فتحدث معها بصراحة عن ذلك ليكسب ثقتها بمصارحتها بسر خطير ، وأكد لها أن والده لم يساعده بدرهم واحد ، وأن له مصادر غير راتب العمل، فلما استغلت ذلك الاعتراف ، وهددت بفضحه إن لم يقم بفسخ الخطبة ويدعها .. قد يكون هذا سبب الجريمة

الأولى . قد يكون ذلك الدافع للقتل !!

بعد هذه المعلومة عمقت الشرطة التحقيق مع رفاق ياسر في الشركة، وكشفت المستور ، وضيقت الخناق عليهم ، فاعترف بعضهم بالشراكة على الاختلاس والسرقة من وراء ظهر الإدارة ، وكان لياسر زميل علم أن ياسرا يتعرض لتهديد من خطيبته بعد أن اعترف لها بمصدر دخله الثاني ، وتمكنه من بناء البيت والخطبة مما دفع هذا الرفيق لقتل علياء وزميلها أثناء شجار افتعله في الغابة ، عندما قام جميل بصرعه على الأرض ، ووضع حذاءه على وجهه وأساء إليه ، فلما ابتعدا نهض وتبعهما وقتلهما بمسدس يحمله نتيجة شجار وتهديد .

وعلم ياسر بفعلته الجبانة ، وغضب ياسر من فعلته أشد الغضب ، ولم يجسر على الاعتراف لعمه أو الشرطة ، فهما متورطان في السرقة من شركة المواشي من سنوات .

ولما خطب أختها لتقاليد عائلية ، حذره شريكه من الزواج من ابنة خاله أسماء ، لأنه خشي منه أن يعترف لها بسرهما كما أسر لعلياء سابقا ، ويعترف لها بقتله لشقيقتها .

ولما لم يقبل ياسر تحذيره قتله مضطرا ، فهو اصبح خطرا على نشأت القاتل ، ولما سئل عن الواشي أخبر أن الواشي في المرة الأولى جميل نفسه ؛ كما اعترف له عندما قابلها في غابة البلدية ، كان يريد تهييجه على علياء .. كان يريد أن يراه ياسر مع خطيبته ، ويضطر لترك الخطبة عندما يرى خطيبته مصرة على علاقتها الغرامية مع جميل ، وعلياء كانت ترغب بأن يتركها ياسر ، فجميل هو الواشي ليذهب ياسر ويراها بأم عينيه ليغار ويترك ، وفي يوم الجريمة غادرا الجامعة سوية وذهبا لغابة البلدية ، واتصل جميل بياسر مرة أخرى ليراه معها ثانية ، فيضطر لفسخ الخطبة بإصرارها على اللقاء بحبيبها ، وإنها غير مهتمة به ، فاخبره ياسر بمكان اللقاء ، ولما علم الجاني بلقاء الغابة من ياسر ذهب لتهديدهما وحدث القتل الأول . انتهى



قلب الوطن

اختفاء البدن

الحلقة ٤ والأخيرة

الكومنتيرن

الحزب الشيوعي الروسي لينشر أفكاره على مستوى العالم ويدعم أنصاره حول العالم أسس وساعد في عام ١٩١٩م الشيوعيُّون الروس في إنشاء الكومنتيرن (الدولية الشيوعية)، ووحَّد الكومنتيرن جميعَ الأحزاب الشيوعية في العالَم في تنظيمٍ ثوريٍّ منظَّم ، وأصبح أداةً في يدِ القادة

السوفييت، ولمَّا باءت محاولات هذا التنظيم الشيوعي في تشجيع الثورات في البلدان الأخرى بالفشَل، تم إلْغاء هذا التنظيم عام ١٩٤٣م وذلك خلال الحرب العالمية الثانية ،الدول العربية كانت اغلبها تحت الاستعمار الأوروبي فلم يكن فيها أحزاب شيوعية ، إنما أفراد وجماعات صغيرة يحملون الفكر اليساري الشيوعي في مصر وسوريا ولبنان والعراق فلسطين ، الصين أثناء الحرب الكونية لم يكن يحكمها الحزب الشيوعي كان مجرد حزب يناضل ويحارب الآخرين وقد كان للشيوعيِّين بقيادة ماوتسي تونج اليدُ العليا في هذه الحرْب، وفي عام ١٩٤٩م سيطر الشيوعيُّون في الصِّين على كافَّة الأراضي الصِّينيَّة الرئيسيَّة.. وانحسر الاستعمار الياباني عن المناطق الخاضعة له في عام ١٩٤٧م أُنشِئتْ تسعة أحزاب شيوعية أوروبية الكومينفورم (دائرة الإعلام الشيوعي)، وقد سيْطر السوفييت على الكومينفورم، وحاولوا استخدامَه من أجْل ضمان استمرار الأحزاب الأخرى في اتِّباع سياستهم، طُردتْ يوغوسلافيا من الكومينفورم عام ١٩٤٨م ، بعدَما رفض جوزيف تيتو أن يكون تابعًا لسياسات الاتحاد السوفييتي، وبعدها فقَدَ (الكومينفورم) فاعليتَه، وتم حلُّه عام ١٩٥٦م.

بحلول عام ١٩٩٢م لم تعُدِ الشيوعية تحوز سلطةً إلا في الصين وكوبا، ولاوس وكوريا الشمالية وفيتنام، وبادرتْ حكومتَا الصين وفيتنام بإجراء إصلاحات اقتصادية.

ورغم وجود أحزاب شيوعيَّة صغيرة في فرنسا واليونان، والبرتغال والمملكة المتحدة، إلا أنَّ ممثليها في الهيئات التشريعية قليلونَ جدًّا، أو منعدِمون تمامًا، وفي إيطاليا، انشقَّ الحزب الشيوعي على نفسِه، وأَسْقَط الحزبان الوليدان السياساتِ الماركسيةَ من أدبياتها، أما الأحزاب الشيوعية

في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي السابق، فقد صنَّفت نفسَها بوصفها أحزابًا اشتراكيَّة، وتخلَّت عن المبادئ الشيوعيَّة.

فقدِ انهارت الشيوعية في معاقلها بعدَ قرابة سبعين عامًا ، من قيام الحُكم الشيوعي وبعدَ أربعين عامًا من تطبيق أفكارها في أوربا الشرقية، وأعلن كبار المسؤولين في الاتحاد السوفيتي قبل تفكُّكِه أنَّ الكثير من المبادئ الماركسية لم تعُدْ صالحةً للبقاء ، وليس بمقدورها أن تواجِهَ مشاكل ومتطلبات العصر، الأمر الذي تسبَّب في تخلُّفِ البلدان التي تُطبِّق هذا النظام عن مثيلاتها الرأسمالية، حتى الذين حوَّروا في النظام بعضَ الشيء؛ ليتَماشى مع الحضارة المادية العالمية لم يُفلحوا، وانقسموا على أنفسهم.

ومِن تلك الدول المنقسِمة: الصِّين وتبعتْها اليابان، ويرَى هذان الطرفان انحرافَ الروس عن الفِكرة الشيوعية، كما جاء بها سَدَنتُها ماركس ولينين، وكان على رأس الجانب الآخر روسيا، وبجانبها دول أوربا الشرقية، التي رأتْ عدم مرونة الصِّين في معرفة حقيقةِ الشيوعية التي لا تحصل عليها إلا أثناء التطبيق، والجمود على حَرْفية النصوص، ومفهوم النظريات أمرٌ عقيم، لا يأتي بخير، وقد أدَّى هذا الخلافُ إلى صدام على الحدود، هذا إضافةً إلى يوغسلافيا، ذات النِّظام الشيوعي الخاص، فهي تمسك بيدها الواحدة الشيوعيَّة باسم النظام، وتقبض بيدها الثانية على الاتِّجاه الغربي باسم السياسة.

وقد تأكَّد بوضوح الآن بعْدَ التطبيق للشيوعية لهذه الفترة الطويلة: أنَّ من عيوب الماركسية أنَّها تمنع المِلْكية الفردية وتحاربها، وتُلغي الإرثَ الشرعي، وهذا مخالِف للفِطرة وطبائع الأشياء، ولا تُعطي الحريَّة للفرْد في العمل وناتج العمل، ولا تُقيم العدالةَ الاجتماعية بيْن أفراد المجتمع، وأنَّ الشيوعي يعمل لتحقيقِ مصلحته ولو هدَم مصالِح الآخرين، وينحصر خوفُه في حدود رقابة السُّلطة وسوْط القانون، وأنَّ الماركسية تهدِم أساس المجتمع، وهو الأسرة، فتقضي بذلك على العلاقات الاجتماعيَّة..

قضى عبد إجازته في ربوع الوطن كما يفعل كل سنة ، وعاد لموقع عمله في الخليج وبعد وصوله بأيام تلقى رسالة من المهندس عاصم يمدح فيه ملخصه المختصر عن الشيوعية الماركسية (وذكر الكثير من فقراته داخل هذه القصة) ويستأذنه بنشره في مجلة يتواصل معها ـ مجلة ثقافية اكثر منها سياسية ـ فأذن له وشجعه على ذلك واخبره فيها أي الرسالة بأنه عاد للصلاة والدين بشكل جدي وعن اقتناع وليس كأيام الصبا والطفولة ، وأخبره أن كثيرا من المعلومات لم يكن يسمع بها أو كانت تفلسف بطريقة أن الشيوعية لا دخل لها في فعلها ، وأن لينين كان يصور لهم كملاك يدافع عن الإنسان والنسوان ، ويحارب الاستعمار وأن هناك تلبيسا في طرح الأفكار والإلحاد ، وذكر له أن شقيقهم عبد القادر رجع للأردن دون زوجته وقد اتفقا على الانفصال بسلام .. لأنها بقيت هناك هي وابنتها الوحيدة صفاء .

قال المهندس عبد القادر لما سمع بأفكار الرسالة : كيف تغيرت ورجعت إلى أفكار وخط عبد الرحيم ؟

قال موضحا : أنت تعلم اني تركت الحركة الشيوعية والحزب قبل سفرك لكندا .. لكني بقيت متمسكا بأفكارها ورفضت العودة إليها ، ولما رجع عبد قبل مجيئك وتحدثنا عن موت الاتحاد

السوفيتي بدأت أراجع أفكاري وأحلامي وقناعاتي حول التدين والدين.. ولماذا اغلب العوام لم يتركوا دينهم رغم فقرهم ورغم الغزو الفكري والثقافي الذين يعانون منه ؟ فوجدتها كما قال عبد أوهام وخرافات وأن الروس كشعب أنفسهم لم يتحول الكثير منهم للشيوعية إلا بالقوة وأن الكثير يلتحق بالحزب للعمل والشغل كما يفعل الناس في سوريا والعراق ينتمون للحزب الحاكم من اجل الوظائف ؛ لذلك يرى من يتحصل من المعسكر الشرقي على هجرة للغرب يسرع بالهجرة ورأينا هروب الكثير من المان المانيا الشرقية يجتازون الجدار نحو الغربية أو نحو المجر ومنها للغربية فهم إذن كانوا مجبرين للبقاء تحت نير حكم الحزب الشيوعي .. فالمهم تقلقلت المبادئ في عقلي وذهني ورأيت التشبث بها حمقا واستغباء .

ـ كلامك صح حتى في كندا وأمريكا تجد أفكارا اشتراكية دون شيوعية ، لأن الاشتراكية لم تولد إلا ضد الرأسمالية الاقتصادية .. فهما هذه أو تلك لا علاقة لهما بالدين ؛ إنما هما مذاهب اقتصادية .. وها نحن نسمع أن أحزاب اشتراكية تخلت عن الشيوعية وظلت اشتراكية .

قال عاصم : فهذا ! وكتاب عبد الصغير أو رسالة قل دفعاني للعودة .. وأنا كما تعلم امرأتي متدينة أصلا .. لم افكر يوما بدفعها لترك صلاتها وصومها

قال متعجبا : والله هذا كان غريبا منك تلك الأيام .. لم تفعل مثل سمور وتتزوج من حزبكم

ـ الحقيقة كنت في حيرة وشك !

سأل عبد : كان هذا واضحا لمن يدقق .. كيف الحركة الشيوعية هنا ؟

رد فقال : حركة فاشلة وتاريخ فاشل .. هذه الأحزاب الايدلوجية قائمة بدعم روسي أو صيني غير مستقلة بتاتا .. على ذكر الصين لم تجبر الشعب على الشيوعية .. الشيوعيون هم الحزب الحاكم وأنصارهم والجيش فحسب

ـ حدثني عن شيوعي البلد .. بحبك للتاريخ وقراءة المقالات .

قال صافنا للحظات وقال : شكرا .. حفظت الكثير من تاريخنا الشيوعي عن ظهر قلب وهو يسير يكتب ببضع صفحات اذا حذفت البيانات التي لا يقرأها احد .. اسمع يا أبا صفاء كتاريخ ثابت الحزب الشيوعي الأردني علنا بعد وحدة الضفتين تأسس سنة ١٩٥١ كحزب سياسي، كأفراد لا اعرف متى دخلت الشيوعية البلد .. أو أول شيوعي أو شيوعيين من الأردن لأنك ربما تعلم أن إسرائيل كان فيها أحزاب شيوعية أو حزب شيوعي وفيه عرب قبل إعلان دولة إسرائيل .. كان الشيوعي الأردني محظورا

لغاية صدور قانون الأحزاب بعد الانفراج السياسي الذي شهدته البلاد على اثر ما تسمى هبة نيسان ١٩٨٩ المعروفة لكل من عاش هنا تلك السنة الحزب أنشأه يعقوب زيادين وفؤاد نصار وغيرهم من خلال اندماج الماركسيين بشرق الأردن مع عصبة التحرر الوطني في فلسطين عام 1951م .. وأنتخب فؤاد نصار أمينا عام للحزب إلا أنه أعتقل في نهاية العام وحكم بعشر سنوات يقضيها في سجن الجفر الصحراوي .. لان القانون كان يمنع الشيوعية في الأردن ويعاديها وبعد فترة صمت ورشف الشاي عاد يقول : صدر قانون عام ١٩٤٨ يجرم الشيوعية في الأردن وعام ٥٣ جرى عليه تعديل مشدد ، وسنة ١٩٩٠ ألغي قانون مقاومة الشيوعية لسنة ١٩٤٨

.. أقول هذه العصبة عصبة التحرر الوطني في فلسطين ، كان حزبًا سياسيًا في فلسطين الانتدابية تأسس في أوائل عام ١٩٤٤ من قبل الأعضاء العرب في الحزب الشيوعي الفلسطيني الذي شهد انشقاقًا بين الأعضاء اليهود والعرب في العام السابق ، بولس فرح وأتباعه، والمثقفين المتطرفين والنقابيين الآخرين كان من بين المؤسسين فؤاد نصار وسامي الغضبان وإميل حبيبي ومفيد النشاشيبي وإميل توما للحزب صحيفة الاتحاد الصادرة في حيفا، وهي لا تزال قائمة ، كان الحزب العربي الفلسطيني الشيوعي الوحيد الذي يدعم خطة التقسيم للأمم المتحدة عام ١٩٤٧، تمشيًا مع الموقف الرسمي للاتحاد السوفيتي ، في أكتوبر ١٩٤٨ بعد تشكيل إسرائيل، اندمج الحزب مع ماكي، ماكي هو اسم الحزب الشيوعي الإسرائيلي .. ونظرًا لأن كلا من الشيوعيين العرب واليهود ما زالوا يأملون في إنشاء دولتين وفقًا لخطة التقسيم التابعة للأمم المتحدة ، فقد تقرر دمج منظمات حزب ماكي وحزب عصبة التحرر الوطني في المناطق التي حددتها الأمم المتحدة لدولة يهودية ، في حين أن حزب التحرر الوطني سيستمر في الوجود كحزب مستقل في مناطق إسرائيل التي كان من المفترض أن تكون جزءً من دولة عربية بموجب خطة الأمم المتحدة للتقسيم ، تمت إضافة قادة الحزب إلى لجنة ماكي المركزية الموسعة ، واعلم أنه في الممارسة العملية سرعان ما توقف الحزب عن الوجود داخل إسرائيل باستثناء الاسم ، وفي أبريل ١٩٤٩، أسقطت صحيفة الاتحاد وصحيفتها الشقيقة العبرية ، كول هعام، كل الإشارات إلى الحزب ، في ٢٠ يوليو ١٩٤٩، دمرت مصر بقاياه الموجودة في غزة ، واعتقلت ٣٣ شخصًا في عام ١٩٥١ ، انضم أعضاؤه في الضفة

الغربية إلى الحزب الشيوعي الأردني.. المعلن عنه سرا عام ١٩٥١

ـ تابع حديث مشوق فعلا !

تابع عاصم باسما : ١٩٥٦

استطاع الحزب الوصول إلى البرلمان الأردني، مع انه محظور رسميا حيث نجح في تلك الدورة نائبان د.يعقوب زيادين عن مقعد القدس رغم انه ولد في الكرك جنوب المملكة حيث عائلته وهو من عائلة نصرانية ، وفائق وراد عن مقعد رام الله

قال عبد مستفسرا : كيف فاز يعقوب عن القدس ؟

ـ هو كتب ما يسمى مذكرات .. باختصار .. هو يعتبر من أبرز القِيادات الماركسية العربية، شكل مع الخلايا الماركسية الأردنية وعصبة التحرر الوطني الفلسطيني الحزب الشيوعي الأردني بقيادة فؤاد نصار الذي التقاه يعقوب زيادين في القدس .. يقال انتظم في العمل الشيوعي منذ سنة ١٩٤٣، انتخب نائبا في برلمان الأردن عام ١٩٥٦ كما قلنا عن مقعد القدس المسيحي رغم أنه من مواليد مدينة الكرك، واعتُقل بعد الانقلاب على حكومة النابلسي التقدمية عام ١٩٥٧، وبقي في السجن لمدة ثمان سنوات، حتى صدر العفو عام ١٩٦٥. وفي عام ١٩٧٠ اختير عضواً في المكتب السياسي للحزب الشيوعي الأردني، وفي نفس السنة حدث انشقاق وظهر حزب الكادر اللبناني بسبب الموقف من الحرب الأهلية في الأردن ، وفي عام ١٩٨٧ انتخب الدكتور زيادين ليُصبح الأمين العام للحزب الشيوعي الأردني وحتى العام الحالي

صمت للحظات : أنت تعرف أو لا تعرف الأوراق الأردنية والفلسطينية مخلوطة بسبب القربى وبسب وحدة الضفتين ، في نيسان عام ١٩٧٠ تم الإعلان عن تشكيل قوات الأنصار بضغط قواعد الأحزاب الشيوعية في المشرق العربي ، خصوصاً داخل أوساط الشيوعيين الفلسطينيين المنضوين في عضوية الحزب الشيوعي الأردني بقيادة عبد العزيز العطي، تم إنشاء قوات الأنصار ضمن هيكلية عسكرية فدائية، حيث قام فؤاد نصار ومن خلال مؤتمر عقده الحزب ، بإعلان تشكيل قوات الأنصار؛ التي تشكلت من الشيوعيين الفلسطينيين والعرب في الأحزاب الشيوعية العربية الثلاثة: الأردني، السوري، العراقي. . مجمل القوى الفلسطينية رفض تكوين قوات أنصار ولم يقبل بوجودها إلا الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التابعة للدكتور جورج حبش زعيم الجبهة ، استمرت قوات الأنصار في مشاركتها مع باقي الفصائل الفلسطينية حتى معارك الأحراش التي ابتدأت في ١٣ تموز عام ١٩٧١ حيث انتهت بعد تلك المعارك معظم

الفصائل الفلسطينية والأردنية المسلحة وخاصة بعد تدخل اللجنة العربية (السورية) وإجلاء قسم من تلك المنظمات إلى سوريا رغم أن الأغلبية تم تشتيتها وتفكيك أعضاءها وبقوا في الأردن كانوا غير مرتاحين للعبور إلى سوريا ولبنان .

ـ جميل ! هل هذا منشور ؟

ـ منشور ومكتوب في كتب وأدبيات الجبهة والمذكرات الشخصية .. كان هناك يا أخي انشقاق في الحزب الشيوعي بين مؤيد للكفاح المسلح ورافض له قبل أحداث السبعين والواحد وسبعين والانقسام اضعف الحزب وساهم في بلبلة صفوفه ونتج عن ذلك ضعف قوات الأنصار التي انتهت كتنظيم مسلح في أواخر شهر تموز ١٩٧١ .

وسكت ثم تابع فقال : تشكلت عدة أحزاب فيما بعد كان من ضمنها الحزب الشيوعي الفلسطيني الثوري، إلا أن الحزب الشيوعي الأردني رفض بشدة مبدأ استقلال الشيوعيين الفلسطينيين خلال فترة وحدة الضفتين وبرر الحزب الشيوعي الأردني هذا الرفض لإنشاء أحزاب فرعية قيام الحزب مرهون بقيام الدولة الفلسطينية ، وأن قيامه قبل ذلك يشكل انحرافا قوميا عن الخط الأممي.. فيما بعد تشكل الحزب الشيوعي الفلسطيني والذي انشق عنه حزب الشعب الفلسطيني .. أما في الأردن فقد تشكلت عدة منظمات انبثقت من الحزب منها اتحاد الشباب الديموقراطي الأردني والاتحاد الوطني لطلبة الأردن وتنظيمات أخرى خارج صفوف الحزب مثل حركة اليسار الاجتماعي الأردني وغيرها.. واللافت للانتباه يا أبا صفاء أن مواقف الأحزاب الشيوعية، ومن ضمنها الأردني والسوري واللبناني آنذاك (سبعينيات القرن الفائت)، لم تشهد أي تغيرات فكرية وسياسية، برغم صعود المقاومة وتكاثر الانشقاقات الداخلية في صفوفها، فقد ظلت على مواقفها المؤيدة للحلول السلمية والتفاوضية، وعلى خلفية القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ من دون انخراط أو حماسة بادية لظاهرة الكفاح المسلح، وظلت ظاهرة اليسار الفلسطيني المنبثق من رحم حركة القوميين العرب ، مثار تحفظ وريبة من قبلها، بالأخص الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، التي كان لها حضورها المتميز على هذا الصعيد.

بعد صمت عاصم قال : الماركسية كما نعلم أسسها الألماني ماركس اليهودي الأصل

ـ الماركسية هي ممارسة سياسية ونظرية اجتماعية مبنية على أعمال كارل ماركس الفكرية، وهو فيلسوف من أصول ألمانية يهودية من القرن التاسع عشر وكان عالم اقتصاد وصحفي وثوري شاركه رفيقه فريدريك إنجلز في وضع الأسس واللبنات الأولى للنظرية الشيوعية العلمية

،الشيوعية كفكرة كانت معروفة ، وكذلك الاشتراكية كمذهب اقتصادي ، ومن بعدهم بدأ المفكرون الماركسيون في الإضافة والتطوير للنظرية بالاستناد إلى الأسس التي أرسى دعائمها ماركس وانجلز ، سميت بالماركسية نسبة إلى مؤسسها الأول كارل ماركس، لقد أسس ماركس نظرية الشيوعية العلمية بالاشتراك مع فريدريك إنجلز ، فقد كان الاثنان اشتراكيين بالتفكير، لكن مع وجود الكثير من الأحزاب الاشتراكية ، تفرد ماركس وأنجلس بالتوصل إلى فكرة الاشتراكية كتطور حتمي للبشرية وفق المنطق الجدلي وبأدوات ثورية فكانت مجمل أعمالهما تحت اسم واحد وهو الماركسية أو الشيوعية العلمية ، كانت أعمالهم تهتم في المقام الأول في تحسين أوضاع العمال المهضومة حقوقهم من قبل الرأسماليين في أوروبا الصناعية وهدفها القضاء على استغلال الرأسماليين للإنسان العامل.. ولكن نجحت ثورتهم في بلد زراعي بلد فلاحين كروسيا والصين .. على غير ما كان يحلم به ماركس وانجلز .

***

كان المهندس عاصم محسن مثقفا ومطالعا ومحبا للتاريخ ومذكرات الأدباء والزعماء ؛ لكن لتحلله من التربية الدينية والمعرفة الدينية وصحبته لأخيه الأكبر منه بسنة وكثرة مرافقته وسماعه من أيام المدرسة والشارع ومن ثم للدراسة في دول الاتحاد السوفيتي بمساعدته اعتنق الفكر الشيوعي فهذا يدفعنا ألا ننسى تأثير سمور عليه أثناء التعليم والانبهار بالاتحاد السوفيتي ، وكان مقتنعا كسمور ورفاق سمور بأن الشيوعية السوفيتية ستكتسح العالم وتحكمه ، ولعب الإعلام والدعاية دورا كبيرا في تضخيم الشيوعية وإنجازاتها ، وكذلك سحقها لنازية هتلر واستغلال ذلك في الترويج لها ، لكن مناقشاته مع عبد الرحيم وغيره ونزاعه مع حركته وضحالة الفكر لدى الكثير منهم أثناء المجادلات مع الإسلاميين زعزع ثوابته بها ، ولما بدأ الاتحاد السوفيتي يواجه صراعات وثورات مستمرة انتبه لها في الآخر ازداد ثقة بضعف الشيوعية وأنها مجرد تنظيرات وخزعبلات ، وشعوب أوروبا الغربية رغم تركها للدين لم تتبناها كمنهج حياة إنما مجرد أحزاب كما في الدول العربية والإسلامية وفاشلة في الانتخابات الديمقراطية التي يزعمون بقبولها ، وإنما هم أنظمة ديكتاتورية على شاكلة لينين وهتلر بعده والصين بعدهم فلذلك يراسل عبد الرحيم باستمرار ، ولما عاد عبد القادر فاشلا من هجرته لكندا ، وأن اغلب سكان تلك البلاد لا يتزوجون إلا في سن متأخرة لما ينته ويستهلك شباب الشخص

ويستهلك جنسيا وإباحيا يفكر بالزواج الرسمي ، وأن البنات يهربن من الزواج الرسمي مثل الشباب لكثرة الطلاق والفشل حتى أن زوجته أخذت تتنقل من رجل لآخر دون زواج وهي المولودة ببلاد العرب ازداد اقتناعا بأفضلية النظام الإسلامي للفرد والمجتمع رغم ما يتعرض له من الغزو الفكري والثقافي والحرب بغير هوادة ما زالت الناس تحب دينها وتعود إليه بعد رحلة ضياع وتيه ، والمضحك لما يموت الشيوعي يصلى عليه في المسجد صلاة الجنازة إن كان مسلما واذا كان نصرانيا في كنيسة طائفته وإن وصى احدهم أن لا يصلى كما حصل لرفيق لهم ؛ لكن أقاربه يرفضون هذه الوصية كأنها لم تكن .. وذهبوا به للمسجد وصلي عليه كما يصلى على كل ميت من المسلمين .

لما استلم المهندس عبد القادر عملا تزوج سريعا حتى لا يفكر يوما بالعودة لطليقته أو يسعى أهلها لإعادتها له مع بوسة لحية فقال عاصم مستوضحا العجلة : ألم تتعجل ؟

ـ بل تأخرت ، أعطيتها اكثر من فرصة فضغطت عليّ بالطفلة لأبقى .. لم اعد احتمل عهرها بحجة غيابي في العمل والتنقل بين الولايات الكندية .. كأني أتنقل للسكر والعهر

ـ لعلك سعيد مع لمياء

ابتسم عبد وقال : لا اعرف بعد .. أنا اخوها صديقي أيام الكلية ..لما علم بعودتي زارني وسمع مني سبب عودتي وطلاقي فعرض عليّ الزواج من شقيقته لما قلت أمامه إنني سأتزوج حتى لا تحلم بأنني سأعود إليها يوما ما .

ـ لم تتزوج من قبل !

قال : بكر أو عانس إلى حد ما .. عندها بعض المشاكل الصحية ،ولكنها لا تمنع الزواج منها فقبلتها .. وتزوجنا سريعا ..وأنت الذي كان زواجك العجيب رغم مجاهرتك بالإلحاد تزوجت مصلية لماذا ؟!

كان الجواب : صراحة ولا تغضب ، لم احب الزنا مثلك ومثل سمور .. أنا عشقت الفكر والثقافة والصحافة .. وآخر شيء كنت افكر فيه مضاجعة امرأة بدون زواج .. سمور لما تزوج قبلي وفاء كانت قد عاشرت اكثر من ثلاثة غير سمور فاستغربت من زواجه منها

ـ معقول ما اسمع يا أبا حاتم

صفن ثوان ورد فقال : معقول .. وممكن اكثر ..هؤلاء الثلاثة هم حدثوني بعلاقتهم الجنسية معها من أيام الكلية .. وسألته فقال : كما نحن نمارس الحب مع الرفيقات فعلينا أن نقبل علاقتهن مع الرفاق لم استرح للإجابة .. أنا في مهمة وزوجتي في حضن رفيق وصديق

ـ أنا لست شيوعيا مثلكم ، وعشت ذلك الجو في وسط الجامعة ولم يشفع حبنا لي فصارت الخيانة هناك كشربة كأس شراب .. بحجة السكر والتغيير .. مع إنني غير متدين أو متعصب ضد الاختلاط .. لم اقبل الدياثة .. تزني واعمل لعشيقها قهوة أو شاي تكلمت احتججت دون تجاوب أنا حرة كما أنت حر

قال عاصم : لابد أنها سمعت بخيانة لك مع صديقات العائلة

تعجب من فطنة عاصم وقال : حدث ذلك للأسف من اجل ذلك تلكئت بالانفصال .

ـ حقيقة يا عبد ! افضلنا وأوزننا عبد الرحيم ما عدا سميح طبعا مع انه اصغرنا معك

تحسر وقال : فات الأوان

ـ في الإسلام كما فهمت منه لا يفوت الأوان إلا عند الموت فرحمة الله قريبة لكل شيء لا تظن أني تبت لموت الاتحاد السوفيتي.. أنا تبت لما ابتعدت عن الحزب والحركة اليسارية .. كنت تائها يا ابن أمي وأبي

ـ أنت مرتاح الآن

قال عاصم : أنا في أول العودة ؛ ولكني لحتى اليوم مرتاح

ـ أتمنى لك ذلك

لما يمض بضعة اشهر على زواج عبد القادر حتى وافت المنية الحاج محسن سالم بعد أيام قضاها في المستشفى ، وكانت أمنيته منذ هاجر من فلسطين أن يدفن في مسقط رأسه .. لا تدري نفس بأي أرض تموت ولا بأي ارض تدفن وحضر الدكتور عبد الرحيم دفن أبيه بإجازة قصيرة وعزى إخوته وأخواته ، وكان هو الباقي من أولاد سالم جده فكل الأعمام والعمات رحلوا إلى دار البرزخ ، والتقى بعبد القادر وبارك له الزواج الجديد ودعا له بالتوفيق وقال : وهل تلك بقيت هناك ؟

ـ تركتها هناك استهوتها حياتهم .. استهوتها الحرية المطلقة والإباحية

فقال : الإسلام يحرض على حسن اختيار أم الأولاد ..فالمرأة الصالحة خير متاع في الدنيا

فرد بحدة وجفاء : أشكرك يا عبد أنا اخترت الدنيا فلا داعي لإزعاجي بمواعظك

ـ أوه يا عبد ! العجيب أننا نشأنا سوية صلاة صوم

فسر فقال مبررا : الجامعة وعروض الأزياء قلبت مخي .. السبب فتاة اسمها لواحظ كانت فتنة وافتتنت بها وعرفتني على غيرها من الفاسدات فاصبح جسدي ملكهن .

ـ هداك ربي وآسف على إزعاجك أين عاصم ؟

ـ في المغفر .

ـ لماذا ؟

ـ ابنه تشاجر مع ابن جاره حمود ..

ـ سأذهب إليه ربما احتاج لمساعدة

أحلام السلام

ظهر للعلن في أيلول ٩٣ اتفاق أوسلو رقم ١ باعتراف ياسر زعيم المنظمة بإسرائيل وإسرائيل بسلطة عرفات مما شكل صدمة خفيفة لبعض الفصائل الفلسطينية وبعض الدول العربية نتيجة لدهاليز من خلف مؤتمر مدريد للسلام والا الكل يسعى للسلام مع الكيان الصهيوني منذ اعترف العرب بـ ٢٤٢ ، رفضت حماس والجهاد والحركات اليسارية كالشعبية والديمقراطية والقيادة العامة وغيرهم الاتفاق أوسلو ، وقبلته اهم فصائل المنظمة فتح .

فكان عبد القادر يقول لعاصم أثناء لقائهم في بيت أخت لهم لمناسبة اجتماعية : ما الأمر وما هو أوسلو ؟

ضحك عاصم ومثله زوج أخته حسن وأجاب : تابعت كما تابعت كنا ضحايا حرب الخليج الثانية ..خفت صوت المنظمة لوقوفها مع محرر فلسطين صدام ، فذهبت لمدريد مع وفد مشترك مع المملكة .. وكان الفشل مخيما عليه .. وجرى أوسلو من وراء الكواليس وهكذا ظهر أوسلو واشنطن

ـ هل ذهبت القضية وانتهت العودة ؟

تناول حسن الشاي من ابنه وقدمه لضيفيه وقال عاصم : هذا تمنيات إسرائيل ولن يحصل هذا فحاكم سوريا قال عن الاتفاق اذا صح النقل قال كل بند من اهم بنود أوسلو يحتاج لعشرات السنين من المفاوضات لحله .

ـ يا الهي هكذا قال ؟

فقال حسن : هل ستتخلى إسرائيل عن عاصمتها الأبدية القدس ؟ لا يمكن فكيف بملف اللاجئين حتى امرأة لاجئة في لبنان قالت : ضحينا بأولادنا وبناتنا وأموالنا من اجل شقة في أريحا أو غزة ..

قال عاصم لما سكت حسن : لن يغير من واقع الناس شيئا أرى ذلك ..كثير من الاتفاقات الدولية حصلت ولم تغير من واقع الإنسانية شيئا .. اللاجئون كانوا عند الخروج ٤٨ قريب من المليون أما اليوم فهم اكثر من خمس ملايين .. التوطين لن يحل القضية ولو رحلنا للسعودية والخليج الوطن ليس من الهين نسيانه والحلم به .

قال عبد : أنا لا احب السياسة لكن الأمر شغلنا أينما تجلس أوسلو أوسلو

ـ هو حقيقة حدث كبير وله ما بعده .

اتفاقية أو معاهدة أوسلو، أو أوسلو ١، والمعروفة رسمياً باسم إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكم الذاتي الانتقالي هو اتفاق سلام وقعته إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في مدينة واشنطن الأمريكية في 13 سبتمبر1993 ، بحضور الرئيس الأمريكي بيل

كلينتون . . وسمي الاتفاق نسبة إلى مدينة أوسلو النرويجية التي تمت فيها المحادثات السرّية التي تمت في عام 1991 ًوأفرزت هذا الاتفاق في ما عرف بمؤتمر مدريد.

تعتبر اتفاقية أوسلو، التي تم توقيعها في 13أيلول1993 ، أول اتفاقية رسمية مباشرة بين إسرائيل ممثلة بوزير خارجيتها

آنذاك شمعون بيريز، ومنظمة التحرير الفلسطينية، ممثلة بأمين سر اللجنة التنفيذية ياسر عرفا ت ، وشكل إعلان المبادئ والرسائل المتبادلة نقطة فارقة في شكل العلاقة بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، التزم بموجبها الأطراف بالآتي : من أهم ما تنص عليه الاتفاقية أن تنبذ منظمة التحرير الفلسطينية الإرهاب والعنف (تمنع المقاومة المسلحة ضد إسرائيل فهي تأسست لمقاومة إسرائيل) وتحذف البنود التي تتعلق بها في ميثاقها كالعمل المسلح وتدمير إسرائيل وإليك (الرسائل المتبادلة – الخطاب الأول)

تعترف إسرائيل بمنظمة التحرير الفلسطينية على أنها الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني.(الرسائل المتبادلة – الخطاب الثاني)

تعترف منظمة التحرير الفلسطينية بدولة إسرائيل (على ٧٨٪ من أراضي فلسطين – أي كل فلسطين ما عدا الضفة الغربية وغزة).

خلال خمس سنين تنسحب إسرائيل من أراض في الضفة الغربية وقطاع غزة على مراحل أولها أريحا وغزة اللتين تشكلان ٥ , ١٪ من أرض فلسطين.

تقر إسرائيل بحق الفلسطينيين في إقامة حكم ذاتي (أصبح يعرف فيما بعد السلطة الوطنية الفلسطينية) على الأراضي التي تنسحب منها في الضفة الغربية وغزة (حكم ذاتي للفلسطينيين وليس دولة مستقلة ذات سيادة).

في إسرائيل نشأ نقاش قوي بخصوص الاتفاقية؛ فاليسار الإسرائيلي دعمها، بينما عارضها اليمين وبعد يومين من النقاشات في الكنيسيت برلمان إسرائيل حول تصريحات الحكومة حول موضوع الاتفاقية وتبادل الرسائل تم التصويت على الثقة في 23أيلول 1993 حيث وافق ٦١ عضو كنيسيت وعارض ٥٠ آخرون، وامتنع ٨ عن التصويت. الردود الفلسطينية كانت منقسمة أيضا ففتح التي مثلت الفلسطينيين في المفاوضات قبلت بإعلان المبادئ، بينما اعترض عليها كل من حركة حماس والجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين وجبهة التحرير الفلسطينية (المنظمات المعارضة) لأن أنظمتهم الداخلية ترفض الاعتراف بحق إسرائيل في الوجود في فلسطين.

حركة حماس اعتبرت اتفاق أوسلو اتفاقاً باطلاً وصفته بـ «المشؤوم»، كونه أعطى الاحتلال الحق في «اغتصاب ٧٨٪ من أرض فلسطين التاريخية»، وقالت الحركة إن ما بني علي باطل فهو باطل، وشعبنا الفلسطيني لن يلتزم بما التزمت به المنظمة، ولن يعترف بأي نتائج تنتقص ذرة واحدة من تراب فلسطين أو مقدساتها .

على كلا الجانبين كان هناك تخوفات من نوايا الطرف الآخر وفهموا تلك المقولات على أنها محاولة لتبرير توقيع الاتفاقية بالتوافق مع التاريخ الديني، مع اتفاقيات مرحلية للوصول إلى الهدف النهائي وكذلك عارضه فلسطينيون آخرون مثل إدوارد سعيد وفاروق القدومي.

منظمة التحرير الفلسطينية حولت نفسها من حركة تحرر وطني إلى ما يشبه حكومة بلدية صغيرة مع بقاء ذات الحفنة من الأشخاص في القيادة خشي العديد من الفلسطينيين أن إسرائيل لم تكن جادة بخصوص إزالة المستوطنات من الضفة الغربية وقطاع غزة خاصة من المناطق المحيطة بالقدس وخشوا أنهم حتى قد يزيدوا من وتيرة البناء على المدى الطويل ببناء مستوطنات جديدة وتوسيع الموجود منها مستغلين هذا الاتفاق التاريخي كما يقال .

***

كان الكثير من سكان مخيمات اللجوء في دول الطوق في حالة صدمة وذهول بعد كل هذه التضحيات منذ قرن قبل النكبة وبعدها والنتيجة الحصول على جزء صغير من الضفة الغربية .

حتى أن احدهم تساءل عن صحة المقولة التي قالها سيد قطب رحمه الله عندما أنشئت المنظمة في سنة ٦٤ سئل الشهيد سيد قطب عن رأيه بتشكيل المنظمة في أول مؤتمر قمة عربي منذ خمس وأربعين سنة، قال: سوف تكون المسمار الأخير الذي سيدق في نعش قضية فلسطين؟.

فقال عبد القادر لشقيقه الشيخ : هل هذه العبارة أو النبوءة صحيحة يا عبد الرحيم ؟

ابتسم عبد الرحيم الذي انهى عمله في السعودية من قريب وعاد للوطن بسبب مرض زوجته وحاجتها لخادمة ومتابعة طبية متتابعة ، وصعب عليه توفير ذلك في السعودية ، فرد على شقيقه الأكبر منه : نسمع بها ، سمعت بها من بعض الشيوخ والخطباء ، والحق لم اقرأها في كتاب ولا يعني أنها لا توجد ، فأنا لم أقرأ كل كتب الدين والثقافة والتاريخ .. فلم يقع بين يدي كتاب موجودة فيها أو موجودة ولم اركز عليها ..ولكنها متداولة .. ورحم الله الشهيد ..وأصلا وأنت اعلم مني بمثل هذا التاريخ .. كان إنشاء المنظمة لتمثل

الشعب الفلسطيني في المحافل الدولية وتنطق باسمهم رغبة مصرية ناصرية ، فسعى من قبل الحسيني أمين لإنشاء كيان فلسطيني في غزة أيام ملكية فاروق عن طريق جامعة الدول العربية واعترفت بها دول الجامعة آنذاك ما عدا حكومة الأردن حكومة شكلية دون قرارات فعلية ، فالمنظمة كانت رغبة مصرية ناصرية ؛ ربما أصح لخلق جسم يتحدث باسم الشعب الفلسطيني .. ورفضتها اكثر فصائل المنظمة المعروفة اليوم حتى كانت هزيمة ٦٧ ومعركة الكرامة في الغور الأردني فاستقال الشقيري وسلمت القيادة لفتح وبدأت الفصائل الأخرى تلحق بها دون اتفاق للأموال التي تدفقت عليها من دول الخليج وجعلت مخلب سوفيتي صيني كوبي لإزعاج إسرائيل والغرب

أنشأت جامعة الدول العربية حكومة عموم فلسطين في ٢٢ سبتمبر ١٩٤٨ خلال الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٤٨ لتنظيم الجيب الذي تسيطر عليه مصر في غزة. ، وسرعان ما اعترف بها جميع أعضاء الجامعة العربية باستثناء شرق الأردن ، فإن ولايتها القضائية الفعلية اقتصرت على قطاع غزة ، وكان رئيس وزراء الإدارة في غزة أحمد حلمي باشا، وكان الرئيس هو الحاج أمين الحسيني، وينظر البعض إلى حكومة عموم فلسطين باعتبارها أول محاولة لإقامة دولة فلسطينية مستقلة ، كانت تحت الحماية المصرية الرسمية، ولكن لم يكن لها دور تنفيذي. وقد تراجعت أهميتها تدريجيا، وخاصة بعد نقل مقر الحكومة من غزة إلى القاهرة بعد الغزو الإسرائيلي في أواخر عام ١٩٤٨ ؛ فإن الحكومة الفلسطينية ظلت في منفاها في القاهرة، وهي تدير شؤون غزة من الخارج ، وكانت حكومة حلمي تتألف إلى حد كبير من أقارب وأتباع أمين الحسيني، ولكنها ضمت أيضا ممثلين عن فصائل أخرى من الطبقة الحاكمة الفلسطينية، وقد جعل قرار تشكيل حكومة عموم فلسطين اللجنة العليا العربية لا علاقة لها بالموضوع، ولكن أمين الحسيني استمر في ممارسة نفوذه في الشؤون الفلسطينية ، وتغير الوضع مرة أخرى بعد توحيد مصر وسوريا في عام ١٩٥٨ في الجمهورية العربية المتحدة. وفي عام ١٩٥٩، ألغى جمال عبد الناصر رسميا حكومة عموم فلسطين بموجب مرسوم، بأن الحكومة الفلسطينية كلها فشلت في تحقيق تقدم في القضية الفلسطينية. وفي ذلك الوقت، انتقل أمين الحسني من مصر إلى لبنان، وأصبح قطاع غزة تديره مصر بشكل مباشر.. ثم أنشئت المنظمة عام ١٩٦٤ بقرار مصري .

***

فقال عبد القادر : تقرأ سياسة يا عبد .
ـ أخبار جرائد مثلك ، وتعليقات السياسة حكي فاضي .. من قبل أن نولد والناس تتحدث عن فلسطين وكل انقلاب عربي يزعم القائمون به انهم قاموا به من اجل عيون فلسطين لتحرير فلسطين وكل فصيل فلسطيني وحزب من اجل فلسطين وهذه هي النتيجة رئاسة بلدية أريحا وغزة وحكم ذاتي بعد خمس سنين مثل الأقليات في بعض الدول في العالم .
قال عبد القادر : هذه التفاصيل سمعت بها ؛ ولكنها من اختصاص أبي حاتم سيأتي كما اخبرني واخبرني الأخ الكبير سميح بانقطاع أخبار سمور .. أتعلم شيئا ؟
ـ لا ادري ! أنا لا أتواصل معه قبل سفره بيروت ودمشق ولكنني سمعت من قريب انه غادر للجزائر أو ليبيا للعمل في شغل في مكاتب الحركة أو زيارة رفاقه فيها .. فهو كما تعلم علاقته جيدة مع رجال الجبهة وعناصرها ودرس الهندسة على سمعتهم ونضالهم المجهول .. ويقوم بأنشطة في مصالح صناعية لهم .
قال عبد القادر : وأنا مثلك لا اهتم بأخباره وحركاته منذ سافر العراق حتى لما سافرت كندا لم يتحدث معي هاتفيا ولو مرة واحدة ؛ ولكن أحيانا كان عاصم يتكلم عنه وبأخباره أمامي وأنه لم يتزوج بعد انفصاله عن زوجته كما فعلت ، وقيل انه تزوج في بيروت ولا ادري صدق أو صحة هذه المعلومة .. ها هو عاصم اقبل .
دخل عاصم مسلما ومحييا وداعيا لزوجة عبد الرحيم بالشفاء وقال : صدق أني انزعجت جدا لخبر مرضها الغامض ألا علاج له ؟
ـ علاج ناجع لا يعرف الأطباء ، وأنا عدت لا استطيع التفرغ لها .. فتحتاج لمراقبة دائمة والبقاء الدائم أو المتكرر في المشفى ..صعب عليّ ماديا ونفسيا وشغلا .. فهنا الأهل قصدي أهلها يتعاونون معي
قال عبد القادر : ما هو مرضها بالضبط ؟
ـ غير معروف ..يزرقّ وجهها وينقص الأوكسجين وتحتاج لأنبوبة الأوكسجين وتمريض ساعة زمان .. وممكن أن تتكرر الأعراض في أي وقت .. هل هناك مشاكل في القلب ؟ لا يظهر شيء واضحا ..هل من مشاكل في الرئة ؟ ولما تذهب الأعراض تعود ؛ كأنها ليس بها شيء .. والحمد لله على كل حال .. قبل حضورك يا أبا حاتم ذكرنا سمورا
تنهد عاصم وقال بحزن : منذ غادر مدينة بيروت لم أتلق منه أي اتصال .. حتى لما الوالد توفاه الله لم يحضر ولم يعزنا .. تحدثت مع زميل لنا أيام زمان قال لا اعرف عنه شيئا زرت مكتب

الحزب لا جواب كأنها أسرار دولة .
فقال عبد القادر : وأنت ماذا تظن ؟
رسم ابتسامة على وجهه وقال : أسوأ الظن القتل .. ولكن لم ينشر شيء لو اغتالته إسرائيل لنشر وأعلن وهو غير مسلح .
قال عبد الرحيم : كثير من رجال الحركة قتلوا وهم غير مسلحين واشهرهم غسان كان مجرد كاتب وصحفي
ـ صحيح ها أنا أفتش وانقب
قال عبد القادر : ذكرنا امر زواجه هل تزوج في لبنان
قهقهة عاصم : جرت محاولة بضغط من صاحبه زيدان شاب فلسطيني لبناني درسنا في صوفيا من مخيم برج البراجنة في بيروت أراد تزويجه شفقة عليه من الزنا والفجور وبعد حين توقف الموضوع .. وظل على حاله المعقد مع النساء .
قال عبد الرحيم : أولاده اليوم
ـ عند والدة أمهم فهي ترملت من شهور
قال عبد القادر : أيصرف عليهم ؟
ـ منذ الطلاق لم يصرف بشكل رسمي بين فترة وأخرى يبعث لي مالا اشتري لهم به ثيابا وهدايا فمال امهم يصرف على بلد .. ولها راتب من نقابة المهندس .

اختفاء سمور

اشتعلت قلوب العائلة قلقا وتوترا باختفاء سمور الشقيق الخامس فهو الثاني بترتيب الذكور وكان أكثرهم اهتماما وقلقا عليه المهندس عاصم فهو الأقرب إليه سنا وفكرا ، سعى عاصم الأقرب إليه أيام الشيوعية وأيام الدراسة في بلغاريا الشيوعية بالتواصل مع عناصر شيوعية في البلد وعناصر في الجبهة الشعبية ثم سافر إلى دمشق حيث مكتبهم الأهم ؛ ربما الأهم في الصراع العربي الإسرائيلي وقابل ممثلا لهم في بيروت وما خلص إليه منهم انه سافر للجزائر وربما دخل ليبيا أيضا .. فسمور لم يكن عضوا في الجبهة ؛ إنما توافق معهم في المنهج اليساري ، وله أصدقاء معهم أو فتيان عرفهم صغارا وهربوا بعد أحداث السبعين في عمان وجرش ، ولما انهى الثانوية سافر إلى صوفيا بدعم من الحركة للدراسة ، فقد كانت منظمات الفدائيين على علاقة قوية مع المعسكر الشيوعي الأوروبي والصيني وتسمح لهم بإرسال طلبة سواء كانوا شيوعيين أم لاجئين
للدراسة في كلياتهم ، واستطاع بواسطتهم من سحب أخيه للدراسة معه في بلغاريا الشيوعية ، فظل يحفظ لهم الجميل ويزورهم أي الأصدقاء سواء عرفهم في الأردن أم أثناء الدراسة ولم يطلبوا منه خدمة أو زيارة أو القيام بعمل يبادر إلى ذلك، فهو لم يكن مربوطا بشركة أو بالوظيفة الحكومية ،

فهو تخصص في الهندسة الميكانيكية لتصليح الآلات والماكنات فيشتغل بالعمل الحر أو مشاركة مع احد الفنيين لزمن معين في مشروع فلذلك يستطيع التنقل بين البلاد . يستطيع مهندسو الميكانيك العمل في جميع القطاعات التي تحتاج إلى تصنيع المعدات والآلات من أبرزها قطاع الصحة، والطاقة، والمواصلات والتنقل، والموارد المائية كذلك ، بالإضافة إلى أنظمة التصنيع ونقل الحركة والتحكم ، يُصمِّم، ويُشرف، ويُسهم المهندس الميكانيكي في جميع عمليات التصنيع التي تتراوح بين تصنيع البطاريات وحتى تصنيع الأجهزة والمعدات الطبية كما تُعتبر طبيعة عمل المهندس الميكانيكي ميدانية حيث يعمل في القطاعات الصناعية، والإنشائية، والهندسية كذلك كما يتضمَّن عملهم القيام ببعض الزيارات الميدانية لبعض مواقع وورشات العمل ، قياس أداء المعدات الميكانيكية، والأجهزة، والمحركات ويمكنه إعداد الميزانيات، وتحديد الوقت والكلفة اللازمين لإنهاء المشاريع ومناقشتها مع العملاء والمدراء التأكُّد من أنَّ الأدوات المستخدمة آمنة وفعَّالة والسلامة العامة . ووعده مكتب دمشق بأن يخبره بأي خبر يصل إليهم عنه ، ورمى احدهم سهما بأنه قد يكون اختفى في أوروبا بعد نكسة الشيوعية العربية في روسيا ، وعاد لعمان كما يقال بخفي حنين للأسف قال لعبد الرحيم : لم اكن اعرف له صديقا حميما خاصا إلا وفاء امرأته ، كانوا مجرد رفاق سهرات شراب دعارة ، ثم رحل لبغداد للعمل في مكتبهم مؤقتا والشغل الخاص به لهم في العراق فهو لم يكن عضوا رسميا في الجبهة ، فهم يكلفونه بعمل خاص في مجال هندسته .

***

تبنت الجبهة الشعبية الماركسية اللينينية رسميا في مؤتمرها الثاني في شباط ١٩٦٩، وكانت أدبياتها في تلك المرحلة أقرب إلى أفكار ماوتسي تونغ زعيم الشيوعية الصينية ، والتجربة الصينية لاحقا ، تقاربت الجبهة مع الاتحاد السوفييتي والكتلة الشرقية بعد مؤتمرها الثالث عام ١٩٧٢ الذي تخلت فيه عن خطف الطائرات ، وتتطورت العلاقات بعد التحولات في الموقف المصري عام ١٩٧٧ وزيارة الرئيس المصري أنور السادات للقدس وبدأت تعرف منظمة ماركسية لينينية بالفهم السوفييتي للشيوعية والماركسية ، بعد انهيار المعسكر الاشتراكي ظلت الجبهة مسترشدة بالفكر الماركسي اللينيني ، من المشهور قيام تنظيم الجبهة العسكري على تنظيم حركة القوميين العرب التي دربت عددا من أعضائها عسكريا قبل حرب ١٩٦٧، في معسكر أنشاص

في مصر وبعضهم الآخر سرا في الأردن ، بعد الحرب فهي كانت اقرب لقومية عبد الناصر من فتح ، وبعد معركة الكرامة بالذات، افتتحت معسكرات للتدريب، في سوريا، ثم في الأردن، ثم في لبنان وتدفقت المساعدات العربية للفصائل الفدائية الفلسطينية واشترك بعض أعضائها وضباطها في الدورات ، التي كانت توفرها لهم منظمة التحرير الفلسطينية في الدول الصديقة ، فكانت تحصل على مستلزمات قواتها العسكرية من العراق ؛ ومن الأسواق الحرة في حالات نادرة واستمرت في اعتمادها على بغداد لفترة طويلة ، ثم تلقت الأسلحة من ليبيا القذافي صاحب انقلاب الفاتح بعد عام 1978 ، وبعد توقيع الاتفاقية المصرية ـ الإسرائيلية (كامب ديفيد) ، حصلت الجبهة على الأسلحة من كوريا الشمالية والاتحاد السوفيتي، ودول أوروبا الشرقية ، شاركت الجبهة مع باقي الفصائل الفلسطينية في العمل الفدائي عبر الحدود الأردنية واللبنانية وكانت إلى جانب حركة فتح ثاني أكبر فصيل فلسطيني، وقادت العمل العسكري في قطاع غزة حيث استفادت من وجود كوادر القوميين العرب القوي وبقايا جيش التحرير الفلسطيني ، اعتبرت الجبهة القضية الفلسطينية قضية أممية واستقطبت ناشطين من مختلف أنحاء العالم، منهم أغويريو، الفنزويلي كارلوس والجواتيمالي وتعاونت في مطلع السبعينيات مع منظمات يسارية أممية مسلحة مثل الجيش الجمهوري الأيرلندي ومنظمة بادر/ماينهوف الألمانية والألوية الحمراء الإيطالية، ونفذت هجمات في مختلف دول العالم كان من أشهرها هجوم نفذته عام ١٩٧٢ بالتعاون مع الجيش الأحمر الياباني في مطار اللد ، وآخر في نفس العام بالقنابل اليدوية على قاعة سينما في تل أبيب ، في ما عرفته الجبهة بـ«عملية الشهيد غسان كنفاني» الذي قد اغتالته إسرائيل في تموز من نفس العام إلا أنها قامت في مؤتمرها الثاني عام ١٩٧٢ بمراجعة تخلت على إثرها عن عمليات خطف الطائرات وأدت إلى انفصال ما عرف ب«الجهاز الخاص» عنها بقيادة وديع حداد الذي واصل «العمليات الخارجية» خارج إطار الجبهة.

شاركت الجبهة في الحرب الأهلية اللبنانية وفي مقاومة الاجتياحات الإسرائيلية في عامي ١٩٧٨ و١٩٨٢ حيث أدى الغزو الإسرائيلي وحصار بيروت إلى إخراج الفصائل الفلسطينية من لبنان، وتوجه جسم الجبهة العسكري الأهم إلى قواعد في سورية واليمن الجنوبي، فيما انتقلت قيادتها السياسية إلى دمشق في الثمانينيات شاركت الجبهة في حرب المخيمات في لبنان في مواجهة حركة أمل الشيعية اللبنانية المدعومة من سوريا .

تعرف الجبهة الشعبية نفسها بأنها: حزب سياسي كفاحي يعمل لتوعية وتنظيم وقيادة الجماهير الفلسطينية من أجل استعادة الحقوق الوطنية الفلسطينية وفي مقدمتها حق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة المستقلة وعاصمتها القدس كهدف مرحلي على طريق تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني، وإقامة دولة فلسطين الديمقراطية التي يعيش مواطنوها جميعاً بمساواة كاملة بدون تمييز في الحقوق والواجبات وبمعزل عن اللون والعرق والجنس والمعتقد وهي تناضل من أجل إقامة مجتمع اشتراكي خال من الاستغلال، قائم على المبادئ الديمقراطية والإنسانية على طريق تحقيق مجتمع عربي اشتراكي موحد.. هذا قبل سقوط جدران برلين وانهيار الاتحاد السوفيتي .

***

قال عاصم بحزن عميق : فعلا انقطاع أخباره غريب، حتى لما بدأت أشلح ثوب الشيوعية كان بيننا ود وثقة ، وكان يعتبر انقلابي فترة استراحة وأنني سأستيقظ للعودة للشيوعية من جديد ، وأني تخليت عن الفكر الملحد لغضبي من بعض الأعضاء .. وسعى بعض رفاقه في ذلك ؛ ولكني كنت قد حسمت امري عن أحلام ماركس وانجلز ولينين وحكم العالم بالشيوعية .. كان قبل مغادرته لبنان يتحدث معي هاتفيا في الشهر على الأقل مرة .

قال عبد الرحيم : راودني هذا الخاطر السيء يا عاصم ظننت أن فشل السوفييت في تحقيق شيوعيتهم سرع بانعتاقك من فكرهم .. المهم الحمد لله أنك رأيت النور وأسأل الله تعالى لك الثبات على دينه الحق .

ـ أمين .. الحياة شاقة يا عبد

قال : الدنيا دار ابتلاء وامتحان للمؤمن والكافر والعاقبة للمتقين .. المؤمن الفقير فيها سعيد لا يخلو بلد من فقراء .. قد يكون الفقير في بلده غنيا بما يملك في بلد آخر ..

قال عاصم مذكرا : هل تذكر كم سخرنا منك أنا وسمور لما علمنا أنك ستدرس شريعة ؟

ـ تلك أيام لا تنسى .. قد دهشت للغاية منكم تلك الأيام ..قلت لهذه الدرجة تبغضون الإسلام انتم لكم سنوات في الإلحاد ولستم قادة ولا حكماء .. كم سنة في بلغاريا . وضحك

قال : ألم تفكر بتغيير اتجاه الدراسة بسبب موقفنا الأحمق ؟!

ـ أبدا أبدا كان يمكنني الالتحاق بالكليات العلمية أو حتى الهندسة مثلكم لكن أحببت دراسة الشريعة عاطفة وعقلا وتشجيعا من بعض مدرسي العلماء .

قال : لماذا ؟ نحن لم نكن أسرة متدينة لتفكر بذلك

الاختيار كان في زماننا أساتذة التربية الإسلامية واللغة العربية مدار سخرية ونكت للطلاب .. صحيح كان الوالدان من أهل الصلاة والصوم .. وكان عندنا فكرة أن صاحب المعدل الضعيف في التوجيهي هو من يدرس العربية والشريعة .

ـ أحببت الشريعة ليس من البيت .. أحببتها من المسجد ومن مكتبة المسجد ومكتبة المدرسة ومدرس التربية الدينية .

قال : أصدقاء المسجد .

ـ اجل أجل .. أنا صدمت جدا لما رأيت عبد القادر ينحرف وينجرف نحو الإباحية فكنا من فتيان المسجد وكان يصوم ويلعب رياضة مع فرق المسجد

فسر عاصم انحراف عبد القادر بقوله : الكليات العلمية عندنا مسرح للشهوات والانحراف وعرض الأزياء واللحوم والسيقان والمسابح .. وتأثر بسمور كسلوك شرير .

عقب عبد الرحيم : لا اعتقد ذلك مائة بالمائة .. كثير من زملائنا درسوا فيها ولم ينقلبوا .. فأنا يومها فسرتها بضغط منكم وكثرة حديثكم عن الشهوات والبنات في جامعات أوروبا الشيوعية

***

كان غياب سمور عن عاصم مقلقا ومزعجا اكثر من سائر إخوته وأخواته فلم يكن صديقا لأخواته أو أزواجهن ، ولا لسميح وعبد القادر وعبد الرحيم كانت علاقته باردة للغاية ؛ لأنه منذ سافر إلى صوفيا اصبح بعيدا عنهم في كل شيء ، كانت علاقته بهم اذا صدفهم في بيت أمه وأبيه ، فهو لا يعترف بأعياد المسلمين ومناسباتهم الاجتماعية ولا يشارك فيها ولا يهتم بها ، فكل هؤلاء لم يهتموا باختفائه .. ظهر غاب سافر حضر .. هم يسمعون أخباره مما يتفوه به عاصم حتى لما كانت وفاء زوجته حية لم تطرق باب إحداهن ، ولا هن طرقن بابها لأنها لما ولدت طفلتيها ولدتهم بدون زواج شرعي ثم صححوا الأمور فيها بعد .. هكذا كان الوضع عند غيابه ، لم يكترث له احد منهم ، بينما عبد القادر في شقته بعد الغروب رن جرس باب شقته في عمان التي تملكها لما اشتغل في شركة خليجية فنظر لقرينته لمياء وقال : لست على موعد مع احدهم .. من ؟

نهضت لمياء وقالت : لا ادري ! لم يتصل بي احد من أهلي لعله من الجيران

فتحت الباب فوجدت امرأة فحركت رأسها مستفسرة ، وقالت : نعم !

فقالت المرأة الطارقة : أهذا بيت المهندس عبد القادر محسن ؟

ـ اجل

قالت : هل هو هنا ؟

ـ لماذا ؟!

وكان عبد القادر ابعد المرأة عن فتحة الباب وتطلع في التي تتكلم مع زوجته وقال بدهشة : هناء والتفت لزوجته وقال باستغراب : هذه مطلقتي التي تركتها في مونتريال كندا !

قالت : هل ادخل ؟

قال بحدة وجفاء بين : لماذا ؟! مؤخرك عند أهلك وقسيمة الطلاق معهم .. ماذا تريدين ؟

ـ بيننا صفاء

قال : يعني !

ـ نتكلم على الباب

قال بنفس النبرة : تعالي مع أخيك باسم أو نديم .. أنت مطلقة ، ولا شيء بيننا ، ولا ارغب بمعرفة سبب عودتك إلى هنا .. وأنا تزوجت منذ وضعت ارجلي في البلد .

ـ أنا ندمت

صاح ساخطا : ماذا ؟! ندمت .. ندمت على بيع نفسك لرجال كندا .. هذه امرأتي يا سيدة

ـ ألم تفعل مثلي ؟

قال بجفاء : انصرفي رجاء .. لم أفعل مثلك يا هناء ! أنا رجل شريف، منذ تخرجت من الجامعة لم اعرف أنثى غيرك .

ـ تضحك على من ؟ خائف أن تعرف هذه التي بجوارك بفحشك .. وتلك الشقراء ...

اغلق الباب بالمفتاح وصاح : احضري مع أبيك أو أخيك من اجل الطفلة فقط

جلس على كنبة غاضبا وقال دون تمهيد دون مقدمات : كنت كلما أعود من عمل أجدها في حضن رجل وتزعم أنني طولت عليها واشتاقت للجنس .. وأعطيتها اكثر من فرصة فتقول بغير أدب وشرف كأنها ولدت هناك : نحن في فرنسا الصغيرة ـ لأنه يغلب على كيبيك ومونتريال اللغة الفرنسية بسبب سكانها من اصل فرنسي ـ أنت تقضي ساعاتك مع بنات كندا وتستكثر عليّ أصحابي .. كانت تسكر سكرا لا يسكره رجل .. فهربت وتركت كندا لها وكرهت جنسية الغربة من أجلها .

قالت لمياء باستغراب : ألم تكن عندها ذرة خجل ؟

ـ أبدا حتى شككت في نفسي هل أنا متزوج امرأة مسلمة وعربية

قال : وأهلها !

قال وقد هدأت نبرات صوته : على شاكلتها .. تبرج سفور سينما رحلات .. أخطأت الاختيار لقد عرفتها أيام الجامعة وخدمت مع شقيقها في هندسة الجيش مما شجعني على الاقتران بها .. مراهق ومفتون بالجميلات ولما أنهيت خدمة الجيش خطبتها وعملت بضع سنين في الخليج ثم

الزواج ثم تيسرت لي هجرة عن طريق أقارب لها هاجروا قديما .

ـ هل ستعود ؟ ما قصدها من بيننا طفل ؟

أجاب : اعتقد من اجل النفقة عليه .. نحن تزوجنا هنا في عمان ، فلما رجعت طلقتها هنا وتفاهمت مع والدها وشقيقها الأكبر نديم .

ـ معقول حضرت من اجل نفقة الطفل .

قال معللا : لا يربطني بها إلا الطفلة صفاء .. يبدو أن أقاربها ضاقوا ذرعا بها وفجورها فضغطوا عليها لتعود فهي تتعاطي أيضا

ـ اذا الطفلة فقط فالأمر هين

قال : هل يخطر في بالك شيء آخر ؟

قالت بتوجس : قلت ظهورها ؛ ربما محاولة لتعود إليك ما دامت عادت ؛ ربما لم تتوقع أنك تزوجت بهذه السرعة .

فكر رويدا وقال : والله ممكن ؛ ولكنني هددتها اذا عدت لعمان لا يمكن أن اقبل بها زوجة فهي لا تصلح زوجة ، وأصرت على البقاء وعلى الاحتفاظ بالطفلة .. سيذوب الثلج ويظهر ما تحته.. فعلا أهلها قد لا يعرفون بزواجنا مع أنه نشر في الجرائد

دعت لمياء : الله يبعد عن المشاكل .

***

مر أسبوع على زيارة هناء لشقة عبد القادر حتى سألت لمياء : لم تعد مطلقتك .. هل تحدثت معك خارج البيت ؟

تبسم وأدرك أن قلقا يعصف بلمياء فقال : لا ، لا يا عزيزتي لم تتحدث معي ولا أفكر بالاتصال بها دعك من القلق والهم ، ولكن شقيقي عبد الرحيم اتصلت به امرأة وقالت له أنا أم ابنة أخيك ارغب بالجلوس معك ، فاعتذر لها ، ولم يحدث شيء آخر ؛ ربما زواجي العاجل كما أشرت عقد الأمور لديها ، ولا حتى شقيقها باسم زميل الهندسة العسكرية تحدث معي في الشركة فهو يعرف طريقها

ـ شغلت قلبي !

ضحك من وسوستها وعذرها فهي لم تحمل منه برغبتها هي فقال : لا تشغلي قلبك ولا بالك ما بيني وبينها انتهى .. فخرجت من نفسي وقلبي .. أنا أقر أن اختياري لها كان سيئا .. فهي مهووسة بالرجال من أيام الجامعة ؛ إنما قلت لنفسي لعلها بعد الزواج تعقل وتهدأ كما نزعم .. ففترة الكلية والاختلاط لها أحكام وأحوال خاصة بها .. وأنت ابنة الجامعة مثلنا وتعرفين الانفلات بزعم المراهقة والحرية .

غيرت اتجاه الحوار فسألت : هل من أخبار عن شقيقك سمور ؟

تبسم ثانية وقال مسايرا : سمور كان انفصاليا عن الأسرة منذ درس الهندسة في بلغاريا الشيوعية

..ولا احد يهتم بحضوره وغيابه ، فلولا علاقته القوية بعاصم ـ فهما شبه توأم ـ فلا احد يعرف عنه شيئا .. آخر ما سمعته منه أنه دخل طرابلس الغرب ، ولم يخرج كما يقول عاصم ذكرت صحيفة يسارية أنه معتقل في إسرائيل .. ماذا تريد منه إسرائيل ؟ هو عضو متحمس أيام الحزب الشيوعي أو حتى حركة اليسار العربي أو جبهة حبش .. هو لم ينتم للجبهة الشعبية الفلسطينية يوما واحدا .. كان لنا قريب فيها وبواسطته تعلم في الدول الشيوعية الأوروبية فظل يحتفظ لهم كما يردد بالود وينفذ لهم أعمال تخص شغله .. وله أصدقاء درس معهم في صوفيا من هنا ومن لبنان أو سوريا أو حتى فلسطين وغزة لاجئون مثلنا .. فظل على علاقة معهم .. وهؤلاء أو بعضهم يعملون في الحركة ومكاتبها في الدول المسموح لهم فتح مكاتب لهم فيها .. فيزورهم ويتواصل معهم .. وكل اجتماعاتهم حول الشغل والاستفادة منه وهو يستفيد منهم .. ويسكرون ويعشقون البنات .. فهذا سبب رحلاته اليهم بالأيام والشهور .. صحبة أفكار وكأس ؛ لأن النضال المسلح ضعف منذ خروجهم من بيروت عام ٨٢ .

ـ أليس غريبا أن يختفي ؟

قال مجيبا : هؤلاء الشيوعيون يقتلون الشخص ويدفنونه دون علم احد حتى يستيقظ ضمير احدهم ويعترف بجريمة .. السكر والقمار مأساة .. كم قتل لينين وستالين من أنصارهم بزعم الخيانة والعمالة ثم يتبين انه لا خيانة ولا عمالة .. إنما صراع ونزاع على السلطة .

ـ يشرب أخوك .. هل تشرب يا عبد ؟

ضحك وقال : قبل عودتي من كندا كنت اشرب الكثير، ولما عدت اشرب القليل فقط ، ولا احب أن اشرب في البيت ليس خوفا منك ، فأخوك زميلي أيام الكلية يعلم ذلك ، واذا شربت اشرب مثل كوب الشاي الصغير مع الأصدقاء ومع أخيك ؟ أتعرفين أنه يشرب ؟ هزت راسها بالإيجاب فتابع الإجابة فقال : أما سمور فقبل أن يصير شيوعيا وايدلوجيا كان يقضي أياما في بيروت للسكر والقمار فرحلة إلى دمشق ثم بيروت ، وكان لنا أولاد عم ثوريين هنا ، ثم رحلوا سوريا ولبنان بعد حرب السبعين كنا صغارا .. واعتقد أنه شربها من أيام المدرسة الثانوية وتعلم على تعاطيها بكثرة ، وهو يدرس في صوفيا ، فلا يكتفي بخمور المعسكر الشرقي يعشق خمور العرب هو اكبر مني بخمس سنوات أو ست فكنا نسمع شطحاته وغرامياته في عمان وفي لبنان وفي صوفيا

ـ عاصم اصبح جيدا

قال :كان سمور قدوته وأستاذه ، فلما استقر هنا

وكثر لقاؤه بعبد بدأ يتغير ، ومع سقوط المعسكر الشرقي وصراعه مع الحزب واليسار هنا عرف ضعف الفكر الستاليني واللينني .. فكرة قتلت ملايين البشر .. فعاد إلى الله ..كيف شغلك اليوم ؟

ـ الشغل لا ينتهي .. ألا تفكر بالخلفة ؟

قال : افكر بذلك ..هل ترغبين بذلك ؟ أنت قلت منذ تزوجنا علينا أن نصبر خمس سنوات حتى يستقر زواجنا .. فأنا لا مانع لديّ ..المهم أنت أن تتوقفي عن الموانع

ـ أنا أمي تلح عليّ بالإنجاب ما رأيك ؟

قال باسما : عادي الأمر عندي عادي

ـ لا تتضايق مني

قال مستغربا : لا، أنا لست ضد الإنجاب .. أنت التي شرطت ذلك

ـ حسن سأقوم ببعض الفحوصات

ـ توكلي على الله

***

قال عبد الرحيم لعاصم وسميح وكان قد دعاهم سميح للعشاء في بيته مع زوجاتهم وكان رابعهم عبد القادر قد اعتذر لهم بلقاء مع أسرة زوجته لمياء : أيعقل أن يكون أسيرا ؟

تبسم عاصم وأجاب : هذه نكتة يسارية يبدو لي .. عمره سمور ما تدرب على سلاح أو حمل سلاح ..خلال وجودنا في صوفيا كانوا يسمحون لنا بالتدرب في لبنان أو سوريا .. دورات مدتها ثلاثة أشهر أو ستة على نفقة المنظمة .. ويسمحون بالتطوع للقتال أثناء الاجتياحات الإسرائيلية .. لم اذهب أنا أو سمور لها .. فنحن عشنا هنا ، فبعد أيلول كما يعلم سميح وغيره اختفى السلاح العلني من أيدي الفلسطينيين هنا .. وعم السكون .. فمن كان يحب السلاح سافر إلى لبنان ومن عاد بالعفو الملكي رجع بدون خنجر ..فأقول قلة اسرى في إسرائيل من العرب والانتفاضة في غزة والضفة .

قال سميح : اختفاء غريب جدا !

ـ هو لولا ذهابه لليبيا كما تبين لقلت قتل في لبنان وأخفيت جثته أو دفن في قبر جماعي .. صحيح الحرب الأهلية توقفت في ساحة لبنان بمؤتمر الطائف ؛ ولكن هناك ثارات وأحقاد وقوات الردع السورية لم تخرج والتهريب والمخدرات ما زالت مستمرة .. لكنه رحل للجزائر ومنها دخل ليبيا برا

قال عبد : فكرة سفره لأوروبا الغربية ألها تفسير ؟

ـ لماذا لم يخبرني على الأقل ؟!

قال سميح : وهذه اغرب من فكرة أسره .. هل كان يدعم الانتفاضة سرا ؟

ـ لم يدخل فلسطين منذ ذهبت عام ٦٧ .. هل قتله

رفاقه في ليبيا في طلقة طائشة وحفلة ماجنة كما يظن عبد القادر ؟.. ولكنها جثة وهناك سلطات قوية .

قال سميح : لعل هذه السلطات قتلته !

ـ لماذا لماذا ؟ هو مجرد مهندس تصليح الآلات وماتورات .. ما الخطر الذي يشكله على نظام القذافي ؟ فكرة سخيفة .. يدبرون له تهمة ويرمونه في سجن أبو سليم أو يقتلونه ويرسلون جثته بالقتل خطأ .

قال عبد : لعله كما قلت سجن في ليبيا

قال سميح : لم يتكلم أصحابه لقيادتهم في دمشق ولماذا يخفون ذلك ؟!

ـ وهل لديهم الشجاعة ليعترفوا يا ابن أمي وأبي .. يا رجل انتخابات اتحاد الطلبة الفلسطيني والصحافة يفوز المرشحون كما نسمع تحت التهديد والتخويف ..

وتابع لما لم يتكلم أحد : اختفاء محير ولكن المطلوب منا أو مني التعسعس حتى نصل لليقين أو

الخبر الراجح

دعوا لعاصم من قلوبهم بأن يصل لليقين في غموض قضية سمور.

***

اتصل رفيق عتيق بعاصم طالبا اللقاء به للحديث حول فقدان سمور ، والتقيا في مقهى وسط المدينة وبعد عناق وترحيب وذكريات وشرب الشاي ، قال فوزي : سمعت من بعض الأخوة من أيام وكنا في حفلة عرس عن ضياع أو اختفاء سمور محسن في ليبيا فاستغربت فتحدثت مع بعض الرفاق القدامى في الحزب ؛ لأنني كما تعلم لما مرضت مرضا صعبا تركت الشيوعية مثلك وتبين لنا أنها كذبة دموية ليس اكثر

تقدم النادل بالقهوة والماء التي طلبوها بعد شربهم للشاي ، وتناول كل واحد منه كوبه وكأس الماء وشكرا العامل بتمتمة وقال فوزي مذكرا لعاصم : أنا عرفت أخاك كما تعلم قبل سفره لبلغاريا من أيام المدرسة الثانوية لعلك تذكر ذلك ؟

ـ نعم اذكر وكنت أراك أحيانا معه

قال : نعم ، لم اكن في نفس المدرسة اذا كنت تذكر .. كان يجمعنا حب الشيوعية والإعجاب بالزعماء الأوائل مثل كاسترو في كوبا وموشيه منه بتاع فيتنام ودفاعهم عن قضيتنا وتسليحهم للمنظمات والفصائل الفلسطينية المسلحة .

ضحك عاصم وقال ساخرا : كانت تلك الحرب تدغدغ أفكارنا وأحلامنا نحو الانتصار على أمريكا وإسرائيل وحرب التحرير الشعبية .. نعم يا سيد فوزي نعود لسمور صديقك تلك الأيام المواضي .

ـ أنتما رحلتما للدراسة في صوفيا على نفقة حركة

القوميين العرب وأنا درست في الأردن إدارة أعمال فابتعدنا عن بعضنا .. وكنا نلتقي أثناء مؤتمرات الحزب السرية خارج الأردن

قال عاصم متذكرا : رأيتك في لبنان مرة ودمشق مرة ثانية فقط

ـ فسمور شقيقك ظللت على تواصل معه ، فلما حضرت عرس ابن احد الزملاء سمعتهم يتحدثون عن اختفاء سمور محسن الغامض فتواصلت مع عضو قديم فذكر لي أنه سمع مثلي ولا يدري صحة ذلك الاختفاء ولا يعرف لماذا سافر سمور لإفريقيا ؟ أتعرف أنت ؟!

قال عاصم : بالضبط لا اعرف .. هو ذهب لبنان بناء على رغبة من رفاق له ، فكان أحيانا ينتدب للعمل مع زملاء في الحركة الشعبية وفي مكاتبها لزمن يسير ، ولا اعرف ماذا يعمل فيها مجرد إعارة .. الغالب شغل خاص بالتصليح والصيانة كان يقول ..فهو مهندس ميكانيكي كما تخبر لا علاقة له بالأسلحة والكيمياء

ـ اعرف أعرف .. لما رحل من بيروت لم يصارحك بشيء

قال :كأي سفرية .. أنا مسافر جماعة بغداد اتصلوا جماعة بيروت يخبرني ويسافر بدون أي تفصيل ونظل على اتصال بالهاتف بين الوقت والأخر ..أنا افتكرت انك تملك معلومات

ضحك وقال : أنا لا امتلك معلومات ؛ ولكنه صديق وعزيز .. واعرف زوجته السيدة وفاء قبل انفصالهما فهي كانت قامة في الحركة الشيوعية وبين النسوان ؛ ولكني سأرسلك أو أدلك لرفيق في سوريا أو لبنان لا اعرف أين يسكن الآن لعلك تجد عنده شيئا .

ـ هل اعرفه ؟

قال : هو سوري وتزوج في بيروت وعاش فيها اكثر حياته .. وقد لا يزال فيها .

ـ ماذا سأجد عنده ؟!

ـ ستجد عنده أخبارا عن سمور محسن .. معلومات

قال بدهشة : كيف ؟أنا في حيرة !

ـ هو اليوم ربما قريب من السبعين هو طبيب درس في الجامعة الأمريكية مثل جورج ووديع واكثر قادة حركة القوميين العرب ، وعمل في الصحافة البيروتية والسورية وكان في حركة القوميين والماركسيين العرب وعاش حرب لبنان من بدايتها لنهايتها فلعلك تجد عنده خبرا عن سفر سمور لليبيا فهو مرجع تاريخي للنضال العربي اسمه ...

ـ سمعت به وانا في لبنان ؛ لكنه كما قيل شبه ميت كذا جلطة تعرض لها

قال فوزي : حاول .. لن تخسر شيئا بمقابلته

قال بشك : هل سيعرف عن سمور شيئا يا سيد فوزي ؟! هو مجرد صحفي .. وسمور صديق لشباب في الثورة

ـ لعل وعسى فهو ما زال محجا للنضال القومي واليعروبي

تبسم المهندس وقال : ولى النضال يا أبا نضال ! وحررنا يافا والقدس ونستعد للعودة

ضحك فوزي لحظات وقال : سافر اليه افضل من الانتظار ؛ فإذا بتحب أنا مستعد للسفر اليه

قال عاصم متأملا العرض : شكرا سأفكر بالعرض .. فأنت الوحيد ممن صاحبه اهتم بقضية الاختفاء .. أترى انه اغتيل في ليبيا ؟

انتظر السيد لحظات قبل الإجابة : لماذا يقتل ؟! لو قتل خطأ لعلمتم ..فكم قتل من المناضلين والثورين بالخطأ أو تحت التدريب أو عمدا وينشر ذلك وتعزية آ ل الشهيد ..ولماذا يخفى امر مقتله وجثته ؟

رد عاصم : النظام الليبي له سوابق ، واشهرها مؤسس حركة امل الشيعية الصدر

قال فوزي ببطء : أنا غير مستسيغ القتل وإخفاء الجثة وقصة اللبناني الشيعي ما زال يلفها الغموض يا سيدي !

ـ ألا يقتل المساجين ولا احد يدري بهم .. ليبيا نظام شمولي ديكتاتوري .. فالإنسان اقل من حشرة في تلك الأنظمة الانقلابية ..سواء في ليبيا في مصر عبد الناصر سوريا الأسد عراق صدام الإنسان المعارض لا قيمة له عند تلك الأنظمة

قال فوزي : سمور ليس سياسيا بالمفهوم الشامل ..وهو ليس في الصفوف الأولى في القيادات اليسارية ليُهتم بكلامه وتعليقاته .. ولا أذكر انه كتب للجرائد خاطرة قبل أن أقول مقالا .. قال لي اكثر من مرة انه لا يحب الكتابة ويقرأ ما يلفت اليه .. وذات مرة قال لي : يا رجل نشرات الحزب السرية كنت أوزعها أيام الثانوية ولا اعلم ما فيها .. أما فكرة الهرب للغرب فأقوى

ـ يترك تاريخه الشيوعي وتعصبه للذهاب إلى الغرب

قال فوزي مبينا أو لافتا نظر المهندس : الغرب فيه يا عاصم أحزاب شيوعية وشخصيات ايدلوجيا اكثر من روسيا .. فألمانيا فيها شيوعية .. وهل تظن أن كل سكان المانيا الشرقية تحولوا لرأسماليين ؟ فما زالت الاشتراكية تعشش في أوروبا .. وألمانيا منبع الشيوعية الماركسية فماركس الماني ولا تخلوا بلد أوروبي من حزب شيوعي أو اشتراكي .. ولكنهم لم يكونوا بالزخم السوفيتي والدعاية السوفيتية التي عشناها .

ـ على كل حال ..أشكرك شكرا جزيلا وسنبقى على تواصل .

قال : شكرا لقبولك لقائي ؛ فربما أنت الوحيد من إخوتك مهتم بسمور

قال عاصم موضحا السبب : للأسف يا أخ فوزي .. كانت علاقته الاجتماعية معهم ضعيفة بل صفر مكعب .. كان انعزاليا مع أفراد العائلة إلا من كان شيوعيا من أقاربنا وأبناء العم والخال ..أنت تعلم أن الناس صدمت من أحداث النكبة والنكسة فانتشر الإلحاد بين الشعب المهاجر والمخيمات كباقي الشعوب العربية ووجد له محضنا بيننا فترى العائلة منقسمة هذا ثوري واخوه سلمي هذا شيوعي وذاك شيخ .. وكانوا يطمعون أن يصنع لهم الشيوعيون شيئا أو يعودون لقراهم ومدنهم أو تكون ثورة الشعب الفلسطيني كثورة فيتنام وغيرها من حركات التحرر في العالم ولكنها صارت ثورة للاعتراف بإسرائيل وصنع السلام هو هدف الثوار .

ـ حسن حسن.. نلتقي .. لا يمل .. سبب هذا السلام الذي تراه هو الانتفاضة الداخلية .

***

تحدث سميح مع عاصم عن نتائج المقابلة فقد كان على علم بموعدها فقال عاصم ردا على الهاتف : لا شيء نصحني بزيارة شخص يزعمون أنه قاموس أو معجم بالشيوعيين ومصائرهم وتحركاتهم ، وينفي مسالة اغتياله من قبل أصحابه أو رفاقه أو حتى النظام الليبي والصليب الأحمر ينفي وجوده في أسر إسرائيل وليس له نشاط معلن أو معروف ضد إسرائيل .. والغريب أنه يرى انه سافر للغرب هجرة إرادية .

ـ الغرب!

قال عاصم : هجرة كما فعل عبد القادر

قال سميح من غير اقتناع بالفكرة : ولماذا يخفي ذلك عنك أنت ؟

ـ لا ادري .. لعله لا يريد أن لي يعترف بهزيمة الروس والمعسكر الشرقي

قال : ستذهب للقاموس البيروتي .. أتعرفه ؟

ـ سمعت به ..هو طبيب ترك الطب وعمل في الصحافة .. هو من اصل سوري وتزوجته بيروتية نصرانية شيوعية.. وظل فيها .. وهو في السبعينات من العمر ومهتم بتاريخ الشيوعية في بلاد المشرق العربي ومصر اكثر من غيرها وقابل شخصيات شيوعية عالمية .

ـ ماذا ستجد عنده ؟

قال عاصم : لا ادري .. افكر أن أتحمل سفر فوزي يبدو انه يعرفه جيدا .

ـ وهل يقبل ؟

قال : لمح لذلك

ـ جرب

قال : فكرة السفر للغرب .. هل تراه سافر سرا

دون المرور على الحدود الرسمية ؟ ولما اخفى المكتب الليبي سفره ؟

قال سميح بتردد : لعله مكلف بمهمة خطيرة تتطلب السرية يا أبا حاتم

تبسم عاصم لفكرة سميح : ما هي المهمة يا ترى ؟

رد سميح : ما هي سرية يا عاصم

ـ اسف .. سمور في مهمة خاصة

قال : ألا يمكن حدوث ذلك ؟ لذلك يتكتمون عن سبب اختفائه .

فكر عاصم بفكرة سميح ثم قال : والله ممكن .. إذن مشوار بيروت بلا منه

ـ لا ادري .. صدق أنني في حيرة مثلك ..فهو رغم عدم تعاونه معنا في قضية فهو أخونا

قال عاصم : بارك الله في نبلك وتعاطفك .. ما أخبار عبد الرحيم وعبد القادر ؟

ـ لحتى اليوم لم يعرف سبب أعراض مرض امرأته .. وامرأة عبد القادر الأولى في البلاد طردت من كندا .. وسعت لمقابلة عبد فصرفها ولم تعد ثانية ..

قال عاصم : شغلتني بفكرة عملية سرية ؛ لكن منذ أيام وديع لم تحدث عمليات سرية .

قال : وهل يعلن عن كل شيء يا مهندس عاصم ؟

ـ أشكرك جدا ! صدق لم افكر بهذه الفكرة رغم زيارتي ليبيا بحثا عنه .

ـ وهل قابلت أحدا التقى به ؟

أجاب بعمق وتأمل : نفوا أي لقاء به ؛ ولكن حدود الجزائر أكدت خروجه برا من حدودها أي خرج من الجزائر اتجاه ليبيا .

ـ ولم يثبت خروجه من ليبيا

قال المهندس : لم يثبت ، ولم يصل لمكتب الجبهة الذي هو عبارة عن شقة صغيرة اذا كان هو المكتب الذي زرته

ـ فإذا كان هو في مهمة حاصة، فلن تجد عنه معلومة حتى تنتهي العملية الخاصة

قال بأمل ورجاء : أرجو ذلك .. لا يخطر على بالي عملية خاصة ؛ فهو ليس عسكريا معهم هو مهندس محركات .. ما هي المهمة التي سيقوم به ؟!

ـ غدا تشرق الشمس ونعرف

عام ١٩٩٤

وقع الأردن وإسرائيل في نهاية ١٩٩٤ على اتفاقية وادي عربة ، ووافق عليها برلمان الحكومة دون أي اعتراض ، واصبح لدى الأردن معاهدة مثل معاهدة كامب ديفيد المصرية ، وقعت بين الأردن وإسرائيل على الحدود الفاصلة بين الدولتين والمارة بوادي عربة في 26أكتوبر 1994 طبعت هذه المعاهدة العلاقات بين البلدين

وتناولت النزاعات الحدودية بينهما ، وترتبط هذه المعاهدة مباشرة بالجهود المبذولة في عملية السلام بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية منذ أواخر عهد جورج بوش الأمريكي ، بتوقيع هذه المعاهدة أصبحت الأردن ثاني دولة عربية بعد مصر لها معاهدة رسمية مع الكيان ، وثالث جهة عربية بعد مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية تطبع علاقاتها مع إسرائيل ، تم التوقيع على معاهدة السلام التاريخية خلال حفل أقيم في وادي عربة في الأردن، شمال إيلات وبالقرب من الحدود الإسرائيلية الأردنية وقع الاتفاق والمعاهدة رئيسا الوزراء إسحاق رابين الجانب الصهيوني وعبد السلام المجالي الجانب الأردني ، فيما ظهر الرئيس عيزرا وايزمان والملك حسين بمصافحة تاريخية ، وكان الرئيس الأمريكي بيل كلينتون ووزير الخارجية وارن كريستوفر حاضرين خلال حفل التوقيع ، وأرسلت آلاف البالونات إلى السماء في ختام الحفل.

قال عبد القادر بعد انتشار خبر المعاهدة الأردنية الإسرائيلية والاحتفاء بالسلام : هل حقا انتهت الحرب ؟

قال عاصم : أي حرب ؟ آخر حرب بيننا كانت قبل ربع قرن احتلت إسرائيل الضفة دون حرب ، وحرب تشرين كان دورنا بسيطا ، وقاتلنا في الكرامة ساعات من نهار ٢١ من آذار ١٩٦٨ وانسحبت ألوية إسرائيل قبل الليل وانتهت المعركة .

ـ هذا شيء متوقع ما دام قد قبل العرب بالذهاب لمؤتمر العم مدريد بعد حرب الخليج الثانية .. أنا لا احب السياسة ولا السياسة تحبني ؛ لكن الأحداث وكلام الجرائد ودردشة المكاتب يجبر الواحد على الاستماع .. فلنتحدث بشيء آخر ..هل سيتزوج عبد الرحيم ؟

ـ كنت امس أو ليلة امس معه .. زوجته لم تعد صالحة للمعاشرة ، فقالت له بدلا من جلب خادمة تزوج امرأة تقبل برعاية الأطفال .. فهو يفكر بذلك ؛ ولكنه يخشى رفض الزوجة العناية بأطفاله وزوجته المريضة .. فهو يخرج للعمل وأمها وأخواتها لا يستطعن الاستمرار معها .. لابد من وجود احد في البيت .. فالحالة تأتي فجأة .

تنهد عبد وقال : فعلا مشكلة معقدة كان الله في عونه.. الحياة ما فيها سعيد

قال عاصم : السعادة ساعات.. لابد من السرور والحزن واليسر والعسر .. عبد الرحيم متقبل الوضع برضا وصبر .. ألا تتحدث معه أو يتحدث معك ؟

قال باسما : نتكلم بمرحبا والصحة وأخبارك

وأخباري باختصار .. سأمر عليه الليلة اذا وجدته بالبيت وآخذ زوجتي .

ـ ما صار بموضوع طفلتك

قال عبد : ادفع لها نفقة على رقم حساب خالها .. فهي ابنتي في النهاية .. وسمعت انهم وجدوا لها ذكرا ولا ادري صحة ذلك .

التقى المهندس عبد القادر بعبد الرحيم في بيته وتطرق الحديث إلى حالة زوجته وقصة الزواج ثانية فقال : أم الحارث تريد ذلك بدلا من خادمة وإنني بحاجة لامرأة أنام معها فهي عاجزة عن المعاشرة الجنسية ، ولكن الزوجة قد لا تحل المشكلة ..فهل تقبل برعاية أم الحارث ؟ لابد من خادمة دائمة ، وقلت الزواج الثاني بعد تشييد شقة ثانية وقريبا سأباشر البناء إن شاء الله وأنت ما هي أحوالك ؟ هل من جديد بينك وبين أم ابنتك ؟

ـ رتبنا امر نفقة الطفلة معها وشقيقها يستلم المبلغ المتفق عليه وها أنا أعالج زوجتي لمياء للحبل

قال : كيف شغلك في شركة ؟

ـ كأي شغل ، نشتغل بدون حماس

قال : غالب الناس تشتغل بذلك الفتور .. هل من أخبار عند عاصم عن سمور ؟

ـ لا شيء لحتى اليوم.. أين ذهب ؟ أين اختفى فص ملح وذاب

ـ هل تراه مات ؟

رد فقال : أين جثته ؟ هل هو سجين في أبو سليم الليبي ؟ لا جواب .

قال عبد الرحيم : هل علمت بتخرج سليمة ابنة سميح من كلية الآداب بليسانس إنجليزي ؟

قال عبد القادر : أجل ، واتصلت بسميح وباركت له .. و ذكرته بيوم جاءنا سميح للاحتفاء بنا يوم نتائج التوجيهي سنة ٧٩

ـ وسمعت أنها قد تتزوج قبل دخول سوق العمل

قال عبد القادر : تتزوج لم يتطرق لذلك .. من العريس ؟

ـ ابن خالها يوسف اسمه وليد وهو مثلك درس هندسة وتخرج قبل سنة ويعمل مع شركة عم له .. درس هندسة مدنية حسب ما قيل .

قال : سأمر أنا ولمياء لبيته ونبارك له ونهدي البنت هدية مناسبة .. هل ذهبت ؟

ـ حضرت حفلة تخرجها مع سميح وإخوتها .. اخوها محسن هو أيضا في الجامعة

ـ كم من الأولاد والبنات عند سميح ؟

ضحك عبد الرحيم لجهل عبد القادر وقال : جيش .. ثمانية خمسة شباب وثلاث صبايا مثل أمي رحمها الله

ـ ما شاء الله .. أنا خلفت صفاء ، وانقطعت الخلفة ولم تستطع الإنجاب في كندا ، ولمياء نعالجها لعلها تحمل .

قال عبد الرحيم : الله ييسر .. وانا عندي ثلاثة بفضل الله تعالى

ـ بارك الله فيهم .

***

أقام السيد سميح حفلة للعائلة بمناسبة تخرج سليمة ببكالوريوس لغة إنجليزية وكان الحفل في صالة احتفالات ، وشارك الأقارب والأهل بنجاح الشابة التي تلقت الهدايا منهم بهذه المناسبة ، وانتشر خلال الحفلة خبر زواجها القريب من ابن خالها المهندس وليد يوسف .

وقال عاصم للمهندس وليد لما اقترب منه : مبارك يا عريس .

تعانق وليد مع عمها عاصم وقال : أشكرك يا أبا حاتم عقبال ما تفرح بحاتم وإخوانه.. أنا سعيد بكم .. هل من أخبار عن العم سمور ؟

ضحك عاصم والتفت لوالد وليد الذي اقترب منهم مصافحا ومسلما : مبارك يا أبا محمد بنجاح عروسنا أولا وبالزواج القادم

ـ بارك الله فيك .. وسيكون الزواج قريبا إن شاء الله تعالى .. فعلا ما أخبار المهندس سمور صحيح خبر اختفائه ازعجنا جدا .. صدق ذلك وكلما أسأل أبا محسن يقول الأخبار الخاصة بسمور عند المهندس عاصم .. وها نحن نرى المهندس الغالي

فقال عاصم : أنا في حيرة ذهبت ليبيا من شهور ولم اجد معلومة عنه إلا أنه دخل ليبيا .. ماذا فعل فيها ؟ حتى لماذا ذهب إليها ؟ لا احد يعرف .. مكتبهم هناك ينكر رؤيتهم له .. وقال احدهم انهم فعلا كانوا ينتظرونه ، ومنطقة حدود الجزائر تقول إنه دخل ليبيا حسب اتصال مع الصليب الأحمر .. وهو لما غادر بيروت ذكر لي في آخر اتصال سيقوم بالمرور على الجزائر بالطائرة من مطار دمشق ومنها لطرابلس الغرب برا .

ـ سمعت من سميح انك كلفت زميلا له بزيارة بيروت لمقابلة صحفي مخضرم .

ـ اجل ، لقد تطوع رفيق تاريخي له بالسؤال عنه في بيروت ودفعنا له تكاليف الرحلة ..وكان ذلك قبل تخرج سليمة بأيام .. لم يتصل بعد

قال يوسف : أعاده لكم ولنا سالما .. هل ماتت الماركسية يا أبا حاتم ؟

رد عاصم : أما أنا فقد طلقتها .. أما على مستوى العالم يقولون الأفكار لا تموت تتضعف تتآكل ولكنها تبقى موجودة .. بالفِعْل تراجعتِ الشيوعية بوصفها نظامًا للحُكم في جميع أرْجاء العالم، بل إنها فقدَت مناصريها في الدول الشيوعية... لقد انهارت الشيوعية كدولة في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي كذلك ، ولابد أن تتبعها كل الأنظمة المماثلة هذا ما يقوله التاريخ .. أين اليونان أين الرومان أين الفرس ؟

هزّ رأسه وقال باسما : اصبحوا تاريخا قال الحق ﴿ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ لقدِ اعتنقتِ الشيوعية الإلْحاد، وقام عليه أكبرُ الدول في الشَّرْق وهي روسيا، حيث حملتْ في بنودها رفْضَ الغيب، والنظر إلى الحياة كلها مِن منظور مادي بحْت.. ولقدْ أصبح الإلْحاد ظاهرةً عالمية بجهدهم وجبروتهم .

قال عاصم : صحيح ما نطقت به .. لقد افسدوا الكثير من الشعوب والناس ؛ ولكنه في بلاد يغلبها الإسلام فهو فكر ضعيف لم يحكم دولة بشكل صحيح .. وأنا أبارك لوليد زواجه القادم من ابنة أخي .

ـ جزاك الله خيرا إن شاء الله تفرح بحاتم وذريتك

***

سافر فوزي صديق سمور في الحزب لسوريا برا ، ومن ثم سافر لبيروت بعد أيام قضاها في دمشق بزيارة لبعض معارفه وأقاربه ، ولما استقر في الفندق في وسط بيروت سعى للاتصال بصحيفة كان يعمل بها ما يسميه القاموس في متابعة نشاط الشيوعيين العرب واليسار العرب بعامة ، فتبين له انه ترك تلك الجريدة قبل خمس عشرة سنة ،وكان يكتب لمجلات مهاجرة تصدر من لندن وباريس وقبرص بدون دوام ومكتب ، فهو كان متابع له فيها يتوفر من تلك المجلات اذا سمح لها بدخول عمان ، وأعطوه عنوان منزله في بيروت الشرقية منطقة نصارى بيروت ، وتأكد منهم أنه لم يغير عنوانه القديم .

فلما زاره في المنزل المذكور علم ممن قابلهم انه مريض ، وخرج من المستشفى من يومين واخذ رقم منزل البيت من زوجته لما قابلته نيابة عن زوجها ، وسيعاود الاتصال لما تتحسن صحته كما اتفقا .

وانتظر أياما حتى سمح له باللقاء به في مكتبه المنزلي ، وحدثه عن سبب هذه الرحلة إليه والحاجة لخبرته ، وهو الذي يملك أرشيفا مهما في نشاط اليسار العربي من قبل نكبة فلسطين عام ١٩٤٨

فلما استوعب المضيف القضية تنهد وقال : الأمراض تهد البدن يا أستاذ فوزي! وأنا اشكر ثقتك الكبيرة بقدراتي وخبرتي .. ولكن من سنوات اربع أو خمس لم يعد لي نشاط قوي في متابعة قضايا الاغتيال والاختفاء كالماضي .. وهذا الشاب الذي تحدثت عنه اعرفه ، وجلس مثلك في هذا المكتب كزائر وضيف .. طبعا كان مع رفاق له من أصول لبنانية أو فلسطينية من أبناء مخيمات لبنان .. هو لم ينتم لحركة فلسطينية الذي عرفته عنه وإن كان قريبا من الجبهة الشعبية فكرا ودراسة .

قال : صحيح .. هو ماركسي اردني ؛ حيث عاش وما زال .. ولكنه درس مبتعثا على نفقة اليسار

الفلسطيني في صوفيا عاصمة بلغاريا .
ـ نعم نعم ، ذكر ذلك .. كان يتكلم قليلا .. ثم انصرفوا ، ولم يحدثني احد عن خروجه لسوريا والجزائر وليبيا .. غب أياما عني ثم اتصل بي ؛ فإن علمت عنه شيئا من الشباب الذين جاءوا سأخبرك بذلك ..لأنني أعرف اثنين منهم بشكل جيد .. هذا ما استطيع تقديمه لك الآن .. أما عن سبب اختفائه هل صرع أو اغتيل لم اسمع أو لم ينقل ؟
قال : شكرا سيدي .
وغادر منزل القاموس مع غروب الشمس .. وبعد يومين اتصل بمنزل القاموس فقيل له إن الحكيم عنده فتأجل الاتصال للمساء التالي ، فلما اخذ موعدا ذهب اليه ، وبعد الترحيب وشرب فنجان القهوة فقال الرجل لفوزي : زارني أصحاب أو قل احد أصحاب صاحبك المختفي وسألته وكان معي صريحا : اخبرني أن صاحبك فعلا سافر للجزائر عن طريق سوريا ومنها ليبيا ولعله هاجر لأوروبا بقوارب الهجرة الخفية هذا ما قاله لهم .. ومن أجل ذلك انقطعت أخباره عن الجميع
ـ ولماذا يهاجر ؟ فيمكنه أن يهاجر بدون قوارب سرية.. شقيقه سمع أو همس بأذنه انه هاجر أوروبا الغربية أثناء بحثه عنه في ليبيا ولم يصدق .. هو مهندس ويشتغل ليس بحاجة للمال ليغامر هذه المغامرة الخطرة .. لقد هاجر شقيق له لكندا من زمن .
قال : هذا ما قاله الشاب الذي قابلته ، وهو الذي وصاهم أن لا يخبروا أحدا بموضوع الهجرة فاذا وصل إيطاليا فلسوف يتحدث معكم لما يستقر وضعه .
ـ له اكثر من سنتين أو سنة ونصف لم يسمع عنه خبر
قال الصحفي : كثير من الناس يغرقون ويدفنون جماعيا يا أستاذ فوزي أو يبتلعهم المتوسط
ـ غريب .. امر غريب .. صحيح أن الكثير من القوارب تغرق في عواصف البحر وتظهر أجسامهم على شواطئ البحر .. ولو اعتقل كما نسمع لاتصل باهله عن طريق منظمات حقوق الإنسان والهجرة غير الشرعية .. أأنت مقتنع بما قاله زميله ؟
قال : الحق غير مقتنع مائة بالمائة .. المهم والأكيد يا صاحبي انه خرج من لبنان ودخل ليبيا هذا ما استطيع أن افعله لك
ـ أشكرك جزيل الشكر .. وأتمنى لك العافية والصحة
قال : هذه شواطئ البحر الأبيض من جهة أفريقيا محج للهاربين من بلدانهم إلى سواحل أوروبا سواء عن طريق المغرب تونس ليبيا

ـ القصة انه غير محتاج للهجرة لاقتنع بها ، ليس هناك دوافع للهجرة السرية .. وهو يمتلك جواز كأي اردني وغير ممنوع من تجديده

قال : ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا

***

فور وصول فوزي لعمان التقى بالمهندس عاصم وشرح له رحلته وسبب تأخره بعض الوقت ولما انتهى الكلام عند الهجرة غير الشرعية ازداد عاصم اندهاشا وقال لفوزي : أنت تعرف سمورا جيدا فهل يفعل ذلك ؟

فرك أذنه وقال : لست مقتنعا .. فالهجرة غير الشرعية لها أسباب لا تنطبق على سمور .. أولها الفقر المدقع وعدم توفر فرص للعمل وسمور لا ينطبق عليه هذا حسب علاقتي به

قال عاصم مؤيدا : صحيح .. لم اره يطلب منا قرضا فلسا منذ عدنا من بلغاريا .. والعمل متيسر ولا سفرة عمل خارج البلاد إلا ويعود بآلاف الدولارات .

وقال فوزي : والسبب الثاني كثرة السكان أو ما يسمونه الانفجار السكاني وعندنا في الأردن لا يوجد انفجار سكاني بعد ؛ بل لدينا عمالة مصرية وسودانية وسورية وآلاف العراقيين بيننا بسبب الحصار .. ويقال عندنا بطالة مقنعة وأبواب الخليج تقبل شبابنا للعمل فيها رغم حرب الخليج الثانية .. فيقول أخصائيو الاجتماع : يؤدي النمو السكاني الذي يتجاوز القدرة الاستيعابية للمنطقة أو البيئة إلى الانفجار السكاني .. فيقال أن الهجرة توفر تنفيس للانفجار السكاني وتنقل هذا الانفجار إلى مكان أو بلد آخر.. يعتبر الانفجار السكاني وعواقبه مشكلة أكبر في البلدان النامية. . وعندنا كما قلت لا يوجد هذا الانفجار الذي يدفع العم سمور للسفر لليبيا ليركب قارب تعبان نحو إيطاليا

قال عاصم : أنا سمعت مثل هذا الهمس في بيروت من المكتب ومن مكتب دمشق ومن مكتب ليبيا فهو لم يزر أي مكتب في دمشق الجزائر ليبيا فظنته ذاهبا هناك للأشراف على مشروع .. المهم شغل .. ولماذا يخفي هذا عني ؟ فهو يعرف أن لا احد يهتم بغيابه وحضوره إلا أنا .. شقيقنا عبد القادر كان في كندا مهاجرا بزوجته وابنته ودعانا للهجرة الشرعية وتوفر فرص عمل للمهاجرين

قال فوزي : وهناك أسباب أخرى منها يسعى بعض المهاجرين غير الشرعيين للعيش مع أحبتهم الذين يعيشون في بلد لا يُسمح لهم بدخوله، مثل الزوج أو الزوجة أو غيرهم من أفراد الأسرة..يمكن التقدم بطلب للحصول على تأشيرات لم شمل الأسرة من قبل المقيمين الشرعيين أو المواطنين المجنّسين لإحضار أفراد

أسرهم إلى دولة الوجهة بشكل شرعي، ولكن قد تكون هذه التأشيرات محدودة العدد وخاضعة لحصص سنوية.. قد يدفع ذلك أفراد الأسرة للهجرة غير الشرعية من أجل لم الشمل.. كما حصل لأقارب لنا هاجروا للسويد والدنمارك

سافر عم لي للسويد بعد نكبة ٤٨ وبعد عشر سنوات التحقت به زوجته وأطفاله

ـ سمور لا زوجة ولا أولاد هناك .. له بنتان ويعيشان عند أم زوجته وفاء .

قال فوزي : وهذا لا ينطبق على سمور كما تقول وهناك اللجوء السياسي ..قد يكون الدخول

غير المصرح به إلى بلد آخر بسبب الحاجة إلى الهروب من الحرب الأهلية أو القمع السياسي في البلد الأصلي.. مع ذلك، لا يعد الشخص الذي يفر من مثل هذا الموقف في معظم البلدان مهاجرًا غير شرعي تحت أي ظرف من الظروف.. إذا تقدم ضحايا التهجير القسري بطلب لجوء في البلد الذي هربوا إليه وتم منحهم وضع لاجئ، فيحق لهم البقاء بشكل دائم.. إذا لم يتم منح طالبي اللجوء نوعًا من الحماية القانونية، قد يضطرون إلى مغادرة البلاد ، أو البقاء كمهاجرين غير شرعيين .. كما يهاجر الناس لأمريكا وكندا وأوروبا الغربية بسبب الاضطهاد السياسي .. وكذلك نعلم من أسباب الهجرة غير الشرعية الحرمان من الجنسية

.. تريد بعض العائلات أن تضمن حياةً أفضل مليئة بالنجاح لأطفالها.. ليضمن الأطفال التعلم في بيئة آمنة هذه اشهر الأسباب للهجرة التي نعرفها ، ولا شيء منها ينطبق على سمور في رأيي ورأي القاموس ؛ ولكنه نقل هذا الكلام عن زميل سمور بزعم أن سمورا قال له ذلك .

ـ الحق أن هذا القول غير دقيق كغيره من الأقوال .

***

رجع عاصم لشقته مهموما اكثر بعد عودة فوزي ، وما كاد يدخل البيت حتى أخبرته أم حاتم باتصال الدكتور عبد الرحيم يسأل عنه فلما شرب بعض الماء ضرب رقم الدكتور الذي كان يسأله عم حمل فوزي من أخبار سمور ، فذكر له مختصر اللقاء وعلق عبد : سمور يهاجر خفية عنا .. هذا شيء غير معقول .. على كل سأتصل بسميح فهو مهتم مثلنا بنتائج رحلة فوزي ونلتقي عندك .. في مجال !

ـ أهلا وسهلا قبل دقائق عبرت البيت نتعشى معا إن شاء الله

ـ لا بأس .

وصل سميح لبيت عاصم قبل عبد الرحيم ، فبيته قريب من شقة عاصم ، وبعد حين يسير دخل عبد الرحيم الذي قال بعد المصافحة والسلام : كلمت عبد القادر ليسمع ما سنسمعه عن مشوار

فوزي فقال لي معتذرا : إن صفاء مريضة فقد تحدث معه خالها باسم وسيذهبون بها للمستشفى

قال سميح : ألم يقل ما بها ؟

رد عبد الرحيم : قالوا له بنتك مريضة ، وسنذهب بها للمستشفى بأمر من الطبيب

قال عاصم : بعد العشاء نتصل به أو نذهب للمستشفى

قص عليهم تفاصيل رحلة فوزي لقاموس وصحفي بيروت وأن الرجل تبين أنه يعرف سمور محسن وزاره اكثر من مرة مع شباب يساريين مثلهم ، واخبرهم سمور قبل مغادرة بيروت برغبته بالهجرة السرية لروما لهذا سافر ليبيا ، والقاموس غير مقتنع بما نقل له ، ولا فوزي مصدق هذا الأمر وهذا الاختيار وقال مختتما التفصيل : ولا أنا مصدق هجرة بقارب تهريب إلا اذا فقد سمور عقله .

وادلى كل واحد منهم بدلوه ، واتصل عاصم ببيت عبد القادر وأخبرته لمياء باسم المستشفى الخاص الذي ساقوا إليه صفاء عبد القادر وشكروها وقال عاصم : هل ستذهبون ؟

قال سميح : أنا سأذهب الآن لا ادري عبد !

ـ إن شاء الله سأذهب معك .. عاصم

قال عاصم : سأذهب بعدكم ، ولكن بعد أن استريح قليلا .. طمأنونا من المستشفى

شربوا الشاي ، وودعوا أهل البيت الحاضرين وقبل المغادرة قال عاصم : ما أخبار زواجك ؟ هل جد جديد ؟

ـ لم يحسم الأمر .. إلى اللقاء

وصلوا المستشفى كل بسيارته ، ووجدوا عبد القادر ومطلقته وأختها وأخاها باسم والبنت داخل غرفة الفحص ولما خرجوا قال سميح : ما هذه الأخبار عن سمور ! أخبار لا تصدق

ـ نعم ، باختفاء سمور الغامض اختفت الشيوعية من أسرة محسن سالم ؛ كما اختفت في العالم الشرقي يا أبا محسن !!

تمت الحلقة ٤

هذه النسخة المسودة فحسب

رهاب الطلاق

طلاق الابنة

حسن شماس عالم هندسة ذرية ، وهو عضو في نادي الخط العربي في البلاد دار السلام ، وكان يتردد على نادي ابن مقلة نادي الخط العربي قبل سفره إلى أمريكا لدراسة الهندسة الذرية ، قرأ مقالا عن الخط العربي وجماليته في احدى المجلات الأدبية، وتعلق بالخط ؛ حيث كان يمارسه عند الملل من الكتب المدرسية والثقافية ، ووجد ترحابا من قيم النادي وتشجيعا ، والتحق بدورة في تعلم

الخط الثلثي والكوفي والديواني مع المدرب الأستاذ الخطاط علي المطاط نجح نجاحا كبيرا في الثانوية العامة الفرع العلمي ، وساعده خاله العالم في أمريكا بالسفر والالتحاق بجامعة في فرجينيا الشمالية قسم الفيزياء والهندسة الذرية ، تعلم اللغة الأمريكية والتحق في الكلية بأشراف ورعاية من خاله ياسين دروب، والمحاضر في تلك الجامعة ، وبعد سنوات عاد للوطن لوعكة صحية أصابت أمه ، وترجح لهم موتها ؛ لكن الأعمار بيد الله والوقت للرحيل بيده سبحانه ، وكل نفس ذائقة الموت ، لا مفر من الموت ، وفي هذه الزيارة أصر والده على زواجه من ابنة صديقه غالب كلمان خوفا عليه من فساد الإباحية المنتشر في الغرب ، قال حسن : وبعد الزواج عدت لمتابعة الدراسة والسعي لتمكين زوجتي هدى من السفر ، ولم يطل سفر هدى ، فلحقت بي ، وولدت لي محمدا وقبله مايا ، تخرجت من الجامعة بتفوق كبير ، وعملت في جامعة مدرسا خمس سنوات أخرى ، ولما توفي خالي ياسين اثر حادث سير عدت للعمل في جامعة دار السلام الكبرى ، وعدت للنادي هذا للترفيه والعودة لهواية الخط العربي ، وها نحن نتعرف على الكثير من الوجوه الجديدة المرحة ، ووجدنا رئاسة النادي بوجه جديد ، ورحم الرب سبحانه الوالد والصديق وحيد الدين العالم في العربية والخط ، وقد سمحت لنفسي بالجلوس معكم لما لمحت انسجامكم ، وأسمع حكاياتكم العجيبة والغريبة في قضية الطلاق المؤرقة لكل دول العالم ، والعجيب أنها تحدث في بلاد المسلمين والعرب بمثل ما تحدث في عالم الغرب ، أما قصة الطلاق في أسرتي فكانت مع ابنتي مايا التي أنجبتها في أمريكا ، كان أبي قد وافق على زواجها من ابن أخي حسين ، ويمكن القول بكل صراحة أنه أجبرنا على القبول به ، وما كان أمامي إلا إرضاء أبي سيد العائلة ، وهو الذي تكلف أموال السفر والدراسة في الغرب وكانت البنت بارة بنا وعند حسن ظننا ، وبعد تردد قليل منها ، وسماع كلام أبي وأمي جديها استسلمت للزواج لاختيار الجد ، ورضيت أمها هدى وباركت لها ، وتزوجت مايا ابن أخي داود حسين ، وأنجبت منه طفلا بعد حين ، لم تحمل إلا بعد سنة ونصف من الاقتران ، وبدأت وهبت العاصفة، فهرب ابن أخي من المدينة دون سابق إنذار ، وسافر للعمل مدرسا في دولة عربية ، وسبب الهرب كما زعم لأبيه حسين فيما بعد أنه تعلق بمعلمة تعمل هناك ، عرفها عن طريق صحيفة أو مجلة وكان يراسلها وتراسله ، وتتصل به عن طريق الهاتف ، وتزوجا سرا عنا فور وصوله لذلك القطر ، ودون علم ابنتي وحتى أحد من ذويه ، فصدمنا من طريقة خروجه من

البلد لتلك الدولة ، ثم الزواج بتلك السرعة ، زعم لأبيه فعل ذلك ؛ ليضعنا تحت الأمر الواقع ، ولا يسمع اعتراضا وهو مدرس فهمان ، فما كان من ابنتي أن قالت : كما ضغطتم عليّ للزواج منه، فعليكم الضغط عليه ليطلقني أنا لم أحبه يوما ، فسافرت إليه أيها الأخوة الطيبون وطلبت منه العودة وطلاق البنت ، فضغطت عليه الزوجة الثانية ، فعاد مرغما ، وطلق البنت ، ثم سافر ، وتزوجت ابنتي بعد شهور ، وزواجها بفضل الله صامد ، وأبدلها الله خيرا من ابن أخي حاول أخي أن يزوجها لابنه الآخر أو ابن اختنا كضرة ، فرفضت ، ثم تيسر الزواج من أحد معارف صديقة لها ، وهي تعيش بسعادة وفضل من العزيز الحكيم ، وولدت من زوجها محمد ربحي ثلاثة أطفال ولله الحمد والفضل .

وأضيف وأختم وعاد ابن أخي بعد سنوات بلا حبيبته ، فقد طرد من وظيفته وفصل ، وزوجته رفضت ترك العمل والعودة معه ، ورفضت العيش في بلادنا ، وهو اليوم يعيش بلا امرأة .. هذه قصة ابنتي وطلاقها

رهاب الطلاق

قصة عبد الواحد

حسنا أيها الأصدقاء! جاء الدور أو وصلني الدور .. قصص طلاقي لا تبدو مثيرة ومزعجة ، كنت أتزوج بأمر ، وأطلق بأمر بما أنكم اجتمعتم للسمر والثرثرة في مثل هكذا موضوع سأدلي بدلوي .. اسمعوا بارك الله فيكم .. ترملت أمي ـ رحمها الله ـ وأنا ابن عشر سنين ولم تلد غيري هكذا قال الخطاط عضو النادي عبد الواحد منازلي: فلذلك عجلت الوالدة بزواجي وأنا لم ابلغ العشرين سنة ، ولم يكن لي الاختيار بمن تكون الزوجة ، زوجتني من ابنة أختها الآنسة نادية بليل ، مضت سنة زواج دون أن تلد نادية مثل زوجة الصديق عمر فزوجتني أمي من ابنة أخت ثانية خالتي الثانية السيدة سعدية محمود ، ولدت سعدية بنتا ثم بنتا ثم بنتا ، وذلك لا يعجب أمي تريد ذكورا ذكورا ، كانت ولادة سعدية كارثة ومناحة بدلا من الفرح والاحتفال وترفض أمي التهنئة بالبنت ، وقبل أن ابلغ الثلاثين زوجتي امرأة غريبة من خارج الأقارب ، كما قيل لها من الحجابين والفتاحين والدراويش بتغريب النكاح ، مع أن سعدية ولدت ثلاث مرات ، غربنا النكاح ، المهم تزوجت مريم من بلدة أخرى عن طريق الأجاويد لتلد الذكور لأمي ، وطلبت السيدة نادية بعد زواجي الثالث طلبت الطلاق ، ووافقنا على ذلك ، دون أي اعتراض ، للتذكير أنا كنت دخلت الجيش بعد الثانوية ، وتزوجت نادية كضرة من ابن عم لها وهذا تقليد موجود في العائلة أن تتزوج

المطلقة أو الأرملة اذا رغبت من الأقارب ، والعجيب لنا طبعا أنها ولدت من ابن عمها ذكرا ، مما أغضب أمي منها ومن أختها أم نادية ، واتهمتها علنا بأخذ موانع الحبل ، مع أنها لما تزوجتها كانت ابنة خمس عشرة سنة ، لا تعرف بمثل هذه الأمور فهي تركت المدرسة عند زواجنا ، ولما اعترضت عليها ، قالت: أمها علمتها ذلك ؛ لأنها تكرهنا يعني خالتي تكره أمي ، وأكثرت من قول الإشاعات وكيل الاتهامات ، وإنها كانت تعشق ابن عمها بعلم خالتي ، فضاق زوجها بالأقاويل والاتهامات ، حتى طلقها ليرتاح من قيل وقال ، ووقفت الشحناء في العائلة ، وسعت أمي لإرضاء أختها أم نادية لتزويجها لي مرة أخرى ، فرفضت بكل قوة ، وتزوجت أختا لها طلقت قبلها لمشاكل لا داعي لبيانها ، فهدأت المعركة تماما ، وعادت نادية لابن عمها ، وولدت له من جديد ، وأختها لم تلد لي كما لم تلد لزوجها الأول ، قمنا بعمل فحوص وتحاليل لمدة خمس سنوات يا عمر ! وظلت عاقرا ، وعملوا الحجب والرقى والشعبذة دون نتيجة ، زوجتني أمي امرأة أخرى ، فصار عندي أربعة في العمارة لمزيد من الذرية والذكور ، وطلبت مني خالتي أم نادية تطليق ابنتها ليلى بليل ، ففعلت لأني صرت حيوانا لمزرعة الخراف ، وتزوجت وولدت من زوجها الثالث بدون علاج وبدون حجاب الأمر لله من قبل ومن بعد .. وهكذا حياتي زواج طلاق حتى ماتت أمي ـ رحمها الله ـ وعندي اليوم جيش من البنات ، والقليل من الذكور ، والآن عندي ثلاث زوجات يتنافسن على إرضائي وأصبحت عجوزا قبل الأوان .. نسأل الله الرحمة والعفو والبركة وحسن الختام.

قال عزيز ضاحكا : كان الله في عونك.

قال: وفي عون الجميع .. لي خمس سنوات بدون حالة ولادة .. وقد زوجنا بعض البنات ربنا يستر عليهن وعليكم بفضله جاء دورك يا عدنان أعندك حكاية ؟

حكايات الحي أبو خروف

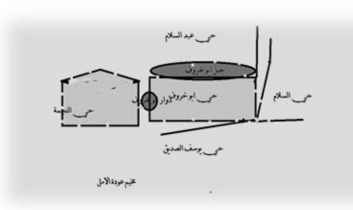
زواج في الصحراء

الحلقة١

أول الحكاية

منذ زمن بعيد وأنا أعيش في أبو خروف بهذه العبارة بدأنا الحاج محمود حسن من أهالي أبو خروف يقص علينا حكاية أبو خروف فقال : منذ وجد وله نفس المكان ونفس المساحة تطور تحدث كسائر المدن والأحياء والأرياف ، هذه الشوارع تزفتت لما دخلت السيارات المدينة .. البيوت المطلة على الشارع تحدثت وجددت كلها مع الوقت ، وارتفعت البنايات إلى عنان السماء ..ودخلت المجاري الصرف الصحي للحي واختفت الحفر

الامتصاصية القديمة في أبو خروف ؛ لكن البناء تغير وصعد للأعلى وزفتت الشوارع التي تفصل بين العمارات ، وأصبح من أحياء العاصمة بيت السلام ، وما زال محافظا على الطابع الشعبي القديم ، ودخل هذا الجبل الذي خلفنا في الحي ، وهو أحدث شيء في أبو خروف ، وبدأ يصله العمران وهو يفصل بين أبو خروف وحي عبد السلام ، ونحن نقع بين حي السلام وحي النجمة بعد الدوار يقال إن حي النجمة قديما كان جزءا من أبو خروف؛ ولكن لما دخل نظام البلديات والتقسيم أصبح أبو خروف من الشمال الشارع القوسي الذي يفصلنا عن حي يوسف الصديق الذي يمتد للمخيم مخيم عودة الأمل ، وبعضهم يختصره ويقول مخيم الأمل ، وآخرون العودة ، وبعد الدوار يبدأ حي النجمة ، ثم الأحياء الأخرى حتى قلب المدينة نقول وسط البلد ، وهذا الشارع العام يقسم الحي جزئين رئيسيين شرق وغرب ، فالقسم الغربي سبعة شوارع صغيرة والشرقي نحوه ، وباتت المحلات تملأ الشارع الرئيسي من الجهتين ، فالمدينة تكبر يوما بعد يوم ، دخلت المياه البيوت والشقق ، وكذلك الكهرباء والصرف الصحي وخدمة الهاتف والنظافة، أدركت في الخمسينات أن الناس هم يعتنون بنظافة الأحياء ويحرقونها بين الفترة والأخرى ، اليوم هناك سيارات تنقلها لاماكن خاصة تابعة لبلدية العاصمة ، بدأنا نقارن أنفسنا بدول العالم الكبرى ، بدأنا نستخدم الغاز المنزلي بدون خوف ونتخلى عن البريموس الكروسين [بابور الكاز أو الجاز] ، ومصباح الزجاج أو الزيت ودخلت التليفزيونات بيوتنا بعد الراديو الكبير الذي كان مثل التلفزيون منذ سنوات قليلة ، عرفنا الثلاجة والسخان الكهربائي ..



أنا هاجرت إلى هذا الحي قديما ولدت في يافا مدينة على الساحل الفلسطيني ، كان والدي جنديا عثمانيا ولدت قبل الحرب الكونية الأولى لما اندحرت تركيا في الحرب تركنا يافا مع الجيش العثماني ، وأثناء الحرب كما هو معروف انشق العرب عن الدولة العثمانية ؛ ولكن الإنجليز والفرنسيين غدروا بالعرب وتقاسموا بلاد الشام والعراق ، وتخلى والدي عن الجيش التركي بعد الهزيمة وسقوط الدولة العثمانية ، والتحق بالجيش الفيصلي بسوريا ، وبعد ميسلون {١} انتهى الجيش العربي ، وأسس جيشا عربيا في الأردن. استقر أبي وأعمامي في سوريا الشام ، وجدي ظل في تركيا ، ولما نضجت عدت للعمل في يافا حيث

كان لنا فيها أملاك تركها أبي وبيت ، وكانت لي عمة وزوجها ،وبعد بروز الجيش العربي

{١} معركة ميسلون ، هي معركة قامت بين قوات المتطوعين السوريين بقيادة وزير الحربية يوسف العظمة من جهة، والجيش الفرنسي، بقيادة هنري غورو من جهة أخرى في 24 يوليو/ تموز 1920 كان جيش المتطوعين الذي قوامه ٣٠٠٠ مقاتل بمواجهة الجيش كان يقوده غورو الذي كان عدده ٩٠٠٠ جندي ومزود بطائرات ودبابات ومدافع وإمدادات وقدر عدد شهداء قوات المتطوعين السوريين ب ٤٠٠ شهيد و ١٠٠٠ جريح أما عدد قتلى الجيش الفرنسي ٤٢ قتيل و ١٥٤ جريح وخاض معركة ميسلون ثلة من علماء دمشق .



الأردني لحقت به ، وكان الانتداب الانجليزي مستقرا على فلسطين والأردن والعراق ، وأثناء خدمتي العسكرية عرفت أبو خروف ولما بدأت تتضح المؤامرة الانجليزية الصهيونية على فلسطين وبلاد العرب اشتريت بيتا في أبو خروف وتزوجت فيه ، وفي مطلع الخمسينات تقاعدت من الجيش على أثر إصابة صعبة ، لكن ربك لطف وتعافيت منها وعملت بالتجارة والعمار ..

وبعد لحظات صمت تابع الحاج محمود حسن سيرة حياته :فأنا اليوم أملك بفضل الله عددا من العمارات ، بعضها في هذا الحي ، ومتجرا كبيرا يعمل فيه ابني الأوسط حسين ولنا فندق شعبي في أول أبو خروف من جهة ميدان أبو خروف .. جئنا للحي بما نملك من مال وثروة ورثت بعضها عن أبي الذي ورث الكثير عن جده الذي مات في أنطاكيا جنوب تركيا اليوم ، وانتشرت العائلة في عدد من البلدان بعد انقسام بلاد الترك إلى دول شتى كما ترون اليوم .. ابني الكبير حسن أرسلته لمصر يتعلم الطب ، وتخرج طبيبا وعمل في القدس ويافا قبل نكبة فلسطين ، وتزوج ابنة أخي محمد ، وكانت الأحداث تزداد سخونة في فلسطين مع قرب انتهاء الانتداب البريطاني بعد الحرب الكونية الثانية ؛ فكان يذهب لمعالجة المصابين في المظاهرات والاحتجاجات في يافا ، فكان يذهب مع فرق الإسعاف وأصيب ، وبعد أيام فارقت روحه الجسد ودفن في بيت المقدس ، وجاءت زوجته الحامل لتعيش معنا في أبو خروف ، وبعد حين ولدت طفلة سميناها دلالا ، وكانت ابنة أخي الأكبر محمد صغيرة لما ترملت دون العشرين سنة فلابد لها أن تتزوج أو العودة لأبيها في حلب سوريا حيث يعيش أخي وعياله ، فكان أن فكرت بتزويجها لتحسين ابني الثالث ، فحسين الأصغر من ولدي المقتول في يافا كان متزوجا ويعمل

مدرسا في مدارس فلسطين الحديثة جنوب فلسطين ، فوقع الاختيار على تحسين للزواج من أرملة أخيه وابنة عمه وأم ابنة أخيه الطفلة دلال ، وتحسين ترك المدرسة وتعلم مهنة تصليح السيارات خاصة الشاحنات الكبيرة التي تعمل في الغالب على الخطوط الدولية ، فهو ميكانيكي سيارات ، وكان يعمل في محطة تصليح على الخط الصحراوي الذي يربط الأردن وسوريا ولبنان بالعراق ودول الخليج العربي ، فكان يقضي الأسبوع هناك ويعود في نهاية الأسبوع ليلة الجمعة ويغادر ظهر السبت ، وأحيانا كل أسبوعين يأتي ليلة أو ليلتين وتعودنا على ذلك كالذي يخدم في العسكرية والجندية ، وقضى خمس سنوات ، وسبب عمله في الصحراء التقى برجل ـ وهو يبحث عن عمل ـ يعمل في تلك الصحراء في تصليح السيارات الكبيرة ، وارتاح للعمل معه ، ونحن لا نعرف عنه إلا أنه يعمل في ذلك المكان البعيد على ذلك الخط الدولي ، وكان يترك بعض المال للادخار عند والدته ، ولما تزوج حسين قبل وفاة شقيقه أصبح الدور القادم لتحسين ، ومات حسن ، وبعد ولادة زوجته أخذت أفكر في أمرها وأمر صغرها وابنتها ، فوقع في قلبي تزويج تحسين منها فشاورت زوجتي أم حسن والبنت نفسها، وكذلك حسين عرضت عليه القضية ، ولاحظت أنه تردد قليلا واقتنع بوجهة نظري من الزواج من ابنة عمه أرملة أخيه ولتبق الفتاة الصغيرة معنا ، فهي من أثر حسن البكر ، وطلب التفكير وأن يكون الرد في السفرة القادمة ولما عاد بعد غيابه المعتاد قبل الزواج من أم دلال واتصلت بأخي فجاء وأسرته من سوريا ، وكان زواج تحسين من ابنته لابني الحي الثاني ، وسكن في نفس شقة أم دلال في نفس العمارة التي اسكن فيها اليوم وقبل اليوم

تحسين محمود بط تعلم مهنة التصليح للسيارات وعمل فترة في فلسطين ورحل مع أبيه لأبي خروف وظل يبحث عن عمل ، وتيسير له ذلك على الخط الدولي الصحراوي حيث تكثر السيارات الكبيرة المتنقلة بين المدن والدول ، وأعجب وارتاح بالشغل في ذلك الطريق الطويل والقريب من صحراء العراق ، وكان العمل يدر عليه دخلا جيدا في فترة الخمسينات ، وكان يبيت ليلتين في أبو خروف من كل أسبوع ، وأحيانا يضطر للبقاء في محطة الصيانة لظروف العمل ، وتحمله سيارة ذاهبة إلى العاصمة أو أقرب مدينة إليها أو حافلة نقل ركاب تقف في المحطة للاستراحة حيث الطعام والراحة المتوفرة في المكان ، وطاب المكث للشاب في تلك الصحراء ، ربما يقطع الإنسان عشرات الكيلو مترات لا يرى فيها

بشرا ، تزوج حسن الشقيق الأكبر وقبل موته تزوج الشقيق حسين ، وقبل أن يتزوج تحسين قتل حسن ، وحدثت النكبة الفلسطينية ١٩٤٨م ، وتشرد عدد كبير من الشعب العربي الفلسطيني ، ونشأ مخيم عودة الأمل شرق أبو خروف، وتابع تحسين عمله في الطريق الصحراوي الطويل رغم الأحداث والصراع الكبير بين العرب واليهود ، ولما خفت حدة الأحداث تزوج تحسين ابنة عمه أرملة شقيقه ، وقبل الشاب نكاحها بعد تردد يسير ، وسكن في شقة أخيه زوجا لنورا أم دلال ، وفي نهاية كل أسبوع يعود الرجل لهم كما اعتادوا ذلك من قبل ، وكان السيد محمود شرع في بناء عمارة جديدة بجوار عمارته التي يعيش فيها ، وكان قد أنشأ لنفسه دكانا في العمارة الأولى ، فأصبح له عمارتان على الشارع الرئيس لأبو خروف ، وفيما بعد أنشأ العمارة الثالثة فأصبحت المسافة بين شارعي البدر ونور القمر ملكه جهة الشارع العام ، وأصبح الطابق الأرضي محلات تجارية للحاج محمود بط ، ثم انشأ عمارة رابعة مطلة على شارع نور القمر في نفس الموقع ، واشترى في أول أبو خروف حيث الدوار وشارع السلام فندقا قديما أعاد بنائه ، وظل فندقا شعبيا ، وهو قريب من نقطة شرطة أبو خروف كان يحسب من كبار الملاك في أبو خروف والأحياء القريبة ، وبنى حسين عمارة لنفسه في آخر شارع نور القمر فالسيد ميسور الحال ، واستطاع استثمار ماله في البناء والعقار ، ومع تطور الحي أقام تحت عمارته الأولى محلا تجاريا ضخما يعمل به حسين بعد تقاعده وتشاركه فيه مع أبيه .

بعد تفكير يسير قبل ـ كما ذكرنا ـ تحسين الاقتران بنورا واستقر تحسين في شقة نورا المجاورة لشقة الوالد ، وكان حسين المدرس أيضاً تلك الأيام ـ أيام زواج تحسين ـ يسكن في الشقة الثالثة في الطابق الثاني ، ثم رحل فيها بعد عندما قام ببناء عمارة لحسابه الخاص في نفس الحي وفي أخر المربع الذي يعيش فيه والده محمود ، رغم أن الحاج محمود شيد بنايات أخرى ظل يحن للعيش في أول عمارة أقامها ، ثم أضاف إليها طابقا ثالثا ، ذكرنا أن الرجل ورث مالا عن أبيه الذي مات في تركيا ، وورث عن ابنه القتيل الشهيد في أحداث يافا ، وتقاعد الرجل من الجيش بسبب حادث ، فنشط في العمران ، وزوج الأولاد وأغلب البنات في تلك الفترة ، وباع بيت حسن في مدينة القدس ، وأعطى نورا حصتها ، ووضعت حصة دلال تحت حماية القانون والأيتام ، وأخذ حصته وحصة زوجته خديجة عيسى .

فكان السيد تحسين يقضي خمس ليال في عمله في الطريق الصحراوي وليلتين في بيت الزوجية في أبو

خروف ، شجعه والده وأمه لفتح محل تصليح في وسط المدينة أو في أبو خروف فقد بدأت تظهر الورشات وتكثر السيارات في المدينة ؛ لكنه أبى وتابع المسير في تلك الأماكن ، ولدت له نورا كل سنة ونصف مولودا ، فخلال سنين أنجبت له ثلاث بنات وطفلا ذكرا سماه محمودا على اسم والده ، وكان يقضي الشاب أيام الأعياد والمناسبات في الحي ، وكان والده في أول الزواج يكرر ويلح عليه العمل في المدينة ، فيصر على البقاء في تلك المحطة الهامة لتصليح السيارات والشاحنات المارة في ذلك الطريق الطويل ، ولما بلغت ابنته وردة عشر سنوات جرى معه حادث سير كبير أودى بحياته ، كان يغادر الحي بعد صلاة الفجر إلى وسط المدينة ومنها إلى أقرب مدينة للصحراء حيث إحدى المحطات الكبيرة على الخط الصحراوي ، فإن وجد ممن يصلحون عندهم وله رحلة إلى العراق يركب معهم ، أو يركب مجموعة من عمال تلك المنطقة سيارة صغيرة مقابل أجرة توصلهم لتلك المنطقة ، ولما دخلت السيارة الصغيرة التي تحمل الركاب إلى الطريق الصحراوي فقد زاد السائق من سرعتها ؛لأن الطريق يغري بالسرعة لقلة السيارات المارة فيه لأنه طريق حافلات وشاحنات وطويل المسافة ، والركاب لا يكترثون للسرعة لرغبتهم بالوصول قبل اشتداد الحر ، وتفاجأ السائق المسرع بسيارة كبيرة تنتقل للشارع الذي يسير فيه نتيجة خلل طارئ ، ولم يستطع السائق تفاديها فصدمتها الشاحنة وألقت بها في منحدر حتى استقرت في واد ، ولما وصلت سيارات الإسعاف والإنقاذ كان الركاب الخمسة والسائق قد فارقوا الدنيا ، ووصل الخبر للسيد محمود عن طريق الشرطة ، فذهب وابنه حسين لإحضار الجثة من مستشفى الحكومة في تلك المدينة القريبة من الصحراء ، وفي الليل عند الفجر دخل البيت حاملا لجثة تحسين .

كانت صدمة كبيرة للعائلة ؛ ولكن هكذا الحياة مواليد وموت ، وبموت تحسين بقي لمحمود من الذرية الذكور حسين وعدد من الإناث ، واستمرت الحياة وظلت نورا ترعى ذريتها من حسن وتحسين وجاء والدها وإخوتها من سوريا يدعونها للحياة معهم هناك ؛ ولكن رغبت بالبقاء في كنف ورعاية عمها محمود ، وتعهد له محمود برعايتها والمحافظة عليها هي وأحفاده الخمسة حتى يكبروا ولآخر يوم في عمره، وبعد سنين عرضت عليها بعض النسوة الزواج من جديد ، فقد تحدث عنها بعض الأرامل والمطلقين ، فرفضت الزواج مرة ثالثة وأنها ستكمل المسيرة في تربية وتعليم البنات ومحمود ، وأخبرت عمها بعدم رغبتها بالزواج من جديد لأنه فكر في ذلك

وسعى إليه ، ولما رأى ثباتها وأنها لا ترغب بذلك كف عن هذا الطلب والإغراء كان السيد محمود يدير العائلة بكل همة ونشاط ، وتمكن من إنشاء أربع عمارات باسمه في حي أبو خروف واستطاع حسين بناء عمارة في نفس المربع وسكن فيها وأجر شققها ، وكبرت الدكان التي على الشارع وأصبح الطابق الأرضي من جهة الشارع العام سوقا أو سوبر ماركت بلغة اليوم (السبعينات) وباقي المحلات مؤجرة تجاري ، وفوقها شقق كمكاتب وعيادات والشقق الخلفية مساكن، وكان السوق شراكة بينه وبين حسين ، واشترى فندقا قديما وأعاد تجديده وهو قرب دوار أبو خروف وبجوار نقطة شرطة أبو خروف لأن مركز الشرطة الكبير في أول حي النجمة حيث يتبع له عدة أحياء امنيا ، فنشط صاحبنا في التجارة والاستثمار ، وأصبح بل كان وجها معروفا من أهالي أبو خروف ، وقد ساهم في بناء وتوسيع مسجد حي النجمة ـ فقد كانت إحدى بناته تعيش في ذلك الحي حيث تزوجت مدرسا في الجامعة ـ وكان يحب صلاة الجمعة في ذاك المسجد إن لم ينزل لوسط المدينة حيث المسجد العمري الكبير ، ووفق للاستثمار الصاعد في بعض الشركات الكبيرة بالأسهم ، ورغم كل هذا الغنى المادي بقي من أهالي أبو خروف ، ولا ننسى أن له مباني في وسط المدينة مؤجرة لتجار وشركات ، فكان حسين شريكه يدير المتجر الكبير ويساعده أولاده وبعض العمال الوافدين من أقطار عربية ، يوفر لهم السكن والأجرة ، وهم يتكلفون بطعامهم ومتطلبات العيش ، وكان السيد ينفق على أحفاده أبناء حسن وتحسين من حسابه الخاص واحتفظ لهم بالأموال التي ورثوها عن آبائهم ، واستثمر لهم بعضها ، وتعلمت دلال في الجامعة على نفقته ، وكانت تدرس في كلية الطب ، فلما وصلنا عام ١٩٧٥ م كانت تعمل في أحد مشافي المدينة كمتخرجة حديثاً ،وكان أخوتها من أمها نورا يزحفون ويتعلمون ، ولما تخرجت خديجة من المعهد المتوسط فأنكحها جدها لابن أحد الأصدقاء ، والتالية بعد دراستها تزوجها ابن أحد بناته ، والكبرى دلال تزوجت وهي تدرس ، ومحمود ما زال على مقعد الدراسة ، والصغرى ما زالت في أول سنة جامعية كلية الطب .

كانت حياتهم تسير كسائر الخلق بين تعليم زواج مرض شفاء عمل ، وكانت نورا تضغط على محمود للزواج وهو على مقاعد الدراسة ، ورغبت أن يتزوج من بنات أخوتها أو أخواتها الذين يعيشون في الشام ، وسافرت للشام عند أهلها لتحقيق هذا الهدف ، وقضت شهرا بينهم ، وعادت تحمل في جعبتها عدة فتيات لابنها أو قل

ثلاث عرائس ليختار واحدة منهن ، ومحمود كما وعدها يريد الزواج بعد إنهاء الجامعة .. وكانت دلال قد خطبها ابن عمها حسين وهو يصغرها بسنة ونصف.. زواج عائلي .. واجلوا الزواج حتى تخرجت فعلا وتزوجا .



حفيد جديد

هذه كانت مقدمة مهمة لحكاية من حكايات أبو خروف قال الحاج محمود بط :بينما وأنا أجلس ذات يوم في البيت مع أم حسن ـ وقد تخليت عن العمل معهم في المتجر الأسفل من شقتي ؛ ليديره حسين وأحفادي طبعا ، بعضهم من جهة حسين وبعضهم من جهة البنات القاطنات في الحي ـ اتصل بي سالم حسين الابن البكر لحسين وزوج الدكتورة دلال حسن منذ عهد قريب .. اتصل بي مخبرا لي أن شابا يرغب برؤيتي ومقابلتي لأمر مهم وحساس ودقيق ، فتعجبت من هذا الكلام الغامض فقلت لسالم: إذا كان الشاب بحاجة لمساعدة مادية فقدم له ما تيسر وليقابل والدك

– عرضت عليه المال والمساعدة لا يريد مالا ، يريد رؤيتك أنت شخصيا ، فهو يزعم أنه يعيش في المكان الذي كان يعمل فيه عمي تحسين ـ رحمه الله ـ في الصحراء قبل موته منذ خمسة عشر عاما .

قلت مستغربا هذا التعريف : مكان عمل تحسين القديم .. أمر غريب!

– نعم ، يا جدي .. أبي يرى أن تقابله لأنه يرفض الكلام إلا لك أنت ؛ فأنه يحمل لك رسالة

– رسالة بعد كل هذه السنين ! ما اسمه ؟

– اسمه نادر ، ولم يذكر اسم أبيه ، يرفض ذكره إلا لك جاء من هناك

ليقابل الحاج محمود حسن بط

– قدموا له الطعام.. فالوقت وقت غداء وأنا ذاهب للمسجد سأمر عليكم .

– يريدك في البيت في مقابلة شخصية

– هذا عجيب ! فلتأت به يا سالم .. قلت اسمه نادر لا أذكر أن التقيت بشخص يحمل هذا الاسم يا سالم ومن الصحراء .. لقد ذكرنا بأبي محمود ـ رحمه الله ـ تفضلوا .

انتقل محمود لصالة الاستقبال وطالب أم حسن زوجته إعداد القهوة للضيف القادم من قلب الصحراء التي نسوها منذ وفاة تحسين ، وكانت شقة السيد محمود في الطابق الثاني فوق محلهم التجاري الكبير ، روى لخديجة أم ذريته قصة الشاب الملح على رؤيته القادم من الصحراء ليجتمع به ، وعادت بهم الذكريات لتلك الأيام ، وحادث وفاة تحسين ، فدمعت العين من الاثنين

وترحموا على موتاهم ، ولما رن جرس الشقة ، فتحت الباب لسالم والضيف ، فسلم عليها سالم وأخبرته أن جده في صالة الاستقبال الخاصة بزوار الحاج ، ومشت المرأة إلى المطبخ لصنع القهوة مشى سالم نحو الغرفة يتبعه الشاب الصحراوي نادر ، وأستقبلهم الحاج ورحب بهم .

قال محمود : لم تغد ضيفنا بعد

قال سالم وهو يجلس : سأفعل بعد اللقاء بعون الله .. الرجل مصر على اللقاء أولا .

رحب الحاج به من جديد وهم يجلسون ، وكان محمود يحدق النظر في الشاب ويتفحصه منتظرا لم يريد قوله بعد كل هذه السنين عن ولده ، وجاءت القهوة ، وتناولها سالم من جدته ، وقدمها لجده والضيف ، وقد اعتاد الناس بإحضار كوب ماء مع صينية القهوة ، ووضعه سالم أمام نادر

وقال محمود: مرحباً بك يا سيد نادر أنا والد تحسين محمود .

وبدون مقدمات وتمهيد قال نادر : وأنا ابن تحسين محمود

بحلق محمود وسالم بالشباب دهشة ، وظنوا أنهم أمام معتوه أو مجنون وقال: ماذا قلت ؟!

– قلت أنا حفيدك مثل سالم هذا ـ وأشار لسالم ـ أنا والدي اسمه تحسين محمود حسن بط .

تمالك الحاج نفسه وقال: أنت حفيدي ! كيف صار هذا ؟!

– أنا ابن زوجته الأولى زوجة الصحراء .. الزوجة التي تزوجها حيث كان يعمل في إحدى محطات تصليح السيارات على الطريق الصحراوي إلى العراق والخليج العربي

– وكيف أصدق ذلك ؟! ونحن لم نسمع بهذا الزواج قبل زواجه ولا بعده ولا عند موته ؟!

– كنا صغارا ، وكانت أمي ترفض الالتقاء بكم ؛ لأنها تزوجته بطريقة سرية عنكم ، ولا يعلم بهذا الزواج غير بعض قومها وشريكه صاحب الورشة ، وتزوجها رغم أنف قومها .

فكر محمود لحظات وقال : القصة تحتاج لشرح يا نادر

– القصة غريبة .. إنما علمتها من عهد قريب منذ أيام من عشرة أيام

طرق الباب فقال الجد : تناول الشاي من جدتك يا سالم

نهض سالم وفتح الباب وتناول الفاكهة والشاي من السيدة ، وسمعت زوجها يقول : تعالي اجلسي يا أم حسن فهذا الشاب يزعم أنه حفيدك

همست وهي تدخل : ماذا ؟! أتمزح يا حاج محمود؟!

نظرت للشاب الذي ابتسم لها وقال : هذه هي الحقيقة يا أم حسن أنا ابن تحسين محمود حسن

جلست الحاجة خديجة تقلب نظرها بين محمود والشاب فقال محمود : هذا الشاب ـ وأشار إليه ـ انظري إليه جيدا

– لقد رأيته وهو يدخل مع سالم

نظر محمود في عينيها وقال : يدعي أن تحسينا ابننا الميت والده ..وتزوج أمه في الصحراء قبل أن يتزوج ابنة أخي محمد

– عجيب !

– كان متزوجا سرا عنا دون علمنا ..كان تحسين متزوجا من أمه قبل

زواجه من نورا حيث كان يعمل في ذلك الطريق الصحراوي .. وهو قادم يبحث عن أهله .. عنا يا خديجة أتصدقين هذا ؟!

– عجيب كيف حدث هذا يا ...؟!

– اسمي نادر تحسين محمود .. القصة كما عرفتها من شقيقة أمي خالتي ؛ لأن أمي ماتت من سنوات وعشنا مع خالتي .. وأمي لم تحدثنا بقصة زواجها ، إنما علمنا أن زوجها وهو أبونا مات بحادث سيارة ، وخالتي أفضت بهذا السر اضطرارا وذلك قبل أيام .. نحن ثلاثة أشقاء ولدان وبنت تزوجت

قال محمود مقاطعا: تزوجت بدون أب أو جد !

– اسمعوا الحكاية كما فهمتها من خالتي . شرب من شايه وسمع خديجة تقول: نحن بشوق لسماع الحكاية يا سيد نادر فهذه من عجائب الدنيا !

فقال محمود مبررا استغرابهم : فأبوك تحسين لم يتحدث لنا بهذا الزواج ، ولم نسمع إشاعة عنه ولا حتى من شريكه ..هل شريكه حي ويعمل عندكم ؟

– ترك المكان بعد حادث أبي واختفى صاحب المحل كما تقول خالتي حتى أن المكان اليوم مهجور ، وانتقلت المحطة إلى نقطة أخرى ، وخالتي تركتها على قيد الحياة ، وعشنا معها بعد موت الوالدة ، ولما حدثت بعض المشاكل والأحوال في البيت اعترفت لنا بأن والدنا لم يكن من أهل القبيلة ؛ إنما رجل صانع تعرف على أمنا وهي تتردد على المحطة لشراء بعض الأشياء من الدكان الموجودة في المحطة ، وقصت علينا قصة هذا الزواج وموت الوالد فجأة ، وأننا أبناء أختها فحسب ، ونحن نعرف هذا



تبدأ القصة عندما سكن والدي مع شريكه بلال جميل في تلك المنطقة مكان تصليح السيارات على الخط الصحراوي ، وكان يعمل في المكان ورشات أخرى ، وهناك محل لبيع الشاي والقهوة والمرطبات والطعام ؛ لأن الحافلات والركاب

يقفون في تلك المحطة للراحة ولصيانة السيارات وتغيير الزيت وتعبئة الوقود ،وكانت أمي الفتاة الشابة وأهل المنطقة من القرى القريبة من المحطة يترددون على المكان للشراء والحصول على المال ببيع بعض الأشياء للركاب وسكان المحطة ، لم تكن تبعد قريتنا عن المحطة سوى عشر كيلو مترات ، فكان تردد أهل القرى ذكورا وإناثا أمرا عاديا ، ولا أحد يمنعه، وكان الركاب يحسنون لأهل القرى بأنهم فقراء ومحتاجون، وبعد حين تعلق أبي بأمي وغرما ببعض ، وبعد حين أصابها بسوء فاضطر للزواج منها ليستر ما وقع منه من سوء وفاحشة هكذا قالت خالتي ، واضطرت العشيرة للقبول بزواج المدني من قبيلتهم ، وقام جدي والد أمي بإحضار شيخ ليعقد بينهما الزواج الشرعي ؛ ولكنهم لا يكتبون أوراقا رسمية في تلك الصحاري ..كلام شفهي وشهود ، وممن شهد العقد صاحب المحل بلال جميل ، وأصبحت أمي أمام العشيرة زوجة شرعية لرجل المدينة ، وسكن أبي في بيت قروي يعود إليه في الليل ويغادره في أول النهار ، ولم يكن أبي محبوبا من رجال القرية ، فهو غريب عنهم وأساء لهم ، وليس من القبيلة ، فلم يكن له أصدقاء منهم ، وكذلك لطبيعة عمله لا وقت لديه للصدقات ، إنما هو مجرد زوج لفتاة منهم سخر منها وكون معها علاقة سيئة أجبرتهم على زواجها منه لدرء الفضيحة ، أن تتزوج فتاة من العشيرة لرجل من غير العشيرة كان هذا عارا وعيبا عندهم ، بنات العشيرة لأبناء العشيرة ، حتى أن بعض فروع العشيرة لا تزوج لفرع آخر حتى أمي وأسرتها لا ينظر إليهم بعطف وشفقة .. وأبي لم يكن يهتم بهذه العواطف كان غارقا في عمله وشغله ـ كما قالت خالتي ـ فلم ينتبه للعداء له ولا لامرأته .. وولدت أمي له ثلاث أطفال أنا وأخي جلال وأختي نادرة ، ولما مات أبي كنت ابن عشر سنوات ، ولم نكن نعرفكم ، ولم نكن نعي أن والدنا ليس من أبناء القرية .. كنا نسمع أن أبانا ذهب للمدينة لزيارة والديه ، ولا نعرف سبب حياة والديه في المدينة لأنهما من أهل المدينة ، وجدانا كانا ينظران إلينا كأعداء هذا فهمناه لما كبرنا وعرفنا قصة زواج أبينا المدني من ابنته والسيد بلال بعد وفاة أبي بشهور اختفى من المحطة كما أخبرتنا خالتي ، فلم يعد يذكر في المحطة بلال ولا تحسين ، جاءت وجوه جديدة خلال هذه السنوات ، ثم انتقلت المحطة كلها إلى مكان آخر بعيد عن قرى قبيلتنا .. وقبل عشر سنوات وأنا ابن خمسة عشر عاما ماتت أمي ولم تكن حدثتنا عن أبي بشيء ، وكانت قد قضت سنواتها الأخيرة بمرض عضال صعب ، ثم رحلنا للحياة في بيت خالتي وأنا بدأت أمارس الرعي

قرب الحي والوديان والشعاب القريبة من القرية ، فكنا نعيش بينهم على أننا من أبناء القرية لا نعلم أن لنا أقارب وأهلا في المدينة ؛ لأننا لم نكن نعي سبب غياب أبينا آخر كل أسبوع إلى المدينة كنا أطفالا ، وظللنا نعتقد أن أبانا فرد من القبيلة، لم يخبرنا أحد عن سر زواج والدنا من أمنا ، وحتى لما تزوجت نادرة لم نسمع عن أبينا شيئا يثير انتباهنا لأهل أبينا ، وأيضا لم يحدثنا أحد عن زواجنا كسائر أبناء القرية والقبيلة ..أخذنا نعمل بالرعي لشيوخ وأغنياء العشيرة ، ونخرج لمراعي كبيرة ونغيب عن القرية بالشهور الطوال ، ولا نعود إلا عند موسم بيع الخراف والأنعام حتى يتمكن أصحابها من بيع الفائض .. فأنا اليوم ابن خمس وعشرين سنة ولا أعلم إلا أن والدي ابن العشيرة .. صار بين أبناء خالتي شجار كبير .. فطلب منها زوجها أن تتركنا نذهب لأهلينا فتعجبنا من هذا الطلب وهذا الكلام .. لا أب لنا ولا أم فقال جلال : ألنا أهل غيركم ؟! ورويدا رويدا علمنا قصة زواج أمنا من ابنكم ـ رحمه الله ـ فأخذنا نفكر بطريقة نصل فيها إليكم فنحن كل حياتنا في الصحراء وإن بدأت أذكر هدايا أبي لنا عندما يعود من عندكم ومن المدينة استرجعت تلك المشاهد ..فخالتي لا تعرف المدينة ولا أين تعيشون ؟ وظروفكم وحياتكم .. والسيد بلال لا وجود له كما قلت سابقا .. فخالتي تعلم أنه شريك والدي وعقود زواج القبيلة غير مكتوبة وغير موثقة ؛ لكن لابد من التعرف على أهل أبينا ، لابد من ذلك ..فهناك الناس يعرفون بعضهم ، ولا يحتاجون لأوراق من أجل الزواج لا يحتاجونها فهم يديرون شؤون حياتهم .. ذهبت للمحطة وسألت عن أحد يعرفكم أو يعرف السيد بلال قال أحد حراس المحطة: هذا الرجل زمان اختفى قبل رحيل المحطة بسنوات سمعت عنه وعن مهارته في التصليح لكنه لم يلتق به .. واقترح عليّ أحد رجال المحطة لما لخصت قصتي أن انزل العاصمة بيت السلام والاتصال بالشرطة ، وقبل فعل ذلك أعطانا صاحب أحد محلات التصليح عنوان الرجل الذي اشترى منه محل التصليح ، ومنه عرفنا ورشة بلال جميل ، ثم عرفنا أن الرجل ترك المهنة من سنين وأعطانا عنوان بيته في العاصمة ، ولما عرفت بيت السيد بلال ، وقابلت امرأته الفاضلة علمنا منها أنه قد مات هو الآخر ، ومنها ومن أولادها عرفنا اسم حضرتكم ، فقد وجدنا ورقة مكتوب عليها اسم تحسين محمود حسن بط وأخذنا أحد الأبناء لدائرة الشرطة وعن طريقهم عرفنا عنوانكم وإنكم تسكنون في حي أبو خروف ، فلما سمع الضابط قصتي تعاطف معي وأرسلني إليكم ..وجئت إلى حي أبو خروف ودلتني

الناس على متجركم هذا ..وهذه يا سيدي قصة زواج ابنكم المرحوم تحسين محمود .
بعد تنهد من الجميع قال محمود : قصة ممكن تصديقها يا سيد نادر ! لكن الكلام وحده في مواضيع النسب لا يكفي .. علينا أن نسعى للتحقق من صدق هذه الحقائق ، فلابد أن نسمع من خالتك وأهل القرية الذين عاصروا هذا الزواج ، ومن الشيخ الذي عقد لهم ولو شفهيا ، وأنا يسرني أن أجد لي أحفادا بعد هذه السنين
– هذا حقكم يا سيدي ! وأنا لا أعتقد أن خالتي تكذب علينا لتتخلص منا ؛لأننا أصلا نعيش أغلب أيامنا مع الغنم والبقر ..فنحن لا نذكر والدنا خاصة أنا الكبير إلا كخيال أو طيف لأن مكثه في العمل أكثر .. لحظات قليلة نجلس وإياه؛ لكن معلومات خالتي ذكرتني به ، وهو ميت حقيقة فنحن لا نعرف عنه أي معلومات كنا صغارا ، ولم يتحدث أمامنا عنه عندما شببنا.. وأي مصلحة لها بالكذب علينا وعلى أمنا ؟ لكن لماذا سكتوا كل هذه الوقت ؟ لم تجب خالتي عن هذا السؤال ؛ لكن المعلومة الأكيدة أن السيد تحسينا والدنا لم ينكرها أهل القرية ؛ لأننا نحمل اسم تحسين نادر تحسين جلال تحسين ، وربما زواج نادرة حرك موضوع من أهلنا؟ فهم لما زوجوها لم تكن من بنات القبيلة .. أبوها مدني ؛ ولكنها كبرت في نظرهم ، وأمها من القبيلة ونحن بحاجة للزواج ومن سيزوجنا من تلك القرى ونحن لسنا منهم ؟وأنا مستعد لأخذك للقرية ولخالتي التي عشنا معها

– أمكم كتمت ذلك السر ؟

– أمي كانت حزينة بعد وفاة الوالد ؛ كأنها قبرت كل الناس ، وكانت قليلة الكلام على عكس حب النساء لكثرة الكلام .. والأمر لم يكن معروفا لنا لمطالبتها بكشف أمر زواجها من أبينا ، وهي لم تصرح لنا أن أبانا لم يكن من أبناء العشيرة .. كانت ترانا صغارا .. ولولا مشكلة أبناء خالتي مع أبيهم ربما ظلت خالتي صامتة، لم تقل لنا أن أمنا طلبت منها ذلك، إنهم اعتبرونا من أبناء العشيرة ، وحزموا أمرهم بزواج البنت ؛ لأن زوج الخالة هدد بفضح الأمر لنا لنخرج من حياتهم إلى الأبد

كانت القصة معقولة في نظر السيد محمود وحتى زوجه خديجة كانت حياة تحسين هناك غامضة بالنسبة لهم ، لم يكن يتكلم كثيرا عندما يزورهم ، يصل ليلة الجمعة يسلم يتعشى وحده في اغلب الزيارات ؛ لأنه يصل إليهم متأخرا ، يستيقظ متأخرا ، يلتقون على غداء نهار الجمعة ، يتكلمون قليلا ، ينزل الشاب لقلب المدينة لزيارة أصحابه ومعارفه في أحد مقاهي المدينة ، يدخل السينما كما يقول لهم ، يعود آخر الليل ، وفي الصباح يتحرك

إلى وسط المدينة وينتقل لمدينة أخرى ، ومنها إلى مكان العمل في الطريق الصحراوي.. لم يكن يحدثهم عن أعماله ومغامراته في تلك البلاد ؛ لذلك كان لديهم قبول لهذه الحكاية ، وتبرير طول الوقت للمجيء إليهم أيضا مقبول ومعقول ، وقصة عدم توثيق العقود فهذا معروف للسيد محمود لأن أهل تلك القرى بعيدون عن المدينة ، ولا يحتاجون لمثل هذه الوثائق في ذلك الوقت لا لعقد زواج ولا غيره ، فهم يعرفون بعضهم البعض ، ويعرفون الأبناء لمن هم ؟ ولا يحتاجون لشهادة ميلاد لمدرسة ، وإذا احتاجوا لذلك يذهبون لطبيب الحكومة فيقدر لهم العمر تقدير سن ، ويعمل لهم وثيقة للمدرسة أو الوظيفة أو حتى الخدمة في مؤسسات الدولة حتى السيارة يقودونها بدون رخصة قيادة .. فلم يعجب محمود من ذلك ؛ لكن إثبات النسب والحقوق والأبوة والبنوة قضية مهمة وكبيرة ، وبعد صمت خيم عليهم لبضع دقائق قال السيد : أنا لو صدقت كل هذا الذي تفوهت به يا نادر فلابد من السعي للمزيد من التأكيد والتثبيت ..فهذا يا ولدي نسب وبنوة وحقوق ومال الآن سيذهب بك سالم إلى مطعم لتأكل ما قسم الله لك على نفقة من سيكون جدك إذا ثبت ذلك لنا وأمام الناس .. وسيذهب بك بعد غدائكما إلى الفندق الكائن في أول أبو خروف وهو ملكنا ـ والملك لله ـ وسيهتم بك أبو موسى المشرف على الفندق ، وسأتحدث معه بشأنك فأنت ضيفنا حتى نتحقق من المعلومات التي أدليت بها أمامنا ، وتبات الليلة هناك وسنلتقي صباحا لنبدأ في طريقة نستطيع بها إثبات النسب ، ونتأكد أن أمك فعلا نكحت ابني تحسين بط .. كم كان عمرك عند وفاة والدك ؟

- دون العاشرة بشهور وكما ذكرت لم نكن نرى والدنا إلا لحظات ، يذهب للعمل مبكرا ويأتي ونكون نائمين ؛ ولكني اعرفه ـ وأخرج لهم صورة شخصية كانت تحتفظ بها أمه لزوجها ـ وتابع : وحدوث اتصال غير شرعي بين أمي وأبي قبل الزواج ربما لأن أمي كانت ترى أنه لن يحدث زواجها منه إلا بهذه الطريقة .. فمن الصعب زواج بنت من القبيلة لغريب .. وقد حدثت حوادث شبيهة على مستوى العشيرة الكبرى ؛ ولكنها قليلة .. ولم تلدني أمي إلا بعد فترة من الزواج بعد مرور سنة على زواجهما ، لم تحمل أمي بسبب ذلك الاتصال ، ثم ولدت جلال بعدي بسنتين ونصف ، ثم البنت كانت قبل الوفاة بأربع سنوات ؛ وخالتي تعرف والدي جيدا .. وفي نهاية الأسبوع كان يعود إليكم

- صحيح

تناول محمود الصورة الصغيرة من يد نادر الممدودة كانت صورة قديمة ممن تصور لتوضع على

البطاقات الشخصية وجوازات السفر وهز رأسه قائلا : نعم إنها صورة ابني تحسين .

وأعطاها لخديجة التي أخذتها ولما نظرتها ذرفت عيونها الدمع

وقال نادر : كان والدي في حياتنا كالخيال ، وحتى في القرية لا صاحب له

– اطمئن يا سيد نادر أنا أكاد اصدق قصتك مائة بالمائة ؛ ولكن هذا لا يكفي لابد من بعض الإجراءات ، وأنا مسرور من شجاعتك وسعيك للوصول إلينا

– كان لابد من فعل ذلك .. أنتم أهلونا الحقيقيون ؛ فكان من الصعب السكوت بعد معرفة هذه الحقائق

نهض محمود ففعلوا مثله مؤذنا لهم بالانصراف ، وخرج سالم ويصحبه نادر ، فساقه إلى مطعم يقدم الطعام والطبيخ ليس فقط الأكلات السريعة كالسندويتشات ، وقدم له الأرز والدجاج المشوي والسلطة واللبن والكولا ، وكان جده قبل المغادرة سأله عن مكان نومه خلال أيام البحث عنهم ، فذكر أنه قضى ليلتين في أحد فنادق وسط المدينة ، وبعد الغداء رافقه سالم إلى الفندق ، ولم يجر بينهم أي حديث حول القصة سوى همهمات ترحيب ، وكان سالم مصغيا وسامعا ومندهشا للحكاية ، ولم ينكر إمكانية حدوثها ، فقد قضى عمه في الصحراء أكثر من عشر سنوات ، وجل أيامه فيها ، وكان شابا عزبا عندما ذهب للعمل هناك .. فهم لليوم يتحدثون عن حياته وموته .. وما دامت هناك نساء وقرى يحدث مثل هذا ؛ ولكنهم كيف قبلوا تزويجه دون معرفة أهله؟ أم لذلك الفعل تأثير ليقبلوا بزواجه سرا عن أهله ووالده .. هناك لا رقيب ولا دولة ولا مأذون ولا وثائق ..وصلوا الفندق وعرف الشاب على موظف الاستقبال وأعلمه أن حسابه على نفقة الجد وكل المشروبات والأطعمة.

فقال فواز : تحدث معي أبو موسى فقد كلمه جدك .. فأهلا وسهلا سيد نادر ..فكل شيء يا سالم سيسجل على الفاتورة .. فمن عادة أبي حسن إرسال ضيوفه للفندق على نفقته.

وللسيد محمود استثمار وشراكة أخرى في أحد الفنادق الشعبية الكبيرة في وسط المدينة ، وبيت أبي حسن أو شقته لم تكن بالوسع المطلوب ، وأيضا كبره وكبر زوجته فيضعفون عن خدمة الضيوف ، فكان الفندق يوفر لهم هذه الخدمة ..كانت هناك امرأة من نساء الحي فقيرة تتردد على شقتهم للخدمة والمساعدة في التنظيف والجلي والغسيل في بعض الأيام مقابل أجرة فورية واليوم الأدوات الكهربائية مع وصول الكهرباء لكل الأحياء فكانت تساعد في تحمل الأعباء عن الزوجة وعن الخادمة ، حتى الخبز في البيوت قد ضعف وتلاشى

، وانتشرت الأفران في الأحياء بكثرة ، والحكومة تبيع الدقيق لهذه المخابز الآلية أو النصف آلية ، وبدأت أشكال الخبز تنتشر وتشيع ، الخبز العربي والإفرنجي والصغير والكبير ، وحتى الدكاكين ومحلات البقالة أصبحت تبيع الخبز ، الحضارة والمدنية بدأت تزيد وتيرتها في المدن العربية والعواصم ، وظهر التلفزيون الملون ، وبدأ يشيع في البيوت والمقاهي ، وبدأ التلفزيون ينافس السينما وأخذت الراديوهات الكبيرة تختفي وتزول من المقاهي الشعبية ، وأخذت الناس تتابع المسلسلات العربية والأجنبية المترجمة أو المدبلجة كأفلام الكرتون للصغار والكبار ، وحتى مباريات كرة القدم أخذت تظهر بين الحين والآخر على شاشات التلفزيونات خاصة المباريات العالمية والمهمة على مستوى القطر ، لذلك كان يتوسط قاعة الاستقبال في فندق الأنوار تلفزيون بشاشة كبيرة عند وقت العصر من ذلك النهار كان الخبر قد بدأ ينتشر في أبو خروف بين عائلة محمود وأحفاده وبناته ، واتصل حسين بأبيه بعدما عاد سالم وذكر له خبر نادر : صعقت لما أخبرني سالم بهذا

الكلام ..أيعقل هذا يا أبي بعد خمس عشرة سنة على وفاته ؟!

– القصة لا توحي بالخداع والاحتيال ليس لتحسين مال ليطمعوا فيه .. فهو كان ينفق على نفسه فحسب .. ونحن كنا ننفق على نورا ودلال .. وكنا كأننا نعيش أسرة واحدة ، ولم يطلب مالا للزواج أو النفقة على نفسه .. لم يكن هناك ما يريب .. الأمر المثير والوحيد اذكره اليوم أنني لما عرضت عليه الزواج من نورا تردد قليلا وقال لما ارجع المرة القادمة أعلن رأيي ويومها غاب مدة أسبوعين ، ولما عاد وافق على الزواج منها .. ومشت الحياة كما كانت قبل زواجه .. فقط هذا التمهل الذي حدث منه .. وأنت تعرف أن أخاك كان من عشاق الصمت ويقضي نهاره في مقهى في وسط المدينة ، ولم نعرف صديقا مميزا له لنسأله عن هذا الزواج .. وقد أبحث عن هذه المقهى .. والرجل الذي كان يعمل معه في تلك الصحراء .. اخبرني نادر أنه ميت .. ولسوف نتحدث مع أسرته قد نجد لديهم معلومة تنير الحقيقة ، وتزيد من توكيد الحقيقة ، ولم أسمع نورا تتحدث عن زواج له .. وسوف أيضاً نتناقش معها ربما تتذكر شيئا لم تنتبه له ذاك الحين



– وكيف زوجوه بدون أهل وأب ؟!

ـ هي فتاة صحراوية كانت تتردد حيث الورشات

الكائنة في تلك المحطة لشراء بعض الأشياء فتعرف أو تعرفت على تحسين وتغشاها.. فاضطرت القرية والعشيرة الصحراوية القبول به على أي حال كما يحدث في بعض الزيجات في أبو خروف.. يحدث هذا يا أبا سالم في دنيا الناس .. كان زواجا لدرء الفضيحة وسكن عشة من عشاشهم .. شاب في الصحراء استسلمت له فتاة فوقع فريسة سهلة لها .. ولملم الموضوع .. ونادر هذا لم يعرف الحقيقة هذه إلا من عهد قريب وأخذ يسعى للوصول إلينا

– ما دمت أنت مقتنع بها ماذا سنفعل ؟

– سأسافر إلى تلك القرية وتلك المنطقة واسمع خالته وزوجها وبعض من عاصر تلك الأيام من الرجال والنساء وأقارب البنت .. فهي أي أمهم ميتة وأمها ميتة وكذلك والدها .. لم يذكر إلا خالته وهي التي كشفت لهم قصة زواج أمهم بعد تهديد من زوجها ..فهم كانوا يتكتمون على زواج أم الأطفال لماذا ؟ لم يفصح الشاب أو لم يعرف وإذا كان ذلك صحيحا سنسعى لإثبات النسب رسميا لدى الحكومة .. فلا يمكن التخلي عنهم يا حسين فهم أبناء أخيك .. والمشكلة أن البنت متزوجة في تلك الصحراء دون علمنا ومن وقت قريب

قال حسين : غرائب الدنيا لا تنتهي ! أنت تفكر بالذهاب لتلك القبيلة

– وسنقابل أبناء السيد بلال جميل وزوجته .. فالرجل شريك تحسين فهو مطلع على القصة ؛ ولكنه كما قلت لك إنه ميت كما حدث نادر .. وقد يكون لديهم معلومات لم يحبوا الإفصاح بها لنادر .. قد يكون حدثها الرجل عن زواج تحسين الصحراوي علينا بذل بعض الجهد

– خشي كشف الأمر .. أفيحدث قرينته ؟ فهو زواج بالإكراه

قال محمود : كان شريكه ، وسانده في كتم الأمر ، المصلحة تطلبت منه الصمت ، و ربما حدث بشيء .. ولا تنسى خشيتهم من القبيلة بإشاعة الأمر ، فكان عليه مسايرة شريكه وإخفاء الأمر عنا .. ونحن لا نعرفه حق المعرفة كما تعلم .. أنا أسمع عن عائلات تلك الصحاري والفلوات حياتهم قاسية وخشنة ، لا يذهبون للمدارس إلا من رحل وسكن المدن .. والفساد شائع بينهم وبناتهم فيهن فتنة.. الجمال والبياض فلا غرو أن يقع أخوك في حبائل تلك النسوة.. وبعضهم يقطع الطرق .. ويتعرضون للسيارات لأخذ المال والطعام ..وهم فعلا يأنفون من تزويج بناتهم لغير أبناء العشيرة للمحافظة على تقاليدهم وعاداتهم .. فلم يكن صيد أخيك صعبا ، فحدث الترقيع والسرار.. ففي البوادي والمناطق النائية تحدث مثل هذه الزوجات زواج الأمر الواقع على كل حال يا أبا

سالم اهتموا بالضيف حتى نصل لنهاية لهذه القصة ، لم يكن تحسين ـ رحمه الله ـ يتحدث كثيرا عن تلك الصحراء ، وعن كيفية حياته وتفاصيلها ؛ لكن كما تعلم ويعلم الجميع أن وقته الأكثر كان هناك حيث يشتغل وينام ، وكان اغلب وقته هنا نوم ومقهى وسط المدينة ، وكان يغادرنا صباح السبت مبكرا أخرج للجامع وهو يغادر البيت فإمكانية أن يكون متزوجا حاصلة ؛ لكن المريب ظهور الحقيقة بعد كل هذه السنين .. يبدو أنهم لم يهتموا لميراث الرجل ، لم تهتم الأم لحضور الدفن والعزاء ؛ كأنه شر وتخلصوا منه .. ونورا كما قالت أمك بعد انصرافه لم تتحدث يوما أن زوجها له امرأة أخرى ربما كان تحسين يفكر بالانتهاء منها عندما يترك تلك الصحراء كأن شيئا لم يكن ، حتى أن أمك تقول : لم يكن بينه وبين نورا أي مشكلة ، فالوقت قصير بينهما ـ رحمه الله ـ جميل أن يجد الإنسان بعد نسيان لابنه أولاد ! كان الحادث رهيبا ! لقد رأيت السيارة في قعر الوادي كانت محطمة ، وكانت الضربة عنيفة قبل سقوطها للوادي ، ونقل للمستشفى كما تعلم ميتا ، لم يتكلم لا هو ولا من كان معه في الحادث كلهم موتى

تنهد حسين وقال: الظروف تحكم الإنسان أحيانا كثيرة يا أبي لعل لديه سببا لكتم الزواج

– كان مصرا للكتم ، فقد ولدت له ثلاثة خلال عشر سنوات زواج ، ولقاءاتنا مع شريكه معدودة على الأصابع ، ولم يتكلم بشيء عند العزاء ، ربما لأن أهل المرأة والمرأة لزموا الصمت ، كان هناك تعتيم على هذا الزواج إذا صح كلام نادر .. فخالته تفوهت لهم اضطرارا ، وأولئك الصحراويون لا يوثقون الأوراق كما نعمل من شهادة ميلاد وعقد زواج وبطاقة شخصية

قال حسين : سأمر عليك الليلة لمناقشة ومدارسة الأمر .. فالقضية تحتاج لفكر وتدبر

– تفضل بعد العشاء

مقهى مهران

تسربت حكاية تحسين للحي ؛ لذلك لما صلى محمود المغرب وخرج ليجلس في المقهى لتناول فنجان قهوة أو يانسون في مقهى مهران ، والسمر مع جيران ورجال الحي وتبادل الأخبار ، فجلس إليه سلمان يوسف ونعمان يوسف شقيقه ، فسأله سلمان فور جلوسه والسلام عما انتشر في الحي من شائعات .. فقص عليهم حكاية نادر بإيجاز فقال سلمان : أمعقولة هذه الحكاية يا حاج محمود ؟!

– في هذه الدنيا كل شيء معقول .. نحن لم نعلم بهذا الزواج ولم نسمع به ولو همسا ؛ ولا يمكن استبعاده لطريقة حياة تحسين في تلك الصحراء .. فيمكن حدوث ذلك الزواج الغامض كان يمضي اغلب الأيام هناك .. فهو حسب معلوماتنا الأكيدة

أنه كان يعمل ويشتغل مع السيد بلال جميل معلمه، ثم شريكه قبل وفاته ، ولو كاشفنا بالزواج لرفضناه دون تردد .. فبنات الأقارب أولى في تلك الأيام كما تعلمون .. والزواج من أنثى صحراوية في حالنا وسكننا في المدينة يصعب قبولنا لذلك الزواج

قال نعمان : معك حق يا أبا حسن .. وتحسين الذي اذكره ـ رحمه الله ـ لم يكن له أصدقاء نتيجة استقراره في جوف الصحراء حتى يفصح لهم بمشروع حساس كهذا

فقال سلمان: حتى مقهاه في أيام العطل والأعياد كان في قلب المدينة في مركز العاصمة .. وكان محبا للسينما ، ولولا صراع بين خالة الأولاد وزوجها لما عرفوا بقصة زواج أمهم .. فكانوا كل هذه السنين يخفون الحقيقة

قال نعمان أبو نوح : يبدو أنهم بعد زواج البنت خشوا رغبة الشباب بالزواج ، وهم يعلمون أنهم لا ينتسبون للعشيرة حقيقة ..فكان لابد من التخلص منهم يا حاج محمود

– لم يتحدث الشاب عن زواج ، وعمره خمس وعشرون ولم يتزوج على خلاف عادة زواج أبناء القبائل دون العشرين ؛ ولكن هذا الهاجس وارد .. وأنا فهمت أن تأخر زواجه للفقر واليتم والعمل في الرعي ..وتحسين كما تخبرون لم يترك ثروة لينازع عليها ؛ لنقول جاءوا يبحثون ويطلبون مال أبيهم ، كان مستورا ..وأنا بفضل الله كنت انفق على ابنة أخي وابنتها ثم أبناء تحسين مساعدة له

قال نعمان : العم مهران ينادي علينا يا سيد محمود

تبسموا وقال سلمان : أكيد سمع الخبر ويريد سماعه من صاحبه

انتقلوا إلى طاولة مهران الكبيرة ، وأحضر العامل مقعدين إضافيين .. فلما جلسوا طلب لهم مهران الشاي المشروب المفضل ولا يرد ، وقال : هل صحيح أنه ظهر لك أحفاد جدد من قلب الصحراء يا حاج محمود ؟!

– يبدو هذا

– حدثت عصرا عن طرف من الخبر من أحد الرواد لا داعي لذكر اسمه قال الناس تتحدث أن أحفادا جددا ظهروا للحاج محمود حسن.. فالأخبار تنتشر بسرعة أسرع من الإذاعة

فقال محمود باسما : أنا فعلا لا أدري كيف عرف الناس الخبر والقصة ؟ الشاب تركنا قبل العصر بقليل لتناول الطعام مع سالم حسين

تبسم القوم وقال مهران : لا تعجب من شيء ما دام بعد هذه السنين يظهر لك من يزعم أنه حفيدك.. أم حسن خبرت البنات على التلفون .. والبنات اخبرن الحموات وهكذا شاع الخبر

غمرهم الضحك وقال السيد : معك حق يا حاج

مهران الأخبار أسرع من النار في الهشيم والعشب اليابس .. وخاصة خبر كهذا مثير للعجب والدهشة .

ولخص محمود القصة مرة ثانية ، وعقب مهران بعد صمت محمود : لا أعتقد أن الشاب جاء ليحتال .. فهذه قصة صعبة ومعقدة لا يستطيع أحد من الشارع أن يأتي ويزعم أنه حفيدك ، وأن أباه فلان .. فأنا معك أن الرجل ابن ابنك وحفيدك .. ماذا يجني محتال من إيجاد عائلة وأسرة ؟! سبحان الله ! ذرية جديدة لك يا أبا حسن لم يعد ابن تحسين السيد محمود وحيدا فقد جاءه أخوان .. ماذا تقول أم محمود ألم يحدثها زوجها عن هذا الزواج ؟!

– سألتها بعد ذهاب الشاب للفندق ، تحدثت معها بواسطة التلفون وبعد أن ذكرت لها القصة

استغربت ؛ ولكنها ذكرت مرة أنها عندما أرادت غسل الثياب وجدت في ثياب تحسين صورة امرأة صورة فوتوغرافية ، ولما أخبرته بأمر الصورة أجابها بأنها صورة ممثلة وقفت في المحطة ، كانت في طريقها لبغداد ، وانتهى الموضوع لأنه أخذ بتمزيقها ورماها في سلة النفايات ، ومضى هذا الحادث البسيط بدون ذكر ، ولم يتحدث عنه إلا اليوم .. وهو مزق الصورة وانتهى الموضوع بالنسبة إليه .. وتدعي أم محمود ابنة أخي محمد لو ترى رسما للمرأة أم نادر ربما تتمكن من المقارنة بين الصورتين وتتذكر تلك الصورة ؛لأنها تأملتها جيدا قبل أن يأتي تحسين وتسأله عنها وعندما أقابل الشاب صباح الغد سأطلب منه مثل هذه الصورة فهي قرينة جيدة لو تذكرتها نورا فعلا

علق الأستاذ سلمان فقال : لا أتوقع أن لها صورة ، إنما هي صورة من مصور جوال ربما نزل تلك المحطة للتزود بالطعام أو الوقود فصورها لتحسين .. صورة واحدة إذا كانت لها ، وربما هي تصورتها إن صدفت هذا المصور في ذاك المكان وقد تكون صورة ممثلة فعلا

قال مهران : لا يعول في إثبات الحقائق الكبرى على صورة واحدة .. وكيف تعملون لإثبات هذا النسب ؟

– من ناحية قلبية أنا مسلم بصدق هذا الحكاية ، ومن لهجة ولهفة الشاب تحس أنه صادق وباحث عن أهله.. وحياة تحسين تلك الأيام توحي بمثل وقوع ذلك .. وعندما يتكلم الشاب كنت أحسن من طريقة كلامه أنه يتكلم مثل تحسين مع أنه لا يشبهه صورة .. طريقة لفظ الحروف أحس أنه تحسين يتكلم ؛ ولكن لهجته لهجة صحراوية والقلب لا يخدع .. سنذهب لمقابلة تلك الخالة التي أفشت الحقيقة ، ونرى بعض أفراد العائلة والعشيرة الذين عاصروا الحدث ، وشيخ العقود

في تلك الصحراء ؛ لعله يذكر ويتذكر هذا الزواج إذا ما زال حيا .. وهو زواج حدث تحت ضغط جريمة زنا أو فِلم بين الطرفين لإتمام الزواج فزعموا ذلك .. وقد يكون اجبر على الزواج منها .. لا نعلم ولا نادر يعلم

- يفعل ذلك بعض الناس كما يحدث في حيينا بين زمن وآخر .. طريقة قديمة للنكاح

تحدث محمود عند العاشرة في الصباح التالي مع موظف الاستقبال سائلا عن السيد نادر ، فأخبره أن يجلس أمامه في قاعة الاستقبال .. فكلمه محمود وحياه تحية الصباح ، واطمئن على راحته وصحته ، وطلب منه المجيء إلى المحل حيث العمارة ، ورحب به حسين ، وسأله عن حاله وصحته ، وقدم له علبة عصير مثلج ، ولما حضر الحاج تصافح الرجلان وقال : هل أفطرت ؟



- نعم ، أكلت في مطعم مجاور للفندق .. ودفع الموظف للمطعم

- سالم هنا ؟

رد حسين : ذهب لشغله .. حسن هنا

- حسن موجود جيد .. يا ولدي يا نادر أنت الآن ابننا حتى يثبت عكس ذلك ..ستتعامل معك كابن لنا .. فسيذهب بك حسن لمتاجر غازي ليشتري لك بعض الثياب كهدية

حاول الشاب التخلص من ذلك ؛ ولكن الجد أصر وحلف عليها فلزم الصمت وقال : يا ولدي نحن نكسو الغريب .. وقد بعثت لك ملابس داخلية مساء أمس هل استلمتها

- وصلت ولبست بعضها بعدما استحممت في حمام غرفة النوم وأنا أشكرك يا سيدي

- لا شكر على واجب .. فسيأخذك حسن لقياس الثياب وتختار

أتى حسن من البيت وقبل يد جده وأبيه ، وسلم على الشاب الذي سمع قصته أمس ، وشرح الجد لحسن مهمته وقال : أنا في انتظاركم يا حسن

بعد ابتعادهم قال محمود لولده حسين: لا أدري هل لاحظت يا حسين أن نبرة صوته قريبة من صوت المرحوم تحسين .. فهو ينطق الألفاظ مثله أو قريبا منه

ابتسم حسين المعلم المتقاعد وقال: وقع ذلك في نفسي عندما قابلناه أمس قبل صعوده إليك ، ولما اخبرني سالم بسبب مجيئه .. ذاكرتك جيدة يا أبي مع أن المرحوم له أكثر من خمس عشرة سنة ميتا نعم لديه صوت شبيه بتحسين

- وهذا ما يزيد اليقين بأن هذا الشاب من العائلة.. ولابد من اليقين الكامل أو شبهه والاتصال بالعشيرة ومعرفة المزيد من اليقين حتى لا يبقى شك في نفس أحد من العائلة
- ماذا سنفعل اليوم ؟
- سأذهب به إلى مكتب المحامي في وسط المدينة ونتناقش معه في الإجراءات والخطوات المطلوبة تحدثت معه ليلة أمس في البيت وقال : مر بعد الظهر ، ثم نفكر برحلة لتلك الصحراء والقرية ، ونرى أهله من جهة أمه ، ونلتقي بالخالة ، ونسمع منها ، ونسمع من زوجها ، ونسعى إلى لقاء من عاصر ذاك الزواج
- قريتهم صغيرة كما فهمت منك ليلة أمس
- صغيرة كقرية .. وهي جزء من عدة قرى من قبيلة .. سنجد من لديه
معرفة من العواجيز ، ثم نقابل أرملة بلال جميل ، فهو مشى إليهم ليعرف مكاننا ، قد يصرحون لنا بما لم يصرحوا به لنادر .. فنورا لم يتكلم أمامها بزواج ثاني .. وكان ينظر لزوجته تلك أنها الأصل ، وأن زواجه من نورا جبر لخواطرنا وحتى لا يعترف بزواجه الأول .. فهذا نادر ولد قبل زواجه من ابنة عمه
- الطب الشرعي ألا يساعد في ذلك ؟
محمود : يساعد إلى حد ما ؛ لكنه لا يحسم الأمر .. زمر الدم تقرب المعرفة .. قال المحامي إنها تنفي الأبوة أكثر من إثباتها إذا ثبت أن زواجا كان بينهم .. سيساعد الكشف الطبي في بيان علاقة بين الأولاد وأبيهم ؛ لذلك عندما نسمع عن تبديل مولود بمولود يجري تحليل للأب الحقيقي والمشتبه به .. فتساعد فصائل الدم إلى حد ما في نفي الأبوة عن أحدهم .. كانوا قديما
يعتمدون على القيافة والفراسة والتشابه بين المولود وأهله
- ربنا سيسهل الأمر .. والحق يظهر ولو بعد حين
محمود : فهمت من القانوني أبي رياض أن الأمر لا يحسم طبيا نحتاج إلى إثبات الزواج اولا
- هل تحب أن أصحبك للمحامي ؟
- لا داعي .. فالأمر مجرد مناقشة وتبادل الآراء في مثل هكذا قضايا ..
سأنزل لوسط المدينة بسيارات الأجرة ، وأصلي الظهر في جامع العمري الكبير ونركب إلى مكتبه وسيكون معي نادر ليراه ويسمعه الرجل .. فقد دهش مثلنا لهذه الحكاية وقال لا يمكن أن يكون هذا احتيالا خاصة في أوقات السلم والسلام وبعد اللقاء سنعود .. وأترك الشاب في الفندق لنرتب أمر الرحلة إلى الصحراء البعيدة .. فأنت اهتم بتأمين سيارة خاصة تقلنا إلى هناك لمقابلة الناس وسماع أقوالهم .. لما تكثر المصادر تتأكد الحكاية

أكثر وأؤكد .. وعلينا بعد ذلك إنقاذهم من البؤس والصحراء

حسين : وفقك الله يا أبي .

مكتب المحامي

استقبلهم حضرة المحامي خير استقبال للصداقة الكبيرة التي تربط بينه وبين السيد محمود ، وأيضا لأن ابن أخيه زوج إحدى بنات بنات الحاج ، فتجمع بينهم المصاهرة والعمل والصداقة فهو محامي العائلة منذ تصاهروا ..وبعد الترحيب المعتاد والاطمئنان على الأقارب والأبناء لخص له محمود القصة من جديد .. وكان ليلا مستغربا لها ، وتكلم الشاب بإشارة من جده وأكد ما رواه الجد فقال المحامي : أعلمتك خالتك بعد كل هذه السنين بأنك ابن رجل من المدينة .. ولم يكن أبوك من أهل القرية والعشيرة ؟

– نعم ، أخبرتني هذا من أيام قليلة ، ولما استوعبته حملت نفسي باحثا عن أهلي ، وذهبت لمحطة التصليح والاستراحة للمسافرين على الطريق البري .. كانت المحطة قريبة من القرية تلك الأيام ثم غيرت مكانها ، وسألت عن السيد بلال جميل الذي كان صديقا لأبي أيام زواجه ـ فخالتي التقت به وتعرفه ـ فوجدته قد هجر العمل بعد الحادث بسنة ، وعلمت من بعض رجال المحطة الجديدة مكان سكنه في العاصمة بيت السلام ، وذهبت لبيته ، وقابلت امرأته لأن الرجل ميت وعرفت منهم أنهم لا يعرفون عنوان أبي .. كانوا صغارا تلك الأيام .. وأخذني أحد أبناء الرجل لدائرة شرطة .. ولما عرفوا حكايتي وغايتي ذكروا لي عنوان الحاج محمود في أبو خروف فقد وجدوا في سجل حادث أبي عنوان الحاج

– هل شككت قبل سماع خالتك بأنك لا تنتمي للقبيلة ؟

– أنا أعلم أن والدي مات بحادث ؛ لأني كنت ابن تسع سنوات عند مقتله ووصول الخبر للقرية ؛ ولكن لم أكن أعلم أن والدي ليس ابن القبيلة .. حتى لما نسأل عن أعمامنا وأبناء عمنا نخبر أن والدنا وحيد والديه .. وكلهم ماتوا قبل زواج أبي من أمي أقصد والدي أبي ، ونصدق ذلك ؛ لأن رجال القرية قليلون ، فكل كم أسرة يعيشون في بلدة أو قرية ، ولما ماتت أمنا عشنا مع خالتنا .. وبدأت اعمل بالرعي وأنا ابن عشر سنوات ، ثم أصبحنا نرعى لعدد من العائلات من القرى الأخرى ، فلم نكن نفكر أبدا بأننا لسنا من أهل القرية .. ومن كنا نرعى معهم شبانا مثلنا لا يعرفون إلا أننا أبناء غزية اسم أمنا ، وأننا أيتام.. حتى الزواج لم تتحدث معنا خالتنا بشأنه يوما .. كنا نحب العزلة والابتعاد مع الرعيان .. لا نعود إلا عند مواسم البيع ..وكنا ننفر من زوج خالتنا

.. لم يكن بينهما ود ، ولما كثرت مشاكل خالتي مع زوجها ، ثم اتضح لنا أننا من أسبابها وبسبب مبيتنا عندها في بعض الليالي عندما نرجع للقرية ، فعدنا لمنزل الوالد المهجور لم يحدثنا أحد عن زواجنا .. فكنا نشعر بالحرج والضيق وننتظر ... ، ثم كان زواج نادرة .. فكبر الشجار بينهم .. وكاشفتنا الخالة بسر أبينا ، وأننا لسنا من أبناء القبيلة .. فصدمنا وفهمنا سر الجفاء بيننا وبين رجال القبيلة في القرية والقرى الأخرى .. ولمنا الخالة على تأخرها في كتم الأمر ولم تقله قبل زواج البنت .. فقالت : وصية أمكم أن تبقوا هنا ؛ ولكن الزمن تغير وتخرب بيوت فكان عليّ بالكلام وأخذت على عاتقي الوصول لأهل أبي مهما كلف الأمر ، وتركت الغنم مع جلال ، وجئت باحثا .. والله يسر خطواتي

قال المحامي: وماذا تريدون من التعرف على أهليكم ؟

– أريد أن أعيش معهم ، لا مكان لنا ـ بعد ظهور الحقيقة ـ في القبيلة ..وأن نبدأ حياة جديدة فهم الأهل والقوم ..ونعرف أهلنا وأهل أبينا

فالتفت المحامي للحاج محمود وقال : وأنت يا أبا حسن ماذا تقول ؟

– أنا يسرني أن يثبت أنهم أحفاد لي وأبناء لتحسين ، فكما تعلم لتحسين ولد واحد .. فجيد أن يوجد له أشقاء .. نريد تقوية ذلك حتى لا يطعن شخص فيهم في مستقبل الأيام.. فهم ذرية من صلبي في نهاية الحكاية

– عندما نثبت الزواج بشهادة الشهود سنرفع قضية إثبات النسب .. وهي سهلة إنما هي مجرد إجراءات إذا أثبتنا صحة الزواج ، وأن تحسينا هو والدهم ..فيكون الباقي إجراءات قانونية ومحكمة .. علينا أن نحول الشهادات الشفوية إلى وثائق رسمية .. وإذا استطاع الشيخ الذي عقد الزواج التذكر فسيسهل الأمر يا حاج محمود ..وتقبل الحكومة شهادته ما دام يقرون عمله في تلك البراري .. علينا أن نعرف اسم هذا العقاد وقصة هذا الزواج .. فهو يعرف ابن القبيلة من الغريب .. نحتاج إلى جهد بدني في هذه القضية .. فمهمتك يا أبا حسن كما خططت برحلة لتلك القرية ومقابلة الخالة ..وسيصحبك في هذه الرحلة كاتب شرعي ورجل شرطة أو سيارة نجدة ؛ وربما سيارة جيش لأنها منطقة لا تخضع للشرطة في الوقت الحالي وسماع زوج الخالة وبعض الأقارب ..فأم أمك وأبيها غير أحياء

– نعم ، جدي مات منذ عهد قريب سنة أو تزيد شهورا

– لم يتحدث أمامكم بشيء؟

– لم نسمع شيئا .. ليس محبا لنا .. ولا يحب

الجلوس طويلا معنا

فقال المحامي : وعليكم معرفة شيخ الزواج وسماع شهادته يا أبا حسن .. وإذا اجتمعتم بشيخ القبيلة الأكبر قد تجدون عنده الخبر اليقين .. فهؤلاء الشيوخ يعرفون ويسمعون كل مشاكل القبيلة .. وناشد رجال القرية بالكلام لبيان الحقيقة واثبات نسب العيال .. متى ستقوم بالمهمة؟

– بأسرع وقت يا أبا رياض

– أمهلني يا سيدي يومين لاتصل مع الجهات المسئولة والشرطة لتكون معكم لدى هؤلاء الناس

– أليس هناك فحوصات طبية ؟

– لا داعي لها إذا ثبت الزواج ثبت النسب في القانون والشرع .. وفحص زمر الدم تجري عند الشك في الوالد والمولود

لما رجعا للحي قال الحاج لنادر : ألديك رغبة بالعودة للصحراء أم تفضل البقاء في الفندق حتى يرتب لنا المحامي أمر الرحلة ؟

ففضل الشاب البقاء وقال: الغنمات التي أرعاها ليست لي ، إنما هي لعجائز من القرية والقرى الأخرى ، لا أحد يرعى لهن ، إما أرامل وإما لا أحفاد وأبناء لهن ماتوا أو هربوا من القبيلة ولم يرجعوا ، وبعضها لتجار حلال من القبيلة .. وجلال يقوم بالمهمة عني إلا إذا أحببت ذهابي فانتقل لمكان آخر حتى ترتبوا الأمور وأعود إليكم ..حتى لو لم نصل لإثبات النسب بكم سنترك الصحراء .. لم يعد لنا بها مقام .. فلا عشيرة لنا .. ليست عشيرتنا

– أبدا يا ولدي أنت ابننا بإذن الله .. وأنت على وشك أن تكون حفيدا لي .. إنما هذه الإجراءات من أجلكم لتحصلوا على وثائق رسمية .. فهي مهمة اليوم لا غنى عنها في المدينة .. تحتاجون لبطاقة شخصية نسميها هوية .. وشهادة ميلاد أو تقدير سن .. وبهذا الوثائق تصبحون من العائلة .. فلأبيك خمس أخوات وأخوان حسن ومات في فلسطين وأبوك ومات بحادث سيارات ..وأختك ماذا سنفعل بها ؟ هل ستبقى هناك ؟

– سنسعى لجلبها منهم ، ونطلقها وتعيش معنا هذا أفضل

– وزوجها

– سيتخلى عنها .. بنات القبيلة كثر حتى أن زواجها تأخر .. فالبنت في القبيلة تنكح دون الخامسة عشرة .. وهي زوجت رغم أنفها كما يقال .. تزوجها أحد أقارب زوج خالتي ضرة أصلا

– لم تلد بعد ؟

– بدأت المشاكل الكبيرة عند زواجها وخطبتها ، لم أسمع بحملها بعد ، وستتخلى عنهم عندما تعرف أهلها الحقيقيين

- نعم ، ستقطع صلتها بهؤلاء الناس .. أتعرف منزل السيد بلال ؟

- نعم ، ذهبت إليه والتقيت بامرأته وأحد أبنائه ، وهم الذين ساعدوني في الذهاب للشرطة كما تكلمت أمام المحامي ولك من قبل

- زوجة الرجل حية كما أخبرت

قال نادر : أنا قابلت امرأة أحسب أنها زوجته وامرأة صغيرة وزوجها وسألتهم عن تحسين محمود بعد أن شرحت لهم الغاية من السؤال فتذكرونه ؛ لأنه كما قالت المرأة الكبيرة في السن مات في حادث مروع ، وذكرت أن الرجل حزن عليه كثيرا ؛ ولكنهم لم يكونوا يسكنون في البيت القديم ، فقد ذهبت إلى البيت القديم ، فأخبرني ساكنه أنهم باعوه بعد موت السيد بلال وذهبت الأم للحياة والعيش مع ابنها الكبير ؛ وهم لم يكونوا يعرفون أين يسكن والدي في أي حي من إحياء العاصمة لصغر سنهم حين موت والدي ؛ لأجل ذلك ذهبنا للشرطة ، فالرجل له معارف في الشرطة ، وأحب أن يخدمني وفعل ، وقال ابنه أن والده بعد موت تحسين كره المكان وهجر المكان ، وسافر لبغداد وعمل فترة هناك ، ثم عاد فأعتقد أن المرأة الكبيرة التي رأيتها زوجته وأم ابنه .. هكذا فهمت من المحاورة

قال السيد : سنسمعها ـ إن شاء الله ـ هذا الذي نعمله يا نادر لمصلحتكم أولا وأخيرا .. ومعنا مجال أن نقابلهم غداً ما دام أنت عرفت بيتهم .. والفندق بيتك حتى نكمل المشوار فخذ راحتك فيه .

ولما وصلا الحي ساقه الجد للغداء معه ، وطلب من حسين أن يرسل لهم الغداء على البيت ، وتغدوا في بيت الحاج محمود حسن ، وأوصله حسن بسيارة أبيه للفندق ، وأعاد التوصية به للمدير أبي موسى والموظفين ، فقد وجده في مكتبه يراجع حسابات الفندق ، وكانت في البيت بعض بنات الحاج جئن لمشاهدة ابن تحسين والتعرف عليه ، وبعضهن أتين في المساء ، فطلبه الحاج مرة أخرى ليرى من سيكن عماته وبنات أقاربه ، فجلس معهم ساعة ، وتعرف على بعض أزواجهن ، وأعاد على مسامعهم القصة ..قصة اكتشاف أن أباه من أهل المدينة ، ولم يكن من أهالي القبيلة والصحراء كما عاش يفهم ذلك ، ولم يفهم سبب إخفاء ذلك عنهم من قبل أمه وجده وخالته الوحيدة ..وقالت له إحداهن : متى ستأتي بأخيك وأختك ؟

- إن شاء الله قريبا .. سنذهب للصحراء والقرية التي ولدنا فيها ، ويقوم الجد محمود ببعض المقابلات المهمة ، وسماع الشهود وتوثيق الأقوال لإجراء اللازم في المحكمة ، وسنغادر القرية إلى

غير رجعة حتى لو لم تعترفوا بنا سنتركها ، لم يعد لنا بها مقام ، والخالة ليست بحاجة لنا ، فلها زوج وأولاد

وقال محمود الجالس يسمع ويتهامس مع أزواج البنات : كما قال نادر أنا متأكد أنه ابن تحسين غير انجذاب القلب .. فيه شيء من أبيه .. طريقة كلامه ولفظه للكلام .. وهذه لا يمكن إلا أن تكون وراثة .. فهو لا يعرف أباه حق المعرفة .. وأيدتني الحاجة أم حسن ليلة أمس وقالت لو سمعته قبل أن يعرف على نفسه لظننت أني أسمع ابني .. هذه الإجراءات حتى تعترف به الحكومة أنه حفيد لنا .. الأوراق الرسمية لابد منها اليوم .. سيرسل معنا المحامي أبو رياض كاتبا رسميا وشرطيا أو دورية عسكرية ليعلموا أهمية كلامهم وجدية القضية .. وغدا سنمر على زوجة بلال جميل شريك تحسين القديم ..قد تتكلم بشيء مهم رغم أنهم قالوا لنادر لم نسمع بهذا الزواج ، وما دام نحن أخص الناس بالمرحوم لم نسمع به .. فقد يكون هؤلاء لم يسمعوا به الأمر غامض ؛ ولكنه محتمل

- الرجل ميت

- امرأته حية ..وعندما تراني وتعرف أنني والد السيد تحسين .. قد تتكلم بحرية وصراحة

أم طارق

كان حسين يملك سيارة خاصة ، وولده سالم زوج الدكتورة دلال يملك سيارة في ذلك العهد فركب والده بجواره ويعتبر هذا اليوم نوعا من البر والاحترام للآباء في عرف الناس ، وجلس نادر في كرسي السيارة الخلفي ذاهبين لمنزل ابن السيد بلال حيث قابله وقابل أمه عندما جاء باحثا عن السيد بلال .

وكان تحركهم بعد صلاة الظهر وقبل وقت صلاة العصر ، وانطلقوا إلى الحي الذي يسكنون فيه من أحياء العاصمة الكبيرة .. استطاع نادر إيصالهم لذلك البيت بدون صعوبة ، وفتحت له الباب امرأة شابة لما تمعنت فيه تذكرته ، فقد طرق بابهم منذ أيام يسيرة ، رحبت به المرأة ، ولاحظت أنه ينظر للسيارة التي تقف أمام الباب ، فقال حسين بصوت مرتفع : السلام عليكم امرأة السيد بلال جميل موجودة

حدقت به المرأة وقالت : حماتي لا تسكن هنا

نزل الحاج محمود موضحا وقال : كان ابني المرحوم تحسين يعمل مع زوجها

رحبت المرأة بالشيخ محمود وقالت: أهلا وسهلا اذكر أن هذا الشاب ـ وأشارت لنادر ـ طرق بابنا من عدة أيام ، وجاء يسأل عن سكن السيد تحسين محمود

- هذا صحيح يا بنية أريد الحديث مع السيدة

الوالدة

- أنا زوجة ابنها يا عمي الحاج ، وهي تسكن مع ابنها الأصغر ؛ كانت ذلك اليوم في ضيافتي ، وزوجي أكبر أولاد عمي بلال

- كيف الوصول إليها ؟ نحن بحاجة للحديث معها في الماضي البعيد

- غالبا ما تكون في البيت ..وليس عندي هذه الساعة إلا طفل رضيع

- وماذا يعمل شقيق زوجك ؟

- قد يكون في البيت ، فهو يعمل ممرضا في مستشفى ، وستكون معها زوجة ابنها

- أين عنوانها ؟

- انظر ذلك المنزل الكبير ـ وكانت تشير بيدها كلها ـ أترونه ؟

فقال نادر : نعم ، أهو البيت ؟

- إنها تسكن فيه .. تدعى أم طارق .. بيت أم طارق يا حاج محمود

شكروها وركبوا السيارة ، واتجهوا لذلك البيت الكبير ، وصف حسين السيارة أمام البيت ، ونزل نادر يقرع الجرس ، فخرج لهم شاب غلام فقال نادر : بيت أم طارق

فقال الشاب : إنها جدتي .. أمر ؟!

قال : قل لها ـ وأشار إلى الحاج الجالس بجوار سائق السيارة الذي بدأ ينزل ـ الحاج محمود حسن أبو حسن يرغب بالحديث معها

- من أبو حسن ؟

فأجاب الحاج باسما : أنا يا ولدي .. جدك أبو حسن .. ما اسمك ؟

- اسمي جهاد

- تشرفنا ..نريد الحديث مع أم طارق في موضوع مهم وخطير

دخل الفتى البيت ، وعاد يصحب أمه التي رحبت بهم ، وقالت : ماذا تريدون من حماتي أم طارق؟!

قال نادر : لقد التقيت بها منذ أيام في منزل شقيق زوجك في قضية هامة

شرح لها أبو حسن الموقف باختصار فقالت : حسنا انتظروا قليلا حتى اتصل بزوجي وحماتي

جلس الثلاثة في السيارة ينتظرون الأذن بدخول البيت ، وبعد وقت يسير أدخلتهم المرأة إلى غرفة الاستقبال والضيافة ، وكانت السيدة أم طارق في استقبالهم والترحيب بهم قالت : نعم يا حاج محمود يا أبا تحسين رحمه الله

- شكرًا يا أم طارق .. ورحم الله المرحوم بلال .. القصة كما قال لك هذا الشاب قبل أيام

استدارت ببطء تجاه نادر وقالت وهي تعيد رأسها جهة الحاج : نعم ، قابلته في منزل طارق جاء يبحث عن بيتكم ومكان سكنكم ، وأذكر المرحوم تحسين جيدا ، لقد دعاه زوجي إلى البيت عددا من

المرات ، وأكل من طعامي ، أنا لا أنساه أيضاً بسبب الحادث المرعب كما قيل الذي وقع له ، ولما عاد بلال من الصحراء بعد معرفته بالحادث جاء إليكم هو وأنا للتعزية بموته ، وكان ذلك بعد انتهاء العزاء؛ لأنه عرف متأخرا .. أما حكاية هذا الشاب وزواج تحسين من أمه دون علمكم .. فلم أسمع بهذا الزواج يا حاج محمود ..واستغربت يوم التقيت به قصة هذا الزواج .. وقلت له لا يعني هذا أنه لم يكن متزوجا .. فكثير من شبابنا يا حاج محمود ، وهم في بلاد الاغتراب يتزوجون ويطلقون أو حتى يموتون دون أن يعرف أهلهم بزواجهم ، فهم يتزوجون من أجل المتعة من أجل الحصول على الجنسية.. قضى زوجي زمنا طويلا يعمل في الطريق الصحراوي قبل أن يتعرف على ابن حضرتكم ، ثم تعرف عليه وترك شريكه أو شريكه تركه ، وأعطاه أي باعه المحل بالعدة والآلات ، وكان دائم الثناء على تحسين وقدرته على العمل إذا جاء ذكره ، وحزن كثيرا لموته حتى كره الشغل بعد حين يسير ، ثم سافر للعراق بضع سنين ثم عاد ، ومرض ثم توفاه الله تعالى رحمه الله

– رحمهم الله جميعهم .. زواج ما زواج ما تحدث المرحوم عن ذلك

– لم أسمعه يتحدث عن زواج في الصحراء ، بل حضرنا زواجه من أرملة أخيه على ما أذكر

– نعم ، تزوج امرأة أخيه بعد ترملها .. أنا أكيد التقيت زوجك في ذلك

العرس .. ولكن لا أذكر صورته .. ما تحدث عن زواجه قبل زواجه ابنة أخي ؟

قالت بعمق : تحدث عن زواجه من أرملة أخيه ؛ ولكنه ما حدثني عن زواجه فتاة صحراوية قال سيتزوج تحسين من أرملة أخيه حسن على ما أذكر .. وذهب العرس ، وقد عملت وليمة كبيرة للضيوف

– صدقت يا أم طارق

– هذا الزواج سمعت به .. وما دامت خالة الشاب ـ وأشارت لنادر ـ تحدثت بذلك لابد أن يكون صحيحا يا حاج .. وإلا لما تكلمت بمثل هذا الكلام الخطير .. ولماذا تخترع صحراوية هذه القصة؟!

– لكنها تأخرت بالحديث عن ذلك للأولاد

– كانوا يرغبون بإخفاء ذلك لأسباب هم يعلمونها ، وربما زالت الأسباب ، وجد جديد أثناء العودة وبعد مقابلة زوجة بلال جميل المعروف لكم قال محمود لنادر: أكان قوم أمك ينادونك باسم تحسين ؟

– كان هذا معروفا لنا .. نحن نعرف اسم أبينا .. بعد الوفاة شاع بينهم مناداتنا باسم أمنا أولاد غزية ـ هذا اسم أمي ـ نسمع نادر بن غزية .. جلال بن

غزية .. نادرة بنت غزية .. وهذا يحصل لنا ولغيرنا .. لم يكن خاصا بنا .. كان لنا خال اسمه حسان مات ـ رحمه الله ـ ينادينا باسم أبينا أنت يا نادر بن تحسين ، ومرات يلفظها حسين اعمل كذا ، هات كذا ، فكان اسم الوالد معروفا ، ولم تشكل المناداة لنا أي انتباه لأصل الوالد ؛ لأننا نعيش على أن الرجل من العشيرة ، وأنه من فرع معدوم لا عم ولا جدة من جهة الأب ، ولما عشنا مع الخالة روية اسمها روية ..كان يتردد اسم زوج أمنا كأي اسم .. فهو ميت كأي ميت حتى أبناء ندمان زوج الخالة ما كانوا يشعروننا أننا أبناء أب من المدينة

– نعم ، نعم ، على كل حال سنذهب لتلك المنطقة ، ونقابل الناس ونفعل ما يرتبه المحامي من خطوات ونتعرف على الخالة روية وزوجها وأبناء زوجها والعشيرة

– لا تزعلوا مني ..كان لابد من البحث عنكم .. لو بقيت أمي حية ترزق ربما تزوجت قبل بلوغي العشرين يقول خالي : إن أمي كانت سيدة ترعب .. رجالة القرية .. يخشونها ويخشون لسانها وصوتها ، فقال : فقد فرح بعضهم بموتها صغيرة ووالدها كان يحسب لها ألف حساب ويخاف منها .. أنا أعي بعض مشاجراتها العنيفة معه ومع خالي وخالتي روية .. وخالي هذا قتل في غارة من بعض لصوص الفجر .. وقيل من عصابة مخدرات .. كان يعمل معهم ؛ ولأنه ابن الصحراء كان يساعدهم في نقلها وتهريبها ونقل العصابة ..ووالد أمي فقد قرصته حية سامة ، وقضى أياما في المستشفى ، ثم مات وفارق الحياة ، ولم يبق من ذريته اليوم إلا خالتي ..كان له بنتان وولد .. وأفراد العشيرة لا يتكلمون ، ولا أعرف من هم أصدقاء أبي ، إنما أعرف من بعض الرعاة أن أبي تزوج أمي رغم أنف العشيرة ، وأنه صاحب شغل في المحطة .. من هم أهله ؟ لا يعلمون .. ولا يعرفونه بشكل جيد .. وهذا تكلموا به بعد كشف خالتي لنا ذلك .. فسألنا فأكد بعضهم هذه الحقيقة .. فهم لا يعرفون أبي حق المعرفة .. فهو لم يكن يختلط بهم لشغله ولقضاء إجازته عندكم .. إنما هو رجل استطاع نكاح فتاة من فتيات القبيلة .. وليس هو الحالة والوحيدة ؛ ولكنهم قلة عادة .. وهم أصحاب ابل وخيل .. قليل من يركب السيارة ، ويحتاجها في تلك الصحراء .. فربما كان يبقى الوالد للفجر وهو يعالج ويصلح السيارة المقطوعة والمعطلة على الطرق .. وتصليح الشاحنات أمر مرهق .. ويأخذ وقتا .. فتبديل عجل يحتاج لساعات

قال حسين: صحيح .. الأمر شاق ، لابد أن أكثر وقته كان يقضيه في العمل ..لا وقت للأصدقاء والمعارف ؛ وخاصة أنه لم يكن يربطه بالعشيرة إلا

أمك رحمهم الله جميعا

قال محمود : رحمهم الله .. سوف تصل القصة لنهاية .. ونجلب أبناءنا من قلب الصحراء وتصبحون من أهل المدينة .. اطمئن يا نادر الليلة أو صباح الغد سأتكلم مع صديقنا المحامي ونطلع على الجهود التي بذلها .. فهو منذ تزوج ابن شقيقه بنت إحدى البنات وهو يتولى قضايانا القانونية الكثيرة مع الشركات مع المستأجرين .. والرجل لم يقصر معنا ويخدمنا ، ونحن لم نقصر معه في الأجرة ..اطمئن يا ولدي

– أنا آسف جدا لإتعابك وأنت في هذه السن .. الحقيقة مهما طال الزمن ستظهر .. وكان واجب عليّ التعرف على أهلي .. لا أريد منهم شيئا .. وكنت كلي طمع أن أجد الحقيقة كاملة عندكم ، وأنكم تعرفون بزواج أبي من أمي

قال حسين ضاحكا : نحن لو كنا نعلم بزواجه لسعينا للحصول عليكم ، أو نصبر إلى حين انتهاء فترة الحضانة ، وكذلك أنفقنا عليكم حتى تكبروا .. ولو اتصل بنا أولئك القوم عندما علموا بوفاة تحسين للبينا النداء .. أنتم لنا ولستم لهم ..كنا نجهل هذا الزواج البتة .. إنما هم صمتوا لم يرسلوا إشارة ...وحتى السيد بلال الذي لابد ولا شك أن يكون عارفا بمثل هذا زواج لم يتكلم ، لم يرسل رسالة بهذا الشأن .. ربما أمك ـ رحمها الله ـ اعتبرت أن الأمر لا يعنيننا ما دامت قد تزوجت من أبيك بدون مشورة .. والدك كان يعلم أننا لن نقبل بهذا الزواج ؛ وبما أنه يعيش في تلك البراري فلماذا يزعجنا ويحشرنا في مثل هذا الموضوع ؟ وأهلها رأوا رغبة أمك ببقائكم معها فلزموا الصمت خشية منها وخشية فقدانكم

قال نادر: حياة الصحراء شاقة وخشنة .. وأهم أعمالهم الرعي وتربية

المواشي وبيعها في موسم البيع في الأسواق الصحراوية طبعا بيع الفائض منها .. ويعمل شبابهم في التهريب سواء للبشر أم المخدرات .. والزراعة قليلة في بعض القرى.. ويحبون البطالة ..والشغل عندهم مواسم ..وتربية الخيول والإبل تجدها عند كبارات العشيرة والمشايخ .. والمشاكل على المراعي والماء لا تنتهي ..والنساء والبنات يسببان الصراعات بين القرى وأفخاذ القبيلة.. وكنا نسمع عن معارك تنشب بين أفخاذ العشيرة الواحدة .. ومرات مع القبائل الأخرى لكن الدولة تسعى إلى توطين هذه القبائل والتقليل من تنقلها.. واستقرت الكثير منها في القرى وأطراف المدن

قال محمود: الفرج قريب ، وستنتهي حياتكم من مشاكل الصحراء والبادية إلى مشاكل المدن الأكثر قسوة رغم المدنية فيها يا سيد نادر .. إلى اللقاء

الْكَلْبُ وَالظِّلُّ

ذَاتَ يَوْمٍ ظَفِرَ كَلْبٌ بِقِطْعَةٍ مِنَ اللَّحْمِ حَمَلَهَا فِي فَمِهِ، وَمَضَى بِهَا إِلَى بَيْتِهِ لِيَأْكُلَهَا فِي أَمَانٍ، وَفِي طَرِيقِهِ إِلَى الْمَنْزِلِ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْبُرَ لَوْحًا خَشَبِيًّا مُمْتَدًّا بِعَرْضِ جَدْوَلٍ مِنَ الْمَاءِ الْجَارِي. وَبَيْنَمَا هُوَ يَعْبُرُ الْجَدْوَلَ نَظَرَ إِلَى أَسْفَلَ فَرَأَى ظِلَّهُ مُنْعَكِسًا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِهِ، ظَنَّ الْكَلْبُ أَنَّ ظِلَّهُ هُوَ كَلْبٌ آخَرُ يَحْمِلُ قِطْعَةً أُخْرَى مِنَ اللَّحْمِ، فَاعْتَزَمَ أَنْ يَظْفَرَ بِتِلْكَ الْقِطْعَةِ أَيْضًا. انْقَضَّ الْكَلْبُ عَلَى الصُّورَةِ فِي الْمَاءِ، وَلَكِنْ مَا إِنْ فَتَحَ فَمَهُ حَتَّى هَوَتْ قِطْعَةُ اللَّحْمِ وَسَقَطَتْ فِي الْمَاءِ، وَلَمْ يَعُدْ لَهَا أَثَرٌ.

احْذَرْ أَنْ تَفْقِدَ الْجَوْهَرَ بِأَنْ تَتَشَبَّثَ بِالظِّلِّ».

الْمُرَبِّيَةُ وَالذِّئْبُ

قَالَتِ الْمُرَبِّيَةُ الْعَجُوزُ لِلطِّفْلِ الْجَالِسِ فِي حِجْرِهَا: «اهْدَأْ بَعْدُ، إِذَا فَعَلْتَ هَذِهِ الْجَلَبَةَ مَرَّةً ثَانِيَةً فَسَوْفَ أُلْقِي بِكَ إِلَى الذِّئْبِ». وَتَصَادَفَ أَنَّ ذِئْبًا كَانَ يَمُرُّ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهُمَا تَحْتَ النَّافِذَةِ فِيمَا هِيَ تَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ، فَرَبَضَ بِجَانِبِ الْمَنْزِلِ وَانْتَظَرَ مُحَدِّثًا نَفْسَهُ: «إِنَّنِي مَحْظُوظٌ هَذَا الْيَوْمَ، مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ سَيَصِيحُ حَالًا، ذَاكَ طَبَقٌ أَلَذُّ لَمْ أَتَنَاوَلْهُ مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ». انْتَظَرَ الذِّئْبُ وَانْتَظَرَ، إِلَى أَنْ بَدَأَ الطِّفْلُ أَخِيرًا فِي الصِّيَاحِ، فَأَقْبَلَ الذِّئْبُ أَمَامَ النَّافِذَةِ وَرَنَا إِلَى الْمُرَبِّيَةِ وَهُوَ يَهُزُّ ذَيْلَهُ فِي حُبُورٍ . فَمَا كَانَ مِنَ الْمُرَبِّيَةِ إِلَّا أَنْ صَكَّتِ النَّافِذَةَ وَاسْتَغَاثَتْ، فَهَبَّ كِلَابُ الْمَنْزِلِ مُلَبِّينَ. قَالَ الذِّئْبُ وَهُوَ يَجِدُّ فِي الْفِرَارِ: «آهٍ! وُعُودُ الْأَعَادِي إِلَى نُكْثٍ».

الْإِوَزَّةُ ذَاتُ الْبَيْضِ الذَّهَبِيِّ

ذَاتَ يَوْمٍ فِيمَا كَانَ رَجُلٌ قَرَوِيٌّ يَتَفَقَّدُ عُشَّ إِوَزَّتِهِ وَجَدَ بِهِ بَيْضَةً صَفْرَاءَ بَرَّاقَةً مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. وَعِنْدَمَا الْتَقَطَهَا كَانَتْ ثَقِيلَةً كَالرَّصَاصِ. كَادَ الرَّجُلُ يُلْقِي بِالْبَيْضَةِ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهَا خُدْعَةٌ نَالَهُ بِهَا أَحَدُ الْعَابِثِينَ، غَيْرَ أَنَّهُ بَعْدَ إِعَادَةِ النَّظَرِ قَرَّرَ أَنْ يَأْخُذَهَا مَعَهُ إِلَى الْبَيْتِ. وَهُنَاكَ اكْتَشَفَ مِنْ فَوْرِهِ أَنَّهَا بَيْضَةٌ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ، فَفَرِحَ وَابْتَهَجَ، وَفِي كُلِّ صَبَاحٍ كَانَ يَحْدُثُ الشَّيْءُ نَفْسُهُ. وَسُرْعَانَ مَا أَصْبَحَ الرَّجُلُ غَنِيًّا مِنْ بَيْعِ بَيْضِهِ الذَّهَبِيِّ.

إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا صَارَ غَنِيًّا صَارَ طَمَّاعًا. وَإِذْ فَكَّرَ أَنْ يَحْصُلَ مَرَّةً وَاحِدَةً عَلَى كُلِّ مَا بِوُسْعِ الْإِوَزَّةِ أَنْ تُعْطِيَهُ مِنَ الْبَيْضِ الذَّهَبِيِّ، فَقَدْ ذَبَحَ الْإِوَزَّةَ وَبَقَرَهَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئًا.

يُوشِكُ الْجَشِعُ أَنْ يَطَالَ نَفْسَهُ

هِرَقْلُ وَسَائِقُ الْعَرَبَةِ

ذَاتَ يَوْمٍ كَانَ سَائِقُ عَرَبَةٍ يَنْقِلُ حُمُولَةً ثَقِيلَةً عَبْرَ طَرِيقٍ مُوحِلٍ جِدًّا، إِلَى أَنْ بَلَغَ جُزْءًا مِنَ الطَّرِيقِ غَاصَتْ فِيهِ عَجَلَاتُ الْعَرَبَةِ حَتَّى نِصْفِهَا فِي الْوَحْلِ، وَكُلَّمَا زَادَتِ الْأَحْصِنَةُ فِي شَدِّ الْعَرَبَةِ زَادَتِ الْعَجَلَاتُ غَوْصًا إِلَى أَسْفَلَ؛ وَلِذَا أَلْقَى سَائِقُ الْعَرَبَةِ سَوْطَهُ وَرَكَعَ عَلَى الْأَرْضِ مُبْتَهِلًا إِلَى «هِرَقْلَ

الْقَوِيِّ». قَالَ الرَّجُلُ: «أَيْ هِرَقْلُ، أَعِنِّي فِي كُرْبَتِي هَذِهِ«. وَلَكِنْ هُنَا ظَهَرَ هِرَقْلُ وَقَالَ: «وَيْحَكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ! لَا تَنْبَطِحْ عِنْدَكَ. انْهَضْ وَخُذِ الْعَجَلَةَ إِلَى كَتِفِكَ«.

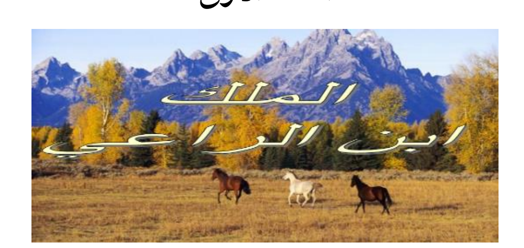
»إِنَّمَا الْآلِهَةُ فِي عَوْنِ مَنْ هُمْ فِي عَوْنِ أَنْفُسِهِمْ«.

الْأَسَدُ وَالتِّمْثَالُ

كَانَ رَجُلٌ وَأَسَدٌ يَخْتَصِمَانِ أَيُّهُمَا أَقْوَى بِصِفَةٍ عَامَّةٍ: الْبَشَرُ أَمِ الْأُسُودُ. ذَهَبَ الرَّجُلُ إِلَى أَنَّهُ هُوَ وَرِفَاقَهُ الْبَشَرَ أَقْوَى مِنَ الْأُسُودِ؛ لِأَنَّهُمْ يَحْظَوْنَ١ بِنَصِيبٍ أَوْفَرَ مِنَ الذَّكَاءِ. صَاحَ الرَّجُلُ: «تَعَالَ الْآنَ مَعِي، وَسَوْفَ أُثْبِتُ لَكَ حَالًا أَنِّي عَلَى حَقٍّ.» فَأَخَذَهُ إِلَى الْحَدَائِقِ الْعَامَّةِ وَأَرَاهُ تِمْثَالَ هِرَقْلَ وَهُوَ يَقْهَرُ الْأَسَدَ وَيَفْسَخُ فَمَهُ شِقَّيْنِ. قَالَ الْأَسَدُ: «كُلُّ ذَلِكَ جَمِيلٌ جِدًّا، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ دَلِيلًا عَلَى شَيْءٍ؛ لِأَنَّ الَّذِي صَنَعَ التِّمْثَالَ هُوَ وَاحِدٌ مِنَ الْبَشَرِ.» «بِمَيْسُورِنَا دَائِمًا أَنْ نُصَوِّرَ الْأَشْيَاءَ كَمَا نَتَمَنَّى لَهَا أَنْ تَكُونَ.»

قصص وحكايات الفوارس

الحلقة الأولى



الملك مطر

فُتح باب القصر للأمير طل ، ولما دخل من الباب أخذ أحد الخدم الجواد للاصطبل بعد أن نزل الأمير عنه ، وكان يبدو للحرس والخدم والناظر أن الأمير شديد الغضب ، وفي حالة غضب وثورة ، وكان خادم آخر أعلم سيد القصر بمجيء الأمير طل لمقابلته ، فالتقى الرجلان في منتصف الدرب ، فرحب سيد القصر بزائره قائلا : أهلا بابن أختي الأمير طل .. يا مرحبا بكم مالي أراك غاضبا ؟!

قال الأمير بصوت ثائر : يا خال أريد رؤية الأميرة سيرة حالا .

هتف المنادى بالخال الأمير الشيخ : ويحك! تريد الكلام معها في مثل هذه الأيام .. ألا ترى كل هذه العيون ؟!

"نعم ، عندي كلام خاص بيني وبين الأميرة .. أرجو أن تسمح لي بذلك "

احتار الأمير الشيخ بالجواب ، ثم حسم تردده فالتفت لأحد الخدم الذين بين يديه " خذ سيدك للأميرة سيرة ، لابد أنها تحت إحدى الخمائل "، ولوح بيده إلى أحد الأماكن في حدائق القصر ، ثم استدار داخلا للقصر ، وقد كانت حليلته ترقب القوم عند الباب الداخلي ، فلما سار بجوارها وقد أحمر وجهه ضيقا فقالت بصوت واهن " ماذا يريد الأمير طل ؟!"

"يريد لقاء الأميرة سيرة .. وهو يعلم حق العلم أن الملك شقيقه خاطبني بشأنها .. وأنا أعلم أن بينهما بعض اللطف ؛ ولكنها لم تفكر به كزوج ..

وأنا اليوم أرى النار تحت الرماد يا أم العماد"
قالت بوجل وقلق "منذ هلك الملك همام الرعاد ، والبلاد تشهد صراعا يثور ويكمن .. ربنا يستر"
" نعم ، ربنا يستر يا أم العماد ، فالملك ساخط جدا على شقيقه طل ، ويزعم أنه يراسل ملوكا لخلعه أو اغتياله ؛ ولذلك يريد أن يستفزه بالزواج من ابنتنا سيرة .. وأنا لا أستطيع رفض طلب الملك مطر .. "
"وهو في الحق خير لها ، وخير للبلاد والعباد من الأمير طل "
تنهد عميقا وقال: " إنهم أولاد أختي وأبناء الملك الهالك ابن العم "
فلما وصلا للكراسي الموجودة في البهو الكبير جلسا وقال الأمير الشيخ : الملك مطر يعلم هوى الأمير بالأميرة سيرة ، قلت له إن أختها كاملة جميلة .. قال "أريد سيرة حليلة لي " وكأنه أدرك مغزى الإشارة لأختها فقلت " سأفكر أنا وزوجي والبنت ".. فتذكرت حينئذ أن لا أولاد ذكور لي فدمعت العيون .. وتذكرت مهلكهم جميعهم .
همست : البركة يا سيدي في أبنائهم .
ـ ولكنهم صغار يا أم العماد .. من أمس وأنا أفكر بالحديث مع سيرة برغبة الملك .. وها هو الشقيق الأصغر جاء ليتحدث معها في نفس الأمر ، فقد كان راغبا بالزواج منها أيام حياة أبيه الملك الرعاد ، فقلت له حدث أباك برغبتك ، " فقال يا خالي النفس تهواها ، ولكنها هي مترددة غير متحمسة لي" ، فلزمت الصمت .. لو حدث هذا الزواج في عهد الملك الرعاد ، لما حدث هذا الصراع على البنت .
فقالت الأميرة: كان ابن أختك هذا هواه مع سيرة ابنتنا ، وعقله مع ابنة الوزير بدر الزمان.. الوزير سيوصله لتخت الملك والعرش.. وها هو أخوه مطر سبقه إليها وتزوجها قبل وفاة الملك بأيام .. ووصل مطر للتاج بمشاورة الوزير والقادة.
رحبت الأميرة سيرة بالفارس طل ابن عمتها ، وشقيق الملك مطر ، فطلب منها صرف شقيقتها الصغرى والجواري ، فانصرفت الأميرة كاملة للقصر أو خميلة أخرى تصحبها خادمتها ، وابتعدت كذلك جواري سيرة بحيث يرينها ، ولا يسمعن حديثهما ، فلما عاد الصمت للمكان وقد كان الأميران يتبادلان النظر فقالت الأميرة : نعم ، ماذا يريد الأمير ؟!
قال بحدة واضحة في صوته : الملك يريدك زوجة .. هكذا كلم أباك ليلة أمس .. أقال لك خالي الأمير شيئا ؟
هزت رأسها بالنفي ، ثم أكدته بالقول : لم نجتمع بعد.. ولكني عرفت من الجواري والخدم .

ـ أنا أريدك يا سيرة حليلة دون أخي الملك .

تنهدت الأميرة الشابة وقالت : والملك !

ـ سأعترف له بحبي لك .

ـ وهل يصدق ؟! فقد رفضت عرض أبي وشاع ذلك .. وتطلعت إلى الأميرة بدر قبل وفاة أبيك الملك .

ـ كنت أفكر فيها كزواج مصلحة يا سيرة .. أنت تعلمين أنني أحبك وميلي لك

ـ لا أنكر هذا الميل .. ملت لي قديما .. ولم تر الزواج مني ذا فائدة لك .. وهمسك به دفع الكثير من الشبان للابتعاد عن طلب يدي.. وضعتني على الاحتياط .. أرجو أن لا تنسى هذا .

ـ تريدون الزواج من الملك ؟ .. فأنت تريدين أن تكوني ندا لابنة الوزير الأميرة بدر !

ـ لم أتخذ قرارا ، ولم يخطبني الملك لاتخذ القرار أيها الأمير .

قال بحزم وشدة : لن أقبل الكلام هذا.. أنت لي شئت أم أبيت .. صحيح أنني ترددت في الزواج منك .. كانت عيني على التاج قبل النساء .. كنت أريد أن أكون أنا الملك .. ارفضي ستكونين ملكة معي .

ـ اسمع إذا طلبني الملك كما تقول ، لا أستطيع أنا ولا أبي الرفض ، وأنت تعلم هذا .. فالرفض معناه إهانة للملك .. والإهانة مصيرها السجن أو الموت .

ـ مهما يكن من تخوف لديك ، ولو قلت لا سينتهي الأمر .

ـ بل سيغضب ، وأنت أعلم الخلق بغضب الملك وقد خبرته، ولولا شفاعة القادة لك لربما أنت اليوم تحت الثرى يا طل .

ـ أنت لي يا سيرة .. لا أريد أن أخسر كل شيء .. فإذا تزوجت الملك مطرا ، وصرت ملكا ، ستكونين خادمة لنساء الملك طل .. سأسترقك ولا أقبل شفاعة أحد فيك أبدا.

ـ أهذا هو الحب الذي تزعمه لي ؟! استرقاق

ـ هذا ما عندي .. ولسوف أصير ملكا رغم أنف الجميع .. لن تطول .. به الحياة .. لقد اتخذته عدوا .. إنني اكرهه ، وأحقد عليه الحقد كله .. سيموت أحدنا .. سلمي على خالي

ـ أنا أعرف عظم حقدك يا أمير طل منذ عهد بعيد .. تأكد أن الأمر كله بيد أخيك الملك وبيدك لا بيدي ويد أبي ، تحدث مع شقيقك.. هل يستطيع أبي الشيخ أن يرفض طلب الملك وهو خال الملك؟! .. وهل يصدق الملك أنني أرفضه ؟! فإذا كنت محبا لي كما تزعم دافع عن حبك أمام الملك ليس أمامي.. عندما كلمك خالك في شأني قلت تمهل يا خال نحن مقدمون على أيام عصيبة .. كنت أنت وأخاك تتنافسون أو تتصارعون على

التاج حتى مات الملك الرعاد دون أن يختار أحدكما لاعتلاء عرش المدينة .

ـ أبوك لم يكن معه سلطة لأستقوي به في معركة العرش .. أبوك ضعيف .. ومعركتنا لم يكن فيها محل للجبناء .. فيها قتال وموت

ـ أبي فارس عظيم ! ولكنه كبير في السن .. كان خالك من سادة الفرسان في المدينة

ـ كان ، ولكنه اليوم شيخ هرم ربما لا يثبت على الجواد .

ـ وهو ابن عم الملك الرعاد .. أنت تحملنا فوق طاقتنا يا أمير طل .. تصالح مع أخيك .. تفاهموا على إدارة المدينة..

ـ لا داعي للنصائح .. أحببتك يا سيرة.. ولنتزوج قريبا ، ولو خفية ، كوني معي ، وستكونين ملكة

ـ ماذا أفعل؟! إذا رفضته ، سيهدر دمك الملك ودمنا جميعنا

ـ لديّ من الفرسان الكثير.. ووقت خلع الملك لم يحن بعد ، وإنما هو قريب .

نودي في المدينة خطبة الملك مطر للأميرة سيرة بنت غزال ، وأخذت المدينة تتزين وتستعد لهذا الزواج ، وغضب الوزير من فعلة الملك ، وطلب الإعفاء من الوزارة احتجاجا على هذا النكاح المفاجئ له ولابنته ، والملك لم يشاوره في هذه الزيجة ، وأظهر الملك عدم اهتمامه بهذا الضغط من قبل الوزير فخاطبه بقوله: هل الزواج على ابنة الوزير حرام ؟

قال الوزير بضيق بين : ليس حرام يا مولاي الملك .. وإنما زواج الملوك ليس كزواج السوقة .. ابنتي لم تلد بعد حتى تتزوج عليها .. يظهر أنك نسيت الجهد الذي بذلناه ؛ لتكون ملك المدينة والعباد دون أخيك طل .

قال الملك متصنعا الصبر: أنا لا أنكر أن زواجي من الأميرة بدر الزمان دفعك لتقف في صفي لأكون ملكا ، ثم لتصير ابنتك ملكة عندما تلد الذكر .. ولكن لها أكثر من سنة في قصرنا ولم تلد .. وأنت تعلم أيها الوزير أن ملكي سيبقيك وزيرا كما كنت لأبي الملك .. فالأمير طل يكرهك ، ويكره كل قبيلتك ، فمن مصلحتك قبل مصلحتي أن أكون ملكا .. إياك أن تنكر هذا .. لست غرا أيها الوزير .. وإذا كنت ترهب أن تلد الأميرة سيرة قبل ابنتك ولي العهد .. فهذا أمره إلى الله تعالى .. وليس ضرورة أن يكون البكر وليا للعهد .. فكر أيها الوزير ، ولا تتعجل بترك الوزارة .. فالكثير يشتهيها .

ـ ولماذا اخترت سيرة بنت غزال دون بنات الأمراء

..ألأنه عدو لي ولأسرتي ؟!

ـ لم أنظر هكذا يا وزيرنا .. أنا اخترتها لأنني لا أريدها لطل فقط

فكر الوزير قليلا وسأل: ولماذا كل هذه العداوة لطل ألأنه نافسك على اعتلاء سدة الحكم ؟!

اغتصب الملك بسمة سطحية ورد : هذا أحد الأسباب .. والأهم أنا لي هوى في ابنة خالي .

ـ ولماذا لم تنكحها في حياة أبيك؟! لأنك لن تصل للتاج لو تزوجت منها.. فتزوجت ابنة الوزير بهلوز لتصل للتاج .. دعني أقر لك بالذكاء والفطنة يا ملك مطر .. ولكنك تجهل قوة أخيك وحقده .

ـ لا يجب عليّ أن أنسى حقده وحسده وبغضه لي .. فهو يعتبرني الابن المدلل لأبي .. وأعلم أيها الوزير أن أبي الرعاد اكتشف تآمره على حياته قبل سنوات

تظاهر الوزير بالدهشة وهتف : أكان يريد اغتيال الملك الكبير ؟!

ـ أجل أيها الوزير، وإن لم يشهر الأمر .. واعتبر فعله عارا كبيرا.. ونفاه بضع سنين .. ولولا توسلات أمي الملكة لما سمح له بالعودة للمدينة .

ـ كنت أظن أن ذلك تبريرا من الملك لنفيه .

ـ لقد كانت المحاولة الغادرة حقيقية .. وقتل فيها اثنان من الحرس المتآمر واعدموا في إحدى الغابات .. أراد أبي الملك كتم الأمر عن الجميع .. فهذا أول مرة يحدث أن يتآمر ابن على أبيه في تاريخ أسرتنا .. وأخي حي يرزق تستطيع أن تسأله عن صحة ما أخبرتك به الآن .. فكر جيدا بأمر وزارتك .. فالطامعون فيها كثيرون

ـ لا أريدها يا مولاي! كبرت سني ووهن عظمي .. ومكثت فيها طويلا .

هجرة الوزير

قد مضت أيام ثلاث ولم يصعد الوزير بهلوز ديوان الملك ، فحنق عليه السلطان مطر ، وأعلن خاله غزالا وزيرا للبلاد ، فضاقت وغضبت ابنة الوزير الأميرة بدر لعزل أبيها ، وطلبت الانفصال فلبى الملك رغبتها سريعا ، وسرع بزواجه من الأميرة سيرة ، وكان ذلك في ظروف غاضبة عاصفة .. وأثناء الاحتفال بالزواج خرج خفية من المدينة الأمير طل حانقا غاضبا ، وتضايق الملك من هروبه ولام الرجال الذين وضعهم لمنعه من الهرب بحجة حمايته .. ولكن الأمير لما أعلنت الخطبة في المدينة رتب مع أعوانه أمر الاختفاء ، فلما تيقن للملك هرب شقيقه من المدينة أمر بمصادرة أمواله وقصره وبيع خدمه وعبيده ، ثم جاء الخبر الصاعق باختفاء الوزير المعتزل بهلوز وابنته وسائر أسرته .. واضطربت المدينة مما دفع الملك لإجراء تغييرات في القادة والعرفاء والحراسات ، وساد شعور بأن البلاد مقبلة على صراع داخلي بين

العباد .. فهم يعلمون أن للوزير قبيلة وأعوانا ، وأن لأخيه أيضا مناصرين وأعوانا .. فوزيره المعتزل قضى جل سنوات عمره وزيرا فهو قد ورث الوزارة عن أبيه .

ولكن الملك مع الوقت نسي المخاطر المحدقة بعرشه ، وكان يقضي أكثر وقته ـ بعدما أعاد ترتيب الأجناد والحرس والولاءات ـ بين قصر النساء حيث زوجته سيرة ، وبين وديان الصيد في أطراف المدينة ، واعتمد كثيرا على وزيره غزال وقائد الجيش الفهر في حكم وإدارة المدينة .

ولدت سيرة في السنة الأولى من زواجها مولودا ذكرا ، سعد به الملك والأصدقاء وسماه ضرغاما وخلال أسابيع من بعد الولادة توجت الأميرة ملكة على المدينة ؛ لأنها أنجبت الولد الذكر للملك .. وزاد حب الملك لها ، واتخذت مكانا في ديوان الحكم .. وهي قد ارتفع حبها للملك بعد ولادتها لولي العهد .. وأخذت تظهر بديوان وقصر الحكم أكثر من الملك لغرامه الثاني بالصيد في الصيف والشتاء .. وقد اختلطت بقادة وأمراء الحكم ، ووجد القوم أن الملكة قديرة على إدارة الأمور وفهم الناس .. كان مطرا سعيدا بما يسمع عن رجاحة عقلها وحبها للناس والأمة ، وإنها أعطته بفضل الله وريثا للعرش وامتدادا لعمره وحكمه .

قد اعتادت الملكة سيرة قبل زواجها أن تخرج لأطراف المدينة حيث المراعي الكثيرة والخصبة والممتدة ، حتى أن الرعاة من المدن المجاورة يترددون عليها في موسم الصيف والخريف.. فقد كانت تذهب لتلك المراعي صيفا وشتاء .. وكانت تذهب بصحبة جواريها ، فينصبن له عريشا تجلس بها وقتا يسيرا ، ثم تقفل عادة لقصر والدها قبل الغروب أو معه .. وخلال ترددها لتلك الجبال والغابات الخصبة كانت تلتقي برعاة من مدن أخرى ، تتسامر معهم وتعرف أخبار ملوكهم ومدنهم .. وتهديهم الطعام والفواكه ..وأحبها الرعاة للطفها وسماحها لهم بالجلوس معها .. وكان راع اسمه جدي من أفضل أصدقائها الرعاة ، وهو شاب دون الثلاثين ، وكان يفرح ويسر بقدومها ومصادفتها ، ويقدم لها وصحبتها اللبن وأحيانا اللحم المشوي .. ، ويُكن لها الاحترام والشكر والحب ويتكلم عنها بكل تقدير وإعجاب .. وهو راع لمدينة تبعد مسيرة يومين عن بلاد الملكة سيرة .. ولم يكن بين المدينة التي يعمل لأهلها راعيا ، ومدينة الملك مطر صراع وقتال ليخشى على نفسه وأغنام الناس الذين يرعى لهم .

ذكرنا صداقة الأميرة سيرة للراعي جدي لأهمية هذه الصداقة فيما بعد في سياق هذه الرواية .

وذكرنا أن الملك مطرا استقر له التاج ، واختفى الوزير بهلوز الذي ساعده في أن يكون ملكا دون

أخيه لأن الملك الرعاد لم يعين خليفة له ، ولا وليا للعهد ، وقد تزوج مطر ابنة الوزير لتحقيق هذا المأرب .. وذكرنا اختفاء طل غاضبا حاقدا على شقيقه ، وكل من ساعده للبقاء ملكا وسيدا للمدينة الكبيرة ..

عاد الملك مطر لصيده وقنصه لما غمر الهدوء البلاد .. ولما توجت سيرة ملكة أصبحت هي التي تدير أمور المملكة برفقة والدها وقائد الجيش الفهر .. واستمرت حركة التجارة من المدينة وإلى خارجها دون عوائق.. ونعم الناس بفترة راحة وسكون .. وكانت رحلات صيد الملك تقصر وتطول ، فأحيانا يخرجون لأماكن الصيد مع الفجر ويعودون مع هبوط الليل .. وتارة يبتعدون في صيدهم يوما كاملا أو أكثر ، ويصحبه في الصيد البعيد خواصه وأصدقاؤه قبل اعتلاء العرش ، ويصحبهم الطهاة والخدم والجواري للتسري .. فقد كان ساريا بين الأمراء التسري بالجواري ، ولا ترى فيه الأميرات والملكات غضاضة من قدرهنّ عند أزواجهنّ وأهليهنّ .. وكانوا يتجنبون ولادتهنّ .. فهم يأنفون أن يلدن لهم بنين وبنات ويستعرون من ذلك .

وكانوا يصحبهم في الرحلات الطويلة سوى فريق الصيد والكلاب المغنيات من الجواري ؛ ليقضوا سهرات ممتعة بعد عودتهم من مطاردة الظباء والوحوش في البراري والغابات .. ولقد كان من الأماكن المفضلة لصيد الملك غدير يسمى غدير الدم ، زعموا أنه سمي بذلك الاسم لمقتل عدد كثير من الناس عنده قبل عشرات السنين .. وهو يبعد عن بلاد الملك مطر مسيرة أربعة أيام .. فكان الملك يطيب له الصيد عنده قبل تملكه العرش ؛ لأنه محاط بغابات من جهة وصحراء قاحلة من جهة أخرى .. والغدير الغزيز بالماء بينهما .. وكانت الوحوش تزور مكان الغدير للشرب والاستراحة في ظلال أشجاره ومسيل مائه .

قضى الملك والحاشية عشرة أيام في تلك الأرض ، فصادوا وطاردوا وأكلوا وسمعوا الشعر والغناء ، واتفقوا على العودة خلال يومين أو ثلاثة .. فقد كان المكان جميلا وشهيا .

وكان في وسط الخيام والمعسكر الصغير خيمة كبيرة للسهر والسمر وأكل الشواء .. وقبل العودة والقفول سمع صوت نباح الكلاب بشدة ، واستمر النباح عاليا دون رؤية وحوش تقترب من الغدير .. وتحدث أحد الأمراء : أيعقل أن الصيد علم بموعد رحيلنا واقتربوا من الغدير لتهتاج الكلاب الصيادة ؟!

فقال آخر مجيبا أو مبررا : قد يكون صيادون يقتربون من المكان ، وهم زاحفون نحو الغدير ، فالكثير من أمراء وسادة الصيد يحبون هذا الغدير

.. وهل هؤلاء أصدقاء أم أعداء ؟

فقال الملك : أو لا يعرف هؤلاء أننا نخيم هنا ؟!.. فلنا أكثر من عشر ليالي نرتع بخلينا وكلابنا هنا .

فقال أحدهم : أنبعث طلائع أيها الملك ؟

فرد آخر : لم يبق إلا ساعات ، ونغادر المكان أيها السادة .. اقترب الفجر .. ألا تنامون ؟

ـ سوف ننام ، والكلاب لا تريد النوم ، ويزداد نباحها ..

ـ هل نوقظ المغنيات لإكمال السهرة حتى الفجر ؟

فقال الملك : لا داعي لذلك فقد تعبن أول الليل ..وإن قد يخففن عنا من نباح هذه الكلاب فليعد شاعرنا ينشد لنا أشعار الفوارس العرب

استدعي الشاعر من خيمته من جديد ، واخبروه برغبة الملك .. فعاد ينشد أشعارا لفارس الجاهلية عنتر بن شداد ، وعمرو بن كلثوم التغلبي ودريد بن الصمة .. حتى غلب القوم النوم فانسل الشاعر إلى خيمته .. ونام الملك في خيمة السمر والطرب .

ولما هجم الفجر أحاطت بمعسكر الملك جنود إحدى المدن ، وقتلوا الكلاب والحراس ، وهجموا على المعسكر يفتكون بكل شخص وجدوه فيه .. ولم ينجُ من المذبحة سوى بضع جوار كن خرجن لقضاء الحاجة بعيدا عن المعسكر .. فلما سمعن الصياح والصراخ وصهيل الخيل أدركن أن خطرا داهم المعسكر فرعبن واختبئن حيث هنّ ، وشاهدن آثار المأساة القاتلة.. ولما أشرقت الشمس انسحب المهاجمون ، وقد استولوا على أموال المعسكر من خيل ودواب وسلاح ولما اختفوا تسللت الجواري للمعسكر المهدم .. ورأين بعض الجرحى يلفظون أنفاسهم الأخيرة ، ولم يستطعن تقديم شيء لهم .. ولما وصلن لخيمة الملك وجدنه مضرجا بدمه ، وقد قطع رأسه هو ومن معه في الخيمة الملكية .



إخفاء الأمير

وصلت رسالة من الأمير الهارب طل للوزير غزال يخطره فيها باغتيال الملك مطر وكل من كان معه في غدير الدم ، وأنه زاحف للبلاد لاستلام كرسي الحكم سلما أو حربا ، وعليهم الخضوع حقنا لمزيد من الدماء والقتلى .

صعق الوزير للخبر ، وأرسل الخطاب لقائد الجند الفهر ، فاسترجع القائد واستعاذ من الفتن وأرسل حملة إلى غدير الدم ، ولجلب الجثث خاصة جثة الملك

ولما علمت الملكة سيرة بالجريمة المرعبة أغمي عليها لهول الخبر ، ولما أفاقت من شدة الصدمة

واستوعبت الكارثة أمرت خدمها بتجهيز جوادها ، وزعمت لهم أنها ذاهبة لقصر الحكم .. وخرجت من القصر ، وقد صحبت خفية طفلها الصغير الذي لم يبلغ سنتين .. ولم تذهب لديوان الحكم مباشرة إنما مشت نحو المراعي حتى وصلت إلى الراعي جدي وحسب خطة بينتها له.. فكلفته بأخذ الطفل ابنها ورعايته والمحافظة عليه والزعم أمام الناس بأنه ابنه .. وعليه أن يتزوج في إحدى القرى ويدعي للخلق أنه ترمل ، وتركت له الميتة ابنا ، فهو بحاجة للزواج .. ودفعت له صرة من المال والذهب ، ورسالة كتبتها لابنها إذا كبر .. ولما استوعب الشاب الراعي القضية .. تعهد لها بفعل ما طلبت منه ، وأن يرعى ابنها حق الرعاية ويفعل ما فصلته له ، وأقسم لها على ذلك ، وغادر المكان على أن لا يعود إليه قبل أن يشب الطفل .. وألا يكشف أمره للناس إلا عند موته وعند قدرة الطفل على تحمل المسؤولية .. وظلت تراقبه حتى غادر المكان بالطفل والأغنام .

ولما اختفى الراعي جدي قالت وهي تعود أدراجها " سلمت أمري لله .. حفظك الله يا ولدي يشهد ربي أنني لم أتخل عنك إنما حياتك في خطر شديد أنا أعرف الناس بعمك الخائن الغادر "

دخلت الديوان وجلست مع الأمراء والسادة ، تتقبل تعازيهم ومواساتهم ، وهم يعتقدون أنها أقبلت من قصرها بعد أن هدأت نفسها ، ودار الحديث حول رسالة التهديد المرسلة من طل .

أحضرت الجثث بعد أيام ، ووصلت معها الجواري الناجيات ، وتحدثن عن فظاعة الحادثة والجريمة الغادرة ، وإن جنود إحدى المدن هم الذين قاموا بالغدر بمعسكر صيد الملك مطر في آخر الليل .. وصدمت الملكة والأمراء بالجريمة من جديد .. وارتفع البكاء بين النساء والرجال وزاد التوتر والاضطراب والسخط ، واشتد الغضب على الأمير طل .. وتعهد عدد من الفرسان بقتله والانتهاء منه .. وأعلن استمرار الحداد.. وصمم الأمير الفهر على القتال حتى الانتقام والثأر للأمراء وعلى رأسهم الملك البطل مطر .

دفن الملك في مشهد حزين باك حيث دفن آباؤه وأجداده ، وأخذ قائد الحرب يستعد لملاقاة الأمير طل ومنعه من الاستيلاء على كرسي الحكم .

وورد لهم خطاب آخر يخبرهم فيه أنه أصبح على طرف البلاد بجيش عرمرم يقوده (الملك شجاع) وعليهم الاستماع لصوت العقل أو الحرب .

فقال قائد الجيش الفهر : علينا أن ننصب ابن الملك ملكا للبلاد .

فقال غزال : إنه وليد رضيع أيها القائد !

ـ أعلم هذا ، ننصبه ملكا ليلتف الناس حوله ،

ونشكل مجلس حكم نائبا عنه لإدارة المعركة .. لأننا لو وضعنا سيدا من غير أبناء الملوك قد يفترق الناس عنا ويضعف حماسهم لتحمل تبعات الحرب والدماء .. والملك كما تعلمون لم ينجب إلا من الملكة سيرة ابنهم ضرغام .. وملكنا الرعاد لم يترك لنا إلا الملك المقتول مطر والأمير طل ..

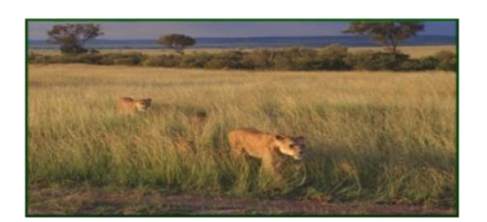
فاقترح أحدهم تنصيب عم الملك مطر الأمير "سباق".. ولما احضروه للمشورة اعتذر بكبر سنه ، وعدم رغبته بهذا المنصب .. وبعد تشاور جديد رأوا الأخذ بكلام قائد الحرب الأمير فهر ولما ذهبوا لقصر النساء علموا أن الأمير قد اختفى منذ أيام .. وأنهم يشكون بأن إحدى الجواري الخاضعات للأمير طل هربت به .. وبحثوا عنه دون فائدة .. واستغرب غزال ذلك ، وتحدث مع الملكة سيرة عن صمتها بالإخبار عن اختفاء وليدها .. فقالت بغموض : لما نقل لي خادمك خبر الفاجعة أغمي علي لساعات ، ولما أفقت جئت للديوان ، ولما عدت أخبرت باختفاء الأمير فبكيت كما تبكي النساء على فقد ابنها .. ووجدت جارية قد اختفت

ـ لم يفعلها إلا طل حتى يسلم له العرش .. عوضك الله خيرا .. مصيبتك بالملك أصعب من ضرغام .

وشاع الخبر أن الأمير طل وراء الخطف للأمير بمساعدة الجارية المختفية .. وأنه الآن في عداد الموتى .. وشاع أيضا أن الملكة سيرة أخفته في مكان سري خشية على حياته .. كثرت الإشاعات لأن الجارية التي أشيع هربها به .. قتلت في حادثة غدير الدم.. ولم يهتم الأمراء بقضية اختفاء ضرغام لهول مصيبة مصرع الملك ، وانشغالهم بالحرب القادمة .. وبعد تفكير جديد ألزموا الوزير غزالا خال الملك وابن عم الملك الرعاد ملكا على البلاد لحين انتهاء القتال والانتقام .

وأخذت الرسل تتردد بين الأمير القاتل ، وقادة المدينة ، وجرت بينهم معارك لم تحسم الأمر لأحد الفريقين.. ثم استعان طل مرة أخرى بجيش أحد المدن لمؤازرته مقابل أموال سيدفعها لهم بعد النصر .. واستطاع بمساعدتها السيطرة على البلاد وأن يعلن نفسه ملكا بالقوة والغصب وقد اضطر سادة المدينة التفاوض والاستسلام وطلب الأمان من الملك الحليف شجاع .. لعجزهم عن الدفاع عن مدينتهم أمام تكالب الخصوم .. وكانت المفاجأة لأهل المدينة عودة الوزير الهارب بهلوز وابنته بدر للمدينة متحالفين مع الملك طل .. ثم إشهار زواجهم بعد أيام من استلامهم الحكم .. وعادت سيرة لبيت والدها ، وقد حصلت مثل سادة المدينة الآخرين على الأمان من الملك شجاع .. وتفاجأ الملك طل بضياع ابن أخيه يوم مصرع أبيه أو بعده

بأيام وأنه المتهم بخطفه ، لم يعر القضية اهتماما كثيرا ، وبعد وقت يسير نسي الطفل المفقود.



الراعي جدي

تربع الأمير طل ملكا على البلاد بعد تحالفه مع الملك شجاع ، وقد حالفه الوزير بهلوز ، وتزوج الملك من ابنته التي طلقها أخوه المقتول .

انزوى الوزير غزال في قصره مع ابنته سيرة وكاملة التي كانت تزوجت من أحد الأمراء بعد زواج الملك من شقيقتها ، وأحفاده من أبنائه الذي ماتوا قبل أحداث هذه السيرة ، .. نتركهم يعيشون حياتهم ونتحرك إلى الطفل الرضيع ضرغام والراعي جدي .. وابتعد كثيرا عن مدينة الملكة سيرة .. ووصل أطراف إحدى المدن ، واتصل ببعض الرعيان الذين يعرفهم في أيامه الماضية ، وأخبرهم أنه ترمل، وتركت له زوجته رضيعا ، فيسعى للنكاح من أخرى من أجل ابنه الرضيع .. فتطوع أحد الرعاة إلى إرشاده إلى رجل فقير الحال ، لديه صبايا يصلحن للزواج وساقه إلى تلك القرية التي يعرفها ، ورحب بهم الفلاح الفقير ، ولما فهم الغاية من مجيئهم إليه ازداد سرورا بهم ، وقد أشفق على الطفل الذي ماتت أمه ، وتحمس لتزويج إحدى كريماته للراعي جدي ، وعرض الرجل المزارع الأمر على بناته ، فقبلت به فتاة اسمها " جديلة " .. وتزوجها على سنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .. وتقبلت جديلة الطفل بصدر رحب وحنان فياض.

وتركها الراعي بعد حين لرد الأغنام لأصحابها ؛ ليعود للبقاء معها في تلك القرية .. وكان له عدد من الأغنام تجمعت له خلال سنوات الرعي ، فتركها عندها وعند والدها وأشقائها حتى يعيد الأغنام لأهلها .. فغاب أشهرا وهو يفرقها على أصحابها .. ولما رجع عاد بقطيع منها ، وهبه إياه أصحاب تلك الأغنام الذين اثنوا على أمانته وحسن خدمته لإنعامهم.. ولما دخل القرية وجد امرأته قد وضعت له طفلا ، فغمرته السعادة ، فسماه محسنا ، فهو قد أصبح والدا حقيقيا .. واشتغل بالزراعة ورعي غنيماته .. ومع الوقت أصبح من أهل القرية .. وولدت له جديلة طفلة سماها سيرة على عجب من زوجته وأهل القرية ، فهذا اسم غير شائع في قريتهم والقرى التي حولها .. فظنوا أنه اسم لأمه أو قريبة له .. وظنت زوجته أنه اسم أم الطفل وليد ولما بلغ الطفل خمس سنوات تعلق بحب الخيل .. وركوبها .. فعجب جدي لهذه المحبة ، واشترى له فلوا صغيرا من أحد رجال القرية الذين لهم عناية بالخيل .. ففرح به

وليد ومحسن ، وهجروا اللعب على الحمار الصغير .. وكان وليد محبا لأخويه حبا كبيرا رغم صغره ..



فلما رأى الجدي حب الولدين للفروسية أرسلها للمدينة للتدرب في مدارس الفرسان .. فتكفل بهما المدرب نهمان بن زولان ، وهو من أهالي القرية قبل الرحيل للمدينة والعمل مع جند الملك فلما كبر سنه ففتح مدرسة لتدريب الفرسان .

وأخذ يربيهم ويدربهم مع فتيان المدرسة .. فتعلما ركوب الخيل بشكل جيد ومقبول بالنسبة لسنهما الصغيرة.. وعلمهم قبض السيف والرمح واللعب بهما .. وقضى ولدا جدي أربع سنوات في التردد على المدينة في التعليم والتدريب حتى بلغا خمسة عشر عاما.. فعادا للقرية للاستقرار الدائم ، وأصبح لكل واحد منهم جواد .. فكانا يقضيان يومهما في المسابقة على الجواد واللعب بالسيف والطعن بالرمح ، واشتد عودهما وعضلاتهما .. وأحبا الصيد في أطراف القرية كسائر الفرسان الذين يعشقون الصيد ومطاردة الطير والوحش .. وأثناء وجودهما في المدينة تعلما بعض الكتابة والقراءة .. ولما بلغ جدي الخمسين سنة بقليل ، ووليد عشرين سنة .. شعر بأن الوقت قد دنا لاطلاع وليد على سر مولده .. فتشاور مع زوجته جديلة وكشف لها السر الخطير ، فدهشت الفتاة لهذا السر الخطير ، وعجبت أن ربت ابن ملك في حضنها وبيتها .. وبعد هذه الاعتراف الخطير بسنة مات الراعي جدي ، وحزن عليه القوم ، وذرفت جديلة الدمع على بعلها الذي قضت بصحبته أكثر من عشرين سنة .

أخبر وليد زوجة أبيه جديلة أن والدها يحثه على الزواج ، وقد كرر ذلك مرات فقالت له : وأنت أراغب بالنكاح ؟

فقال : إني حائر يا أمي ! لا أدري لماذا يضيق صدري عند ذكر الزواج ؟! ولا أجد تعليلا لذلك ! مع أن ذلك مهوى الشباب والفتيان من قبل هذا السن .

قالت : أحب يا ولدي أن أراك زوجا ؛ ولكن والدك كان يحمل لك سرا كبيرا.. هل تستطيع يا ولدي أن تحمله أم أنساه ؟

ـ لم أفهم يا أمي ؟!

ـ حملني زوجي قبل موته سرا وحملا ثقيلا لك ..أتحب أن تسمعه أم تصبر لحين آخر ؟

ـ شغلتني قلبي وفؤادي يا أماه !

ـ حسنا ، يا ولدي يبدو أن الوقت حان لأكشفه لك .. لتجري حياتك بما تختار ويقدر لك .. غدا

سأخرج معك للمرعى لنتكلم في الخلاء .. كن في المرعى وسألحق بك بالزاد ..

ـ الخطب كبير يا أماه !

ـ نعم ، بل كبير جدا .. أمانة تركها في عنقي زوجي جدي .. كن رجلا يا وليد .. فأنت اليوم أهل لتحمل الأخطار والأعباء.. وبعد معرفة السر العظيم المحيط بك تفكر بالزواج بقوة .. أريد أن يكون كلامنا في الفضاء الطلق .. سأرسل محسنا



للمدينة غدا .. وسألقاك حيث تحب الرعي .. فمولدك يحمل خبرا هائلا .

نظر في وجه أمه قلقا وهمس : سر مولدي .. وهل لمولدي سر يا أماه ؟

ـ أجل ، غدا ستعرف المخفي يا ولدي .. اذهب ونم .. قبل رجوع محسن وسيرة من بيت خالهما اذهب ستبدأ حياتك منذ سماع السر .

غادرت جديلة منام الأمير الذي يجهل أنه أمير وابن ملك ، مشت لحجرتها ، وهي مشغولة في الخطر الذي يخيم على ولدها وليد الذي احتضنه صغيرا ، واهتمت به وربته على أنه ابن لزوجها وفجأة وجدت نفسها قد ربت أميرا وابن ملك

مات غدرا وغيلة .. فقال لها والدها الذي يعيش بجوارها .. وينام في بيتها بعد ترمله : أكنتم تتحدثون عن الزواج ؟

ـ مسكين ولدي وليد !.. أمامه حمل ثقيل يا أبتاه ؟

ـ مسكين كيف مسكين ؟!

ـ قريبا ستعلم لماذا هو مسكين؟ .. حدثني أنك ترغبه بالنكاح من بنات القرية

ـ ذكرت له ابنة شقيقك جمل .. فهي فتاة أهل للزواج والحمل .

ـ حمامة ؟ كنت أفكر بتزويجها لمحسن يا أبي فقد حدثتني أمها بذلك .. ومحسن يرفض الزواج قبل أخيه الأكبر .. غدا سيكون تغيير في مجرى حياة وليد .. وربما حياتنا كذلك يا أبي!

ـ أنت تخفين سرا خطيرا ؟

ـ أجل يا أبي .

أرسلت جديلة ابنها محسنا للمدينة ليبيع السمن والجبن واللبن لأهل المدينة ، ويبتاع لهم بعض المواد ، وهذا كان أمرا معتادا بين الحين والآخر .. وأحيانا يمر عليهم تجار لشراء هذه المواد .. وعند الظهيرة أخذت جديلة صرة طعام إلى المرعى الذي يرعى به وليد ومحسن عادة .. وهو قريب من أرض تملكها جدي ليزرعها بالحبوب والأشجار .. ووجدت وليدا متكئا عند شجرة وحوله أغنامهم .. رأته وهو ينظر في عنان السماء .. فلما اقتربت منه

سلمت عليه ، وجلست قربه وفتحت له الصرة ، ودعته ليأكل طعامه وقالت : كل قبل سماع الكلام أخذ بالأكل ما أحضرت له زوج أبيه ، وهو صامت ، وكان متشوقا لمعرفة سر مولده والكلام الغامض الذي باحت به أم محسن ليلة أمس .. أكل بعض الطعام وتوقف عن الباقي ، وشرب ماء ، وأغلق صرة الأكل وقال : النار تشتعل في قلبي يا أمي !

ـ اعلم يا ولدي الحبيب .. أن زوجي جدي ليس بأبيك .

ـ أدركت ذلك ليلة أمس .. من يكون أبي ؟!

ـ أبوك يا وليد ملك عظيم ! مات مقتولا وغدرا .. فاضطرت أمك التي لا أدري أهي حية ترزق أم ميتة تحت الثرى ؟!.. أن تدفعك للراعي جدي ، ويزعم أمام الناس أن أمك ماتت وأنه ترمل.. وجاء قريتنا بهذه الصفة وهذه الحكاية .. وتزوجني وأنت ابن سنة وشهور .. وصدقنا أنك ابن الراعي .. وعشت بيننا على أنك ابن الراعي من امرأة هلكت ، وقبل أن يموت بسنة اخبرني أنك ابن الملك مطر ملك مدينة (همام الرعاد) وأن أمك ملكة تلك البلاد اسمها الملكة

سيرة ، ومن أجل ذلك سمى شقيقتك على اسم أمك الملكة .

بعد صمت قد طال بينهما قال: أعلمت من قتل أبي ؟

ـ عمك.. عمك قتل أباك ، وصار ملكا على البلاد والعباد كما أخبر أبوك بالرعاية جدي ، وظل مولدك خفيا لأنك الابن الوحيد للملك مطر .

وقصت عليه قصة غدير الدم كما أخبرها بها جدي ، وكما سمعها من الملكة سيرة .. وسمعها فيما بعد من الرعاة والركبان .

ـ عمي القاتل !

ـ نعم ، عمك غدر بأبيك .. فلما علمت أمك بالخبر خشيت على حياتك ، وكلفت جديا الذي كانت تعرفه راعيا قرب بلادكم بتربيتك والاعتناء بك حتى تبلغ مبلغ الرجال وتختار ما يناسبك .. وكان جدي لا يرغب لك بالزواج حتى تعرف نسبك وأن الأمراء ينكحون الأميرات وبنات الملوك .. فهذا الذي كان لا يشجعنا على تزويجك من بنات القرية في حياة أبيك الراعي ، وبعدما حملني الأمانة والعهد

أخذ الشاب يد أمه وقبلها بامتنان وقال: أنا مدين لك ولأبي جدي .. كنت وأنا صغيرا ألمح في عينيي أبي جدي كلاما يكاد أن يهم بنطقه ثم يقف.. وأرى حزنا .. كنت أعجب منه وأقول لنفسي .. لما الحزن في عينيي أبي عندما يرقبني .. رحم الله والدي جديا ..

ـ تركت أمك لك مالا ورسالة .. وشجعك جدي

على الفروسية ، وحببها إليك على قدر الإمكان حتى لا يلفت إليك الأنظار ..

ـ رحمه الله .. عليّ الآن البحث عن أمي ..

ـ أخبرني والدك أنه لم يسمع أنها ماتت .. ولم يسع إلى لقائها لأنها هي طلبت منه ذلك .. وإنها عندما تريدك ستبحث عنها .. وذلك إذا زال الخطر

ـ سأجد أمي بإذن الله تعالى

ـ أو أن تبقى معنا حتى تجدك أمك ..

ـ لا يا أماه ! .. لا تهمني الحياة بعد اليوم .. عليّ أن أجد أمي وأنتقم لدم قتيل غدير الدم .. هل بقي ذلك العم على قيد الحياة لليوم ؟

ـ لا أعرف ، أخبر والدك أن صراعا عنيفا جرى على كرسي الحكم

ـ عليّ بالرسالة ..

ـ نعم يا ولدي.. وأعلم أنك كنت تسمى بالأمير ضرغام عند أمك

ـ أمير ضرغام .. سوف أكون ضراغما يا أماه! .. حانت ساعة الثأر لدم غدير الدم .. وليبق ضراغما مخفيا .. أنت أرضعتيني يا أماه ..

ـ قليلا ، رضعت من لبن الشاة ، عندما جاء بك جدي كنت رضيعا من أمك الملكة .. لأنني لم أكن ولدت بعد ، والرضاعة تأتي مع الولادة .. لكن مع ولادة محسن كنت أسمح لك بمص الحليب في بعض الأحيان .. أختي سهيلة أرضعتك مرات عندما جئت إلينا رضيعا .

كتاب الملكة سيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي قرة عين أمك

إذا عشت لتقرأ هذا الخطاب فاصفح وأعفو عن أمك

كان لابد يا ولدي أن أتخلى عنك لتحيا ، وأخفيك عن الخطر المحدق بحياتك ، ولا تفعل الأم ذلك إلا مكرهة مضطرة .. فحياتك هامة بعد مجيء خبر مقتل أبيك غدرا في غدير الدم .

بعدما أفقت من صدمة تلقي الخبر أدركت أن حياتك في خطر ، لن يبقي عمك عليّك حيا ..

فتذكرت صاحبي الراعي جديا ، وأنه خير من يحفظ حياتك في هذا الحين .. فقد عرفته قبل زواجي من أبيك عندما كنت أذهب للتنزه حيث المراعي القريبة من مدينتنا ، وكان شابا شهما طيبا وشجاعا.

فعندما ذهب الخدم لإعداد جوادي لأذهب إلى ديوان الحكم حيث إني ملكة للبلاد .. كتبت لك هذه الرسالة .. ووضعت بعض الجواهر والمال في جراب .. وأخذتك خفية عن أعين أهل القصر تحت عباءتي السوداء الفضفاضة.. وذهبت بك للمراعي .. وحمدت الله أن وجدت جديا ما زال هنالك ، لم يغادر المراعي بعد.. فكلفته بمهمة

رعايتك بالخطة التي تفتق ذهني عنها .. وأن يزعم أمام الخلق أنك ابن له ماتت أمه ، وتركتك عنده حتى لا يفتش أحد عن الحقيقة .. لأن عمك سيعمل على قتلك ، ما دام قتل أباك ويطمع بعرش المدينة .. وهو ليس من رعاة بلادنا ليشك فيه ، ويؤتمن على ابن الملك الميت ظلما .. ولما تكبر وتعرف حقيقة مولدك عليك أن تسعى لمعرفة الحقائق ، وتسعى لأن تكون ملكا .. لأني أرى أن عمك بمعاونة الخونة سيكون ملكا للمدينة الحائرة .. وعليك بالثأر من قتلة غدير الدم .. فإذا كنت باسلا ومحبا لوالدك فلا تنس دمه .. الثأر .. الثأر .. أنت صاحب العرش حقا .. عمك مغتصب .. فإذا وجدته حيا عندما تبلغ مبلغ الفرسان فأنت الملك الحقيقي لنا .. عليك أن تكون ملكا .. كما كان أبوك ملكا وجدك ملكا .. أمك المحبة لك ولحياتك .. عسى أن نلتقي يا ولدي إذا مد لنا في العمر .. قد فرق بيننا عمك المجرم القاتل الغادر اللئيم .. قتل أباك وهو نائم في الصيد .. قتله كما يقتل الجبناء خصومهم .

بكى وذرف الدمع خلال القراءة وبعد القراءة وقال " أرجو أن يبقى الأمر سرا يا أماه .. سأخبر أخي محسنا فحسب حتى يعرف سبب فراقي لكم ، ولا يتشتت ذهنه .. فنحن أخوة يا أماه .. سأنتقم يا أمي لك ولأبي "

اطلع محسن على النبأ بدهشة ومفاجأة وقرأ الرسالة واحتضن أخاه وقال " سنبقى أخوة يا أخي الأكبر وأنا شريكك في الانتقام ، ولن أتخلى عنك حتى تحقق ثأرك أيها الفارس الشجاع

ـ لا أعرف كيف سيكون انتقامي يا أخي الشجاع ؟ .. وأحب أن تبقى عند أمك وجدك حتى ارجع من زيارة تلك البلاد .. لقد فكرت بشيء لأنظر تلك البلاد .. سأجعل من نفسي راعيا صغيرا كما فعل أبي جدي ـ رحمه الله ـ والدك العزيز البطل الشجاع .. فهو عندما قبل حضانتي كان شجاعا ، وكانت حياته على كف عفريت لو تسرب خبر ولو كان كذبا لصرعوه

فقال الجد الذي أيضا كان ذاهلا من حقيقة وليد : دم الملوك يسري في دمك يا ضرغام .. كانت نشأتك لا توحي بأنك ابن راع .. سبحان الله ! .. الانتقام يا ولدي يحتاج لذكاء .. كنت عندما أحدث والدك بعد عودتك من المدينة ، وقد نلت حظا من الكتابة والفروسية قائلا حان موعد زواجه يا جدي .. فيبتسم ويجيب " ليتني أستطيع ذلك ، أمامه شأن كبير " .. اليوم فهمت هذا الشأن الانتقام .. فكرة الرعي قرب بلادكم فكرة بريئة فعليك بها .. والزم الحذر فأنت لم تخبر الحياة والقتال .

أقسم محسن على مرافقته في حياته ، الحياة معا أو

الموت معا .. فباركت الأم شهامة ونخوة ابنها وقالت " هذا قدرنا .. فاقبل صداقة محسن يا وليد يا ابني "

عاد وليد يقبل أمه وقال: " هذه تضحية كبيرة يا أماه "

ـ توكل على الباري في علاه

ـ اكتموا الأمر .. إنما نحن أبناء جدي ذهبنا في مهمة رعي لمناطق أبعد .

بعد عشرة أيام من المسير بمائة رأس من الغنم وصلا أطراف المدينة .. وحيث المكان الذي عرفا أن جديا كان يرعى فيه وضعا رحالهما .. فكان واديا خصبا وجبالا مليئة بالغابات الخضراء .. وعيون المياه متوفرة في المكان .. وعدد كثير من الرعيان والغنم والإبل والثيران يعمرون فيه .. كانت المراعي عامرة .. وخلال



أيام قضياها في الودي أصبحا على معرفة بالمكان والرعيان أو عدد منهم .. بل وجدا راعيا يعرف أباهم الراعي جديا منذ أكثر من عشرين سنة .. وما زال يذكره .

سعد الراعي الشيخ بأولاد الراعي جدي ، وترحم على صديقه الذي عرفه واتخذه رفيقا وأخا في هذه المراعي الشاسعة قال: عدت لديرتي لقضاء موسم الصيف والشتاء معهم .. ولما عدت علمت من الإخوة الرعيان أن جديا عاد لقريته .. ثم سمعنا أنه تزوج ، وسكن بلدة حليلته ، وهجر الرعي خارج البلدة .. وها أنا اليوم أسعد بريح صديقنا جدي رحمه الله .

وشرع الرجل يتحدث عن تلك الذكريات والأيام بحنين ولهف وقال : هذه السنوات مضت كأنها يوم واحد ، لقد كان والدكم من أعز الإخوة والرفاق في هذه المراعي الشاسعة .. كنا أحيانا نقضي الربيع والصيف والخريف قبل أن نرتد لأصحاب الأغنام .. ومرات نقضي موسمين كاملين الصيف والشتاء هنا .. رحم الله الأخ جدي .. البركة فيكم اليوم .. لكن أغنامكم قليلة ذكرتم أنها لكم ، لا تعملون عند أحد .. وأنا تعودت على الترحال بين الوديان والمراعي حتى استقر بهذا المرعى الكبير.. رحم الله الجدي.. ما شاء الله كان أجدع مني وأشجع وغامر بالزواج وها هو أنجب شابين .. حاولت الزواج أكثر من مرة ، والنساء لما يعلمن أني راع رحال يعتذرن عن الزواج ..هل حدثكم عن الراعي جندوب ؟

قال محسن : حدثنا عن هذه المراعي وخصبها وكثرة خيراتها ومائها .. ولم يحدثنا عن أسماء ، ربما لصغرنا يا عم جندوب .. مرحبا بك يا عمنا الوفي

فقال وليد : علمنا من أبي ـ رحمه الله ـ أنه كان محبوبا من أميرة مدينتها قرب هذه المراعي .
ضحك الراعي جندوب ملء شدقيه وقال فرحا: أذكر تلك الأميرة .. كانت صغيرة تتردد على المراعي كثيرا لترى الأنعام التي تملأ هذا الوادي .. فهي كانت فعلا رفيقة بجدي وتعطف عليه وعلى غيره من الرعيان ؛ ولكنه كان المقدم عندها .. إذن حدثكم عنها الراعي جدي .
خفقت قلوب الشباب وتابع جندوب الكلام : هي صارت ملكة قبل زمن بعيد .. وظلت تتردد على المراعي هذه .. وتجلس معنا ، وتأكل طعامنا ، وتهدينا المال والثياب .. ولكن لما عدت آخر مرة ولم أجد والدكم هنا .. علمت من الرعيان .. أن الملكة ترملت لقتل شقيق الملك زوجها أخاه ، وجلس على تخت الحكم مكانه .. ثم ضعفت جولاتها لهذه المراعي ، فربما شاهدتها بضع مرات خلال هذه السنوات الطويلة .. الدنيا تتغير يا أولاد .. ربما تأتي المرعى هنا ، واعرفها بكم وتحظون برؤيتها كما حظينا نحن بهذا الشرف الكريم .
ـ ألم تسألكم عن والدي لما بدأت تتردد عليكم ما دام والدي كان رفيقا لها ؟
ـ اسمها الأميرة سيرة بنت غزال .. الحق أنها كانت كلما تزور المرعى تسأل عنه .. خاصة عندما تلتقي بي .. فتقول أين أراضي صاحبك جدي يا جندوب ؟ قد كنت أقرب الناس إليه من بين الرعيان .. فأقول لا أدري يا مولاتي نحن أصدقاء وأخوة هنا ، فكل واحد منا يتبع لمدينة ، وأصحاب وملاك هذه الغنم من مدن مختلفة.. ولما سمعت بزواج جدي بعد حين وصدف وسألتني هذا السؤال أخبرتها بما سمعته .. فقالت : إذا علمت في أي البلاد استقر فاخبرني ؟ ولسوف أكرمك فهو صديق عزيز عندي .
فقال محسن : أتتردد هذه الأميرة هذه الأيام هنا ؟
ـ قليلا ، ربما تمر السنة أو السنتان ولا تأتي ، وحتى عندما أتغيب عن المكان .. يقول الرعيان لم تحضر ، فوجودها في المرعى خبر مهم يتناقله الرعيان .. علمت أنها ترتاد سهل العوف حيث الغزلان والظباء للصيد مع زوجها .. وسهل العوف هو مرعى خاص لأهل المدينة مدينة الرعاد كما يغلب عليها هذا الاسم ، ويجري فيه سباقات للخيل .. إنها أميرة طيبة وتتواضع للحديث مع الرعيان .. ورأيتها بعد ترملها من الملك مطر ، فكانت دائما حزينة ؛ ولكنها تحب الهواء الطلق والمراعي ورؤية آلاف الأغنام والإبل .. لان رعاة الإبل يأتون بكثرة في بعض المواسم ..
قال وليد : وسهل العوف أين يقع ؟
قال جندوب الراعي : بعد هذه المسافة وتلك

التلال ـ وأشار بيده جهة المدينة ـ يأتي واد يسيل في الشتاء والمطر ، ويجف في الصيف .. يبدأ سهل العوف حتى أطراف المدينة مدينة الملكة سيرة بنت غزال .

قال محسن : شوقتنا لرؤية هذه الأميرة الشجاعة يا عم جندوب .

اللقاء

استشف الشابان من مجمل كلام العم جندوب سعي الأميرة الخفي لمعرفة مصير ابنها ضرغام ، وأدركا أن الخطر ما زال محدقا به ؛ لأنها تبحث عنه باستحياء وخوف ، وقضوا ثلاثة أشهر في وادي الظباء وجبال فيلان ، ولم تظهر الأميرة سيرة في الوادي ..

فقال وليد لمحسن: أعتقد أن القوم هنا اعتبرونا رعاة مثلهم ، بعد قضاء هذه المدة بين ظهرانيهم.. ولننزل المدينة أمامهم لشراء بعض الثياب لأخذها للأهل عند العودة إلى قريتنا .. ونتعرف على المدينة ونسأل عن تلك الأم

ـ نعم الحيلة ، وسنترك غنمنا لدى جندوب .

ـ الرعيان بدأوا بالرحيل كما رأينا لأن الشتاء اقترب على هذا المكان .. فإذا العم جندوب يرغب في البقاء والانتظار نترافق يا آخي الشجاع .

ـ قدمي على قدمك أيها الشجاع .. أوصتني أمي أن لا أفارقك.. نحيا معا ونموت معا

ـ أنا ممتن لأمك العظيمة .

لما تشاورا مع جندوب قال: على الرحب والسعة .. ومن الجميل أن تهبطا المدينة والتعرف عليها وشراء الهدايا والهبات فهي مدينة كبيرة .. وأنا لا أغادر المكان حتى يدخل الشتاء الغزير.. ولكن احذروا الإطالة فيها فالفتن كثيرة.. كما يحدث رعيانها ، والرعيان الذين مثلنا يزورنها لشراء الهبات لأهليهم .

فقال وليد : لم نفهم ما تعني بالفتن ؟!

ـ علمنا من رعاة المدينة أن الفتن والقتال بين القبائل والناس كثيرة خاصة بعد مقتل الملك مطر زوج الملكة التي كانت صاحبتنا أنا ووالدكم جدي .. نشبت حرب أثر مقتله .. ثم هاجمت جنود من مدن أخرى المدينة وعاد الأمير طل .. شقيق الملك المقتول حاكما عليها ، وكان ذلك بعد صراع بين أنصار الأخوين .. ولكن الصغير تمكن من الكبير وقتله عند غدير الدم .. وكان الوزير بهلوز قد تحالف مع الأمير الصغير ، وكافأه الملك الجديد بالعودة للوزارة والزواج من ابنته التي اسمها بدر .. ولما استقر الملك الجديد على تخت البلاد هجر الأميرة ؛ لأنها لم تلد له الابن الذكر ، وأخبر الرعاة أيضا بهمس بينهم أن الملك طل اغتال والدها بالسم حتى لا يثور وينقلب عليه كما انقلب على شقيقه ؛ لأن الوزير بهلوز شارك في

التآمر على الملك مطر لأنه طلق ابنته بدر .. وحاولت الأميرة بدر النيل من الملك ، ولم ينجح مسعاها ، وكشف أمرها وحبسها في قصر مهجور ، ثم هربت منه واختفت ، ولليوم لم يعرف أحد أين اختفت ؟ .. وبعضهم يقول همسا "إنها قتلت واختفت جثتها" .. وبعضهم يقول: "لما هربت من القصر المهجور أكلتها الوحوش في تلك الصحراء الجرداء من البشر ".

ـ أكمل أيها الراعي الخبير ..

تبسم الشيخ وأجاب: عندما يجلس الرعاة في الليل كما نجلس الآن أيها الشبان ليس لنا سوى نقل القصص والحكايات ، وأهمها أخبار الأمراء والأميرات .. وكل من عنده خبر وحكاية يرويها .. كان الملك شجاع الملك الذي ساعد الملك طل في اغتيال شقيقه الملك والاستيلاء على حكم هذه المدينة يأخذ الجزية والمال من الملك طل .. فبعد سنوات ضجر طل الملك من دفع الجزية المضروبة عليه .. فغضب عليه الملك شجاع وعزله ، وسمعنا من الرعاة أنه سجنه في سجن ، ولا أحد يدري أين هذا السجن؟ .. بعضهم يقول في المدينة هذه وآخرون في بلاده .. وعين الملك حاكما من مدينته يجمع له أموال المدينة ..

فقال وليد بحنق : وهل الملك الظالم هذا حيا لليوم ؟

ـ لم ينقل لنا موته .. ولما اعتلى هذا الشجاع عرش بلاده ولج إليه طل وبهلوز وطمعوا في عونه للقضاء على الملك مطر .. فوافق كما قلت لكم مقابل مال يدفع له ، ولما تقاصر ملك المدينة عن الدفع .. غزى المدينة وأخذ طل .. وقادته .. ولما تحركت بعض القبائل ضد حاكمه .. أخرجهم من المدينة .. والمدينة اليوم مستسلمة لقدرها ومصيرها فلم نسمع أن أحدا طالب بالعرش ؛ لأنه بعد ذهاب طل ، لم يبق وريث لهذا العرش ..لأنه انقطع نسل الملك الرعاد ..

ـ كيف ؟

قال جندوب مسرورا لأنه وجد من يصغي لحكايته باهتمام : تحبون سماع أخبار هذه المدينة .. الملك الرعاد لم يخلف إلا ولدين ، هما الملك مطر والملك طل .. ومات فجأة بدون تعيين خليفة له .. فصار صراع بين الأخوين ، ورجحت كفة الملك مطر ، فنصب ملكا ، ومات مقتولا بعد زواجه بسنين قليلة ، ولم يكن له ذرية ، قيل إن له ابنا كان عند موته رضيع ، وقيل إنه اختفى ، بعضهم قال قتله عمه طل بعد خطفه ، وبعضهم أشاع أن جارية هربت به بأمر من الملكة أمه ، وقيل إن أمه أخفته .. والله تعالى أعلم

فقال وليد : والملكة سيرة ووالدها ألم يفعلوا شيئا بعد مقتل الملك طل ؟

قال جندوب وهو يتذكر الأحداث : ماذا ستفعل والبلاد قد انقسمت إلى فرق ؟!.. سمعنا أن الملك شجاعا منحهم الأمان ، واعتزل الوزير غزال الحكم في قصره وبساتينه وكذلك فعلت الملكة .. وقد علمنا أنه هلك بعد حين ، والملكة بعد زمن نكحت رجلا من أقاربها ، وابتعدت عن الحكم .

قال محسن : بارك الله فيك يا عم جندوب .. سنأخذ جانب الحذر .. ولا أظن أن يعتدى علينا ونحن بثياب الرعيان هذه .

ـ الأشرار موجودون يا ولدي .. خاصة في المدن .. حفظكم الله .. في زيارتكم هذه ..أرجو أن لا تنسوا أنفسكم في المدينة ..

ـ أبعيدة المدينة ؟

ـ الحمار يحتاج لربع يوم حتى يصل قلبها ..

فقال وليد : أتشتهي شيئا نجلبه لك من المدينة ؟

ـ بعض الحلوى .

ـ أبشر بأفضل حلوى في المدينة

ـ كم يناسبنا من عدد الأيام فيها ؟

ـ حسب همتكم .. ثلاثة أيام

فقال وليد : هل نسعى لمقابلة الملكة سيرة ونذكرها بأبينا جدي ؟

فقال الشيخ : خيرا تفعلون .. هي بشوق ولهفة لسماع أخبار الراعي العزيز جدي رحمه المولى تعالى.

سار الشابان مع الفجر باتجاه المدينة التي ولد فيها وليد قبل ما يزيد عن عشرين سنة ، وكان من عادة الرعيان ارتداء جلد خروف وصوفه أعلى الجسد والظهر فيعلم الرائي له أن هذا راعي .. بعد نصف يوم من السير على الأقدام والمشي الخبب دخلا من أحد أبواب المدينة مع الداخلين والخارجين .. تجولا في شوارع المدينة وبعض أحيائها ، ومشيا في الأسواق بمختلف مسمياتها وأنشطتها .. كأسواق الثياب والحرير .. أسواق الذهب .. أسواق الجلود .. أسواق الخضار والطعام.. أسواق النحاس .. والحديد .. والفخار .. تناولا طعامهما عند مطعم في وسط المدينة وعند الليل سكنا خانا ينزل فيه الغرباء والتجار المسافرون .. ولما رأى المال صاحب الخان رحب بهم وأنزلهم مع عدد من النزلاء .

كانا يفكران بحيلة يعرفان بها قصر ومسكن الأميرة سيرة بنت غزال ، وفي الصباح سألا سيد الخان عن خياط ثياب مشهور ، يخيط الأغنياء والسادة ثيابهم عنده .. وذكروا له أنهم رعاة في وادي الظباء سوف يعودون لبلدانهم، وهم بحاجة لهدايا تستحق الحمل والإهداء .. فدلهما الرجل على سوق الخياطين وأنهم سيجدون هناك بغيتهم دخلوا السوق وبعد حين أرشدهم الناس إلى أهم رجال الخياطة في البلدة ، فدخلوا أحدها فرحب

بهم الخياط ، وذكرا له الغاية من زيارته ، فدلهم على متجر بجواره يبيع القماش .. فاشتريا قطعتين ، وعادا للترزي الذي أخذ مقاسهما ، ووعدهم خلال ثلاثة أيام بإنهاء وإنجاز المهمة .

ولما انتهى القياس والاتفاق ودفعوا المال فقال له وليد : تعرف والدي قبل عشرين سنة على أميرة تسمى سيرة أين قصرها فنرغب بنقل تحية لها ؟

تطلع فيهما الخياط لحين وقال: أميرة تعرف الرعيان قبل عشرين سنة .. سيرة بنت من ؟

ـ سمعنا أن والدها الأمير غزال .

ـ الأمير غزال .. هذا يا سادة كان ملكا للبلاد ولكنه هلك .. أنتم تتحدثون عن ابنته الملكة سيرة تذكرتها .. نعم كانت ملكة شعبية وطيبة .. وتعطف على الناس وتنزل الأسواق ..

ـ كانت زوجة أحد الملوك .

ـ أجل ، أجل الملك المقتول مطر .. رحمه الله .. أتريدون قصرها ؟

ـ نعم ، حدثنا والدي أن زوجها الملك قتله شقيقه .. فكانت تذهب للنزهة عند المراعي الغربية وتعطف على الرعاة ومنهم والدي .. فطلب منا لما علم بسعينا للنزول للمدينة والتعرف على أهلها أن نمر على قصرها لنقل سلامه لها .

ـ الملكة طيبة .. وتعطف على الناس الضعفاء مثلنا .. لقد اشتغلت لها ولخدمها عددا من الثياب نعم ، هي قد تزوجت بعد ترملها

ـ سمعنا هذا أيضا .

ـ جميل فعل والدكم نحوها ، ووصيته لكم بالسلام عليها .. هي تسكن في قصر يسمى قصر الأسد

ـ قصر الأسد !

ـ نعم ، وهو خارج أبواب المدينة .. هناك قصور للأمراء حيث أملاكهم وبساتينهم ورياضهم وكلها خارج المدينة .. ستذهبون للباب الجنوبي باب العصفور وتخرجون منه ، وبعد مسير أربع خمس ساعات ستجدون قصرا على أسواره عددا من الأسود الحجرية .. فذاك هو قصرها هنا كل أمير أو كبير يتخذ طيرا أو حيوانا يجسم على أسواره .. شعار للعائلة .. واذكروني لها وسترحب بكم ..

ـ يعني من السهل الوصول إليها

ـ نعم ، الأميرة يوميا تستقبل الفقراء والمحتاجين وتوزع عليهم الطعام والتمر والزبيب .. بعد أيام ثلاثة تكون الثياب جاهزة

فشكر الشابان الخياط العجوز ، وانصرفا للغداء وبعد الغداء سينطلقون إلى قصر الأميرة سيرة

قطعا الدرب مشيا على الأقدام ، وخلال بضع ساعات كانا يقفان أمام قصر الأسد الذي يقع ضمن بساتين عديدة وأشجار باسقة.. وأسوار عالية ، وكان القصر ضخما وقديما ، فلما رآهما أحد

الحراس أمام البوابة سألها عن غايتها .. فلما عرف الجواب لم يستغرب من علاقة الأميرة بالرعاة ، فهذا معروف عنها منذ عقود ، ومن أيام حياة والدها الملك والوزير غزال .. فقدم لها الماء ، وقد رأى التعب والجهد عليهما ، وقال لأحد الخدم " قل للأميرة هنا راعيان راغبان بالحديث معهما ، أحدهما اسمه وليد والثاني محسن من رعيان وادي الظباء "

كانت الأميرة تجلس في ديوان البيت مع بعض النساء الزائرات، فهمست جاريتها بأسماء الراعيين الراغبين بلقائها ، فدهشت فهي لم تعرف هذين الاسمين من قبل ، وبعد تفكير سريع أمرت الخادمة أن تقودهم إلى غرفة الطعام التي تستقبل بها الفقراء والمساكين ، وليضع لهم الخدم الطعام والشراب.. فقد كانت في القصر قاعة خاصة بالولائم .. فأمرت الخادمة الرسول بنقلهما لغرفة الطعام .. فساقهما الرسول بعد إدخالهما إلى قاعة الطعام ، وقدم لهم الخدم الطعام رغم أكلهما قبل مجيئهم أخذا بالأكل حتى لا يلفتا الأنظار أنهم قدموا لغاية سرية وخطيرة .. وقدم لهم الخدم الشراب من العصائر والماء فهمس محسن " أمك كريمة يا أخي "

تلفت وليد يمينا ويسارا " احذر من الكلمات الخطيرة ولا تنسى أنها تركتني كل هذا الزمن "

" احذر الإساءة لأمك .. لولا فعلتها الشجاعة والتخلي عن الأمومة ؛ لكنت من الهالكين .. رغم هذه القسوة نحوك كان همها حياتك ، وقد أدركت بسرعة الخطر المحدق بك لا تنسى هذا يا أخي "

" ولما زال الخطر نسيتني "

" لم تنساك .. وما كانت تذهب للمراعي إلا للتحسس عن والدي .. ما يهما بجدي إلا أنت اضبط نفسك أمامها .. قد يكون للحاكم عيون في هذا القصر .. من هؤلاء الخدم "

" أنت تعذرها يا محسن "

" أنا كنت أخشى أن تكون أمك ميتة أو مقتولة .. ولن يعترف بك أميرا أحد من الناس .. فاحمد الله على بقائها .. هل سيعلم الناس أنك أمير وابن ملك إلا من أمك ؟ .. وعليك أن تكتم الخطب حتى لا تتعرض للقتل "

" يجب أن أطالب بعرش آبائي "

" ليس الآن .. لذلك لحظة مناسبة .. وأمك دفعت بك لتطالب بهذا العرش .. وذلك في الزمن المناسب .. وذلك عندما تجتمع بأهلك وأنصار أبيك .. اسمع لأمك لا تتحدث بعاطفة "

" إنك فطن يا محسن وذكي "

" أشكرك .. لا تنسى أن هذه البلاد يحكمها العدو لأسرتك ولأهل المدينة .. فالأمر يحتاج لفطنة وحنكة وتدبير "

" كلامك رائع وشجاع "

" نحن أخوة أيها البطل الشجاع "

اقترب أحد الخدم نحوهما وقال " أتريدون رؤية أم البرق أم أخذتما حاجتكما ؟

قال وليد : من أم البرق ؟!.. نحن جئنا للكلام مع مولاتنا الأميرة سيرة .

ـ ألا تعرفان أم البرق ؟!

قال محسن : نحن رعاة من البلاد المجاورة ، ولسنا من هذه الديار .. نحن أبناء الراعي جدي قل للأميرة هذا ، وستقبل بمقابلتنا .

فعلا نقل الخادم للجارية الخاصة بالأميرة سيرة رسالة الراعيين .. فخفق فؤاد الأميرة وخشيت على نفسها وقالت لنفسها" ولدي!! .. أقدر لي رؤيته أخيرا .. عشرون عاما يا ولدي"

تدثرت بثياب دافئة وعادة تستقبل بها الرجال ، وأمسكت بيدها الخادمة التي قالت " مالك يا سيدتي ؟"

مشيتا نحو قاعة الطعام ، فلما دخلت القاعة وقف الشابان ، واضطرب وليد والمرأة تتقدم

نحوهما ببطء وجهد .. عرفته فور حدقت به وقالت " إنه ابني صورة أبيه يا الهي! لو يخلع ثياب الرعاة لظن من يعرف أباه أن الملك بعث حيا " همست وقد أمرت الخادمة أن تتأخر عنها " ولدي ضرغام "

" أمي الملكة .. أمي الأميرة "

التزمته دقائق معدودة أمام دهشة الخادمة .. ولما ابتعدت عنه ، كان زوجها الأمير يدخل القاعة ورأى الانفعال ودموع زوجته فقال بدهشة " سيرة .. من هذا ؟!"

التفتت إلى زوجها الذي لم تشعر بدخوله ، ومسحت دموعها وهمست بصوت ضعيف" إنه ابن الملك المقتول غدرا أيها الأمير .. ابني يا زويد "

قال زويد بانفعال ولهفة: ابنك المفقود .. تعال يا ولدي لنا سنوات نبحث عنك البلاد تريدك !

ردد وليد : البلاد .

واحتضن زويد الراعي وليدا ، وقبله على خديه ، وهو يقول بصوت هامس : ولدي ولدي مرحبا بك .. أين كنت ؟!

ـ أين كنت ؟!.. كنت عند أبي جدي رحمه الله

صاحت المرأة : مات جدي ؟

ـ نعم ، مات جدي يا أمي .. وهذا ـ وأمسك بيد محسن ـ فلذة كبده وهو يصحبني منذ قرأت رسالتك .

قبلت المرأة الشاب .

زواج ضرغام

بعد تعارف القوم ساقت الملكة سيرة وزوجها الشابين إلى حجرة خاصة ، وأمرت الخادمة التي شاهدت هذا اللقاء الدقيق بمنع أحد إن يقرب إليها ، ولما جلسوا وكررت الملكة تقبيل وحضن ولدها قالت : كلي شوق إليك يا حبيبي ، وكان من الضروري إبعادك عن الخطر والغدر.. واعلم والله يشهد أني فعلت ما فعلت لأن حياتك كانت مهمة لي وللبلد .. فأنت أول ذكر حفيد للملك الرعاد .. هل فصل لك أبوك جدي قصة مصرع أبيك ؟

ـ علمته من أمي أم محسن .. فوالدي جدي مات قبل أن يكشف لي سر مولدي .. ولكن الراعي جندوب حي ، فقص علينا قصة الغدر في غدير الدم ..

قالت بحزن واضح : لم ينجُ من حادثة الغدير إلا ثلاث جوار ، لم يكنّ في الخيام ساعة الغدر .. جرح البعض ولكنهم ماتوا من جراحاتهم .. فكان من الحكمة والإلهام تلك الساعة القاتلة المحافظة على حياتك ..

كان ضرغام يسمع الكلام وينظر بطرف عينه إلى محسن.. تابعت فقالت : أسرعت بجوادي حيث الراعي جدي ، وقصصت الأمر عليه ، وكان شجاعا فقبل المغامرة الخطرة ، ولما اختفى عن ناظري عدت لديوان الحكم ، ثم اكتشفوا بعد يوم أو أكثر اختفائك ، فظنوا أن عمك خطفك ليتخلص من الغد المجهول .. ولما تسلطن عمك ملكا بعد الخيانة ، كان هو أول من سأل عنك ؟ لخنقك والخلاص منك .. ورحم الله العم جدي فقد نصح لك ورعاك .. وتحرى عنك عمك المحبوس اليوم في سجون الذين تحالف معهم .. ولم يجد ثمرة لبحثه .. وضغطوا على الجواري بحثا عنك ، والكل شهد أنك اختفيت فجأة.. وعجبوا كيف تخليت عنك ؟ حتى تيقن لهم أنك ميت .. وستبقى ميتا إلى حين ..

ـ إلى حين ؟

ـ نعم ، أعطانا شجاع الملك الأمان ، وخلعت نفسي عن العرش لعمك الخائن .. فقد غدر بالوزير بهلوز الخائن مثله .. وانتقم من زوجته ابنة بهلوز ، ورماها في سجن صحراوي .. كان كل أسبوع يذهب إليها خدم بطعام لمدة أسبوع ، ولما راحوا في إحدى المرات لأداء المهمة ، وجدوا القصر فارغا ، واختفت الأميرة بدر .. مات والدي بعد حبس عمك بقليل ، وتزوجت من هذا الرجل ـ وأشارت لزوجها الذي ابتسم لضرغام ـ وهو من أقارب والدك الملك وابن خاله ، وولدت له ثلاث بنات وذكرا واحدا سميناه البرق .. وأخذت أتردد على وادي الظباء لعلي أسمع بشيء عن العم جدي ، وبحرص شديد ؛ لأن عيون

الملك شجاع لم تضعف عن أمراء البلد.. ولم حسبت أنك قربت من العشرين بحثت عنك أكثر لكن دون جدوى .. كانت بي لوعة وشوق لرؤيتك خشيت أن أموت قبل أن تكتحل العين برؤيتك يا قرة العين ونسل الملوك الكرام .. كان أبوك شجاعا مقداما في حياة والده وبعده.. والبلاد بحاجة لك اليوم كما سيخبرك الأمير زويد المقداد.. ففي القوم رجال يسعون لتحرير المدينة من الغرباء وإعادة الملك للأسرة ؛ وهم يريدونك .. فقد فكروا بنقل الملك إلى الإناث من سلالة الرعاد .. فلجدك خمس بنات ، وكلهن متزوجات ولودات ، لهن مواليد ذكورا وإناثا .. فكشفت للأمير مقداد قصتك وأنت لابد ما زلت حيا في ذهني .. ففرح للخبر .. وسعوا للوصول إليك دون فائدة .. فقلت لهم إذا كان ولدي حيا سيأتي .. وها أنت أقبلت كالأسد الرئبال ..

واحتضنه وأخذت بتقبيله ، وهي تذرف الدموع وقالت : أنت أمل المدينة اليوم .. وانتظرت هذا اليوم السعيد بشوق كبير.. وسعيدة برؤية محسن معك.. حبيبي يا محسن !

ـ شكرا لك يا مولاتي يا أم ضرغام .. هذا شرف لي أن أتربى مع أبناء الملوك

وقص ضرغام ما يعرفه القارئ عن حياته في تلك القرية ، وعجب لاهتمام والده جدي بتعليمه الفروسية في المدينة ، وتخلفه بكثرة في المدينة خلال فترة التدريب .. وأعادت الملكة الدعاء للراعي جدي الذي نفذ طلبها بكل اهتمام .. ولما ذكر قصة حياته قال : إني اغفر لك يا أمي التخلي عني .

وتابع القول : وصدق أخي محسن عندما التمس لك العديد من الأعذار.. أين إخوتي ؟

فقال زويد مقداد : ستبقى لهم جاهلا إلى حين .. فهم أطفال صغار .. ولو سألهم جواسيس الحاكم شاقور هل رأيتم أخاكم ؟ .. سيقرون بحسن نية .. وستبقى الراعي وليدا حتى أخبر الرجال .. رجالنا الساعون لعودة الملك لأهل المدينة .. فقد اقترب الفرج إن شاء الله .. واعلم أنك الذكر الباقي من سلالة الملك الرعاد .. لذلك اقترح عليك أن تتزوج في تلك القرية .. لتنجب لنا ابنا أو أكثر .. لأنك عندما تظهر ستكون في خطر وخطر شديد .. والحروب ضروس فعندما تلد الولد الذكر يمكنك أن تظهر وتنتقم لأبيك من شاقور ومن شجاع .. يا ضرغام معركتنا كبيرة .. وإذا خسرناك ستكون نهاية المطالبة بالحكم .

قالت سيرة : والدك مقداد يتكلم كلام الحكماء .. أليس هذا صحيحا يا ولدي محسن ؟!

قال محسن : نعم ، إنها أفكار تخرج من فم حكيم .. جيل يسلم لجيل

ضرغام : سأؤخر الانتقام .. وكيف أتزوج ؟

فقال مقداد جذلا : إذن صوبت خطتي .. وإن امتداد الدم الملكي بك لابد منه .. اعلم شوقك وأنت نسل الملوك العظام بالثورة والانتقام .. لكننا نحتاج للصبر .. والتدبير .. والتبصر .



لما استوعب الأمير ضرغام دوره والحاجة إليه قالت أمه: إني احبك يا ولدي .. وإنما مطلوب منك دور كبير ، وقد صبرنا سنينا ، فلنصبر سنينا أخرى قبل أن تأخذ حقك ، وتجلس على عرش أبيك .. ستبقى وليدا لحين من الزمن خشية على حياتك بداية ، ولأن رجال مدينتك يريدونك حيا .

فقال زوج أمه : أنت الأمل أيها الأمير الراعي .. فالرجال والقوم ينتظرونك بفارغ الصبر لأنك البقية الباقية من سلالة الملك الرعاد الأحق بالحكم ، والذي يستطيع المطالبة بعرش البلاد دون منازع .. ستعود أنت والشهم محسن للمراعي .. وبعد أيام سأراكم في المراعي ، وقد يكون معي سيد من سادة المدينة المتحالفين معنا ليتعرف عليك ، ويؤكد للرجال حياتك وأنك ابن الملك مطر.

وقال ضرغام : وهل الزواج ضرورة ؟

ـ هذا مهم لتبقى القضية مستمرة ، ولو مائة سنة يا ولدي .

ـ وقد لا تنجب الزوجة الولد المطلوب .. وقد يموت قبل أن يشب ..

قالت الأم : نعمل بالأسباب والأمر لله وحده

وقال مقداد : نعم ، قد لا تنجب المرأة الولد الذكر .. ما تقول أم الملك ؟

ضحكوا على مداعبة الأمير فقالت الملكة: ما رأيكم بالجواري؟.. أن أهبه جاريتين فيتسرى بهما

فقال مقداد بعد تفكير : لكن نظام الملك لا يقبل اعتلاء أبناء الجواري سدة الحكم

ـ إنها ضرورة يا سيدي الأمير .. وإذا حققنا مرادنا بضرغام لن نحتاج للملك الوريث .. أنا أحب لك نكاح بنات الأمراء والملوك .. وإنما الحال الصعب والظرف لا يسمح لنا بكشف شخصك للأنام .. لأنك ستبقى راعيا أمام الخلق .. عليك أن تتحمل ذلك من أجل قضيتنا بعودة الملك لأهله .. عليك أن تختار مكانا في البوادي بعيدا عن المراعي ، وتبني لك ولصديقك خيمة .. وسيقدم عليكم العم مقداد بسريتين لك ، وثالثة لمحسن ، وتعيشان في البرية حتى يتحقق المراد ويأتي الابن الذكر ..

قال ضرغام : أخشى أن يطول الأمر ، ولا يأتي الذكر يا أماه .. وأنا في رأسي مهمة

قالت بدهشة : مهمة ؟!

ـ نعم ، سأذهب لبلاد الملك شجاع الغادر وأنال

منه وأشفي غليلي .
فقال مقداد : وهل قتله يحرر المدينة وينهي المعركة ؟.. لو كان ذلك يحقق المراد لسعينا إليه .. بل سيزيد الحقد والقتال بيننا .. نحن نريد إعادة سلالتكم للحكم والامتداد إلى



ما يشاء الله .. فنصف أموال البلاد تجمع وترسل للعدو الغاصب .. نحن بحاجة لملك وتدبير عميق ليبقى الملك في الأسرة .. لأن تلاشي أسرتكم يعني تلاشي الحكم .. وإذا أنشأنا جيشا قويا شجاعا نغزو أولئك ، ونأخذ بثأرنا ونسترد أموالنا أيها الباسل ، ونحكم تلك البلاد لحين من الزمن ، ثم نتخلى عنهم بإرادتنا حتى لا يفكروا بالانتقام منا كما انتقمنا منهم ، وتبقى الأمور بيننا سجال .. لأن المدن تقوى وتضعف .. فلولا الانقسام الذي حصل بعد وفاة جدك الرعاد لما غزونا وأذلونا .. لقد دافعنا بقوة عن العرش والملك غزال ، لكنهم تكالبوا علينا وعلى نهب خيراتنا.. وكرسي العرش فرغ قبل وضع الأمير غزال ملكا مؤقتا للقيادة والحرب حتى أن القوم أردوا جعلك ملكا وأنت طفل رضيع ، ووضع أمراء وصاية عليك .. ثم اكتشفنا لحظتها اختفائك الغامض .. فصعق القوم .. لقد كتمت أمك الحقيقة ، وكانت شجاعة وما زالت سيدة قوية .. فلما تزوجنا ، وعلمت حيرة الأسياد في أمر الملك الوارث .. كشفت لي الأمر .. فكدت أطير من السعادة .. وكذلك الإخوان .. عليك بنكاح السريتين .. وبعد ولادتها افعل ما تفكر وتدبر من الانتقام .. سأرافقكم لموقع بناء الخيام ، وعمل الرعي سيخفي ما ندبر ونفكر .
مع شروق الشمس كان وليد ومحسن يسيران نحو المراعي حيث جندوب ، وقد حملا معهم بعض الطعام والفاكهة ، ولما التقوا أخذهما بالعناق ، وسعد بما احضرا له من طعام الأميرة سيرة ، ولما علم أنهما تركا عند الخياط ثيابا وعد بالانتظار أيام آخر فقال : كنت أجهز نفسي للرحيل بمجرد عودتكما .. فقد جاء مرسال من أصحاب الغنم يطلب العودة في أول الشتاء .
فقال ضرغام : لا حرج عليك أيها الوالد العزيز .. ارحل .. فسيذهب أحدنا للخياط .. وشراء بعض الأشياء من المدينة .. ونحن بعد رحيلك سنتحرك جهة بلادنا ونخيم في الطريق بينهما وقضاء الشتاء فيها .
فلما سمع جندوب هذا الكلام شكر الشابين ، وتمنى اللقاء بهما في المواسم القادمة .. واستدعى معاونيه من الرعيان ، وعند آخر النهار تحركت قطعان الشياه التي تزيد عن ألفي رأس ، ومئات من النياق الأصيلة نحو مدينة جندوب .. وفي

العادة يقل عدد الرعاة في وادي الظباء مع قرب حلول الشتاء حتى يقبل موسم الربيع فيبدأون بالتوافد بأغنامهم ومواشيهم ودوابهم .

جاء مقداد ومعه الثياب التي أخاطوها بالمدينة ، وصحبه رجل كبير في السن ، فلما رأى ضرغاما عانقه عناق الغياب والأحباب والتزمه ، ثم عانق محسنا وقال لضرغام : رحم الله الملك مطرا شبه أبيك يا ولدي .. حياك وبياك .. إننا سعداء بحياتك وظهورك .. كلنا في شوق إليك .. كنت كبير القادة في القصر يا ولدي القائد الفهر.. لكن الخصم كان عمك وابن عمنا .. حدثني الفارس زويد المقداد زوج أمك العظيمة البعيدة النظر بما دبروه .. وهو نعم التدبير .. فبقاء نسلكم يعني بقاء المطالبة في العرش المغتصب .. فسيبارك الرجال هذه الخطة والتدبير ، وقد صبرنا سينينا لهذا الوقت .. فسيزداد نشاطنا وهمتنا .. بحثنا عن ذلك الراعي الشجاع في السنوات الأخيرات لنعرف منه أخبارك .. تعسعسنا في القرى التي حولنا دون أثر بارك الله في والدك يا محسن .. وربت على كتفه ، ثم عاد القائد الفهر للمدينة يحشد الشباب والموالين للعرش كبارا وصغارا .

ورافق مقداد الشابين إلى المكان الذي سيكون مخبأهما، ومكان رعيها ، ومكان زواجها .. وقضى معهم أياما ، وهو مكان يبعد مسيرة ثلاثة أيام في القفار والوديان عن وادي الظباء .. وغادر للمدينة وقد تركهم في وجار أبي أشجع .. وقضى ردحا من الزمن يعد العدة بحيطة وحذر .. ولما جهزت الخيام ساق الجواري الأربعة إلى وجار أبي شجاع ، وقد ترك المدينة عند منتصف الليل .. وبعد مسير ومسير وصل للشابين .. ونصب الخيام الأربع .. فخيمتان لضرغام وجاريتيه.. وأعطي محسنا خيمة وجارية يتسرى بها.. والرابعة كانت له وللجارية الخادمة للشابين .. ووعدهم بعد حين بإحضار خادم يقوم على خدمتهم .. وعليهم أن يبقوا متخذين لصفة ومهنة الرعاة ..

وكانت الجواري ممن يحسن العمل والطهو وحلب الغنم .. وعمل الخبز .. وتحقق الجزء الأول من الخطة .. ولم تمض عدة شهور حتى ظهر الحمل على الجواري الثلاث بإذن الملك الوهاب.. وقدم الخادم سهام واستقر في خيمة خامسة .. وكان مقداد يتردد عليهم بين حين وآخر .. بصفة راع من رعيان الملكة سيرة .



رواية اجتماعية

الشقق السوداء

الحلقة الأولى

الكوكب الذهبي

المطاعم والمقاهي والنوادي من علامات الحياة في المدن ، والمساجد منارات سامقة في الأحياء والشوارع والمدن والقرى العربية والإسلامية ، تجتمع كل طائفة أو أهل كل بلد في مقهى معين ويصبح مركزا يلتقون فيه للعب واللهو وتبادل الأخبار خاصة المغتربون ، وأيضا للشغل والعمل وللباحث عن شغل وعمل ، وكذلك نقل الرسائل للبلد الأصلي والأهل ، فترى مغتربين من كل قطر لهم مقهى أو أكثر يترددون عليه .

وكذلك قد تجد شباب وفتيان الأحياء الذين لا يحبون مقاهي الأحياء والحارات يجتمعون في مقاهي خاصة بهم في مركز المدينة ، والمقهى مكان بيع القهوة المادة المعروفة لكل شعوب الأرض اليوم .. وهكذا بدأ المكان كان يبيع القهوة للمارة والناس ، ثم تحول لمكان لهو ولعب الميسر والورق ، وأصبح يبيع الشاي والمثلجات والمشروبات المشروعة قانونا ، والمقاهي العربية عادة ممنوعة من بيع الخمور والكحول بأسمائها الكثيرة ؛ ولكن يسمح للسكارى بالجلوس واللعب فيها.

ومع دخول الراديو المذياع الحياة المدنية أصبح المكان يشد الناس للجلوس فيه ؛ لسماع الراديو من أغاني وموسيقى ، ثم دخل التلفزيون محل الراديو ، ثم جاءت شاشات العرض ومحطات الفضاء.

هذه المقدمة عن المقاهي ؛ لأن الحكاية بدأت في مقهى الكوكب الذهبي في مركز المدينة ، ما هو الكوكب الذهبي ؟! الجواب أنا لا أدري .. نحن نسمع عن الكوكب الأحمر ويقصدون به كوكب المريخ ، الكوكب الرابع من المجموعة الشمسية درب التبانة هكذا علمونا.

والأسماء اخترعت للتمييز بين الأعلام والأشياء.. صاحبنا إدريس اللبن كان من رواد المقهى الذهبي ، كان المقهى يأخذ جزءا كبيرا من مساحة الطابق الثالث ، والأول كله محلات تجارية والثاني مطعم كبير ، المقهى عبارة عن صالة كبيرة ، الغرف مفتوحة على بعضها البعض ؛ لذلك في بعض الأجزاء لا يرى الزبائن بعضهم بعضا ، وموضع التلفزيون في زاوية في وسط المكان تمكن العدد الكبير من رؤية التلفزيون .. إذن هناك حواجز تمنع رؤية بعض الزبائن لبعض ، وفي المقهى شرفات من يجلس فيها يرى وسط المدينة والمشاة والسيارات ، ويغلب على المقهى رواد الجنسيات الإفريقية السودان ليبيا مصر ، ومباريات الرياضة تدفع الزبائن للجلوس قرب الشاشة أكثر من غيرها ، ولا تنسى لعب الشدة والورق .. البلد فيها أيدي عاملة من جنسيات كثيرة لما تتمتع فيه من استقرار اقتصادي وسياسي عن غيرها من منظومة الدول العربية ، وهذا المقهى لا يمتاز

بكثرة الرواد من أهل المدينة الأصليين .. والمقاهي كثيرة في مركز المدينة .

القمار ممنوع في المقاهي ؛ ولكن لاعبو الورق يمارسونه بالحدود الدنيا ؛ كأن يدفع الطرف المهزوم ثمن المشروبات التي طلبت أثناء اللعب .. وهذا يكون بين اللاعبين دون تدخل من إدارة المقهى ودون إشهار هذا ، وهناك ألعاب أخرى تمارس في المقاهي مثل لعب النرد ، ويسمونها لعب الطاولة ، وهناك الشطرنج والدومينو ، وبعضهم لا يلعب يتفرج على كل شيء يعرض على التلفاز ، بعضهم يتفرج على الناس أو يثرثر مع مجموعة خاصة أو مع أي شخص يصدفه ، وبعضهم ينشغل بالتدخين والشاي ، فهنا يباع الشاي والقهوة واليانسون والقرفة والسحلب والمرطبات وعلب التبغ ، ومن جاع فيهبط للطابق الأسفل يتناول المطعومات السريعة والبطيئة والدسمة والخفيفة الدسم .

كان الكهل إدريس اللبن من رواد هذا المكان من سنوات طويلة ، فهو معروف لسيد المقهى والعاملين ، فمالكه عوني أبو نوفل رجل عجوز ورث المقهى عن أبيه ، وتجمع بينه وبين إدريس قرابة ، وأصبح إدريس من زبائن المقهى الدائمين ، وأصبح مقر استراحته ، فعندما يغادر مقر عمله الرسمي قبل التقاعد يتجول في شوارع المدينة ، يتناول الغداء في أحد المطاعم ويصلي العصر في أحد المساجد ، ثم يجلس في المقهى حتى المغرب ؛ وربما يجلس بعض الوقت مع مدير المقهى قريبه ، ثم يذهب للجلوس في إحدى الشرف يراقب الخلق أو يأخذ زاوية يكتب فيها مقالا أو أفكارا أو يتحدث مع أحد الناس يصدفه يتناقشان يتجادلان يعلقان على خبر سياسي اقتصادي سياسي اجتماعي رياضي، ثم يغادر عند المغرب للصلاة في مسجد قريب من المقهى حيث ترى مئذنته من شرفة المقهى ، ويسمى المسجد الكبير سيدي سعيد ، ويصلي المغرب جماعة وبعد الصلاة إما أن يذهب لإدارة الجريدة التي يكتب لها بعض المقالات والتحقيقات كهواية فحسب ، وهي جريدة أسبوعية تصدر كل أسبوع مرة ؛ وربما تحتجب في بعض الأسابيع لأسباب متنوعة على رأسها الضعف المالي ، فيصدر العدد في الأسبوع التالي ؛ ولكنها مستمرة في عملها ، فمالكها يعمل محاميا في الأصل ، ولها سكرتير تحرير وطابع ، ومراسل مكتب يعمل من الصباح حتى العصر ، ومن مهامه التنظيف والشاي والقهوة وإحضار البريد من صندوق البريد الخاص بالصحيفة ، فيذهب إدريس لتسليم ما كتب باليد ويجلس مع المدير وهو قريب له ، وهو الذي رغبه بالكتابة من سنوات وسنوات ، فيشرب معهم الشاي يثرثرون

يقترحون ، ثم يغادره بسيارة أجرة صفراء إلى حي الشاعر حيث يعيش في شقة يملكها.

ولم تحدد البلدية اسما للشاعر تركته على غموضه ، فقد يكون اسم عائلة ، يقول إدريس الذي يعشق الفضول ويحب معرفة كل شيء يقول : لم أعرف نهائيا سبب اطلاق الاسم على الحي حتى قيم المكتبة العامة المهتم بتاريخ المدينة وأحيائها تراثيا وتاريخيا لا يفهم سبب اطلاق حي الشاعر على هذا الحي.

وقال إدريس: رغم عملي بالتحقيقات الأدبية والفكرية ما زلت لا أعرف لماذا سموه بهذا الاسم ولا أعرف أحدا يحمل اسم هذه الأسرة في هذا الحي بالذات .

يقول إدريس : في السنة الأخيرة التي أعيش فيها كان رجل يرتاد المقهى قد أثار فضولي بالحديث معه ، وأثار انعزاله استغرابي وحيرتي ، حاولت فتح خطوط اتصال معه بسرعة ؛ ولكنه رفض بالصمت وعدم التفاعل معي ، عادة أنا أحتك بالزبائن ، ثم أتخلى عنهم .. ويصبح الجلوس معهم لحديث قصير والتحية ، أما هذا الرجل فأبى أي انفتاح وحوار .. يتعرف الإنسان على الأشخاص ثم يختار الاستمرار أم الانسحاب .. هذا الرجل ولا حتى عرفني على اسمه .. يتردد يوميا على المقهى كل مساء ، يحدق بالناس ولا يتعرف عليهم ، ولا يفتح حديثا مع أحد ، لا يجالسه أحد ، لم يستقبل أحدا .. كله غموض حتى سميته الزائر الغامض .. أنت تتعرف على الناس من المجاورة والمشاهدة أكثر مرة في نفس الزاوية التي تستوطنها وذلك إذا تكرر المجيء لنفس المكان .. جاورني في المكان ، ولا يسعى للتعارف كما هي عادة البشر من حب التعارف والثرثرة ، ولو حتى ببطولات كاذبة أو مضخمة .

أنا اتخذت المقهى مكانا للاستراحة ولقاء المعارف عند الحاجة ، ومكانا للتنفيس من الغضب والضيق من التعامل مع البشر أثناء ممارسة الوظيفة ، قضيت عمري في مراقبة المطاعم والمقاهي والتفتيش الصحي على المحلات ومحلات بيع المواد الغذائية .. تخرجت من الجامعة في مطلع الستينيات ، أحمل بكالوريوس صحة عامة ، فعملت في وزارة الصحة فترة لم تكن طويلة ، وانتقلت للعمل في صحة البلدية كمراقب ومفتش صحة على المحلات ، وأنها تراعي الصحة العامة ، ومتابعة المواصفات الصحية اللازمة في تلك المحلات كالمطاعم والبقالات والمقاهي والفنادق .. فهل يراعون المواصفات الصحية للمحافظة على الصحة العامة عند إنشاء مثل هذه المصانع والمحلات ؟ وكذلك عدم نشر الأمراض المعدية .. ونهتم بمتابعة محلات بيع اللحوم والأسماك

وبيع الدجاج وبيض المائدة
وأنا اليوم متقاعد من هذه الوظيفة المهمة في حياة المدينة ، كنت متزوجا قبل ثلاثين سنة ، ثم ترملت بعد عشر سنوات زواج ، ولم تلد لي الزوجة رغم المعاناة الشاقة بسبب هذه القضية أطباء فحوصات مشعوذون بوصفات لا تنتهي ، وقد علمت من الأطباء أني غير قادر على الإنجاب وأن لا فائدة من المتابعة ؛ لذلك بعد موت الزوجة ارتحت ، ولم أعد أفكر بالزواج ثانية خشية العودة لتلك السنوات المرة من تحاليل مراجعات أدوية .. تعقدت من إعادة التجربة إذا جاز هذا التعبير ، فلي اليوم أكثر من عشرين سنة بدون امرأة تشاركني الفراش والبيت ، أنا ألعب وحدي فلذلك أحب أن أسلي نفسي بالناس وقصص الناس ؛ ولكني أسر جدا عندما يزورني أبناء أخي حسن وأختي فاطمة ، فكل جمعة يزورونني فهم من سكان الحي الذي أسكن فيه ، وستعرف المزيد عني خلال سطور القصة سواء رُقت لك أو لم أرق .
انتبهت لهذا الزائر الغامض وشدني الفضول إليه ، رجل يزيد عن الخمسين مثلي ، نحن بدا لي أبناء نفس الجيل ، كانت عيناي تلتقي بعينيه للحظات ، أظن أنه سيكون بعدها لقاء وتعارف ولكن لا يحدث الحديث ولا التعارف ، وأصبح الرجل شغلي الشاعل كلما جلس في مقهى الكوكب الذهبي ، هو يلاحقني بعينيه خفية ، وأتظاهر بالنظر إلى شيء فأجد أنه يلاحقني بعينه أحيه بالتحية الإسلامية فيرد التحية ويلزم الصمت .. أثار الفضول الرهيب في نفسي يجب أن أعلم من هو هذا الزائر ؟! .. مضى شهر والعيون تتلاقى دون فائدة دون حوار .. وهو من أكثر الناس الذين رأيتهم يدخنون ؛ ربما يحرق علبة كاملة منذ دخوله المقهى وحتى يخرج يطلب شايا أولا ، ثم قهوة ، ومرة أخرى يعكس الطلبات .
هذا الزائر الغامض رغم مرور شهر على تلاقينا في تلك الزاوية من المقهى الذهبي لم يسع إلى ذكر اسمه لأحد أنا أو غيري أو مهنته أو كنيته أو لقبه ، كانت العيون تتناجى ثم يغرق في عزلته وسرحانه .. عجبت لحالنا نريد أن نتكلم ثم يضعف كلانا ، وأثار دهشتي فيه أيضا أنه يحضر للمقهى مع وقت العصر كما أفعل ويغادر قبل المغرب أو بعده .. وكنت ألحظ ابتسامة غامضة على وجهه وهو يغادر المقهى قبلي .. لقد أصابني بعلة قاتلة علة الفضول الزائد الشديد المتعطشة لكشف شخصية هذا الإنسان.. زاد الفضول البشري من صمته من كلام عينيه .. سألت بعض من يجلس بقربنا هل عرف أحدهم اسمه كنيته مهنته وظيفته ؟ لا أحد استطاع إجابة أو معرفة شيء.. فهو غامض غموضا غير عادي ، فكان

يستحق لقب الزائر الغامض .
كان عليّ بعد مرور شهر أن اكشف حقيقته ، فقد سألت نفسي لعله مجنون مريض عقلي سألت الجرسونات فقالوا : لا يتكلم معنا إلا بالطلبات والماء وشراء الدخان
مع مضي سنوات وسنوات على جلوس إدريس في المقهى الذهبي وتعرفه على رواد كثر لم يثر فضوله ورغبته للتعرف عليه كهذا الكهل الأنيق الذي يأتي المقهى ببذلة أنيقة كأنه موظف كبير مضى نصف الشهر الثاني منذ ظهر الرجل في المقهى .. وإدريس قد حسب ذلك ولليوم لم يعرف أحد اسمه أو أبو ماذا ؟! وحدث تغير مثير أيضا أن الرجل بعض أيام الأسبوع يأتي في الصباح يقضي ساعة وأكثر ثم ينصرف ، ويعود عصرا كما بدا لإدريس .. يظهر بعد العاشرة صباحا ويشرب اليانسون أو الشاي بالحليب ويختفي ويعود مساء مما خربط دماغ إدريس المهتم به أكثر من اللازم .. وهذا علمه إدريس من عمال المقهى الذين انتبهوا إلى اهتمام إدريس بالرجل الغامض ، وقد حاول هؤلاء المساعدة بمعرفة اسم الرجل ، وعجزوا عن ذلك مما زاد الفضول لدى إدريس أكثر .. إنما ينادونه يا حاج يا أبا الشباب كما يقال لكل مجهول الاسم .
كان الرجل يرفض أي سيجارة تقدم له من إدريس أو غيره ، وهو من عشاق الصمت وقلة الكلام ، لا يتكلم إلا عند رد التحية والسلام وبصوت ضعيف ويكون ذلك تحت الإجبار .. وربما يضطر للكلام مع الجرسونات لطلب المشروبات أو الدخان ودفع الحساب .. فكنت أقول لنفسي للرجل حكاية ، أنا أقرأ الوجوه والعيون كيف سأصير ثقة عنده ؟ ليفتح قلبه وأسمع مأساته ، نعم إن له مأساة .. وهو دائما أنيق الثياب يأتي المقهى ببذلة أنيقة ، وخلال الأربعين يوما قد أكون رأيت عليه أكثر من ستة بذلات .. لماذا جاء لهذا المقهى ما دام ليس له أصحاب يرافقهم ويسامرهم ؟! مرة واحدة فقط أقبل شاب إلى المقهى وجلس يسّاره بحديث بضع دقائق وانصرف ، لم استطع التقاط شيئا من الحديث بينهما .. الزائر الغامض علب سجائره تتغير لا يثبت على ماركة معينة .. لماذا أنا مهتم به لماذا ؟! أخبرني الجرسون أبو جلال أن الرجل يرتاد المكان يوم الجمعة في الموعد المسائي .. أنا من النادر أن أجلس في المقهى نهار الجمعة ، الجمعة اجعله للتواصل الأسري لاستقبال وزيارة الأقارب وأبناء الأخوة والأخوات خاصة سكان حي الشاعر الذي يكون في غرب مركز المدينة .. فأخي طبيب عمل في الحكومة ثم ترك وفتح عيادة خاصة في حي الشاعر ، وهو محبوب من سكان الحي ، وهو طبيب شعبي وأختي التي تجاورني في الحي ربة بيت مع أنها

تخرجت مثلنا من الجامعة ؛ ولكنها منذ تزوجت تركت العمل ولم تمارسه ، وهي أكبر إخواني ، وهي مشفقة عليّ ، وسعت أكثر من مرة في تزويجي بعد ترملي ، وكنت أرفض وأفشلها .. وزوجها محترم ، وأنا لا أحب مزاحه ؛ لأنه كثير ما يثيرني ويستفزني ويغمز بي من ناحية النساء ..كان يريد أن أتزوج لإرضاء زوجته أختي ، لابد أنها قضية تشغلهم كثيرا في البيت ..لا يمر شهر دون تناول الغداء معهم وذلك يوم الجمعة .. مرة استعنت بخادم آسيوي في البيت قضى معي بضعة شهور، ثم تخلصت منه لا شيء عندي يلزمه خادم .. الطعام المطبوخ توفره المطاعم المنتشرة في الشوارع والأحياء وفي قلب المدينة .. عددها كثير لا تحصى .. ما بين الكبير وبين للصغير .. والغسيل والكوي لا يخلو حي منه .. وما ينفق على الخادم من مال وطعام ينفق على المطعم والكواء ..ولا يخلو بيت من غسالة كهربائية ؛ لتقوم بغسل الملابس الداخلية ..ومكنسة كهربائية لتنظيف السجاد والبيت .

وكما ذكرت لي قرابة يدير جريدة أسبوعية ، ومنذ فتح تلك المصلحة وأنا أكتب له بناء على رغبته .. لا يقل شهر من مقالين اكتبهما لجريدته.. وهناك مقالات وتحقيقات أنشط فيها ، وبعضها أكتبها بدون روح ملء الفراغ فقط ، وبعضها كما يقول يحولها لسلة القمامة .. وأهم ما أكتب فيه وعنه قراءة كتاب إما التعليق عليه أو تلخيصه وتشجيع القارئ على قراءته .. ولي أعمل معه أكثر من عشرين عاما بهذه الطريقة .. وأنا بعد تسليمها له لا أعود لقراءتها ، ولا هو يطلب من ذلك .. لا وقت لدي للإعادة رغم أني بدون أسرة .. لا وقت للمراجعة والعودة لما نشر .. العمل معه هواية ليس احترافا .. ولا أدعي أني صحفي كبير ولا صغير .. وأنا متقاعد من العمل الوظيفي ..وكنت أتردد على المكتبة العامة في وسط المدينة ، وتعرفت على كل الموظفين في قسم المطالعة ..فأتحدث مع قيم المكتبة عن كتاب جديد معلومة مثيرة مقال انتشر عنوان شاع كذلك .. فالكتب الجديدة تصل المكتبة ، وكذلك الصحف اليومية وقد يدفع لي قريبي الصحفي كتابا نزل السوق لأقرأه وأعلق عليه حسب المساحة المطلوب تغطيتها .. ومرات أرفض ومرات أضطر أن أقبل لتبقى حبال الوصل متصلة .. وليستمر ترددي على مكاتب الجريدة .. واعلموا أن توقيعي على المقالات باسم غير حقيقي .

كان الزائر الغريب لمقهى الكوكب آثار الفضول لديّ بشدة عجيبة ، وشدني لأسعى إلى معرفة سبب هذا الانعزال والانغلاق ، ومعرفة تفاصيل حياته ، ولماذا هو متقوقع على نفسه ؟! استعملت

عددا من الوسائل معه دون نتائج ودون فائدة ، فكرت بهجر المقهى حتى لا أفكر فيه وقلت لماذا أهجر المقهى أنا ؟ فليهجره هو .. إني أجلس فيه من عشرات السنين أصبح جزءا من يومياتي ، ومن حياتي .. العمال يتغيرون يتبدلون حتى لو مات صاحب المقهى سأبقى الزبون الدائم هنا .. أستيقظ في الصباح للصلاة في الجامع الفجر .. وأنام .. أستيقظ وأطلع على الصحف التي يؤمنها لي صاحب المكتبة في الحي .. أتناول الفطور في البيت مما هو متوفر في البيت أو أمشي إلى مطعم قريب من البيت في أحد الشوارع الرئيسية ، ثم أعود للبيت لشرب الشاي وأغتسل وأصلي الظهر في أحد مساجد الحي ـ يوجد في الحي ما يزيد عن خمسة جوامع ـ لا أخص أحدها عن غيره .. لا أعتبر نفسي شخصا متدينا كما يصنف الناس .. تعلمت الصلاة منذ الطفولة المبكرة من حياة الوالدين ..كان من أهم الأشياء عندهم الصلاة وقد نفعنا الله بذلك .. وما زلت أخص قبريهما بزيارة مرة أو مرتين في السنة ، ولا أؤمن بزيارات الأعياد ، فبعضهم يرى أنها ليست من هدي النبي صلى عليه وسلم فلم أعد أهتم بها لما وصلتني هذه المعلومة .. وإذا حضرت دفن جنازة حيث قبرا تراني أمر على قبريهما مسلما وداعيا ـ رحمهما الله ـ كانت أمي تتمنى أن تراني أبا .. وماتت وهي حزينة عليّ.. والطب لم يستطع مساعدتي .. والأمر كله لله ..وأنا الآن أقترب من الستين عاما ..فلست بحاجة لزوجة وقاومت مشاريع الزواج السنوات الماضية .. بضع سنوات ونغادر الدنيا .. أعمار الأمة بين الستين والسبيعين .. وبعد صلاة الظهر أنطلق إلى مركز المدينة العامرة حيث الحياة الكبيرة أزور المكتبة العامة قراءة دردشة مع الزوار الموظفين .. هنا الغذاء العلمي الكتب الفكر الشعر ثم أمشي في الشوارع إلى المسجد الكبير ، وربما دخلت الأسواق في جولة بطيئة أو سريعة حسب الوقت والفصل .. ثم صلاة العصر في مسجد سيدي سعيد .. يقولون إنه شيد في عهد الصحابة .. ولا دليل .. وبعده إلى المقهى العتيد .. وقد أتناول طعاما قبل دخول المقهى إما في المطعم الكائن في الطابق الثاني أسفل المقهى أو ءأخره لبعد صلاة المغرب .. أذهب للصحيفة ثلاث مرات في الأسبوع ومرات مرتان فقط .. أعود للبيت أصلي العشاء غالبا في مساجد الحي أو البيت .. أشاهد التلفزيون أو أقرأ رواية .. أحب قراءة الروايات التاريخية رغم أنها مليئة بالكذب والخيالات .. وأقرأ الروايات البوليسية الشائعة والمنتشرة بكثرة هذا اليوم .. أقرأ أحيانا مذكرات شخصية لمشاهير ومغمورين .. إنني أسهر لنصف الليل ..قد يطل عليّ بعض الأصدقاء والجيران وبعض الأقارب ..

وأحب صلاة الفجر في الجامع وأنا حريص عليها .. وقد أجلس مع بعض الجيران والأقارب في المسجد حتى تشرق شمس النهار ونعتمر ونحج .. وأعود للبيت للنوم وقد أشرب لبنا دافئا أو قهوة قبل الغرق في النوم .. لم يكن عهد الفضائيات انتشر بكثرة .. أنا اليوم مشغول بزائر مقهى الكوكب الذهبي .. نحن في أواخر عام ١٩٩٣ .

انتهى موسم شتاء ذلك العام ، وجاء شهر مارس ١٩٩٤ولم يتمكن إدريس من معرفة أسرار الزائر الغامض مع ما بذل من جهد وحيل فغير الخطة .. وقرر أن يرقبه خارج المقهى ..كان الرجل يرفض تقربه بكل قوة .. وأحيانا يبتعد عنه إلى مكان آخر ؛ لكنه في نفس القسم والجزء من المقهى .. خطر لإدريس متابعة الرجل خارج المكان .. التعرف على سكنه على جيرانه ؛ وكأن الكهل أدرك أفكار إدريس الجديدة فكان يعمل على إفشال هذه الخطة .. مما زاد من غيظ إدريس ويتسأل كل مرة يفشل فيها .. لماذا يفعل ذلك ويرفض أي تعارف أو احتكاك ومع ذلك لم يطلب مني ترك عبثي أو أفعالي ؟!

كان إدريس يغادر المقهى كما ذكرنا بعد دخول المغرب ، ويدرك صلاة الجماعة في الجامع سيدي سعيد ..كان بعضهم يرى أنه سمي على اسم الصحابي سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بجنة الفردوس ، وبعضهم يرى أنه على اسم التابعي سعيد بن جبير أو سعيد بن المسيب .. فالبناء الأول قديم ؛ ولكنه حدث وجدد مرات على مر الأيام .. وإدريس يرجح أنه على اسم الصحابي سعيد إذا ثبت أنه أقيم في عهد الصحابة وزمن الفتح الإسلامي الخالد .

لتنفيذ الخطة الجديدة صلى المغرب في المقهى حيث يصلي مالك المقهى ، ولما غادر الزائر تبعه خفية ..مشى الرجل إلى مطعم كبير ..وظل إدريس يتمشى أمام المطعم .. ويرقب مخارج المطعم منتظرا خروج الرجل .. وكان يراقب بحيث يرى مدخليّ المطعم .. وكان السيد يلبس كعادته بذلة أنيقة تميزه سريعا عن الآخرين .

خرج السيد بعد نصف ساعة ، وتلاقت العيون لحظة الخروج ، وأدرك إدريس أن الرجل لمحه فارتبك ، وتظاهر أن وجوده قرب المطعم عفويا .. وأخذ يمسح فمه موهما للرجل أنه كان يتعشى مثله .. ولاحظ أن الرجل يتلف للخلف كلما مشى بضع خطوات إلى الجهة التي يقصدها .. وقد لمحه الرجل عدة مرات .. وأدرك أنه فشل في هذه المحاولة .. ومع ذلك أحب أن يثير غضب السيد ..واستمر بالملاحقة عن بعد ..وأخذ الرجل يحاول الاختفاء والاختباء والتقيا عند تقاطع .. فابتسم له السيد مثيرا لغضب إدريس ؛ وكأن اللعبة أعجبته

.. عاد إدريس للبيت ، وقد أدرك أن الأمر يحتاج لجهد وخطة ذكية ..وعرف فيما بعد أن الرجل قضى أكثر من ساعتين يتجول في الشوارع والأسواق متوهما أن إدريس ما زال يتعقبه .. واضطر أن يركب تكسي أجرة خاص .. وينزل في حي قريب من مسكنه .

دخل إدريس المقهى ، وحيا معارفه ، واقترب من الزائر الغامض وقال : عساك عدت البيت باكرا ! لم يرد الزائر بسوى ابتسامة ، وأتبعها بنفخة دخان من سيجارته .. ظن إدريس أن الرجل سيسأله لماذا يتبعه ؟ماذا يريد منه ؟ لقد لزم الصمت لم ير سوى تلك الابتسامة الساخرة والنفخة الدخانية .. غادر إدريس المقهى ممغوصا معلولا قبل انصراف الرجل .. لم يذهب للمسجد ؛ إنما ذهب لمتجر قريب ، وصلى عنده المغرب ، وانتظر مغادرة صاحبه للمقهى ، شاهده يغادر عمارة المقهى ، ورآه يتلفت في جهات مختلفة ؛ كأنه يبحث عنه ..فعلق إدريس : اللعين ما زال مهووسا بأني أراقبه . شاهده يمشي ناحية المطعم مطعم أمس فقال : أتراه مطعمه المفضل كما مقهى الكوكب ؟! تبعه حتى دخل المطعم ، تمركز إدريس بعيدا عن المطعم ، وركز انتباهه على مدخل واحد هذه المرة حتى لا يُرى والرجل يخرج كما حصل أمس استطاع رؤيته وهو يخرج ، وتبعه بحرص أكثر من السابق ..واتبع الرجل نفس خطوات أمس في محاولة لتضليل من يتبعه فقال إدريس: كان عليّ أن أغير لباسي وأغطي رأسي بكوفية.

مشى الزائر في الشارع العام ثم اختفى في أحد الشوارع الجانبية .. والعمارات والمباني كثيرة تدخل من مدخل عمارة تخرج من أخرى .. كان يتحرك كأنه يدرك أنه متبوع .. والتقيا دون سابق إنذار .. فابتسم إدريس له بحنق .. فقد كان يخرج من محل لبيع العصافير والطيور اضطر إدريس للابتعاد وإن تظاهر أنه يراقبه .. ثم غادر المكان إلى البيت .. وتابعه الفشل في كل متابعة ورغم الخطط والتعديلات وتغيير الملابس بعد مغادرة المقهى لم يعرف المنطقة التي يركب إليها الرجل حتى فكر بالاستعانة بصديق ؛ ولكن ماذا يقول له عندما يسأل عن سبب هذه المطاردة وماذا يريد منه ؟ واحد لا يحب التعرف عليه ويرفضه ، ولا يحب أن يطلع أحد على أسراره الخاصة ومكان سكنه ، ولما يحشر نفسه في حياته .. لا مبرر لهذه المطاردة إلا الفضول الجنوني .. الموقف محرج ومزعج ومخز بين الناس .. وكان يصاب بالصداع بعد كل فشل .. ويعجب كيف تراقب الشرطة المطلوبين والمجرمين ؟! وكانت نظرات السخرية ظاهرة من إدريس عندما يلتقيان في المقهى .. ويبادله التحدي وعدم اليأس .. وذاك يبادله بسحب الدخان في

الفضاء وابتسامة ساخرة .. فيقول لنفسه: أخشى أن تصيبني جلطة من هذا الساخر .. أكيد أنه يقول أنت رجل لا يحسن المراقبة .. لماذا جاء هذا الرجل لهذا المقهى؟! لماذا ؟! ويحس أنها تكاد تخرج عاليا .. سأعطي نفسي إجازة عن مقهى الكوكب .. عليّ أن أريح أعصابي قبل أن أفقدها وأصاب بالجنون .. فرغم كل التكتيكات التي اتبعها خلال هذا الشهر فلم يستطع إدريس معرفة السيارة والخط الذي يخدم مكان سكنه ؛ بل عجب من لبسه للبذلات الأنيقة باستمرار ولا يملك سيارة خاصة .. قرر إدريس بعد فشله هجر المقهى إلى حين يسير .. فغاب أسبوعا واحدا عن المقهى .

غياب الزائر

صبّر إدريس نفسه أسبوعا عن الدوام المعتاد له في مقهى الكوكب الذهبي ؛ ليريح أعصابه بعد فشله الذريع في معرفة مكان سكن الزائر ؛ وكذلك ليزيد فضول الرجل بهذا الغياب .. عاد لمقهاه المفضل منذ عقود انقضت من العمر .. وتفاجأ أن الرجل غير موجود ، تفقد جميع المقهى دون أن يراه .. مضى اليوم الأول والثاني والثالث فاضطر للسؤال عنه ..فأخبره الجرسون أنه متغيب من أيام ، لم يعد يظهر في المقهى ؛ لعله سقيم .. وأخبر آخر أنه جاء مرة ولم يمكث إلا مدة شرب شاي وغادر .. قضى إدريس عشرة أيام يرقب عودته .. فقال : هل غير مقهاه ؟! هل تضايق من إزعاجي غير المبرر فغير المقهى؟! عمل إدريس جولات على المقاهي القريبة من الكوكب الذهبي .. راقب المطعم المفضل له عندما يدخله للعشاء .. لم يظهر أيضا .. هل مات الرجل أم هو مريض ؟! لقد شغل فكري اللعين ..قاتل الله الفضول والشيطان .. جاء صيف ١٩٩٤ بحره وغباره دون أن يصدف الرجل الغامض.. وبينما هو يصعد درج المقهى التقى بأحد عمال المقهى فقال : يا أستاذ إدريس الرجل الذي كنت تكثر من السؤال عنه قد عاد ، وأخبرته أنك كنت تسأل عنه .. فهو لا يعرفك .

فرد إدريس : هل هو في الداخل ؟

قال الخادم : هو من عشاق الصمت .. يبدو لي أنه مريض ..هل يتكلم معك ؟!

ـ لا يتحدث معي.. يرفض الحديث معي .

ـ ولماذا تسأل عنه ؟

ـ لفت غيابه فضولي ..فكرت أنه مات أو أصيب بحادث .. شكرا لك .

وتابع صعوده درج المقهى ، ولم يتجه للجهة التي يتخذها الرجل مجلسا ، جلس في مكان يستطيع رؤية الرجل منه ..وتظاهر بأنه لم ينتبه لعودته المفاجئة.. أدرك إدريس أن الرجل يترصده بطرف عينيه .. فأحب أن يستفزه ..وحاول أن يظهر له أنه غير مهتم به وبعودته وفعلا استطاع الانتصار على

نفسه.. ولم يقرب تلك الزاوية .. وغادر المقهى كالمعتاد وتنفس الصعداء وهو يغادر ، ومشى للجامع لصلاة المغرب ، وهو يحادث نفسه : أتراه رآني كما شعرت؟ أتأثر بعدم اهتمامي به وبوجوده ؟ لقد ورطت نفسي معه .. هذه أول مرة أقابل شخصا يحب الاعتزال عن التعارف والثرثرة .. ولما قضى الصلاة دخل المطعم الذي اعتاد عليه الزائر الغامض .. وبينما هو يجلس على مائدة طعام تفاجأ به جالسا على مائدة أخرى ، فاستمر في تجاهله .. وطلب عشاءه ، وتعشى ، ثم غادر .. وظل الرجل بعد مغادرته في المطعم مع أنه أكل قبله.. ثم رآه يتعقبه ، فقال إدريس لسخافة الموقف : ماذا يريد هذا اللعين ؟ إنه يراقبني هل ظن أن دخولي المطعم لمراقبته ومتابعته ؟!

وتظاهر بعدم المبالاة ومشى إلى موقف سيارات الأجرة ـ الخطوط العامة ـ وركب سيارة حي الشاعر ..ولاحظ أن الرجل ما زال يتعقبه . فقال إدريس : هل يفكر بالحديث معي ويستجمع قواه ؟ فهذا لا يحب التعرف على الناس.. لنا شهور نتبادل النظرات والإشارات دون تجاوب من قبله وصل الحي مع ارتفاع نداء الصلاة للعشاء نزل عند المسجد المناسب ، وذهب إلى حجرة الوضوء ، وقضى حاجته ،وتوضأ استعدادا لصلاة العشاء ، ودخل معهم في صلاة الجماعة ، وبينما هو يغادر باب المسجد حياه رجل من معارفه الأعزاء ، وصديق العمر ، وخدم كلاهما في المراقبة الصحية في بلدية المدينة ، ودعاه إلى البيت مسرورا .. وهذا دائم بينهم من أيام طويلة ، وأجلسه في غرفة الاستقبال التي يعرفها الضيف كما يعرف بيته .. ودخل إدريس غرفة نومه ، وخلع الملابس الرسمية ، ولبس الثياب المنزلية .. وعاد يحمل الشاي وقطع البسكويت ووضعها أمام صديقه إياد .. ولما تحدثا عن الذكريات وآخر الأخبار .

قال إدريس: هذه الرقابة على المحلات والمطاعم والدواجن أهون وأسهل من الرقابة على البشر الله يعين الذين يعملون في الأجهزة الأمنية .

ـ لم أفهم سبب هذا الكلام يا إدريس ؟

قص عليه فشله في تعقب رجل المقهى الغامض ولما انتهى الكلام .

قال إياد مستفهما : وماذا تريد منه لتشغل نفسك فيه ما دام الرجل يرفض التعارف والكلام عن نفسه ؟!

ـ الفضول يا رجل ؛ كأن الفضول أصبح مهنتي بعد التقاعد .. الناس تحب الحديث عن النفس عن البطولات .. يجب أن أعرف حيه وبيته لأسال عنه بقالة مجاورة لبيته بعض جيرانه أسأل عن صمته القاتل .. سبب لبسه الثياب الأنيقة .. الفضول السبب

ـ أتحب أن أساعدك في هذه المهمة ؟

ـ كيف ؟

ـ هو يعرف أنك مهتم به .. فأما أنا فهو لا يعرفني .. فإما أن تعرفني عليه في المقهى وإما الشارع ودع الباقي عليّ .

تنهد إدريس بعمق وسعادة وقال : إنك تقدم خدمة لا تقدر بثمن يا إياد!

وضع إدريس وإياد الخطة المناسبة لمعرفة حي رجل المقهى الغامض ، ظل تحدي العيون متبادلا بينه وبين الرجل في مقهى الكوكب كلما تقابلا بالأبدان ، وكان إدريس قد غير مكان جلوسه داخل المقهى ليربك الرجل ، وجاء إياد المقهى المعروف له من عهد قديم ـ وهو ليس من عشاق المقاهي ـ واستطاع التعرف على شكل الرجل دون الجلوس مع إدريس ، وتكررت الزيارة حتى عرفه بصورة جيدة تمكنه من تعقبه ، ثم أخذ يترقبه عند مطعمه المعروف ، ويتبعه خطوة خطوة فلما خرج كان خلفه في الشارع ، وأدرك أياد أن الرجل يتصرف تصرف الذي يحس أنه مراقب متبوع ، فيعمل على تضليل مراقبه ؛ وكأنه يشعر أنه إدريس يراقبه خفية. فقال : رجل موسوس لماذا هو خائف من إدريس؟! فعلا أنه مريض .. وكان يقول لإدريس بواسطة الهاتف بعد صلاة العشاء: الرجل يتجول في شوارع وأسواق المدينة ؛ كأنه ما زال متبوعا حتى ظننت أنه يعرفني، ويعرف أنني أتعقبه .. لعبة جميلة المطاردة لهذا العجوز لا أدري هل هو يتسلى أم هو شديد السقم ؟!

استطاع إياد بعد أيام يسيرة من معرفة حي الرجل، وبيت الرجل ، وكان يزور إدريس ليقدم له النتيجة ..وبعدما تناولا عشاءهما في أحد مطاعم حي الشاعر زلفا لبيت إدريس ويقول لإدريس : إنه من سكان حي بهية .. واسمه سيف الدين حاكم وردة .. ووالده كان قبل موته من كبار تجار المدينة وحتى البلد كلها .. تاجر مرموق ..وقد مات قبل عشرات سنوات والرجل عمل مهندسا في أحد المصانع الكبرى .. وهو اليوم متقاعد منه ..ولا يمارس عملا .

ـ هو من أهل ذلك الحي !

ـ نعم ، من أهالي حي بهية .. وهو ـ كما تعلم ـ كان من الأحياء الراقية قبل ثلاثين سنة ..كان حي علية القوم من رجال البلد حي التجار الكبار والوزراء .

ـ إني أعرفه حق المعرفة يا أبا أحمد .. وما الذي حذفه على هذا المقهى؟! فمقاهي بهية مقاهي فخمة .

ـ هذه المقاهي صارت فيه من عهد قريب .. ظهرت بعد ظهور أحياء حديثة للأغنياء الجدد ؛ ولكنها ما زالت تحافظ على طابعها القديم ، وقد

دخلت عليه الطبقة المتوسطة .. لم تعد مهوى الأثرياء الكبار كما كانت في الستينات ومنتصف السبعينات .. اليوم هناك حي البدر والزهرة

قال إدريس :حي بهية ما زال مسكن الطبقة الغنية القديمة .. تتوارث العائلات تلك القصور الفلل .. ففيه يقطن أكثر من وزير ورئيس وزراء قديم .

ـ صحيح هذا يا إدريس .. ! المهم أنا حققت ما أرهقت نفسك فيه من عدة شهور ما الخطوة التالية ؟

تبسم للغمز وقال : الخطوة التالية ..وقبل الخطوة التالية اشرب الشاي ..

وحدثني كيف عرفت اسمه وبيته ومهنته ؟!

ـ الأمر سهل .. استطعت الركوب معه في سيارة التاكسي الأجرة كراكب .. لم يستأجر سيارة خاصة ؛ بل هو يملك سيارة خاصة رأيتها في موقف السيارة ببيته

ـ هو معقد .. تابع .

ـ ركبنا السيارة سوية ـ وكان قبل تحرك للسيارة يتلفت يمنة ويسرة ـ ولما نزل الحي لم أنزل مباشرة ، وبعد مائة متر نزلت .. ووقفت أتابع الرجل ، لمحته ينزل ويدخل متجرا بقالة في الشارع العام للحي .. ثم رأيته يترك المتجر ..ومشى نحو شوارع الحي الشبه خالية من المشاة لأن الوقت ليلا يا إدريس.. ولم يكن بيته يبعد كثيرا عن الشارع العام للحي .. دخل شارع فرعي وأنا أراقبه .. ثم دخل بيتا أو قل قصرا من طابقين .. بعد حين دخلت الشارع واقتربت من البيت ، ووجدت لوحة على جدار البيت" المهندس سيف الدين حاكم وردة" وعدت للشارع العام .. وتحدثت مع صاحب البقالة وسألته عن بيت المهندس سيف وردة فقال : قبل دقائق كان هنا .. وبقليل من الحديث والاستدراج علمت أنه عمل في مصنع دواء .. وأنه ابن رجل غني معروف ..وأرجو أن لا يحدث الرجل أن أحدهم سأل عنه وغدا سأدلك على البيت أم هل عرفته ؟

ـ أنا أعرف حي بهية بصورة جيدة .. صف لي معلما مهما .. وما دام قد كتب اسمه على لوحة سأجده بسهولة .

ـ نعم ، بيته قريب من الشارع العام الممتد بين المدينة والحي .. فهو في وسط الحي تقريبا هناك نادي اسمه نادي الكلب ؛ كأنه نادي كلاب أو اسم عيلة .. هو عند النزول من سيارة الأجرة طلب الوقوف عند النادي الذي مدخله على الشارع ؛ وكأنه مشى خطوات ودخل بقالة على الجهة المقابلة للنادي .. وأدركته وهو يترك البقالة ..ومشى نحو شارع فرعي وفي منتصفه داخل شارع فرعي آخر وفي منتصفه بيته .. الشارع الفرعي الأول لا والثاني لا وهو في الفرعي الثالث

المنزل الأول لا .. أعتقد الخامس هو منزله وكما قلت لك للبيت لوحة مكتوب عليها اسم الرجل .. وكل البيوت السابقة تحمل اسم العائلة .. وأنا مستعد للذهاب معك



بعد تفكير قليل أجاب : لا ، ربما أحتاجك لمتابعة أخرى يا إياد .

ـ هل ترى أن له قصة مسلية ؟! هناك المصنع يا صديقي .. قد تجد الكثير من المعلومات عنه

ـ أنا أحب أن أسمع منه شخصيا قبل سماعي من الآخرين.

ـ لا أدري سبب كل الاهتمام به !

ـ الفضول القاتل .. أثار شهيتي هذا اللعين .. كيف رفض التعرف على شخصه وذاته ؟! أريد أن أبين له أنني أستطيع أن أعرفه وأعرف كل شيء عنه دون إرادته .

لم يتغلب إدريس كثيرا في الوصول لباب المنزل ، ضغط على الجرس ، فخرجت له امرأة خادمة كما ظهر من شكلها المعروف في البلد بالعمل في هذه المهنة .. فسألها عن المهندس سيف .. وبعد زمن يسير كان المهندس يفتح الباب ؛ ليقف مصدوما أو مذهولا ..ولما رَآه فتح فمه ، ولم يتكلم وأغلق الباب في وجهه . ابتسم إدريس ، وأدار رأسه ، وغادر الشارع .

لم يرحب سيف بإدريس ، وأغلق الباب في وجهه دون أن ينطق بكلمة ، لم يستطع إدريس من جمع معلومات عن الرجل تزيد عما زوده به إياد ، لم يتمكن من معرفة اسم المصنع الذي عمل فيه سيف ردحا من السنين .. ما الذي كان يمارسه في المصنع ؟ لم يزوده أحد بذلك ؛ لأن الرجل لا يختلط بالناس وحتى بأهله الذين حوله ؛ ولكنه علم أن الرجل لا يغادر البيت أول النهار إلا قليلا .. يفارقه بعد الثانية ظهرا ..حتى المحلات التجارية في الشارع الرئيسي لا تعرف عنه الكثير مجرد زبون يطلب الغرض وينصرف .. وإذا سئل أحد أقاربه عنه رد باختصار معقد مريض نفسيا .. يوصف بالانعزالي والانطوائي .. لا يتواصل مع الناس .. حياته البيت ..لا يعرف النادي القريب من مسكنه نادي الكلب .. رغم أن النادي رياضي ثقافي اجتماعي فهم لا يعرفونه .. ولا يذكرون أنه دخل النادي يوما .. وحتى النادي الآخر في آخر الحي لا يعرفه فيه أحد .. وكل محلات البقالة على الشارع الرئيس علاقته بها علاقة ضعيفة .. يعلمون أنه من سكان الحي وحسب.. وأنه شقيق الدكتور أمير وبعض النسوة .. يعيش بدون زوجة ، وهذا يعني أنه دون أولاد .. فوجد بينهما بعض التشابه التقاعد

عن العمل.. الحياة بدون زوجة وأولاد لكن عنده خادمة آسيوية .. ولديه سيارة حديثة .. ويبدو أنه لا يحب استعمالها ويركب سيارات الأجرة .. لماذا ؟ الله أعلم!

قضى إدريس أسبوعا يلملم المعلومات عنه دون فائدة مهمة ..فالرجل غامض حتى في بيته وحيه فهو إذن مريض نفسيا لا يقرب منه أحد من الجيران ؛ كأنه نكرة ..ولكنه كان يشتغل سنوات وسنوات .. عليّ أن أتوقف.. لقد شغلت نفسي فيه كثيرا .. لماذا فعلت ذلك أيها المجنون ؟!

لاحظ أن الرجل لم يكترث لمعرفة منزله ، وأنه كان يلهو ويسخر منه رغم أنه سعى لمنعه من الوصول لبيته وحيه .. المقهى لماذا جاء لهذا المقهى؟! البلد مليئة بمثل هذا المقهى وأرقى وأفضل هناك سر .. هناك سر يا سيد إدريس ، أنت فضولك كبير .. إنه يتخابث ويتلاعب بي .. فهو يسخر مني .. حسنا يا مهندس سيف ! هل هؤلاء الذين حوله أقاربه ؟ إني كنت أسمع باسم السيد حاكم ..كان من كبار التجار في سوق الطعام والأغذية خاصة الأرز والدقيق والسكر الأبيض .. لما لا أسأل عن ذلك التاجر الكبير أصدقاء السوق ومنافسيه .. فهو من كبارهم وسادتهم .. من أعرف من سادة السوق الكبير للمواد الغذائية ؟ واليوم أغلب تجار السوق أبناء وأحفاد هؤلاء .. عليّ عمل جولة في ذاك المكان لعلي أتذكر كبيرا منهم .. أنا لي عشر سنوات متقاعد عن العمل والرقابة الصحية .. دخل السوق الكبير المعروف بسوق الأرز والسكر وكان ذلك بعد صلاة الظهر في جامع سيدي سعيد .. تمشى في طول السوق ذهابا وإيابا ..وأعاد بعض الذكريات في هذا السوق الكبير .. وفي طرف السوق تذكر متجر الحاج إسماعيل أبو علي .. دخل المتجر وبعد السلام سأل عن الحاج إسماعيل .. فأخبره أحد العمال أنه لم يعد يباشر العمل في المحل .. فهو قعيد البيت .. وأشاروا لابنه شامل الذي يدير العمل .. سلم على السيد شامل وقال بعد التعريف بنفسه: كنت أرغب بلقاء الوالد الحاج إسماعيل فأنا أعرفه قبل سنوات .

ـ ونحن نعرفك يا معلم إدريس.. الوالد عاجز عن العمل ..كما تقاعدت أنت هو تقاعد من سنوات قليلة .. كنت مراقبا صحيا تعمل في البلدية في هذه الشوارع .

غمر إدريس الفرح لتذكر شامل له .. وإن لم يذكره هو بشكل جيد .. لكن يذكر أنه رآه ، فتلك الأيام كان يعمل مع الحاج عدد كثير من الأولاد والعمال .. وبعد حديث ذكريات وشرب كوب من الشاي . قال إدريس : كنت أريد الحديث مع الوالد عن التاجر الكبير حاكم وردة .. ألم يكن له متجرا في هذا السوق؟

ضحك شامل وقال : آ .. ومن لا يعرف سيد السوق حاكم وردة يا أستاذ إدريس .. ماذا تريد منه ؟

ـ هو كما تعلم قد مات .

ـ زمان مات ربما له عشر سنوات ؛ وربما أكثر ..كان صديقا عزيزا على الوالد وكان عضو الغرفة التجارية وترأس جمعية المواد الغذائية ومستوردي الرز على المستوى العالمي ..وكما تعلم هو نقيب تجار الأرز فترة من الفترات .. هل تريد مصاهرة أبنائه ؟

تضاحك إدريس وقال : تقريبا .. ليس أنا طبعا ..كان له محل هنا ؟

ـ كان له محلات هنا ليس واحدا فقط.. لكن لما مات استلم مكانه ابن ابنته إحدى بناته .. وفشل في متابعة الخط ، واختفى اسم حاكم من السوق رويدا رويدا .. والحي أبقى من الميت وأصبح كما نقول في خبر كان .. ولا أعتقد أن أبي يعرف ذريته بشكل جيد .. السيد حاكم يا أخ إدريس لم ينجب الكثير من الذكور ، ذريته بنات ؛ بل مات أحد أبنائه في حياته .. له ابن طبيب حي والآخر مهندس .. والأول كان طبيبا ومات قبله .. وللسيد أربع أو خمس بنات .

ـ نعم ، نعم ، وهو من سكان حي بهية وما زالت ذريته تقطن ذلك الحي خاصة ابنه الطبيب والمهندس .. وكان لهذا الحي كما تعلم أيام عز وشهرة

ـ هذا صحيح ..كان حي بهية مهوى علية القوم في الستينيات ومطلع السبعينيات .. كان حي العز والفخامة يا معلم إدريس .. كان لي أخ يعيش فيه ثم هجره إلى حي أفخم وأحدث منه .. إذا كان الموضوع موضوع زواج فلن تجد عندنا المعلومات الكافية .

قال إدريس : كنت تريد الحديث عن ابن السيد حاكم المهندس سيف الدين !

ـ المهندس سيف الدين .. فعلا هذا اسم أحد أبناء السيد الثلاثة .. إنه شاب معقد .. هل هو متزوج؟! نحن لم نعرفهم جيدا .. حسب معلوماتي لم يتزوج هذا الإنسان كانت واحدة تصادقه أيام الجامعة.. له قصة كبيرة في موضوع الزواج ؛ كأنه تزوج ابنة أحد الأكابر .. بنت وزير ؛ ولكنها طلقت بعد أسابيع ، لم تكمل الشهر على ذمته ..لا أذكر القصة بالضبط ..هل يريد الزواج من إحدى قريباتك؟

بعد تردد للحظات أجاب : تقريبا ؛ ولكنه معقد كما قلت.. ويحب لبس البذلات الرائعة والأنيقة .

ـ أنا أعرف شكله .. الأفضل أن لا تتزوج قريبتك منه .. إنه مريض .. وهل سيتزوج بعد كل هذه السنين من العزوبية ؟!

ـ هو لا يتكلم كثيرا .. حياته الصمت .. وتعرف على السيدة القريبة في المصنع لا أدري أي مصنع؟!

ـ نعم ، أذكر أنه كان مديرا لأحد مصانع خاله .. خاله شخصية كبيرة في البلد يا إدريس .

اعتبر إدريس زيارته لسوق التجار في مركز المدينة نجاحا ، واستفاد من شامل معلومات إضافية عن زائر المقهى الغريب والمثير والغامض .. وكان مستغربا من غموض المهندس والمتعلم والمتخرج من كلية الهندسة وكان يسأل نفسه وهو يرتب المعلومات في ذهنه وينقلها لإياد : هل حقا تزوج هذا الرجل من ابنة وزير ؟! أي وزير زوج ابنته له ؟! هذا كان منذ ثلاثين سنة على الأكثر .. تزوج لشهر واحد ابنة وزير .. تتزوج لشهر واحد أمر غريب ومثير ! أي وزير هذا ؟! وخاله شخصية كبيرة .. من هو خاله ؟ ! من هو حضرة الوزير ؟ ومن هو حضرة الخال؟ لم تزد هذه المعلومات كثيرا عما قدمه زميله القديم في دائرة المراقبة الصحية التابعة لدار البلدية للمدينة..

ـ القضية كبرت يا إدريس .. فعلا أذكر هذا السيد حاكم وردة .. الأحداث ذكرتني به .. والمهندس كان يدير مصنعا كبيرا من مصانع الخال .. ما اسم الخال واسم المصنع ؟

ـ لم أعرف يا سيدي من السيد شامل .. لا يعرف الرجل معرفة عميقة .. وهو اعتقد أنني أسأله عنه لأنه يرغب بالزواج من قريبتي ..لا أدري كيف ذهب الحديث إلى ذلك؟! وحسب معلومات شامل كانت فترة زواجه من ابنة الوزير قصيرة ..في أقل من شهر حصل الانفصال بل ظن أنه لم يتزوج في بادئ الأمر ، ثم حسم الأمر بأن الزواج حصل ثم طلق .. قصة قديمة ولم يسمع أنه تزوج ثانية يا إياد .. الحي لا أحد يعرفه حق المعرفة .. فأصحاب هذه المحلات من الجيل الجديد ..ولا أعتقد أن أحدا يفيدنا عنه .. فهو ضئيل الاختلاط مع الناس .. القضية أن الفضول ورطني معه ..قاتل الله الفضول! .. سوف أسعى للقاء به ؛ لعله يلين ويفتح قلبه لقد أغلق الباب بوجهي؛ كأنني شيطان يطرق بابه .. أغلقه فورا دون أي كلمة ولو تحية سوى ابتسامة غاضبة ساخطة.

ـ هل لي دور آخر في هذه المعركة الفضولية المسلية؟ فعلا إنها مغامرة مسلية لمثلنا يا سيد إدريس؛ لكن النتيجة ستكون مخيبة للآمال حتى لو كان صهرا لرئيس الجمهورية أو سلطان المسلمين.

ـ معك حق !كانت غلطة ؛ ربما الفراغ كما ترى هو الذي جعلني أهتم بالرجل أكثر من اللازم كان عليّ أن أنسى الموضوع ..وأبقى على عاداتي ويومياتي .

ـ أيجلس في المقهى ؟

ـ نعم ؛ ولكني غيرت موقع جلوسي .. وأحس أن نظراته تطاردني .. ومع ذلك لم يلن ويسمح بالحديث معه ..لا يوجد في بيته إلا الخادمة الآسيوية ..حتى أبناء الجيران وهم أقاربه .. لم أصدف أحدا يدخل قصره أو يخرج منه .. إنه يعيش في عزلة غريبة ..أتعرف قصة إنشاء هذا الحي ؟

ـ لم افهم ؟!

ـ أي كيف نشأ هذا الحي الراقي من حي العرب الكبير ؟

ـ هل له قصة؟

قال : كل حي يا إياد له قصة ، قد تطول أو تقصر ..حي بهية سمي بهذا الاسم على اسم سيدة غنية كانت أول من سكن فيه .. فهو قطعة من حي العرب المحيط به من عدة جهات .. وهذا الحي كما تعلم شمال المدينة الكبيرة .. وهو عبارة عن مجموعة من التلال .. وهو حي قديم تاريخي منظم قديما وحديثا ..كان يقطن الحي ثري من أصول غير عربية .. فلما تزوجت ابنته الوحيدة بهية أنشأ لها قصرا فخما على إحدى التلال الخالية من حي العرب .. وكانت امرأة ثرية ، وزوجها لا يقل عنها ثروة وجاه ؛ ولكن غلب اسم السيدة على القصر فيقال قصر السيدة بهية ..وجارى الأثرياء السيدة بهية وبنوا حوله قصورهم والفلل .. ومع وقت قصير انفصل هذا الجزء عن الحي الكبير وصار يقال له حي بهية ..حي الطبقة الثرية والغنية في المدينة وامتد إلى مساحات أخرى وكبر .. وأصبح حي الأغنياء والسادة في مطلع الستينيات والسبعينيات حتى ظهرت أحياء أخرى تنافسه للأغنياء فضعف صيته وشهرته .

ـ كيف وصلت إليك هذه المعلومات ؟ وتابع ضاحكا .. لعل سيفا حدثك بها !

ضحك إدريس على تهكمه ورد قائلا : أتسخر مني يا إياد ؟! أنت تعلم أنني أقضي ساعات وساعات خلال الأسبوع في المكتبة العامة في مركز المدينة .. وأعرف مدير المكتبة شخصيا ونتناقش في أوقات فراغه .. ونتبادل الأخبار والحكايات والتعليق على الكتب والصحف والمجلات .. وهو رجل عاصر تطور المدينة .. وهو يحمل ليسانس تاريخ وجغرافيا .. وله مؤلف حول نشأة الأحياء والمدن الحديثة وتوسع الأحياء أو تقلصها واختفاء بعضها أو تغير أسمائها القديمة ..إنه الإستاد عبس الحوا

ـ أعرفه ، لقد عرفتني عليه .. أكان صاحبنا سيف في المقهى هذا المساء ؟

ـ ذكرتني يا إياد .. لم أره اليوم ..ودخل المغرب وهو لم يظهر .. أفكر أن أزور القصر نهار الغد ومحاولة فرض نفسي عليه .. الآن لا أجد لك مهمة

إلا إذا كان عندك أفكار معينة .

قال وهو يقف : لا أفكار عندي وأستودعكم الله .. الشكر على اللقاء والعشاء والشاي والمرطبات

ـ لا شكر على واجب كما يقال .. إذا حدث شيء قد أتحدث معك .

ركب السيارة إلى حي بهية .. وكان الوقت قبل الظهر بقليل .. طرق الباب ، فتحت الخادمة فقال : السيد المهندس هنا .

ـ لا ، من أنت؟!

ـ صديقه .. أين أجده ؟

ـ أذكر أنك طرقت الباب منذ أيام.

ـ نعم ، كان بيننا موعد فاعتذر عنه .

ـ السيد نقل ليلة أمس إلى المستشفى .



شقيق سيف

بعدما استوعب إدريس الأمر نزل المدينة لصلاة الظهر جماعة ، وبعد تناوله الغداء ركب سيارة إلى المستشفى الذي يرقد فيه المهندس سيف ، وعلم من مكتب الاستعلامات الجناح الذي يرقد فيه المهندس ورقم الحجرة ، وركب المصعد إلى ذلك الطابق ، وتمشى لدقائق في دهاليز الطابق ثم طرق باب الحجرة ودخل .. فلما رآه المهندس حملق في وجهه للحظات ، ثم نظر إلى شقيقه الذي كان معه في الغرفة .. وارتفع صوت إدريس قائلا : الحمد لله على السلامة يا مهندس سيف .

لم يرد المهندس على الزائر ؛ بل أخذ يتبادل النظر بينه وبين شقيقه الطبيب أمير .. ولاحظ أمير امتعاض شقيقه من هذا الزائر .. وهو قد تفاجأ بوجود هذا الصديق لأخيه ، وظنه من معارفه أيام إدارته للمصنع ، فقد قدره من جيله .. فقام بالترحيب بالزائر والتعريف بنفسه ، وفعل إدريس مثله وقال: أظن أنني التقيت بك أكثر من مرة !

هتف أمير استغرابا : أنا كيف ؟! قال: أنت الطبيب أمير وردة كما عرفت بنفسك .. لقد التقيت بك في عيادة الأسنان في مستشفى الراحة .

ـ أجل ، فعلا عملت في عيادة ذلك المشفى عشر سنوات ؛ وذلك عندما تخرجت من الكلية الطبية .. أكنت مريضا أم موظفا ؟! أنا لا أذكرك .

تبسم وقال : كنت رفيق أحد المرضى .. ومشكلتي أن الوجه الذي أراه ولو مرة واحدة لا أنساه ما زلت أملك ذاكرة قوية والتفت لسيف وقال : كيف صحتك اليوم يا مهندس سيف ؟

قال سيف بغضب ظاهر : أرفض زيارتك يا سيد إدريس .

عجب أمير من رد شقيقه الحاد ، وقبل أن يتكلم بشيء سمع أخاه يقول: أنا لا أعرفه.

توقف أمير عن الكلام الذي كان يريده .
فقال إدريس: لي شهور أراك في المقهى الذهبي يا مهندس سيف .. أليست هذه معرفة ؟ ولست أدري لماذا يا طبيب أمير رغم جلوسنا الطويل في المقهى لا يتكلم شقيقك كثيرا ؟ أنا
افتقدته .. فعلمت أنه في المستشفى ..فقررت أن أزوره ..فهل نذر الصوم عن الكلام ؟
فصاح سيف سخطا : أرجوك أخرج.
أخذه أمير خارج الغرفة ، ووقفا في الممر وقال : ما القصة فشقيقي غاضب ؟
عرف إدريس بنفسه أكثر وبمهنته قبل التقاعد ، وجلسته في المقهى وقال : تعارفنا في المقهى ؛ لكنه لا يتكلم .. يعشق السكوت ..فظننت أنه بحاجة لصديق بعد مرور الأيام .. وهو كثير السرحان .. وهو يرفض الصداقة فاعتقدت أن هذه الزيارة قد تفتح الباب المغلق .. هذه هي
القضية.. لنا عدة شهور نرى بعضنا في المقهى .
تنهد أمير وقال : أهلا بك يا أخ إدريس .. أخي بصراحة معقد وحياته صعبة ..لا يحب تكوين الصداقات .. وعجيب أمر هذا المقهى الذي تتحدث عنه ..هذه أول مرة أسمع أن أخي يرتاد المقاهي ..حياته البيت والكتب حتى الزواج يرفضه .
ـ أعرف أنه تزوج قديما وطلق ، وانقطع عن النساء

قال: صحيح .. من قال لك ذلك؟!
ـ أحد الناس الذين عملوا معه في مصنع الدواء.
ـ كان مديرا لمصنع الدواء مع ابن خالي .
ـ لما تعرفت عليه من خلال المقهى ، حاولت التقرب منه أكثر من اللازم يا أخ أمير ؛ لكنه صدني رغم إصراره على الجلوس قريبا مني .. فلما أخبرت بمرضه وجدتها فرصة للتعرف عليه والتقرب منه والصداقة معه .. يبدو كما قلت إن حياته الخاصة معقدة .. أنا آسف يا دكتور أمير ولكني لن ايأس منه .. قد يقبلني صديقا في آخر الأمر ما دام مستمرا في التردد على مقهانا .
ـ هو ما زال يتردد على المقهى .
ـ قبل مرضه هذا ما زال ..كان معنا في المقهى ؛ لكنه الرجل الصامت .. ولا يتفاعل معنا إلا بعيونه .. لماذا هو هكذا ؟!
ـ لا أدري من عقود وهو كذلك ، ولقد رغب أبي بتزويجه أكثر من مرة ، وهو يصر على الرفض شكرا لك يا سيد إدريس .. وأتمنى أن تنجح أن تكون صديقا لأخي .. وحتى وهو يدير المصنع لم تكن له صداقات مع أفراد وكادر المصنع .. علاقة عمل فحسب .. قضى عشرين عاما فيه .. هو صديق البيت فقط ..لا يزور أحدا إلا في النادر جدا .. وتقل إليه الزيارة بسبب ذلك .. أنا تفاجأت حقيقة بحكاية ارتياده المقهى من عدة

شهور ومعرفتك له .. لم أعهد أخي يرتاد المقاهي والنوادي .

ـ له أشهر يفعل ذلك .. ومقهانا هو مقهى الكوكب الذهبي في مركز المدينة .. نتحدث بالعيون وحركات الوجه .. أترى أن كل هذا بسبب طلاقه لتلك المرأة ؟!

ـ لا أدري فهو رفض العلاج النفسي .. فزيارة المقهى تثير الاستغراب عندي .. لا يتكلم بشيء أمامك في المقهى .

ـ رد التحية ، وفي الغالب بالإشارة .. يجلس قريبا من مقعدي ، يطلب الشاي أو القهوة ويشتغل بالتدخين والنظر إلى الناس دون كلام .. وهو عادة يدخل المقهى عصرا ويغادره مغربا ؛ وذلك من أكثر من ثلاثة أشهر .. وحاولت بحكم المجاورة فتح خط اتصال معه ؛ لكن دون فائدة كل هذا بسبب أنثى!

ـ هكذا نحن نفسر ذلك .. أما السبب الحقيقي لا يعلمه إلا هو .. وكان ناجحا في عمله في المصنع .. وقبل سنوات طلب الإعفاء دون سبب واضح .. واعتكف في البيت.

ـ رفض جلسات العلاج نفسي .

ـ رفض بشدة .. وحكاية المقهى عجيبة .. واختيار هذا المقهى ربما تكون أعجب .. أنا لا أفهم مغزاها وسببها !

ـ هو هبط علينا فجأة .. وحده دون صديق .. وتعارفنا عندما اتخذ زاويتي مكانا لجلوسه .. وكلانا لا يلعب الورق .. وكلانا يتفرج على الناس .. وأنا أثرثر مع الرواد .. حاولت التقرب إليه كما أتقرب للآخرين .. فالمقاهي مكان للحديث والأخبار والعمل والتقاء المعارف والأصدقاء .

مقهى جديد

تابع إدريس من خلال استعلامات المشفى خروج المهندس سيف الدين ، وقد فشل في لقائه في غرف المستشفى ، ولم يحصل على معلومات مهمة عنه من أخيه أمير ؛ بل وجده لا يعلم الكثير عن أخيه سوى أنه معقد ، ودمر حياته الخاصة بسبب امرأة عاش معها زمنا يسيرا.

أقام سيف في المستشفى ثلاثة أيام ولم تجر له أي عمليه طبية ؛ ولم يظهر في مقهى الكوكب منذ دخوله المشفى ، ومضت ثلاثة أسابيع على خروجه دون العودة للمقهى .. فسأل إدريس نفسه أكثر من مرة: أتراه هجر المقهى ؟! .. ولكن التخلص من العادات من الأشياء الصعبة على النفوس .

كان إدريس غاضبا من نفسه في فشله في معرفة أسرار وعقدة سيف ، سعى إلى مصنع الدواء قابل عددا من رفاق العمل ، ولم يخرج بفائدة تذكر.. كان يأتي للدوام ويدخل مكتبه ويقوم بالأعمال الروتينية .. ليس له نشاطات مميزة أو اجتماعية ..

كان يتابع الآلات والماكينات بنفسه ومع المهندسين والفنيين .. وشعاره الصمت أو الكلام بحدود العمل والشغل

فقال إدريس حازما الأمر : لن أعرف أسرار هذا المخلوق إلا من فيهه .. متى سيتكلم ؟ هو يعرف لماذا أطارده وأتعقبه؟ أمعقول أن امرأة واحدة تفعل به كل هذا الفعل ؟! من هي تلك المرأة ؟ هل تقبل بمقابلتي ؟ بأي صفة سأقابلها ؟ هل تزوجت بعد أن طلقت أم تعقدت مثله لابد أنها تزوجت .. وهي ابنة وزير .. ما اسم هذا الوزير ؟ هل اتصل بالدكتور أمير ؟ لقد أعطاني رقم هاتفه وأخذ رقم هاتفي .

ولما مضى الأسبوع الثالث ، ولم يظهر سيف في المقهى الذهبي خطر لإدريس أن يرقبه في مطعمه المفضل .. وفعلا رآه هناك يتناول العشاء وتبادلا الابتسام .. وتظاهر إدريس أنه دخل صدفة ولتناول العشاء .

وكرر إدريس العشاء في المطعم ثلاث ليال ، وأدرك أن الرجل غير مقهاه ، وأنه قريب من مركز المدينة حيث يتناولان الطعام .. وخلال أيام رصد المقهى الجديد لسيف .. وتلاقت العيون وابتسامات السخرية من كليهما .. وأخذ إدريس بإغاظة الرجل فصار يرتاد المقهى الجديد قبل الغروب ، ويجلس قبالة الرجل حتى يشرب الطلب ، ثم ينصرف ، وظل هذا الوضع لعدة أيام ولم يتنازل الرجل للحديث مع إدريس الذي ازداد غلا وغيظا .

وذات مساء في مقهى الكوكب انقلب الوضع لما انتهى من الشرب نهض للانصراف وقال للرجل : أنا أكتب للصحافة إذا كان عندك قصة فأنا مستعد لسماعها . وترك ورقة عليها رقم هاتف البيت .

تفاجأ إدريس بقول الرجل ورده : أنت صحفي !

ـ أكتب للصحافة لي مقالات .

ـ آ ..جميل ! دعني أفكر .. شكرا .. هذا رقم هاتفك .

ـ أنا مثلك أعزب ترملت منذ عشرين سنة .

ـ أوه !! دعني أفكر .

وقف الرجل قائما للمغادرة وتابع إدريس مغادرته فلما أصبحا في الشارع قال: لن أتبعك اطمئن إنه الفضول يا مهندس سيف .

ـ دعني أفكر

ـ سؤال واحد فقط

لم يرد سيف ، فقال إدريس: لماذا جئت مقهى الكوكب فجأة ؟!

ابتسم سيف وقال: سؤال عجيب .. ستعرف سأفتح لك هذا ـ وأشار إلى قلبه ـ دعني أفكر

ـ متى نلتقي ؟

ـ دعني أفكر

ـ دعني أفكر .. سأدعك تفكر .. اعتبرني الصديق الوحيد لك .

ـ الصديق الوحيد .. كم عمرك ؟

ـ مثل عمرك تقريبا .. نسيت أن أقول لك الحمد لله على السلامة .

ـ كانت زيارة غريبة وصادمة .

ـ الفضول سقمي .

ـ الفضول صديقك .. في أي جريدة تكتب ؟

ـ جريدة أسبوعية باسم مستعار من عشرات السنين إنها جريدة الصحفي خلدون محمد .. جريدة الشرق المضيء.

ـ الشرق المضيء أعرفها ، قرأت بعض أعدادها .. الاسم المستعار .

ـ الفتى نصار .

ـ كأني أذكر هذا الاسم .

قال إدريس بخبث وتملق : هذا اليوم من أيام السعادة عندي يا مهندس سيف .. لقد توهمت عندما رأيتك أول مرة أنك قادم للقاء بي ، ثم رأيت التردد والحيرة على وجهك !

ـ لا ، إنما هي صدفة .. أنا فعلا جئت لهذا المقهى بالذات لأمر ما .. قابلت فيه شخصا قبل ثلاثين سنة ، جئت طامعا بلقياه ورؤيته .. وستعرف هذه التفاصيل فيما بعد بعد التفكير

ـ قابلت شخصا فيه قبل ثلاثين سنة ، وجئت حالما بمقابلته !

ـ كان ذلك في عام ٦٥.

ـ يا إلهي قبل ثلاثين سنة قابلته ! ولم تره بعدها.

ـ لم أفكر فيه لم أفكر باللقاء به ثانية .. فهذا سبب مجيئي لهذا المقهى .

ـ هل كان هذا المقهى نفسه قبل ثلاثين سنة ؟!

ـ نعم ، وفي نفس الطابق الثالث .. لقد جدد البناء كما بدا لي .

ـ اعتقد أنه جدد يا مهندس سيف .

ـ هل عرفت عني الكثير ؟

ـ لا شيء عنك لا أعرفه .. عرفت أنك مهندس ، وكنت مساعدا لمدير مصنع دواء يملكه خالك وكنت لفترة شريكا ، وعرفت شقيقك أميرا في المستشفى .. وقد قابلته قديما بعدما رأيته ؛ وذلك أيام عملي الوظيفي .

ـ المهم دعني أفكر إلى اللقاء .

ـ متى؟

ـ لا اعرف ؛ ولكني سأضع قصتي بين يديك .. وهي قصة قصيرة ؛ ولكنها مأساة .. أنا لا أدري لماذا أستسلم لك؟! .. فلك شهور تزعجني وتصر على التعرف عليّ .. إلى اللقاء يا سيد إدريس

قضى إدريس أسبوعا بعد هذا اللقاء المفاجئ ينتظر مكالمة من سيف .. تنقل خلاله بين المقاهي والمطعم ، ولم يظهر الفارس ذلك الأسبوع ، ثم

جاء الهاتف المنتظر ليلا .. وقد توسوس إدريس كثيرا ، وخطر في قلبه الكثير من الأفكار الرديئة .. ولما كان المتصل سيف تبدد الكثير من الظن والخطرات .. وبعد التحية والسلام قال : مساء الغد نلتقي كما اعتدنا في مقهى الكوكب الذهبي

ـ لك أسبوع لم تظهر في المقهى .

ـ لي أسبوع أفكر يا أستاذ إدريس .. تحدثت مع الصحفي محرر جريدة الشرق المضيء .. وتأكدت أنك تقدم لهم بعض التحقيقات باسم الفتى نصار.

ـ حتى ولو لم أكن أكتب لهم فأنا بشوق وهوس لسماع قصتك في هذه الحياة الدنيا .. لي حوالي العام أنتظر أن أعرفك جيدا .

ـ حياتي مأساة .. حطمتني امرأة .

ـ أعرف وهي ابنة وزير كما قيل ؛ ولكنني لم أعرف أي وزير صاهرته !

ـ كانت ابنة وزير صحة تزوجتها قبل الوزارة بأشهر معدودة ..كان والدها من كبار الجراحين في البلاد في الخمسينيات والستينيات .. لم تطل وزارته .. مات أثناءها

ـ مات!

ـ نعم ، مات بعد طلاقي لابنته بشهور .. سنتحدث عنه .. وستعرف لماذا طلقت ابنته؟ إنه الوزير خالد حمدي أسعد .

فتح ادريس فاه وقال بدهشة : أوه ! إني أعرفه ..كنت موظف صحة في قديم الزمان !

ـ ستكون بيننا جلسات وجلسات .

ـ أنا سعيد بهذا الكلام ! قصص الحياة كثيرة ..وقصص الناس لا تنتهي يا مهندس سيف .

ـ قل سيف بدون مهندس ، لقد رميت الهندسة وراء ظهري .. أنا مثلك متقاعد ، لكن بدون راتب تقاعدي من التأمين الاجتماعي ..أنا كان والدي من كبار تجار البلد ، وترك لنا أموالا تغنينا الدهر كما يقال .. ولي تقاعد من نقابة الهندسة .. أرجو أن تكون أهلا للأسرار التي ستعلمها عني يا إدريس

قال : اطمئن اطمئن للغاية يا صديقي ..رغم ما رأيته من لهفتي وفضولي الشديد نحوك ، فأنا خير من كتم الأسرار .. كل إنسان له أسرار وأخبار

عندما أنهى إدريس المكالمة رن جرس الباب ، فوضع السماعة في مكانها ، ومشى ليفتح الباب لطارق الليل ؛ فإذا هو زميله إياد ، فتعانقا ، وأدخله الدار مرحبا ومسرورا ، وأعد القهوة ، ولما جلسا في صالة الشقة قال إياد : لم تعد ترد على اتصالاتي .

ـ أكون خارج البيت .. لقد تطورت الأمور بشكل جيد .. واستسلم المهندس لصداقتي التي فرضتها عليه .. وقبل قليل تركت السماعة معه .. فمشوار المستشفى أثمر ولو بعد حين .

وقص عليه قصة المستشفى ، ومطاردة المقهى الجديد ، وحوار المقهى ، وقال إياد : أخيرا استسلم البطل .. أقدم لك التهاني الحارة يا إدريس أثمر صبرك .. غدا سيبدأ الكلام المهم .. متى ستعرفني على صاحبك الجديد؟!

ـ متى ؟ متى ؟ بالتأكيد سأعرفه عليك .. ألست أنت الذي عرفت بيته وحيه ؟.. هو لم يسألني عن كيفية معرفة البيت والحي .. ربما اعتقد أنني أنا الذي توصلت إليه.. إنه رجل مسكين كما قلت لك .. تعرف على فتاة كان والدها وزير صحة الدكتور (خالد حمدي أسعد) ومات أثناء مؤتمر خارج البلاد في حادث ..لا أدري الآن هل حضرت جنازته أم لا ؟! مات في الستينيات ـ كنا في أول عهدنا في وزارة الصحة ..لم نلحق التعرف عليه.

ـ المهم تزوجها وقبل إنهاء شهر العسل طلقها وكره النساء بعدها لليوم!

ـ هل وجدها امرأة ؟!

ـ لم يتحدث عن خيانة زوجية أو عيوب فيها .. هو تشجع للحوار لما علم أنني أعمل في الصحافة .. وقرأ لي بعض المقالات التي أكتبها في جريدة الشرق المضيء كما تعلم بتوقيع الفتى نصار .

ـ هو بحاجة للحديث ..وهل علمت سبب تردده طول هذه المدة في التعارف وسبب وجوده في مقهى الكوكب الذهبي؟!

ـ هذا لم أعرف جوابه بعد ؛ لكنه سيتكلم .. فشقيقه الذي تعرفت عليه في المستشفى تفاجأ من تردد أخيه على المقهى .

ـ لم يفصح عن سبب وجوده في المقهى .

ـ يقول إن سبب وجوده .. أنه قابل رجلا في المقهى قبل ثلاثين سنة ويطمع باللقاء به .

تعجب إياد جدا وقال : غريب! رجل التقى به في المقهى قبل ثلاثين سنة ، ويأمل أن يراه مرة أخرى ـ وطلب مهلة للتفكير قبل فتح قلبه لكشف أسراره .

ـ لم تعرف سبب رفضه التعرف عليك كل هذه الشهور .

ـ لا ، غدا سيكون أول الغيث يا صديقي .

ـ وهل ستخبرني بكل ما تسمع ؟

ـ هو طلب كتم الأسرار .. ولكني سأجد الطريقة المناسبة .. فأنت صديق عزيز ومتعاون معي في هذا الملف ..سأقدر الأسرار .. ويكون الكلام .. سأقدر أهمية ما أسمع ..وبعد حين سأشركك معنا.. وإذا لم أنجح بربطك معنا سأتدبر أمر نقل المعلومات .. فأنت أخ عزيز وصديق العمر وشريك في هذه القضية العجيبة .. فهو بعد عدة اعترافات سيتوقف ويحس بالندم وسيجد عذرا للتوقف إلا إذا كان راغبا فعلا بالتنفيس عن

مخزون كل هذه السنين ..

ـ فهو له أسبوع يفكر حتى حسم أمره الليلة واتصل .

التقى إدريس بسيف في المقهى الذهبي مساء اليوم التالي ، وبعد التحية والمصافحة بكل حرارة كأنهما أصدقاء منذ تعارفا قبل شهور ، ولما شربا الشاي قال سيف ـ وهو يقدم دفترا متوسط الحجم للسيد إدريس ـ : عندما تتصفح هذا الدفتر الصغير سيكون بيننا الحديث والتفصيل في جلسة أخرى .. وأنا سأنقطع عن المقهى بشكل دائم انتهت مهمتي هنا بالفشل .. ربما نجلس جلسات عارضة فيه .. وإذا تتطورت أمورنا فسيكون الحديث إما في بيتي الذي عرفت بابه أو في بيتك الذي سأعرف بابه .. سنرتب لكل لقاء بالهاتف .

ونهض قائما وتابع : سأتصل بك بعد أيام .. فتكون قد قرأت ما كتبت في هذا الدفتر .

نهض الآخر : شكرا ..أنا في انتظار هاتفك .

ـ شكرا سيد إدريس .

وتصافح الرجلان ، وغادر سيف المكان على الفور لم يصبر إدريس عن قراءة الدفتر ، فلما اختفى جسد سيف انتقل إلى شرفة المقهى المطلة على شوارع المدينة ، وضوء النهار ما زال يغمر المكان ، وأخرج دفتر المذكرات .. هو لم يكن دفتر مذكرات بالمعنى الصحيح ؛ إنما كان دفتر ملاحظات مما يستخدمه طلبة المدارس .. وأدرك أن الرجل كتبه حديثا ؛ ربما خلال الأسبوع الماضي .. ولم يفهم الغرض من هذا الدفتر الصغير .. وجد فيه معلومات عامة عن الرجل اسمه وميلاده ومكان الولادة ودراسته الابتدائية والثانوية ودخوله كليه الهندسة وبعض الحديث عن والده ووالدته والعائلة .. ثم تعرف من خلال الكلية على فتاته "نبيلة خالد" طالبة كلية الهندسة .. وهي الفتاة التي تزوجها قبل التخرج من الكلية ووعد بالحديث عن تلك الصداقة بالتفصيل شفويا .. وبين في دفتر الملاحظات سبب مجيئه للمقهى وهو البحث عن الشخص الذي ساعد على تعجيل الطلاق .. وكان ذلك في منتصف الستينيات .. وعلى أثر تلك المقابلة وقع طلاقه من نبيلة خالد .. واعترف رغبت هي ببقاء الحياة الزوجية واستمرارها .. وكان الغضب أعماه وأصر على الانفصال .. وكان له ذلك رغم امتعاض الكثير من الأهل .. وأن سبب العودة للمقهى في هذا الوقت أن هذه الفتاة قبل أن تفارق الدنيا كتبت له رسالة تبرأ مما سببته له من ألم وحقد على جنس حواء .. وأنه تعرض لمكيدة وتآمر من شخص حاقد مخادع ماكر .. وقد حقق مبتغاه ..وأنها لا تعرفه ولم تذكر أنها قابلته في حياتها .. وتذكر شخصا زميلا لهما في الكلية ؛ ربما يكون له يد في اللعبة الخبيثة .. وأن عليه أن يبحث

عن الرجل الذى باعه الصورة الماكرة التي لا تعرف نهائيا كيف صورت لها .. وتطلب منه المرأة معاودة الاتصال بذلك البائع .. وعلى أثر تلقيه رسالة نبيلة بعد وفاتها ذهب للمقهى حالما برؤية ذاك الشيطان الذي لم يفكر فيه كثيرا تلك الأيام .. كان مصدوما مذهولا .. ولكنه وجد إدريس في وجهه الفتى نصار .. وكتب عددا من الرجاءات يطلبها من إدريس وهي أن لا يكتب شيئا عن حياته للجريدة .. واعترف له بأنه يعاني من بعض أمراض القلب والأوعية الدموية وصحته ليست على ما يرام .. ووعده بالدفتر أن يسلمه الرسالة التي أتته من زوجته المطلقة ؛ ليطلع عليها قبل الحديث عن أهم تفاصيل حياته وقصة الطلاق الصعب في أول شهر من الحياة الزوجية .. وغضب والده عليه من أجل ذلك واستمر غضبه لمدة سنة .. وتهاجرا بسبب ذلك .. ثم تصالحا وأشركه مع ابن خاله في إدارة مصنع الدواء .. وظل بدون زواج ، ولم يستطع التخلص من عقدة الشر في النساء لحتى الآن واعترف أنه ما زال يجهل سبب اهتمام إدريس به ومطاردته وتعقبه ..ويتمنى أن يكون السبب الفضول فحسب .

فضحك إدريس ملء شدقيه عندما قرأ هذه الفقرة وعلق فقال : ماذا أريد منك يا حضرة المجنون ؟! لقد رأيت في وجهك كلاما فأحببت معرفته .. ولعبنا لعبة القط والفأر .. لماذا ؟! صدق لا أدري .. وعجبت من خوفك مني ؛ كأني ذلك الغول الخرافي الذي تتحدث عنه العجائز لتخويف أحفادهن .. اليوم أفهم خوفك مني .. ضعف شخصيتك .. ترددك .. شكك في زوجتك التي أفرطت في حبها في الجامعة .. صدمتك خيانتها ..وكيف خانتك قبل الزواج ؟ وأن الرجل الخائن كشف نفسه لك في هذا المقهى .. وزوجتك حبيبتك تنكر أي علاقة بغيرك سنعرف التفاصيل شفويا .. وهل حكاية كهذه تجعل الرجل معقدا نحو الجنس الآخر ؟! وهي حكاية مكرورة على مدار التاريخ .. ألا يسمع الرجل ولو كان ضحية مثل هذه الخيانات ؟ أتجعل هذه الخيانات الرجل معقدا يكره الزواج ؟ الحاج حاكم وردة كان رجلا معروفا مشهورا على مستوى القطر كله والأقطار المجاورة .. فهو من أكابر تجار المواد الغذائية سيد الدقيق والأرز والسكر في فترة الستينيات والسبعينيات .. لقد رأيته شخصيا عددا من المرات .. وإن كان وقته لا يسمح له بالجلوس معنا .. هل كان هذا الرجل سببا لعقدة سيف بإيذاء أمه ؟ فأثر نفسيا على سيف تجاه النساء ..ولكن كان الدكتور أمير طبيعيا ومعروفا ، ولم يكن معقدا .. هل سببت تلك الفتاة عقدة لسيف كما يزعم أم جعلها سببا لينفس عن ضعفه نحوهن ؟ هل يترك الرجل

الزواج من طلاق امرأة ؟ أنا تركت الزواج لضعفي الجنسي وعدم قدرتي على الإيلاد .. والمرأة تريد أن تلد .. تريد الأمومة .. وليس الجنس فحسب .. هو الإنسان عندما يتعود على حال يصعب عليه التغيير .. مللت العلاجات والمراجعات .. ثم إن المرأة بعد زواجها من جديد حلفت له أنها بريئة مما اتهمت به .. وأن الرجل الذي قابله في المقهى غادر حاقد .. وهل هذا الرجل حيا يا إدريس ؟ ليسعى سيف إلى اللقاء به وهل يعرفه حق المعرفة أم وسوسة شيطان ؟ ولماذا تأخر الرجل في التعرف عليّ مع إدراكه شدة فضولي ومطاردتي له ؟ ولماذا تأخر في قبول صداقتي ؟ .. وقد وافق عليها في النهاية حتى أنه رفض استقبالي في المستشفى ؛ كأنه رأى وحشا يدخل عليه .. نظرات لا تنسى هذا الرجل فعلا قصة .. أخبر أخوه أنه رفض العلاج النفسي ماذا يقرأ الرجل في البيت ؟ أخوه يقول إن حياته القراءة الكتب والمجلات .. سوف أزوره في البيت.. عنده عقدة النساء والنساء تخدمه في البيت .. ألم أر الخادمة ؟ يرفض المرأة كزوجة ويقبلها كخادمة أم أنه نوع من الإذلال والانتقام من الجنس الثاني .. فكثير من الرجال تعمل كخدم وتطبخ وتغسل كما يشاهد في الفنادق .. صبرت أشهرا حتى تمكنت من صنع بداية علاقة معه .. والحصول على هذا الدفتر.. سأصبر حتى تتضح تفاصيل الحكاية الغريبة .. ثلاثون سنة دون امرأة دون زوجة يا إلهي .. اشتغل منها عشرين سنة ، ثم ترك العمل ، هو ورث الكثير من المال عن الوالد والوالدة .

لما رجع للبيت أعاد إدريس قراءة دفتر الذكريات مع التوقف عند كل فقرة .. فكان الدفتر تمهيدا أو مقدمة لما سيعترف به لإدريس اللبن .. هل يكتب الرجل مذكراته ؟.. مذكرات يعترف فيها بخطئه .. هل وجد نفسه ظالما للفتاة ؟ وشرع يبحث عن تفاصيل المؤامرة التي تعرضا لها .. والرسالة التي يشير إليها تقول: إنها بريئة مما الصق بها ، ومما اتهمت به من خيانة زوجية قبل الزواج .. وكيف صدق الاتهام ؟ وهو الحبيب .. لو لم تكن بريئة ما كتبت له الرسالة ؛ ليبحث عن الحقيقة ..وإنها لم تكن السبب في تدمير حياته .. فهي تدافع عن شرفها ونفسها ولو بعد موتها .. وجاء المقهى لأنه مصدق لها .. ولديه رغبة بالوصول للحقيقة من ذلك الرجل .. هل ذلك الرجل حي أم ميت ؟!

الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد المهندس سيف الدين وردة

سلام الله عليك

أنا أكتب هذه الرسالة وأنا أستعد لرحلة الموت، الرحلة التي بين الحياة الدنيا والآخرة، أنا أعاني من مرض السرطان ..وحانت النهاية مع أنني من عائلة كلها أطباء .. لكن علاج ناجع لا يوجد وأنا أكتب هذه الرسالة لأنك زوجي الأول والذي أحببته حق الحب .. وستصلك هذه الرسالة بعد موتي كما طلبت من ابنتي هند الطبيبة هند غريب .. ربما سمعت بها أو رأيتها لأننا ما زلنا من أهل بهية .. وستصلك الرسالة بالبريد مع معرفتنا لمكان بيتك كما تعلم .. ونحن نعرف بعضنا عندما التقينا في كلية الهندسة لأول مرة ، واكتشفنا أننا من أهل حي بهية أنا أحببتك بإخلاص يا سيف .. وأحببتك حبا شديدا وجادا .. وأنت فعلت مثلي .. لقد قرأت الكثير من قصص الغرام لأدباء مصريين وغربيين .. قرأت لإحسان عبد القدوس ومحمد عبد الحليم عبد الله ويوسف السباعي وغيرهم .. فكنت أعتقد أن ما فيها له واقع وحقيقة .. وكان ذلك في المرحلة الثانوية ، وكان الشبان من حينا وحي العرب يقومون بمعاكساتنا .. فبعضنا تقع وبعضنا تتردد وتخاف .. فالمغامرة محفوفة بالمخاطرة .. وهؤلاء الشبان يبحثون عن المغامرات العابرة والسريعة واللهو وتعدد الحبيبات .. كنت متفرجة لم تستهويني تلك اللعبة رغم شوقي لعلاقة رومانسية لقصة غرام .. لم تحدث إلا عندما تقابلنا في الجامعة رأيت الفارس والبطل الذي أبحث عنه وحلمت به .. كان والدي لا يحب لنا هذا العبث كما كان يسميه رغم أنه كما تعلم كان أكاديميا ومحاضر جامعة ..وتخرج في بريطانيا ، وعاش فيها عقدا من الزمان .. وهو مع حرية المرأة ؛ لكنه كان يراعي العادات ، وما زالت مؤثرة عليه .. وكان يتساهل لو وقعنا في تلك العلاقات .. هو نفسه تزوج أمي عن قصة حب لا أعرف تفاصيلها .. كنت الفارس الذي خفق له قلبي هوى وغراما بطل القصص الرومانسية والعاطفية .. وأنت حبيبي بكل شغف وقوة .. حتى أن زملينا مرادا تضايق من سرعة حبي لك .. وبذل الجهد للتفريق بيننا .. وكان قد تقرب إليّ قبل أن أعرفك .. لكني لم أكن أراه فارس أحلامي كنت الحبيب الأول والأخير .. وزواجي من والد أبنائي كان ضرورة بعد فشل زواجنا بسرعة الصاروخ .. أمي وافقت على حبي لك ما دمت من نفس الطبقة التي نعيش فيها .. وكانت تعرف والديك حق المعرفة .. ونحن كما تعلم أبناء حي بهية .. فالاختلاط فيه من الأمور المباحة دون تردد ولا حرج علينا .. فقد شاركت الشبان والشابات المسارح والمسابح ولبس ملابس السباحة دون حياء وخجل.. لكني لم أتعر عريا كاملا أمام أي إنسان، لم يحدث ذلك يا سيف أبدا

يا سيف .. أنت كذا مرة رأيتني بملابس البحر .. ولم تطلب مني شيئا وعدم الظهور بها .. كنت ترى الأمر طبيعيا حسب ما تعودنا .. كنت الزوج الذي أحلم به لأعيش قصة حب كما أقرأ في الروايات والقصص .. كانت تعجبني معاكسة مراد نحونا .. لكن لم أخرج معه في مشوار في رحلة في طعام .. وفي السنوات الأخيرة في الجامعة كان هناك رجل قريب لأبي يرغب بالزواج مني ..وكان والدي الجراح يراه مناسبا ؛ ولكنه لا يستطيع إجباري ، كان يريد أن أقبله طوعا يا سيف .. وأنت تعلم ذلك ، وتحدثنا عن ذلك .. طلبت منك الزواج قبل إنهاء الجامعة لأني أريدك وحدك .. وطلبت مني أن أتحدث مع والدك السيد الكبير حاكم وردة ، وبارك الرجل الزواج ، ووعد بالحديث مع الوالد عندما أعلمته أمي بموافقتها على مثل هذا الاقتران ، وأنها تفضلك على الاقتران بي من قريبنا الدكتور غريب .. ثم حدث تطور عجل بالزواج الفعلي .. فقد أخبر الوالد بأنه سيكون أحد أفراد الوزارة الجديدة وخشية رفضك كما تعلم قلت لك عجل بالزواج ليعجل أبوك بالحديث مع أبي قبل أن يعين وزيرا فيكبر الفرق الاجتماعي بيننا .. وأنت تشجعت وذكرت ذلك للوالد فتحدث معي .. وحدث الزواج يا سيف ، ونحن على مقاعد الدراسة ، وسكنّا في بيت من بيوت والدك .. وبعد الزواج بأسبوعين أريتني صورة لي وأنا فيها بدون ملابس داخلية ، فتاة عارية تماما ، لم أنكر أن الصورة لي .. وقلت لك بصدق ما خلعت ثيابي الداخلية من أجل صورة خليعة أو زنا .. ولا أدري لليوم كيف صورت لي تلك الصورة ؟! ذكرت لي أن زملينا مرادا هو الذي حدثك عن تلك الصورة العارية .. وأنه شاهدها مع رجل في أحد مقاهي المدينة وحثك على مقابلته .. وذهبت لمقابلة الرجل وأعطاك نسخة من الصورة التي عرضتها عليّ .. أقسمت لك أنني لا أعرف كيف صورت هذه الصورة ؟ ولم تصدقني ، وقررت الطلاق وأمام الضغط والحالة التي أصابتك قبلت الطلاق .. وتنازلت عن حقي الشرعي .. وغضب والدي منك بشدة وصدم ؛ ولكنك عرضت عليه تلك الصورة .. فصدم أبي من تلك الصورة .. وتم الطلاق بذهول الجميع .. ولليوم أيها الحبيب لم أعرف كيف صورت؟ وأين ؟ أنا لم أنكر أن الصورة لي وليست تركيبا وخدع مصور.. وصار والدي وزيرا في الوزارة الجديدة ونسي الموضوع .. ولما تم الانفصال والعدة تزوجني السيد غريب بدون تردد .. وهو زوجي الحالي والد أبنائي الثلاثة.

وأنا لم أتكلم معك بأي صورة من يوم الانفصال .. ولم يحصل حمل من طرفك .. فكان الفراق أبديا ؛

ولكني أتعذب من أجلك يا سيف .. لقد علمت أنك لم تتزوج بسبب تلك الصورة .. لم تسع لأن تكون أبا بسبب تلك الصورة .. وجعلتني السبب الكبير لذلك .. أنا بريئة يا سيف وأقسمت لك ولأبي ولأمي وإخوتي أنني لم اخلع ثيابي لأتصور عارية .. لاقف أمام كاميرا مجردة من الثياب .. ولم أمارس الجنس مع أي إنسان قبل زواجي منك .. فكيف صورت ؟ لست أدري .. أنا بريئة .. وأقول ذلك وأنا أستعد للرحيل من هذه الدنيا .. ولا ذنب لي في تدمير حياتك .. أنا أحب أن تسامحني .. وأن تذهب لذلك الرجل الذي أعطاك الصورة القبيحة ، وتعرف منه كيف صورت ؟ لتعرف أنني بريئة .. وأننا تعرضنا لمكر شيطاني .. وأنت تعلم أن المرأة تستطيع الخيانة الزوجية دون الحاجة إلى صورة.. راجعت حياتي منذ رأيت تلك الصورة في يدك .. فلم أعرف كيف خدعت ؟ كيف عريت؟ ومن وراء هذا العمل الشيطاني من هم ؟ أين خدرت ؟ إذا كان هناك تخدير لا أعرف .. إلى اللقاء.. هناك رحمة الله السلام عليكم.

حي العرب

كانت المدينة صغيرة أو أقل سكانا في حياة جدي وبداية أبي كما أخبر أبي ، كانت له دكان في سوق الأطعمة الكبير ، لم يتعلم في المدرسة إلا المرحلة الأولى ، ولما تزوج فتح له والده دكانا خاصة به ، وتعاطى نفس المهنة ، وكان والده غنيا ، وكذلك والدته ، فكلاهما من أبناء التجار ولكن الجد لم يكن طموحا كوالدي .. استقل الوالد عن الجد بعد الزواج .. زواجه من أمي ـ رحمها الله ـ استأجر دكانا أخرى وتوسع في بيع الأرز والسكر .. وخلال سنوات سيطر على السوق .. وأصبح المستورد الأول لها .. فسافر لمصر والهند وغيرهما من البلاد المصدرة للسكر والأرز لم أكن المولود الأول لأبي ، كانت هناك أختي الكبرى مريم ، ثم أخي المرحوم حازم ، وكنت الثالث الثاني من الذكور ..كانت ولادتي في الحرب الثانية .. وسميت سيف الدين .. أيام الأزمات والكوارث الكبرى يلجأ الناس للدين ولو بالأسماء .. فأحب والدي هذا الاسم فصرت سيف الدين حاكم من آل وردة .. كان حظنا من التعليم أحسن من حظ والدي .. تعلمت في مدرسة أهلية رغم انتشار مدارس الحكومة .. كان الآباء يحبون صنع أبنائهم ويوجهونهم لدراسة ما يحبون .. فدرس أخي الكبير الطب .. وأراد والدي ذلك لي فاخترت الهندسة .. فقبل ذلك ودرس أخي الأصغر الذي تعرفت عليه في المستشفى الطب كأخي الأكبر وأخي حازم توفي في حياة أبي وأمي .. كان باص المدرسة يأخذني طول أيام الأسبوع ما عدا الجمعة ؛ لأنها عطلة رسمية .. كانت تجارة أبي تكبر ونحن

صغار .. لذلك لما بلغنا الثانوية العامة كان الوالد أكبر تاجر أرز في البلاد كلها .. وأخذ يهتم بالعمل النقابي والجمعيات التجارية والغرف التجارية ..كان من طبعي الخجل وخاصة من الفتيات منذ عرفت أن البنات تختلف عن الذكور .. أتهرب من الحديث معهن حتى من بنات أقاربي كبنات أعمامي وعماتي وأخوالي وخالتي وبنات الجيران.. لم ترق لي تلك العلاقات ، ولو سميت بريئة ولعب عيال.

كنا من سكان حي العرب وهو حي قديم وكبير مساحة وبشرا .. لم يكن هناك تميز كما علمنا فيه بين غني وفقير .. وكانت العائلات والأقارب تحب مجاورة بعضها البعض في القديم .. ثم نشأ حي بهية كجزء من حي العرب ؛ ولكنه امتاز بالأسر ذات الثراء الكبير .. ثم استقل عن حي العرب لما امتلأ بالقصور والفلل على الطرز الغربية والحديثة .. فشيد الوالد قصره الكبير وفعل بعض أشقائه مثله .. وانتقلنا للحياة فيه ؛ ربما كنت في مطلع المرحلة الأولى من التعليم النظامي .. وهو شيده بعد استقلاله عن جدي وزواجه .. وكان من مال أمي وأبي ووالد أمي جدي أدهم ..لا تفهم من كلامي أن حي بهية من عمري لا هو موجود من زمن ربما قبل أن نسكن حي العرب ؛ إنما برز كحي خاص للأثرياء بعد زمن وحياتنا في بهية امتداد لحي العرب لم يتغير على عاداتنا وتقاليدنا الجديد ؛ لكنك تجد بنات ونساء حي بهية أقل تحفظا وحشمة وأكثر سفورا وتبرجا واختلاطا بالرجال سواء في النادي والجمعيات.. والزيارات والحفلات لا تكاد تفرق بين الجنسين .. والقضايا الأخلاقية تمر فيه عبورا سريعا ، لا يتوقف الناس عندها إلا كخبر وحادث .. ومع حياتنا فيه ظلت علاقتي مع فتيات الحي ضعيفة .. التحية والابتسامة .. لم تتطور إلى علاقة مراهقين وغرام بعكس أخواي حازم وأمير .. وعادة كل هذا ينتهي بانتهاء الدراسة الثانوية .. كان حازم يكبرني بعامين، ويصغرني أمير بسنتين أيضا ، وباقي ذرية أمي بنات .. خمس بنات .

أختي الكبرى وبكر أبواي تزوجت فور إنهاء الثانوية ؛ لأنها كانت مخطوبة أثناء تلك المرحلة كانت البنات تتزوج مبكرا يا أستاذ إدريس .. وكان أخي حازم جادا في دراسة الطب ومحبا له ومبغضا للتجارة وأنا مثله .

نجحت في الثانوية العامة ، وقبلت في الجامعة كطالب في كلية الهندسة ، وكنت أسمع أخي الأكبر يتحدث لأمي عن جو الجامعة والبنات .. وتلك الأيام كانت طالبات الطب غالبهن من بنات الأثرياء لارتفاع تكاليف الدراسة .. فالتعليم الجامعي ليس مجانيا .. وهذا تجده في كلية

الهندسة .. فقليل من أبناء الأسر الفقيرة من يتعلم في تلك الكليات الباهظة التكاليف فأكثر أبناء الفقراء يتجهون للمعاهد المتوسطة أو الكليات الأقل تكاليفا أو التعلم في أوروبا الشرقية ولكن قد تجد طلبة من تلك الطبقة المسكينة في الكليات العلمية نتيجة منحة أو بعثة أو أصحاب المعدلات العالية الذين يتعلمون على نفقة الدولة .. لقد كان عندي أفكار عن حياة الجامعة والمجتمع المختلط والحكايات السيئة مما كنت أسمعه من حازم رحمه الله.

فالجلوس مع البنات يبدأ من أول الفصل سواء من طالبات نفس الكلية أو الكليات الأخرى ويكون في الساحات المشتركة ..وعليك أن تتقبل ذلك بحكم الدراسة وبحكم القرابة .. وترى الجميلات الفاتنات والدميات ترى الجادات وترى العابثات .. رأيت نبيلة خالد من الأيام الأولى في الفصل ..كنا من نفس السنة .. كانت فتاة فاتنة بحق يا إدريس ، وكانت بنت أكاديمي له اسمه في الجامعة .. تعرفنا على بعض مثل سائر الطلاب .. أحسست بشيء نحوها لكني لا أحسن العبث والتسلية مع الجنس الآخر .. رأيت عددا من الشبان يحومون حولها ، لم أستطع الفعل مثلهم .. ليست لديّ خبرة في معاكسة البنات والجلوس معهن .. كانت نبيلة محبوبة القلب منذ الرؤية الأولى ، لم أستطع الاعتراف لها بذلك ؛ بل كانت تعمل حركات وإشارات تشجيعية لمصارحتها بهواي ..كانت تحس بي ؛ ولكنها خجلة من البدء بذلك الحب مع أن عيوننا تصرخ بذلك ، لم يكن لديّ الجراءة على عمل علاقة غرامية وعاطفية مع أي فتاة ومعها بالذات أعترف اليوم لك بهذا الضعف والخور .. تلك الأيام لم تكن مسلسلات الحب شائعة مثل اليوم كانت التلفزيونات غير ملونة ، وبثها ضعيف .. والسينما موجودة وروادها قلة ..وأفلامها موديل الثلاثينات وما بعد الحرب الثانية ، وأكثرها أجنبي .

كانت نبيلة تدرك أني من النوع الخجول جدا ، ولم تكن لي علاقات قبل الجامعة ، وأنني لم أرافق أنثى بقصة غرام ، وأن صفة الخجل تسيطر عليّ بقوة ، ومنعتني من مطاردة الفتيات ومصاحبتهم خاصة في الجامعة .. فهي فرصة للتمرد على العادات والتقاليد .. كنت أحترق من مطاردة الشبان لها وخاصة مرادا الذي يصاحب الفتيات ليثيرها للتعلق به .. كانت تهواني وتنتظر كلمة إشارة ؛ ولكني عجزت عنها فترة طويلة يا إدريس .. وكنت أخشى استسلامها لمطاردات الآخرين .. وأتحسر على ضعفي وجبني .. وتفاجأت عندما علمت أنها من سكان حي بهية ـ نحن من أهل نفس الحي والشوارع ـ وعلمت أن والدها طبيب

كبير في المستشفى التعليمي فزاد رعبي من الاتصال بها ، ولم أستطع أن أعترف بإعجابي بها .. ومضت السنة الأولى دون أي علاقة خاصة بها .. وكنت أدعو أن تكون من نصيبي عند الزواج .. وكان زميلنا في الفصل مراد مطاردا جادا لها رغم شيوع غرامياته في الكلية والجامعة ، بل علمت أنه يغار مني نحوها ؛ فكأنه علم أو أدرك تعلقها بي .. ومن أجل ذلك كانت ترفض أي علاقة معه .. هذا عرفته فيما بعد ، لم تكن لديّ جراءته ، وإن تمنيت بعضها ، عدنا للجامعة في السنة التالية ..كان التعليم في ذلك العهد بنظام السنوات والفصول ، ليس كاليوم بنظام الساعات والاختيار .. انتهى الصيف وعدنا للدراسة .. لم نر بعضنا خلال عطلة الصيف .. علمت أنهم يقضون بعض الزمن في بريطانيا حيث تعلم والدها .. رحبنا ببعض في مطلع الفصل كعادة الطلاب بعد العودة القسرية كانت عيناها تخترق جسمي وقلبي .. وكلما وقفنا نتحدث مع بعض كنت أخشى أن تعترف لي بحبها ؛ ولكني أدركت أنها تنتظر أن أنطق بها .. كانت تفتعل المحادثة والمحادثة معي وأنا أضعف عن الاعتراف بحبها .. تقول لي كيف حالك ؟ ما أخبارك ؟ أرد بحياء بدون فضفضة حتى أن مرادا صرخ فيّ مرة ساخطا يا رجل البنت تموت فيك ترفضني من أجلك ، قل لها تلك الكلمة الساحرة ، أنت في الجامعة .. لا أستطيع أن أقولها ، وهي لا تستطع قولها والبدء بها مع أن عيوننا قالتها مئات المرات ..كنت أرى مشاكسات ومعاكسات الطلاب لها وهي صامدة ؛ كأنها اختارتني وحدي فقط رغم جبني وإهمالي لها .. وأدركت هي ضعفي وخجلي .. أخذت رقم تلفون البيت ، وكانت تتصل للحديث حول المحاضرات والنشاطات ، وتسأل عني وعن صحتي وأنا أتكلم بحدود الرسميات والزمالة .. وقلبي يكاد يقفز من صدري يا إدريس هوى ولوعة ..وفي مطلع السنة الثالثة استطعت أن أعترف لها بحبي وولهي بها .. فقالت لي سنتان يا سيف أنتظر هذه الكلمة الساحرة أخيرا اعترفت بما تكلمت به العيون من أول سنة .. أحببتك من الأيام الأولى .. رفضت كل الشبان من أجلك من أجل هذه الكلمة ..أنت عيوني يا سيف

اعترفت لها بحبي لها من تلك الأيام ؛ لكني لم أستطع نطق تلك الكلمة .. وأنا لم أقلها لأحد من قبلك يا نبيلة !

ـ أنا متأكدة من ذلك .

وعرفت السعادة تلك اللحظات ، وغرقنا بالحب والهوى .. الحب العذري ..لم أكن أستطيع مجاراة فتاتي في الهوى والغرام ، لقد كنت أستمتع بسماع كلامها وغزلها وغرامها .. وأتعجب من مصدر

الكلام .. كانت تعيش في قصة حب كبيرة ، ولا أصدق أني ذاك الفارس يا إدريس.. وكانت تقبل القليل مني ؛ لأنها عرفتني لا أحسن الكلام الكثير .. أحببتها بكل عمق من أعماق قلبي ..كنت مشغوفا بها .. كانت ملكة فؤادي بحق تلك الأيام .. وبعد شهور من الحب حتى تمكنت من نيل قبلة منها ..كانت القبلة الأولى ، فعلت كما يفعل المحبون في الأفلام التي نراها في السينما يا إدريس .. فكل الزملاء علموا بحبنا وهذا أمر طبيعي في شوارع الجامعة وحدائقها قلما لا تجد شابا يرافق فتاة باسم الحب باسم الحرية باسم المدنية والحضارة .. لم يكن هذا مستهجنا خاصة بما يسمى الكليات العلمية حتى أننا نسمع عن مغامرات عاطفية في كليات محافظة كالشريعة .. ولا أدري صحة ذلك رغم أن المجتمع محافظ كما تعلم .. فهذا لم يكن في الكليات .. أحببت حبيبتي بإخلاص ؛ وربما أكثر مما تقرأ في رواياتها العاطفية الغربية كقصص الحب الفرنسية من زولا وزيفاكو وديماس وهوجو كان الزميل مراد من أكثر الناس إغاظة مني يتهمني بخطف حبيبته منه .. لقد فزت عليّ أيها الصديق .. لقد عشقتها قبلك ؛ ولكنها صبرت ونالت ..وأنا أعتبرك خطفتها مني .. ربما أتذكر هذا الكلام ؛ لأن الرجل لعب في مأساتي دورا لئيما شيطانيا.

هذا الكلام أسمعه منه رغم أني قضيت سنتين يا إدريس قبل أن يصبح حبنا حقيقيا كما سردت لك ..وهو يزعم فشله في اصطيادها كما يقول ؛ لأنها تعلقت بي ..وما أدراني بذلك قبل الاعتراف ؟! ..كانت تحدثني عن الحب وعن حب الروايات التي تقرأها وأنها تعيش رواية من تلك الروايات ؛ ولكنها لم تعين إحدى الروايات .. فأنا أقرأ روايات أما روايات الحب الرومانسي فقليل أفعل .. كنت أقرأ قصص المغامرات والصراعات.. فهي تعيش كما كانت تحلم وكما كانت تقرأ هكذا تقول .. جعلتني بطل تلك الروايات .. كان حبنا عذريا كالذي تعلمناه في المرحلة الثانوية ، كان عذريا إذا صح ذلك في مثل هذا الزمن .. لم أنل إلا قبلا معدودة في ظروف ومناسبات خاصة .. كنت أجرؤ على مسك يدها كما كنا نرى ذلك في الأفلام العربية والأجنبية .. هل هذا ينقل المشاعر والأحاسيس ؟ لست أدري .. لكننا نغرق في الهوى والغرام أحببتها بجد ولم أجرؤ على أكثر من ذلك .. وكنت مغرما بتبرجها وسفورها .. هي ابنة حينا حيث لا أهمية للسفور والتبرج .. كانت فاتنة .. وهي ابنة طبيب كبير في المستشفى التعليمي ، ومحاضر في كلية الطب وجراح .. كنت أراها مخلصة لي وشريفة بمعنى الكلمة ؛ لأنها اختارتني دون الزملاء حبيبا وصديقا ؛ ولذلك

مضت السنة الثالثة ونصف الرابعة ونحن في غاية السعادة ونحلم بالزواج فور التخرج والانتهاء من الدراسة والاستقلال عن أسرتينا .

كانت والدتي تعرف بهذا الحب وباركته ، وكذلك أمها السيدة الفاضلة .. وأعتقد أن كل الأسرة تعرف ذلك .. لكن لم يتحدث أحد معي عنه .. كل واحد مشغول بحياته العاطفية والدراسية وهي أخبرت أن والدتها تبارك لنا ، وتدعو لنا بالزواج في نهاية المطاف .

كتبت لها عشقا بضع رسائل عاطفية .. وقلت فيها ما لم أستطع التفوه به أمامها .. كانت تطرب وتلذ على رسائلي ، وتعجب بها غاية الإعجاب ، وتستمتع بها وتقول : إنها تقرأها بشغف ووله تقرأها عشرات المرات .. وكنت أكتبها في مناسبات خاصة كمناسبة العيد أو إنهاء الفصل إنهاء السنة الدراسية .. في أي مناسبة جميلة أكتب لها معبرا عن مشاعري نحوها عن هيامي بها إعجابي بها ورغبتي الجامحة بالزواج منها .. رغم تساوينا بالسن ، وأتمنى أن تكون ذريتي منها .. هي لم تكتب لي سوى رسالة واحدة .. لم تكن تحب الكتابة مثلي.. كانت تقول ما تشتهي مشافهة .. وكانت قادرة عن التعبير عن أحاسيسها وغرامها بالكلام

كنت أرى أن زواجنا بعد هذا الحب العاصف سيكون أفضل وأنجح زواج .. رغم أن شعارا يتردد في ثنايا الكليات أن التخرج نهاية لكل عذابات الحب والغرام .. أي سيذهب هذا الحب أدراج الرياح .. القليل من يتزوج فتاة أحبها خلال الجامعة واتخذها زوجة .. فأيام الحب ليست كأيام الزواج والمسؤولية .. فكنا في شوق إلى إنهاء الدراسة ؛ لنكون أسرة جديدة والحياة الحميمية.

صدقا مع حبي الجارف لفتاتي لم أحاول لمس أي شيء في بدنها سوى شعرها الفاتن ويديها .. ولا تنسى أننا أبناء حي يعتبر مثل هذه الحركات أمرا طبيعيا غير مستهجن .. وتنتشر مثل هذه القصص والغراميات فيه بكثرة رغم أنها فضائح .. لكنها لا تترك أثرا في الحي إنها مجرد خبر فلان وفلانة .. سمعنا عن قصص خيانات زوجية ..قصص سكر مخزية .. لم أفعل مع فتاتي ما يعيب مع أنني وكلي ثقة أستطيع معاشرتها كزوج من شدة الحب بيننا ..لا أرها ترفض ، ولم أحاول ذاك ..كان الزواج محتوما بيننا .. لم تكن العذرية تشكل شيئا في حينا .. وبيننا كان الطلاق هو حل لقضايا الشرف والعرض .. بيننا أي في أسر حي بهية .. التدين شكلي وضعيف تلك السنوات .. فلان طلق زوجته بسبب أنه وجد في غرفة نومه سيدا.. الزنا بالتراضي ..لا حرج في المكان .. كنت أريدها عذراء بكرا ليلة الزفاف .. كانت وحدها لي وأنا

كذلك .. لم أعمل أي علاقة غرامية إلا معها .. وهي حسب علمي فعلت مثلي رغم طول انتظارنا للاعتراف بهذا الحب .. لقد اختارتني دون عشرات الصيادين .. فهي مقتنعة بي كحبيب وزوج الغد وشريك العمر وذلك بعد الدراسة.

قد سمعت قصة سيئة لشقيقتي الأصغر مني ؛ لكن الحي الذي نعيش فيه يعتبر ذلك من السخافات ، حتى والدي يعتبرها سخافة ..كما يعقد الشاب علاقات مع البنات .. لو فعلت ذلك البنت فلا حرج ..لا يحاول التثبت من القصة والخبر .. شعاره علينا أن نقبل للبنات ما نقبله لأنفسنا .. أختي غابت أياما عن البيت .. ولما عادت سألها أبي عن سبب الغياب مع ذلك الشاب .. فحلفت لأبي أنه لم يمسها مجرد رحلة .. فصدق أبي ولم يكبر الموضوع .. مع أن الشاب تحدث مع بعض الشبان أنه عاش معها كزوج أي عاشرها .. عاش معها أحلى أيام حياته .. لم يعرضها على الطبيب الشرعي ، لا يريد المزيد من الفضائح والتوتر .. حقيقة لم تكن أخواتي الأصغر منا نحن الذكور على شيء من العفة والأخلاق يا أخ إدريس .. ولا أعتقد أن إحداهن تزوجت عذراء.. كان أبي وأمي يغضان الطرف عن أي سلوك شائن ، ونحن علينا الصمت وعدم الاحتجاج على أي تصرف لا يروق لنا ، ولا نتدخل في شؤون الآخرين ، كما لا نحب أن تتدخل البنات في أمورنا ..وهذا غالب على عائلات الحي في ذلك الزمن .

أقول ذلك حتى تعلم يا سيدي لو أني أقمت علاقة جنسية كاملة مع حبيبتي لا أحد سوف يلومني أو يتهمني بالسادية والإباحية .. لدينا في الحي تقاليد لا تعتبر إساءة للآخرين كنا كالأجانب بحق .

رغم التغيرات التي شابت الحي في هذه الأيام بدخول عائلات أقل غنى عن عائلات الستينيات هذه الأشياء والافعال مستهجنة في بيئات أخرى والأحياء الشعبية .. وإن لم تخلو كما تعلم من سوء وفحش ؛ لكنهم يتسترون عليه أو يشهرون به ويصبح قضية غسل عار .

لم أفعل أي سوء مع حبيبتي ..وقلت لك كنت أعشق تبرجها وعطرها الفواح ..كنت أرافقها للمسبح .. وذلك أكثر من مرة .. أنا أحب السباحة ..كنت أجلس أتفرج عليها ..وفي المسبح تكون الأنثى عارية أو قل شبه عارية .. أنت تعرف ثياب البحر اليوم ..فأصبحت شائعة وخاصة مع شيوع سباحة النساء في المسابقات .. وكنت أرى بعض الفتيات تحاول الإساءة إليها في المسبح العام .. فكانت تبتعد ثم تخرج .. وذلك باسم المزح والمدنية .. وكانت وغيرها بعد السباحة يستلقين على الرمال أو مقاعد خاصة للتشمس .. وهذا في حي مثل حينا ؛ بل علمت أن في قصر والدها

مسبحا جميلا .. وللمسابح قصص وحكايات ..كيف يغار رجل على زوجته أو أمه أو أخته عند تلك المسابح ؟!.. وأملك لها صورا بلباس البحر ؛ وربما مع غيري مثل هذه الصور .. لكني لم أكن أنظر إلى ذلك بمنظار الغيرة والشرف .. الأمر عادي عندنا .. واعلم أن العذرية لم تكن تشكل عندي عقدة ؛ لذاك لم أسالها عنها في يوم ما .. لكن من يوم اعترفنا بالحب كنت لا أحب أن أسمع عن علاقة لها مع غيري .. وهي تعرف هذا .. كنت أراها عذراء ومن كلامها أيضا .. وهذا الأمر لم يكن مهما في الحي البنت نفس الشاب .. معنى ذلك أن ممارسة الجنس مباحة في الحي ، ولا تثير لغطا وصراعات .. ولا يعني هذا أننا لا نسمع بمشاكل بسبب ذلك وبسبب الغيرة ؛ إنما هي أقل من غيرها من الأماكن ، والحل باب المحكمة أو الصمت .

اللبس أيضا كان كلبس بنات أوروبا ؛ بل ملابس أوروبا تباع في الحي وموضات باريس ولندن متوفرة ومستوردة .. حافظت أنا وفتاتي على عفتنا ليس تدينا أيها الصديق ربما فطرة حياء خجل والحق أنها لم تسع لإغرائي يوما .. كانت مقتنعة مثلي أن غرفة النوم هي المكان الصحيح للعلاقات الجنسية الحميمية والصحيحة .. وقد يكون لشخصي الضعيف دور في الابتعاد عن تلك العلاقات الآثمة .. كانت الإباحية كما تعلم في تلك العقود تجتاح العالم الغربي الأمريكي والأوروبي .. والأمهات تعاني كما تحدث الصحف والمجلات ..وكانت بداية الأفلام الإباحية، وانتشار الإجهاض وموانع الحمل ، وكنا متأثرين بالغرب للغاية حفلات سهرات نوادي مسابح .

زارتني فتاتي عدة مرات في بيت والديّ ، وذلك بعد تقدم العلاقة الغرامية بيننا ، قابلت أمي وأبي وأخواتي وإخوتي .. وكان والدي مسرورا من علاقتي بها .. فوالدها أشهر جراح في الحي والمدينة .. وكذا مرة غمز وسأل عن مدى علاقتي بها .. وقال مازحا : هل نلت منها شيئا ؟ يقصد المعاشرة فأقول حبنا عذري حب قيس وليلى وروميو وجوليت فيضحك عاليا ويقول : يا رجل لو أمك ضحك في وجهها شاب لرمتني في الشارع فأرد قائلا : أمي لا تفعل ذلك ، أمي كبيرة .

عندما كبرنا كانت الأم تعاني من عدد من الأسقام ، ورغم تبرجها كنساء الحي لم تكن تكثر الجلوس مع الرجال في لقاءات خاصة ، فلا أعتقد أنها تسلم نفسها لشاب أو عشيق .. أما أبي يا صديقي إدريس أعتقد جازما أن له مغامرات نسائية ، ونام مع بعضهن .. أبي تزوج صغيرا دون العشرين.. أنا لم أر شيئا عليه ؛ لكننا نسمع من بعض أصدقاء أو أبناء أصدقاء الوالد نسمع بعض الغمز .. وأنه لديهم جمعيات سرية لممارسة البغاء والزنا ، لم

أحاول أن أعرف .. لكن الأمراض الجنسية تفضح الناس وتكشف المستور .. لم يكن الأمر مهما ومخزيا لنا كأسرة كما قال لي أخي حازم ..حياته هو حر فيها ..كلٌ حر في حياته وصحته .. لم يكن الدين مؤثرا في بيتنا ؛ ربما كنا نستغرب وجود مسجد في الحي .. كان المهم لنا المال والدراسة .. مصدر المال غير مهم وهو ينفق علينا بسخاء.. وكلنا دخل الجامعة وتعلم على نفقة الأب إلا أختي مريم الكبرى ؛ لأنها تزوجت مبكرا .. وأخواتي بكل صراحة لم تكن سيرتهن سواء في الجامعة أم الحي تسر ما عدا طبعا المتزوجة .. والحق لم نكن نهتم بقصص البنات ومغامراتهن الاهتمام الكافي والمهم مضى الفصل الأول من العام الدراسي الرابع وهو الأخطر في علاقتي بنبيلة خالد ، لم تحاول فتاتي إغوائي رغم ما بيننا من قوة الحب .. والإغواء أو الإغراء شائع في الجامعة ، وكثيرا ما تشيع قصص حب عنيف أو قل علاقات جنسية كاملة في ذلك المجتمع .. لا تدري السبب البنات أم الذكور .. في مطلع الفصل الثاني أو قل في آخر الفصل الأول من العام الرابع في كلية الهندسة حدث تطور في حياتنا الغرامية أخبرت نبيلة أن قريبا لها ولوالدها طبيب متخرج من بريطانيا يكثر تردده إلى قصرهم تصحبه أمه .. في البداية كان كل شهر يزور البيت مرة أو مرتين ، ثم أصبحت زيارته تتكرر كل أسبوع .. وهمست أمها في أذنها أن الرجل يفكر بالزواج منها كما تتحدث أمه .. وهو ينتظر الظرف المناسب ليحدث الدكتور خالد بهذه الرغبة .. والشاب طبيب أعصاب ودماغ متخرج من بريطانيا وسافر إليها بمساعدة الدكتور خالد .. فربما يرى بالزواج منها شكر للدكتور خالد ..وطلبت أمها أن تتحدث معي عن الخطبة لقطع أي تفكير بذلك .. وتعلن خطبتنا بشكل رسمي .. واقترحت أن يتم العقد الشرعي والزواج بعد التخرج أو قبله بقليل .. وبعد تردد معتاد مني قلت لها: أنا ما زلت طالبا آخذ مصروفي من أبي .

قالت : أنا أعرف ذلك ؛ ولكني أريدك ولا أريد أن أخسرك .. فأبي يعرف نتيجة حب طلبة الجامعة .. فهو يعرف الكثير عن علاقات الطلاب والطالبات والنتيجة لا زواج بعد التخرج فالرجل يعمل كطبيب وقريب أبي .. وانا لولا حبي الكبير وحب ارتباطي بك ما تقدمت بذلك

بعد محاورات ومجادلات قبلت أن تقابل أمي ثم أبي ، وتفهم أبي وأمي وجهة نظرها ـ وهما يعلمون بعلاقتي الخاصة بها ـ وتشجع والدي لزواجي أكثر مني ، ولم يتوقع زواجا قبل الحياة العملية يا سيد إدريس؛ إنما بعد التخرج والعمل كما هو معتاد عادة .. تحدث أبي مع والدها في نادي الحي نادي السادة ، ووافق الدكتور على زواجنا أو خطبتنا

بكل بساطة في النهاية ، وعلمت من أبي أنه تردد في قبول هذه المغامرة ، وتحدث لأبي أن ما يحدث للشباب في فترة الجامعة وأثناء الدراسة أساسه هش ، لا يعتمد عليه في تكوين حياة أسرية صلبة وناجحة ، وسيضعف الانجذاب بعد انتهاء الجامعة ، ودخول معترك الحياة العملية، وابتعاد المتحابين عن بعضهما .. فالشاب يحتاج لوقت ليكوّن نفسه في العمل والسوق .. والفتاة تسرع بالزواج للهروب من شبح العنوسة ، وخشية فوت القطار ؛ لكنه من حيث المبدأ قبل رغبة أبي بزواجنا قبل التخرج ، وبعد فترة خطوبة تعزز أواصر المحبة بيننا ، وتعهد له أبي بتوفير السكن اللائق لابنته والنفقة علينا حتى نتخرج ونعمل ونستهل حياتنا العملية .. فرحت وسعدت بهذه النتيجة والتصرف الشجاع من والدّينا .. وأعلنت الخطوبة في حفل عائلي صغير في منزل الدكتور خالد ، ولبسنا الذبل كما يقال ، وقيل إن الزواج سيكون بعد انتهاء السنة الرابعة وقبل السنة الخامسة والأخيرة لنا في كلية الهندسة .. وأهداني والدي بهذه المناسبة سيارة صغيرة وجميلة .. كانت حياتنا تمشي هادئة ورائعة .. وأخذنا نحلم بليلة الدخلة كالمراهقين والحياة الزوجية والذرية .. وكم سنخلف وماذا سنسمي الأبناء؟!

شخص تضايق جدا من هذه الخطبة الزميل مراد ، كان مقهورا من ذلك لماذا لا أدري بالضبط ؟!

وذلك عرفته بقوله لنبيلة ذلك ، وقالت : ما زال مراد يكن لي الغرام والهوى ، ويقول لها إنه أحق بها من سيف ألا تنهره وتكلمه أن يدعني وشأني ، ويبتعد عني ؟ لم أعد أحتمل سماع تعليقاته والحديث معه ؟ وتحدثت معه بذلك ، وأعلمته أن الفتاة اليوم أصبحت بحكم الزوجة لي ، فبارك لي وقال: إني أمزح معها يا سيف .. مباركة عليك فتاتك.. فلي من الصديقات ما يغني عن فتاتك.

ولما علمت أن قريبها خفت رجله عن بيت والدها بعد إشهار الخطبة خفت الحديث عن الزواج ولم نتزوج في صيف السنة الرابعة .. وكنت أصحبها في سيارتي إلى الجامعة.. لقد استفدت من الخطبة امتلاك سيارة خاصة بي .. وبينما نحن في الأيام الأولى من السنة الأخيرة والخامسة في كلية الهندسة ..همست الفتاة بأن علينا أن نتزوج بأسرع وقت ممكن ، ولا نكتفي بالخطبة ، وبررت أن والدها تعرض عليه وزارة الصحة العامة في الوزارة الجديدة ، وتخشى أن ينهي العلاقة بيننا إذا تسلم هذا المنصب المهم ، وأن تصبح ابنة وزير الصحة ، ويتعقد الزواج ووالدها ممن يحبون الفخر والخيلاء .. فاتحت أمي ثم أبي فقال : فعلا عليك بالزواج قبل أن يصبح الدكتور وزيرا فالرجل عنده نفخة ، فقد يضطر لتزويج ابنته من وزير أو ابن وزير ..

فأسرع أبي إلى لقاء الدكتور ، وبين له رغبته بإتمام مشروع زواجنا ، وأن الوقت حان للاقتران ، وسيتحمل المسؤولية خلال هذا العام .. واستأجر لي شقة في حي بهية ، وأخذنا بالإعداد ليوم الفرح والزفاف وكان زواجنا في أكتوبر عام ١٩٦٣ .

قصص وحكايات الفوارس

الحلقة الأولى



حزن نجوان

ملك مدينة نجوان له أكثر من عشرين يوما معتكفا حزينا في قصر نومه لا يخرج إلى ديوان الحكم ، وتنوب عنه ابنته الأميرة هند التي دون العشرين سنة من عمرها ، فتذهب لدار الحكم كل صباح حتى ظهر النهار ، ثم تعود للقصر الملكي الخاص بالملك هشام .

فالحزن والأسى يخيمان على البلاد والعباد منذ عشرين يوما ، والسبب أن الابن الوحيد للملك قد اغتيل ، لم يقتل في معركة أو في صيد وحش ؛ إنما قتل غيلة وغدرا في القصر ، ومن قبل ابن عمه ، قتله الأمير حفص وغلامه عفريت ، كان يسهر مع إحدى نسائه ، عندما تسلل الغادرون للقصر ونالوا منه .

كانت الجريمة صدمة كبيرة لأهل المدينة كلهم السادة والرعية ، فهو ولي عهد الملك ، وليس له سواه والبنت هند ، ومع هدر الأمير هاشم شقيق الملك دم ابنه حفص لجميع أهل المدينة سادة وشعب ، ووضع الرجل جائزة مالية لمن يأت به ، حيا أو ميتا فلليوم لم يقبض عليه ولا على شركائه ، فإن الحزن يخيم على البلاد لهذه الفاجعة النادرة في العائلة الحاكمة ، ورغم ديمومة الحياة فالقصر الملكي مصاب بالكآبة والبكاء ، لقد كان الصراع ناشبا بين الشابين أسد وحفص وظاهرا للعيان ؛ ولكن لم يخطر ببال أحدهم أن الأمور ستتطور للقتل وسفح الدم ، وأن حفصا في النهاية سيقبل الهزيمة ، ويبحث عن حسناء أخرى .

مضت العشرون يوما دون أن يعرف مكان احتباس القتلة .. فأشيع أنه يختفي داخل البلاد ، ورجح بعضهم أنه خارج المدينة ، ولم يتطوع أحد للبحث عنه ، ولو تعاطفا مع الملك وابنته التي تجلس على حكم البلاد هذه الأيام ، فهو ابن أخ الملك ، أمير ابن أمير ، والملك نفسه لم يحرك ساكنا للبحث .. لزم الصمت والاعتزال ؛ كأنه مذهول من هول الصدمة بل مذهول للغاية الموقف حساس ومحزن ومحرج .

وسبب هذه الجريمة المعلن أن حفصا الأمير ذو

الخمسة والعشرين ربيعا ، والذي يكبر ولي العهد بثلاث سنوات خاض معه صراعا من أجل فتاة شابة اسمها برة .. وهي بنت عم لكليهما .

حفص ليس بكر أبيه ، إنما واحد من عدد من الأخوة لهاشم العامر ، وهو فارس ماكر مخادع ، وعرف في ذلك بطول البلاد وعرضها ، فسيرته سيئة بين الأمراء والعامة ، ومن سوء أخلاقه أنه إذا قابل حسناء واستحسنها سعى إلى نكاحها مهما كلف الخطب ، وغالبا ما يفوز بمبتغاه ويطلق السابقة دون تردد أو يجمع بينهما لحين أن يضيف جديدة لبيته وحياته النسوية

التقى بابنة عمه هشيم على غير العادة ؛ لأنه من النادر لقاء الحرائر والجلوس معهن في مدينة نجوان إلا لضرورة وحاجة ملحة أو صدفة ، حتى ولو كانت قريبة .. كانت برة فائقة الحسن والجمال ، فوقف مبهورا أمامها .. فقد كانت فتنة من مفاتن الدنيا ، كان يوما في مهمة لأبيه في قصر عمه هشيم ورأها فبهر بها ، فسأل عنها ، فاعلم أنها ابنة عمه ، فزاد تعلقه بها وهام بوصلها والزواج منها كما تعود ، فسعى لدى عمه هشيم بذلك ، فزعم عمه أنها صغيرة ابنة ثلاثة عشر عاما صغيرة على معاشرة الرجال والزواج ، لم يكف عنها فجعل يطاردها ، ويكثر من اختلاق الحجج والدواعي لزيارة القصر ليحظى بنظرة أو مقابلة ، لم يقبل الشاب العذر ، وتدخل والده هاشم وحرّج عليه من الإساءة إلى عمه هشيم ، وأن يصرف نظرا عن ابنته ، ورفض خطبتها له لمَ يعلم من كثرة زواجه وطلاقه ، فهو بعد أن يمتلكها ، ويقضي لبانته منها سيبحث عن غيرها ويهجرها إن لم يطلقها ، ولم يقتنع بأيمانه بقضاء العمر معها .. وأنه لن يعمل معها كما فعل في الأخريات فقال الأب لنفسه : من تعود على شيء صعب عليه الانخلاع عنه ..

وقدر أن يرى ولي العهد الأمير أسد الفتاة الناضجة حديثاً ، ووقعت من نفسه الموقع الحسن كما وقعت من نفس ابن عمه حفص .. وطلبها الملك من أخيه زوجة لابنه فوافق الأمير هشيم ونكحها الشاب ، ولم يعبأ بتهديد حفص ، وأنه هويها قبله ، وسخر أسد منه ، ولم يصدق أن والدها أكرهها على الزواج منه ..وكيف تزوج أميرة بالإكراه ؟!

وسكنت الأميرة في قصر الملك كزوجة لولي العهد ، ولم تكن الزوجة الأولى ، بل الثالثة وذات ليلة ـ بينما كان الأمير يسهر مع زوجته برة في إحدى الخمائل في البستان الملكي ، وفي مجلسه الغلمان والجواري يطربون أو يطربون الأمير وحليلته .. وبين أيديهم الفاكهة والنقل والأشياء ـ دخل فجأة عليهم الأمير حفص وخادمه عفريت ، وكان قد دخل خلسة للقصر وصاح فيه : تزوجتها أيها الأمير غصبا عني .

الأمير دهش وذعر لدخوله عليه خلوته ، فنهض قائما ـ وتوقف العزف والغناء ـ وصاح: لم تعد تستحي أيها الأمير .. تدخل علينا بدون إذن .. دخول اللصوص .. اخرج لا أريد أن أرى وجهك ثانية .

وقبل أن يدرك أحد خطر الموقف ، قال حفص بغضب وسخط: نعم ، لن ترى وجهي .. فمت لعنة الله عليك . وأطاح بالسيف رأسه عن منكبيه ، وصاحت النساء والغلمان ، وحاول خطف الأميرة برة ؛ لكنها هربت تصيح ، وفزع الحرس على الصياح ، وهرب الأمير والخادم قبل وصولهم لخيمة الأمير ، وكان هربهم جهة غابة قريبة من القصر ، ولما وصل الحرس للخميلة كان حفص خارج القصر بتسلق الأشجار والاختفاء .

وحضر الملك والملكة وقيم القصر ، ورأوا الرأس المفصول عن الجسد فأغشي عليهما ، ولما أفاقا كانت المدينة في حالة هياج وصياح وحداد وبكاء ، ونكست الرايات وعم الحداد المدينة وكانت من أسوأ الأيام التي مرت بمدينة نجوان وأهل القصر الملكي خاصة .. كانت جريمة اغتيال مروعة .. وأعلن والد حفص المكافأة على رأس ابنه ؛ ليخفف من حدة الصدمة التي صدمت الناس وخاصة أسرة الملك ؛ وليبرأ من التهمة التي شاعت بتآمرهم على الملك ، وشيع ابن الملك قبل القبض على حفص وعفريت ، وهو الولد الوحيد للملك ، وبقيت الأميرة هند .

ولما انتهى العزاء بعد الدفن ، ذبحت الأنعام عن روح الميت ، واعتكف الملك في قصره مذهولا مصدوما باكيا .. والأمراء والقادة أدركوا هول الكارثة التي حلت على الملك هشام وعمق الجرح .. فالمقتول ابنه الوحيد ولي العهد ، والقاتل ابن شقيقه ، فحتى الأمير هاشم لزم البيت من الأسف والغيظ

فهذا سبب الحزن القائم في مدينة نجوان ، وهذا سبب ذهاب الأميرة للجلوس في ديوان الحكم مع الأمراء والوزير والفرسان ، فقد أضحت ولي العهد للمدينة البحرية ، وما زالت الأميرة دون ذات بعل رغم بلوغها العشرين سنة ، رفضت كل الخطاب ، ورغبت أن تبقى عذراء ، ولم تجد الزوج المناسب ، وسكت والدها وتركها على رغبتها لتعلقه بها ، وتأثرت هي بالغدر والخيانة التي أصيبت بها الأسرة الملكية في نجوان .. وتتنظر اليوم الذي سيقدم ابن عمها للجلاد والسياف ليقطع رأسه أو يؤتى برأسه للمدينة ليصلب أمام العامة قبل حرقه .

العزلة الملكية

مضى على الجريمة الملكية أكثر من عشرين ليلة ، ولم يقدم القاتل للعدالة والقصاص ، ولما التقى

الوزير الأكبر بالملك هشام ، قال له: افكر أيها الوزير بعد هذه الطعنة النجلاء بنقل الملك للأميرة هند ؛ لتكون الملك على البلاد والعباد .. لقد هدتني وحطمتني الضربة الماكرة .. إنه حادث مفجع ومشهد رهيب ؛ كأنه جلاد يقطع رأس مجرم .. وأبناء الأمير تحت الخامسة لا يصلحون للحكم

التفت الوزير عنان للأميرة الجالسة معهم والتي تشرف على إدارة الديوان منذ اعتكاف الملك في قصر النساء وقال: ما تقول أميرتا الشجاعة؟!

قالت: أيها الملك فلتبق ملكا وسيدا حتى يؤتى برأس القاتل الغادر الخائن ، وبعد هلاكه قد أقبل بالتربع على عرش البلاد .. لديّ اقتراح أرجو أن تقبلا به

قال الوزير: نعم ، ما هو يا مولاتي .. تكلمي

قالت : لن تهدأ المدينة والنفوس قبل القصاص من الغادر ومن عاونه من داخل القصر ومن خارجه .. هناك أشخاص تعاونوا معه وهيئوا لهم الدرب ليصلوا لخيمة سهر الأمير .. من هم المتعاونون؟ ومدى تعاونهم معه .. أليس كذلك يا سيدي الوزير؟!

صمت الوزير ، ولم يرد ، ولما رأى الأميرة صامتة لا تتكلم ، ولم تجب على نفسها قال: بحث قائد الحرس هذا الأمر مع الخدم والحرس .

ـ المتورط لا يكشف نفسه بسهولة .. نحن علينا أن نصل إليهم .. لقد اختفت جارية بعد الحادث ، ثم وجدت مقتولة في إحدى غابات أطراف المدينة ، لم نعرف لماذا تركت القصر ؟! هل خرجت من نفسها أم استدرجت أم لها دور ؟

ـ إحدى الجواري قالت إنها خرجت للسوق أو هكذا أشعرت الجواري .. والجواري كما تعلمين يسمح لهن بالخروج للشراء للملكة والأميرات دون تحرز .. والأمير حفص تبين لنا أنه استعان بسلم وتسلل للقصر .. وسهر الأمير ونساؤه معروفا للأمير حفص وغيره من الأمراء .

– أين الحرس في تلك الجهة من السور؟!

قال : الحرس في حالة استرخاء تلك الساعة أيها الأميرة .. يصيبهم ما يصيب البشر من الملل والضجر ..فلم يحدث من قبل أي تسلل إلى القصر .. ولما سمعوا الصراخ تركوا حجراتهم وهرعوا مسرعين .

– أنت ترى أنه لم يكن تواطؤ من الداخل

– مولاتي لا استطيع تأكيد ذلك .. فشقيقات الملك والأميرات يترددن على القصر وعليك وعلى الملكة .. فتنقل حركات الأمير سهلة للمتآمر .. وحفص الغادر يعرف حدائق القصر وخمائل

جلوس الملك والأمير ..وهو ابن عمكم

قالت: على كل حال الأيام ستكشف كل الخائنين القتلة ودور كل منهم

قال الوزير : أكيد ستتكلم الأفواه ، وتنطلق بالحكايات .. كانت هناك مؤامرة لا نشك في ذلك لم تتحدثي عن الاقتراح

- نعم ، الاقتراح سيدي الوزير الاقتراح بعد فشل الوصول للهاربين منذ أكثر من عشرين يوما ، وكذلك لم نسمع من فرسان وبحارة نجوان الاهتمام بالبحث عن الغادر فاقترح أن من يأتينا برأسيهما أو رأس حفص أن يكون زوجا لي ، زوجا للأميرة هند بنت هشام

دهش الوزير لهذا الاقتراح الخطير: هذا أمر صعب أيتها الأميرة ! أتقبلين أن تكوني زوجة لأحد السوقة من المدينة

- إذا أتى برأس حفص فهو خير من الكثير من الفرسان والبحارة .. فهو يستحق أن يكون من أمراء وكبراء المدينة .. نحن لن تهدأ نفوسنا أيها الوزير إلا بالثأر والقصاص .. والمال لم يجدِ مع الفرسان .. فلعل مصاهرة الملك تثير الحماس فيهم ، وتنزع الخوف من أفئدتهم ؛ فلعل هذا العرض يحرك الفرسان

قال الوزير بحذر : هذه تضحية كبرى أيتها الأميرة .. هذا عرض مغرٍ .. وكيف نسمح يا مولاي بهذا النكاح ؟!

قال الملك وقد تابع الحوار بينهم : رغم صعوبة الأمر على نفسي وعلى النساء وعلى قلب الملكة والسادة عليّ أن أقبل أيها الوزير .. فدم أسد لن يذهب هدرا أو صلحا .. وكما قالت الأميرة الرجل الذي يأتينا برأس الأمير الخائن يستحق أن يكون من كبار الأمراء والحاشية

– ما دام مولاي الملك يرى صواب ذلك ، فسأشهر هذا الخطب للناس والشعب والملأ .. قد تتحمس العامة لتلبية هذا النداء .. فالمال لا يحميهم من انتقام عائلة هاشم .. أما الزواج فسيكون حماية للفارس .. إنها فكرة شجاعة أيتها البطلة .. أمقتنعة أنت بهذه التضحية ؟ وهذا الشخص سيكون زوج الملكة

قالت: هذا لا يكون ملكا يا سيدي الوزير .. أمي تحمل لقب ملكة ؛ ولكنها قابعة في البيت .. والرجل مهما كان ، ويحمل لقب ملك فسيبقى زوج الملكة .. وأنا إذا قبلت بالتتويج إنما لحين حتى يكبر أبناء أخي أسد الأمير هيثم .

– أتحبين التفكير فيما اقترحت ؟

– فكرت من عشرين ليلة وأكثر ..والقاتل اللعين ما زال حرا طليقا ، ونحن نبكي ونعتصر الألم والحزن والحسرة .

أعلن في المدينة أسواقها ومعابدها ومساجدها أن

الأميرة بنت الملك هشام مستعدة للزواج من أي إنسان إذا قدم لها رأس حفص حتى لو كان عبدا من عبيد المدينة.

شاع الخبر وانتشر ومضت أسابيع دون أن يعرض شخص نفسه لهذه المهمة الجريئة .. مما أحنق الوزير وقال لقائد الجند: أين الفرسان ؟ أين فرسان الصيد والحرب؟

قال القائد بعمق : السبب يا سيدي الوزير أن الأمير الغادر قريب الملك ابن شقيقه .. والأمير القاتل له أشقاء وأتباع قد يقتلون المتقدم لهذه المهمة .. وهم يرفضون قتل شقيقهم .. الأمر شاق ودقيق .. تحدث معي بعض الفرسان واحجموا .. مهمة خطيرة!

- والعامة

- زارني بعضهم ، وقبل أن أجتمع بهم مرة أخرى تعرضوا للضرب والإهانة والتخويف .

- إذن هناك متورطون ومتواطئون كما تقول الأميرة .. القضية ليست عملا فرديا

- إنهم يريدون الصلح ودفع الدية

- يدفعون الدية أيها القائد إنه ابن الملك وقتل ظلما!

- هذا ما تهامس به أشقاء حفص

- أخشى أن يكبر الدم أيها القائد !

- وهذا ما أشعر به .. الدم يولد الدم

- وهذا ما تريده الأميرة .. القصاص حتى لا يزيد الدم

- والعفو

- لن يحل القضية



جاهر أشقاء حفص بدفع الدية والعفو عن دم حفص لتحقن الدماء ؛ولكن الملك المعتكف في حجرته وقصره ازداد غضبه لما سمع بهذه الأنباء ، واتهم شقيقه هاشما بإخفاء ولده المجرم القاتل لابن عمه ، وإنه لا يقبل إلا بموت القتلة ، وهدد ولوح بنفيهم من المدينة والتبريء منهم .

وأقسم هاشم أمام الملك والسادة أنه لا يعلم بمكان اختفاء ابنه الغادر ، وأنه لن يسامحه على فعلته السوداء أبدا ، وأمام هذا القسم عاد الصمت والهدوء للعائلة ريثما يظهر القاتل وشريكه عفريت ولما أدركت الأميرة هند صعوبة الحال وصعوبة الوصول للجاني والنيل منه تذكرت رجلا جيء به من سنوات يعمل لديهم كسائس خيل ، رجلا توسمت فيه الشجاعة والفروسية ، رجلا أخبرها أنه وقع أسيرا في إحدى المعارك وبيع كرقيق ، وخصها به تاجر الرقيق برقاقة على عمله عندها كسائس خيل .

تذكرت رجلا اسمه عمر بكر ؛ فلذلك لما عادت للقصر من ديوان الحكم مشت يتبعها الحرس إلى حظائر الخيل الملكي حيث يعمل الفارس الأسير عمر بكر ، فتح لها قيم الحظائر مرحباً ومستقبلا ، فظن الحرس أنها ترغب بركوب الخيل ، فهي تمارس هذه اللعبة منذ عهد الصبا ، فبعد الترحيب سألته عن عمر بكر ، وبقي الحرس عند الباب ، وتقدمها القيم إلى منزل عمر بكر ، ولما رأت الرجل من بعيد أشارت للقيم أن يتركها ، وتابعت مشيها إلى حظيرة عمر بكر وكان الرجل قد رآها تتقدم نحوه ، ولم تشر له بالمجيء إليها فظن أنها تريد أن تركب جوادا ، فهو يعتني بمجوعة من جيادها الخاصة ، وخبر مجيئها انتشر في الحظائر ، فهي منذ موت شقيقها لم تقدم إليهم فرحب بها الساسة ، فأشارت لهم بالابتعاد إلا عمر بكر نزلت عن فرسها وأمسك به الرجل ، ورحب بالأميرة ، فقالت بصوت مسموع: أين جوادي غضب ؟

– إنه في إصطبله يا مولاتي !

ربط الجواد الذي كانت تركبه ، وتقدم الأميرة إلى إصطبل جوادها المسمى غضبا ، فلما وصلا الجواد أخذت تمسح عنقه وساقه ، وهو أدرك بحسه أنها لم تأته من أجل تفقد الجواد ، وبعد كم سؤال عن الجواد قالت وهي تنظر في عينيه: ذكرت لي أيها الأسير أنك كنت من فرسان قومك المعدودين وغدر بك الدهر ، وذكرت لي مرة عندما أردت عتقك أنك تحب البقاء وأن أبقيك لنوائب الزمن كان عمر بكر ابن ثلاثين سنة يزيد قليلا فهز رأسه فقال: نعم ، رضيت بالعبودية والعمل في قصر الملك هشام ؛ لأن قومي تخلوا عني ، ولم يفدوني بمال كما فدي غيري ، حتى بعت كالعبيد وهل يا ترى جاءت نوائب الدهر أيتها الأميرة ؟

تنهدت بحزن : سمعت بموت شقيقي ولي العهد !

– وبكيته حتى جف الدمع في عيناي

فقصت عليه عجز أهل المدينة عن البحث عن القاتل حتى أنها عرضت نفسها للزواج ممن يحقق لها هذه الغاية ، ومضت أسابيع دون فائدة .

فقال وقد فهم مقصدها: أنا أخدمك يا مولاتي بدون زواج .. فأنا عبدك وأسيرك ، ولا أنسى إحسانك لي خلال هذه السنوات الخمس ؛ لكن لا أعرف صورة وهيئة ابن عمك .

– أتقوم بهذه المهمة الجبارة ؟

– أنا لها يا مولاتي .. إنما أريد رؤية شخص يحسن وصفه عندما أراه أقول هو هذا ؛ لأن الرجل إذا ترك المدينة حقا غير اسمه ، وربما صورته .. سأصل إليه وادخل السرور على قلب الملك أم تريدونه حيا

- إن أمكن هذا فخير ..فخير أن يقف أمام القاضي ، ويقطع الجلاد رأسه أمام العامة هذا عز الانتقام والعدالة .. إن فعلت هذا سأكون أنا لك أسيرة وقرينة.. أتحارب من أجلنا؟!

- روحي فداك أيتها الأميرة .. أنا لا أنسى المعروف .. وأنا سيد الوفاء .. فقد قبلت بي سائسا للخيل بدون تردد حدثيني القصة بكل تفاصيلها ، وحاولي نقل وصف جلي لهذا الغادر .. أعرف أنكم لا ترون الرجال إلا في أحوال خاصة .. خادمة من خدمه قد تحقق الغاية .

شرحت له الأميرة قصة زواج شقيقها من ابنة عمه برة رغم تحذير حفص له من الزواج منها ؛ لكنه ولي العهد وابن سيد البلاد ، وقالت: نحن لا نرى بعضنا إلا في مهرجان ومناسبات عامة وقد نتقابل ولا نعرف بعضنا إلا في حال الزواج .. هو طويل القامة أطول منك بقليل بدين إلى حد ما.. هو فارس وقوي ويصيد في البر كما يصيد البحر .. فهم أعني أسرته الكبيرة يعملون في الصيد البحري على ساحل نجوان والتجارة .. لذلك عليك بالبحر .. مغرور فارس أسمر البشرة لحيته خفيفة ، لأنه يقصرها .. يلبس الثياب الثمينة سيفه على وسطه ، وقرابه مزخرف
بالجواهر وسآتيك بأوصاف أخرى .

- لابد من معرفة صفاته كيف يأكل .. عيب خلقي فيه ، حتى أعرف أن اصطاده أيتها الأميرة لا أظن أن يعيش بارزا كما يكون في وطنه هذا .. أيضع في يده خاتم ؟ وصفة العمامة المفضلة على رأسه .. لي خبرة في المطاردات عندما كنت فارسا في بلادي

- عندما يئست ذكرتك أيها الشجاع ..أرجو أن تكون عند حسن ظني .. والأمل الذي عقدته عليك عظيم

- ليكتم أمري ، وسأفعل ما بوسعي ، وسأفعل ليس لأكون زوج الأميرة ، سأفعل لأمر آخر سأقوله لك في يوم ما ، ولإحسانك لي .. ولا أنسى عطفك عليّ يوم مرضت قبل سنتين وإحضارك طبيب الملك ليعالجني ، وتكليف خادم بالعناية بي وأنا الخادم

- نتكلم بعد فوزك ونجاتك ، لم أنس كلماتك أيها الشجاع ظلت في ذاكرتي أبقني لنوائب الدهر لا تخيب الظن بك أيها الفارس الشجاع

- ابشري أيتها الأميرة بالفوز ..وأنا مثلك أحب الثأر

- سألقاك مرة أخرى اكتم الأمر

- أنا خير من يكتم ، وأنت اكتمي الأمر حتى اخرج من هنا بسلام .. فيبدو لي أن أولاد عمك لهم نفوذ قوي في المدينة ،ولهم أعوان وعيون .. فسلاحنا الكتمان حتى أنجح في كشف الأسرار

- رائع ما اسمعه منك! نعم ، هذا كلام الفرسان الأذكياء .. المهمات الخطيرة تحتاج الكتمان والتورية.. لك حكاية تتحدث عنها العيون أيها الفارس؟!

- كنت فارس قوم خذلوني

الفارس عمر بكر

استطاعت الأميرة بمعاونة جارية خاصة ذكية بها أن تتصل بجارية من جواري حفص ، وتنقل لها صورة عن صفته الخلقية والخلقية ، وهي بدورها نقلتها لعمر بكر واستوعبها الرجل ، وعرضت عليه الأميرة أن يعمل معه أحد خدمها .

فقال : أنا أتظاهر أمام رعاة الخيل برغبتك بنقلي للخدمة في قصر الملك .. ودعيني أعمل وحدي يا مولاتي .. الآن كيف سيكون أمر مغادرتي الحظائر ؟!

- أعندك اقتراح؟

- حسنا ، بعد يومين ارسلي خادما يطلبني من القيم للقائك في القصر ، وليكن اللقاء في خان أو دكان في سوق وأن تكوني متنكرة أو في غابة من غابات المدينة .. وبعد هذا اللقاء سأختفي من المدينة بضعة أيام .. سيقع في قلب أهل الحظائر أني أعمل في خيل القصر وعرباته .. وأهل القصر لا يعرفون عني شيئا .. ولسوف أتابع مهمتي السرية .. وأحقق ما تشتهين ؛ ولهذا خلق الرجال .. الظلم مرتعه وخيم .

التقت الأميرة بعمر بكر في أحد أسواق المدينة ، وتسلم منها صرة من المال ، ولما انسحبت الأميرة المتنكرة ذهب إلى أحد الخانات يقضي ليلته ، ويتدبر مغامرته ، وكان متنكرا عندما التقى الأميرة بشخصية راعي حلال ، والذي يميزه عن الناس لبس قميص جدي من صوف الخراف ، لم يعد خطة معينة ؛ ولكنه سيسعى للتقرب من أشقاء حفص الذين زودته الأميرة بأخبارهم ونشاطهم في المدينة ، فهم أصحاب مراكب للصيد ، وأصحاب مراكب للتجارة ، وهم خمسة ذكور ما عدا حفص المختفي ، والهدف من الاتصال والتقرب إليهم ؛ ليتأكد منهم ويعرف هل حفص في المدينة أم خارجها؟

بحث عن بيت يسكنه ومقرا لعمله الجديد ، واختاره حول أحد الأسواق ، وبعد تمكنه من الحصول على البيت مشى إلى سوق النخاسة ، وكان قد تحول من راع إلى صياد وعامل بحر عتال بمعنى آخر ، كان يريد شراء عبد كبير في السن ليسكنه البيت المستأجر ، وتمكن من شراء أحدهم عمره فوق الخمسين ، وساقه للبيت الجديد ، وتناول معه الطعام ، وقال له: كيف قوتك؟

- ستجدني الخادم القوي يا سيد جعفر - ما اسمك

- سمني بما تشاء - سيف

- سيف يا سيدي - سيف بن جعفر

- سيف بن جعفر أنا عبدك المخلص

قال عمر بكر المسمى بجعفر الصياد البحري : أنا مغامر جوال بين المدن والبلدان ، ولست من أهالي نجوان هذه .. أتفهم ما أعني؟ يوم هنا وآخر هناك .. أعمل مع ذا وغدا مع ذاك .. أنت مكانك هنا أغيب يوما عشرا شهرا سنة وأعود لا تفارق البيت إلا لشراء ما تحتاجه حتى أعود

- أنا خادمك وعبدك

- بعد حين ستكون حرا يا سيف

- أنا لا أحب الحرية .. عندما تعجز عن إطعامي وكسوتي فبعني يا سيدي .. قضيت عمري هكذا

- حسن سأهبك لأحد الأسياد

- هذا خير يا مولاي

- حسن اذهب للنوم

- أين؟

- هنا

- هنا .. كيف ؟!

- سأتعامل معك كأنك حر يا سيف .. أنا مغامر جوال أغيب في مهمات وارجع

- ماذا تعمل يا سيدي؟

- قلت لك مغامر مرة مع الصيادين مرة مع التجار .. كلما أغيب لو طال سفري لا تبحث عني وإذا قل المال في يدك للإنفاق على نفسك ، فسأدلك على صديق يقرضك حتى ارجع كم يكفيك في الشهر ؟

- أكل

- نعم

- ثلاثون درهما كفاية

أخذ عمر بكر يتنكر بزي متسول ويذهب إلى مواني المراكب ـ فجزء كبير من نجوان ملاصق للبحر ، وحياة الناس البحر والزرع ـ حيث تعرف على مراكب وسفن حفص الغادر وأشقائه وبعد حين تحول إلى عتال بحر زاعما أنه كان صيادا ، ثم مرض فهجر الصيد البحري ، واستطاع أن يعمل على سفن يملكها أبناء هاشم العامر ، وخلال أسابيع أصبح عاملا معروفا لرؤساء السفن ، ويرفض السفر على المراكب بإصرار زاعما رعبه من الماء بعد الحادث الذي أصابه قبل سنوات ، فكانت مهمته تفريغ السفن وتحميلها بكل همة وقوة ، وكان يلتقط كل جملة عبارة إشارة تساعده في تحقيق الهدف من هذه المغامرة ، فعرف أن الأمراء لا يعملون بأنفسهم ، إنما بواسطة وكلائهم ورجالهم وعبيدهم ، والتجارة رائجة نشطة في نجوان ، وتنقل البضاعة منها إلى المدن الكبرى المجاورة .

بعدما يقارب شهرين أصبح ؛ كأنه يعمل معهم

من سنوات ، فكان يسهر الليل مع رجال المراكب ، فازدادوا به ثقة ، وكان أحيانا يساعد مراكب الصيد في التفريغ .



كان عمر بكر يوصي خادمه بأن لا يبحث عن إذا طالت غيبته ، وإذا انتهت الأموال فليدبر نفسه حتى يرجع ، وقال موصيا :إذا تأكدت من موتي ، فأنت حر . ومخبرا له أن المراكب قد تأخذ وقتا طويلا قبل العودة ، أدرك العبد أن سيده يخوض معركة خطيرة وسرية، لأنه يرفض أن يرافقه في هذه المغامرة ، ووعده بالانتظار حتى اليأس من عودته

وغادره للميناء البحري وقبل أن يركب معهم هذه المرة على متن إحدى السفن زاعما أن خوفه من ماء البحر أخذ يتلاشى فصدقوه ، هو في نظرهم مجرد عتال نشيط يستغنى عنه في أي وقت وقبل الركوب في سفينة الربان عدنان كبير البحارة عند أبناء هاشم ، ورحب به الربان على سفينته وقد عرف همته خلال الأيام الماضيات ، وكانت هذه السفن تنتقل بين مواني المدن الساحلية على جانبي البحر ، ومراكب الصيد كانت تذهب إلى الجزر البحرية داخل البحر الكبير وتعود لنجوان ، ولاحظ خلال عمله على ظهر المركب أن أهم مدينة لديهم مدينة أروى فإن شرقوا عادوا إليها قبل عودتهم لنجوان ؛ وإن غربوا عادوا إليها قبل العودة لنجوان رغم أنهم يحملون إليها بضاعة ويأخذون منها ، شعر أن فيها بغيته وطلبته ، وأنها المدينة التي يترك فيها الربان عدنان منطقة الميناء لقلب الأحياء والمدينة ، فقال لنفسه: أرى أن الأمير الهارب يعيش فيها . لذلك صمم أن يترك السفينة والمراكب الأخرى ويتبع الربان عدنان خفية.

وكما خطط والأميرة أن البحر مكان اختفاء حفص ، فالبحث في البحر ليس كالبحث في الجبال والبر وغابات نجوان ، فالمدن البحرية يصعب اكتشاف الهارب فيها ؛ لأنها كما هو معلوم أناس يأتونها وأناس يخرجون مها .

وصلت السفن إلى مدينة أروى كما اعتادت ، عندما أفرغت الحمولة لبعض التجار ، أخذ رجال السفن يبحثون عن البضاعة التي سيحملونها لنجوان أو غيرها ، ولما غادر عدنان الميناء لقلب المدينة تبعه عمر بكر سرا ، وظن أهل السفينة أنه ذهب يشتري هدية لأحد الناس كما تحدث مع بعض البحارة عن ذلك ، فقالوا: ربما ذهب يشتري شيئا من أسواق المدينة.

تبع الربان عدنان نحو المدينة ، وظل تحت عينه هو ورفيقه، وشاهدهم يدخلون أحد خانات المدينة ،

وبعد حين رأى عدنان يغادر وحيدا ، فتبعه حتى رآه يدخل بيتا قضى فيه ساعة أو أكثر وكان قد دخل يحمل كيسا ، ولما غادره لم يكن يحمل الكيس ، عرف البيت والحي ، ورأى امرأة تودع عدنان ، فأسرع إلى السوق واشترى عقدا من الفضة والخرز الملون ، ورجع للسفينة متظاهرا بشراء العقد هدية لبنت صديق له ، وتفرج عليه القوم أو بعضهم ، وقالوا : لا بأس به لفتاة صغيرة .

وفي الصباح وصلت البضاعة المشتراة ، وقام الحمالون بحملها ورفعها إلى سفنهم ، ولما وصل الربان عدنان ورفيقه الميناء بعد أن قضيا ليلة في خان من خانات المدينة ، تحركت السفن إلى موانئ أخرى معروفة لهم ، توقفت السفن التجارية في إحدى المدن الساحلية الكبرى لبيع ما تحمل وشراء ما يباع ، واستمرت الرحلة والسفن تنتقل بين المدن ، وقبل أن تصل مدينة أروى مرة أخرى اختفى حمزة ، كان عمر بكر قد سمى نفسه لهم حمزة ، وبعد انتظار تحركت السفينة والسفن دونه ، وقال عدنان حاسما غيابه : إن كان حيا سيسافر باحثا عنا . وتركوا خبرا عند أحد التجار أن يذكر له إن سأل عنهم أنهم ذاهبون لأروى ، ومنها لنجوان ، فلهم عدة أشهر في البحر وتابعوا رحلتهم ؛ إنما حمزة مجرد عامل .

وأما عمر بكر فركب دابة إلى مدينة أروى ؛ لأنها مدينة متصلة بأروى عن طريق برية ، تتنقل القوافل البرية بين المدينتين ، وفور وصوله أروى باع دابته ، وكان قد خلع ملابس البحارة والحمالين ، وذهب في الفجر إلى البيت الذي يحسب أن الرجل حفصا مختفي فيه ، وكان يفكر بحيلة يدخل فيها البيت ؛ ليتأكد من وجود الصيد بعد تعب كل هذه الشهور ، وفكر بأن يلبس ملابس شرطة المدينة العسس ، ولما تأكد من المنزل عاد للمدينة يبحث عن ملابس العسس ، وعرف أحد الخياطين الذين يخيطون الثياب للشرطة ، واشترى منه ثيابا كهدية لأحد أصدقائه الشرطة ، وابتاع حمارا يركبه رجال العسس زاعما أيضا أنه سيهديه لصاحبه الشرطي ، وفي الليل تنكر بذلك الزي ، ومشى إلى ذلك البيت ، وطرق الباب وبعد حين من الانتظار فتحت جارية الباب ـ كما عرف فيما بعد ، وعرف أنها نفس المرأة التي ودعت عدنان ـ وكانت تحمل مصباحا وهو كان يحمل مصباحا فقال لها بلهجة قوية وماكرة : أهذا بيت جعد ؟ وأجاب نفسه قالوا لنا إن مجرما هاربا يسكن فيه .

اضطربت الجارية رعبا وقالت: هذا بيتي .. وأنا وزوجي نعيش فيه .. وما هو ببيت مجرم .. لا هذا بيت محترم

– أين زوجك أيتها المحترمة ؟

ظهر رجل خلف المرأة ؛ كأنه كان يتابع الطارق

ويتنصت ، وقال: ماذا تريد أيها الشرطي؟
- حدثت جريمة عند الميناء ، وذكر لنا بعض الشهود أن المجرم يسكن في هذا الحي .. وهذه المنازل ؛ ولكنكم كما يبدو لي لا علاقة لكم بالجريمة أهذه أهلك؟
- إنها جاريتي وزوجتي .. هل المجرم يختفي في هذه البيوت؟
- كان اللعين يركض وشاهده بعض البشر يأتي هذا الحي .. وعلينا أن نسأل الناس هنا ، وقد سألنا بعضها ؛ لنتأكد أنه لم يدخلها ، وفتشنا بعضها ، ووصل البحث بنا هذا البيت ..أأنتم لم يدخل عليكم غريب ؟
- أتريد التفتيش ؟
- أنتم متأكدون من عدم دخوله هذا البيت؟
- لم نر أحدا يدخل البيت
- هل تغلقون القفل عند النوم؟
- نفعل ذلك منذ الغروب .. والسور عال وعندما نستقبل الأصدقاء نفتح لهم الباب
- أنا راغب أن أقوم بواجبي الآن أفضل أن أعود لكم مع الصباح
دخل الشرطي البيت ، وتظاهر بتفتيش البيت من الخارج وقال : الغرف من الداخل فيها أحد كأني سمعت حركة مشي!
- عندنا خادم تعال انظر إليه

دخل يفتش الغرف ، وعندما انتهى من التجوال فيها ، وخرج وجد شابا قال زوج الجارية: خادمنا اسمه نعمان .

المشاورة

استطاع الفارس عمر بكر الوصول للهدف ، لمَ يتمتع به من ذكاء وصبر ، وهو علم من الأميرة عندما عرضت نفسها زوجة لمن يقدم رأس حفص ثأرا لها ولأبيها الملك ، فقد أخبرته أن الوزير أعلمها أن شبانا سعوا لهذه المهمة الخطرة ، فتعرضوا للأذى من قبل أشقاء ورجال واتباع حفص ، فهم إذن يعرفون مكان أخيهم ، ومتآمرون معه أو يحمونه ليقنع الملك بالصلح والدية فكان البحر هو الصلة بينهم وبينه ، فقضى الفارس معهم شهورا حتى وصل لبيت حفص في مدينة أروى .. وأهل المدينة حياتهم الصيد والتجارة البحرية ، وأهل القرى يهتمون بالمزروعات والمطعومات .. فاستطاع الشاب بشخصية العتال والحمال القوي أن يعرف المكان وأن يقابل حفصا ، ويجده حسب الصورة التي وصفت له قابعا في بيت في تلك المدينة ومعه خادمه عفريت وامرأة تزعم أنها أمة عفريت وزوجته .. أهي من أروى أم نجوان ؟ ..ولما غادر المكان شاكرا لهم تعاونهم ومحذرا لهم إخفاء المجرم عن العسس .. طرق الباب التالي على مسمع من

الجارية التي تبعته لإغلاق باب الدار ، ولما فتح الباب سألهم كما سأل الجارية ، ثم الباب الثالث ، ثم غادر الحي وعاد للبيت الذي استأجره وهو يفكر بالخطوة التالية .. فقتل حفص في هذه البلد ليس عملا سهلا إذا كشف أمره سيعاقب ، فهو غريب والمقتول غريب ، فسيكون هدر دمه سهلا .. فالقتل غيلة يحتاج إلى تدبير ومكر حسن لينجو بريشه .. وخشي الانتظار والتأخير أن يهربوا أو أن يكتشفوا أنه شرطي مزيف ، ولم يقتل أحد عند الميناء

تسربل في الصباح بملابس متسول أعمى بيده عصا نحو ذلك الحي من المدينة .. خشي أن يهربوا إذا لم يطمئنوا لدخوله عليهم ، وكان يتوقع هربهم فهم أذكياء فطن ، سوف يتعسعسون عن الجريمة ، وقد يهربون بعد مجيء الربان عدنان إليهم بالمزيد من المال .. وراقب البيت منذ طلع النهار ؛ ليتعرف كيف يحيون في المدينة أم يختفون فحسب؟

اقتربت السنة أن تنفد ولم يقبض على حفص ؛ ولكنه بفضل الله استطاع أن يحقق شيئا في نظره فقد قدم والد حفص مالا لمن يحقق له قتل ابنه ، وهو موقن أن لا أحد سيفعل ذلك ، فالأولاد له بالمرصاد ، والأميرة قبلت بالزواج ممن يفعل ذلك ؛ لكن لم يحدث شيء ؛ فكان لابد من العمل بسرية تامة .. أهله لا يريدون تسليمه للقاضي ، بل يرسلون له المال بين الحين والآخر ، ويزوره عدنان نيابة عنهم ، وهو سيبقى بعيدا الحين من الزمن ، ثم يعود للمدينة متنكرا بشخصية أخرى حتى يهلك الملك ، والأيام تضعف المصائب والثأر .. والذي احتاط له عمر بكر تحقق فلم يعد يرى الجارية والعبد ؛ ولكنه استطاع التعرف على البيت الجديد الذي رحلوا إليه من نفس الجارية ، فقد كانت تترد على البيت القديم ، لم يقطعوا صلتهم فيه ، ومرات يأتي زوج الجارية ، هو أدرك وخمن أنهم ينتظرون عدنان الربان .

كان عمر بكر يفكر باغتيال العبد في أول الأمر ليضعف شوكة حفص ، ويقذف في قلبه الرعب والخوف .. إنه اقترب من الوصول إليهم والسعي إلى أسرهم ونقلهم إلى نجوان .. وأخذ يتأمل هذا العمل ونتائجه ، ولاحظ عمر بكر أن عفريتا فارس لا يستهان به ، فبدأ قويا فعليه أن يصرعه دون أن يكشف أمره .

جاء عدنان للبيت الجديد والتقى حفصا وعفريتا وسمع منهم سبب رحيلهم ، فذكر عدنان أنه سمع عن جريمة حدثت في الميناء بل أكثر من جريمة بعضها عرضا وبعضها عمدا ، وفي الغالب يلقى القبض على القاتل فور وقوع الجريمة ، وقضى الليل مع الأمير يحدثه عن أخبار نجوان ، وأخبار أولاده وزوجاته .

واخبره الأمير عن رغبته بالعودة للمدينة خفية فقال عدنان محذرا : نحب لك هذا ؛ لكن الملك وابنته ما زالوا مهدرين دمك ، وعلمنا أن الأميرة أرسلت الرجال خلفك سرا ، وأنها جعلت لمن يأتيها بك حيا أو ميتا زوجا لها .. وهذا يعني أن يكون ملكا على نجوان .

- هذا رأسي يعادل الملك ..أيها الربان مللت من الاختفاء ..وأنا الفارس الشديد البأس

- نحن لسنا في ميدان القتال يا سيدي الأمير .. هذه حرب خفية بيننا وبين الأميرة .. نحن افشلنا الكثير من أحلامها .. ولم نسمح لأحد أن يغادر المدينة بحثا عنك .. ولكنّ دمك مهدور .. والدك دفع جائزة أمام أخيه والسادة فليس أمامك إلا الصبر .. فالملك ما زال ناقما معتكفا في قصره ويحكمنا اليوم ابنته

- أريد إحدى زوجتي لي سنة محروم من النساء

- ألا تخشى من مجيئها ؟! .. النساء عون الشيطان ، هل نجلب لك سرية من أروى ؟

- لا أحب التسري وأنا السيد المطاع .. أنام مع جارية لا تعلم كم من الرجال عاشرها.

- نأتي بها بكرا

- وهل هذا يصدق؟!جارية وبكر !

- أنت هنا إنسان مطارد أو مطلوب .. لا أحد يعرف أنك الأمير حفص إلا نحن المقربون إليك والمرأة من أنصار الشيطان ستطلب الأولاد .. ستقول لم أر أولادي من كذا وكذا .. أؤكد سمعنا أن الأميرة أرسلت رجالا سرا ، لم نعرفهم لحتى الآن .. المدينة فقدت بعض الرجال فأنت غايتهم.

- كيف سيصلون إليّ؟!

- الإنسان ماكر ومحتال

قال حفص متشككا : لنا قريب من العام دون أن نرى وجها منهم ..هؤلاء المختفون إما هلكوا في البحر أو ضاعوا في المدن أيها السيد الشجاع .. ومن يضحى من أجل الأميرة ؟ وهو يعلم أنه مقتول!!



قرر العودة لنجوان للتشاور مع الأميرة بعد تحقيقه بعض النصر ، فعاد إليها بمركب صيد ، والرجل كما عرفنا يستخدم ملابس تنكرية حسب المهمة وأسهلها لإخفاء شخصيته الحقيقية ، استقبله الخادم سيف بكل حرارة ودفء ، وحدثه عن تنقلاته في البحر تسلية ، وشكره على شوقه وخوفه عليه ، فزعم له أن حياته التي مضت قضاها هكذا ، وزوده بالمال وقال : أنا رجل جوال اتصل بالتجار ، وأعمل في البحار ، وأقابل أهل الحكم والسلطان اذهب

الليلة إلى قصر الملك حيث ينام ، واطلب الحديث مع الأميرة هند ، فهي أوصتني على غرض ، ولما تتأكد أنك بحضرتها قل لها "الظلم مرتعه وخيم " ثم أخبرها أنك راغب برؤيتها في السوق كما تواعدنا المرة الماضية.

أدرك الخادم أن سيده سيد كبير من سادة المدينة ، وأنه في مهمة ملكية سرية وخطيرة ، استغرب الحارس من الرجل الشيخ الذي يطلب لقاء الأميرة ؛ ولكنه بحكم الوقت يعرف مسبقا أن للأميرة أعوانها الأخفياء.. ومقابلة الأميرة متاح لكل الشعب خاصة في النهار وفي ديوان الحكم .. فالملك وابنته يسمحون للعامة بالتظلم أمامهم دون معوقات .. وبعد أن تفقده من حمل السلاح ولو خنجرا ساقه الحارس إلى غرفة خاصة غرفة طالبي الحاجات ، فوجد خادم عمر بكر غيره في الحجرة يطلبون لقاء الأميرة .. وفي ساعة متأخرة من الليل بدأت الأميرة تستقبل هؤلاء الناس ، وتسمع لهم حتى جاء دور سيف ، فقال له الحاجب: أنت بين يدي سيدة البلاد قل حاجتك

فقال العبد: أحق أنت الأميرة هند بنت الملك ؟

كانت الأميرة تصوب النظر إليه بعمق ، وبينهما مسافة فهو يقف عند باب الحجرة ، وهي عند باب داخلي وحولها ثلاثة حراس والحاجب ، واحد الكتبة ، فقال الرجل حيث يقف: الظلم مرتعه وخيم يا مولاتي الأميرة . وكررها ثلاث مرات وتطلع في عينيها وسكت

– أمتأكد أيها الرجل أن الظلم مرتعه وخيم ؟

– نعم ، سيدي جعفر هكذا يقول السوق غداً ، سيكون سيدي في السوق

– حسنا ، سنتقابل .

أعطته صرة فيها دراهم :أعطها لسيدك .. سأراك بإذن الله قبل الظهر

غادر سيف ، وتأكد في قلبه أن السيد يعمل للأميرة أمرا خطيرا ، ولم يفهم إلا أنه رسول لا علاقة له بالقصر ، وأن الأميرة فهمت الرسالة.

وجد عمر بكر الدكان مفتوحة فتسلل إليها ، ومن الدكان إلى غرفة خلفية لها منفذ على الشارع الآخر ، رحبت الأميرة به بالفرح والسعادة ، ولولا الحياة لاحتضنته ، فقد طالت غيبته ولعب الشيطان كثيرا في عقلها ، فقالت بعد أن سكنت عواطفها : بشر أيها الشجاع!

قال دون تردد : عرفت مكانه يا مولاتي الأميرة والتقيت به ، وهو يعيش متخفيا في مدينة أروى

تركته هناك لا أدري بعد مغادرتي خبرهم ، معه خادمه عفريت ، شريكه في الجريمة ، ومعهم امرأة تزعم أنها زوجة لعفريت ، فكرت بقتله دون أن تمسك بي شرطة أروى .. فلم تتاح لي الفرصة أتحبين الحديث معه قبل الفتك به؟

توهجت بتشف وحقد وسرور وقالت: أيمكنك أسره أيها البطل ؟!

روى الفارس رحلته في المطاردة والبحث عن الأمير القاتل حتى التقيا في هذه الدكان السرية للأميرة ، التي تقابل بها عيونها في المدينة فقالت بحماس وإعجاب : أنت نعم الرجل .. كنت قدر كلمتك .. لقد كانت نظرتي إليك صائبة .. لم تكن سائس خيل ..أنت فعلا فارس .. لا أدري كيف فرط فيك قومك ؟! ألا تزيدني معرفة بك ؟!

– صبرنا سنونا ، فلننتظر قليلا أيتها الأميرة الباسلة .. في الوقت المناسب ستعرفينني أكثر .. لو تكلمت عن نفسي الآن ستقول هذا رجل مخبول العقل دعي أحمق .. وأنا قد أكون كاذبا ولم أقابل حفصا ولا غيره

فقالت مؤكدة فهمها للناس : أنا أميرة وتتحدث مع الرجال ، فتعرف الكلام الصادق من الكاذب

– فداك نفسي أيتها الشجاعة .. إذا لك رغبة بالتنكر والذهاب لأروى ورؤية غريمك .. فعلينا أن نرتب لذلك أم انجز المهمة وحدي .. ولعلي أتمكن من جز رأسه ، ونقله إليك هدية أم تخافين من قطع الرؤوس .. فنحن أهل السيف عندنا قتل وسفك الإنسان أسهل من قتل الحيوان ؟!

– أعرف الصيد وأحسن الطعن بالسيف والرمي بالدبوس والرمح ، لم أشارك في معركة .. بلدنا مسالمة ..لا نغزو ولا نغزى .. قلبي يخفق لك

– أرجوك أيتها الأميرة أنت ملكة .. علينا بترك المشاعر والإعجاب لحين انقضاء المهمة ..لا تفكري بالزواج مني .. وإذا قتلت ابن عمك حفص فسأصبح هدفا لهم ، ولو كنت الملك نفسه وإذا هم يعملون كل هذه الحماية له فكيف بعد مقتله ؟

قالت بنوع من الدهشة :أنا قدمت نفسي عروسا لمن يساعدني في الانتقام لكل أهل المدينة .. أين أبناء العم ؟ ! لم يتحرك أحد منهم ، ولا أحد من أبناء الخال ؛ لتحقيق القصاص .. أليس القاتل في الشرائع يقتل! إنهم يريدون الصفح والعفو .. فمن أجل هذا يتسترون على حفص الغادر .. ويحاربون من يريد السعي في البحث عنه

– وهل هؤلاء يقبلون شخصا من العامة جيء به رقيقا ؛ ليكون عليهم ملكا ولو بدون حكم زوج الملكة ؟!

– نحن ملكنا أيها الفارس حتى يكبر ابن أخي ، ويشتد عوده فيكون هيثم هو الملك .

- أخشى عليك الترمل يا مولاتي ! .. وهناك أمر أهم من هذا .. ويباعد بين جسدينا فلنبق أصدقاء من أجل الانتقام

استغربت الأميرة من كلام الفارس فقالت بفكر : لماذا لا يحق لنا أن نتزوج أيها الفارس ؟

- لا أستطيع الإجابة اليوم ، ربما بعد قتل حفص .. فابن عمك قتل ولي العهد لأنه تزوج فتاة اعجبه حسنها وسبقه إليها ابن الملك .

- أنت حيرتني أيها الفارس!

- سأتكلم المرة القادمة ، وستعرفين سري وسر مجيء إلى هذه المدينة كعبد أسير .. هل تحبين المغامرة والفسر ؟

- كنت أتمنى فعل ذلك بنفسي يا عمر بكر ؛ لكنني أتحمل مسؤولية الحكم اليوم .. فمنذ مقتل أسد وأنا أدير المدينة ..والدي اعتكف في القصر .. ويكاد يخلع نفسه لأجلس على العرش أجلت حتى يقتل حفص أمام أهل المدينة .. فعليك أن تعمل وحدك .. وإذا تيسر لك قتله وتأتينا برأسه فأنا لك من الشاكرين .. المهم أن لا تعرض نفسك للموت أو الأسر من شرطة المدن .. وإن حصل هذا فارسل لنا لعلنا نتدبر الأمر .. كما يحصل بين الملوك والقادة ..قلبي يخفق لك حقيقة

- فليخفق كحب أخت لأخيها .. نحن أخوة في طلب الثأر

التقوا ثانية في متجر سمعان ، وأكدت له عجزها عن ترك المدينة ؛ لأن والدها الملك يرفض العودة للجلوس على عرش الحكم ، ويخشى عليها غدر الطرق ومدته بالمال ، فطلب منها



مركبا ببحار ، ثم تراجع عن ذلك بعد تفكير قائلا: أنا أتصرف وحدي .. كنت أرغب بأسر الرجل ونقله للمركب .. فأفضل إحضاره حيا للمدينة أيتها الأميرة لإعادة الهيبة والرهبة للملك ، وأنه قادر على النيل من خصومه وعدوه ؛ لكن المركب قد يفضح المهمة ؛ لأن الوقت للمكر بهم غير معروف لديّ .

قالت مثنية على جهده : تضحياتك مقدرة عندنا أيها الشجاع .. وفكرة الأسر عظيمة لو تحققت وأترك ذلك لقدراتك .. غداً نلتقي ويكون لديك مركب أو استأجر بحارا بمركب

- لا بأس بذلك

ذهب عمر بكر إلى أروى ووجد الصيد قد طار واختفى من البيتين ، فتنكر بزي شرطي وحماره وفي عتمة الليل ذهب لذلك المنزل في ذاك الحي ، وسأل الجيران عن أهل البيت الخالي فدلوه على مالك البيت ، فسأله عن المستأجرين الرجلين والمرأة ، وأنهم مطلوبون بقضايا مالية لأحد الناس

فقال: جاءني رجل اسمه جواد ، واستأجر البيت لمدة أسبوعين ، وقد يزيدها إذا احتاج لوقت أكثر ، ودفع الأجرة وسلمته العقار ، وعليك بالدلال سمحان في سوق النحاس فهو الذي جاءني بجواد هذا ، ووصل إليه عمر بكر بسهوله وسأله عن عفريت فقال: نعم ، اذكره هو نزيل المدينة .. اذكر هذا الرجل ووصفه الذي ذكرت .. احتاج لبيت لمدة نصف شهر ، وجاء من يومين وأعاد المفتاح ، وذهبت وإياه للبيت واستلمته منه وودعته ، وذهبت لصاحب البيت وأعطيته المفتاح وشكرته ، ولا أعرف إلى أين رحلوا ؟

عاد عمر بكر لبيته المستأجر يفكر بالحل لهربهم الجديد ، وكيف الوصول إليهم من جديد ؟ فخطر له الميناء والربان عدنان ، فكما أوصله إليه سابقا سيوصله إليهم من جديد ، فسر من ذلك الخاطر ، وغرق في نومه .

تناول طعامه في الصباح وقال : عدنان هو حلقة الوصل بين الأمير وأهله ..وأنا لا أفكر بالعودة للعمل معهم بعد هذه الغياب ، فصار يذهب للميناء من الصباح حتى العصر ، أحيانا يعمل حمالا ، وأحيانا أخرى يتجول بدون عمل ، قضى عشرة أيام دون أن يظهر عدنان ولا أحد ممن عرفهم أثناء عمله معهم في البحر ، فسافر إلى نجوان بشخصية تاجر جوال ، ورأى عدنان بعد أيام قد دخل للميناء لتفريغ حمولة ، فتقدم بثيابه الأنيقة يتفحص القماش الذي انزله الحمالون ، وقال بلهجة من يأمر ويعرف التجارة : هذه الثياب من أي البلاد أتت؟

فاقترب منه أحد الرجال: أيها التاجر من أي البلاد ؟

قال بحذق تاجر خبير : أنا تاجر جوال أجوب الموانئ وأقاصي المدن ، وأتحرى الأجود والأغلى وتخصصي في الثياب وجذوري الأولى تعود لأروى التي يفصل بيننا وبينها هذا البحر ، فكلما أنزل ميناء بحري أتفرج على حمولات الأقمشة .. فهذه نوعية راقية ليست من أروى ولا سادة

قال التاجر البحري: لقد حملناها من سادة ، واصلها من يمن ، بلاد عربية شمال بحر العرب مشهورة بهذه الثياب والبرد

– اعرفها ، ورحلت إليها من الهند وعُمان – إنها تصل سادة عن طريق البر

– أنتم لا تبيعون هذه الأقمشة

– نحن لا نبيعها أيها التاجر الجوال

– لو سافرت سادة سأجد مثلها إن شاء الله

– نعم ، تاجران تجد عندهم مثل هذا القماش .. التاجر شرف الدين وظاهر الدين .. وسادة من أفضل المدن التي تبيع القماش

– ومدينة نجوان التي نحن فيها الآن .. ما أهم

تجاراتها التي تنصحني بحمل مركب منها إلى

سادة ؟

- هذه البلدة لا تصنع الأقمشة .. نحن بلد التوابل والفلفل والصوف والقرفة والملح والبرتقال هذه الأشياء نبيعها للمدن المجاورة ومنها سادة

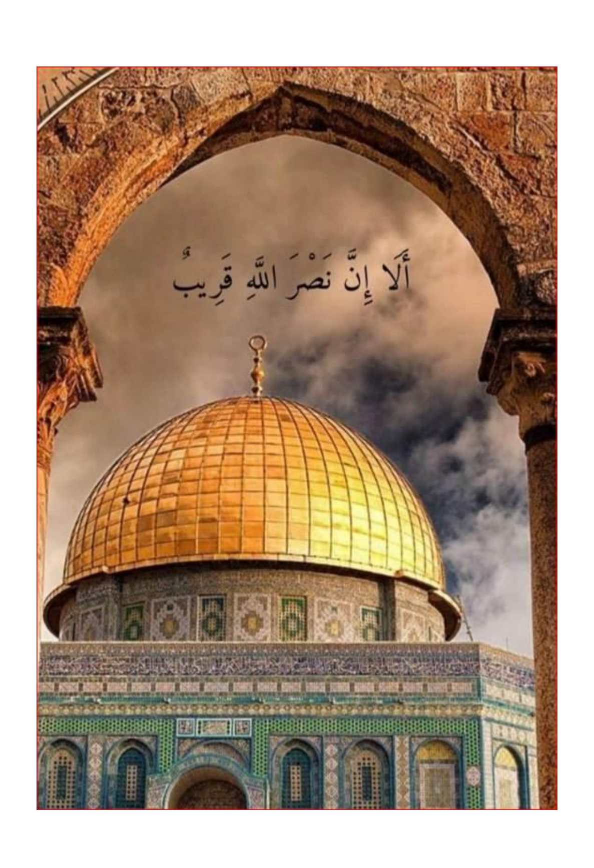
- تجارة الملح جيدة والبهارات الحارة صوفكم غير منسوج

- صوفنا غير منسوج ، ولا نظيف يقص عن الغنم ويجمع ويباع في أروى .. هناك تحوله النساء إلى منسوج ، ويباع للخياطين

- سأحمل إلى سادة التوابل .. مدينة كبيرة تفتقر للقماش ..ماذا تفعل النساء هنا ؟

- النوم والغناء ... انتهت الحلقة







حياتي
قبل الحياة

الحفل
بالقط الأسود

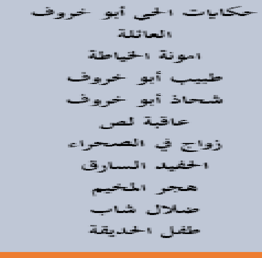
الشقق السوداء

حكايات
الحي أبو خروف





















قصص
المصباح
المضيء



١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غربتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الحفل بالقط الأسود	١٠	الشقق السوداء
١١	حياتي قبل الحياة	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	

قصص وحكايات الفوارس

١	حسان والطير الذهبي	٢	الأمير جفر
٣	عبدالله البحري	٤	رمان
٥	الأميرة نهر الأحلام	٦	زهلول في ارض الجان
٧	مملكة مالونيا الملك بريار	٨	قطبة بن سنان
٩	حصرم بن سلام	١٠	القصر المهجور
١١	نمير وزعيط في جزائر البحر	١٢	انتقام الفارس شهدون
١٣	الأميرة تاج اللوز وولديها	١٤	الفارس جبل بن مجدو
١٥	سيف الزمان وجميلة	١٦	حكاية ريح البحر
١٧	الملك ابن الراعي	١٨	مدينة نجوان
١٩	الملك زرارة والملكة سفانة	٢٠	أبناء الملك سهاك



موت
جبل بن مجدو
العقرب الأحمر









مدينة نجوان





سيف الزمان
وجميلة
جمال

الملك زرارة
والملكة سفانة

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة

قصص

المصباح

المضيء

الجزء ٢٠

٢٠٢٤

اعداد

جمال شاهين

قصص المصباح المضيء الجزء العشرون

رسل أهل القرية

يحكي الحق تبارك وتعالى قصة أنبياء ثلاثة بغير أن يذكر أسمائهم. كل ما يذكره السياق أن القوم كذبوا رسولين فأرسل الله ثالثا . ولم يذكر القرآن من هم أصحاب القرية ولا ما هي القرية. وقد اختلفت فيها الروايات. وعدم إفصاح القرآن عنها دليل على أن تحديد اسمها أو موضعها لا يزيد شيئاً في دلالة القصة وإيحائها. لكن الناس ظلوا على إنكارهم للرسل وتكذيبهم، وقالوا : { قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَانُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ{ (15)يس~ وهذا الاعتراض المتكرر على بشرية الرسل تبدو فيه سذاجة التصور والإدراك كما يبدو فيه الجهل بوظيفة الرسول. قد كانوا يتوقعون دائماً أن يكون هناك سر غامض في شخصية الرسول وحياته تكمن وراءه الأوهام والأساطير.. أليس رسول السماء إلى الأرض فكيف يكون شخصية مكشوفة بسيطة لا أسرار فيها ولا ألغاز حولها ؟! شخصية بشرية عادية من الشخصيات التي تمتلىء بها الأسواق والبيوت ؟! وهذه هي سذاجة التصور والتفكير .فالأسرار والألغاز ليست صفة ملازمة للنبوة والرسالة. فالرسالة منهج إلهي تعيشه البشرية. وحياة الرسول هي النموذج الواقعي للحياة وفق ذلك المنهج الإلهي. النموذج الذي يدعو قومه إلى الاقتداء به. وهم بشر. فلا بد أن يكون رسولهم من البشر ليحقق نموذجاً من الحياة يملكون هم أن يقلدوه. وفي ثقة المطمئن إلى صدقه العارف بحدود وظيفته أجابهم الرسل: إن الله يعلم، وهذا يكفي. وإن وظيفة الرسل البلاغ. وقد أدوه . والناس بعد ذلك أحرار فيما يتخذون لأنفسهم من تصرف. وفيما يحملون في تصرفهم من أوزار. والأمر بين الرسل وبين الناس هو أمر ذلك التبليغ عن الله؛ فمتى تحقق ذلك فالأمر كله بعد ذلك إلى الله. ولكن المكذبين الضالين لا يأخذون الأمور هذا المأخذ الواضح السهل اليسير؛ ولا يطيقون وجود الدعاة إلى الهدى ويعمدون إلى الأسلوب الغليظ العنيف في مقاومة الحجة لأن الباطل ضيق الصدر. قالوا: إننا نتشاءم منكم ;ونتوقع الشر في دعوتكم؛ فإن لم تنتهوا عنها فإننا لن نسكت عليكم ولن ندعكم في دعوتكم: (لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (هكذا أسفر الباطل عن غشمه؛ وأطلق على الهداة تهديده؛ وبغى في وجه كلمة الحق الهادئة! ولكن الواجب الملقى على عاتق الرسل يقضي عليهم بالمضي في الطريق: أما التشاؤم بالأمكنة أو التشاؤم بالوجوه أو التشاؤم بالكلمات، فهو خرافة لا تستقيم على أصل! وقالوا لهم: أترجموننا وتعذبوننا لأننا نذكركم! أفهذا

جزاء التذكير؟ تتجاوزون الحدود في التفكير والتقدير؛ وتجازون على الموعظة بالتهديد والوعيد؛ وتردون على الدعوة بالرجم والتعذيب! ما كان من الرجل المؤمن: لا يقول لنا السياق ماذا كان من أمر هؤلاء الأنبياء، إنما يذكر ما كان من أمر إنسان آمن بهم .آمن بهم وحده.. ووقف بإيمانه أقلية ضعيفة ضد أغلبية كافرة. إنسان جاء من أقصى المدينة يسعى. قال تعالى: { وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ(20)اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ{ (21)يس~جاء وقد تفتح قلبه لدعوة الحق.. فهذا رجل سمع الدعوة فاستجاب لها بعد ما رأى فيها من دلائل الحق والمنطق. وحينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان تحركت هذه الحقيقة في ضميره فلم يطق عليها سكوتاً؛ ولم يقبع في داره بعقيدته وهو يرى الضلال من حوله والجحود والفجور؛ ولكنه سعى بالحق الذي آمن به. سعى به إلى قومه وهم يكذبون ويجحدون ويتوعدون ويهددون. وجاء من أقصى المدينة يسعى ليقوم بواجبه في دعوة قومه إلى الحق وفي كفهم عن البغي وفي مقاومة اعتدائهم الأثيم الذي يوشكون أن يصبوه على المرسلين. ويبدو أن الرجل لم يكن ذا جاه ولا سلطان. ولم تكن له عشيرة تدافع عنه إن وقع له أذى. ولكنها العقيدة الحية في ضميره تدفعه وتجيء به من أقصى المدينة إلى أقصاها. فقال لهم: اتبعوا هؤلاء الرسل، فإن الذي يدعو مثل هذه الدعوة وهو لا يطلب أجراً ولا يبتغي مغنماً. إنه لصادق. وإلا فما الذي يحمله على هذا العناء إن لم يكن يلبي تكليفاً من الله؟ ما الذي يدفعه إلى حمل هم الدعوة؟ ومجابهة الناس بغير ما ألفوا من العقيدة؟ والتعرض لأذاهم وشرهم واستهزائهم وتنكيلهم وهو لا يجني من ذلك كسباً ولا يطلب منهم أجراً؟ وهداهم واضح في طبيعة دعوتهم. فهم يدعون إلى إله واحد. ويدعون إلى نهج واضح. ويدعون إلى عقيدة لا خرافة فيها ولا غموض. فهم مهتدون إلى نهج سليم وإلى طريق مستقيم. ثم عاد يتحدث إليهم عن نفسه هو وعن أسباب إيمانه ويناشد فيهم الفطرة التي استيقظت فيه فاقتنعت بالبرهان الفطري السليم .فلقد تسائل مع نفسه قبل إئمانه، لماذا لا أعبد الذي فطرني؟ والذي إليه المرجع والمصير؟ وما الذي يحيد بي عن هذا النهج الطبيعي الذي يخطر على النفس أول ما يخطر?إن الفطر مجذوبة إلى الذي فطرها تتجه إليه أول ما تتجه فلا تنحرف عنه إلا بدافع آخر خارج على فطرتها. والتوجه إلى الخالق هو الأولى. ثم يبين ضلال المنهج المعاكس .مهج من يعبد آلهة غير الرحمن لا تضر ولا تنفع. وهل أضل ممن يدع منطق الفطرة الذي يدعو المخلوق

إلى عبادة خالقه وينحرف إلى عبادة غير الخالق؟ وهل أضل ممن ينحرف عن الخالق إلى آلهة ضعاف لا يحمونه ولا يدفعون عنه الضر حين يريد به خالقه الضر بسبب انحرافه وضلاله؟ والآن وقد تحدث الرجل بلسان الفطرة الصادقة العارفة الواضحة يقرر قراره الأخير في وجه قومه المكذبين المهددين المتوعدين. لأن صوت الفطرة في قلبه أقوى من كل تهديد ومن كل تكذيب):إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (هكذا ألقى بكلمة الإيمان الواثقة المطمئنة. وأشهدهم عليها. وهو يوحي إليهم أن يقولوها كما قالها. أو أنه لا يبالي بهم ماذا يقولون! استشهاد الرجل ودخوله الجنة: ويوحي سياق القصة بعد ذلك أن القوم الكافرين قتلوا الرجل المؤمن. وإن كان لا يذكر شيئاً من هذا صراحة. إنما يسدل الستار على الدنيا وما فيها وعلى القوم وما هم فيه؛ويرفعه لنرى هذا الشهيد الذي جهر بكلمة الحق متبعاً صوت الفطرة وقذف بها في وجوه من يملكون التهديد والتنكيل. نراه في العالم الآخر. ونطلع على ما ادخر الله له من كرامة. تليق بمقام المؤمن الشجاع المخلص الشهيد) :قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ .. بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (يس~. وتتصل الحياة الدنيا بالحياة الآخرة. ونرى الموت نقلة من عالم الفناء إلى عالم البقاء. وخطوة يخلص بها المؤمن من ضيق الأرض إلى سعة الجنة. ومن تطاول الباطل إلى طمأنينة الحق. ومن تهديد البغي إلى سلام النعيم. ومن ظلمات الجاهلية إلى نور اليقين. ونرى الرجل المؤمن. وقد اطلع على ما آتاه الله في الجنة من المغفرة والكرامة يذكر قومه طيب القلب رضي النفس يتمنى لو يراه قومه ويرون ما آتاه ربه من الرضى والكرامة ليعرفوا الحق معرفة اليقين. إهلاك أصحاب القرية بالصيحة: ذاك كان جزاء الإيمان. فأما الطغيان فكان أهون على الله من أن يرسل عليه الملائكة لتدمره. فهو ضعيف ضعيف:)وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ .. إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ(يس~ لا يطيل هنا في وصف مصرع القوم تهويناً لشأنهم وتصغيراً لقدرهم. فما كانت إلا صيحة واحدة أخمدت أنفاسهم .ويسدل الستار على مشهدهم البائس المهين الذليل!

يوشع بن نون

لم يخرج أحد من التيه ممن كان مع موسى. سوى اثنين. هما الرجلان اللذان أشارا على ملأ بني إسرائيل بدخول قرية الجبارين. ويقول المفسرون: إن أحدهما يوشع بن نون. وهذا هو فتى موسى في قصته مع الخضر. صار الآن نبيا من أنبياء بني إسرائيل، وقائدا لجيش يتجه نحو الأرض التي

أمرهم الله بدخولها. خرج يوشع بن نون ببني إسرائيل من التيه، بعد أربعين سنة، وقصد بهم الأرض المقدسة. كانت هذه الأربعين سنة -كما يقول العلماء- كفيلة بأن يموت فيها جميع من خرج مع موسى عليه السلام من مصر، ويبقى جيل جديد تربى على أيادي موسى وهارون ويوشع بن نون، جيل يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويؤمن بالله ورسله. قطع بهم نهر الأردن إلى أريحا، وكانت من أحصن المدائن سورا وأعلاها قصورا وأكثرها أهلا. فحاصرها ستة أشهر. صدر الأمر الإلهي لبني إسرائيل أن يدخلوا المدينة سجدا.. أي راكعين مطأطئي رءوسهم شاكرين لله عز وجل على ما من به عليهم من الفتح. أمروا أن يقولوا حال دخولهم: (حِطَّةٌ).. بمعنى حط عنا خطايانا التي سلفت، وجنبنا الذي تقدم من آبائنا. إلا أن بني إسرائيل خالفت ما أمرت به قولا وفعلا.. فدخلوا الباب متعالين متكبرين، وبدلوا قولا غير الذي قيل لهم.. فأصابهم عذاب من الله بما ظلموا. كانت جريمة الآباء هي الذل، وأصبحت جريمة الأبناء الكبرياء والافتراء. ولم تكن هذه الجريمة هي أول جرائم بني إسرائيل ولا آخر جرائمهم، فقد عذبوا رسلهم كثيرا بعد موسى، وتحولت التوراة بين أيديهم إلى قراطيس يبدون بعضها ويخفون كثيرا. حسبما تقتضي الأحوال وتدفع المصلحة المباشرة، وكان هذا الجحود هو المسؤول عما أصاب بني إسرائيل من عقوبات. عاد بنو إسرائيل إلى ظلمهم لأنفسهم.. اعتقدوا أنهم شعب الله المختار، وتصوروا انطلاقا من هذا الاعتقاد أن من حقهم ارتكاب أي شيء وكل شيء.. وعظمت فيهم الأخطاء وتكاثرت الخطايا وامتدت الجرائم بعد كتابهم إلى أنبيائهم، فقتلوا من قتلوا من الأنبياء. وسلط الله عليهم بعد رحمة الأنبياء قسوة الملوك الجبارين، يظلمونهم ويسفكون دمائهم، وسلط الله أعدائهم عليهم ومكن لهم من رقابهم وأموالهم. وكان معهم تابوت الميثاق. وهو تابوت يضم بقية مما ترك موسى وهارون، ويقال إن هذا التابوت كان يضم ما بقي من ألواح التوراة التي أنزلت على موسى ونجت من يد الزمان. وكان لهذا التابوت بركة تمتد إلى حياتهم وحروبهم، فكان وجود التابوت بينهم في الحرب، يمدهم بالسكينة والثبات، ويدفعهم إلى النصر، فلما ظلموا أنفسهم ورفعت التوراة من قلوبهم لم يعد هناك معنى لبقاء نسختها معهم، وهكذا ضاع منهم تابوت العهد، وضاع في حرب من حروبهم التي هزموا فيها. وساءت أحوال بني إسرائيل بسبب ذنوبهم وتعنتهم وظلمهم لأنفسهم. ومرت سنوات وسنوات. واشتدت

الحاجة إلى ظهور نبي ينتشلهم من الظلمة التي أوصلتهم إليها فواجع الآثام وكبائر الخطايا.

الخضر

نرى أن القرآن الكريم لا يحدد لنا المكان الذي وقعت فيه الحوادث، ولا يحدد لنا التاريخ، كما أنه لم يصرح بالأسماء. ولم يبين من هو العبد الصالح الذي التقى به موسى، هل هو نبي أو رسول؟ أم عالم؟ أم ولي؟ اختلف المفسرون في تحديد المكان، فقيل إنه بحر فارس والروم، وقيل بل بحر الأردن أو القلزم، وقيل عند طنجة، وقيل في أفريقيا، وقيل هو بحر الأندلس.. ولا يقوم الدليل على صحة مكان من هذه الأمكنة، ولو كان في تحديد المكان فائدة لحدده الله تعالى.. وإنما أبهم السياق القرآني المكان، كما أبهم تحديد الزمان، وأسماء الأشخاص لحكم هو أعلم بها. ربما كان من هذه الحكم ألا ينشغل ذهن القارئ والمستمع وينصرف إلى أمور لا فائدة من ذكرها. إن القصة تتعلق بعلم ليس هو علمنا القائم على الأسباب.. وليس هو علم الأنبياء القائم على الوحي.. إنما نحن أمام علم من طبيعة غامضة أشد الغموض.. علم القدر الأعلى، وذلك علم أسدلت عليه الأستار الكثيفة. لقد خص الله تعالى نبيه الكريم موسى –عليه السلام– بأمور كثيرة. فهو كليم الله عز وجل، وأحد أولى العزم من الرسل، وصاحب معجزة العصا واليد، والنبي الذي أنزلت عليه التوراة دون واسطة، وإنما كلمه الله تكليما.. هذا النبي العظيم يتحول في القصة إلى طالب علم متواضع يصبر أمام أستاذه ليتعلم.. ومن يكون معلمه غير هذا العبد الذي يتجاوز السياق القرآني اسمه، وإن حدثتنا السنة المطهرة أنه هو الخضر –عليه السلام– كما حدثتنا أن الفتى هو يوشع بن نون ، ويسير موسى مع العبد الذي يتلقى علمه من الله بغير أسباب التلقي التي نعرفها. ومع منزلة موسى العظيمة إلا أن الخضر يرفض صحبة موسى. يبين له أنه لن يستطيع معه صبرا. ثم يوافق على صحبته بشرط ألا يسأله موسى عن شيء حتى يحدثه الخضر عنه. والخضر لا يتحدث، وتصرفاته تثير دهشة موسى العميقة. إن هناك تصرفات يأتيها الخضر وترتفع أمام عيني موسى حتى لتصل إلى مرتبة الجرائم والكوارث. وهناك تصرفات تبدو لموسى بلا معنى. وتثير تصرفات الخضر دهشة موسى ومعارضته. ورغم علم موسى ومرتبته، فإنه يجد نفسه في حيرة عميقة من تصرفات هذا العبد الذي آتاه الله من علمه. وقد اختلف العلماء في الخضر: فمنهم من يعتبره وليا من أولياء الله، ومنهم من يعتبره نبيا. وقد نسجت الأساطير نفسها حول حياته ووجوده، فقيل إنه لا يزال حيا إلى يوم القيامة، وهي قضية لم يرد بها نص من قرآن أو سنة

، فلا نقول فيه إلا أنه مات كما يموت عباد الله. قام موسى خطيبا في بني إسرائيل، يدعوهم إلى الله ويحدثهم عن الحق، ويبدو أن حديثه جاء جامعا مانعا رائعا. بعد أن انتهى من خطابه سأله أحد المستمعين من بني إسرائيل: هل على وجه الأرض أحد اعلم منك يا نبي الله؟ قال موسى مندفعا: لا. وساق الله تعالى عتابه لموسى حين لم يرد العلم إليه، فبعث إليه جبريل يسأله: يا موسى ما يدريك أين يضع الله علمه؟ أدرك موسى أنه تسرع. وعاد جبريل، عليه السلام، يقول له: إن لله عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك. تاقت نفس موسى الكريمة إلى زيادة العلم، وانعقدت نيته على الرحيل لمصاحبة هذا العبد العالم. سأل كيف السبيل إليه. فأمر أن يرحل، وأن يحمل معه حوتا في مكتل، أي سمكة في سلة. وفي هذا المكان الذي ترتد فيه الحياة لهذا الحوت ويتسرب في البحر، سيجد العبد العالم. انطلق موسى – طالب العلم – ومعه فتاه وقد حمل الفتى حوتا في سلة. انطلقا بحثا عن العبد الصالح العالم. وليست لديهم أي علامة على المكان الذي يوجد فيه إلا معجزة ارتداد الحياة للسمكة في السلة وتسربها إلى البحر. ويظهر عزم موسى – عليه السلام– على العثور على هذا العبد العالم ولو اضطره الأمر إلى أن يسير زمنا طويلا. وصل الاثنان إلى صخرة بجوار البحر.

رقد موسى واستسلم للنعاس، وبقي الفتى ساهرا وألقت الرياح إحدى الأمواج على الشاطئ فأصاب الحوت رذاذ فدبت فيه الحياة وقفز إلى البحر. وكان تسرب الحوت إلى البحر علامة أعلم الله بها موسى لتحديد مكان لقائه بالرجل الحكيم الذي جاء موسى يتعلم منه. نهض موسى من نومه فلم يلاحظ أن الحوت تسرب إلى البحر. ونسي فتاه الذي يصحبه أن يحدثه عما وقع للحوت. وسار موسى مع فتاه بقية يومهما وليلتهما وقد نسيا حوتهما. ثم تذكر موسى غداءه وحل عليه التعب. ولمع في ذهن الفتى ما وقع. عندئذ تذكر الفتى كيف تسرب الحوت إلى البحر وأخبر موسى بما وقع، واعتذر إليه بأن الشيطان أنساه أن يذكر له ما وقع. كان أمرا عجيبا ما رآه يوشع بن نون ، لقد رأى الحوت يشق الماء فيترك علامة وكأنه طير يتلوى على الرمال. سعد موسى من مروق الحوت إلى البحر وقال: هذا ما كنا نريده. إن تسرب الحوت يحدد المكان الذي سنلتقي فيه بالرجل العالم. ويرتد موسى وفتاه يقصان أثرهما عائدين. أخيرا وصل موسى إلى المكان الذي تسرب منه الحوت. وصلا إلى الصخرة التي ناما عندها، وتسرب عندها الحوت من السلة إلى البحر. وهناك وجدا رجلا. فسلم عليه موسى، فكشف عن وجهه وقال: من أنت؟ قال موسى: أنا موسى.

قال الخضر: موسى نبي إسرائيل.. عليك السلام يا نبي إسرائيل. قال موسى: وما أدراك بي..؟ قال الخضر: الذي أدراك بي ودلك علي.. ماذا تريد يا موسى..؟ قال موسى ملاطفا مبالغا في التوقير) :هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا .(قال الخضر: أما يكفيك أن التوراة بين يديك. وأن الوحي يأتيك.؟ يا موسى) إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا .(احتمل موسى كلمات الصد القاسية وعاد يرجوه أن يسمح له بمصاحبته والتعلم منه. وقال له موسى فيما قال إنه سيجده إن شاء الله صابرا ولا يعصي له أمرا. قال الخضر لموسى – عليهما السلام– إن هناك شرطا لمصاحبتي والتعلم مني وهو ألا تسألني عن شيء حتى أحدثك عنه. فوافق موسى على الشرط وانطلقا. انطلق موسى مع الخضر يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة، فطلب الخضر وموسى من أصحابها أن يحملوهما، وعرف أصحاب السفينة الخضر فحملوه وحملوا موسى بدون أجر، إكراما للخضر وفوجئ موسى حين رست السفينة وغادرها أصحابها وركابها فوجئ بأن الخضر يتخلف عنهم .لم يكد أصحابها يبتعدون حتى بدأ الخضر يخرق السفينة. اقتلع لوحا من ألواحها وألقاه في البحر فحملته الأمواج بعيدا فاستنكر موسى فعلة الخضر. لقد حملنا أصحاب السفينة بغير أجر.. أكرمونا.. وها هو ذا يخرق سفينتهم ويفسدها.. كان التصرف من وجهة نظر موسى معيبا وغلبت طبيعة موسى المندفعة عليه، كما حركته غيرته على الحق، فاندفع يحدث أستاذه ومعلمه وقد نسي شرطه الذي اشترطه عليه) :قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا .(وهنا يلفت العبد الرباني نظر موسى إلى عبث محاولة التعليم منه، لأنه لن يستطيع الصبر عليه) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا(، ويعتذر موسى بالنسيان ويرجوه ألا يؤاخذه وألا يرهقه)قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا .(سارا معا. فمرا على حديقة يلعب فيها الصبيان. حتى إذا تعبوا من اللعب تنحى كل واحد منهم ناحية واستسلم للنعاس. فوجئ موسى بأن العبد الرباني يقتل غلاما. ويثور موسى سائلا عن الجريمة التي ارتكبها هذا الصبي ليقتله. هكذا يعاود العبد الرباني تذكيره بأنه لن يستطيع الصبر عليه) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا .(ويعتذر موسى بأنه نسي ولن يعاود الأسئلة وإذا سأله مرة أخرى سيكون من حقه أن يفارقه) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (كان الخضر ينفذ إرادة عليا. وكانت لهذه الإرادة العليا حكمتها. ومضى موسى مع الخضر فدخلا قرية

ولا يعرف موسى لماذا ذهبا إلى هذه القرية، ولا يعرف لماذا يبيتان فيها، نفذ ما معهما من الطعام، فاستطعما أهل القرية فأبوا أن يضيفوهما. وجاء عليهما المساء، وأوى الاثنان إلى خلاء فيه جدار يتهاوى ويكاد يهم بالسقوط. وفوجئ موسى بأن الرجل العابد ينهض ليقضي الليل كله في إصلاح الجدار وبنائه من جديد .ويندهش موسى من تصرف رفيقه ومعلمه، إن أهل القرية بخلاء، لا يستحقون هذا العمل فقال الخضر لموسى) :هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ .(لقد حذر العبد الرباني موسى من مغبة السؤال. وجاء دور التفسير الآن. إن كل تصرفات العبد الرباني التي أثارت موسى وحيرته كانت مشوبة بالقسوة الظاهرة، بينما تخفي في حقيقتها رحمة حانية. وهكذا يتناقض ظاهر الأمر وباطنه، ولا يعلم موسى، رغم علمه الهائل غير قطرة من علم العبد الرباني، ولا يعلم العبد الرباني من علم الله إلا بمقدار ما يأخذ العصفور بمنقاره من ماء البحر. كشف العبد الرباني لموسى شيئين في الوقت نفسه. كشف له أن علمه – أي علم موسى – محدود. كما كشف له أن كثيرا من المصائب التي تقع على الأرض تخفي في ردائها الأسود الكئيب رحمة عظمى. إن أصحاب السفينة سيعتبرون خرق سفينتهم مصيبة جاءتهم، بينما هي نعمة تتخفى في زي المصيبة. نعمة لن يكشف النقاب عن وجهها إلا بعد أن تنشب الحرب ويصادر الملك كل السفن الموجودة غصبا، ثم يترك هذه السفينة المعيبة. وبذلك تبقى هذه السفينة مصدر رزق عندهم كما هي، فلا يموتون جوعا. أيضا سيعتبر والد الطفل المقتول وأمه أن كارثة قد دهمتهما لقتل وحيدهما الصغير البريء. غير أن موته يمثل بالنسبة لهما رحمة عظمى، فإن الله سيعطيهما بدلا منه غلاما يرعاهما في شيخوختهما ولا يرهقهما طغيانا وكفرا كالغلام المقتول. وهكذا تختفي النعمة في ثياب المحنة، وترتدي الرحمة قناع الكارثة، ويختلف ظاهر الأشياء عن باطنها حتى ليحتج نبي الله موسى إلى تصرف يجري أمامه، ثم يستلفته عبد من عباد الله إلى حكمة التصرف ومغزاه ورحمة الله الكلية التي تخفي نفسها وراء أقنعة عديدة. أما الجدار الذي أتعب نفسه بإقامته، من غير أن يطلب أجرا من أهل القرية، كان يخبئ تحته كنزا لغلامين يتيمين ضعيفين في المدينة .ولو ترك الجدار ينقض لظهر من تحته الكنز فلا يستطع الصغيران أن يدافعا عنه. ولما كان أبوهما صالحا فقد نفعهما الله بصلاحه في طفولتهما وضعفهما، فأراد أن يكبرا ويشتد عودهما ويستخرجا كنزهما وهما قادران على حمايته. ثم يبين الخضر أن هذه رحمة الله التي اقتضت هذا التصرف. وهو أمر الله لا أمره. فقد أطلعه الله على الغيب في هذه المسألة

وفيها قبلها، ووجهه إلى التصرف فيها وفق ما أطلعه عليه من غيبه .واختفى هذا العبد الصالح. لقد مضى في المجهول كما خرج من المجهول. إلا أن موسى تعلم من صحبته درسين مهمين: تعلم ألا يغتر بعلمه في الشريعة، فهناك علم الحقيقة . وتعلم ألا يشتد قلبه لمصائب البشر، فربما تكون يد الرحمة الخالقة تخفي سرها من اللطف والإنقاذ، والإيناس وراء أقنعة الحزن والآلام والموت. هذه هي الدروس التي تعلمها موسى كليم الله عز وجل ورسوله من هذا العبد.

قصص من السيرة

بئر معونة

العام الهجري : ٤ الشهر القمري : صفر العام الميلادي : ٦٢٥تفاصيل الحدث: عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: أنَّ رِعْلًا، وذَكْوانَ، وعُصَيَّةَ، وبني لَحيانَ، اسْتمَدُّوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على عَدُوٍّ، فأَمدَّهُم بسبعين مِنَ الأنصارِ، كُنَّا نُسمِّيهم القُرَّاءَ في زمانِهم، كانوا يَحْتَطِبون بالنَّهارِ، ويُصلُّون باللَّيلِ، حتَّى كانوا ببِئرِ مَعونةَ قَتلوهُم وغَدَروا بهِم، فبلَغ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فقَنَتَ شهرًا يَدعو في الصُّبحِ على أَحياءٍ مِن أَحياءِ العربِ، على رِعْلٍ، وذَكْوانَ، وعُصَيَّةَ، وبني لَحيانَ. قال أنسٌ: فقَرأنا فيهم قُرآنًا، ثمَّ إنَّ ذلك رُفِعَ: بَلِّغوا عَنَّا قَومَنا أَنَّا لَقِينا رَبَّنا فَرَضِيَ عَنَّا وأَرضانا. وجاء في روايةٍ عند البُخاريِّ: أنَّ أولئك السَّبعين مِنَ الأنصارِ قُتِلوا ببِئرِ مَعونةَ. وعن أنسِ بنِ مالكٍ، قال: جاء ناسٌ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقالوا: أَنِ ابْعَثْ معنا رجالًا يُعلِّمونا القُرآنَ والسُّنَّةَ، فبعَث إليهم سبعين رجلًا مِنَ الأنصارِ، يُقالُ لهم: القُرَّاءُ، فيهم خالي حَرامٌ، يَقرءون القُرآنَ، ويَتدارَسون باللَّيلِ يَتعلَّمون، وكانوا بالنَّهارِ يَجيئون بالماءِ فيضَعونَهُ في المسجِدِ، ويَحْتَطِبون فَيَبيعونَهُ ويَشْتَرون به الطَّعامَ لأَهلِ الصُّفَّةِ وللفُقراءِ، فبعثَهُم النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم إليهم، فعَرَضوا لهم فقَتَلوهُم قبلَ أن يَبلُغوا المكانَ، فقالوا: اللَّهمَّ، بَلِّغْ عَنَّا نَبيَّنا أَنَّا قد لَقِيناك فَرَضينا عنك، ورَضيتَ عَنَّا. قال: وأَتى رجلٌ حَرامًا – خالَ أنسٍ– مِن خَلفِه، فطَعَنَهُ برُمحٍ حتَّى أَنْفَذَهُ، فقال حَرامٌ: فُزْتُ ورَبِّ الكعبةِ. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابِه: إنَّ إخوانَكُم قد قُتِلوا، وإنَّهم قالوا: اللَّهمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبيَّنا أَنَّا قد لَقِيناك فَرَضينا عنك، ورَضيت عَنَّا.

الرجيع

العام الهجري : ٤ الشهر القمري : صفر العام الميلادي : ٦٢٥تفاصيل الحدث: عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قال: «بعَث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عشرةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عينًا، وأَمَّرَ عليهم عاصمَ بنَ ثابتٍ الأَنصاريَّ، جَدَّ عاصمِ بنِ عُمَرَ بنِ

الخطَّابِ، فانطلقوا حتَّى إذا كانوا بالهَدَأَةِ، وهو بين عُسْفانَ ومكَّةَ، ذُكِروا لحَيٍّ مِن هُذيلٍ يُقالُ لهم: بنو لَحيانَ، فنَفَروا لهم قريبًا مِن مائتي رجلٍ كُلُّهم رامٍ، فاقْتَصُّوا آثارَهُم حتَّى وجدوا مَأكلَهُم تمرًا تَزوَّدوهُ مِنَ المدينةِ، فقالوا: هذا تمرُ يَثْرِبَ. فاقْتَصُّوا آثارَهُم، فلمَّا رآهُم عاصمٌ وأصحابُه لجَئُوا إلى فَدْفَدٍ وأحاط بهم القومُ، فقالوا لهم: انزلوا وأَعْطونا بِأَيديكُم، ولكم العهدُ والميثاقُ، ولا نقتُل منكم أحدًا، قال عاصمُ بنُ ثابتٍ أَميرُ السَّرِيَّةِ: أمَّا أنا فَوَاللهِ لا أنزِلُ اليومَ في ذِمَّةِ كافرٍ، اللَّهمَّ أَخبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ، فرَمَوْهُم بالنَّبْلِ فقَتلوا عاصمًا في سَبعةٍ، فنزل إليهم ثلاثةُ رَهْطٍ بالعهدِ والميثاقِ، منهم خُبَيْبٌ الأَنصاريُّ، وابنُ دَثِنَةَ، ورجلٌ آخرُ، فلمَّا اسْتمكَنوا منهم أطلقوا أَوتارَ قِسِيِّهم فأَوثَقوهُم، فقال الرجلُ الثَّالثُ: هذا أوَّلُ الغَدْرِ، واللهِ لا أَصحَبُكُم، إنَّ لي في هؤلاءِ لأُسْوَةً يُريدُ القَتلى، فجَرَّروهُ وعالَجوهُ على أن يَصحبَهُم فأَبى فقَتلوهُ، فانطلقوا بخُبَيْبٍ، وابنِ دَثِنَةَ حتَّى باعوهُما بمكَّةَ بعدَ وَقعةِ بدرٍ، فابتاع خُبَيْبًا بنو الحارثِ بنِ عامرِ بنِ نَوفلِ بنِ عبدِ مَنافٍ، وكان خُبَيْبٌ هو قَتَلَ الحارثَ بنَ عامرٍ يومَ بدرٍ، فلَبِثَ خُبَيْبٌ عندهم أَسيرًا، فأخبرني عُبيدُ اللهِ بنُ عِياضٍ، أنَّ بنتَ الحارثِ أخبرتْهُ: أنَّهم حين اجتمعوا اسْتَعار منها موسى يَسْتَحِدُّ بها، فأعارتْهُ، فأخذ ابنًا لي وأنا غافلةٌ حين أتاهُ قالت: فوجدتُه مُجْلِسَهُ على فَخِذِهِ والموسى بيدِه، ففَزِعْتُ فَزْعَةً عرَفها خُبَيْبٌ في وجهي، فقال: تَخْشَيْنَ أن أَقتُلَهُ؟ ما كنتُ لأَفعلَ ذلك. واللهِ ما رأيتُ أَسيرًا قَطُّ خيرًا مِن خُبَيْبٍ، واللهِ لقد وجدتُهُ يومًا يأكلُ مِن قِطْفِ عِنَبٍ في يدِه، وإنَّه لَمُوثَقٌ في الحديدِ، وما بمكَّةَ مِن ثَمرٍ، وكانت تقولُ: إنَّه لَرزقٌ مِنَ اللهِ رَزَقَهُ خُبَيْبًا، فلمَّا خرجوا مِنَ الحَرَمِ لِيقتُلوه في الحِلِّ، قال لهم خُبَيْبٌ: ذَروني أَركعُ رَكعتينِ. فتركوه، فركَع رَكعتينِ، ثمَّ قال: لولا أن تَظنُّوا أنَّ ما بي جَزَعٌ لَطَوَّلْتُها، اللَّهمَّ أَحْصِهم عددًا، ثمَّ ارْتَجز يقولُه: لا أُبالي حين أُقتَلُ مُسلِمًا... على أيِّ شِقٍّ كان للهِ مَصرعي، وذلك في ذاتِ الإلهِ وإن يشأْ... يُبارِك على أَوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ. فقتَله ابنُ الحارثِ، فكان خُبَيْبٌ هو سَنَّ الرَّكعتينِ لِكُلِّ امرئٍ مُسلمٍ قُتِلَ صَبرًا، فاستجاب اللهُ لعاصمِ بنِ ثابتٍ يومَ أُصيبَ، فأَخبرَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أصحابَه خبرَهُم، وما أُصيبوا، وبعَث ناسٌ مِن كُفَّارِ قُريشٍ إلى عاصمٍ حين حُدِّثوا أنَّه قُتِلَ، لِيُؤْتَوْا بشيءٍ منه يُعرفُ، وكان قد قتَل رجلًا مِن عُظمائِهم يومَ بدرٍ، فبُعِثَ على عاصمٍ مِثْلُ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ، فحَمَتْهُ مِن رسولِهم، فلم يَقدِروا على أن يَقطعَ مِن لَحمِه شيئًا.

سرية راس سفيان

العام الهجري : ٤ الشهر القمري : محرم العام الميلادي : ٦٢٥ تفاصيل الحدث:

خَرَج عبدُ اللهِ بنُ أُنيسٍ رَضِي اللهُ عنه من المدينةِ يومَ الإثنَيْنِ لخمسٍ خَلَونَ من المُحرَّمِ على رأسِ خمسةٍ وثلاثين شهرًا من مُهاجَرِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وبَلَغَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّ سُفيانَ بنَ خالِدِ بن نُبَيحٍ الهُذليَّ ثم اللِّحيانيَّ -وكان يَنزِل عُرْنةَ وما والاها في أُناسٍ من قومِه وغيرِهم- يُريد أن يَجمَعَ الجُموعَ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فضَوَى إليه بَشَرٌ كثيرٌ من أفناءِ الناسِ. قال عبدُ اللهِ بنُ أُنيسٍ رضي اللهُ تعالى عنه: دَعاني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال" :إنَّه بَلَغني أنَّ سفيانَ بنَ خالدِ بنِ نُبَيحٍ يَجمَع لي الناسَ ليَغزوَني وهو بنَخلةَ أو بعُرْنةَ فأْتِه فاقْتُلْه ."فقلتُ: يا رسول اللهِ، صِفْهُ لي حتى أعرِفَه. فقال" :آيةُ ما بَينَك وبَينَه أنَّك إذا رَأيتَه هِبتَه وفَرِقْتَ منه، ووَجَدْتَ له قُشَعْريرةً، وذَكَرْتَ الشَّيطانَ ."قال عبد اللهِ: كنتُ لا أهابُ الرِّجالَ، فقلت: يا رسول اللهِ، ما فَرِقتُ من شيءٍ قطُّ. فقال" :بَلَى؛ آيةُ ما بَينَك وبَينَه ذلك: أن تَجِدَ له قُشَعْريرةً إذا رَأيتَه ."قال: واستَأْذَنتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أن أقولَ. فقال" :قُلْ ما بَدا لَكَ ."وقال" :انتَسِبْ لخُزاعةَ ." فأخَذتُ سَيفي ولم أزِدْ عليه وخرجتُ أعتَزي لخُزاعةَ حتى إذا كنتُ ببَطنِ عُرْنةَ لَقيتُه يمشي ووراءه الأحابيشُ. فلمَّا رَأيتُه هِبتُه وعَرَفتُه بالنَّعتِ الذي نَعَت لي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم.

فقلتُ: صَدَقَ اللهُ ورسولُه، وقد دخل وقتُ العَصرِ حين رَأيتُه، فصَلَّيتُ وأنا أمشي أُومي برَأسي إيماءً. فلمَّا دَنَوتُ منه قال" :مَنِ الرَّجلُ؟ "فقلتُ" :رجلٌ من خُزاعةَ سَمِعتُ بجَمعِك لمُحمَّدٍ فجِئتُك لأكونَ مَعَك عليه ."قال" :أجلْ؛ إنِّي لَفي الجَمعِ له ." فمَشَيتُ معه وحدَّثتُه فاستَحلَى حديثي وأنشَدتُه وقلتُ" :عَجَبًا لِمَا أحدَثَ مُحمَّدٌ مِن هذا الدِّينِ المُحدَثِ، فارَقَ الآباءَ وسَفَّه أحلامَهم ."قال" :لم ألْقَ أحَدًا يُشبِهُني ولا يُحسِنُ قِتالَه ."وهو يتوكَّأُ على عصًا يَهُدُّ الأرضَ، حتى انتَهَى إلى خِبائِه وتفرَّق عنه أصحابُه إلى منازِلَ قَريبةٍ منه، وهم يُطيفون به. فقال: هَلُمَّ يا أخا خُزاعةَ. فدَنَوتُ منه. فقال: اجلِسْ. فجَلَستُ معه حتى إذا هَدَأ الناسُ ونامَ اغتَرَرْتُه. وفي أكثرِ الرِّواياتِ أنه قال: فمَشَيتُ معه حتَّى إذا أمكَنني حَمَلتُ عليه السَّيفَ فقتَلتُه وأخذتُ رأسَه. ثم أقبلتُ فصَعِدتُ جَبَلًا، فدَخَلتُ غارًا وأقبَلَ الطلبُ من الخيلِ والرجالِ تَمَعَّجُ في كلِّ وجهٍ وأنا مُكتَمِنٌ في الغارِ، وأقبل رجلٌ معه إداوَتُه ونعلُه في يدِهِ وكنتُ خائفًا، فوضع إداوَتَه ونعلَه وجلس يَبولُ قَريبًا من فَمِ الغارِ، ثم قال لأصحابِه: ليس في الغارِ أحدٌ، فانصَرَفوا راجِعين، وخرجتُ إلى الإداوةِ فشَرِبتُ ما فيها وأخذتُ النَّعلَين فلَبِستُهما. فكنتُ أسيرُ الليلَ وأكمُنُ النهارَ حتى جِئتُ المدينة، فوَجَدتُ

رسولَ اللهَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في المسجد، فلمَّا رآني قال" :أفلَحَ الوَجهُ ."فقلت: وأفلَحَ وَجهُكَ يا رسول اللهَّ ."فوَضَعتُ الرَّأسَ بين يَدَيه وأخبَرتُه خَبَري، فدَفَع إليَّ عصًا وقال" :تَخَصَّرْ بِها في الجَنَّةِ؛ فإنَّ المُتخَصِّرين في الجَنَّةِ قَليلٌ ."فكانتِ العصا عند عبدِ اللهَّ بن أُنَيسٍ حتى إذا حضَرَته الوفاةُ أوصى أهلَه أن يُدرِجوا العصا في أكفانِه. ففعَلوا ذلك. قال ابنُ عُقبةَ" :فيَزعُمون أنَّ رسولَ اللهَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أخبَرَ بقتلِ عبدِ اللهَّ بنِ أُنيسٍ سُفيانَ بنَ خالِدٍ قبلَ قُدومِ عبدِ اللهَّ بنِ أُنَيسٍ رضي اللهَّ تعالى عنه."

التحقيق الجنائي والجريمة



١

" حياة الأسرة في خطر ،إنهم يريدون أسرار برنامج التحديث في القوات المسلحة "

هذه الكلمات نطق بها المهندس الركن العميد " فارس شولكم " وهو يضع سماعة الهاتف لزوجته أم عمر التي تقف بجواره ، وكلها قلق وخوف لهذا الهاتف الليلي عند الثانية ليلا من نوفمبر (١٩٩٣) فقالت الزوجة وهي ترتجف مما سمعت : من هم هؤلاء الذين يريدون هذه الأسرار ؟ !

مشى المهندس نحو كنبة في صالة البيت وجلس عليها وزوجته خلفه ، ثم جلست قريبا منه فسمعته يقول ويردد : من هم ؟! .. لا أدري .. إنهم يهددون ويتوعدون وسينفذون إن لم أسلم الرسومات والوثائق وأرضخ لمطلبهم وأتعاون معهم .

قالت برعب : إنهم يعرفونك ويعرفون دورك في البرنامج !

قال: بالتأكيد ، ويعرفون مدارس الأولاد وأرقام الهواتف وبيتنا هذا وبيت والدي ووالدك .. والجميع بخطر إن لم أبيع لهم نفسي وشرفي …

فقلقت الزوجة وقد أدركت الخطر الذي يتحدث عنه الزوج وقالت : وماذا ستفعل ؟!

قال: أفكر بالتحدث مع رئيس الدولة مباشرة .

قالت برعب : وقد يكون هاتفك مراقبا من قبلهم

قال: سأضع الرئيس في الصورة .. الأمر خطير ومخيف .. فأنا منذ استلمت هذا المنصب وأنا أتعرض لمضايقات ومكالمات ، وطلب التعاون ، وأن الملايين في انتظاري في بنوك زيورخ وفينا

هتفت قائلة: ملايين .. إنهم أقوياء !

فقال فارس بقوة وتحد لمع في بريق عينيه : الله أقوى ! .. ووضع الحرس على الأولاد أمر مخيف يا نعمى .. أمر محرج ومثير للخوف والقلق في نفوسهم ..

قالت برعب : عليك إخبار رؤسائك يا فارس !

فقال مفكرا وبحيرة : الوضع دقيق وحساس .. فأي الرؤساء أكلم ؟ .. الوزير .. مدير الاستخبارات العسكرية .. رئيس هيئة الأركان للقوات المسلحة .. مساعديه .. أمورنا بعد الحرب التي انتهت منذ سنوات مضطربة .. خلايا التجسس كثرت في الجانب العسكري والجانب المدني .. قل المخلصون للوطن والبلاد .. فهناك عملية تطهير وترتيب داخل القوات العسكرية والأمنية المختلفة .

فتسألت الزوجة فقالت : وهؤلاء لماذا يريدون خطط وبرامج التحديث للجيوش ؟!

فقال فارس وهو يتنهد بعمق : تباع لدول معادية أو دول صناعية أو جهات أخرى .. أو إسرائيل العدو الأول للعرب والمسلمين.

فقالت نعمى بعد صمت وتريث يسير : تحدث مع أخي خليل .. فهو ضابط أمن ومخابرات

فقال فارس : فكرت بذلك ؛ ولكنّ أخاك ضابط صغير ملازم أول ، قد لا يُسمع كلامه ويهتم به .. فهذا التهديد سيسيء للرجال الأوائل الذين استلموا المنصب من قبلي .. فهل كانوا يبيعون شرفهم العسكري من أجل المال والأرصدة ؟ فالهزيمة كانت قاسية ومؤلمة لكل الأجهزة ، وكشفت الكثير من العيوب والترهل والموت مات الكثير من الأفراد والعسكر .. أم أنا أول ضحية ومطارد لهم .. أنا على نفسي لست خائفا ؛ ولكني خائف عليك وعلى الأولاد .. وصمتي قد يسيء لسمعتي وشرفي العسكري ويثير الشبهات حولي يا نعمى .

قالت : شاوره .. فخليل شاب ذكي وفطن ربما أفادك ؟

قال: أخشى أن يتعرض للأذى .. فهؤلاء الجواسيس لهم جواسيس وعملاء فمن عادة الجواسيس أن يشكلوا شبكات سرية وجماعات وخلايا متعددة .. ولهم ثلاثة شهور يطاردونني بالهواتف والعروض وخشيت أن ألتقي بأحدهم فأقع في فخهم وأضعف أمامهم أريد أن أعرفهم من غير الجلوس معهم .

فقالت الزوجة الحائرة والخائفة من القضية المثيرة :أنا سأخبر خليلا بذلك، فهم يعتقدون أنك لا تتحدث أمامي بهذا الخطر .

قال : أنا كنت أكتم عنك ذلك قبل الليلة خوفا من بث الرعب والخوف في نفسك ؛ ولكن قلقي عليكم دفعني للقول الليلة ؛ وربما تكون حياتي في خطر ويتخلصون مني برصاصة أو بسيارة مسرعة فلا تعرفون سبب هلاكي ؛ فهذا هو الذي دفعني الليلة لمصارحتك بسر هذه المكالمة

فأخذت الزوجة التي تضطرب من الخوف تشجع زوجها وتثبته على الصمود والصبر وعدم الضعف

لهؤلاء الشياطين .. وبعد ساعة من الحديث دخلا من جديد إلى مخدع النوم .

❋ ❋ ❋ ❋

كان هناك أيضا الطيار العسكري العميد " زيد عبد القادر " يتعرض لتهديد شبكات التجسس في البلاد ، فهو قائد قاعدة عسكرية لسلاح الطيران وفي فريق تحديث الجيش والسلاح ، فقد تلقى كثيرا من هواتف الإغراء والتعاون ثم بدأ التهديد والوعيد .. وهو يجهل هذه الجهات أو الأشخاص الذين يطاردونه ويطلبون الاتفاق معه .. وفي تلك الليلة من نوفمبر استيقظ على جرس الهاتف ، واستمع لتحذيرات وتهديدات العصابة ، ولم ينتبه زيد أن ابنته الشابة قد فتحت الخط من غرفتها واستمعت للمكالمة الخطيرة فاصفر وجهها وارتسم الخوف على وجهها وعينيها وبدنها وأدركت الخطر المحدق بوالدها إن لم يتعاون مع هؤلاء الأشرار .. فجلست في فراشها ووضعت الكتاب الذي كانت تطالع به .. فهي لم تنم بعد .. فأمها وأخوها محسن ظلا في العرس وعادت مع والدها .. ولما تناولا طعاما خفيفا دخل كل واحد منهما لحجرته .. فلم يغلبها النوم فأخذت تقرأ في كتاب ساعة من الزمن عندما رن جرس الهاتف فرفعت السماعة لا شعوريا أو بحكم العادة ، وقبل أن ترد سمعت والدها يرد ثم سمعت الحوار الرهيب .. التهديد والتخويف .. أخذت تفكر بالخطر المحيط بالعائلة وتتسأل عن هؤلاء المجرمين فهمست لنفسها : أبي من كلامه معهم فهو لا يعرفهم ، ولا يريد التعرف عليهم ؛ ولكنهم يصرون على تعاونه معهم أو تعرض أهله للضرر والخطر على أيديهم .. ماذا أفعل ؟! هل أحدث والدي بأنني سمعت هذه المكالمة أم اصمت أم أتحدث لأحد ؟! .. ماذا ستفعلين يا لمياء ؟!

لم تستطع لمياء النوم مما سمعت ومن التفكير فقامت ودخلت المطبخ لتصنع القهوة فسمعت والدها يقول : لمياء ألم تنامي بعد ؟ .. ما بك ؟!

قالت: كنت أقرأ ، ولم أستطع النوم رغم شدة نعسي ونحن في الحفلة .. هل أصنع لك فنجانا يا أبي ؟

فقال بقلق : لا بأس .. هل سمعت رنين الهاتف قبل ساعة من الزمن ؟!

فقالت بشجاعة : سمعته وسمعت المكالمة من غير قصد يا أبي .. رفعت السماعة من غير قصد ولكن بحكم العادة لأرد ظانة أنك نائم فجرى ما جرى .. وأنا خائفة عليك يا أبي ؟!

فتبسم وقال : بل أنا خائف عليكم .. فأنا أستطيع الدفاع عن نفسي .. لا تخافي عليّ يا لمياء .. هل أخبر أمك وأخاك بالأمر ؟!

فقالت: محسن ممكن ؛ ولكن أمي لا أدري يا والدي

الشجاع !

قال مشجعا : سأخبرهم .. وعليكم بالحذر أثناء قطع الشارع عند الركوب في السيارات أثناء تناول الطعام في المطاعم والمقاهي .. لسوف أعرف من هؤلاء الأشرار المجرمون ؟

بعدما شربا القهوة قالت لمياء : ماذا ستفعل يا أبي ؟ ألا تريد أن تكلم رؤساءك بخطرهم وإجرامهم قص عليها زيد قصة بداية التهديدات والإغراءات ثم قال : أفكر أن أتحدث مع ضابط الاستخبارات في القاعدة ؛ فلربما صدقني واقتنع بكلامي ، فهو لا يحبني منذ تصرفت معه في موقف بما لا يليق مني ؛ ولكنني كنت منفعلا وأنا أعلى منه رتبة .. أخشى أن يسخر من قصتي ويعترض لماذا لم تقل ذلك منذ البداية يا كابتن زيد عبد القادر ؟ وكان القائد يقلد صوت ضابط أمن القاعدة العسكرية للطيران .

* * * *

في نفس الليلة كان بيت العالم الكيميائي " الدكتور رونسو مايكن " مسرحا لحدث خطير ، فعندما خرج من معمله الخاص الموجود داخل القصر الصغير .. ووضع له الخادم الأسمر سقراط العشاء الخفيف ، وتركه يتناول الطعام بهدوء وهو يشاهد احدى محطات التلفزيون .. ولما رفع الطعام وأخذ يشرب الشاي كان غارقا في التفكير .. ولما اقترب الوقت من نصف الليل استأذنه الخادم سقراط بالنوم فأذن له .. ثم تكلم في الهاتف بضع دقائق ونزل لحديقة القصر .. ودار حول القصر عدة دورات ، ثم تحدث مع حراس الأبواب ، ثم قفل عائدا للبيت ، وصعد الدرجات في الطابق الثاني حيث مخدع النوم ومعمل التجارب .. فتح حجرة النوم وجلس على مقعد فيها واستغرق في تفكير عميق لم ينم ..بماذا يفكر رونسو ؟ عند الثانية ليلا طرق عليه الباب فدهش وهمس لنفسه : " ماذا يريد سقراط ؟! " ورفع صوته قائلا : ادخل الباب مفتوح

فتح الباب ودخل رجلان مقنعان وأحدهما يشهر مسدسا ، وهو يتطلع يمنة ويسرة وسمع الآخر يقول : رونسو .. لا تضغط على أي زر .. ليس مهما أن تعرف من نحن ؟ .. عليك أن تعود لبلادك خلال أسبوع اليوم الثلاثاء .. يوم الأربعاء القادم تكون حياتك في خطر .. ستموت يا رونسو .. عد لبلادك ولا داعي لإجراء تجاربك هنا .. ها أنت ترى أن وصلنا إليك رغم وجود رجال يحرسون الفيلا .. هل تسمع ؟ حياتك تحت الموت .. وداعا لم ينبس رونسو بأي كلمة فقد ذهل وصدم فانهار جالسا على كرسيه يفكر بالتهديد الخطير ؛ كأنه في حلم وليس في يقظة ، فقال لنفسه : هل هم من أعداء الدولة ؟ أم من رجال الدولة ؟!

نهض عن المقعد بعد حين وأخذ يتطلع من ستائر النافذة وهو يقول : من أين دخلوا ؟! هل في الحرس من خائن ؟! المال يهين الرجال .. الحارس بقليل من المال يتساهل وينسى واجبه .. هل أحدث أحدا بقصة الليل ؟ هل أكلم الحاكم الأعلى لهذه البلاد ؟ أم هل أهرب إلى بلادي كما يطلبون ؟!

٢

في قاعة تحت الأرض من عمارات المخابرات العامة ، كان مدير المخابرات يعقد اجتماعا مهما وخطيرا مع كبار ضباط الجهاز ؛ وبالأخص ضباط مكافحة التجسس وأجهزة المخابرات المعادية للدولة القطرية ، فلما شرح لهم قضية اقتحام فيلا الدكتور الخبير رونسو مايكن والتهديد الكبير الذي تعرض له طلب منهم الحركة والنشاط في رصد الخلايا والشبكات المعادية ، وتعهد أمامه مدير مكافحة التجسس اللواء حمدي رامز بالوصول للرجلين الذين تسللا للفيلا ولمن يقف خلفهم ، ولما انسحب مدير المخابرات من القاعة السرية ظل فيها مدير مكافحة التجسس اللواء الركن " حمدي رامز " ومدير الاستخبارات العسكرية اللواء مروان احمد ومساعدوه في كل أسلحة الجيش البر والبحر والجو ومساعدوه في مختلف التخصصات ، ونائبه اللواء الركن " مرسم لازمي " فأعاد اللواء حمدي التأكيد على المسارعة في الوصول للرجلين ومن خلفهما فإن رئيس الدولة مهتم بالقضية .. ولما سأله أحدهم عن الخبير الكيميائي رونسو أجاب حضرة المدير " هو بخير ولكن حياته في خطر " ثم سكت لحظات ثم قال : بالتأكيد أن العصابة والأعداء سيعرفون أنه لم يسافر وأننا أخفيناه بمكان سري " وعرض عليهم مدير دائرة مكافحة التجسس صورا تقريبية لرجلين ملثمين والقامة واللباس ثم قال : هذا أمر صعب في الواقع وقد يكون من المستحيل التعرف عليهما من هذه الصور المتخيلة لقلة المعلومات التي أدلى بها العالم ؛ ولكن رجل الأمن ربما استفاد من ذلك في ظرف ما .

وحثهم الضابط الكبير على قراءة تقارير المخبرين المختلفة ؛ فلربما يستفيد أحدهم من عبارة أو جملة من أحدهم.. ولما فض الاجتماع ارسل مدير المكافحة العسكرية اللواء مروان وراء المقدم " أمين حسن" وكلفه بمتابعة قضية المهندس فارس شلوكم ، فقد طلب مني الرئيس مباشرة الاهتمام بهذه القضية ، فالرجل خاطب الزعيم مباشرة ، فشكره أمين على ثقته به

وقال أمين : أرجو أن أكون عند حسن الظن .. سأرتب لقاء سري مع المهندس لأسمع كل ما عنده .

قال : تحرك بسرعة فالمهندس قلق للغاية .. مفتاح الحركة بينكم" آمين " مرتين .. ضع رقابة حول البيت ، رقابة ذكية لا نريد أن يشعر بها هو ولا أفراد العائلة أي شعور وحس .. فارس يحمل أسرارا مهمة وخطيرة عن مشروع التحديث والتطوير ؛ فاذا سقط فأن ذلك سيشكل لنا كارثة .. لا تنسوا مراقبة هواتف البيت العامة والخاصة .. اذهب الآن وخطط للقاء به بلقاء سري جدا جدا .

عاد أمين حسن لبيته بعد أن أطلع على ملف المهندس فارس من قيادة الجيش والأمن العسكري رجل نظيف وذكي شجاع وسلوكه جيد خلال سنوات الخدمة الطويلة وملتزم بالأنظمة والتعاليم بشكل ممتاز وترقى في درجات ورتب الجيش بشكل اعتيادي ويحمل عددا كبيرا من أوسمة الاستقلال والحرية والشجاعة والفروسية والصقور ووصل إلى منصبه بجدارة واستحقاق بدون واسطات .. وقرأ ملف الدورات التي اشترك فيها الرجل وعرف مكانها وزمانها ، اطلع على كل ذلك قبل أن يدخل البيت ، وبعدما استراح ساعة من الزمن أخبر زوجته أنه في مهمة فلا تقلق عليه ، ودخل غرفة خاصة بالفيلا الخاصة به .. وتنكر بشخصية أخرى شخصية قاضي محكمة شرعية إسلامية .. ومن باب صغير خلف الفيلا نفذ إلى الشارع مشيا على الأقدام حتى وصل للشارع العام الذي يبعد عن البيت مائتين خطوة وأشار لسيارة أجرة فأقلته إلى حيث يقطن المهندس فارس وقبل الوصول للبيت بمائتي خطوة تقريبا نقد السائق أجره ومشى نحو بيت المهندس فارس شلوكم .. وتحدث مع بواب القصر فقال البواب الكهل : نعم يا مولانا القاضي

قال أمين بلهجة بطيئة وثقيلة : السيد فارس أموجود في البيت ؟

ـ نعم يا سيدي القاضي .. هل من حاجة إليه يا مولانا ؟

كان أمين يتفرس بالبواب الشيخ بشكل خفي ودقيق فلما سمع السؤال رد قائلا بنفس اللهجة السابقة : قل له إن القاضي موسى يريده في تعيين قريب وتسجيله في الجيش يا سيد ..

فأدرك الحارس البواب أن القاضي يريد أن يتوسط المهندس لقريبه بالعمل داخل الجيش ، فشعر بالفرح وقال : البيك لن يبخل عليك بذلك يا سيدي القاضي .. وأنا اسمي عبد السلام محمد يا مولانا القاضي .

قال : بارك الله فيك يا أخ عبد السلام .. اتصل بالمهندس .

اتصل البواب بالداخل فردت الزوجة فحدثها عن زيارة فضيلة القاضي موسى للمهندس في شأن

واسطة لقريبه ، ولما حدثت زوجها بأمره وأمام دهشتها أمر بإدخاله ، فأغلق البواب الباب وتقدم بين يدي القاضي حيث صالة الفيلا حيث استقبله المهندس ، والهم واضح على وجهه وبادي في عينيه ، رحب الزوجان بالقاضي موسى ثم انصرفت الزوجة لإحضار القهوة فهمس القاضي بأمين حسن فذعر المهندس وقال : أهلا بالصديق أمين حسن .

ـ أنا الآن القاضي موسى سالم .

وأخذ بتشجيعه على الثبات والتحمل للإيقاع بالمجرمين وتواعدا على اللقاء في مكان رسمه له أمين .. ولما عادت الزوجة وجدت زوجها يعد الشيخ القاضي بالتوسط لقريبه في التعيين لدى القوات المسلحة ، وشربوا القهوة جميعهم ثم غادرهم القاضي موسى ، ولما انصرف الرجل عاد الانبساط للمهندس فارس ، وعلم أن الدولة مهتمة بقضية مطارديه لتوريطه في التجسس والعمل ضد أمن البلد ، فعادت لنفسه الثقة برجال المخابرات والمكافحة رغم الهزيمة القاسية التي لحقت في البلد في الحرب الأخيرة مع العدو المتربص .

لما خرج المهندس فارس من الاجتماع الأسبوعي مع رئيس الأركان العامة لم يغادر القيادة نحو مكتبه في معسكرات تحديث الجيش ؛ بل سار نحو مطعم الأفراد والجنود الصغار ، وهناك في نادي الأفراد التقى بأمين حسن ، ثم مشيا معا نحو غابة صغيرة وعندها ثكنات الحراس والجنود وتحت شجرة جلسا فاستمع أمين للمهندس الركن العميد قصة الاتصالات والإغراءات فقال : بعدما تم تعييني رسميا في المنصب .. تحدث معي شخص مهنئا وأثناء الحوار والمجاملة أخبرني أنه رسول جماعة مهتمة ببرنامج تحديث الجيش وأنهم يرغبون بلقائي .. فاعتذرت ثم تكرر الاتصال منه ثانية وثالثة وأنا أترجاه أن يبتعد عني وكان يعرض عليّ خلال ذلك مجرد لقاء واحد فقط .. فأبيت وتحدث عن الملايين والأرصدة والحساب المفتوح فأخذت أعامله بالشتم والسب وهو يقابلني بالضحك ثم أخذوا يتهددونني وأنني اذا أصررت على عدم التعاون معهم سيعملون على تدمير حياتي أو قتلي أو أولادي أو أقاربي .. وأنا حائر بالرد ولمن أتحدث ؟! .. وآخر ما كان اتصالهم بي منذ عهد قريب بعد نصف الليل وفي هذا الشهر نوفمبر الذي نحن فيه ولحساسية الموضوع وخطورته وخلال لقاء قصير برئيس الدولة أسررت له بذلك الخطر الداهم ، فوعدني خيرا وتحدث مع اللواء حمدي رامز مدير مكافحة التجسس ، ثم وعدني حمدي رامز بلقاء معك وها نحن نلتقي يا حضرة المقدم .

فقال أمين : اطمئن يا حضرة العميد سنكون عند حسن الظن إن شاء الله تعالى .. وأنا قرأت ملف خدمتك بالتفصيل وملف الدورات التي شاركت فيها هنا وهناك .. فوجدتك نموذجا للعسكري الملتزم الناجح .. واطلعت على ملفات زملائك في مشروع التحديث والخطط المعروضة والدراسات وأظن لحتى الآن أنكم على قد المسؤولية الملقاة على عاتقكم .. وأمام ذلك يا سيدي العميد سنبدأ العمل ونحن مطمئنون لإخلاصكم للدولة والنظام ونحن نريد أو قل أنا أريد منك أن تقبل اللقاء مع هؤلاء ، وعليك أن تشعرهم أنك وافقت لأنك خائف على أفراد الأسرة وأقاربك من غدرهم ، ولديك بعض الحاجة للثروة الكبيرة .. عليك بالمراوغة يا سيدي قبل الموافقة وأنا سأقدم لك الأوراق التي ستدفعها لهم أثناء العمل معهم اذا اضطررنا لذلك .. وأنا سأدبر طرق اللقاء بك خفية للتشاور ومعرفة أسرار كل لقاء .. ثم هم بالطبع ربما بل قد يكون من الأكيد أنهم لن يلتقوا بك بعد هذه الممانعة بسرعة سيحاولون معرفة سبب رضوخكم وتغير موقفكم بعد تشددك في الرفض .. ناور وراوغ .. سيتعاملون معك بحذر وذكاء ويجب علينا أن نكون نحن أذكى وأفطن منهم .. وهذا التعاون بينا يجب أن يكون سري للغاية لا تحدث به أحدا لا زوجة ولا ولدا ولا أخا ولا صديقا .. وأنا سأتردد عليك ابتداء على صورة القاضي موسى مظهرا أنني أضغط عليك من أجل تجنيد قريبي وبعد حين ستراني بشخصية أخرى .. تأكد أني معكم بكل ثقل وقوة

فقال فارس وهو منشرح الصدر رغم المغامرة المقبل عليها : أنا الآن مطمئن لقدرة مخابراتنا وكفاءة رجالنا وحماة أمننا ولن تخلو البلد من المخلصين .. أشكرك يا مقدم أمين لقد عادت إليّ الثقة والقوة من جديد .. وسنعيد بناء القوات العسكرية .

وانصرف الرجلان كل من جهة ، عاد المهندس فارس لمعسكره ، وهو منشرح الصدر مطمئن للخطوة القادمة ، وقد جاء العرض سريعا ففي الليل رن جرس الهاتف فرد فارس فسمع الصوت يقول له : إنه في خطر وإنه سيتعرض لضربة قريبا . وذكر له قصة الخبير الكيميائي وهي لم تكن سر فقد تحدثت عنها الصحافة المحلية ؛ ولكن نسبها الرجل لجماعته فهذا خطير .. فقال المهندس بعد تردد وجدل وصراخ : أرجوكم اذا أردتم إيذاء شخص فليكن أنا .. لا تؤذون أحدا غيري .

فظن الرجل أن المهندس قد وهن وضعف وقال :هذا شأننا ، ولن نبدأ بك فربما عندما ترى ابنك ميتا تقبل التعاون معنا ..

أحس المهندس أن الرجل بلع الطعم فقال المهندس : أمهلوني أياما أو أسبوعا أفكر بجد في الأمر .. أرجوكم أن تدعونا بسلام ..

الصوت : سأصبر ثلاثة أيام وبعدها إن لم توافق على المقابلة سيحدث لابنك عمر شيئا ما ..

فتظاهر المهندس بالجزع : أرجوك .. أرجوكم أعتقوني لوجه الله .. أرجوكم ..أخشى أن يكون خط الهاتف مراقبا فتسيئون لي أمام رؤسائي .

ضحك الصوت : ولو كان الخط تحت المراقبة لا تخف لن يسيء لك أحد ..

أغلق الهاتف وانقلب مسرورا مما أثار عجب زوجته من ذلك وقالت : من سيؤذون ؟!

فقال بهدوء أعصاب : لعنهم الله يريدون إيذاء عمر .. ما العمل ؟ لقد حدثت الرئيس بذلك الخطر فوعدني خيرا ؟ فقالت: هل سنمنعه من الذهاب للمدرسة ؟!

قال : وهل يصعب عليهم الوصول إليه؟ .. فقد دخلوا على الخبير الكيميائي رونسو المحاط بحرس ومخابرات .. سأتفاهم معهم مرة أخرى وألتقي بهم وأعرف ماذا يريدون بالضبط ؟ .

فهتف بقلق ودهشة : ماذا قلت ؟!

كان المهندس فارس يفكر بطريقة يتصل بها مع المقدم أمين ليخبره بهذا الاتصال والتطور في القضية ، فكان في حيرة فأمين لم يعطه رقم هاتف أو جهاز لاسلكي ليتصل به عند الحاجة إنما كان الترتيب أن يكون أمين هو المتصل به وقتما يشاء فكان في حيرة ، وبينما هو في معسكره اتصل به أمين حسن ، ففرح بذلك الاتصال الهاتفي وكاد يحدثه بالعرض الأخير للعصابة ولكن أمينا قال له : ستراني !


جهاز تعقب

ولما خرج المهندس من باب المعسكر مساء قال له احد حراس الباب وهو يشير إلى سيارة مدنية تقف قريبا من مدخل الوحدة العسكرية : هذا الشخص يريدكم يا سيدي العميد !

تطلع المهندس إلى السيارة المشار إليها فوجد فيها أمينا فصف سيارته وتركها وذهب للسلام على أمين، وجلس معه وقص عليه أمر الهاتف . فقال أمين : نحن سمعنا كل شيء .. وقمنا بتسجيل المكالمة .. فهاتفك يا سيدي تحت الرصد والمتابعة .. أنا جئت لأوكد لك ثانية أننا معك واذا وعدوك بلقاء في مكان معلوم لنا سنكون قريبين منك .. وأما اذا استعملوا أماكن ملغزة سأتصل بك لأعرف المكان .. تذكر أننا نحن الذين سنتصل بك .. لا تفكر بالاتصال بنا فلابد أنهم يراقبونك ؛ كما نفعل نحن .. فتجنيد عميل يحتاج إلى جهد

كبير من الشبكات التجسسية إلى اللقاء .
انسحب المهندس من سيارة أمين ، وعاد لسيارته ثم ابتعد عن المعسكر الذي يعمل فيه ، وبعد حين يسير تبعه أمين بسيارته الصغيرة ولما وصل رأس الشارع سار باتجاه مخالف لسيارة المهندس
ولما انقضت الأيام الثلاثة لم يتردد رجل الشبكة بالاتصال ليلا عند الثانية صباحا ببيت المهندس وبعد التحية قال الرجل : هل فكرت ؟!
رد المهندس بصوت هامس : كيف سأراك بدون أن يعرف أحد من الخلق بهذا اللقاء ؟! .. لقاء تعارف وقصير قبل الاتفاق على أي شيء .
أبدى المتكلم سروره وقال : انتظر منا عنوان المكان .. سلام يا مهندس فارس ..
وضع المهندس السماعة وقال : حتى كلمة عميد لم ينطق بها من الفرح .. دائما يا عميد فارس .. يا عميد فارس .. أما الآن فلم يقل عميد .. ظن أن العميد سقط وخاف .. لعنهم الله !
تلقى العميد فارس رسالة قصيرة من العصابة مطبوع عليها اسم مكان ووقت اللقاء الخطير والقصير .. وملاحظة " الرجاء حرق هذه البطاقة " بالطبع لم يحرقها فارس واحتفظ بها .
وكان موعد اللقاء قريبا .. ولما التقى به أمين على باب المعسكر كالمرة السابقة واطلع أمين على البطاقة الرسالة وانصرف ، وعلى اثر ذلك غادر فارس الوحدة العسكرية .. والسؤال الذي يدور في ذهنه " هل لرجال الشبكة مجندون داخل الوحدة التي يعمل بها من أجل تطوير وتحديث أسلحة الجيش الحربي ؟! "
يوم الثلاثاء التاسعة ليلا من أول أسبوع من ديسمبر ١٩٩٣ كان العميد فارس يزلف من باب نادي الشملاوي وعلى مائدة خالية جلس ينتظر الرجل المجهول الوسيط بينه وبين رجال الشبكة الخطيرة .. طلب كوبا من الشاي وبينما هو يرشفه اقتربت منه سيدة طويلة القامة وحيته وجلست على كرسي على نفس مائدة العميد وهي تقول : أتسمح لي بالجلوس يا عميد فارس ؟ تطلع فيها لحظات وقال : تفضلي .
ولما جلست قالت وهي تتطلع في وجهه : كيف حالك ؟ .. أنا مدام سلمى .. أنا من طرف الجماعة
قال : أي جماعة يا مدام سلمى ؟!
قالت: يسلم عليك " أبو سويلم " كثير السلام ؟
قال : آ .. أبو سويلم .. أهلا وسهلا ما أخباره ؟!
فقالت: تمام .. بعد نصف ساعة سأنصرف أيها الصديق .. فاتبعني لا تخشى شيئا
قال : أين ستذهبين بي ؟!
فقالت: في مكان آمن .. هذا مكان ملغوم برجال الأمن السري .. سنذهب بعيدا عن عيونهم وعيون الفضوليين .

ونادت على النادل وطلبت عصيرا باردا رغم جو ديسمبر المعروف ببرودته ، ثم أخذت تدردش مع العميد عن الحياة والأحلام والمال والعميد فارس يقول لنفسه " أول مرة أسمح لنفسي بالجلوس مع امرأة كهذه طويلة اللسان وثرثارة تسب الزعماء والحكماء غير وجلة .. ما سر هذه الأنثى ؟! .. يبدو أنها شبكة دولية .. يا رب سترك .. ولماذا اختاروا هذا النادي الليلي .. والعميد فارس يسهر في نادي ليلي .. يا لله !! "

فلما سألته عما يحدث به نفسه قال : هذه أول مرة في حياتي أدخل نادي ليلي يا مدام سلمى وأجلس مع امرأة ثرثارة مثلك .. هذا ما افكر به

فضحكت وقالت : ستتعود يا بيك .. هنا الكثير من علية القوم .. في صالات القمار أو قاعات الرقص والمجون والزنا ..

فقال متهكما : ومثل هذه الأماكن في بلادنا ؟

فضحكت ثانية وهي تقوم : وأكثر .. بعد قليل الحق بي سيظن هؤلاء السكارى أننا سائرون لقضاء شهوتنا .. أو نحن ذاهبون لصالة الرقص .. سلام .

ابتعدت المرأة ودفع فارس المتصبب عرقا كثيرا ثمن الشاي والعصير ومشى خلف المرأة وشاهدها وهي تخرج من الباب الخلفي للنادي وفتحت باب سيارة تقف في الشارع وقالت : هذا باب الهرب للزبائن إما من زوجاتهم أو أزواجهن أو من البوليس اذا كان هناك مطلوب وفار .

صعد بجوارها وقال مستفهما : وسيارتي ؟!

فقالت مطمئنة قلقه وخوفه على السيارة : عندما ينتهي اللقاء ستجدها أمامك .. أحد رجالنا الأن بداخلها سيأخذونها ويتفقدونها من أدوات التعقب والتنصت ؛ ربما سولت لك نفسك الغدر بنا .. الحذر واجب يا سيدي العميد .. لا تقلق ..

قال : حسنا .. حسنا أيها المدام هذا من حقكم .. ونحن لم نتفق على شيء بعد .. أنا بعد اللقاء بالرجل الذي يتصل بي سوف أفكر وأقرر يا سيدتي .. لا يعني قبول اللقاء معكم القبول

دارت المرأة في شوارع المدينة الرئيسية والفرعية عدة دورات ؛ كأنها تحاول تضليل من يتبعها اذا كانت متبوعة فعلا أو موهمة فارسا بقدرتها على الهرب من ملاحقيها أو أنها تريد قضاء وقتا معينا لتصل لموعد وساعة معينة .. فلما اقتربت الساعة من الحادية عشرة والنصف ليلا وقفت أمام بقالة في شارع فرعي ونزلت لتشتري منها علبة سجائر وبعض المكسرات وبعض علب العصير ، ولما عادت بتلك الأشياء دفعت علبة عصير للمهندس وأشعلت لفافة وقدمت واحدة للمهندس فارس فاعتذر وقال لها بقلق ظاهر : يا مدام سلمى تأخرت عن البيت ستقلق زوجتي والأولاد لم

يعتادوا على غيابي المجهول .

فقالت: اتصل بها .. وتوقفت أمام كابينة هاتف عام وقالت : هذه كابينة تحدث معها .

نزل حضرة المهندس وتكلم مع زوجته مخبرا لها بأنه قد يتأخر بعض الوقت وعاد للسيارة فقالت المرأة : نحن بالطبع يا عزيزي أمرنا دقيق ويتطلب منا الحذر .. لقد كان النادي ملغوما برجال المخابرات وأخشى أن يكونوا قد اتبعونا من أجل ذلك أكثرت من اللف والدوران .. فمرة أخرى أقول الحذر واجب يا سيدي العميد .

قال : أنت تشكين بي ؟!

ضحكت وقالت : أنا أشك بنفسي .. نحن لا نلعب يا سيادة العميد .

وعاد الصمت بينهم ومضت السيارة في شوارع جانبية حتى وقفت أمام مقهى وقالت : انتظر لحظات . دخلت المقهى وتكلمت مع أحد الرجال فتبعها الرجل وسبقته للسيارة وقالت للعميد : أرأيت هذا الرجل ؟ اتبعه .

نزل العميد وتبع الرجل الذي لزم الصمت ومشى مائة خطوة ودخل في جوف سيارة ولما ابتعدت سيارة المدعوة مدام سلمى أضاء الرجل سيارته وتحرك بها نحو عمارة كثيرة الطوابق وإلى الطابق الثامن صعد الرجلان ، وطرق الرجل بطريقة خاصة على باب احدى الشقق وبعد قليل فتح لهما

فقال الرجل : مدام سلمى ! وهبط من حيث صعد ودخل العميد المهندس فارس إلى بهو الشقة فوجد رجلا سمينا وقصيرا في استقباله ومرحبا به وساقه إلى غرفة في الشقة وسكب له بعض القهوة وقال له : أهلا بالمهندس العزيز فارس شلوكم .. يا مرحبا .. طال انتظارنا لهذه المقابلة .

قال المهندس مظهرا بعض الحدة : أين صاحبكم ؟! الرجل الذي جنني بكثرة الاتصال والمطاردة .. نريد أن نتحدث سريعا .. لقد أتعبتني هذه الملعونة .. لقد فرت بي كل شوارع المدينة ..

أخذ الرجل السمين يهدئ من ثورة المهندس ويتعذر له فقال : يا مرحبا ثانية .. فإجراءات الأمن وخداع رجال المخابرات مطلوب .. فلربما سولت لك نفسك بالتواطئي معهم .. فاقبل اعتذارنا واغفر لنا إتعابنا لكم .. فالموضوع كما تعلم خطير وعاقبته وخيمة ..

فقال المهندس وقد خفض من حدة صوته متظاهرا بمحاولة الهدوء : أرجو أن تكونوا قد اطمأننتم يا حضرة .. على عدم تعاوننا مع المخابرات ..

فقال الرجل السمين كأنه واثق من قدرة العصابة : ما دام قد وصلت إلى هنا فاحتمال كبير أن المخابرات لم تتبعك يا أبا عمر .. مع أن النادي كان الليلة الفائتة مليئا بمخبريهم .. لا ندري لماذا ؟! أيها السيد علينا أن نثق بك يا حضرة العميد ..

وليس بالضرورة أن تتبعك مخابرات دولتك .. فشبكات التجسس تقوم بهذه الإجراءات والاحترازات.. فربما غيرنا طامع بالاتفاق معك .

فقال فارس بنفس الحدة المصطنعة : هل سأتفق وأتفاهم معك أم مع غيرك يا حضرة .. ؟!

قال : اصبر أيها الرجل لقد صبرنا عليك كثيرا حتى استطعنا أن نصل إلى هذا اللقاء الخطير يا سيدي العميد .

قال : أخشى أن يتصل بي كبار الرؤساء والقيادة .

قال : لا تخشى شيئا ستتصرف زوجتك .. ألم تتحدث معها من الكابينة كما أخبرتنا مدام سلمى

تبسم فارس لهذه المداعبة ، فالرجل يريد أن يشعره أن حركاته مراقبة ربما منذ خروجه من البيت وربما منذ خروجه بصحبة المرأة من النادي الليلي فقال : نعم ، نعم .. لقد طمأنت زوجتي فليس من عادتي التأخر عن النوم في البيت إلا لظروف العمل يا حضرة ..

وبينما هم على هذا الحال طرق الباب طرقا خاصا فقال الرجل السمين : " لعله الزعيم يا سيد فارس "

فتح الباب ودخل منه رجل معتدل القامة فقال له السمين : لقد وصل يا سيدي .. وهو في غرفة الاستقبال .

قال : شكرا مراد .

ومشى نحو غرفة الاستقبال حيث يجلس فارس وسلم عليه وعرفه على نفسه قائلا : ناصر حمزة أهلا بالأخ فارس .. أنا رسول القوم إليك .

تصافح الرجلان ورحبا ببعض وقال فارس : أنت رسول القوم .. هات ما عندك أيها الرسول لقد تأخرت عن أهلي وبيتي !

قال: لقد تأخرنا يا سيدي العميد لأجل الاحتياطات الأمنية، فنحن نقوم بعمل خطير جدا كما تعلم يا أبا عمر .. وزوجتكم على علم بسهركم .. باختصار يا سيدي العميد نحن نريد ضمك لنا .. تعمل لنا تصبح رجلا منا .. فقد وضعتك الأقدار في طريقنا .

فقال: منكم .. من أنتم ؟!

قال: ستعرف كل شيء رويدا رويدا .. المهم أن تتعاون معنا ومع الأيام ستعرفنا وتثق بنا وقد تصبح زعيما من زعمائنا .. المهم أن توافق على التعاون معنا وتطلعنا على أسرار التحديث الجديد في القوات المسلحة .. أنواع الدبابات أعدادها بلد المنشأ .. الآليات العسكرية مواصفاتها .. الطيران .. الدفاعات الجوية .. الصواريخ أنواعها وقدرتها .. كل شيء تريدون تطويره وتحديثه يا سيدي العميد .. نريد كل المعلومات المهمة .. وعند تسلمنا أول تقرير سيوضع لك مبلغا ترضاه في

حساب خاص في أوروبا حيث تشاء أو في آسيا الجنوبية .. .. المهم أن تعلم الآن أننا شبكة عالمية .. ولست وحدك في الميدان ..نأخذ أسرار الجيوش ونبيعها للخصوم .. نسرق أسرار الباكستان ونبيعها للهند وايران .. أسرار الهند نبيعها لباكستان والصين.. التسليح السوفيتي للولايات المتحدة والعكس .. وهنا لإسرائيل وغيرها

فقال: واذا كشف أمري للسلطات ماذا ستصنعون لي ؟!

قال: امر كشفك يا سيدي ليس سهلا .. ولنا رجال في كل مكان .. سندبر أمرك ، وستجد نفسك في أوروبا أو الأرجنتين أو البيرو .. نحن لا نتخلى عن أعواننا وجنودنا .. وأنت ضابط ماهر ومهم ، قد نلحقك بجيشنا السري .. ولتعلم أنك لست وحدك تتعاون معنا في هذه الدولة فموقعك الاستراتيجي دفعنا لمغازلتك حضرة المهندس فارس.

فقال: ألكم جيش سري ؟!

قال: ليس هنا .. المطلوب منك الآن الموافقة على العمل والتعاون معنا .. فكشفت لك من أول لقاء الكثير من الأسرار .

فقال: لن أكثر الجدل ، فمبدئيا موافق على العمل معكم ؛ ولكني أريد مواثيق حتى أطمئن لكم ولا تغدروا بي بعد كتابة أول تقرير .. المال وحده ليس ضمانة يا سيد حمزة .

فقال: المهم أنك موافق على العمل معنا .. هذا بالنسبة لنا الآن هو المهم .. وسنقوم ببعض الاختبارات حتى تطمئن نفوسنا إليك .. السرية مهمة جدا في عملنا .. ستصلك التعليمات ويتجدد اللقاء .. يمكنك الآن الانصراف .

فقال: أنا رضخت ليس خشية على حياتي ؛ إنما الخشية على الأسرة والأقارب.

قال: نعلم ذلك.. نعلم ذلك.

نهض الرجل قائما وقلده المدعو مراد وفعل مثلهما فارس وهو مرتبك وقال : أشكرك سيد حمزة اختبروني كيف شئتم ؟ من المهم أن أحمي نفسي قبل تسليمكم أول تقرير .

قال: لا بأس من حقك أن تحمي نفسك .. سيكون لديك جواز سفر لدولة أمريكية وجنسيتها وتستطيع السفر به في أي لحظة إلى أي بلد من العالم .. سنقوم بتدريبك على التنكر بهذه الشخصية .. ففي أي لحظة تشعر بالخطر تنكر وارحل

فقال: جيد هذا ابتداء .. أشكرك !

وساقه مراد السمين لمدخل العمارة ، فوجد فارس سيارة في انتظاره، فتسأل عن سيارته فقيل له : اركب بعد قليل ستصل إليها إنها في الطريق .

عاد للبيت منهكا منهار القوى مضعع الفكر

والعقل يقول لنفسه : " ما الذي رماني بهذه المغامرة ؟ .. أين أنت يا أمين "

لم يستطع النوم تلك الليلة ولم يستطع الكلام أمام زوجته إنما كان يقول : الأمر خطير يا أم عمر أرجوك لا تسأليني عن شيء عنهم ، يخيل لي أحيانا أنني أعيش في حلم أو أشاهد فيلما .. أنا جاسوس ؟! لمن لا أدري .. اذهبي لفراشك إن النوم طار من رأسي .

قضى فارس الليل أو ما تبقى من ساعات الليل يشرب القهوة ويفكر بالمغامرة التي تورط فيها والشبكة التي سقط بين براثنها ليلة أمس .. نادي .. سلمى .. دوران .. دكان .. مقهى .. سائق أخر .. عمارة .. الرجل السمين .. حمزة .. عودة مع سائق آخر .. ثم قال : أين كان رجال المخابرات ؟! .. هل كان أمين معي ؟؟ أم ضاع رجاله .. ؟ لا .. أمين رجل ذكي وشجاع .. الموت واحد وسأستمر في هذه المغامرة مهما كلف الأمر .. يا أنا يا هم ! .. جواز سفر أرجنتيني أو فنزويلي .. تنكر .. شخصية أخرى .. أين أنت يا أمين ؟ .. أنا ليس لدي خبرة للتعامل مع الجواسيس والشبكات .. سأتعلم بإذن الله تعالى

٣

في مطعم أفراد وعسكر القيادة العامة للجيش التقيا فارس وأمين وحدثه بالتفاصيل عن لقائه عصابة الجواسيس فقال : من تراه رئيس كل هؤلاء ؟

قال: لا ادري يا سيدي؟ ألم تعرفوا العمارة؟

قال: فشلنا في المتابعة ، سخروا منا تبعنا سيارة أخرى.. هل يمكنك معرفة المكان ؟

فقال : كنت في سيارة لا يرى خارجها .. الزجاج اسود يمنع الرؤية .

قال: يا عميد فارس هل يدل كلامهم أنهم من البلد؟

فقال بلا تردد : اعتقد .. يتكلمون مثلما أتكلم معك، ووجوههم كوجوهنا

قال المقدم: لو قبضنا على صغارهم لن تستفيد الدولة .. هل تعلم أن زميلا لك العميد زيد عبد القادر الطيار حدث معه ما يجري معكم ؟ وكلفنا الرئيس بالتعاون معه ، فهو كما تعلم قائد سلاح الجو العسكري.

فقال : العميد زيد عبد القادر الكابتن الكبير معنا في فريق التحديث ..هل قابلهم ؟!

قال : قابل مجموعة أخرى يبدو من تفصيلات كلامك أسماء أخرى وأوصاف غير ما فهمته منك ..

فقال : أجانب .

فقال : هل هما مجموعتان مختلفتان أو مجموعة واحدة لم نتفق على تحديد الأمر.. على كل حال

اذا حدث موعد جديد نبأنا به يا سيدي العميد ..

القضية كبيرة أنت أكيد تحت عيونهم .



عقد مدير المخابرات العامة بحضور مدير الاستخبارات العسكرية والشرطة اجتماعا طارئا بعد أيام من لقاء فارس وشبكة العملاء واخبرهم عن خطف العالم رونسو من بيت الاختفاء، وهذا يدل على اختراق للجهاز وللدائرة المحيطة بالعالم ، فقال تحدث يا تيسير عن الموضوع أمام الكادر من مدراء جهاز المخابرات ، وسيتم اختبار الكوادر والعناصر تحت جهاز الكذب من البواب حتى أنا ، لا يعلم مكان العالم إلا كوادر الجهاز .. تفضل تيسير.

قال تيسير : تعلمون أن دكتور رونسو تعرض في الفيلا لتهديد مباشر من شخصين مقنعين وطلبوا منه أوراق وملفات المشروع الذي يقوم به ، وقمنا بعملية تمويه ونقل لشقة آمنة وحراسة خاصة منا لفترة حتى يقبض على المقنعين.. وكيف اخترقوا السور الأمني حول الفيلا ؟ ومعرفة جهة الاعتداء .. ثم تبين أنهم عرفوا وكشفوا مكان الإخفاء الجديد وتعرض للخطف وقتل الحراس في الشقة المقابلة المكلفون بحمايته ومراقبته على مدار الساعة ، لم يسمع أحد صوت الرصاص ، وخدر الرجل وخطف وفقد بواب العمارة حياته أثناء رجوعهم بالعالم ، ويبدو أن خمسة شاركوا بعملية الخطف والقتل ، ولما حضر ضباط المناوبة التالية اكتشفوا ما حدث .. وهذا قبل ساعات من الآن قرب الثانية ليلا

فقال المدير : إذن الاختراق من عندنا في الجهاز ناس تعمل مع العصابة .

فقال مساعده : ألا يمكن أن يكون هناك ثغرة نفذ من العصابة؟

فقال المدير : الرجل رحل من أيام ، ولا احد يعلم إلا نحن المجتمعون هنا ، ومن نقودهم.

قال نائب مدير الاستخبارات العسكرية مرسم لازمي: أمين حسن والمقدم تيسير

فقال المدير : لا يعلم بنقل العالم المقدم أمين ولا المقدم تيسير وهو يشتغل على قضية العميد فارس ، والمقدم تيسير على قضية العميد زيد .. شكلوا فريق عمل لمتابعة وكشف خطف رونسو مايكن .. فالرئيس ورئيس الحكومة غاضب علينا وعلى تقصيرنا .. وتلويح واحتمال بإنهاء عملنا وارد.



٤

جلس أمين وتيسير وشركاؤهم في قضية العميدين يتناقشون بالفروض المساعدة للقبض على الشبكة أو الشبكتين عدة ساعات ، فهم على مطاردة ومتابعة لزيد حيث رتبت العصابة موعدا الليلة ، وكيف سيتخلصون من التضليل خلال التنقل في السيارات رغم رصدهم لأرقام السيارات في مطاردة فارس تبين أنها مزيفة لا مكان لها في دائرة ترخيص المركبات الوطنية .

في نصف الليل خرج زيد عبد القادر إلى ملهى ليلي خارج المدينة في الطريق إلى مدينة ومديرية أخرى ، ثم انحرف بعد الابتعاد عن المدينة بعشر كيلو مترات باتجاه الملهى والنادي الليلي "كلب سفن " الذي يديره توماس جاردلي الأوروبي وحتى كل خدم الملهى من أوروبا ما عدا الحرس الخارجي من شركة أمن محلية ، فأغلب رواده غربيين ، وكان الماء المنهمر يزداد من أبواب السماء ، صف سيارته في ساحة الملهى ، ودخل الباب الرئيس لصالة النادي ، دل على مكتب المدير توماس ، وعرف بنفسه وجلس بإشارة من توماس ، وقدم له كوبا صغيرا من الشراب ، فاعتذر عن تناول الخمر ، فهز توماس رأسه وقال : لا تشرب حسنا ! مارك في الطريق تحدث معي قبل قدومك .

لم يطل الانتظار فقد جاء مارك وصافحهم ، وأخذ بيد زيد ، وعادا لموقف السيارات المكشوف أمام صالات الملهى ، وطلب منه أن يركب بجواره وخرجا من الملهى ، والليل العاصف والظلام الدامس يخيمان على المنطقة ، ورجعا على طريق المدينة ، وفي الطريق كانت سيارة تقف في انتظارهم فأشار إليه مارك أن ينتقل إليها ، ففعل فرحب به السائق ، وكان غربيا مثل مارك ومدير الملهى ، ولزمهم الصمت ، وقبل أن يدخل المدينة الكبيرة انتقل لسيارة ثالثة ، دارت في شوارع المدينة زمنا يقارب نصف ساعة والصمت شعارهم ووقفت أمام مبنى ، وطلب منه الدخول من العمارة إلى الشارع المقابل حيث سيجد سيارة سوداء في انتظاره ، وفعلا وجدها وتحدث معه سائقها طالبا منه الصعود وفعل ، وبعد حين وجد نفسه يهبط في موقف سيارات تحت الأرض ، وركبا المصعد إلى الطابق الثامن ، ويستقبل في شقة ورحبت به فتاة أجنبية نحيفة الجسم ، وعرضت عليه مشروبا ، فطلب قهوة ، فقد لفه الصداع من هذه الرحلة الغامضة لإجراء لقاء تعارف ، وبعد شربه القهوة سيق لمكتب فوجد رجلا غربيا ينتظره ، ويعلمه أن القيادة العليا للجيش اتصلت ببيته وأن زوجته أعلمتهم بخروجه للسهر ، وسيؤجل اللقاء لموعد آخر ، وحصل ذلك وعاد للبيت بسيارته التي وجدها

مركونة في وسط المدينة.



التقى زيد وضابط الأمن السري تيسير محمد وسمع الأخير ما جرى معه ، فقال: لما فقدناك تحدثنا نحن مع البيت وزعمنا أنك مطلوب للقيادة لأمر طارئ حتى يلغو الاجتماع بك لديهم خطط تمويه شيطانية ؛ وخشينا أن يغدروا بك ، وهم كما رجحنا يتنصتون على هاتفك .. المشكلة يا سيدي أن الشوارع في الليل خالية من زحمة السيارات أو قل قليلة فتكشف عناصر المراقبة والمتابعة بسهولة .. فالحمد لله على السلامة .. هل كونت انطباعا ما عنهم؟

قال: سلمكم الله .. الملهى مديره اجنبي إنجليزي بدا لي .. ومايكل اذا كان هذا اسمه الحقيقي ، ولا اعتقد ذلك .. تحدثنا بالإنجليزية، وجميع السائقين يتظاهرون بأنهم أجانب وفتاة العمارة عربية أو إسرائيلية تتقن العربية ؛ ربما من بلد عربية جذورها .. هكذا بدأت لي من الوهلة الأولى.. ورجل المكتب شكله أوروبي.

فقال : هذا على خلاف من قابلهم زميلك العميد فارس ، هم يعلمون أننا نطاردهم .. فهل يعلمون بتعاونكم معنا ؟ فعملوا هذه الأدوار ليظهروا أنهم اكثر من جهة ؛ لكن هدفهم واحد فهذا يرجح أنهم مجموعة واحدة بعدة رؤوس..

على كل نحن سننتظر الموعد

الجديد وقد يكون قريبا

مع مطلع العام الجديد تحدد اللقاء ، ليلة الاحتفال برأس العام الميلادي ، تلقى فارس رسالة

بريدية قبل الموعد بأيام، وفي نفس الوقت الطيار زيد موعدا ، ستبدأ رحلة فارس بعد منتصف الليل إلى ملهى الشملاوي ؛ ولكنه لن يدخل الملهى حيث يجري السكر والصخب والاحتفال سيجد مستقبله خارج أسوار الملهى، وأما زيد فلن يذهب للملهى ويقابل توماس فسوف يكون المكان غاص بالأجانب للاحتفال ، سيجد مايكل أمام دار " سينما صن" أي الشمس، فاكثر روادها غربيون .

وكان رجال المخابرات مسرورين لهذا التوقيت ، ستكون حركة وسيارات كثيرة في شوارع المدينة والملاهي وسيسهل الانتقال دون الاشتباه بسياراتهم المراقبة.

وصل فارس لباب الملهى وظل في السيارة مدة عشر دقائق عندما رأى احدهم يقترب من السيارة يتكلم معه، فخرج ليواجه البرد والهواء الثلجي واغلق السيارة وتبع باسم السائق وركب

بجواره وانطلقا في شارع الحرية، وبعد محاولات تمويه وصلا للعمارة التي دخلها المرة الأولى ، وصُعد به إلى الطابق الثامن حيث وجد ناصر حمزة في انتظاره.

وكان زيد يترك سيارته في شارع سينما صن وبعد دقائق حياه مايكل ، ويقوده لسيارته ، وبدأت حركة الخداع حتى وصل للعمارة التي زارها من قبل ، وقابل نفس الشخص الذي وضع أمامه مبلغا كبيرا ، وهو يقول : هدية بمناسبة قبولك اللقاء ، وأنت تعلم ثمنها، وهي الحصول على برامج التحديث والأسلحة الحديثة في سلاح الجو .. فإسرائيل ستدفع لنا الكثير وحتى بعض الدول العربية مهتمة بالأسلحة نوعا وكما التي تعاقدتم عليها لإعادة المجهود الحربي بعد هزيمتكم الكبرى .

وضع العميد المبلغ في سرواله ، واتفق معهم على مكان تسليمهم الملفات وكشوف التسليح وعناصر الوحدة ليستلم باقي المبلغ الذي اتفقوا عليه ، وقبل طلوع الفجر كانت قوات الجيش والشرطة والمخابرات العسكرية والمدنية تقتحم المبنى كله ، وتعتقل كل من الطابق الثامن ، وتفتش كل العمارة ، وتضعها تحت الحراسة ، ولم تسمع لاحد بالمغادرة .

فقد نجحت الأجهزة الأمنية بالوصول إليها ، واقتيد فارس وزيد للتوقيف مع رجالات العصابة لاستمرار الخداع للمجموعة والشبكة التجسسية .

بعد أيام وجدت جثة العالم رونسو في احد ى الحدائق العامة ، وقد اطلق على رأسه النار ، واشتغلت الشرطة بالتحقيق بحضور جنايات المخابرات والشرطة العسكرية.

وهذا الاغتيال متوقعا بعد الاعتقالات التي حدثت في عمارة جوليا دابر ، وانتشر خبر مقتل الكيمائي في الإذاعات المحلية والشرطة . وفي دائرة المخابرات العامة كان المدير العام يخبر مدراء الجهاز باختفاء مساعده مرسم لازمي من يومين ، وأعلن الشك بإخلاصه للدولة والشعب ، وبعد أسبوع اعلن عن مقتله ، ووجود جثته قرب حدود دولة مجاورة .. هل كان هاربا أم مخطوفا ؟ فقد كان يرفض الجلوس لجهاز الكذب بعدما دخل الشك للدائرة واعتبر ذلك إهانة وأن يشك في إخلاصه بعد هذا العمر والترقيات والأوسمة التي تزين صدره .

٥

تلقى رئيس الجهاز رسالة خطيرة موقعة باسم العالم الدكتور رونسو مايكن الألماني الشرقي نسبة إلى ألمانيا الشرقية بعد تقسيم ألمانيا يكشف له فيها أن العالم الذي قتل كان مزيفا وأنه هو الزعيم

الكبير للشبكة ، وأن رونسو هو الذي قتل حرسه ، وتم اختفاؤه لانتهاء دوره ، فلم وقعت العمارة تم التخلص منه ، ومن مرسم لازمي الضابط الذي يعمل معهم داخل جهاز الاستخبارات ، فلا تظنوا أنكم انتصرتم علينا .. سترى جماعتنا بينكم بوجوه جديدة ؛ وليكن العميدان فارس وزيد تحت حمايتكم ، لقد كان تعاونهما معنا بوقت قريب مريب لي بعدما رفضهما بشدة وعناد ، وتهاوننا في تعليل ذلك ، واحترم ذكائكم في كشف العمارة واعلم أن مدير الملهى توماس لا يد ولا علاقة له بالشبكة .. هو أداة دون اهتمام .. فلا داعي للتنصت عليه فهو قواد وسكير .

درس الضباط رسالة من زعم أنه العالم رونسو الحقيقي ، وترجح لديهم صدق ما فيها ، وأن العالم لم يكن الحقيقي ؛ لأنه بعد التعاقد معه بشهر مرض ودخل المستشفى عدة أيام فتغير وجهه وسحنته بحجة المرض ومشاكل في الكلية والصحة.

قابل المدير رئيس الدولة وقدم له التقرير النهائي في قصة شبكة الجواسيس وعمارة جوليا وخيانة مرسم ورسالة الزعيم الحقيقي للشبكة ، وأن المعركة مستمرة مع شبكات الجاسوسية في الوطن.

رواية اجتماعية

الشقق السوداء ٢

كانت حفلة كبيرة مشهودة في قاعة نادي الكبار في الحي ، غرق الضيوف بالشراب والطعام والرقص حتى الثانية فجرا ، وبعد انتهاء الحفل الكبير حملتنا سيارة إلى شقتنا يا إدريس ونحن في حالة يرثى لها من الشراب ، ولما انصرف المرافقون وأغلقنا الباب على أنفسنا كنا في غاية الإنهاك والنعس ، وذهبنا في عناق طويل لم نستيقظ منه إلا عند العاشرة صباحا ، وبدأت حياتي الزوجية ، ولم أتمكن من الدخول الشرعي إلا بعد ثلاث ليال من الزواج ، كنت مرعوبا من الحياة الجنسية ، ومضى الأسبوع الأول ونحن في غاية الحب والسعادة ،كانت فتاتي رائعة ، اعتقدت تلك الأيام أنني أسعد الخلق بهذه المرأة .. والزواج رائع يا سيد إدريس خاصة إذا كان عن حب صادق ! كان حبي لنبيلة صادقا وكبيرا ـ رحمها الله ـ قدم لنا الأهل والأصدقاء التهاني وتمنيات الحياة السعيدة ، وقدم بعض الزملاء والزميلات التهاني لنا عن أنفسهم وعن طلبة الكلية أو معارفنا من الكليات الأخرى .. توقفنا عن الدراسة مدة أسبوع واحد فقط ، ثم عدنا للدراسة ونحن نرفل بالحيوية والشباب ، واحتفلنا مع الأصدقاء في مطاعم الجامعة .

قلت لك تأخر دخولي على فتاتي بضعة أيام ورغم

ذلك لم تحاول الضغط عليّ كان الأمر طبيعيا كانت سعيدة بي وقلقة عليّ من الناحية النفسية عندما فشلت في أول الزواج حتى أني خشيت أن أذهب للطبيب النفسي .. وأدركت فتاتي أنها الفتاة الأولى في حياتي ، وليس لدي تجارب جنسية كما يفعل بعض المترفين ، حتى أن بعضهم يسافر أوروبا لمثل هذه التجارب .. وكانت مسرورة من ذلك .. فكنت أرى حبها العميق في عينيها وابتسامتها ..وأنا كنت مغرما بها إلى حد لا يوصف ..فكل من زارنا أو رآنا علم كم من السعادة تغمرنا وتحيط بنا خلال الأسبوعين الأولين من حياتنا الزوجية .. لم نكن نعلم ما يخبئ لنا القدر ، وما يدبر لنا أهل الشر والحسد ، لم أفكر بعداوة أحد لنا لأننا لم نعاد أحدا .

أمضينا الأسبوع الثاني من زواجنا في زيارات اجتماعية بين أهلي وأهلها ، فكنا ندعى لتناول العشاء بمناسبة الزواج .

كنت أمتلك الكثير من الصور الفوتوغرافية لفتاتي وحبيبتي نبيلة ..صور في النزهات في الحدائق في الجامعة ، صورها مع أفراد أسرتها مع أسرتي مع طلبة الجامعة .. صور لها في ثياب البحر على أطراف المسبح داخل الماء.

بعد زواجنا بأكثر من أسبوعين ، قل عشرين يوما التقيت بالمهندس مراد زملينا في الكلية في ساحة من ساحات الكلية بناء على طلبه ورغبته لأمر خاص ومهم ، فقبلت وبعد السلام ومقدمات لم أفهم منها شيئا عن النصيحة والشرف والحقيقة ..

قال : لم يعد يسمح لي ضميري بالصمت يا سيف.

ـ لم أفهم سبب كل هذا الكلام !

ـ كان يجب أن أقول لك هذا الأمر قبل زواجك من السيدة نبيلة .

ـ ماذا كنت تريد أن تقول؟!

ـ أقول إنها سلمت نفسها لغيرك ..لم تأخذها عذراء يا سيف.

ـ نبيلة!

ـ نعم ، نبيلة .

ـ كيف ؟..كانت عذراء!

ـ خداع .. زواجك العاجل لم يتح لي الفرصة لأكشف لك ذلك .

لما رأى صمتي ودهشتي وحيرتي تابع فقال : امرأتك رأيت لها صورة عارية مجردة من الثياب كل الثياب .. وقال مالك الصورة وهو يكشفها لي إحدى زميلاتك

ـ صورة عارية لنبيلة مجردة من الثياب .. من هو الشاب ؟!

ـ نعم ، الصورة ليست معي .. إنها معه هو ليس أحد الطلاب .. كان اللقاء في مقهى أنا رأيت صورة واحدة فقط ؛ ولكنها لنبيلة خالد ..

والرجل يرغب برؤياك ليبيعك الصورة .. نعم يريد أن يبيعها لك .. طلب مني عرض ذلك عليك

ـ لا تعرف من هو؟

ـ رتب لي أحد الأصدقاء لقاء معه .. ليصرف عني ما شاع عن تعلقي بها كما تعلم

ـ كيف سأقابله ؟!

ـ في المقهى اليوم الساعة الخامسة عصرا أو مغربا .. فالأفضل أن تحصل على الصورة حتى لا تنتشر بين الزملاء .

ـ أين؟!

ـ في المقهى الكوكب الذهبي في مركز المدينة .

ـ كيف سأعرفه؟

ـ هو سيتعرف عليك ، ستجد الرجل ، وهو سيعرفك على نفسه، ويطلعك على الصورة .. ودبر أمرك معه .. أنا مجرد مرسال .. بريد بينكم .. هو فعل ذلك معتقدا أنني ما زلت أهوى السيدة ..وأنا أكدت لك صرف نظري عنها ما دامت زوجة لك .

افترقنا وأنا في غاية الذهول من صدق خبريته .. وأنا لا أصدق أن تتصور الفتاة مجردة من الثياب وأن تمارس الجنس مع أحدهم ؛ ولكن قصة زواجي والعجلة فيها جعلت القلق يدب في نفسي صممت على الذهاب للمقهى ، ومتابعة الموضوع قبل الحديث مع نبيلة .. هل زنت نبيلة قبل الزواج ؟! لا أصدق ذاك ؛ ولكنه غير مستعبد في بيئة فاسدة يا إدريس .. هي لم تتحدث يوما عن علاقة خاطئة مع أحدهم .. وليلة الزفاف كانت بكرا عذراء مع أن الأمر لا يهمني .. كل أخواتي تزوجن بدون عذرية كما أعلم .. وقعن في مشاكل قبل زواجهن ما عدا السيدة مريم ؛ إنما الذي أزعجني أكثر الصورة العارية .. لماذا تتصور فتاتي عارية بدون لباس ؟ ولمن تفعل ذلك؟ لم تكن مستهترة خالعة في الجامعة .. كانت من أكثر الفتيات تبرجا وسفورا ومرحا ، لم تكن خليعة .. لما تخلع ثيابها أمام مصور ؟ رأيت الأمر كبيرا مزعجا .. أنا أعرف عشقها للصور الفوتوغرافية .. أما التصور بدون لباس فهذا جنون وفحش .. نحن نعشق الصور والتصوير هل أنا غطاء لأمر أكبر وفاحش ؟ لم أرجع إلى البيت رغم أن فتاتي كانت مريضة وغادرت الكلية مبكرا .. تناولت الغداء في قلب المدينة ..وذهبت في المساء إلى المقهى بعد أن تعرفت عليه ودخلته قبل الذهاب للقاء صاحب مراد المشفق عليه ، ويعرف شهوته ورغبته في زوجتي قبل زواجنا .. أنا أدرك حقد مراد ؛ ولكن بعد الزواج ظننت أن الأمر خفت ، وانتهى بعد زواجنا وبعد ذلك اللقاء الحاد بيني وبينه .. والمساء أو الليل يهبط مبكرا في فصل الشتاء .. وجلست تقريبا في المكان الذي تعرفه ؛

المقهى جدد كما قلت لك ؛ ولكنها نفس المساحة .. وبعد طول انتظار جاء رجل بلحية قصيرة سوداء وشارب أسود ضخم ؛ كأنه ممثل في سينما أو على خشبة مسرح ، وكان يلبس قبعة كالتي يلبسها الأجانب وبذلة سوداء .

وقال لي: أأنت المهندس سيف ؟

ـ نعم ، لعلك ذلك الرجل !

ـ نعم ، أنا الرجل المقصود ، أنا أملك صورة مثيرة لزوجتك .. لست المصور لها ، أنا وسيط بينك وبين المصور .. أعيش على فضائح الناس والعائلات.

لزمت الصمت ، وكنت أحدق فيه باحتقار وذهول ، وتابع كلامه الأحمق : كان عليّ أن أصل إليك وبيعك الصورة قبل زواجك ؛ لتكون المساومة أفضل يا سيد سيف حاكم وردة ؛ لكن كل تأخيرة فيها خيرة .. وليست زوجتك أول فتاة تصور مجردة من ملابسها الداخلية فكثير من طالبات الجامعة لهن لدينا صور مثيرة .. هذا مصدر دخل للمصور وللصياد وللبائع مثلي أنا لا يمكن أن أقول لك من صور الصورة ، ومن استدرج الفتاة ؟ وهل تصورتها بإرادتها ؟ لأني لا أعرف إلا أن أقابل من تهمه الصورة فقط ؛ لكن زملاء لكم يساعدون في ذلك ...

ـ مراد منهم؟

ـ ليس منهم يا سيد سيف .. نعرف أن مرادا كان مهتما بزوجتك قبل الزواج ، وتنكد من زواجك منها .. وهو صراحة يكرهك ويغار منك ؛ ولكنه لم يشارك في قضية الصورة .. لا أدري هل أقام علاقة خاصة مع زوجتك أم لا ؟!

أخرج الرجل صورة ملونة ، وقدمها لسيف وهمس قائلا : أليست هذه حرمك المصون ؟

أخذت الصورة ، كانت لها ، كانت كما ولدتها أمها يا إدريس .. صورة قبيحة فعلا يا سيد .. وتسألت بسخط وغضب : أهي لها حقا ؟!

ـ أنت لا تعرف البنات .. أنت رجل مسكين يا سيف ! مغفل بصراحة .. كلمات الحب تطربك كل البنات في الجامعة يفعلن ذلك .

ـ كل البنات!

ـ طبعا إلا القليل .. فلوس تدفع لهن مقابل هذه الصور.

ـ نبيلة تريد فلوسا !

ـ ربما تصور للابتزاز والنيل منها مقابل إعادة الصورة لها .. اغتصاب وتهديد .. المتاجرة بالأجساد شائعة اليوم.. انظر إلى الصورة جيدا .

نظرت إليها جيدا ،كانت صورة نبيلة خالد فتاة أحلامي وسألت نفسي : لماذا تتصور هذه الصورة ؟! وسمعته يقول : كم تدفع ثمنا لها؟

ـ ومن يضمن لي أنك لا تملك غيرها ؟!

ـ أنا أضمن لك ذلك ؛ لأني سأعطيك الصورة والفِلم أو قل مقطع الفِلم المسودة حيث المكان الذي عليه الصورة .

ـ أهذه نبيلة خالد زوجتي أم خدعة ؟!

ـ ولماذا أخدعك ؟ مراد لما عرف أنها صورتها حاول شراءها ؛ ليضغط عليها بالصورة ويتخذها عشيقة .. فأقنعته أن أبيعها لك وينسى أمرها فقد أمست زوجة .

ـ وكيف تعرفها أنت ؟

ـ أنا لا أعرفها شخصيا .. أنا الوسيط بينك وبين خصومك.

اشتريت الصورة والنكتف (صورة سالبة) يا إدريس بعشرين دينارا ، وغادرت المقهى وأنا لا أرى النور وأردد زوجتي تتصور عارية .. لماذا فعلت ذلك ؟! لماذا لم تخبرني عن ذلك الطيش قبل الزواج ؟! كان طعم الخداع مرا في فمي .. كانت صورة لها حقا .. حسمت أمري معها وأنا أغادر المقهى .. وأدركت أنني ضحية لمكرها وخبثها .. ولم أكن الرجل الوحيد في حياتها لو كانت محبة صادقة ما تصورت هذه الصورة القبيحة .. ما تعرت أمام رجل ومصور .. لماذا تزوجتني؟! هل حقا كان هناك رجل يرغب بالزواج منها ؟! هل حقا سيصير والدها وزيرا ؟! ذهبت بي الظنون والهموم والأفكار السيئة إلى أقصاها .. ذهبت للخمارة وشربت وشربت حتى انتصف الليل .. الخمر مباحة عندنا ؛ لكني لم أكن أكثر منها إلا في المناسبات والظروف القاسية العائلة كلها تتعاطى الخمر كالماء في البيت .. ربما في الأسبوع أتناول كأسا صغيرا .. لم ننظر إليها أنها حرام ..هكذا تعلمنا ..كان الشاي مشروبي المفضل والمغرم به .

فتحت الباب وهي نصف نائمة ، وكانت تتثاءب : أين كنت ؟ تأخرت يا حياتي .

دخلت والتعب ظاهر عليّ والسكر بين ، فقالت وهي تجلس : سكران يا سيف أكنت في حفلة راحتك شديدة .

ـ مررت على الخمارة وشربت كأسا .

ـ أنت شربت زجاجة.. أتريد العشاء ؟ أنت مرهق .. وتأخرت كثيرا ألسنا في شهر العسل ؟!

ـ العسل ..كنت في مشكلة صغيرة كبيرة لا أدري !

جلسنا في الصالة وقالت : مشكلة .. ما هي؟ أنت لست طبيعيا يا سيف الحبيب ؟!

تنهدت بعمق وقلت : أتسمحين لي بسؤال ؟

قالت بانزعاج: تفضل

قلت بدون حياء : هل عمرك نمت مع رجل غيري ؟

نظرت إليّ مصعوقة وقالت : لعلك سكران أكثر من اللازم !.. شربت كثيرا الليلة .

قلت بعصبية : أجيبي على سؤالي .

ـ سؤال مزعج ! وهل قال لك أحد إني نمت معه ؟!

أخرجت الصورة ، وقلت : أهذه صورتك ؟

مسكت الصورة ، وحدقت بها وقالت : كأنها صورتي!

ـ كأنها صورتك أم صورتي !

ـ لا أذكر يوما أني تجردت من ثيابي لأتصور مثل هذه الصورة الفاضحة .. ولماذا أتصور؟ وأكشف عورتي لمصور .

قلت بقسوة وغل : الزانية لا يهمها .

صاحت وقد طار النوم عن وجهها : لا تقل ذلك يا سيف.. أنت أعرف الناس بي .. والله ما تعريت إلا لك .. هذه الصورة لا أدري كيف أخذت لي ؟ لا أنكر أنها صورتي ؛ لكن كيف صورتها لا أدري ! .. الوجه في الصورة لي .. ما القصة يا سيد سيف ؟!

وقصصت عليها لقاء مراد والمقهى والمعلومات التي تجمعت لدي فقالت : شاب يصور بنات الجامعة عاريات .. الأمر غامض وكبير ..وهل الجامعة دار دعارة يا سيف ؟ لا أنكر أن هناك بعض الساقطات والساقطين يلهثون وراء الشهوات والفجور ؛ إنما هم قلة .. هناك مكر .. هناك خداع يا سيف .. هذه الصورة أول مرة أراها .. وما زلت حائرة بطريقة تصويرها .. أين الرجل الذي شاركني الفراش؟ ولماذا صورني ما دمت خليلته ؟! وأنا صدقا لا أعلم أين صورت هذه الصورة ؟ أنت الرجل الوحيد يا سيف الذي شاركني الفراش .. هذا مكر .. صحيح لي أصدقاء في النادي والمسبح والجامعة ؛ لكن لم أصبح عشيقة لأحد .. وأنت الحب الوحيد لي .. وصبرت سنتين حتى أسمع هذه الكلمة منك .. وكان أمامي الكثير من الشبان هل سمعت قبل أن أرتبط بك بمغامرة لي ؟

ـ الصورة!

ـ نعم ، الصورة لا أذكر أني تعرضت لتخدير واغتصاب .. لقد كنت عذراء ليلة الدخلة يا سيف !

ـ الصورة!

ـ لماذا أخونك يا سيف ؟! هل تراني غانية وبنت هوى ؟! لماذا أزني ؟! لماذا أتصور عارية ؟! هناك مكر .. لي سنوات أحبك .

ـ قبل الزواج

ـ لم يحصل ذلك.. أنا عذراء كما تعلم !

ـ كيف صورت؟!

ـ لست أدري ؟

ـ هي صورتك .

ـ لا أنكر أنها صورتي ..لا أدري كيف صورت ؟!

ـ ما العمل ؟!

لما رأيتها لم تكذب بأن الصورة لها ؛ ولكنها لا تعرف كيف صورت ؟ وأين ومتى ؟ وقع في قلبي أنها تخدعني ، وأنها اتخذتني تغطية لفحشها وشهواتها وفجورها .. كيف تكون بريئة ؟! فالصورة لها كيف صورت ولا تعلم ؟ هي تعلم ولا تريد الاعتراف ؛ لأنها لا تستطيع نفي الصورة عنها.. قضينا ليلة سيئة من حياتنا.. حاولت بكل قوة وحيلة معرفة كيف وصلت الصورة لهؤلاء الشياطين ؟ وكيف تعرت أمامهم للتصوير ؟! ولماذا قبلت أن تصور ؟ ولم أستطع أن أصدق أنها لم تفعل شيئا قبيحا .

وقالت : افرض أني مارست الجنس مع أحدهم قبل الزواج أهذا يهمك ؟

ـ طبعا يهمني .. أنا رجل أغار وأحب طهارة زوجتي.

قالت باستسلام : حقك ذلك ..وأقسم لك إنني لم أقدم جسدي لأحد غيرك حتى قبل أن أتعرف عليك .. أنا سلمت نفسي لك وحدك .. هل رأيتني حاولت إغرائك وممارسة الجنس معك ؟

ـ معي لم تفعلي ؛ ولكن هذه الصورة كيف وصلت لهؤلاء الرجال ؟ كيف عرف مراد اللعين بأمرها ليخبرني بها ؟.. ولماذا تعجلنا بالزواج قبل التخرج كما كنا مخططين ؟

ـ أنا لا أعرف كيف حصلت هذه الصورة ؟! ولا أذكر أني فقدت وعيي في حفلة في مناسبة .. لا أتهور في السكر والعربدة .. ولا أتأخر في العودة للبيت إذا شاركت في مناسبة .. وكنت أحدثك عن كل تلك السهرات والحفلات .. وأغلب الفتيات اللواتي يقبلن التصوير عاريات يكن ذلك بإرادتهن يا سيف .. والفتاة التي تقدم بدنها للزناة فلا يهمها صورة عارية .. وأنا لم أعرف الزنا رغم أنه غير محرم في تقاليد الحي .. ولا أنفي وجود خيانات زوجية من كلا الطرفين وقد يحدث الطلاق بسبب ذلك وينتهي الموضوع .. وأكثر الخائنات تعلم أن زوجها يخونها فتفعل مثله .

ـ لقد أحببتك من أعماق القلب يا نبيلة ..كنت أجمل شيء في حياتي الماضية وفي الجامعة ؛ ولكن بعد هذه الصورة القبيحة لا أعتقد أني أستطيع الحياة معك ، وتحت سقف واحد ، لو رأيتك تتحدثين مع أي رجل سيقع في قلبي أن خيانة ترتب ، حتى لو تبادلت معه النظرات سيقتلني الشك والريب ، لقد دمرت حياتي

ـ عليك أن تصدق يا سيدي أني طاهرة لك وحدك .. لم تحصل مني أي خيانة .. وأنا على استعداد إلى قطع كل معرفة مع أي رجل ؛ لتطمئن أنك الرجل الوحيد الذي يحق له أن يمتلكني .. هناك مكر كبير يا سيف!

صحت بجنون : مكر .. الصورة مكر .. كيف صوروك؟! أنا أرى أن مكرك ظهر ..وأنني مغفل

ـ لا تقل ذلك يا سيف .. أنت تظلمني بهذا الاعتقاد .. وحقق العدو مبتغاه من إظهار هذه الصورة .

ـ ولكنها صورتك صورتك يا سيدتي وتزعمين أنك تجهلين طريقة تصويرها أيصدق هذا ؟

ـ لو لم أكن أحبك يا سيف وأريدك ما تعجلت بالزواج منك .. ولقبلت بقريبي الدكتور غريب والعجلة بالزواج لأن والدي سيصير وزيرا .. وسوف ترى ذلك .. وخشيت أمي وأنا أن يفرق بيننا هذا المنصب .

ـ الخيانة صعبة ومؤلمة على شخص مسكين مثلي يا نبيلة! إنها صعبة على نفسي وروحي .. عذاب سيسلط علينا ..علينا أن ننفصل بهدوء ، ونعلن أي حجة أمام الناس .. لا يجب أن يعرف بأمر الصورة أحد

ـ تريد الطلاق

ـ الأفضل لنا ..لا أستطيع أن أعيش سعيدا معك .. وبيننا هذه الصورة .. عندما أشرب شيئا سيقع في خلدي أن به مخدرا ما أو منوما ، إن تعبت وتوعكت سأظن الظنون فيك يا سيدتي ..

ألا تذكرين مكان هذه الصورة ؟!

ـ لا أذكر ، لا أعرف متى وأين صورت هذه الصورة القذرة التي جعلتني في نظرك مومسا ؟ هل تعرف أنت ؟

ـ أنا! كيف سأعرف وأنا اليوم عرفت بأمرها وقابلت من باعني إياها ؟ لم أستطع معرفة مكان التصوير .. عليك أن تعودي لبيت أهلك لنرتب أمر الطلاق .

ـ لا حل عندك غير هذا ..افرض أني غلطت وتصورت هذا الصورة بإرادتي وطلبت العفو .

ـ الشك الشك .. أنت تنكرين فعلتك يا نبيلة .. والصورة هذه تقول إنك تصورت .. الشك سيدفعني للجنون .. كنت سعيدا بك كل هذه السنوات .. وأنا لا أرى لي فيك شريكا شريكا في جسدك .. إذا صورة تزعمين أنك لا تعرفين كيف لقطت لك ؟ فكيف إذا فعلت أكبر من ذلك .. كيف سأصدق أنك لم تفعليه ؟!

بكت كثيرا وفعلت أنا مثلها ؛ لكن لم تعد الدموع تحل ما بي من غضب ويأس، وحسمت أمري لا نساء بعد اليوم في حياتي ،ولن أقبل أن أعيش دابة ولي زوجة ينزو عليها الذكور ، حاولت ثنيي عن الطلاق في الصباح .. ورفضت الحياة معها بعد رؤية الصورة الخلاعية .. وأنا خشيت ما وراء الصورة .. وبعد يومين قابلت والدها وقال: لماذا تريد الطلاق وقد قبلت أن تكون لها زوج وتعجلت الأمر قبل التخرج ؟

أخرجت الصورة وقلت وأنا ادفعها إليه: هذه السبب يا سيدي!

أمسك بها مطلعا وقال: ابنتي هذه!!

ـ نعم، ابنتك .. واعترفت بأنها لها ؛ لكنها تزعم أنها لا تعرفت كيف ومتى وأين صورت ؟

ـ الصورة صورتها ولماذا تتصور عارية ؟!لماذا ؟!

ـ لا أدري يا سيدي الدكتور !

ـ كيف حصلت عليها ؟

ـ عصابة تغرر بالبنات وبيع صورهن لمن يهمه الأمر !

وأقسمت البنت أمام والدها وأمها إنها لا تذكر كيف حصل الأمر معها ؟ ولا تذكر أنها تعرضت لتخدير في بيت في سهرة ..ودافعت عن نفسها وأنها تعرضت لخدعة وشيطنة ، ثم وافق الأب على طلاقنا بدون شوشرة .. وخلال أيام كان كل واحد منا يملك شهادة طلاق شرعية .. فصدم والدي للأمر وغضب عليّ ، فذكرت له مضطرا أمر الصورة فسكت .. وظل غاضبا عليّ حتى تخرجت من الكلية ، وأنا في حالة نفسية صعبة ، ثم عادت الأمور إلى ما كانت عليه قبل الزواج .. وانتهى أمر نبيلة في حياة الأسرة .. والكل كان مصدوما من قصة الصورة

وبعد التخرج تزوجت نبيلة من قريب والدها الدكتور غريب ، وكان والدها قد أخبره بقصة الصورة ، وأنها سبب انفصالها عني ، وأن البنت تعرضت لحيلة ماكرة .. وللسخرية دعوني لحضور حفل زفافها.

وعملت في شركة ، ثم انتقلت للعمل في مصنع دواء لخالي كنائب مدير ومهندس صيانة .. كنت مهندس ماكينات وآلات .. ومضت الأيام رتيبة وبدون زواج .. كل النساء نبيلة خالد ورفضت تجربة الزواج بكل قوة وإصرار .. وما زالت الصورة الغادرة أمام عيناي .

الحياة بعد الطلاق

تزوجت فتاتي من قريبها غريب ، وأصبح والدها وزيرا ، ورفضت كل زواج عرض عليّ سواء عن طريق والدي أو أمي أو أخواتي .. أصبحت كل النساء خائنات في نظري ، إذا الفتاة التي أخلصت لها تخونني وتتصور عارية .. ولما طلقت نبيلة هجرت الشقة المستأجرة ، وعدت لغرفتي في قصر والدي .. ولما استلمت العمل في مصنع الخال محمود وابنه ياسر أعطاني والدي قطعة أرض مجاورة لقصر الوالد ، وأخذت ببناء قصري الذي تعرفه ، وأغلقت بابي بوجهك وفي أقل من سنة كمل البناء ، وأخذت بتأثيثه .. كانت أمي تدعمني ، وكذلك أبي على أمل أن أتزوج مرة أخرى .. وانتقلت للحياة فيه بعد التأثيث ، وأغلقت أمامهم الرغبة باقتناء امرأة فيه ورفضت

كل استعطافات أمي ، ولم أقتنع أن النساء ليس كلهن نبيلة .. أصبحت لديّ عقدة سوداء نحو النساء عامة ..كل ابتسامة أراها بين فتاة أو امرأة ورجل يخطر في بالي الفحش والزنا بين الطرفين ، وأن تلك الابتسامة أو الحوار ترتيب لأمر سيء .. كره شديد نحوهن .. وكنت في فترة أغضب وأصرخ وأثور إذا تحدث أحدهم عن زواجي .. أصبحت النساء فاجرات في عقلي غير صالحات لحياة صالحة .. وما زال الشعور الذميم لليوم في قلبي .. عرض عليّ أبي العلاج النفسي ، ولم أقبل أحببت حياتي التي أنا عليها وأنا حر فيها .

وقبل أن أضيف ما تبقى من معلومات أقول إن السيدة نبيلة انتهت من حياتي كجسم ، وما زال جرحها في قلبي ينزف لم يمت .. ولم يحدث بيننا أي اتصال .. تزوجت كما قلت لك وعلمت أنها ولدت أكثر من مرة .. وأصبح والدها وزيرا للصحة العامة فعلا كما أخبرت ؛ ولكنه هلك قبل أن يكمل عامه الأول في الحكومة ..كان يحضر مؤتمرا طبيا إقليميا على ما أذكر وتعرض لحادث سير مروع أدى إلى وفاته في المستشفى ، وعاد للبيت في تابوت الموت رحمه الله .

كنت أغضب وأتضايق جدا عندما يقال أمامي خبرا عن نبيلة من قبل أمي أو أخواتي ؛ وربما أثور وأصرخ فيهنّ ؛ ولكننا ما زلنا سكان حي واحد .. رغم زواجها استقرت زوجة فيه ، شيد لها والدها وزوجها قصرا أو فيلا كبيرة أيضا .. وهي عملت في شركة هندسية منذ تخرجت .

بعدما استقر عملي الوظيفي في المصنع أخذت حياتي بالرتابة والروتين .. دوام من الصباح حتى العصر ، وأحيانا في الليل لتصليح آلة متعطلة أو تركيب آلة جديدة أو متطورة أو صيانة خط إنتاج أو إضافة خط إنتاج ، لم أكن اجتماعيا مع عمال ورجال المصنع .. عمل فقط علاقات عامة مع الإدارة والشركات ..لم أكوّن أي صداقة خاصة مع شخص أو أشخاص في الداخل والخارج وعلاقاتي مع معارفي القدامى ضعفت وتلاشت مع مرور الوقت .. العزلة هوايتي .. أحببت الكتب ؛ ربما بقيت هذه الهواية القراءة ، وأحيانا التلفزيون في البرامج الثقافية والحوارية .. كان لديّ خادم فليبني يقوم على خدمتي وتنظيف ورعاية البيت .. سعت بعض فتيات المصنع صيدي وتكوين صداقات معي طمعا ؛ ربما بالزواج من حضرتي .. وكلهن اعتبرهن نسخة عن نبيلة الفتاة التي أحببتها بصدق وشرف .. ولم تكن في نظري بعد تلك الصورة الماجنة شريفة ولا عفيفة .. وحاولت بعضهن إقناعي أن النساء لسن نسخة واحدة ..سعى ابن خالي مدير المصنع الدكتور الصيدلي ياسر تزويجي من شقيقة له .. فذكرت له ضعفي

النفسي والجنسي وعدم صلاحيتي للنساء ، ولم تعد لديّ طاقة لمعاشرتهن .. مع مرور الوقت قلّ اهتمام الأهل والأقارب بزواجي من جديد .. ويعجبون من صبري عن النساء .. وشاع أن طبيعتي ماتت .. وأني معقد ومريض ، وبعضهم يقسو ويصفني بالغبي والمجنون.

ثم تعلقت فترة بالسفر إلى مدن العالم السياحية ، زرت إيطاليا وأمضيت فيها شهرا ، ولم أقع في الزنا ، وهو شائع دون عقبات حقيقية أوروبا إباحية ، وتجد فيها أحياء وقرى للبغاء والجنس وللشواذ كما في فرنسا وكندا ، زرت إسبانيا وغرناطة فاس ومراكش لندن وبرلين تونس اليابان ايران .. بعض مدن الهند ، ثم مللت السفر والسياحة ، وعدت للسكون .. في آواخر عام ١٩٧٥ماتت والدتي وهي حزينة كما قالت عند الموت لأنني لم أتزوج لأنجب من يحمل اسمي حاول أخي أمير تزويجي بعد هذا الأسف من طبيبة تعمل معه في المستشفى .. واستغل مأساتها وترملها لأقبل بها .. وكدت ألين ، ثم نفرت فجأة من الزواج والنساء والخضوع لامرأة ، وذكرت نبيلة التي حسبتها أشرف أنثى تتصور مجردة من الثياب ؛ كأنها بائعة هوى أو مومس تعمل في حانة أمريكية.

وقدر الله بعد موت الأم بشهور وفاة أخي الكبير حازم الطبيب ، فقد كان يعاني من مرض عضال ، وترك زوجة وولدا ذكرا وبنتين .. وبعدهم بسنوات لحق بهم أبي وترك أرملة شابة لعوب ، كادت تهلك العائلة والأسرة بكثرة مطالبها ، وتستولي على أموال العائلة ؛ لكن طلقها أبي فجأة متهما إياها بالتزوير .. وحصلنا على ميراث كبير .

وبعد وفاة أبي بسنتين عام ١٩٨٥ تركت العمل في المصنع ، وقبعت في بيتي لم أعد بحاجة للعمل والراتب .. وغرقت أكثر في الكتب والفكر والتاريخ والروايات الغامضة .. وتابعت فترة المسلسلات التلفزيونية ، ثم هجرتها أصبحت مملة ومسخرة ومكررة .. ومات خادمي الآسيوي وتكفلت بنقل جثمانه للفلبين .. واستعنت بخادمة قريبة عرفني بها أثناء حياته .. فلما مات رغبت بالعمل في بيتي .. ورغم كرهي للنساء كما تعلم وعزوفي كل هذه السنين عن الزواج والحياة مع امرأة قبلت هذه الخادمة .. وهي التي فتحت لك الباب .. وهي رغم صغر حجمها تقترب من الستين سنة .

ألفت بعض الكتب في الهندسة والصيانة بحكم عملي في المصنع وللفنيين معنا ، ثم قبلت نشرها كذكرى وليست تجارة ، وهي خمسة مؤلفات حول كهرباء المصانع وخطوط الإنتاج ، وبعد تقاعدي واستقالتي تعرفت على فتاة شابة ؛ كأنها في الخامسة والعشرين زاعمة أنها تحب أن تستفيد من تجربتي

في العمل بمصنع الدواء ؛ لأنها تحمل نفس تخصصي في هندسة المصانع والميكانيك ،وأن ابن خالي ياسر أرسلها لتتعلم مني ، وتكسب خبرتي ولو بشكل نظري وحوارات ، وتحولت الدروس والخبرات عن الزواج والحياة الزوجية ، وأنها تتمنى أن تكون زوجة لرجل مثلي ، ولو كان كبيرا ، فتنبهت لمكرها وطلبت منها عدم العودة للبيت ؛ ولتفكر برجل من سنها، وعاد الهدوء للبيت ولنفسي بعد طردها .. اليوم البنات تطارد الشباب في كل الأماكن لم يعد الأمر مقصورا على الجامعات.

لما تركت المصنع رفضت العمل في أي مكان آخر.. أعطيت نفسي التقاعد دون مقابل .. حصلت على ضماني دفعة واحد ؛ لأنني لم أكمل سنوات الاشتراك معهم .. ولي تقاعد من نقابة المهندسين ؛ ولكني حولته لجمعية خيرية .. وكنت أحيانا أضطر للذهاب لمصنع الدكتور ياسر للمساعدة في صيانة ماكينة أو مشكلة فنية .. أمارس السهر لساعات طويلة ؛ ربما أسمع آذان الفجر من جوامع الحي قبل النوم .. أحب السهر ، وأنام في مطلع النهار .. ألفت بعض الكتب الثقافية ؛ لكني لم أطبعها سأعرضها عليك ، وأكلفك بطباعتها بعد موتي .. وأدع لك مالا لتنفيذ ذلك .. واعلم أنني أعاني من مشكل في القلب والأوعية الدموية وعانيت أعراض الجلطة القلبية ولكن الله سلم ، وما زلت أعاني ، ولست آسفا على هذه الحياة .

والآن أتحدث عن الرسالة التي سمحت لك بقراءتها قبل زوال عام ١٩٩٤. سمعت بموت السيدة نبيلة بمرض السرطان المعروف اليوم للناس ، علمت بموتها في نفس اليوم الذي دفنت فيه من إحدى أخواتي القاطنات في هذا الحي حي بهية والتي كانت على علاقة معها بسبب المجاورة في الحي .. حتى فكرت بحضور جنازتها ؛ ولكني ضعفت وجبنت على فعل ذلك مع أني شاركت بجنازة والدها عندما أتوا بجثته من حيث مات .. وحتى العزاء لم أذهب إليه مع أخي أمير أو مع أخواتي ، لم تطاوعني نفسي على فعله ، رفضت مرافقتهم ، ثم انتهى أمرها عندي ، وللحق كثر طيفها تلك الأيام ، وعادت بي الذكريات إلى الجامعة إلى أول يوم تقابلنا فيه .. وسعادتها باعترافي بحبها حتى وصلت للصورة اللعينة الصورة التي دمرت حياتي وكياني يا إدريس .. بكيتها بحرارة بحرقة .. نعم بكيت .. وصرت أتخيل حياتها قبل الجامعة التي حدثتني عنها وحبها لقراءة الروايات العاطفية والغرامية .. وحبها لحياة مثل تلك الحكايات .. وأنني أحد أبطال قصصها .. ثم تذكرت حياتها مع غريب وصبرها على فجوره الذي شاع في الحي .. عشت أياما مع تلك

الذكريات والمشاهد والمواقف .. قد تعجب إذا قلت لك تلك الأيام لم أستطع فتح التلفزيون ، لم استطع قراءة كتاب.. وفكرت بالموت القريب منا .. وأهمس وأنا أتمشى في حجرات القصر .. لقد ماتت الحبيبة الأولى والأخيرة في حياتي .. ماتت سألحق بها قريبا .. وعدت أتسأل كما تسألت خلال هذه السنين هل ظلمتها بطلاقي ؟ كيف صورت تلك الصورة اللعينة ؟! أيعقل أن تخضع فتاة لمثل ذلك المشهد دون علمها ؟! وهي كانت تنفي بقوة تعرضها للتخدير والاحتيال .. كانت سيرتها طيبة يا إدريس في الحي.. لم أسمع قصة سوء عنها لم أسمع إشاعة أنها تخون زوجها رغم ما عرف عنه من فساد وفجور .. أتخيل ذاك الرجل البائع للصورة ، وأتذكر المهندس مرادا وإظهار شفقته عليّ واضطراره كشف الأمر لي زاعما حزنه على الخداع الذي تعرضت له من الزواج من نبيلة .. صدقت أنها خدعتني ليلة الدخلة في مسالة غشاء البكارة لما نسمع من مكر بعض الأطباء وتزوير مثل ذلك .. لم أعرف اسم رجل المقهى كانت لهفتي فقط إلى رؤية الصورة التي تحدث عنها مراد .. لم أسأله من أنت ؟ الغضب والقهر يغمران قلبي تلك اللحظات.. ظهرت بالمغفل وتسرع بالزواج ليستر على فضيحة ؛ ولكن لو أراه سأعرفه يا أستاذ إدريس .

أعترف أمامك أن موتها هزّني جدا ، أنا صحيح منذ تركتها لم يحدث بيننا لقاء ، لكن صدف أن تلاقت عيونا في مناسبة اضطر أن أكون فيها كعزاء كعرس أبناء أخواتي ، لم يحدث بيننا كلام ولم أنس طيفها فهي المرأة الوحيدة في دنياي ، ونحن أبناء سن واحدة كما تعلم ، ودرسنا في كلية واحدة .. أرعبني موتها مع أني عرفت الموت بموت أمي وأخي ، ثم أبي وبعض الأقارب وأبناء الأخوات ؛ لكن موتها جعلني أفكر بالموت ونهاية الحياة .. موت نبيلة دفعني أن أقرأ في القرآن الكريم ، نحن مسلمون بالاسم .. كان أبي متمردا على الإسلام أو قل لا يعرفه سوى معرفة سطحية تقليدية .. لم يكن يعرف الصلاة .. رمضان كغيره من الأيام ، لم نمارس الصوم كل الأسرة .. أمي في آخر أيامها علمت أنها صارت تصلي ؛ وربما تصوم .. قرأت بعض أجزاء المصحف تلك الأيام .. لقد فكرت بالصلاة والذهاب للمسجد ، ثم نكست .. كنت أتخيل جسد حبيبتي المسجى وهم يصلون عليه ، وأقول هل عرفت نبيلة الصلاة يوما ؟ هي مريضة من سنوات .. حي بهية فيه مسجدان مسجد قديم بقدم الحي ، ومسجد بني من عهد قريب ربما من خمس أو ست سنوات .. لقد خيم الموت على نفسي أكثر من اللازم .. صدق تأثرت بموتها أكثر من وفاة أمي وأخي وأبي وخالي والد ياسر .. لا أدري

السبب الحقيقي لهذا التأثر .. أخذت أفكر بالحياة التي بعد الموت.. وهل حقا هناك عذاب في الحفرة التي يدفن فيها الإنسان أم هي خزعبلات وتهويمات يتسلى بها الشيوخ ؟! تمنيت أن أصلي ولكني لا أعرف شيئا .. ومع الوقت وفي أقل من شهر ذهب الحزن والخوف والذكريات ، عاد الهدوء النفسي لنفسي ، وذهبت أيام نبيلة الحلوة من حياتي رويدا رويدا.

عدت أتفرج على التلفزيون ، أقرأ الصحف والمجلات التي تعودت على قراءتها، ومع ذلك لم أنس ليلة قررت طلاقها يا إدريس كانت مصدومة ومذهولة من الصورة وكيف وصلت لي ؟ وكيف صورت ؟ لم تعترف لم أعرف كم تركت من الذرية إلا عند موتها ؟ عرفت أن لها ولدا واحدا فقط ، وابنتين ؛ ربما مات لها أطفال صغار .. وبينما أنا على هذا الحال وصلتني الرسالة التي تطلب مني مسامحتها على الآلام التي سببتها لي وحرماني من الزواج والذرية .. وكررت التأكيد أنها لم تخنّي يوما ، وأن الصورة أخذت لها بطريقة ماكرة وغامضة ، وتطلب مني مقابلة بائع الصورة ؛ لعل ضميره استيقظ بعد كل هذه السنين .. وأنها سامحتني وأن لا دخل لها في عقدتي نحو النساء .. قرأت الرسالة مرات ومرات ووقع في قلبي أنها صادقة وبريئة .. وقلت لولا أنها بريئة ما عادت تقسم هذا القسم .. أنا ابتعت الصورة لأنها الحقيقة الثابتة .. ولم أسع للتفاصيل ، لقد أعمى الغضب والصدمة هذه النفس .. وماذا يهم من معرفة المصور ومكان التصوير في تلك اللحظة ؟ المهم أنها قبلت التصوير بهذه الطريقة الوقحة .. وأعطيت الصورة ومقطع الفلم لوالدها ليلة تحدثنا عن الطلاق وسببه ؛ وربما افترضت ليلة ابتعت الصورة أن نبيلة تعرف كل هذه التفاصيل .. فلماذا أسمعها من الرجل والذي اعتقدت أنه مجرد بائع ؟ .. لم تعترف بمكان التقاط الصورة ، ولا بوقت وقوع الجريمة .. وبعد تردد طويل وتفكير بضعة أيام قررت أن أعود للماضي إلى الوراء إلى تلك الأيام التعيسة السوداء في حياتي .. أعود لمقهى الكوكب الذهبي كوكب الصورة عسى اللقاء بذلك البائع .. ذاك الرجل البريد ، ومعرفة المزيد من المعلومات عن الجريمة والخيانة.

كنت في المقهى كما تعلم في مطلع هذا العام طامعا بلقاء ذلك السيد الذي قابلته قبل ثلاثين سنة الذي اشتريت منه صورة من كانت زوجتي بعشرين دينار ، باحثا عن الرجل الذي شارك بتدمير حياتي .. صورة دمرت حب سنوات الجامعة ..إنها تطلب مني وهي تموت أن أعرف الحقيقة ، وأعرف أنها بريئة ؛ لكن الصورة حقيقة ، ولم تنكر أنها صورتها ، فهي كانت تمني النفس أن

تعرف كيف خدعت ؟ لتصور بعريها .. ومن الذي أجرم بحقها ؟ كيف حصل الخداع والمكر ؟ أنكرنا أن تكون الصورة مركبة من قبل مصور محترف .. فخبير تصوير يدرك التركيب .. إنها صورة حقيقية لها بدون ملابسها .. لم تكن الصورة داخل غرفة استحمام لأنها كانت مستلقية على أرض ما .. فكرنا أن تكون صورة أخذت عند مسبح وجرى التركيب .. لكنها صورة لها أخذت مرة واحدة .. كما كان ذلك واضحا في التصوير .. وأمر الخدع في التصوير وارد ..إنه عمل أفلام وسينمات .. واليوم التلفزيونات بالممثل البديل .

لم يكن المهم عندي الصورة نفسها .. المهم ما وراء الصورة من زنا وإباحية.. ذهبت إلى ذلك وما أنا إلا غطاء وستار .

الفتاة تريد أن أصدق أنها لا علم بطريقة الحصول على الصورة كيف صورت مجردة من الثياب؟! .. بكت وبكيت يا إدريس تلك الليلة ؛ لكني اتخذت القرار .. وكان في نظري السليم والأفضل لنا .. الشك والوسواس مرض مرعب ومزعج ، فوجدت أن أبحث لعلي أجد هذا البائع وأضغط على ضميره بعد كل هذه السنين ؛ لعله يكشف الخدعة التي تعتقدها نبيلة .. هذا سبب وجودي في مقهى الكوكب البحث عن سيد رأيته قبل ثلاثين عاما في جلسة دقيقة وصعبة من حياتي .. فكرت أن لمراد صديقنا في الجامعة يدا ؛ ولكن بعد طول نظر قلت إن السيد كان دوره إرشادي للمقهى فقط .. ولا أراه رأى الصورة ؛ إنما قابله البائع وذكره بهواه لنبيلة ، وأن هناك فرصة للتفريق بيننا ، وطلب منه أن تكون المقابلة في المقهى ..لأني التقيت به بعد سنين ، وأنكر رؤيته للصورة شخصيا ؛ إنما حدث عنها وانتهى الكلام .. خلاف المرة الاولى زعم أنه رأى الصورة .. وهو قد طاردها سنتين دون أن يظفر منها بشيء.. ولو عبثيا وحقدا هو شارك بتدمير حياتي .

ذهبت للمقهى وتقابلنا أنا وأنت ، أنا وجودي على أمل مشاهدة الرجل بين رواد المقهى ، والتعرف عليه بعد كل هذه السنين ، مجرد أمل .. أنا لم أذهب للبحث عن صحفي .. تعجبت من اهتمامك الزائد بي ، فلم أطمع بالتعرف عليك ولا على غيرك .. مجرد جلوس بضع ساعات في المقهى على أمل رؤية الخصم .. أنا رأيته مرة واحدة مكثنا ربما ربع ساعة .. فعلا غمرني العجب من متابعتك لي .. فأنت لا تعرف لماذا أنا هنا ؟! لا شك أنك لا معرفة لك بذاك الشيطان وعجبت حقيقة من فضولك ، ولكن لما عرفت متأخرا أنك صحفي بررت هذا الفضول لم هو مشهور عن فضول أهل الصحافة ودس أنوفهم في كل شيء .. قلت هذا الرجل لا أتصور أن له علاقة بذاك الرجل .. ودهشت كثيرا

من مطاردتك لي ، ومعرفة المزيد عني .. فأخذتها تسلية ورفضت طبيعتي أي تقرب مني .. أنا لا أحب الأصدقاء .. هذا أمر مات عندي يا إدريس !

رتبت ـ كما تعلم ـ جلوسي في أول الأمر ما بين العصر والمغرب ، ثم فترة صباحية فيما بعد ، لم أرتب نفسي لتكوين صدقات مع رواد المقهى .. أربكتني حقا يا إدريس أتسأل ماذا يريد هذا الرجل مني ومن تعقبي هنا وعند المطعم؟! وهذا المطعم كان مطعمي المفضل أيام العمل في المصنع .. وعندما أكون في قلب المدينة واحتاج للطعام .. وأفضله على مطاعم حي بهية والعرب وقد كنت أدعو بعض الناس إليه ، عند الاضطرار لدعوة أحد المهندسين أو الضيوف خلال سنوات المصنع .. فظل مطعمي المفضل.. كنت أرغب أن تبتعد عني .. وعجبت لإصرارك على الاحتكاك بي .. نعم ، رغبت أن تبتعد وتدعني وشأني ..كنت ترغب في الثرثرة معي غصبا عني وكانت مطاردتك لي محل استغراب ودهشة .. حقيقة كنت لا أحب تكوين أي علاقة معك .. ودهشت جدا لما رأيتك أمام بوابة بيتي ..ولماذا تسعى للوصول للبيت ؟! وأعتقد أنك استعنت بشخص لما رأيت إصراري على عدم تعريفك على مكان سكني .. هذا مجرد عناد وردة فعل وتسلية أيضا ، قالت لي الخادمة : رجل أول مرة أراه يطلب الحديث معك .. ولم أكن على موعد مع أحد ..لا يأتيني أحد بدون ترتيب يا إدريس .. صعقت عندما رأيتك ، فكانت ردة الفعل إغلاق الباب بوجهك محتجا على تدخلك بالقوة في حياتي وترددك على الحي حتى أن صاحب إحدى البقالات أخبرني أنك تسأل عني عن أسرتي وتفاجأت بزيارتك لي في المستشفى ..كنت لا تطاق ، ولا أعرف الغاية من كل هذه المطاردة والتعقب .. وكنت أفكر أن أسألك عن كل هذه المطاردة ، ثم أضعف خشية تطور الحوار والاتصال .. ولكنك في النهاية انتصرت يا إدريس واستسلمت لصداقتك .. وعسى أن تكون نعم الصديق وأنا في آخر العمر .. ها أنا فتحت لك خزائني وأسراري !



بعد مضي أكثر من نصف سنة على أول نظرة كانت بين سيف الدين وإدريس أصبح إدريس ملما بتفاصيل كثيرة عن حياة سيف .. وقرأ المذكرات والصفحات التي كتبها عن حياته .. وكان لقاؤهما الليلة في بيت إدريس لمناقشة المذكرات والقصة ..كانت لقاءاتهما في الفترة الماضية في المقاهي العامة أو في مطعم سيف المفضل .. وبعد تردد سلم

سيف بزيارة بيت إدريس ، وإن الكلام من الأفضل أن يكون في داخل البيوت .. وبعد تقديم المشروب المفضل لكليهما الشاي الساخن ، ووضع أمامهما أطباق الفاكهة جلس الرجل يتحاوران .

قال إدريس : قرأت قصة حياتك أكثر من مرة .. أنت جئت المقهى لهدف وحيد ، وهو مقابلة بائع الصورة آملا بصحوة ضميره بعد هذه السنين بإضافة معلومات تساعد أو تبين وتؤكد براءة السيدة نبيلة من الزنا ومعرفة قصة تصويرها عارية

ـ نعم ، هذا ما تطلبه الرسالة لأتأكد أنها مظلومة ، وتعرضت لكيد كبير

ـ أنت لم تفكر قبل رسالة الوداع والمسامحة التي جاءتك من السيدة بمقابلة الخصوم .

ـ نعم ، لم أفكر ؛ لأن الأمر انتهى تلك الليلة ، أصبح تاريخا يا صديقي .. وما الفائدة ؟! لكنها رغبة امرأة تموت أو ماتت .. أنا بعد حدوث المأساة الكبرى في حياتي لم أعد أفكر بمراد أو برجل المقهى ؛ لأن الصورة لها ، ولا أعتقد أن الشيطان

إذا كان هناك شيطان قام بتصويرها.

ـ شيطان الإنس فعل ذلك لوجود الصورة كحقيقة بينة .. هي تجهل كيف حصل ذلك ، وتنكر بشدة .. وأقسمت لك ولأهلها أنها ما فعلت ذلك!

ـ أنا لم أفكر كثيرا بسبب مصارحة مراد لي بتلك البلية ؛ لأني كنت أكرهه بشدة .. ولماذا تحدث عن ذلك بعد زواجنا ؟! لكن باختصار هو رجل حاقد .. اعتقد أني انتصرت عليه بزواجنا مع أنه قضى سنتين بمطاردتها ومحاولة صيدها .. وله قصص مخزية مع البنات .. وأنا متأكد لو صاحبها ونال حاجته منها لهجرها كما فعل مع الأخريات .. كان سيئا مع بنات الجامعة ؛ ولكنه كان صادقا بأمر الصورة .. ولا أدري هل شاهدها بأم عينه كما زعم في الأول أم حدث عنها؟!

قال إدريس : الرجل قصده واضح ، كان مغرما بها ومشتهيا لها ، وطاردها حتى يأس .. وقد يكون ناقما عليها حانقا ؛ لأنها فضلتك عليه ، وارتبطت بك دونه .. وهو جون دوان الكلية كما فهمت منك .. فالغرور مشكلة كبيرة عندما يتلبس الشخص .. وظلت تصده ولا تعيره اهتماما فجن جنونه .. ورأى أنها بعد إشهار الخطبة أنها ستكون زوجة شرعية .. خطط لتلك الصورة والحادثة ليدمر زواجك .. وهو الخبير بشخصيتك وطباعك خلال سنوات الدراسة خطط للانتقام وتدمير حياتها وحياتك ؛ لأنها اختارتك دونه .. الحقد مدمر ترتكب بسببه حروب دموية .. وإن غلفت بأمور أخرى لخداع الناس والأتباع .. الحقد أسود يا مهندس سيف .. لكن الأمر الغامض كيف تمكن هو أو غيره من تصويرها دون علمها ؟ وهي

تنكر بشدة تعرضها للتخدير .. لو اعترفت بأنها خدعت وخدرت انكشف الأمر ؟ وما علينا إلا أن نعرف من قام بتخديرها .. هل غرر بها واستطاع تخديرها وصورها ليبتزها كما يحصل من مجرمين العصر ؟ .. أما رجل المقهى فهو مجرد بائع أو مثل دور بائع مقابل مبلغ من المال .. هذا العمل يحتاج إلى ماكر أو أكثر .. فرجل لا دور له في عملية التصوير هل يعرفه مراد أم دل عليه ورتب له الأمر ؟ أي أن مرادا نفذ تعليمات معينة .

ـ تحليلك جيد ، وقريب من المنطق كما يقال .. وأنا السيد لم أره إلا مرة بعد إنهاء الجامعة .. ولم ندخل في تفاصيل الطلاق والصورة .. لم يكن هناك دافع لذلك .. هو مجرد بريد مراسل في ظني ولا أعتقد أنه قام بالتصوير وإلا أدركت نبيلة ذلك .. ولم ترافقه بجلسة خاصة .. لقاءات الكلية للسلام وتبادل التحية .. هما كانا في نفس القسم الهندسي الهندسة الكيمائية .. أما أنا فكنت في الهندسة الميكانيكية ؛ لكن تجمعنا كلية واحدة وجامعة واحدة .. وعلمت أنه عمل في الخليج العربي في شركات نفط .

ـ ونستطيع الحصول على مكان عمله من نقابة المهندسين وجمعية المهندسين يا مهندس سيف لكن صفة اللقاء به ما هي ؟ وهل سيتكلم بكيف عرف بقصة الصورة بعد ثلاثين سنة ؟!

ـ لم أفكر بمعرفة دوره في التصوير واللعبة ؛ لأن الصورة يومئذ حسمت الموقف ..كان عليّ أن أعرف من الرجل البائع .. أنا شعرت أن مرادا يمثل دورا معي .. استغل لنقل رسالة الصورة وأنا يومئذ كان يهمني مشاهدة الصورة .. من طلب منه بيعي الصورة ؟ !ربما حلم مراد بالزواج منها بعد طلاقي لها نتيجة الفضيحة ..وهذا كان صعبا يا إدريس حتى لو كان مهندسا فوالدها أرستقراطي رغم فتح مجال الحرية لبناته ، فلا أعتقد أن يزوجها لشاب أدنى اجتماعيا منه إلا اذا هربت وتزوجت سرا .. فهذا كان يراعى في الحي .. وسمعت منها مثل هذا الكلام قبل انفصالنا هو أي مراد لم يذكر أنه رأى الصورة صراحة زعم أنه سمع عنها فهمت أنه رأها ، وأنه ينصح لي موهما إياي أن وراء الصورة أفعالا قبيحة لنبيلة ، وأنه مشفق عليّ ، وأن ضميره لا يسمح له بالصمت ، وأن بائع الصورة طلب منه أن يجتمع بي في ذلك المقهى ، رغم جو الجامعة المعروف لك من ناحية الانفتاح الكامل بين الجنسين ، وكثرة العلاقات الجنسية الخاطئة .. الصورة كانت مملوكة لرجل المقهى فلو التقيت به وذكرته بها ؛ ربما يتذكرني ؛ وربما لا .. هذه سنون طويلة .. وبعدها نستطيع أن نتكلم مع مراد في القصة وحجم دوره ؛ لأنني لما رأيت الصورة توقعت أن تعترف نبيلة بالطريقة

والوقت الذي حدث فيه هذا القبح .. أنا صدمت من رفضها الاعتراف ووقع في قلبي أنها تكذب وأن القسم كذب ،كما يفعل الكثير من الناس اليوم لم تعد للأيمان أهمية للأسف .. ولكن اليوم أجزم أنها صادقة ، وإلا ما اهتمت بالأمر وكتابة تلك الرسالة لنبش الماضي وهي تموت .

قال إدريس : نعم ، هي حزينة من أجلك ، وإنك تركت النساء بسبب تلك الزيجة ، وإنك تعيش بدون ذرية ، وإنها لا تتحمل سبب ذلك .. وفي الرسالة إيحاء معين ، لم أفهمه بعد حقيقة يا مهندس ! يعني ما الفائدة من نبش الماضي بعد هذه السنوات الطوال ؟ وهذا لن يعيدك للوراء

لماذا لم تكتب لك قبل الموت بسنوات ؟! هذا سؤال .. وهي لا تستطيع أن تنكر أن الصورة لها ما دامت لها .. وهي كانت مذهولة من تصويرها ، وكيف فعل بها ذلك ؟ كيف خلعت ثيابها ـ رحمها الله ـ لتتصور تلك الصورة القبيحة ؟! فعلة تفعلها بنت هوى من أجل حفنة فلوس .. ليس من أجل قضاء شهوة جامحة .. والواقع يدل أنها تعرضت لتخدير أو تنويم ، وجردت من ملابسها بدون أن تحس بذلك .. وأنه فعل بها ذلك من أجل الصورة ، ثم أعادوا إلباسها ثيابها وأن ذلك تم في وقت وجيز .. لذلك لم تشعر أنها خدرت أو نومت .

قال سيف : لكنها لا تذكر هذا الوقت وهذا الموقف .. أين تعرضت للتصوير ؟! لا تعرف مكان أخذ الصورة .

ـ لا أعتقد أنها تنام عارية ليؤخذ لها هذا المشهد دون وعيها .

ـ لم تكن الصورة على سرير أو حتى فراش .. كانت على أرض مفروشة بشيء يشبه الموكيت الأرضي أو فراش صالة رياضة .. نبيلة كانت مرحة في الجامعة ، وتشارك في النشاطات المختلفة والرحلات العلمية ، والترفيهية .. فلها معارف على مدى الجامعة .. ولم تكن بائعة هوى ؛ ولم تكن متحفظة في اللباس والاختلاط .. وهذا أعتبره امتداد لحياتها في الحي .. فكانت تجلس مع الشباب بثياب قصيرة للغاية.. الموضة .. تلبس ملابس السباحة أمام الشباب دون خجل .. وتتصور بذلك معهم .. ولما تصادقنا لم يتغير ذلك كثيرا ، ولم أعترض على لباسها وتبرجها ومكياجها .. وكانت ترفض أي صداقة غرامية.. فبعضهم انصرف سريعا ، وبعضهم كمراد ظل لديه أمل حتى مع شيوع قصة تعلقنا ببعض .. فهو ربما اعتبره كعلاقته مع الفتيات والطالبات .. كنت أغار ليس بغيرة أهل البادية والقرى أو الشيوخ .. لم يكن للدين أي دور في حياتنا .

ـ نعم ، أعرف هذا الواقع في مثل حياة هذه الطبقة الغنية ، والتقيت بشخصيات خلال سنوات العمل

لها مثل هذه الصفات ، نحن أبناء مثل هذه الأحياء ـ حي الشاعر ـ كنا في تلك الحقبة نستهجن ذلك التقليد الكامل للحضارة الغربية ، والطبيعة المجدة للحرية الشخصية ، ولو على حساب الأخلاف والتقاليد الإسلامية .

قال سيف : أنا يا سيد إدريس لو اعتقدت فقط أنها مجرد صورة لما طلقتها .. أنا اعتقدت أن وراء الصورة دعارة .. وزواجي العاجل تغطية لهذا الانحراف ، وأنه يجري من ورائي أشياء قذرة .. عندما ترى صورة لفتاة تظنها أشرف فتاة ، فسيذهب ذهنك إلى أكبر من ذلك .. تلك الأيام لم تكن أشرطة الفيديو معروفة أو موجودة .. تصوير فلم سينمائي يحتاج لمصور بارع ومكان للتصوير عدا الديكورات .. فكانت الصورة الفوتوغرافية الأسهل لابتزاز الفتيات وإجبارهن على ممارسة البغاء والزنا ..كانت الصورة الماجنة وسيلة ابتزاز وصيد منتشرة .. عرض الأفخاذ والظهر والبطن لم يكن ممنوعا في حي كحي بهيه وأشباهه .. فالمسابح المختلطة متوفرة في النوادي والمدن الرياضية والمسابقات .. فذلك تراه بدون جهد .. أما العري تماما فكان خفيا ..كان الأهل في مثل حينا يسمحون للبنات بمصاحبة الفتيان واللعب معهم ، وإقامة علاقة عاطفية بينهم ؛ لكن يحذرونهم من علاقات جنسية كاملة لما يترتب عليها من مشاكل كبرى من ذهاب البكارة والإجهاض والحمل خارج عقد الزواج ..والبعض يتهور وتحدث قضايا أخلاقية تحتاج لترقيع ، ولم يكن الزواج الحل فهم مراهقون لا يتحملون مسؤولية وطلبة مدارس .. فيسافرون لأوروبا للإجهاض ؛ لأن قوانينا تمنع ذلك .. وإذا غامر طبيب يجري ذلك في عيادة خاصة ليس في مشفى .. وقد يتقبل الحي الخيانة الزوجية ؛ لأن الرجل هو خائن كزوجته .. كان الرجال يتقبلونها أو يحصل الطلاق بدون شوشرة .. والموضوع سريع النسيان في الحي لكثرة تكرار ذلك يا سيد إدريس .. أنا كما كتبت كنت أتقبل سفور وتبرج نبيلة .. ولم أكن مستعدا ؛ لأن أكون خنزيرا وغاضا الطرف عن دعارة .. كان البعض يغض الطرف عن الزوجة باسم المدنية والتقليد الأعمى للغرب .. والنساء في حينا بنات ذوات ، ويملكن المال وشريكات لأزواجهن في المصانع والشركات والتجارة .. وإن لم تكن شريكة يكون أبوها أخوها قريبها شريك الزوج أو والد الزوج .. فالزوج يسكت ويخضع للواقع ..

وبعد صمت للحظات تابع : هل من طريقة لديك للوصول لذاك الرجل رجل المقهى ؟ فهذا سبب ترددي على مقهى الكوكب الذهبي كل هذه الشهور ؛ ولكني لم اصدفه .. صدفتك أنت يا صديقي الجديد !

ـ رجل يقوم بعمل مريب لا أعتقد أن يكون من زبائن هذا المقهى ؛ لكنه يعرفه .. إنما هو مسرح لتسليم الصورة ؛ لأنه إذا كان فيه ذرة عقل سيبتعد خشية أن تعود إليه لأي سبب .. واختاره ـ والله اعلم ـ لأنه لا يتردد عليه واللقاء كان بينكم قبل ثلاثين سنة هل ما زال حيا أم مات ؟! أكان من جيلنا ؟

ـ أظن ذلك ، كان في العشرينات مثلنا ، حتى وقع في قلبي عندما رأيته بأنه أحد طلبة الكلية متنكرا ..كانت له لحية سوداء قصيرة ، وشارب سميك ؛ كأنها أدوات تنكر .. وقلت لنفسي : من حقه أن يفعل ذلك ؛ لأنه يرتكب جريمة .. أنا يومها كنت مهتما بالحصول على الصورة .

ـ أيكون مراد متنكرا ؟!

قال بحزم : لا أعتقد ذلك ، مراد أعرفه جيدا ، نتقابل في قاعات ومطاعم الجامعة ، وكان المهندس مراد سمينا أكثر من الرجل الذي قابلته .. ربما من طلبة الكلية أو مستجدا ..كنت في السنة الخامسة ، وعادة طلبة التخرج لا يبدون اهتماما بالطلبة الجدد ؛ لأن الوقت قد حان

للابتعاد .. فنختصر مصاحبة المستجدين.

ـ أنت تنفي أن يكون لمراد دور أكبر من توصيل خبر الصورة لك .

ـ من كلامه أنه مجرد رسول .. رجل المقهى لم أره مرة أخرى ، حتى لو خلع اللحية المزيفة لعرفته يا إدريس .

ـ اختيار هذا المقهى بالذات له سبب .. فالمدينة مليئة بالمقاهي ، هل لمراد علاقة بالمقهى ؟

تريث قليلا ثم قال : لا أعتقد .. فمراد كانت ضمن الطلبة الشيوعيين ، كان ملحدا ؛ وربما هوى وشهوة .. فكنت أراه كثيرا مع طلبة اليسار ، وأقطاب الحركة الشيوعية في الجامعة .. ولم أعرف عنه أنه رجل مقاهي إلا إذا كان للشيوعيين مقاهي خاصة .

ـ المقهى لم يكن محسوبا على الشيوعين ؛ لكن في نفس الشارع كان مقهى لهم اسمه مقهى العمال

ـ لم أعرف عنه كما قلت رجل مقاهي .. عرفت أنه طاردها كثيرا وخاب في صيدها .. ولا أعتقد أنه استسلم لخطبتنا ؛ ولكن صعب الأمر عليه .. وهو من المتأثرين كما قلت بالحركة الماركسية التي كانت تملأ الدنيا في عقد الستينيات ..كان كما تذكر المد الشيوعي قويا ومنتشرا في كل بلدان العام بدعم الاتحاد السوفيتي الذي نراه اليوم ذاويا مفككا .. وأولئك الشبان لحقوا بالأحزاب تلك لأهداف شتى ، ومنها الإباحية الجنسية للأفكار التي تروج عن شيوعية النساء .. وتجد بعض النساء متأثرات بهذا الجنون ، فسقطن في الرذيلة باسم الشيوعية والعقدة الجنسية والكبت الجنسي.

ـ أعرف ذلك عمليا ونظريا ، ما هو أنا ابن تلك العقود السوداء .. والتقيت بالكثير من الرفاق كما يحبون أن يسموا أنفسهم.

نهض إدريس ، وأعد القهوة من جديد ، ولما سكبها في الأكواب سمع المهندس يسأله: كيف ستساعدني في لقاء رجل المقهى؟

ـ بالتأكيد سوف أساعدك ، قضيت شهورا لأعرف حكايتك ، وأسمع القصة التي لم تخطر على البال !

ـ أنت لم تعمل وحدك وبمفردك .

ابتسم وقال معترفا : ساعدني أحدهم ، كنت أنا مكشوفا لك ، ولم أفلح بمعرفة بيتك لأسأل عنك ، فاستعنت بشخص صديق بذلك ونجح .. وهو زميل قديم ، وظلت صداقتنا قائمة بعد تقاعدنا الوظيفي.

ـ هل ستعرفني عليه؟

ـ هو يحب ذلك ، وإذا أحببت أن نشركه معنا في معرفة الحقيقة والمؤامرة فذلك خير .. فالقضية ليست سهلة بعد كل هذه السنوات .. فالبحث عن س أو ص محتاج لجهد وفكر .

ـ الرياضيات سين مجهول ، وصاد مجهول فالبائع مجهول والمصور مجهول

ـ المجاهيل كثيرة في قضيتنا .. فصاحبي هو الذي جمع المعلومات الأولية عنك ، وعرف زواجك من ابنة الوزير ؛ ولكنها عند الزواج لم تكن ابنة وزير بعد ، ولما طلقت كذلك .. لم يكن والدها وزر بعد ، لم نعرف في البداية من الوزير ؟ لأنه لم يطل مقامه في الوزارة قد مات ـ رحمه الله ـ أنا وصاحبي عملنا في وزارة الصحة بعد دراسة الجامعة بكالوريوس صحة عامة وغذاء ـ ثم انتقلنا للعمل في صحة بلدية المدينة كمفتشين صحة ورقابة على المواد الغذائية والمحلات والمطاعم .. وظللنا في تلك الدائرة حتى بلغنا سن التقاعد الوظيفي .

ـ على كل حال إن كنت ترى حاجتنا إليه ، فأشركه في أمرنا .. القصة كلها بين يديك .. ليست بالحكاية السرية التي تتطلب الإخفاء .. والمرأة صاحبة الصورة ماتت ـ رحمها الله ـ وأنا كما قلت لك لم أكن أنظر إلى أهمية معرفة كيف صورت وأين ؟ ما دامت الصورة لها .. وأنا رغبت بتنفيذ رغبتها .. وأنا أسامحها أمامك ؛ ولكني حقيقة تعقدت من النساء بسببها.. فإذا هذه التي وثقت بها وأحببتها من كل قلبي تتعرى لغيري .. فكنت مصدوما غير مصدق للخيانة ..إنما الصورة تقول صدّق يا سيف فصدقت .

أفكار

عند انتصاف الليل غادر سيف الدين منزل صديقه الجديد ؛ وربما الوحيد هذه الأيام ، وكانت المرة الأولى التي يدخل فيها بيت السيد إدريس ،

وركب سيارته عائدا لحي بهية حيث يسكن في قصره الذي بناه في منتصف الستينيات .. وبدا أنه ارتاح نفسيا لما أشرك إدريس في قضيته القديمة الجديدة .. وقد يكون كما أخبر أنه منذ ترك العمل في المصنع لم يسهر خارج البيت وهو في البلد أي إذا لم يكن مسافرا ..وكان يهمس لنفسه : هل السيد مراد يعرف أكثر مما قال لي عن تلك الصورة ؟! هل الحل عند مراد كما يقول إدريس ؟ هو الشخص المعروف في القصة أما رجل المقهى س فيبدو أن الوصول إليه من المستحيلات .. هل يتكلم مراد بعد هذا العمر وبعد موت نبيلة ؟ هل أسعى للقاء به ؟ مَن مِن زملاء الكلية كان الأقرب إليه ؟ كان مراد صديق الجميع .. هو كان مقرب لطلاب الحركة الماركسية .. لم يكن مبرزا في الحركة ؛ ولكنه كان يشارك في نشاطاتهم واحتفالاتهم ، وعرف بذلك .. وإن لم يكن رأسا بينهم ؛ لأنه كان مهووسا في مطاردة البنات .. وكما سمعت اتخذ الشيوعية وسيلة للغراميات ، وعدم وخز الضمير في العلاقات الإباحية الكاملة .. لم يكن نشاطه الحركي كبيرا ومؤثرا .. لم يكن يجاهر بأفكار ستالين ولينين وانجلز .. كانت فتاة تجاريه في هذا الموضوع ؛ لكنها لم تكن تحبه ، ولم تكن له الاحترام كانت تراه انتهازيا وشهوانيا صياد فتيات .. كانت سوزان ماركسية حتى النخاع كما يقال .. وكانت تحب العلاقات العاطفية ..وأعتقد أنها أقامت معه علاقات خاصة لا أدري ما اسم عائلتها .. حاولوا إقناعي بحركتهم .. ولما رأوا أني ابن أثرياء انصرفوا عني ولا يطيلون الحديث معي .. سأترك مهمة اللقاء بهم لإدريس .. وسيجد طريقة لسبر أغوارهم.

قبل الواحدة ليلا دخل القصر ، وأدخل السيارة موقفها الخاص ، ودخل الفيلا بمفتاحه ، ثم الحمام ، وذهب إلى المطبخ ، وأخرج بعض الفاكهة ، وعندئذ ظهرت الخادمة تعرض خدمتها ، فشكرها وطلب منها إبريق قهوة ، وغادر المطبخ إلى مكتبه وتمدد على أريكة ، وقال : هل تستحق نبيلة البحث في حقيقة الصورة ؟ إنها صورة دمرت حياتي وحبي .. وهل بعد عقود ثلاثة أستطيع الوصول للخائن ؟ لم لا تكون الصورة حقيقية فعلا كما هو ظاهر لنا ؟ كيف صورت وهي لا تذكر فعل ذلك ؟! لعلها تعرف ، ولم يكن لديها الشجاعة لتقول وتعترف .. هي تريد أن تقول إني مخطئ في تصديق أمر الصورة ، وأنها خائنة لفراش الزوجية .. رجل المقهى لماذا طلبت مني اللقاء به بعد كل هذه الأعوام ؟! كيف يصور الإنسان بدون علمه ؟ هذه صورة فوتوغرافية خاصة ، ليست صورة في شارع أو مكان كعرس أو حفل .. يقول إدريس : لابد أنها تعرضت للتخدير أو التنويم ، ثم صورت كما

تفعل إسرائيل في تجنيد العملاء العرب للعمل ضمن شبكات تتجسس على المناضلين العرب .. يستدرجون الهدف إلى مكان خاص ، ويخدر ويصور بأوضاع مزرية مخزية ..ويهدد بها للخضوع لهم .. ويدرك الشخص أنه تعرض للتخدير .. أما نبيلة فإنها لا تعترف بتعرضها للتخدير .. ولماذا صورت لها هذه الصورة ، ولم تظهر إلا بعد زواجنا ؟ هل سلمت نفسها لرجل قبلي وكنت أنا الغطاء لستر ذلك ؟ وتزوجت من غريب قريب والدها ، ولم يهتم بحادث طلاقنا أو أمر الصورة .. وصدقت فعلا وصار والدها المرحوم خالد وزيرا بعد زواجنا بشهور كما أخبرت .. كانت صادقة لم يكن زواجنا دجلا وكذبا .. لا مجال للندم أيها الإنسان .. آه يا نبيلة ! حتى بعد أن مت عدت لتعذبيني .. اضطررت لكتابة قصة زواجنا ليطلع عليها إدريس معترفا بأسرارنا لماذا لم أسع لمعرفة كيف كان التصوير والخداع كيف احتالوا للنيل منك ؟ أنا أرى أن الصورة صورت قبل زواجنا .. ربما فعلوها لابتزازك والنيل منك .. لقد كانت من فاتنات الكلية ، وإليك الكثير من العيون ترنو وتهفو .. كان عليّ أن أهتم بأمر الصورة أكثر من ردة الفعل والغضب .. لقد كنت أسمع عن خدع توريط البنات وجرهن لحفلات المجون .. ولم أهتم أو أقتنع بما يشاع .. حيرة حيرة .. هل أخذت الصورة رغم أنفها ودون علمها ؟ كيف كيف كان ذلك ؟ الغيرة هي التي دفعتني للفراق وعدم التهاون أنا اعتبرت ليلتها الصورة علامة دعارة وإباحية ، كانت تحبني حقيقة ، ورفضت الكل لتصل إليّ .. وكم كانت سعيدة لما اعترفت لها بالحب ؟ كانت تستمتع برسائل الحب التي أكتبها لها وتحتفظ بها ، وتكثر من قراءتها .. هل ظلمتك يا نبيلة بالطلاق ؟ ولكنها صورتك أنت .. وأنت اعترفت أن الصورة لك لم أحتمل فكرة أنها امرأة وغير عذراء ؛ لأنني اعتقدت ذلك ، وهي أوحت لي بذلك .. ودخولي الشرعي تأخر لليلة الثالثة ، وكانت عذراء بكرا كما يقولون .. لماذا أثّرت بي تلك الصورة القذرة ، وجعلتني أعتقد أنني ضحية خداع ؟ لقد مكر بي مراد بإيهامي أني مخدوع بفتاتي .. كنت أحمق ، وصدقت كل تلك الإيحاءات ؛ لأنها كانت ملاكا عندي .. فصدمت .. ولم أحسن التفكير ؛ وربما مهارتها في العلاقة الجنسية ، وخاصة بعد فشلي لليلتين بالدخول أوهمني أن لها تجربة .. وهي بررت ذلك بأنها قرأت عن ليلة الزفاف ، والحالة النفسية للزوجين تلك الليلة .. لم تهتم بكلام الفتيات والزوجات .. وهل أحد يقرأ عن ليلة الدخلة ؟ أليست الطبيعة البشرية الفطرة البشرية تمكن الإنسان من عمل ذلك ؟ لماذا

تريد نبيلة مني العودة للقاء رجل المقهى بعد كل هذه السنين الطوال ؟!هل تركت شيئا آخر عند أبنائها لي ؟

قام عن الأريكة يتمشى في غرفة المكتب المنزلي ، ودخل غرفة المكتبة المنزلية التي ينفذ إليها من مدخل المكتب .. فهما حجرتان جعل إحداهما مكتبة ، والأخرى مكتبا .. تناول البوم صور خاص بأيام الجامعة .. زملاء الكلية والجامعة ، صور داخل الجامعة .. مناسبات .. رحلات طلابية .. مهرجانات جامعية .. حفلات تخرج .. ندوات .. ذكريات كثيرة .. أخذ أول الأمر ينظر صور نبيلة حيث تعرف عليها في مطلع السنة الأولى وكيف فرح بأنها من سكان الحي ؟ ورأى صور بعض الفتيات اللواتي أعجب بهنّ كزملاء ، كالآنسة سوزان .. ثم خفتت الصداقة بسبب تعلقها بالحركة الشيوعية .. ورغم أنه لم يكن متدينا ، ويبتعد عن الزملاء المتدينين ، وينفر منهم ومن مناقشاتهم ، كان غير محب للإلحاد وإنكار الله .. حاول تذكر أسماء الزملاء في الكلية والجامعة عامة .. لم يكن يكتب على ظهر الصور الأسماء والتواريخ كما يفعل البعض .. بعضهم تذكر اسمه وأكثرهم نسيه .. وبعض الصور يتذكر مواقف معينه بينه وبينهم .. هو لم يكن من عشاق التصوير ؛ ولكنه كان يحرص على امتلاك الصور بشرائها ممن صورها أو طلب طباعتها من الهواة .

قال وهو يجلس على أريكة المكتب : عليّ الاتصال ببعض الأسماء ، سأجد عناوينهم أو أرقام هواتفهم لدى النقابة .. بيت كل المهندسين حسب الأنظمة .. فكل مهندس عليه أن يحصل على موافقة النقابة قبل مزاولة عمله .. وكل من يسدد اشتراكه يحق له التصويت في انتخابات النقابة والمنافسة .. وأعتقد لو دفعت لإدريس بعض الأسماء سيستطيع الحصول منهم على معلومات تفيد في معرفة تفاصيل المؤامرة .. فالرجل يكتب للمجلات والجرائد ، وله وسائل في التحري والاستقصاء ، لقد استطاع التحري عني ، ومعرفة نصف حياتي .. والرجل مجتهد كما ظهر لحتى الآن ، وهو صديق آخر العمر .. رجل فاضل ، وله ظروف كظروفي .. لم يتزوج بعد ترمله ، ولم يقدر له الإنجاب ، ويعيش وحده كما أعيش أنا .. وسأتعود عليه ، فهو رجل مثقف واجتماعي سأتخذه صديقا ، وقد قبل مساعدتي في الوصول لرجل المقهى .. وهل الشيطان مراد ما زال على قيد الحياة ؟ وهل سيعترف بدوره السيء في تدمير حياتي وحياة نبيلة بعد هذا السن ، وبعد موت نبيلة ؟.. أكيد علم بموتها إن لم يكن من زملائنا زملاء تلك الفترة فمن النقابة .. أيعقل أن يصل به الحقد علينا لتدمير زواجنا الصالح ؟ آه الحقد

عدو مرعب ! أليس إبليس يدمر الناس منذ بدء الخليقة منذ تم طرده من الرحمة الإلهية ؟ الحقد مرض أسود كان اللعين يشتهيها ، ويمني النفس من النيل منها ألم يتفوه بذلك دون حياء وأي احترام لي ؟ أهؤلاء كانوا يحلمون بحكم العالم والعالم العربي ؟ الحمد لله أن الشيوعية ماتت في بلادها قبل سنوات .. انهارت كلعبة (ليكو) مات الاتحاد السوفيتي الذي أكثر فتكا وخبثا في العالم ، ولقد لعب دورا كبيرا في نشر الفساد والدمار والإلحاد العالمي .. ماذا ستفعل ولو أضفت شيئا جديدا لحياتك ؟ لماذا أردت فتح صفحات الماضي ؟ ماذا سأجني ؟ المسامحة ساحتك يا نبيلة .. سمعت إدريس يقول : إن الرسالة فيها رسالة غامضة وشيئا غير مقابلة رجل المقهى .. ماذا فيها أيها الناس ؟ إنها تقول إنها ليست سبب تحريم الزواج على نفسي ، وترك التفكير بالذرية.. أنا يا نبيلة قمت بمسامحتك ويومذاك شككت بسوء سيرتك بمجرد رؤية تلك الصورة القذرة ، ولم يشفع لك حبنا الكبير نعم ، كنت مصدومة مثلي .. كنت تغادرين البيت وأنت تأملين أن أنادي عليك في اللحظة الأخيرة كما يحدث في القصص والأفلام .. لكنني قد اتخذت القرار وأنا عائد من المقهى ..كنت تتجرعين السم وأنا مثلك .. عروس تطلق في شهر العسل شهر الحياة الجميل .. شهر الأحلام كم أنا قاس ؟..

لماذا لم أصبر حتى أتيقن من الفساد ؟!

لما اتصل إدريس بمقر نقابة المهندسين استطاع أخذ عنوان المهندس مراد جميل بيسر وسهولة فعنوانه لم يكن سرا يجب إخفاءه .. وكان قبل ذلك قد راجع دليل الهاتف العام .. وحدد بعض الأرقام التي تحمل اسم مراد جميل ؛ لأن المهندس سيف لا يعرف الاسم الكامل لمراد ؛ فكان لابد من الاستعانة باستعلامات النقابة العامة للمهندسين في المدينة ، ووجد أن حضرة المهندس من الأشخاص المعروفين بالنقابة ، ومثل مجلس النقابة في القوائم اليسارية ، ومثله المهندسة سوزان خرزة.

تحدث متصلا ببيت المهندس مراد ، وردت عليه امرأة أخبرته أنه خارج البيت ، فوعدها بالحديث معه مرة أخرى .

كان الأمر سهلا وميسرا في الوصول للسيد مراد جميل ، وذلك أدهش سيف وقال: عجيب .. الحقيقة أنني لا أشارك في أي نشاط نقابي يا إدريس ! كنت في البداية أسدد اشتراكي الشهري بنفسي ؛ ثم بزملاء المصنع نيابة عني .. ومرات عن طريق حسابهم في البنك .. فالقانون كما تعلم يا صديقي يلزم المهندس الانتماء للنقابة لمزاولة المهنة داخل البلد ، ولا يلزمه الانتخاب والتصويت .. هذا أمر

تطوعي .. وأما جمعيات المهندسين المختلفة فيكون الاشتراك فيها اختياريا غير إلزامي ..كل نوع من فروع الهندسة له جمعية خاصة .. ولها فروع شائعة في المدن الكبيرة .. فلا اهتمام لديّ بنشاطات النقابة ، ولا الجمعيات ..كل خريج عليه الحصول على بطاقة نقابية وإلا لا يعتبر مهندسا رسميا .. كما هناك مجلس طبي ونقابة تصرح لهم بالعمل داخل البلد .. أمور تنظيمية .

قال إدريس : هناك نقابات مهنية الاشتراك فيها اختياريا ، ليس إجباريا .. والسيد مراد له نشاط نقابي وسياسي كما فهمت من ذلك الموظف .. ومثله زميلتك سوزان .

ـ نعم ، هما كانا ضمن الحركة الشيوعية النشطة في تلك الفترة من التاريخ .. وسوزان كانت أنشط منه في تنظيم الندوات والاحتجاجات وإبداء الرأي والنقد .. وبعد التخرج لم أعد أراه وعلمت أنه رحل بكفره للعمل في دول الخليج في شركات النفط .. أنا لم يكن لي أيام الجامعة أي نشاط سياسي أو اجتماعي ، كنت أميل للثقافة والفن أكثر .

ـ سمعتك تقول "عمل في الخليج" ربما كان هذا في زمن معين .

ـ صحيح ، فنحن لنا ثلاثون عاما متخرجون .. هل ستسعى لمقابلته؟

ـ لابد من مقابلته ؛ إنما المهم كيفية جعله يتحدث عن دوره في مقابلة ذلك الرجل .. فهو لن يعترف بسهولة عن أي شيء إذا كان له دور إجرامي في تصوير تلك الصورة .

قال سيف : نعم ، نعم، السيد مراد ماكر ، ومن أخبث الناس .. أنا لولا اهتمامه المبكر بنبيلة لم أهتم به هو مجرد اسم ورفيق جامعة ؛ لكن شغفه بها ، وشغفي بها جعلنا نهتم بأخبار بعض .. وفزت بها برضاها ورغبتها ، ولم أكن أهتم بنشاطه السياسي إلا بشكل عارض .. ولما حصل الطلاق لقيني وتظاهر أنه حزين لأجلي ؛ وزعم أنني تسرعت في الطلاق .. ولم أعر حزنه وشفقته اهتماما والحلول الأخرى ؛ بل لعلمي بهواه ناحيتها قلت مباركة عليك .

فرد بكل شهوانية ووقاحة : ليتها تقبل ، هي الوحيدة التي أعجبت بها ، ولم أظفر منها ولو بقبلة واحدة .. بعدها قلّ الحوار بيننا .. مجرد تحية باليد ، وتخرجنا ، ولم أفكر يوما أن أتصل به أو أهتم بسماع أخباره أو زيارته .. هو مجرد زميل كلية كالكثير غيره .. لم أكن منافسا له على قلب نبيلة .. أنا ملت إليها كما أخبرتك كما فعل هو أو غيرنا ؛ لأن الفتاة كانت ذات جمال أخاذ وفتنة للناظرين .. وهي جاءت للجامعة من بيئة منفتحة على الآخر .. فجلوسها معنا ومع الشباب أمر طبيعي بالنسبة

لها .. وليس كل من تعرفت أصبح فارس الأحلام ، وظل الصمت والنظرات بيننا حتى استطعت أن أصارحها بغرامي لها .. فوجدت أن لديها من الهوى مثل ما لديّ .. وكانت تنتظر هذه اللحظة الخطيرة من حياتنا .

ـ أفهم عليك ؛ وربما هو لم يحتك بك إلا بسبب غرامه بالبنت ، وظن أن بينكم أمر ؛ لترفض صداقته ومعاكسته .. هل حدثك عن الشيوعية ؟

ـ أول عهدي بالجامعة كان لي صداقة مع شاب اسمه أحمد ؛ ولكن صداقتنا توقفت بعد حين ربما من جانبي ، كان صديقا من نفس الشعبة .. كنا أصدقاء .. وكانت تجري بينه وبين مراد والشيوعيين والملحدين مناقشات حول الفكر الماركسي وانتصار الشيوعية في الحرب الثانية على النازية .. وهم يتناسون أن الرأسمالية شاركت في الحرب الثانية .. واكتسحت فرنسا وأفريقيا واليابان .. تعلم أنه كان هناك تضخيم للدور الروسي في القضاء على هتلر ، وتقسيم ألمانيا وأوروبا .. وكانت سوزان وغيرهم يدخلون في المناقشات ؛ ولكننا لم نقتنع بأفكارهم وأحلامهم سواء مراد أم سوزان أو حتى فواز شاب أكبر منا .. وكان رأس في الحركة اليسارية ويعدونه أحد الرموز في الإلحاد .. وبعد تخرجه اختفى من الجامعة خاصة في السنوات الأخيرة .. ولم أعد أسمع عنه كما كان أيام الجامعة في السنة الأولى والثانية .. آخر ما سمعت أنه غادر للاتحاد السوفيتي .. كان يشارك في تجنيدنا .. كان الشيوعيون في مطلع الخمسينيات والستينيات ذوي همة ونشاط في ساحات الجامعات والبلاد .. وغرر بكثير من الشباب للانضمام للحركة الشيوعية والأحزاب الشيوعية .

قال إدريس : سأسعى لزيارة لحي المهندس مراد ؛ ربما استطعت من جمع معلومات عنه .. وأنا أعرف عددا من الشيوعيين القدامى .. فعليّ أن أسمع أقوالهم في مراد جميل .. يظهر لي أن الرجل لم يكن مشهورا مبرزا خارج الجامعة وحتى داخل الحزب الشيوعي ، رغم نجاحه في بعض دورات النقابة كعضو كما فهمت من موظف النقابة .

ـ أنا أول مرة أسمع عن عضويته في المجلس النقابي ، وإذا حصل سيكون ذلك باسم الكتلة اليسارية .. والحزب الشيوعي أفشل حزب .. واليوم في التسعينيات ظهروا بكل وضوح أنهم أحزاب كرتونية صناعة روسية ، كانوا أدوات للمعسكر الشرقي.

ـ جمعتهم الشهوة للسلطة والشهوات للانحلال.. اليوم نحكم عليهم بدون تردد .. فقد كانوا سببا في تدمير الأمة .. كانوا دمارا كما رأينا في اليمن العربي حتى الاشتراكية التي زعموا أنها ستحقق

العدالة الاجتماعية والرفاهية للشعب العربي فشلت في تحقيق أحلام الفقراء حتى أوروبا كما وضح لنا لم تكن في سعادة ورفاهية وتقدم .. وجدت دول نامية مثلنا .. اعلم يا سيف ما أحببت الشيوعية يوما .. لست متعصبا للدين .. لا ، لا، لم استطع هضمها والتصديق بأحلامها وجنتها الأرضية .. كنت أستغرب من اعتناق بعض الشباب المثقف لأفكارهم وجنونهم .

وقال سيف : وأنا مثلك لم تستهويني فكرة الأحزاب والصراع الطبقي ، وكان يعتبرني البعض أرستقراطيا ابن أثرياء ابن الطبقة الرأسمالية ناهبة أموال الفقراء والعمال .. ثم حدث تعلقي بنبيلة فازددت ابتعادا عن مهاترات السياسة وشهوة الحكم .. وغالب الناس مثلي .

ـ هذا صحيح ، إن الفقراء ماذا سيجنون من الأحزاب ؟ وهمهم تأمين عيش العيال.. والأغنياء معهم المال .. فالاهتمام بالسياسة هو لتحقيق شهوة الوصول لكراسي الحكم والوزارات والجاه عامة .

ـ نعم ، فالغني يرفض الشيوعية ؛ لأنها ستأخذ ثروته وماله وممتلكاته باسم المساواة .. وكان سقوط الشيوعية في أوروبا مدويا .. وظهر أن عمليات الترميم والإصلاح عمليات واهية .. وكانت كثيرة وخفية ، ولم تصمد أمام تقدم التكنولوجيا .. ولم تقدم الشيوعية للعالم إلا القتل والفتك والظلم .. والتقدم لا يحتاج لأحزاب شيوعية سوفيتية ولا صينية .. الصين دولة كبرى يحكمها حزب شيوعي وصولي واقتصادها رأسمالي .. الأحزاب خلقت للحكم والإدارة .

قال إدريس : أنا كتبت عدة مقالات في جريدتنا الأسبوعية الشرق المضيء عن انهيار الشيوعية والسقوط الاشتراكي العالمي ، وزوال جدار برلين ، واختفاء الاتحاد السوفيتي ، وظهور الاتحاد الروسي .. النظام الرأسمالي نظام مرن ومتلون يستطيع أن يتمدد كالمطاط .. يعود للتاريخ والمرحلة الصناعية والشركات الكبرى والمناجم .. وهو غير مرتبط بعقيدة دينية .. والنظام الشيوعي الصارم جرب وفشل .. وهو فاشل من بدايته ؛ ولكن انتصاره على المعسكر النازي والفاشي رفعا من أسهمه أمام العالم وشعوبه .. ثم انهار كليا، لم يعد يجدي الترقيع .. والصين بلد زراعي في الأصل لم يكن بلد عمال ومصانع ، واستطاع المزواجة بين الزراعة والصناعة ، وترك ماركس ولينين .

ـ الإسلاميون يدندنون حول نظام اقتصادي خاص بهم .

ـ الإسلام لا يمكن أن يكون بديلا عن الرأسمالية في الوقت الحاضر بسبب الضعف العسكري والتشتت .. ويعتمد على مقياس الحلال والحرام في

المعاملات التجارية والصناعية .. فالنظام الرأسمالي محمي بنظام عسكري قوي .. والنظام الإسلامي مرن يتأقلم مع أي نظام .. لقد استطاع النظام المالي الإسلامي أن يجد له مقعدا دون الاحتياج للربا ، كما نرى في البنوك الإسلامية ، وتقبلت الشعوب الإسلامية ذلك .. الإسلام يراعي حقوق الفرد ، وحقوق الجماعة والمجتمع .. والتصنيع الإسلامي في بداية الدرب ، وصناعة النفط كبيرة وهامة في بلدان العالم الإسلامي .. وهو معدن مهم لكل الشعوب .. وهذا لا يحتاج لشيوعية ولا رأسمالية .

ـ اليوم يا صديقي النفط عصب الحياة والاقتصاد العالمي.

المقابلة

استطاع إدريس من دفاتره القديمة ـ دفاتر حفظ أرقام الهواتف ـ استخراج أرقام بعض الرجال وكتب أربعة أسماء ، وأرقامهم الهاتفية .. فهؤلاء الأربعة كانوا في الحركة الشيوعية العربية ، ومنهم اثنان كانوا يعملون ضمن كادر البلدية للمدينة ، وظلت علاقته بهم حتى بعد تقاعده ، ويصدفهم في شوارع المدينة وأحيائها.

اتصل بالسيد صبحي أحدهم ، فرحب وأبدى ترحابه باللقاء الخاص ، وحدد له صبحي المقهى المناسب ، واليوم المناسب ، ثم اتخذ موعدا مع الزميل الثاني ، ورحب الآخر باستقباله في بيته .. والرجلان الآخران لم يتيسر ردهما ، الأول منهما لم يرد هاتفه ، والثاني وجد فيه أسرة أخرى ؛ كأنه تنازل عن الرقم للساكنين الجدد ، وانتقل لحي آخر .

في البلاد عادة تسمى عادة السؤال عن أهل العريس والعروس ، وقد أشرت إليها سابقا ، وهي عندما يتقدم شاب لطلب يد فتاة مجهول من أهلها ، يأخذون عنوان سكنه أو مكان عمله ليسألوا عنه عن أخلاقه خدمة للفتاة ، وإبراء للذمة ، وأنهم فعلوا ما عليهم من واجب .. فيذهب والد الفتاة أو شقيقها أو قريبها للقيام بهذه المهمة الحساسة ، فيقابل بعض الجيران لبيت الطالب والخاطب ؛ لذلك عندما يسأل شخص عن شخص يقع في قلبه للوهلة الأولى أن الموضوع موضوع زواج .. وقد يكون السؤال أيضا عن أهل وعائلة الخطيبة ؛ لذلك لما جلس إدريس مع صبحي ، وانتهى العناق والترحيب والعتاب .. فهم لم يلتقوا من زمن .. ظن الرجل أن أحد أقارب مراد جميل أو أبنائه يريد خطبة فتاة قريبة لإدريس .. فهو يعلم أن إدريس بدون زوجة أرمل ، وبدون ذرية منذ عقود .. وإدريس يستعمل هذا الأسلوب الإيحائي للحصول على معلومات شخصية .. فبعد أن قدم للموضوع قال : أنا أحب أن أسالك

عن المهندس مراد وذريته ؛ لأني علمت أنه من رجال الحركة الشيوعية في الستينيات ، وهو من جيلي كما تعلم ؛ ولكني لم أصطدم به رغم اهتمامي بالحركات السياسية العربية .. قلت لابد أن أجد لدى حضرتك بعض المعرفة عنه .. فأنت الخبير باليساريين صغارهم وكبارهم .

قال صبحي : شكرا ! وكيف لا أعرفه يا رجل! أنت تهينني .. أنا أعرف كل شيوعي في المدينة وربما في المدن الأخرى حق المعرفة .. وأعرف مع أي جناح هو محسوب .. فالشيوعية أجنحة كما تعلم حسب مصدر الدعم والإمداد .. أنا في الحركة الشيوعية من أيام زمان ؛ لكن معرفتي بالزميل شخصيا محدودة .. هو مهندس كما قلت ، كانت بدايته في الستينيات فعلا ؛ وربما تعرف على الشيوعيين في الثانوية العامة .. كان طلاب أيام زمان يتحمسون للعمل الحزبي والحركي .. واشتد عوده أثناء الجامعة حيث كانت الحركات اليسارية واليمينية ذات قوة وحماس وصراع حاد .. وعرفته في اجتماعات الحزب الشيوعي ، لم يكن بالمميز ، كان يعمل ويوزع البيانات والنشرات من أيام الثانوية ؛ لكنه لم يكن ينافس على الصفوف الأولى .. كان مهتما بالنساء أكثر من الفكر والثورة الأممية العالمية .. ثم سافر في السبعينيات إلى الخليج العربي للعمل في قطاع النفط .. وهناك المال والرأسمالية ، وتخيل انتقال شاب من بيئة شيوعية إلى أكثر البيئات العربية محافظة تلك الزمان .. رحل من بيئة الكفر كما يقول عنا المشايخ الجهال إلى أرض الإيمان والثروات .. ولكنها لا تخلو من العلمانيين والشيوعيين .

ـ آ .. أعرف .. أهو ما زال في الحزب الشيوعي ؟

تريث لحظات وقال : بعدما عاد بعد عشرين سنة أصبح مجرد اسم .. وربما أصبح برجوازيا رأسماليا يا إدريس .

ـ هو ما زال يناضل عن الشيوعية .

ـ لم يعد يناضل ؛ إنما يتفاخر بذلك ؛ لأنه ترعرع ونفش على يد الأفكار الشيوعية ، وتلك المبادئ كيف سيدافع عن حق الفقراء والعمال وهو يعيش في الفلل والقصور والسيارات ؟! ما العلاقة بينكم ؟!

كان إدريس يتوقع مثل هذا السؤال في أي لحظة ، فرد دون تردد : ليست بيننا علاقة ؛ لكن أحد الأصدقاء لي سيكون بينهم شيء فأحب أن يتعرف عليه أكثر على أسرته .

ـ آ .. فهمت ؛ ربما تحدث مصاهرة .

ـ تقريبا .. فكلفني بمهمة التعرف عليه من قرب فلجأت إليك لمعرفة المزيد من المعلومات .

قال صبحي : قلت لك في أول الشباب حيث كان طالبا في الجامعة كان نشيطا إلى حد ما ، ثم في

النقابة التي تجمع مهندسين البلاد .. وفي منتصف السبعينات سافر للخليج فقل نشاطه الحركي .. ومع موت الشيوعية في أوروبا الشرقية وروسيا ضعفت علاقته بها .. أصبحت مجرد ذكريات .. وقلّ حماسنا جميعا .. نعيش على ذلك التاريخ ؛ بل أخذ البعض يصلي مع حمله تلك الأفكار .. وإذا تحب شيئا خاصا فأنا مستعد للمعاونة .

ـ هل قابلته من زمن حديث ؟

ـ لا ؛ ربما لي عشر سنوات لم أره .. إنما نسمع أخبار بعض عبر لقاءات عابرة ومناسبات اجتماعية أو شيوع خبر مثير أو لقاء في جنازة .. هو ترمل مثلك ، ثم تزوج ثانية .. وسمعت أنها كانت شيوعية مثله ، ولم تتزوج من قبل .. وهو اليوم يسكن في الحي البني.

ـ أنا معي هاتف منزله ، واتصلت بالبيت قبل أن أفطن لك ولم يكن موجودا .. فأنا كما تعلم أخاف من الأحزاب سواء كانت يمينية أم يسارية ، وجع راس واجتماعات وندوات وحلقات العب وحدك تيجي راضي .

قهقهة صبحي وقال : أنا أعرف شعاراتك الجبانة ..وأنا مستعد يا عم إدريس لترتيب لقاء لك معه

.. أنا حقا مستعد لذلك .

ـ إذا احتجت لذلك سأسعد برفقتك .. أفهم أنك لا تعلم شيئا مهما في حياة الرجل إلا أنه كان مفتونا بالنساء أكثر من الحزب والأفكار .

ـ نحن مع الوقت نستطيع فهم نفسية الشخص .. هل هو مقتنع بالأفكار أم مجرد ببغاء وله مأرب أخرى ؟ الأيام تكشف المستور .. فكثير ليست لديهم همة للعمل الحزبي .. إنما مجرد عضو وخامل أو لغايات خاصة كالتحرر من قيود العبادة والصوم والمساجد والتقاليد الدينية المعقدة وممارسة الزنا دون حرج وضغط ديني وضمير .. قل تمرد على الدين ، وذلك تلك الأيام العصيبة في تاريخ الأمة أو ردة فعل لسقوط فلسطين والإفلاس العربي .. انتشر زعم أن الدين سبب الهزائم والانتكاسات والنكبات .. وكذلك انتشار الإلحاد في العالم .. حلال حرام غض البصر زنا شذوذ لواط اختلاط كلمات كثيرة يتخلص منها الشيوعي .

ـ أنتم دعاة للإباحية .

ـ الحرية الكاملة للنساء ليست دعوة للإباحية .. لماذا يرتبط الشخص بواحد إلى الأبد التغيير مطلوب ؟

ـ أنت بعدك شيوعي ؟

ـ وسأموت على ذلك .

ـ الاتحاد السوفيتي مات

ـ سوف ينهض من جديد .. وبقوة أكثر من الأول

ـ لا أعتقد ذلك يا صبحي .. نحن تعلمنا أن من

يموت لا يرجع ولو كان حضارة !

بعد جولة للسيد إدريس على بعض عناصر شيوعية عرفها أثناء حياته ، رتب أحدهم لقاء خاصا للسيد إدريس مع المهندس مراد جميل ، ووجد أن الرجل يعمل شريكا في شركة تجارية كبرى ، وكان اللقاء في منزل المهندس مراد ، واستقبله على أنه صحفي في جريدة أسبوعية ، وقدم له بطاقة عمله في تلك الصحيفة ، وتبين لإدريس أن الرجل قد اطلع على بعضها أعدادها في غابر الأيام ، وزاد إدريس فقال: أنا صحفي حر .. أكتب لعدد من الصحف .. أكتب مقالات أقرأ كتبا وأعلق عليها .. أريد أن أكتب عن الماركسية في الستينيات .. عهد ازدهارها في العالم العربي .. وعن سبب سقوطها في أقل من مائة عام .. والناس كانت تنتظر وصولها للمرحلة الأخيرة من المراحل الشيوعية .. قدمت روسيا الشيوعية أعمالا كبيرة القنبلة الذرية بعد سنوات قليلة من قنبلة أمريكا .. الصواريخ البالستية العابرة للقارات .. الهبوط على القمر وغزو الفضاء كانت منافسة قوية للغرب وأمريكا بالذات .. وفجأة سقط جدار برلين ، وانهارت روسيا نفسها وقد علمت أنك رجل مثقف ، وإن لم تتبوأ مركزا كبيرا مميزا في الحزب الشيوعي العربي .. وفي فترة الستينات تبوأت مقعدا في نقابة المهندسين على قائمة اليساريين .. وأنا مهتم بشيوعية تلك الحقبة من الزمن .. عصر الستينيات ؛ لأنها كانت قوية بقوة الاتحاد السوفيتي .. فكانت قوية في العالم العربي والإفريقي والأمريكي الجنوبي والآسيوي .

انتقل الكلام لمراد فقال : هذه الفترة كان المد الشيوعي على وشك اكتساح العالم ، وكانت الأفكار اليسارية لها صدى في جميع بقاع الأرض .. حركات ثورية منتشرة في أمريكا اللاتينية ، عدا عن انتصار الثورة الكوبية كاسترو جيفارا الثائر الأرجنتيني العالمي .. ماو في الصين خروتشوف في روسيا .. ونحن شبان صغار كنا مبهورين بتلك الأسماء والثورات العالمية .. والأمة العربية تعيش في تخلف ورجعية وانقلابات غامضة حتى وقع في نفوسنا أن الدول كلها على وشك أن تتحول إلى اشتراكية وشيوعية .. فكنت ترى بعض أو الكثير من الأحزاب القومية تضيف كلمة اشتراكية لاسم الحزب مغازلة للاتحاد السوفيتي .. كانت الحرب الباردة على أشدها .. والصراع محتدم في الشرق الأوسط وأفريقيا وأمريكا الجنوبية

ـ نعم ، يا سيدي أنا أحب أن نتحدث عن تلك الفترة في بلادنا عن ذكرياتك تلك الأزمان .

ـ هل لديك أسئلة معينة أم أتكلم عن الشيوعية بشكل عام ؟

ـ تكلم عن نفسك ، كيف تأثرت بالفكر الشيوعي

؟ كيف كانت البدايات الأولى ؟ وأنا أسمع وأختزل ، ولما أعد المقال للنشر سأعرضه عليك لتعديل لتصحيح .. ولنرغب القارئ بالقراءة عليك أن تذكر قصصا وحكايات شخصية ، وأشياء خاصة ليجد القارئ بها شيئا جديدا ومثيرا على أن لا يكون عليك ضرر منها لشخصك وغيرك .. وقد علمنا مما سألناهم عن شخصك الكريم ورشحوك للحديث عن فترة الستينات ذكروا أنك صاحب مغامرات نسائية خاصة أيام الدراسة في الجامعة .. فكيف ترى بنات اليوم مثلا مع بنات ذلك العهد ؟ هذه ثلاثون سنة .. هل نجحت الحركات النسائية في تحرير امرأة من تقاليد المجتمعات العربية أم أخفقت أم بقيت على ما هي عليه من عدة عهود ؟ وبعضهم يقول إنهن عدن للوراء .. كان لابد من جمع بعض المعلومات عن شخصكم الكريم ؛ ليكون البحث والمقال مقبولا لدى قراء جريدتنا الأسبوعية كيف كانت الشيوعية في الوسط الجامعي كلية الهندسة حيث درست ؟ من كان يتقبل الفكر الإلحادي أكثر الشباب الشابات حتى أن بعضهم ذكر أنك تعرفت على ابنة وزير وابنة ضابط كبير ؟

تطلع مراد في عيني إدريس لثوانٍ وهتف : ما مصدر معلوماتك يا كابتن ؟

ـ زملاء لك في الحزب والجامعة .. وذكر اسم صبحي زميله في البلدية

ـ آ ! أعرف هذا الشاب ؛ لكنه لئيم ، وهو لم يدرس معي .

ـ هو سمع من رفاق لك ، واستمعت من غيره حتى أن أحدهم ذكر فشلك من تكوين صداقة عاطفية مع ابنة الوزير السيدة نبيلة خالد ، كان والدها مدير المستشفى التعليمي .. يبدو أنها قصة كبيرة من الجميل التحدث عنها للقارئ .

ـ تلك الأيام لم تكن ابنة وزير .. هذه المرأة لا يمكن نسيانها .. ولقد علمت أنها ماتت من زمن قريب من شهور أو سنة .

ـ ماتت !!

ـ نعم ، ماتت ابنة الوزير .. أما ابنة الضابط فكانت معنا في الكلية وهي فتاة ساقطة

ـ ساقطة يعني فاسدة .

ـ نعم ، صاحبتها فترة ، ولا تنسى أنني كنت في أول الشاب ، وفي أول عهد الاختلاط ، ثم وجدتها تصاحب خمسة غيري فتركتها لهم .. أما المهندسة نبيلة خالد فرفضتني كحبيب وإن كنا زملاء كلية واحدة .. ووالدها كان وزيرا حقا ؛ لكن كنا في آخر سنة للدراسة والفصل الأخير

ـ نعم ، اختارت السيد سيف وردة زميلكم .

قال بامتعاض ؛ كأنه يعيش تلك اللحظات : نعم ، سيف ابن التاجر بياع السكر كنا نطلق عليه ذلك

فاز علينا .. لقد أعدتني لتلك الأيام الجميلة .. كان والد هذا المهندس من كبار تجار البلد والمدينة .. وقد تزوجا أثناء الدراسة .. ولم يدم زواجهم ولم يعمر .. وحاولت التودد إليها من جديد ؛ لكنها أسأت إليّ ، واتهمتني بإفساد زواجها .. عجيب أمر الناس كيف يعرفون هذه الأمور؟!

ـ الأخبار تمشي ، وبعضها ينتقل من جيل لآخر .

ـ ليس لديّ مجال للمقارنة أنتم الصحفيون أقدر على حل ذلك ؛ لأنكم تلتقون بالأجيال القديمة مثلنا والأجيال الحديثة .. الشيوعية في فترة الستينيات كانت مهوى الشباب .. الشيوعية كانت حلم بسبب الدعاية الخلابة .. أنا عرفت الشيوعية في المدرسة الثانوية كنشاط كان خال لي شيوعيا .. كان يعطيني بيانات ونشرات مطبوعة لدسها للطلاب سرا ، ثم ضمني لخلية .. وأصبحت عضوا مهما فيها ، ثم التحقت بالجامعة ، وسريعا اتصلت بخلايا الطلاب الشيوعيين سواء في الكلية أو على مستوى الجامعة كلها ، ثم على عناصر داخل المدينة ..كان الأمن السري يتابع نشاطنا .. أحيانا يضيق علينا ، وأحيانا أخرى ؛ كأنه لا يرانا .. لم نكن نشكل خطرا تلك الفترة على النظام السياسي بعد .

وتحدث عن حياته في الحزب الشيوعي والعمل النقابي بعد إنها الدراسة ، ثم عاد للحديث عن علاقاته النسائية بذكاء من إدريس ، ثم ساقه من جديد للحديث عن علاقته بالمهندسة نبيلة وهل سعى لتجنيدها للحزب أم قصة غرام فقط ؟ ولماذا رفضته بعد طلاقها ؟ فذكر أنها فتاة متحررة ؛ ولكنها كغيرها من أبناء الأرستقراطيين تكره الشيوعية ، وتراها عدوا للأغنياء .. وهي كانت من سكان أهم أحياء تلك الطبقة في ذلك الزمن .. كانت غارقة في حب الأدب والروايات الرومانسية والغرامية .. ووقعت في غرام زميل مثلها من تلك الطبقة من شعبة غير شعبتنا الهندسية.

ـ ولكنه تزوجها في النهاية ، وطلقها قبل نهاية شهر العسل كما علمت من المهندسة سوزان حتى أنها ذكرت أن لك علاقة بطلاقها .. والقصة كما فهمت ظاهرة في الجامعة وبين الطلبة .

ـ أعرف تلك القصة ، فعلا تزوجت زميلنا سيفا كما تحدثنا ، ولم يكن لي يد في طلاقها ..كانت بعض الفتيات تكثر من عمل صداقات مع الشباب أكثر من بنات جنسها .. والزواج قليل بين الطلبة في تلك الحقبة من الزمن .. لأننا نكون في سن متقاربة .. وكانت فتيات تعمل صداقات مع بعض الشباب ، وتحدث قضايا أخلاقية مثل بنت الضابط التي حدثتك عنها .. كانت نبيلة لها صداقات كثيرة مع الجنسين .. لكن لم يسجل

عليها علاقة خاصة أو تورط في قضية أخلاقية واختارت سيفا كفارس أحلام ثم تفاجأنا بالخطبة والزواج ؛ لكنها كانت لعوبا ، وكان سيف متقوقعا على نفسه ؛ لعله عرف شيئا بعد الزواج ، فاضطر للانفصال .. وقد سمع مني بعض هذا الكلام ..لابد أنه وجد شيئا كبيرا ؛ ليطلق .. هو لم يفصح عن السبب ، وهي كذلك .. كانت النهاية مدهشة ومحيرة لجميع المعارف .. قد يكون عرف بعض عشاقها .. كانت فاتنة ، وتلبس ملابس مثيرة وعطور ثمينة.

ـ عشاق في شهر العسل !

ـ ممكن يا إدريس ! أنت تعرف جو الجامعات .. فهو جو الشهوات مع العلم .. وتأثر البنات بشعارات الحرية للمرأة والتجربة ، ورمي الأخلاق وراء الظهر .

ـ أنا درست تلك الفترة مثلكم .. التبرج موجود ؛ لكن كنت أرى الزي أكثر حشمة من اليوم.

ـ أكيد أكيد اليوم زادت الناس وزادت الأزياء .. والفاجرة لا يهمها الوقت .. نحن عجبنا لزواجهم .. وعجبنا لطلاقهم .. وهي اليوم في دار البعث كما يقول المشايخ .. نحن الشيوعيون كما تعلم لا نؤمن بالبعث ، والحياة بعد الموت .. هذا في الماضي .. اليوم بعد موت الشيوعية أخذنا نفكر بما يقوله هؤلاء الشيوخ .

قضى إدريس أكثر من ساعتين مع المهندس مراد بحديث عن الشيوعية وحياته في الحركة الشيوعية ، وأحيانا عن زملاء الجامعة ، ولما وصل البيت وجد المهندس سيف في انتظاره فمشيا لأحد مطاعم حي الشاعر، وتناولا العشاء ، وعادوا لمنزل سيف ، واشتغل إدريس بالصلاة ، واشتغل سيف بمشاهدة مكتبة إدريس المتواضعة .

ولما انتهى من صلاة العشاء صنع القهوة ، ووضع الفاكهة ، وقدم له ما كتبه عن اللقاء، فلما تصفحه قال : لم أفهم شيئا من هذه الورقة .. إنها عن الشيوعية!

ـ هذا هو غطاء الجلسة .. اعترف بمحاولة إقامة علاقة مع نبيلة وابنة ضابط ، ويصف نبيلة بصفات سيئة .. ولم يتكلم عن سبب الطلاق بينكم أي قصة الصورة ولا بكلمة .. إنها أنها خانت زوجها ..كيف دون تفصيل؟ لم يتوسع في الحديث عن غرامياته .. ولم يعترف بمحاولة الزواج منها بعد الطلاق .. وكان يتوسع بالحديث عن نشاطه الشيوعي .. فاضطر للصمت .. ذكرت اسمك أكثر من مرة ؛ ليتحدث عنك ، فلا يتوسع .. جعلت مصدريّ معلوماتي عنه من صبحي والسيدة سوزان التي لم أرها بعد .. ولما أكتب المقال المعد للنشر سأعرضه عليه .. فأنا أكتب عن الشيوعية في تلك الحقبة ، وليس عن زواج سيف

ونبيلة .

ـ أفهم رأيك ووجهة نظرك ..وهذا جيد !

كان إدريس يحدث صاحبه إيادا عن تطورات القضية ، والسعي للوصول إلى مصور الصورة السيئة أو لمن صورت ؟ .. وكيف احتالوا على تصويرها لابتزازها بها ؟

فقال إياد : إذن تعرفت على السيد مراد العاشق المطارد لها لآخر يوم في الجامعة .

ـ اضطررت أن أفتعل تحقيقا عن شيوعية الستينيات لعلي أصل للحقيقة والطريقة إلى تلك الصورة .. قابلت عددا من عناصر تلك الحركة ، وخلطت معلوماتهم مع معلومات سيف وقابلته .. هو يحب الحديث عن الماضي كغيره من الناس ؛ ولكنه كان حذرا من الدخول في تفاصيل علاقته مع بنات ذلك الوقت بسبب إنهن إما أمهات وزوجات أو ميتات ، لذلك لم يتطرق نهائيا لتلك الصورة التي دمرت حياة أسرة .. وهو أول من تحدث عنها لسيف فلا يمكن نسيانها .. ربما لو دام الزواج لانتهى أمر الصورة .. اعترف بإقامة علاقة بفتاة ابنة ضابط لم أعرف صفة الضابط رتبته ، ووجدها تصاحب خمسة غيره .. اعترف بمحاولة إقامة علاقة مع نبيلة قبل تعرفها على سيف ؛ ولكنها اختارتاه دون الجميع .. فهناك غيره حاول الصداقة معها كصداقة حب .. أما زمالة الجامعة فهم كثر .. معارفها كثيرون وأطلق عليها صفات تكاد تجعلها بغيا .. وأعتقد الحقد دافع الاتهام .. لم يتطرق بصراحة وجراءة لسبب فشل زواجها من سيف .. ولم أذكر أمرها له خشية أن يداخله الشك في هذه المقابلة في أهداف المقابلة

ـ هل عمل علاقة معها ؟

ـ نبيلة ! لا ، طاردها حتى التخرج ، حتى بعد طلاقها سعى إليها .. وأعتقد أنه هو الذي رتب أمر الصورة قبل وقت الزواج .. كان يدبر لتهديدها والنيل منها .. فهو الذي شجع سيف على الطلاق بصورة ذكية وحذرة ، بوصفها بالخائنة والغادرة له والمرأة اللعوب .. فتخيلها المسكين سيف بنت هوى وفتاة بارات وحانات أو مومسا، وأنه خدع من الزواج بها .

ـ وما العمل الآن ؟

ـ رغم أنها مهمة صعبة ، والفشل ظاهر ؛ لكنها مسلية يا إياد .. يوجد أمر أتسلى به .. ووافق رئيس تحرير الجريدة خلدون على عمل هذه المقابلات التاريخية للجريدة .. فهي فترة مهمة من تاريخ التحرر العربي والحركات العالمية .. وسأقابل بعض العناصر الأخرى ، وندندن حول قضية الصورة خدمة لسيف وخدمة للجريدة .. أستعد للقاء شيوعية مهمة في تلك الجامعة السيدة سوزان أشار إليها سيف والسيد صبحي .. فقد كانت

نشيطة ومهمة ، وما زالت ؛ كأني فهمت ذلك من صبحي .. ولما ذكرت اسمها أمام مراد أثنى عليها .. ولم يتوسع بالكلام عنها فليس من السهل أن يكشف الرجل غرامياته ، رغم أنه كان مشهورا بينهم بحب النساء والزنا وهو اليوم زوج وله أولاد وبنات .

قال إياد : ألا تريد تعريفي بصاحبك ؟

قال : سأفعل عندما يسمح لي بزيارة بيته ستكون رفيقي زاعما أني بحاجة لسيارتك ليلا .. وذلك عندما نتقدم خطوة إيجابية .. هو بدأ ينفتح عليّ .. وستكون بيننا يا إياد .

ناقش الصديقان الأفكار والحيل والأساليب المناسبة لإتمام التحقيق .. وقال في نهاية المجلس إياد وهو ينهض : تحتاج إلى بوليس سري لحل هذه المعضلة !

ضحك إدريس : حتى لو كان معنا بوليس سري ما استطاع الحل يا أخ إياد .. إلا أن نلتقي بالمصور نفسه .. ولكننا من خلال هذه اللقاءات البريئة قد نلتقي بالمصور أو المكلف له .. لم نحدد مكان التصوير .. أين صورت الفتاة ؟ لا يذكر سيف أي معرفة للمكان .. الخلفية صامتة والأرض مفروشة بنوع من السجاد الملصق بالأرض كالموكيت ..لا ديكورات في الصورة ولا كراسي .. والبنت لا تذكر موقع التصوير ؛ لأنها تنكر معرفتها بالموافقة على هذه الصورة .. فأعتقد أنها خدرت بطريقة شيطانية .. وحملت إلى حجرة مجردة ، وصورت عورتها وأعتقد أنها صورت أكثر من مشهد .. ولما أدت الصورة دورها اختفى أمر تلك الصور.

ـ أذكر أنهم أعطوه الفِلم!

ـ للخداع ؛ وليعتقد أنها صورة واحدة فقط .. وهم أعطوه قطعة من الفِلم الجزء الذي فيه الصورة .. لعبة ذكية مرسومة بفطنة وشجاعة .. هم صوروها للضغط عليها من أجل الدعارة ولكن زواجها أفسد الموضوع فافسدوا زواجها ببيع الصورة .. واستغلوا مرادا للقيام بجزء من الحيلة ، ونجحت الحيلة .. وتحقق مآربهم .. ونسوا أن هناك رجلا كان طامعا بها ، وقبل بها زوجة رغم وجود الصورة القبيحة الفاضحة .

ـ تقصد الدكتور غريب .

قال إدريس : نعم ، وليس من السهل أن يعترف مراد بشيء هذا الوقت ، وقد ماتت ، وصار أبا وربما جدا .. إن من المهم أن نعرف كيف خدعوا البنت ؟! ومن هم ؟! لغز كبير رغم وضوحه ولولا جهلها لهذه الصورة ما طلبت من زوجها بعد هجر ثلاثين سنة بعد طلاق أن يهتم برجل المقهى .. الشخص الذي باعه الصورة وقطعة من الفِلم ..وتتهمه بظلم نفسه قبل ظلمها .. وإنه تسرع في الطلاق ووصفها بالخيانة الزوجية .. أنا

عندي تصور للجريمة وهو أنها سقيت مخدرا أو منوما وصورت ، وطريقة تخديرها أو تنويمها مجهولة لها .. لو ذكرت شيئا لقالته لسيف أو لوالدها .. فابنتها التي كلفت بنقل الرسالة لسيف لابد أنها تعرف سبب الطلاق ، وكذلك الزوج غريب .. وصدق أن الفتاة لم تمارس الجنس مع أحد خارج اطار الزواج .. وهو خريج لندن ، وقد يكون متأثرا بعادات الإنجليز .. وسيف طلب مني عدم نشر القصة .. وقد أنشرها بتغيير الأسماء الحقيقية بأخرى .. ولكن إذا لم تحل قصة الصورة فلن تكون رواية ناجحة .. فكثير من النساء تطلق لأسباب تافهة للغاية .. إنك تذكر زميلنا منذر طلق زوجته ؛ لأنها طلبت منه أن لا يدخن أمامها وفي وجهها .. وعللت بأنها تتضايق من الدخان وكبر الشجار .

ـ نعم ، أذكر تلك المأساة ، ثم سجلت عليه طلقة ورجعت إليه.

ـ صحيح ، وآخر أعرفه طلق لرفض زوجته استقبال أمه ، ولم تكترث فطلقها ، والحكايات كثيرة

ـ قد يكون هناك أسباب خفية .. وتكون هذه القشة التي قصمت ظهر البعير .

ـ ربما تكون هناك تراكمات وترسبات .. لابد من معرفة المجرم .. للأسف حتى صديقنا الجديد سيف لم يهتم بالبائع كثيرا ولا يعرف اسمه.

قال إياد : يا صديقي لو سأله عن اسمه لأعطاه اسما مزيفا .

ـ أكيد .. ذاك راح عن بالي .. ما دامت لعبة ، لابد من التخفي قدر الإمكان .. الملاعين نجحوا لأنهم فهموا شخصية سيف ، وفهموا شخصية مراد .. وقد تكون لمراد علاقات معها بعد التخرج من الجامعة والانتماء للنقابة .. قد يكونون التقوا ؛ فلذلك ركزت على رجل المقهى .. فسيف لا يعرف عنها شيئا بعد الانفصال إلا أشياء عامة بحكم المجاورة في حي بهية ، وصداقاتها الهامشية لبعض أفراد أسرته .. الرسالة هي التي أعادت الأشجان.

ـ ولماذا ستقابل سوزان ؟

ـ كانت شيوعية مثل مراد ، ولها علاقة معه ومع نبيلة كطالبة وكعضو في النقابة والجمعيات .. وهي متقدمة في الحزب على مراد كما فهمت من صبحي .. أما سيف فهو زميل كلية فحسب ولا يعرف عنها الكثير كما أخبر سوى أنها كانت نشطة في الكلية والجامعة أنشط من مراد حركيا.

ـ وهل ستعرف قصة الصورة مفصلة ؟!

ـ القصة شاعت فترة في الكلية بعد الطلاق ، ثم خفت الحديث عنها .. وستكون موضوعا لحلقة من الشيوعية في الستينيات ؛ ولعلنا نسمع منها

شيئا عن تلك الصورة ولو عرضا .

بعد مضي ثلاثة أيام على لقائه بمراد اتصل به ليلا ؛ لأنه علم منه أنه لا يسهر في المقاهي بعد العودة من مكتبه في الشركة ، وأنه يتفرغ لأهل البيت ، والحديث معهم ، اتصل إدريس بعد العاشرة ليلا وذكر بنفسه ، فقال مراد : أهلا بك عرفت صوتك .. هل جهز المقال ؟

ـ تقريبا جهز .. وقد قابلت المهندس سيف الدين وردة شخصيا ، وهو من سكان حي بهية .. حي كان له عز ومجد في سالف الأيام .. وخاصة الستينيات .. وهو ابن نفس دفعتكم الجامعية ولكنه بعيد عن السياسة والانتخابات .. وهو كما تعلم زوج تلك الفتاة التي أخذت من وقت حديثنا .. وذكرت أنها طلقت بعد تزوجها بأيام .. حاولت معرفة سبب الطلاق السريع .. وعلمت أنها نكحت طبيبا من العائلة.

قال مراد : صحيح ! ولم تكن لسيف اهتمامات في السياسة والأحزاب .. كان والدها قد أصبح وزيرا للصحة .. ولكن الرجل لم تطل وزارته ، فقد تعرض لحادث مروري أودى بحياته في مؤتمر طبي في أوروبا ما زلت أذكر هذا .. قابلته أثناء عمله كمدير لمستشفى الجامعة التعليمي

ـ الدكتور خالد أسعد .

ـ نعم ، ماذا قال الرجل عن طلاقه لزميلتنا نبيلة خالد ؟!

ـ وجدته شخصا مترددا وانعزاليا ..وبعد محاولات قال : أنا أحببت الفتاة منذ رأيتها في الكلية وبعد سنتين دراسة اعترفت بحبي لها ، وقبلتني دون سائر المطاردين .. قال : كانت محترمة ولها أصدقاء كثر من الجنسين ، ومن عدد من الكليات .. وكنا من العائلات الميسورة الغنية في نظر الطلاب .. وكلانا كان بعيدا عن السياسة والأحزاب ؛ ولكني بعد زواجنا بأيام تفاجأت بصورة عارية لها عارية جدا ، ولم تستطع تبرير حدوث تلك الصورة .. وكان الانفصال بدون شوشرة وزعم أنك تعرف بموضوع الصورة ، وأنها سبب طلاقه ، وأنك أحد المغرمين بها منذ التقيتم في الجامعة ، وأنها رفضت صداقتك وصداقة غيرك.. وقال : إنه ابتاع الصورة من أحد معارفك هل هذه الحكاية صحيحة ؟

تنهد مراد بصوت بدا واضحا لإدريس .. وقال : أهذا خرج من فم سيف ؟!

ـ نعم ، يا سيدي قلت له عن اللقاء بك ، واستغربت من قصة الزواج والطلاق السريع ، فكان الفضول وراء هذا اللقاء حتى أنه قال: لو كانت معي الصورة لأريتك إياها ، ولم يتزوج بسبب هذه الحادث لليوم .

ـ فعلا يا أستاذ إدريس إن الرجل طلق زوجته التي

أحبها سنوات الجامعة بسبب تلك الصورة السخيفة .. أنا لم أر الصورة ، وإنما حدثت عنها .. وأحببت نقل الأمر إليه ؛ ليتأكد .. ولم أرغب بأن يكون طرطورا ومغفلا عن قبح فتاته .. سأكشف لك سرا ما دمت تعمل في الصحافة والتحقيقات .. لقد تحدثت مع مديرك وتأكدت من تعاونك معه وعمل تحقيقات لصحيفته الأسبوعية وتوقع باسم مستعار الفتى نصار .. وإنك تقوم بتحريات متباعدة له .. وأخبرني أنك تكتب للصحف اليومية .

ـ شكرا ، أنا لم أخف عنك شيئا يا مهندس مراد .. واهتمامي بفترة الستينات لأنني ابن تلك الفترة مثلك .. وشاهدت الصراع الحاد والصارخ بين الحركات اليسارية واليمينية والقومية ، ولاحظت قوة الحركة الشيوعية في تلك الفترة .. وكتبت عن الرموز الكبيرة ودورها في أحداث ذلك العهد .. وسأكتب عن أربع شخصيات شيوعية عاشت ذلك الوقت.. وسأكتب عن أمور شخصية لأثير القارئ نحو هذه المقالات .. وسأقابل أربعة أسماء من التيار الإسلامي .. ونحقق في أمور خاصة حتى لا يكون التحقيق فكريا جامدا .. فهذا معروف للمثقف .. أما القصص والمواقف فهي غير موجودة .. والمقابلات تكشف مثل هذه القصص العابرة

ـ نعم ، تلك الفترة كانت بمثابة العصر الذهبي للفكر الشيوعي .. وصراعه ضد الإمبريالية والاستعمار والاستعباد ..كانت الشيوعية نجم العالم ومثيرة للشباب ولحماسهم .. وكانت تقام الدول على أفكار ماركس ولينين ، كما في كوبا كاسترو وماو في الصين وحرب فيتنام وكوريا الشمالية والمعارك الكبيرة في أمريكا اللاتينية .. وكان جيفارا

ـ لا أحد ينكر الزخم اليساري ، وهو يجتاح العالم تلك الفترة ..وانتشرت الأحزاب الشيوعية في العالم العربي والإسلامي بشكل واضح وقوي .. وكان الشباب الطلابي يندفع بقوة للانضمام لتلك الحركات الشيوعية .. فقراءة تلك الفترة أمر مثير في نظري وبالمقارنة مع اليوم فعلا كان ذلك العقد عقدا تاريخيا بالنسبة لكم .. نعود عن معلوماتك عن تلك الصورة التي تسببت بطلاق نبيلة في شهر عسلها.

ـ آ! الصورة صدق يا فتى نصار أنا لم أر الصورة بعيناي ، حدثت عنها ، وتضايقت من خداعهم لزميلنا البليد المسكين ، فلم يكن أمامي إلا أن أهتم بالموضوع ، وأتحدث للرجل عنها ، ودللته على مكان يلتقي به بمندوب أو وكيل المصور ، وذهب فعلا وقابل الرجل ، وابتاع منه تلك الصورة السخيفة .. أنا لا أدري لماذا تقبل فتاة أن تتصور

وهي مجردة من الثياب ؟! حقيقة كنا نسمع عن مغامرات وحفلات نسائية في الجامعة لا تكاد تصدق يا رجل لكن الأنثى إذا فجرت ماذا يهمها بأن تتعرى للمصور وغيره ؟ كانت الإباحية تعصف في الشعوب تلك الفترة التي بدأت بعد الحرب الثانية ؛ لكثرة النساء والأرامل .. كانت بين الطلبة جمعيات سرية تشجع الزنا والفاحشة .. كان هناك من يسعى لنشر الدعارة بين المثقفين والطلبة.. والنساء جنود لذلك ؛ وربما تلك إحدى الجمعيات اصطادت نبيلة قبل زواجها وتصويرها للضغط عليها من أجل الدعارة ومن أجل أنها ابنة مدير المستشفى التعليمي .. هذه الصور هذه الغاية المهمة منها .. ولما وقع الزواج سعوا إلى إفشاله بعرض الصورة على سيف .. وكان الطلاق غيرة ؛ ولكنها فور طلاقها أخذت تستعد لزواج جديد وتخرج .. وصار الوالد وزيرا فتركوها .. هكذا أتصور .. وكانوا يعلمون بحكم السنين محاولتي إقامة صداقة وعلاقة حب معها .. ولما سمع سيف خبر الصورة مني صدق ؛ لأنه رآني خصما له في حبها .. فوقع في قلبه أنني نلت منها قبل أن يصبحا صديقين .. و أنا أعترف أني نفذت رغبتهم غيرة وكرها للسيد ..لا أحد يحب الخيبة والفشل .. والجامعات العربية تتأثر بما يحدث في جامعات أوروبا المتحررة .. وعندنا من يدفع للإباحية والتحلل باسم الحرية وحق الإنسان أنا تلك الأيام حدثته عنها بقسوة ودون شفقة فقد اعتبرته فائزا عليّ أمام الطلاب والطالبات كنت آمل في النهاية أن أكون صديقها الوحيد .. لقد فتنت بها من أول ما رأيتها .. وتفاجأت بسرعة ردة فعل سيف وطلاقه لها مع الحب الكبير الذي شاع بينهم في مرافق الجامعة .. وأخبر الناس صحة قصة الصورة مبررا طلاقه .. ولم تقبلني الفتاة بعد طلاقها ، واعتبرتني سبب هذا الطلاق .. ثم خطبت قريبا لها ، وبعد التخرج تزوجته .. وهو سيد كبير في وزارة الصحة العامة .. ووالدها عين وزيرا قبل زواجها الثاني .. وهي قد رحلت عن الدنيا منذ عهد قريب .. فقد نقل بعض أصدقاء تلك الفترة هذا الخبر .

ـ نعم ، أخبر المهندس سيف بموتها بمرض السرطان .. تحدثت أنت عن عصابات أو جمعيات سرية تعمل على إفساد الشباب وابتزازهم بتصويرهم عراة ليعملوا في دور البغاء .

ـ هذا صحيح ؛ وربما هذه العصابات السيئة الذكر ما زالت موجودة وبثوب جديد .. اليوم الآت التصوير تتطورت .. واليوم صور متحركة أفلام

ـ هذا موضوع شيق ؛ ربما أهتم به .. ربما أستعين بك لمزيد من المعلومات لمعرفة كيفية القيام بهذا العمل خاصة قديما ومن يقوم به ؟

ـ المال المال أيها الإنسان .. عندما يدفع لمصور مائة دينار مائتان أكثر في ذلك الوقت كيف يرفض كيف يرفض؟!

***

وضع إدريس السماعة ، وقد شكر المهندس مرادا على هذا اللقاء الهاتفي المطول ، وقد استطاع الاحتيال وجره للحديث عن موضوع الصورة ، وقال لنفسه : هل هو صادق ببراءته من تصوير الصورة السخيفة كما يصفها ؟ هل حقا هو مجرد رسول بين العصابة وسيف الدين حاكم ؟!

جهز المقال الذي سينشره في جريدة قريبه الشرق المضيء كما رتب معه ؛ ليكون الموضوع صحفيا وليس أمرا خاصا .. وتكوّن المقال من صفحتين(إي فور) ، وصوره وعرض النسخة على مراد ولما اطلع عليها مراد وافق على نشرها بدون أي إضافة وأي تعديل ، وقال وهو يودع إدريس : متى ستنشر هذا في الجريدة ؟

ـ هذا يعود لرئيس التحرير .. وقد يضيف ملاحظات .. يختصره ، يقدمه على حلقة واحدة أو أكثر .. وعندما ينشر سأقدم لك نسخة مجانية من الجريدة .

ـ أريد عددا من النسخ .

ـ لا بأس ، سيكون لديك خمس نسخ مجانا .. ربما أستعين بذاكرتك عندما أقابل بعض الأشخاص .

ـ أنا مستعد لذلك .. فالذكريات جميلة بحلوها ومرها ، فكيف إذا نشرت؟! أعلمت جديدا في قصة الصورة ؟

ـ أنا تعجبت يوم لقائنا من قصة الطلاق السريع ، ولم تشرح لي التفصيل ، فسعيت للقاء المهندس سيف عن طريق عنوانه في النقابة وموافقته على اللقاء .. فشل قصة حب كبيرة كما حدثتني مثير لشهوة الصحفي .. نحن نسمع عن طلاقات سريعة ؛ ولكنها قليلة بصورة عامة وقع في قلبي أن الصورة مزيفة خداع تصوير ؛ ولكن الرجل أكد نسبة الصورة إليها .. وخطر في باله التركيب والخداع الفني كما يستخدم في الأفلام .. وقال : إن الصورة التي رآها لم تكن مزيفة ، ولم يعد يملكها دفع بها إلى والد الفتاة عندما تناقش معه حول الطلاق .. والفتاة أنكرت وبقوة أنها تصورتها بعقلها وفكرها ، ولا تعرف الخدعة والحيلة التي تعرضت لها لتصور تلك الصورة .. وتمسك السيد بالفراق وإنهاء العلاقة الزوجية .. وأنا تفاجأت من كلامك عن جمعيات سرية للدعارة والإغواء .. وهو لم يسمع بمثل تلك الجمعيات ، واعتبر الموضوع انتهى ، وتعقد للأبد من ناحية النساء .. وما زال بدون زواج .. وأكد لي أن زوجته أو مطلقته لم تر تلك الصورة إلا تلك الليلة ..

وصدمت منها .. والرجل الذي قابله في مقهى الكوكب الذهبي في مركز مدينتنا لم يره من قبل ، واعتقد أنه متخفي بلحية وشارب مزيفين .. ويرى أنه أحد طلاب الجامعة.

ـ أعرف مقهى الكوكب ؛ وربما دخلته مرتين ..كان المقهى المفضل لنا تلك الأيام مقهى الثورة العربية في شارع الأمواج .

قال إدريس : نعم ، أعرفه هو في طرف المدينة .. هو مقهى الشيوعيين كما يحب أن يسميه الخصوم

ـ نعم ، بل والمحبون ..كان أحد مقاهي الحركة اليسارية والماركسية .. كان فيه أمجاد الحزب واعتقالات الشباب من الأمن السري والقلم السياسي .

حك دقنه وسأل : هل تعرف ذاك الرجل الذي باع الصورة لسيف؟

ـ أنا لم أعرفه ، ولم أره ، ولا أدري هل هو أحد الطلاب كما تقول على لسان سيف ؟ كان الحديث عن الصورة عبر تلفون في نادي الكلية استدعيت لمكالمة .. والرجل يعرف قصة هواي ، ومطاردتي لنبيلة ، وطلب مني فعل ذلك ، وغامرت وفعلت أو قل نقلت الطلب .. وحصل ما أشتهي ؛ ولكنني لم أفز بقلبها؛ بل زاد حقدها عليّ .. وكانت كلما تتلاقى عيوننا تبصق إلى الأرض .. وتكرر ذلك .. وسيف انقطع كل شيء بيننا .. وقد يكون أحد الطلاب فعل ذلك واستغلوا فشلي نحوها ..

من ستقابل بعد نشر هذا المقال؟

ـ رئيس التحرير له خطة ، تتلخص بأنه يريد النشر بعد اكتمال جميع المقابلات ، مع أربع أو خمس يساريين ، ومثلهم قوميون وإسلاميون ، وأنا اقترحت نشر هذا المقال؛ لتشجيع الآخرين على التعاون والتحدث عن ذكرياتهم ، وسبب التحاقهم بتلك الأحزاب .

قال مراد مستحسنا الاقتراح : هذا هو الأفضل ؛ بذلك تقضي على التردد .. من ستقابل بعدي؟

ـ هناك فتاة اسمها سوزان عرجنا على ذكرها أثناء الحديث معك .. وهي من الناشطات حركيا تلك الأيام .. وقيل إنها ما زالت تدافع بقوة عن الماركسية رغم موتها في روسيا .. وقد رتبت أموري الفنية معها .. وأنا أجمع معلومات عنها وعن نشاطها .

ـ صديقة قوية ونشيطة .. أعرفها جيدا ، وعملت تحت رعايتها في الجامعة ، وقد صعدت قوتها خارج القطر في فترة من الزمن ؛ وربما زارت موسكو للمشاركة في نشاطات عالمية.. وإذا احتجت أي شيء عنها فسوف أجيب .

ـ أقدر لك هذا التعاون ، وهذه الشجاعة .. فأنت فتحت قصة عصابة التصوير .. فأنا أبحث عن عضو عمل في تلك العصابة الرهيبة.. فهي قصة

مشوقة كقصة طلاق سيف ؛ لعلك تتذكر أحدا من أسماء أولئك.

ـ وإذا تذكرت سوف أفيدك .. أنت كيف تختار شخصياتك ؟

ـ قلت لك إن رفاقا لك هم رشحوك للحديث عن تلك الفترة ، ومنهم الأخ صبحي وهو زميلي أيام الوظيفة.

ـ أنت تقاعدت من صحة البلدية .

ـ نعم ، وأنا أكتب للصحف والصحافة منذ زمن بعيد .. والتاريخ والمذكرات تستهويني كثيرا مع أنها تحتاج لجهد ومال .. وأجرة المقال ليست كبيرة ، وكذلك أشغل نفسي ، لا زوجة ولا أولاد .. قد يذكر لي محرر في صحيفة يومية أو أسبوعية أو شهرية اسم كتاب فأطلع عليه وأقدم عرضا عنه لتلك الجهة ، أو أنا أعجب بكتاب نزل الأسواق فأقرأه وأقدمه لأحد الصحف مقابل أجرة زهيدة يا حضرة المهندس ؛ ربما تغطي مصاريف التنقل والطباعة .. والكتاب قد يقدم من الجريدة أو من المكتبة العامة لعلاقات خاصة معهم تسلية.

ـ هواية جيدة ، تحرك العقل وتنشطه .. وهي أحسن بكثير من الجلوس للعب الورق والنوم والتلفزيون .

ـ أحسنت! وإذا لقطت حكاية مثيرة أهتم بها كموضوع الصورة ، وكموضوع الجمعيات السرية التي أشرت لها .. ولما أجمع معلومات عنها سأتابع الموضوع إلى اللقاء أيها الصديق .

ـ حياك الله .. أنا في خدمتك ، وخدمة المذكرات والتاريخ .

قبلت السيدة سوزان مقابلة إدريس لبن ، وقدم لها المقالة التي كتبها عن مقابلته المهندس مراد زميلها في الحركة الشيوعية العربية ، وذلك خلال عقد الستينيات ، وذكر لها اسم صبحي زميله في العمل وترشيحها لهذا اللقاء ، وكان اللقاء يجري في صالة بيتها ، وبحضور زوجها عماد ، ثم استأذن عماد لما فهم الموضوع ، وخرج من الغرفة، فقال إدريس : أهو على نفس الفكر؟

ابتسمت وقالت : عماد شيوعي عريق ؛ ولكن الشيوعية ضعفت ، واهتزت على مستوى العالم وأصبحت ذكريات لدينا يا أستاذ إدريس .. وأنت لماذا مهتم في الأمر ؟

تحدث حديثا مطولا عن اهتمامه التاريخي في فكر الستينيات ، وإنه كتب عشرات المقالات عن الأحزاب والأفكار ، وعن رؤوس وقيادات تلك الأحزاب والمسميات .. وفي هذه الجولة سيكتب عن رجال كانوا قريبين من القيادة أو الصف الثاني كما يقال .. وقد بدأ الحوار مع المهندس مراد ، ثم عرج من خلال التوضيح إلى الحديث عن قصة الطالبة نبيلة خالد ابنة المدير الأعلى للمستشفى

التعليمي ، وابنة الوزير .. وقصة طلاقها السريع .. واضطر لمقابلة المهندس سيف وردة لاستيضاح الأسباب .. وكانت قصة الصورة ، ودور السيد مراد في ذلك الطلاق ثم ذكر الجمعيات السرية لتشجيع الإباحية والدعارة بين الطلبة .. وذكر لها أن المهندس سيفا من سكان حي بهية ، وكذلك المرحومة نبيلة ، وكال المديح لذلك الحي في الزمن الماضي .

وقالت : ومن لا يعرفه يا سيد إدريس ؟! هو كان جزءا من حي العرب

ـ صدقت .. وأنشأته السيدة بهية أو شيدت فيه قصرا عظيما ما زال يتربع فيه .. وتتابع الأثرياء ببناء قصورهم فيه حتى أصبح حيا مستقلا عن حي العرب .

ـ أنا زميلة لنبيلة ، وأعرف حكاية صداقتها لسيف وطلاقها .. تحدث مراد عن تلك الصورة .

قال : نعم ، تحدث عن الطلاق .. وسيف وضح سبب الطلاق السريع .. واعترف مراد بأن دوره مخبر لسيف بوجود تلك الصورة فحسب .. وذكر أن هناك جمعيات تشجع الزنا والإباحية .. عصابة من الطلبة والمصورين تقوم على تصوير صورة فاضحة للبنات وابتزازهنّ في الفجور والغواية

قالت : نعم ، كان هذا بيننا للأسف .. الفتاة التي لم يستطيعوا استدراجها برغبتها للسهرات والحفلات والمجون خاصة إذا كانت جميلة ومثيرة، يسعون لتصويرها في حالات مريبة وماجنة لتهديدها بتلك الصور.

قال : لكنه لم يذكر أسماء ، ولو اسما واحدا .. فقد شدني أمر هذه الجمعيات ، وهو يعتقد أنها ما زالت تعمل ؛ لكن بثوب جديد.

ـ لا أعتقد هذا .. البنات اليوم أكثر انفلاتا وطلبا للموضة والسفور .. كانت البنت أيامنا صورة في الجامعة ، وصورة أخرى خارج الجامعة .. اليوم العري مباح فلا حاجة للصور .. فأي مومس تقدم جسدها للتصوير .. المهم أن تأخذ المال .. وهناك دور دعارة مرخصة أو شبه مرخصة باسم النوادي الليلة والملاهي .. فلماذا الجمعيات اليوم يا عزيزي .. أصبحنا نرى أفلاما ليس صورا فحسب .

ـ هو ربما يقصد ذلك.

قالت : في رأيي ومشاهداتي أننا لم نعد لمثل هذه الجمعيات لممارسة الجنس الأبيض أو الرقيق الأبيض .. أغلب الدول تسمح بالدعارة سواء علنا أو سرا خاصة في البلدان الإسلامية .. كان التصوير والعري مصدر دخل تلك الأيام ؛ فربما تباع مجموعة صور عارية بمبلغ مهم سواء للفتاة أو المصور المحترف .. اليوم تشتري مجلة جنسية بدولار واحد .

ـ أتعرفين الخطة التي صوروا بها تلك المهندسة وقد

كانت صديقتك كما فهمت ؟

ـ أنا لم أكن صديقة شخصية لتلك الجميلة يا إدريس تلك الفترة فيها بعد تصاحبنا ؛ أنا أختلط بالطلاب من جميع الكليات للتنظير الحزبي وأعرف الشباب المهووس بالنساء في ذلك الزمن وسمح ذلك لي أن أطلع على أسرارهم فبعضهم يعتبر حزبنا إباحيا ، ويدعو للإباحية الجنسية

قال : مراد المهندس أثار رغبتي في معرفة المزيد عن تلك الجمعيات ، وكذلك ثمن الصور الباهض .

قالت: الصورة كانت مهمة في تلك الفترة للإيقاع بالفتيات اللواتي يخشين الفضيحة والعار .. كان ذلك مرعبا في تلك الفترة من بلداننا .. فبعض أو ربما أكثر المصورين أصحاب محلات التصوير يرفضون فعل تلك الصور خوفا من الشرطة أو من أهل تلك الفتاة ؛ فلذلك من يغامر يطلب أكثر .. قل ثمن المخاطرة .

قال : كيف كانوا يخدعون الفتيات وهن بنات جامعات ؟!

ـ عندما ننتهي من موضوعنا الرئيسي سأحدثك بكيف هذا ؟

ـ جميل ! فالمهندس مراد لا يعرف وإلا صارحني .. اقرئي ما ذكره مراد .

نادت زوجها الذي أقبل يحمل الشاي وقالت لي : تحدث مع المهندس عماد .. فهو أيضا مهندس وهو قريب لي .. أنا تزوجت من عهد قريب .. كان متزوجا ، ثم تركته زوجته من سنوات .. وتزوجنا .. أنا سأدخل المكتب وأقرأ المقال .

غادرت الصالة وتحدث إدريس عن نشاطه الصحفي ، وهواياته الصحفية منذ ثلاثة عقود وأنه يكتب في جريدة الشرق المضيء .

ولما عادت سوزان قالت : قرأتها ، إنها تجمع بين الأدب والتاريخ .

ـ سنتحدث عن كيف اهتممت بالحركة الشيوعية رغم صغر سنك؟ طالبة انتقلت من المدرسة إلى الجامعة .. وكيف قابل الوالدان اهتمامك الفكري المعادي لطبيعة المجتمع العربي المجتمع المتدين الأمي الجاهل ؟

قالت : كان هذا الفكر معروفا في العائلة ، لم يكن والدي شيوعيا ولا أمي .. لكن أحد أعمامي حمل الفكر اليساري العالمي .. عندما درس في القاهرة مصر .. والديّ لم يكونا متدينين ، لم نكن نعرف صلاة صوم في البيت .. أبي يحتسي الخمر ومثله أمي بعد زواجها منه كما تقول .. وفي مثل هكذا جو فلم يُهتم بما نحمل من أفكار .. فهي أفكار موجودة في محيط العائلة منذ كنت طفلة وطالبة .. التحقت في الجامعة مطلع الستينيات ، وأصبحت عضوة في الحزب الشيوعي المحلي خضعت لدروس في الإلحاد والبيان الشيوعي الأول .. وتعرفت سريعا

على نشطاء الحزب في الكلية والكليات الأخرى والمدينة .. وكان لنا تلك الفترة نشاطات قوية ومقنعة .. وكنا متفائلين لآخر درجة .. وكنا نرى أن الدول ستتحول لشيوعية قبل نهاية العقد .. تعرفت على مراد وغيره .. وكان المهندس مجرد شيوعي ملحد ؛ لكن نشاطه ضعيف بين الطلبة .. كان همه الأول الجنس والنساء .. كنا نلتقي معه من أجل الفكر فقط .. وبحكم الحياة في ذلك الوسط كنت أسمع عن مغامراته ومغامرات غيره .. لا أنكر أن عناصر كانت تدخل الحزب ليست مشبعة بأفكار الحركة العالمية ، كانت تحقق لها رغبات شهوانية دون مساءلة وحساب ، ودون تعب ضمير .. وهذا من الجنسين يقع .. فالحرية الجنسية موجودة في الفكر الشيوعي ، لا شيء عندنا اسمه العفة أو البكارة كما في بلادنا العربية ؛ لأن الشيوعية في مرحلتها الأخيرة هي المشاعية في كل شيء ، وعلى رأسها الحياة الجنسية .

ـ سمعت أن هذا الأمر حدث في روسيا الستالينية ثم توقف .

ـ بسبب الأمراض الجنسية .. وهذا النشاط الجنسي والعلاقات أمر شخصي .. لا أستطيع أن أنكر وجود ذلك بين الأعضاء الصغار والكبار .. ولكن الهدف الكبير للشيوعية العالمية تحقيق العدالة الاجتماعية لكل شعوب الأرض ، وإنهاء الرأسمالية والطبقية .

تحدثت عن حياتها الشيوعية خلال سنوات الجامعة ، وعن نشاطها وحماسها للثورة العالمية للقضاء على الإمبريالية ، وانتقلت للحديث عن نشاطها القوي في نقابة المهندسين ، وإنها من القلائل اللواتي فازت بالعضوية النقابية في أكثر من دورة ، واعترفت بأن الإسلاميين كانوا يحاربون بشدة في العمل النقابي ، وأن لديهم فكرا عفنا .

ولما انتصف الليل قال إدريس : سألخص الكلام كما فعلت في مذكرة مراد ، وأعرضها على حضرتك ، فالذي ترينه غير صالح للنشر تضعين عليها خطا أحمر ، وما يحتاج لتعديل نعدله ، سأنصرف تأخر بنا الوقت ؛ لكن ليتك تحدثينني عن عصابات التصوير ؛ لعلي أجد في البحث بعد انتهاء مهمتي في المقابلات ، فأهتم به واجعله موضوعي القادم.

ـ حسنا يا إدريس نحن بدون ذرية إذا أحببت المبيت عندنا فالبيت يسعك !

ـ أنا هذا موعدي في النوم منتصف الليل .. لكن حتى لا أعود مرة أخرى أسمع أم تحبين أن نجعله لجلسة أخرى .

ـ هذا يرجع لك.

ـ أنا أحب الآن ؛ لأني في المرة القادمة سأقدم لك

ما سينشر .

قالت : الحكاية باختصار قد كان في الكلية أو بين طالبات الجامعة فتيات ذات جمال وفتنة ، ولا يسمحن بالتصور عراة ..ولابد أن محاولات جرت معهن ، ولسن شريفات بمعنى لا يصاحبن إنما هنّ يركضن وراء الغرام والهيام والرسائل والكاسيت .. وأولئك وراء الدعارة .

ـ أفهم عليك وما تقصدين ؟

ـ نعم ، فهؤلاء الفتيات يدعون لحفلة عيد ميلاد مناسبة مختلقة ، ويذهبن لشقة الحفلة للمرح واللهو .. وهناك يطعمن أو يسقين المخدر من خلال الخمر أو العصير .. ثم ينقلن لمكان التصوير داخل غرفة معدة في الشقة ؛ بحيث عندما تعرض الصورة عليهن فيما بعد يعتقدن أن التصوير كان في مكان آخر ، وليس في الشقة .. ثم تتعرض الأنثى للابتزاز والتهديد لبيع جسدها ؛ وربما تصور الفتاة عارية وفوقها رجل لا يظهر وجهه لمزيد من الضغط والتهديد .. ثم تعاد الفتاة بعد التقاط الصور إلى شقة الحفلة .. ولا تعرف أنها صورت عندما نامت .. تفسر أنها أكثرت من الأكل والشراب وأن الصداع بسبب الشرب والتعاطي والرقص والغناء وبعد حين وأشهر تعرض عليها الصور فلا تتذكر كيف صورت ؟ لأنها تكون حضرت أكثر من حفلة بعد تلك الحفلة الخاصة

ـ نعم ، ذلك ربما ما حصل مع السيدة نبيلة خالد

ـ بالتأكيد ، وهم لم يستفيدوا من تصويرها لحدوث الزواج ، فاضطروا لعرضها على سيف لتطلق طمعا بإخضاعها. .. انتهت الحلقة ٢

حكايات الحي أبو خروف

زواج في الصحراء

الحلقة ٢ والأخيرة

سرقة

اتصل السيد محمود قبل الظهيرة بمكتب السيد المحامي عصام أبي رياض فوجد في انتظاره مفاجأة أزعجته وأربكته ، قال المحامي : مرحباً بالحاج الصديق أبي حسن هذه قضيتكم كبرت

– لم أفهم ؟!

– أنا يا سيدي لما تركتني اتصلت بمدير الشرطة ، وطلبت مقابلة قصيرة معه لمساعدتي في قضية نادر ، وتوصية منه ستسهل الأمور يا سيدي .. فرحب بذلك ، وأعطاني موعدا ، وكان أمس ، ولما تقابلنا في مكتبه لخمس دقائق سمح لي بها شرحت القصة باختصار .. فتبسم وقال : هل تعلم أن هذا الشاب تبحث عن الشرطة ؟.. فشرطة مدينة الحسام ـ أقرب مدينة تابعة لها تلك القرى ـ تبحث عنه ، فقد عدد من الغنم التي يرعاها ، وتسبب اختفاؤه بمشاجرة كبيرة أدت إلى قتل رجل ، وآخر ما زال في غيبوبة

فأنهى محمود الاتصال قائلا : هذا الكلام لا ينفع على التلفون سأكون عندك بإذن الله قريبا وعند الظهر دخل السيد إلى مكتب المحامي في قلب المدينة ، وبعد شرب القهوة وأكل الشوكولاتة التي يقدمها المحامي لضيوفه .. تابع المحامي الشرح الذي انقطع بإغلاق الهاتف قبل وقت يسير ، فقال: طلب مدير الشرطة العام الحديث مع مدير شرطة مدينة الحسام المهتمة بالقضية ، وفهم منه تفصيل الحكاية وقال يبدو أن أحدا استغل غيابه ، وسرق بعض الأغنام ليتهم بها ، وأنه ذهب لبيعها .. ما دام الرجل جاء باحثا عن أهله وأقاربه بعد معرفته بزواج أمه من مدني .. وهو بريء من السرقة والاتهام ، وقال تغير مسار القضية .. وعدت لمكتبي هذا ، وتحدثت مع مدير شرطة الحسام ، فوجدت أن المدير العام نقل له المعلومات ، ورحب بي وقال مسرورا : نحن بحاجة إليك ، فلنا أيام نبحث عن الشاب المختفي من القرية ، ومن المرعى .. ولخص لي القضية كما جاء في التحقيق الجنائي قال : هذه القرى لا تدخل إليها الشرطة إلا في القضايا الكبرى .. فهي قرى متخلفة ، ويرفضون التحديث والتطور ، فهم بعيدون عن المدن ويعشقون الصحراء والوديان الصحراوية.

وبعد صمت للحظات قال المحامي : القضية يا أبا حسن أن هذا الشاب اختفى من القرية وكأنه لا يعلم بذهابه للمدينة إلا شقيقه وخالته .. هؤلاء القرويون عندهم موسم لبيع الأغنام والإبل والدواب الأخرى مثل البغال الخيل الحمير الثيران .. فيجتمعون في مكان معروف لهم وللتجار تجار اللحوم والخراف لهم موسم لمدة أسبوع في الصيف وأسبوع آخر الشتاء فأصحاب هذه الأنعام يرتبون أمرهم إلى رعاتهم لموافاتهم بها عند الموسم .. فلما ذهب جلال بأغنامه وأغنام شقيقه للسوق وجد أصحابها أنها ناقصة عشرين رأس .. وقال الضابط : في هذه الفترة يكثر سراق الغنم ليبيعوها بسرعة ، وبأي سعر ، ويأخذها الجزارون والتجار بسعر بخس ولصعوبة ردها .. فاتهموا الشاب وشقيقه المختفي ببيعها لتجار الحلال .. حتى أبناء أصحاب الغنم قال يسرقون بعضها خفية عن الرعاة للذهاب بها يكسبون إلى المدينة للمتعة والكيف .. اعترف جلال بذهاب شقيقه للمدينة لحاجة خاصة ، ونفى أن يكون سرقها ، وأنه ذهب لزيارة أقاربه وأكدت خالته هذا المقصد .. فاتهموا زوجها ندمان أنه استغل الفرصة وسرقها ؛ وليثير الشبهة على الشباب أو تآمر معهم ظانّين أن الأمر لا يكشف ، ولما سأل ندمان المرأة أين أرسلت الولد فقالت له: ذهب يبحث عن أقاربه وأهل أبيه ، فغضب وسخط وانهال عليها ضربا ورفسا

وشتما حتى فقدت الوعي واضطروا لنقلها للمستشفى ، وكما فهمت من الشرطة أنها كانت متزوجة قبل أن تتزوج زوجها ندمان ، ولما علم ابنها من زوجها الأول بما أصابها جاء من قريته وتشاجر مع ندمان وطعنه بالخنجر فمات على الفور ، والشرطة تبحث عن نادر لسماع أقواله.. هذه هي القصة يا أبا حسن

– وهل يعقل يا أبا رياض أن يكون هذا الولد سارقا لتلك الرؤوس من الغنم ؟!

– هيئته طيبة ؛ ولكن الحاجة للمال ليصل إلى هنا إلى المدينة

– معه مال من أجرة الرعي مالا مدخرا ، فهو يعرف مدينة الحسام وتحدث عنها ويذهب إليها لشراء الثياب والتفرج على المدينة ، وله في السنة سخلتان يأكلهما يبيعهما ، وله أن يشرب من اللبن .. هذا تكلم به عندما سألته عن حياته وماله، وله بيت والده وأمه في القرية

قال السيد المحامي : الراجح أن السارق هو المقتول زوج خالته .. على كل حال الشرطة كلفتني بالحديث معك ولنقوم بزيارة لشرطة الحسام ومعنا السيد نادر .. والخالة بين الحياة والموت وهذا سيؤخر سماعنا لشهادتها في هذه القضية ، ويعيق اللقاء بها .. فكلامها مهم في زواج تحسين من أختها غزية

– متى سنذهب لمقابلة الشرطة ؟

– ما رأيك غداً صباحا ؟

– سأدبر سائقا لهذه الرحلة الشاقة

– وليكن شابا يا أبا حسن

– على بركة الله.

لما رجع أبو حسن للحي ميل للمحل ، فوجد نادرا مع ولده والعمال ، فنهض نادر محييا ومصافحا للرجل، وقال وهو يلمح استفهاما في وجه الرجل: علمت من الأستاذ العم حسين أنك مشيت للمحامي هل جد جديد ؟

حدق محمود في عيني الشاب وقال لنفسه وهو ينظر إليه : رغم قسوة البيئة التي عاش فيها هذا الشاب؛ فإنه سليم الفطرة طيب .. هل هذا سارق خرفان ؟ ثم رد على نادر بسؤال ليأخذ مزيدا من الفكر : هل أفطرت يا نادر ؟

– نعم ، المدير العم أبو موسى لم يقصر معي ، ويهتم بي أكثر من اللازم .. أرى في وجهك كلاما يا سيدي الكريم ، ماذا قال السيد المحامي ؟ وإن نحن عشنا في الصحراء فعاشرنا السواقين والتجار .. ففي الصحراء تباع الخراف واللحوم

قال السيد متأملا عبارات نادر :كنت عند المحامي .. وأعلمني أن خالتك روية في المستشفى وحالها صعب للغاية .. لقد ضربها زوجها حتى فقدت الوعي .. وهي بين الحياة والموت

قال بأسف وحزن : خالتي مريضة ! لا حول ولا قوة إلا بالله .. إن هذا مؤلم .. زوجها سيء .. وهذه ليست أول مرة يمد يده عليها ..كدت مرة أن أصفعه غيظا .. لولا تحذير الخالة .. هذا ما قاله المحامي لك .. وهل كلامه صحيح ؟

– نعم ، علمه من الشرطة ..والشرطة تبحث عنك .. وأنت متهم بسرقة خراف لمن ترعى لهم فقد فقدوا عشرين نعجة

– أنا سرقت من أعمل عندهم ! هذا كذب هذا كذب !! بل أنا لي عندهم عشرون رأسا يريدون السطو عليها وأخذها والاحتيال .. هذا زعم ندمان اللعين

– ندمان مات ! بل قتل

صاح الشاب ثانية : قتل !! كيف؟!

– قتله ابن خالتك من زوجها القديم

– نعم ، لخالتي ابن من زوجها الأول .. بالله عليك أن تقص الخبر بالتفصيل

قص محمود قصة المحامي عصام ، وقال الشاب بعد سماع القصة : أنا ما هربت .. خالتي تعلم بنزولي المدينة ، وكذلك جلال ، ولم أسرق حلالا ، وإنما تركته عند جلال .. وسرقة الحلال شائعة في القرى ، خاصة عندما يقرب موسم البيع .. وخالتي أعطتني خمسة دنانير للمساعدة في البحث عن أهل أبي .. خالتي تريد خروجنا من الصحراء .. فهي عاجزة عن تزويجنا من بنات القبيلة حسب رغبة أختها أمنا ؛لأن أبانا ليس من القبيلة .. وموسم البيع مكان لاجتماع خلق كثير من القرى والتجار والسواقين .. وتستمر السوق من سبع ليال إلى عشر ، ثم نعود المراعي بما تبقى من حلال .. وخالتي أكبر من أمي تزوجت في قرية أخرى ، ولما ولدت ابنها نزارا طلقها زوجها ، فعادت للقرية ، ولما ترمل ندمان على ثلاثة أطفال طلبها من أبيها وتزوجها ولدت له ، ومات وليدها ، ولما ماتت أمي احتضنتنا كأبناء حرمت منهم ، ولما أخذ ندمان يضايقنا ويبتز مالنا ، وسرق منا خمسة رؤوس حلال وباعها ، وكشف أمره للقبيلة وهو أصلا معروف مكشوف بسرقة الغنم ،والعمل مع عصابات التهريب تهريبا ودلالة ، كشفت الخالة أمره لنا ، ثم صارحتنا بقصة أختها أمنا .. القصة التي تعرفونها .. وأنا مستعد للذهاب للشرطة وتبرئة نفسي والدفاع عن نفسي

قال السيد بعد سكوت : وهذا ما سنفعله غداً صباحا باكرا .. أبا سالم جهز لنا سيارة قوية تنقلنا مع حضرة المحامي لمقابلة مدير شرطة الحسام .. وزيارة ـ إن شاء المولى سبحانه وتعالى ـ خالة نادر

سالت الدموع على خدي نادر رغم أنفه فقال الجد: أنت بريء يا نادر .. هناك شخص استغل غيابك عن القرية وسرق الغنمات ، فهو يعرف

أنك في المدينة ، ولم يعرف أنك تبحث عن أهلك وعشيرتك .. ظنك في رحلة واستجمام ـ والله اعلم ـ أن لزوج خالتك يد في موضوع السرقة ؛ لأن الشبهة استدارت عليه ، وغضب على خالتك ، واتهمها بأنها فشت عليه دفاعا عنك ، وسبب لها الأذى ، وهو لقي جزاءه ..والوضع خطير كما قال المحامي .. ورجال الشرطة هذه الأيام في تلك القرى حتى تحل مشكلة القتل والدم بين أفراد القبيلة.. وربما نستطيع تخليصكم وإخراجكم من تلك القبيلة .. لا تبكي يا ولدي .. أنا دافعت عنك بقوة لدى المحامي

– أنا أبكي على ما بخالتي بسببي

– لا بد لك يا ولدي .. واجبك أن تسعى وتتعرف على أهل أبيك .. الظالم هو ندمان .. اصبر الصبر يتبعه الفرج والفرح .. وستظهر الشرطة الحق ، وتقوم بواجبها ، ويعرفون الجاني والجناة

– إنك طيب وجواد يا سيدي!

شرطة الحسام

استقبل ضابط شرطة الحسام المحامي عصاما ورفقاءه ، وطلب لهم مائدة طعام لما علم أنهم خرجوا مبكرين من العاصمة ،خرجوا مبكرين لبعد المسافة ؛وليكسبوا الوقت وضعف حركة السيارات على الشوارع في فترة بكور النهار ، ولما رأوا إصرار المقدم مدير الشرطة على إفطارهم تناولوا الطعام في نادي الضباط ، ثم ساقهم المساعد الذي شاركهم الفطور إلى مكتب المدير قص الشاب نادر قصة سفره للمدينة ، وتكلم أبو حسن عن الجهود التي فعلها لإثبات النسب وقال الضابط: تكلم معي مدير الشرطة العام في هذه القصة أنت تركت القرية باحثا عن أهل أبيك.

أجاب نادر : نعم ، وتركت الغنم مع شريكي في الرعي أخي جلال ، وأخذت ما أملك من مال وخالتي المضروبة أعطتني خمسة دنانير ، وخرجت دون إعلام زوجها الذي لم نكن نحبه ولكن لأن الخالة رعتنا بعد موت أمنا ـ ولم تنجب من زوجها الأخير ـ قبلنا البقاء عندها رغم كبرنا وكنا ننام أثناء عودتنا للقرية في بيتها ، وأحيانا في بيت أمنا ، ولم يكن الرجل طيبا معها ولا معنا ولضرورة الحياة كان عليها أن تصبر ، وكانت تعتبر أولاده أولادها ، ورعتهم حق الرعاية

– على كل قصتك أصدق من قصة أولئك ، وقد يكون ندمان زوج الخالة هو السارق فعلا للغنمات العشرين ، وسنعرف هذا من الشخص الذي ابتاعها ، فقد عرفنا اسمه وسيتم القبض عليه ، وتنتهي قصة السارق ، وما زالت سيارات الشرطة والعسكر تنتشر في المنطقة والقرى حتى يتصالح القوم على دم ندمان ..وأما خالتك فهي تتلقى العناية في المستشفى .. وجلال موقوف على ذمة

التحقيق ..وسنطلب أصحاب الغنم لنتفاهم معهم ، فهم يعتقدون أنك بعت الخراف وهربت للمدينة ، وتركت شقيقك ليغطي عليك ؛ لأنه لم يسرق من أغنامه شيئا ، وأنهم رفضوا تزويجك ابنتهم من سنوات

فقال المحامي : المريضة لا مجال لسماع شهادتها في زواج والد نادر من أختها الميتة لنقوم بإجراءات النسب القانوني

قال الضابط : لم تنطق بكلام واضح منذ دخلت المستشفى .. تتكلم أثناء النوم بكلام غير مفهوم وسنسمح لكم بزيارتها والكلام عندها ..ربما إذا سمعت نادرا ، ورأته تفوهت .. وأنت باشر بالإجراءات المناسبة .. فتستطيع بأمر قانوني سماع شهادة عدد من شهود واقعة الزواج الذين عاصروا الزواج ذلك الزمان ، وسماع عجائز أدركن ذلك الزواج .. فهؤلاء ببعض التذكير وبسلطة القانون يتكلمون .. وبذكر السيد نادر بعض أسماء كبار القرية من الشيوخ والعجائز سيسهل الأمر .. وسنتكلم مع الشيخ العقاد أو ابنه إن كان ميتا .. هؤلاء كتاب العقود يرثون بعضهم بعضا ..وزواج كهذا يذكره إن كان حيا .. فهم يتناكحون من بعضهم البعض .. فالزيجات الغريبة قليلة جداً بينهم.. لذلك فهم ليسوا بحاجة لأوراق هم يرفضون المدارس بينهم .. يتعلمون الكتابة في الجيش .. من ذهب للتجنيد يضطر لمحو أميته وهم قليل

قال الحاج محمود : بارك الله جهودكم ..أنا حريص على عودة أحفادي إلى عرين العائلة ، ولابد سيدي من فعل اللازم حتى لا ينازعهم أحد في حقوقهم العائلية ، ويشكك في نسبهم مع الزمن والدهم لم يترك مالا يتنازعون عليه كان مسكينا ..ما يحصله ينفقه على نفسه

– هكذا الأصول يا ابن الأصول والمحامي عصام رجل معروف وقانوني مشهور.. والبنت المتزوجة كيف ستعملون نحوها ؟

– ليس أمامنا بعد تأكيد النسب ومعرفة الحقيقة إلا أن نخيرها بين البقاء مع أهل الصحراء أو البقاء مع أهل أبيها .. وأنا على استعداد إلى رعاية زوجها إذا أحب الرحيل للمدينة ولا أراه يقبل.. وبما أنه متزوج قبل زواجه منها سنعرض عليه بعض المال ويحصل الطلاق .. هي تزوجت من عهد قريب ..ولم يعلم شقيقها بحدوث حمل

– أنا قابلت زوجها أثناء التحقيق .. نحن اعتقدنا في البداية كما هم اتهموا أن السيد نادرا هو السارق .. وجلال أنكر بيعه للغنم ، ولم نجد معه شيئا يدينه ، وظننا أنه بقوله إن أخاه ذهب المدينة لغرض آخر يتهرب من الحقيقة .. والأمر اختلف لما شهرت غاية نادر من الاختفاء ، فهو الآن لا علاقة

له بسرقة الأغنام .. والآن نعرف أنه ذهب لشريك أبيه والشرطة وأخذ عنوان الجد من دائرة الشرطة .. فهذا غير مجرى التحقيق والاتهام .. فهو بعيد عن حادث السرقة .. فنادر لم يكن هناك أصلا .. نحن لا نتدخل في مشاكل ونزاعات أهل الصحراء إلا إذا تطور الأمر لقتل ومعارك بالسلاح .. فهم يحلون مشاكلهم بأنفسهم أو بمساعدة الجيش المعسكر في تلك الصحاري .. فلشيوخهم الكبار الكلمة الفصل في حل قضاياهم .. فهم يتشاجرون يتنازعون ويتصالحون دون قضاء وشرطة .. وتمتد قبائلهم حتى الحدود مع الدول الأخرى .. ويستعين رجال العصابات بزعرانهم وهملهم في التهريب والدلالة على الطرق في تلك الصحارى الشاسعة .. ومن يقبض عليه يقضي جل عمره سجينا ..لا يرحم المقبوض عليه ولكن تلعب الشفاعات والعفو العام دورها في التخفيف عنه ..والقليل منهم يعمل في الدولة وفي الشرطة لا أحد إلا في المكافحة كإدلاء ومرشدين لفترة أو لمهمة

أخبر الضابط المحامي أنهم سيبقون السيد نادرا لديهم لإكمال التحقيق ولحمايته ، ووعده الضابط بأخذه وشقيقه المحتجز لديهم بسيارة الشرطة لزيارة خالتهم ، وشجعه السيد محمود على الثبات والصبر ، وأن المحامي سيتابع القضية ، وسيقوم بإجراء المطلوب نحوهم وتقديم دعوة لدى المحاكم المختصة ، ومنحه مائة دينار ، ورفض كعادته في البداية ومع إلحاح وضغط الحاج وضعها في محفظته مقبلا ليد السيد شاكرا ، وجاء جلال للتعرف عليهم ، وكان مرتبكا ولما عرفه نادر عليهم عانقهم .. وقال كأنه معتذر : عرف الناس باختفائك بسبب قرب افتتاح

الموسم ، وبدأ التجار يتوافدون على السوق قبل بدايته .. أدركت أن الغنم الخاصة بك قد نقصت .. فأخبرت أصحابها على الفور.. وذكرت لهم أنك من أيام نزلت المدينة لقضاء حاجات خاصة .. فاتهموني بالتواطؤ معك والخيانة والطمع ..وأنك بعتها سرا .. وكبر الحدث عندما قالت الخالة : إنك ذهبت لزيارة أقاربك في العاصمة ودافعت عنك الخالة بقوة ، وذكرت الناس بسرقة قديمة ، فاتجهت الأنظار لندمان ، فغضب وضرب الخالة وأنها تحبنا أكثر منه ، وتحيزت لنا ، وكان الاعتداء شديدا أفقدها الوعي ، وحملت للمستشفى في المدينة ، وسمع أهل القرى بهذا الإيذاء ، فاشتد غضب نزار ابنها على زوجها ، وجاء يناقشه الأمر ، مما زاد غضبه عليه ، وطعنه بخنجره فسقط ميتا ، وصرنا خونا في نظر القرية والعشيرة وقام البحث عنك

ودع المحامي والجد الشباب ، وناشد الضابط أن

يهتم بهم ويحميهم من أي غدر ، وكان محمود يقول للمحامي وهم في طريقهم للمستشفى لمحاولة سماع المريضة : تعقدت الأمور يا حضرة المحامي

– توكل على الله يا أبا حسن ، قد يكون هذا الضرر لصالح الأولاد ، وتنكشف الأسرار أثناء التحقيقات .. وهذا في رأيي لمصلحة الأولاد .. فإذا ثبتت السرقة على ندمان كما يتوقع ويرجح الضابط .. لقد سآرني الرجل أن ندمان قضى في السجن بضعة شهور قبل زواجه من خالة الأولاد بقضية سرقة .. فظهور نادر صحح مسار القضية فقد استغل غيابه كما رأيت .. وأعلمني الضابط أن الشرطة تبحث عن رفيق لندمان مختفي .. فبراءة نادر وجلال ثابتة ؛ لكن الشرطة تفعل هذا الحبس لإيهام اللصوص أنهم الحرامية وسيقدمون للمحكمة .. وشريكه معروف مثله في قضايا تهريب .. والمبتاع تبحث عن المباحث الجنائية وسيقع.. مجرد وقت يا حاج محمود ..فأولئك المشترون إما أن يتخلصوا من المسروق بسرعة البرق أو يتمهلون حتى تخف حملة الشرطة .. وعادة يعمل رعاة معهم مقابل مبلغ .. والراعي في القفار لا يهتم أنها ملك للذي أودعها عنده أو مسروقة .. فالشباب يؤخرون بيعها لأسباب منها رؤية رد فعل أصحابها

– أيشتري التجار والجزارون أغناما مسروقة؟

– هم يتظاهرون بجهل مصدرها ..وهم للأسف لا يهتمون بالحلال والحرام ..والحرامي يهمه البيع ولو بثمن أقل من السوق ؛ لأن السوق كما تعلم يتبع العرض والطلب .. فالسارق يسعى للمخدرات الحشيشة والدخان .. التصور أبا حسن أن ندمان وشريكه لاحظوا اختفاء نادر وتركه أغنامه عند شقيقه ، فوضعوا سما للكلب ، وفي سيارة شحن صغيرة حملوا رؤوس الغنم وكما خططوا اتهموا جلالا ونادرا ؛ لأنه مختفي فستلبسه التهمة ..وأصحاب الغنم صدقوا ذلك الاتهام .. وهذا ما حصل ؛ الشرطة لا تستسلم للاتهام بسرعة ، لابد من التحقيق والتثبت ، ولما علم ندمان فشل خطته أراد تحويل القضية إلى زوجته .. وحدث ما حدث .. وقد يكون قتل ندمان متعمدا كما يشك الضابط ؛ لأن ابن المرأة صديق لندمان وعمل معه في التهريب ، فقتله متظاهرا بالانتقام ..فهي لم تكن أول مرة تتعرض المرأة للضرب المبرح ..خلص منه لأشياء بينهم أراد إخفاءها.. هذا مما همس لي به المقدم ، وبعد سماعه نادر وقبل سماعه أدرك أنه بريء ..فهم بين أيديهم معلومات ..وإنما حبسهم احترازيا وحماية لهم فعلا يا حاج محمود ..والشرطة ستعرف الحقيقة وتعلن على الملأ عندما ينتهي التحقيق .. وتحول الأوراق إلى مكتب المدعي عام وشيخ القبيلة وعد الحكومة بالتعاون

الكامل معهم.. فجرائم القتل لا تتهاون فيها الحكومة حتى لا تفتح باب العودة للثارات والفوضى والقانون يأخذ مجراه ولكن بعد مصالحات بين أفخاذ العشيرة ؛لأنهم أقارب وبينهم مصاهرات هذا حدثني به الضابط لما انفردنا عنكم بضع دقائق

– أنا الذي يهمني يا أبا رياض في هذه القصة أن يشهد الشهود أن ابني تحسينا تزوج امرأة منهم وأنجبت له هؤلاء الثلاثة .. وبعدها إذا رغبوا بالحياة معنا فيا أهلا وسهلا ، وإذا رغبوا في البقاء في الصحراء فأهلا وسهلا .. وسنبقى على تواصل ..فنادر أرآه يفضل الابتعاد عنهم ، وسنعلمهم أعمالا مناسبة لأهل المدينة ، ونسعى إلى تزويجهم ، فقد هرموا بنظري ، وإذا ثبت ذلك رسميا فلن يتطفل أحد عليهم بالتشكيك في نسبهم ، وسيتزوجون على أنهم أبناء تحسين وأحفاد محمود حسن بط .. فالورق اليوم مهم يا حضرة المحامي

المحامي : أكيد أكيد هذا الوثائق الرسمية لا غنى عنها في العالم المتمدن

ـ هذا وسأضع شقة بين أيديهم في أول الأمر ، ولما يتزوج أحدهم نعطيه شقة خاصة به .. فالله منعم وأكرم علينا

– الله يزيدك من فضله ونعيمه .. من خلف ما مات ..وأنا سأكون عند حسن ظنك فنحن بيننا نسب .. فقضيتك قضيتي والتوثيق يحفظ الحقوق

قضت الخالة نحبها بعد شهر من الحادث دون أن تتكلم بشيء ، وحزن عليها الشابان ، وصحبتهما سيارة شرطة للمشاركة في جنازتها ودفنها ، فقد رعتهما واحتضنتهما بعد وفاة أمهم وبعد مواراة الميتة التراب وانقضاء العزاء عادت بهما الشرطة للدائرة ، وأعلمهما مدير النقطة أن الإفراج عنهما سيكون قريبا على أن يتركا الصحراء ويعيشا في أبو خروف ، ولما وصلت أختهم من القرية حيث قبلت بالعيش معهم ، تم نقلهم لبيت الحاج محمود ، وأنزلهم الرجل في الفندق حتى يتدبر لهم شقة في إحدى العمارات التي يملكها في الحي ، ولم يجد أحدا من المستأجرين مستعدا لإخلاء المأجور ، فاستأجر لهم بيتا عند أحد المعارف لديه شقة فارغة ، وانتقلوا للعيش فيها بعد تأثيثها على نفقة الحاج محمود

وكان المحامي يقوم بدوره بعد نقل الكثير من الأقوال من سكان الصحراء بعد مجهود كبير قامت به الشرطة والعسكر ، فكل من طلب للشهادة لم ينكر زواج تحسين المدني من غزية بنت

زياد ؛ ولكنهم لا يعرفونه حق المعرفة ، ومن كان يملك سيارة أكد معرفته به ، وأكد زواجه ، وأخبروا أنه لم يجر عرس لهما .. حفلة صغيرة قامت بها النساء ؛ لأن الزواج لم يكن سليما في نظرهم .. كان تحت ضغط الواقع والفاحشة ، ولم أريت صورة تحسين لبعض النسوة أكدن أنه زوج غزية ، ووالد الأولاد الثلاثة ، ولما تجهزت الأوراق وعرضوا على الطب الشرعي لتقدير سنهم وأعمارهم ، وكان ذلك من كلامهم وأسنانهم منحوا شهادة تقدير السن أي شهادة ميلاد وعلى أثرها منحوا الاعتراف بهم كأبناء لتحسين محمود ، وحررت المحكمة الشرعية عقد زواج لأبيهم ، ومن ثم شهادة وفاة لكل من والديهم ، وأعطوا البطاقات الشخصية ، وأصبحوا شرعا وقانونا أبناء تحسين ، وصوب وضعهم القانوني ، وأخذت الفتاة بطلب الطلاق من زوجها الصحراوي بشكل رسمي ، وحصلت عليه من المحكمة الشرعية بعد حضور زوجها أمام القاضي وجرى الطلاق ، وأخذ نصيبه من المال وانصرف راشدا للصحراء بعد شهور من الرفض ، وبدأت الفتاة في العدة الشرعية منذ موافقة القاضي وزوجها على الطلاق

وقال الجد: هذا واجبي نحوكم يا أحفادي .. وهكذا وهبني المولى ثلاثة شبان دفعة واحدة .. أنتم الآن من عائلة بط دون منازع .. أنتم بحاجة لتأهيل للحياة في المدينة ، وواجبي أن أوفر لكم العمل المناسب وتزويجكم جميعكم ..فأنتم لا تعرفون القراءة والكتابة ، حيث لا مدارس في الصحراء .. فلدينا مشروع محو الأمية سألحقكم به ليعرف الشخص منكم كتابة اسمه على الأقل وقراءته .. وعدني مديره ورئيسه ببذل الجهد .. ووعدته بالمزيد من المال ليتحقق تعليمهم ولو بالشيء اليسير .. هم يحسنون الحساب الشفوي ، ويعدون الأغنام وغيرها والمال .. سبحان الله ! ولما انتهينا من قصة البنت وتحقق طلاقها أخذت أفكر بتزويجها ، والبحث لها عن عريس محترم .. وهذا ليس بالأمر الميسور .. فهي مطلقة أمية فوق العشرين سنة بنت الصحراء القاسية طعام وطهو أهل الصحراء يختلف عن طعام أهل المدينة.. ذهبت لمركز مجدلاية الخاص بالنساء وقضت عدة شهور ، ولم تستطع تعلم شيء مهم سوى كتابة اسمها رسما وبخط صعب التهجئة والقراءة.. فمن سيتزوج مطلقة بهذه الصفات ؟ إنها في المدينة .. لكن المال حلال المشاكل بعد إرادة الله ..كان عليّ أن أجد أحد الشباب الفاشلين في المدرسة حتى لا يتكبر عليها .. الكفاءة بالجهل والدراسة ..وكنت سعيدا بعدم حملها من زوجها الصحراوي لنقطع صلتنا بتلك الصحراء وتلك

القبيلة .. أرسلت نادرا ليتعلم النجارة عند أحد الأصدقاء من أهل هذه المهنة فحي أبو خروف فيه عدد لا بأس به من الورشات الفنية من الجهة الخلفية شارع السالم .. وجلال معه ولكنه ملّ بسرعة .. فأرسلته ليعمل في مخيطة رجالية في شارع النملة آخر الحي واستطاع أن يصبر ..وبعد سنة استطاعا أن يتعلما بعض القراءة والكتابة .. وتفهم نادر صنعة النجارة ، وبدأ يحسنها ..وكانوا كالأطفال الصغار في نظري وتحت رعايتي .. كان عليّ رعايتهما ليعيشا ، لا أحد يدوم لأحد .. وجلال الخياط أخذ يهتم بفهم الصنعة وأسرارها الخفية .. وصاحب المخيطة أخبرني أنه يحتاج لوقت طويل لإتقان فن الخياطة .. فنصحني أن أعلمه قيادة السيارات .. وأشتري له تكسي أجرة يعمل عليه ، أو عامل في متجر يبيع ويشتري

– لكنه لا يجيد الكتابة والحساب

– قد يكون العمل هذا حافزا له على تعلم ذلك



كانت نادرة تضع الطعام والشاي لشقيقيها على مائدة المطبخ ، وتدعوهما إليه ذات مساء ، ولما بدأ الأكل والرشف قالت : كيف الشغل يا معلم نادر؟

تنهد عميقا والتفت إليها باسما وقال : نحن لم نعتد على حياة المدينة .. والشغل اليومي متعب وإن كان جيدا ..عندما يصنع النجار بعد جهد خزانة جميلة ، فيحس بالنشوة والسعادة والفرح مثل الصياد عندما يصيد حيوانا أو طائرا.. إنما هو تعب وجهد ، والمعلم يقول مع الزمن سيذهب هذا التعب ، وسيصبح صنع خزانة أو طاولة أو سرير أمر اعتيادي وتقليدي دون فكر ونظر

– وأنت يا معلم جلال كيف ترى المهنة الجديدة ؟

توقف عن الأكل وقال كـأنه حزين : رغم قسوة الصحراء ورعي الغنم في حر السماء ذلك أسهل عندي من الجلوس عند ماكينة الخياطة فهي متعبة للبصر وللقدم .. المعلم زيزي يقول : إنني لا أستطيع خياطة بنطال أو قميص بشكل سليم وصحيح .. فعلي أن أجد حرفة أخرى ، وحكى ضعفي لجدي ؛ ولكن

– ولكن ماذا ؟

– الرجل عنده صبية راغب بتزويجي إياها ؛ لأني حفيد الحاج محمود حسن

قال نادر : أهو قال لك ذلك ؟

– نعم ، إن فوق المخيطة بيت الرجل الخياط.. فأحيانا تأتينا بالشاي .. وأما الطعام فاذهب أنا للمطعم ، وهو يصعد للغداء معهم .. ومرات كثيرة يردد سليمة لك يا جلال ، لما تنو الزواج فهي

عروسك .. وذلك يقوله كلما يراني أحدق بفتاة .. فأصرف بصري عنها فيقول: أنا لي شفاعة عند جدك إذا أنت راغب بالزواج دعني اكلمه .. أنت لا تصلح أن تكون خياطا ربما تصلح أن تكون زوجا

فضحكت نادرة ونادر وتساءلت : ما قلت له ؟

- أكيد جدي يفكر بتزويجنا عندما يجد العروس المناسبة لكل منا

قال نادر : لم يحدثني بذلك لليوم .. هو يحاول تأهيلنا لنواكب حياة أهل المدينة.. فهو خبر الحياة علينا بزيارة أخواتنا من أبينا في بيوتهن لتقوية الأواصر العائلية بيننا وبينهم

- ألا تكفي رؤيتهم عند أم محمود ؟ لم أتكيف معهن .

- مع الوقت ستتكيف معهن يا معلم .. لنا سنة واحدة بينهم ..وهن متزوجات ، ولم نظهر في حياتهم من زمن بعيد ؛ لذلك محمود ألطف منهن معنا ؛ لأنه عازب مثلنا .. وهو محب لجدنا ، وجدنا يحبنا وإلا ما أتعب نفسه ليضمنا للعائلة دون تردد .. من أول ساعة اهتم بالأمر كأنه وجد كنزا .. قال صوتك فيه شبه من أبيك .. وإنما قام بالإجراءات لمصلحتنا للحصول على الأوراق الرسمية ولأخذ حقنا المالي ـ أطال الله عمره ـ بعد وفاته

قالت : وزوجته الجدة طيبة ، وكلما تراني تضمني لصدرها وتقول حلم أن أرى أولادا من ابني الميت ـ الحمد لله على فضله ـ وقالت : علينا أن نتعلم الصلاة والصوم فلا يجوز أن نكبر ولا نحسن الصلاة والعبادة

- نعم ، فهي كل جمعة تحب أن نشاركها الغداء

عادت الفتاة تسأل عن زواج أخويها متى سيكون ؟ فقال نادر: علينا بالصمت .. فها هو محمود أخونا لم يتزوج بعد

قال جلال مذكرا أو ذاكرا : هو من جيلك يا نادر .. بينكم بضعة شهور .. فكأن حمل أمنا تأخر مع أن زواجها كان قبل زواجه من أرملة شقيقه الشهيد

قالت: ها أنا قضيت أشهرا مع زوجي .. ولم يحصل الحمل.. الحمل من الله يا سيد جلال

- مضت سنوات قبل أن تلد أمنا ؛ ربما لأنها كانت صغيرة عندما أحبت أبي كما تقول الخالة روية رحمها الله

قال نادر: هذا قضاء الله .. الجد يريد منا تعلم الصلاة ورمضان على الأبواب

فقال جلال بحدة : في كل جلسة يذكرنا بذلك .. نحن لا نعرف الصلاة.. أنا لما كنت أرى التجار والباعة موسم بيع الخراف استغرب مما يفعلون ..وأسأل البعض عن ذلك ، فيقول ساخرا : أنتم جهال ألا تعرفون الصلاة ؟ فأظن أن ديننا غير

دينهم.. الجهل عام في الصحراء

– كل الأديان فيها صلاة وصوم يا فصيح .. أنا لست أدري لماذا لم نكن نصلي ونصوم ؟!

قالت بعد هدوء : هل سنصوم السنة ؟ فالجد يقول رمضان على الأبواب يعني أنه اقترب ، وكذلك الجدة تكرر ذلك على مسامعي.. يحسبون أننا قادمون من بلاد الجاهلية

قال نادر : الصغار ـ في العام الماضي ـ رأيتهم يصومون وكنت أتعجب من قدرتهم على ذلك ! مع أننا في الصحراء كنا نقضي وقتا طويلا بدون طعام ؛ لكن كنا نشرب الماء .. العام الفائت أربع خمس مرات حاولت الصوم وعجزت .. لم أتعود .. والعمل يصعب المهمة.. ثم اقتصرت على صلاة الجمعة .. وهذا يضايق الجد محمود

قال جلال بشكل ساخر : ألم يعدنا بأن يرسلنا لأحد الشيوخ لنتعلم الفاتحة والصلاة والوضوء ومبادئ الإسلام ؟ ثم تنهد بعمق وقال: لولا موت خالتي وزوجها لعدت لتلك الصحراء

قالت ساخرة : هربا من الصوم والصلاة !

قال نادر: نحن لم ننل قسطا من العلم في المدارس ، ولا علم في الصحراء .. لا يتعلم الإنسان في الصحراء غير الرعي والتهريب والسرقة لأموال الآخرين .. سمعت الجد مرة يقول : إن الناس هنا لا يزوجون بناتهم لتاركي الصلاة .. ومع ذلك النجار الذي أشتغل عنده لا يصلي ويقول : إنه كسول عن الصلاة والمساجد .. وأنها مليئة بالأحزاب والعصابات .. فتعجبت من كلامه ..فذهبت للمسجد ولم أر العصابات ولا الأحزاب

ضحك جلال عاليا وقال :صاحبك هذا شيطان! رأيته مرة مفطرا على سيجارة في رمضان ، فزعم لي لما رأيته أنه معفي من الصيام لأن صحته لا تسمح له بذلك ، فقال له رجل كان يسمع الكلام : يا معلم فتح الله الدخان هو الذي خرب صحتك ..فرد المعلم عليه: نسيت أنك شيخ يا معلم هيثم حقيقة أن صحتي لا تتحمل ترك الدخان .. والمرأة تصوم عني وعنها .. فأجابه الشيخ : لا أحد يسد عن أحد عد إلى الله .. رمضان فرصة للتوبة والندم .. فطفا المعلم السيجارة وقال : خلاص بطلت الدخان ونويت الصيام .. فقال الرجل: الصيام يبدأ من قبل صلاة الفجر تسخر من الدين .. فاحتد المعلم من جديد وقال صائحا : أنت زهقتني عيشي على هذا الصباح متى انتهي من صناعة سريرك وأخلص منك ؟ فقال له الرجل : لو كنت أعلم أنك لا تصلي ولا تصوم ما فصلت التخت عندك .

تعود الشباب الثلاثة تناول طعام الغداء على مائدة الحاج محمود ظهر الجمعة من كل أسبوع ؛ وذلك

بعد صلاة الجمعة فيذهبون فور انتهاء الصلاة في جامع أبو خروف لبيت الجد والجدة ، ويبقون لوقت صلاة العصر ، ثم يغادرون .. ومرات كثيرة تشاركهم الدعوة الأسبوعية أرملة أبيهم أم محمود ؛ لأنها مرات أخرى تكون في ضيافة بناتها.



وكان الحاج حريصا على هذه الدعوة ؛ ليكتسبوا عادات وتقاليد الأسرة ، ويتعرفون على أقاربهم الذين يزورون الحاج في نهار الجمعة ؛ لأن الحاج أحيانا يدعو بناته وأزواجهن للغداء في بيته ، وقد تقوم البنات بصنع الطعام والذهاب به لبيت الوالد ؛ لأن السيد أغلب طعامه من المطاعم فأم حسن كبيرة في السن وصحتها لم تكن على ما يرام .. والولائم تحتاج لجهد ، والرجل يملك المال ، ويحسن التوصية واختيار المناسب ، واعتاد على ذلك لكثرة استقباله الضيوف من الداخل والخارج ، لا يوجد عنده خادم في البيت .. تأتي امرأة كبيرة تساعد الزوجة في التنظيف والصيانة لمدة ساعتين قبل الظهر ، وتأخذ نصيبها من الأجر وتنصرف ، وهذا شائع في أبو خروف ، والحاج معروف لأصحاب مطاعم الأطعمة المحمولة والموزعة.

والرجل معروف للمطاعم ولأهل الحي ، وولائمه مشهودة منذ استقرت قدماه في الحي .. ففي أي مناسبة كبيرة ومهمة يولم لجيرانه وأهل الحي المقربين .. وكان يرى الإطعام مكسبا للأصدقاء ونافيا للبخل والشح ، فتجد على مائدته اللحم الأحمر والدجاج والسمك والسلطات والمخللات وحب الزيتون الأسود والأخضر ، والكنافة والحلويات الأخرى ، والمكسرات ، وأصناف الفاكهة اللذيذة ، والعصائر المختلفة الأسماء .. وهناك أكلات شعبية شائعة بين أهل البلد مثل المسخن خبز وبصل ودجاج ، والمنسف بالأرز واللحم واللبن المذاب يطبخ اللحم في مرق اللحم والجميد ، ويضاف السمن البلدي للأرز المفلفل، ويقدم في سدر كبير مغطى بخبز الشراك يوضع عليه الأرز ، ومن ثم اللحم ، ويزين باللوز والصنوبر والبقدونس ، ويأكلون المفتول المصنوع من حبات الدقيق مع الدجاج المسلوق والمحمر حسب الرغبة .. تعرف الشباب خلال السنة الماضية على جميع هذه الأطايب والمطعومات .. فهذه أشياء لم تكن معروفة لدى جلال في الصحراء ما عدا المنسف فقد عرفه ؛ فلذلك كان يردد بعد كل وليمة دسمة : هذا المأكولات الشهية تحفز الإنسان للبقاء في المدينة ، وتضعف الرغبة للعودة للصحارى حيث الخبز اليابس .. كان أفضل

طعامنا في المراعي والأحواش اللحم المشوي على النار والحطب ، وليس على الفحم الأسود كما يفعل هؤلاء الناس .. أحلى شيء في المدينة الأكل والحلوى .. الكوسا المحشي لديهم وقت لحشيها.. حتى ورق العنب يحولونه لمحشي.. بارعون في الطهي .. نساء القرية لا يحسن مثل هذه المطعومات والمأكولات ، أين تتعلم النساء مثل هذه الأشياء ؟

– المطاعم يعمل بها الرجال

– حتى الرجال طهاة

كان هذا الغزل بطعام أهل المدينة بين الأخوة ، وهم عائدون لشقتهم مساء يوم الجمعة ، فقالت نادرة التي ظلت صامتة ، وهي تسمع غزل شقيقها بالطعام ـ وهي تعرف شغفه وشهوته بالطعام قبل انتقالهم للحياة في المدن ، وكان يوم الشواء عيدا عنده ـ قالت : مواد الطعام كثيرة في المدينة فتكثر أنواع وأصناف المأكولات .. هنا الفاصوليا البازيلاء الحمص والفول الحب الفلافل .. من يبيع فلافل أو حمصا مطحونا في الصحراء .. السبانخ بالحمص ، البطاطا نحن نأكلها هناك مشوية .. هنا تهرس وتقلى .. البيض يبتاع بكثرة .. هناك بيض دجاج البيوت .. لا مجال للمقارنة بين الصحراء وقراها وأكل أهل المدينة .

ولما دخلوا الشقة توقف الغزل والمقارنة قال جلال: حتى شاي المدينة يختلف عن شاي الصحراء وأزكى وأطيب .

قالت نادرة: سأجهز لكم الشاي فهمت الرسالة

– أرجو أن يتحقق ما فهمتيه

– سيتحقق .

ومشت للمطبخ وملأت إبريق الشاي ماء وسكرا وشايا ، وعادت لغرفة نومها وخلعت ملابس الخروج ، ولبست ثياب البيت ، وعادت لمطبخها ، ولما استوى الشاي حملته لصالة البيت ودعت أخوتها لشربه ، ووضعت أمامهم بعض المكسرات المتوفرة لديها ، فقال جلال : هذه المكسرات اللذيذة كنا نراها لما يصدف نزولنا للترفيه في المدينة عند موسم بيع الغنم .. أصناف كثيرة عرفناها من دكان العم حسين

قال نادر: سكان المدن كثر ..فتجد مجالا لبيع وشراء مثل هذه الأشياء.. من يستطيع فتح محمص

في بادية ؟ من يشتري ؟ أيام معدودة ويغلق .. وكذلك المطعم والمخبز ؛ لذلك هنا تكثر الحرف والمهن ..لو فتحت منجرة في الصحراء لمن سأفصل ؟ المدينة غير القرية ..كنا نرى الباعة المتجولين يترددون إلى القرى ..يأتون في الشهر مرة في الشهرين مرة .. فهنا تجد بائع الكعك المحمص .. بائع الحلوى الثابت والمتجول .. نحن نبيعهم

اللحم الخراف اللبن المجمد الجميد الصوف .. وكل بلدة تجد فيها عشر أسر .. هنا الشارع مائة عائلة .. وهم بحاجة لخدمات ؛ لذلك كنا نرى بعض الأطعمة في موسم البيع عندما يأتي أهل المدينة إلينا من عجائب الدنيا وننظر إليها بلهفة وجشع

قالت نادرة فجأة: لماذا أخذك الجد لمكتبه دوننا؟!

تبسم نادر فقال جلال : فعلا أشار إليك أن تتبعه لماذا خلا بك؟!

قال نادر: أنا شعرت ونحن في طريق العودة أنكم لم تسألوني فورا ، فظننت أنكم غير مهتمين

قالت : رأيناك ؛ لكن جلال شغلنا بالأكل والطعام .. والمقارنة بين أكل الصحراء والمدينة ، فأجلت الحديث للبيت

كان الشباب يترعون الشاي ويقزقزون حب البزر أو اللب ، قال نادر : الجد يريد أن يزوجنا خلال شهور ..وسيزوجنا سوية أنا وجلال في يوم واحد .. وهو سيجد لك زوجا مناسبا من العائلة أو الجيران .. فكثير من أسر أبو خروف يحترمون ويحبون الحاج ، بل صارحني أن أناسا طلبوا يد نادرة قبل حدوث الطلاق الرسمي ؛ لكنه أجل البت حتى تتعرفي على طباع أهل المدينة وكيف يعيشون خشية فشل زواجك ؟ لأن الزواج أسهل من تعقيدات الصحراء .. فكما الزواج أسهل فالطلاق أسهل .. ويمكن للرجل أن يطلق امرأته دون علمها والصحراء يصعب فيها الطلاق .. مشاكل وصراع .. ويحصل الطلاق في المدن لسبب تافه .. فيريد أن يربطك برجل يقدر الحياة الزوجية والنسب

فقال جلال: أيهما قبل زواجنا أم زواجها ؟

– وهو يريد دوام زواجنا أيضاً .. وسيكون زواجنا بعد موسم رمضان لهذه السنة .. ورمضان بعد شهر ونصف في آخر شهر آب

– أوجد لنا عرائس ؟

– فهمت كأنه وجد بنات أخوات .. أختان صغيرتان .. وهن من أقاربنا من حلب سوريا .. امرأة أبيك نورا والدها من سكان الشام ؛ كأنني سمعت اسم حلب .. ربما من بنات أخوات نورا .. فلها أربع أخوات .. فنورا كانت زوجة لحسن ابن الحاج .. فولدت له الدكتورة دلال واستشهد في فلسطين .. ثم زوجها الجد لابنه تحسين .. فولدت له ثلاث بنات ومحمودا .. ورفضت الزواج بعد موت والدي، وإذا تزوجنا من أولئك البنات سننتقل للعيش معهم في نفس العمارة

قالت: وتتركوني وحدي

– وأنت معنا .. ربما إذا لم تتزوجي قبلنا أن تعيشي في بيت الجد حتى يجد لك الزوج المناسب

الزواج

كان الحاج محمود جادا في تزويج أبناء تحسين وليس مماطلا ، ووضع في مخه أن يجلب زوجاتهم من أقاربه في بلاد الشام .. ذكرنا أن آل بط تشتتوا بعد انسحاب الجيوش التركية من الشام والعراق والحجاز .. فبعضهم سكن أنطاكيا نحو والدهم وبعض أشقائه ، وبعض استقر في سوريا .. وبعضهم في فلسطين جنوب سوريا .. ومحمود تقاعد من الجيش العربي الأردني بعد حادث ، فاستقر في أبو خروف ، وهو الوحيد من عائلته الذي اتخذ أبو خروف دار مقام ، وزوج ابنه البكر حسنا من ابنة شقيقه الأكبر محمد ..وها هو اليوم يريد أن يصاهرهم مرة أخرى وكما زوج ابنه تحسينا لنورا السورية يريد أن يزوج أبناءه من بناتهم ؛ لتبقى الصلات مستمرة ، وتحرك في هذه المسعى ، وصارح نادرا بهذه الحركة ، ولم يلحظ أي رفض من جهته .. والحاج أخر زواجهم ليندمجوا في حياة المدينة ، ويخبروا طباع أهلها وعاداتها ومشاكلها حتى لا ينتكسوا ويهربون للصحراء حيث اعتادوا ويتخلون عن نسائهم .

كان صديق لمحمود حسن من أهالي المخيم مخيم عودة الأمل قد رغب بتزويج ابنه المطلق بنت ابن محمود لما سمع بقصتها ، وطلبها لابنه أكثر من مرة ، وكل ذلك كان قبل طلاقها الرسمي ، فهي لم تكن طلقت بشكل صحيح ..والسيد كان يهمه زواجها واستقرارها العائلي ، وكان يماطل ليعطيها فرصة التعود على حياة المدينة وبيت المدينة ، فهي قضت كل حياتها الماضية في الصحراء حيث خشونة العيش وشدته ، الرجل يريد زواجا دائماً يتحمل فيه الصعاب ويبدو أنه كان مترددا في قبول ابن صديقه المطلق .. وكأن الصديق لم ير حماسا من أبي حسن فكف عن ترداد ذلك ، وترك الأمر حتى يتكلم أبو حسن .. ولما لم يتحقق زواج الفتاة قبل زواج الشباب أخذ يدندن حول زواجها ، وواجه نادرا بهذا الرغبة ، فلم يعترض الشاب ، واعتبر فعل وتصرف جده هو الصواب ، وهو الذي سيزوجهم ، ويتحمل مصاريف زواجهم وحياتهم الزوجية .. فلم يعترض على فكرة زواجها من أختين وفي يوم واحد ومن بلد آخر ، وسيزوجها ويسكنان في عماراته ، وتعيش البنت معه حتى يأتيها عدلها كما يقال أي نصيبها المقدر .

تسربت الأفكار للعائلة ، وأخذت نورا تستعد للسفر إلى حلب الشام ؛ لإتمام ما يسعى إليه عمها محمود .. فقد اتصلت بوالدها وأمها وغيرهم لتحقيق غاية الحاج محمود ، فهو يريد تقوية أواصر القربى بمثل هذه الزيجات العائلية .. وعلمت أن إحدى أخواتها قبلت من حيث المبدأ تزويجها من بناتها .. فقالت نورا لعمها: يا عمي العزيز أختي هدى قبلت ، ولها رغبة أن تأتي هي بالبنات كزيارة

عادية ورؤية الشابين قبل سفري أنا إليهم .
- هل يصح هذا ؟ فالعادة أن يذهب العريس لمشاهدة العروس .. وأنت معك مجال هنالك لتقابلي أكثر من عائلة
- السبب يا عمي العزيز أن البنات في إجازة .. سيأتين ليس بسبب الزواج .. إنما زيارة عائلية سواء حصل القبول أم لا .. فوالدي متحمس لهذا الزواج .. فأنت تعلم كم يحبك الوالد ويقدرك ..ورغم أنه أكبر منك سنا ، فهو يعتبرك سيد العائلة الكبير
- وأنا سعيد ومسرور لو حصل هذا الزواج .. فالبعيد يقرب.. النساء تقرب العدو بالنسب ؛ فليكن الأمر مجرد زيارة
- نعم ، ولما تحصل المشاهدة ويقبل الطرفان فنمشي بالزواج .. زواج الجبار اليوم مرفوض ، ويضعف الحياة الزوجية
- وابنك ألا تريدين تزويجه فقد أصبح طبيبا حسب رغبته ؟
- أحاول ؛ ولكنه يؤجل حتى يستلم عملا
قال بنوع من الضيق : خطأ .. نحن اليوم لا نصبر على عدم زواج البنات اللواتي يتعلمن في المعاهد والجامعات .. فتأخر الزواج فيه خطر عليهن
- من الأفضل أن نمشي على اقتراح أبي وأمي أن تكون الزيارة عائلية حتى ترى البنات ويرى الشباب ، وبعد انتهاء الرحلة تكاشف الشابين بالزواج منهن ، وأختي لما تعود لبلدها تصارحهنّ
صمت لحظات قبل أن يقول :حسن! لتكن زيارة عائلية .. أنا لم أحدد لهما أسماء ذكرت لهما بعض الأفكار ..ولم أقل لهما عن السفر لحلب ولا غيرها.. وبعد عيد الفطر نحرك الموضوع .. وأنا فهمت من أخي أن الأمور متهيئة ، وبمجرد ذهابك ستتفقون على كل شيء .. ثم نستعد للزواج ونقل البنات إلى هنا ؛ لإتمام النكاح ..كل تأخيرة فيها خيرة .. والنصيب يحكم ، فنسلم الأمر للباري عزّ وجل
- الليلة سأتحدث مع أبي وأمي ، وأنقل لهم موافقتك على الزيارة كزيارة
- على بركة الله .. أرجو أن توفق خطواتك ومساعيك النبيلة ..وأن تفرحي بابنك الدكتور محمود أخوهم البار
- آمين يا عمي .. محمود يقدرك ويجل مقامك وهو يهمه إدخال الفرح على قلبك وقلوبنا جميعا ؛ لكنه قدم الدراسة على كل شيء .. لا إجبار اليوم في الزواج .. أراه معقدا من جهة النساء ليس مثل الشباب لديهم لهفة النكاح والبيت والأسرة .. فحكايات البنات والنساء تملأ للأسف حي أبو خروف
- وأنا مثلك محتار في ضعف حاجته للنساء .. هو

حر هي حياته يا نورا

- من يوم ما أنهى الثانوية وأنا ألح عليه بالزواج .. وأن الزواج لا يعيق الدراسة .. ومنذ تزوجت البنات وأنا أضغط عليه ، ولم افلح .. ماذا يخطط لا أدري ؟ يعشق الصمت عسى أن يجد بنت الحلال خلال العمل وتجذبه للزواج ويطلق العزوبية

- إن شاء الله .. أنا توقعت ـ كما نسمع عن بنات الجامعة ـ أن يتعرف على فتاة جامعية خلال السنوات الطوال .. ذهبت الجامعة ولم نر عروسا .. أنا كانت رغبتي أن أراه عريسا من سنوات قبل زواج شقيقاته ؛ لتمتد سلالة تحسين ـ رحمه الله ـ لكن أمر الله غالب يا نورا ..ومن كان يعلم أن لتحسين ذرية تعيش في أرض أخرى.. هذا غيب الله

- لنا أكثر من عشر سنوات لا نعلم بهم ، ولا هم يعلمون بنا

- رحم الله موتى المسلمين .. ستر الله عليك يا ابنة أخي .. وأنا في خدمتك

- بارك الله فيك .. كنت نعم الوالد للجميع .. وما زلت لا غنى عن عطفك وحبك ، لم تقصر معي ولا مع الأولاد ولا مع محمود

- كله من فضل الله علينا ..والتوفيق منه وحده

- اسمح لي بالمغادرة سيصل الدكتور .. وبالمناسبة يا عمي هو يفكر بشراء سيارة

- أنا جاهز ..فليمر الليلة وسأرسله إلى صاحب معرض صاحبنا

- شكرًا يا عمي العزيز



لما دخل جلال البيت مع غروب الشمس قالت له شقيقته : الجد اتصل وهو يريد أن يراك ، فابق في البيت حتى يصل إلينا

فقال بحدة: وماذا يريد حضرة الجد ؟

- مالك متوتر ؟!

- أنا لا أحب الوصاية .. نحن شباب كبار لسنا أطفالا

- هناك شيء.. ما بك ؟ لم هذه العصبية؟!

- أين نادر ؟

- ذهب لشراء بعض الحاجات للبيت .. أبينك وبين الجد أمر ؟

صاح فيها بعصبية : لا شيء ..سأخرج قولي له لم أعد للبيت

- يبدو أن أمرا خطيرا فعلته !

صرخ من جديد : قلت لك لم أفعل شيئا .. سأعود للصحراء ..الحياة هنا منغصة

وقبل أن يغادر دخل نادر يحمل أكياس الطعام

والفواكه والبقالة ، وأدخلها المطبخ وتساءل : أجهز العشاء ؟

ردت بنعم ، وقال جلال وهو يظهر الغضب والاحتجاج : لا أدري لماذا تركنا الراحة وجئنا للتعب؟

التفت إليه نادر مستغربا كلامه وقال: أحدث شيء أيها الإنسان؟!

صاح بغضب: لا شيء ..سأعود للصحراء

ضحك نادر وقال : ومن لك في الصحراء يا راعي الهيجاء ؟ أمك ميتة .. ومالك حبيبة ماذا ستفعل يا فارس الصحراء؟ أجرى بينك وبين الجد كلام ؟ ليحمل نفسه بنفسه ليقابلك ، ويسمع منك المشكلة ، ويعمل على حلها ..فجدك سيحلها يا أخي.. الهروب ليس هو الحل ؛ فإذا أخطأت الخطأ يقوم ويصحح

أشعل الشاب سيجارة وصاح : أنا لن أصوم

– ومن حدثك عن الصيام؟!

– جدك

– جدك قادم إلى هنا ليجبرك على الصيام .. لا أحد يجبر أحدا على الصيام .. يمكنك أن تتظاهر أمام الناس بالصيام ، وتفطر من وراءهم .. فالصيام عبادة بينك وبين الله يا سيد جلال فالأطفال يصومون فلنجتهد أن نكون مثلهم

– مجنون أنت ! أأستطيع أن أترك الطعام عشرين ساعة؟

– عشرون ساعة! أي صيام عشرون ساعة؟! أهناك نهار مر علينا طوله عشرون ساعة ؟ أنت لا تعلم ماذا يريد منك الجد؟

هزّ رأسه نافيا لذلك ، فقالت نادرة مبتسمة : إنه يعرف وإلا لماذا غضب؟! أخشى أن يكون من أجل تلك الفتاة التي قرعت علينا الشقة قبل أيام

حدق به نادر وقال : تلك البنت التي جاءت تسأل عنك وزعمت أنها أخطأت البيت

لزم الصمت فقال نادر: جدك منذ سكنّا هنا حذرنا من الساقطات وبنات الهوى يا جلال ، ونحن من أيام رأينا العرائس اللواتي يريدون تزويجنا منهن ..لابد أن كلاما وصل للجد عنك هنا في أبو خروف لا يخفى على الناس حكاية .. كيف عرفت حضرتها الشقة ؟ لا نسمح لك بجلب النساء هنا عيب .. أتسمع ؟هذا بيت محترم بيت جدك

– لم احضر أي فتاة ..تعرفت عليها ، وذهبت معها للسينما ، وعدتني بالمرور عليّ كلما ذهبت للسينما ..ومرت تلك الليلة لتصحبني إلى السينما

خيم الصمت لدقائق وقطعه نادر : هات العشاء يا نادرة ..سمعة جدك مهمة يا ولد

– أنا شريف .. ليس بيننا شيء حرام

– عندما يأتي الجد سنعرف التفاصيل

- لا يوجد تفاصيل .. رحت معها مرة واحدة للسينما .. نحن في الصحراء لم نكن نعرف السينما والأفلام

- تذهب مع أنثى يا جلال ..اذهب وحدك ..تعرف على الناس والشباب في المقهى واذهب معهم إلى السينما

- لم أكن أعرف السينما .. هي التي عرفتني على السينما

وضع الطعام وبدأ الأكل والمضغ والبلع ، وبينما هم يأكلون طرق الباب ، فقالت وهي تنهض لفتح الباب سريعا : الجد وصل

فغادر جلال المائدة إلى المرحاض

ولما فتحت الفتاة لجدها قبلته وقبلت يده كما تعلمت من حفيداته فقال : أين فارس الشباب؟

- إنه في المرحاض ! وابتسمت

[][][][]

دعت الفتاة الجد لمشاركتهم العشاء فقال ملاطفا: ماذا طبخت للشباب اليوم؟

فقال نادر وهو يصافح جده باسما: قلت بطاطا ،وقلاية بندورة ..واشتريت لهم لبنة.. تفضل يا جدي

رجعوا للمطبخ وشاركهم الجد بأكل بضع لقيمات ، وشرب كوبا من الشاي ، وقال لنادر :

اذهب واستدعيه من الحمام لابد من الكلام والنصح والإرشاد .. لا يجب أن يهرب من النقاش لا تحل المشكلات بالهرب من مواجهتها

- أجئت من أجل تلك الفتاة التي رافقها إلى السينما ؟

- أتعرفون؟!

قالت نادرة : قبل قليل اعترف لنا بمرافقتها إلى ما تسمونه سينما .. وكانت ذات ليلة جاءت تسأل عنه هنا

قال الجد بأسف: لا حول ولا قوة إلا بالله .. يا عمي هذه فتاة فاسدة ، وذات سمعة سيئة في أبو خروف والأحياء المجاورة .. لو كانت بنت ناس طيبين لزوجته إياها من الصبح .. الإنسان المسلم إذا لم يختر الزوجة المحترمة سوف يتعب غداً في الحياة .. إنها منذ وعت على الدنيا وهي ترافق وتصاحب المراهقين ، ثم الشباب والكهول .. لا يجب أن يكون مغفلا اذهب ناده .. نعم جئت من أجل موضوعها وأجل بنت الخياط زيزي ، فهي تصحبه كل مساء لوسط المدينة .. فهذا أيضاً علمته .. السمعة شرف لنا

جاء الشاب وسلم متظاهرا بالكسوف وقد أدرك أنه لابد من المقابلة للحاج محمود ، وأنه لن ينصرف قبل تقديم إرشاداته ومعاتبته وقال : سمعتكم من الحمام

ضحك الجد وقال: طال حمامك

– أنا اغتسلت قد تعبنا اليوم

– لا بأس النظافة مطلوبة .. أنا أدرك أنك سمعت جل حديثنا ، وأنت تستحم يا ولدي .. هذه الفتاة من البنات الفاسدات في الحي .. ولست أول من ترافق ، وهي لا تصلح لك .. فأرجوك يا ولدي أن تحافظ على سمعة العائلة .. وإذا لم تعجبك عروس الشام بنت أخت امرأة أبيك فغيرها كثير .. فأنتم أمانة في رقبتي اليوم .. فبعدما أموت لا أدري تصرف الأسرة والأحفاد معكم .. لكن زواجكم من العائلة يدعم كيانكم داخل الأسرة .. وأنا سعيت لتزويجكم من بعيدات عن البلد لمصلحتكم؛ لأنكم غرب في العائلة.. وهذه معاني دقيقة عليكم إدراكها .. الود الذي ترونه مني قد لا ترونه من حسين وأولاده والبنات والأحفاد لكن زواجكم من بنات العائلة يقربكم للعائلة في المدى القريب والبعيد .. فأبناؤكم من صلب العائلة ..والحي وغيره فيه الصالح والفاسد .. هذه عادة المجتمعات .. والزواج من فتاة زاغ بها البصر سيعود عليك بالدمار والخراب ومسخرة .. بعد حين ستجد عشيقا آخر .. انتهت رغبة الجسد فيدخل الملل والمنحرف سينحرف .. علاج الملل الانحراف من جديد .. ستجد عندها عشيقا يُسود عيشتك وقد تورط نفسك في جريمة قتل بسبب الغيرة والعصبية ؛ فإما السجن مدى الحياة أو الإعدام على أعواد المشانق .. وأنتم لا تعرفون أبو خروف مثلي .. في الحي شباب محترم .. موظف في إحدى الدوائر المهمة تزوج بنت ناس ـ كما فهمنا ـ وسكنوا في شقة في الحي .. وبعد حين استطاع شاب فاسد إفسادها إفساد الزوجة ، وأصبح يتردد على شقتها صباحا ..وقد أفسدها على زوجها.. وصلت إشاعات للزوج من الجيران ، وهو نفسه أحس ـ كما قال لي ذات مرة ـ أن زوجته تغيرت من ناحيته فقال : لم أعد أرى الحب الأول ، فظننت للوهلة الأولى أن ذلك بسبب الحمل .. فرتبت لها ولعشيقها كمينا .. فزعم لها أنه ذاهب للعمل كعادته ، وابتعد بالسيارة عن مدخل العمارة ، وظل يراقب حتى شاهد المشبوه له يدخل العمارة متسللا ، ثم عدت وأوقفت السيارة أمام العمارة كمن نسي شيئا ، وعاد ليأخذه .. وصعد لشقته مسرعا وفتح الباب بمفتاحه الخاص دون قرع الجرس الكهربائي .. وتسلل لغرفة نومه .. ورأى ما لا تحمد عقباه.. فأخرج مسدسه وأطلق النار على الشاب ، وأصابه في ساقه ـ وهو قاصد ذلك ـ وطلق المرأة فقال لها: لم أقتلك من أجل الجنين الذي في بطنك .. ولتبقي حائرة أهو لزوجك الشرعي أو لعشيقك ؟ وتابع الجد : وسلم نفسه للبوليس ، وقضى بضع سنوات في السجن ثم خرج، والشاب المصاب ـ يا جلال قد

أصبح أعرج ، وتزوج وخانته زوجته ـ كما تدين تدان ـ ولم يقتل العشيق ، فقد قتله العشيق فقد كان مسلحا فسبقه .. وها هي أرملة منذ ذلك الحادث وسمعتها سيئة في الحي ، ويطرق بابها أهل الفجور ، ورحلت لحي آخر ثم عادت ـ كما تدين تدان ـ لا تنسى هذه الحكمة .. أنا نصحتك الآن .. وغدا رد عليّ هل نستمر في السعي إلى تزويجك أنت وشقيقك من بنات أخت أم محمود السيدة نورا امرأة أبيك أم تربط نفسك بهذه الفتاة السيئة السمعة ؟

ونهض الرجل مسلما ومصافحا للجميع .. شكره نادر على مجيئه إليهم ، وعلى نصحه وقال ممتنا : لا نحب أن ننسى أفضالك علينا ، وأنك لم تحاول التخلص منا بأننا أبناء المرحوم ابنك ، وسنحافظ على شرفك وشرفنا

- أنت ابن عاقل يا نادر وشجاع .. بعد رمضان ـ إن شاء الله ـ سنبادر ونسارع في أمر الزواج

التمرد

لما غادر الحاج محمود الشقة ، وقد نصح حفيده بخطر مصاحبة الفتيات الفاسدات ، وعادت نادرة ونادر للجلوس في صالة الشقة بعدما أغلق الباب بالمفتاح ، فسمعوا جلالا ساخطا : هذا تحكم في حياتنا .. أنا لا أريد هذه الحياة سأترك الشقة وأعيش وحدي دون وصاية وحماية

كان نادر يسمع ويبتسم وقال: اجلس ، ولماذا الغضب ؟ الرجل ينصحك ويبين لك أن هذه المرأة سيئة السمعة .. والرجل يسعى لتزويجك لتستقر في حياتك .. وتعيش مثل سائر الخلق دون نزاعات ومخاصمات .. تعيش بسلام وسكينة .. يبدو أنك نسيت حياة الوديان والمغر عندما تقضي ساعات في مغارة حتى يسكت المطر ، وتتابع رعيك في المطر والحر .. وتنام في جوف الكهوف والتجاويف .. أنت اليوم ترقد في شقة وتنام على تخت ، وتجلس على كنبة .. وتأكل على طاولة .. الرجل ما قصر معنا .. كان باستطاعته أن يقول ما عرفنا بهذه الزواج مع السلامة

قالت نادرة : نعم ، الرجل كريم ومتعاون معنا ، وسمعته سمعتنا

صاح جلال : هذا تحكم وتسلط وسيطرة.. وأنا تعودت على الحرية وحكم نفسي والتفكير وحدي والتصرف وحدي .. وأنا حر بعلاقتي مع النساء والبنات.. وأنا أرفض الزواج من قريبته أو قريبتنا

قال نادر مشيرا له بالجلوس والهدوء: هذا كلام فارغ .. أنت ابن عائلة محترمة ..عليك أن تحافظ على تقاليدها كما كنت تراعي تقاليد العشيرة .. أكنت تستطيع الخلوة ببنت من بناتها حتى لو راعية غنم مثلك ؟ إذا لم يعجبك هذا الحال عد للرعي عد للصحراء التي تهددنا بها منذ جئنا إلى أبو

خروف .. عد لتعمل بثلاثة دنانير في الشهر ..لا تعرف ليلا من نهار ..اليوم صرت تصرف ثلاثة دنانير في اليوم.. شقة لا تدفع في إيجارها درهما.. الأكل والشرب أغلبه من نفقة الحاج .. لا تنسى النعم التي تغمرنا ..وماذا سيفعل لك الخياط ؟ عشرة دنانير يعطيك في الشهر لا تكفيك تبغا .. يا نادرة خلص الراتب أعطني اشتري علبة سجائر.. تريد صرف مصروف البيت على البنات وبنت الخياط .. الملابس التي تلبسها يقدمها لها جدك .. تتكلم كأنك تملك الألوف .. سأخرج واستأجر .. تريد مصاحبة الفتيات اعتمد على جيبك .. ستقول كما قلت من قبل فلوس أبي .. أبونا لم يترك فلوسا ولا بيوتا ؛ بل جدك هو الذي كان ينفق على نورا وأولادها.. ويسكنون في بيوته أو بيت عمك حسن والد دلال .. يا جلال عليك أن تعرف حجمك الحقيقي .. الجد قبلنا ولم يعقد الأمور في وجهنا.. فلا يجب أن نستغله .. فالرجل يحسن إلينا رحمة بنا ، وأننا من ذريته .. وإلا نحن شباب رجال يجب أن نعتمد على أنفسنا ، وسوف يسكننا عند الزواج في شقق عنده .. ويكتبها بأسمائنا حتى نستقل بحياتنا.. تذكر الخير الذي قدمه لنا خلال عام واحد .. تذكر ذلك وكل الإحسان ..أرجوك أن تبتعد عن هذه الفتاة وغيرها وتذهب غداً للجد وتتأسف له عن تصرفاتك الرعناء .. وتؤكد له رغبتك بالزواج من قريبتنا الشامية

ضحك جلال ولما انتهى من القهقهة : أنا !!.. أبدا لن أفعل ذلك.. وسأغادر الشقة وأعتمد على نفسي حتى لا أعد استمع إلى هذه الأسطوانة بين الحين والآخر

قال نادر متهكما : أنت تعتمد على نفسك ! نسيت أنك كنت تعتمد عليّ في رعاية الغنم وتوليد الغنم ..أنا لا أدري كيف ستعتمد على نفسك ؟! يبدو أن الأفلام التي حضرتها أثرت فيك ، وقلبت حياتك .. هي أفلام تذكر هذا

– أنا سأتزوج من هذه الفتاة السيئة السمعة

– آنت تتزوجها ؟ ومن سيزوجك إياها ؟! أمعك مال ؟ يظهر لي أنك جننت ، وظننت نفسك أحد عشاق التاريخ .. كيف ستتزوجها ؟!

– سأتزوج بدون مال

– أنت صدقتها بهذا الكلام الفارغ ..وحدثتها عن زواج الصحراء ببضعة دنانير وشاة وانتهى الموضوع .. هذا سخافة وحماقة .. جدك سيتخلى عنك

– أنا سأتخلى عنه قبل أن يتخلى عني .. أنا من الليلة سأفارقكم لا أربد العيش معكم

– الله الله هذه البنت لعبت بعقلك يا ولد !

قال بتحد : أنا لا أحد يلعب بعقلي .. إنها فتاة

مظلومة .. والناس المريضة تردد الكلام السيئ عليها

- ولماذا لم تتزوج لليوم ما دامت شريفة ؟

- لقد تزوجت وطلقت مثل نادرة .. والمطلقة يصعب زواجها من جديد .. أعطني المبلغ الذي ادخرته عندك يا نادرة كم هو ؟ خمسون دينارا على ما أذكر

قالت بغضب مكتوم : لا ، أربعون فقط .. وأنا أقول اخز الشيطان .. وهذه بنت غير سوية لا تصلح لزواج

- هات المبلغ

ذهبت الفتاة ، وأحضرت المبلغ ، ورمته عليه قائلة : أرجو أن تستيقظ مبكرا وقبل فوات الأوان

- الآن سأذهب وأقابل الفتاة ، هل أدعوكم لحفل العرس ؟

ضحك نادر وقال ساخرا : عرس أين؟ في الخيمة أم في الشارع ؟!

غادرهم ساخطا ناقما، قال نادر بعد إغلاق الباب : عجيب أمر الفتى ! يبدو أن الأمر أكبر منه مع هذه الفتاة

خرج نادر صباحا لعمله ، وصحب شقيقته معه حيث يتركها عادة تصعد لشقة جدها ، ويتابع طريقه للمنجرة التي يعمل بها خلف الحي شارع السالم حيث تقع المشاغل والورشات ، هذه المرة لم ينصرف للعمل بل تابع الصعود مع أخته ، وفتحت لهم الجدة ورحبت بهم ، وأحضرت لهم الشغالة المؤقتة التي تساعد الجدة في التنظيف والتعسيف القهوة ، وعادت للمطبخ .. قال نادر: هل الحاج مستيقظ ؟

- صلى الضحى ، وقرأ القرآن ، ثم نام .. هل أوقظه لك ؟

- لا داعي .. نادرة تحدثه في الأمر وما جد .

ولما شرب القهوة غادر الشقة ، ولما استيقظ الحاج ، وجلس معها كاشفته بترك جلال للبيت بعد خروجه ليلة أمس ، ومغادرته للحي ، فأسف السيد لذلك ، وقال : أمر مؤسف يا نادرة!.. على كل حال وقد رحل فليفعل ما يشاء ؛ لعله يخبر حياة المدن.. أمعه مال ؟

- كان مدخرا لدي أربعون دينارا فأخذها .

- سيعيش بها عشرين يوما على الأكثر.. أنا لا أعتقد أنه متعلق بتلك الفتاة يا نادرة .. هناك قصة أخرى لن نتكلم بها اليوم

- أهناك فتاة أخرى؟

- نعم ، هناك فتاة أخرى .. وإنما اتخذ هذه الغانية ستارا لعلاقته مع تلك الفتاة

- أتعرفها يا جدي؟

- نعم أعرفها .. قصدي أعرف أهلها .. أما هي ربما التقيت بها .. فهي بصراحة ابنة الخياط زيزي

- الخياط الذي يشتغل عنده جلال

- هذا الرجل معلم خياطة بمعنى الكلام ؛ ولكن أخلاقه ليست بالحسنة .. هذا الرجل بقيت عنده بنت أو عنده بنت في سن الزواج يريد تزويجها من جلال أفندي .. فكانت تنزل لهم الشاي وتجلس معهم في المخيطة حيث أنها تحت شقته .. وكان يسمح له بالصعود للغداء معهم .. ولما رأى حضرة الخياط أن حيلته لم تنجح ، وعلم أنني مصر على رفض هذا الزواج وسأزوجه من سوريا ، عملت ابنة الخياط حيلة أخرى زاعمة له أن والدها لا يعرف بحبها ، واستعانت بالفتاة الفاسدة ، وطلبت منها التعرف على جلال والخروج معه لوسط المدينة والسهر والسكر ؛ ليظهر الخياط لنا أن ابننا هو المتعلق بابنته .. ونحن نعتقد أن الشاب تعلق بهذه الأنثى ، وفجأة ستختفي ابنة الخياط ، وسيقوم بتبليغ الشرطة ، وسيقبض على جلال وهي معه ، ويتزوجان رغم أنفي لدرء الفضيحة .. فأنا حذرته بيني وبينه ، ثم اضطررت للمجيء إليكم لأحدثه بتلك القصص أمامكم حتى لا تلوموني غداً .. لم اقصص تلك القصص للتسلية .. إنما هي تحذيرات وتنبيهات لجلال ..فالناس تشفق عليه .. فهو غشيم ـ كما نقول في عرفنا ـ في المدينة وفي ألاعيب النساء.. وهذا الكلام وصلني من أحد جيران الخياط من كلام امرأته لزوجة الجار .. لعبة ماكرة .. سيصدق جلال أن بنت الخياط تحبه ، وهربت معه تحديا لأهلها .. والرجل صارحني منذ أول شهر عمل معه جلال بهذه المصاهرة ورفضت

- وهل يقبل جلال ؟

- عندما يتورط معها بما يجري بين الأزواج سيقبل مرغما .. وبدأ من قصتك تنفيذ الخطة .. والخياط لا يستطيع تزويجه إلا بهذه الحيلة السخيفة .. فجلال صدق أنها مغرمة به .. على كل حال نرجو له السلامة .. مكر النساء مخيف إذا سيطر عليهن الشيطان .. وقد تستطيع الفتاة التي تمثل دور الوالهة بأخيك أن تمكر بهم جميعهم ، وترفض أن تتخلى عنه لبنت الخياط .. لكن تأكدي لا تطول عيشتها معه

بعد أيام من ذهاب جلال عن الحي جاء الخياط للحاج زاعما له أن ابن ابنه الهارب عن العمل شجع ابنته على الهرب معه ، وأنه تقدم بشكوى للشرطة ، لنقطة شرطة أبو خروف فقال محمود بغضب واضح على وجهه: مبارك عليك الولد يا أنيس .. أما زواج فلن اعترف به .. هذه حيلة ومكر مكرتموه .. أنا أرفض مصاهرتكم ونسبكم قال الخياط محاولا توضيح الموقف : يا حاج هو الذي مكر بالبنت وعشقها من ورائي زاعما أنه يحب الشغل معي ، وأنني مثل والده الميت ، ثم

يخونني ، وقد أمنته على دخول البيت والحديث مع البنت في المخيطة والشارع.. لن ارحمه ، ولن أقبله زوجا لابنتي .. وسأجعل الأولاد يشربون من دمه .. ستغرق الحارة بالدم يا حاج محمود .. أهلي ناقمون عليه.. فهو أهان كل العائلة .. وستعرض البنت على الطبيب الشرعي .. وستكون فضيحة مدوية في أبو خروف

تبسم الحاج وهو يقول : فضائح أبو خروف كثيرة ..وستمر هذه الفضيحة كغيرها من الفضائح مرور الكرام .. قلت لك زواج ابنتك من حفيدي غير مقبول .. ولا يمكن الرضوخ لحيلتك .. الله يستر على نساء المسلمين

– أتمنى أن لا يحدث بينهم شيء سيء .. فالعرض غالي يا أبا حسن .. أنا اتهمته لأنه هو هددني بفعل ذلك



الحاج محمود كما عرفنا من خلال سطور القصة أنه سكن الحي من عدة عقود ، فتراكم عنده مع الزمن تاريخ العائلات والأسر وظروفهم وحياتهم وأخلاقهم وقصصهم ..والقصة الحية معروفة للناس ، ويذكرونها عندما يفتشون عنها ، ويضربون بها المثل .. فمثل حيلة الخياط معروف في الحي وغيره .. فمنذ بدأ جلال يتحدث عن ابنة الخياط للزواج منها ، أدرك الحاج أن وراء الأكمة ما وراءها .. وأن الخياط يسعى لتزويج ابنته من حفيده .. وتحدث الخياط معه بصراحة في زواجها ، ورفض محمود النسب بصراحة ، وظهر أنه مصر على زواج هذا الصحراوي حفيد الغني محمود من ابنته .. والحاج الخبير بالرجال رأى بنظره أن مصاهرة الخياط غير مناسبة لعائلته وأسرته ؛ لسمعة الخياط السيئة في أبو خروف ، فقد شاعت في فترة من الفترات قصص عن مغامرات لزوجته لا تسر البال ، ثم خفتت ، فلم ير أن مناسبة الخياط مقبولة في مقياسه ومحافظته الصارمة .. وكان مرتابا في دعوات جلال للأكل مع أسرته ؛ ولكنه صمت والذي كان يهمه تعلم الشاب لهذه المهنة .. فالرجل خياط ماهر بحق ، ولم يفطن إلى مكر الرجل وصيده لحفيده ، ووعى لمقصد الخياط فيما بعد .. وحفيده ساذج فهو تربية الصحراء حيث القسوة والخشونة ، لا يعرف الغزل الناعم واللف لاصطياد عريس .. والحاج محمود حاول استخدام الحكمة حتى لا يغضب الشاب .. ويصر على نكاح بنت الخياط .. واستعان بصديق بجوار الخياط فعرف بمكرهم .. والجار أدرى بجاره .. فكان جلال يظن أن الفتاة تحبه وتعشقه وتريده من وراء

أبيها وأمها .. فالخياط جعل من نفسه أعمى .. والفتاة أقنعته بجهل أبيها .. فعملت على أنه صديق لتلك الفتاة المعروفة بالفجور بين الناس ..وصار يسهر معهن في شوارع وحدائق المدينة .. وهمسن له بترك الحي .. واستغل ليلة كشف أمره أمام أخويه ، وغادر الحي ، وعمل في مخيطة في وسط المدينة أرسله إليها أنيس قبل شهر من الهرب أو الرحيل الاختياري .. ونام في فنادق شعبية قبل أن تجد له فتاة الحي بيتا من غرفة واحدة في حي عشوائي ملاصق لحي يسمى برغوث.. وأصبحت فتاة أبو خروف كأنها زوجه شرعية له .. تهبط الليل عنده ، وتغادر قبل الفجر ، ثم اختفت بنت الخياط عنده ، وعرفت بالعلاقة الجنسية بينه وبين الفتاة الثانية ، وأن الرجل لا يهمه شرف ولا زواج .. وتابع والدها الاتهام والبحث عن جلال ودخل رمضان والبنت مختفية ، ويدعي والدها أنه يبحث عنها .. والحاج محمود يرفض التعاون في البحث عن حفيده ..والشرطة عاجزة من الوصول إليه أو لا يهمهم الأمر كثيرا .. وكانت القصة تتفاعل في الحي .. وطلب الخياط من نهى بعد تمكنه من رصدها أن تبلغ الشرطة عن بيت جلال .. فرحبت بذلك لتخلص من ابنته .. وقبضت عليه الشرطة والفتاة في بيته .. وأنكر أنها خطفها ، وأكد لهم أنها أتت بنفسها ، وأنه يعمل في مخيطة في وسط المدينة ، والفتاة تشتغل في مخيطة نسائية ، وإنها تبات في بيته ، وأمام الشرطة طالب الخياط زيزي الشاب أن يتزوجها سترا للفضيحة ، ولم يرفض جلال ؛ ولكنه قال: أنا لا أملك مالا للتزوج به ، لا أملك إلا ما أعمل به وأنا لا أراها تصلح زوجة لي .. وأنا نصحتها أن تعود لبيت أبيها

صرخ أنيس وصاح وهاج وصوت ثم سمعها وهي تقول للضابط : ذهبت من البيت بنفسي دون ضغط يا أبي لست صغيرة

لطخها والدها لطمة وقال بغضب : أنت عاهرة .. في بنت تخرج من بيت أهلها .. وتبات في الشوارع .. وتنام عند الشباب .

وأنهت الشرطة القضية بأن تعود الفتاة مع أبيها ، وقال جلال : سأفكر بالزواج منها إذا أحببت يا أنيس ..أنا أدركت لعبتك الخبيثة .. نهى تكلمت

– ما دام هربها معك لعبة فلماذا تنام معها ؟

– عاشت معي ..ولم أعاشرها يا معلم أنيس .. اذهب وأعرضها على الطبيب الشرعي .. لم أمسها

وأكدت الفتاة رفضها الحياة معه كعشيقة ، ولم يحدث بينهما اتصال جنسي ، فحولت للطب الشرعي ، وبعد الفحص تبين لهم عذريتها ، وأنها ما زالت بكرا ، فرجعت للبيت مع أبيها ، وقد تعهد والدها لقائد الشرطة بأن لا يتعرض لها بأذى

وضرب ، ورجع جلال لغرفته ، ولما سألها أبوها عن سبب فشل الخطة قالت : فازت به نهى قبل أن أصل إليه .. كانت عشيقة له ، وقبلته بدون عقد وشرع ، وأنا رفضت ذلك .. فقال : تستمرين في خطة أبيك ؛ لتعودي للبيت عن طريق الشرطة حتى يعرف الناس أنك شريفة وطاهرة من أجل سمعتك

– وتلك ؟

– سيتزوجها قانونا وشرعا ..فقد أحبها كم يزعم ، ولن تكون إلا له ، وهي قبلت بذلك

– وأهلها موافقون !

– ولماذا يرفضون عندما يناسبون الحاج محمود بط ؟

– لن يتعرف عليهم الجد

– الزمن دواء لكل مصيبة .. فكان من الصعب عليّ تسليم نفسي له لما وجدتها تعيش معه كزوجة وهو يريد ذلك

– يا لك من ماكرة !

– كان لابد من متابعة الخطة حتى لا يتلطخ شرفي به دون فائدة .. على كل حال سأتزوج قريبا

– كيف ؟!

– صاحبة المخيطة التي عملت معها هذين الأسبوعين لديها شاب يعمل معها استلطفنا بعضنا البعض .. بعد رمضان سيتقدم لطلب يدي منكم.. وهو غريب ليس من أهل البلد عامل وافد وهو خياط ماهر مثلك .. حدثني عن الزواج فقبلته

– قد يسافر فجأة كما نسمع

– يسافر ! نجد غيره .. الشاب جميل ورائع وأحسن من جلال مليون مرة باعني من أجل غانية ومن أجله توقفت عن إغراء جلال

– تربية أمك



استطاعت نهى إفساد حيلة الخياط ، وتمكنت من السيطرة عليه ، وسلمته جسمها بدون عقد زاعمة حبه وغرامها العارم به ، وصدق المسكين هذا الكلام المعسول ، ولم يكن يسمع به في الصحراء حيث الخفر والحياء ، ومع موجة الأفلام الإباحية والمثيرة الغرائز استسلم لعشيقته وأفكارها ، ولما انتهوا من قصة بنت الخياط أحضرت والدها ، وعقدت على جلال زواجا شرعيا ولم يكن أمامه الرفض ، فقد أحبها كما زعم لنا فيما بعد ، وكانا يأملان بأن يصفح الحاج محمود عنهما بعد حين وتعود المياه لمجاريها ، وتابع الشاب شغله ، وأصبح خياطا ويجيد الشغل ، ورجع ذات نهار للبيت في منتصف النهار ، فقد أصابه إرهاق

لضغط الشغل أيام الأعياد ، أو قل قبلها ينشط الشغل والخياطة فيسهرون للفجر ، فأصيب بإرهاق ودوخان فأخذه صاحب المخيطة إلى طبيب قريب من المخيطة ، وعالجه ووصف له بعض الدواء ، فاشتراه له الخياط من إحدى الصيدليات ، وأركبه تاكسي أجرة لبيته ، ولما طرق الباب فتحت له زوجته ـ وهي لم تكن تتوقع مجيئه بمثل الوقت من النهار حسب العادة ، هو لا ينقطع عن الشغل إلا يوم الجمعة فقط والأعياد الدينية ـ فتفاجأت وهتفت جزعا: جلال !

فدفع الباب داخلا يقول : مريض .. كنت عند الطبيب .. وتابع اندفاعه إلى غرفة النوم الغرفة الوحيدة في البيت ، فوجد رجلا فيها فقال مصعوقا: من أنت ؟! كان آملا أن يكون عما خالا لامرأته رغم وضعه المريب ، فقالت امرأته ولحقت بها : صديق قديم

فاستدار إليها وقال بغضب مكبوت : ألم تعاهديني منذ صرنا أصدقاء أن لا تخونيني ؟ وصاح في الرجل : من أنت ؟

ارتدى الرجل قميصه وقال : أريد الخروج. وحاول إزاحة جلال من الطريق وقال: زوجتك ستخبرك من أنا .. أبتعد ...

نظر جلال إليها من جديد وقال : من هذا العشيق ؟

نظرت إليه باستهتار وقالت: قلت لك صديق قديم صدفته .. دعه ينصرف ، ولا داعي للصياح غداً صباحا نكون أمام المحكمة

صاح فيهما غضبا وحقدا : لا ، أنا لست ابن المدينة ، أنا ابن الصحراء .. الزنا يعني الموت الأحمر أنت تعرفين من أنا ؟! .. أنا لا أقبل أن أجد في بيتي رجلا واصمت .. أنا ابن الصحراء!

ضرب الرجل لكمة مفاجئة على وجهه فسقط على الأرض ، وأسرع جلال للمطبخ ، وقبل أن يفوق الشاب من الصدمة كان جلال يعود ، وهو يحمل سكينا حادة وقال : سأقتلكما .

وكان الشاب قد تمالك نفسه وتناول تربيزة ـ طاولة صغيرة ـ وقال هياجا : أنا الذي سيقتلك

صاحت الفتاة فيه : لا تفعل !

فصاح جلال : أخائفة عليه أم عليّ يا خائنة ؟! وهجم على غريمه ، فابتعد الشاب عن طريقه ، فوقع جلال أرضا ، وضربه الرجل بالطاولة على رأسه عدة مرات ، ولم يستطع جلال النهوض، وتمدد على الأرض ، وقال بصوت مخنوق غاضب : سأقتلكم ولو آخر في يوم الدنيا

لملمت الفتاة ما يلزمها من ثياب وأشياء ، وغادرت وعشيقها الشقة أو الغرفة ، وبعد حين يسير نهض مترنحا وهو يقول : لم أسمع لنصائح الجد .. تلك اللعينة كانت تخونني وتشتري الكحول والدخان

لعشاقها على حسابي .. لقد كان نادر أعقل مني!

غادر البيت إلى أحد الأطباء الذي أمره بالذهاب إلى قسم الطوارئ في المستشفى العام ، وزعم لهم أنه تعرض لمشاجرة ، وانهال عليه الشباب بالعصي ، وبعد إجراءات وإسعافات أولية وضرورية غادر المستشفى ، واتصل من تلفون بمحل جده وعمه سائلا عن أخيه نادر .. فرد عليه حسن ابن حسين لما عرف بنفسه : نادر تزوج من شهرين ، وسافر للشام ، وذهبت معه

نادرة ؛ لتتزوج هنالك ..ولهم أكثر من شهرين مسافرين .. وأنت ما أخبارك ؟

- إنني في شر وحياة مؤلمة ..إذن نادر تزوج في الشام .. أين جدي ؟

- في بيته أتريد منه شيئا ؟

- أريد أن أراه أين عمي ؟

- مر علينا .. عمك الآن مع جدك لزيارة أخيك محمود المريض في المستشفى

- أخي في المستشفى ! أي مستشفى؟

ذكر له اسم المستشفى الذي يرقد فيه أخوه محمود ، عاد لغرفته وقضى الليل يتقلب من آلام الضربة ، ولم يذهب للعمل ، وبعد أيام ثلاثة أزال اللفائف والضمادات عن رأسه المشجوج وعن وجه ، ولما حان وقت الزيارة في المشافي ذهب لزيارة أخيه بعد أن عاود الاتصال بالمحل ليسأل عن أخيه السقيم

، ووجد حول السرير زوجة أبيه نورا وجده محمود وجدته خديجة وغيرهم ، فسلم عليهم وعانق جده قائلا: أنا آسف جداً يا جدي ..ومشى إلى سرير المريض وقبل جبينه   ودعا له بالسلامة : الحمد لله على السلامة يا أخي العزيز .. كيف حال امرأة أبي ؟ وقضى دقائق في السلام والمجاملات والدعوات .

وسمع جده يقول: سمعت أنك طلقت زوجتك نهى بنت العقاب .

بكى الشاب بصوت مرتفع وقال بعد هدوء نفسه : ليتني سمعت نصحك واستوعبت قصصك تلك الليلة ..كنت أحمق يا جدي ! .. وكما نقول ذيل الكلب عمره ما يعتدل   لقد خانتني رغم الأيمان والأقسام التي حلفتها أنها لن تدخل بيتي عشيقا أو صديقا

قال الحاج : الحمد لله على السلامة ..سمعنا أنك تعرضت للضرب من صاحبها

ازداد نحيبه وشهيقه وقال : نعم ، فوق الخيانة ضربوني ، وغدروا به.. وأقسمت بالله إني لهما قاتل

- يا ولدي لا تقسم .. ما دمت قد طلقتها.. فدع غيرك ينتقم لك .. تقتلها وتقضي حياتك في السجن .. النساء كثير .. اجتهد أن تعود لمَ كنت عليه قبل زواجك ..واحمد ربك أنك نجوت منها ومن الخياط .. وابنته لقد تزوجت

- أعرف ، والتقيت بزوجها قبل أن تتزوجه .. شاب مغترب

قال الحاج مرشدا : السعيد من اتعظ بغيره يا جلال .. قال الرسول صلى الله عليه وسلم : اظفر بذات الدين تربت يداك .. وأنت للأسف ما كان لي عندك شأن

- قاتل الله الجهل!

- الجهل يزول بالعلم والمعرفة وسماع المشورة

- صدقت !!

تمت الحكاية السادسة

رهاب الطلاق

قصة منار

قهقهة الشيخ عدنان مسرورا ، وهو دكتور لغة عربية ، ومدرب خطوط وزخرفة في النادي وقال باسما ومسرورا : حقيقة طربت واستمتعت بقصص وسير حياتكم في قضية الطلاق ومآسيه وغرائبه ، حكايات عجيبة ! غرابة طلاق المحامي طارق ، كادت مشاكله العائلية تنتهي ، سمحت له زوجته بالسفر ، وقدم له غازي المال ليبقى الزواج ؛ ولكنه طلق لتدخل أخت زوجته زميلة الماجستير وزوجها في حياته الخاصة مع أنه رغب بذلك كما سمعنا ، وهي التي رفضت تدخلها بينهما لماذا طلقت ؟!

ضحك طارق وقال بترو : تأتي لحظات يا دكتور عدنان يتصرف فيها الإنسان بأفكار وأفعال وانفعال بنت الساعة والموقف ، ويصعب التراجع عن القرار ، سألت نفسي مرارا ، لو لم يحضر هؤلاء سامية وزوجها تلك الليلة هل سيحصل الطلاق ؟ الجواب أن الطلاق سيحصل أدركت ذلك منذ طلبت الخادمة ، وفرضهم ذلك عليّ بطريقة الاستحياء واختصار الشر ، لم اهضم التدخل بسهولة ، ومن ثم قصة أخذها موانع الحمل دون معرفتي ، مع أن ذلك كان في النهاية لمصلحتي ؛ حيث طلقت ؛ وليس معها عايدة وطلال وعالية وطارق .

قال عمر : ولم تتزوج بعدها!

تنهد فقال : حاول بعض الأصدقاء وأخي طلال تزويجي ، وما زلت رغم بلوغي الخمسين دون زوجة، ولا أمارس الزنا لتصريف الطاقة الجنسية ، العفة تاج فوق الرؤوس .

صفق الجمع وقال عدنان : وشادية !

قال : سعى بعضهم للصلح بيننا ، واستعانت سامية بالدكتور غازي أستاذنا في الجامعة اعتذرت فلما يئسوا مني تزوجت قريب أو صديق لزوج سامية ، ثم اختفت من حياتي لحد الآن .. قص علينا ما عندك .

قال عدنان : قبل قصي أقول لحمزة حسام براهم صديقنا الشجاع ، سمعنا أن أباك ذهب للمحكمة

لطلاق امرأة أبيك ، ولم يكتمل الطلاق ، فتسبب فيما بعد بمقتله ؛ لأنه لو طلق لما التقى بالحارس القاتل ، فلم تبين لنا سبب عدم اكتمال طلاقه ـ رحمه الله ـ وشغلتنا بأخبار شقيقك إياد وأبي مالك .

غمرهم الضحك وقال حمزة : لا أحد ينجو من عمق فهمك ، أنا لم يكن لي دور كبير إلا في النهايات ؛ لأني كنت في الجامعة الشرطية ولا أعود إلا نهاية الأسبوع ، فأسمع من إياد من خالي مالك من أمي من البنات ، وحدثت الجريمة في منطقة وظيفتي ، أما قضية الطلاق فذهب الوالد للمحكمة متهما لامرأته بالفاحشة . فقال له القاضي: هذا يحتاج لشهود وتحقيق وهذا من مهام الشرطة والمحاكم المدنية ، وليس لك عندنا إلا الطلاق ، وأن تدفع حقوقها المالية ، فطلق حتى تحضر المرأة وقد استلمت مؤجلها ، وتقر بذلك أمام القاضي، ووالدي لا يملك المؤخر المقدر بعشرة آلاف دينار ، فتابع رحلة الاختفاء.

قال عدنان : أحسنت أبا علاء وضحت الصورة .. قصتي ليس لي قصة ، لم أطلق البتة لي ابنة أخت عاشت قصة طلاق لا بأس من قصها وسردها على آذانكم في هذا الاجتماع المحترم.

قال طارق مستفسرا : أذكر أنك قلت لي قديما أنك خطبت وتركت.

قال عدنان :صحيح ، لم يحدث طلاق يا دكتور طارق!

قال: تفضل

قال عدنان : أبدا بقصتها ، أعجبت بطالبة معنا في الجامعة ، واتفقنا على الزواج بعد انتهاء الجامعة ، كنا كلينا في قسم اللغة العربية ، وذهبنا وتحدثنا مع أهلها، وتم قبولي كزوج لها وسعدت بذلك ، وقبل التخرج بفصل لاحظت اهتمامها بزميل ، ثم طلبت بفسخ الخطبة ، ولم أتردد في فعل ذلك ، وفعلا اعترف لي الزميل بحبه لها ، وشكرني على فسخ الخطبة والفاتحة ، وما يفعله الله تعالى فيه كل الخير ، وإن بدا قاسيا ، وبعد الجامعة والعمل في قطاع التعليم والمعارف تزوجت امرأتي أم احمد من ربع قرن ، وأمورنا تمام وعلى خير ما يرام بفضل الله ورحمته ولكن لديّ قصة يمكنكم سماعها وإضافتها لحكاياتكم ، ابنة أختي منار راضي تخرجت من كلية الطب، وتقدم خاطبا من أقاربها الكثير ، فاختارت طبيبا يعمل معها في المستشفى ، وسأروي القصة على طريقة طارق وحمزة.

قال الطبيب جهاد لمنار في مطعم القسم مكان الاستراحة : كيف حال الدكتورة منار؟

قالت : أهلا دكتور جهاد اجلس اشرب قهوتك.

قال: جئت لأجلس معك ، دلتني عليك الدكتورة سمية رشيد.

قالت بحيرة : دلتك عليّ ! ما نحن نعرف بعضنا منذ اشتغلنا هنا وفي هذا القسم .

قال: اعرف ، وكم شربنا القهوة والشاي ؛ إنما حدثتها عن الزواج والرغبة فيه ، فقالت: فاتح الطبية الفاضلة منار بذلك ، فهي عزباء مثلك.

قالت باسمة : أهلا وسهلا .. عروس ..لي شهور في العمل، متخرجة حديثا .

قال: لا اعتقد أني أول من يتقدم إليك .. خاصة طبيبة جميلة ومحترمة مثل الطبيبة منار

قالت : يسعدني أن أسمع هذا الغزل اللطيف

قال: ما هذا بغزل!

ضحكت وقالت : سمعتك تقول جميلة ! .. حسن .. كيف أنت وحرية المرأة والسفور ؟ كيف تراني؟

قال: لست ضد حرية النساء وتبرجهن للشارع .

قالت : وأهلك الأم والأب.

قال: أنا الذي سيتزوج.

قالت : هل يعني هذا أنهم لا يحشرون أنفسهم في حياتك ؟ كم أخا لك وأختا؟

قال: لم نخطب بعد

قالت : أنت طيب ! وسمعتك جيدة في القسم سوف أفكر في عرضك.

قال: أرجو ألا يطول التفكير .. فأهلي يرغبون بزواجي ويفرحون بي.

مرت أيام على عرض السيد جهاد ، وحدثتني منار بعرض طبيب المستشفى ، وقالت: هل من الضروري يا خالي الزواج ؟ منذ التخرج والعروض تنهال كما أحدثك دائما .

قلت: أشكر ثقتك بي يا منار ! هذا قانون البشر.. قانون التزاوج لإعمار الدنيا .. ولا اعتقد أنك ترفضين الزواج كفكرة وحياة ، ولولا التزاوج ما كنا أنا وأنت نجلس هنا .. والدكتور بعد إنهاء الجامعة كغاية أولى حققها يحتاج لزوجة وأولاد .. هل تحبين أن اسأل عنه وعن أهله كعادتنا نحن الشرقيين أم معرفتك به كفاية.

قالت :لا أعرف عنه إلا أنه زميل عمل يسبقني بسنة أو سنتين طبية لا اعرف عنه الكثير

قلت : يمكنك سؤال مديرة القسم والتي وجهته نحوك أو ممن خالطهم أكثر منك.

قالت : الصديقة راوية لم تسمع عنه شيئا لافتا للنظر .

قلت : الأفضل سماع الأطباء الذكور

قالت : أتحرج من ذلك ، علاقتي بهم رسمية في حدود العمل .

قال: حسنا ! فاطلبي منه بعض أرقام الهاتف المُعرفة به، وأنا اكلمهم واسمع كلامهم

قالت : أشكرك خالي ، أمي ترغب بزواجي ، وأبي يطلب التأني وعدم العجلة في الاختيار

قلت : السن يا خالي مهم في النساء .. أنت

تجاوزت الست والعشرين .. أنتن بخلاف الرجال .. التأخير ليس في مصلحتكن .. كلما كبرت البنت عندنا قلّ الخطاب .

قضت اكثر من أسبوعين تسأل وتسمع ، ولما التقت مباشرة بالطبيب جهاد على فنجان قهوة في مطعم المستشفى ، قالت : ما زلت تراني أهلا للزواج يا دكتور أم هناك أخريات .

ابتسم وقال: أنا لم أعرف قصص الحب يا دكتورة ، كانت حياتي الشخصية جادة ، ورغبت بالزواج من طبيبة مثلي مع أن بعض الناس لا يرجح هذا الاختيار .. دوامنا أول النهار في المساء في الليل .. هل فكرت كفاية ؟

قالت : فكرت ، والكل يرغبني بالزواج والعمر وفرص الزواج تقل مع الكبر ؛ كأنني عجوز اذا كنت يا دكتور مناسبة لحضرتك فأهلا وسهلا ، وكل من سألناه عن شخصك أثنى عليك الثناء الحسن.

قال مظهرا السرور : شكرا سأقوم وأمي بزيارتكم لوضع النقاط على الحروف .. والتوفيق بيد الله .

قالت : نحن في انتظاركم .. وهذا عنوان السكن .

وهكذا كان ، ذهب جهاد ووالدته وأخته لزيارة بيت الدكتورة ، وجلس القوم في جلسة تعارفية واتفق القوم على الاتفاق بعد ثلاثة أيام لإعلان الموافقة ، وتمت الخطبة الشرعية الإيجاب والقبول وتحدد أن يكون الاقتران بعد أسابيع ، وتدوين العقد في المحكمة الشرعية ، وتعيين يوم الزفاف واحتفل الزملاء بخطبة الشابين .

قال عدنان : لم يتم الزفاف ، ولا كتب العقد ، السبب أن حضرة الدكتور تبين لنا أنه قبل عمله في مستشفى منار الوطني الحكومي قد اشتغل في مستشفى خاص وفصل أو طرد بسبب علاقة أو تحرش مع ممرضة ، وتكتم على تلك الحادثة ، وكشفت لما نشرت الصحف خطبة جهاد ومنار ووصلت المعلومة للممرضة المتحرش بها فسعت للوصول إلى هاتف منار وكشفت لها قصتها وزارت منار مدير المستشفى ، وأقر ببعض أفعال الدكتور ، ولما حدثت جهادا بقصة الممرضة حاول الإنكار وزعم أنها هي عرضت نفسها وصداقتها عليه .

فقالت : بصراحة أنت تكذب ، وأنت فصلت وطردت .

وأخذ يحلف ويقسم ببراءته فقالت : أنا قابلت مدير المستشفى وأكد لي قصة الممرضة جميلة حوشن وغير ذلك .

قال: حسنا ! انتهى الموضوع يا دكتورة

قالت : الكذب حباله قصيرة يا جهاد ! كل تكاليف الخطبة سأعطيك إياها كما دخلنا بالمعروف نفترق بالمعروف.

قال: كما تريدين

قالت : لم تكن صادقا معي ، وزعمت أنك لم تعرف الحب والبنات ، وأنك تعيش حياة جادة

قال: أتمنى لك التوفيق.

قالت وهي تنهض : وأتمناه لك.

وفشل الاختيار ، وانتشر سبب الانفصال مما سبب فضيحة للدكتور جهاد وانتقل لمستشفى آخر يبحث عن زوجة ، تقدم مدير المختبرات في المستشفى لمنار بعد هدوء العاصفة وبعد عدة لقاءات ، قبلت منار به زوجا وتزوجت الدكتور رمال حسني ، واحتفلوا بالزواج في صالة أفراح شهيرة في ضاحية المدينة ، وفرح المحبون ، وتألم المبغضون ، وبعد الزواج بشهر تقريبا قدم الدكتور رمال حسني استقالته لمدير المشفى ؛ لأنه كان ينتظر الرحيل لدولة خليجية للعمل في مستشفى عالمي .

قالت : هل من ردود ؟ لك ثلاثة اشهر تنتظر.

قال: حينما اصل سأقدم أوراق سفرك وأوراق عملك سواء معي أم مع الحكومة.

قالت : الغربة مرة يقولون

قال: لن نشعر بالغربة ، أغلب وقتنا في العمل، ولي أقارب كثر سبقوني ، وأنا عن طريقهم قدمت أوراقي ، والراتب ضعفي راتبي هنا

قالت : هو هذا المغري في تلك الديار ذات الحر وارتفاع الرطوبة

قال: الإنسان يتكيف يا منار .. ولسنا أول من يهاجر إليها .. بعضهم يهاجر إلى أمريكا وأوروبا .. كل بلد لها محاسن ومساوئ .. لم يحصل حمل

قالت : أراك متعجلا

قال: أمي المستعجلة كلما اتصل بها تسأل

قالت : بعد مضي الشهر السادس اذا لم يحصل المطلوب، ولم تسافر نجري فحوصات تناسلية وطبية .. طمن أمك .

قال: إن شاء الله.

قبل دخول الشهر السادس لزواجهما رحل رمال حسني للقطر العربي لممارسة العمل كمدير مختبر طبي في الدولة العربية ، وعادت منار للحياة في بيت والديها حتى يتيسر أمر رحليها وقدمت استقالتها لمديرها ، ونقلت ما يلزمها من ملابس وأغراض ، وعرضت الشقة للإيجار كشقة مفروشة ، لأن الشقة ملك الدكتور رمال حسني ، أجرت منار فحوصات مخبرية لجهازها التناسلي ، وأظهرت التحاليل المخبرية وصور المبايض والرحم أنها صالحة للحمل ، لم يكشف عن عيوب وعوائق تمنع الحمل والإخصاب ، وكانت تنتظر الرحيل بهوس وشوق ، ورحلت فور قبول سفرها وهجرتها ، ورحب بها زوجها بشوق وحنان ، ونقلت له نتائج الاختبارات ، واطلع على التقارير

، وغمرته الغبطة والحبور ، وطمأنها على تحاليله التي أجراها في مختبر المستشفى ، وأنه أيضا لا يعاني من معوقات إنجابية ، وخلال شهرين تمكنت من العمل في احد المراكز الطبية ريثما يتيسر لها الوظيفة في مستشفى حكومي ، وقد استطاع رمال حسني من توظيفها في مكان عملة في مستشفى الشرق الأقصى الأوربي الذي يعمل في المنطقة العربية الخليجية.

مضت السنة الأولى بينهما دون أن يتحقق الحمل، وارتفع منسوب القلق والتوتر في علاقاتهما الجنسية من عدم إنتاج بيضة مخصبة ، السنة ذهبت من عمرهما دون ثمرة ، كثرت الفحوص وزيارة عيادات المشاكل التناسلية دون معرفة العوائق ، ولديهما لهفة للخلفة ، انقضت أخرى سنة ، تزوج الطبيب سرا أو خفية عن زوجته منار ، تزوج طبيبة من بلده تعمل هي وشقيقها منذ عهد قريب في تلك المدينة ، وبعد زواجها عاد اخوها للوطن ، فلما علمت منار بزواج رمال حسني دون تمهل وتردد طلبت الطلاق ، وعجل رمال حسني به ، وكأنه كان ينتظره، لم يحب أن يأتي الطلاق منه ابتداء، فزوجته الثانية تقبلت الأمر ، عادت منار إلى بلدها ووطنها بعد ما يقارب خمس سنوات ، واستقرت طبيبة في احد المشافي ، وكانت في حالة نفسية صعبة ومؤلمة لها وللعائلة ، تجاوزت الثلاثين سنة ، ولم تلد وحتى لم تعد زوجة ، مضت الأيام عندما عرضت عليها أختي أمها أن تتزوج من عيسى مسلم ، قريب لنا على ضرة ، ومن ضغطنا قبلت، وتزوجها الدكتور عيسى ضرة لأمراته ، والمفاجأة أيها الفضلاء أنها حملت من الكهل عيسى ، وعمنا وغمرنا الفرح ، وذبحت أمها النذور كما قيل ، وولدت أخيرا الطبيبة بنتا جميلة ، سميت هبة ، ثم ولدت ابنا سمته خالدا ، وهنا بعد ميلاد خالد بشهور أخذت تطلب من الدكتور عيسى مسلم طلاق زوجته أم الأولاد الأربعة ، أحدهم ابن اثني عشرة سنة، مما أثار دهشتنا وحيرتنا، والحجة أن ضرتها أم وائل لا تحترمها هي وذريتها ، كل مشكلة تصير معركة ، وأصرت على طلاق أم وائل أو طلاقها هي فقلت لها :يا أم خالد ما بك؟

قالت مستهجنة : شكى لك يا خالي!

قلت : أمك أختي هي التي طلبت مني أن أتكلم معك

قالت : لم اعد أطيقها ، واخشى على أولادي منها ومن غدرها

قلت : إنهم أخوة أولادك ، ووالدهم واحد.. فهذا وسواس يا دكتورة فنحن فرحنا جدا لولادتك وسعادتك ؛ فليس لك الحق في تطليق ضرتك، فالرجل لم يتزوجها لكره أو بغض الدكتور رغب في التعدد ، وعيسى كان يبحث عن

امرأة ثانية ليس لبغض لها ، فعلت أمك ذلك شفقة عليك ومحبة لك.

قالت :كرهت الشراكة والخوف

قلت لها : خوف وهمي ، ولن تضرك أم وائل وهي سيدة فاضلة ومحترمة

قالت : أنا حامل في البطن الثالث ، فعليه أن يفكر يا أنا يا هي

قالت : هذا ليس عدلا أنت في شقتك ، وهي في شقتها ؛ بل صارحني أنه أمام الصراع بينكما يفكر ببناء شقة ثالثة ليتزوج ثالثة

قالت : هددني بذلك مرات

قلت : نصيحتي قبل انصرافي تمسكي بزوجك وأحبي أولاده ، فهم أخوة خالد وأخته هبة فالرجل لو لم يردها لطلقها قبل قبولك به .

ظلت النزاعات العائلية بين منار وزوجها حتى وصلت لصفع أم وائل لمشاجرة بدت بالكلام عندما شكى الصبي لأمه أن خالته صفعته وبصقت عليه، فعتبت أمه على منار فما كان منها إلا أن شتمتها وأهلها ، وضربتها على وجهها ، فما كان من الدكتور عيسى لما علم بالمعركة أن طلق منار التي رفضت الاعتذار لأم وائل والصبي المراهق؛ بل تحدته قائلة : يا أنا يا هي!

قال : أنت طالق ، غدا نطلق أمام القاضي.. أنت طالق.. يا دكتورة لولا خاطر أمك وخالك ما تزوجتك، كما رضيت صفية بك ضرة كان عليك أن تحمدي الله على زواجك مني.. أهلك أولى بك ، وأنا كنت افكر ببناء شقة ثالثة لأتزوج أرملة أخي عفيف .. قلت من هنا حتى أبني واذا لم تتزوج سأضمها لكنّ حتى أربي أطفال أخي معنا.

حصل الطلاق ، ورفض عيسى التراجع من أجل الجنين قال عدنان :وثق الطلاق وأخذت منار عفش الشقة وحقوقها المالية ، وبدل أن يبني عيسى شقة جديدة أثث الشقة من جديد ، وتزوج فعلا أرملة عفيف ، وكان لديها ثلاثة أطفال ، فعفيف أصغر من عيسى .. لما ولدت منار سعى بعضهم لدى عيسى بالزواج منها من جديد ، فرفض وقال: نسائي مستعدات لتربية أولادها اذا لديها رغبة بالتخلي عن حضانتهم ، اضطرت منار لاستئجار خادمة لرعايتهم أثناء عملها ودوامها وامتلكت شقة خاصة بها ، والتزم عيسى بدفع الحضانة القانونية حسب قرار المحكمة وهي اليوم تعيش مع ثلاثة أطفال وترفض الزواج لأن كل من يتحدث عنها فوق الخمسين ، إما أرامل أو مطلقين أو يرغبون بالتعدد لعجز نسائهم عن الجماع بسبب الأمراض والسن .

قال عمر : هل انتهت قصة ابنة أختك؟

قال : لم يبق الكثير أيها التاجر القماش! أنت عندك اثنتان ابنة عمك وبنت كانت يتيمة لأن اليتم بعد

البلوغ ينتهي

قال ضاحكا : زمان انتهى قبل أن أتزوجها .. بس الناس تظل تقول اليتيمة يا دكتور عدنان

قال طارق : اكمل السطر الأخير يا أخ عدنان

قال : بقي اكثر من سطر .. أربعة أو خمسة اسطر غمرهم الضحك وقال عزيز : هات الفصل الأخير من مأساة الدكتورة منار التي طلقت نفسها بنفسها.

قال مبينا موقفها الغريب : هي توهمت يا أخ عزيز أن عيسى مسلم تزوجها من نفسه وعن غرام وإعجاب .. لم تعرف بدورنا أنا وأختي لزواجه منها .. ظنت أن الدكتور اغرم بها لما رآها في عرس أخيها ، وتهامس مع أمها وهو يحدق بها فاعجب بها ، ومال إليها ، هكذا ظنت إنما كان قصد أختي تعريفه بها ؛ ليفكر فيها كزوجة ثانية ، ولما شاهدها قال لي : اذا قبلت فحي هلا .. وقدر الله الزواج أيها الاحبة .

قال حمزة :السطر الأخير يا سيد عدنان

قال : السطر الأخير يا عمر ! عاشت الطبيبة وحدها مستقلة ، وما زالت ، وقد كبر خالد والبنتان ، والكبرى دخلت الجامعة وقد يتزوجها أحد أولادي اذا قدر الله ذلك ؛ لكن السطر الأخير أن الدكتور رمال حسني زوجها الأول رجع للوطن ، تصحبه زوجته وأولاده أنجب بعد زواجه الثانية ، ولما علم بأن السيدة منار مطلقة اتصل بها عن طريق وسيط وأنه مستعد للاقتران بها ، فأخبرت الشفيع أنها تقبل اذا طلق امرأته التي تزوجها ، وكانت سبب انفصالها فعجز عن ذلك، فكيف يطلقها وهي التي أعادت له فحولته وبسمة الحياة ؟.. الإنسان المسلم عندما تذهب من نفسه فورة الجنس والشهوة والرغبة يريد الأبناء " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين" انتهت الشهوة للجنس الآخر ، فيحتاج الولد ثم المال والخيل

قال حمزة: أحسنت يا دكتور ترغب بمصاهرة ابنة أختك!

قال : هي صديقتي ولست خالا فحسب ، وتحب سماع رأيي وكلامي ، وبحكم ذلك عرفت الكثير من تفاصيل حياتها ، وزوجها والد بناتها صديقي ، وقريب ، فأمه ابنة خالة لأمي وكلاهما الابن والبنت مرحب بذلك

قال : والبنت مرحبة.

قال عدنان : البنت وابني لحد الآن لا اعتراض لديهما .. بقي الأستاذ ماهر الخطاط لم يرو قصة طلاق عاصرها.

قصص وحكايات الفوارس

حكاية ريح البحر

الحلقة ٣ والأخيرة

الملكة الأم قد لاحظت هي وجواريها الثلاث كثرة خروج الخادم من القصر دون إذن، وكانت لا تظن في ولدها خيرا ، وتعلم حقده على بعلها البحر ، وهي أدرى الناس بخلق ولدها صخر وأن حقده وكرهه كبير، وأنه لن يغفر لملك البحر الزواج منها .. فتوجست خيفة من فعل الخادم الوحيد الذي جاءت به معها من بلادها ، ورغم ثقتها القديمة به ، فقد تضايقت من خروجه بدون علمها .

وهي خبرت الملك البحر وقوته وشدة إخلاص رجاله إليه، فإذا تعرض لحادث فربما يضطر لقتل ولدها الوحيد ، ويفني عشيرتها وقومها ..فهمست بأذن بعلها البحر شكوكها حول الخادم قائلة : أخشى أن يتصل به أعوان ولدي ، ويغرونه بالتعرض لك .. فأنا أعلم الناس بحقد وبغض ولدي ..فالكبر قاتله .. فيحتاج لزمن طويل حتى يتغير للأحسن أيها الملك العظيم .

شكر لها الملك إخلاصها وخوفها عليه وعلى ولدها ، ثم قال باسما : اطمئني يا سيدتي الكريمة واعلمي أن خادمك قد خاننا ، وهو على اتصال بعبد من عبيد الملك صخر اسمه سمر .

ذعرت الأم لسماع هذا الاسم وقالت : ويلاه !! .. إنه وحش في صورة إنسان .. هذا الوحش ورثه صخر عن والده ..وهو سيف ويد الملك ..ومن أخلص رجاله وأعوانه ..لا تتهاون معه وما أتى إلا لأمر كبير أيها الملك المبجل ! .

ـ بوركت همتك ..وجفلك منه يدل على خطر كبير منه ؟

ـ إنه يا مولاي عبد لئيم ..وأنا يا مولاي لا أحب أن يصيبك شيء على يد ولدي ورجاله .. ولا أحب أيضا أن يصرع ولدي على يديك ويد رجالك .. فحياتكم حياة لي .. ولا أريد أن يكون بيني وبينكم دم أحدكم ..وولدي أعرف كبره وشهوته للقتل والحرب ..ولا يعرف عاطفة وقلب الأم .

ـ لا تجزعي عليّ، ولا على ابنك سنعامله بالحسنى ..وأما هذا العبد فهو يخطط لهلاكي يوم حفل إشهار الملك خالد على الملأ باحتفال مناسب .. ورجال الحماية والخفية يقومون بواجبهم وهم من أفطن وابرع فرساننا .. وبعد إعلان هذا التتويج سنغادر المدينة إلى بلادنا العامرة ، وسنجد الأمان فيها أكثر ..فنحن هنا نعرف أن لنا الكثير من الأعداء والحساد ..هذه طباع الناس وأخطر الخطر أن يشترك رجال الملك وحاشيته بالتآمر عليه ..فهذا الخطر الداهم والخطير يا أم صخر أما الغدر من الأباعد والغرباء فهذا وارد ومتوقع .. وعلينا الحذر.. والعبد سمر فهو تحت المتابعة والسيطرة ..وصدقي أيتها الملكة العزيزة على قلبي أنني منذ سكنت بلاد القنفذ واجتمعت بسيدي

ومولاي هزيم الرعد لم أجد بينهم غادر.فقد كشف أمر سعد وسمر بسرعة لعيون الحراسة ، وهم يعلمون ويدركون أهمية المحافظة على جسد الملك البحر من أيدي الماكرين والغدارين .. وكان البحر قد أمرهم بالقبض على سعد وسمر ليلة الحفل لإرباك الأعضاء المستورين ، فهم من متابعة سعد عرفوا سمرا ؛ ولكنهم مدركون أن لهم أعوانا آخرين .

فهم وصلوا لمسكن سمر؛ ولكنه كان يعيش فيه وحيدا ، وكان أمير الحماية الأمير أسعد يصعب عليه تصديق أن سمرا جاء من بلاد الغراب ليغتال الملك البحر وحده .. بل عيونهم التي قبعت في بلاد الغراب أعلمتهم أن مجموعة من ثلاث رجال خرجت لارتكاب جريمة في بلاد الماعز .

ورغم قناعة سعد خادم الملكة بضعف الوصول للملك البحر والنيل منه ؛ ولكنه بعد سماعه كلام سمر والأحلام التي وضعها بين يديه من السيادة والحرية والزواج وافق على التعاون مع سمر ونسي الملكة .. ورغم عيشه كل هذه الحياة بدون طموح والرضا بما هو فيه استطاع سمر إغرائه وقلبه على مولاته الملكة ..وقد كان سعد يعلم من هو سمر عند الملك صخر مع كونه عبدا مثله ..كان كأنه وزير غير متوج .. فطمعت نفسه لأن يكون مثل السيد سمر .. فسقط في براثن الخيانة .. لذلك تابع الاتصال والاجتماع بسمر متوهما أنه ذكي وأن القوم يجهلون ما يمكر به .

وقبل يوم المهرجان الليلة السابقة للاحتفال عندما أراد الخروج من القصر المقيم فيه الملك البحر أراد سعد الخروج كالعادة التي دأب عليها حديثا فمنعه رجال القصر وحاول أن يقنعهم برغبته بمشاهدة الاحتفال .. فوعدوه عند ساعة الاحتفال أن يسمحوا لك بالمغادرة لبعض الوقت .. فعاد لمقر نومه مرتبكا وقلقا وحزينا ، وأن سمرا سيظن به الظنون .

وسمر فعلا ظن به السوء عندما لم يحضر إليه للاجتماع الأخير قبل الاحتفال فلعب الوسواس في عبه وصدره .. وانتظر لليل ولم يحضر الرجل فازداد حنقا وخوفا .. وجلس في مسكنه حائرا من تأخر سعد.. وعند منتصف الليل سمع طرقا على الباب فظن للوهلة الأولى أن سعدا قد حضر، فبعد أن جفل نهض قائما ـ وهو معروف بالشجاعة في بلده ـ وابتعد عن الفراش وقال باضطراب: من يطرق الباب ؟!

ـ افتح أرسلني سعد إليك .

ـ من سعد؟! هو قد سمع صوتا ضعيفا .

ـ ألا تعرف من سعد؟

ـ من سعد ؟

ـ ويحك ألا تعرف من سعد ؟ .. افتح الباب لأقول

لك من سعد؟ ولماذا أنت ترتجف خوفا؟ أتظننا لصوصا وقطاع سبل .

فانتفض سمر وقال: ويلك أأنا أخاف ؟!.. وفتح الباب فرأى شبحين في ظلام الليل فقال : ما الخطب ؟

فقال أحدهم : ألا تعرف سعدا خادم الملكة ربى ؟ .. ألست أنت العبد سمر خادم وسياف الملك صخر أبي رشوان؟

لم يعقب بشيء فهو ما زال قلقا منهم فقال : ماذا تريدان ؟

ـ صديقك سعد هل عرفته ؟

ـ عرفته .

ـ ما دام قد عرفته فأعلم أنه أصيب باعتداء وهو في الطريق إليك وهو راغب بلقائك الآن .

ـ مصاب ويرغب بلقائي ، كيف أصيب ؟!

ـ تعرض له خلق فأصابوا منه وهو نزيل إحدى أماكن العلاج ..والتقينا به هناك فترجانا أن نبحث عن بيتك بعد أن تعب وهو يصفه لنا ..وبالإمارة ذكر لنا سوق النحاس ، مكان تلتقيان فيه .

ـ حسنا .. إني سائر معكم .

وأغلق الباب ، ومشى معهم ، وبينما هم في الطريق أحاط بهم عدد من الفرسان والعسس ، ثم ساقوهم إلى سجن المدينة ، وحاول سمر رشوة حراس السجن للسماح له بالخروج لحضور حفل التتويج الملكي ، ولم يوفق في ذلك ، وظل الرجلان اللذين أسرا معه معه في السجن ، وهما من رجال الأمير أسعد.

بدأت الوفود المشاركة في الحفل تتوافد منذ الفجر إلى الميدان وساحة الاحتفال ، ويؤشر لهم القائمون على ترتيب الاحتفال بالجلوس في الأماكن المخصصة لهم .

وقد وفدت أم الملك خالد لحضور الاحتفال بتتويج ابنها البكر ملكا على بلاد الماعز السمرة ، ومعها أشقاء الملك خالد وبعض أقاربها ، وامتلأت الساحة بالضيوف وأهالي البلد ، وأحاط الحرس والجند بمكان الاحتفال بشكل جيد ، وكان أغلبهم من جيش بلاد القنفذ ..وتكلم الخطباء بما يليق بالملك الجديد، وقدم بعض الشعراء قصائد المدح في الملك البحر والملك خالد وتمنوا دوام العز والصداقة بينهم ..ورحبوا بالحلف القائم بين المدينتين .

وكان الملك البحر يجلس في وسط القوم ، ويهنئ الناس الملك خالدا ثم يحيون الملك البحر ، وكان بعضهم أو جلهم يرى أن الملك الحقيقي للبلاد هو الملك البحر ..ولما انتهى الخطباء والشعراء قدمت الهدايا للملك الجديد .

ودعوا الناس للموائد التي أعدت للجميع من

سادة وساقة ، ثم قام بعض الفرسان بالتبارز واللعب أمام الملك وضيوفه ، ثم أخذت الجموع تنسحب رويدا رويدا ، وأخذ الأكابر والأمراء يتفرقون ، ولما لم يبق إلا القليل من الضيوف ـ وقد كان أحد الشعراء يهتف بقصيدته مادحا للملك البحر في تحقيقه الأمن والحياة لبلاد الماعز ـ حصلت في إحدى النواحي ضجة لفتت أنظار الملكين والوزراء .. ثم تبين أن رجلين كانا قد اندسا بين الحرس بزيهم المميز كانوا يحاولون الوصول لمنصة الملكين .. ولكن أحد الحراس انتبه لهم وأدرك أنهم ليسوا من الحرس الملكي ومنع أحدهم من تصويب سهمه جهة الملوك فأصاب السهم المنحرف أحد الجنود .. وكان السهم الغادر مسموما ، فصرع الجندي بعد وقت يسير .. وقبض على الجاني وشريكه .

ولما انتهى الحفل غادر الملك خالد الساحة لقصره ، وفعل مثله الملك البحر وحاشيته ..واطلع على تفاصيل حادثة محاولة الاغتيال من الأمير أسعد قائد الحماية والخفية ، فكلفه بسماع أقوالهم بالتفصيل ، ولم قدمت له أمر بقتل الرجلين اللذين قتلا الجندي ، وأمر باستمرار حبس سعد وسمر في بلاد الماعز ..وأخبر أعوانه بالاستعداد للرحيل والعودة إلى بلاد القنفذ ، وترك حامية من خمسمائة جندي لحماية الملك خالد حتى ينتهي العهد الذي تعهد به سادة بلاد الماعز للملك البحر .. وكذلك يتكّون الجيش الجديد .

وبعد أيام ثلاثة خرجت الجنود والملك البحر من بلاد الماعز ، وكان الملك قد أوصى صديقه بالعدل والابتعاد عن الظلم ، وحثه بالشدة على المعتدين وتقوية الجند وحسن انتقاء أفراده .. ولما وصلت الجنود بلاد القنفذ خرجت الناس لاستقبال مليكها المظفر وفرسانها وأبطالها ، وقد جاءوا بالأموال الكثيرة والسبايا والرقيق .. وأطعم الناس والفقراء ، ووزعت الهدايا على القادة والأمراء ، وزوجت الأرامل من الفرسان والأبطال كعادة أهل البلد منذ عهد الأمير هزيم الرعد .

وبعد حين يسير جاءت الرسائل السرية مخبرة للملك أن بعض رجال الملك خالد يتذمرون من الجزية المفروضة عليهم حسب العهد القائم بينهم ، ويحرضونه على عدم دفع المال المعقود بينهم وأن على صديقه البحر التخلي عن هذه الطلب ما دام يدعي أنه صديق عزيز لك .

فطلب الملك البحر من رجاله وقومه الصبر حتى يأتي موعد القبض المتفق عليه بين أهل المدينتين وأعلمهم أن هذه مدينة يعشق أهلها الفتن ، ويكثر فيها المستشارون للحاكم ، وأعلمهم أنه لو حصل أي خلل في تحقيق الشروط التي قاتل عليها

سيضم بلاد الماعز لبلاد القنفذ ، ويضع عليها ملكا من بلاده ، وأمرهم بالصبر والتحمل حتى يحدث الله أمرا .

ثم جاءه خبر مفاده أن بعض حاشية الملك خالد تحثه على وضع حرس من بلاده ويبعد رجال الملك البحر عنه ، فأرسل الملك البحر رسالة تقرأ أمام حاشية الملك يحذرهم من الغدر برجاله والعصيان، وأنه إذا اضطر للمجيء إليهم سيحكم البلاد بنفسه وبجيشه وأنصاره ، وسيضمها لبلاد القنفذ رغم أنوفهم .

أبناء ريح البحر

يعرف القارئ الكريم أن الملك البحر قد تزوج أول مرة بعد دخوله بلاد هزيم الرعد امرأة اسمها سلمى وقد ولدت أكثر أبنائه .. بلبل ، وحسن ، وزيد ، وعامر ، وسيف ، وعندما تزوج ابنة الأميرة هزيم الرعد بعد ترملها على بعض الأولاد ولدت للبحر ولدا واحدا سماه ليثا وبنتا اسمها شهر ، والملكة ربى أم الملك صخر كانت كبيرة في السن ، وربما تقارب في العمر الملك البحر ، وقد تزوجها لإخضاع ابنها صخر ، ودفعه لعدم التدخل في شأن بلاد الماعز ، ولكن الملك صخرا اعتبر هذا زواج الغالب رغم معرفته أن أمه تزوجت برضاها ودون ضغط للحفاظ على حياته هو ، وعلى ملكه وحقن دمه ، وهذا ما حصل طبعا .

ولما انتهى الاحتفال بالنصر في البلاد ، وعم الفرح بلاد القنفذ ، أخبرته الأميرة سلمى زوجه الأولى التي زارته في بلاد الماعز بعد عودته من بلاد الغراب ، وكان عدد من أبنائها الكبار قد شاركوا في هذه الحملة الكبيرة ، وسافرت لتشارك في الحفل الكبير الذي أحب الملك البحر تقديمه لصديقه القديم ، وعرفانا لأمه صيد التي أحبها صغيرا كأم له .. فقد التقت هذه الأميرة بنساء الملوك والوزراء الذين دعوا لهذا الحفل الكبير.. وسبق أن ذكرنا أن أم خالد صيدا حضرت هذا الاحتفال الخاص بتشهير ولدها البكر ملكا على بلاد الماعز ..وكان من ضمن نساء بلاد القمحة بعض شقيقات صيد أي خالات الملك خالد .. وهؤلاء من عادتهم إذا دعوا إلى مثل هذه المواسم أن ترافقهم بناتهم الشابات .. فرأت الأميرة سلمى فتاة أعجبتها جمالا وأدبا اسمها زهرة .. وهي ابنة ثلاثة عشر عاما .. ومالت إليها ورغبت بتزويجها لأحد أبنائها المحاربين في جيش أبيهم .

أخبرت الأميرة زوجها بهذه الحسناء زهرة ، وأنها تصلح زوجة لولدها حسن أو زيد ، فهما لم يتزوجا بعد ورغم تجاوز سنهما العشرين سنة .. وأعلمته أنها حدثت حسنا بهذه الغاية .. فلم يرد عليها فصلا إلا بعد سماع قول أبيه الملك .

ففكر الملك بهذا الزواج وهذه العروس قريبة الملك

خالد والملك عدنان.. فهو يعرف أخوات الملكة صيد أيام صداقته لخالد في تلك المدينة .. ورأهنّ أكثر من مرة أثناء وجوده مع خالد في قصر أمه ..فكن يترددن عليها للزيارة والسمر ، ولكنه لا يعرف زهرة هذه ؛ لأنه كما يعلم القارئ الكريم غادر تلك البلاد منذ زمن بعيد ، وكذلك لم تكن الفتاة قد خلقت بعد .

فقال لزوجته : إني أعرف هذه الأم ..فقد قضيت مطلع عمري في تلك البلاد .. بل أعرف بعض أبنائها الذين تدربوا معنا في حصن التدريب ..وأن زوجها هو ابن عم لها على ما أذكر ، وهو الأمير حسان ، وهو رجل شجاع ، وقد التقيت به كثيرا في حصن التدريب وفي المهرجانات وزوجه الأميرة امرأة فاضلة أذكرها الآن بشكل جيد .. هل فاتحتيها بالأمر ؟

ـ سألتها فقط هل ابنتها متزوجة؟ .. " فقالت تنتظر الفارس الجميل بعد" .. "وقالت والدها لا يرغب بتزويجها ، فهي ولدت في سن متأخر عن أخوتها .. فكل أبنائه متزوجون .. وهي ترفض الزواج كما يرفضه والدها ..وهي متعلقة بالفروسية والصيد مع والدها .. فلا يخرج أبوها للصيد إلا وتصحبه الأميرة زهرة ".

ـ يعني أنهم لا يرحبون بزواجها ؟!

ـ ربما لم يتقدم إليهم الفارس الجميل كما قالت أمها ..يريدون الكفء لهم .. أو إنهم يرونها صغيرة على الزواج وأمامها بضع سنوات أخرى للهو والصيد .. فقد رأيت ألا أكلمها عن الزواج حتى أشاورك في الأمر وريثما نعود لبلادنا هذه .

ـ أحسنت الفعلة!.. أنا نشأت في تلك الديار أيتها الأميرة كما تعلمين.. ابن رجل فقير أشفق عليه والد الملك عدنان وصيد.. ولأنه قتل في خدمة الملك عنان ألحقوا ولده في حصن التدريب مع أبناء الأمراء والأشراف .. وذلك كان لما ترملت أمي وكنت يومذاك وحيدها.. وقدر لي مصاحبة الأمير خالد وأشقائه .. فتقربت من الأسرة المالكة أنا وصديقي هلال .. ثم تزوجت أمي فابتعدت عنها كثيرا .. ولما استقررت هنا علمت بموتها من أحد الأصدقاء القدامى .. ولما صرت سيد هذه المدينة أرسلت رسولا لأخوتي من أمي ـ وهم سبعة بين ذكر وأنثى ـ ودعوتهم للحياة في بلادنا فاعتذروا جميعهم .. وهم مرتاحون في تلك البلاد، ويخصهم الملك بعنايته بعدما ظهر أمري للعلن ، وهم في وئام وسعادة في بلادهم وذلك بفضل من الله وحده .. والحق كان زوج أمي طيبا وسخيا .. عرض عليّ الحياة بين أولاده من زوجته الأولى.. ولكن لما وجدت راحتي نوما وأكلا في حصن التدريب اعتذرت له وشكرته .. وكنت أتردد عليهم كلما أتيح لي ذلك .. فأجد منه حسن

الاستقبال والإكرام ..بل قدم مع وفد بلاد القمحة ليسلم عليّ ، ويشارك في حفل الملك خالد .. ودعوته لزيارتي في هذه البلاد والحياة هنا.. فوافق على الزيارة فقط ..هو ابن تلك البلاد من عدد لا يحصى من الأجداد كما يقول ، فلا يستطيع الحياة في غيرها من البلاد وأهل البلاد لما عرفوا بأن الملك البحر ابن مدينتهم ، فيكرمونهم غاية الإكرام ويراعون شأنهم.. بل سمحوا لبعض أحفاده بالتدرب في حصن التدريب ؛ ليكونوا من الفرسان في مستقبل الأيام ولابد أن بعضهم تحقق له ذلك .. أما الزواج أيتها الأميرة .. لا أدري هل يقبلوننا أم ينظرون إليّ بأني ذاك الشاب اليتيم الفقير؟!

فقالت وهي تدرك الحقيقة التي همس بها زوجها الملك البحر: فلنحاول أيها الملك العزيز .

فضحك للحظات وقال : يجب أن نحاول .. فملكنا اليوم بفضل مولانا سبحانه أكبر من ملكهم ، وفرساننا أكثر من فرسانهم ..حسن أو زيد .. أنا لا أدري لماذا يمتنعان عن الزواج لليوم ؟! فابني من الأميرة (شام) قد تزوج وصار له ذرية .. بل بلبل يرغب بالزواج ثانية ولكنه لا يريد أرملة ..كسائر فرساننا ..

ـ حسن ترك الأمر لك ..فأي عروس نختارها سيقبل بها .

ـ سأفكر في الخطب جديا ، ثم أجد وسيلة للاتصال بهؤلاء الناس .. فالأمير زياد والأمير يزيد ما زال ودهما لي كبيرا هم أشقاء الملك خالد ..فهم من أصدقاء الحصن ..ولما التقينا في بلاد الماعز عانقاني بفرح غامر ، وسعدا بما وهب الله لنا من الملك والتاج ..وتمنيا لي كل خير وسعادة ودعواني لزيارة مدينتهم إذا تيسر لي ذلك .. وهذا زياد له قصة غصة في بلاد الماعز

ـ كأنك تحدثت أمامي عن بعضها ؟

ـ ظلم الرجل من قومه وحمولته ، أجل فهو لا يحب بلاد الماعز ، وعاش في كنف أخواله ، وظل وفيا لهم ، وتزوج منهم ..فأبوه رضوان الملك المخلوع من قبل أخيه رياض ..وهو اختار العيش مع أمه رغم اعتراف أبيه بنسبه قبل سنوات .

ـ هل تعلم ـ أيها الملك العزيز ـ أن الملكة صيدا قد ولدت من زوجها بعد أن عادت إليه ردحا من الزمن ..

ـ ولدت له .. يا الهي !

ـ والغريب أنه طلقها ثانية وولدت في بلاد أخيها الملك !

ـ حظ هذه المرأة عجيب !.. لقد رفضت النكاح أثناء طلاقها من زوجها من أجل أولادها .. وكرهت الرجال للتهمة الشنيعة التي ألصقت بها من قبل أهل زوجها

ـ لها بنت طفلة اسمها أسماء .. رأيتها معها أثناء وجودنا في بلاد الماعز ..

ـ امرأة صابرة على قدرها .. كانت رغم أنها ابنة ملك تحترمني أنا وصاحبي هلال وتسمح لنا بمشاركة خالد طعامه ..ولم تعترض على صحبتنا لابنها وأخويه الآخرين .. كنا نحبها ونشعر بأنها أم لنا جميعا .



كانت المصاهرات في القديم من وسائل تقوية الأواصر والعلاقات بين الملوك والقبائل والبلدان وتنتج تحالفات تدعم الملوك في دفاعهم عن بلادهم أو هجومهم على غيرهم .

ويدرك الملك البحر فوائد مصاهرة الملوك جيدا ، وقد رأى ما فعل الملك الحصان في بلاد الماعز على أثر اغتيال كريمته بتهاون الملك رياض ، وذلك مما شجعه للقتال وتنصيب أبناء ابنته ملوكا وسادة على تلك البلدة .

فتشاور مع وزيره العتيد الأمير هلال صديق العمر، وقد أعطى ابنته من الأميرة شام زوجة لأحد أبنائه ، فقال له الوزير: إن ذلك شأن مقبول وطيب وتحبه الملوك وشجعه الوزير هلال على هذه المصاهرة ، مما دفعه ليسير وفدا كبيرا لبلاد القمحة لتحقيق تلك الغاية النبيلة ؛ وهي شرف مصاهرة الملك عدنان .

وبينما هو يوافق على مسير الوفد كانت قصة الملكة صيد تتخايل له ، وقصة زواجها في بلاد الماعز ثم قال لنفسه : أنا لست الملك شاخا لأسكت على ظلم ..

استقبل الملك الشيخ عدنان وفد الملك البحر ، وهو له معرفة سابقة بالوزير هلال أيام كان رفيقا لابن أخته وسفرهم برسالة خالد لأبيه .

وأنزلهم قصر الضيافة ، وقدمت لهم الأطعمة والأشربة والعلوفات ، ولما اطلع الملك على الغاية النبيلة من زيارة هذا الوفد فأصابه وجوم أزعج الوزير وقال : عجيب مجيئكم لطلب يد ابنة أختي وابن عمي حسان !

فلما استفسر الوزير عن سبب هذا العجب ، قال الملك : منذ أيام قلائل كان بضيافتنا وزير مدينة سعادة مملكة على ساحل البحر يخطبون لأمير من مدينتهم قد رأى الأميرة زهرة يوما ما

والتفت الملك إلى وزيره همام بن علي قائلا : ما اسم الأمير؟

ـ سن اللؤلؤ ..وهو ابن أخ الملك سالم ملك مدينة سعادة .

فقال الوزير هلال : هل أنكحتموه ؟

قال الملك : لم نحسم الأمر أيها الوزير الشجاع ..

لأن الفتاة نفسها لم تبد رضا مع معرفتها ومقابلتها لذلك الفارس وتذكرها إياه .. لقد التقيا في رحلة صيد قريبة من تلك البلاد .

فقال هلال : أنتم بالتأكيد لا تعرفون الأمير حسن ابن الملك البحر ..هو فارس المعارك شديد البأس .. وشارك بقوة في إقرار ملك ابن أختك الملك خالد وفي دخول بلاد الملك صخر .. وربما يكون هو الملك بعد وفاة ملكنا البحر أطال الله في عمره .. رغم أنه ليس البكر لمولانا الملك .. ولكنه أشد مراسا وذكاء من أخيه كما معروف لدينا .

فقال أحد الجلساء : لقد تعرفت عليه يا مولاي الملك ونحن في ضيافة ابن أختك الملك خالد وهو بطل وكريم كما تكلم الوزير هلال .. وهو أيضا فصيح الكلام والخطاب .

فتبسم الملك وأدرك أن هوى القوم مع الملك البحر فقال : سأكلم ابن عمي حسان وأختي الأميرة وردة ..فنحن لا نفكر بإغضاب أحد الملكين ..فكلكم أصدقاؤنا .. وتجارتنا قوية أيها الوزير مع بلاد سعادة .. والفتاة هي صاحبة الشأن والقول الفصل أيها السادة والأمراء .

ورجع الوزير هلال لقصر الضيافة وقد انشغل باله بفشل سفارته ، ثم قال للوفد : أيها القوم الأمر لله فلا تحزنوا ولا تغتموا .

ولما أخبرت زهرة بخبر وفد بلاد القنفذ ، تذكرت هي وأمها لقاءهم بأم بلبل الأميرة سلمى زوج الملك البحر ..وعادت الذكريات بالأميرة وردة إلى عهد بعيد حيث كان الفتى الصغير غاضب يتردد على قصر أختها صيد هو وخالد وهلال وهمست لنفسها وهي تستعيد صورة ذاك الشاب الصغير : سبحان الله .. يعز من يشاء ويذل من يشاء .. خالد ملك في بلاد الماعز وغاضب ملك في بلاد القنفذ .. وهلال وزيره ..إن هذا لأمر عجب !

فقال الفتاة : أين سرحت يا أماه ؟!

ولما كررت الفتاة الاستفهام أكثر من مرة قالت الأم وردة : نعم ، لقد عدت لأيام زمان .. عندما كان ابن أختي خالد فتى صغيرا يلعب بالقصر مع غاضب وهلال

ـ من غاضب يا أمي ؟

ـ غاضب هو الملك البحر .. وهلال هو الرجل القادم لخطبتك لابن صديق عمره .. قد كثر خطابك يا بنتي الصغيرة .. وهم من أبناء الملوك .

ـ إني أكره الزواج ..لا أريد هذا ولا ذاك .

ـ وهل الرفض يا فتاتي يكف ويمنع الخطاب ؟.. ألم تخلق النساء للرجال؟! ..هذه سنة الحياة الزواج كائن اليوم أو غد ..إلا إذا مات الإنسان أو أصبح غير صالح للزواج .

ـ ألا تستغني المرأة عن الرجل يا أماه ؟

ـ إلى متى ؟! فالرجل يحتاج للمرأة كما تحتاج إليه

..الأولاد من أين سيأتون يا زهرتي الجميلة ؟ ألا تحبين أن تسمعي قول صغير وحتى كبير .. أمي .. أمي ؟

ـ وأنت يا أمي من تختارين لي ؟

ـ أبوك ترك لك الخيار يا زهرة .. وأنت قدر لك أن تلتقي بسن اللؤلؤ بن غاشم شقيق الملك سالم ...

ـ نعم ، رأيته وهو فارس شاب قوي البنيان ورام ماهر يحسن الإصابة وقادر على مطاردة الصيد على ساقيه .. وعرفت من نظرته الطويلة إليّ أنه معجب بي أي إعجاب! .. ولكني لزمت الصمت طول ذلك اللقاء الخاطف في مكان الصيد .. وطوال حديثهم مع أبي .

ـ لقد استحسنك الشاب ؛ لذلك ما كدتم تعودون من الصيد حتى أرسل رجالا من قومه خاطبا لك ..ونحن قبل أن نحزم أمرنا في الرد جاءنا الوزير هلال خاطبا لابن الملك البحر .

ـ أعود سائلا من اختار يا أماه ؟ أم نرفض الاثنين وأتزوج من أبناء العمومة ؟

ـ استشيري أباك .. ما دمت موافقة على الزواج .

ابتسمت وهي تقول خجلا : أنا لم أوافق بعد يا أماه

ضحكت الأم لحياء ابنتها وقالت : لكنك تسألين عمن تختارين ..فهذا علامة القبول بفكرة الزواج .

احتضنت الفتاة أمها وهي تقول : أنا أتسأل يا أمي الحبيبة ؟..وإذا أردتم حريتي لا هذا ولا ذاك دعوني حرة بغير زوج .. آه كم أسعد بمطاردة الغزلان والظباء في الوديان والغابات عندي مطاردة غزال أجمل من معانقة بعل .

قبلتها من جبينها وقالت وهي تبعدها عن صدرها : وهل يمنعك الزواج من الصيد ومطاردة الظباء .. زوج يحبك .. يذهب بك للصيد .. فكل الفرسان في أوقات السلم يحبون الصيد .

ـ والحمل والولادة والرضاعة .. والتربية .

ـ هذا ليس كل الحيوات ..فالرضاعة قد تقوم بها الأخريات ..وكل الذي ذكرته هو حياة المرأة منذ خلقها الله سبحانه .. الأمومة أنبل أهداف المرأة يا فتاتي الحسناء

الخيبة

عاد الوزير هلال إلى صديقه الملك البحر بدون جواب حاسم ، ولكنه وجده مهموما مشغول الفكر ، فلما سرد عليه نتيجة سفارته سأله عن سبب همه فقال : يا وزيري بلاد الماعز مرة أخرى

ـ هل حدث خطب أيها الملك ؟!

ـ قتل أربعة فرسان من فرساننا غدرا .. وأرسل الملك خالد كتاب اعتذار وأسف ، وهم حائرون فيمن تعرض إليهم واغتالهم ..فهل قتلوا من أهل المدينة أم من رجال صخر أبي شروان؟! .. وكذلك أخبرني الأمير أسعد بأنهم لم يحددوا الجهة الفاعلة للجريمة .. فهذا ما يشغلني ويملأ قلبي هما وحزنا

.. يبدؤون بصيد رجالنا فردا فردا .. ما الحيلة المناسبة أيها الوزير الهمام ؟ لقد فكرت بسحب رجالنا والتخلي عن بلاد الماعز.. ولكن كل الجهد الذي بذلناه سيذهب هدرا والأموال التي طلبناها سيمتنعون عن إرسالها بسحب جيشنا ..أم نغزو بلاد الملك أبي رشوان وندمرها من جديد .

فكر الوزير قليلا ثم قال : الانسحاب كما قلت سنخسر كل جهد بذلناه لدعم الملك خالد وسنترك البلاد فريسة سهلة لصخر وأعوانه من أهل الماعز .. واستقرار الملك يحتاج لزمن حتى تتعود عليه الناس .. ويضعف أعداؤه ويقوى جيشه .. يمكننا زيادة الجند للألف مقاتل ونضع مدخلا محروسا بجندنا من جهة بلاد الغراب .. يخضع لفرساننا .. فإن عاد السكون فنعما هي وإلا نقوم بحملة جديدة للقضاء على الملك صخر .

ـ إقامة بوابة للدخول لن يمنع التسلل لبلاد الماعز

ـ يخفف منه .. ويحصر الدخول بالعامة والتجار ..

ـ أنا تشجعت للزواج من أم صخر لتهدئة الوضع ولاستقرار بلاد الماعز وإضعاف الرغبة لديه بالحرب ..وليعود صاغرا مسالما ولكنه حقود شرير ..قلت لي إن الملك سالم خطب الفتاة لابن أخيه سن اللؤلؤ .. وليس لابنه .. والفتاة لا ترغب بالزواج من كليهما .. هل اختارت التبتل ؟!

ـ لم تختر التبتل .. تزعم أنها غير راغبة بالزواج هذا الحين حتى تكبر بضع سنين أخرى .. لقد سمحوا لي بالحديث معها أمام خالها الملك .. فهي فتاة جميلة المحيا .. وقوية البدن لأنها تركب الخيل ، وتمشي للصيد ، وتتحدث كالرجال ..وزعمت أمامي أنها لم تتهيأ لأن تكون امرأة .

ـ ولماذا خلقت إذن ؟

ـ وأبوها لأنها ولدت على كبر دللها كثيرا كما بدأ لي .. فهذا سبب رفضها .

ـ هل أصدق يا وزيرنا أنها كارهة للرجال ؟ .. إنها تفكر بعقل طفل ..لها هوى والله أعلم بذاك الشاب .. فهي منذ رأته تعلق قلبها به وستسمع بزواجها غدا .. وهم لا يريدون إغضابنا لما بيننا من روابط بعد تنصيب خالد ملكا .. وبارك الله في جهودك ..والأمر كله لله ..

تمتم الوزير بكلمات شكر ، وأدرك هو ما أدركه الملك البحر من هوى الأميرة زهرة ، ثم لاذ بالصمت فقال الملك : رأيك أن نزيد المزيد من الفرسان ونرسل معهم عائلاتهم هذه المرة ليطول بقائهم هناك حتى إذا عجزنا عن تحقيق الهدوء والأمن في تلك البلاد يكون حكمنا لها جاهزا دون عناء .. فأنا لا أقبل بموت أبطالنا سدى وكالعصافير ..اطلب من قائد الجيش أن يرسل نصف الألف بأسرهم .. واكتب لخالد بذلك .. وأن يرسل الأموال المتفق عليها لهذا العام لنرى ما

يكون من رد القوم .

خرج الوزير لتنفيذ الأمر ورغبات الملك البحر ، وانصرف الملك نفسه للحديث بشأن سفارة الوزير الفاشلة .

ولما سمع جنود الملك خالد بأن جيشا من بلاد القنفذ قادما للاستقرار في بلادهم عادوا للهدوء والانكماش والخضوع .. بل شجعوا الملك ليرسل المال المتفق عليه للملك البحر .

أرسلت بلاد الماعز الدفعة الأولى من الأموال لبلاد القنفذ حسب اتفاق رؤساء العشائر مع الملك البحر .. ومع الوفد رسالة من الملك يخبره فيها بأنه سمع بوفادة وزيره هلال لطلب يد ابنة خالته وردة ..وأنه مسافر إليهم ليرى أمه صيدا وخالته وردة ليشفع عندها لابنه ، ويرجوه ليخفف عنهم الضريبة التي فرضت عليهم أو يعفو عنها .. لأنها تثير الشبهات حوله عند العامة ..

ويتهمونه بأنه مندوب عنه في بلاد الماعز وأنه لعبة في يد الملك البحر ..

قرأ الوزير الرسالة بعدما اطلع عليها الملك فقال الوزير : هذا المال يا مولاي يجهلون أنه ليس حقي ولا حقك .. هو حق للبلاد كلها .. فالجنود هم الذين ضحوا من أجل تحريرهم أليس كذلك يا مولاي ؟

أخذ الملك بالضحك وقال : وهو كذلك يا سيدي الوزير !.. هم يظنون أن أموالا لمملكة لنا خاصة كما ينظرون للمال في مملكتهم ..

ـ اليوم المال وغدا سحب الجند .. والعودة للقتال بين القبائل الثلاث .. لدي فكرة رهيبة يا مولاي إذا عادت القلاقل في بلاد الماعز ..

ـ ما هي أيها الهمام ؟

تبسم الوزير لحماس الملك لسماعها وقال : تشتيت قبيلة الملك خالد .. ونفيها بين المدن المختلفة

ـ ولكنهم أكثر الناس هناك.

****

اضطر الملك البحر أن يكتب للملك خالد معتذرا عن مطلبه برفع المال المضروب على بلاد الماعز، وأبان له أن هذا المال يذهب لخزانة المملكة والجند ، وهناك وزير مال ينفقه على مصالح البلاد كسائر الأموال التي تنفق في البلاد ..وأنه لا يملك إلا ما خصص له كمحارب وملك على البلاد ، ثم شكره على عرضه للتوسط لزواج ولده من ابنة خالته ، وطلب عدم شفاعته في هذه القضية .

فلزم الملك خالد الصمت ، وإن ظل الأمل يراوده بالخلاص من شروط الملك البحر التي قبلها أيام ملك الملك فراس ..الذي تنازل يومذاك عن نصف المملكة للملك صخر .. وقال مواسيا نفسه: ستذهب السنوات العشر .. وتتحرر البلاد من هذا العبء المالي ..أهل هذه المدينة كانوا

يدفعون نصف أموالهم للملك صخر أيام عمي رياض وابنه فراس ، واليوم يعيرونني بأنني ذليل وأجير عند صديقي البحر .. قاتلكم الله من جبناء وخطر وفكر الملك بأن يتزوج من ابنة خالته زهرة ليغيظ الملك البحر ووزيره هلال .. ولكنه بعد تفكير ونظر هاب تلك الخطوة ..وجبن وقال : غاضب فارس شجاع منذ صغره وكذلك هلال الوزير .. وعليّ ألا أنسى علاقة خالي الملك ببلاد سعادة ..فأنشط تجارة قائمة بين تلك المدينتين ..فيضيقون عليهم موارد رزقهم ..فكظم سره وأمانيه في قلبه .

ولكنه كشف همسات قلبه لإحدى زوجاته ، وهو زائر في بلاد القمحة ..وأنه يفكر بأن ينكح ابنة خالته ..وهذا الهمس وصل للملك البحر بعد حين .. لأن الكلام إذا خرج من الفؤاد مشى وسعى في الأرض .. ولكن الملك لم يعلق على هذا الكلام .. لأنه علم أنه لم يحدث زواج بل تيقن له نفور الأميرة من الاقتران بأحد أو لأن الملك خالدا رجل كبير عنها في السن وجاءه تصور أنهم لا يريدون مصاهرة بلاد الماعز .. لمأساة الملكة صيد أم خالد ؛ ولكنه استدرك فقال : ولكنه قريبها أبناء الخالة .

وبينما هذه الخيالات تراود خيال صاحب هذه القصة، جاءه الركبان بخبر نكاح الأميرة زهرة من الأمير سن اللؤلؤ، فكظم غيظه بعد أن صدق حدسه بهواها لذلك الشاب .

وعلم أن الملك عدنان أجبر ابن عمه على تزويج ابنته للشائعات التي أخذت تتردد حول الأميرة من هواها للأمير سن اللؤلؤ والالتقاء به في غابات الصيد ، وسمع تعليلا لهذا التصرف من الملك أنه وافق على هذا الزواج حتى لا يزعل الملك البحر ولا الملك خالد ، وقال البحر لوزيره : أرأيت أيها الهمام ما لمحت لك به عقب سفارتك خاطبا؟.. أيوجد امرأة شابة تكره الزواج ؟ لابد من فيها هذه الصفة أنها مجنونة .

وتزوج الأمير حسن من بنات صديقه هلال ، وكان فرحا تحدثت به البلاد والعباد ، ولم يدع إليه الملك خالد ، ولا أحد من بلاد القمحة ، ورغم هذه الجفوة التي كانت واضحة للعيان أرسل الملك خالد جوادا قويا هدية للأمير حسن .

والحقيقة التي تسجل هنا أن الأميرة زهرة لم تكن على قصة عشق وهوى للأمير سن اللؤلؤ ، وكلما كرر الطلب كررت الرفض ؛ ولكن الأمير المذكور أخذ كلما علم بخروجها للصيد يتظاهر بأن جاء صدفة لمكان الصيد ، والتقى بها صدفة وليس عن قصد .. ولما تكرر هذا الأمر أخذت الشائعات مجراها ..فألزم الملك والدها بهذا الزواج منعا لكثرة الأقاويل ، فوافقت على مضض وكره ، وما كادت

تغيب بضعة أشهر في بلاد سعادة حتى عادت تحمل ولدا على يديها فقد مات زوجها في رحلة صيد بعيدة عن البلاد ..فقد عرضت له عصابة لصوص فقتلوه وكل من معه من الرجال والصيادين والخدم .. وخيرها الملك سالم بعد انتهاء الحداد بالبقاء أم العودة لأهلها .. فاختارت بلاد القمحة ..وشعر الملك عدنان بالندم لإجبارها على الزواج .. وانشغل بالبحث لها عن قرين تقر به عينها ..ولما نقل الخبر للملك البحر تعجب من تصاريف القدر .. وأشفق على الفتاة ولكنه قال لرسول الملك عدنان السري : سبق السيف العذل .. لقد تزوج الأمير حسن ابنة وزيرنا الهمام هلال .

بعد هدوء يسير أخبر الملك البحر بزحف الملك صخر نحو بلاد الماعز ، وقد تحالف مع عدد من الملوك على قسمة ثروة بلاد الماعز ونهب خيرتها وضمها لملكه ، وذلك بطلب من بعض أهالي بلاد الماعز الموتورين والناقمين على الملك البحر والملك خالد .

فطلب الملك من زوجه أم صخر بالكتابة لابنها تحضه على السلام والرضا بما يملك والبعد عن العدوان والظلم ، وأن الملك البحر راغب في الصلح والسلام ، وترجوه على عدم التدخل في بلاد الماعز ، وأن يلزم حدود ملكه ، فكان رده على توسلات أمه ورسالتها أن سفك دم الرسول على غير عادة الملوك حتى الطغاة بعدم التعرض للرسل والبريد .

فلما وصل خبر مقتل رسول الملكة للملك البحر ، غضب أشد الغضب لهذه الإهانة التي لحقت بمملكته .. وأقسم أمام جيش المدينة وأهاليها بالثأر لمقتل الرجل المسكين .. وجهز جيشا قوامه خمسة آلاف محارب .. وزحف بهم اتجاه بلاد الغراب من طريق لا يمر على بلاد الماعز .. وبعد عشرة أيام وصلوا أطراف مدينة الغراب الذي منذ سمع بزحف الملك البحر حتى ترك بعض جيشه يناوش جيش بلاد الماعز ، وعاد بأغلب الجيش لملاقاة الملك البحر .. ولكنه قبل أن يصل بلاده علم أنها استسلمت للملك ورحبت به ، وأعلنوا خلعه ، ونصب عليها ملكا نائبا عنه الفارس جلال ابن الرسول الذي قتله صخر.. والتقى الجيشان خارج المدينة ، وكانت جيوشه منهكة من المسير فلم تصمد زمنا يذكر أمام جيوش البحر .. فمنها من هرب ، وتشتت شرقا وغربا ، ومنها من رفع الراية البيضاء معلنا الاستسلام .. والملك صخر هرب كغيره من الفرسان ..وعاد الملك البحر للمدينة معلنا ضمها لبلاد القنفذ وأنها جزء من مملكته ..ولما كملت السيطرة عليها سيطرة كاملة خاطب الملوك الذين عاونوا صخرا على غزو بلاد

الماعز أن يقدموا للاعتذار والصلح ، وطلب العفو ودفع الأموال المترتبة على عدوانهم .

فمن قدم ورضخ أقره الملك على ملكه ، ومن رفض أرسل إليه القادة من أبطاله الشجعان ، وخلال سنة واحدة تهاوت مدن وأصبح ملوكها وأمراؤها ضحايا الحروب أو أسرى في سجن الملك البحر .. وأقبلت الأموال الكثيرة لبلاد الغراب حيث استقر الملك البحر يدير الحروب ونصب على الممالك المقهورة أمراء من جنده .. وتابع جيش صغير مطاردة الملك صخر وأفراد أسرته حتى تمت محاصرته في بلدة صغيرة .. وحاول أن يخوض معركته الأخيرة بمن بقي معه من جند ؛ ولكنه سقط أسيرا هو ووزيره وبعض قادة جيشه المقربين ..وسوقوا إلى مدينة الغراب حيث وزعت بناتهم وزوجاتهم اللواتي رافقنهم في رحلة الهرب سبايا على الجند .. ثم قتلوا وصلبوا أمام أهل المدينة ثلاثة أيام ثم وريت أجسادهم الثرى .. وأعلن الأمير بلبل ملكا على المدينة وتوابعها.. وكان الفارس جلال ابن الرسول المقتول الذين كان نائبا للبحر قبل المعارك الدامية قد عين أميرا على مدينة قريبة ..ولما ثبت الملك الملك بلبلا ملكا عليها ، وترك من جنده ألفين محارب .. أخذ يستعد للعودة لبلاده بعد ثلاث سنوات من الحرب والقتال .

ولما عاد لبلاد القنفذ استقبلته البلاد والأهالي كعادتهم ، وقدم إليه السادة التهاني بالنصر وباتساع المملكة ..ولكنه لم يكد يستقر بضعة أشهر حتى جاءه نعي ولده بلبل مصروعا بيد الغدر من أبناء الملك صخر الذين نجوا من الهلاك والأسر.. فأراد إرسال الوزير هلالا ملكا على تلك البلاد ، فاعتذر هلال عن الملك ورغب بالبقاء بجواره ، فسر البحر من إخلاص صديقه ـ الذي لم يشك فيه يوما ـ مع أنه أحب تكريمه غاية الإكرام ، فأرسل ابنه حسنا ملكا آخر على بلاد الغراب ، ورافقه هلال لتأديب القتلة والمتآمرين ومطاردتهم حيثما كانوا .

وكان الذي قتل الملك بلبلا أحد أبناء الملك صخر الذين تم العفو عنه ، ولم يؤخذ بجريرة أبيه، ولشفاعة الفارس الذي نكح أمه له .. واسم هذا الشاب الأمير عفرا ورتب هذا الأمير لمصرع الملك بلبل نائب الملك البحر مع العبد الشرير سمر والعبد سعد الذين هربا من سجن بلاد الماعز ، ولحقا بسيدهما ، ولما سقط الملك صخر قتيلا صمم العبد سمر على النيل من الملك بلبل ..

ورتب الأمر مع الأمير عفرا ، ووافق على الاغتيال معهم قائلا : أنا أحق بالانتقام لموت أبي منكم وأثنى على إخلاصهما ، وقد استعانوا بجارية من اللواتي تخدم في قصر الملك بلبل وقامت هذه

الجارية بإدخالهم غرفة نوم الملك .. بعد أن استطاعت إخفاءهم في القصر بضع ساعات ..وفي لحظة ظن الحرس أن أصحاب الحاجات قد غادروا القصر، ولم يبق فيه إلا أهله تسلل الثلاثة إلى حجرة النوم بمساعدة الجارية الخائنة ..وقتلوه هو وزوجه وهربوا ؛ ولكن العبد سعد الذي كان يتسلق الشجرة ليقفز على سور القصر ومنها إلى الخارج .. سقط على الأرض قبل أن يصل السور .. فأدركه الحرس وقبض عليه .. ثم تبين لهم مقتل الملك بلبل .. وأقر سعد بالمؤامرة .

وأما عفرا وسمر فقد تجاوزا السور ، ولما أدركوا أن شريكهم قبض عليه ركبوا جيادهم وغادروا المدينة بسرعة الريح .

بعد معرفة تفاصيل المكيدة أعدم العبد سعد الحياة وكذلك الجارية المتآمرة معهم، وطردت كل الجواري العاملات في الخدمة .. وأعلن الأمير حسن ملكا على المدينة بدلا من أخيه القتيل ، وعين الأمير سعيد ابن الوزير هلال وزيرا له .. وقام أمير الحماية أسعد الذي رافق الوزير لمعرفة تفاصيل حادث الاغتيال والغدر.. بتشكيل فريق الحماية والأمن المحيط بالملك الجديد ، وجعل قائدا له من أعوانه النبهاء والفرسان .

وطلب الوزير هلال من عبديه ليل وعمر بأن يتعقبا الأمير عفرا وصاحبه سمر ، ووعدهما المكافأة الحسنة إن قتلاهما أو أتيا بهما حيين ، وقبل أن ينطلقا لتنفيذ أمر الوزير طلب الأمير حلم بن الملك البحر المشاركة في مطاردتها ، فبعد شد ورخي وافق الوزير له على هذه المغامرة وأمرهم بالعمل بسرية تامة لينالوا مبتغاهم .

مطاردة

أول مشكلة واجهت حلم شقيق بلبل القتيل أنه وصاحباه عمر وليل لا يعرفون صورة عفرا ، ولم يروا سمرا ؛ ولكنهم عرفوا أوصافه من الأمير أسعد لالتقائه به في بلاد الماعز ، عندما ذهب إليها ليغتال الملك البحر كما يعلم القراء .. ولكن الوزير هلالا استطاع الحصول على أوصاف عفرا البدنية من بعض الأمراء الذي سلموا أنفسهم للملك البحر، ورضوا بالحكم الجديد .. ونقل صفاته البدنية للأمير حلم ورفيقيه .

وتنكر الرجال الثلاثة على هيئة عوام الناس في تلك البلاد والديار، وساقوا حمارة عرجاء يتنقلون بها بين الأحياء والمدن ، وهم يعلمون من رجالهم أن الرجلان خرجا من بلاد الغراب نحو بلاد الطير ؛ لأن ملكها قريب للملك صخر المقتول ووقف على الحياد ، ونصح ابن عمه بعدم العدوان على بلاد الماعز ..وأعلن حياده للملك البحر .. فلم يتحرش به الملك البحر وأقره على ملك بلاده ..فكانوا يتنقلون بين المدن والناس بحثا عن الأمير

عفرا.. وقد وقع في ظنهم بأنه ربما يلجأ لملك أو أمير .. وكانوا يتحسسون الأخبار من خلال التجار والقوافل بذكاء وفطنة فكان حلم يتظاهر أمام التجار أنه كان في بلاد الغراب عندما اغتيل ملكها الجديد .. وأنه سمع أن الذي صرعه أمير يقال له عفرا وهو ابن للملك المصلوب صخر فيحدثهم بهذا الخبر كأنه ينقل خبرا مهما بغير مبالاة وهو حقيقة مهم .. ثم يستمع ردهم على الخبر عن هرب الأمير في بقاع الأرض.. فيقول إنه في بلاد كذا .. مستدرجا للسامعين بذكر معلومة أو إشاعة ..وبمثل هذه الحيل والاستدراجات يلتقطون الأخبار من السامعين فيقول أحدهم : سمعت أنه مر في بلدة كذا .. وخرج منها إلى بلدة كذا . ويزعم بعضهم أنه قابله ، وبعضهم رآه حتى سمعوا أن له أختا متزوجة في بلدة ما .. فمشوا إليها متلصصين .. ولكنهم لم يجدوا له أثرا في تلك البلدة .. بل سمعوا أنه ما زال مختفيا في الغراب متنكرا ليقتل الملك الجديد حسن .

ومرة وجدوا لصا جريحا وهم يمرون في إحدى الغابات المطروقة ، وقاموا بإسعافه دون علمهم بلصوصيته ، ولما سمع منهم اسم سمر قال لهم فجأة : أتعرفونه ؟!

قال العبد ليل مستدرجا الجريح : سمعنا بشجاعته وأنه كان من رجال الملك صخر أبي رشوان ملك بلاد الغراب .

فقال اللص الجريح متأوها : صدقت أيها الرفيق !.. وهو صديق لزعيمنا ..أنا كما صارحتكم لصا .. وابن عصابات تعيش في هذه البلدان ..هو صديق الزعيم الذي غدر بي ، وتركني مصابا هنا لأموت .. ولولا التقاؤكم بي وإحسانكم لي لهلكت .

فعاد ليل متحايلا على اللص : إذن أنت تعرف العبد سمر؟

ـ لقد رأيته مرارا يلتقي بزعيمنا اللعين .. نحن كما لا نرحم الناس ..فعندما يحدث بيننا صراع ونزاع لا أحد يرحم الآخر ..وكل يظن أنه الناجي والباقي .. الزعيم عندما علم أن إصابتي عميقة وشفائي صعب تخلى عني ..هكذا نعيش .

وأخذ يحدثهم عن إجرامه وحياته الوحشية في خدمة الزعيم ، وهم خائفون أن يموت قبل أن يحدثهم عن سمر اللعين ..ثم صارحهم بأن الزعيم "غصب" زعيم لصوص في ناحية الصوان ثم قال أخطر ما يبغونه : قبل شهور أقبل إلينا الرجل أو العبد كم قلتم المسمى سمرا وبرفقته فارس آخر .. وسمر هذا كان في أول شبابه لص شرس ووحش في صورة بشر وعاش بيننا فترة أيام صباه .. ثم اختفى من بيننا .. ترك الجبل فكنا في أول الأمر نرى أنه قد هلك في إحدى

غاراته .. ثم علمنا أنه عبد لعين عند الملك رشوان والد الملك صخر ..

ولما سكت اللص الجريح قال عمر: ما اسم رفيق العبد سمر ؟

فرد اللص قائلا : كنت أسمعهم ينادونه أبا الكلب .. لا أعرف اسمه .. وكان زعيمنا اللعين مسرورا بصداقة سمر ، وكان معجبا بصاحبه .. فلم علم بأنه قد يمكث معه بضعة أشهر أظهر سعادته به .

وعرف الرجال رويدا رويدا منه موقع جبل الصوان حيث يختفي غصب وعصابته ، وبعد حين أشرف اللص الجريح على الموت.. فقالوا له إن كان له حاجة أو رغبة أو وصية ينقلونها لأحد فقال : لي أهل في قرية بعيدة عن هذه الغابات .. ولكنهم نسوني منذ عهد بعيد .. لا أعتقد أن أمي على قيد الحياة .

الوصول إلى عقر العصابة في جبل الصوان فيه مخاطرة عظمى ، والثلاثة لا تنقصهم الشجاعة فلهم خبرة في مطاردة العصابات واللصوص ، وهي أول خبرة يكتسبها الفارس في بلاد القنفذ كما يعلم القارئ الكريم .. وهم خرجوا لهذه المخاطرة الكبرى بكل طيب نفس ، فكانت الخطة بعد دفنهم للص الميت الذي قدم المعلومة المهمة قبل رحيله هي أن يدسوا أحدهم في عرين الأسد .. يدخل الجبل المذكور .. وعليهم أن يكونوا قريبين من الجبل ..ووقع الاختيار على ليل بدخول الجبل خشية أن يكون العبد سمر قد رأى حلما وعمرا أثناء وجوده في مدينة الماعز لاغتيال الملك البحر؛ لأنهما مكثا وقضيا زمنا في بلاد الماعز أثناء حربهم الأولى مع الملك صخر

ولما اقتربوا من ناحية الصوان بجبالها وتلالها ووديانها ، ولم يبق إلا نصف نهار للوصول لقلبها اتخذ القوم كهفا في سفح جبل ليكون مقر الاختباء والالتقاء وقال الأمير مخاطبا لليل : سنمكث في هذا الجبل وبجوار هذه الغابة وغدير الماء .. وسنترك لك الحرية بضعة أيام داخل عرين العصابة .. وبعد أيام ثلاثة سيقترب الفارس عمر إلى قرب الجبل لمعرفة أخبارك إن استطاع .. وستترك لنا علامة سيصل إليها عمر للقاء بك .. وإذا لم تلتقيا بعد الأيام الثلاثة .. سنغير من أشكالنا وندخل عرين الأسد .

فقال ليل : سأعلق قطعة قماش على شجرة ، فتعرفون أنني ما زلت حيا ، وتكمنون بالقرب منها حتى أوافيكم .

مشى عمر معه إلى مكان اتفقا أن يكون لقاؤهم قريبا منه بعد أيام ثلاثة .. وعاد عمر إلى كهف الغابة حيث الأمير .. وتابع ليل السير في جبل العصابة ، وهو يعتقد أنه سيكون في قمة جبل أو تلة عالية ، وكان يحمل خنجرا حاد النصل ، وثيابه

رثة كما يعرف القراء منذ خرج من بلاد الغراب .

شيخ الجبل

لما بزغ الفجر أخذ عمر القربة لملئها من ماء الغدير القريب منهم ، ولجلب بعض أثمار الشجر الناضجة ليأكلاها سوية ، فلما هبط من المغارة سائرا إلى عين الماء رأى أغناما كثيرة ترد مصدر الماء ، وشاهد راعيين عندها ..وتابع عمر سيره نحوهما وحياهما ، وفي أول الأمر وجلا منه عندما رأياه قادما إليهما؛ ولكن بعد السلام عليهما ارتدت لهما أرواحهما، ولابد أنهما توقعا أن يكون أحد لصوص هذه الجبال ، فلما سلم عليهما بسكينة ارتدت لهم نفوسهم وقال أحدهم : كيف شيخ الجبل ؟

فرد وهو يضع القربة في نبع الماء: بخير .. وأنتم كيف حالكم ؟

فقال أحدهم : بخير .. لم نرك من قبل هل لحقت بهم حديثا ؟

ـ أوه .. أتعرفون كل رجال الجبل؟!

ـ أغلبهم .. فبعضهم من أبناء قريتنا تلك ـ وأشار إلى جهة ما ـ .

فقال عمر: قريتكم ؟

ـ نحن قريتنا تبعد عن هذا الشجر وهذه العين بضع ساعات ..فبعض رجال القرية يعملون في طائفة الشيخ غصب ..لابد أنك فارس جديد في الجماعة هنا ..

تبسم عمر لوصف الراعي لرجال الجبل اللصوص بالفرسان فقال عمر : أنا ذاهب إليهم برسالة .. فاضطررت للمبيت هنا ـ وأشار لمجموعة من الأشجار ـ ولما صحوت قلت أملأ قربتي بالماء ، وأتعرف عليكم وأتابع السير لرجال الجبل .. فأنتم من رعيان تلك القرية .. ولأن بعض رجالكم من أعوان الشيخ غصب يسمحون لكم بالرعي .. ها هنا !

ـ أجل أيها الصديق .. وأحيانا نقدم لهم بعض الجديان .

وسامرهم وعرف كل ما يعرفونه عن أهل الجبل بدون أن يفطنوا لغايته ، وملأ القربة خلال الحوار بينهم ، ثم ودعهم ، ولما ابتعد بعيدا عن أعينهم مختفيا في الأشجار .. انحرف إلى الكهف وقدم الثمار والماء للأمير ، وروى له كل ما تذكره من حديث الراعيين ، وختم الكلام قائلا : يقولون أحيانا ترد السباع هذه المسيل ولكنها ضئيلة .. وعلى بعد ميلين من هنا توجد عين ماء أكبر كالبحر .. فعلينا بتوخي الحذر أيها الأمير .

ضحك الأمير وقال : أنا الآن لست أميرا .. فمنذ خرجنا وأنا جندب وأنت طبع وصاحبنا حية.. أتظن لو وصلنا القرية التي تحدث عنها الراعيان نستطيع تلقط أنباء عن سمر وعفرا ؟.. ما دام عدد

من أهل القرية يعملون مع الزعيم غصب .
ـ والذي يثير الحيرة لديّ أيها الفارس أن هذا الأمير كيف يعيش مع هؤلاء اللصوص والوحوش؟! .. فهؤلاء جل حياتهم البحث عن بيت يسرقونه ..عن قافلة يعترضونها ويسلبون بعضها .
فقال حلم : ألم يقل لنا لص الغابة أن سمرا ذاك قد بدأ حياته مع هؤلاء اللصوص قبل أن يتصل بالملك صخر أو أبيه.. وهم يعلمون شدة بأسنا ، ولن نتهاون في ثأرنا وحقنا ..فاعتقدوا أن الحياة بين هؤلاء اللصوص لحين ما أمان لهم أكثر .. فحياة الجبال للهارب يرى أنها أكثر أمانا من حياة المدن والقرى ..فهم يعلمان لو أنهما لجآ لملك من الملوك الدنيا لابد أن يصل خبرهم إلينا آجلا أم عاجلا .
وفي الصباح الثالث مشيا معا إلى الموعد المضروب بينهم وبين ليل أو حية .. فوجدا الخرقة على الشجرة المتفق على اللقاء عندها.. إذن فقد نجح ليل في الدخول بينهم ، فهو واسع الحيلة ، وله مخاطرات سابقة في الحياة مع اللصوص قبل أن يصير رجل الوزير الأول هو وعمر .. وهو كاتم أسرار الوزير هلال ، وقاضي الحاجات الخطرة .. فلبدا في مكان خفي ريثما يأتي صاحبهما وبعد انتظار لأيام أقبل الرجل ، فناداه عمر من مكمنه، وجره إلى الشجرة التي اختفيا قريبا منها وبين أوراقها الكثيفة ، فلما سلم على الأمير قال : وصلنا فعلا أيها السادة .. فسمر والأمير موجودان مع رجال الجبل منذ ارتكاب جريمتهما .. ولقد رأيتهما بعيني هاتين .
ولما سئل عن الحيلة التي دخل بها ، رفع ثوبه عن صدره ، فرأيا جرحا يظن من يراه أنه عميق وحقيقي فقال : جرحت نفسي هذا الجرح وعفرته بالتراب .. وألقيت نفسي في بطن الوادي وبينما أنا أسير التقيت برجل .. حزن عليّ وأخبرته أني تشاجرت مع قريب لي ، وطعنته بخنجر وهربت من الحمولة .. فأنزلني في كهف على أني جريح هارب ، ربما ينتفعون بي إذا لم أمت من أثر الجرح .. وكان يقدم لي الطعام والشراب ..وعندما يبتعد عنى أتسلل طول الليل في المكان وأتسمع .. وجئت ليلة ووضعت العلامة على الشجرة لتعلما بأنني ما زلت حيا .. وتركت رفيقي اليوم عائدا لقريتي لاستمع لما جرى من أخبار قريبي المطعون .. هل مات أم ظل على قيد الحياة ؟.. ووعدته بالعودة والالتحاق برجال الجبل .
أثنى الرجلان على الفارس ليل وعلى شجاعته وقوة أعصابه، ثم قال : وقد استطعت معرفة وجود عفرا وسمر منه .. ولقد شاهدت من كهفي ذات صباح بعض القوم يركبون الخيل خارجون في مهمة كما أخبر صاحبي ..وبينهم كان الزعيم

غصب وسمر وشخص هو لا يعرفه ولكني خمنت أن يكون عفرا ..لأنه قال هذان الرجلان جاءا إلينا من عهد قريب .. ولما انصرفوا في مهمتهم .. انصرفت إليكم بالكلام الذي زعمته للرجل .. ووافق رئيسه على مغادرتي ثم العودة إليهم .. وشاهدت نساء في الجبل فأخبرني صاحبي : إنهن سبايا للزعيم غصب .. بل حدثني بأمر أدهشني هو أن ابنة تاجر كبير من بلاد سعادة مخطوفة ، وأصبحت عشيقة للزعيم وأخبر أن هناك أميرة مسروقة منذ عهد بعيد ، ولها أولاد من غصب .. ثم قتلها هي وأولادها عندما اكتشف أنها أصبحت تخونه مع بعض رجاله فقتلها مع أحد عشاقها .

فقال حلم : إنهم بعيدون عن بلادنا وإلا لقضينا عليهم، كما قضينا على الكثير من العصابات التي تعيث فسادا في الأرض، وتأوي المجرمين والقتلة .. ما الفعل المطلوب منا الآن ؟

ـ سأعود إليهم بعد أيام متظاهرا بأن قريبي قد مات ، وأن أهل قريبي يطلبون دمي ، وشكوني لملك المدينة التي أعيش تحت رعايتها.. والشرطة تجد في طلبي.

ـ ثم ماذا ؟!

ـ سأقتل في الأول سمرا ، ولن أدعهم يعرفون القاتل .. وعندما يحس الأمير بالوحدة وفقد النصير، فلن يطيق الحياة هنا بدون سمر ..وإذا كان سمر مسيطرا على إرادته سيحس بالموت والرغبة بالخروج من الجبل .. وربما أجعلهم يشكون فيه إذا استطعت ذلك ويتهمونه بمصرع سمر .

فضحك عمر : عندك مكر شديد ! ـ إنه قاتل يا سيدي ابن ملكينا المحبوب!

****

فلما سمعوا خطة ليل غادروا المكان نحو أقرب مدينة لهذه الجبال والغابات ليقضوا فيها عددا من الأيام ، ثم يعودوا لتحقيق مأربهم في القضاء على سمر وعفرا .. وفعلا بعد مسير يوم وجدوا أنفسهم في بلدة صغيرة استطاعوا أن يكسبوا من أهلها بضع أرغفة لاكتها ألسنتهم وأفواههم وأرشدوهم للطريق الموصلة للمدينة الكبيرة التي يتبعون لها .. وبعد يوم آخر وصلوا المدينة التي اسمها قمر، ونزلوا أحد الخانات بعدما أكلوا لحما من بعض أماكن شوي اللحم .

وقضوا ليلة هادئة في الخان ، وفي الصباح خرجوا يبحثون عن مكان للأكل فيه من جديد .. وبينا هم يزدرون الطعام سمعوا أحد الناس في السوق يصيح : ابنة الملك تتمشى في السوق !

فترك أصحاب الحوانيت دكاكينهم وخرجوا للفرجة على ابنة الملك التي تتجول في سوقهم ،

وفعل الشبان مثلهم ، وسمعوا صاحب الطعام يقول : الأميرة تغريد .. تحب التفرج على الناس وتسمع شكواهم بنفسها ..فهي تخرج بين الحين والآخر تتمشى في الأسواق وتسأل عن أحوالهم وأخذ الرجل يكيل لها المدح ، ويزعم أنها امرأة لطيفة، وتحب الشعب .

وكانت الأميرة تعتلي صهوة جواد ، وخلفها عشرة فرسان يبتعدون عنها عشر خطوات أو أذرع وكانت تحيي الناس بالإشارة بيدها اليمنى ومرة باليسرى ، وتبتسم في وجوههم ، ويحيونها، وتشير إلى أحدهم فيتقدم منها المشار إليه ، وتتكلم معه وتسأله عن أحواله وهمومه ، ثم تنتقل إلى غيره ثم تتابع المشي .. وأحيانا يقدم لها أصحاب المحلات بعض الحلوى فتقبلها منهم شاكرة حتى وصلت لمطعم الرجل الذي يأكل عنده الشبان .. فرحب بها الرجل ، ودعاها لتناول الطعام في مطعمه ، فلما اقتربت منه كثيرا قال : أسنبلة هؤلاء ضيوفك ؟ وأشارت للشباب الثلاثة .

فهتف مسرورا لفطنتها بمعرفة الأغراب وقد أحنى رقبته قليلا : تفضلي يا مولاتي!! .. هؤلاء زبائننا أيتها الأميرة الطيبة .. ولكنهم أغراب ضيوف دخلوا البلاد مساء أمس.. فهم عابرو سبيل.

فابتسمت لهم وقالت : منذ نظرت إليهم عرفت أنهم أغراب .

ـ لا أحد ينتقص من فطنتك أيتها الأميرة .

وحيا الشباب الأميرة باسمين ، وقالت الأميرة وهي تشير لحلم : أيها الغريب من أي البلاد أنتم؟!

رد حلم المشار إليه : نحن من بلاد بعيدة .. من مدينة يقال القنفذ .. وبعضهم يسميها بلاد المحبة

ـ اسم رائع! ..أيحب الناس بعضهم بعضا هناك ؟

ـ إنها كسائر المدن أيتها الأميرة .

ـ على كل سمعت بها من التاجر قدوم .. لقد ردد اسمها أمامي أكثر من مرة ..أهلا بكم في بلادنا .. ما تحترفون في بلادكم ؟

ـ أنا جندي في جيش البلاد .. وقد خرجت فارسا وحارسا في قافلة يا مولاتي الأميرة .. ثم ضللت أنا ورفاقي عنها .. وكان يشير لصاحبيه ليل وعمر .

ولم تسكت الأميرة وتكتفي بما سمعت بل قالت : وكيف ضللتم ؟

أحس الأمير أنه تورط في الكذب ، فأسرع بالرد للتخلص مما ورط نفسه فيه قائلا : تركنا القافلة وهي تكاد تمشي ، وذهبنا إلى زيارة شخص صديق لنا ، فأصر على غدائنا ، وظننا أن قافلتنا لن تتحرك بدوننا .. ولكن القافلة تحركت دوننا ..كأنهم ظنوا أننا مع القافلة .. أو تعمدوا تركنا للإساءة إلينا عند عودتهم عند قائد الجيش الذي كلفنا بمرافقة هذه القافلة .. فأخذنا نسأل في الدروب والمدن

..فوصلنا ليلة أمس هنا فقلنا نستريح بضعة أيام ثم نعود لبلادنا أو نتابع البحث عن تلك القافلة

ـ أأنتم من حراس القوافل إذن ؟

ـ لا .. نحن جنود في جيش البلد ؛ ولكن خرجنا بصحبة هذه القافلة كحراس ، وفي نفس الوقت نتفرج على العالم والناس .

فكرت الأميرة بكلام حلم قليلا ، ثم خاطبت سنبلة فقالت : يا سنبلة .. استلطفت ضيوفك ولو أكرمتهم بزيارة مولاك الملك .

ـ أمرك يا مولاتي .. أسمعتم أيها الفرسان ؟ .. أنتم أصبحتم ضيوفا عند مولاتنا الأميرة .. ومدعون للعشاء في قصر الملك وعلى مائدته الليلة .

فقال حلم : يسرنا هذا الإكرام أيتها الأميرة .. والشكر الكبير لكم .

وحيتهم الأميرة وتابعت جولتها في السوق ، تتفقد أحوال الرعية ، وفي الليل بعد صلاة العشاء المفروضة على المسلمين ، أوصى سنبلة عماله على الحانوت ، وانطلق بزبائنه إلى قصر الملك ، وهم يلبسون ثيابا جميلة تدل على ثرائهم بعد أن طلب منهم سنبلة فعل ذلك قائلا : لا يحسن بكم مقابلة الملك بهذه الثياب البالية .

فسنبلة معروف للحرس الذين على أبواب القصر ، ولابد أنهم أكلوا من طعامه المشهور في مدينة قمر .. وساقهم أحد الجند إلى غرفة الطعام حيث يقدم يوميا لضيوف الملك وبعض الفقراء من أهل المدينة .. الذين يتعشون على مائدته كالعادة الجارية عندهم .. وبعد العشاء الطيب .. ساقهم أحد الخدم إلى قاعة كبيرة تكتظ بالرجال والضيوف الذين يسمرون مع الملك وهذه عادة أخرى.. وكان بين يديه الشعراء والخطباء والظرفاء والكتاب والقصاص والعلماء كم سر حلم من هذا الاجتماع بحضرة السلطان .. ورأوا الملك يجلس وبجواره ابنته الأميرة تغريد .. وخلفهم بعض الحرس من الجند .. وبينهم الخدم .. ولما لمحتهم الفتاة يدخلون تبسمت لهم ، مما لفت نظر بعض الحاشية والناس فأخذوا يتابعونهم بعيونهم .. فتحدثت مع أبيها يسيرا والناس ينظرون إليهم .. فأشار لهم أحد الخدم بإشارة من السلطان أن يتقدموا لمصافحة السلطان فتقدمهم سنبلة المعروف في المدينة.. فحيوا الملك وصافحوه .. وعاد حلم وقص عليهم قصة القافلة التي أضاعوها لانشغالهم بزيارة صديق لهم .. ولما علم أنهم من بلاد الملك البحر بش لهم وقال : لقد سمعنا الخبر الكثير عن هذا الحاكم .. وهل هناك أحد لم يسمع بهذا الفارس ؟!

وكان حلم طول السهرة القائمة بحضرة السلطان يختلس النظر إلى الأميرة التي أعجب بها وطمع بها قرينة ، فقد خفق لها القلب كما يقال ، وتخيلها

حليلة له ، وأعجب بحسنها وقوامها وشجاعتها بتفقد أحوال الخلق بدون خوف من اغتيال واعتداء .. وأثناء اختلاسه النظر إليها يجدها هي الأخرى تنظر إليه ، فيغير اتجاه نظره ويقول: أيكون عندها ما عندي من الهوى؟.. أيرضى أبي بزواجي منها ؟ ولماذا لا يرضى ؟! هي أميرة طيبة كما يقول أهل البلد ؟

وأحيانا عندما تتلاقى العيون يلمح ابتسامة خفيفة على وجهها كأنها تقول له مشجعة : الذي عندك عندي؟

فمال على سنبلة هامسا : يا أخ سنبلة .. الأميرة هل هي ذات بعل ؟

فتبسم سنبلة له وقال بخبث : لعلك عشقتها أيها الشاب! .. احذر لنفسك .. فالحب قتّال كما يقال .. واختلس سنبلة نظرة اتجاه الأميرة وهمس في أذن صاحبه : الأميرة ليست ذات بعل .

فهمس حلم : ألا يزوجني هذا السلطان المحبوب من شعبه كما يبدو لي إياها ؟

ـ ويحك .. ما هذا الكلام ؟!

فكأن الملك والأميرة وبعض الحضور لحظوا الهمس فقال الملك لسنبلة كأنه مؤنبا : بماذا تتهامسان يا سنبلة ؟!

تبسم سنبلة وقال : العفو يا مولاي .. يبدو أن صوتي علا .

ولكنه أمام استمرار نظرات الملك قال بشجاعة : ضيفي يسألني هل الأميرة ذات بعل ؟..

يبدو أن ضيفنا استحسن مولاتنا الأميرة .. فأحببت أن ألزمه حده .. حتى لا تطمع نفسه يا مولاي الملك .

تبسم الملك والتفت إلى الشاب الذي غرق بالاحمرار والقلق فقال : أحقا هويت الأميرة يا جندب ؟!

ـ أنا سألت ـ يا مولاي ـ ولكن صاحبنا سنبلة حرف الكلام عن مقصده .

فقال الملك : هي أميرة ابنة ملوك أيها الفارس جندب .

فكاد حلم أن يصيح بقول : وأنا أمير ابن ملك . ولكنه تماسك عن هذا التصريح ، وتذكر أنه في مهمة انتقام وقال : أنا لا أتطاول على المقام العالي يا مولاي .. ما أنا إلا عابر سبيل .. أرجو المعذرة من جميع السامعين .

ـ أحسنت الآن يا جندب.. انصرف بضيوفك يا سنبلة .. متى سيغادرون البلد؟

رد حلم ببطء وفهم لمغزى سؤال السلطان : غدا يا مولاي ..وأنا معجب بكرمك وفتحك ديوانك لهؤلاء الناس .. وشكرا على مائدة طعامك العامرة للضيوف والفقراء .. وسأطلب من وزير ملكنا البحر الوزير هلال أن يحاكيكم في هذه العوائد ..

ونشكر الأميرة على لطفها معنا نحن الغرباء .

ونهضوا مغادرين مجلس الملك ، وفي الصباح تناولوا الإفطار الأخير عند سنبلة ، واتجهوا من جديد ناحية جبل الصوان لتنفيذ خطة الفارس ليل .. وكان حلم يخاطب صاحبيه أثناء الطريق: إن قدرت لنا الحياة بعد هذه المغامرة والعودة لبلادنا .. سآتي هذه البلاد خاطبا ومتزوجا هذه الأميرة الشجاعة .

فضحك الفارسان وقد أدركا منذ أمس تعلق الفتى بالفتاة ، فتمنيا له السلامة والزواج القريب

حلم

حدث في نصف الليل السابق قبل رحيل الفرسان من بلاد قمر، ومن بعد انصراف القوم من مجلس السلطان أن أتى غلام للخان الذي ينزل فيه الفرسان، وسأل حارس الخان رغبته بمقابلة جندب ، ولما تقابلا قال له :هناك امرأة ترغب بالحديث معك .

على الفور أدرك الفارس حلم من هي المرأة ، فقد توقع ذلك، توقع خطوة الأميرة هذه ؛ لأنه عندما سألهم الملك سنبلة عن وقت رحيلهم ، هو أجاب على سؤال الملك لتصل الرسالة للأميرة إن كانت لديها رغبة بالاجتماع به .. فمع مجيء الغلام قد زاد تيقنا أن الفتاة تهواه كما هويها .. لقد فهمت الأميرة رسالة الشاب .. فتبع الغلام وطلب من صاحبيه ألا يقلقا عليه .. فساقه الغلام إلى غابة في طرف البلدة ـ غابة تخص السلطان ـ فوجد الفتاة في انتظاره ، ومعها جارية لها ..فأشارت الأميرة للجارية أن تبتعد .. وأشار الغلام لجندب على الأميرة .. ومشى نحو الجارية .. فلما وصل جندب إلى مكان الأميرة ألقى السلام ، وكانت الأميرة مقنعة لا يظهر منها سوى عينيها اللامعتين رغم حلكة الليل والشجر ..فقالت: مرحبا بفارس الملك البحر جندب أنت شجاع لم تتردد في المجيء ، ولم تخش الكمين.. وأنت شجاع عندما عرفت أنكم أغراب، ودعوتكم لقصر السلطان ، فلم تتردد أيضا بقبول الدعوة ..فأنت سيد وصاحباك أتباع أليس كذلك؟!

لمعت أسنان الشاب وهو يضحك بصوت خفيض : جميل منك هذا التوفيق ! .. أنت ذكية يا مولاتي .. ومجيئك إلى هنا أيضا شجاعة .. وفهمك لرسالتي فطنة وشجاعة .. بصراحة إنني معجب بك للغاية .. منذ رأتك عيناي .

ـ ماذا تأمل مني بعد إعجابك بي ؟ وسؤالك عن أني ذات بعل ؟

ـ الزواج كسائر خلق الله ..على سنة الله وهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ أنت أدهشتني حقا ، كنت جريئا أمام السلطان ورسائل عينيك وصلت إلى قلبي أيها الفتى ..

ولكن الزواج أجابك عنه مولاي الحاكم .. فأنت قضيت طول الجلسة تختلس النظر إليّ .

ـ وكلما أختلس نظرة أجد بريق عينيك يتأملني .

ورنت بينهما ضحكة خفيفة وقالت : أنا لا أدري لماذا فعلت ذلك ؟!

ـ القلوب والأرواح أيتها الأميرة .. وأنا لا أدري ما الذي أتى بي لهذه المدينة دون غيرها من المدن؟!

ـ القلوب والعيون والأرواح !! .. عندما نظرتك أمام حانوت سنبلة ..كانت نظرة غريبة على قلبي يا جندب .. ولكن ثيابك الرثة أزعجتني ..فبريق عينيك بريق رجل مقدام .. ولم تكن نظرتك إليّ نظرة رجل لامرأة نظرة عابرة ..كانت نظرة مفتون

ـ إنك ساحرة يا مولاتي !..صدقت لا أدري ما الذي حدث لي ؟! ..وأنا لما أخبرت والدك الملك بأني مغادر غدا لأرى ما لي عندك من لوعة الهوى .. وقد فهمت الرسالة .. وها نحن نلتقي لنرى مصيرنا.

ـ جميل أيها الفارس ..ألديك أمل بالاقتران بي؟

ـ سأكشف لك سرا ما دمت قبلت بي بعلا ؟

ـ وكيف عرفت بأني غير ذات بعل ؟ أأخبرك سنبلة ؟

ـ أخبرني سنبلة بعد انصرافنا من مجلس السلطان ، وأنت أخبرتيني أيضا .

ـ أنا وكيف أخبرتك ؟!

ـ مجيئك إلى هنا في جوف الليل يدل على أنك بغير زوج ؟

ـ غلبتني بالذكاء أيها الفارس .. وما السر الذي سيجعلني أقبل بك زوجا ؟ .. أتريد أن تقول إن والدك هو الملك البحر ؟

ـ صدقت مرة أخرى ، أنا والدي ملك بلاد القنفذ .. أنا أمير مثلك .. أنا أحد أبناء ذلك البطل الكرار والفارس المغوار .. أنا اسمي حلم .. وأما جندب فهو في مهمة قاسية وخطيرة ..وإذا امتنعت عن الأزواج بضعة شهور سأكون بإذن الله صاحب الحظوة لديك .

ـ نعم ، أنت ابن ملك إذن ..وقع لي هذا الحدس عندما رأيتك عند سنبلة تحدق بي .. قلت هذا إنسان متنكر .. فالناس يختلسون النظر في وجه الأميرات .. لا يبحلقون كما فعل جندب الذي صار حلما الآن .

ـ أنا أدركت قوة فؤادك وذكائك .. وأنا لا أكذب أيتها الأميرة .. قليل من الصبر والحين .

ـ إني مصدقة ، وعندما خاطبك والدي بأني ابنة ملك .. ليضع حدا لجسارتك ، لقد هممت أن تتفوه بشيء .. ثم أمسكت نفسك .

ـ فعلا كدت أن أرد على أبيك وأقول وأنا ابن ملك .. ولكني تذكرت أنني في مهمة خطيرة .

ـ وجلوسك مع الوالد وتمتمك مع سنبلة دل على

أنك سيد متعود على الجلوس مع الأمراء والأكابر .. وليس التجار كما زعمت .

ـ ما شاء الله !!..بدأ ذكاؤك يخيفني .

ـ وأنت أذكى مني .. إلى متى انتظر الفارس حلم !؟

ـ مهمتي قريبا ستنتهي .. وبلادنا بعيدة عن هذه المدن ، فأقل من سنة سيلتم شملنا بإذن أحد أحد .. اعذريني بعدم إفشاء سر مهمتي ..والمهمة خطرة قد أموت فيها ..عندما أنتهي منها إن لم آتيك بلحمي وشحمي .. سيكون أحد الرسل بيننا .

ـ قبلت بك.. فأبي ترك لي شأني .. وبيني وبينك عام أيها الفارس النبيل .. واعلم بأنك لو لم تكن أميرا لقد كنت أعول على هذا اللقاء كثيرا ولأمهد لك طلب الاقتران بي عند أبي .. فأنا الابنة الوحيدة لأبي .. لا أخوة ولا أخوات .

ـ اتفقنا أيتها البطلة ..فأنت أول أنثى أعرض نفسي عليها .. ما زلت بكرا مثلك .

غادرت الأميرة المكان ، وهي تعجب لتصاريف القدر ، ولما اختفت انصرف الأمير إلى الخان حيث الرفاق وكان بادي السعادة والحبور .. انتقام وحب .

جبل الصوان

عادوا أدراجهم جهة جبل الصوان ، وروح المغامرة تستهويهم وتسيرهم ، ودخلوه وهم على حذر شديد، ولما حلوا بالشجرة التي ربطوا الخرقة عليها وجدوا الخرقة ما زالت على تلك الشجرة .. وكان الرفاق قد تصدقوا بالثياب الجميلة بأن تركوها عند صاحب الخان ، ولبسوا ثياب التنكر الثياب البالية لإتمام المهمة .



وهذه الثياب تترك لدى الفقراء والعامة الأثر الملائم ، فهي تدل على الضعة والفقر، ودخل ليل أو حية عرين الأسد من جديد ، وظل يمشي حتى وصل كهف صاحبه الذي تفاجأ بعودته ودخوله عليه في جنح الليل ، فقام معانقا ومرحبا والذي قال : والله وقع في نفسي أنك لن تعود بعد أن شفيت وعدت لقومك ، وظننت أنهم صرعوك .

ـ كيف لا أعود أيها الصديق؟ وابن العم لفظ أنفاسه، والشرطة تبحث عني بعد أن شكوني للملك والقاضي .. ولكن عملت على لقاء الزوجة والأولاد وودعتهم الوداع الأبدي ..وقلت لهم سأسافر إلى أقاصي الأرض ..وإذا قدرت لي النجاة عدت إليكم .. ولما نجوت من عين الرقيب أتيت إليك لأصير من رجال الجبل حتى تذهب هذه الصفحة ، وأشار إلى عنقه .

وسكت لحظات ثم قال لما رأى صاحبه ساكتا :

وأثناء مسيري إليك أيها الصديق الطيب تدحرجت عن صخرة كبيرة فالتوت قدمي من أثر الوقعة .

ورفع ثوبه وأراه مكان الرضّة ، وقال الرجل وهو يتظاهر أنه رأى الورم :لا بأس عليك أيها الصديق .. في الصباح أقدمك لنائب الزعيم ..والآن علينا أن نرقد .. وسأجد لك دهنا يخفف عنك الآلام .

وأخذ ليل يكيل المدح لصاحبه كأنهما أصدقاء منذ عشرات السنين، ولما أشبع غرور نفس الصديق قال : هل رجع الزعيم من مهمته التي ذهب إليها ؟

ـ أما زلت تذكر أيها الصاحب؟.. فهم منذ خرجوا في مهمة كما أعلمنا نائب الزعيم لم يرجعوا لليوم .. فأحيانا مهماتنا يطول العهد بها .. تأخذ منا سبعا عشرا شهرا أشهرا .. عندما يقبل مظفرا سأشجعه على قبولك رجلا منا ..أنت بعد أن تخليت عن قومك أصبحنا نحن قومك .. وعندما تشاركنا عملا ستصبح نعم الصديق .. ونعم الأخ .. وستحصل على الهبات .

فعاد ليل يثني ويمدح أخوة الرجل ومساعدته في محنته ، وأخذ يده ولثمها مظهرا شكره واستسلامه ، فانتشى الرجل وظن نفسه زعيم الجبل غصب .

وكان ليل يحتال بين رجال الجبل وغابة الأمير ، والكل ينتظر عودة الزعيم ورفاقه ، وجاء بعد حين غصب ورجاله ، ولم يكن معهم عفرا وسمر .. وكان معهم صيد كبير من مال ومجوهرات وخيول .. ولما سأله أحدهم عن ضيوفه ظهر الحزن على وجهه أو تظاهر بالحزن وقال : ركب المسكين على أحد هذه الجياد فجمح به ورماه أرضا فأصيب برأسه وكسرت ساقه ، فتركناه في (قرية ناو) يداوي نفسه ، وظل معه صاحبه الذي يزعم أنه أمير، ورجلان منا سيعودون بهم إذا شفي سمر .

نقلت هذه الأخبار لليل ، وبدوره نقلها لحلم وعمر، فطلب الأمير منه البقاء هنا ، وهما سيذهبان للقضاء عليهما ، ثم يعودون إليه إذا تحقق الظفر بهما ليعودوا لبلادهم .. وفعلوا ذلك خشية فشلهم في قرية ناو، فيبقى ليل بينهم لمتابعة الخطة .

ومشى الصاحبان إلى البلدة التي ذكرها لهم ليل ، وبعد أيام وصلوا إليها .. فهي قرية صغيرة واستطاعوا معرفة البيت الذي ينزل فيه الأمير عفرا وسمر.. ووجدوا أن الرجال يتركون سمرا في النهار ، ويسعون لصيد الطير والحيوان للأكل .. فتسلل الأمير إلى العبد سمر .. ولما رآه سمر ظنه أحد الرجال اللذين تركهم غصب معهم فقال : مالك عدت مبكرا ؟!

ثم تبين له أنه غريب عنهم فقال بذعر: من أنت ؟! وذعر عندما شاهد الخنجر يلعب في يده وصرخ والخنجر يوضع على صدره فقال حلم : أتخاف

الموت يا قاتل ؟ لا تصرخ أجلك على وشك الانتهاء أيها الرجل اللعين .. أنت الذي يغدر بالملوك يا سمر .

وغاص الخنجر في صدره ، فتحشرجت روحه وسمع قاتله يقول : أنا شقيق الملك بلبل يا سمر اللعين ..فلتمت أيها الغادر .

فصرخ مرعوبا ثانية ؛ ولكن الخنجر مزقه شر ممزق حتى خمدت أنفاسه ، واستولى الأمير على السكاكين الموجودة ، وعاد لصاحبه عمر الذي كان يقف مراقبا للمكان خشية عودة الصيادين

ولما عاد عفرا بن صخر ورجلا غصب ، ووجدوا صاحبهم مقتولا شر قتلة ، صاح عفرا رعبا: لقد وصلوا إلينا !..لابد أنهم من رجال الملك البحر ..هذه طعنات منتقم ..علينا بالرحيل أيها الرجال ..إنني أرى الموت يرفرف على المكان .

ـ ألا ترغب بدفن صديقك؟!

صاح بخوف : دعوه للكلاب .. فعلينا بمغادرة المكان قبل فوات الأوان .

ـ هذا جبن أيها الأمير .. فهذا الرجل كان يعزك ويهتم بشأنك .. سنبقى هنا ونبحث عن القتلة

فصاح عفرا : هذا حمق .. الخطر حولنا .

فضحك أحدهم وقال : الخطر دائما حولنا أيها الأمير المزعوم .

فقال الأمير : أنا سأغادر الآن .. ولم يكن قد خلع سلاحه بعد .. فخرج واعتلى صهوة جواده وهو يقول لنفسه : أين أذهب؟ أأذهب إلى جبل الصوان لقضاء العمر بين اللصوص والقتلة ؟ أم إلى مكان آخر؟ .. ماذا أقول لشيخ الجبل ؟ .. فسمر صديقه هو وليس صديقي ..وبينما هو يفكر بما سيفعل .. ويمشي به الجواد خببا خببا سمع أحد الرجلين وهو يقف أمام البيت صارخا: ارجع أيها الأمير .. غدا نرحل .. لابد من دفنه .. فهو صديق الزعيم .. فلن يغفر لنا الزعيم تركه دون دفن.

فلم يرد عليهم .. وسمع أحدهم يصرخ فيه : يا رعديد .. يا جبان .. أنت نذل .. لا أدري كيف كان يرعاك الفارس سمر؟! ..ارجع لبلادك حتى لا يبطش بك الزعيم يا جبان .

سمعها الأمير وهو يرتجف خوفا ، فازداد رعبا ووهنا، وسمع الأمير حلم وعمر الحوار وهما يراقبان البيت ، فقال عمر : الأمير يهرب .

ولما دخل الأمير الغابة سمع خطواتها خلفه فظن لأول وهلة أنهما رجلا الزعيم ، وكان يسمع حفيف أوراق الشجر وتطاير العصافير ..وظل يسير وهما خلفه حتى ابتعدوا عن القرية ، فسمع أحدهم يأمره بالوقوف ـ وهو ما زال يعتقد أنهم اللصان قد غيرا رأيهما وتبعاه ـ فلما سمع الأمر بالوقوف توقف واستدار بجواده نحوهما ، ولما اقتربا منه .. قال جندب : أيها اللص ؟

استغرب مناداته بهذا الوصف وقال : ومن أنتم إذن ؟!

فقال الأمير حلم : أمير ولص .. ابن الملك صخر يعاشر اللصوص ورجال الجبل

ففطن أنهم ليسا بصاحبيه ، وأنهم من رجال الملك البحر فهمس بصوت مبحوح مرعوب: من أنتم ؟!

فقال الأمير: أنا حلم ابن الملك البحر .. أخو الملك بلبل . فصرخ وقال : يا ويلاه !! هلكت .

أمسك به عمر وأنزله عن الجواد وقال لهم متوسلا: العفو .. العفو !!

وبينما هو يردد هذه الكلمة كان خنجر الأمير يغوص في أحشائه ، ثم في صدره حتى حشرجت الروح وصعدت لباريها .. ولما هدأ الأمير رويدا رويدا ..قام عمر بقطع رأسه ، ولفه ببعض ثيابه، وغادروا الغابة ومعهم جواد الأمير الميت نحو جبل الصوان ..ولبثوا في انتظار ليل حيث الشجرة التي علقت عليها الخرقة ، وكان ليل يتردد إليها بين الحين والأخر .. ولما وصل خبر مو موت سمر للجبل ضج الجبل بخبر مصرعه ..فأسرع الفارس ليل إلى موعد اللقاء ، فوجد صاحبيه في انتظاره .

ولما مشوا نحو بلادهم قال ليل : لقد سعد القوم بمقتلهم ..فلما جاءه نعي سمر والأمير قال : الحمد لله ارتحنا منهم .. كانوا غصة في قلبي أيها الرجال .. كان اللعين سمرا يظنني عبد مثله وذاك الأمير يظن نفسه ما زال في قصر أبيه المقتول .. إلى الجحيم كليهما .

وكانوا يتبادلون الركوب على الجواد حتى وصلوا إحدى القرى، واشتروا من أهلها دابتين وواصلوا المسير حتى دخلوا بلاد الغراب ، ودخلوا على الملك حسن الذي فرح بعودتهم مظفرين ، وعلق رأس عفرا في وسط المدينة .. وفرح الملك البحر لما وصلته أخبار عودة الأمير حلم .. وشكر الله أنه أنجب أولادا يعتمد عليهم في المحافظة على الملك الذي ورثهم الله إياه ولما وصل حلم وصاحباه لبلاد المحبة وسمع الملك البحر بقصة فتاة مدينة قمر .. أرسل وزيره هلالا لتلك البلاد بوفد كبير يحرسه ألف فارس .. ورحب والد الأميرة تغريد بمجيئهم ، وأحسن استقبالهم ، ولم يتردد في تزويج ابنته من ذلك الفارس المزعوم جندب .. وعمت الأفراح المدينة .. وبعد شهر أخذ القوم عروسهم وقفلوا عائدين لديارهم .. وأقيم فيها العرس.. ووزعت الهدايا وأطعم الناس الطعام ، ودامت الأفراح عدة أيام .. عرس ظلت الأجيال تذكره لعدة سنين .

لما انتهى الاحتفال بزواج الأمير حلم ، أخبر الملك البحر بأن وفدا من بلاد القمحة على رأسه الأمير يزيد بن رضوان قادمون للتهنئة بزواج ابن الملك ،

ولهم رغبة في لقائه، فرحب الملك بهم واستقبلهم في ديوان الحكم وتقبل هداياهم ، وأهدى لهم ، وأنزلهم في قصر الضيافة ثم علم أن الملكة صيد ترغب في الحديث معه على انفراد ومعها ولدها يزيد، فوافق على ذلك، وأخلى الجميع المكان قال لها الملك باشا في وجهها : هل من حاجة أقضيها لك أيتها الأميرة ؟

قالت : أنا أعلم أنك شجاع ومقدام يا مولاي الملك !.. والذي صنعته قليل ما يصنعه الرجال.. وأنت رجل الوفاء وصديقنا العزيز ، ولا أعتقد أنك نسيت نشأتك في بلادنا .

ـ كيف أنسى ذلك يا أم خالد؟! .. ولم أنس للأبد حنانك وعطفك علينا .. وحسن استقبالك لنا عندما كنا نرافق الملك خالد إلى القصر .. لقد كنت أما لنا جميعا .. وإنا ـ إن شاء الله ـ من أهل الوفاء والعهد .. اطلبي مني ما شئت .. وهذا يوم وفاء وبر .



ـ إني الآن عاجزة عن شكرك يا مولاي الملك!.. والفضل لله يؤتيه من يشاء من عباده .. ولا أنسى جهدك في اعتلاء الملك خالد كرسي الحكم في بلاد أبيه .. البلاد التي بغضتها منذ طردت منها كما تعلم يا مولاي .

ـ أجل إني أعلم يا مولاتي الأميرة .

ـ ولكن ولدي خالد ما زال حسب ظني صديقك وأخوك قد ابتلي بحبها وبقومه .. فقد طلب مني التشفع عندك بأن ترفع عن بلاده الضريبة المضروبة عليهم .. فهي تنغص عيشه مع سادة قومه وعشيرته .. زارني وبكى بين يدي من أجل فعل ذلك .

خيم الصمت عليهم بعض الوقت ثم قال الملك البحر : أنا أعلمت صديقي الملك أن هذه الأموال تؤخذ للبلد عامة ، وليست لثراء الملك .. وهي تدفع أجورا للجنود الألف المقيمين في بلاده ..وأنا أقدر دخولك عليّ ..ولا أنسى المعروف الذي كان بيننا ..وبقي لنا خمس سنين لينتهي العقد بينا .. وبما أنك تشفعت لهم بذلك .. سأتكفل بدفعها لخزينة المدينة من مالي .. ولكن سنضطر لسحب جنودنا .. ولن نتدخل في شأن بلاد الماعز أيتها الأميرة.. وإن غدر هؤلاء بولدك فلن نساعده بدماء أبنائنا وأموالهم ..هل أنصفتكم ؟

قال يزيد : نحن نعلم مشقة ذلك على أهل بلاد المحبة ..ونشكر لك كرمك أيها الملك الكريم وسننقل شرطك لشقيقي الملك .

أثنت الأميرة صيد وهي تبكي عند الملك البحر ثم

قالت من بين دموعها : أنا أعلم أني ربما قسوت على جندك وأبطالك بهذا العرض ..وأنا مقابل ذلك على استعداد لتزويج ابنتي أسماء لأحد أبنائك أو من تشاء من الأمراء .

ـ بارك الله فيك !..فأنت أم لي أيتها الملكة ..وسأقبل هبتك إذا وافق والد الفتاة والملك خالد أيضا .. وعليكم التشاور مع الملك خالد ..وإذا وافق على سحب جنودنا فلن نتدخل في مشاكل البلاد التي لا تنتهي .. سأتكلف أنا نفسي بدفع الأموال للبلد .. هذا هو النظام عندنا خزينة الملك غير خزينة الشعب ..وأنا أقدر شجاعتك أيتها الملكة.. وأنتم نعم الأخوة والأهل كنتم لي ولوزيرنا هلال .

واستدعى الملك وزيره هلالا الذي رحب بالأميرة من جديد ، واستمع لشفاعة الأميرة ورأي الملك البحر ، فقال الوزير الشيخ : شفاعة الملكة على الرأس والعين

ونهضت الملكة فجأة وأخذت يد الملك وقبلتها ، وفعلت ذلك مع الوزير ، وغادرت الملكة وابنها الديوان ، وغادر الوفد بعد هذه الوساطة ، وخلال شهر أقبل وفد من بلاد الملك خالد يشكرون تسامحه معهم ، ويلغون العهد الذي قدموه للملك البحر ليساعدهم في القضاء على الملك فراس الوحش .

وبعد مجيء وفد بلاد الماعز وانصرافهم ، أرسل الملك وزيره هلالا لطلب يد الأميرة أسماء لأحد أبنائه مقدرا للأميرة رغبتها بمصاهرته ، فعادت الأفراح من جديد على قصر الحاكم ، وفرح الملك فرح يعم كل الشعب ولمحبة أهل القنفذ لمليكهم العادل ، وحضر الحفل ملوك القمحة والماعز والغراب وغيرها من الممالك التي انضوت تحت ملك الملك البحر ، وحتى والد الأميرة تغريد جاء بوفد كبير لحضور الاحتفال بزواج أحد أبناء الملك ، وغضت البلاد بالوفود والأصدقاء والذي ضاق وامتعض من هذا الزواج الشيخ الملك رضوان ، وأبدى اعتراضه في البداية، ثم وافق على مضض، ولم يحضر الاحتفال بزواج ابنته؛ ولكن لم يأبه له أحد فبعد عزله عن الملك أصبح وحيدا لاهيا بصيده وزوجاته .

وأثناء احتفال الملك البحر بزواج ولده من أسماء ، كان جيش الملك البحر يغادر بلاد الماعز إلى بلاد الغراب للالتحاق بجيش الملك حسن .. وجرى لهم هناك استقبال ليذهب ما في نفوسهم من غيظ أو حقد .

ولما انتهى حفل الزواج وأخذت الملوك تودع الملك البحر ، كان من ضمن المودعين الملك خالد .. فشكر الملك على قبوله شفاعة أمه ، وبارك له بزواج ابنه من شقيقته أسماء ..فحثه الملك البحر

على العدل بين الرعية ، وأن العدل هو قاعدة الملك ..وأعلمه أن جنوده قد رحلوا لبلاد الغراب وتمنى له التوفيق والسعادة في مملكته .

ولما وصل لبلاده وجد جندا من جنده يطلبون منه العودة من حيث أتى .. فتحادث مع بعض قادة الجيش الآخرين ، فأخبروه أن الأمر خرج عن أيديهم .. فبكى الملك عندما سمع هذا الجواب ، وقال لمن معه من أولاده وحرسه : من أجل هذا كانوا يلحون عليّ بالتخلص من جند الملك البحر فكتب رسالة قوية لقادة التمرد بأنهم إذا لم يعودوا لمعسكراتهم وحصونهم سيهب البلاد والعباد للملك البحر ويخلع نفسه عن الملك للملك البحر.

فانقسم المتمردون لهذا التهديد إلى فريقين .. ولكن الرافضين لحكم الملك خالد أصروا على طرده واستدعاء أحد أبناء الملك فراس للحكم .

ولكن الملك دخل البلاد وأدار حوارا مع المتمردين المصرين على خلع نفسه وخروجه من البلاد والرحيل لبلاد القمحة .

فكاد الملك أن يفقد صوابه من غدر هؤلاء ، وعجب من وقوف أكثر الشعب معهم ، ويرفضون بقاءه حاكما عليهم .. وندم أشد الندم على قبول ضغطهم عليه لينسحب جنود الملك البحر .. مما اضطره للبكاء بين يدي أمه لتساعده عند الملك البحر .. ولما تحقق لهم ذلك ها هم يرفضون ملكه ؛ كأنهم هم الذي نصبوه ملكا .. فتبين له كرههم لشخصه ، وهانت عليه نفسه وضعفه ، ولما اجتمع ثانية ببعض العصاة قالوا : نحن لا نخاف الملك البحر .. وإن كان البحر يحكمهم بشخصه .. ولو عادت جنود الملك البحر سيقاتلونهم ويطرونهم من البلاد .

فاقترح أن يتنازل لأحد أبنائه عن الحكم ، فأصروا على مغادرته بلادهم إلى بلاد أمه ، وأنه خائن للبلاد ، ومتعاون مع أعداء البلد ، ومضت شهور والبلاد في فوضى واضطراب .. ولما رأى تأزم الأمور ، والقوم مصرون على تنازله عن الملك ، تنازل لهم الملك وطلب منهم السماح له بالبقاء في قصره وبينهم ، ولكن زعماء التمرد زعموا أن بقاءه سيبقي القلائل في داخل البلاد وذكروه بموقف الرافضين لحكم الملك فراس كيف استعانوا به للقضاء على الملك فراس وبعد طول جدل ورجاء غادر البلاد مطرودا فاختار بلاد القمحة .. حيث حضن أمه باكيا بدمع غزير على ما أصابه والتي شاركته الحزن والبكاء وقالت : آه يا ولدي ! .. بلاد كرهتنا منذ زمن بعيد .. قومك قوم بهت لا يرحمون .. من شيمتهم الغدر ..الحمد لله أنهم ابقوا على حياتك .. لا تأسف على شيء من هذه الدنيا ..ملك أعطاك الله إياه ثم أخذه .

كفكف دمعه وقال : إنهم قومي وأنا منهم .. يا ترى لو عشت طفولتي بينهم أكنت مثلهم ؟! أحب الغدر ونكران الجميل .

ـ أتحب أن أعود لصديقك الملك البحر .

ـ لا يا أمي .. من أسباب نقمتهم عليّ أنهم اعتبروني نائبا له في حكمهم .. نسوا الرجال الذين مشوا إليه يترجونه لمساعدتهم وتخليصهم من الملك فراس الذي ذبح أبنائهم ورمل النساء ويتم الأطفال ..سأبقى عندكم أقضي ما تبقى لي من عمر .. أنا كرهت الملك وما سعيت له يا أمي .. كل هذا بسبب مقتل عمي الملك رياض لعمي بهاء ..سأشيد قصرا بما تبقى معي من أموال.. لم يستولوا عليها ..وأراقب الأزهار والأطيار .. وأصطاد الظباء في الوديان خير من ملك متعب للروح والبدن .. بلادكم عظيمة يا أمي منذ وعيت على هذه الدنيا لم أسمع بقتال وحروب نشبت بينكم وبين الأعداء .

ـ لقد ابتليت ونحن أطفال بمثل هذه الحروب.. أيام شباب والدي ، ثم هدأت وتصالحنا مع مدن الجوار .. وهذا من فضل ربنا على هذه البلاد ..ونحن أهلك يا ولدي ..ولن يضايقك أحد من أهل البلاد .. فها هم أخوتك لم يشعروا يوما بغربة وشكاية .. ولكن أولادك ونساؤك أيطيب لهم المكث في بلادنا والمجيء إليها ؟

ـ نحن أهل .. ومن رضي بالعيش فحيهلا يا أمي .. ومن لم يعجبه الحال فليغادر إلى حيث أتى.. فها هو والدي بقي قابعا في قصره .. ورفض الرحيل ولو قتلوه .. وهم لا يخشونه لأنهم يعرفون توتر علاقته بالملك البحر .. إنهم غاضبون عليّ لصداقتي للملك البحر ويزعمون أني نائب له مع أنهم هم الذين تفاوضوا معه للقضاء على الملك صخر وتفاوضوا معه على المال وهو اختارني ملكا لصداقتي القديمة معه ولمساعدتهم .. وهم يعيروني بحياتي هنا أيام صغري قاتلهم الله أنى يؤفكون .

وبينما الملك خالد منشغل ببناء قصره قصر نهاية العمر ، جاءه الخبر المؤلم بسفك دم من أصر من أولاده وزوجاته على البقاء في بلاد أهليهم ، فقد قتل المتمردون كل من بقي من ذريته وأحفاده وزوجاته .. فاغتم كثيرا لهول الخبر، وقال لأمه : أرأيت يا أماه جنون القوم ؟! .. حتى أولادهم الذين ولدوا في بلادهم ومن بناتهم أهلكوهم ، ولم يحتملوا بقائهم.. أي حقد هذا ؟! خشوا أن يطلبوا العرش في يوم ما .. لقد نصحت لهم بالخروج معي .. نصحت لهم ولزوجاتهم .. ولكن قالوا كما قلت قديما أهلنا يا أبتاه ..ها هم أهلنا يا أبتاه .. إنا لله وإنا إليه راجعون .

ـ عليك بالزواج من جديد ..فمن بقي من نسائك

لم يعدن يلدن ..فتزوج لعلك ترزق بذرية أخرى ..وأنت بحاجة لامرأة شابة ترعاك ..تزوج الأميرة زهرة ابنة خالتك وردة فهي ما زالت أرملة منذ موت سن اللؤلؤ .

ـ ألم تتزوج بعد ؟!

ـ تزوجت ؛ ولكنها لم تطق معاشرة زوجها لكثرة نسائه وطلقت ..فسأطلبها لك فهي شابة بعد

بلاد الماعز

وصلت أخبار التمرد وطرد الملك خالد من بلاد الماعز للملك البحر، وعلم الادعاء والحجة التي اتخذها الثوار للتخلص من الملك خالد بزعمهم أنه صنيعة للملك البحر، واستاء جدا لما علم بمقتل أفراد أسرة الملك الذين لم يخرجوا مع أبيهم ابتداء والذين عادوا بعد حين .

فكتب رسالة عزاء للملك خالد ، ثم سأله أله الرغبة في العودة لبلاد الماعز ، فاعتذر له، وأنه يحب البقاء في بلاد أمه ليقضي شيخوخته وأيامه الأخيرة في مدينة القمحة ، وأنه بغض الملك والحكم .

فجهز الملك البحر جيشا لغزو بلاد الماعز ، وطلب من ولده حسن أن يرسل جيشا آخر من جهته ، ومشى الملك البحر بنفسه لغزو بلاد الماعز .

وسمع أهل الماعز بهذا الغزو ، واستعدوا لملاقاة الجيش ، ولكنهم لما سمعوا بقدوم جيش الملك حسن دب في قلوبهم الوهن ، وأخذ المتمردون الذين يحكمون البلاد يهربون ، ويتركون البلاد خوفا من الأسر والقتل .

سيطرت الجيوش الغازية على البلد بمجرد وصولها.. واجتمع بعض السادة ودخلوا على الملك البحر يسألونه عن سبب غزوهم .. فقال لهم بكل صراحة إنه جاء لينتقم لصديقه الملك خالد ومصرع أهل بيته .. وعلم كل أسماء المتمردين والقتلة لأسرة صديقه ، ووضع جوائز لمن يقتل شخصا منهم .. وشتت من تبقى من جيش المدينة إلى مدن أخرى .. وأخبرهم أن بلادهم لا يصلح أن يكون لها جيش لأنه جيش فتنة وصراعات .. وبعدما انتهت السيطرة على مقدرات البلاد .. أخذ الوزير هلال يفرق القبائل إلى مدن أخرى ..وخلال سنتين فقط .. قل عدد سكان المدينة .. فأمر الملك بدك قصورها ..ومنازلها .. وما مضت سنتان أخريان حتى أصبحت المدينة خاوية من السكان .. وحولت إليها مياه النهر ..فأغرقتها .. واختفت مدينة الماعز من الأماكن، ولم يبق إلا أشجارها ومزارعها ..فأصبحت تنتشر فيها سبخات المياه والحشرات ..وقد اختفت المنازل كلها ..ولم تعد مناسبة للحياة البشرية .. وكان الحرس يمنعون الناس من العودة إليها بحد السيف .. ومع الزمن نسي الناس هذه المدينة التي أصبحت خاوية على عروشها بفضل خطة الوزير

هلال .. واختفت صراعات أهل المدينة على الحكم والسلطان .. وتفرق أهلها بين القبائل الأخرى في بلاد أخرى .

وكان الملك خالد عندما يسمع بهذا يقول لأمه الملكة صيد : هذا أحسن حل لمثل هذه البلدة الظالم أهلها .

وكان الملك البحر الشيخ يقول لصديق عمره الوزير هلال : لنا أكثر من عشر سنوات لم نحمل سيفا ولم نغزُ بلدا .. كانت بلادا فاسدة ..أيها الوزير؟!

فرد الوزير : كان لابد من هذا الحل المؤلم .

قال الملك : لقد دنا الأجل أيـ ...



قصص وحكايات الفوارس



الملك ابن الراعي ٢

رأس شجاع

ولما مضت الشهور واقتربت السنة على الزوال ولدت النساء الجواري تلو بعضهم البعض ، وذلك كله بفضل ومَنّ من رب السماوات والأرض ، ولدت جارية محسن في أول الأمر فوضعت ولدا سماه عطية ، وجارية ضرغام الأولى ولدت ذكرا سماه عمرو، وكني به (أبو عمرو) ، والجارية الأخرى وضعت ذكرا جميلا سماه عثمان تيمنا بخليفة المسلمين الثالث عثمان بن عفان .

وبعد وضع الجارية الثالثة بأيام أقبلت سيرة لزيارة وجار أبي شجاع محملة بالهدايا والطعام.. وكانت زيارة خفية تحفها المخاطر ، واحتضنت حفيديها عمرو وعثمان .. وقضت بينهم أياما ، وعند الوداع قال لها الأمير ضرغام : لقد حققت لكم مطلبكم الأول ، والله يسر الحال بكرمه وجلاله، والله الذي يعطي الأعمار والحياة .. والآن يا مولاتي الملكة .. سأمضي بما فكرت به من انتقام ..

ـ وما الذي فكرت به من انتقام ؟

ـ سيقوم أخي محسن بنقل الذرية والأمهات إلى قرية أمي جديلة أم محسن، ثم سأذهب للانتقام من الملك شجاع وأمرائه الجبناء .. دم استيقظ من سباته، وحان له أن ينام قرير العين يا أماه .. سأرحل لتلك المدينة وافعل ما هو حق للوالد المظلوم على ابنه

ـ والناس في مدينتنا الذين ينتظرون ظهور ابن الملك ليطالب بعرش الآباء وليقود مسيرة تحرير المدينة

ـ اخبرني العم مقداد أن الأمور لم تجهز بعد لإظهاري أمام العامة والخلق .. سيسافر الفارس محسن بالأطفال والجواري إلى تلك القرية ويصحبه الخادم سهام ليعرف المكان .. وأنا سأسبق محسنا جهة بلاد اللعين شجاع ، وقد وافق الأمير زويد على مخاطرتي ومسيري .. وإذا تمكننا من تحقيق المراد وشاع خبر هلاك الظالم .. فهذا سيسهل أمر عودتنا في المدينة .. وظهور ابن الملك مطر

ـ تحدث مقداد بشيء من هذا.. وحدثني أن نائب الملك في المدينة شاقور أنه جمع التجار والصناع وحذرهم من إثارة الفتن والإشاعات ومن عودة ابن مطر

فقال ضرغام : وحدثني أنه دس عددا من الفقراء يترددون على قصرك بكثرة بحجة الأكل والمعونة ويتحسسون الأخبار عن ابن الملك مطر من الملكة سيرة .. عليّ أن أكون أهلا للمسؤولية يا أماه .. والجبن لا يؤخر الأعمار ولا يقدمها .. ولماذا الإنسان يكون جبانا وضعيفا وخاصة عندما يكون ابن ملك مقتول ظلما ؟ وعليّ أن أرى قاتل أبي الحقيقي .. الرجل استغل ثورة العم طل وشجعه على قتل أخيه ليستولي على البلاد والعباد .

قالت باستسلام: افعل ما يطيب لك.. فأنت رجل وسيد ، وعليك أن تتحمل مسؤولياتك ما دمت ترى أنك أهل لها .. إذن إلى اللقاء .

بعد سفر الأم بيوم رتب ضرغام مع صديقه محسن أمر ترحيل الجواري والأبناء ، وتحركت قافلة محسن وسهام نحو بلدة أم محسن ، ولما وصلت القرية غمر الفرح جديلة ووالدها والأهل .. وذبح محسن لهم من بعض الشياه التي جلبها معه .. ودعا زوج أخته سيرة وخالاته للوليمة .. وبعد حين فارقهم للقاء صديقه الراعي وليد الذي كان يقود الغنمات الباقيات إلى مكان سيلتقيان فيه ، وهو مكان في وادي الظباء ، وهو يوصل ويمتد لبلاد الملك شجاع .



لقد شاع في مدينة الملك مطر أن ابنه الذي فقد صغيرا ، قد ظهر في المدينة وشاهده الناس ، ورآه بعضهم يتمشى في الشوارع ، ويشيع بعضهم أنه سيعود لتحرير المدينة من نير الاستعباد والظلم وصلت هذه الإشاعات لقصر الحاكم شاقور نائب الملك شجاع ، ودس جواسيسه بقوة على قصر الأميرة سيرة ؛ لأنها أم الولد المفقود .. وكان الرجل متشككا من صدق هذه الشائعات، وإنما أحس أن وراءها شيئا خفيا يدبر في المدينة بعد هذه السنوات الطوال من السكون الحذر.. ونقلت

له كل العيون بعدم وجود حقيقي لهذا الأمير المختفي .. فاجتمع الحاكم بكبار التجار والرؤساء للمهن والحرف وحذرهم من جديد من خطر التآمر على الملك ونوابه ، وحادثهم بالشائعات المنتشرة فوجم القوم ، وردد بعضهم أنهم سمعوا كما يسمع غيرهم .. والحقيقة أن بعضهم على اتصال بالحزب السري ؛ ولكنهم تظاهروا بالمفاجأة ، بل قام أحدهم أمام الحاكم ليقول : أيها النائب الكريم .. هذا الطفل علمنا قديما أيام الشباب أنه قتل على يد عمه الملك طل بعد قتله لأبيه .. خطفه واختفى صغيرا .

فقال الحاكم : هذا ما شاع .. ولكن الحقيقة التي أذكرها عندما غزونا هذه البلاد بالتحالف مع الملك المخلوع طل والوزير المقتول بهلوز أن الطفل كان مجهول المصير .. اختفى دون وجود جثته .. والملك طل لم يذكر أنه خطفه أو قتله .. ورجال ونساء القصر يجهلون مصيره .. عندما علمت أم الطفل الخبر سعت لديوان الحكم .. ولما عادت لقصرها علمت باختفائه واختفاء إحدى جواريه .. وبعضهم زعم أن الجارية المختفية أنها من قتيلات غدير الدم وهلكت هناك منذ خرجت لخدمة الملك .. لذلك لا عجب أن تظهر مثل هذه الشائعات في مثل هذا الوقت فالطفل أصبح شابا.. وأكرر أنه من يتآمر على سيادة الملك وعلى استقرار المدينة ، فلا يلوم إلا نفسه ، وجزاؤه الإعدام في السوق أمام كل البشر .

وكتب الحاكم رسالة للملك شجاع بهذه الإشاعات المزعجة .. والذي كان يجلس في ديوانه يتسامر مع الخلان والأصدقاء ، وقرأ الكاتب الرسالة على مسمع من أهل الديوان والحاشية ، فقرأ بعد التحية والتبجيل للملك "يسري في المدينة إشاعات مزعجة أيها الملك تقول " إن ابن الملك مطر كبر وأصبح شابا عنيفا غاضبا ناقما ..هذا الذي اختفى في حربنا مع بلاده .. فبعض الناس يزعم أنه رآه في المدينة يتمشى ، ويحرض الناس على حربنا .. ولما حركنا عيوننا ودققنا في الخطب لم نر أحدا أقر أنه رآه بعينه كلهم سمعت سمعت .. فلان قال.. فلانة قالت وراقبت أم الطفل المفقود دون جدوى هي كما عهدناها عندما تسلمنا حكم البلاد منها ومن أبيها .. فهي ما زالت تطعم وتسقي الفقراء والمرضى .. اطلب المشورة والنصح .

حاكم المدينة شاقور النسر

فلما سكت الكاتب من القراءة للكتاب قال الملك موجها كلامه لأحد المخلصين له : ألم تتحقق من هلاكه يا سريان ؟

فرد سريان وتلفظ بسرياني أو سريانو: أجل يا مولاي .. لما سمعنا أن القوم كانوا يسعون لتكوين

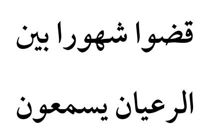
مجلس وصاية على ذلك الطفل الباقي من سلالة الملك الرعاد.. وصل رجالنا الخفيون إلى القصر ، ثم علموا أن الطفل خطف ، وأن إحدى الجواري الحواضن اختفت فجأة .. أثناء انشغال الناس وأهل القصر بموت الملك مطر ، وكانوا ينتظرون العودة بجثة الملك وحاشية الصيد التي رافقته إلى المصير المحتوم.. وزعم أهل القصر أن العم طل وراء حكاية الخطف .. وطل أنكر هذا الحادث .. ثم نسي الأمر ، ولم نعد نسمع عن هذا الطفل إلا بهذا الرسالة .. ولماذا تشاع هذه الأخبار؟ والبلاد مستقرة .. ولم تحدث حركة تمرد منذ عهد .. بل سعد الناس بتولينا مقاليد الحكم بدلا من المخلوع طل .. فقد كان في نظر الأسر الكبيرة قاتلا ومجرما لابن أمه وأبيه

فقال الملك حاسما القضية : اذهب لتلك المدينة وتتحقق من حياة هذا الطفل ومن دقة الإشاعة ولماذا تشاع هذه الإشاعة ؟ ومن ورائها ؟!.. ودس جارية فطنة على الأم سيرة .. فالولد اليوم مبلغ الرجال فإن كان حيا فلابد أن يتقابل معها .. وإذا وجد من يحمسه على الاستيلاء على العرش فسيتحمس .. وأن قوما يسعون لإحداث فتنة وطرد رجالنا .. أنت رجل المهمات الشجاعة .

دخل الراعيان وليد ومحسن مراعي مدينة الملك شجاع ، واستوطنوا مكانا للرعي ، وقد كان بين أيديهم خمسمائة رأس من الغنم ، وعشرة من الإبل ، وحماران وجياد وعدد من الكلاب ، وفي زمن سريع تعرفوا على رعيان تلك المدينة والقرى التي تحيط بها .

وتعرف الرعيان على بعضهم يكون أكثره عند ورودهم لعيون الماء لسقي الأنعام والدواب، فيجري بينهم التعارف وسماع أخبار بعضهم البعض ، ولمن يرعون أي ملاك الأنعام؟ ولأي المدن والقرى يتبعون .





قضوا شهورا بين الرعيان يسمعون ويلتقطون أخبار المدينة (قدم الغزال) بلاد الملك شجاع ، بعد قضاء تلك المدة أخذوا يمشون للمدينة لبيع بعض الخراف للجزارين وشراء أشياء من ثياب وطعام .. ويدعون أنعامهم تحت وصاية أحد الرعاة .. ومرات يذهب ضرغام وحده يقضي في المدينة أياما بحجة البيع أو الشراء.. وقد عرف الشابان بهذا المدينة الأسواق الحفلات الجند العسس .. واستمر دأبهم هذا لمدة عام ؛ فأصبحوا كأنهم من سكان تلك المدينة .. قال ضرغام : الآن حان وقت العمل يا أبا عطية .. علينا وضع الحيلة لأسر أو قتل صاحبنا اللعين فقد عرفنا البلاد أرضا وماء وهواء .. علينا أن

نختار الأفضل لتحقيق مبتغانا.. كيف نصل إليه ؟
.. أنا لي عنده ثأر، ودم أبي في عنقي وكرامة بلادنا .. فكرت بأسره وإذلاله .. ولكني وجدت هذا صعبا .. فهو حوله الحرس والجند .. فلاح لي أن قتله أسهل وأنجى لنا ، لنستمر في القضاء على القتلة .. والقصاص من جلودهم .. وتحرير بلادنا من تسلطه وظلمه .. ألديك شيء آخر ؟

قال محسن : منذ رافقتك في قضاء هذه المهمة النبيلة والعظيمة ..وأنا مثلك أفتش عن حيلة ماكرة تحقق مبتغانا.. وكيف نصل إليه في عقر داره؟.. ومهمتنا ليست سهلة وهينة.. فاغتيال ملك ليس كاغتيال راع مثلنا.. وفشل حيلتنا يعني موتنا.. ونحن ما دام قد قبلنا بهذا المهمة النبيلة لا تهمنا الحياة الذليلة .. وكلانا لا يخشى الموت.. فقد عشنا في الوديان والكهوف والقفار والغابات والصحارى وصارعنا الوحش والذئاب والضباع والثعبان خلال هذه السنوات .. والأسر كما قلت يحتاج لجيش يحمي ظهورنا ويحمي بدن الملك .. والقتل غيلة هو الأسرع والأنجع لنا .. وقومه هل يصمتون على مصرعه ؟

ـ لو فكرنا بهذا أو هكذا لما تحقق لنا شيء .. الخطر موجود .. والثأر لابد منه .. وهم الذين بدأوا بظلمنا ، وعشت مظلوما ويتيما بغدرهم ومكرهم .. مع أن عمي كان معهم وشجعهم ولولا مساعدتهم وجشعهم ما استطاع عمي طل من فعل شيء ، وقد كانت الأمة مع أبي الملك الشرعي للمدينة .. سنقتل الملك ونؤسس جيشا قويا لغزو هذه البلاد وإذلالها كما أذلتنا والدنيا دول .. والفارس مقداد حوله جيش صغير كنواة لجيش الغد كما أخبرني .. فلحظة قتل الملك تعيد لبلادنا الهيبة والعودة للمجد.. وسنغزو بإذن الله هذه المدينة رغم ما سمعنا عن قوة جيشهم والأيام دول .. مهمتنا الأولى هنا اغتيال الملك شجاع حتى لو قتلت وبعدها يفعل الله ما يشاء

ـ أعلم ، وكيف الوصول لهذا الملك ؟

ـ تكونت عندي فكرة .. فكما غدر الرجل بأبي في رحلة صيد .. سنرقبه حتى يتحرك لرحلة صيد .. فنغتاله بين رجاله .. هو أرسل عدد كبيرا من الرجال لقتل والدي .. وسنقتله فقط أنا وأنت .. وأمل بقائنا على الحياة ضئيل .. وقومنا كما تعلم بحاجة لحياتنا .. وعمرو وعثمان ما زالوا أطفالا .. هل ينتظر الناس عشرين سنة أخرى ليسعوا للتحرر من نير وظلم شجاع وشاقور ؟ .. علينا أن نقتل الملك ونحافظ على حياتنا ليعلم الظالم أن الظلم عاقبته الموت والانتقام .. ولا يذهب دم الملك مطر هدرا .

ـ نرميه بالسهام عن بعد .

ـ وكيف نختفي ؟ هل يمكننا الاختفاء في

الصحراء؟

ـ وبماذا تفكر ؟

ـ فكرت بالسم ؛ ولكن كيف نحقق ذلك القتل ؟

.. مع أنه لا يشفي الغليل !

انتقل ضرغام ومحسن إلى أكثر مكان صيد يتردد عليه الملك شجاع للصيد والنزهة .. أرادوا قتله عند غدير ماء لذكرى حادثة غدير الدم .. ليكون انتقامه مثيلا لذلك اليوم .. والإنسان سمي إنسانا لكثرة نسيانه .. فمع الأيام نسي الملك جريمة قتله للملك مطر غيلة وغدرا.. وجرائمه الكثيرة وتحرشه بالملوك وزعماء المدن ، ربما أنساه حادثة غدير الدم .. والصيد كان قديما من أفضل هوايات الملوك والأمراء .. وهو وسيلة لهو ولعب وصيد ..



وفروسية .. فصيد البراري من الظباء والأرانب والثعالب والطيور يكثر في آخر فصل الربيع وأول الصيف .. ربض ضرغام ومحسن في خيمة في تلك المناطق بزعم الرعي والبحث عن الكلأ والماء .. وتنقل الرعاة بين المراعي والجبال والوديان شائع ومتكرر ولا يثير الخوف والقلق عادة لدى الحكام والأمراء فهم يعتبرون من الطبقة الدنيا في أغلب المدن والقرى .. وبعد حين من الترصد وطول الانتظار وصلت الخيام الملكية والخدم والسقاة وأهل الطرب ، وأقاموا معسكرا للملك القادم .. وقدم الراعيان شاة كضيافة لهم ، وقبل الطهاة الشاة المشوية وأكلوها قبل قدوم الملك وحاشية الصيد، بل سر القوم من فعل الرعاة .. وابتعد الراعيان بغنمهم عن غدير الماء .. بحجة البعد عن الملك وحاشيته .. ولكنهم يذهبون كل يوم بشاة كهبة للقوم .. فصارت بينهم وبين المعسكر صلة مقبولة واطمأنوا لهم .. وأصلا من يهتم لراعيين شابين ؟ .. ولما وصل الملك شووا ثلاث شياه ولما نضجت قدموا بها لمعسكر الملك ، وقدموها لسيد الطهاة الذي شكر اهتمامهم بضيافة الملك ووعدهم بمقابلة الملك ليشكرهم فسعد الملك وحاشيته من ضيافة الراعيين ووعد بلقاء الرعاة لشكرهم واجزائهم بالهبات الملكية ..

والليلة الثانية قدما بثلاث شياه أخرى .. وقدمها سيد الطهاة للملك الذي صافحهما ورحب بهما ، وتعرف عليهما فذكروا بلدة يعيشون فيها ، وربما هي غير موجودة في المنطقة .. وهما تحدثا مع الملك بشجاعة ومكر .. ثم أخرجهما رئيس الطهاة وهو يثني عليهما ، ودفع لهما هدايا الملك .. وعلموا من الطاهي أن الملك شره في تناول اللحوم .. وفهما مغزى هذه الإشارة فهم يريدون المزيد .. وعلموا

منه أن الصيد لم يكن كبيرا وكثيرا هذه الأيام بعد .
وذهبوا بشياه في الليلة الثالثة مشوية .. وسر الملك أيضا من صنيعهما وكرمهما .. وفي الليلة الرابعة دسوا السم القاتل الذي وفروه من عند العطارين وجربوه على بعض الحيوانات .. وغامرا بدسه في الشياه بعد نضجها تحت النار .. ولما أخذهما منهما كبير الخدم والطهاة أهداهما جوادين صغيرين ..
وكان الشابان قد تأخرا تلك الليلة في إرسال الطعام بعذر تأخر نضج الأكل ليقدم إلى الملك فور وصوله .. وفعلا لما وصلت الشياه المشوية استلمها الخدم ووضعوها أمام الملك وحاشيته فور وصولها .. وانصرف الفارسان على ظهر الجوادين الصغيرين بسرعة لا توحي بالهرب .. لأن السم لا يظهر مفعوله بسرعة يحتاج لساعات .. وغرق القوم بالأكل والمرح والمزح .. والثناء على طهي الرعاة بشير ومبشر .. وكيف تعلموا هذه المهارة وهم رعاة ؟! .. وضرغام ومحسن أسرعا بالابتعاد بغنمهم إلى البراري والوديان .. وابتعدوا مسافة بعيدة عن غدير الماء يتربصون الأخبار .. وكان عادة يقدم الطعام للملك ورجاله أولا وبعد شبعهم ، يقدم ما بقي للخدم والجواري .. وفي الصباح أصبح القوم هلكى موتى إلا القليل لم يمت ، ربما لأنه لم يأكل الكمية الكافية لصرعه .. ولما استطاعوا العودة للمدينة وطلب النجدة من أهل المدينة .. كانت جثث القوم قد دهمتها الحيوانات التي أقبلوا يصيدونها .. فنهشت تلك الجثث من الطيور والضباع والكلاب .. وأدرك سادة المدينة أن الملك تعرض لمكيدة محكمة .. وبحثوا عن الراعيين الذين تحدث عنهم من نجا ولم يمت .. وأما الراعيان فقد باعوا إبلهم وغنمهم وخيولهم في مدن شتى ، وقد علا الصياح في مدينة قدم الغزال ، وأعلن الحداد أربعين يوما ، وعين ابن الملك ملكا جديدا واسمه دغفل .

خلع وليد ومحسن ثياب الرعيان ، ولبسا ألبسة الشحاذين والمتسولين ودخلوا مدينة قدم غزال على أنهم أبناء التسول .. ومن يراهم يدرك أنهم من سادة المتسولين.. الذين يتنقلون بين المدن طلبا للحياة والدراهم.. وكان ضرغام يتظاهر بالعمى ومحسن بالعور .. وعرفا بكل أخبار المكيدة وأن البحث جار عن الراعيين الخائنين .. وتمنى ضرغام لو استطاع أن يقف أمام الملك شجاع وهو يموت ليقول له متشفيا " قتل بقتل " "أتذكر غدرك بالملك مطر؟! "

وصلت أخبار مصرع الملك شجاع لمدينة الرعاد التي كانت تحمل اسم مدينة ضبعة ، وسماها الملك الرعاد مدينة الرعاد باسمه .. وصل الخبر إليها بأن راعيين قاما بالغدر بالملك ورجاله على غدير ماء ، فقالت سيرة لمقداد " أتراهم وفقوا بما شاع إلينا

" أظن أنهما وصلا لقتل الملك .. ولكن لم نعلم بنجاتهما أو موتهما .. سأرسل رسولا خفيا يسمع الخبر اليقين "

وعم السرور عند أهل المدينة بهذا الخبر ، وتمنوا اغتيال الحاكم شاقور .. وبدأ أعوان الملك مطر بالاستعداد لإظهار ابن الملك مطر مطالبا بتاج البلاد .

أخذ رجال الأمير مقداد والقائدان الفهر وابنه فوزان يستعدون للحظة التاريخية بإعلان البدء بتحرير البلاد بالقوة والسنان والانقضاض على الحكم .

مدينة شجاع

قضى الشابان شهرين في مدينة قدم غزال ، ولاحظا الصراع الخفي على السلطان ، فبعد الفشل في العثور على الراعيين نسي أمر اغتيال الملك ، ولم تعرف الجهة التي كانت وراء القتل .. فأعداء الملك كثر .. فقد قتل كثيرا من السادة والأمراء ورؤساء وتجار المدن .. وكيف تمكن هذان الراعيان من خداع الملك ورجال صيده ؟! وهم أهل الفكر والفطنة والقوة ، واشتهر قول الوزير (صندوق) : إن أعداءنا لا يحصون ؛ فإذا لم يعلن القتلة عن أنفسهم فلن نعرفهم .

فلما فهما المدينة وأهلها ومشاكلها ابتاعا جحشين ، ومشيا بهما نحو بلادهما ، ولما استقرا فيها ليلة واحدة مشيا مع غروب اليوم بزيهم إلى قصر الأسد ، وطلبا الطعام فأدخلهما الخادم بعد موافقة الأميرة إلى قاعة الطعام ، وقدم لهما الخدم الطعام ، وبينما هما يبلعان الأكل والطعام قال ضرغام للخادم " أين الأميرة ؟ نرغب بنقل رسالة لها "

قال الخادم بدهشة وعجب : أنتما المتسولان ترغبان بنقل رسالة للأميرة ! ما هي الرسالة "

ـ قل لها رسالة من الراعي وليد .

نقل الخادم الرسالة للأميرة ، وتفاجأ وزادت دهشته أكثر عند طلب الأميرة منه البحث عن زوجها وألا يسمح للخدم من دخول قاعة الطعام واجتمعا بالملكة والأمير زويد المقداد بالحجرة السرية ، وسرت الأم من انتقام الأمير لأبيه، وطال احتضانها له ، وكانت تبكي وإياه على روح الملك مطر ، وقالت : نعم الابن يا ولدي .. لقد أثلج صدري نجاحك بالثأر لأبيك .. ونجاتك .. فأنت الملك اليوم .

وقال مقداد : أنت بطل البلاد! .. وهذه جسارة وذكاء منك يا ولدي! لا عدمتك الأمة.. بوركتم والبلاد تستعد للثورة على نائب الملك .. فما العمل أيها البطل ؟

ـ كم لدينا من الجيش الذي هو مستعد للضربة الأولى؟ .. ولإعادة المملكة الأولى .. التي قتلت قبل عشرين سنة .

ـ لدينا من الرجال الخلص ما يربو على خمسة آلاف بطل .. وهناك مثلهم متعاطفون معنا ؛ فإذا نجحنا في الضربة الأولى سيتشجعون للوقوف معنا وسيلحقون بنا عند التغيير ..

فقال ضرغام بحماس: جميل هذا ! بعد صلاة الجمعة سنزحف لقصر الحاكم .. في قصر الإمارة ونقتل الحامية عن بكرة أبيها.. وعلى بعض الأفراد أو المجموعات الصغيرة .. إعاقة القادة خارج قصر الحكم .. وليكن الدم هو الحكم بيننا .. لأننا إذا فتكنا بكل هؤلاء الأنذال دون هوادة.. سيقذف الرعب في جند مدينة قدم الغزال .. لأننا سنهاجمها فور انتصارنا هنا .. حتى لا يتمكنوا من الكرة علينا .. لابد من الإقدام .. فهل هذه الآلاف مستعدة للثأر؟ .. لأننا يا أمير مقداد إذا عفونا عن هؤلاء سيقاتلوننا .. الحياة أو الموت ... سنزحف إليهم ليكون بيننا لقاء فاصل .. لن نترك لهم فرصة التدبير بهدوء .

قال الأمير جذلا : يا الله يا سيرة ! إني أسمع كلام جدك الرعاد أيها الملك؟ وأخشى أن لا يقبل رجالنا بهذا العنف والدم ..

ـ وهل ننتظر حتى يلملم الملك دغفل فلولهم ويغزوننا في عقر دارنا ؟ .. ألف فارس يكفون للزحف لتلك المدينة .. ألف يحبون الموت على الحياة .. ألا يوجد ؟

ـ يوجد ، وهل تآمرنا وصبرنا من أجل الحياة يا ضرغام ؟! الذي كان ينقصنا الرأس الذي تخضع له الرجال والفرسان .. فلو وجدنا رأسا من أسرة ملكينا الرعاد لحصلت الثورة قديما ؛ ولكن لكل أجل كتاب .. الجمعة موعدنا ستظهر للقوم عند انتهاء صلاة الجمعة .. وسيكون جواديكما معدين .. لإظهارك للناس والأعوان ..

فقال ضرغام بحماس : الجمعة أمام المسجد الكبير .. رتب الأمور مع الأعوان والمناصرين للثورة إما الحياة السعيدة وإما الموت الشريف . فاحتضنه المقداد وعانقه وقال سعيدا : عنفوان جدك أراه فيك! .. كان جدك الرعاد يحب الحسم في الخطب .. فقد أدركت جدك وأنا في مقتبل العمر إما الحياة الكريمة العزيزة وإما بطن الأرض .. الحياة بذل كارثة أيها البطل ستبقى مختفيا هنا إلى يوم الجمعة .. وثياب الملك بين يديك خلال الأيام التي تفصلنا عن الجمعة .. نحيي أم الملك البطلة الشجاعة التي ولدت لنا هذا الإنسان الشجاع .

فقالت لزوجها وهي تبكي : كنت نعم الزوج .. والأخ الشجاع .. وهذا ما كنت انتظره من قدر الله .. أن يعود الملك لابن الملك وأن ينتقم لدم غدير الدم ..احتضن الأمير زوجته شاكرا

كان رجال الحامية والحاكم يحكمون المدينة بسيف الملك شجاع، ومكر الجواسيس والخونة ضعاف

النفوس ، وهم منذ سنوات يشعرون بمكر يجري في قلب المدينة منذ ظهور إذاعات عودة ابنة الملك مطر.. وبحثوا وقلبوا وسألوا وأتى سريان أمير الملك شجاع وفتش وتحرى دون فائدة.. وبعد مقتل الملك شجاع غيلة.. زادت الإشاعات دون أن يظهر شخص أو زعيم يطلب شيئا .

كان مهمة الحاكم الأساسية جبي المال من التجار والأغنياء وإرساله للملك ، أما الشرطة والقضاة فهم الرجال السابقون من عهد الرعاد ومطر وطل .. ولا يتدخل الحاكم إلا عن الضرورة أو دخول أحد أفراد الحامية بقضية مالية أو أخلاقية كاعتداء أحدهم على أنثى فيضطر لإنقاذ رجله .. فهم لم يكونوا قوة كبيرة فهم أقل من مائتي رجل .

وخلال اليومين السابقين للجمعة أحس رجال الحامية بشيء مثير وكيد في المدينة ولكنه غير واضح مبهم .. لا أحد يطلب ملكا .. وكانوا متوترين دون تحديد سبب حقيقي .. وكانت حركة الثوار تسري بسرية أربكت العيون وأعوانهم .. ولما سلم الإمام من صلاة الجمعة في مسجد المدينة الكبير ، وقف شاب ذا صوت جهوري وخطابي معروف لأهل المدينة ، وأعلن بصوت جهوري للناس أن الملك ضرغام ابن الملك مطر وصل المدينة وأنه أصبح ملك البلاد والعباد.

ووقف ضرغام بثيابه الملكية وبرز أمامهم ، وقد أزال العباءة عنه ، وأعلن نفسه أمامهم بأنه ابن الملك مطر وحفيد الملك الرعاد ، وأنه صاحب الملك الحق لهذه المدينة ، وأمرهم بالزحف إلى قصر الحاكم .

وارتفع الهتاف والاحتفاء بالملك الجديد . ولم يكد يخرج من المسجد ، ويركب الجواد حتى زحف الفرسان على قصر الحاكم من عدة جهات .

اقتحم أهل المدينة الحامية بعد قتل الحرس بسرعة الريح ، ودب الصراخ والعويل وقتل الرجال والشباب ، وجمعت النساء والأطفال خارج المدينة ، ولم يأت الليل حتى كانت الحامية في خبر كان ، ولم ينجُ من الانتقام إلا من كان في تلك الساعة خارج المدينة .. وقتل أكثر الجواسيس المعروفين للناس ، وكذلك الأسر الخائنة تعرضت لمثل ذلك.. وفي الليل على ضوء المشاعل دخل الملك ضرغام قصر الحكم .. وقد أخرجت الجثث من القصر وقلعة الحكم .

وفي الصباح أمر الملك نساء وأطفال الحامية بالعودة لبلادهم ، وإخبار ملكيهم بما حل برجاله.. وبعد تطهير المدينة من الدم والخونة الذين تعاونوا مع الخونة في ظلم المدينة .. أمر الملك بالاستعداد للزحف إلى بلاد قدم الغزال لاسترداد الأموال والانتقام للأمراء والناس الذين قتلوا

خلال سنوات حكم الظلمة .

وفعلا كان الملك دغفل قد أمر أحد أشقائه بالإسراع للثأر من مدينة الرعاد ، والتقوا في الطريق وهجم فرسان الملك ضرغام المتحمسون للنصر ، فقتلوا حملة الأمير سري ومن هرب تبعه الفرسان بكل حماس وفرح ، وجمع الملك ضرغام جيشه ومن تبعهم بعد انتهاء معركتهم مع فرسان الأمير سري الذي هلك أثناء القتال وخطب الملك فيهم خطبة حماسية وأهمية إذلال الأعداء الذي نهبوا أموال البلاد مدة عشرين سنة فقال : لابد من متابعة القتال فمن يطمع بالحياة فليستقر هنا أو يعود.. أما أنا وأخي محسن وزوج أمي مقداد سنتابع الحرب ، وسنقاتل حتى نملك بلادهم كما ملكوا بلادنا.. ونجلب عمي الغادر طل من سجنهم ليموت في سجننا وسيحاكم على جرمه من جديد .

فلم ينسحب إلا عدد يسير ووصلت دفعات جديدة متحمسة للقتال والثأر ، وزحف بهم نحو بلاد قدم الغزال .

تقدم الجيش المتحمس نحو بلاد الملك دغفل واصطدم الجيش بشرذمة من جنودهم لم يثبتوا سوى سويعات ، وفروا مندحرين لمدينتهم التي أرسلت وفدا للتفاوض مع الملك الناقم .. فلما جلسوا في خيمة المفاوضات قال لهم ضرغام : أنتم قتلتم أبي غدرا وتآمرا بذريعة معاونة عمي المجرم اللئيم الخائن لدم الأسرة.. ثم استوليتم على البلاد ، وسرقتم أموالها منذ أكثر من عشر سنوات .. اسمعوا بعد هذا الكلام شروطي لوقف الزحف وقبول الصلح .

فقال الوزير : نحن نعترف بحقكم علينا.. وخطأنا نحو بلادكم .. وأعتقد أن قتلكم للملك شجاع وابنه سري والأمير شاقور ورجال الحامية كفاية لإراقة الدم ، ولنسع للصفا والوئام ، ونضع معاهدة تبقى لكل الأجيال، تنص على السلام بيننا وعدم الاعتداء على بعضنا البعض ما دامت ممالكنا قائمة

تبسم الملك ضرغام وقال: هذا الكلام لو قيل قديما لربما قبله سادة وأمراء المدينة .. أما اليوم ونحن نتكلم بلسان المنتصر لابد من تحقيق شروط الصلح والسلام .. لست طامعا بحكم بلادكم .. لم اشف غليلي من الانتقام لدم أبي ورجال حاشيته الذين قتلوا معه على غدير الدم غدرا وخيانة .. فاسمعوا شروطي حتى لا أدخل المدينة فاتحا ، وإذا رضيتم بها أوقفنا القتال وسفك الدماء .. فأنا منذ عرفت من أنا ولهيب النار يغلي في قلبي ؟! الشرط الأول تسليم العم الخائن ، والثاني أن تعاد الأموال

التي نهبت من بلادنا على مدار هذه السنين ويمكنكم دفعها على بضع سنين .. وعليكم إيفاد مائة أمير ولو بعائلاتهم ليكونوا كرهائن في بلادنا لمدة عشر سنوات وأي غدر وخيانة يطيل مدة حجزهم .. وألف جواد ومن الدواب الأخرى مثلها ومن السيوف والرماح وديات قتلانا طول هذه السنوات كلها .. ومائة فتاة كزوجات لشبابنا العزاب.. أو الحرب ، فهذا شروطي أنا أيها الوزير وإذا نسيت منها شيئا بعد ثلاثة أيام فهي الحرب .. وغادروا فورا أيها الأسياد .. والقتال يفصل بيننا .

حاول رئيس الوفد أن يتكلم ، فمنعه رجال الملك من الكلام ، فخرجوا مسرعين مولولين .

ولم علم أهل المدينة بشروط الصلح منهم من رفض وبعضهم قال " نخسر القليل خير من الكثير وكل البلد "

وفي نهاية المطاف أرسلوا موافقين على كل شروط الملك ضرغام ، وقبلوا بشروط الغالب .

ولما وصلت الأموال والعم الأسير الذي رفض ضرغام رؤيته واللقاء به ، وطلب نقله مكبلا ذليلا لمدينة والده ، ووصلت النساء المائة وأسر الأمراء الرهائن ، وعقد الاتفاق بعد ذلك .

رحل ضرغام عن المدينة بالجيش ودخلوا البلاد سالمين غانمين، واستقبل الجيش المظفر بالأفراح والاحتفالات، وتوج الملك ضرغام ملكا على مدينة الرعاد، ووضع الرهائن في قصور تحت حرس من الجيش بقيادة القائد الشيخ الفهر وأبنائه.

وزعت الأموال على أهلها من الجنود والأسر التي فقدت الأبناء .. وأخذ الهدوء يعود لبلاد الرعاد بعد عشرين سنة من الاستعباد للطاغية شجاع .

عين الأمير محسن أميرا للحرس الملكي ، والسيد زويد المقداد زوج أم الملك وزيرا لإدارة البلاد والعباد.. ووزعت المناصب والرايات عن طريق الوزير مقداد



قلعة الملك ضرغام

لما رأى الملك ضرغام وأمير حرسه استقرار البلاد أخذ الملك يفكر ببناء قلعة حصينة للحكم ، وسعى باحثا عن المكان الملائم ، فوجد جبلا عاليا شاٌمخا في السماء ؛ ولكنه خارج أسوار المدينة القديمة ، يبعد عنها بضع ساعات فقال له الوزير مشجعا "بعد حين سيمتد إليه العمران "

ولما بدأ البناء والإنشاء طلب الأمير محسن من الملك زيارة قرية جديلة لإحضار أسرهم ، فقد حان الوقت لإحضارهم والعيش بينهم فقال

ضرغام : أحسنت أيها الأخ الشجاع .. وأعلمهم أن المملكة ترحب برحليهم لمدينتنا .. واعرض عليهم عرضنا أيها الشجاع .. وأقنع أمي بالمسير إلينا على الرحب والسعة ..

صحبت الأمير كوكبة من الفرسان الذين ظهرت شجاعتهم في المعارك الأخيرة للمدينة ، وكان الأمير في أول الأمر رفض أخذ رفاق إلا ثلاثة قائلا : يكفي ثلاثة يا مولاي ولن تطول رحلتنا كنا نجوب الأرض جبالا وديانا قفارا براريا دون خوف إلا من الله وحده .

" أنت اليوم قائد معروف للأعداء والماكرين والمتربصين لنا خصوم قبلوا الهزيمة على مضض " أسراهم هنا "

" الأمر تغير أيها الشجاع .. إذا لم تقبل الأم المجيء ، فقدم لها تحياتي وشوقي الكبير إليها.. وأختي سيرة عليك بتشجيعها مع أسرتها للحياة في ظل ملكنا .. فلن أنسى عشرين سنة عشتها بينهم.. فقد شاركتك لبن أمك.. رافقتك السلامة والحماية الإلهية "

وكان الملك أمر أمين الخزانة الملكية بتجهيز عدة بغال بالثياب والطعام لأهل قرية جديلة ، وقبل محسن هدية الملك شاكرا عطفه ووفائه .. وفي لحظة الوداع أعطى الملك لصديقه عقدين من الجواهر واحد لأمه وآخر لأخته سيرة .. ولما مشى الأمير لأم الملك مودعا أعطته بعض الهدايا النفيسة لأمه وشقيقته وجده ، فهي التي ربت ولدها ، وصنعت منه رجلا فارسا عفيفا شريفا شجاعا، ورغبته بدعوتهم للانتقال إليهم ، لتقوم بإكرامها وإظهار شكرها ومنّها لها ..

فقال " كلفني الملك بهذا ، وسأسعى إليه .. أمي لا تحب الخروج من البلدة البتة يا أماه "

استمرت القافلة تسير وتسير حتى حطت رحالها في قرية جديلة القرية التي ترعرع فيها الملك ضرغام بين جبالها وسهولها ومياهها ، واحتفل الناس بالقافلة ، وكانت الناس تتسمع أخبار الملك ضرغام وانتصاراته على مدينة قدم الغزال ، وقد سارت الركبان والرعاة والقصاص بأخباره بين القرى والمدن والبادية ، وخطب الأمير محسن بجموع المستقبلين والمتجمهرين ، وذكر لهم دعوة الملك لهم للحياة في مدينة الرعاد تحت كرم وحماية الملك ضرغام الذي عاش بينهم لظروف خطيرة أحاطت به ، وهو يعتبرهم أهله وعشيرته ، ومملكته مفتوحة لهم .. وحث الشباب إلى الالتحاق بجيش الملك ضرغام ، ومن وجد في نفسه رغبة فليستعد للذهاب معه بعد أيام .. ووزع عليهم هدايا الملك من ثياب وأطعمة من زيت ودقيق وبهارات وملح .

غمرت الفرحة أم محسن وطال عناقها لولدها ،

وذرفت دموع الفرح والحب ، وفعلت سيرة بشقيقها ما فعلت أمها .. وذكر لهم بعدما أعطاهم عطايا الملك وأم الملك دعوة الملك وأمه بمسيرهم إليه والحياة في كنفه .

أولم أهل القرية للأمير وحاشيته وليمة كبيرة ، وهو في الأيام التالية أولم لهم وذبح لهم بعض البعران التي صحبها معه محملة مع البغال بالطعام والهدايا الملكية، وعمت الأفراح والخيرات القرية الصغيرة التي لا تزيد عن ثلاثمائة نفر.. فهم أهل الملك في فترة طفولته واختفائه .



قضى محسن خمسين يوما في قريته الصغيرة ، وجند ما يقارب خمسين شابا دون العشرين للسفر معه والانضمام لجيش الملك ضرغام ، ووعدته أمه بالسفر للمدينة حيث الملك عندما تتحسن صحتها العليلة تلك الأيام، ويصعب عليها ركوب الدابة لسفر طويل .

ودع القوم فارسهم بكل حب وفخر، وتحركت القافلة مسافرة وبصحبتها الشباب المتحمس للالتحاق بجيش الملك، وكان محسن قام بإعطائهم التدريبات الأولية .. وصحب القافلة أيضا الجواري أمهات الأولاد ، وكانت إحدى جاريتي ضرغام قد ولدت له أثناء انشغاله بالانتقام ، فقد تركها حاملا ، فوضعت له طفلا لم يسموه بعد لانتظارهم سيدهم ، وكان أثناء هذه الرحلة قد أصبح قادرا على المشي وبينما هم في الطريق خرجت عليهم عصابة كبيرة فأعلمهم الفارس أن هذه القافلة

تخص الملك ضرغام صاحب مدينة الرعاد ، فأصروا على الاستيلاء على الأموال والنسوان ، فاحتار محسن في حل هذه المعضلة فالذين معه شبان صغار وفلاحون ورعاة صغار ، وهؤلاء من عتاة اللصوص وقطاع الطرق ، فتشاور مع القوم والفرسان المرافقين للقافلة فهم حوالي عشرة فرسان ، فقال " لو قاتلناهم سنخسر البعض ، فهم يركبون الجياد وفرسان ولصوص متمرسون على الفساد في الأرض .. والاستسلام لهم مهانة وذلة .. أشيروا عليّ أيها القوم "

فقال أحد الفتيان: لو قاتلناهم وخسرنا البعض منا فهل يسلم الآخرون وننتصر عليهم ؟

ـ النصر أولا بيد الله وحده .. ثم عزيمتنا وصبرنا يحقق لنا النصر على الظالمين .. هم مسلحون بكل السلاح .. ولكننا نستخدم الحجارة لإعاقتهم ، ولا وقت لطلب النجدة واستمع لأقوال الفرسان ، وسمع الأقوال المتضاربة ، بعضها يشجع على القتال وبعضهم يشجع على التفاوض وتسليمهم

الدواب ، ومتابعة السير على الأقدام فقال أحدهم " وجواري الملك "

فقال محسن بشجاعة واعتداد نفس : أنا الموت خير لي من الاستسلام والخضوع لهؤلاء الأنذال ولكن حياة النساء والشبان مهمة لي أيضا .. سأطلب مبارزة رئيسهم ؛ فإن قتلته ضعفوا وهربوا وإن قتلني فافعلوا ما ترونه مناسبا .

ثم عرض على العصابة المبارزة فرفض زعيمهم هذا القول وقال " نحن نقاتل جميعا "

وشكلوا قوسا واستعد الفرسان للقتال ، وبعد حين نشب القتال وقاتل الفرسان ببسالة، وقام الشبان برشقهم ورمي الحجارة على العصابة بقوة وحماس ، وحمي الوطيس، وفجأة ظهر في الميدان فارس يصيح بقوة " أنا الفارس دعسان عيار الملك ضرغام .. يا ويلكم .. الفرسان ورائي " ، وخاص فيهم يضرب عن اليمين وعن الشمال ، وتبعته مجموعته من العيارين .. فهؤلاء الرجال أمرهم الملك بعد رحيل محسن برصد الدرب بين المدينة والقرية .. فالملك ضرغام فعل ذلك عن مشورة الوزير مقداد.. فظلوا يتنقلون بين المكانين حتى علموا بخروج الأمير من قريته .. فسبقوهم بأيام .. وتأخر بعضهم لمتابعة القافلة .. ولما رأى ما تعرضوا له من قطاع الطرق أسرع إلى أميره دعسان ونبهه للخطر المحيط بمحسن .. فأسرعوا بالعودة حيث الحصار .. وفتك دعسان وجنوده باللصوص فتكا ذريعا ، وشكر محس للملك فطنته.. وقد تعرض محسن لبعض الجروح الخفيفة ، وكذلك بعض الفرسان ، وأبلوا بلاء حسنا أثناء المعركة

وانتهت المعركة بمقتل عدد من اللصوص وهرب الكثير منهم.. وأمر محسن بدفن الجثث، وشكر دعسان على شجاعته وشجاعة رجاله الذي قال : معذرة أيها الأمير نحن تبعناكم منذ خروجكم وكنا نتابعكم.. ثم تقدمنا عنكم بيوم أو يومين .. خدعتنا الظواهر .. وقد تأخرنا في نصركم ..

وتابعوا المسير إلى البلاد.. وحمد الملك ربه على نجاة شقيقه في الرضاعة محسن ، وطلب الملك من العيار دعسان معرفة مستقر هؤلاء المجرمين ؛ ليخرج لهم بنفسه ليقضي عليهم لعدم اهتمامهم بشخصه والاعتداء على أطفاله وأهله .. ومحاولة سلبهم ، وهم ذكروا لهم أنهم من أعوان الملك ضرغام .. وأمر طبيبه الاهتمام بجروح شقيقه وسائر الفرسان وخرج دعسان عيار الملك ببعض رجاله يبحثون عن وكر العصابة، وأعداء الملك فهذا من مهمات العيارين في تلك الأزمان مطاردة اللصوص وتعقبهم وإفشال أحلامهم .

وسعد الملك بزوال الغمة ، واطمئن على حياة الفرسان، وأن الجروح لم تكن قاتلة وعميقة ..

وسعد بذريته عمرو وعثمان ، وسمى ولده الذي ولد أثناء عراكه مع الملك شجاع وشاقور عمر وهو أحد الخلفاء الأربعة الأوائل للأمة المحمدية .. والتسمي بأسماء الصالحين من دأب الأمم ولما تعافى محسن من جراحه أمر الملك الاحتفال بعودة أبناء الملك وأخيه محسن .

حكم ضرغام

ثم ما لبث أن عادت الحياة لطبيعتها في بلاد الرعاد.. ودخلت الملكة الأم من جديد على ولدها تحثه على الاقتران بأميرة من الأميرات بنات الأسر العريقة ؛ لينجب وريثا حقيقيا للعرش يجمع شرف الأب والأم ، وليعزز استقرار الملك في أسرته فقال الملك رادّا على اقتراحات أمه : يا أماه عندي جاريتان حسناواتان ولودتان .. أنت وهبتيني إياهنّ، وهما من أفضل جواريك كما أخبرني العم مقداد ، ووهبني الله منهما ثلاثة ذكور .. فسلامة ولدت عمرو وعمر ، وجمالة ولدت عثمان .. فلماذا المزيد من النساء ؟! أليس هم أبناء لي ويحملون اسمي أمام الخلق والبشر ؟ ونحن أمامنا بعد عشرين عاما من الأسر تنظيم المملكة من جديد ..

فقالت سيرة معقبة : كأنك ولدت ملكا يا ولدي رغم حياتك في قرى الفلاحين .. إنك مثل جدك الرعاد الذي حملت هذه المدينة في آخر عهده اسمه .. فقد كان حكيما في إدارة الحكم ورعاية الخلق ، وكان حازما عند الحاجة للحزم .. رحم الله والدك كان قويا وملكا ؛ ولكنه كان يميل للهو والصيد كثيرا ، ويترك الحكم لأمك الضعيفة، وجدك غزال الشيخ الكبير .. ورغم وجودي في ديوان الحكم فقد كان الرجال يتحرجون من الإفشاء إليّ بالأخطار مباشرة ورغم هرب عمك والوزير بهلوز وابنته وأفراد عائلته لم يكترث والدك كثيرا للخطر الذي يشكلونه على الحكم والملك.. وكنت أنبهه للتخفيف من الابتعاد عن المدينة بصيده .. وأن الأعداء يتربصون به، فلا يسمع ويظن أن ذلك مبالغ فيه .. ومن خوفي الزائد عليه .. الإنسان البسيط له أعداء وخصوم في حياته فكيف بالملك ؟! فمهما وصل الأمان لابد من الحيطة والفطنة .. فأهل الحقد والحسد والشر موجودون ويمكرون .. والملك من أبناء الأشراف له أثر في غابر الأيام ولاحقها .. الأسر العريقة في الشرف تحترم الشرف والنسب .. فعندما يكون الملك شريف الأبوين يرون طاعته دينا .. وابن الجارية سيبقى يعير بها .. رغم أن هذا من فعل الجاهلية لكن الفخر بالنسب ما زال ..

فقال متنهدا بعمق: عندما يكبرون نزوجهم من بنات الأشراف يا أماه .. فيحرزون الشرف الذين تشرين إليه .. فأخشى أن يتجدد الصراع بين

الأخوة إذا ولدت لنا أميرتك ذكرا ، وصار ملكا، فسيجد الرجال الذين حول عمرو من ذلك فرصة للدس والطعن .. فبعد حين ستتغير النفوس .. ويظهر الفساد في رجالنا وأبنائنا .. لا أريد أن يبرز الصراع على العرش.. إني أفكر بنظام محكم يبعد الصراع بين الأخوة على التاج .. الملك من بعدي سيكون الابن الأكبر عمرو الذي يزيد عن أخيه شهرين أو ثلاثة .. والذي يعيش سيكون سيد المدينة الأول.. وسيعلن عمرو وليا للتاج قريبا يا أمي .. أرأيت عندما لم يعين جدي الرعاد وليا لحكمه أتاح المجال لالتفاف الناس حول الأخوين ليكسب كل منهم صحبة الملك ؟ .. وهذا صراع كما فهمت من العم زويد المقداد بدأ في حياة الجد .. والسادة الكل يقامر ويريد أن يكسب .. وقد أتاح هذا التجاهل أن تضيع البلاد والعباد بين أبي الملك مطر وذاك الخائن طل .. فالمرأة الأميرة التي ترغبين بتزويجي منها مهما كانت طيبة ستسعى ليكون ابنها الملك ، وستجمع حولها من السادة من يشجعها على السعي بوصول ابنها للحكم بزعم أن أمه أميرة وشريفة .. وهو الأحق بالعرش .. وسيبدأ الصراع خفيا ثم يشتد.. وعمرو سيقول أنا الأول أنا الأكبر .. إذا أحسنت ترتيب أمور ولاية الحكم .. سأتزوج أميرة من أجل خاطرك يا أمي

ابتسمت سيرة لهذا الوعد فتابع الملك : سمعت بأميرة وأنا أهاجم مدينة شجاع تتحدى الرجال والشباب وأنها لن تتزوج إلا من يهزمها ويقهرها في السيف والمبارزة .. فأفكر بالمسير إليها خفية والنيل منها ونكاحها

ضحكت سيرة وقالت : ما هذا الكلام يا ولدي ؟ أنت اليوم ملك وسيد تفكر بالزواج من مغامرة .. أي زواج هذا ؟! وهل تختلف النساء ؟ تتخفى وتبارز فتاة !

ـ أحب المغامرات ؟

ـ نسيت خطر مدينة شجاع .. لابد أنهم يستعدون لحرب جديدة .. ولو بعد حين

ـ لا أتصور أن يرفع لهم رأس قبل خمس سنوات على الأقل

وبعد صمت قصير تابع قائلا : فالصدمة ما زالت تسيطر عليهم .. الصراع مستمر ؛ ولذلك رغبت بأخذ رهائن.. ولكن الوقت ينسيهم إياهم ويعتبرونهم أمواتا .. لذلك لابد من تقوية الجند ، وإظهار قادة جدد له .. فسيظهر أجيال في مدينة غزال يرون أننا ظلمة.. وعلينا أن نبني أجيالا هنا لمثل هذه اليوم.. وأنا بعد عشر سنين بإذن الله سأنهي ما بيننا من ضغائن وأكون خيرا منهم .. يجب أن يشربوا من الكأس التي شرب منها أهل مدينتنا ..

ـ المهم عندي أن لا تفكر بأميرة تتان .. إنها أنثى لا

ترغب بالزواج .. إنها رجل بثياب أنثى .. وهل خلقت المرأة إلا لتكون امرأة وزوجة وأما ؟ .. لذلك اختلقت تلك الأنثى ذاك التحدي وربما هي أكبر منك سنا

ـ نحن قريبان في السن .. أنا فكرت بالسير إليها بعد استسلام الأعداء .. فهل ترغبين بإنكاحي فتاة تعرفينها يا أماه ؟

ـ الأميرات كثيرات .. فعماتك ست ، وكلهن لديهنّ أميرات صغيرات يصلحن لك .. وأختي لديها بنات .. وعماتك بعضهن تزوجن خارج مملكة جدك .. فلن نعدم أن نجد أميرة عندهنّ.. أو أكثر ليكن نساء لك .. فأنت الباقي من أحفاد الملك الرعاد .. نسيت أن أسئلك عن أخيك محسن

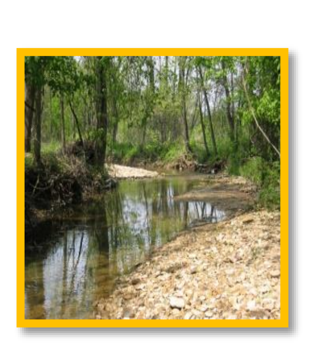
ـ هو بفضل رب البرية تماثل للعافية .. إنما جروحه كانت كثيرة .. فهو شجاع كان يصارع ليموت .. خشية أن تقع الجواري والأبناء أسرى للعدو الغادر .. والحمد لله أني وفقت بإرسال العيار دعسان عن مشورة الوزير أبي حسن مقداد .. وضحك .

فقالت أمه : الوزير معجب بك للغاية، ويراك شجاعا وحكيما رغم حياتك في الريف والقرى فيراك ذكيا ومقدما وهو محب لك ..

ـ وأنا أراه نعم الوالد ..وإن جلوسي على هذا العرش بعد فضل الله بشجاعته واستمراره بنشر العداء للحاكم شاقر أو شاقور كما يحب أهل مدينتا تسميته .. ونعم القرين لأمي .. وقد أرسلت الدعسان لمطاردة اللصوص .. وقد تحدث القائد نصر بن فوزان ودعسان مع الجرحى منهم .. فهم من مدن وقرى مختلفة تجمعهم الجريمة والعصابات.. وفيهم عدد من مجرمي مدينة قدم الغزال .. ومعهم قائد كبير ممن هربوا من تلك المدينة اسمه سريان ، وقد علمت أنه شارك في قتل أبي قبل أن يتحول للص .. وطالبت بتسليمه ؛ ولكنه قد هرب قبل معاهدة الصلح بيننا وهو من رجال الملك شجاع .. وأكد دعسان الذي سأل العم المجرم عنه أنه قال له " إنه هو الذي رتب لجريمة غدير الدم .. وهو وقائد آخر اسمه سعدانو .. هم جاءوا المدينة وتعرفوا على تحركات الملك مطر .. ورتبوا لحادثة الغدير المشؤومة " .. لذلك أكد لي الوزير الشجاع أن حادثة اعتراض محسن كانت مدبرة ومكيدة.. فكان لابد من متابعتهم للقضاء عليهم.. فهم يعملون الآن وحدهم كما هو الظاهر لنا .. وأرسلت رسالة حادة للملك دغفل بأن يجري تسليمهم فور عودتهم للمدينة.. حتى لا يذهب العهد بيننا وبينهم سدى.. وأرسل الفارس دعسان عيونا له في بلاد شجاع ..

ـ إذن لم يكن الأمر مجرد قطاع طرق

ـ هم قطاع طرق استغلهم سريان وسعدان أو هم يعملون لهم .



كان الملك ضرغام قد استطاع معرفة الكثير من الأسماء المتآمرة على قتل أبيه من رفاق عمه طل أو الوزير بهلوز .. وفتك بأكثرهم إلا من هرب واختفى .. وكان الملك شجاع قد أرسل سريانو وسعدانو بجيش لاغتيال الملك مطر ونجحوا .. لذلك بعد تلك المذبحة عند غدير الدم تقدم الرجل الصفوف، وأصبح رجل الملك المقدم والمكلف باغتيالات خصوم الملك في الداخل والخارج .. واستلم قيادة أمن الملك والبلاد ويساعده سعدانو ورجاله المقربون .

ولما رأى أن الهزيمة ستلحق ببلاده ورأسه مطلوب هرب قبل أن يصبح قتيلا للملك الذي أهدر دمه .. وكان هذا الرجل بعد مقتل مطر أحد أصدقاء الملك طل وكثيرا ما زاره، ولهى معه وشرب الخمر وزنى في قصر الملك طل .

لذلك لم علم العيار دعسان بوجوده مع اللصوص أدرك أن المكيدة مدبرة ومقصودة، ولم تكن صدفة وعفوية ، وتحرك باحثا عنهم حسب أخبار طل وجرحى اللصوص ، وأن الرجل يسعى للغدر وإفساد الصلح بين المدينتين ليعيش .. فلابد إذن من أسرهم أو قتلهم .

العصابة لم تعترض محسنا فجأة دون تخطيط وكيد كما بدا لنا في البداية .. فالحرب الخفية قائمة سريانو وسعدانو .. يريدان الانتقام لمليكهم قتيل غدير الماء.. والحرب الخفية تذكرون أنها بدأت عند خط الحاكم شاقور رسالة يخبر الملك شجاعا عن الشائعات بظهور ابن للملك مطر المختفي عند مقتله .. وقبل ظهوره علنا أي ضرغام كان من الصعب الوصول إليه .. وجاء سريانو وتحرى وفتش ، وعاد لمليكه خائبا ومطمئنا له من حال مدينة الرعاد .. والأمير ضرغام لم يكن له أصدقاء ورفاق في مدينة الرعاد ؛ فكان من الصعب التعرف عليه والتخلص منه .. واستطاع الشاب الوصول لمبتغاه والقضاء على شجاع وحاشيته أثناء الصيد كما حصل مع أبيه

وقد قام والد محسن برعايته وكتم سره حتى وافته المنية ، وقد أرسله ليتعلم السيف وركوب الخيل على أنه ابن راعي ، فصعب معرفة سره لأنه هو عاش لا يعلم إلا أنه ابن راعي .. ونفذ الراعي وصية الأم وتعاليمها على أحسن وجه .. فصعب على سريانو التحقق من حياة ابن الملك العدو المجهول .

اختفى خصوم ضرغام خشية الهلاك ؛ ولكنهم لم

يصمتوا ، فهم يريدون إشعال النار والحرب فبقاء الملك ضرغام فهذا يعني هلاكهم وموتهم ولو بعد حين .

وظهر محسن بالصديق المخلص والوفي للملك.. وقد شاركه بالقضاء على شجاع .. فكانت فرصة لقتله عند عودته من قريته التي بدا اسمها يظهر.. وأن الملك عاش فيها كابن راعي .. فأرسل سريانو بعض أعوانه للتجسس في بلاد الرعاد .. يذهبون كتجار كرعاة .. وعرفوا بخروج محسن إلى جهة ما .. وهو رجل ظهر اسمه أثناء فترة التحرر من الاستعباد .. وهو سيف الملك وقائد الحرس .. هم طبعا لم يعرفوا إلا أنه ذاهب في مهمة ملكية .. وتبعته العيون حتى رجع بعد حين.. فرتب سريانو وبعض رجاله الكمين الذي أرادوا أن يبدو بين الناس وللملك ضرغام والملك دغفل أنه كمين قطاع طرق ولصوص.. فاستعان بعصابة لصوص له معرفة بزعيمها .. وإذا اكتشف الجريمة .. عصابة تسعى لأموال ودواب القوم .. فلا تتهم مدينة دغفل بالحادثة ويقتل الرهائن.. ولم تجر الأمور كما خطط سريانو وسعدانو.. ظهر العيارون في الميدان في الوقت المناسب، وقاوم محسن وفرسانه ببسالة وشجاعة ..

هرب زعيم اللصوص وسريانو ومن نجا .. وعلموا أن الملك ضرغاما أرسل الدعسان لتعقبهم ومطاردتهم وقتلهم والقضاء عليهم .. والدعسان لم يكن مجهولا لدى العصابات، فهو اسم يتردد في الوديان والجبال ، ومغامراته في مطاردة اللصوص يتناقلها الركبان منذ عهد الملك الرعاد .. الذي كلفه بمحاربة لصوص القوافل وتأمين الطرق لها .. لتصل لبلاده سالمة وقد كان هو نفسه في مطلع حياته لصا كبيرا قبل القبض عليه في زمن الملك الرعاد ، وتاب على يديه، وقد عفى عنه وكلفه بهذه المهام .. فاتصل بأعوانه ودعاهم للتوبة والخدمة مع الملك الرعاد.. وكان صديقا للملك مطر.. فلما قتل ابتعد وعاد لبلدته حتى سمع بعودة ابن الملك ضرغام فلحق بجيشه وفرسانه وعرف بنفسه وعرفه مقداد وتذكره .. وأحبه الملك ضرغام ، واتخذه صديقا له ولمحسن .. وطلب منه العودة لوظيفته كعيار وحماية الطرق من اللصوص، وقد منحه الملك لقب حارس الملك .. وصار اليد الخفية للملك .



الحرب الخفية

بعد شهور قاربت السنة تعافى محسن من جروحه كلها ، وأصبح قادرا على اعتلاء الجواد واللعب بالسيف والطعن بالسنان، وبينما هو سعيد بعافيته

جاءته رسالة عن أمه فيها خبر بزواجها من العبد سهام الذي وهبه لها الملك ضرغام على لسان محسن نفسه ، عندما مشى محسن قبل سنة لجلب الجواري والنساء أمهات الأولاد

فتضايق وتألم محسن لسماع هذا الخبر ، وقال متضايقا للرسول " ألم تجد سوى العبد ؟! .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. وولدت منه يا الهي ! لابد من زيارة أخرى للبلدة ومعرفة تفاصيل حكايتها مع العبد "

ودخل على الملك وساره بهذا النكاح، فاستغرب الملك مثله ، فالعبد له بينهم سنوات ، وقال مستغربا " ألم تجد رجلا حرا تنكحه ؟!.. لابد أن أمرا مرا اجبرها على ذلك "

ـ مهما يكن هذا الأمر ، فنحن هذه الأيام سادة وأمراء ولسنا سوقة.. وهي لم تكن بحاجة للنكاح أمي نسيت أنها أم أخرى للملك ضرغام .. سأسير للبلد خفية أيها الملك .. أنا لم أنس الحرب الخفية بيننا وبين أتباع الملك شجاع الموتورين.. وإذا تحركت بسرية أو أكثر سأكون مكشوفا .. سأتنكر أيها الملك الكريم وعليك أن تزعم أمام الأمراء والحاشية بمرضي أرجو أن لا تكون أمي انزلقت للغواية مع ذلك العبد .

قال الملك : لا أعتقد أن تهوي أمنا لهذه الفاحشة .. الوحدة لها دورها أيها الأمير .. عليك بالتروي .. إنها تعيش مع الخادم .. فقد تركناها وحدها وقد مات والدها بعد أيام من رحليك بأمهات الولد.. واذكر أن أمك صغيرة في السن .. وحياتك في هذه الرحلة ألا تخشى عليها فالعدو يتربص بنا ؟

ـ القلب يشتعل أيها الملك لهبا.. عليّ أن أسمع أمي وأعرف لماذا هذا الزواج ؟! فكأنها تزوجت بعد مفارقتي إياها، فهي قد وضعت طفلا

ـ محسن احذر أن تمسها بسوء .. فهي أمي كما هي أمك .. لا تعجل بالغضب .. عليك مشاورتي حتى لو أخطأت، وأنا أربا بها أن تفعل ذلك السوء.. لا تمسها بسوء .. هي أمي كما هي أمك والعبد سهام لا تمسه بسوء أيها الأمير هو اليوم زوجها وقرينها، ولابد أنها حررته قبل زواجها منه .. فقد خدمنا بإخلاص في وجار أبي شجاع .. هناك شأن خفي وهو أبو أخينا .. انظر في أسباب هذا النكاح ، وتصرف بالحكمة التي أعهدها فيك لا تنسى وصاياي يا أخي الأمير .. كن محسنا كاسمك

ـ العار هل يغسل بغير الدم ؟

ـ أي عار ؟!

ـ الزنا

ـ لا أعتقد حدوثه ..أمي شريفة نقية .. والولد أخ لنا شئنا أم أبينا .

صحب محسن أحد رجال الدعسان الأشداء

والذي يسبق الجواد ، واسمه عامر وهو من أبرع العيارين الذين يعملون مع الدعسان.. ولم يحمل محسن معه شيئا حتى لا يثير شهية الأعداء واللصوص وجواسيس سريانو العاملين في بلادهم دون شك .

خرج من المدينة نصف النهار مع الناس وبأثواب بالية والتقى بصاحبه العيار عامر في أحد الوديان، وكان معه جوادان قويان وسيف الأمير .. وبعد أيام وصل القرية بسلام حتى أن أمه تفاجأت به ، ولم ينزل بيتها، ونزل في بيت شقيقته سيرة ، فعلمت الأم أنه غاضب وأن أحدهم وشى له بزواجها من العبد سهام ، ولما مشت للسلام عليه وتعرف سبب مجيئه قالت : الحمد لله على السلامة أيها الأمير .. سمعنا أنك تعرضت للصوص وأصبت بجراح شفاك الله منها .

ظل نظره إلى الأرض وقال بغضب وحدة: ما دمت راغبة بالرجال لماذا لم تحدثيني بذلك ؟ .. أتنكحين العبد يا أم الملك ؟

فقالت بغضب واضح وضيق : يبدو أن الأمير محسنا نسي أن أباه راعي وأجير عند الناس .

ـ لم أنس يا أماه ذلك الراعي؛ ولكننا أصبحنا أمراء وسادة.. أترضين أن يقال إن أم الملك ضرغام نكحت عبدها ؟

ـ لقد حررته يا ولدي قبل النكاح .. لم يبق رجال في البيت ، خشيت من القيل والقال.. والرجل شريف ، ولم يطلبني أحد للزواج منذ ترملت .. فعرضت نفسي عليه ، وبعد تردد وخشية قبلني.. وهو رجل حر مثلك ومثل أبيك من قبل .. وأنجبت لك منه أخا .. هل كنت تريد أن آتي إليك قائلا يا محسن أريد زوجا ؟!.. هذا كان واجبك أنت دون أن أقول .. مات أبي الذي كان يؤنس وحدتي وحياتي .

قال بعد تردد قصير : أمي ألم يحدث بينكم أمر مشين قبل الزواج ؟

ـ رغم قسوة الكلام والاتهام .. أقسم بربنا أنه لم يحدث بيننا شيء مريب .. لكن لما خلا عليّ البيت من الأطفال والنساء ، وجدت نفسي مع هذا الرجل .. وحنت نفسي للأطفال .. عليك ألا تسيء الظن بنا ، ولا إلى زوج أمك .

ـ أوصاني الملك على حياتك وحياة العبد والطفل

ـ ما هو بعبد .. هو حر .. والحمد لله لم يذهب لبني فيه خسارة



ـ نحن لم نعد أبناء الراعي جدي.. فلو كان حيا لصار سيدا وأميرا .. أتريدين مني أن أبعد عن الملك والحكم والسلطان وأعود راعيا ؟!

لم يدم مقام الأمير محسن في قريته طويلا ، فعاد ودخل على الملك وقص عليه قصة زواج أمه من العبد فقال الملك : الحمد لله أن الظنون الرديئة ذهبت .. نحن قصرنا في حق أمنا يا محسن .. نسينا في غمرة الأحداث الأم الأرملة منذ عشر سنوات.. رحم الله العم جديا .. لِمَا لم تحضرها معك ؟

ـ أبت يا مولاي الملك .. أصرت على البقاء في قريتها لتدفن فيها ..لا تحب حياة المدينة ورفاهيتها

ـ وذلك العبد ؟

ـ تركته سقيما عليلا قد هده المرض .. عجز عن المجيء لبيت شقيقتي للسلام عليّ .. وعند مغادرتي مررت على أمي لوداعها فرأيته بتلك الهيئة الضعيفة على فراش السقم .. وقلت لأمي

" قد لا أعود لهذه البلدة مرة أخرى.. فارحلوا معي "

ـ وما أجابت أمنا على قسوة كلامك ؟

ـ لزمت الصمت .. وخرجت وأنا فعلا أحس أن هذا آخر العهد بهذه القرية أيها الملك الشجاع

قال الملك بتمنٍ : كنت أود أن تأتي لتعيش معنا هي وبعلها وولدها .. لا يمكن نسيان معروفها نحوي يا محسن .. كانت أما عظيمة بالنسبة لي، عشت معها أكثر من أمي التي ولدتني.. كنت ضعيفا عندما اعتنت بي ، فإكرامها واجب علينا

ـ أبت الرحيل ، تريد أن تموت في بيت وقرية عاشت فيهما.

ـ دع ذلك للزمن لعلها تغير رأيها .. لابد لي من زيارة القرية ، وتقديم الشكر لأهل القرية .. أيام لا تنسى أيها الشجاع في تلك القرية الوادعة

ـ هذا من كرم السيد أيها الملك السعيد

ـ والأخت النفيسة سيرة ألا ترغب برؤية أخيها الملك ؟

ـ زوجها عاجز عن السفر، فهو يبر والدين شيخين أيها الملك الشجاع

ـ حق لها البقاء ما دام الشاب بارا بوالديه راعيا لهما .. إني بشوق لرؤيتها والحديث معها .. فمنذ خرجنا نطالب بحقنا لم نرهم ولم نمزح معها .. لو لم تزوج لزوجتها أميرا من أمراء مدينتنا لتستقر معنا .. لعلها هي الأخرى تشتاق لنا مع الأيام .

غمر المكان صمت لدقائق ؛ كأن الملك ذهب بخياله لتلك القرية الصغيرة الهادئة ثم قال : عيارنا الدعسان يبدو أنه اقترب من اللص الغادر .

انتبه محسن من سرحانه هو الآخر وقال : حقا !.. كم أنا متعطش لذاك الخائن وصلبه على باب المدينة؟!.. لم يرحم ضعفنا ؛ لكن طال البحث عنه

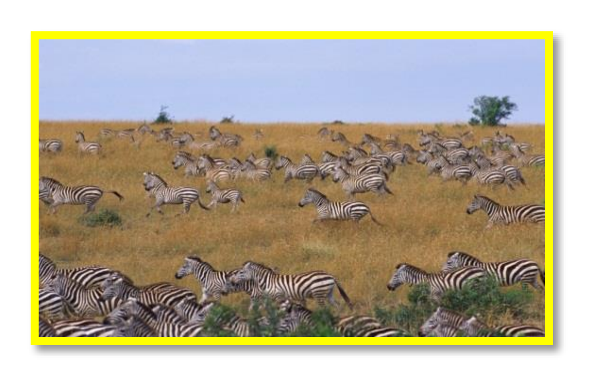
ـ هؤلاء الملاعين لا مكان واحد يثبتون فيه .. فهم يتحركون لمارسة بغيهم .. العجيب من أمرنا أننا مع كثرة تنقلنا بين المدن والقرى لم نصدف لصا أو

ضحك محسن وقال : كان حظنا حسنا يا مولاي .. حتى قريتنا لم تعان منهم كما تذكر رغم سماعنا عن اعتداءات لهم على القرى من حولنا .. فهم يهجمون على القرى أحيانا لنيل الطعام والاستيلاء على المواشي وبيعها في المدن .. ويأخذون الأعلاف لخيولهم .. فأهل القرى مسالمون يدفعون للصوص مقابل ترك حياتهم وبعض طعامهم لهم .

ـ ولماذا يسرق هؤلاء الناس ؟! هل هم جوعى ؟

ـ لا أعتقد هذا أيها الملك .. هؤلاء في الغالب استهوتهم المغامرة والكسل عن العمل .. وبعضهم لص ومجرم في بلدته، وابتعد عن شرطة بلدته .. وبعضهم ارتكب جرما قاتلا فهرب وانضوى تحت تلك العصابات طمعا بالحياة والعيش بسلام مع تلك العصابات

ـ عندما يعود الدعسان سنرى ما سنفعل بهؤلاء الملاعين؟ .. فقد أخبرني الوزير كما أخبره قائد الشرطة أن لصوصا اعتدوا على بعض الفلاحين خارج أسوار المدينة .



وبينما الملك يشكو لصوص الليل لأمير الحرس أخبره الحاجب بأن رسولا يحمل رسالة خاصة فاستقبل الملك الرسول في ديوان الحكم ، وأمر الكاتب بفض الرسالة ويقرأها فقال الرسول : إنها رسالة خاصة لكم مولاي الملك من أميرة تتان الأميرة نهيلة بنت الملك حس غاب

أخذ الملك الرسالة من يد الكاتب وقرأ فيها بعد التحية والسلام

" علمت يا ملك الزمان من بعض الشعار أنك ذكرتني ورغبت بالزواج مني ، ولولا مقامك بين الأنام لسعيت لمبارزتي لتحضى بي قرينة لكم ، فسرني وأسعدني ما سمعت يا ملك الزمان، وفرحت به ، وأنا مثلك تمنيت هذا اللقاء.. فأقبل إلى الميدان ؛ لترى حسن وشجاعة الأميرة نهيلة بنت حسن غاب سيد بلاد تتان والسلام "

دفع الرسالة لوزيره زويد المقداد وقال للرسول : أنت رسول الأميرة فحسب أم خادم خاص لها ؟

ـ نعم ، يا مولاي أنا خادم لها كلفت بنقل الرسالة ، فهي تهديك السلام وتطلب اللقاء في ساحة الميدان ، وترحب بك ضيفا على بلاد تتان .

انتهى الوزير من قراءة رسالة الأميرة وأعطاها بإشارة من الملك للأمير محسن قائد حماية الملك ثم أمر بصرف الرسول لبيت الضيافة ..ولما انتهى

منها محسن أخذها الكاتب وقال: عندما اعترض الرسول خشيت أن تكون رسالة مسمومة ، فبعضهم يغرق الورق بسم قاتل ويجففه لحين فينتقل السم لقارئ الرسالة شيئا فشيئا عن طريق الامتصاص والتعرق

ـ أشكرك أيها الكاتب الشجاع.. نظرت في عيني الرسول ، ثم ذكرت أنه لا عداوة بيننا وبين تتان

وتنهد الملك وقال : أيها السادة إنني وأنا أحارب كما تعلمون عند أسوار قدم الغزال دخل علينا ذات ليلة شعراء كرام يمدحوننا ، فوصف أحدهم أميرة تتان وشجاعتها، وطمع الملك شجاع بها وسار إليها وهزمته، واستسلم للهزيمة ، فطمعت نفسي بها والفوز عليها.. وأنا محارب ؛ ولكنني لست بالفارس ذي الشهرة الكبيرة ، إنما أحسن القتال والدفاع عن النفس ولست جبانا.. وهل تستحق امرأة أن أقاتل من أجل نكاحها حتى ولو كانت ملكة؟! فأمي الملكة قالت لي كلمة عظيمة "النساء كلهن واحد في أمور النكاح والجماع" .. ولا أنكر أن حسنها كما قال الشاعر يفتن الألباب والحجا.. وإنها مضرب الجمال في تلك الديار

قال الوزير مقداد مبهورا : كلامك كلام ملك عاقل!.. ملك عظيم! .. النساء شهوة يا مولاي والنساء كثير .

ـ إنها تتحدى أيها الوزير العاقل

فعاد الوزير يقول : إنها أنثى، ولا فخر بالفوز على أنثى .. اطلبها للزواج وعندما تستقر بيننا ادعها للمبارزة .. فلا نريد أن نخسرك أيها السلطان وتتعرض لغدر من الأعداء الماكرين المتربصين

ـ هذا ما أفكر فيه حقا .. نحن ما زلنا في حال قتال مع مدينة الملك شجاع .. وكما استيقظ فرساننا ورجالنا فلسوف يستيقظ رجالهم وشبانهم بعد أن تذهب سكرة الضعف والذل .. وتعود الحرب .. فرغم أخذنا مائة رهينة لضمان الوفاء بالعهد والاتفاق.. فها هم حاولوا النيل من القائد محسن غدرا وبالتعاون مع اللصوص ، وبعضهم كان من رجال شجاع .. وفارسنا الدعسان يتعقب جحورهم دون فائدة تذكر .. سنبعث رسالة لتلك الأميرة أعرض نفسي زوجا بدون مبارزة كما قال وزيرنا الشجاع .. إن قبلت مشى إليهم وفد لطلب يدها من أبيها وسادة مدينة تتان وإلا انتهى الأمر .

وكتب الكاتب رسالة بهذا المعنى وبعد انتهاء الأيام الثلاثة دعي الرسول وأعطي الخطاب، وسار به لبلاده ، ولما قرأت الأميرة الرسالة صعقت بما فيها ، وظهر غضبها وسخطها، فلما قرأها الملك حس غاب أخذ بالضحك عاليا ثم قال شامتا : هذا ملك حكيم يا بنية!.. النساء بين يديه كثيرات، فلماذا يجازف بنفسه للمجيء هنا

للمبارزة ؟ مبارزة الأميرة التي لم تلد النساء مثلها غرورا ووهما .. فإذا كان لك فيه هوى ، فها هو يطلب الاقتران ببدنك وروحك فاقبلي عرضه

ـ بعد أن هزمت عددا من الأمراء والفرسان أأقبل الزواج بدون أن أهزم ؟.. هذا لا يكون أبدا

ـ دعك من الغرور فقد كبرت سنك.. النساء اللواتي في عمرك قد ولدن الكثير من الأبناء .

ـ لا يا أبي لن أتزوج إلا من يتغلب عليّ في ساحة الميدان ويهزمني

ـ الغرور قاتل ويورد المهالك.. وقد صبرت عليك كثيرا ، وهذا ثاني ملك يطلبك حليلة.. جاءك شجاع طالبا الزواج ، وأصررت على المبارزة وهزمتيه وقبل الهزيمة لما بيننا من الدم والقرابة .

بعد حين يسير عاد رسول الأميرة يحمل كتابا جديدا للملك ضرغام تعير فيه الأميرة الملك بأنه ضعيف ، ويهرب من لقاء امرأة بارعة في السيف والقتال ولولا ضعفه لما فر من لقاء امرأة .

فقهقه الملك عاليا ، وقال الملك الذي كان قد أخرج الرسول قبل فتح الرسالة : هذه الأميرة تكاد تقول تزوجني .. وغرورها وكبرياؤها يمنعانها من قبول طلبنا والاستجابة لرغبتنا باتخاذها حليلة..

اكتب أيها الكاتب ردا مستفزا ، وخذ مني هذه العبارات " لو كان الفوز على امرأة في معركة مفخرة لكثرت الفارسات في التاريخ .. فالحرب خلقت للرجال.. وأكثر من يموت في المعارك هم الرجال .. ونساء الخاسرين تصير سبايا وخادمات للفرسان المنتصرين.. فليكن زواجنا على سنة الرحمن "

فلما قرأت الأميرة نهيلة تلك العبارات أصابها الجنون وكادت تفتك برسولها، ووعت أن استفزازها للملك ضرغام غير مجد .. وأن الرجل لا يُكنّ لها هوى إنما يشتهيها كما يشتهي الرجل جاريته وزوجته.. ولم علم الملك حسن غاب برسالته الجديدة ازداد إعجابا بهذا الملك الشاب ، فقال مرة جديدة : أراك تراسلين هذا الملك الشاب فإن كان لك هوى به لشجاعته وحكمته ؛ فلنسع في ذلك على سنة الرحمن كما كتب لك .. فهو ليس أحمق كالذين بارزوك.. وليس مفخرة للفارس الشجاع أن ينتصر على أنثى .. وها هم الذين فزت عليهم تزوجوا النساء ونسيهم الناس .. إنه ملك وأنت ابنة ملك فهذا هو الشرف .. هذا هو الشرف .. الناس لا تهتم لهزيمة رجل من قبل امرأة .. يشهد لك الفرسان بالقوة والشجاعة .. وماذا بعد؟! وكما أخبر خادمك الملك الضرغام لم يتزوج من الحرائر بعد .. فأنت أول حرة وأميرة يعرض

عليها النكاح .. وقد تتوجين ملكة إذا ولدت له ذكرا كما هي عادة الملوك الكبار.. والرجل راغب بك زوجة وعرض نفسه زوجا لك

ـ آه! يا أبي كيف سأنظر إليه وأنا أراه رجلا عاديا؟!.. أنا أريد رجلا مميزا أفخر به على نساء العالمين أنه هزمني في الحرب .

ـ الملك ضرغام من أبطال هذه الأيام، وقد استرد ملكا ضاع منذ عشرين سنة وانتقم لأبيه من الملك شجاع .. فهو بطل وشجاع .. وأمه بطلة كذلك قد سمعت قصتهم من الرواة .. استطاعت حفظه وظهر كبطل من أبطال الأساطير.. فهذه هي البطولة الحقيقية .. فكل فارس يهزم ببعض المعارك لا ينتصر دائما، ولا يقلل ذلك من فروسيته .. كل فارس يكبر سنا مع الأيام ويضعف .. ومن حظك أن الرجل له رغبة فيك .. فهو لم يعش في القصور عاش في الوديان والجبال والقرى.. إنه صنع لنفسه مجدا بنفسه.. راجعي أفكارك فقد قل خطابك.. والرجال تنفر من المرأة المترجلة .. ماذا يعني فارسة ؟! المرأة حياتها أن تبقى امرأة حسناء متبعلة لزوجها قولي لي ما يعيب أمك الملكة .. وعمرها ما ركبت جوادا لقتال ؟!

جاءت البشرى من الدعسان بأسر زعيم العصابة وأنه في الطريق للمدينة ، فغمر الفرح قلب الملك وقال للوزير مقداد : سنة ونصف وهو يطارده .. دعسان فارس مغوار وصبور.

وصل الدعسان ورجاله بعد أيام يسوقون زعيم العصابة وثلاثة من أعوانه مكبلين بالقيود والحبال على متن الجياد.. فخرج الناس للفرجة على عصابة اللصوص ، وأمر الدعسان بصلبهم في ساحة المدينة؛ ليكونوا عبرة وذكرى لمن يحاول الاعتداء على أهل المدينة .

ذهب محسن بنفسه لرؤيتهم والحديث معهم ، وخاطب زعيمهم بشماتة وكره، فقد كاد يفقد حياته على أيديهم قبل زمن يسير "أعرفتني أيها اللعين ؟"

فقال الزعيم " وهل أنساك ؟ وما أنا هنا إلا بسببك ؟!"

ـ أنت جنيت على نفسك تعرضت لنساء الملك ضرغام، وعملت كأنك لم تسمع .. فالاعتداء على الملوك ليس كالاعتداء على العامة .. الملوك لا يتنازلون عن غضبهم وإلا زالت هيبتهم من قلوب السوقة أيها اللص وذكرت لك أني قائد حرسه ولم تبال.. فكم دفع لك الأمير سريانو ؟

ـ أي سريانو ؟!

ضحك محسن وقال : أنت تمكر بي ! أتنكر أنك كنت مدفوعا ؟ فرجالك الجرحى يعرفون سريانو وسعدانو

ـ أنا اعمل لنفسي .. قافلة وقعت في طريق

عصابتي ..

ـ عندما تقف أمام الجلاد ستقر بمن أرسلك أيها اللعين .

وغادره والتقى بالدعسان ، وسمع منه قصة مطاردته للعصابة ، والقبض عليه فقال : ظللنا يا مولاي الأمير نتتبع الأخبار حتى تمكنا منهم في النهاية ؛ وذلك في معركة قصيرة .. فقتلنا منهم عددا وهرب بعضهم وأسرنا الهدف .. وأخذنا بالتنقل خفية ومن طرق غير مطروقة حتى وصلنا إلى هنا

ـ أحسنتم ، وبارك الله في شجاعتكم .. ولكنه ينكر علاقته بسريانو وسعدانو

ـ كذاب يا مولاي الأمير ، فهو يعرف شدة العداء بيننا وبين سريانو فيريد التنصل من معرفته آملا بالنجاة .. أخبرني أحد رجاله أن أميرا دفع له مبلغا كبيرا من المال ليقوم باعتراض قافلتكم والنيل منها وخاصة أنت .. والتظاهر بأنهم لصوص التقوا بكم صدفة دون متابعة ورصد حتى لا تتهم مدينة قدم الغزال بالجريمة .. ولسوف يقر أمام القاضي بجريمته وسيلقى جزاءه بعد الصلب والعرض أمام الناس لمدة ثلاثة أيام اقتيدوا للسجن ليعرضوا على القاضي بجريمة قطع الطريق ومهاجمة رجال الملك ونسائه ، حقق معهم أحد رجال القاضي ، وأصر الزعيم على الإنكار على أي تعاون مع أمراء الملك شجاع فأمر السيد القاضي بحبسهم حتى يقبض على سريانو وسعدانو .. وأن يبقوا بالقيد الثقيل داخل الحبس حتى لا يفكروا بالهرب.. فقال الملك لمحسن :أيعقل أنهم ليسوا من أعوان سريانو اللعين ؟

فقال محسن : الأعوان سمعوا باسم سريان وأولئك لم يروه .. وزعموا أن معهم رجالا من مدينة الملك شجاع ..



فقال الملك : السجن خير لهم حتى نرى سريانو بينهم .

مكر سريانو

جاءت رسالة ثالثة من الأميرة نهيلة بن حسن غاب وقد جاء فيها " ... نعم ، أعترف أنك هزمتني أيها الملك ، وكنت بشوق للقائك في الميدان .. وفكرت أن آتي مدينتك لهزيمتك بين أعوانك؛ ولكن والدي الملك رفض هذه الخاطرة وقال: " إذا كنت تريدينه بعلا لك فأرسلي رسولك إليه معلنة الموافقة لهذه المصاهرة ".. فإذا كنت تراني مناسبة للزواج منك أيها الملك المبجل.. فأرسل واصنع ما يفعله السادة في الزواج من بنات الملوك.. فأنا معجبة بك منذ سمعت بمعاركك مع الملك

شجاع .. أحببتك حق الحب .. وكنت أطمع أن أكون عندك جارية ولكن شرطي كان يحجزني أيها الملك المبجل ..إني في انتظار ردك الكريم .. العاشقة للبطل ضرغام بن الشهيد مطر نهيلة بنت حسن غاب "

سر الملك وهو يقرأ رسالة الأميرة التي أعجب بجمالها وحسنها من وصف شاعر أحسن الوصف أمامه ، وها هي قد استسلمت للزواج دون قيد أو شرط .. وسر لتعلقها به ، وهو أدرك ذلك من أول خطاب نقل إليه .. فهام الملك بها هياما ، فهو قد عشقها منذ وصفها له أحد الشعراء أثناء الحرب التي قادها إلى بلاد قدم الغزال .. عشقها على السماع .

تشاور وتحاور الملك مع وزيره وأخيه محسن بهذا الزواج .. وكان الكل يحب أن ينكح الملك أميرة سواء من أميرات البلاد أم من أميرات وبنات الملوك .. لأنهم كانوا يرون من كمال الرجولة الزواج من الأميرات وترك السراري .. وكان لفارسهم هوى بتلك المرأة على السماع والوصف فتقرر أن يرسلوا وفدا بقيادة الشيخ حمزة بن ناهد كبير قضاة المدينة لتحقيق هذا المأرب.

وقد دبج الكاتب خطاب السفارة الملكية ، ولما جهز الوفد المكون من خمسين رجلا مضوا لبلاد حسن غاب ، وقد حملوا الهدايا على البعران والبغال ، وصحبهم مائة فارس على أن يتبعهم عشرون عيارا سرا .. وكان الرسول قد أبلغ الملك حسن غاب بأخبار الوفد الملكي ، فطفقوا يستعدون لاستقبال وفد بلاد الرعاد ، تقع بلاد تتان جهة قدم الغزال ، وكلا المدينتين غرب مدينة الرعاد ، الشيخ حمزة القاضي كان قد زاد سنه عن الستين عاما وهو قوي البنية .. ولما غادر الوفد المدينة أخذ أهل البلاد بالاستعداد والتهيؤ للاحتفال بزواج الملك من ابنة الملك حسن غاب .

خرج الملك حسن غاب بنفسه في استقبال الوفد على مدخل المدينة، وبعد التعارف والعناق ساقهم إلى بيت الأضياف ، ثم أعلن الملك نكاح الأميرة نهيلة من الملك البطل ضرغام بن مطر وشرعت المدينة تحتفل بزواج ابنة مليكها.. فأقيمت الحفلات العامة والخاصة في شرق المدينة وغربها ، وتخللتها الولائم على نفقة الملكين .

ولما تجهزت قافلة الأميرة تحركت القافلة لبلاد الملك ضرغام تصحبهم العروس وبعض جواريها وخدمها ، وكانت الأميرة داخل هودج ، ومعها جارية صغيرة في السن .

ولما اقتربت القافلة من طرف مدينة قدم الغزال للتحول جهة مدينة الرعاد أحاط بها أعداد من الفرسان ، وعملوا غارة سريعة على القافلة ، ونشبت معركة دامية بين الفرسان وحماة القافلة..

واستمر القتال حتى اقترب فرسان من هودج الأميرة وساقوها إلى مكان مجهول.. وكان القاضي قد قتل أثناء المعركة مع عدد من فرسان الملك ضرغام .. ولما وصل الخبر المفزع للملك حسن غاب اشتد غضبه وفزعه، وأرسل جيشا يبحثون عن الأميرة المخطوفة ، وإسعاف الجرحى ونقلهم للمدينة للمداواة .

وغضب الملك ضرغام للغدر والخيانة واستدعى الدعسان ، فأخبره الدعسان بالكمين الغادر ورأى أنه من سعي وتدبير سريان وسعدان وقال : لن يهدأ لي بال حتى أضعهما أمامك أيها الملك الشجاع .. لقد سعى أحد رجالي لحماية هودج الأميرة ولكنه قتل .. وقد خسرت فرقتي أيها الملك الشجاع ثلاثة من فرسانها ..

ترحم الملك عليهم ، وأوصى بأسرهم وقال : اهتم بالأمر بكل قوة.. سنشيع مولانا القاضي والقتلى بمشهد جليل ومهيب .. انصرف واعمل سريعا يا أمير دعسان ..

ـ الحرب سجال ، سننال منهم بمشيئة الرب العظيم .. سأخرج لهم بنفسي .

وشيع أهل المدينة قتلاهم، كما قال الملك بمشهد عظيم، حضره كبار السادة والأمراء وأبناء الشهداء، والكل يتوعد ويهدد بالنيل من الغادرين الخائنين .. وجاء خبر بعد حين أن الأميرة المخطوفة تنزل في وادي السبع .

أرسل الملك بعض العيارين لوادي السبع يتحرون الخطب ، ورجع بعضهم يخبر الملك أن الأميرة مكثت فيه فترة ثم اختفت .. واستمر الحال



في ضباب وتعمية حتى تلقى الملك رسالة من الأميرة المخطوفة تتهمه بالجبن والتخلي عنها، وأنها قضت أسابيع بين قطاع السبل، ولم يحرك ساكنا ، وتسأله الطلاق، وأنها الآن مستقرة في موطنها تتان ولما شاور الملك الحاشية والقضاة أعطى الرسول رسالة يعلمها فيها بطلاقها ، ولا حاجة له بأميرة جلبت مأساة لقومه ، وأن كل الأموال التي أكرمها بها هدية منه لها ولقومها، وذكر لها أن رجاله دخلوا وادي السبع بحثا عنها ؛ ولكنهم وصلوا بعد اختفائها .

ولما تلقت الرسالة أخذتها موجة من النحيب والبكاء الحاد ، فقالت لوالدها الملك : كنت أظن أنه عاشق ولهان .. كنت أظن أنه سيحرك جيش بلاده لتحريري وإنقاذي من اللصوص والعصابات .. كنت أظن أنه سيهرع إليّ مسرعا رافضا الطلاق .

قال أبوها: نحن سعينا في البحث عنك.. ولم

نعرف أين ساقك الرجال ؟.. ويبدو أن رجاله أذكى من رجالنا فقد وصلوا لوادي السبع ثم توقفوا.. وإلى أين يتحرك القوم ؟ لقد عجلت بطلب الطلاق .. فهم خسروا القاضي حمزة الشيخ الشجاع في هذه المعمعة .. لليوم لم تشرحي لي كيف حررت من الأسر ؟!

ـ أنقذني قريب لأمي .

قال دهشة واستغرابا: قريب لأمك كيف ؟!

ـ وأنا في الأسر .. التقى رجال العصابة بالأمير سريانو رجل الملك شجاع قريب أمي .. ولما علم من أنا أمرهم بالعفو عني ، وأنه سيدفع لهم فدية .. وهكذا تحررت يا أبي .

فكر الملك قليلا وقال: سريان رجل القتيل شجاع .. هل تعلمين أن الملك ضرغاما يطلب حياته لمشاركته في قتل والده الملك مطر ؟! كيف اجتمع بهذه العصبة المجرمة ؟! أم أنه أحدهم وهو وراء هذا الكمين الغادر؟

ـ لست أعلم .. المهم أنني نجوت منهم بفضله .. ولم علم بأنني سائرة للزواج من الملك ضرغام قاتل زوج خالتي .. إحدى نساء الملك شجاع كما تعلم غضب غضبا شديدا وقال" يقتلوننا ويتزوجون بناتنا" وقال الحقي بأهلك، واطلبي الطلاق فهذا الرجل سيقتل قريبا .. يقال طلقت ولا يقال ترملت .. ووعدني بالزواج من أحد أبناء الملك شجاع .

قال الملك بسخط وحقد: هذا السريانو إبليس الرجيم .. سيظهر أنه وراء هذا الكمين الخبيث يا ابنة الملك حسن غاب.. أسرك ولعب تلك اللعبة الشيطانية ، ربما اعتقدوا أن الملك أحد أفراد القافلة متخفيا.. وأحس أن هناك تواطأ من حرسك .. فهم الذين ابعدوا فرسان الملك ضرغام عن هودجك بحجة أنهم أولى بالحماية منهم.. مكر .. خبث.. لعبة تتفكك .. لقد حدثني أحد الفرسان أن الخطف مريب .. أخشى أن تكون لك يد في الحيلة والمهزلة .

ـ خطفي مهزلة يا أبي !

ـ سمعنا كثيرا عن اللصوص وقطاع الطرق ، ما سمعنا أنهم أسروا عروسا تساق لزوجها .. قد يطمعون بالذهب والمال ولا يخطفونها .. ويتركون الموكب سائرا

ـ هذا كلام خطير !

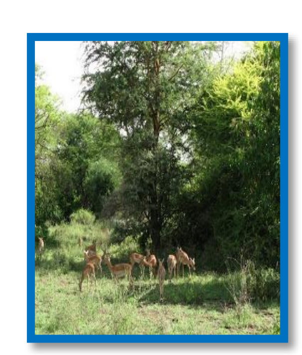
ـ خطير لظهور سريان الشيطان في الأمر.. هذا الرجل أبغض الناس إلى قلبي .. ما حل في مكان إلا ساده الشر والموت .. شيطان رجيم .

أتت رسالة من الدعسان عيار الملك ضرغام يعلمه أن سريان وسعدان ينزلان المدينة قدم الغزال بسرية وخفية .

فكتب كاتب الملك رسالة خطيرة للملك دغفل

يتهدده بالحرب وغزو البلاد إذا لم يسعى لأسرهما وتسليمهما للملك ضرغام ؛ ليقتلهما لمشاركتهم في دم الملك مطر .. وفيها أنه سائر

إليهم بجيش لاحتلال المدينة لنقضهم العهد وإيواء المجرمين .



وأمر الملك باستعداد الجيش لحملة عسكرية لمدينة دغفل .

وانتشر الخبر وشاع بأن حربا جديدة ستنشب ، وخرج الجيش من المدينة إلى خارجها للانطلاق جهة تلك البلاد .

ولم يطل الانتظار فقد أقبل وفد من قبل الملك دغفل يؤكدون وفاءهم للعهد ، وأن الرجل المطلوب يدخل خفية دون علمهم ومنتحلا لشخص آخر، ويخرج كذلك وأنهم يسعون بكل جد للقبض عليه وعلى أنصاره.. وأمر القبض عليهم ليس سهلا لسعة المدينة ، وكثرة الداخلين من المدن والقرى المجاورة إليها.

فتشاور الملك بعد سماع تلك الأعذار مع قادة المدينة ، فطلبوا تسليم أسرتي سريانو وسعدانو كرهائن عندهم حتى يقبض عليهما فيسمح لهم بالعودة.. فرضخ الوفد لهذا الطلب .. وبعد وصول زوجات وأبناء سريان وسعدان الذين

تمكنوا منهم لأن أبناءه الكبار مثل والديهم هاربين عاد الجيش الملكي إلى معسكراته يتابع تدريبه.. وعاد السكون للمدينة بعد تلك الزوبعة .. واستقرت طائفة من العيارين في مدينة دغفل لمراقبة الأمر.

ولما هدأت العاصفة أيضا في بلاد دغفل .. أشهر زواج الملك دغفل من الأميرة نهيلة طليقة الملك ضرغام ، وزفت إليه بحفل بهيج .

وهذا أثار دهشة الدعسان ورجاله وحتى أن الملك ضرغاما تضايق لهذا الحدث ومن هذه الفعلة واستغرب هذا النكاح والمصلحة منه لبلاد قدم الغزال.. فهو يعلم أن كل أنثى خلقت لتكون زوجة لرجل ولتلد البنين والبنات.

ثم كانت المفاجأة عندما علم بصلة القرابة بين الأميرة والملك دغفل .. فهي ابنة خالته.. فالملك شجاع كانت إحدى نسائه خالة للأميرة نهيلة ؛ ولكنها ماتت في سن مبكرة بعد ولادتها لعدد من الأبناء والبنات.. لذلك لما ماتت سعى للاقتران بنهيلة ابنة الملك.. وها هو ابنه ينال الزواج منها .

فخشي الملك أن تكون متآمرة على الغدر به، وهاهم يكافئونها بالزواج من ملكهم .. فكلف الدعسان ببحث هذه القضية الشنيعة والمزعجة لكرامته .. فكتب دعسان لمولاه" شككت بشيء عندما بدأت المراسلات بينكم، وكان الحال

طبيعيا، ولن نعرف الحق إلا منها ، أو من سريان الذي علمت أنه وراء هذا النكاح ، علمت ذلك من بعض جواريها.. وعلمت أنها خطفت لأن حرسها لهم دور في اللعبة، وقد منعوا رجالنا من المشاركة في حماية الهودج .. وقد علمت أن والدها عجب من عودتها بعد ذلك الغياب ، فأخبرته أن سريانو ساعدها في النجاة من رجال العصابات .. وستكشف الأيام الدواهي ".

فعلق الأمير محسن بعد قراءة رسالة الدعسان : الحمد لله ، رد كيدهم في نحرهم أيها الملك.. أنا منذ دخل علينا وفد الشعراء عند غزو تلك البلاد وقد انقبض قلبي أيها الملك .. يبدو أنها كانت مكيدة كبيرة دبرها سريانو اللعين

ـ كيف أيها الشجاع ؟

ـ كنا في حرب وقتال ، وقد هزمنا جيشهم وطلائعهم .. وفجأة جاءوا ومدح أحدهم الملك ، وأثنى على شجاعتكم وبطولتكم بقتل الملك شجاع وسري بن شجاع ، ثم نهض الشعراء الآخرون للحديث عن النساء والجمال والحسن ووصف الأميرة نهيلة بنت حس غاب.. بطريق أثارت انقباضي .. خاصة لما لاحظت تعلقك بتلك الأميرة ، وأخذت تسأل عن والدها وقومها وفكرت أن يكونوا دسيسة وعيونا .. حتى أكد لي الدعسان أنهم شعراء فحسب ، يترددون على الملوك والأمراء لنيل المال ..

ـ أنا أكد لي الأمير مقداد زوج أمي .. أن من عادات الشعراء مدح الملوك في الحرب والسلم.. وليس لدي خبرة في آداب الملوك.. والحرب حرب ماذا يفعل جاسوس عند التقاء الجيوش؟!.. فلا يهم وجود عين بيننا .. والعيون موجودة بين الفريقين المتقاتلين.. لكني لم أكن أعلم أن بينها وبين شجاع قرابة ، ولم يذكر ويشير أحد لذلك.. بل عجبت من عدم إجباره والدها على إنكاحه إياها عندما هزمته .. اليوم وضح لي ذلك الغموض .. فقد عرفنا أن شجاعا مجرما سفاحا غادرا .. فهو قد نكح خالتها من زمن بعيد.. ولما سمع بحسن ابنة أختها رغب فيها زوجة ثم تفاجأ بشرطها ولم يفز عليها .. كانت المبارزة حقيقية

ـ سمعت الأمير الدعسان يؤكد صحتها .

تمت الحلقة٢



مدينة نجوان

الحلقة ٢ والأخيرة

سافر عمر بكر إلى مدينة سادة فقد ترجح لديه انتقالهم إليها ، وفي الصباح ارتدى ملابس حمالين البحر ، وهو صار خبيرا بالعمل في الموانئ منذ تعهد بالقيام بمهمة البحث عن حفص ، وكان يرقب سفن مدينة نجوان وسفن الربان عدنان ، وتعرف السفن من الرايات التي ترفع على السواري وهو يترقب سفن نجوان ذات نهار رأى عفريتا يتجول في الميناء ، فصدق ترجيحه من انتقالهم لسادة ، فاستعد لمراقبة ومتابعة عفريت ، وظل عفريت في الميناء البحري حتى العصر ، ثم خرج من الميناء ، وأدرك عمر بكر أن الرجل ينتظر سفينة من سفن أشقاء حفص لأمر اضطراري أو هو على موعد بشيء من بلاده تبعه عن بعد حتى وصل لحي في المدينة ورآه يدخل احد البيوت ، وظل يراقب البيت خشية أن يكون الرجل فطن له ، ويريد المكر به ، ولما زاد الظلام عاد إلى الخان الذي ينزل فيه .

وكان الفارس يتوقع ويخمن مجيء الربان عدنان لهذه المدينة لما رأى عفريتا في المرفأ .. هل يرقب رسالة من سفن نجوان ؟

عاد في الصباح للميناء كعامل تحميل ، ورأى عفريتا ثانية في الميناء فقال: الرجل قلق ، فربما يريد إرسال رسالة إلى نجوان . فكر بأن يذهب لمراقبة البيت ، ثم فضل متابعة عفريت ومعرفة سر تردده على المرفأ ، وفي المساء عاد عفريت للبيت المختفي فيه القاتل فقال: إنه يرقب سفينة من نجوان من سادته وعند أول الليل رأى الربان عدنان ، يدخل المرفأ البحري لسادة ، وهو يعرف سفينته خير المعرفة ، أفرغ الحمالون حمولة السفينة على أحد الأرصفة ، وكان الرجل يبحث في عينيه عن شيء فوقع في قلب عمر بكر أنه يبحث عن عفريت ، كأنه لا يعرف بيته ، فهم على موعد يبدو أنهم تركوا أروى دون متابعة من عدنان أو على الدواب فارقوها ، أو على مركب خاص بعد حين رأى عدنان يصحب امرأتين نزلتا من السفينة إلى أحد الخانات القريبة من الميناء حيث سوق الميناء الكبير فوقع في قلبه أنهما زوجات حفص أو زوجة وخادمة ، ورجح أن عدنان لا يعرف البيت ، ومن أجل هذا يتردد عفريت على الميناء ، وأن حفصا أتى المدينة بطريقة خاصة حتى لا يعرف ركاب سفينة عدنان بذلك ويتهامسون بذلك ، فجائزة الزواج من الأميرة هند تغري المغامرين ، وما زالت قائمة .

قضى عمر بكر ليله في خان آخر قريب من خان نزول عدنان ، وفي الصباح رأى عفريتا يدخل

المكان ، ولاحظ السعادة التي غمرته عندما شاهد سفينة عدنان ، ثم بعد حين رأى عدنان يدخل المكان ، والتقيا وتعانقا ومشيا إلى الخان ، وهم تحت عيني عمر بكر ، ودخل عدنان للخان ، وعاد يصحب المرأتين وخرجوا من الميناء نحو المدينة مشيا على الأقدام ، وتقدمهم عمر بكر حيث رآهم يدخلون البيت ، وبعد وقت رأى عدنان يغادره دون النساء فقال: لابد إنها إحدى زوجاته

سعى الفارس لاستئجار بيت في نفس الحي وترك الخان ، وتحقق له ذلك بكل يسر وسهولة ، ولا يبعد البيت عن بيت الأمير سوى بضعة أبيات ، وأخذ عمر بكر يفكر بالقضاء على عفريت فقد رأى أنه القوة الضاربة واليد اليمنى لحفص السجين ؛ فإذا نال منه سيرتبك الأمير ، وقد يتمكن من أسره ونقله لنجوان ، ويريد قتله والنجاة من تبعة الجريمة .. فعفريت قاتل غادر خائن يستحق الموت .. فهو شريك حفص في الجريمة الملكية التي أودت بحياة أسد بن هشام هل سيعود الأمير بعد هلاك مساعده لنجوان ؟ يريد قتل عفريت بطريقة تبدو عشوائية قتل غير مدبر ، قتله في مكان بعيد عن الحي ، لما تأكد له مغادرة عدنان المدينة ، وضع خطة الاغتيال لعفريت.

لاحظ عمر بكر أن الأمير لا يخرج من البيت إلا قليلا للتريض ومرافقة الجارية للسوق ، وذلك قليل .. كان الدور الأكبر للحركة لعفريت وجاريته ، ولاحظ في أروى أن الجارية الأكثر ذهابا للشراء خاصة الأطعمة لأهل الدار .. فكيف يستطيع استدراجها ليستدرج عفريتا؟!

فلم يجد حيلة .. إنها لا تخرج ليلا ، ولا حتى عفريت .. والفتك في مدينة في وضح النهار من الصعوبة بمكان ، وهو لا يريد اغتيال النساء في هذه المعركة لا ضرورة لذلك ..ويريد القضاء عليهم قبل عودة عدنان مرة أخرى.

تقمص شخصية الأعمى المتسول ، وطرق البيت طالبا المساعدة والطعام ، فأعطته الجارية قطعة خبز ، وصرفته فطرق الباب التالي ، وفي اليوم التالي فعل كاليوم السابق طالبا الطعام فأعطي كسرة خبز ، وعاد إليهم في اليوم الثالث ، فقال له عفريت: أنت يا شحاذ لا تعرف التسول إلا في هذا الحي .. كل يوم كل يوم .. اذهب إلى حي آخر .

قال المتسول برنة حزن وغضب في نفس الحين : أنا أفر على جميع البيوتات يا سيدي .. أنا أعمى يا سيدي .. أتجول على كل البيوت ..أنا أعتذر عن مضايقتك

– من يتركك في هذا الحي ؟

– أحد الناس .. كل يوم استعين بأحد الناس .. فيتركني في أول الدرب هل هو نفس الحي ؟ دلني

أو أتركني على مدخل حي آخر

– فليأخذك القائد لك إلى حي غير حينا

لما خفت الرجل والحركة في الحي دخله عمر بكر بزي شرطة يركب حمارا فطرق الباب ففتحت الجارية فقال لها بقوة : أين سيدك أم أنت سيدة البيت؟

– لماذا ؟

بنفس النبرة القوية قال : لقد آذى رجلا أعمى يتسول في هذا الدرب ، واشتكى الرجل عليه

ظهر عفريت كعادته من وراء المرأة وأزاحها من أمامه وقال ساخطا : المتسول شكاني لكم

– نعم ، أيها السيد وهو الآن في ديوان العسس ، فاركب هذا الحمار ـ ونزل عنه ـ لتصالح الرجل فقد قطع القلوب بالبكاء والشكوى

– في الصباح أيها الشرطي

– لي ساعات ابحث عن البيت هيا قابل أمير الشرطة

– انتظر

– أرجوك لا تتأخر سيتهمونني بالتلكؤ والتقصير في البحث عنك .. ادفع بعض الدراهم للأعمى سينسى الأذى الذي أصابه

دخل عفريت وغير ملابسه وعاد فقال له الشرطي : اركب حمار العسس حتى لا تتعب .

فقال عفريت : سأمشي مشيا أيها الشرطي .

– وأنا سأمشي اتبعني . وأغلقت الجارية الباب لما خرجا من الدرب ، ومشى الفارس أمامه دون كلام حتى دخل غابة فقال : سنقطع هذه الغابة لنختصر الدرب .. يبدو أنكم أغراب لستم من أهالي البلاد .

– كيف عرفت؟

– من لهجتك ، لأهل المدينة لكنة معينة .. ونلفظ بعض الحروف بنبرة مميزة لم المسها فيكم .

مشيا في درب مطروق وسط الغابة وقال: لماذا ضربت الأعمى المسكين؟

– أأنا أضربه ؟! ما ضربته رفعت صوتي عليه فحسب

– هكذا قال لأمير الشرطة ؛ وكأنك منعته من طرق البيوت طلبا للإحسان .. واعتديت عليه بالضرب ..وأن الجيران يشهدون بذلك

صاح عفريت غضبا : هذا كذب .. افتراء .. أنا أضرب رجلا أعمى .. إنه يطرق بابنا كل يوم طالبا الصدقة .. نهرته فقط ..ما هكذا الشحذة أيها الشرطي ؟!

قال الشرطي المزيف : هذا الكلام ستقوله أمام أمير الشرط .. لو لم تصحبني لأرسل إليك فرقة من الجند ليقتادوك

- أنا لم اضرب الرجل ..وسأدفع له المال .. واعتذر له .. إنه يكذب عليّ سامحه الله

وبينما هو يقول جملته الأخيرة كان خنجر عمر بكر يغمد في صدره ثم بطنه ، وصاح الرجل ، وخر إلى الأرض يصيح ، ويقول : لماذا غدرت بي يا خائن؟!

- اطمئن يا سيد عفريت .. هذا خنجر الملك هشام وابنته الأميرة هند .. ظننت بقتلك الأمير والهرب النجاة .. أنا يد الملك يد العدالة .. أقول ذلك لتموت مرتاحا .. وسيلحق بك سيدك حفص عن قريب.. نحن معكم من مدينة أروى .. أنسيت قتلك للأمير أسد سيدك وابن ملكيك ؟ أنسيت دورك الخبيث يا خبيث النفس ؟

- أنت من مدينة نجوان ؟

- أنا الأعمى الذي طرق بيتك ثلاثة أيام ! أنا الانتقام .. الغادر ينال عقابه !

- أنا عبد سيدي حفص هو الذي أراد اغتيال الأمير أتقبل أن يرفض عبدك ؟ وإذا رفض سيقتل

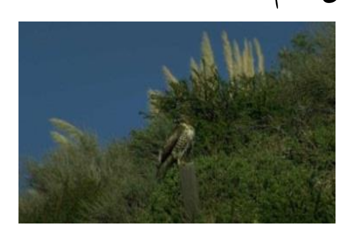
- لا مجال للاعتذار ..لقد سبق السيف العذل .. وسيعلق رأسك ورأس سيدك في مدينة نجوان أيها الخونة .. ألك شركاء يا مجرم ؟ هل لإخوته مشاركة في المؤامرة ؟

- قالوا بشر القاتل بالقتل ولو بعد حين ..هذا جزائي .. بعض الجواري ساعدتنا ، وبعض الحرس .. سأترك للأمير أن يذكرهم لك ..أتحمل وصية مني قبل موتي ؟

- تكلم

- لي أم في نجوان تعيش في قصر حفص بلغها السلام .. وقل لها أن تسامحني ؛ لأني لم طع أمرها لقد حذرتني من التآمر مع الأمير لقتل ابن عمه .. لقد عرفت غدر الأمير وقوة حقده .. نعم ، لم اسمع كلامها ، ظننت ذلك خدمة للأمير .. وطعنت أسدا عدة طعنات كما طعنتني الآن .. كنا نريد الصلح على دم الأمير .. فالملك ضعيف وسقيم .. ولم نحسب حساب الأميرة هند وغضبها .. أنت من رجالها ؟

- نعم ، أنا من فرسانها .. لقد تبعتكم لأروى ، ولما ذهبت لأخبار الأميرة بمكانكم وجدتكم قد انتقلتم إلى هنا . وانهال عليه طعنا من جديد حتى خمدت أنفاسه وهو يصيح : مت كالكلب حتى لا تتعذب من الألم.



- لا تنسى وصيتي ، وقل للأميرة أن تغفر لي

- سأنقل وصيتك .. ألديك وصية أخرى ؟

- لا . وشهقت روحه لبارئها

ولما تأكد من موته غادر الغابة ، وترك الحمار فيها

حين لم يرجع عفريت للبيت تلك الليلة ، ذهب حفص تصحبه زوج عفريت إلى ديوان الشرطة يتحرى عن صاحبهم ، فعلم أن لا أعمى شكى ، ولا أرسلوا شرطيا إلى ذلك الحي ليلة أمس ، ولما علم قائد العسس أنهم غرباء عن المدينة ، وعدهم بالاهتمام والبحث عن زوج الجارية نورا

اشترى حفص أطعمة وهم عائدون للبيت وقال للجارية: ما القصة بالتفصيل؟

بكت الجارية وقالت بعدما هدأت : لا أدري يا سيدي ! أحس أن فقدنا عفريتا ، وأن خصومنا وصلوا إلينا ..كان الرجل الضرير يطرق الباب صباحا بطلب لقمة عيش .. وفي اليوم الثالث نهره سيدي وطلب منه عدم المجيء إلى بيتنا ، وفي الليل جاءنا شرطي يطلبه لديوان الشرطة مخبرا لنا أن الأعمى شكى عليه ، فذهب كما قال لك لتسوية القضية ..فالأمور لا توحي بخداع فالأعمى له أيام يتسول في الحي ..وهذا ما جعلنا نصدق الشرطي المزيف ..

قال الأمير بحيرة : إني قلق ! كما رأيتِ وسمعتِ أمير الشرطة في المدينة نفى شكوى الأعمى علينا .. الأمر مزعج نحن أغراب في هذه المدينة .. وليس لنا إلا وقت قليل فيها .. وعدنان يحتاج لشهر ليعود إلينا ..كيف سنبحث عنه وأين؟!

– لا أعداء لنا هنا يا سيدي .. نحن جدد هنا .. ومن يطمع فينا ؟ وما دام الضرير لم يذهب للشرطة .. فهناك مكر فهناك خداع!

– هذا ما أفكر فيه من يخدعنا؟ من يمكر بنا في بلد غريب ؟ ونحن لا نختلط بالناس.. أتظنين أن خصومنا وصلوا إلينا بعد كل هذه الشهور ؟! فقد أخبر عدنان الربان أن الأميرة أرسلت أناسا سرا للبحث عنا طمعا بالزواج منها

قالت بتفكير : حسب أخبار عدنان أنهم لا يعرفون من تحرك للبحث عنا ؟ وأنا أعرف سيدتي الأميرة حق المعرفة .. فهي قوية ولا تستسلم بسرعة .. تقاتل إلى آخر ساعة .. فقد خدمتها عشر سنوات ..ولكني لا أعرف أن لديها رجالا يطيعونها طاعة عمياء!

فقال مثنيا على الجارية : لن تخلو الدنيا من الشجعان أيتها الجارية الشجاعة ..كان دورك كبيرا في اغتيال ابن الملك وشفيت غليلي ..ولكني اعتبرها الغلطة الكبرى في حياتي ..ذلتي تلك الطعنة جعلتني هاربا متخفيا

فقالت مبررة مشاركتها في الجريمة الملكية : لولا حبي لعفريت ما تجرأت على خيانة مولاتي غلب حبه حبي للأميرة .

– نعم ، كان عفريت عاشقا ومحبا لك .. وهو قدر الحب الذي بينكم وتزوجك كما وعدك .. وهو صديقي الوحيد في الدنيا ، إن حياتي في خطر مالم

يظهر عفريت .. لذلك سأختفي ، ولن أرجع إلى البيت معك .. فالأمر كما فكرنا لابد أن فيه رجال الأميرة هند .. فهي مصممة على قتلي ، وقد رضيت بأن تتزوج عبدا من أجل أن يحقق لها الانتقام ..وأعتقد أن عفريتا قد أصابه سوء يا نورا سأختفي في بيت آخر ، وبعد يومين نلتقي في السوق الكبير قبل الظهر ، وسيكون على منكبيّ عمامة خضراء دون لبس محمولة على الكتفين ، وأنت تضعين شالا أخضر حتى نستدل على بعضنا أثناء الدوران في السوق ؛ فإذا عاد عفريت ونجا من المكيدة كان ذلك الخير نجتمع ونرتب أمرنا ، ولما يحضر عدنان ، ولم يظهر عفريت رتبي لي معه لقاء في السوق .. فالأمر جد خطير عودي للبيت .. وحافظي على زوجتي وجاريتي .. ربما نفهم ما حدث يا نورا .. وحتى يأتي عدنان سنلتقي كل ثلاث ليال مرة .. واللقاء الأول بعد يومين في السوق والمال تعرفين مكانه فأحضري بعضه في اللقاء القادم.

- استوعب الأمر يا سيدي .. أنا جاريتك المخلصة لك حتى الموت

- قبل الظهر عندما نرى بعضنا تتبعينني حتى اسمح لك بالحديث معي .. نحن كلنا في خطر يا نورا .. عندما يأتي عدنان سيكون لنا كلام .. وسنكلف رجالنا بمعرفة من يطاردنا من أعوان الأميرة .. فوجود أعمى وشرطي مزيف تدل على مكر كبير يراد بنا .

غصت بالبكاء وهي تنصرف: لقد نصحتك يا مولاي بعدم قتل ابن الملك!

- قال لي عفريت ذلك ، لقد أغواني الشيطان .. كان رفض برة ساحقا لي .. وزواج الأمير منها كان مذلا لكرامتي أمام السادة والفرسان .. كان الأمر صعبا على النفس .. وأنت تعرفين لواعج الحب .. أحببتها حبا عاصفا .. ولولا حبك لعفريت ما قبلت بالتعاون معنا لدخول القصر .. فالحب فتاك .. عرف الناس بعشقي لبرة ، والأمير عرف ؛ ولكنه عشقها نكاية بي .

تنهدت حزنا وقالت : علينا أن نكمل المشوار أرجو أن يكون عفريت حيا .. إني أحبه حتى الموت .. سأموت إن كان ميتا

- إذا مات علينا أن ننتقم لموته .. ننتقم من قاتله .. هذا الصواب .. لا نموت دون الثأر له .

- أنتقم له ممن يا مولاي من الأميرة ؟!



جثة عفريت

كان عمر بكر بعد التخلص من عفريت يفكر بحيلة جديدة يصيد بها حفصا قاتل الأمير أسد بن هشام ، وذكرنا أن الرجل استأجر بيتا في نفس

الحي ، وكان منه يراقب بيت حفص بن هاشم ولاحظ أن الشرطة بعد يومين من حادث موت عفريت جاءت بيتهم ، وأخذت المرأة الجارية امرأة عفريت ، فتبعهم خفية ، وهو يعلم أين يسوقون الجارية ؟ كانوا يذهبون بها لديوان الشرطة ودار الشرطة ، وقد أدرك أنهم وجدوا جثة زوجها ، فيريدون التأكد من هو صاحب تلك الجثة ، فهي أخبرت الشرطة من يومين باختفاء عفريت ، فقد وجدت الشرطة إحدى الجثث مطعونة بعدد كبير من الطعنات في إحدى غابات المدينة ، وجدها مجموعة من الصيادين فأخبروا العسس بها ، ورأت المرأة الجثة ، وتمرغت عليها حزنا وبكاء ونواحا وتقبيلا ، فقد كانت جثة من قتلت من أجل الزواج منه ، فلما سألوها عن الرجل الذي جاء يخبر عنه معها ، قالت سافر في تجارة له ، ولما أقسمت بأنها لم تتآمر على حياته مع ذاك الرجل ، وقابلوا زوجته وخادمته ، طلب منهم الإخبار عنه عندما يعود ، وأمر بدفنه ، ووعدها بالبحث عن قاتله أو قتلته ، وحضرت الجارية دفن صاحبها وحبيبها ، وشارك عمر بكر الدفن ، وأظهر تعاطفه مع الجارية ، وأعلمها أنه جار لها في الحي الذي تعيش فيه ، وكان عند الشرطة في شكوى عندما رآها تبكي وتصرخ ، وعرف أنها احدى الجارات في الحي ، وقال: أنا لي متجر بيع قرب هذا المكان ، أحدهم احتال عليّ فجئت اخبر الشرطة بأوصافه ، فسمعت حكايتك ، فذكرت أني رأيتك ، ثم عرفت أننا جيران .. فأنا في خدمتك يا سيدتي .. اسمي حلق الجمال . ورافقها للحي بعد الدفن ، ودلها على بيته ، فأثنت بدورها عليه ، وعلى عطفه عليها ، ودخلت بيتها مذهولة تتذكر حياتها وخيانتها لسيدتها لتنال قلب عفريت ، وكيف وصلت إليهم فرسان الأميرة ؟! وحطمت قلبها بعدما حطمت قلب الأميرة باغتيال شقيقها فقالت بأسى : لم يكن هنالك أعمى ولا شرطي إنهم رجال الأميرة دون شك .. لماذا قتلوا عفريتا قبل سيده ؟! فالقاتل الحقيقي حفص ، وإنما عفريت منفذ ومساعد الذي اتخذ قرار الجريمة الأمير حفص . لذلك انتظرت بفارغ الصبر موعد السوق حسب ما رتبت بينها وبين الأمير .

ذهبت للسوق الكبير عند الظهر بقليل ، ولما دخلت السوق وضعت الشال الأخضر على كتفيها رأت الأمير بعمامته الخضراء منفولة على كتفيه ، تلاقت العيون تبعته حتى ابتعدا عن السوق ، ورأته يستظل تحت شجرة فارهة، فتقدمت حتى وصلت إليه فسلمت باكية بشدة ، فأدرك حفص موت عفريت ، وأن الأميرة هند حققت غرضها من أول قاتل ، فتحسس عنقه وليست سهلة تلك الأميرة ، وأنها ابنة الملوك من آل العامر ..وتركها

تبكي حتى هدأت وحدها وقالت : عشرات الطعنات اخترقت جسده .. طعنات انتقام وحقد .. قتلوه يا سيدي وصلوا إلينا .. وحضرت دفنه

وروت ما سمعته من الشرطة والشك بقتله، وأنهم يرغبون بمقابلة الأمير لتبرئة ساحته فقال: الشرطة يجب أن تشك فينا .. ما دام لا أعمى ولا شرطي مزيف أمامهم .. لعبة خطيرة يريدون إعدامي هنا بقتله قبلي .. أرأيت الذكاء يا نورا ؟! لهذا قتلوا عفريتا

قالت: لا اعرف شيئا .. موته هدّ كياني يا سيدي الأمير

– يريدون تعذيبي أيضا ، وأن يقع الرعب في قلبي ؛ لذلك بدأوا فيه .. افكر بالعودة للبلاد

– نجوان

– نعم ، اسلم نفسي لقاضي المدينة .. الفرار كالأرنب أتعبني وارهقني .. فلما جاءت الزوجة زدت تعبا بدلا من الراحة .. أنا حزين عليه جدا ؛ لأنه صديق السنوات الماضيات يا نورا .. لقد وصلوا إلينا ..أحس أنهم قربي يسمعون حديثنا .. ماذا تقولين يا سيدتي ؟! فأنت صاحبة الذكاء المشهود .. الجارية المخلصة لنا

– القاضي ماذا سيفعل لك؟! هل غير إهدار الدم والموت ؟!

فقال بيأس : ألسنا ميتين يا نورا؟

– الاختفاء والخوف هما الموت كل يوم كل حين!

رفض مولانا الملك الشيخ العفو عنك كما اخبر عدنان .. رفض سجنك اخبر أن الموت مصيرك ولا يرضى بغير ذلك .

– أموت مرة واحدة خير من أموت كل حين .

– لا يا سيدي ، عفريت مات ومات .. فعليك إذا أحببت البقاء حيا أن تخلع شخصية الأمير حفص ، وتقطع صلتك ببلادك إلى الأبد ، وتعيد زوجتك وجاريتك مع أول عودة لعدنان .. ولا تخبرها بقرارك الاختفاء عن نجوان إلى الأبد ؛ فبذلك قد تعيش ما قدر الله لك .. أنس أولادك وأهلك أمك وأباك .. هذا ما فكرت به لنجاتك .. ارحل إلى مدينة كبيرة من مدن الدنيا عش بدون ذكريات لأحد لا أهل ولا أولاد .

– يا لها من فكرة عظيمة يا نورا ! أأستطيع أن أعيش بدونهم يا نورا وبشخصية أخرى ؟!

– لك أكثر من عام بدون أهل وأب وأم وزوجة ، وبدون أمارة ومن غير تجارة .. الأميرة لن تتخلى عن دم أخيها .. وما دام قد وصلوا لزوجي فلسوف يصلون إليك .. اهرب إذا أحببت الحياة .. ابعد عن نجوان ومن فيها

– وأنت !

– لا يمكن مرافقتك ؛ لأني من نجوان .. سأبقى هنا

- أولادي

- تتزوج ، وترزق غيرهم

- دعيني أفكر مليا بهذه الفكرة الجليلة الملهمة

انصرفت الجارية ، وبعدما اختفت عن عيونه بزمن ، ابتعد عن ظل الشجرة ، وهو يقول: إذا أردت الحياة عليّ أن أبدأ من جديد .. هل تتوقف الأميرة عن مطاردتي؟!



رجع عمر بكر إلى نجوان ووجد خادمه سيف في شوق إليه وإشفاق على حياته ، فأرسله كالمرة الماضية إلى القصر الملكي ، وقابل الأميرة كمتظلم وعرفته فور رؤيته ، وذكرت له موعدا فغادر القصر ، وهو يود معرفة الأسرار بين الأميرة الحاكمة الفعلية للبلاد منذ مصرع شقيقها أسد وسيده جعفر .

ذهب الفارس للسوق كمن يريد الشراء ، ودخل دكان سمعان ، وزلف الحجرة الخلفية ، فوجد الأميرة في انتظاره ، ورحبت به ، وسمعت قصة قتله لعفريت شريك حفص في الجريمة ولما صمت ، قالت: لماذا بدأت به ؟!

فقال بهدوء: لا أدري لماذا لا تطاوعني نفسي على قتل حفص؟!

- أتخاف من لقائه؟!

ضحك الفارس وقال: لا ، إنه كالأرنب ، بل لما قتلت صاحبه اختفى ، لم يعد يأمن الجارية ، ولا حتى امرأته التي أرسل وراءها .. لو كنت أخافه أيتها الأميرة ما قبلت تنفيذ المهمة ، وقمت بمطاردته ؛ لكنني أحب أن يموت بسيف القاضي .. جئت لأقول لك إني عاجز عن سفك دمه بيدي هاتين

قالت بحيرة: سيدي الفارس لم أفهم سببا لهذا الامتناع!

- نعم

- وضح

قال وهو ينظر في عيني الأميرة : عدت قبل قتله لأتشاور معك .. كنت المرة الماضية أطمع بمصاحبتك ، قلت لعلك تصرعينه بيدك .. فأسره ليس هينا أيتها الأميرة .. نعم ، جئت لأوضح الأمر ، وسبب ترددي في إهلاكه

- تكلم

قال بهدوء : لأنه ابن عمي أيتها الأميرة !

حدقت في عينيه بقوة ، وبعد صمت عميق قالت باستغراب واضح : ابن عمك ! ماذا قلت ؟!

أنا ابنة عمك إذن!

- أنت أختي.

زاد تحديقها ودهشتها وحيرتها ،وقالت بغضب وحيرة: أنا أختك ! أجننت أيها الإنسان؟!

- لا ، هذه هي الحقيقة حسب اعتقادي .. هذا الذي دفعني لافترس عفريتا بداية .. فهو لم يمت لنا بصلة قربى .. أما حفص فأريد القاضي أن يقتله.. نحن أبناء عم جدنا واحد .

صاحت فيه :أيها الشاب ماذا تهذي وتهرف؟!

- هل يقتل الإنسان ابن عمه كما فعل ابن عمنا ؟!

- أكاد أُجن ..أسمعني حكايتك .. القرابة التي بيننا .. الآن بدأت أفهم صدك لحبي لك دون الناس ، والقبول بي زوجا.

قال بنبرة هادئة وموضحا : نعم ، نحن أخوة أيتها الأميرة .. أنا والدي الملك هشام مثلك ، وأمي جارية من جواري سيدي الملك ، كانت أمي جارية اسمها شمس ، أحبها الملك قبل خمس وثلاثين سنة ، واتخذها سرية ، وكان يعاشرها معاشرة الرجل لزوجته ، ثم وهبها لأحد الشعراء المادحين له العابرين لبلاده ، ولما غادر الشاعر المدينة ساقها معه كما ساق هدايا الملك الأخرى ، وباعها الشاعر في مدينة أخرى ، ولما استقرت عند سيد جديد علمت أنها حامل من مولاها الملك ، فلم يقربها الشاعر ، ولا السيد الجديد ، بل فرح وسعد بحملها وشرائه لها ، فهو كسب مولودا عبدا دون مال ، وكنت أنا هذا الحمل ، وأكرم السيد الجارية حتى وضعت الطفل ، وأصبح رقيقا للسيد عمار ، وهكذا عشت في كنفه خادما رقيقا لهم حتى بلغت خمس عشرة سنة وكانت أمي تموت ، فكشفت لي سر مولدي ، ومن هو والدي ؟ وماتت بعد ذلك وبكيت وأنا استغرب مما تفوهت به عند الموت .. وهل أصدق أني ابن ملك ، ومن صلب ملك ؟! وأن أمي جارية له ، ونحن منذ ولدت ونحن نعيش في كنف السيد عمار ، صعب عليّ تصديق ذلك أيتها الأميرة ، وعملت في الرعي للسيد طول هذه السنين ، وكانت له خيل يبيعها للسادة ، فكانت صداقتي للخيل قوية ، فتعلقت بها ورعيتها ، ومن خلالها تعلمت الصيد مع أبناء السيد ، ومن وجودي في البراري والوديان .. وبقيت في حيرة مما تفوهت به أمي ، ولماذا لم تعيدني للملك ورضيت لي العبودية ؟ لم يكن هناك وقت للمحاورة في دوافعها للصمت .. ألعلها خشيت تكذيب الملك لها؟! وقد يكون السبب أن الرجل حررها بعد ولادتي ؛ ولكننا عشنا معهم كخدم وعبيد .. فلحقت بجند المدينة ، وتعلمت الفروسية وتقدمت على أقراني ، وخضت المعارك مع جند البلاد إلى أن أسرت في معركة دامية ، ولم يهتم لأسري أحد ، ولم يقوموا بدفع فدية عني ، فعرضت نفسي على سيدي الجديد عاملا له خادما لأنال الحرية من جديد ، وحصل ذاك بعد سنوات ، فجئت إلى هنا إلى نجوان موطن ومدينة أهلي ، ودفعت للنخاس ما تبقى معي من مال ليبيعني إلى

رجال الملك هشام .. لأستطيع أن ادخل القصر وأقول للملك إنني ابنك من جاريتك ؟! احتاج إلى فرصة عملت كعبد في القصر وأملاك القصر .. وكنت أخبرت قيم القصر على قدرتي على رعي البقر والخيل ، فجعلني بعد زمن راعيا للخيل الملكي ، والتقيت بك عندما كنت تأتين لمراقبة الخيل وتفقدها وأشفقت عليّ وعطفت عليّ مع أنني مجرد عبد في نظرك .. فهذه قصتي أيتها الأميرة .. لهذا أيتها الأميرة الباسلة وعدتك أن أكون الخادم المطيع قلت أعيش بقربكم لعلي استطيع أن أجد طريقة تعرفون أنني منكم ، وتحمست لمَ كلفتيني به ، ووفقت بفضل الله إلى الوصول إليهم ؛ ولكن نفسي توقفت عن الفتك بابن العم الخائن مع أنه غدر بأخي.. لو نتبارز لربما كان قتله أهون على النفس من القتل غيلة .

ران الصمت طويلا في الغرفة ، ثم قالت: أنت أخي .. الدم يتكلم .. كنت عندما ادخل حظيرة الخيول أحب أن أراك خاصة دون باقي السياس لا أدري ما السبب ؟! لم أكن استطيع تفسير ذلك .. ولم يكن وصفه بعاطفة امرأة برجل للفرق الكبير بين سائس الخيل وابنة الملك لكن قلبي كان يضطرب كفتاة عاشقة كلما أراك .. أصدقت أمك أيها الشاب؟!

– ولماذا تكذب عليّ في آخر ساعات العمر؟

– ولماذا لم تعد وتعترف لأبي؟!

– وهل تستطيع جارية تباع وتهدى أن تقول ذلك لملك ؟! كان أمر العودة صعبا عليها ، وهي الخادمة الأمة طول عمرها ، حتى لو تحررت كانت كعبدة ، والتنقل بطفل بين البلاد ليس بالأمر الهين .. وهل سيقبل الملك كلامها ويعتقد أن الحمل منه؟! هو لو يعلم بحملها ما تخلى عنها فالجواري كثر .. ويبدو أن الشاعر رآها بحضرة الملك فرغب بها .. فوالدك اتخذها سرية فوضع الجارية صعب

– أجل من الصعب الاستسلام لكلامها .. خاصة أن بعض الجواري تمكن من نفسها بعض العبيد أو حتى الحرس إذا كان بينهم إعجاب .. هذا لا ينكر

استمرا ينظران ويحدقان في وجوه وأعين بعضهم لزمن طويل يفكران بصمت وعمق ، ثم تمالكت الأميرة نفسها وقالت: أتعرف صفة امك ؟

– نعم ، عشنا خمس عشرة سنة سوية

قالت : ستصفها لأبي الملك هشام ؛ فإذا أقر بهذه الصفات ، وأقر بمعاشرته لها كزوج وسرية ؛ فنكون حققنا نصف الحقيقة ؛ فأنا مصدقة لمَ قلت ؛ لكن هذا لتكون ابنا للملك لا يكفي يا عمر بكر .. أنت ترى قول أمك عند موتها لابد أن يكون الحقيقة

ـ وهذا الذي دفعني لعدم قتل ابن عمي حفص .. ليس الجبن والخوف رغم غدره وخيانته لابن عمه أسد

ـ إني أعذر ترددك .. إذن لابد من أسره ومحاكمته أمام القاضي .. كيف ستحقق ذلك أيها الفارس؟!

– لن نعجز عن تحقيق ذلك أيتها الأميرة

تنهدت بحيرة وقالت : وضعتني أيها الشجاع في أعظم معضلة!

– كان لابد أن أتكلم ، قد جاءت الفرصة التي جئت البلاد هذه من أجلها أيتها الشجاعة .. وحتى لا تتعلقي بي تعلق النساء بالرجال .. نحن تجمعنا أخوة الدم والنسب .. فالأخوة علاقة نبيلة وصادقة

– أكيد أيها البطل .. سأرتب لك مقابلة مع الملك مقابلة خفية .. أنت عند قيم القصر هاربا آبقا مهدور الدم

– ادخل عليه بهيئة صياد

– فكرة كبيرة صياد .. سأتركك الآن .. نلتقي بعد أيام ؛ لنرتب للقاء مع أبي الملك أو نؤجله حتى تتحسن صحته .. فهو عليل هذه الأيام .. فأبي اتخذ العديد من السرايا طمعا بالولد فأمي سرية يا عمر بكر مثل أمك ثم اعتقت .. وشمس هذه أنا لا أعرفها لأني لم أكن حية ترزق ، كانت قبل ظهورنا للدنيا

ـ نعم ، ولدتني قبل خمس وثلاثين سنة ..كم بيننا ؟

– مضى من عمري عشرون ربيعا

– أزيد عنك بخمس عشرة سنة ، ولست طالبا لملك وحقوقا ملكية ، وسأبقى أعيش مغمورا إنما صرحت بالحقيقة لأعرف لماذا ألقت أمي سرها عند موتها ؟! أرادت أن أعرف أبي وعشيرتي وهل أحست أني قد أكون ذا نفع لأبي أمام الموت ؟! أحبت أن أعرف ابن من أنا ، لم تستطع إخفاء هذه الحقيقة الكبيرة ، لم أصدق ذاك يومها .. لماذا نطقت بهذا السر ؟! كنت أظن أنني ابن سيد من الأسياد .. من هو ؟! كعبد لا يهمني الجواب .. فالجارية يتقاذفها الأسياد لقضاء شهواتهم وأوطارهم ، ثم تباع تهدى .. فلا يفكر العبد بمن هو أبوه ؟ ولم ير أباه ، ولم يتعرف عليه الأب ما دامت أمه أمة تتنقل بين الأسياد لحسنها .

– حق ما تقول ؛ لكنها قالت من أبوك ؟! وذكرت قصة الشاعر الذي نزل ضيفا على ابن العامر الملك ونال جائزته.

ـ نعم ، ولما سألتها عن سبب صمتها الطويل ، قالت : حاولت نسيان ذلك كل هذه السنوات وأن تعيش كسائر الخلق.

– ألم تتزوج أيها الشجاع ؟

– ملكت جارية كسبتها في إحدى المعارك ، ثم

اختفت ، ولم ابحث عنها أو خطفت لست أعلم.

- ألك أخوة من أمك ؟

- لا ، كان اتصال الرجل بأمي قليل فهي جارية من عشرات الإماء .. فالشاعر الذي وهبت لها لم يعاشرها قط كما قالت لي .. وهو الذي أكد لأمي أنها حملت بي من الملك .. ربما من أجل ذلك لم يقربها وباعها بعد أن هويها .. فهو شاعر متجول على الملوك سيجد غيرها وغيرها.

قالت : سنجد حلا لهذه المعضلة أيها الشجاع .. ويسرني جداً أن أجد لي أخا بعد موت أخي الوحيد

- أرجو ذلك ، وكما قلت لست طالبا لملك وحقوقا ملكية .. أتأكد من نسبي وسأبقى مغمورا راعيا للخيل وابن جارية من جواري الملك

قالت بعطف : إذا ثبت النسب سيسر والدي ، وسيفرح وهو في هذه السن أن يجد ابنا ذكرا حتى ولو من جارية ؛ فإذا أثبتنا ذلك ، فسيكون أمرا عظيما لنا .. والإثبات مهم من أجل القبيلة والبلاد

- نعم ، هذا حق ..أترين أننا سنجد حلا؟!

قالت بحماس ظاهر : بالتأكيد .. الله أراد ذلك.. فسيسهل الأمر علينا .. وحتى لو لم نستطع إثبات النسب أيها الشجاع ستكون من المقربين للأميرة هند

- ولكن الأميرة السعيدة ستجد لها بعلا ذات يوم

- وسأجد للفارس الشجاع عروسا تليق به ..

اصبر أيها الشاب اصبر

- سأصبر يا مولاتي سأصبر

- أيام ونلتقي .. فنحن صرنا أكثر من الأخوة .. لولا المهمة الملقاة على عاتقك لصحبتك إلى القصر .. شكرًا على قتلك لعفريت لقد كان يد حفص وشيطانه يا عمر بكر.

- نعم ، أضعفت الأمير بسفك دمه .



الجارية شمس

دخلت الأميرة القصر فارتبكت عندما اخبرها قيم القصر أن والدها طلبها أكثر من مرة ، فهرعت إليه مسرعة بعدما غيرت ثيابها ، دخلت الحجرة الملكية كان والدها مستلقيا على سريره وبجواره أمها وبعض الخدم ، فقبلته من رأسه ، وسمعت خادم أبيها يقول للملك : الأميرة يا مولاي الملك !

فتح عينه بقوة وقال: هند حبيبتي هند لم تذهبي للديوان ارسلوا حاجبا

قالت مطمئنة الوالد : كنت في الديوان قبل قليل .. عملت جولة تفقدية في السوق الكبير .. علمت أن بعض الأشياء تباع بسعر مرتفع .. لا أحب ذلك التلاعب .. وأنا بين يديك .. بأس ويزول عنك

.. أراك الطبيب هذا الصباح ؟

قال بضعف ظاهر : أحس أن الموت يقترب يا بنية ، يجب أن تكوني ملكة قبل موتي ، حتى لا ينازعك أحد التاج الملكي .. أنت بقية السلالة حتى يكبر أبناء أسد .. هناك متربصون ما زلت أعتقد أن أسدا قتل لتغيير الحكم والسلالة الملكية .. فأنت ستكونين أول ملكة تحكم في بلادنا وأيد السادة الحاضرون كلام الملك الواهن ، فبعد صمتهم قالت: أمهلوني بضعة أيام أيها السادة الكرام أنا لا اعتراض عندي على اعتلاء سدة العرش ؛ وكأنني ملكة خلال العام الفائت .. وكنت مقدمة الثأر على التتويج الرسمي .. لا يجب أن يذهب دم أخي هدرا أو صلحا على القاتل أن يقدم للقضاء والقصاص .

قال أحد الأمراء: سيحصل هذا عاجلا أم آجلا أيتها الأميرة ، عندما يقبض عليه سيقدم للقاضي دون تردد وينال الحكم العادل

– أتسمحون لي بخلوة مع مولاي الملك

انسحب القوم رويدا رويدا فلما خلت الحجرة اعتدل الوالد بمساعدتها جالسا : ما الخطب أيها الأميرة؟!

دخلت مباشرة في قضية عمر بكر فسألت : هل تعرف جارية قبل سنين طويلة اسمها شمس قبل خمس وثلاثين سنة ؟

– يا إلهي عهد بعيد ! ثم فاجأ الأميرة قائلا: وهل أنساها كانت من أعز الجواري في القصر؟!

– ولماذا وهبتها لأحد الشعراء؟!

تنهد وقال متعجبا : آه ! ومن قال لك هذه القصة البعيدة ؟! لولا معزة تلك الجارية وذكرياتي معها لنسيتها ، ونسيت ذاك الشاعر .. إنها قصة قبل أن تري نور الشمس ونور الحياة .

– لماذا أهديتها لذاك الشاعر وهي غالية على قلبك واتخذتها سرية ؟

قال بدهشة : أعجب لمعرفتك بتلك القصة التي لا أذكر أن أحدا تحدث بها أمامي منذ سنين مضت .. السبب أنها أغضبتني تلك الأيام ، وكان الشاعر ضيفنا ، فتمادت في إثارة غضبي ، وحذرتها من وهبها للشاعر ، فلم تصدق ، ففعلتها ، تحدت غضبي .. كان الشاعر بقسام كان له صيت تلك الأيام ، وأظنه هلك ، فله عشرات السنين لم يقدم إلينا .

قالت بصراحة : أيمكن أن تكون تلك الجارية حملت منك ؟!

ظل صامتا مندهشا من الاستفهام ، ولما ظلت تنتظر جوابا قال: ما الخطب؟!

– أجب وستعرف الخطب يا والدي العزيز

قال بحيرة : لقد عشقتها كغيرها من الإماء ، واتخذتها كما قلت سرية وأنام معها ، لكن وهي

عندي لم تحمل مني .. فقد عاشرتها أكثر من خمس سنوات ، ولم يحدث منها حمل.

– وهل تصدق أنها بعدما غادرت القصر كانت حاملا منك ؟

فقال بنفس الاستغراب : شمس وكيف عرفت هذا ؟!

– جاءني رجل قالت له وهي تحتضر على فراش الموت أن الملك هشام بن عامر والدك ، وأنه منذ وهبها للشاعر لم يمسها أحد خلال تلك الفترة .. أي رجل .. الشاعر لما عرف بحملها قال إنك حاملة من الملك وباعها في مدينة ، واستقرت عند ملاك كبير اسمه عمار ..أتكذب الجارية عند الموت يا أبي؟!

ظل الملك في حالة صمت وذهول ، ثم التقط أنفاسه : وأنت قابلت هذا الإنسان الذي يزعم أنه من صلبي أهو ذكر؟!

– نعم ، شاب قابلته وجالسته قبل دخولي إليك.. عندما كان ابن خمس عشرة سنة عندما ماتت وقالت له هذا السر خطير . وقصت عليه قصتها مع عمر بكر ، وأنه جاء يتحقق من نسبه بعد هذه السنين من التردد والشك

– أيمكن مقابلة هذا الشاب أيتها الأميرة؟!

– سأرتب أن تقابله متنكرا يا أبي .. لا أحد يعرف أنه موجود في المدينة لأمر خطير بشأن مطاردة حفص الغادر .

وعادت تروي قصة تعقبه لحفص في أروى وسادة وقتله لعفريت شريك حفص في الجريمة وتردده في قتل حفص ؛ لأنه يراه ابن عم له .. فالقاضي أولى بإعدامه للرحم بينهم ، ولا يتحمل دمه أمام العشيرة

– شجاع هذا الشاب .. هل يكون مني يا هند ؟!

– سيأتيك بهيئة صياد بحري

قال : نعم ، يجب أن أراه .. أنا طبت من الوهن .. جميل أن يكون أخ لك يا هند ! قلبي سيعرف الحق عندما أنظر في وجهه .. فالقلب قلما يخطئ أيتها الأميرة .

رتبت الأميرة لزيارة الصياد البحري لقصر الملك ، ولما هيأت الأمور أدخلته على والدها في خلوة خاصة ، فلما رآه الملك قال: أنت ابن شمس ؟!

– نعم ، يا مولاي أخبرتني أمي أنها كانت جارية لك في هذا القصر ، وتسريت بها ، وأنها كانت معززة عندك ، ولها مكان في قلبك ، وأنك وهبتها لأحد الشعراء

عادت الذكريات للملك وقال : أجل كانت جارية غالية على قلبي ، وأسخطتني تلك الأيام ولم تعبأ بتهديدي لها بوهبها للشاعر ، فتحدتني فأعطيتها للشاعر ، وندمت ؛ ولكنها عطية ملك

– نعم ، قالت ذلك وهي تموت .. كنت شابا

صغيرا ، وإن اعتقنا سيد المزرعة ؛ لكنّا كنا خدما وعبيدا ، قالت يا مولاي حاولت نسيان هذه الحقيقة ؛ ولكن ظل خيالك يأتيها في المنام واليقظة إلى متى تظلين تكتمين سر الصبي ؟!

قال الملك معترفا : هل تعلم أن قلبي اضطرب عليّ منذ دخلت باب الحجرة .. اقترب دعني أضمك إلى صدري .

احتضنه الملك ، وداعب شعره ، وبكى ، ولما خفت ثورة الحنان قال : أحس أنك مني .. قلبي يقول هذا يا هند .. هلا احتضنت أختك يا عمر بكر .

تطلع الشابان ببعض ، وفعلا ذلك فقال الملك: أتحركت الشهوة بينكما ؟

فهما مغزى طلب الملك قال الشاب: أنا اعتبرتها أختي منذ جئت إليكم يا مولاي

قال الملك : يا عمر بكر صف لي أمك التي أعرفها. ذكر الشاب صفة أمه الخلقية . فصاح الملك والدموع تنسكب على خديه : إنها شمس التي عرفتها يا هند .. كيف سنقنع القوم بأنك من صلبي يا بني ؟

– اعترافك أن هذا ممكن ، وأنه يمكن أن تلد شمس منك يكفيني هذا ..لا أريد حقوقا ولا مناصب .. سأبقى حاميا لهند وسائس الخيل .. ولا داعي ليعرف أهل المدينة يا مولاي .

قال الملك معترضا : أنت الآن ابن ملك ، وعلى أهل المدينة أن يعرفوا هذا

– هل أرحل ؟!

قال دهشا : ترحل! لا ، سأجد طريقة يعرف الناس أنك ابن ملك ومن صلبي ؛ لكن سأصرف عنك لقب الملك ، وستعين هند ملكة حتى يكبر ابن أسد ؛ ليستقر الحكم في أسرتنا يا عمر بكر

عاد عمر بكر يقبل رأس الملك وقال باكيا: هذا لحظة من لحظات السعادة يا مولاي!

– هند ما تقولين؟!

قالت بحب واضح لهما : إنه أخي . وحدثته عن اضطراب قلبها له كلما تراه في حظيرة الخيل أشهر الوزير الأكبر لمدينة نجوان تنازل الملك هشام عن كرسي الملك لصالح ابنته هند على أن تبقى ملكة البلاد حتى يصبح هيثم ابن المغدور أسد في عمر تؤهله لقيادة البلاد والتربع على كرسي وعرش الأجداد من عدة قرون ، وتعين يوم للاحتفال بالتتويج الملكي للأميرة هند بنت هشام.

وانشغل الناس بعد هذا البيان بمن سيكون زوجا للملكة ، ولما علمت الأميرة بهذا النبأ أعلنت أنها تؤجل الاقتران بأي رجل حتى يبلغ الأمير هيثم سن العقل ويستلم الملك نيابة عنها ، وفعلت هذا حتى لا يطمع أمير أو قائد بالزواج منها.

وكان من ضمن المقربين من الملكة الجديدة

الفارس عمر بكر الذي صار مرافقا دائماً لها ، مما أثار ريب ودهشة للأمراء من سائس خيل هرب ، ثم عاد ؛ ليكون مرافقا وحارسا للأميرة ، من عبد رقيق ابتاعه أهل القصر من سوق النخاسين إلى هذه المرتبة .

ولما توجت هند ملكة رتبت الملكة الجديدة مع عمر بكر ووالدها أن يجلبوا قائفا من البادية ليثبت نسبه للملك أم لا ، وهذا أمر مقبول في تلك الأزمن ، فلما وصل القائف المدينة رحبت به الملكة هند ، وأدخل على الملك دون أن يعرف أنه شخص الملك ، وعاينه وعاين عمر بكر بحضور الملكة والوزير وبعض السادة الذين اطلعوا على جلية الأمر ، فحص الرجل الأقدام والأيدي والمناكب وبعد تأمل دقيق قال ـ وأشار للشاب ـ : هذا الرجل من هذا الرجل أيها الأسياد . وذكر علامات تجمع بينهما .. ففرح الملك ، وتعانق مع ابنه وقال : ما أعظم الرب !

وعانقت الملكة أخاها ، وهنأ الوزير الملك والأمير بهذا النسب ، وجمع الملك المخلوع أعيان المدينة وتكلم القائف بمهمته الكبرى ، وروى الفارس قصة أمه شمس ، وعرف أهل المدينة السر والعلاقة الخاصة بين الملكة والفارس عمر بكر وكان إحضار القائف من البادية ذكاء من الملك والملكة ، فهم مقتنعون بأن الفارس ابن الملك من ظروف وأحداث القصة ، لا يمكن أن يأتي رجل بعد خمس وثلاثين سنة يزعم أنه ابن ملك بدون معلومات تفصيلية.

واخبر الملك الرعية بقبول بنوة الفارس عمر بكر ، وأنه من صلبه يرث ما ترث هند ، وإنما حرمه التربع على العرش حتى لا يطمع طامع بالملك ، ويشكك في نسب الفارس عمر بكر ، وأنه يستعد لتزويجه من كريمات وبنات الأمراء ، وطلب من الوزير ترتيب مثل هذا الزواج.

وقدمت الهداية من الأسياد للأمير الجديد ، وأعطي القائف هداياه من الأنعام ، وغادر البلاد إلى باديته بعد انتهائه من المهمة الدقيقة مع إبله ، وعلمنا وعلم الناس من هو عمر بكر ، واستمر مرافقا وحارسا للملكة عندما تذهب للديوان في الصباح ، ويعود للقصر معها عند الظهيرة ، وكانا يقضيان المساء عند الملك المريض.

وكانت الملكة تحادث والدها عن أخبار المملكة فقال لها: أين أخوك؟! كانت تلمس تعلق والدها القوي بابنه وترى السعادة عليه كلما يجالسه .

– ذهب لحجرته يا مولاي الملك

قال : بعد هذا الذي فعلناه أتشكين بأخوته لك؟!

– أبدا يا أبي ! أدرك وأعي بأنه أخي فعلا

قال : كيف ؟

– فكلام القائف نفى أي شك يراود النفس ،

والرجل لو كان محتالا وغشاشا لانكشف أمره لسنا بهذا الغباء ، فهذا فعل خطر ، ولماذا يغامر هذه المخاطرة ؟! وماذا ستعود عليه به هذه المخاطرة؟ وهو كما صرح قضى عشرين سنة مترددا في كشف الحقيقة .. وقد ازهق روح عفريت دون تردد وتوقف عن قتل ابن عمنا غيلة للرحم والدم وتركه للقاضي .. وهذا الموقف يؤكد صلته بنا يا أبي ما الذي في ذهنك؟

قال : قصة شمس يمكن لأي شخص أن يعرفها من شمس نفسها ؛ لكنه وصف أمه خير وصف .. والقائف أزال أي ريب في قلبي .

– الحمد لله .. حسبت أن أحدهم أثار في قلبك ريبا

قال : يحاول بعضهم ذلك .. لهذا تكلمت معك بهذه الهواجس

– لو كان محتالا لقتل حفصا ، وتزوج مني يا أبي .. لا تنسى هذا أيضاً.

– معك حق ، وما احتاج للقرابة التي بيننا .. أنا لا أريد بعد موتي أن يطعن أحد بنسبه .

قالت : لقد تكلم عن الأخوة التي بيننا بعد مطاردة حفص وعفريت ، ولو لم تكن حقيقة عنده لنسيها ، بل لما أعجبت به كفتاة ورجل شجاع ، تحدث عن الأخوة ، ولم يتلهف لمثل هذا زواج وغرام

– رفض الزواج

قالت : أجل يا أبي قبل أن يبادر بمطاردة حفص الغادر .. قال أطيعك ، واعمل على الانتقام بلا زواج.

– بارك الله فيك يا بنية اطمئن قلبي أكثر بعد هذا اللقاء .. ماذا ستفعلون بشأن القاتل؟!

– سيختفي ويذهب إلى سادة ؛ لعله يتمكن من أسره ونقله إلا هنا ليقف أمام القاضي .

قال قلقا : فهل نسمح له بالذهاب بعد أن صار ابنا؟!

– يقول الخطر عليه هنا أو في مغامرة .. والموت واحد

قال : إنه شجاع .. رحمك الله يا شمس حرمتيني كل هذه السنين من فلذة كبدي .. لقد فتنت بها يا هند عندما أُتي بها هذا القصر لأول مرة .. كانت حبيبة على النفس وكنت شابا وهي حسناء من جميلات القصر .. الأمر كله لله رب العالمين

– نعم ، كله لله رب العالمين .

اختفاء حفص

سافر الأمير عمر بكر خفية إلى سادة لأسر الأمير حفص والانتهاء منه ، وتفاجأ أن بيته مسكون بعائلة أخرى ، وأخبره المستأجر أنه استأجره من مالك البيت ، فقابله قائلا: ألم أدفع لك أجرة شهور ثلاثة ، وقلت لك إني تاجر وأسافر مع السفن .. أعطني المال.

فقال المؤجر : غلب على ظني أيها السيد الكريم أن غيبتك قد تطول أكثر من ذلك ، قلت استفيد من تأجيره قبل أن ترجع ، ولم أجد في البيت إلا فراشك ومصباحك .. في الحي بيت فارغ هجرته المرأة بعد مقتل صاحبها لعلك تذكر قصة تلك الجريمة

تظاهر جهله باختفائهم فقال : رحلوا ! رحلت تلك الأرملة .

- بعد سفرك بأسابيع أعطوني المفتاح

- لقد كان مع المرأة رجل آخر ، ثم جاءت امرأتان زائرتان للعيش معهم.

- لم أر الرجل الآخر عندما تفقدت البيت .. واستلمت أنا منها العقار .. أو أنه هو الذي غدر بزوج المرأة واختفى

تظاهر عمر بكر بالاهتمام بالأرملة فقال : أين سكنت الأرملة المسكينة كنت أريد ...؟ وسكت فقال الرجل : جاء رجل بحار وأخذهم ، وترك الأرملة وحدها ، وبعدها جاءتني هكذا رددت أمامي ثم قالت لي: سأرحل من بيتك إلى بيت في قلب المدينة .. فهاك مفتاحك ودفعت الأجرة المتبقية .. هل تأخذ بيتها بدلا من بيتك القديم ؟

- سأفكر بذلك ، سأعود لك بعد أيام ، معي حاجات تركتها في الخان الحصان الأحمر حيث ميناء سادة .. كنت أفكر بالزواج منها من أرملة الرجل المقتول.

- حقا ! لكني لاحظت أنها حامل من زوجها المقتول ، لما رأيتها كانت بطنها منفوخة ، واعتقدت أنها على وشك ولادة ، وإذا التقيت بها فكيف أخبرك بمكانها ما دمت تنوي الستر عليها ، وتربي ابنها أم تريد غيرها ؟ فكما أؤجر بيوتا ادبر زوجات .

قال عمر بكر مفكرا : سأعود إليك بعد حين ، ونتسامر في ذلك .. هذه الأيام أنا في خان الحصان الأحمر حيث المرفأ البحري.

- أعرفه ، ومن لا يعرفه من أهالي سادة ؟!

- جميل! إذا قابلت السيدة المسكينة قل لها جارك البراق سأل عنها .. وخلال أيام ستجدني فيه فأنا على وشك السفر في تجارة أخرى هذه حياتنا .. فالتوابل سلعة يحبها الناس خاصة أهل المدن الكبيرة ، وتجد عليها طلبا دائماً

- أعرف هذا ! أعرف هذا! السمسار يعرف كل شيء

غادره عمر بكر إلى الخان القابع قرب ميناء سادة الكبير ، وكان يتذكر أنه لم ير الأمير حفصا منذ جاء إلى سادة خلفهم ، ولم يره في جنازة عفريت إلا اذا كان متنكرا بصورة خفية جداً ، وحتى لما جلس يعزيها عند القبر لم يظهر ، لقد حضر الجنازة بحكم الجوار والشفقة على المرأة كما زعم وذكر أن عدنان

الربان دخل البيت ماذا جاء يفعل ومعه النساء ؟!

قضى شهرا في المدينة دون أن يصطدم بالمرأة ولا بالأمير ولا حتى بعدنان الربان، وذات يوم بينما هو يمشي في الميناء أمسك به رجل، فالتفت إليه ؛ فإذا هو مؤجر البيوت في ذلك الحي فقال: أنت هنا ! رحب به وقال: نعم ، وصلت مدينة أروى وعدت

– لم تعد كما وعدت .. توقعت أنك سافرت ، لقد عادت المرأة للحياة في الحي بعدما ولدت طفلا ذكرا .. وحدثتها برغبتك الزواج منها.

– وماذا ردت ؟!

قال السمسار : قالت لو كلمني بذلك تلك الأيام لرفضته ، كنت حزينة على وفاة سيدي .. أما الأيام هذه فأقبله أصبحت وحيدة .. سألتها عن ذلك الرجل الغامض ، فقالت: منذ مقتل زوجي لم أعد أراه ، كان شريكنا في البيت ، وجاءت امرأته وجاريتها من بلادها .. ولما اختفى عادت المرأة والجارية لنجوان

– أهي مستأجرة عندك ؟

قال الرجل : نعم ، في أحد البيوت .. وأنا أقول هذا الكلام فإذا ما زلت ترغب بنكاحها سأسعى بينكما .

– حسنا سأبقى مدة يومين ، رتب لي لقاء معها غداً مساء .. سأسافر في حمولة إلى مدينة أروى غداً أراك عند مدخل الحي ، ونذهب سوية إليها

قال : حسن أنا في انتظارك أيها التاجر السخي

– على بركة الله .. قابلها اليوم .. وغدا ترد الخبر النهائي .. وإذا تم الاتفاق بيننا بعد سفرة أروى نحتفل بالزواج ..أهي من هذه المدينة ؟

– نعم ، وهي تعرف المدينة من زمن بعيد قبل أن تعيش في نجوان .. هي جارية تباع وتشترى أعتقت من زمن يسير



ذهب عمر بكر والسيد خانتوش لمقابلة المرأة الأرملة ـ خادمة الأميرة هند قبل مقتل الأمير أسد ـ رحبت بهما وذكرت الرجل الذي حضر جنازة زوجها عفريت ، وكان يجاورهم في الحي فقالت: أعلمني السيد خانتوش برحيلك في تجارة ، ثم عودتك .

فعلق البراق قائلا: نحن هكذا .. سفر تلو سفر .. نترك غلماننا يبيعون في دكاكيننا .. ونتنقل بين موانئ الدنيا ..واخبرني الأخ أنكم تشكون في الرجل الذي كان يعيش معكم بأنه غدر بزوجك المسكين وخانكم ، وهرب من المدينة .. أعرفت الشرطة شيئا عن القاتل ؟

قالت بضيق ورفعت صوتها قائلة : الرجل الذي كان معنا صديقنا وصاحبنا ، ليس له علاقة بقتل

زوجي ، كان في انتظار زوجته وخادمته ليستقر في بيت مثلنا ، فلما جاءتا صار الحادث الغادر .. والشرطة لم تعرف شيئا ولن تعرف .. والقتل الغدر له قصة ، لم تكن في هذه البلاد رحم الله الأموات

فتظاهر بعدم الحاجة لسماعها قائلا : ما دام هناك قصة فلا داعي لسماعها .. فالقصص لا تنته فلكل منا قصة وقصص .

فقال خانتوش بفضول لدى البشر معروف: أنت تعرفين قاتل زوجك .. لماذا لم تخبري الشرطة؟!

قالت لتشبع فضول السمسار: أنا أعرف الجهة التي وراء الجريمة ؛ لكنني لا أعرف الفاعل وجها لوجه .. والناس مع الوقت تتكلم .. وزوجي لم يقتل على أيدي لصوص كما تخبر الشرطة .. قتله عدو حاقد .. وقد ترك في رحمي طفلا ولدته من عهد قريب سيثأر له عندما يصبح رجلا لابد أن ينتقم الرجل لأبيه .

فلما صمتت وقد سيطر عليها الحقد والغضب ، قال البراق بعد أن أكد أن الابن سر أبيه : حدثك السيد خانتوش عن رغبتي بالزواج منك ، لقد وقعت من نفسي موقعا حسنا ، والسيد اعلمني أنك كنت في حالة حمل وانتظرت حتى تلدين ، ولما جئت الحي بعد سفر طويل وجدت السيد مؤجرا لبيتي

– أنت تسكن في الخان كما قال خانتوش ؟

قال : أنا هذه الأيام تاجر جوال أنقل التوابل بين المدن ، ولي شركاء في سادة ، وفي أروى حتى أنني نقلت إلى نجوان الجهة الأخرى من البحر ثيابا ، وقابلت عددا من تجارها وأصحاب السفن

– أتذهب إلى نجوان؟

قال دون تردد : مرات معدودة ، إنها على الساحل الجنوبي لبحرنا هذا . ولما لاحظ لهفتها لنجوان قال ليستدرجها في الكلام عن نجوان :أنا أعد سفرة قريبا لنجوان .. ألك أقارب فيها تودين إرسال شيء إليهم رسالة مال هدية ؟

بعد صمت وربما تفكير قالت: لي أخت تعيش هناك .. أنا يا سيدي البراق كنت جارية ، واعتقت من عهد قريب ، وتزوجت من تعرف قتله وشاركتني دفنه سيدي عزور .. وأنا أعرف نجوان جيدا عشت فيها ردحا من الزمن ، وقد وعيت على نفسي هنا في سادة

فقال ليزيدها ثقة بشخصه : أنا ولدت في بلاد النملة ، ثم عرفت البحر والمدن البحرية الكبيرة والتجارة والسفر ، ولي في كل مدينة متجر صغير خاصة سادة وأروى وغيرها ، وتزوجت كذا مرة ، ولم يولد لي لليوم ، رأيت حزنك الشديد ولوعتك على عزور يوم نقل لدار العسس وعرفت أنك جارتي صدف رؤيتي لك أكثر من مرة ،

فحزنت لحزنك ، ووقع في نفسي الزواج منك ، قلت بعد انتهاء الحزن ولا شيء يدوم ، وحدثت خانتوش بهذا الأمر فوعد بالتوسط بيننا .. وها هو يفعل

وتكلم خانتوش مشجعا الطرفين فقالت: أنا وحيدة في الدنيا ، وأنا بحاجة لرجل بجانبي بعد ترملي ؛ ولكنك رجل جوال ؛ كأنني لم أتزوج .. وربما تعجبك أخرى في مدينة فتستقر عندها لزمن .. فكيف يكون هذا الزواج ؟ وأنا لا أهل لي ، ولا أعتقد أنك ستتخلى عن السفر أو تصحبني في سفراتك

قال مبديا صعوبة ذلك : هذا صعب ؛لأن رجال السفينة كلهم رجال ؛ ولكن كلما آتي هنا نعيش سوية وأنفق عليك ما دمت على ذمتي .. أنا أحيانا أمكث أشهرا قبل رحلة جديدة .. لن اضغط عليك لتقبليني .. بعد أسبوع أو بعد عودتي من أروى أسمع قرارك النهائي.

– جيد هذا سيد حمزة البراق ..نعم ، افكر بذلك جيدا .. فهمت أن على ذمتك نساء آخر

– أنا أتسرى بالجواري .. خيانة الحرة صعبة على النفس وعلى أهلها .. فالسرية إذا زنت مع السلامة .. فأنا أعجبت بك وتشجعت لنكاحك ؛ لأن أصلك جارية .. فإما أن تحترم الجارية نفسها أو يفتح الله بيننا ..فالتعامل مع الجواري أسهل من بنات السادة

– نعم ، أنا جارية وأخبرت خانتوش بذلك ، وعشت في نجوان أكثر سنوات العمر كجارية ، ثم هجرتها للعيش مع زوجي عزور .. وهو كان رقيقا وحرر مثلي .. جئنا سادة ؛ ولكن لم تدم لنا الحياة .. قتلوه ، وبقيت لي أخت هناك .. وعندما تسافر إلى نجوان سأكتب لها رسالة .. فهي الآن بشوق لي ، لي أكثر من سنة بعيد عنها .. سنة ونصف

قال بحماس : سأكون في خدمتك يا سيدتي .. لو أنت سرية لكان زواجنا أسهل .. والسيد خانتوش سيكون صديقنا ويقدم لنا كل مساعدة حتى أعود .. أتحتاجين مالا ؟ لديّ الكثير

قالت بعزة نفس أدهشته : لا يا سيدي ، فقد ترك لي زوجي مالا كثيرا .. وسيدي الآخر ـ زوج المرأة التي جاءت لتعيش معه هنا ـ ترك الكثير قبل الاختفاء أو الهرب .. فقد خشي هو الآخر على حياته من الأعداء .. ففضل الهرب ، ويمكنني أن أعيش بكرامة .. وأنا أفكر بشراء بيت .. والسيد خانتوش سيساعدني كما وعد بذلك

وتكلم خانتوش عن شراء البيت ، وأنه يبحث عن بيت مناسب لها ، فقال عمر بكر: أنا توقعت أن يتزوجك صاحب زوجك بعد ترملك ويضمك لزوجه ، خاصة أنكم تعيشون سوية .

قالت :لا يستطيع الزواج من جارية أو امرأة كانت جارية .. فهو سيد من سادة بلاده ، ثم جار الزمان عليه بالنفي .. وهو الآن قد اختفى دون أهل وأقارب .. وتخلى عن كل شيء حتى زوجته التي تعيش معه أعادها لبلاده .. إنه مرعوب من عدونا الخفي

– يظهر أنكم تحملون سرا خطيرا يا سيدة نورا .. هارب من أمر جلل.. نلتقي أيتها السيدة

هل شكت المرأة بأني من نجوان ؟ لقد خدمت في قصر الملك كعين لحفص وعفريت ،لا ، إنها تآمرت معهم هياما بعفريت ، وخانت القصر طمعا بالنكاح منه ، وتعرف سادة قبل أن تباع في نجوان ، من شقيقتها ؟ جارية من ؟

قضى أسبوعين يراقبها عسى أن تدله عن مكان حفص ، ثم تفاجأ بها تنكح خانتوش وكيل تأجير البيوت في السوق ، فقال : نعم ، إنها ذكية ، تريد زوجا مستقرا ، ووقع خانتوش في لصيد ولما رأى ذلك أدرك أنها أنهت حياتها مع الأمير حفص ، وفعل كما تحدثت الجارية التخلي عن كل شيء ليحفظ حياته ، وصعب الوصول إليه إذا كان هذا الحدث صحيحا ، فقال وهو يغادر سادة: إن السر الآن عند عدنان ، ولم أر عدنان منذ جئت سادة ، لابد من رجل حاذق أدسه بينهم في البحر .. رجل يسمع أكثر مما يتكلم .. سيف الشيخ إنه يخدم في قصر ابن عم الملكة هند .. عليّ أن أجد هذا الرجل الحاذق الماهر أو أذهب أنا بنفسي ، وذلك بعد التشاور مع مولاتي الملكة

دخل نجوان متنكرا كعادته ، ودخل حجرته في القصر الملكي كابن للملك وأخ للملكة هند ، لم يعد السائس عمر بكر أمسى الأمير عمر بكر ، لما رجعت الملكة للقصر ذهبت إليه لتسمع الأنباء التي أتى بها ، فقص عليها حواراته مع الجارية نورا فقالت: إنها الخائنة الأولى ؛ لكنها جارية تشترى وتباع بالمال .. نعم ، كانت من جواري الأمير أسد ، وسمعنا بعلاقتها وحبها لعفريت ، لم نكترث لهذا الحب .. إنها إنسان ؛ ولكن هل يعقل أن حفصا هام على وجهه حفاظا على روحه ؟!

– اليأس .. هذا ما وصلت إليه منها ، ولما تزوجت ذاك الرجل لم يبق لديّ شك بأن الرجل ابتعد عنها ، وأنها أصبحت خطرا على شخصه ؛ لكن هل تخلى عن العائلة والبلاد ؟هذا ستوضحه وتبينه الأيام

– كيف العمل؟

– علينا أن ندس جواري وغلمانا فطنا في قصر عمنا هاشم ، ونتابع الربان عدنان .. أن يعمل معه رجل فطن كما فعلت في بداية الرحلة والمهمة .. فقد كان بريد القوم إلى حفص الهارب وإن تستغنين عن

خدماتي لحين من الزمن فأنا على استعداد للعودة إليهم بهيئة جديدة غير هيئة العتال المسكين

- أعندك أفكار أخرى؟

- الأفكار لا تنتهي يا مولاتي

- كيف ؟

- تطلبين من عمك هاشم تسليم ابنه أو مغادرة البلاد مع أولاده كلهم ..النفي

- وإذا وافقوا على النفي والمغادرة.

- لابد من الاستعانة بالعيون ؛ ولعلهم إذا رحلوا أن يعود إليهم حفص المختفي

- أيقبل الملك بهذا الفعل؟!

- الدم حاضر بيننا وبينهم اليوم

- نعم ، عليّ أن أتشاور مع الوزير الأكبر وقائد الجيش وأمير العسس في هذا النفي واستشارة الملك أبي أولا

- الملك منهك ومريض يا أخية ، فقد يؤلمه هذا التصرف ، ويقول لا نأخذ الآخرين بجريرة الغادر.

قالت بقلق من النتيجة : أو نسكت عن الدم

- هذه النتيجة التي يسعون لها من أول أيام القتل والخيانة الصلح والدية

- نحتمل المر حتى يموت الملك .. فأبي في رمقه الأخير .. الكبر وموت أسد هداه وزادا مرضه وضعفه.

- فلنذهب إليه

تركا حجرة الأمير فادخلهم الحاجب غرفة نوم الملك ، لم يعد الرجل يقدر على مفارقة الفراش إلا بصعوبة ومساعدة الخدم ، قبلت الملكة والدها ، وفعل الأمير مثلها ، وقال الملك بصوت واهن : مرحباً بالأمير ..الحمد لله على العودة سالما .. عسى أن لا تفارقني هذه الأيام أجلي يدنو يا ولدي

- نعم ، عدت يا أبي

أشار لهم بالجلوس والبقاء ، وكان خال الملكة موجودا شقيق أمها ، وكان رقيقا ، ثم تحرر بزواج أخته من الملك بعد أن كانت سرية ، ولما ولدت له أعتقها ، وظل زوجا لها : كيف أنت يا أمير عمر بكر ؛ لعلك وفقت في سفرتك هذه؟

- ليس كثيرا سيدي الأمير

- أصحيح أنك تعشق السفر والصيد في البحر؟!

- نعم ، ولكن هذه المرة لم نحقق الكثير منه أيها الأمير

- أتصيدون الأسماك الضخمة؟

- وهذا ما يصعب الأمور يا سيدي الأمير

وكان عمر بكر قبل أن يأتي نجوان عندما أسر قد عمل في الصيد البحري خاصة الأسماك الكبيرة ؛ ليستطيع شراء حريته ـ كما أشرنا إلى ذلك آنفا ـ وهي مهمة قاسية ومخاطرة صعبة ، قد تغرق الأسماك الكبيرة القوارب والمراكب ، وقد يهلك

الصياد في انتشاله السمكة الضخمة ثم خرجت الملكة يتبعها الأمير للغداء على مائدة الملكة كما أعلن الطاهي ، وتناولا الطعام وتحدثا عن الانتقام ، فقالت: هذا الربان عدنان لو حبسناه بتهمة ما وضغطنا ألا يتكلم ؟

فقال بعد نظر : الإكراه فعل سيء يا مولاتي .. وقد يكذب بذكر مكان بعيد .. فسرق المعلومات أفضل .. فهي تكون في الغالب صواب ؛ لأنه يقولها القائل عن حسن نية ، وفي حالة أمن .. جاسوس ذكي ومخلص نحصل على الخبر اليقين

– هؤلاء الرجال قلة من أين نأتي بالعين الفطين ؟ أتحسب كل الرجال مثلك ؟! فالذين يحبون المغامرة قليلون نادرون.

فقال مبتسما : ما دمت تشهدين لي بذلك فعليّ أن أقوم أنا بهذه المغامرة

– يكفي ما قمت به ، وأبي يريد بقاءك .. علينا أن نجد هذا المغامر ... بماذا تفكر؟

قال وقد تذكر شخصا قد يقوم بالمهمة : عرفت فارسا في مدينة النملة ذكيا شجاعا وقويا ما رأيك أن أسافر إليه وأكلفه بهذه المهمة ؟

– أهو فارس حقاً ؟

– نعم ، خبرته فهو أفرس مني ، وكان قائدا مهما في جيش المدينة .. وأخطأ في معركة ، فأبعد عن القيادة ، ولخصومة بينه وبين قائد الجيش أيضاً ، فعاد لمزارعه وحقوله ، بل طلب مني ترك الجيش والعمل معه ، ثم أسرت ، وجرى ما رويته لك أثناء الأسر .. إنه فارس محب المغامرات ومطاردة اللصوص والعصابات ، واشتهر بذلك

– ما اسمه؟

– اسمه عثمان بن جليل

– أيقبل بمساعدتنا ؟

– سأعرض عليه المهمة

– وتقبله لي زوجا .. الشرط ما زال قائما

تنهد الفارس وقال بخجل : نسيت هذا أيتها الملكة ! وأنت اليوم ملكة .. سأطلب مساعدته في أسر ذلك الطير فقط

– ذو زوج هو؟

قال ضاحكا :كثير الزواج وكثير الطلاق .. هن يطلبن الطلاق كما كان يقول لي



رحلة إلى النملة

سافر عمر بكر إلى أروى بحرا ، ومنها تابع المسير إلى بلاد النملة حيث ترعرع وشب شابا ، وصلها مع دخول الليل فلجأ إلى خان يقضي فيه ليلته ، وقد عادت به الذكريات إلى حياته هنا وعند منتصف النهار خرج إلى أطراف المدينة حيث

المزارع الكبيرة والأملاك الخاصة برجالات الحكم والجيش ، ووصل مزرعة القائد عثمان الذي عمل معه سنوات حتى طرد من قيادة الجيوش ، رآه يجلس أمام القصر ، وحوله الغلمان والجواري ، فلما لمحه عثمان مقبلا عرفه فورا وتذكره ، وكيف ينساه وهو أحد فرسانه أيام العز والفروسية ؟ كانت الدهشة مرسومة على وجه عثمان وقام واقفا بمساعدة الغلمان ، فقد كان معلولا كسيحا مما أحزن الأمير وسقطت دموعه وقال باستغراب وشفقة : ويك! ما أصابك أيها البطل؟

تعانق الرجلان عناق الأحبة : تركتك سليما صحيحا!

ضحك عثمان وعلم أن رفيقه أيام الجيش لا يعلم خبره فقال: كم لنا متباعدان ؟!

– منذ أسرت ، من عشر سنوات أيها القائد الباسل .. ماذا دهاك إنما هي عشر سنوات؟!

قدم مقعد للأمير ولما استقر الجلوس قال: حادث في أحد الجبال على أثره فقدت قوة ساقيّ أيها الصديق .. أنا كلما التقي بفارس من أصحابنا أسأله عنك ، وأتنسم أخبارك عساك وصلت لأهلك

– نعم ، عملت رقيقا حتى دفعت فدية العتق ، ثم ذهبت لأبي واعترف بي منذ عهد قريب

بعد الطعام كما أراد القائد شرح الأمير قصته للقائد فقال : أنت ابن ملك الآن مبارك ما صبوت إليه .. كانت حكايتك غريبة يا أيها الأمير .. أرجو أن تبقى عندي بعض الوقت .. إني بشوق لك وللأخوة الفرسان .. كانت أجمل الأيام عند مقارعة الفرسان والموت !

– سأبقى بضع ليال كنت قاصدك في حاجة كبيرة ؛ لكنك اليوم تضعف عن تحقيقها ، مغامرة كبيرة تحتاج لقوة وعقل أيها القائد . واختصر له قصة مقتل ابن الملك أسد والمطاردة التي قام بها ولما انتهى من السرد قال عثمان: أحسنت بعدم قتله .. هذا دم كان سيبقى بينكم للأبد .. فهم اليوم أعمامك وعشيرتك ، نعم القضاء هو الصواب .. عندما يقتل قصاصا هو الأحل الأطيب ليتني قوي البنية لمطاردته حتى أقبض عليه أسيرا واسلمه لقاضي بلادكم.

أخذهم الحديث عن أيام المعارك والجراح والخطط ، وكانا ممددين على أسرة في قاعة الطعام الجميلة المزينة بالرسوم والأطعمة والطيور الملونة ، وبعد حين انتقلوا إلى غرفة أجمل منها للاستراحة ، وقدم لها فيها الشراب من العصير والفواكه وأغلبها من مزارع عثمان : جئت يا ابن الملك تطلب عونا من صديق قديم

– جئت لأسد عرفته شامخا ، لكنها المقادير أيها القائد الباسل ما تشير به عليّ الآن؟

قال عثمان : زوجة الغادر عفريت تزوجت بعد موت زوجها ، والأمير حفص ابتعد عنها زاعما لها أنه سيختفي من حياة أهله ونجوان طمعا بحياة دون خوف ومطاردة .. وعجز أهله من التصالح على دم المقتول أسد .. وأنت ترى أنه غادر سادة ونفذ ما تحدث به للجارية .. وعدنان لم يعد يسافر على المركب ..كيف كانت حيلتك؟

– خطتي أو حيلتي أن تكون معهم كبحار صياد تاجر تعيش معهم ، كما عشت بينهم بأي هيئة تتقنها .. وأنا لولا الوقت لتابعت الكيد حتى أصل إليه ؛ لكني اليوم أصبحت حارسا للملكة وأخا لها ..والأب الهرم يريدني بجواره

– ابشر أيها الرجل الشهم لن أخيب رجاءك

– ويحك لا تكلف نفسك ما لا تطيق

ابتسم عثمان وقال: لديّ عبد محنك أدخره لقضاء الحاجات الخطيرة والكبيرة والجريئة .. أرسلته للمدينة لقضاء بعض الحاجات عند الحاكم والأمراء .. عندما يرجع سأشرح له المهمة التي سيقوم بها وأتخلى عنه بضعة أشهر وحتى سنة

قال الأمير : مقابل ماذا سيخدمني هذا العبد الشجاع؟

– المال ، هو لا يريد الحرية منذ تملكته وهو يخدمني بإخلاص .. مكافأة من المال

– وماذا يفعل بالمال؟!

– هو سيخدمني حتى أموت ، هكذا اتفقنا وبعدها سيصبح حرا ..وأنا أسمح له بجمع المال لنفسه ، فهو شجاع وذكي وهو قادر على العمل حسب خطتك

– أستخدمه سنة ؛ فإذا حقق المراد قبل ذلك رجع إليك بالغنيمة ، وإلينا بحفص ، وبعد السنة إذا لم يوفق سأعيده إليك

قال القائد العاجز : هذا الصواب ، أستغني عنه سنة لأخ صديق .. وهو كحارس لي وشجاع لم نتحدث عن النساء أتزوجت؟!

– كنت كما تعلم أتسرى بالجواري واعتقهن بعد حين

فقال القائد بحزن : وأنا مثلك بعدما يئست من الحرائر عدت للجواري .. فالتحكم فيهن أسهل ؛ لكن خيانتهن أسرع إذا عزمها عبد أسرعت إليه ناسية رجلها .. ولا أمل لي في الولادة

– لم يلدن لك؟

– لم تنجب أي واحدة منهن قبل الحادث وبعده

– وهذه الأملاك لمن ستعود أيها القائد الباسل ؟

ابتسم عثمان وقال : لإخوتي ما زال الخمسة على قيد الحياة

قال الأمير مواسيا : لا أحد يموت ويأخذ معه شيئا .. والكل سيموت أيها الصديق حتى الدنيا كلها ستزول .. هل من أمل في ذرية بعد هذه السنين؟

- علم ذلك عند ربي .. أتحب أن نتمشى في البساتين والرياض ؟

- وأنت؟!

- لي عربة خاصة يجرها جوادان

نادى أحد الخدم وأمره بإعداد بغلة للفارس عمر بكر ، وتجهيز عربته والخدم لجولة في الأملاك

- أنت باسل وتقاوم ببسالة!

- لابد من ذلك ، ولو قبعت جالسا نائما لمات ما تبقى من جسمي ، لابد من الحركة والاستمتاع بهذه الحياة

- صدقت

جاءت البغلة وعليها السرج الجميل المريح ، وحمل الرجل حتى استلقى على عربة الجياد وتقدمهم الخدم في جولة في أملاك القائد عثمان ، وقضوا ساعات يتجولون بين الأشجار ويسمعون أصوات الطيور ، وعند الغروب رجعوا لديوان وقصر القائد ، واستعدوا لدخول غرفة الطعام عندما اعلن في القصر عن عودة العبد الزنجي فراس.

***

شرح الفارس عثمان لفراس الزنجي الغاية من زيارة الفارس عمر بكر صديقه أيام الجندية ، وقص عمر بكر قصة مطاردته لحفص وعفريت وقتله لعفريت وتركه لابن عمه ، ولما عاد لأسره وجده قد اختفى ، والجارية تزوجت واستقرت في بلاد سادة ، ويريد أسره وخطفه بعد معرفة مكانه وتقديمه للقضاء في نجوان حتى لا يترك مجالا للثأر والانتقام في مستقبل الأيام .. فلحفص عشرة أشقاء بين بنات وذكور .

استوعب العبد فراس القضية بتفاصيلها والمهمة المطلوبة منه فقال: تريد أن أعمل مع عدنان في التجارة أو من يقوم مقام عدنان ، كما فعلت أنت في أول المطاردة ، وأنت ترى أن الجارية ابتعدت عن حفص أو هو ابتعد عنها وقطع الصلة بأهل نجوان ، وطلق نساءه الأميرات ، واختفى بشخصية إنسان عادي دون إمارة ؛ ليعيش وحيدا مجهولا في إحدى مدن الدنيا .. وزواج نورا في بلاد سادة يدل على هذا القرار .

- قضيت أسبوعين أتابعها قبل القفول لنجوان

قال العبد فراس : حسن هذا يا سيدي الأمير! العمل مع عدنان سهل وميسور .. المهم أن اطلع على أسراره وحركته.

- هو لقد ترك السفر إنما يجلس في الميناء لمتابعة التحميل والتفريغ والسفن المملوكة لأسياده ..قد تضطر للتنقل بين عدد من الموانئ .. فهو ينقل من مدينة إلى أخرى .. ثم يعود لنجوان بعد عدة رحلات إلى المدن الساحلية .. ومساعده هو الذي يسافر في المراكب واسمه

البحار حمدون

– أنت ترى أن السفر معهم خير من البقاء مع عدنان ؟

– أنت تقرر الأفضل والأنسب

قال فراس : سأرسو في بلادكم في قارب صيد ، وإذا لم تحقق المطاردة ثمرة سأعمل معهم ؛ وإذا كان حقاً أنهم قطعوا الصلات بذلك الأمير ، ما العمل أيها الشجاع؟! كيف نصل إليه؟!

– نعم ما العمل ؟! إذا فشلت في معرفة مكانه ، فلن نصل إليه إلا صدفة ، ما دام لا يعرف أحد مكانه أو إذا حن ورجع البلاد ، ولم يستطع التخلص من جبروته وعنفوانه .. لدينا خطة أخرى لكنها تنتظر أيها القائد عثمان موت الملك هشام أبي .. عندما يرحل عن الدنيا بسلام أن تقوم سيدة المدينة الملكة هند بنفي عمها والد القاتل وأسرته أو تسليمهم حفصا للقاضي فقد يقبلون والأغلب سيرفضون وسنضع في مكان نفيهم عيونا لنا

قال عثمان معقبا على هذه الخطة : قد يطول عمر والدك الملك ، وتضعف الهمة في الطلب مع الوقت ولعلها بردت

– الملكة ما زالت حاقدة وناقمة على مقتل أخيها ، وعرضت نفسها للزواج ممن يأتي برأس حفص .. لا تحب الرجال والحمل والأطفال إنها في العشرين

– وهل هي امرأة؟!

– بل جميلة يا سيدي

فقال فراس ساخرا : وإذا قتلت عدوها اللدود أتقبلني زوجا لها ؟ أصير زوج الملكة ؟!

– اعتقد أنها تقبل حتى ولو أنها ملكة .. الشرط هذا هي هذه وضعته قبل أن تصبح ملكة .. هي ترفض الزواج اليوم حتى يكبر ابن أخيها الأمير هيثم ، ويصبح سيد البلاد خشية الفتنة وتنافس الرجال على الزواج من الملكة

قال عثمان: ولماذا تنتظر نفي عمها ما دامت السلطة بيدها؟

– رحمة بوالدها فهو شقيقه ، فسيقول لنا لماذا يؤخذ بجريرة غيره .. نحن نطلب دم حفص الغادر .

كرر عثمان كلام الملك وبعد صمت قال عثمان: ما تقول أيها الشجاع؟! مشيرا لفراس

– سأقوم بهذه المهمة يا سيدي وأبذل جهدي وعرقي وفكري ، مع أن عقلي يقول إن القوم نفضوا أيديهم عن الأمير بعد مصرع عفريت ، وتركوه هائما في الدنيا .. مصلحة له ومصلحة لهم .. فالملكة مصممة على الانتقام .. عليّ أن أحاول أيها الأمير من أجل خاطر سيدي القائد عثمان ، ومن أجل الصداقة الكبيرة التي تربط بينكم .. سأكون قريبا في بلادكم نجوان متى ستسافر أيها

الشجاع ؟

- الشكر للقائد عثمان ولك يا فراس .. سأكمل الأسبوع عند أخي عثمان ، وأعود مباشرة إلى البلاد ، وقد تستمر الزيارات بيننا

فقال عثمان: أنا ستجدني في شوق إليك .. أنا لا أنسى أيام القتال أيام الغدر ؛ لكنهم أهلنا أيها الصديق .. وأنت اليوم وجدت لك أهلا خيرا منا

- لا أنسى هذه الأرض ، لقد عشت فيها أكثر من بلاد الآباء والأجداد .. كنا وبقينا أخوة وسنظل أخوة .

قال فراس : بعد عودتك بأسبوعين سأتحرك بقارب الصيد إلى ميناء نجوان ، وبعد وصولي سأبدأ بالتردد على الميناء لنجوان متنكرا بهيئة رجل عجوز والأمارة بيننا الفارس عثمان .

- الفارس عثمان ، نعم الأمارة

قضى باقي الأسبوع ضيفا على القائد عثمان ، وانتقل إلى أروى واستأجر مركبا تنقله إلى نجوان فالبحر يفصل بين المدينتين ، ولما دخل القصر علم أن الملك هشاما قد هلك ، فبكى وبكى وعزى الملكة ، وقال: رغم حلاوة السفرة ؛ فإنها أسوأ أيام ، مات أبي وهو يقول ابق جنبي.

الاغتيال

بعدما خف حزن الفراق وندمه على هذه السفرة اخبر الملكة بما فعله في بلاد النملة فقالت: أترى أننا بحاجة لهذا الرجل بعد وفاة الملك رحمه الله؟!

فبعد صمت وتأمل رد الأمير: أتريدين فعل النفي؟

- أليس هذا حلا؟

قال متشككا : أيقبل أبناء العم بهذا النفي دون مقاومة ؟! صاحبي عثمان يخشى من هذا الفعل.. أيمكن أن تحدث ثورة وتمرد في البلاد ؟ لم أفكر بردة هذا الفعل عندما اقترحت هذا الحل .. ألهم قوة أيتها الملكة للثورة علينا؟!

قالت بتأنٍ :لا يقبلون بسهولة ، سيتدخل الأكابر ، سيشفعون بعض السادات ؛ ولكني مصرة على النفي أو تسليم حفص للقاضي .. نار الحقد تشتعل في القلب يا عمر بكر .. الغدر والخيانة علقهان .. آه ليتك قتلته يا عمر بكر!

- لم تطاوعني نفسي أن أكون مثله ولو باسم الانتقام ، وأنا القادم إليكم بعد عشرات السنين أن أتقرب منكم بدم حفص .. وأتقرب من أبي بدم ابن أخيه .. الموقف حاد

تنهدت الملكة وقالت : أنا أعذرك .. أنت الصواب .. إنها لحظة انفعال حاد وحسرة ..آسف أيها الأمير .. القاضي العدل

قال : هذه الخطوة المهمة كانت قبل وفاة أبي الملك ، أما إذا اردنا تنفيذ النفي نحتاج لعين بينهم

ترك الأمير أخته بعد هذا الجواب وسمعها تقول :

سيكون مهرجان غداً خاصا بالجند والعساكر هل ستكون معي ؟

– وموت الوالد؟!

– هو مرتب قبل وفاة الوالد ، وهو مهرجان سنوي

– متى وقته؟

– عادة يبدأ من الصباح ؛ والملك أو من ينوب عنه يذهب إليه عند العصر لتوزيع الجوائز والهدايا على المتقدمين من الفرسان والجند

– عندما نلتقي صباحا سأبين رأيي

اعتذر الأمير للملكة عن صحبتها لتوزيع الجوائز في عصر اليوم ، وذهب يتفقد مزارع الحيوان والخيل الخاصة بالقصر الملكي، واجتمع الأمير بغلمانه المائة الذين وهبهم له والده الملك ، وكان قد عهد لخادم خاص منهم اسمه غضب بأن يكون عريفا عليهم ، وسمح لهم بالتدرب على الفروسية والرماية بسبب تعدي بعض اللصوص على حظائر الخيل الملكية ، واحضر لهم مدربين من الجند يشرفون عليهم ، وكان يتفقدهم بين الفينة والأخرى عندما يكون متواجدا في المدينة لقد جعل نهاره هذا لمشاهدة الغلمان وفروسيتهم ، فكما أن الملكة ترعى فرسان المدينة فهو يرعى غلمانه ، ولما قابل المدربين بينوا له مستواهم القتالي والحربي ، وذكروا عدة أسماء منهم ، تعرف عليهم الأمير رؤية العين ، ووعدهم بالهبات وربما الحرية إذا ثبت إخلاصهم له ، واخبر أنه ينوي إنشاء كتيبة خاصة به منهم ، وهم نواتها وأعلمه غضب أنه أضاف خمسين إليهم خلال الأيام الماضية

وعندما هبط الليل بوقت يسير جاءه احد الفرسان مخبرا أن الملكة تعرضت للاغتيال في ميدان الفروسية ، وتمكن حرسها من إنقاذها والعودة بها إلى القصر مصابة ، نظر لأحد المدربين واسمه مديد : ما الأمر أيها القائد؟!

– قبل أن اعرف التفاصيل أرى أن لأبناء عمك هاشم يدا في المؤامرة

قال الأمير : يا غضب فليأت رجالك للقصر .. سأكون حازما الليلة هيا أيها القادة

دخل الأمير القصر يصحبه القادة والغلمان ، وصعد لغرفة الملكة حيث قالوا إنها ترقد فيها ، وكانت ممددة على السرير تئن وتتألم من الوجع ومن الطعنة الغادرة ، فلما رأته قالت : أرادوا قتلي أيها الأمير !

اقترب من وجهها ، وقبلها الأمير ومسح دموعها وامتصها عن يده ، فقال قائد الحرس الذي ما زال يجلس في حجرتها: بينما كانت الملكة تتابع الفرسان في الميدان هجم عليها الغادر من الخلف بخنجر كان يخفيه في كم ثوبه ، استغل فترة المتابعة للشجعان ، ولكن أحد الحرس انتبه له في

اللحظة الأخيرة وهو يرفع يده طاعنا الملكة بعد أن أصابها الخنجر ، وقبض على الجاني الغادر وهو في سجن القصر ، وتم نقل الملكة إلى القصر.

قبل الأمير أخته من جبينها ورأسها وقال للطبيب : كيف الجرح أيها الطبيب؟!

– فعلنا اللازم ، لقد دخل الخنجر جسمها من الظهر والجرح عميق والشفاء بيد الله.

التفت الأمير لقائد الحرس: أين الأداة القاتلة؟!

– الخنجر موجود والقاتل موجود في سجن القصر

سأل الأمير : أقال شيئا؟

– يرفض الكلام ، ولأبناء عمك يد في الجريمة

– أكيد

– أكيد

كان خالها يبكي وزوجته وأمها ، فقالت الملكة: إنهم يسعون للخلاص منا ، يريدون العرش يا خالي .. لم يكن القتل الماضي من أجل امرأة .. اتخذوها ذريعة

سأل الأمير : أيستطيع قائد الحرس القبض على الأمير هاشم وأولاده لو صدر إليه الأمر ؟! أتستطيع فعل ذلك أيها القائد؟!

رد القائد :أفعل إذا أمرتني الملكة!

فقال الأمير عمر بكر : إذن حاصر بيوت القوم ، واستعن بالجند .. فقط حاصر أهم منازلهم وغدا عندما نطمئن على حياة الملكة نفعل الصواب

أمر الأمير غلمانه بالبقاء حول حجرة الملكة والقصر لحماية الملكة من يد كل غادر لو كان الأمير نفسه ، وأمر بعزل كل الجواري عن حجرة الملكة ، وكذلك الخدم ، ومنعهم من الدخول حجرة الملكة هذه الليلة ، وأبقى خادمتها الخاصة داخل الحجرة لا تخرج منها إلا بمرافقة أحد غلمانه وعلمه لها ، وقال لها مشجعا لأخته : وسأنام أمام حجرتك أيتها الملكة ، وسترين مني غداً ما يسر قلبك

وقال الطبيب: هل أبقى في القصر أيتها الملكة؟

– نعم ، عليك أن تنام في القصر أرسل أحد الغلمان مخبرا لعيالك فهم يعيشون خارج القصر

قال الطبيب :نعم ، يا مولاتي .. فالناس تتداوى عندي بأمر الملك ـ رحمه الله ـ وأنا أطمئنك بالشفاء ـ إن شاء الله ـ لقد أنقذ الجندي الباسل حياتك فحرفت يد المجرم

قال الأمير بعد مغادرة الطبيب الحجرة الملكية: سأقابل اليد الآثمة

– لا تتأخر عليّ إني أحس بالأمان بوجودك بقربي

– سأحميك يا مولاتي بكل ما أملك

وأخذ يدها مقبلا وداعيا فقالت: شكرًا أيها الأخ الشجاع

كان الصباح يحمل أخبارا سيئة ، فقد انتكست حالة الملكة الصحية ، وارتفعت الحمى في بدنها

وأصبحت تهذي من شدة الحمى ، واجتمع حولها الطبيب ومعاونوه كلهم ، وكان عمر بكر قد التقى بالشاب الغادر ليلة أمس ، وأنكر أن أحدا دفعه لاغتيال الملكة ، ولم يذكر سببا خاصا للاعتداء عليها ، فانهال عليه بعصا يحملها دائماً ، وتوعده بالموت الشديد خلال النهار ، ولما ازدادت الحمى على بدن الملكة عند الصباح ، عاد إليه وضربه عدة لكمات قوية من فارس متمرس وقال: من جندك للجريمة ، وألبسك ملابس الجند ؟!

أصر على الصمت وأنه فعل ذلك من نفسه دون أوامر من أحد فقال: أيصدق أحد أنك فعلت ذلك من تلقاء نفسك ؟ وأنت ما بينك وبين الملكة شيء؟! سخروا منك وقالوا أقتلها وسنحميك ونزوجك.

فقال بإصرار : لن أتكلم بشيء

– تكلمت أفصحت .. ولماذا تكره وتحقد على الملكة يا كذاب؟! اعطني السيف أيها الجندي.

تناول عمر بكر السيف من الجندي وهزه يمينا شمالا للإمام وقال للغادر: ألديك كلام يا خائن؟ ألديك وصية ؟

هز رأسه بالنفي فنخزه عمر بكر في بطنه بالسيف فرفع عنقه للأعلى ، فأطاح السيف رأسه عن كتفيه فشخر ومات ، وأمر بعض الغلمان بوضعه عند بيت الأمير هاشم حيث يحاصر الحرس والجند المنازل .

وصعد الأمير حيث الملكة تعاني ، فوجدها ما زالت شبه فاقدة الوعي ، وتتألم بصوت مرتفع وأمها بجوارها وخالها ، فالتفت لقائد غلمانه الذي يقف أمام غرفة الملكة وقال : استعدوا للانتقام أيها الشبان؟

فأكدوا له أنهم أطوع له من بنانه ، فخرج بهم يحملون الحراب مشهرة بين أيديهم إلى حيث يحاصر الجند منازل أعمام الملكة فطلب القائد : هل من خبر؟

– ينكرون أن لهم يدا في المؤامرة

استدعى الأمير أحد أبناء العم المعروف بعدائه للملكة ـ قبل أن تصير ملكة ـ في عدة مواقف معروفة منذ قتل أسد ، ولما وقف بين يديه : من منكم يقود هذه الفتنة على حياة الملكة ؟

– لا أحد يتآمر على حياة الملكة .. نحن أهل للملكة ، لسنا أعداء

– ولكنكم قتلكم شقيق الملكة ابن عمكم من قبل .. واليوم الملكة نفسها

وبينما هو يتجادل مع ابن عمه اخبره أحد الاتباع أن رجلا زنجيا يطلب الحديث معه ، فخرج إليه ، وقد تذكره ، فلما رآه عاتقه وقال معتذرا : نسيت أمرك ، فلما عدت من بلادكم ، وجدت الملك أبي قد مات إلى رحمة مولاه ، وأمس تعرضت أختي

الملكة لمحاولة اغتيال ؛ ربما لا تنجو منها ، وأبناء عمنا المتهمون بذلك

وبعد أن شرح لفراس التطورات الحادة في المدينة ، طلب الأمير باستدعاء أبناء أعمامه الموجودين في المدينة جميعهم ، فجيء بهم وسعى بينهم أن يعترفوا عن المتآمر فلاذوا بالصمت.

فأمر الأمير بتوثيقهم ثم أمر غلمانه بقتلهم جميعا ، وشارك فراس بالفتك معهم ، وأمر فراس الغلمان بحرق جثثهم ، وأمر الأمير الناقم عميه والنساء والأطفال بمغادرة المدينة بأسرع وقت فما هبط الليل حتى كانوا خارج المدينة ، فقد فتك بأكثر من عشرين نفس ، وما نجا إلا من كان غائبا عن المدينة ، وأرسل وراء عدنان الربان ، وأعلمه الأمير بأنه طارده في أروى وسادة ، وأنه هو الذي قتل عفريتا ، ويعلم اتصاله بحفص ، وسأل عن مكان حفص بعد مقتل عفريت ، وأعلمه بزواج الجارية الخائنة من خانتوش وكيل أصحاب العقار ، فأدرك عدنان قوة هذا الرجل الذي أمامه ، فارتعب وأحس أن روحه تكاد تطير من بدنه فقال: أصدقك الحديث بعد موت عفريت ذهبت لهم بمال كالعادة ، وأخذت زوجته وجاريته وعدت بهم إلى نجوان ، وهو منذ مقتل مساعده عفريت لم ينم في البيت ترك الجميع ، وأمرني بأخذ المرأة والجارية إلى نجوان وأنه تخلى عن جميع أهله ، ويعيش هائما في الدنيا ، وأنه طلق نساءه .. والله لا أدري يا مولاي أبقي في سادة أم تركها؟ وما دامت قالت الجارية إنه اختفى وتزوجت، فصدق أنها لا تعلم .. فضل الحياة على أن يموت كما مات عفريت

– أنا أعلم أنك مرسال وبريد بين حفص وإخوته ؛ فإذا علمت في أحد الأيام أنك كذبت ، سيحصل لك ما حصل لأسيادك البغاة.

أمر الأمير بمصادرة أملاك الأميرين هاشم وهشيم وتوزيعها على الجند الذين شاركوا في القضاء عليهم ، ورجع إلى القصر يصحبه الزنجي فراس وغضب ورجاله ، وقد أخبرت الملكة بما فعل الأمير وسكتت ، فلما دخل عليها قالت: أقتلت أعمامك؟!

– لا ، قتلت أبناء العمومة لابد من الانتقام من الخونة ، والذين يصمتون على الخونة .. لقد زاد بغيهم علينا .. نفيتهم واتباعهم .. لابد من القسوة أيتها الملكة .. قتلوا أسدا وصمت كل المملكة لم يتحرك أحد للقضاء على حفص للعدالة ، وظل الملك حزينا على أسد حتى لحق به كمدا .. واليوم يعتدون على الملكة دون ذرة قرابة ورحم وغدا أنا غمغمت الملكة بكلمات غير واضحة ، فتركها الأمير وساق ضيفه إلى قاعة الطعام يأكلان كأن لم يحدث شيئا في المدينة ، وأبدى الزنجي إعجابه

بالأمير وشدته ، ونقل له تحيات القائد عثمان ، فعرض عليه الأمير العمل معه كأسياف

فقال: وسيدي القائد!

– لقد بذلت جهدا قويا في الفتك بهم

– هذه مهنتي يا سيدي

– سنتكلم مع القائد .. قلبك قوي لا تجفل من الدماء .. سنكتب رسالة للقائد عثمان.

فقال فراس متنبئا : آترك الهدوء والراحة لأعمل في بلد ستشعل نارا ؟!

– أتظن ذلك ؟

– عندما تذهب الصدمة سينالون منك .. أليس لهم أصدقاء وأصهار؟!

رغم الجهد الذي بذله أطباء القصر وغيرهم من أطباء وحكماء المدينة تدهورت صحة الملكة هند ، فدعت الوزير الأكبر وقائد الجيش وقائد الحرس والأمير عمر بكر وقاضي البلاد الأكبر ، وبعد اكتمال تواجد هؤلاء السادة أعلنت لهم الملكة أنها ستسند الحكم والولاية الكبرى لأخيها من أبيها الأمير عمر بكر ملكا على الأمة وعليهم أن يطيعوه ، وتوسلت للقاضي أن ينكحه إحدى حفيداته ليتشرف بها ، ويتابع الولاية مكانها حتى يكبر ابن شقيقها هيثم ، ويتوج ملكا للبلاد ، ولما اقسموا على ذلك غمرتها السعادة وقالت لعمر بكر: احفظ أولاد أخيك هيثم وشيماء .. هؤلاء أمانة في عنقك .. وراع العدل في الرعية . فعاهدها الأمير على الوفاء أمام كل الأعيان .

وبعد أيام يسيرة ودعت الملكة هند الدنيا ، وفارقت الروح الجسد بعمر الشباب ، وبكى الناس ملكتهم الصغيرة بكاء مشهودا ، وخاصة عمر بكر ، وتم دفنها بمراسم ملكية ، وقضى الأمير ثلاثة أيام في مقبرة الملك من آل عامر ، ثم سعى الوزير والسادة إليه فأخرجوه من حزنه إلى حمام الملوك ، فاغتسل وألبس حلة ملكية ، وساقوه على جواد ملكي نحو قصر وديوان الحكم وأعلنوه ملكا على البلاد والعباد حسب وصية الملكة الصغيرة هند بنت هشام ، وبعد الإعلان تقدم الأمراء والكبراء لبيعته والوفاء لحكمه ، فصافحوه وبايعوه.

وفي اليوم التالي خرج لباحة القصر يبايع الخاصة والعلماء والتجار وأصحاب الحرف ومشايخ الحارات في بلاد نجوان ، وقضى أياما ثلاثة في البيعة ، وأخبره الوزير أن احتفال التتويج للملك الجديد سيكون بعد ستين يوما على وفاة الملكة الشابة ، واستعدوا لتزويج الملك من حفيدة القاضي زيد بن قاسم الأميرة باسم

وكان القائد عثمان قبل بقاء عبده فراس لدى صديقه عمر بكر إلى حين ، فكان الرجل يمشي

خلف الملك كظله بهيئته المخيفة ، وعينيه الحمراويين ، والسيف الطويل على جنبه جاهزا للفتك بأي شخص وإشارة من الملك وبدون إشارة

كان الملك عمر بكر قبل المشي لديوان الحكم يذهب لقبر الملكة هند مسلما ويفعل ذلك في المساء ثم يدخل القصر إلى حجرة النوم التي يتفقدها العبد الأسود فراس ، ثم يدخلها الملك ليرقد فيها فيقضي معه الشاب ساعة يتناولان فيها الطعام ، ثم يذهب لغرفة مجاورة للملك ليكون بين يديه في أي لحظة

أظهر الملك عمر بكر للسادة قدرته عل إدارة أمور المدينة ، ومتابعة القضايا الصغيرة والكبيرة وكان قد زاد من اتباعه وغلمانه وبرعاية وتدبير من فراس الذي كان يفارق القصر لشراء المزيد من الرقيق من عند النخاسين لزيادة غلمان الملك ، وبعد مرور أيام الحداد الستين توج عمر بكرا ملكا رسميا بحفل كبير ، وأخذ القوم يستعدون لحفل زواجه من الأميرة باسم حفيدة القاضي زيد ؛ لتدعيم مركزه المعنوي في المدينة

ولما انتهت الاحتفالات انتقلت الأميرة الشابة للعيش معه في قصر النوم حيث يعيش أفراد أسرة الملك الراحل من غلمان وخدم ، واستعد السادة لتتويج الفتاة ملكة مع زوجها .

وأهدى الملك جارية حسناء لفارسه فراس الذي يتفانى في خدمته وحمايته ، وأسس له شبه كتيبة من العبيد ، شكره فراس على هديته ، والملك أيضاً ارتاح لامرأته ووجدها طيبة ومتعلمة وتحب القراءة والشعر وتقوله ، وعاشا سعيدين ، وكانت الفتاة قد تعلقت به وأعجبت بفروسيته ، ورأته بطلا كبيرا ، فقالت فيه أشعارا انتشرت في المدينة ، كملت السعادة بوضعها المولود الأول له وسماه هندا لأنها أنثى.

وكان الملك يخرج من قصر النساء أو النوم إلى قصر الحكم راكبا بغلة سمينة بسرج كأنه مقعد فخم ، بين يديه العبد فراس بهيئته المثيرة للرعب على جواد قوي ضخم كأنه فيل هندي ، ويمشي بين صفين من الغلمان المدربين على السيف والحماية ، يتقدمهم جنود الحرس وبعضهم في الخلف كان موكبا مخيفا لمن تسول نفسه الاعتداء على الملك ، ويظل الملك بين صفين الغلمان حتى يدخل القصر ذهابا وإيابا ، ويستقر على كرسي العرش ، وهكذا كل يوم ما عدا الأيام التي لا يذهب فيها الملك للديوان لعلة لمناسبة ، وأخذ يخطط لبناء قصر جديد له ولحاشيته كما أشار عليه فراس ، وسر الكثير من السادة لقوة الملك الجديد ، وعاد بالكبار ذكرياتهم مع الملك هشام عندما كان شابا ملكا ، وارتاح الوزير والقادة لاختيار الملكة له ، وعرفوا

رجاحة عقلها وعقل أخيها وأنهم من صلب رجل واحد ، وانتشرت قصة مطاردته لحفص وقتله لعفريت ، وسعى بعض الناس للصلح بين الملك وأعمامه ورعاية شيخوختهم بالعودة للبلاد ، فقال الوزير: بعد رحيلهم عاد الهدوء للبلاد ، كانوا يستغلون قرابتهم للملك دون علم الملك للفتنة في البلاد ؛ فإذا عادوا سيعودون للتآمر والدسائس ، ولا تنسوا أيها الكرام أن حفصا ما زال هاربا عن سيف الجلاد ، ودم ابن الملك معلق في عنقه ، فلا عودة حتى يعتلي هيثم العرش ، وهو صاحب الحق في الدم

كان الملك عمر بكر قد ضرب أعمامه ضربة قوية تركت أثرها على كل أعوانهم واتباعهم في المدينة ، عندما رأوه لم يشفق على أعمامه فكيف هم ؟ وقوى الملك غلمانه وكتيبته الخاصة ، وأنشأ قوة خفية تنقل له الأخبار بسرعة ، فكان يجلس على كرسي العرش في الديوان الكبير حيث يستقبل الوفود والرسل ، واستقبل ذلك النهار وفود المدن البحرية بين ضفتي البحر لتنظيم التجارة والحماية بين هذه المدن ، فقد ظهرت عصابة أو عصابات تعيق حرية الملاحة والتنقل بين المدن البحرية ، لقد تعرضت عدة سفن للصوص البحر ، وسراق السفن يعتدون على سفن نجوان ونورا في الجهة الجنوبية من البحر ومن الشمال أروى وسادة وغيرها من الموانئ ، وأهل البحر حياتهم البحر والتجارة بالسفن ، وكان اللقاء حول القضاء على أولئك اللصوص وإضعافهم قبل أن تعم الفوضى البحر ، وتشتد شوكتهم إذا لم يلقوا صدا ومنعا قويا ، وكانت الوفود قد اجتمعت بالوزير وأمير البحر ، وذكروا له الخطط المناسبة لهذا الفلتان البحري والقضاء على عصابات البحر ، ومعرفة من يدفعهم ويقودهم ، واتفقوا أن تحمي كل مدينة سواحلها وعمق معين من البحر ليل نهار ، والتعاون على مطاردة اللصوص بحملات قوية ونصب فخاخ وكمائن لهم في البحر ، ومطاردتهم في الجزر البحرية الصغيرة والمهجورة حيث يتخذونها أوكارا لمسروقاتهم ، والاتفاق على إشارات معينة بينهم ، ثم دخلوا بعد ذلك لتحية الملك وعرض أفكارهم عليه ليبارك خططهم.

وأحب الملك بعد السلام أن يسمع التفاصيل تفاصيل الاتفاق والخطط المقدرة للقضاء على أولئك اللصوص لإبقاء حركة التجارة والصيد في حرية وأمان ونشطة دون عوائق بين المدن المطلة على البحر من الجهتين ، وبعد أن استمع الملك لهذه التفاصيل دون كلل وملل ، وأثنى الملك عليهم

وعلى تعاونهم الضروري ، دخل الحاجب وأخبره أن شخصا اسمه عدنان يعرفه الملك يرغب بلقاء معه ، خرج فراس وقابله أولا فعرفه ، عندما التقى به عمر بكر بعد مقتل أبناء عمه وبعد التحية قال : ما الخطب أيها البحار؟

– الخطب لديّ رسالة من ابن عم الملك المختفي حفص بن هاشم

– التقيت به !

– أبدا ، جاءني مرسال منه

– حسنا ، الملك في اجتماع مهم لأهل البلد مع وفود المدن الأخرى ، فلما ينتهي اللقاء تدخل عليه .. إياك أن تغادر الديوان قبل أن تلقاه . ونادى غلمانا من غلمانهم قائلا: احرس هذا الرجل ولا تجعله يغادر القصر أو يتحدث مع أي إنسان

عاد الفارس يقف خلف الملك كما رتب ذلك ، وسارّه بأمر عدنان ، ولما انتهى الاجتماع بمباركة الملك ، ووصى وزيره بإتحافهم بهدايا لملوك بلادهم ، وحث الوزير على التعاون بكل قوة على ما اتفقوا عليه لحماية التجارة والصيد ، وبعد وداعهم اللائق بهم ، ادخل عدنان إلى الديوان ، وحيا الملك بالسلام وأجلسوه قبالته ينتظر الإشارة بالكلام ، فلما عاد الهدوء والسكون للديوان بعد مغادرة الوفود قال الملك : ما وراءك أيها البحار؟

– أحيي مولاي الملك عمر بكر .. أنا مخلص لعرشكم مدى الحياة .. لقد اتصل بي حفص ابن عمكم الهارب ، وارسل لي رسولا برسالة يطلب فيها المثول بين يديك لتقتص منه بدم أخيك الأمير أسد .

ودفع الرسالة للحاجب الذي ناولها للكاتب بإمارة من الملك الذي أخذ يستعد لقراءتها قال الملك : قبل أن تقرأ أين الرسول ؟

قال عدنان: في داري ، وهو عبد مستأجر .

– ولماذا يريد أن يسلم نفسه للقضاء اليوم ؟!

قال عدنان مجيبا : نعم ، يا مولاي يريد أن تعفو عن والده وعمه؛ ليعودا للمدينة ويدفنا في مسقط رأسهم .. فهم يعيشون حياة كل ذل وهوان .. يتنقلون بين المدن ويقولون الرحم الرحم أيها الملك.

فصاح الملك بغضب : ودم الملكة الشابة هند أخت الملك وابنة الملك والملكة أين دمها؟!

فبعد هدوء الملك قال عدنان : ألم يقتل المتآمرون يا مولاي ؟

– المتآمرون .. لم يعترفوا لم يعترفوا .. عيونهم فقط هي التي اعترفت بالجريمة ، لكنهم لم يعترفوا من سلط ذلك الغبي ليقتل الملكة سيدة البلاد .. حتى أعمامي لزموا الصمت حتى والد برة امرأة أسد لم يتكلم أيها البحار!

قال عدنان مفسرا : قد يكون الأمير حفص هو

الجاني والمجند لذلك الغادر

قال الملك : لا ، لا ، أيها البحار لماذا سكتوا ؟! لماذا صمتوا ؟! إنهم يعرفون أنهم متآمرون على دم الملكة .. ظنوا بالقضاء عليها أن ينتقل الحكم إلى أحد أعمامي خاصة هشيم لبضع سنين ، ثم نذهب نحن .. وما أنا إلا مجرد دعي قبل هشام تبنيه .. لعبة خبيثة .. سيموت الملك الكبير متأثرا بموت وحيده ، وسيلحق بابنه حزنا وكمدا .. وهند فتاة ستتزوج وتبتعد عن الحكم سيكون هشيم أو ابن له ملكا .. أنت بحار ساذج لا تعرف كيف تحاك الدسائس والخيانات ؟ أنا عشت في المعارك وبين القادة .. القائد عثمان في عز المعركة والقيادة خونوه ليتخلصوا منه .. ضحوا بعدد من الجند ؛ ليكون خائنا .. وربما يضعون ملكا هاشما نفسه .. لكن القدر أرسل إليهم ابنا للملك من الغيب .. فعجلوا بقتل الملكة قبل أن يقوى الأمير الشاب الفارس هذا ما حلموا به يا عدنان ؛ لذلك أصروا على الصمت .. كلهم خونة .. لقد تركت بينهم عيونا لي وللملكة ..صمتوا حتى أمام السيف

خيم الصمت القاتل على الديوان لدقائق ثم همس عدنان: والأمير حفص

– فليبق في مخبئه ، وليحذر من العودة لمدينتنا ، وليبق أعمامي في منفاهم .. لا نريد أن نعود للدماء والثأر ..يجب أن تحيا البلاد بهدوء وسلم أيها البحار .. وعندما يكبر ابن الأمير أسد الأمير هيثم ويصبح سيد البلاد ، ويعتلي هذا العرش ؛ لعله يعفو عنهم أو يقتص لأبيه .. اقرأ رسالة الخائن الجبان.

قرأ الكاتب أمام أهل الديوان الرسالة التي يطلب فيه العودة للوقوف أمام القاضي مستجديا عودة أبيه وعمه وأمه وزوج عمه هشيم.

فلما سكت الكاتب قال الملك : قل للرسول ما سمعته مني ، فلا أحب عودتهم وأنا أجلس على هذا العرش.

وحيا عدنان الملك شاكرا له تكرمه ، وأخرجه السياف فراس ، وفتح الحاجب باقي القاعة على الأمراء الجالسين في الديوان ، وظل الحاضرون ينتظرون كلام الملك وبعد حين قال: سيعقد الوزير معاهدات مع ملوك المدن البحرية الساحلية لمحاربة لصوص البحر حتى يعود الأمان للسفن والتجارة .. فعلى أمير البحر القائد شهران زيادة جنوده وبحارته .. وألا يتهاون مع أولئك اللصوص .. فالتجارة عصب المدن وحياتها.

فقال الوزير: لقد اتفقت مع أمير البحر أن يزيد عدد جنوده إلى الضعف إلى ألفين فارس وبحار وأن يتعاون مع بحارة المدن الأخرى الأربعة ؛ لتحقيق الأمان لجميع السفن المتنقلة بين المدن

الأربعة .. وأمرت يا مولاي الملك أيضاً قائد الجيش البري بزيادة جنده للحفاظ على سواحل المدينة البرية .. والقبض على كل من يلجأ للساحل من أصحاب القوارب والتأكد من سبب وجودهم في تلك المناطق .. وتثبيت أسماءهم في سجل خاص فهؤلاء اللصوص يصنعون أماكن وموانئ خاصة بهم للاختفاء والاختباء .

قال الملك : عظيم ! عمل كبير منك أيها الوزير .. وهل تسمح خزينة المدينة بتغطية نفقات هؤلاء الجند ؟!

قال الوزير : اتفقت مع وفود المدن لتغطية هذه النفقات الجديدة إلى زيادة نسبة الضريبة المأخوذة من السفن مقابل حماية أموالهم وأرواحهم حتى نخلص من القرصنة .. واتفقنا أيها الملك على أن ندفع لأي سفينة تتعرض للقرصنة في مناطق حمايتنا تعويضا .. للسفينة المنهوبة أو المحروقة حتى لا يتهاون بحارة وجند أي مدينة في حماية أي سفينة.

قال الملك مشجعا : أنت وزير حكيم وفطن !

تمت قصة مدينة نجوان

روايات اجتماعية

حياتي قبل الحياة

الحلقة الأولى

نادي القراءة

دخلت قاعة القراءة الكبرى في نادي القراءة في شارع القارئ ، في هذه القاعة تجد عددا كبيرا من القراءة الصغار والكبار الذكور والاناث ، ولا يجلس فيها إلا من يرغب في القراءة فقط ، أما من أحب الثرثرة والمجادلة فهناك قاعات أخرى لذلك ، وفي النادي مقاهي صغيرة لجلسات خاصة أو عائلية ، ومطاعم متنوعة ، ولديهم في النادي مسرح صغير ، وصالة عرض لأفلام خاصة ، والاشتراك في النادي كعضو مقابل مبلغ يسير .

وأهم رواد النادي الأدباء والشعراء وغيرهم ، والنادي مفتوح لكل المواطنين ، ولا أريد أن أزيد في وصف نادي الثقافة والقراءة المجانية ، المهم أنني زرت النادي على موعد مسبق مع ثلاثة أشخاص عرفتهم من زمن بعيد من أيام المرحلة الاعدادية وأحببتهم ، أقصد الصديق العزيز مال الدين حسين الدين .. وثاني عرفني عليه مال الدين في المرحلة الثانوية ، ثم قبل سنوات عرفني على توأمه الأخت الفاضلة أولى التي تركت المعهد الفرنسي وتزوجت رجلا قد تزوج مرات متعددة ، وعملت في المعارف كمدرسة حتى تقاعدت من زمن يسير .

درسنا في مدرسة اعدادية واحدة أنا ومال الدين ، وكنا نقرأ الروايات البوليسية معا سواء في المدرسة أو في المنازل ، ونتبادلها ، ولما انتهى الثالث

الإعدادي رحل لمدرسة ثانوية ، وذهبت لأخرى ، وظللنا أصدقاء لليوم عام ١٩١٧ ، وأصبحت أستطيع كتابة رواية ، وأستطيع تأليف كتاب ،فرغبت أن يحدثني عن أشياء عن حياته ؛ لعلي أستطيع تحويلها لقصة يتسلى بها الناس وذكرى لي ، ويطلع عليها الأجيال القادمة ؛ كي يعرفوا صورة مجتمعنا ؛ كما نجتهد لنعرف كيفية كانت حياتهم ومعيشتهم ، وبعد نقاش جاد قَبل أن يتحدث عن محطات مهمة منها ، أو أهمها واخترنا الحديث عن علاقته بأسرة ثاني موسى شاب تعرفنا عليه في فترة الثانوية .. وقصته فيها أشياء مهمة ..كيف هي حياة تلك الأسر الغنية إلى حد ما ؟ وكيف يستطيع الانسان التخلص من رواسب الماضي مهما كانت ؟ وأن التوبة يمكن أن تكون لكل عاصي أن يتحصل عليها مهما ارتكب من المعاصي .. ووافقت السيدة أولى بالحديث عن علاقتها وعواطفها نحو مال ومقاومته لرغباتها الشهوانية ، وأنه استطاع أن يقنعها بالشفاء من كل أمراض المدنية والرغبة التي تدفع الناس للضياع مهما كان السقوط ، وذلك الفصل الذي كتبته عن نفسها واعترافاتها الصريحة ، قد تُعين من عاشت بمثل ظروفها وحالها أن تعود للحياة السليمة المتوافقة مع الحياة الإسلامية ، ولا تبقى على عنادها ، وتستسلم لشيطانها إلى الأبد .

قرأت في كتاب لمدة ساعة ، ثم غادرت قاعة القراءة متوجها لمطعم النادي الذي يسمونه المطعم الصحراوي بسبب شبه قاعاته بلون الصحراء والرمال حيث سيكون اللقاء على مائدة مال .

وما كدت أجلس حتى رأيت ستة عيون تحدق بي باسمة ، فابتسمت لهم ، وانتقلت لمائدتهم مصافحا لمال وثاني ومحييا لأولى ، ومعزيا بوفاة زوجها فشكرتني ، ورحبنا ببعضنا ، وتحدثنا عن أمورنا الخاصة، وأخبارنا ، وتناولنا وجبة مشتركة ، توددنا فيها لبعضنا بعضا حتى أني قلت لأولى: هل من زواج جديد ؟

ابتسمت وقالت : حدث ثاني عزيزي مالا بذلك فقال : أولى تترمل يا مال .. فهي كانت تريدك زوجا .

فقلت : وماذا رد مال يا ثاني ؟!

فتنهد ثاني وقال: قال بعد سبع وخمسين سنة نعدد ! وبعد أن داهمتنا الامراض نكرر .. أولى ذكرى جميلة يا ثاني ! ولا امرأة بقيت لي صديقة إلا هي .. فلنبق على ذلك .. وهي أخت فاضلة .. وكلما ترغب بزيارتها ؛ فأنا مستعد لمرافقتك نتبادل معها الحديث عن الروايات وغيرها .. فما زالت هذه الهواية تصاحبنا .

قال أولى : هذا أفضل يا جمال ! .. فصحتي اليوم لا تجعلني زوجة تقوم بواجباتها الزوجية ، ولن

أتخلى عن شقيقي ثاني الأرمل مثلي من سنوات .

قال : أنت تعشين في بيتكم في درب القلعة !

قالت : نعم ، عدت إليه والعود أحمد كما كنا نعيش أيام والديّ وأهلا بكم في كل وقت وحين .

قال مال مندهشا : هل رحلت ؟!

قالت : منذ أن انتهت عدة الوفاة قبلني ثاني بالحياة معه .

فقال مال : هذا أسهل للقاء بك ! لم أعرف هذه المعلومة إلا الآن .

قال ثاني مبتسما : لها أيام معي يا مال .. والحمد لله ـ ووضع كفه على صدره وقلبه ـ وأنا سعيد بعودتها للبيت.. وكما تعلم أن شقيقي يزيد يعيش في الطابق الأرضي منذ وفاة والدتي .. وأنا في الطابق الأعلى .. واليوم لماذا التقينا هنا ؟

فقال الكاتب الراوي : لشكركم على ما كتبتم من خصوصياتكم ، ولأعزي أولى وإن تأخر عزائي ؛ لأنني لم أكن في المدينة من شهور ، ولأخذ موافقتكم على نشر ما اعترفتم به ، وامكانية نشره كما كتبتم ؛ لعل من اطلع عليها يعلم أن باب التوبة مفتوح ، وأن السعادة بالعودة إلى الإسلام مهما ارتكب الانسان من الآثام ، وأنه يمكن للمبتلى بالجنس ومشاهدة أفلامه أن يلجأ للإسلام ؛ لينجو من براثنه كما حصل لكما .

فقال مال : ويرغب صديقنا بإلقاء عددا من الاسئلة علينا خاصة أولى .

فقال الراوي : نعم، إذا أحبت ذلك ، والاسئلة حساسة نوعا ما ؛ وربما محرجة ؛ ولكن حراجتها أقل مما قلتموه .

قالت المرأة : هنا ..!!

قال : سنرتب لهذا إذا قبلتم .. وأقترح أن يكون في منزلك يا ثاني .

قال ثاني : لا مانع لديّ في الاجابة على أي سؤال أما أولى فلا أدري ؟

التفت الجميع إليها وقالت : كيف هي الاسئلة ؟

قال : عن المرأة والحياة الجنسية .

قالت بتردد قصير : إذا كان السؤال مناسبا أجيب عليه .. فأنا مربية ومدرسة وأواجه ؛ بل واجهت مثل هذه المشاكل من الطالبات والمراهقات .

انتقلنا لأحد مقاهي النادي ؛ لنشرب القهوة ، ونرتب لموعد مناسب لعرض بعض الاسئلة المحرجة على أم جلال .

الحياة الجنسية

ذهبنا لبيت ثاني في درب القلعة ، وطفرت الدموع من مال عندما دخل البيت وهو يصعد للطابق الثاني .

فقلت : تذكرت الماضي.

قال : تذكرت الماضي وأم ثاني وأباه .. كلما ألتقي بثاني هنا تدمع عيناي يا جمال .. كانت تألفني تلك

المرأة ـ رحمها الله ـ وتتحدث معي كصديق ورجل كبير .. رغم صغر سني يومئذ .

وجدنا ثانيا قد أعد لنا غداء وضيافة ، فقبلنا ضيافته وشقيقته، وترحمنا على الأموات وذكريات الطفولة والمراهقة .

وقدمت لنا خادمته الشاي والفواكه ، وتحدثنا عن أحوالنا وذرياتنا وقال مال : لنبدأ لمَ اجتمعنا له .

قلت : السؤال للجميع ..هل وجدتم من فرق بين الحياتين حياة الجهل والعصيان وحياة التوبة ؟ تركوا الإجابة أولا لأم جلال ، فابتسمت وقالت : تقديم المرأة حسنا ! وهل لهذا التقديم سند شرعي ؟

صمت الثلاثة وقال مال : الدكتور يشير للعبد الضعيف بالرد .. بارك الله فيكم .. الاكرام والاحترام مستحب إن لم يكن واجبا .. الحق أن هناك تفصيلا .. ففي بر الوالدين حق الأم مقدم على حق الأب للحديث الصحيح عن النبي ﷺ أمك أمك أمك .

قال جمال : جميل ! حملته أمه وهنا ووضعته وهنا ، ثم الرضاعة .

قال مال : إكرام العالم والرجل الكبير والمرأة الكبيرة وذو الشيبة مطلوب شرعا ، والايثار مرغوب فيه ؛ لكن قولهم لا إيثار في القربات أو الطاعات بعضهم يرى ذلك ، وابن القيم الامام عارض هذه القاعدة في بعض كتبه وبعضها أيدها . وحق الضعيفين حرج عليه النبي ﷺ أما عبارة النساء أولا فهناك تحوم حولها قصصا أشهرها القصة الإيطالية أن شابا أحب فتاة وأحبته ورفض أهلها زواجها ، فقتل نفسه قبلها ، وهي نكصت ، ثم تزوجت غيره فلذلك ظهرت عبارة النساء أولا من باب الحذر الذي ظاهره الاحترام ، ثم أصبح هذا عرفا في الغرب وعند الأحداث الجسام يقدم إنقاذ النساء والأطفال على الرجال وفي كثير من الأمور .

قال الكاتب : جميل فعلا ! لعل السيدة تجيب أولا

قالت أولى : دائما أنت ممتع يا مال ! ما زلت تقرأ .

فضحكنا وقال ثاني : مال عجيب ! شكرا لك يا صديقنا .

قالت السيدة : حياتي بعد التوبة بالتأكيد أفضل وأروع .. فرق كبير بين حياة الهدف والغاية واضحة منها رضا الله والجنة ، وحياة من أجل الحياة ، ثم موت لا أدري ما بعده ! كنا نبحث عن متع الدنيا بدون غاية .. لهو ولعب وإضاعة الوقت .. هذا ما عندي .

قال ثاني مكملا : كان همنا اشباع الغرائز والحاجات الفسيولوجية فقط .. أما الروح فلم يكن لنا أي اهتمام بها ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي

الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)﴾ الحياة بعد الضياع كما قالت شقيقتي أرقى وأعظم .

قال مال : أنا فترة ضياعي كانت أقل منهما ؛ لكن حياتي بعد التوبة والعودة أفضل وخير مليون مرة عن حياة الجاهلية .. ذاك الفضل من الله لنا جميعا .. قد تكون توبهما أكثر دفئا مني ، فالذي يقع في الآثام أكثر تكون توبته فيها حرارة أكثر ؛ ولكنها توبة ، فأنا مثلا لم أعرف الخمر والنساء .

قال ثاني : ما أصعب أن يكون هدفك في الحياء لمجرد الشهوات والملذات !

قالت أولى : المشكلة البيئة والتربية .. الكل لديه الرغبة بكسب الملذات .. هكذا الحياة في نظرهم .. مال يجلب ، ثم ينفق على تلك الشهوات بدون ضوابط ، بدون غايات عظيمة .

قال الكاتب : جزاكم الله خيرا .. المهم لماذا الجنس يفسد حياتنا ؟

قال ثاني : لابد منه للحياة ، وهو فطرة وطبع وغريزة خلقت فينا والانبياء مارسوه .

قال مال : بالزواج ، ولم يفعلوه خارج الزواج .

قال ثاني : أكيد .. أنا قصدي الحاجة الجنسية مغروزة في الجنسين الذكر والأنثى ، فكما نأكل ونشرب ونتنفس ونُخرج وننام فالجنس مثل ذلك

قال الكاتب : هذا مسلم به يا أصدقائي !..

السؤال لماذا نذهب إليه خارج العلاقة الزوجية ؟

قالت أولى : كما قال ثاني الغريزة فينا كغيرها من الغرائز ، وتبدأ ظاهرة بعد سن البلوغ لكلا الجنسين ، ويبدأ التفكير فيها ، ويتفاوت ذلك بين شخص وآخر ، والمجتمع الذي يعيش فيه الشخص هو الذي يكبح اندفاعها أو الاندفاع فيها دون محاسبة .. فنحن الشرقيون لا نحب تصريفها إلا في علاقة شرعية في مؤسسة الزواج يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ؛ فإنه أحصن للفرج ، وأغض للبصر فالبصر مفتاح الجنس .. أما المسلم الذي يجهل دينه ، ويجهل الحلال والحرام ؛ فإذا وجد منفذا إليها سيذهب إليه سواء بالمال أم بالحب والغرام .. فنحن نسميه الزنا ما دام لم يكن هناك زواج .. وغيرنا يسميه غراما وعشقا وخدنا ما دام بالرضا .. والسن له دور كبير في هذه الغريزة اقداما أو تراجعا .. تفكيرنا فيها اليوم ليس كما فكرنا فيه أيام الشباب

قلت : والبرود الجنسي أهو مرض ؟

قالت : أنا معلمة ، ولم أدرس علم النفس إلا كثقافة .. وكنت أرى ما تعاني منه المراهقات خاصة الضعيفات في التحصيل الدراسي فينشغلن فيه كثيرا .. توصف الكثير من النساء بذلك .. لأن الرجل يستطيع إنهاء الجماع بدقائق وأما الانثى فيتحقق لها ذلك بعد زمن .. فهذا ما يدفعهم

لوصف الأنثى بالبرود .. وربما لا تهتم بما يقال عن النشوة والرعشة ..المهم عندها الحب والعاطفة والاشباع العاطفي بالكلام بالغزل واللمس .. فالزواج هو من أجل الجنس وقضاء الرغبة .. فالمرأة تلبس وتأكل وتشرب في بيت والديها فلماذا تقترن برجل ؟ ! زين للناس حب الشهوات من النساء فالرجل هدفه الجنس والمرأة هدفها الحب .. وهذا معروف من قدم الزمن .. فالمرأة عندما تحمل تقل رغبتها في اللقاء ؛ إنما تقبل به إرضاء للزوج .. وهي مستعدة لقضاء أربعين يوما في النفاس ولا تفكر به ، ولا يعني هذا أنها عديمة الرغبة ؛ لأنها كما قلتم حاجة فسيولوجية ، يحتاجها الجسم .. والحديث النبوي موجه للذكور يا معشر الشباب والمرأة تستطيع أن تعيش أرملة أكثر من الرجل.. وأيضا الزوجة الأهم عندها الولد والامومة ، وفي نظري هي أصبر من الرجل عن المعاشرة .

قلت : وما تقولين بالحرية الجنسية والزنا؟

قالت : يقصدون بالحرية الجنسية ممارسة الجنس بدون زواج وعقود مثل البهائم تماما ودون مساءلة .. والفتاة تستدرج لذلك بداية بالحب والكلام الجميل والغزل وهذا الذي يثيرها وترغب فيه ، وأن يكون لديها حبيب ، ثم تتطور العلاقة للجنس؛ لأن الشاب يريد ذلك ، وهي تقبل ظانة أنه صادق العواطف ، وهو أخذ ما أراده منها ، وأصبحت ضحية له ، ثم سيملها وسيعتقد أنها سلمت نفسها لغيره ، كما سلمت نفسها إليه ، فينتقل لغيرها .. أما لماذا تقبل الزوجة وذات الزوج الزنا ؟ فأعتقد أن ذلك له أسبابا كثيرة ، قد تكون الرغبة والشهوة ، وأن الزوج لم يحقق لها ذلك بسبب الامراض والعنة ؛ لأنه ليست كل النساء بنفس القوة والشبق والاعتدال .. فلها حيز في جسدها ، وقد يكون فعلها للثأر لكرامتها من زوجها بكثرة خيانته لها .. فأنا عشت في أسرة فاجرة ـ أقصد أسرة زوجي الأول ـ الكل يبحث عن الزنا والانحرافات الجنسية ، وتعرضت للإذلال بسبب هذه العلاقة يا سيدي ، ولم أكن أعرف من الدين شيئا ؛ فلذلك اضطررت أن أتخذ العشاق عمدا ، ولم يكونا بتلك الفحولة التي يتحدث عنها بعض الناس .. كانت معاندة لمازن كما كتبت ، وأنني لم أهتم بهجره لي .. وتذكر عندما تقرأ قصتي كان ذلك لقبول هؤلاء لي ، وأن وجود ذكر ليس من الأمر بصعوبة ؛ إنما تسلية والتخلص من الانشغال بتلك الرغبة الملحة .. وتذكروا أنني لم أكن متدينة لأخشى هذه الجريمة

قلت: أشكرك الدين هو المانع للإنسان من السقوط والركض وراء هذه الرغبة ولو بالزنا .

قالت : أكيد وليس الخوف من أمراض الجنس

وغير ذلك أليس كذلك يا ثاني ؟

قال ثاني : بلى ، هذا صحيح .. أنا وقعت في الفاحشة صغيرا وكبيرا ، بدأت تسلية ورغبة سهلة التحقق .. يختلف هدفي عن هدف أولى .. وأنا تلك الأيام كنت أشفق على أولى ، وأتعجب من صبرها عن الرجال ، وكبتها لرغبتها الجنسية .. فنحن أقصد عائلتنا لم نكن ننظر للقضية ؛ كما ننظر إليها اليوم .. رغبة وعلينا تحقيقها سواء بالحلال أم الحرام .. فهذا الميزان غير موجود في العائلة هكذا تعلمنا يا جمال !

قال جمال الراوي : التحدث بهذا الأمر أمام البنات والفتيان بصراحة أصواب أم خطأ ؟

قالت : ربما في زمن كهذا .. زمن منفتح بالحديث عنه ، ووجود الصور والافلام الاباحية الحديث عنه مهم ، ويساعدهم بحماية أنفسهم ، فما يقول الدكتور ؟

قال الدكتور : الحديث جائز .. عندما نقرأ في كتب كذم الهوى لابن الجوزي ، وطوق الحمامة لابن حزم ، وأخبار النساء لابن القيم ، ونقرأ قصة النبي يوسف عليه السلام والكثير من الكتب داخل الكتب فيمكننا أن نتحدث عن الجنس بكل حرية ، وأرى أننا بحاجة بالحديث عنه أكثر لأنه أصبح يشكل خطرا على الشباب ذكورا واناثا ، والكثير من الجنسين جهال بالإسلام والتدين ، والتقليد للحضارة الغربية واضح في كل شيء أكل شرب لباس حلق الشعر ؛ فإذا تركنا هؤلاء بغير علم فسيضيعون كما ضعت وكما مرضت منه .. فكل شيء عندنا فيه علم .. الاستنجاء الاغتسال ادأب الزواج .. ما يقول عزيزنا مال ؟

ابتسم مال الدين وشكر وقال : الافلام الاباحية تملأ الانترنت ، وتختلف الغايات لكل شخص بالنظر إليها ، حتى أن البعض وصل للإدمان .. فنحن بحاجة لأدوية وحلول ؛ وكما قال الدكتور كثير من المسلمين لا يتحصنون بالدين والطهارة .. وهذه الغريزة من أقوى وأعنف الغرائز وأهلكت أمما كما نقرأ وحدث من قوم لوط لكن .. هل يكفي التثقيف فيها لحل مشاكلها ؟ هل يكفي أن نقول حرام ؟ هناك من لا يهمهم الحرام ، وهم يأكلون الربا .. فهي معصية مثل سائر المعاصي .. وهل يكفي حماية الشباب الملتزم المتدين منها ؟ فالضعف يقع فيه الجميع .. وسن الزواج ارتفع في كثير من بلداننا الاسلامية ، والطلاق زاد في غالب بلدان العالم .

قلت : حسن ما الحل ؟

قال مال : الحل ، لابد أن يكون هناك من حل وحلول .. والتمسك بالدين أحد الحلول ، فها هم في الغرب يتعلمون عن الجنس من أول الابتدائي ، ومع ذلك بلدانهم ترتكب فيها جرائم

الاغتصاب وهتك الاعراض .. والمرأة اليوم لها نفس صفات المرأة من أول الزمن .. والشهوات نفس الشهوات .. اليوم مثيرات الغرائز أكثر .

قال جمال : كيف نقاوم الافلام الجنسية ؟

قالت : أنا عندي فتيات تشاهد هذه الافلام بدون مانع .. ويعترفن بأن والديهنّ يفعلون ذلك .. فماذا سيمنعهن من الوقوع في الجنس إذا توفرت لهن الاماكن لفعل ذلك ؟

قلت: هذه هي المأساة يا دكتور !

قال الدكتور : حتى لو سمحنا شرعا بجواز رؤيتها هل ستعالج بذلك القضية ؟ فالنسبة للمتدين يكون الحل سهلا ، ولكن بالنسبة للصغار والجهال أنا في رأيي أن الأمر صعب .. الناس تعرف ضرر السجائر وتدخن ، يعرفون خطر الخمر ويشربونها .. أنا لا حل قاطع عندي .. فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .

قال مال : الارادة للمبتلى أن يحمي نفسه ، ولا يشاهدها، ويبحث عن البديل الشرعي .

قلت : وما هو البديل؟

قال مال : البديل القراءة للكتب للقصص اشغال وقت الفراغ .

قال جمال : حسن .. لماذا العلاقة الجنسية مفسدة للحياة الزوجية ؟

قالت : لأنها الغاية من الزواج ؛ فإذا ضعفت ضعف الود والسكن بينهما .. وهي من أسباب فسخ الزواج ، وقد تكون من دوافع التعدد .. إذا كان الضعف من قبل الزوجة .. وقد تترك المرأة زوجها بسبب عجزه ومرضه .

قال الدكتور : إلا إذا كان كلاهما عاجزا عن المعاشرة بسبب .. أمراض .. كبر .. صبر أو أحدهم يرغب بالتضحية من أجل الآخر .

قال الكاتب : هل تكون السعادة بدون مال ؟

فقال مال : كل الفقراء سعداء من غير مال في الغالب .

هززت رأسي وسألت : هل تكون السعادة بدون جنس ؟

قال الدكتور : أعتقد جاوبنا على هذا السؤال ..لماذا العلاقة تلك مفسدة للحياة الزوجية ؟ يمكن أن تتحقق السعادة بدون جنس بقبول كل واحد منهما الآخر بكل عيوبه .

قلت : آخر سؤال .. الجهل بالجنس هل يضير ؟

قالت أولى : في رأيي لا يضير ، كما العلم به قد لا يفيد .. فهل القدماء وأهل الارياف والبوادي مثقفون في الجنس ؟ انهم يعيشون على الفطرة كما يقال .. وهذا أمر ينقل لهم بالتجربة ؛ لذلك تجد الكثير من الشعوذات والوصفات شائعة بينهم ..لا يضير الجهل به .

قال الدكتور : أعتقد أن جواب أولى فيه الكثير من

الصواب .. فالقدماء والأميون في العالم يتزوجون ويعرفونه بدون ثقافة .. يتعلمونه من الحيوانات التي تعيش بينهم .

قال الكاتب : علينا أن نشرب آخر فنجان لنرحل .. وعندي عرض لكم يا ثاني وأخته .

خيم الصمت ، وحضرت القهوة التي اعدتها الخادمة ، ولما شربت .

قال الكاتب : بارك الله فيكم .

قال الدكتور : قلت أن لديك عرضا .

ابتسم هو ومال فقال الكاتب : العرض .. كلنا نعلم هوى أولى بالزواج من مال يا ثاني قبل هذه الحياة المديدة .. العرض هو خطبة الرجل لها .

قالت : وي يا جمال ! بعد كل السنين .

قلت : فكري يا سيدتي بعرضنا .. فأنتم من سن واحدة .. نفس العمر .. أنت كبيرة .. وهو مثلك .. تذكري أنه رجل العجوز .

قالت : ما الفائدة منه ؟ قال مال : شكرا يا أولى !

قال الكاتب : من سمع كلامك يظن أنك مراهقة .. ما رأيك يا دكتور ؟

قال ضاحكا :الرأي لأولى .. لقد أحبت الرجل بجنون حتى أني تفاجأت لما علمت بتلك الرغبة بالزواج منه ، وكان صديقي الفاضل يومئذ يخدم الجيش

نظرت أولى في عيني مال وقالت : أأنت جاد بعرض جمال ؟

رد : وهل هو يمزح ؟

قالت : يا الهي ! أفي هذا السن أتزوج ؟!

قال الدكتور نيابة عنها : على بركة يا أولى ! الاحلام تتحقق مرات في أجيال أخرى .

أخذت بالبكاء ،وانصرف الضيفان ، وقد قبلت بالزواج من حبيبها الأول ، ونقول بارك الله لهما وعليهما ، وجمع بينهما على خير ، ويسر لهما الاقتران والسعادة .

ولما نقرأ هذه الفصول من ذكريات الأصدقاء الثلاثة نحضر حفل زفافهما ونبارك لهما من جديد ونصف ليلة زواجهما الأولى فإلى الذكريات والأحداث .

البداية

بدأت حكايتي لما أصدرت وزارة المعارف نتائج الثانوية العامة لعام ١٩٧٨ ، لم أجد اسمي في قوائم الناجحين .. والحق أنني أعلم ذلك ؛ لأنني لم أقدم الاختبارات بشكل جيد ومريح ، فقد قصرت في بعض المواد وأهمها الرياضيات .

رغم الذكاء كما أزعم فشلت في اجتياز تلك المادة .. كنت ضعيفا في تلك المادة ، ولم أتحصل على دروس تقوية ، وخاصة فيها وفي مادة اللغة الأجنبية .. فنحن نأخذ مادة لغة أجنبية انجليزية أو فرنسية .. فأخذت الاولى منها .. وعلى ما أظن

حملتها مع مادة الرياضات الفرع العلمي .

كان صديقي ثاني أذكى مني في مواد الدراسة والحفظ والاستذكار .. فكان نجاحه متوقعا ، ولم يكن مفاجئا ، وكذلك نجاح شقيقته أولى توأمه .

كنت أعيش في وادي النزهات ، وهو يسكن في درب القلعة ، ولم يكونا بعيدين عن بعضهما ، وكلاهما من أحياء المدينة الكبيرة .

المدرسة الثانوية بين الحيين هي التي جمعتنا ، وتعرفنا فيها على بعض ، من الصف العاشر درسنا سوية ثلاث سنوات ، كان بيته بيتي ، وكانت الثانوية تلك الأيام أول وثاني وثالث .

التقينا أول مرة في ملعب كرة اليد ، وجمعنا الملعب ، فصرنا أخوة لعبة ومدرسة ، نجحت في اللعب أكثر منه ، وتقدمت فيها ؛ ولكنني لم ألعب مع فريق المدرسة .. تقدم آخرون عليّ.

كان دراسة أكثر مني ، ونجح في النهاية ورسبت .

قالت توأمه عندما ذهبت إليهم مهنئا ومباركا : خيرها في غيرها يا مال الدين ـ هذا اسمي ـ أحببت لك النجاح مثلنا ؛ لكنك كنت يائسا وبائسا تلعب كثيرا ومغرقا في اللعب والسجائر.

قلت : مبارك النجاح يا أولى ..تمنيت لك ذلك .. وشكرا على مواساتك.. أين رفيقنا ثاني؟

ـ تفضل أبي في الداخل .. ذهب لشراء بعض الحلوى لما علم بقدومك ـ إن شاء الله ـ تنجح في المرة القادمة .. أكيد ستعيد الكرة .

كانت أولى عندما تعلم بمجيء مال تلبس ثيابا جميلة وتمشط شعرها .. فهي ترى أنه يحب ذلك فرددت على أكيدها فقلت: لست أدري يا جميلتي ! دائما أنت جميلة .. والنجاح جمّلك أكثر .. وجوابا على السؤال لست أدري ؛ ربما .. العلم عند الله يا أولى العزيزة .. سنفتقد الزيارات بعد الثانوية .

قالت وحبها معروف لديّ : لن نغلق الباب في وجهك .. أنت صديق العائلة ..كل العائلة .. ولَك مودة في قلوبنا جميعنا .

قال : سنفترق يا عزيزتي !

قالت بحماس : سنبقى أصدقاء كما كنّا في هذه السنوات الثلاث .. أنت عزيز على القلب يا سيد مال الدين .. كل العائلة تعتبرك ابنا لها .. فالحديث معك ممتع .. هل قرأت قصصا جديدة ؟!

تبسمت وقلت : نعم ، قرأت العربي المجلة .. وبعض الألغاز المصرية التي نحب متابعتها التي قد وصل أعداد جديدة منها .. سآتيك بها .

قالت : إني بدأت أقرأ أجاثا كريستي طبعة المكتبة الثقافية .. لقد أحضر لي الوالد بعضها فهو محب لها .

ـ قرأت لها قصة أو اثنتين .. الشبح الغامض ، ولا أظن أنه الاسم الحقيقي .

خرج والد أولى أبو ثاني مرحبا بمال ومصافحا ،

وبارك له مال بنجاح ولديه ، وتمنى موسى والدهما النجاح له في الجولة القادمة.

فقال مال : إذا تقدمت إليها يا سيدي .. اعلم أنني مسرور لم حصل لولديك الآنسة أولى والعزيز ثاني

جلس مال في غرفة الضيوف ، وقدمت أم ثاني ، وقبلت الشاب صديق ابنها البكر كما تفعل في كثير من الأحيان ، ورحبت به .. فهو صديق ابنها الأهم في السنوات الأخيرة .. وكم سهرا معا .. ودرسا معا .

فقالت : كان عليك أن تجاهد يا مال .

ـ فعلت يا خالتي .. الرياضيات مادة كانت صعبة عليّ رغم حبي لها.

قالت : لعل المرة القادمة تكون أفضل .

ـ لا أدري! هل ستكون جولة قادمة ؟

قالت أولى : اسمح لي أن أحضر لكم الشاي .

هززت رأسي وقلت : شكرًا يا أولى سنفتقد شايك

قالت أم ثاني : ستبقى صديق العائلة يا مال .. فهذه سنوات من العمر مضت تعودنا على وجودك معنا في المساء والليل .. ستبقى صديق الشباب حتى أولى كانت تحب وجودك الدائم وتعتبرك أفضل من كثير من صديقاتها وزميلاتها في المدرسة .. وترتاح في الحديث معك لصغرك وثقافتك خاصة غرامك في المطالعة التي تهواها .. فحتى ابني يزيد يحبك ويغرم باحاديثك الشيقة وأخبارك الغريبة .

قال : أنا أقدر لكم حبكم لشخصي يا خالتي .. كنتم لي كالأهل .. لن أنسى صداقتكم لي وكرمكم وتحملكم لإزعاجي .. افكر بتسليم نفسي للجيش .. وأخدم ما عليّ .. ولا داعي للتأجيل قبل اعادة الكرة .

قال موسى : الأفضل يا مال أن تدرس قبل الجيش .. فهو لن يطير .. ويصبر عليك .. أخشى إن قدمت الجيش أن تنسى الثانوية بسبب خدمة الجيش .

قالت الأم: كلام عمك موسى في موضعه ومحله .

قال : النفس شالت كما يقال من الدراسة .

قال موسى : لا تيأس يا ولدي ..فأنا قلت ذلك حتى لا تنسى المعلومات التي حفظتها خلال فترة الدراسة .. فلابد أنها مخزنة في دماغك .. وذهابك لخدمة العلم والجيش قد ينسيك إياها كلها أو أكثرها .. وعليك بدروس خصوصية للرياضيات واللغة الأجنبية وأي مادة صعبة.

أحضرت أولى الشاي حسب ما تعرف عن حب مال للشاي ، وأحضرت معه بعض المكسرات وسكبت الشاي وقالت : تفضل يا أبي

تناول موسى الكوب شاكرا برأسه ، وقبل مال المراهق الكوب ، وهو يقول : شكرًا أولى سنفتقد شايك

ـ البيت مفتوح لك.. سنبقى أصدقاء ، وستجمعنا

القصص والكتب .. فأنت أخ كريم للعائلة وأخ لثاني .

قال مال : ماذا ستدرس الآنسة بعد النجاح يا أبا ثاني ؟

قال : كليه الآداب لغات فرنسي أو إنجليزي

قالت أمها : أنا أرغب أن تدرس إدارة أعمال .

قال مال : المحاسبة جيدة أو السكرتارية .. اللغات أتصور أجود يا عّم موسى .

قال موسى : الاختيار يعود إليها .. هي من سيتعلم لا نحن .. اللغات تعمل في الترجمة في الصحف في التعليم حتى في المؤسسات المالية .

ـ والأخ ثاني .

ـ يريد أن يدرس في كلية العلوم فيزياء كيمياء مدرس العلوم .

قال : أتمنى لهما كل توفيق .

قالت أولى : كنّا نتمنى مرافقتنا في الجامعة يا أخ مال .

قالت الأم : لن تفرق سنة إذا أعاد الامتحان

قال بضيق : النفس تعبت يا أم ثاني عن الدراسة .. أحبطت ولا رغبة للمعاودة هذه الأيام .

قال موسى : بعد حين سيذهب أثر الفشل .. وتعود لك الحيوية التي نعهدها فيك .. وتنشط للعودة والدراسة .. فأنت تمتلك الروح الإيجابية يا مال !

قال : أنت متفائل يا عمي!

قال : وأنت عليك أن تتفاءل ولا تحبط .. عظماء لم ينجحوا من أول مرة في المدارس ثم نجحوا .

ضحك مال قليلا وقال : عظماء.. يا إلهي!

قالت أم ثاني : لا تدع اليأس يغزوك يا مال .. كن كما تعودنا عليك .

قال: يبدو أن ثانيا سيتأخر .

صاحت أولى : اصبر يا صديقنا .. إنه قادم .. صدق أنه ذهب لشراء الحلوى لما علم أنك قادم لزيارتنا .. فإننا محبوك ، ونعتبرك من أفضل الأصدقاء في السنوات الأخيرة .. ويحب الكل سماع أخبارك وأشعارك .

قال موسى: أما زلت تكتب القصائد ؟

تبسم الشاب وقال : استهواني الشعر زمنا .. اليوم هجرته ؛ لكن الآنسة تحب أن تذكرني بما كتبت لها أول تعارفنا بكم .. كانت تطلب مني قصائد لمناسبات معينة فأصدق أنني شاعر واكتب لها.

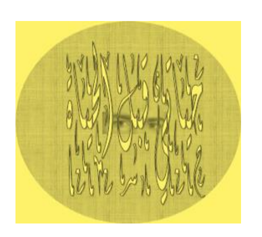
قالت أولى : صدق أن معلمة اللغة العربية أعجبت كثيرا من قصيدتين لك .. ولم تصدق أن هاوٍ ألفهما

ضحك مال الدين وقال: أما أنني شاعر فلا ؛ وإنما معلمتك تلك لا تفقه في الشعر والأدب شيئا .

قال موسى بتردد : ربما ؛ ولكنك تكتب جيدا .. لقد قرأت لي أولى بعضا مما كتبت لها وراق لي .

قال بحياء : أشكرك يا عم موسى على لطفك مرة

ثانية .. أيضا راق لي الرسم كما استهواني الشعر .. ربما يفعل الانسان ذلك متأثرا بما يقرأ عن أبطال القصص وقدراتهم الخارقة .. فبعضهم يفعل مثل هذه الأشياء



قال موسى : هكذا الناس يبدون بالمحاكاة والتقليد ، ثم الاحتراف يا بني .. لا يولد أحد شاعرا أو قاصا أو رساما .. ها هي أولى تحب رسم الخطوط والزخرفة العربية .. ولعلك تعرف عنها هذه الهواية.. فأولى يعجبها رأيك في كل شيء .. فهي تعتبرك عملة نادرة .

غرق مال ضحكا وقال : أنا وأولى نحب المطالعة ، هذا ما جمعنا أكثر .. نتبادل المعلومات حول القصص والروايات والمجلات .. أليس كذلك يا أولى ؟

- صحيح يا أبي .. ولكني أعجبت بك قبل أن أعرف هوايتك هذه .. فأنت قارئ جيد ومثقف .. ولاعب كرة يد جيد كما يقول ثاني .

قال موسى : ولاعب شطرنج ممتاز .. أعجبني لعبك يا بني .. لو تجد ناديا ومدربا ؛ لربما أصبحت بطلا في هذه اللعبة

قال مال : وماذا أفعل في البطولة يا عّم ؟! .. فالأفضل أن أبقى هاويا .. فحياتنا صعبة وشقاء وفقر ، وأمامنا العمل والجيش الاجباري

قالت أم ثاني : المهم الدراسة والثانوية يا مال .

حضر ثاني وجلب معه العشاء والحلوى ، ورحبنا ببعض عناقا .. فنحن رفاق المرحلة الثانوية .. وكرر مال المباركة ، وكرر الآخر المواساة ، فهما قد التقيا يوم إصدار النتائج منذ اسبوع ؛ إنما مال أحب أن يهنئه أمام الأسرة كلها ، ويبارك للآنسة أولى التي كانت تفخر بصداقته وصحبته لكل الأسرة ، وتفخر بصداقته لثاني .. وتجلس معهما في أوقات تركهما للدراسة والمراجعة .. وتسمع كلامه وثقافته ونشاطه .. وهو يسمع قصصها في المدرسة مع المدرسات والطالبات .. وبالمجمل يسمعان أفكار وأحلام بعضهما ، وتجمعهما هواية الكتب والقصص وتبادلها والتعليق عليها .

ولما انتهى الطعام والحلوى عادوا للجلوس في غرفة الاستقبال يشربون الماء والشاي من جديد .

وكان ثاني ووالده يرغبان الشاب بتكرار الامتحان قبل الخدمة العسكرية الالزامية والجيش والتجنيد ، وأن الشهادة إحدى وسائل التقدم والمستوى الاجتماعي ، وأن الشهادة ليست هي مصير الانسان ، ويستطيع الانسان تحقيق الثروة والعمل من غير شهادة وجامعة ؛وإنما الشهادة مهمة في حياة المثقف ، وقد يعمل بها في الوظائف الحكومية

وغير الحكومية .. وكذلك مواصلة الدراسات العليا كالدكتوراه للعمل في الادارة كدكتور أو جامعة .. وفي نهاية الجلسة دفعت أولى له مجموعة من القصص والكتب وقالت : لنبقى على تواصل ، وبيننا هذه الكتب .. فأنا أعلم شغفك بذلك .. ؛ ربما الجامعة ستبعدنا عن بعض أياما وشهورا .. فأرجو أن نبقى على تواصل واتصال ، وأن تبقى صداقتك لثاني ولي .. أليس كذلك يا ثاني ؟

هتف ثاني : بلى ، يا أولى .. فالأخ مال صديق كبير لكل الأسرة .. وعزيز على الجميع .. وبالتأكيد سنبقى زملاء كما كنّا خلال السنوات الثلاث.. يا مال فالبيت بيتك .. فأنت أخي كما أولى اختي .. فلا تخجل من زيارتنا رغم الفراق .

قال الشاب حياء : أنتم أغلى من الأهل يا ثاني ويا أولى .. لا أريد أن أدلل على ذلك .. فاحترامكم واجب وفرض عليّ .. وأنت نعم الأخ ، وأنت نعمت الأخت .. لا أنسى فضلكم وحبكم وتشجيعكم وسهرنا معا ، والحظ لم يحالفني وقد ضعفت الهمة التحق الشقيقان ثاني وأولى بالجامعة العربية الأول في كلية العلوم تخصص فيزياء ؛ ليكون معلم فيزياء .. فهو يحب التدريس ، وتعجبه مهنة المدرس ودوام نصف نهار .. وأولى دخلت الآداب لدراسة اللغة الفرنسية كما أحبت فهي معجبة بفرنسا والثقافة الفرنسية والأدب الفرنسي ؛ كأنها متأثرة بأدباء فرنسا .. وأنا أصرت أمي الغالية على قلبي أن أحاول مرة أخرى، وتكفلت بالمصاريف والنفقة على الدراسة الخاصة ، فسجلت اسمي في مدرسة خاصة بموقع عجيب في وسط المدينة قرب محكمة شرعية ، وحصلت على تأجيل خدمة الجيش الإجبارية لعام آخر .. فخدمة العلم لابد منها قبل الدراسة وبعدها .. فالكل ملزم بقضاء سنتين أو أكثر في القوات المسلحة الوطنية . لم استطع الاستمرار في المدرسة ، ضقت ذرعا وإفلاسا .. كرهت مقاعد الدرس ، وجدت نفسي غير قادر على الاستمرار .. لماذا لليوم لا أدري السبب ؟! لم استطع إكمال المرحلة الثانوية عام تسعة وسبعون فقررت أن اتعلَّم فن التمديدات الكهربائية الخاصة بالمنازل والفنادق والفلل والمدارس حتى ينتهي العام الدراسي وألتحق بالتجنيد ..حسمت أمري أمام الملأ من قومي وخلاني في هذه الخطة .. الجيش أولا أخلص من الإجباري ثم عودة للثانوية .. لابد من التغيير ، وجدت تشجيعا من بعضهم ، وبعضهم رفض هذه الخطة ..التعليم أولا وهكذا ..وتلقيت رسالة من الصديقة أولى عزّ عليّ يأسك من الثانوية العامة يا مال الدين .. علمتك مقداما مثابرا .. لا أدري لماذا تضعف عن قراءة كتب المدرسة ؟! وأنت تقرأ عشرات الصفحات من الكتب

والمجلات والروايات .. أليس هذا من العجيب ؟! .. المحبة الغالي على قلبها أولى موسى .

فعلا هذا ما يحير كل من عرفني أيها الاصدقاء علقت القراءة والغرام بها منذ الفصل الخامس ، كنت أقرأ قصة الزير سالم والهلالية منذ الصف الخامس أو الرابع ؛ بل أذكر أنني اشتريت قصة المهلهل وأنا في الخامس الابتدائي الأساسي .. وقرأتها في ثلاثة أيام بخطها الصغير وصفحاتها الكثيرة ، وعلى قراءة سلسلة الألغاز المصرية التي أغرمت بها في المرحلة الإعدادية المتوسطة ، كنت أقرأ الكثير منها خلال الحصص في المدرسة.

كانت في طريق المدرسة مكتبة تؤجر هذه القصص ، فكنت أقف أمام المكتبة أقرأ لغزا لم أقرأه بقرشين على ما أذكر اليوم بأقل من ساعة ، ثم أستأجر عددا آخر لقرأتها في البيت ..كنت مستمتعا بذلك ..القراءة متعة ولذة لا حرمنا الله منها ، وما زلت لليوم محبا لها .. عجيب حبي للقراءة وكرهي لدروس وكتب المدرسة الثانوية رغم غرامي في المعرفة وكل المعرفة .

تعرفت على مجلة العربي الكويتية صغيرا .. كان ثمن العدد عندما بدأت أتابعها بثمان قروش وعشرة قروش .. كانت مجلة أنيقة وورقها أبيض مصقول من أجود الورق اللامع في ذلك الزمن .. كانت مجلة فاخرة .. وتعرفت على الكثير من مجلات ذلك الزمن سوبرمان الوطواط النجوم مجلة الشطرنج وكتب الشطرنج العراقية والمصرية .. وما زلت احتفظ بشيء منها ؛ وربما زاد .. وتعلمت لعب الشطرنج وافتتاحيتها ونهاياتها .. وكنت أذهب هناك وهناك للمباريات والتحدي .. أصابني هوس فيها .. وألفت كتابا صغيرا فيها .. وما زال مخطوطا بخطي الصعب القراءة ؛ ولكن لغة الشطرنج رموز وسهلة القراءة للمحب الولهان ، وشكلنا يومها نواة نادي شطرنج ، وصحبتني في رحلة التجنيد ، وفقدت رقعة أو حجزت في فترة التدريب الأساسي .

أما مهنة الفني الكهربائي فهي مهنة جميلة لمن أحبها وأتقنها، وعرف أسراها .. كانت أجرة العامل يوم عملت فيها خمسة وسبعين قرشا ؛ ولأني كنت أحمل شهادة توجيهي راسب أجرت دينارا واحدا في اليوم .. من الصبح حتى المساء بعد العصر.. تعلمتها خلال شهرين ، وكان بإمكاني العمل في ورشة وحدي .. وفعلا قد عملت ؛ لكن الانسان يحتاج للمزيد من الخبرة ، الفكرة واحدة ؛ لكن الفن فيها يختلف ..يختلف التمديد في المنازل عن الفنادق والمدارس .. وربما أعطاني المتعهد الاول دينارا خجلا أقول ربما ؛ لأنه رفع أجور كثير من العمال .. عادة أصحاب الشغل يحبون إطالة فترة التعلم للجديد أكبر فترة من الزمن .. بعض

المعلمين الذين عملت معهم أسرعوا في نقل خبرتهم لي ؛ ربما محبة أو غير ذلك .. والله أعلم . السبب أن الفني إذا ت علم الحرفة بسرعة سينتقل للعمل معلما وبأجرة أكبر .. فالعامل اجرته بسيطة وقليلة بالنسبة للمعلم المتقن .

كان عليّ أن أتعلم قبل التجنيد والوقت يداهمني .. الموعد مع الجيش في شهر أيلول عام ثمانين .. لم يكن العمل غريبا عليّ .. كنّا في عطل المدارس السنوية في الصيف نعمل .. وقد عملت في مهن مختلفة مع المعارف ، وحتى في البيع المتجول كالحلوى والبالة والتحميل والتنزيل للرمل والطوب والبلاط والاسمنت ، وفي أماكن مختلفة في المدينة وحتى الفواكه والخضار في أماكنها والأسواق الكبيرة .. الواحد يحتاج لمصروف والشراء للدخان والتبغ ..قصة كبيرة عطلة المدارس .. فقد كنّا نرفع المواد للطوابق لمعلمين البناء والقصارة والبلاط وغيرهم عملت في حدادة البناء والنجارة وتنظيف الخشب من المسامير وفك الطوبار مع عدد من المعلمين شقاء في شقاء ؛ لكننا كنّا شبابا على قدرة على إنجاز مثل هذه الأعمال .

كان من نتيجة مثل هذه الأعمال الجلوس في المقاهي للتعاقد مع معلمي مثل هذه المهن .. وكان من نتيجة الجلوس فيها لعب الورق والشدة والتعلق بالدخان والسينما والرياضة .

لم يكن العمل في هذه المهن والحرف مستمرا ،كان متقطعا لم يكن دائما .. كان يخضع لعوامل وظروف شتى .. كنّا نعمل حتى نعود للمدرسة والعام الدراسي من جديد .. بعض الشباب يقضون تلك الأيام في النوادي والمسارح وغيرها .. نحن بحاجة لمصروف أثناء انقطاع المدارس ..كم هو قاس الفقر والطفر!

رغم هذه الآلام ما زلت أقرأ وأقرأ .. إنني مفتون بالقراءة . كنت أجلس ورفاقي في مقهى وسط المدينة ، مع جلوسي وتعرفي على عشرات المقاهي في أنحاء العاصمة إذ أنا من سكان العاصمة كما يقال .

عرفت مقاهي الحي والأحياء المجاورة ؛ لكن مقهى الذهب في سوق الذهب هو المقهى الأهم يومها .. مقهى الشلة والرفاق واللعب والعنوان .

لم نلعب الميسر من يملك يدفع .. تعلمنا عشرات الألعاب من ألعاب الكوتشينة بأسماء كثيرة .. ألعاب كثيرة.. اللعب أيام الشباب له مواسم.. كنّا نستمتع بكرة القدم لعبا ومشاهدة حيث كان فريقان يشغلان تنافسنا ومجادلاتنا ومعاركنا وصراعنا .

لم تعد تتصل بنا يا مال ! فشقيقي ثاني حبيبك يقول :إنه لم يعد يراك .. لا تنسى ثلاث سنوات

صداقة جمعتنا .. لديّ قصص وكتب كثيرة تحتاج إليك أكثر من الأول ؛ لأنني طالبة جامعة ، حتى ابنة عمي تسأل عنك.. فقلت لها مع رسوبك هربت من الحي .. ولم تعد قدماك تدخل حي درب القلعة .. المخلصة أولى .

أجبت برسالة أشكر اهتمامك أنت وعزة بشخصي .. كانت مثلك تحب لي النجاح .. حاولت الدراسة من تشجيعكم ، ولكنني ضعفت وغادرت المدرسة بعد أن دفعت الرسوم وبعض الاقساط .. إنني أعمل وأستعد للتجنيد .. فموعدي شهر أيلول ثمانين .. نعم شهر أيلول الموعد يا أولى .. أحب رسائلك وكلماتك ونصائحك .. ألم تجدي صديقا بعد في طلاب الجامعة ؟ .. يقولون الجامعات مرتع لقصص الحب والغرام وغير ذلك .. المخلص مال الدين حسين .

كتبت بعد حين لا يا صديقنا ، بعدي لم أجد أو اتخذ صديقا محبا عاشقا مع أن بعض الفتيات تنقلن خلال هذه الشهور بين أكثر من حبيب وصديق .. هناك أحدهم يحاول يحوم حولي ؛ لكن ثقافته ضحلة .. وأتعجب كيف نجح في الثانوية وأنت رسبت؟! صديقك جل وقته مع الفتيات والحبيبات كما يحدثني .. أتمنى لك التوفيق ؛ ولعل الجيش يضيف لك تجربة جديدة ومفيدة وتستمتع به؛ لعلك تزورنا قبل التحاقك بالجيش .. فسأطلب من ثاني أن يدعوك لتناول العشاء والطعام مع الأسرة ..وأخيرا لثاني صديقتان في الجامعة لحتى الآن .. لا أدري من تكسبه وتفوز به ؟ أمي كما تعلم تخاف من الفتيات وألعابهن مثلك تماما .. لم أعد أسمع أخبار فتاتك نهلة ..المشتاقة لكم أولى .

كان لابد من الرد أدبا كما هي يا أولى ..تحضر في الصيف مع أسرتها من الخليج.. فوالدها حسب ما أعلم يعمل في تلك البلاد .. ولا أدري ما يعمل ؟! فأنا كما أخبرتك شفويا عيوننا فقط التي تحب بعضها.. لم أكتب لها ، ولم تكتب لي ؛ لكنها عندما تراني أقف قرب بيت عمها حيث ينزلون لقضاء إجازة الصيف تخرج لتبادلني العيون والهوى .. هذا حبنا إذا سميته حبا .. فهي تبدي اهتماما بي .. أنا أفهمه والعشاق يفهمونه .. ولكنني عذري الهوى على رأي بعضهم .. أنا رأيت بعض حب المراهقين والفتية من الجنسين رأيتهم أثناء لقاءاتهم وجلساتهم التي يسمح لي بالقرب منها كحارس أمين فأرى حبهن وشوقهن .. وما هو بحب ! الكل يتسلى ببعض ؛ فإنهنّ عند أول طارق يتزوجن ويختفين من وجوهنا .. هدفهنّ التسلية بالشباب .. ولم يعجبني هذا السخف .. شكرًا لرسائلك اللطيفة .. لعلي أزوركم قبل السفر إلى معسكر التدريب .. فقد قمت بالفحص الطبي ،

وعين شهر تسعة أيلول الشهر التاسع من العام ثمانين لدخول المعسكر .. لعلنا نلتقي .. سلمي على والديك وإخوتك سلام كبير .. المخلص مال الدين حسين .

فعلا قمت بإجراءات الالتحاق بمعسكر التدريب كمجند لمدة عامين ، قمت بالفحص الطبي المقرر ، وتعين يوم الاجتماع في منطقة من المدينة فلا أذكر اسمها اليوم ؛ لكنها في المدينة الكبيرة .

ودعت الأهل والعمل ؛ ولعلي كنت أملك بعض المال ، ولا أذكر قيمته وعدده ، ولما أعلن عن اسمي صعدت لحافلة عسكرية سيارة كبيرة معدة لحمل الجنود والطعام والذخيرة ، قد تكون علامة للخشونة العسكرية .. ولما اكتمل العدد المطلوب للشاحنة تحركت بنا جهة معسكر التدريب حيث يتسع المعسكر المقصود عشرات ألوف المجندين في البلاد .. وهو في قلب الصحراء وعادة كل أربعة شهور يستقبل المعسكر دفعة جديدة من المجندين .. السنة تستقبل فيها ثلاث دفعات على ما أذكر .. كنت من الدفع الأولى بعد العاشرة .. المهم دفعة شهر أيلول عام ثمانين .

وصلنا المعسكر مع الليل أول الليل ، كان الاستقبال في المعسكر الصحراوي الضخم من قبل الجنود الأقدم والضباط وضباط الصف ،كل ثلاثين مجند ضمن فصيل .

الفصيل يسمى فصيل مشاة لأخذ دورة أساسية أولية .. بعد الوصول يذهب بنا إلى الحلاق ليحلق رؤوسنا على نمرة صفر زيرو بواسطة ماكينة كهرباء .. ثم يصوروننا لإخراج بطاقة عسكرية ورقم عسكري لمجند بدون رتبة عسكرية مكلف عسكري اجباري.. ثم يستلم المجند ملابس وثياب عسكرية بدلات كاكي تسمى فوتيك ، وملابس مراسم للمغادرة والخروج من المعسكر حالة الإجازة ، ملابس داخلية جوارب جاكيت عسكري فلدة .. معطف شتوي للوظيفة العسكرية ليلا ، ملابس صوفية للبرد والشتاء .. بوريه غطاء رأس شعارات معدنية عليها اسم الجيش والشعار المعدني المعلق على البوريه .. حذاء طويل الساق للتدريب وآخر للإجازة .. علب طلاء أسود لتلميع الحذاء .. صندوق معدني لحفظ الملابس .. بطانيات وسرير وكوب للشاي والماء وصحن للطعام ومعلقة وربما أشياء أخرى غابت عن ذهني .

الحمام جماعي كحمامات المساجد .. عدة مراحيض خارج ثكنة المنامات .. الثكنة العسكرية تتسع فصيل كامل .. وكل عدة فصائل تعتبر سرية ومجموعة سرايا تشكل كتيبة وهكذا ثم لواء فرقة جيش .

للمجند ثلاث وجبات يوميا في الصباح مع شروق

الشمس عند الظهر وفي الغروب ثالثة ، وبين الصباح والظهر وجبة على نفقة المجند يشتريها من دكان ومطعم الوحدة أو تجلب من الخارج عن طريق أحدهم .. ويباع في المعسكر في دكان الجندي الكنتين المعلبات والسجائر والحلوى الرخيصة وهناك نادي وتلفزيون وشراء الشاي وغيره .

وهناك حلاق وكوّى .. ويبدأ التدريب صباحا حتى الظهيرة ثم حصة تدريب عصرا يوميا ما عدا الجمعة.. وهناك عيادة أولية .. الدورة هي لياقة بدنية والطابور العسكري والمشية العسكرية وألعاب رياضة المشي .. وهناك عقوبات بدنية ووظائف حراسة ليلا غفارات تسمى .

حلق الدقن واللحية فرض كل صباح ، وكذا ترتيب السرير وتصفيط الأغطية البطانيات يوميا ما عدا يوم الجمعة وقبل المغادرة للتدريب أو الإجازة .

كثيرة الطوابير على المراحيض والمغاسل على الطعام والتدريب وكل شيء. يمضي الشهر الأول بدون إجازة للمجند إلا من كان له واسطة أو مات أحد والديه .

يدرب المجند على بعض قطع السلاح ، وأهمها بندقية فردية فكا وتركيبا ، ويتدرب على تنظيفها وتلميعها وعلى بعض الأسلحة الأخرى والقنابل اليدوية .. والرماية الحية لعدد من الطلقات في آخر الدورة التي تحتاج لثلاثة شهور ، ثم ينقل المجند بعدها الى وحدات متنوعة من الجيش في طول البلاد وعرضها حسب الحاجة والثقافة والمستوى العلمي .. كانت دفعتنا أول دفعة تحتوي عددا كثيرا من المتعلمين في الغالب .

الحراسات الليلية التدريبية يتعرض فيها المجند للتفتيش من قبل عرفاء الفصيل ومن ضباط الصف ومن الضباط في بعض الأحيان.

يدرب المجند على استخدام القنابل اليدوية وسحب الصاعق وقذفها على مكان معين ، وعلى مدفع الهاون وعلى المدفع المحمول على الكتف لتفجير الدبابات والناقلات والاليات العسكرية وأغلبه تدريب نظري .

كل التركيز على المشية العسكرية يد يمين مع رجل يسار والالتفات يمين يسار . بعد الشهر الأول من الحجز والتدريب يسمح للمجند بإجازة نهاية الاسبوع بعد ظهر الخميس لصباح السبت .. والبعيد ربما يعطى يوما آخر كل أسبوعين .

يغادر المجند المعسكر بواسطة حافلة عسكرية لأقرب مدينة كبيرة ، فينام ليلة الجمعة وليلة السبت ويسعى صباحا لمعسكره أو لمكان معين .. وتأتي سيارة عسكرية لنقله للمعسكر الكبير في جوف الصحراء القاحلة .

والعسكري يجب أن يتناول وجبة الغداء يوم

الخميس قبل مغادرة المعسكر بثيابه الرسمية .. فلكل عسكري وجبة طعام مخصص حسب برنامج ما.

ولكل سرية نادي عسكري ، ومطعم للطعام والسهر والسمر يسمى كانتين .. وله ميس ودكان وفي النادي كراسي وتلفزيون ويعرض برامج ميكي ماوس .. والمعسكر له وقت يتوقف فيه التيار الكهربائي عدة ساعات .. وعند الفجر تعود الكهرباء ، ويبدأ صحيان العساكر ، ويبدأ النشاط بحلق اللحى والذهاب لدورات المياه ، ثم تلميع البسطار والشعار العسكري المعلق على البوريه ، والاستعداد لطابور الافطار ، ثم الانطلاق لميدان التدريب .. وبعد حين شهر يقل التدريب المسائي .. ويسمح بلعب كرة القدم وغيرها .

وكونت نادي شطرنج رغم أنها غير ممنوعة حجزت لنهاية الدورة ، ثم انتقلت ، ولم تعد إليّ الرقعة ولا القطع .. وأحيانا يقام طابور ليلي أو عند الغروب كتدريب مفاجئ أو عقابي حتى يتعلم المجند الخضوع والضبط العسكري .

ثلاثة شهور متتابعة في ذلك التدريب ، ثم يتخرج المجند ، ويرسل إلى وحدات الجيش المختلفة .. وألحقت بكتيبة اتصالات لاسلكي وسلكي في الشمال حيث الحدود كمجند إشارة واتصالات .. سأتحدث لك يا أولى عن أسلحة الجيش ؛ لأني

كتبت هذا الكلام لصديقتي أولى فهي تحب ذلك كما أحس وأشعر .. واعترفت لي باستمتاعها بأي حديث أتكلم به .. واستمتعت في قراءة تلك الصفحات .

كنت مستعيرا لصندوق بريد من أحد رفاق الحي في وادي النزهات المجاور لدرب القلعة ، وقد كان السبب اشتراكي بمسابقة شطرنج عن طريق مجلة الشطرنج ، وهي اللعب مع ثلاثة آخرين بالمراسلة على ما أذكر ولمدة محددة من الزمن .. شطرنج بالمراسلة نقلة إرسال نقلة استقبال .. أذكر أنني فزت على اثنين والثالث انتهى الوقت المحدد .. والمفاجأة أن أحدهم بعد انتهاء الدور كان أحد طلبة المدرسة أحد الشعب الأخرى .. ورفضت الالتقاء به بعد انتهاء الدور .. ونشرت النتائج في أحد الأعداد .. وما زلت أحتفظ بوثائق ومسودات تلك الأدوار البسيطة .. وأنا ألفت كتابا قبل الجيش في الشطرنج ولعبها وقراءة أدوارها .

واحتفظت بصندوق البريد إلى حين ، وأستلم رسائل أولى عليه أثناء دراستها في الجامعة .. فكنت أستغل فرصة الإجازة لقراءة تلك الرسائل الجميلة والمثيرة .. كانت تكتب لي من مقاعد وحدائق وساحات الجامعة .

كتبت لي رسالة جاء فيها صديقي البطل مال

الدين حسين حولي شباب رغم حبهم لي كما يزعمون ويدعون أنا غير مقتنعة بهم .. وأحدهم يزعم أنني فتاته المنشودة والتي كان يبحث عنها خياله من سنوات ؛ بل كلهم يقول ذلك .. وهل يصدق هذا الزعم ؟ صديقي أنت الوحيد الذي اقتنعت بما يحمل من أفكار ومعتقدات رغم هروبك الى الجيش والصحراء الحارة المليئة بالغبار والرمال لم أميل لأحدهم ما رأيك بصحبة هؤلاء الطلبة العشاق ؟ وأخي ثاني محتار في اختياري لأحدهم .. وطلب مني أن أخذ رأيك ومشورتك بتلك الصداقات .. وأنت لم تعد تزورنا منذ دخلنا الجامعة ؛ كأن لم يكن بيننا صداقة وزمالة وساعات رائعة .. نعم صداقتنا لم تنقطع ماذا أفعل صديقي بهؤلاء الفرسان ؟ قل لي أيها الصديق المخلص .. أنا على يقين أنني لن اتزوج أحدهم ؛ لأننا من جيل واحدة سن واحدة .. وأمي لها قريب يكبرني بسنوات مستعد وجاهز ؛ ليكون لي زوجا .. وهو من أقاربها وتريد فعلا تحقيق ذلك قبل أن أتورط بعلاقة فاشلة مع أحدهم .. تراه مناسبا ..ولكنها فترة الجامعة يا مال .. وتقول إن أبي يقبله ولا يمانع إذا قبلته وترك الأمر لي ، ولم يتحدث معي بذلك وهذا طبع أبي .. أليس هذه معضلة ؟ عندما تأخذ إجازة وتقرأ هذه الرسالة زرنا .. فالبيت ينتظر زيارتك .. ويعرف أهلي عمق ما بيننا من صداقة وانفتاح .. وإن رأيك أفضل من رأي ثاني .. فأمي سمحت لي بدعوتك ومشاركتك بهذا الكلام .. أمي تحبك كما تعلم .. وترى نضجك وعجبت من فشلك في الثانوية.. وترى أن ظروف صعبة حدثت لك ، ولم تكشفها لنا .. أمي لولا السن المتقاربة بيننا يا مال لشجعتك على الاقتران بي لشغفي بك وبكلامك أيام مراهقتي التي لم تنته بعد .. وأنت تعرف ذلك ، وسمعته أكثر من مرة من أمي .. فأمي تزوجت أبي عن حب تقول .. فهي تحبك مثلنا .

فكتبت لها أن لا تتعمق بحب طلاب ، فهذا لا يقوم على أساس متين .. رغبات ثم يبحث عن غيرها ؛ لعله في سنة أخرى يرى فتاة أخرى فيتحول إليها .. فالجميلات كثيرات والصائدات العابثات أكثر ؛ فإذا رأى أجمل منك سينقلب قلبه إليها .. لا أساس سليم لهذه العلاقات .. الاختلاط بين الجنسين والمراهقين مضلة كبيرة .

وأما الزواج من قريب أمك فقد يكون مبكرا .. أنت في السنة الثانية أليس كذلك ؟ فلينتظر إلى ما بعد الجامعة أو قرب انتهائها صديقتي .. فليس الزواج أثناء الجامعة مفيدا خشية الحمل والولادة وتعطل عن الدراسة ، وهناك الرضاعة الطبيعية أفضل من رضاعة القنينة هكذا كتبت لصديقتي بعد تخرجي من الدورة الأساسية للمشاة ..

وعندما رحلت لصحراء جديدة حيث وحدة عسكرية للخدمة باقي سنوات الخدمة في سلاح الاتصالات السلكية واللاسلكية كتبت لي أنها ترغب أن تعيش قصة حب ، فالشاب يستهويها وهو يعشقها بشدة كتبت لها الفشل صعب خاصة في الحب ، فقد يكون صاحبك هذا عاشق جسد .. وما هو لعاشق روحك كتبت كل الفتيات لهن أكثر من صديق ، ويتحدثن عن علاقات بريئة ، فكتبت لها أي براءة في عشق جامعة؟ هل الشاب مستعد للزواج منك عند التخرج أم سيعمل حتى يظفر بك ؟ وكم سيستغرق وهو يجمع المال يا أولى ؟! كتبت أني أقسو عليها كتبت أنا أمنعك من التهور .. والأمر إليك .. وأنت طلبت مشورتي ووعدتها بلقاء مباشر عندما يروق لي الجو ووعدتها أن يكون قريبا أنا أعلم أن أمها تحبّني ، وتراني صديقا حقيقيا للعائلة الكريمة ... يتبع

اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد، أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، والساعة حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهى لا إله إلا أنت

اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم،]في العالمين [إنك حميد مجيد

اللهم أحيني على سنة نبيك وتوفني على ملته، وأعذني من مضلات الفتن

اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت





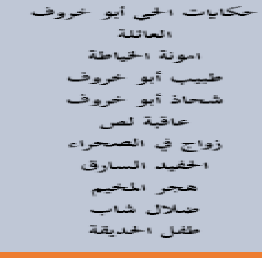
مشاهد تربوية
منشورات
المكتبة الخاصة
كلام المكاتب
منشورات المكتبة الخاصة
جمال شاهين
مواقف ارشادية
حديقة الازهار
نبوية
حق المسلم
حسن الخلق
ازدراء النعم
فليصل رحمه
حسن الاسلام
كل واشرب
مضغة
نفس كريمة
الزهد
المعروف
الزمردة
حجر القمر
الجواهر العشر
جمال شاهين
غربتي وابنتي
منشورات المكتبة الخاصة
قصص المصباح المضيء
وهج الحرب
جمال شاهين
موقعة الثلاثة والعشرين
الفوارس
حصرم بن سلام
رُمان
القصر المهجور
قريشا . . .
هو أنت لاجئ
عبد الله البحري
مملكة مالونيا والملك بربار
الأميرة نهر الأحلام
قطبة بن سنان
الأمير جفر
التحقيق الجنائي والجريمة
صورة الأم
بصمة وراثية
رجل اسمه سنار
حسان والطير الذهبي
زهلول في أرض الجآن
وصية جديدة
مغامرة النادي
مصرع المدير
شارع البحيرة الخامسة
ليموت الماضي

























قصص المصباح المضيء

قصص وحكايات الفوارس			
١	حسان والطير الذهبي	٢	الأمير جنر
٣	عبدالله البحري	٤	رمان
٥	الأميرة نهر الأحلام	٦	زهلول في ارض الجان
٧	مملكة مالونيا الملك بريار	٨	قطبة بن سنان
٩	حضرم بن سلام	١٠	القصر المهجور
١١	نمير وزعيط في جزائر البحر	١٢	انتقام الفارس شهدون
١٣	الأميرة تاج اللوز وولديها	١٤	الفارس جبل بن مجدو
١٥	سيف الزمان وجيلة	١٦	حكاية ريح البحر
١٧	الملك ابن الراعي	١٨	مدينة نجوان
١٩	الملك زرارة والملكة سفانة	٢٠	أبناء الملك سماك

١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غربتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الحفل بالقط الأسود	١٠	الشقق السوداء
١١	حياتي قبل الحياة	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	













